

تاريخ الأدب العربي

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

تأليف

مفروض

عضو جمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

جميع الحقوق محفوظة لـ
دار العلم للملايين

الطبعة الأولى
كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الخامس « من تاريخ الأدب العربي »، وهو يُورَخُ للأدب العربي في المغرب (من قارة إفريقية) وفي الأندلس وصقلية (من قارة أوربة). وقد رأى القارئ الكريم أنني في هذه السلسلة قد أرختُ للأدب في المشرق ثم للمغرب، لا لأنَّ الأدبَ المشرقيَّ منفصلٌ من الأدب المغربي، بل لأنَّ هذا الفصل جعلَ معالجةَ الموضوع أيسرَ عليَّ.

وهذا الجزء الخامس يبدأ نحو سنة ٤٩٠ للهجرة (١٠٩٦ م) - قبل قيام البابوية بالحروب الصليبية على المسلمين والإسلام في الشرق - ثمَّ ينتهي نحو سنة ٦٣٩ للهجرة (١٢٤٠ م). وهذه المدة عيُّها تكادُ تنطبقُ أنطباعاً تاماً على المدة التي حكمَ المرابطون والمُوحِّدون في أثنائها في الأندلس.

إنَّ كُلَّ تقسيمٍ للأحقاب السياسية خاصةً (والاجتماعية عامّة) تقسيمٌ عُرْفِيٌّ، ولكن لا بُدَّ من ذلك، من الناحية العملية. ثمَّ يظلُّ في هذا التقسيم ثغراتٌ لا حيلةَ للمؤلف في سدّها. ويزيدُ في هذه الثغرات في وقتنا هذا - وقت تنضيد الحروف بالحساب (بتشديد السين) - فإنَّ « صفَّ الأحرف » سريعٌ جدّاً، فيضطرُّ المؤلفُ إلى تصحيح مِثات الصفّحات في الأزمنة القصيرة. ثمَّ إذا وقع خطأ في الترتيب (من المؤلف) أو في التنضيد (من العَمال) فإنَّ إصلاحه أكثرُ صعوبةً ممّا كان في عهد « الصف » بالحروف المنفردة، وخصوصاً في الكتب الكبيرة المبنية على نظام جامع في التأليف.

وقد وَقَعَ في هذا الجزء أيضاً أشياء من الاضطراب أصْلَحْنَا أوجهاً منه ثم بقيَ أوجهٌ يسيرةٌ جدّاً لا تكادُ تعترض سبيلَ القارئ إلا قليلاً. وكان من أمنيّتي أن يتناول الإصلاح هذه أيضاً، ولكنَّ الكمالَ في الأعمال الإنسانية مستحيلٌ.

وقد بقيَ من هذه السلسلة جزءٌ واحدٌ يبدأ بقيام بني نصر أو بني الأحمر (في الأندلس) ثمَّ ينتهي بمجيء الأتراك العثمانيين إلى المغرب (نحو سنة

٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)، ورَبَّيَا أَمْتَدَّ ذَلِكَ الْجُزْءُ السَّادِسُ بِضْعَةَ عَشَرَ عَاماً بِحَسَبِ تَرَاجُمِ
نَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ تَرَجَّمْتُ لَهُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ جِيلٍ مِنَ الدَّهْرِ (نَحْوَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَاماً) مِنْ
سُقُوطِ دَوْلَةِ بَنِي نَصْرِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وَخُرُوجِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - فِي الْعَامِ
الَّذِي حَمَلَتْ الرِّيحُ فِيهِ كُولُومْبُوسَ إِلَى الْعَالَمِ الْجَدِيدِ (قَارَةَ أَمِيرِكََا) وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ
وَصَلَ إِلَى الْهِنْدِ.

هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ مَوْجُودٌ شَيْئاً تَامٌ. وَحِينَئِذَا يَصِلُ هَذَا الْجُزْءُ الْخَامِسُ إِلَى يَدِ
الْقَارِئِ أَكُونُ أَنَا قَدْ دَفَعْتُ ذَلِكَ الْجُزْءَ السَّادِسَ إِلَى الْمَطْبَعَةِ أَوْ عَلَى وَشْكَ أَنْ أَدْفَعَهُ
إِلَى الْمَطْبَعَةِ، مَرَّةً وَاحِدَةً أَوْ أَقْسَاماً مُتَلَاخِظَةً.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ عَلَى مَا أَقْدَرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ عَمَلٍ؛
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا السَّعْيُ. وَمَا الْوَصُولُ عَلَى الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَى تَحْقِيقِ أَشْيَاءٍ مِنْ
أَمَالِهِمْ - بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ - بِعَزِيزٍ.

ع. ف.

فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ ١٤٠١،

١٩٨١ / ٨ / ٢٣

تاريخ الأدب العربي الجزء الخامس

المرابطون في الأندلس: معركة الزلاقة - المغرب وصقلية
- الحياة السياسية في الأندلس - والحياة الاجتماعية -
الحياة الثقافية خاصة: في العلوم الرياضية والطبيعية - في
الطب خاصة: آل زهر - الفلسفة - الأدب - صورة الحياة
العامة: الحياة الثقافية - تاريخ الفكر - اللغة - النثر -
الشعر خاصة ٣٣ .

٧٠	ابن الملح	٥٠٠
٧٣	تيم بن المعز الصنهاجي	٥٠١
٧٧	عز الدولة الصمادحي	
٨٠.....	ابن اللبّانة	٥٠٧
٨٨	ابن طاهر القيسي	٥٠٧
٩١	ابو العرب مصعب بن محمد	٥٠٧
٩٣	ابن القصيرة الولي	٥٠٨
٩٥.....	سراج بن عبد الملك بن سراج	٥٠٨
٩٦	ابن قزمان الكبير	٥٠٨
١٠٠	أبو الحسن بن الحاج	٥١٠
١٠٢	الجزار السرقسطي	٥١٥
١٠٦.....	ابن النحوي التوزري	٥١٣
١٠٩	ابو القاسم بن الجد	٥١٥

١١٢	ابن القطاع	٥١٥
١١٥	ابن صارة الشنتريني	٥١٧
١٢١.....	أبو بكر بن عطية	٥١٨
	بنو القبطرونه:	
	- أبو محمد طلحة	
	- أبو الحسن محمد	
١٢٢.....	- أبو بكر عبد العزيز	
١٢٦	محمد بن بشير	٥٢٠
١٢٨	أبو بكر بن رحي	٥٢٠
١٣١	المتنبيّ الجزيري	٥٢٠
١٤٤.....	أبو بكر الطرطوشي	٥٢٠
١٥٢	ابن السيد البطلوسي	٥٢١
١٥٩	ابن أخت غانم	٥٢٥
١٦١	الأعمى التطيلي	٥٢٥
١٦٨.....	أبو عمرو الأندي	٥٢٥
١٧٠	أبو الحسن بن الباذش	٥٢٨
١٧٢	ابن الطراوة	٥٢٨
١٧٤	ابن الزقاق البلنسي	٥٢٩
١٨٠.....	أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي	٥٢٩
١٨٦	الفتح بن خاقان الإشبيلي	٥٢٩
١٩٢	ابن عبدون	٥٢٩
٢٠١	ابن حمديس الصقليّ	٥٢٩
٢١١.....	الرشيد العبادي	٥٣٠
٢١٣	أبو الحسن بن جودي	٥٣٠
٢١٥	ابن باجه	٥٣٣

٢٨	ابن خفاجة	٥٣٣
٢٢٥	أبو الفضل بن شرف	٥٣٤
٢٣٠	أبو العباس بن العريف	٥٣٦
٢٣٢	ابن برنجال	٥٣٦
٢٣٣	الإمام المازري	٥٣٦
٢٣٧	أبو الطاهر التميمي القرطبي	٥٣٨
٢٤٥	ابن الفخار المالقي	٥٣٩
٢٤٩	أبو العلاء عبد الحق بن الجنان	٥٣٩
٢٥١	أبو بكر بن الجنان	
٢٥٤	ابن مجبر الصقلي	٥٤٠
٢٥٦	ابن بقي الأندلسي	
٢٦١	ابن أبي الخصال الغافقي	٥٤٠
٢٦٤	رفيع الدولة الصمادحي	٥٤١
٢٦٨	أبو محمد بن عطية	٥٤١
٢٧١	المخزومي الأعمى الغرناطي	٥٤١
٢٧٣	ابن بسام الشنتريني	٥٤٤
٢٨٠	أبو القاسم الكلاعي	
٢٨٤	أبو بكر بن العربي	٥٤٣
٢٨٩	أبو بكر الحشني	٥٤٤
٢٨٩	ابن سلام المالقي	٥٤٤
٢٩٠	القاضي عياض	٥٤٤
٢٩٥	أبو بكر الأبيض	٥٤٤
٣٠٠	جعفر بن محمد الشنتمري	٥٤٧
٣٠٣	ابن ينق الشاطبي	٥٤٧
٣٠٥	ابن وكيل الاقليشي	

٣٠٧.....	ابن السراج الشتريني	٥٤٩
٣٠٩	يونس بن عيسى المرسي	
٣١٣	الحجاري صاحب المسهب	٥٥٠
٣٢٤	أبو جعفر بن عطية	٥٥٣
٣٢٧.....	أبو محمد بن الحاج	
٣٢٨	ابن قزمان الأصغر	٥٥٥
٣٣١	ابن الإمام الشلي	٥٥٥
٣٣٤	أبو بكر الصير في	
٣٣٨.....	أبو جعفر بن سعيد	٥٥٩
٣٥٠	نزهون بنت القلاعي الفرناطية	٥٦٠
٣٥٢	أبو العباس الجراوي المالقي	٥٦٠
٣٥٤	أخيل الرندي	
٣٥٧.....	أبو بكر اليكي	
	عصر الموحدين: الحياة الاجتماعية في أيام الموحدين -	
	... وفي أيام المرينيين - ... وفي أيام الحفصيين - الحديث	
	خاصة - الفقه - الفلسفة والتصوف - التاريخ -	
	الجغرافية - العلوم الرياضية والطبيعية - اللغة والنحو -	
٣٥٩	في الأدب وتاريخه - في النقد	
٣٨٦	ابن خيرة المواعيني	٥٦٤
٣٩٠	أبو حامد الفرناطي	٥٦٥
٣٩٨	ابن ظفر الصقلي	٥٦٥
٤٠٣.....	ابن المنخل الشلي	
٤٠٧	أبو غالب الفرناطي	
٤١١	ابن ميمون القرطبي	٥٦٧
٤١٣	أبو الحسن بن عياش	٥٦٨
٤١٦.....	أبو عامر بن الحمارة	٥٧٠

٤١٩	الأصم المرواني	
٤٢٢	ابن حبوس	٥٧٠
٤٢٥	أحمد بن مالك السرقسطي	٥٧١
٤٢٨	ابن سعد الخير البلنسي	٥٧١
٤٣٠	الرصاصي الرقاء البلنسي	٥٧٢
٤٣٦	ابن هردوس	
٤٣٧	أبو الحسن بن نزار	
٤٣٩	أبو جعفر الوقشي	٥٧٤
٤٤٢	أبو بكر بن خير الإشبيلي	٥٧٥
٤٤٣	اليسع بن عيسى بن حزم	٥٧٥
٤٤٥	الوهراني صاحب المناجات	٥٧٥
٤٥١	يونس بن محمد القسطلي	٥٧٦
٤٥٣	ابن سيد اللص الإشبيلي	٥٧٦
٤٥٥	أبو الطيب المسيلي	٥٧٨
٤٥٦	ابن بشكوال	٥٧٨
٤٥٨	الخزرجي الصقلي	
٤٦١	ابن الفراء الضريير	
٤٦٣	عبد الحق الإشبيلي	٥٨١
٤٦٥	أبو القاسم السهيلي	٥٨١
٤٧٠	ابن طفيل	٥٨١
٤٧٣	ابن غلنده	٥٨١
٤٧٥	أبو الحسن بن لبّال	٥٨٣
٤٧٧	ابن غالب الغرناطي	
٤٨٠	الكتندي	
٤٨٢	ابن زرقون	٥٨٦

٤٨٤	أبو بكر بن مغاور	٥٨٧
٤٨٦	ابن مجبر	٥٨٨
٤٩٠	حفصة بنت الحاج الركونية	٥٨٩
٤٩٣.....	الإمام الشاطبي	٥٩٠
٥١٢	ابن مضاء	٥٩٢
٥١٥	أبو الحسن الجياني	٥٩٣
٥١٨	أبو مدين	٥٩٤
٥٢١.....	ابن صاحب الصلاة	
٥٢٤	ابن رشد	٥٩٥
٥٣٠	أبو القاسم بن البراق	٥٩٦
٥٣٩	أبو بكر بن زهر	٥٩٥
٥٤٤.....	عبد المنعم بن الفرس	٥٩٨
٥٤٦	ابن محشرة	٥٩٨
٥٦٧	عبد الوهاب القيسي المنشي	٥٩٨
٥٥٠	صفوان بن ادريس	٥٩٨
٥٥٣.....	ابن عميرة الضبي	٥٩٩
٥٥٥	حمدة بنت زياد	٦٠٠
٥٥٧	ابن الفرس (أو المهر) الفرناطي	٦٠١
٥٦٠	أبو جعفر الذهبي	٦٠١
٥٦٢	أبو العباس السبي	٦٠١
٥٦٤	الحكم الجلياني	٦٠٣
٥٦٨	أبو ذر الحثني	٦٠٤
٥٧٠	أبو عمران المارتلي	٦٠٤
٥٧١.....	السيد أبو الربيع الموحدي	٦٠٤
٥٧٤	أبو الحجاج البلوي	٦٠٤
٥٧٩	ابن شكيل الصدي	٦٠٥

٥٨١	أبو عبد الله بن يربوع	٦٠٦
٥٨٢	ابن بدرون	٦٠٨
٥٨٥	الكاغني الأسود	
٥٨٧	ابن سيدراي	٦٠٩
٥٨٩	أبو العباس الجراوي	٦٠٩
٥٩٣	الجزولي النحوي	
٥٩٤	أبو جعفر المؤدّب الحميري	٦١٠
٥٩٥	أبو البقاء البلسني	٦١٠
٥٩٧	ابن خروف	٦١٠
٦٠٢	أبو محمد بن الحسن القرطبي	٦١١
٦٠٣	عبد البر بن فرسان	٦١١
٦٠٦	ابن حوط الله الحارثي	٦١٢
٦٠٨	ابن جبير	٦١٤
٦١٣	ابن حزمون المرسّي	
٦١٧	ابن المرخي المغربي	٦١٦
٦١٨	أبو القاسم بن سعيد	٦١٧
٦٢٢	أبو طلحة الإشبيلي	٦١٨
٦٢٤	الشريشي	٦١٩
٦٣٠	ابن عبد ربّه المالقي	٦٢٠
٦٣٢	أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المناصف)	٦٢٠
٦٣٤	ابن سالم المالقي	٦٢٠
٦٣٥	أبو الحسن بن حريق	٦٢٢
٦٣٧	ابن الفكّون	
٦٤٠	أبو القاسم بن هشام القرطبي	٦٢٣
٦٤٥	عبد السلام بن مشيش	٦٢٥

٦٤٧	أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي	٦٢٧
٦٤٨	أبو الحسن بن الفضل المعافري	٦٢٧
٦٥٥	أبو زيد الفازازي	٦٢٧
٦٥٧	أبو الحجاج التادلي بن الزيات	
٦٥٩	أبو عبد الله محمد بن حاد الصنهاجي	٦٢٨
٦٦٣	ابن معط الزواوي	٦٢٨
٦٦٧	أبو الوليد الشقندي	٦٢٩
٦٧٤	أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي	٦٢٩
٦٧٦	المأمون الموحدي	٦٢٩
٦٧٨	ابن إدريس التجيبي	٦٣٠
٦٧٩	أبو القاسم البلوي الإشبيلي	٦٣٢
٦٨٨	ابن طلحة الأنصاري	٦٣٢
٦٩٠	ابن دحية الكلبي	٦٣٣
٦٩٧	مرج الكحل	٦٣٤
٦٩٩	أبو الربيع بن سالم الكلاعي	٦٣٤
٧٠٥	أبو يحيى بن هشام القرطبي	٦٣٥
٧٠٧	أبو بكر الصابوني الإشبيلي	٦٣٦
٧١٥	ابن نعيم الحضرمي	٦٣٦
٧١٧	أبو الحجاج الإشبيلي	٦٣٦
٧٣٠	ابن خبارة الخطّائي	٦٣٧
٧٢٢	عبي الدين بن عربي	٦٣٨
٧٣٤	سهل بن محمد الأزدي الفرناطي	٦٣٩
٧٣٩	أبو بكر بن قسّوم	٦٣٩

مقدمة

يَحْرُسُ الْمُؤَلِّفُ عَادَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ كِتَابٍ لَهُ تَامًّا فِي مَوْضُوعِهِ. إِنَّ هَذَا السَّغْيَ إِلَى الْكَمَالِ مَمْدُوحٌ، وَلَكِنْ الْوَصُولَ إِلَى الْكَمَالِ مُسْتَحِيلٌ.

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَصْطَلِمُ بِهِ مُؤَرِّخُ الْأَدَبِ كَثْرَةُ الْأَدْبَاءِ وَالشُعْرَاءِ. وَسَأَكْتَفِي هُنَا بِالْقَوْلِ الْمَشْهُورِ لِأَبْنِ قُتَيْبَةَ: لَوْ عَدَدْتُ كُلَّ مَنْ قَالَ شِعْرًا شَاعِرًا لَعَدَدْتُ جَمِيعَ الْعَرَبِ. فَلَا بُدَّ، إِذَنْ، مِنَ التَّخْيِيرِ وَمِنَ الْجَهْدِ فِي ذَلِكَ التَّخْيِيرِ عِنْدَ انْتِقَالِ الْأَدْبَاءِ وَالشُعْرَاءِ وَالْمُؤَرِّخِينَ لِلأَدَبِ وَالنُّحَاةِ وَالنُّقَادِ مِمَّنْ يَجِبُ ضَمُّهُمْ - أَوْ يَحْسُنُ ضَمُّهُمْ - إِلَى كِتَابٍ عَامٍّ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

ثُمَّ تَبْدُو مَصَاعِبُ أُخْرَى. هُنَاكَ أَشْخَاصٌ مُكْثَرُونَ مِنَ النَّثْرِ وَالشُّعْرِ، وَلَكِنْ تِتَاجَهُمْ نَازِلٌ عَنْ مَرْتَبَةِ الْجُودَةِ. إِنَّ هَؤُلَاءِ، بِلَا رَيْبٍ، مِنْ صُورَةِ الْجَانِبِ الْأَدْبِيِّ فِي حَيَاةِ الْأُمَمِ. وَلَكِنْ بَمَا أَنَّ الْمُؤَلِّفَ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّخْيِيرِ مِنْ أَصْحَابِ النِّتَاجِ الْجَيِّدِ، فَمِنَ الْأَوَّلَى أَنْ يُهْمِلَ هَؤُلَاءِ الْأَدْبَاءِ الْعَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا نَجْدُ فِي تِتَاجِهِمْ جَانِبًا جَدِيدًا أَوْ جَانِبًا مُفِيدًا وَأَنْ يُتْرَكَ مَكَانُهُمْ لِأَوَّلِكَ الْمُقْلِينَ مِنْ ذَوِي الْإِنْتِاجِ الْجَيِّدِ، مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ.

وهناك أدباء وشعراء لهم نتاج جيد، ولكننا نجهل تواريخ وفياتهم، وربما جهلنا عصرهم أيضاً، فلا حيلة لمؤلف كتاب في تاريخ الأدب قائم على الحواريات (توالي السنين) في هؤلاء. أمّا إذا كان مؤلف يضع قاموساً في الأدب (على أحرف الهجاء)، فإنّ بإمكانه أن يضمّ إلى قاموسه هذا أشخاصاً نجهل أعمارهم أو أعصارهم.

ونجد أيضاً جماعة مشهورين نعرف تواريخ وفياتهم، ولكن ليس لدينا نصوص من نتاجهم. إنّنا لا نستطيع أن نسلّك هؤلاء في سلسلة بحوثنا إذا لم يكن لدينا نص من نتاجهم يقوم دليلاً أو شبه دليل على مكانتهم.

ثمّ يأتي هؤلاء الذين هم شعراء (أو أدباء) بالعرض كالنحاة والفلاسفة والعلماء

والفُقهاء ، فما نفعل بهم؟ لقد ضَمَمْتُ أنا نفرأ من هؤلاء إلى هذه السلسلةِ كآبِنِ باجّه وأبِنِ طُفيلِ (مخترع القِصّةِ العِلْمِيّةِ) وآبِنِ رُشدِ (الحفيد: الفيلسوف) ثمّ الشاطِبيّ صاحبِ « حِرْزِ الأمانِ » (وهي أرجوزةٌ في القِراءاتِ: قِراءاتِ القرآنِ الكريمِ) وآبِنِ مالِكِ النّحويّ.

من مشاكل التحقيق:

يقول أبِنُ خَلْدُون^(١): إنَّ من « مغالطِ »^(٢) المؤرّخين « الثّقّةُ بالناقلين ». ولقد قَصَدَ أبِنُ خَلْدُونِ، بلا ريبٍ، أولئك المؤرّخين الذين لا ينظرون في مصادر أخبارهم أو يتشيعون لأراء ومذاهب فيُجانبون الحقَّ ويجيدون عَنِ الصوابِ فيما رَوَوْا.

ونحن اليومَ حينما نأتي إلى تاريخ الأدب نَقِفُ من المعاصرينَ لنا ومن الذين سبقونا كثيراً أو قليلاً كما وَقَفَ أبِنُ خَلْدُونِ من المؤرّخين الذين سبقوه. ومع أن عدداً كبيراً من المصادر والمراجع التي نعتمدُها اليومَ قد ظهرتْ وعلى صَفحاتِها الأولى « أنها مُحَقَّقَةٌ » أو مُحرّرة^(٣) أو أنها بأعتناك فلانٍ وفلانٍ، فإننا نجدُ فيها مغامزاً^(٤) مختلفةً. ففي كتابِ « زادِ المُسافر » (بيروت ١٩٧٠ م) لا تجدُ في « فهرستِ الأعلام » رقماً منطبِقاً على صفحاتِ ذلك الكتاب. إنَّ « الخزوميّ الأعمى الشريف » مذكورٌ في الفهرستِ على أن أَسْمَهُ يَرِدُ على الصّفحتين ٧٥ و ٨٣، بينما هذا الاسمُ يَرِدُ على الصّفحتين ١١٧ و ١٢٥. وكذلك شأنُ جميعِ الأسماءِ في ذلك الفهرس.

ويبدو أنَّ الناشرَ الجديدَ (للطبعة الثانية) قد أرادَ أن يُحْدِثَ تبديلاً في شكلِ طبعتهِ الثانيةِ فضمَّ أرقامَ صَفحاتِ المُقدِّمةِ التي كان « مُخرِجُ الكتاب » قد أعدّها للطبعةِ الأولى إلى صَفحاتِ مَتْنِ الكتابِ في نَسَقٍ واحدٍ، وغابَ عنه أن فهارسَ

(١) المُقدِّمة (المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٩ (دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦١ م)، ص ١٢.

(٢) المغلطة (بالفتح): الكلام يُغلط (سهواً) أو يُغالط به (قصداً).

(٣) التحقيق هنا: ضبط النصِّ في المخطوط الذي طبع منه الكتابُ المحقَّق. والتحرير ضبط الألفاظ من حيث الصّحّة.

(٤) المغمز: العيب (الطعن: أمر خطاه ظاهر).

الكتاب (للأعلام الأشخاص - للمدن والأماكن - للقوافي) قد وُضِعَتْ للدلالة على صَفَحَات الطبعة الأولى.

- وفي كتاب « النبوغ المغربي » للأستاذ عبد الله كَنُون ثروة من التراجم المَغْرِبِيَّة والأخبار والمُخْتَارَات نظماً ونثراً في مُعْظَم فنونِ الأدب. ولكن تَرْقِيم الصَّفَحَاتِ مضطربٌ: يبدأ الجزء الأول بالصفحة « واحدة » وينتهي بالصفحة ٣٣٨. ثم يبدأ الجزء الثاني بالرقم « واحد » إلى « تسعة » ثم من ٣٤١ إلى ٩٩٣ (فيكون هنالك أرقامٌ يَدُلُّ كُلُّ رَقْمٍ منها على صَفْحَتَيْن). هذا خطأ الناشر والطابع، وليس خطأ من المؤلف. ومع أن عددَ الصَّفَحَاتِ المكرورة كان قليلاً (نحو مائة صفحة) فإنه لا يساعد على الوضوح عند إحالة القارئ إلى صفحةٍ من تلك الصفحات المكرورة.

وهنالك مشاكلٌ سَامِرٌ بها سريعاً: سَنَوَاتٌ وَفَيَاتٌ مُتَبَاعِدَةٌ (وهو كثير) - مصادرٌ تَخْلُطُ بين ترجمتي شخصين أو أكثر - إحالة القارئ على مصدرٍ ثم تَجِدُ الصفحةَ المُحَالِ عليها تسردُ ترجمةَ شخصٍ غير المقصود - اضطرابٌ في الفهارس الهجائية: أسماءٌ في متن الكتاب لا تظهرُ في الفهرس وأسماءٌ في الفهرس لا تَجِدُها في الصَّفَحَاتِ المذكورة - أسماءٌ يَرِدُ كُلُّ اسمٍ منها (في الفهرس) في مكانين مُخْتَلِفَيْن بصيغتين مختلفتين - أسماءٌ جُمِعَ اثْنانِ منها أو أكثر في واحدة - ترتيبٌ مُخَالَفٌ لِلْمُلُوفِ: الأصمعي، الأفلاطونية، آكل المزار (حق الألف المدودة، وهي في الحقيقة أَلْفَانِ، أن تأتي قبلَ ذلك: قبل تسعِ صَفَحَاتٍ في الفهرس الذي أعنيه)، الأغاني (فقد جعل مرتَّبَ الفهرس الغين بعد الفاء)، آل البيت (الألف المدودة أيضاً جاءت متأخرة تسع صفحات وفُصِّلَ بينها وبين أختها باسم آخر هو « الأغاني »)... العزيز بالله، الأيوبي، الهلاليون، ألوف، اليوسفي، اليونان، أمروء القيس، أمغار، أنخل، مُحسن الأمين، مُحَمَّد (ص)، مُحَمَّد الفضل، مُحَمَّد البرنسي (تأخَّرت الباء عن الفاء)، محمد الفاسي، مُحَمَّد بن ابراهيم (تأخَّرت الألف عن الفاء)،..... محمد بن المنصور، مُحَمَّد بن تاويت (تأخَّرت التاء عن الميم).

وفي كتاب آخر (في حرف الميم من الفهرس): أبو مدين، المسيلي، المحاسبي، الموارقة، معروف، مالك، المتنبي، ابن مقدم، مضر، المؤمناني، المالقي، الخ.

إِنَّ مِثْلَ هَذَا يَجْدُثُ فِي الْكُتُبِ الضَّخْمَةِ.

ولكن هنالك فارقاً بين أمرين: بين أمرٍ يَغيبُ أحياناً عن المؤلف (أو المحقق) أو لا يَسْتَرعي انتباهه عند التصحيح (مع أن التصحيح أحياناً يقوم به أكثر من واحد أكثر من مرة) وأمرٍ يُهمِّله المؤلف أو المحقق حينما يعهد به إلى نفرٍ أقل منه درايةً.

أمّا أخطاء الأمر الأول (الأخطاء العارضة) فيمكنُ استدراكها حينما يُعيد المؤلف الطبع. لما صدرَ الجزء الثالث من هذه السلسلة (تسعمائة صفحة من المتن ثم من الحواشي بالحرف الدقيق - ما عدا المُقدِّمات والفهارس - والمتن مشكولٌ شكلاً كاملاً في الأكثر) كان فيه مائة غلطةٍ أو أكثر. وقد صُحِّحت هذه في الطبعة التالية (ولعله لا يزال في ذلك الجزء شيء من الأخطاء). وفي كل طبعة يُحاول المؤلفُ تصحيح غلطةٍ هنا وغلطةٍ هناك.

ولكن هنالك أمراً آخر: هنالك نفرٌ من المؤلفين أو المحققين للمصادر يعتمدون مُساعدين من طلابهم أو أصدقائهم أو زملائهم أو يتخذون مُستأجرين لذلك يقومون بعددٍ من الأعمال في الكتاب المحقق (صنع الفهارس مثلاً). وهذا الاعتماد ظاهرٌ جداً. لا يُمكنُ لمُحقِّق كتابٍ (على هذا المستوى) أن يَشْكَلَ بيتاً من الشعر مثل هذا الشكل: فهل لهم سائل عنهم فيخبرهم (ويضع ضمة على الراء مكان الفتحة). وكذلك لا يمكن أن يغفلَ مُحققٌ عن أن بيت الشعر:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدرِّ وأحذره إذا كان مزبداً

للمتنبيّ وليس لأبي الصلت أُميّة بن عبد العزيز.

ويَرِدُ بيتان من الشعر مَوْتَيْنِ في كتابين لِمُحَقِّقٍ واحدٍ. يَرِدَانِ مرّةً على الصورة التالية (٢: ٥٩٣):

- قل لابن شلبون مقال تنزّه غيري مجاريك الهجاء فجارٍ

(إنّا اقتسمنا خطّينا بيننا فحملت برّةً واحتملت فجارٍ)

ويُلي البيتان (هنا) هذه الجملة (في النصِّ نفسه):

- وهذا (البيتُ الثاني) مُضمَّن من شعر النابغة الذبياني.
وكذلك يَرِدُ هذانِ البيتانِ مرَّةً ثانية (٥ : ٢٧٤) على هذه الصورة الأخرى:

- قل لابن شلبون مقال تنزّه غيري يجاريك الهجاء فجار
أنا اقتسمنا خطّتنا بيننا فحملت برّة واحتملت فجاري

الملاحظة على الرواية الثانية:

- انّ المحقّق لم يُشرْ هنا إلى أنّ البيت «إنّا اقتسمنا...» مأخوذٌ من النابغة.
وهو يعرف ذلك بلا شكّ. ثمّ إنّ الرواية الثانية قد أفسدتِ الجِناسَ التامّ في «فجارٍ
(في البيت الأوّل: الفاء للعطف؛ جار: فعل أمر من جارى)، ثمّ في فجارٍ (اسم
للفجور: الانغماس في المعاصي، معدول عن الفاجرة ومبني على الكسر بلا تنوين).
وليس من المعقول أن تكونَ الروايتانِ مَضبوطَتينِ ومُحرّرتينِ بقلمِ مُحقّقٍ واحدٍ.
ولا ريبَ في أنّ الذي ضَبَطَ الروايةَ الثانيةَ أقلُّ معرفةً بالنحو وبتاريخ الأدب من
الذي ضَبَطَ الروايةَ الأولى.

وكذلك ليس من الممكن أن يكونَ محقّقُ الكتابِ قد ضَبَطَ الظاءَ بالكسر في
البيت التالي: عاثت بساحتك الطُّبا... (يقصد الأطباء جمع طبي: الغزال)، بينما
المقصود الطُّبا (بضمّ الظاء جمع طُبة - بضمّ ففتح بلا تشديد - : حدّ السيف).
لعلّ نفرّاً من هؤلاء الذين يساعدون المحقّق ليسوا جهلاً ولكنّهم يَقْصِدُونَ أن
يوقعوا المحقّق في مثل هذه المأخذ. هنالك كتابٌ كبيرٌ قيمٌ فيه كثيرٌ من هذه الأمور،
فرجائي إلى مُحقِّقه - وهو زميلٌ وصديقٌ أَجَلُهُ وأَعْرِفُ مقدارَ علمه. ولقد اعتمدتُ
كتابَه اعتماداً كثيراً ونوّهتُ بعمله في مواضعٍ من الأجزاء الأندلسية في هذه
السلسلة - رجائي أن يُرَى هو بقلمه على أجزاء ذلك الكتابِ وأن يُعيد هو بنفسه وَضَعَ
« فهرسِ الأعلام » من جديدٍ.

ويلحقُ بهذه المشاكلِ شيءٌ أسمه « التحقيق »:

تناولتُ كتاباً على صفحته الأولى «نشرٌ وتحقيقٌ: تاج المفرق في تحلية علماء
المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلوي الأندلسي، ثمّ (بجرف أصغر): مقدّمة للكتاب
« بقلم الحسن السائح ».

إنَّ الحَسَنَ السَّائِحَ قد حَقَّقَ «رِحْلَةَ البَلَوِيِّ» (ص: هـ)، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَنْشُرَ
المَقْدَمَةَ الَّتِي صَنَعَهَا لِلرَّحْلَةِ الْمُحَقَّقَةِ نَشْرًا مُسْتَقْلًا (وَلَا أَعْلَمُ فَائِدَةَ ذَلِكَ)، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ
المَقْدَمَةَ (المَطْبُوعَةُ وَحْدَهَا مُسْتَقَلَّةٌ فِي الْكِتَابِ الَّذِي تَنَاوَلْتَهُ) - فِي الْحَقِيقَةِ - مُحَاوَلَةٌ
لِجَمْعِ مَا تَفَرَّقَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ. وَبَعْضُ مَا جَمَعَهُ الْحَسَنُ السَّائِحُ
مِنَ الْكُتُبِ قَلِيلٌ الصِّلَةُ بِتَحْقِيقِ «رِحْلَةِ البَلَوِيِّ».

وَمِنْذَ مَطْلَعِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ يَبْدَأُ صَاحِبُهَا بِاسْتِطْرَادٍ، هُوَ: «أَشْتَهَرَ الْمَغَارِبَةُ
وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ بِتَأْلِيفِ الرِّحَلَاتِ.....» (ص ١). ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَهَاجِ الَّذِي أَتْبَعَهُ فِي
التَّحْقِيقِ وَعَلَى أَصُولِ (يَقْصِدُ: مَخْطُوطَاتِ) الرِّحْلَةِ كَلَامًا فِي صُلْبِ الْمَوْضُوعِ. فَإِذَا جَاءَ
إِلَى حَيَاةِ الْبَلَوِيِّ بِدَأْ بِعَنْوَانِ هُوَ «قَبِيلَةُ الْبَلَوِيِّينَ» فَيَتَكَلَّمُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ
بِالْإِتْسَابِ إِلَى هَذِهِ الْقَبِيلَةِ (ص ٣ - ٤). غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ اسْمَ الْقَبِيلَةِ (وَأَسْمَاهَا: بَلِيٌّ
مِثْلَ عَلِيٍّ، رَاجِعِ الْقَامُوسَ ٤ : ٣٠٥). وَلَكِنَّهُ يُلْحِقُ بِكَلِمَةِ «بَلَوِي» حَاشِيَةً يَقُولُ
فِيهَا: «الْبَلَوِيُّ مُفْرَدٌ بَلِيٌّ (كَذَا) كَعَلِيٍّ. وَالْبَلِيَّةُ النَّاقَةُ يَمُوتُ صَاحِبُهَا فَتُسَدُّ إِلَى قَبْرِهِ
حَتَّى تَمُوتَ» (ص ٣).

وَبَعْدَ كَلَامٍ عَلَى حَيَاةِ الْبَلَوِيِّ يَنْتَقِلُ الْحَسَنُ السَّائِحُ إِلَى «فَنِّ الرِّحَلَاتِ وَدَوَاعِيهِ:
الرِّحَلَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (ص ٦١ - ٧١). ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى
الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَافِيَّةِ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ، فَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْجُغْرَافِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ (ص
٧٣ - ٨٦) وَعَلَى أَدَبِ الرِّحَلَاتِ وَالْأُسْلُوبِ الْأَدْبِيِّ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ (ص
٨٨ - ٩١)؛ وَلَكِنْ لَا نَرَى فِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ «الْأُسْلُوبَ الْأَدْبِيَّ فِي رِحْلَةِ
الْبَلَوِيِّ» (ثَلَاثَ صَفَحَاتٍ كَامِلَةً) شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ مِنْ قُرْبٍ أَوْ مِنْ بُعْدٍ.
- إِنَّ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ، فِي الْحَقِيقَةِ، مُتَكَأٌ لِتَعْلِيقِ حُرٍّ يَدُورُ حَوْلَ الْبَلَوِيِّ.

- لَا اعْتَزِاضَ لِي الْآنَ عَلَى الْحَسَنِ السَّائِحِ: إِنَّ مَا فَعَلَهُ فِي رِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ يَفْعَلُهُ
كَثِيرُونَ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَنَاوَلَ كِتَابًا لَهُمْ يَجْهَلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ
التَّارِيخِ وَمِنَ الْأَدَبِ وَمِنَ الْعِلْمِ فَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَخْشُرُوا كُلَّ مَا يَعْرِفُونَهُ فِي كُلِّ مُنَاسِبَةٍ.
- لَيْسَ مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ «الْمَقْدَمَةُ» الَّتِي صَنَعَهَا الْحَسَنُ السَّائِحُ لِلتَّحْقِيقِ
الَّذِي قَامَ بِهِ لِرِحْلَةِ الْبَلَوِيِّ لَا جُهْدَ فِيهَا أَوْ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا. إِنِّي أَحْبَبْتُ بِهَذَا الْعَرَضِ

الذي طال فوق ما يَجِبُ أَنْ أُكْشِفَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْمَصَاعِبِ الَّتِي يَلَاقِيهَا مُؤَلِّفُو الْكُتُبِ الْوَاسِعَةِ حِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُقَدِّمُوا لِلْقَارِئِ أَكْثَرَ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْمَعَارِفِ فِي أَقَلِّ مَا يُمْكِنُ مِنَ اللَّفْظِ وَعَلَى أَوْضَحِ مَا يَكُونُ مِنَ الْغُرُضِ.

- ولقد أَحَسَّنَ الْعَلَّامَةُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّائِحُ صُنْعاً فَنَشَرَ «تَاجَ الْمَفْرُقِ» لِلْخَالِدِ بْنِ عَيْسَى الْبَلَوِيِّ (بِإِشْرَافِ اللَّجْنَةِ الْمُشْتَرِكَةِ لِنَشْرِ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ بَيْنَ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَدَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ). - مَطْبَعَةُ فَضَالَةَ فِي الْحَمْدِيَّةِ، بِالْمَغْرِبِ - بِلَا تَارِيخٍ لِلطَّبْعِ).

ومن مشاكل الفهارس ما يلي:

أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ وَمِنَ الْمُحَقِّقِينَ لِلْكُتُبِ لَا يَضَعُونَ الْفَهَارِسَ بِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ يَعْهَدُونَ بِوَضْعِهَا إِلَى آخَرِينَ. وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ (وْخُصُوصًا إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ) يَتَّبِعُونَ مَنَهْجًا شَكْلِيًّا فِي وَضْعِ الْفَهَارِسِ الْهَجَائِيَّةِ لِأَعْلَامِ الْأَشْخَاصِ: يُشَبِّتُونَ رَقْمَ كُلِّ صَفْحَةٍ يَرِدُ فِيهَا الْأَسْمُ الْمَقْصُودُ وَرُودًا ظَاهِرًا، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي قِيَمَةِ وَرُودِهِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ. فَلَاخُذَ مَثَلًا وَاحِدًا لَمْ أَتَخَيَّرُهُ، بَلْ وَقَعَ نَظَرِي عَلَيْهِ اتَّفَاقًا:

في «فهرست الأعلام» (ص ٨): أثير الدين أبو حيان النحويُّ الْفَرْنَاطِيُّ (٢)

٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٤٢. الخ.

وبالرجوع إلى الصَّفَحَاتِ الْمَذْكُورَةِ نَجِدُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى أَثِيرِ الدِّينِ قَدْ وَرَدَ عَرَضًا فِي الصَّفَحَاتِ ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ثُمَّ وَرَدَ مُتَّصِلًا عَلَى الصَّفَحَتَيْنِ ٢٣٠ و ٢٣١. فَالترقيم، إِذَنْ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠ - ٢٣١، الخ. إِنْ الَّذِي صَنَعَ هَذَا الْفَهْرَسَ جَعَلَ الْاسْتِمْرَارَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَثِيرِ الدِّينِ فِي الصَّفَحَاتِ ٢٢٨ إِلَى ٢٣٠، مَعَ أَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَّصِلَ عَلَى أَثِيرِ الدِّينِ جَاءَ عَلَى الصَّفَحَتَيْنِ ٢٣٠ و ٢٣١ (وَقَدْ أَهْمَلَ صَانِعُ الْفَهْرَسِ الصَّفْحَةَ ٢٣١، لِأَنَّ أَسْمَ أَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ لَمْ يَرِدْ فِيهَا صَرَاحًا، مَعَ أَنَّ النَّصَّ فِي تِلْكَ الصَّفْحَةِ مُتَعَلِّقٌ بِأَبِي حَيَّانَ).

ومن المشاكل أيضاً الوصولُ إلى بحوثٍ وتراجُمٍ مفصَّلةٍ ودقيقةٍ في المجلَّاتِ :
لَا شَكَّ فِي أَنَّ قَارِئَ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ قَدْ رَأَى مِنْذُ مَطْلَعِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ أَنَّ كُلَّ تَرْجُمَةٍ

مقسومة أربعة أقسام : ١ - الترجمة الشخصية، ٢ - خصائص صاحب الترجمة، ٣ - مختارات من آثار (صاحب الترجمة) ٤ - ** المصادر والمراجع.

ويرى القارئ أيضاً أنني أوردُ في هذا القسم الرابع تلك الكتب التي ألفت في صاحب الترجمة المقصود ثم ما وردَ عنه في عددٍ من المصادر العامة. وأنا لا أستطيع، مع الأسف، أن أستنفدَ كلَّ ما قيل عنه في كلِّ مصدرٍ عامٍّ أو مرجعٍ عامٍّ. ومما يزيدُ في أسفي أنني لا أستطيع أن أستشهدَ بمقالاتٍ واسعةٍ دقيقةٍ جليّةٍ تصدرُ في المجلّات (ابتداءً بمجلّة الجمع العلمي العربي يدمشق مثلاً، مروراً بمجلّة «العربي» في الكويت وانتهاءً بعددٍ من المجلّات المتخصّصة التي تكثرُ اليوم، كمجلّة معهد الخطوط العربية التي تُصدرُها جامعة الدول العربية والتي تتضمّن أعدادها أحياناً كتباً برُميتها حتّى ليتألّف من كلِّ عددٍ من أعدادِ هذه المجلّة كتابٌ كامل).

غير أن وصول المؤلف إلى بُحوثِ هذه المجلّاتِ طويلُ الطريقِ وشاقٌّ أيضاً. أمّا وصولُ القارئ إليها فيمكنُ أن يكونَ من باب المستحيل.

وهذا الذي ينطبقُ على المجلّاتِ العربية ينطبقُ أيضاً على المجلّاتِ في اللغاتِ الأخرى، وخصوصاً تلك المجلّاتِ التي تنشرُ مقالاتها وبحوثها بلغاتٍ مختلفة.

ولكن ما الطريقُ إلى استخدامِ هذه المجلّاتِ (بعد أن يكونَ القارئُ العالمُ أو القارئُ المؤلفُ قد أطلعَ على ما نُشرَ فيها)؟

لقد حاولَ نفرٌ من القائمين على عددٍ من هذه المجلّاتِ أن يُوجدوا حلاً لهذه المشكلة فحرّصوا - في أحيانٍ مُعيّنة - على أن يجعلوا بُحوثَ جزءٍ من أجزاءِ مجلّتهم في شهرٍ ما (أو فصلٍ ما) تُعالجُ موضوعاً واحداً (فيكاد ذلك الجزء يكونُ كتاباً مُستقلاً). غير أن هذا الحُلَّ ظلَّ حلاً جزئياً قاصراً. وكذلك حرّصت مجلّاتٌ عدّةٌ على إصدارِ فهرسٍ عامة (مرةً في كلّ عشرِ سنواتٍ مثلاً). ولكن هذه الفهارسُ أيضاً حلٌّ جزئي.

هنالك، إذن، ثرواتٌ أدبيّةٌ وعلميّةٌ وتاريخيّةٌ مُفرّقةٌ في أعدادِ المجلّاتِ الخاصّةِ والعامةِ لا سبيلَ سهلاً إلى الوصولِ إليها. ولكن لا أريدُ من قارئِ هذه الكلمة أن يذهبَ به الظنُّ إلى أنني أقصِدُ أن تقيفَ هذه المجلّاتُ عن الصدور، ولكنني أقصِدُ أن

الفائدة العملية من أجزاء هذه المجلدات - بعد زَمَنٍ طويلٍ أو قصيرٍ من صدورها - تُصبحُ فائدةً ضئيلةً في أكثر الأحيان.

ومُنظَّمُ المصادر والمراجع بما رَجَعَتْ إليه في هذا الجزء الخامس كُنْتُ قد رَجَعْتُ إليه في الجزء الرابع. وفي الجزء الرابع كُتِبَ به. أما ما رَجَعْتُ إليه في هذا الجزء بما لم أَكُنْ قد رَجَعْتُ إليه من قبلُ فَيَرِدُ فيما يلي:

- اختصار القدح المثلّ في التاريخ المثلّ لأبن سعيد أبي الحسن عليّ بن موسى: اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (تحقيق إبراهيم الإياري)، القاهرة (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٢ هـ.
- الأصول (مجلة تصدرها إدارة الشؤون الدينية في الجزائر).
- أعلام الجزائر.
- البحث العلمي (مجلة يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي: جامعة محمد الخامس - الرباط).
- البلغة في أئمة اللغة
- تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
- تحفة القادم = المقتضب من تحفة القادم.
- الشوّف إلى رجال التصوّف، تأليف يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات) - (اعتنى بتصحيحه أدولف فور)، الرباط (معهد الأبحاث العليا المغربية) ١٩٥٨ م.
- جذوة الاقتباس.
- الخريدة: خريدة القصر وجريدة العصر للمعاد الكاتب الأصفهاني:
- قسم شعراء الشام (عني بتحقيقه شكري فيصل): مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.
- قسم شعراء مصر (نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، احسان عباس)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٢ م.
- قسم شعراء المغرب (تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي الطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م وما بعد (ثلاثة أجزاء).

- الداية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
- رحلة التجاني لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
- زاد المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسى، بيروت (دار الرائد العربي) ١٩٧٠ م.
- طبقات السبكي: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٤ هـ.
- الفصون الياينة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، (بتحقيق ابراهيم الايباري)، الطبعة الثانية، القاهرة (دار المعارف بمصر)، مصر (مطابع دار المعارف) ١٩٦٧ م (تاريخ تقديم الطبعة الثانية).
- مجلّة البحث العلمي = البحث العلمي.
- القدح المعلّى = اختصار القدح المعلّى.
- مجلّة المقتبس لصاحبها محمد كرد علي، القاهرة ثم دمشق.
- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (بتحقيق ابراهيم الايباري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م.
- المطرب (الخرطوم): المطرب من أشعار هلال المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن.
- المعجم لابن الابار: المعجم في أصحاب أبي عليّ الصديقي، تأليف محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (بتحرير فرنسيسكو كوديرا أي زايدين)، مجريط (مطبع روخس) ١٨٨٥ م.
- معجم أعلام الجزائر.
- معجم الصديقي = المعجم لابن الأبار.
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس (منشورات مكتبة يوسف اليان سركيس)، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٨ م.
- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، دمشق (مطبعة الترقّي) ١٩٥٧ - ١٩٦١ م.
- المقتضب من تحفة القادم لابن الابار أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البليقي) - (بتحقيق ابراهيم الايباري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م.
- المكتبة العربية الصقليّة: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم جمعها ميخائيل أماري)، ليبسك (مطبعة بروكهاوس) ١٨٥٧ م؛ نشرت بالتصوير، بغداد (مكتبة المثنى بلا تاريخ).

- منهاج الرعيني = برنامج الرعيني .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن تعري بردي (تحرير أحمد يوسف نجاتي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٦ م .
- النباهي = قضاة الأندلس (راجع الجزء الرابع).
- فويهض .

إنَّ تحريرَ المخطوطات (نشرَ نصوصها مضبوطةً بحسبِ الأصلِ المأخوذةِ عنه) وتحقيقها (تحرِّي صحَّةِ كَلِمَاتِها وَجُمْلِها وأختِلَافِ ألفاظها) منهجٌ قام به المستشرقون لَمَّا بدأوا طبعَ كتبِ التُّراثِ العَرَبِيِّ (دواوينِ الشعرِ القديمِ وكتبِ التاريخِ ومجاميعِ الأدبِ وكتبِ الفِقهِ وغير ذلك. ذلك هو التاريخ، لأنَّ المطبعةَ ظهرتْ في أورُوبَة قبلَ أنْ تنتقلَ إلى بلادِ العربِ والاسلامِ .

ولكنَّ لا بُدَّ من كَلِمَةٍ في «تَصحيحِ الكتبِ» العربية التي صَدَرَتْ في أوَّلِ عهدِ البلادِ العربيةِ بالمِطْبَعَةِ، مِطْبَعَةُ بولاق (من أحياءِ القاهرة - ولعلَّها المِطْبَعَةُ التي كان نابليون قد جاءَ بها). كان يُصَحِّحُ تلكَ الكتبِ في المِطْبَعَةِ الأميريةِ (بولاق) أديبٌ أَسَمُهُ نَصْرُ الهوريني .

هو أبو الوفاء نَصْرُ بْنُ الشَّيخِ نَصْرِ يونسَ الهورينيُّ المِصريُّ الأزهرِيّ، كان عارفاً بالفِقهِ واللُّغةِ والأدبِ والتاريخِ. وقد أرسلته الحكومةُ المِصريةُ (الأميرية: في أيامِ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ مؤسِّسِ الأسرةِ العَلَوِيَّةِ) إماماً لِلْبَحْثَةِ المِصريةِ التي كان أفرادُها يدرُسُون في فَرَنسَة^(١). ويبدو أَنَّهُ قد بَقِيَ في فَرَنسَة مُدَّةً مَكْنَنَتَهُ من أَن يَتَعَلَّمَ اللُّغةَ الفَرَنسِيَّةَ .

(١) كان مُحَمَّدُ عَلِيٌّ باشا مؤسِّسُ الأسرةِ العَلَوِيَّةِ في مصر قد أرسلَ نفرًا من نُبَهَاءِ الطُلَّابِ لمتابعةِ الدِّراسةِ في أورُوبَة (فرنسَه وانكلترة وفي الروسية؟) في العلومِ النظريةِ وفي الفنونِ العمليَّةِ. ولم يكن في الشرقِ العربي قبلَ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ نهضةٌ عِصريَّةٌ في الدولة، ولكنَّ احتكاكَ العربِ بأورُوبَة بعد حملةِ نابليون على مصر والشام، من ١٧٩٩ إلى ١٨٠١ للميلاد (١٢١٥ - ١٢١٧ هـ) دفعت مُحَمَّدَ عَلِيَّ باشا إلى تناولِ أسبابِ الحضارةِ المادِّيَّةِ من الغربِ الأورُوبيِّ. ويحسُنُ أنْ نَعْلَمَ هنا أَنَّ البعثاتِ التي أرسلها مُحَمَّدُ عَلِيٌّ باشا إلى أورُوبَة قد ساعدت على تَطَوُّرِ الحَيَاةِ العلميَّةِ والحياةِ الأدبيَّةِ بين العرب. وقد انتقل أثرُ هذا التطوُّرِ من مصر إلى سائرِ البلادِ العربيَّةِ. أمَّا ما درج عليه نفر من المتأدِّبين من نسبةِ بوادِرِ النهضة =

ولما عاد نصرُ الهورينيُّ من فرنسة إلى القاهرة تولى رئاسة التصحيح (تصحيح الكتب المطبوعة) في المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق). وقد صحَّح عدداً كبيراً من الكتب. ولا شكَّ في أنه كان له مُعاونون في التصحيح، ولكنَّ هذا لا يمنعُ من أن يكون هو المسؤول عن الكُتُب التي صحَّحها هو وعن الكتب التي قد صحَّحها أعوانه أيضاً. ونحن نعرفُ أن الكتب التي خرَّجتْ من المطبعة الأميرية في بولاق كانت مضبوطةً ضبطاً يدعو إلى الإعجاب (يزيد في الدقَّة كثيراً على بعض ما يُسمَّى اليوم «تحقيقاً»). ومن المُنتظر أن يكونَ أعوانُ الهورينيِّ في تصحيح الكتب بارعين مثله في أمر اللغة. غير أننا لا يجوزُ أن ننسى أن كثيراً من الضُّبطِ لِنَصِّ الكتب المطبوعة في المطبعة الأميرية كان يَرْجِعُ إلى التَّائِي الذي أمتازَ به القرنُ الماضي - إذا قُورِنَ ذلك التَّائِي بالسرعة الطاغية على الناسِ في القرن الحاضر.

وكانت وفاة نصرِ الهورينيِّ سَنَةَ ١٢٩١ للهجرة (١٨٧٤ م)^(١)

إنَّ نصرأ الهورينيَّ يستحقُّ دراسةً تُنصِّفه وتضعُ جهوده في ضبطِ الكُتُب التي صحَّحَ «ملازمها» (كما نقولُ في عالم الطباعة) في إطارها الصحيح بالكشف عن أمانة هذا الرجل ومقدِّرته وفي العمل الذي قام به في تصحيح الكتب. وقد كنتُ أقترحُ على الدكتور إبراهيم مذكور - رئيسِ مجمعِ اللغة العربية في القاهرة - أن يتولَّى أحدُ أعضاء المجمع من الإخوة المصريين هذا العملَ (وأهلُ مكَّة أذرى بشعابها). ولعلَّه فاعلٌ - إن شاء الله.

ونعودُ إلى المستشرقين وتحقيق الكتب.

كانتِ الغايةُ من تحقيقِ الكُتُب العربيَّة - لما بدأ المستشرقون ينشرون تلك الكتب - إخراجَ كُتُبِ التُّراثِ العربيِّ بالنِّصِّ الذي جاء على أقلامِ مؤلِّفيها. كان من المُنتظر أن نرى كُتُباً نُشِرتْ بالتصوير ثم كُتُباً نُشِرتْ بالحُرُوفِ مجردةً من الشكلِ

= الأديبة إلى نفر من الأدباء والصحافيين في لبنان فيجب أن نصحَّه بأن هذا الذي كان في لبنان جاء بعد التفتُّح العربي في مصر بنحو جيل من الدهر أو يزيد. ولهذا القصة حديث طويل سيأتي.

(١) بروكلن، الملحق ٢: ٧٢٦؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٥١ (٢٩)؛ معجم المطبوعات العربية لسركيس، الصفحات ١٩٠٢ - ١٩٠٤.

(ضبطِ الكَلِمَاتِ بالحَرَكَاتِ) ومن علاماتِ الوقفِ (إشاراتِ التنقيطِ) كَيَّ يَتْرُكُ مُحَقِّقُ الكتابِ للقارئِ حُرِّيَّةَ آخْتِيَارِ «القراءة» الموافقةِ بِحَسَبِ أَجْتِهَادِ القارئِ.

وكانتِ الكتبُ الكبيرةُ (العديدةُ الأجزاء) يَتَوَلَّى نَشْرُهَا في العادةِ بِضَعَةِ نفرٍ. فكتابُ الطَّبْرِيِّ في التاريخ: «تاريخُ الرُّسُلِ (أو الأُمَمِ) والملوكِ»، مثلاً، أَشْرَفَ على تحقيقِهِ المُسْتَشْرِقُ ده خويهِ الهولنديُّ (فهو مُحَرِّرُ الكتابِ أو المُشْرِفُ على تحقيقِهِ). وقد عاونهُ في هذا التحقيقِ نفرٌ من المُسْتَشْرِقِينَ منهم نولدكه الألمانِيٌّ وغويدي الإيطالي وهوتسها الهولنديُّ وغيرُهُم.

ومَحَقَّقُو «تاريخِ الطَّبْرِيِّ» لم يَكْتَفُوا بِإِبْرَازِ النَصِّ، بلِ اسْتَعْرَضُوا القِراءاتِ المُخْتَلِفَةَ في المخطوطاتِ العديدة. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَلَّوْا ضَبْطَ كَثِيرٍ مِنَ الكَلِمَاتِ (وخصوصاً في الأشعارِ) بالحَرَكَاتِ. فليس من الحِكْمَةِ أَنْ نَتْرُكَ الحُرِّيَّةَ المُطْلَقَةَ لِكُلِّ قارئٍ في آخْتِيَارِ القِراءةِ الَّتِي يُرِيدُهَا (وإن كَانَ الفردُ بَعْدَ الفردِ مِنَ القِراءِ العلماءِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى هذا الضَبْطِ. وربما كَانَ مِثْلُ هذا الضَبْطِ لِمِثْلِ هذا الفردِ حَجْراً عَلَى عِلْمِهِ وَدِرَاسَتِهِ). غَيْرَ أَنَّ مُحَقِّقِي تاريخِ الطَّبْرِيِّ كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ الشُّكْرَ عَلَى تِلْكَ التَّيْسَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا فِي ضَبْطِ أَقْسَامٍ مِنَ نَصْرِ الكتابِ بالحَرَكَاتِ.

ولقد أَطْلَتِ الكَلَامَ - من قَبْلِ في هَذِهِ المُقَدِّمَةِ - عَلَى الأَخْطَاءِ العَارِضَةِ فِي نَشْرِ كُتُبِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى نُقْطَةٍ أُخْرَى هُنَا. لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ رَيْبٌ فِي حِمْلَةِ الاسْتِعْمَارِ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ حَيَاتِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى «الشَّهَادَاتِ» يُعْطُونَهَا لِنَفَرٍ مِنَّا ثُمَّ يُطْلِقُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي حَضَارَتِنَا وَثِقَافَتِنَا لِيُخْرِبُوا حَضَارَةَ قَوْمِنَا وَثِقَافَةَ قَوْمِنَا بِأَيْدِيهِمْ. وَيَتَوَلَّى «تَحْرِيجُ» هَؤُلَاءِ النَفَرِ مُسْتَشْرِقُونَ نَعْرِفُ كُتُبَهُمْ فَلَا يَسْتَحِقُّونَ بِهَا شَهَادَةً عَادِيَّةً.

حَضَرْتُ مُؤْتَمِراً فِي أوروْبَةِ (عام ١٩٧٩) فَالْقَى بَعْضُ المُسْتَشْرِقِينَ مَقَالاً فِي «العلومِ عِنْدَ العَرَبِ». لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا المَقَالِ شَيْءٌ مِنَ العِلْمِ (إِذْ يَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ المُسْتَشْرِقَ لَمْ يَكُنْ «حِصَاناً» فِي الرِّيَاضِيَّاتِ)، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الحِقْدِ وَالتَّحَامُلِ. وَلَقَدْ رَدَدْتُ عَلَى هَذَا المُسْتَشْرِقِ بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أَعْلَمُ تَارِيخَ العلومِ عِنْدَ العَرَبِ لَطَلَّابِ البِكَالُورِيَا اللَّبْنَانِيَّةِ. وَلَوْ أَنَّ طَالِباً عِنْدِي كَتَبَ مِثْلَ هَذَا المَقَالِ الَّذِي قَرَأْتُهُ

أنتَ علينا الآنَ لِمَا آسَتْحَقُّ عليه ثمانيةَ من عشرين (مَعَ نِظَرَةٍ من الرحمة إلى الطالب).
ويبدو أن هذا السوء ليس خاصاً بالعرب.

فيما يلي قِصَّةٌ لَعَلَّها واقعةٌ أَوْ لَعَلَّها كانتَ مثلاً مضروباً.

قيل إنَّ ألكساندر دوماس الصغير (الابن) سألَ أَبنتَهُ مرَّةً فقال لها: أقرأتِ روايتي الأخيرة؟ فأجابته على ذلك بقولها: وهل قرأتها أنت؟

ولا شكَّ في أن نَفَرًا كثيرين يضعون أسماءهم على كُتُبٍ وهم لا يَدْرُونَ ما فيها. جَرَتْ عادةٌ منذُ زمنٍ قريبٍ في بعضِ البلاد العربية أن يَضَعَ نَفَرٌ كثيرون (ثمانيةٌ أو تسعة) - مِمَّنْ كانتَ أسماءُهم من المَعْرِ الأسماء في ذلك الحين - أسماءهم، مثلاً، على كتابٍ لتعليم النحو العربي في المرحلة الابتدائية. وكانتِ الأسماءُ تُسَرَّدُ على غِلافِ الكتابِ بحسَبِ شُهرةِ تلك الأسماء عند أنصافِ المتعلمين. ولا ريبَ في أنَّ الكتابَ كان من تأليفِ صاحبِ الأسمِ الأخيرِ في القائمة الطويلة. أمَّا صاحبُ الأسمِ الذي ظهر مراراً أولاً في تلك القائمة فلم يكن صاحبه يَعْرِفُ من الكتابِ إلا أنَّ أسمه وُضِعَ على غِلافه وإلا نصيبه السمين. من حُقوقِ التأليف.

وأحبُّ أن أعودَ قليلاً إلى أولئك الذين يعهدون إلى غيرهم بتحقيق أقسامٍ من الكتب التي ينشرونها فيقوم غيرهم بتشويه هذا التحقيق قصداً، انتقاماً من أولئك المُحَقِّقين لأسبابٍ كثيرة.

ليس من المعقول أن يكونَ مُحَقِّقُ العددِ الكبيرِ من الكُتُبِ والمؤلفُ في فنونِ الأدبِ والشعرِ والبلاغةِ جاهلاً حقائقَ النحو المشهورة، ولا أن يعهدَ بتحقيقِ جزءٍ من كتابٍ ينشره إلى رجلٍ جاهلٍ بتلك القواعد. وليس لهذه الأخطاء النحوية العاديةِ إلا تفسيرٌ واحدٌ: إنَّ هؤلاء الذين أُجبروا على معاونةِ المُحَقِّقِ قد أرادوا أن يَنْتَقِمُوا من المُحَقِّقِ فَدَسُّوا هذه الأخطاء في كتبه.

جاء في كتاب (٣ : ٣٢٥ ثم ٦ : ٢٣٠) هذان البيتان:

أما في الدهر من أفشي إليه بأسراري فيؤنس بالجواب؟
أنلني، يا خير البرية خطّة ترفّعي قدراً وتكسبني عزّاً،

فَاعْتَرَّ فِي أَهْلِي كَمَا أَعْتَرَّ بِيَدِ عَلَى سَفَرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا أَتَيْنِي فِرْزاً .

وقد جاءت كَلِمَةُ « فَيُونُس » فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثُمَّ كَلِمَةُ « فَاعْتَرَّ » فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ مُحَرِّكَيْنِ بِالرَّفْعِ (بِالضَّمَّةِ) وَحَقَّقَهَا النَّصَبُ (بِالْفَتْحَةِ) لِأَنَّهَا بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ (وَقَدْ جَاءَتْ الْأَوَّلَى بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ وَجَاءَتِ الثَّانِيَةُ بَعْدَ فِعْلِ الطَّلَبِ - أَيِ بَعْدَ فِعْلِ أَمْرٍ). فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يُخْطِئَ اسْتِثْنَاءُ كَبِيرٍ مِثْلَ هَذَا الْخَطَأِ. أَلَيْسَ قَوْلِي: « إِنَّ الَّذِينَ سَاعَدُوهُ فِي التَّحْقِيقِ قَدْ دَسَّوْا عَلَيْهِ هَذَا الْخَطَأَ » دِفَاعاً عَنْهُ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ (وَأَهْوَنُ مِنْهُ فِي كِتَابِ النُّحُو) جَزْمُ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ بَعْدَ أَسْمِ الشَّرْطِ. هُنَالِكَ مِثْلًا بَيْتٌ (٥ : ٥٩٢):

مَنْ يَبْتَغِي الْيَوْمَ صَدِيقاً كَمَا يَرْضَى فَقَدْ زَلَّتْ بِهِ بَغِيَّتُهُ .
يَجِبُ أَنْ نَقُولَ « يَبْتَغِ » (مَجْزُومَةٌ لِأَنَّهَا أَسْمُ الشَّرْطِ ، وَعَلَامَةُ جَزْمِهَا حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ). وَالْفَاءُ فِي « فَقَدْ » (فِي الشَّطْرِ الثَّانِي) رَابِطَةٌ لْجَوَابِ الشَّرْطِ . وَجَوَابُ الشَّرْطِ « قَدْ زَلَّتْ بِهِ بَغِيَّتُهُ » (فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوَابِ الشَّرْطِ).

وَأَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ التَّالِي: (٥ : ٥٩١):

كُنْ وَحِيداً مَا عَشْتَ تَحِيّاً بِخَيْرٍ سَالِماً مِنْ شُرُورِ كُلِّ الْبَرِيَّةِ .
يَجِبُ أَنْ يَقَالَ « تَحِيَّ » (مَجْزُومَةٌ فِي جَوَابِ الطَّلَبِ). وَعَلَامَةُ جَزْمِهَا حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ مِنْ « تَحِيّاً ».

وَلَا نَزَالَ فِي النُّحُو. هُنَالِكَ مَقْطُوعَةٌ (٢ : ٣٩٠) فِي صَدْرِهَا:

بِجَامِعٍ جَلَّقَ رَبُّ الزَّعَامَةِ أَقَمَ تَلَقَّى الْعِنَايَةَ وَالْكَرَامَةَ
وَيَمَّ نَحْوَهُ فِي كِبَلٍ وَقَتٍ وَصَلَّ بِهِ تَصَلَ دَارُ الْإِقَامَةِ
فَإِنَّ كَلِمَةَ « رَبِّ » مُحَرَّكَةٌ بِالْجَرِّ (بِالْكَسْرِ)، ظَنّاً مِنْ الَّذِي حَرَّكَهَا بِالْكَسْرِ أَنَّهَا بَدَلُ
مِنْ « جَامِعٍ ». وَحَقٌّ « رَبِّ » أَنْ تَحَرَّكَ بِالنَّصَبِ (بِالْفَتْحِ) لِأَنَّهَا مُنَادَى مُضَافٌ (يَا رَبَّ الْكَرَامَةِ). وَالْبَيْتَانِ يَجِبُ أَنْ يَنْقَطَا كَمَا يَلِي:

بِجَامِعٍ جَلَّقَ، رَبُّ الزَّعَامَةِ، أَقَمَ تَلَقَّى الْعِنَايَةَ وَالْكَرَامَةَ؛

وَيَمَّمْ نَحْوَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَصَلَّ بِهِ تَصِلَ دَارَ الْإِقَامَةِ.
(ولم ينس الناشر هنا أنَّ «تَلَقَّ» و «تَصِلُ» مجزومتان في جواب الطلب بعد «أَقِمَّ» و «صَلَّ». و ننتقل قليلاً إلى فهم معاني الشعر.

هنالك بيتٌ يَرِدُ في مكانين (٤ : ٣٨١ و ٤٦٥) هو:

فلا صدرَ إلَّا فيه صدر مُثَقَّفٌ وحول الوريد للحسام ورود.
إنَّ كلمة صدر (الثانية) مضبوطة مرةً بضمةً واحدة (صدرٌ مُثَقَّفٌ: أعلى الرمح)، وهذا صحيحٌ. و في المكان الآخر ضُبِطَ التعبيرُ بضمَّتين في جُزئيه: صدرٌ مُثَقَّفٌ (ولا معنى له). فهل من الممكن أن يكون ضابطُ هذا التعبير الواحدِ ضبطينِ مختلفينِ (أحدهما صواب والثاني منها خطأ) رجلاً واحداً؟

وهذا البيت (٤ : ٦٨):

لكن معاني حسنه تَمَّت كما قد تَمَّ عن صدأ الحديد فرنده.
يجوز أن تكون تَمَّت (في الشطر الأوَّل) بالتاء. ولكنَّ الشطرَ الثاني يحتاج إلى «تَمَّ» (بالنون): ظهر (إنَّ اللعنان من خلال الصدأ يدلُّ على جودة حديد هذا السيف).

وبيت آخر (٣ : ٣٩٣):

أَقْلَّ عَتَابَكَ إِنَّ الْكَرِيمَ بِجَازِيٍ عَلَى حَبِّهِ بِالْقَلَى
القلى (بالكسر): البغض. وكلمة «بِجَازِيٍ» مضبوطة بكسرة تحت الزاي وبنقطتين تحت الياء.

والحق أن يقال: يُجَازَى (بالبناء للمجهول، كما تدلُّ الأبيات التالية لهذا البيت).

وبيت أخير هنا (٤ : ١٨٤):

- ولأبي جعفر بن سعيد في قوادة:

مناعة للنعل من كيسها موسرة في حال اعسار.
إنَّ الكلمة الأولى في البيت يجب أن تكون «مبتاعة». والكلمة الثانية يمكن أن

تكون « النعل »، والنعل: الزوجة (أصبح المعنى مفهوماً).

وأخيراً هنا جملة من النثر (٣: ١٢٣) في الكلام على صنع أوتارٍ للعود (آلة الطرب المعروفة). يقول زريابُ المغني العازف المشهور والذي ذهب إلى الأندلس ثم أدخل تطوراً على العود....: «وأوتاري من حرير لم يغزل (؟) بماء سخن». يجب أن نقرأ: لم يُغسل أو لم يُغسَن (وهذا أمر معروف عن زرياب في تاريخ الموسيقى).

ثم شيءٌ سائر من البلاغة. في كتابٍ آخر (٧: ١٣ - ١٤) يردُ هذان البيتان:

كلف بالغيد ما عَقَلْتُ نفسه السلوان منذ عقلا.

.....

أضمنتُ أمنَ جِيرَتِكُمْ ثمَّ ما آمنتم السبلا؟

إنَّ اللغة والمعنى والبلاغة تقضي أن يقول الشاعر ما «عَلَقْتُ»، وإلاَّ فَسَدَ «الجناس» الذي أراده الشاعر. إنَّ «عقلت» و«عَقَلًا» لا جناسَ فيهما. ثمَّ لا وجهَ هنالك لقول الشاعر «آمنت» (بمدة على الهمزة) ولا ظلٌّ للمعنى. والصواب «أمنت» (بشدة على الميم). ومراجعة الأبيات بين هذين البيتين تدلُّ على ذلك بوضوح.

وكذلك جاء في هذا الكتاب (١: ١٦٩) تلك المقطوعة المشهورة:

شدّوا المطيَّ، وقد نالوا المنيَّ يَمْنَى

وقد تكلفَ المحقِّقُ وَضَعَ فَتَحَتَيْنِ على كَلِمَةِ «يَمْنَى» فأفسد على الشاعر «مُحاولةً تَأمُّ التجنيس» بين «المني» و«يَمْنَى». ومِنَى في الأصل ممنوعةٌ من الصرف (للعَلَمِيَّةِ والتَأْنِيثِ).

ومع أن القاموس المحيط (٤: ٣٩٢) يقول: مِنَى مثل إلى.... وتُصَرَّفُ (فإنَّ مَنَعَهَا من الصَّرْفِ - وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَةٍ في اللغة - يدلُّ، في هذا البيت على رِقَّةِ الحِسِّ في الشاعر.

يقول المقرئ (نفع الطيب ٤: ٥٠٠): «وقد عرِّفْتُ بآبن الأبار في أزهار الرياض

بما لا مزيد عليه...»

ونأتي إلى كتاب المقرئ «أزهار الرياض» فنَجِدُ على صفحة الغلاف منه:

« ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلي »
ونبحث عن ابن الأبار في « أزهار الرياض » فيردّنا الفهرس الهجائي إلى الصّفحات
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من الجزء الأوّل (ص ٣٤٠ ، تحت « ابن الأبار ») ، ثمّ إلى الصفحة
٣٧٩ من الجزء الثاني (ص ٣٩٩ ، تحت « أبو عبد الله بن الأبار ») ، ثمّ إلى الصفحة
٦٣ من الجزء الثالث (ص ٣٣١ ، تحت « أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله
القضاعي »).

فأين يتكلّم المقرّي ، إذن ، في « أزهار الرياض » على ابن الأبار بما لا مزيد
عليه... (من التفصيل)؟

إنّ المقرّي ، يخصّ ابن الأبار بأربع وعشرين صفحة من الجزء الثاني من كتابه
« أزهار الرياض » (٢: ٢٠٤ - ٢٢٧). ولكنّ الفهارس الهجائية لا تُشير إلى هذه
الصّفحات أبداً.

فهل من المعقول أن يكونَ الأفاضلُ الذين ضبطوا نصّ « أزهار الرياض »
وحقّقوه وعلّقوا عليه - كما قالوا هم أنفسهم - هم الذين صنعوا هذه الفهارس
الناقصة (فيما يتعلّق بابن الأبار) نقصاً معيّباً؟

٢٢ من ذي القعدة ١٤٠١

١٩ / ٩ / ١٩٨١ .

ع. ف.

المرابطون في الأندلس

معركة الزلاقة

كَانَ الْإِسْبَانُ يُلْحِقُونَ عَلَى مَمَالِكِ الطَوَائِفِ، يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَقْسَامِ مِنْهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْقَرِضُ. وَكَانَ الْفُونْسُ السَّادِسُ (١٠٦٥ - ١١٠٩ م) يَقُودُ جِيوشًا كَثِيفَةً مِنَ الْبُشْكُنْسِ وَالْجَلَالَةِ وَالْإِفْرَنْجِ (مَنْ مُعْظَمُ أَنْحَالِ أَوْرُوبَةِ) وَيَطُوفُ بِدَوْلَاتِ مُلُوكِ الطَوَائِفِ يُفْسِدُ وَيَقْتُلُ وَيَسْبِي.

اسْتَنْجَدَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ بِيُوسُفَ بْنِ تَاشْفِينٍ، فَجَازَ يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالتَّقَى الْفُونْسَ السَّادِسَ فِي الزَّلَاقَةِ (سَاقَرِيَّاسَ)، إِلَى الشَّامِلِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ بَطْلَيْوَسَ، عَلَى الْحُدُودِ بَيْنَ إِسْبَانِيَّةَ وَالْبُرْتِغَالِ الْيَوْمَ، فِي ١٢ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٧٩ (١٠٨٦/١٠/٢٢ م). وَقَدْ انْتَصَرَ يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ عَلَى الْفُونْسِ السَّادِسِ وَرَدَّ خَطَرَهُ عَنْ مُلُوكِ الطَوَائِفِ. ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشْفِينٍ تَرَكَ جَمِيعَ الْغَنَائِمِ لِلْمُلُوكِ الطَوَائِفِ وَتَرَكَ لَهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِهِ الْبَرْبَرِ وَعَادَ إِلَى مَرَّاكُشَ. وَتَسَمَّى يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ بِاسْمِ «أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ».

غَيْرَ أَنَّ مُلُوكَ الطَوَائِفِ عَادُوا إِلَى التَّنَازُعِ وَإِلَى اسْتِنْجَادِ بَعْضِهِمْ بِمُلُوكِ الْفِرَنْجَةِ عَلَى بَعْضٍ. وَلَمَّا جَازَ يُوسُفُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ مُلُوكُ الطَوَائِفِ يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الْإِسْبَانِ عَلَيْهِ. رَجَعَ يُوسُفُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا مَرَّةً ثَلَاثَةَ (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م) وَجَعَلَ يَسْتَوْلِي عَلَى دَوْلَاتِ الطَوَائِفِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً. وَفِي مَدَى عَشْرِ سَنَاتٍ دَخَلَتْ جَمِيعُ الْأَنْدَلُسِ فِي حُكْمِ الْمُرَابِطِينَ وَأَنْجَابَ عَنْهَا الْخَطَرُ. وَأَمْتَدَّ عُمُرُ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ - بِفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ تَاشْفِينٍ - مِائَةً عَامٍ. غَيْرَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ مُؤَرِّخِي السِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ يَحْمِلُونَ عَلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشْفِينٍ وَيَتَّهِمُونَهُ بِالْأَسْتِبْدَادِ وَبِحُبِّ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الدَوْلَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الصَّغِيرَةِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشْفِينٍ قَدْ أَحْسَنَ

صُنْعاً لِأَنَّهُ حَفِظَ الْعَرَبَ وَالْعُرُوبَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي الْأَنْدَلُسِ. أَمَّا الَّذِينَ ذَمُّوا يَوْسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ فَكَانُوا نَفَرًا مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَكَسَّبُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مِنَ الْبَلَّاطَاتِ الْكَثِيرَةِ.

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ أُدْرِكْتَ الْبَابُورِيَّةُ وَأُورُوبَةُ أَنَّ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى مُجَابَهَةِ يَوْسُفَ ابْنِ تَاشَفِينَ فَتَرَكُوا الْأَنْدَلُسَ وَشَأْنَهَا إِلَى حِينٍ ثُمَّ وَجَّهُوا قُوَاهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ وَقَامُوا بِالْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ (٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م)، بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ.

وَيُعَدُّ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ؛ وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ أَنَّهُ عَاشَ خَمْسِينَ سَنَةً فِي الْحُكْمِ (٤٥٠ - ٥٠٠ هـ). ثُمَّ تَعَاقَبَ عَلَى عَرْشِ الْمُرَابِطِينَ أَرْبَعَةُ سَلَاطِينَ لَمْ يَكُنْ فِي أَيَّامِهِمْ مَا يُذَكَّرُ.

المغرب وصقلية

لَمْ تَسْتَطِعْ دَوْلَةُ الْمُرَابِطِينَ مِنْ قَبْلُ أَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ، فَقَدِ اسْتَمَرَّتْ دَوْلَةُ بَنِي زَيْرِي الصَّنَهَاجِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى (الْقَطْرُ التُّونِسِيّ)؛ وَظَلَّتْ لِيَبْيَا تَابِعَةً لِلدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي مِصْرَ. أَمَّا فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ (الْقَطْرُ الْجَزَائِرِي) فَقَدْ نَشَأَتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمَّادٍ (٤٠٥ - ٥٤٧ هـ) فِي مِثْلَقَتَيْ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَمَدِينَةِ قُسْطَنْطِينَةِ (قُسْطَنْطِينَةِ)، وَكَانَتْ تُقَاتِلُ أحياناً دَوْلَةَ الْمُرَابِطِينَ.

وَيُعَمُّ الْمَغْرِبَ كُلَّهُ، فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ أَمْرَانِ: زَخَفُ الْعَرَبِ (الْبَدَوِ) عَلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ اسْتِيلَاءُ النُّورْمَانِ عَلَى جَانِبٍ مِنَ السَّاحِلِ الْإِفْرِيْقِيِّ.

١ - لَمَّا قَطَعَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيَسَ الدَّعْوَةَ لِلْفَاطِمِيِّينَ، سَرَّحَ الْفَاطِمِيُّونَ (٤٤٣ هـ) جُمُوعاً مِنَ عَرَبِ بَنِي هِلَالٍ وَبَنِي سُلَيْمٍ كَانُوا يَنْزِلُونَ فِي صَعِيدِ مِصْرَ. وَقَدْ اَنْتَشَرَتْ هَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ فِي الْمَغْرِبِ، مِنْ طَرَابُلُسِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَوَاسِطِ الْجَزَائِرِ، تَبَعِثُ فُسَاداً بِالْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ. وَحِينَ يَذْكُرُ ابْنُ خَلْدُونِ الْعَرَبَ بِالسُّوءِ وَبِأَنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْعُمُرَانِ وَأَنَّهُمْ يَخْرُبُونَ الْقَصْرَ حَتَّى يَأْخُذُوا أَخْشَابَهُ لِنَارِهِمْ وَلِبْنَاءِ خِيَامِهِمْ فَإِنَّهَا يَعْنِي الْبَدَوَ، قِيَاساً عَلَى مَا فَعَلَهُ بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ فِي الْمَغْرِبِ (وَفِي الْقَيْرَوَانِ مِنَ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ، خَاصَّةً).

٢ - في سَنَةِ ٤٨٤ هـ اسْتَوْلَى النُّورْمَانُ عَلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ . وَمَعَ أَنَّ النُّورْمَانَ أَحْسَنُوا السَّيْرَةَ مَعَ عَرَبِ صِقْلِيَّةٍ وَاتَّخَذُوا الْحَضَارَةَ الْعَرَبِيَّةَ حَضَارَةً لَهُمْ وَلَمْ يَقْبَلُوا أَنَّ يَشْتَرِكُوا فِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ مُحَافَظَةً عَلَى صَلَاتِهِمْ الْحَسَنَةَ مُسْلِمِي الْجَزِيرَةِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا طَامِحِينَ إِلَى تَوْسِيعِ نَفوذِهِمُ السِّيَاسِيَّ وَالْاِقْتِصَادِيَّ . ففِي سَنَةِ ٥٤٣ هـ اسْتَوْلَى النُّورْمَانُ عَلَى طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا ، سَنَةَ ٥٣٩ هـ ، قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ السَّاحِلِ الْإِفْرِيقِيِّ . وَزَادَ بُؤْسُ الْمَغْرِبِ حِينَهَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الدَّمَارُ عَلَى يَدِ الْبَدُوِّ مِنْ بَنِي هِلَالٍ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَعَلَى يَدِ النُّورْمَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

الحياة السياسية في الأندلس...

امتدَّ حُكْمُ المُرَابِطِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ نِصْفَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَنِ أَوْ يَزِيدُ قَلِيلًا ، مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ إِلَى سَنَةِ ٥٣٩ لِلْهِجْرَةِ (١٠٩١ - ١١٤٤ م) . وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ (سُلْطَانُ المُرَابِطِينَ) ، فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْحِقْبَةِ ، يُعَيِّنُ أَحَدَ أَبْنَائِهِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْيَا ثُمَّ يَجْعَلُ مَعَهُ وِلَاةَ آخَرِينَ فِي قَوَاعِدِ الْبِلَادِ (الْمَدِينِ الْكَبِيرَةِ) . وَحُكْمُ المُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَ - مِثْلَ كُلِّ حُكْمٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ آخَرَ وَكُلِّ زَمَانٍ آخَرَ - أَمْنًا وَعَدْلًا وَأَزْدَهَارًا فِي أَيَّامِ قُوَّتِهِمْ ثُمَّ ضَعْفًا وَأَضْطِرَابًا عَامًّا فِي أَيَّامِ ضَعْفِهِمْ ، حِينَهَا مَالَ أَمْرُهُمْ إِلَى الزَّوَالِ .

اسْتَطَاعَ المُرَابِطُونَ أَنْ يُوحِّدُوا الْبِلَادَ الَّتِي كَانُوا يَسِيطِرُونَ عَلَيْهَا: الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ وَالسُّودَانَ الْغَرْبِيَّ . ثُمَّ إِنَّهُمْ نَشَرُوا الْأَمْنَ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ وَأَبْعَدُوا الْعُدْوَانَ الْمَسِيحِيَّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ - ذَلِكَ الْعُدْوَانُ الَّذِي كَانَ قَدْ أَذَلَّ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ - ثُمَّ قَطَعُوا دَائِرَ الْفِتَنِ . وَحَكَّمَ المُرَابِطُونَ بِالْشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ فَأَلْفَوْا الضَّرَائِبَ الْكَثِيرَةَ وَالْجَائِزَةَ مِنَ تِلْكَ الَّتِي كَانَ مُلُوكُ الطَّوَاتِفِ يَجْمَعُونَهَا بِأَسْمِهِمْ مُخْتَلِفَةٍ وَبِوَسَائِلٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِتَسْلِيْطِ الْجُبَاةِ الْيَهُودِ عَلَى الرِّعْيَةِ . إِنَّ المُرَابِطِينَ لَمْ يَفْرِضُوا مِنَ الْجَبَايَاتِ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْ جَاءَ فِيهِ حُكْمٌ فِي الْحَدِيثِ أَوْ السُّنَّةِ .

تِلْكَ عَوَامِلٌ سَاعَدَتْ عَلَى الْأَمْنِ فَعَادَ كَثِيرُونَ مِنَ الذِّينِ كَانُوا قَدْ هَجَرُوا أَرْضِيهِمْ إِلَى أَرْضِيهِمْ فَأَنْتَشَرَتِ الزَّرَاعَةُ وَأَزْدَهَرَتِ الصَّنَاعَةُ وَأَتَّسَعَتِ التِّجَارَةُ الدَّاخِلِيَّةُ وَالتِّجَارَةُ الْخَارِجِيَّةُ حَتَّى أَنَّ أُرُوبَةَ الْمَسِيحِيَّةِ كَانَتْ تَعْتَمِدُ ، فِي تِجَارَتِهَا - فِي

الصادر والوارد - أسواق الأندلس وطُرُق مواصلاتها. ويحسُن أن نُشير هنا إلى بلدة ألمرية (وهي مرفأ في جنوبي الأندلس)، وقد أصبحت في تلك الفترة مركزاً صناعياً وتجارياً زاهراً لصناعة الحرير وصناعة النحاس.

... والحياة الاجتماعية

وكان لاختلاط المغاربة بالأندلسيين حسنات وسيئات. إنَّ اختلاط الشعب القوي بالشعب الضعيف (إذا اتفقا في الحضارة والثقافة) يزيدُ في قُوَّتهما. فأزديادُ السكَّان في الأندلس ثم قيامُ المرابطين بالدفاع عن الأندلس والأندلسيين في وجهِ العدوان الإسباني الأوروبي المسيحي كانت لها نتائجٌ حميدةٌ. ولكن لما ضَعُفَتِ السُّلْطَةُ قليلاً ثم زاد العُنُصرُ المغربي حدث شيء من الاضطراب: إنَّ المرابطين المغاربة البربر كانوا أقربَ في طبائعهم إلى البداوة والجفاء، فكانوا يعيشون في الأكثر في شِبْهِ عُرْلَةٍ عن سكَّان الأندلس؛ ثم إنَّهم أَسْتَطَاعُوا لِمَكَانٍ قُوَّتَهُم السياسية والحربية أن يتسلَّطُوا على الأندلسيين فنشأ شيء من الثُغُور بين المرابطين والأندلسيين، وخصوصاً حينما كانت جماعاتٌ من المرابطين يتجولون في البلاد ويَحْمِلُونَ أَسْلِحَتَهُمْ، وريّاً اعتَدُوا في أثناء ذلك على الناس.

ولقد شَجَّعَ ذلك نفراً من سُفَهَاءِ الأندلس فَتَلَثَّمُوا - تقليداً للمرابطين - وحملوا السِّلَاحَ مِثْلَهُمْ وطاقوا في البلاد يَعيْشُونَ في الأرض فساداً. ذلك كان بطبيعة الحال في زَمَنِ ضَعْفِ السُّلْطَةِ المركزية في أعقابِ الحُكْمِ المرابطي في الأندلس.

والمرأة الأندلسية بَرَزَتْ من أوَّلِ أَمْرِهَا. ولكنَّ بروزَها في المجتمعات زادَ مَعَ مجيء المرابطين. من المعروف أنَّ رجالَ المرابطين يَتَلَثَّمُونَ - من أجل ذلك يُعرَفُ المرابطون أيضاً باسم المُلَثَّمين - ولكنَّ نساءَ المرابطين لا يَتَلَثَّمْنَ. فأزدادَ ظهورُ المرأة - المرابطية والأندلسية - في المجتمع وقَصَّدها الشُّعراءُ للمديحِ وأصحابُ الحاجاتِ في الدولة.

ولقد قلَّ، في أيامِ دولة المرابطين في الأندلس، تسلُّطُ النصارى واليهود في الأمور، ذلك التسلُّطُ الذي كان يُشجِّعُ عليه من قبلُ ضَعْفُ ملوكِ الطوائفِ وِعُدْوَانُ

ملوك الإسبان.

وعظم نفوذ الفقهاء في الأندلس حتى شاركوا الولاة في الحكم وحتى أنغمس نفرٌ كثير من منهم في أنتهاز الفرص لجمع المال من وجوه مختلفة. وقد كان من أثر ذلك أن نَقَمَ الناسُ من الفقهاء ومن الولاة المرابطين معاً.

الحياة الثقافية خاصة

وإذا نحن أتينا إلى التفصيل في المظاهر الأدبية والثقافية خاصة عسر علينا الفصلُ الباتُّ بين عصرِ ملوك الطوائف وعصرِ المرابطين، فإنَّ نفرًا كثيرين من العلماء والأدباء عاشوا في العصرين معاً. ويزيدُ هذا العسرُ إذا نحن جئنا إلى شاعري مثل ابن عبدون (ت ٥٢٩)، فإنه أدرك خمسة وأربعين سنةً من عهدِ المرابطين في الأندلس، ولكنَّ شهرته تقومُ على قصيدته «البشامة»: الدهرُ يفجعُ بعدَ العين بالآثر. وهذه القصيدة من نتاجِ عصرِ ملوك الطوائف.

ونحن نستطيع أن نقول إنَّ الثقافة عامةً والأدبَ خصوصاً قد انحطَّ في عهدِ المرابطين عمّا كانا عليه في عصرِ ملوك الطوائف. إنَّ دولةَ المرابطين كانت دولةً بدويَّةً في الأكثر، وكان همُّها الأولُ تثبيتَ أركانِ الحكم. ثم إنها كانت أيضاً دولةً دينيةً سَلَفِيَّةً لم تنظرْ بعين الرضا إلى الثقافة النظرية - والفلسفة منها خصوصاً - إلى جانب أن الولاة المرابطين (والسلاطين أو الخلفاء المرابطين أيضاً) لم يكونوا ذوي درايةٍ وافيةٍ باللغة العربية. من أجل ذلك بارَّ الشعُّرُ في بلاطاتِ المرابطين في المغرب والأندلس، ونَفَرَ الشعراءُ الذين كانوا يرتزقون في بلاطاتِ ملوكِ الطوائف رِزْقاً كبيراً من حُكمِ المرابطين ثم حَمَلُوا على الحُكَّامِ كُلِّهِمْ حتى على أميرِ المسلمين يوسفَ بنِ تاشفين، وهو الذي مدَّ عُمُرَ العُروبةِ والإسلامِ في الأندلس - بآنتصاره الباهرِ في معركة الزلاقة على الجيوش الأوروبية - مائةً عامٍ.



من أشهر الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وبالحديث عبدُ الحقِّ بنُ غالب بنِ عطية

(٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من أهل غرناطة، تولى القضاء في المرية وفي غرناطة. وقد كان عارفاً بتفسير القرآن حافظاً للحديث وأديباً وشاعراً ونحوياً، ألف تفسيراً (للقرآن) وإيفياً زاد فيه على جميع الذين تقدموه (في الأندلس) وأذكرَكَ به شهرة واسعة^(١). ثم نجد في علماء الحديث أبا الحسن رزين بن معاوية بن عمار البغددي (ت ٥٢٤ هـ)، له في الحديث تصانيف منها: تجريدُ الصحيح الستة^(٢) - أخبارُ مكة والمدينة وفضلها - (تجريد) ما يتضمّنه صحيحا مسلم والبخاري والموطأ والسنن للنسائي والترمذي^(٣). ثم نجد أيضاً أبا محمد عبد الله بن علي اللخمي الرُّشاطي (٤٦٧ - ٥٤١ هـ) من أهل المرية، وله من الكتب: الإعلام بما في كتاب المؤلف والمختلف للدارقطني من الأوهام^(٤) - اقتباسُ الأنوار والتأسُّ الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار.

وكذلك نجد أبا بكر محمد بن خلف بن سليمان المعروف بابن فتحون الأورولي (ت ٥١٩ هـ)، وله ذيلٌ على كتاب «الاستيعاب»^(٥)، كما أن له كتباً في الحديث.

وراجَ الكلام - في عصر المرابطين - على الفقه الخالص، على فروع الفقه (من العبادات والمعاملات) من المذهب المالكي، ولم يكن ثمة عناية بالتحريج العقلي للأحكام الفقهية، بل كان ذلك ممقوتاً حتى أن كتب الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وهي التي كانت تنحو نحو التصوّف المعتدل في تفسير الأحكام، قد أحرقت علناً في المغرب.

(١) لابن عطية هذا ترجمة مفردة.

(٢) الصحيح الستة (في أحاديث رسول الله) هي: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) ثم كتب السنن الأربعة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت ٢٧٣ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٧٨٩ م) ولأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي - ويعرف كتابه في السنن أيضاً باسم «الجامع الصحيح» (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م).

(٣) في بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٠، له: كتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والسنن الخمس. أما الموطأ فهو لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م). راجع فيما بقي الحاشية السابقة.

(٤) الدارقطني هو أبو الحسن علي بن عمر الشافعي إمام أهل عصره في الحديث (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)، من أهل بغداد.

(٥) لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ).

وَأَشْتَهَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْفَقِيهُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رُشْدٍ (٤٥٠ - ٥٢٠ هـ) جَدُّ الْفِيلَسُوفِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) فَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّرَاسَةِ فِي الْفِقْهِ وَمِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِيهِ.

وَمَعَ أَنَّ الْقَاضِي عِيَّاضَ بْنَ مُوسَى الْيَحْصِيَّ السَّبْئِيَّ (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) - وَحَيَاتُهُ تَنْطَبِقُ عَلَى عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ أَنْطَبَاقاً كَامِلاً - كَانَ فَقِيهاً فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى، فَإِنَّهُ كَانَ أَيْضاً مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّارِيخِ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ).

وَمِنَ أَعْلَامِ النَّحْوِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ أَحْمَدُ بْنُ خَلْفٍ الْأَنْصَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَازِشِ الْغُرْنَاطِيِّ (ت ٥٤٠ هـ). وَأَشْهُرُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ).

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ بْنُ مَسْلَمَةَ (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، كَانَ وَزيراً فِي إِشْبِيلِيَّةٍ وَكَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِالتَّارِيخِ، أَلَّفَ «حَدِيقَةَ الْأَرْتِيَّاحِ فِي وَصْفِ حَقِيقَةِ الرَّاحِ» وَغَيْرَهُ.

وَيَلْمَعُ فِي هَذَا الْعَصْرِ - فِي فِلَسَفَةِ التَّارِيخِ - أَبُو بَكْرٍ الطَّرُطُوشِيُّ (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «سِرَاجِ الْمُلُوكِ»، وَقَدْ أَشَارَ الطَّرُطُوشِيُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى أَشْيَاءَ سَيُوقِّفُهَا ابْنُ خَلْدُونٍ (ت ٨٠٨ هـ) حَقَّهَا فِي مُقَدِّمَتِهِ.

وَفِي نِطَاقِ تَرَاجِمِ الْأَدَبِ الْخَاصَّةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ النِّقْدِ كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً، هُنَالِكَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (ت ٥٢٩ هـ) وَابْنُ بَسَّامِ الشَّنْتَرِينِيَّ (ت ٥٤٢ هـ) وَأَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ يَنْقِي (ت ٥٤٧ هـ). وَهُنَالِكَ الْحِجَارِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ «الْمُسْنَهَبِ» (ت نحو ٥٥٠ هـ) وَلَهُ فِي هَذِهِ الْجُزْءِ تَرْجُمةٌ وَافِيَةٌ. وَمَعَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ الْغُرْنَاطِيَّ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ (ت ٥٥٧ هـ) قَدْ أَدْرَكَ حَقَبَةً طَيِّبَةً مِنْ عَصْرِ الْمُؤَحِّدِينَ، فَإِنَّا نَذْكُرُهُ هُنَا لِأَنَّهُ كَانَ كَاتِباً لِلْأَمِيرِ الْمُرَابِطِيِّ أَبِي حَامِدِ بْنِ تَاشْفِينٍ، وَقَدْ أَلَّفَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ لِأَبِي حَامِدٍ هَذَا كِتَاباً عَنْوَانُهُ «أَخْبَارُ دَوْلَةِ لَمْتُونَةَ».

وَمِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَرِيفِ الصِّنْهَاجِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت فِي مَرَّاكُش ٥٣٦ هـ) لَهُ كِتَابٌ «مَحَاسِنُ الْمَجَالِسِ» (بِرُوكْلَمَنْ،

الملحق ١ : ٧٧٦) وعبدُ السلام بنُ عبدِ الرحمن بنِ برّاجان اللَّخْمِيُّ الإشبيلي (ت ٥٣٦ هـ) له كُتُبٌ منها: «شرح معاني أسماء الله الحُسنى» (بروكلمن ١ : ٥٥٩) ثم أبو القاسم أحمد بنُ قسي الشُّلبي (ت ٥٤٦ هـ) له: «شَرْحُ حديثِ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ وَأَقْتِبَاسُ الأنوار من مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ» (بروكلمن ١ : ٥٥٩ ، الملحق ١ : ٧٧٦).

- في العلوم الرياضيّة والطبيعية:

وقلَّ علماء الرياضيات والطبيعات في هذا العصر عمّا كنّا قد عَرَفْنَا منهم في العصر السابق. ومع ذلك فإنّنا نذكرُ من هؤلاء ابنَ مسعود الإشبيلي (ت ٥٢٦ هـ) وكانت له مشاركة في الفلك وفي حسابِ الأنساب (المثلثات). ثم هنالك جابر بنُ أفلح (ت ٥٤٠ هـ)، وكانت له معرفةٌ بالجبر والفلك وعلم الحيل (الميكانيك)، كما كان له عددٌ من الكتب في الفلك خاصة. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو الصلتِ أُمَيَّة بنُ عبدِ العزيز الدائِي الأندلسي (ت ٥٢٩ هـ)، وكان بارعاً في علم الحيل (من الفيزياء) كما كان أديباً شاعراً. ثم هنالك ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ)، ولهما في هذا الجزء تَرْجَمَتَانِ مُستقلَّتَانِ.

- في الطبّ خاصّة: آل زُهر:

والطبّ من العلوم الطبيعية، وقلَّ من العلماء بالرياضيات والطبيعات مَنْ لم يشغلُ بالطبّ.

وتجدُرُ الإشارةُ في عصر المرابطين إلى آل زُهر، وهم أسرةٌ كان لها وَجَاهَةٌ، في الأندلس وفي المغرب معاً، كما كان لها مكانةٌ في الفقه والعلم والأدب ثم في التطبيب خاصّة. وأصل آل زُهرٍ من شاطبة (في شرقي الأندلس) ثمّ انتقلوا إلى إشبيلية. واتَّسعتْ شهرةُ آل زُهر في الأندلس والمغرب وفي المشرق وفي أوروبة المسيحيّة أيضاً. وكان أولهم أبو العلاء زُهر بنُ عبدِ الملك (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م)، وقد كان له رفقٌ وعنايةٌ بالمرضى يَحْتَالُ في مُعالجةِ الذين يكرهون تناولَ الأدوية بأنواعٍ من الأغذية. وأمّا أشهرُ آل زُهر وأعظمهم في الطبّ والتطبيب فهو أبو مروان عبدُ الملك بنُ زُهر (٤٦٤ - ٥٥٧ هـ) - وهو ابنُ أبي العلاء زُهرٍ - له تشخيصٌ سريريٌّ (بالمراقبة اليومية) ومعرفةٌ بالأورام الخبيثة (السّرطان) وبالسِّلِّ المعويّ. وكان يلجأ إلى

التغذية الصناعية في معالجة الذين يَفْجِزون عن البلع، وذلك بإدخال الطعام من شِقِّ يُحْدِثُهُ في المريء (أنبوب الطعام) أو مِنَ المستقيم (بالْحَقْنِ الشَّرْجِيِّ: من بابِ البَدَن).

وكذلك بَرَعَ في الطِّبِّ ابنُ باجَه (ت ٥٣٣ هـ) مُعاصرُ آلِ زُهْرٍ ومُنَافِسُهُم. وقد كانَ آلُ زُهْرٍ مُتسلِّطينَ في مُجتمَعِهِم فيقال إنَّهُم دَسَّوْا له السُّمَّ لأنَّ مقدَرَتَهُ في التَّطبيب كانتْ تُزاحِمُهُم على مَكَانَتِهِم وعلى مَكَاسِبِهِم. ولقد لَحِقَتْ أبا مروانَ بنَ زُهْرٍ مِحْنَةٌ، إِذْ أَتَهُمَ بَشِيءٌ من الزَّيْغِ في أُمُورِ الدِّينِ فَسُجِنَ مُدَّةً في مَدِينَةِ مَرَّاكُش.

ثمَّ جاءَ الحَفِيدُ ابنُ زُهْرٍ (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) - وهو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الملك (ابنُ أبي مروانَ عبدِ الملكِ وحفيدُ أبي العَلاءِ زُهْرٍ بنِ عبدِ الملكِ)، وقد كانَ نَجْمًا لامعًا في أَسْرَتِهِ وزَمَانِهِ. ولكنَّ حَيَاتَهُ تَقَعُ في أَيَّامِ المُوحِّدينَ بَعْدَ انْقِضائِ حُكْمِ المُرابطِينَ. وَبَرَزَ أبو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ النَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) في مَعْرِفَةِ الأَدْوِيَةِ، له كِتَابُ «الأَدْوِيَةِ المُفْرَدَةِ» لا نَظِيرَ له في الجُودَةِ (طبقاتُ الأَطبَاءِ ٢: ٥٢).

- الفلسفة:

ولم يَكُنْ حَظُّ الفِلسَفَةِ قَلِيلًا في أَيَّامِ المُرابطِينَ، فَقَدْ عاشَ في ذَلِكَ العَصْرِ ابنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْوُسِيُّ (ت ٥٢١ هـ) فَهُوَ - بِالإِضَافَةِ إلى بَراعَتِهِ في اللِّغَةِ والنَّحْوِ - في الفِقه - قَدْ مَدَّ بَصَرَهُ إلى الفِلسَفَةِ اليُونانِيَّةِ في أَثناءِ مُعالِجَتِهِ عِدَدًا من المُشْكَلاتِ في الفِكرِ الإِسْلامِيِّ. وَلَهُ من التَّصانِيفِ «شرحُ الخَمْسِ المَقالاتِ الفِلسَفيَّةِ» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٥٨).

ثمَّ نَجَدَ هُنَا أَيْضًا أبا الصَّلْتِ أُمَيَّةَ بنَ عبدِ العَزِيزِ الدَّائِيَّ (ت ٥٢٩ هـ) فَقَدْ كانَ مُشارِكًا في عِدَدٍ من العُلُومِ كَعِلْمِ الحَيْلِ (المِيكَانِيك) والطَّبِّ والفِلسَفَةِ، إلى جَانِبِ بَراعَتِهِ في النِّظَمِ.

ثمَّ هُنَاكَ ابنُ باجَه (ت ٥٣٣ هـ) أَوَّلُ الفِلاسِفَةِ العَقْلِيِّينَ على الحَصْرِ. لَقَدْ أَقامَ ابنُ باجَه الفِلسَفَةَ العَقْلِيَّةَ على أَسَسٍ من الرِّياضِيَّاتِ والطَّبِيعِيَّاتِ قَبْلَ أنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ غَيْرَهُ ذَلِكَ - وَإِنْ كانَ أَفلاطُونُ وأَرِسْطُو قد عُنِيَا بِالْمُنطِقِ، مَعَ الإِيْقانِ بأنَّ أَفلاطُونُ قد خَلَطَ الْمُنطِقَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةً من الخِيالِ.

ثم هنالك أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف الأنصاريّ الإشبيليّ (ت ٥٣٧ هـ) له: كتاب «النكت والأمالى في النقص على الغزاليّ» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٦٢).

- الأدب

قيل إنّ الأدب لم يَزِدْهُرْ في أيام المرابطين لأنّ المرابطين كانوا لا يفهمون الشعر (ولا يتقنون اللغة العربية). وهنا موضع ملاحظات:

★ إنّ يوسف بن تاشفين وحده كان لا يقرب الشعراء:

- لم تكن معرفته بالعربية واسعة.

- كان في سبيل إنشاء دولة. وحينما تكون الدولة في عنفوان قوّتها في دور التأسيس، فقلماً يلتفت القائمون بذلك عادة إلى الشعر (كما اتفق مثلاً للمنصور العبّاسي مع بشار بن بُرد).

- إنّ الشعراء الذين كانوا يتكسّبون من ملوك الطوائف (بحقّ وبلا حقّ) لما أهملهم يوسف بن تاشفين تقولوا عليه مثل تلك الأشياء.

★ ولكن عليّ بن يوسف بن تاشفين ونفراً ممن جاءوا بعده إلى إمارة المسلمين وإلى الولاية على المدن الأندلسية أستمعوا إلى الشعراء وأجازوهم على القصائد.

فمن كبار الشعراء ومشاهيرهم في أيام المرابطين في الأندلس الأعمى التّطيلي (ت ٥٢٠ هـ) وابن الزقاق وابن عبّود وابن خفاجة وابن بقيّ (ت ٥٤٠ هـ).

أمّا الصورة الأدبية في هذا العصر فيجب أن نبدأ فيها بالكلام على المعتمد بن عبّاد الإشبيلي (ت ٤٨٨ هـ)، ونحن نشير إلى شعره الذي قاله في أسره في أغمات (قرب مدينة مرّاكش). إنّ هذا الشعر من نتاج عصر المرابطين. ولا غرابة إذا قلنا إن شعره هذا كان أصدق أشعاره عاطفةً وتعبيراً عن حاله معاً. من ذلك مثلاً قوله يتذكّر أيامه الناعمة الخوالي في قصور إشبيلية:

كنتُ جِلْفَ النّدى وربّ السّاحِ وحبيبَ النفوسِ والأرواح ؛

إِذْ يَمِينِي لِلْبَذَلِ يَوْمَ الْعَطَايَا، وَلَقَبْضِ الْأَرْوَاحِ يَوْمَ الْكِفَاحِ،
 وَشِمَالِي لِقَبْضِ كُلِّ عِنَانٍ يُقْجِمُ الْخَيْلَ فِي مَجَالِ الرِّمَاحِ^(١).
 وَأَنَا الْيَوْمَ رَهْنُ أَسْرِ وَفَقْرِ مُسْتَبَاحِ الْحِمَى مَهِيضُ الْجَنَاحِ^(٢):
 لَا أَجِيبُ الصَّرِيخَ إِنْ حَضَرَ النَّاسُ، وَلَا الْمُعْتَفِينَ يَوْمَ السَّاحِ^(٣).
 عَادَ بَشْرِي الَّذِي عَهَدْتُ عُبُوساً: شَغَلْتَنِي الْأَشْجَانُ عَنْ أَفْرَاحِي^(٤).
 فَالْتَّاحِي إِلَى الْعَيُونِ كَرِيهَةً؛ وَلَقَدْ كَانَ نُزْهَةً اللَّمَّاحِ^(٥)!

وبعد أن كانت حركة التوشيح قد قويت ساعدها منذ مطلع عصر ملوك الطوائف (ومنذ مطلع القرن الخامس)، عاد الشعراء إلى اصطناع الجزالة (سياقة الألفاظ الدقيقة الدلالة في التركيب المتين). ولكن التقليد ظل بادياً على قصائد هؤلاء الشعراء وخصوصاً من أثر ديوان المتنبي وديوان المعري المشرقيين. ولم تكتسب القصائد المقلدة كثيراً من صحة الشعر المشرقي ومئاته.

غير أن هذا كله لم يمنع جانباً من الشعر الأندلسي من الاستمرار على سمة الأول من حيث الرقة والبراعة في وصف الطبيعة، كما نرى عند ابن الزقاق (ت ٥٣٠ هـ) وعند خاله ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ)؛ ولا منع هذا أيضاً من بقاء الموشح الجميل، كما نرى عند ابن بقي القرطبي (ت ٥٤٠ هـ).

ولكن المستغرب في هذا الباب أن الغناء كان في هذا العصر ملتصقاً بالقصيد لا بالموشحات، مع أن الموشحات كانت قد نُظمت في الأصل لمواكبة الغناء. لقد كان الفيلسوف ابن باجة (ت ٥٣٣ هـ) - وابن باجة كان عالماً وشاعراً وموسيقياً أيضاً - يعلم الموسيقى، وكانت عنده قيان (جوار مغنيات) يصنع لهنّ التلاحين، ويعلمهنّ الغناء.

(١) عنان الفرس: زمامه، لجامه، رسنه. أقحم (أدخل) الخيل في مجال الرماح (في المعركة).

(٢) مستباح الحمى (غير قادر عن الدفاع عن ملكي). مهيض: مكسور.

(٣) الصريخ: نداء الحرب. المعتفي: طالب الإحسان. السباح: الكرم.

(٤) البشري (بالكسر): طلاقة الوجه، السرور. الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٥) والتاحي (النظر إليّ).

لا يغيّب في هذا العصر تقليدُ النّاثرين في الأندلس للنّاثرين المشاركة في الأسلوب (مع التّقصير) وفي الأغراض (مع عدد من أوجه البراعة). أما في الأسلوب فقد طغّت الصناعة والسّجّع منها خاصّة على مُعظّم أبواب النثر، وإن لمعَ فيها أحياناً جُملٌ مُغرِبةٌ في الخيال الجميل قليلاً أو كثيراً، كقول أبي الفضل بن شرفٍ (ت ٥٣٤ هـ) مثلاً^(١) (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس، ص ٢٨٣): «العالمُ معَ العِلْم كالناظر للبحر يستعظمُ منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض مُنبَتّة - الفاضلُ في الزمنِ السوء كالصباح في البرّاح»^(٢)، قد يُضيء لو تركته الرّيح».

وفي تقليدِ المشاركة نجد أبا عبد الله بن أبي الخِصال (ت ٥٤٠ هـ) يجري على خطى ابنِ نباتة الفارقي الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) وأبي العلاء المَعريّ (ت ٤٤٩ هـ) والحريّ صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ). وأمّا محمّد بن عبد الغفور الكِلاعيّ (ت ٥٤٢ هـ) فقد آشدَّ إعجابه بالمَعريّ ولم يُقلِّدْهُ فقط في أسلوب رسائله، ولكن في معاني عناوين تلك الرسائل أيضاً، فقد كتب^(٣) رسالة «السّاجعة والغريب» مُعارضة لرسالة «الصّاهل والشّاحج»^(٤) لأبي العلاء (المعريّ). ثم عارضه بتأليف سمّاه «ثمرّة الألباب» مُضاهياً بذلك «سقط الزّند»^(٥).

ومن الممكن أن نضمّ أبا الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٥٠٨ هـ) إلى هذا العصر في هذا الباب، فإنه أبتدأ نوعاً من الرسائل جرى فيها مجرى التّفكّه والسّخرية حيناً أنشأ رسالة يشفع فيها لرجل يُعرف بالزُّرْزِير، فنشأ بعد ذلك نهجٌ في رسائل عُرفت بالزُّرْزُوريات لأنّ ابنَ سراج كان قد تكلم على صاحبه الزُّرْزِير مُوازنّاً بين هذا الرجل وبين الصفات المتصلة بهذا الطائر.

(١) لابن شرف هذا (ت ٥٣٤ هـ) ترجمة مفردة.

(٢) البرّاح: الأرض الواسعة لا نبات فيها.

(٣) ابن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ) له ترجمة مفردة.

(٤) السّاجعة: الهامة. الغريب: الشديد السواد (الغراب). الصّاهل: الحصان. الشّاحج: الحمار. والشّحيج

يقال أيضاً لصوت البغل والغراب.

(٥) سقط الزند (ديوان شعر أبي العلاء المَعريّ).

ونجد في هذا العصر نوعاً غريباً من الرسائل. إن نقرأ من أهل الأندلس لم يُكْتَبْ لهم حظٌّ بالذهاب إلى الحج، فكانوا يكتبون رسائل «مُوجَّهَةً إلى حضرة رسول الله ومطويةً على كثير من التشوُّق والتوسُّل» ثم يبعثون بها مع نفرٍ ذاهبين إلى الحج ليضعوها لهم على قبر الرسول في المدينة. وربما جعلوا مكانَ الرسائل قصيدةً. ونشير هنا إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) فقد أنشأ لهذا الغرض رسائل ونظم قصائد.

والمقامة تلحقُ بالرسالة. كَثُرَ اهتمامُ الأندلسيين في هذا العصر بالمقامات - وبمقامات الحريري خاصةً - فتدارسها الأدبُ وشرحوها وحاولوا النسخَ على منوالها. من ذلك مثلاً مقامةٌ للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) ومقامةٌ لأبي إسحاق بن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) ومقامةٌ لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ثم المقامات اللزومية للسرفسطي الأشركوني (ت ٥٣٨ هـ) - راجع ترجمته.

غير أن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) كان قد ذهبَ بالبراعة في مادّة المقامة (في القصة والموضوعات) كما كان الحريري (ت ٥١٦ هـ) قد ذهبَ فيما بعدُ بالأسلوب فيها (الصناعة اللفظية والمعنوية). وجميع المقامات التي أُنشئت بعد ذلك كانت تقليداً نازلاً عن المرتبة التي أرتفعت إليها مقاماتُ البديع ومقاماتُ الحريري.

- فمن أصحاب المقامات الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم، وردَ في مقامة له (الذخيرة ٢: ١١٤):

.... وكان لي أليفٌ، وعقيدٌ شريف، من صرحاء الإخوان، وصيابة الفتيان، ومُصاص^(١) أعيان الزمان. وحين سَوَّلْتُ لي هَمِّي ما سَوَّلْتُ^(٢) وخيَّلتُ لي أُمْنِيَّتِي ما خيَّلتُ، أَجَلْنَا قَداحَ الرأيِ وأسَهَمْنَا بين القُربِ والنأيِ^(٣): شاورَ في أمري قَرِيحَتَهُ

(١) الأليف: الذي تعودَ صحبتك. العقيد: الكريم. صيابة (سادة) الفتيان (رجال الشجعان البارزين في قومهم اللبقيين في سلوكهم). المصاص: الخلاصة.

(٢) سَوَّلَ فلان لفلان أمراً: زَيَّنَهُ له وجَبَّهَ إليه وأغراه به.

(٣) أجال: أدار. القدح (بالكسر): قطعة من خشب عليها رقم أو علامة تستخدم في لعب الميسر (القمرة). أَجَلْنَا قَداحَ الرأي: تبادلنا الرأي وقلَّبناه على وجوهه. النأي: البعاد، الفراق.

وَنَحَلَ لِي نَصِيحَتَهُ، وَقَالَ: أَرَى الْأَ تَرِيمَ بَيْنَتَكَ وَأُرُومَتَكَ^(١)، وَأَنْ تُوطِنَ أَرْضَكَ وَلَا تُفَارِقَ عَشِيرَتَكَ. وَأَرْبَابُ بَكَ عَنْ مَضَلَّاتِ الْمُنَى، وَأُعِيذُكَ مِنْ تُرَّهَاتِ لَعْلٍ وَعَسَى^(٢)، فَتَحْسَبَ كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً وَتَظُنَّ كُلَّ سُدَاءٍ قَمَرَةً^(٣). وَرَبِّمَا سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سَرَحَانٍ، وَكُلُّ النَّاسِ بِكَرٍّ، وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٤).....

- وَمِنَ الْمُتَرَسِّلِينَ الَّذِينَ يَقْلُدُونَ أُلُوبُ الْمَقَامَاتِ فِي رَسَائِلِهِمُ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ (الذخيرة ٣: ٤٣١ - ٤٣٢):

حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى دَارٍ مِنْفَرَجَةٍ الْأَقْطَارِ، مُسْتَوْفِزَةِ الْأَنْوَارِ^(٥) مُتَدَقِّقَةِ الْأَنْهَارِ، هَوَاؤُهَا جَلَاءٌ لِلغَمِّ وَزِيَادَةٌ فِي الْعُمَرِ، وَضِيَائُهَا شِفَاءٌ لِلْكُظْمِ^(٦) وَانْشِرَاحٌ لِلصَّدْرِ. وَكَأَنَّ مِيَاهَهَا تَنْبَعُثُ مِنْ بَنَانٍ سَيِّدَهَا فَصَارَتْ عَيْنًا سَلْسَبِيلًا وَكَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا^(٧)؛ أَوْ كَأَنَّهَا مَسَّتْ عَيْنًا حَيَوَانًا فَأَنْبَتَتْ مِنَ الزَّبَرْجَدِ رِيحَانًا وَمِنَ الزُّمُرُدِ شَجَرًا فَيَنَانًا^(٨)، وَجَعَلَتْ مِنَ النَّارَنْجِ عُقْيَانًا وَمِنَ الْآسِ لَوْلُؤًا وَمَرْجَانًا^(٩). وَمِثْلَ بِنَا إِلَى التَّاجِ - وَهُوَ مَصْنَعٌ عَلَى مَفْرَقِ الْقَصْرِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ - مُرَدٌّ مِنْ قَوَارِيرِ^(١٠)

(١) نَحَلَ لِي نَصِيحَتَهُ: مَنْحَنِي خِلَاصَةً تَفْكِيرَهُ فِي نَصِيحِي (إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِي). رَامَ يَرِيمُ: تَرَكَ، هَجَرَ. الْبَيْضَةُ:

الْحَمَى (السَّكَنُ، دَارُ الْقَوْمِ) مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ حِمَايَتَهُ (الْوَطَنُ). الْأُرُومَةُ: الْأَصْلُ.

(٢) أَرْبَابُ بَكَ (أَرْفَعُ، أَنْزَعُكَ، لَا أَرْضِي لَكَ). مَضَلَّاتِ الْمُنَى (الْأُمَامِي الْبَاطِلَةُ). التَّرَّهَةُ: الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ، التَّمَنِّي الْكَاذِبُ. لَعْلٌ وَعَسَى (كُنَايَةٌ عَنْ تَمَنِّي مَا لَا يَكُونُ).

(٣) أَيْ تَخْدَعُ بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ.

(٤) سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سَرَحَانٍ (ذُتِبَ): مِثْلُ، أَصْلُهُ: خَرَجَ رَجُلٌ يَطْلُبُ شَيْئًا يَتَعَشَّاهُ (يَأْكُلُهُ فِي الْمَسَاءِ)، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ ذُبَّيًّا فَأَكَلَهُ الذُّتْبُ. كُلُّ النَّاسِ بِكَرٍّ - فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، مِثْلَانِ مَعْنَاهُمَا أَنَّ النَّاسَ يَشْبَهُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

(٥) مُسْتَوْفِزَةُ الْأَنْوَارِ: (لَيْسَ فِي الْقَامُوسِ مَعْنَى مُوَافِقٍ لَهَا - لَعْلٌ الْمَقْصُودُ: مُنْتَشِرَةٌ الْأَنْوَارِ).

(٦) الْكُظْمُ: ذَهَابُ الْغَضَبِ.

(٧) بَنَانٌ: رُؤُوسُ الْأَصَابِعِ. تَنْبَعُثُ مِنْ بَنَانٍ سَيِّدَهَا (الْكَرِيمُ): بِكَثْرَةٍ. عَيْنًا سَلْسَبِيلًا (مَاؤُهَا سَائِغٌ، سَهْلٌ فِي الْحَلْقِ). مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا مَمْزُوجَةٌ بِشَيْءٍ طَيِّبٍ - (الزَنْجَبِيلُ نَبْتُ حَرِيفِ الطَّعْمِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ).

(٨) عَيْنًا حَيَوَانًا: شَيْئًا حَيًّا^(٩). الزَّبَرْجَدُ وَالزُّمُرُدُ (حَجَرَانِ كَرِيمَانِ أَخْضِرَانِ). الرِّيحَانُ نَبْتُ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. الْفَيْنَانُ (الْوَاسِعُ)، وَاسِعُ الظِّلِّ.

(٩) النَّارَنْجُ: نَوْعٌ مِنَ اللَّيْمُونِ. الْعَقِيقُ وَالْمَرْجَانُ: (أَحْمَرَانِ).

(١٠) مِيلُ الْمَجْهُولِ مِنْ مَالٍ. مِيلُ بِنَا: ذَهَبُوا بِنَا، قَادُونَا الْمَصْنَعُ: الْبِنَاءُ الْعَظِيمُ. مُرَدٌّ: مُصْقُولٌ، أَمْلَسَ.

قَوَارِيرِ: زَجَاجٍ

وَأَلْبَسَ الصُّبْحَ الْمُسْتَنِيرَ، وَقَلَّدَ قِلَادَةَ الطَاوُوسِ وَنُقِطَ نَقْطَ الْعُرُوسِ^(١).....

- وكان للجدِّ والهزل دَوْرٌ في هذا العصر، وفي النثر والشعر. فمن الذين سلكوا هذا المسلكَ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ، قال من رُقعة كتبها إلى ابنه لما توجَّهَ أبْنُه إلى الغرب (غرب الأندلس) - وقد بلغه عنه أنه آنفَسَ في اللهو والشراب - قال:

.... فَازَ، يَا بُنَيَّ، مَنْ اسْتَشْعَرَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى^(٢) وَاعْتَصَمَ بِجَبَلِ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَتَحَصَّنَ بِالْعَفَافِ وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ^(٣)، فَلَمْ يَزَاجِرِ الْأَقْدَارَ وَلَا غَالِبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٤).... فَأَخْبِرْنِي، يَا تَاجِرَ الْبَحْرَيْنِ وَسِمَارَ الْعِرَاقَيْنِ وَدَلِيلَ الْحِجَازَيْنِ وَخَرِيتَ الْفَلَاتَيْنِ وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرِيتَيْنِ^(٥)، أَتَيْسُ بِكَ مِنْ خَرَّاجٍ وَلَا جِ مَاضٍ عَلَى السُّرَى وَالْإِدْلَاجِ^(٦)، جَرِيءٌ عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ، كَالسِّيرَاجِ الْوَهَّاجِ

(١) قِلَادَةُ الطَاوُوسِ (كناية عن تنوع الألوان وجمالها). نقط العروس: صبغ أصابع يد العروس بالحناء (٢).

(٢) استشعر: لبس (لباس) البرِّ والتقوى. العروة الوثقى (التينة): الرباط المكين (كناية عن الاتِّحاد).

(٣) تبَلَّغَ: اقتصر على، اكتفى. الكفاف (ما يكفي لحفظ الحياة) الحد الأدنى ممَّا يحتاج إليه الإنسان.

(٤) لم يَزَاحِمِ الْأَقْدَارَ (لم يحاول أن يتغلب على مجرى الأيام). ولا غالب الليل والنهار (الزمن وما يأتي به من خير أو شر).

(٥) تاجر البحرين (التاجر باللؤلؤ). وسمار العراقين (البصرة والكوفة: طريق التجارة من الهند والصين). ودليل الحجازين: مكة والمدينة (٤) لشرف الزيارة إليها. الخريت: الدليل الحاذق الحبير. الفلاتان (الفلاة: الأرض الواسعة الخالية. الفلاتان للتقوية؟) ابن عظيم القرينتين - الصواب «أحد ابني عظيمي القرينتين» (مكة والطائف). في القرآن الكريم ٣٤: ٣١، وقالوا: «لولا نُزِّلَ (بالبناء للمجهول مع تشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القرينتين عظيم»، أي الوليد بن المغيرة (ت ١ هـ = ٦٢٢ م) زعيم قريش في الجاهلية وأحد أغنيائها الكبار؛ (من أهل مكة) ثم عروة بن مسعود الثقفي (ت ٩ هـ = ٦٣٠ م) من أهل الطائف، وكان أيضاً عظيماً في قومه (وقد أسلم، ولكن قومه قتلوه).

(٦) خَرَّاجٌ: كثير الخروج. وَلَا جِ: كثير الولوج (الدخول). وفي تاج العروس (الكويت ٦: ٢٦٤): «ورجل خَرَّاجٍ وَلَا جِ (بتشديد الراء واللام) أو خروج ولوج (بتسهيل الراء واللام) أو خرجة ولجة (بضم ففتح ففتح فيها): كثير الدخول والخروج (عظيم النشاط، له مقدرة في معالجة الأمور). ماض (صاحب عزم) على السُّرَى (السفر في الليل) جريء على الإدلاج: سير الليل كله (بلا توقُّف).

والعارض الثَّجَّاج^(١).....

صَحَّ عِنْدِي أَنَّ الْعَسْلَ فِي تِلْكَ الْجَهَةِ مُمَكِّنٌ غَيْرُ غَالٍ وَمُنْحَطٌّ غَيْرُ عَالٍ، فَتَنَاوَلَ
إِقَامَتَهُ وَتَرْكِيبَهُ، وَأَتَقَنَ صِنَاعَتَهُ وَتَرْبِيَّتَهُ. لَقَدْ نَسِيتُ، يَا بُنَيَّ، أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ
بِنَسْخَةٍ فِي تَرْبِيبِ الْعَسْلِ الْمَشْرُوبِ مُطَابِقَةً لِلْمَرْغُوبِ التَّقَطُّطِهَا مُغْتَنًا عَنْ فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ
كَانَ أُنْتَخِبَهَا لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْحَابِهِ...^(٢)

- ولأبي عبد الله محمد بن مسعود هذا أرجوزة خاطب بها الوزير ابن بقنه^(٣) على
لسان جارية كان الوزير قد أهداها إليه وضاعت حالها بين يديه، فقال (الذخيرة ١:
٥٥٣ - ٥٥٤) على لسان الجارية تشكو إلى الوزير ما تلاقيه في دار ابن مسعود:

وَهَبَّتَنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعٍ	فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيٍّ الْمَوْضِعِ.
جَعَلْتَنِي أُسِيرَةً مَمْلُوكَةً	لَطَلْعَةٍ حَائِلَةٍ صُعْلُوكَةٍ ^(٤) ،
يُعْزَى، عَلَى الْقَالَ، إِلَى مَسْعُودٍ،	وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ ^(٥) .
كَمَا يُكْنَى بِأَبِي الْبَيْضِ	أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلُمِ ^(٦) .
أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ،	وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرٍ.
أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ	فَرِيًّا حَازَ نَفْسَ الْمَجْدِ،
يَضْرِبُ بِالسِّيفِ وَلَا يُقَاسِي	خُطَّةَ خَسْفٍ بِسُؤَالِ النَّاسِ ^(٧) .
قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشَّعْرُ،	فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبَرَايَا قَدْرُ.
لَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلسُّوقِ،	إِذَا بَدَأَ فِي كُسُوفِ الْفُرْنُوقِ ^(٨) ،

(١) الداجي: المظلم. العارض: الغيم المقبل مطر. الثَّجَّاج: الكثير الماء (غزير المطر).

(٢) المنصور بن أبي عامر: الحاجب (كبير الوزراء بالأمور في آخر الخلافة المروانية في الاندلس) (ت ٣٩٢ هـ).

(٣) قراءة هذا الاسم محيرة (راجع الذخيرة ١: ٥٥٢، الحاشية ٥).

(٤) الطلعة: الوجه. حائل: متحوّل (متغير)، لا يعرف له لون ثابت. صعلوك: فقير.

(٥) يعزى: ينسب. على القَالَ: إذا تفاءلنا به (ظننا فيه خيراً).

(٦) السروة شجرة طويلة مائلة في خضرتها إلى السواد (... لشدة سواده لا يرى).

(٧) خُطَّة (طريقة) خسف (ذل).

(٨) الفرنوق: طائر طويل الساق. إذا بدأ في كسوف الفرنوق (عارياً أو كالعاري).

مُشْمَرًا فِي الْوُخْلِ عَنْ سَاقِيهِ مُدَاوِلًا عَصَاهُ فِي كَفِّيهِ.
فَمِرَّةٌ يُعْطِي وَأَلْفًا يَمْنَعُ، وَمِرَّةٌ يَمْشِي وَعَشْرًا يَقْـُوعُ.

ونشأت في هذا العصر «مجاميع الشعر»، بدأها الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) بكتابين: «مطحح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس» جمع فيه نماذج ثلاث طوائف من الذين قالوا الشعر قبل أيامه^(١): ثمانية عشر من الوزراء وتسعة عشر من الفقهاء وأربعة عشر من الأدباء، ذكر في مقدمة «المطحح» أن الذي ندبه إلى جمعها الوزير أبو العاصي حكيم بن الوليد^(٢). والذي يبدو أن الفتح بن خاقان قد جمع هذه النماذج هوناً وعفوَ يده لملحة في كل نموذج عذها أهلاً لأن تُذكر في كتابه. ولست أدري بأي شيء استحق «الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرّة» (ت ٣١٨ هـ) مكاناً في «المطحح» (ص ٥٨) بهذين البيتين وحدهما:

أَقْبَلُ فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ دَجَنُ إِلَى مَكَانٍ كَالضَمِيرِ مَكْنِي^(٣)
لَنَا بِحُكْمٍ فِيهِ أَشْهَى فَنِّ فَأَنْتَ فِي ذَا الْيَوْمِ أَمْشِي مِنِّي^(٤).

مع أن الفتح بن خاقان قد ذمه وكشف عن إلحاده.

وأما «قلائد العقيان ومحاسن الأعيان» فهو أكبر حجماً من «المطحح» وأوفى اختياراً. ولكن يبدو أن الفتح قد قصره على المعاصرين له وزاد في مدحهم على حسب ما نال من عطائهم.

وللنماذج التي اختارها الفتح في كتابيه «المطحح» و «القلائد» مقدمات إنشائية لفظية ليس فيها فائدة تاريخية ولا هي صالحة لأن تكون أساساً لمعرفة خصائص الشاعر. ولا ريب في أن الصفات التي كان يخلعها الفتح على كل شاعر كانت تستند إلى رضا الفتح عنه. فبالغاب أن الفتح قد أراد التكبُّب في «القلائد»

(١) راجع بالنشيا ٢٩٨.

(٢) راجع مقدمة المطمح (منقول بعضها في نفع الطيب ٧: ٦٠).

(٣) دجن: غيم. مكني (مستور عن عيون الناس).

(٤) لنا بحكم فيه (نحن نحكم فيه بما نشاء: نفعل ما نشاء من هو). أمشي مِنِّي: أقدر على المشي مِنِّي (أبرع مِنِّي في ذلك اللون من اللهو).

من الشعراء الذين سلكهم في كتابه.

قال الفتح بن خاقان في مطلع « ترجمة » الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي^(١) في « المطمح » (ص ٤): « تجرّد للعليا وعرد في طلب الدنيا حتى بلغ المني وتسوّغ ذلك الجنى^(٢). فما دون سابقية وارتقى إلى رتبة لم تكن للبينتية بمطابقة^(٣). فالتاح في أفياء الخلافة وآرتاح إليها ببطفه كنشوان السّلاقة^(٤). وأسوّزرة المستنصر، وعنه كان يسمع وبه يُبصر.....^(٥) ».

هذا كلام قد يكون حلّواً في الخيال، وهو منطوق على شيء من الحقيقة. ولكن لا يستطيع أحد أن يصل إلى هذا الشيء من الحقيقة إلا إذا كان عارفاً بالمصحفي وبأحواله معرفة تامة. وإنّ ممّا يؤسف له أنّ هذه الخطّة الرديئة قد تركت أثرها ظاهراً على كثيرين من الذين جمعوا مختارات من الشعر كأبن بسّام (ت ٥٤٢ هـ) في « الذخيرة » حتى نصّل إلى لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في « الكتيبة الكامنة » وسواها. وكذلك فعل الحجاري (ت ٥٥٠ هـ) لما وضع كتابه « المسهب ». ثمّ أنتقل هذا السوء (مع الإيجاز) إلى « المغرب » لابن سعيد العنسي (ت ٦٨٥ هـ).

- النقد :

نبدأ في النقد الأدبي في هذا العصر بالفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مع أنّ نقده، يتعلّق في الأكثر بالشاعر لا بشعره. ثمّ إن أحكامه شخصية قاصرة في جملي عاطفية مسجوعة. ومع ذلك ففيها بذور من النقد مفيدة في عدد من الأحيان. فمن أحكامه التي لا فائدة فيها قوله في أبي عامر بن شهيد (المطمح ١٦): « عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قصب السبق فيها. لا يُسبّه أحد من أهل زمانه، ولا يُنسق في نسق

(١) للمصحفي هذا ترجمة مستقلة (ت ٣٧٢ هـ).

(٢) الجنى: الثمر. تسوّغ (ليست في القاموس): أجاز الأمر لنفسه، وجد ذلك الأمر سائغاً.

(٣) اللبينة: (٩) اللبين (الذي يربى على لبن الحيوان - البقر، مثلاً).

(٤) التاح: عطش، تغيّر (لا معنى لها هنا) - لعلّه يقصد رؤى. النشوان: السكران. السلاقة: الخمر.

(٥) المستنصر: الحكم (مكث في الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ) ابن عبد الرحمن الناصر. عنه

يسمع وبه يبصر (يعتمد عليه في أفعاله).

من درّ البيان وجبانه. توغلّ في شعاب البلاغة وطرقها، وأخذ على مُتعاطيها ما بين مفرّجها ومشرقها. لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف إلا من بحر.....»، وأما أحكامه التي تنطوي على شيء من الفائدة فقوله في أبي حفص أحمد بن بُردٍ (المطمح ٢٤): «وأبو حفص هذا بديعُ الإحسان بليغ القلم واللسان، مليحُ الكتابة فصيح الخطابة. وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرقِ بَيْنَها. وشعره مُثَقَّف المباني....».

وعرّضَ ابنُ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) في مقدمة ديوانه لشيء من النقد المنظم فأعتمد في تقديم الشاعر على ما في شعره من جَزَالَةٍ وَرَقَةٍ. ثم هو يرى أنّ الشعرَ قائمٌ في الأصل على التخيل (على الزيادة فيما يرى الشاعر في الواقع) وليس في ذلك شيء من الكذبِ ضرورةً. وابنُ خَفَاجَةَ أميلُ إلى الأخذ بالجانب الفني (جمال التعبير وغرابته) منه إلى الجانب الأخلاقي (موافقة الشاعر في أقواله لعادات زمانه ومكانه) لأنه يذهب إلى أن الشعرَ تعبيرٌ عن الواقع الشخصي للشاعر نفسه.

ولأبي الطاهر الاشتراكي (ت ٥٣٨ هـ) أحكامٌ ساقها في مقامتين له: أحكامٌ عامّةٌ قليلةُ الفائدة جمَعَ أكثرها من أقوال الذين سبقوه (راجع ترجمته).

ومَعَ أن ابنَ بَسَّامٍ (ت ٥٤٢ هـ) صاحبَ «الذخيرة» قد سار في تعريف الشعراء على خطى الفتح بن خاقان أو قريباً من ذلك في النثر الأنيق المسجوع، فإن في كتابه «الذخيرة» أسساً للنقد متفرقة لا نجد فيها شيئاً من الابتكار. كان ابنُ بَسَّامٍ يُريد إبرازَ بدائع الأدب الأندلسي لوماً لأولئك الذين يروون الإحسان في شعر المشاركة وحدهم. ثم إنه يميلُ إلى الجانب الأخلاقي في الشعر فيَحْمِلُ على الهجاء ويُهْمِلُ إيراد ما قُبِحَ منه. وأما كُرُهُ ابنِ بَسَّامٍ للإكثار من المعاني الفلسفية في الشعر ونُفُورُهُ من الاستعارات البعيدة ثم استحسنه الإشارة إلى الأحوال دون التفصيل فيها إلى جانب مَذْهِبِهِ للبديهة والأرتجال فأشبههُ مشهورةٌ عند ابن رشيقي (ت ٤٥٦ هـ). وابن بَسَّامٍ لا يَفْسَحُ في كتابه الواسع مكاناً للموشحات.

أما الذي قَصَدَ إلى النقد في هذا العصر ثم توفّر عليه فكان ابن عبد الغفور الكِلَاعي (ت ٥٤٣ هـ) في كتابه إحكام صنعة الكلام، مع العلم بأن هذا الكتاب

أَلْصَقُ بعلم البلاغة عامةً منه بفنّ النقد خاصةً. وأكثرُ آهتَامِهِ في هذا الكتاب بالنثر، وقد وفّاه حقه من جَعَلِهِ أنواعاً ومن تعريفِ تلك الأنواع. وهو يُفَضِّلُ النثرَ على الشعر.

ومَعَ تأخُرِ ابن خَيْرَةَ المواعيني (ت ٥٦٤ هـ) في الزمن فإننا نستطيعُ أن نسلُكُهُ في عصر المرابطين. لابن خيرة كتبُ في النقد منها «الرَّيْحَانُ والرَّيْعَانُ» اعتمد فيه كثيراً من كتب المشاركة. فهو يرى حُسْنَ مَخارج اللفظة المُفْرَدَةِ (بتباعد مَخارج حروفها طلباً للوضوح في اللفظ) وحسن تأليفها (تركيبها في الجملة) مَعَ الموافقة بين اللفظ والمعنى. ويرى أيضاً الِاتِّعَادَ (في الشعر) عن الضَّرُورَاتِ (الجوازات الشاذّة) وعن الحشو والإخلال (زيادة الألفاظ أو نقصها عما يجب). ولكن لا بأس بالكذب (المبالغة) في الشعر. أمّا الخطابة فيجب أن تكون أقرب إلى الواقع.

صورة الحياة العامة

كانت الصلاتُ بين العدوتين: العدوّة الأوروبيّة (الأندلس) والعدوّة الإفريقية (المغرب) وثيقة دائماً، وكان التبادل الاجتماعي والثقافي كثيراً. ولما بسط المرابطون نفوذهم السياسيّ على الأندلس كثُرت تلك الصلّات وتوثّقت. وقبل مجيء المرابطين إلى الأندلس كانت الأندلس من الناحية السياسة في دَرَكٍ انحطاطها. فلما انتصر يوسفُ بنُ تاشفينَ على الإسبان وحطّم مقاومتهم العسكرية، إلى حين، استروح المسلمون في الأندلس رِيحَ القوة وتجدد أملُهم في البقاء. وأدرك نصارى الأندلس أنهم قد هُزموا في معركةٍ فاصلة (معركة الزلاقة) ولكنهم لم يتركوا القتال. ثم إن نصارى أوروبا (بزعامة البابوية) زادت في عزميتها على الحرب. ولما أيقنت البابوية أنها لن تقوى على مُجابهة يوسف بن تاشفين وجّهت وجهها نحو الشرق ونقلت حربها الصليبيّة من الأندلس إلى فلسطين.

بعدَ القضاء على ملوك الطوائف أصبحَ للأندلس حاكمٌ واحد، كان أميراً من المرابطين. وكان هذا الأمير المرابطي يُعَيِّنُ على قواعد الأندلس (المُدُن الكبيرة فيها) وُلاةً. ويبدو أن الولاة كانوا دائماً من المرابطين (أهل المغرب) ولكن الوزراء كان

بالإمكان أن يكونوا من الأندلسيين، فلقد وَزَرَ ابنُ بَاجَه مَثَلًا لأبي بكرِ بنِ إبراهيمَ اللمتوني في غرناطة. وكذلك لم تكن مُدَّةُ الوَلَاةِ على الأندلس تطولُ في العادة - وإن كان سِيرُ بنِ أبي بكرٍ قد ظَلَّ في ولايته إشبيلية سبعةً وعشرين سنةً - كيلا يُحاول أحدٌ منهم الاستبدادَ بالبلدِ الذي تحتَ يده.

ثم إن المرابطين حَرَصُوا على دَوَامِ العَدَلِ في الرعيَّة، فقد كتب أبو القاسم بنُ الجَدِّ (على لسانِ يوسُفَ بنِ تاشفين) رسالةً إلى أبي محمد بنِ فاطمة (أحدِ عُمَّاله - ولا رَيْبَ في أَنَّ فَحْوَى هذه الرسالة يُمكنُ أن يَنْطبقَ على أهلِ المغرب وعلى أهلِ الأندلس) يقولُ:

« فَاتَّخِذِ الْحَقَّ إِمَامَكَ وَمَلِّكَ يَدَكَ زِمَامَهُ، وَأَجِرْ عَلَيْهِ فِي الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ أَحْكَامَكَ. وَارْفَعْ لِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ حِجَابَكَ وَلَا تَسُدَّ فِي وَجْهِ الْمُضْطَّهِدِ بَابَكَ. وَوَطِّئِ لِلرَّعِيَّةِ - حَاطَهَا اللَّهُ - أَكْنَافَكَ. وَابْذُلْ لَهَا إِنْصَافَكَ. وَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهَا مَنْ يَرْفِقُ بِهَا وَيَعْدِلُ فِيهَا، وَاطَّرَحْ كُلَّ مَنْ يَحِيفُ^(١) عَلَيْهَا وَيُوْذِيهَا. وَمَنْ سَبَّبَ عَلَيْهَا مِنْ عُمَّالِكَ زِيَادَةً أَوْ خَرَقَ فِي أَمْرِهَا عَادَةً، أَوْ غَيَّرَ رِسْمًا أَوْ بَدَّلَ حُكْمًا، أَوْ أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا دِرْهَمًا ظُلْمًا، فَاعْزِلْهُ عَنْ عَمَلِهِ وَعَاقِبْهُ فِي بَدَنِهِ، وَالْزِمْهُ رَدًّا مَا أَخَذَ - تَعَدِّيًّا - إِلَى أَهْلِهِ وَاجْعَلْهُ نَكَالًا^(٢) لغيرِهِ حَتَّى لَا يُقَدِّمَ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ فِعْلِهِ » (قلائد العقيان ١٢٧ - ١٢٨).

وكان لوزراء المرابطين سُلْطَةٌ واسعة لا تقتصر على المغرب فقط بل تتناول الأندلس أيضاً، كما كان للقضاة مثل تلك السلطة، ذلك لأنه كان للفقهاء أثرٌ كبير في نُصرة المرابطين، فقد كانوا حَبَّبُوا حُكْمَ المرابطين إلى الناس - بعد أن كان حُكْمُ ملوكِ الطوائف قد أَمَلَّ الناسَ لكثرة ما كان في عهدهم من الترف ومن الحروب التي ضيَّعتْ بلاداً كثيرة فنقلتها من حُكْمِ ملوكِ الطوائفِ المسلمين إلى حُكْمِ ملوكِ الإِسبانِ النصارى.

(١) حاف: جار وظلم.

(٢) النكال: العقاب (بشدة تردع الآخرين من الوقوع في الذنوب).

وهؤلاء القضاة الذين أصبحت لهم السلطة الواسعة على الناس في المغرب والأندلس معاً، بما كان المرابطون قد خولّوهم من المكانة لم يتركهم سلاطين المرابطين بلا نصّح أو تذكير بلزوم العدل في الناس والرفق بهم. إن القاضي لما أصبحت له السلطة والرقابة على القضاء والفتيا والشورى والخطبة (يوم الجمعة) وعلى أحكام السوق كلها (رقابة سلوك الناس ثم الفصل في منازعاتهم)، مما كاد يجعله حاكماً فرداً، مال في عدد من الأحوال إلى شيء من الاستبداد وإساءة التصرف. من أجل ذلك كتب ابن القصيرة الإشبيلي (ت ٥٠٨ هـ) إلى قاضي الجماعة بقُرطبة ابن حمدين (تولى القضاء من سنة ٤٩٠ إلى وفاته في المحرم من سنة ٥٠٨) - على لسان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - (الذخيرة ٢ : ٢٦١):

« استهد الله يهدك، وأستعين به يُعَنِّكَ في صدرك وورذك^(١). وتولّ القضاء الذي ولاكّه الله بجدّ وحزم وجلدٍ وعزم. وأمضِ القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه.. وآس^(٢) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع قويٌّ في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك. ولا يَكُنْ عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقّ له، ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحقّ منه..... » (إن هذه الرسالة - والجمل الأخيرة منها خاصة - مأخوذة من رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء).

ومع هذا كلّه فقد أساء نفر من القضاة تصرّفهم في الرعية وأموال الرعية، حتى قال الشاعر الأندلسي ابنُ البني يهجو قاضي قضاة قُرطبة ابنَ حمدين نفسه (المعجب ١٢٢: راجع نفح ٣ : ٤٤٨ - هي للأبيض).

أهل القضاء، لبستموا ناموسكم كالذئب أذلج في الزمان العام^(٣)،

(١) الصدر (الرجوع عن الماء بعد الشرب) والورد (بالكسر) والورود (الذهاب إلى الماء للشرب): في جميع أعمالك.

(٢) آسى بين الشخصين: سوى بينهما.

(٣) عثم (بفتح ففتح) الليل: بدأ ظلامه. أذلج: سار في أول الليل. الناموس: الشريعة (القانون) - لبستم ناموسكم (تخذتم عملكم في القضاء ستاراً على استغلال القضاء وظلم الناس).

فَمَلَكَتُمُو الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ^(١)، وَقَسَمْتُمُو الْأَمْوَالَ بَيْنَ الْقَاسِمِ^(٢).
وَرَكِبْتُمُو شُهَبَ الدَّوَابِّ بِأَشْهَبِ^(٣)، وَبَاصْبَغٍ صُبِّغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(٤).

★ ★ ★

والمغاربة كانوا دائماً كثيرًا في الأندلس، ولكنهم الآن أصبحوا أهلَ طَبَقَةٍ سَائِدَةٍ وأخذ كثيرون من الأندلسيين يقلدونهم في اللثام^(٥) خاصة ويسيثون التصرف في الأمور أيضاً، بالإضافة إلى حياة الترف البالغ التي كانوا يَحْيَوْنَهَا. وبرزت المرأة في الأندلس - تشبهاً بالمرأة الصنهاجية من المثلثين^(٦) - فوق ما كان لها من البروز قبل الحكم المرابطي في الأندلس. ثم لم يَخُلْ عصر المرابطين في الأندلس من مثل رجل شعوبي كأي عامر بن غرسية (راجع أخباره المفصلة في الجزء الرابع).

الحياة الثقافية

إنَّ الاتجاهَ الدينيَّ الواضحَ في نشأة دولة المرابطين ظَهَرَ بارزاً جِدًّا في الحديث. غيرَ أنْ جُهدَ المُحدِّثين أنصرفَ إلى أمورٍ جانبية في الأكثر: في مختاراتٍ مُعَيَّنة من كتب الحديث وفي تعريفِ رجالِ السَّنَدِ في الحديث وفي أشياء من أصول التَّحْدِيثِ،

-
- (١) مذهب مالك (بن أنس): المذهب الرسمي في المغرب والأندلس - ملكتم الدنيا بمذهب مالك: استفلتم اتناؤم إلى المذهب الرسمي للحصول على المغام الشخصية.
 - (٢) وقسموا (اقتسموا) الأموال (بينكم) بَيْنَ الْقَاسِمِ = أبو عبد الله عبد الرحمن بن قاسم العتقي (بضم ففتح) فقيه مصري (١٣٢ - ١٩١ هـ) تفقَّه على الإمام مالك وصحبه عشرين سنة. وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك. وهو صاحب «المدونة» (المصدر الرئيس في الفقه المالكي)، وعنه أخذها سحنون (ت ٢٤٠ هـ).
 - (٣) ركبتم شهب الدوابِّ (البغال): نلتم المناصب العالية وتتمتع بالحياة الناعمة. وأشهب بن عبد العزيز القيسي (١٤٥ - ٢٠٤ هـ) فقيه مصر في زمانه صحب الإمام مالك زماناً.
 - (٤) أبو عبد الله أصبغ بن الفرّج المصري (ت ٢٢٥ هـ) كان تلميذ ابن القاسم. صبغت لكم (اللقمة) بأدم (بفتح ففتح): وضع لكم دسم على خبزكم (تغنمتم في الحياة).
 - (٥) اللثام: القناع - جعل الأندلسيون يضعون اللثام على وجوههم (تقليداً للمرابطين ليتصرفوا كأنهم حكام أو أعيان).
 - (٦) كانت المرأة من المرابطين برزة (تكشف عن وجهها - بخلاف الرجال من قومها).

نذكر من هؤلاء: الحسين بن محمد الغساني الجبائي (ت ٤٩٨ هـ) له «تقييد المهمل وتمييز المشكل من رجال الصحيحين»، وله «الكنى والألقاب». وقد كان بارعاً في التحديث، رحل الناس إليه وأخذوا عنه. وهناك رزين بن معاوية العبدري (ت ٥٢٤ هـ) له «التجريد في الجمع بين الموطأ والصحاح الخمس»، وله «أخبار مكة والمدينة وفنائها». ولعبد الله بن علي الرشاطي (ت ٥٤١ هـ) تصانيف في تصحيح كتب الحديث وفي أنساب الصحابة. وكذلك لابن وكيل الإقلشي (ت ٥٤٩ هـ) مختارات من كتب الحديث وشيء من التأكيد على الجانب الصوفي منها. ومثله في الميل إلى الجانب الصوفي عبد المجيد بن عمر الميايشي (ت ٥٧٩ هـ). وكان لمحمد بن علي بن ياسين الأنصاري الجبائي مختارات من روايات من أسم كل واحد منهم محمد. واشهر هؤلاء في العصر الذي نعالجه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) والقاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤ هـ).

وكان الميل في هذا العصر إلى الفقه السلفي مع التشدد في الجوانب النظرية منه وفي الفروع أيضاً. لقد رفع المرابطون (في المغرب وفي الأندلس) لواء السنة ورفضوا الرأي والفلسفة، وبلغ من تشددهم أن أحرقوا كتب الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مع العلم بأن الصلات بين الغزالي ويوسف بن تاشفين كانت حسنة، وكان من المنتظر أن يستجيب الغزالي لدعوة يوسف بن تاشفين في الهجاء إلى المغرب لولا وفاة ابن تاشفين في سنة ٥٠٠ هـ. غير أن هذا التشدد لم يمنع من الجدال ومن اتجاه نفر من الفقهاء نحو علم الكلام من أمثال ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) ويحيى ابن عمر بن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ). ولقد ذهب بالشهرة في أصول الفقه والكلام وفي فروع الفقه أيضاً أبو بكر بن العربي والقاضي عياض.

ثم يحسن أن نذكر من فقهاء هذا العصر أبا الوليد بن رشد الجد (ت ٥٢٠ هـ) ومحمد بن علي المازري الصقلي (ت ٥٣٦ هـ) ثم أبا بكر بن العربي والقاضي عياضاً أيضاً.

ثم ننتقل إلى العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية.

كان إبراهيم بن يحيى المعروف بابن النقاش الزرقالي (ت ٤٩٣ هـ) بارعاً في علوم

الفَلَكِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ لَهُ كِتَابُ الْعَمَلِ بِالصَّحِيفَةِ الزَّيْجِيَّةِ (لِلإِسْتِدْلَالِ عَلَى حَرَكَاتِ النُّجُومِ) وَكِتَابُ حَرَكَاتِ النُّجُومِ الثَّابِتَةِ (الثَّابِتَةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَرْضِ)، وَلَهُ أَيْضاً «الْمُدْخُلُ إِلَى عِلْمِ النُّجُومِ». ثُمَّ هُوَ أَبرَعُ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي رَصْدِ النُّجُومِ.

وَلَأَبِي الصَّلْتِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (ت ٥٢٩ هـ) بَرَاعَةٌ فِي الطِّبِّ وَالْأَدَبِ وَغَيْرِهِمَا، وَلَكِنْ بَرَاعَتُهُ الْبَارِزَةُ كَانَتْ فِي الْفِيزِيَاءِ وَفِي عِلْمِ الْحَيْلِ (الْمِيكَانِيكِ) خَاصَّةً.

وَاشْتَهَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَالِمَانِ فِي الْجُغَرَفَايَةِ أَحَدُهُمَا الشَّرِيفُ الْإِدْرِيسِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «نُزْهَةِ الْمُشْتَقِّاقِ فِي اخْتِرَاقِ الْآفَاقِ» أَلَّفَهُ حِينَما انْتَقَلَ إِلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةَ لِمَلِكِهَا رُجَّارَ (رُوجَرَ) الثَّانِي النُّورْمَانِي، وَلِذَلِكَ يُعْرَفُ كِتَابُهُ أَيْضاً بِعُنْوَانِ «الْكِتَابِ الرَّجَّارِيِّ». وَلَقَدْ اسْتَعَانَ الشَّرِيفُ الْإِدْرِيسِيُّ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ بِنَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَانُوا يَنْبَغُ لَهُمْ إِلَى الْأَقْطَارِ الْمُخْتَلِفَةِ (وَالْقُرْبَى مِنْهُ) مَعَ الْمَسَاحِينَ وَالرَّسَامِينَ لِدِرَاسَةِ طَبِيعَةِ الْبِلَادِ الَّتِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهَا. وَلَقَدْ وَضَعَ الشَّرِيفُ الْإِدْرِيسِيُّ لِلْعَالَمِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ خَارِطَةً عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الدِّقَّةِ وَاصْطَلَحَ فِيهَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْجَنْوُبُ فِي جَانِبِهَا الْأَعْلَى (بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْإِصْطِلَاحُ الْيَوْمَ مِنْ أَنْ الشَّامُ هُوَ الْجَنْبُ الْأَعْلَى). ثُمَّ إِنَّهُ رَسَمَ الْعَالَمَ عَلَى كُرَّةٍ مِنَ الْفِضَّةِ. ثُمَّ يَأْتِي هُنَا أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمَازِنِيُّ (ت ٥٦٥ هـ)، وَكَانَ رَحَّالَةً كَثِيرَةً الْأَسْفَارَ بَعِيدَهَا زَارَ بِلَادَ الْبُلْغَارِ وَالرُّوسِ وَالْخَزَرِ وَخَوَارَزْمَ (فِي الْجَنْبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ أَوْرُوبَةِ خَاصَّةً). وَلِلْمَازِنِيِّ كِتَابٌ مِنْهَا: الْمُعَرِّبُ فِي عَجَائِبِ الْمَغْرِبِ - تُحْفَةُ الْكِبَارِ فِي أَسْفَارِ الْبَحَارِ.

وَاشْتَهَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَوَّامِ (ت نَحْوَ ٥٨٠ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «الْفِلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ» جَمَعَهُ مِنْ مَصَادِرَ مُخْتَلِفَةٍ يُونَانِيَّةٍ فِيهِ الْأَكْثَرُ ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ مِلَاحَظَاتِهِ الْكَثِيرَةَ.

وَلَمَعَ الطِّبُّ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ مِنَ التَّارِيخِ لَمَعَانًا شَدِيدًا. لَقَدْ أَزْدَانَا هَذَا الْعَصْرُ بِأَتْنَيْنِ مِنْ بَنِي زُهْرٍ أَوَّلُهُمَا أَبُو الْعَلَاءِ زُهْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٢٥ هـ) وَكَانَ بَارِعًا جِدًّا فِي التَّطْبِيبِ فَنَالَ مَنْزِلَةَ سَامِيَّةٍ عِنْدَ الْمُرَابِطِينَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَيْضاً بَذِيءَ اللِّسَانِ كَثِيرَ التَّكَبُّرِ. أَهْدَى إِلَيْهِ رَجُلٌ نُسْخَةً مِنْ كِتَابِ «الْقَانُونِ» لِابْنِ سِينَا (وَلَمْ يَكُنْ كِتَابُ الْقَانُونِ قَدْ وَصَلَ بَعْدُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ) فَازْدَرَى الْكِتَابَ وَجَعَلَ يَقْطَعُ مِنْهُ طُرّاً (قِطْعاً).

يَكْتَبُ عَلَيْهَا وَصَفَاتِهِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ فِي نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثِّقَةِ بِالنَفْسِ وَعَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبِرَاعَةِ، فَإِنَّهُ - فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - يَدُلُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْجَهْلِ وَقِلَّةِ التَّهْذِيبِ. وَكَذَلِكَ بَرَزَ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُهَيْرٍ (ت ٥٥٧ هـ) فِي التَّطْيِيبِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَكَانَ نَاجِحاً جَمَعَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ثَرَوَةً عَظِيمَةً. وَلَكِنْ كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ شَاذَةٌ مِنْهَا أَنَّهُ مَنَعَ الْحَمَامَ (الْإِغْتِسَالُ بِالْمَاءِ) ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمَاءَ يُدْخِلُ عَلَى الْجَسْمِ عُفُونَةً تَضُرُّ بِهِ. وَلَعَلَّ ابْنَ زُهَيْرٍ هَذَا كَانَ مُتَأَثِّراً بِسُلُوكِهِ فِي ذَلِكَ بِنَصَارَى أَوْ رُوبَةَ الَّذِينَ كَانُوا يَمْنَعُونَ الْإِغْتِسَالَ، لِأَنَّ الْإِغْتِسَالَ يُزِيلُ أَثَرَ مَاءِ «التَّعْمِيدِ» الَّذِي كَانَ طِفْلُهُمْ يُغْمَسُ فِيهِ لِإِدْخَالِهِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ.

وَمِنَ الْبَارِعِينَ فِي الْمُدَاوَاةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) كَانَ عَارِفاً بِالْأَدْوِيَةِ الْمَفْرُودَةِ جَامِعاً لِمَا عَرَفَ الْأَوَائِلُ (الْقَدَمَاءُ : الْيُونَانِ) مِنْهَا (طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢ : ٥٢). وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا : «دَفْعُ الْمَضَارِّ الْكُلِّيَّةِ لِلْأَبْدَانِ الْإِنْسَانِيَّةِ» (٢).... (بِرُوكْلَمَنْ ١ : ٦٤٣). وَفِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ نَفْسِهَا عَاشَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ أَسْلَمَ الْغَافِقِيُّ الَّذِي بَلَغَ أَشَدَّهُ فِي الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ السَّادِسِ، وَكَانَ كَحَالاً (طَبِيباً لِلْعَيُونِ)، وَلَهُ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ (بِرُوكْلَمَنْ، الْمُلْحَقُ ١ : ٨٩١).

* * *

وَنَضِجَتْ الْفَلَسَفَةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ بِظُهُورِ ابْنِ بَاجٍ (ت ٥٣٣ هـ) خَاصَّةً. كَانَ ابْنُ بَاجٍ عَالِماً وَأَدِيباً وَمُوسِيقِيّاً وَفِيلَسُوفاً وَطَبِيباً. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَتَهُ بِالْفَلَسَفَةِ غَطَّتْ عَلَى كُلِّ فَنٍّ آخَرَ لَهُ، فَهُوَ الَّذِي بَنَى التَّفَكِيرَ الْفَلَسَفِيَّ عَلَى الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ وَأَقْتَرَبَ بِالْفَلَسَفَةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِلْماً ثُمَّ قَالَ إِنَّ التَّصَوُّفَ يُمِيتُ الْحِسَّ وَيَمْنَعُ التَّفَكِيرَ السَّوِيَّ فِي التَّصَوُّفِ. وَيَحْسُنُ أَنْ نَذْكُرَ فِي هَذِهِ التَّوْطِئَةِ ابْنَ السَّيِّدِ الْبَطْلَانِيَّ (ت ٥٢١ هـ) فَلَقَدْ كَانَ هُوَ أَيْضاً أَدِيباً وَلُغَوِيّاً وَفَقِيهاً وَفِيلَسُوفاً. وَتَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى كِتَابِهِ «الْحَدَائِقُ» وَهُوَ خَمْسُ مَقَالَاتٍ فِلَسْفِيَّةٍ سَهْلَةً الْأُسْلُوبَ مُوجِزَةً الْبَحْثِ تَتَنَاوَلُ عِدداً مِنَ الْأَرَاءِ الْيُونَانِيَّةِ عِنْدَ أَفْلَاطُونٍ خَاصَّةً - لَا تَتَّفَقُ دَائِماً مَعَ آرَاءِ أَفْلَاطُونِ، وَتِلْكَ مُشْكَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا مَجَالَ لِلتَّبَسُّطِ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ.

ويبرز في هذا الدور أبو بكر الطرطوشي^(ت ٥٢٥ هـ) فيلسوفاً اجتماعياً سابقاً في تحليل التاريخ على ابن خلدون. وابن خلدون يشير إلى ذلك صراحةً ويرى أن كثيراً من آرائه التاريخية قد وردت عند الطرطوشي هذا، ولكن ابن خلدون - كما يقول ابن خلدون نفسه - قد زاد على الطرطوشي في تنظيم هذه الآراء وفي التبسط فيها وضرب الأمثلة عليها - راجع ترجمة الطرطوشي (في هذا الجزء) وترجمة عبد الرحمن ابن خلدون في الجزء التالي).

وبينما كان ابن باجه يرفض التصوف كان أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف^(ت نحو ٥٣٦ هـ) يشق في التصوف طريقاً جديداً هو الزهد في كل شيء إلا في الله، وذلك هو التخلي الكامل عن كل أمر من أمور الدنيا. ونحن نشم في ذلك شيئاً من رائحة الهندوكية. وابن العريف هذا كتاب «محاسن المجالس» ذكر فيه الصفات التي رآها هو ضرورية في التصوف. وكانت له أيضاً قصيدة صوفية. ويبدو أن التصوف قد انحرف انحرفاً أكبر مع أبي القاسم أحمد بن القيسي^(؟) الذي قتله المرابطون سنة ٥٤٦ هـ، فإنه كان قد أقام للمريدين من أتباعه رباطاً في غربي الأندلس (البرتغال اليوم)، وله كتاب «شرح حديث خلع النعلين» (صاحب هذين النعلين: رسول الله) وأقتباس الأنوار من موضع^(؟ موطىء) القدمين (بروكلمان، الملحق ١: ٧٧٦).

ويبدو أن اهتمام المؤرخين في هذا الدور كان مُنصرفاً إلى كتب التراجم وكتب الخصائص الجانبية، فمن هؤلاء المؤرخين: ابن مديني^(ت ٤٩٥ هـ) ومحمد بن علقمة الصديقي^(ت ٥٠٩ هـ) له «البيان الواضح في الملم الفادح» (في تاريخ مدينة بلنسية وتغلب الإسبان عليها وميختها). ثم هنالك عبد الجبار بن عبد الله بن أصبغ^(ت ٥١٦ هـ) له «عيون الإمامة ونواظر السياسة» ومحمد بن فيره بن سكرة الصديقي^(توفي ٥١٦ هـ أيضاً) ثم محمد بن يحيى بن ينق^(ت ٥٤٧ هـ) له كتاب «ملوك الأندلس والأعيان والشعراء» ثم أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي له «أخبار دولة لمتونة» (المرابطين) ثم محمد بن أحمد الطرطوشي البلوي^(ت ٥٥٩ هـ) - وهو مؤلف موسمي - له من الكتب: كتاب «أنموذج العلوم»

وكتاب «دُرَرُ القلائدِ وَغُرَرُ الفوائد» وكتاب «أخبارُ الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها». ثم هنالك أليْسَعُ بْنُ عيسى بن حَزْمِ الغافقي (ت ٥٧٥ هـ) له: كتاب «فضائل أهل المغرب» وكتاب «المغرب في محاسن أهل المغرب». وأشهر هؤلاء كُلُّهُمُ ابنُ بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) صاحبُ كتاب «الصلة».

تاريخ الفكر

ما دامت حركة المرابطين قد بدأت دينيةً وردّةً فعلي على ما انتشر من الترف وتوابعه في عصر ملوك الطوائف، فقد كان من المنتظر ألا تلقى الفلسفة في أيام المرابطين أرضاً صالحةً وخصوصاً إذا نحن علمنا أن الفلسفة في الأصل نتاجٌ يونانيّ غريبٌ ووثنِيّ. من أجل ذلك يقولُ عبدُ الواحدِ المراكشي (المعجب ١٢٣)، راجع ١٢٨): «ولم يكن يقربُ من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع - أغني فروعَ مذهب مالك - فنَفَقَت في ذلك الزمان كُتُبُ المذهب وعُمِلَ بِمُقْتضاها ونُبذَ ما سِوَاهَا، وكَثُرَ ذلك، حتّى نُسِيَ النَّظَرُ (أي التفكيرُ بالتأويل) في كتابِ الله وحديثِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم. فلم يكن أحدٌ من أهل ذلك الزمان يَعْنِي بِهَا كُلَّ الاعتناء. ودانَ أهلُ ذلك الزمانِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ ظَهَرَ مِنْهُ الْخَوْصُ في شيءٍ مِنْ عِلْمِ الكلام. وقرَّرَ الفقهاءُ عند أمير المسلمين تَقْبِيحَ عِلْمِ الكلام وكراهةَ السلفِ له وهجرَهُمْ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ شيءٌ مِنْهُ وأَنَّهُ بِذِعَةٍ في الدين، وربّما أدّى أَكْثَرُهُ إلى اخْتِلالِ في العقائد.... فكان (أميرُ المسلمين) يُكْتَبُ عَنْهُ في كلِّ وقتٍ إلى البلادِ بِالتَّشديدِ في نَبَذِ الْخَوْصِ في شيءٍ مِنْهُ؛ وتَوَعَّدَ مَنْ وَجِدَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنْ كُتُبِهِ. ولَمَّا دَخَلَتْ كُتُبُ أَبِي حامِدٍ الْغَزَالِي - رَحِمَهُ اللهُ - الْمَغْرِبَ أَمَرَ أميرُ المسلمين بِإِحراقِها وتَقَدَّمَ بِالوَعِيدِ الشَّدِيدِ مِنْ سَفْكِ الدَّمِ واستئْصالِ الْمَالِ إلى مَنْ وَجِدَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنْهَا. وأَشْتَدَّ الْأَمْرُ في ذلك».

ثمَّ «استُفْتِيَ في ذلك الأمرِ الفقيهُ أبو الحسن البرّجِي فأفْتَى بِتأديبِ مُحْرِقِها وتَضْمِينِهِ ثَمَنَها. وتابَعَهُ على ذلك أَثْنانِ آخَرانِ مِنَ الْفُقهاء» (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٥٨ - ٥٩). وَمَعَ ذلك فلم يَمْنَعْ هذا كُلُّهُ مِنْ أَنْ

ينصرف نَفَرٌ إلى الفلسفة كابن السيد البَطْلَيْوسِيّ (ت ٥٢١ هـ) الأديب الذي أَلَفَ أيضاً في الفلسفة. غير أن كتابه «الحدائق» مزيجٌ من الآراء الإسلامية والآراء اليونانية والآراء الهندية وشيءٌ من علم الكلام. وقد سَمَى ابنُ السيدِ البَطْلَيْوسِيّ كتابَه هذا «كتابَ الحدائق في المطالب العالية الفلسفية المعويصة» (القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م). وهذا الكتاب في الحقيقة نُتِفَ من آراءٍ مختلفة: ففي أصلِ العالمِ يأخذُ من أفلاطونَ فيما يتعلق بالمادة والصورة وبترتيب الفيض، كما يأخذُ عن نيقوماخوس الجَرَشِيّ أَنَّ العددَ هو أولُ الموجودات. ويأخذ من أرسطو كلاماً في طبقات النفوس: النفس النباتية والنفس الحيوانية (البهيمة) والنفس الإنسانية، ويُعَرِّجُ في أثناء ذلك على آراء الفارابي في صلة العقول (في أثناء الفيض عن الموجود الأول: الله) بالأفلاك.

أما فيلسوفُ هذا العصر والفيلسوفُ الأولُ في ترتيب الزمن فهو ابنُ باجَّة صاحبُ كتاب «تدبير المتوحد». ولقد كان في عِداءِ المرابطين للتفلسفِ أثرٌ في اتجاهِ ابنِ باجَّة نحوَ القولِ بأن «الْمُتَوَحِّدَ» هو الرجلُ ذو الفِطْرَةِ الفائقة الذي يُضْطَرُّ إلى أن يعيشَ بين عوامِّ الناس.

ويذكرُ بروكلمن (الملحق ١: ٤٨١) أن لأبي الحَسَنِ سَلَامَ بنِ سَلَامٍ الباهليّ (ت ٥٤٤ هـ) كتاباً في الأخلاق (القاهرة ١٢٩٨ هـ). أما الشاعرُ أبو عامرِ الشنتريني (ت ٥٤٥ هـ) ففي أبياته آراءٌ في الموت والحياة (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٨ - ١٢٩) لا تبلغُ إلى أن تكونَ تفلسُفاً (ولم أعثرُ على الشنتريني هذا في فهرس كتاب «الذخيرة» (بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م).

اللغة

وفي أيام المرابطين اتسعت الدراسات اللغوية، ففي باب المُحمدين من «بغية الوعاة» للسيوطي، ومن الذين وقعتْ وَفَيَاتُهُم بين ٥١٦ و ٥٤٠ هـ للهجرة (١١٢٥ - ١١٤٥ م) جماعة منهم (على ترتيب الوفيات): أبو عبد الله محمد بن الفَرَجِ الكتّاني الصِقْلِيّ المعروف بالذكي (ص ٩٠) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَلْصَة الأندلسي

(ص ٥٢) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيمن السعدي الغرناطي (ص ١٧) وأبو جعفر محمد بن حكيم بن باقي الجذامي السرقسطي المقتول في تلمسان سنة ٥٣٨ (ص ٣٨) وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الأشركي والمتوفى في قرطبة سنة ٥٣٨ أيضاً (ص ١٢٠) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن خيثمة القيبي (ص ١٧) وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن أبي الخصال الفافقي (ص ١٠٤). كل هؤلاء كانوا بارعين وجامعين لفنون كثيرة من اللغة ومن العربية (النحو) وغيرها. ويحسن أن نُشير إشارة خاصة إلى ابن القطّاع الصقليّ عليّ بن جعفر السعدي (٣٣ - ٥١٤ هـ) وإلى ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ). ثم هنالك أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني (ت ٥٤٩ هـ) النحوي أحد أئمة العربية المبرزين فيها (ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بريّ المصري اللغويّ النحويّ) قرأ العربية بالأندلس وقيم مصر سنة ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناس العربية. ثم أنتقل إلى اليمن. ثم إنه عاد إلى مصر فكان له في جامعها (بالفسطاط) حلقة لإقراء النحو. وكانت وفاته في مصر (نفع الطيب ٢: ٢٣٨؛ راجع الوافي بالوفيات ٤: ٤٦، بغية الوعاة ٦٨ - ووفاته هنا ٥٥٠؛ راجع بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣).

النثر

وإذا نحن نظرنا إلى النثر على أنه أسلوب للتعبير - في هذه الحقبة أيضاً - وجدنا أن التقليد فيه للمشاركة كان أكثر من تقليد الأندلسيين للمشاركة في الشعر. ولقد غلبَ السجعُ والاقْتباسُ (من القرآن الكريم والشعر والأمثال وغيرها) ولزوم ما لا يلزم خاصة غلبة ظاهرة على نثرهم. ولكن النثر الأندلسي ظل في جميع فنونه أقل متانة من النثر المشرقي وأقل ابتكاراً. أما المثالان العظيمان اللذان كانا يُحتَذيان في النثر فكانا الجاحظ وأبا العلاء المعري. وأغرم السرقسطي (ت ٥٣٨) وابن عبد الغفور (ت ٥٤٢) بتقليد المعري في لزوم ما لا يلزم خاصة ثم في فنون كثيرة أيضاً.

وكذلك كان تقليد الأندلسيين، في هذا الدور أيضاً، للرسائل الديوانية وللمقامات التي ابتكرها المشاركة تقليداً كبيراً.

وَمَعَ أَنَّ الَّذِينَ نَقَدُوا الْفَنُونَ الْمُخْتَلِفَةَ (من النثر والشعر والفلسفة) كانوا كثيرين، فَإِنَّ النِّقْدَ عِنْدَهُمْ كَانَ فِطْرِيًّا لَفْظِيًّا. إِنَّهُ كَانَ أَحْكَامًا مُفْرَدَةً لَا تَرْجِعُ إِلَى مِنْهَجٍ مُقَنَّيٍّ وَلَا إِلَى قَوَاعِدٍ مُحْكَمَةٍ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ أحياناً عصبيةً أُنْدَلَسِيَّةً وَلَدَتْهَا فِي نَفُوسِ هَؤُلَاءِ النَّاقدِينَ نَفُورٌ عَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُفَرِّقُونَ فِي الْإِعْجَابِ بِالْأَدَبِ الْمَشْرِقِيِّ وَبِالْأَدَبِ الْمَشَارِقَةِ. وَيَبْدُو لَنَا أَنَّ ابْنَ بَسَّامٍ الشَّنْتَرِيَّيَّ قَدْ أَلَّفَ كِتَابَهُ الْوَاسِعَ الْقِيَمِ «الذَّخِيرَةَ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ» لِمُقَاوَمَةِ تِلْكَ التَّزَعُّعِ الْمُتَطَرِّفَةِ فِي الْإِعْجَابِ بِالْأَدَبِ الْمَشْرِقِيِّ. وَفِي مَقْدَمَةِ «الذَّخِيرَةِ» زَفَرَةٌ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ التَّزَعُّعِ. يَقُولُ ابْنُ بَسَّامٍ مِثْلًا (الذَّخِيرَةُ ١: ١٢):

«.... إِنَّ أَهْلَ هَذَا الْأُفُقِ (أَيَّ أَهْلَ الْأُنْدَلُسِ) أَبَوْا إِلَّا مُتَابِعَةَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، يَرْجِعُونَ إِلَى أَخْبَارِهِمُ الْمُتَعَادَةَ رُجُوعًا الْحَدِيثَ إِلَى قِتَادَةَ^(١)، حَتَّى لَوْ نَعَقَ بِتِلْكَ الْآفَاقِ غُرَابٌ أَوْ طَنْ بِأَقْصَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ذُبَابٌ، لَجَثَّوْا عَلَى هَذَا صَنَاءً وَتَلَّوْا ذَلِكَ كِتَابًا مُحْكَمًا^(٢). (هَذَا) وَأَخْبَارُهُمْ (أَيَّ أَخْبَارِ أَهْلِ الْأُنْدَلُسِ) الْبَاهِرَةُ وَأَشْعَارُهُمُ السَّائِرَةُ مَرْمَى الْقَصِيَّةِ وَمُنَاحِ الرِّذْيَةِ^(٣)، لَا يُعْمَرُ بِهَا جَنَّانٌ وَلَا خَلْدٌ^(٤)، وَلَا يُصَرَّفُ فِيهَا لِسَانٌ وَلَا يَدٌ. فِغَاطِنِي مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَنْفُتُ مِمَّا هُنَاكَ. وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِجَمْعِ مَا وَجَدْتُ مِنْ حَسَنَاتٍ دَهْرِيٍّ وَتَتَبِعُ مَحَاسِنِ أَهْلِ بَلَدِي وَعَصْرِي.... وَقَدْ مَجَّتِ الْأَسْمَاعُ «يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ وَالسَّنْدِ»، وَمَلَّتِ الطِّبَاعُ «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تَهْمِدُ....»^(٥).

(١) قِتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ (بَكْسَرُ الدَّالِ) الْبَصْرِيُّ (٦١ - ١١٨ هـ) مَفْسِّرٌ لِلْقُرْآنِ وَحَافِظٌ لِلْحَدِيثِ.

(٢) جَنَّا: اعْتَمَدَ عَلَى رَكْبَتَيْهِ. كِتَابٌ مُحْكَمٌ: لَا خَطَأَ فِيهِ.

(٣) فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ (٤: ٣٧٨): الْقَصِيَّةُ النَّاقَةُ الْكَرِيمَةُ النَّجِيَّةُ الْمُبْعَدَةُ (بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) عَنْ الِاسْتِمْعَالِ. وَالرِّذْلَةُ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ) ضِدُّهَا. وَالرِّذْيَةُ: النَّاقَةُ الْمَرِيضَةُ أَوْ الضَّعِيفَةُ. مَرْمَى الْقَصِيَّةِ وَمُنَاحِ (مَسْكَنٌ، مَنَازِلٌ) الرِّذْيَةِ (لَا تَنْتَشِرُ أَخْبَارُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ كَالنَّاقَةِ الْقَصِيَّةِ الَّتِي يَضُنُّ أَهْلُهَا بِهَا عَنْ السَّفَرِ عَلَيْهَا وَكَالنَّاقَةِ الرِّذْيَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ السَّفَرَ).

(٤) لَا يَمُورُ بِهَا جَنَّانٌ (بِالْفَتْحِ: قَلْبٌ) وَلَا خَلْدٌ (بِفَتْحٍ فَفَتْحٌ: الْبَالُ، الذَّاكِرَةُ) - لَا يَجِبُهَا أَحَدٌ وَلَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ.

(٥) مَجَّ: قَذَفَ (الْمَاءَ) مِنْ فَمِهِ، كَرِهَ (الشَّيْءَ). «يَا دَارَ مَيَّةَ» مَطْلَعٌ مَعْلَقَةٌ نَابِغَةٌ ذَبْيَانِي. وَ «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ» مَطْلَعٌ مَعْلَقَةٌ طَرَفَةٌ بِنِ الْعَبْدِ.

وأما النقدُ (رُؤيةُ الحَسَنَاتِ والسيِّئَاتِ في القطعة المنقودة) فكان أحكاماً في جُمْلٍ يُمكنُ أَنْ تَعْنِيَ أشياءَ كثيرةَ ويمكنُ أيضاً ألاَّ تَعْنِيَ شيئاً أبداً. وربما كان لها صلةٌ بالأديب الذي تنقُدُ نتاجه وربّما لم يكن لها صلةٌ بذلك كلّهُ. بدأ ابنُ بَسّامٍ كلامه على أبي عامرٍ أحدَ بنِ عبدِ الملك بنِ شهيدٍ بالمقطع التالي (الذخيرة ١ : ١٩١ - ١٩٢):

« وكان أبو عامرٍ شيخَ الحضرة العظمى^(١) وفتاها، ومبدأ الغاية القصوى ومُنْتهاها. ويتَّبوعُ آياتها ومادّة حياتها وحقيقة ذاتها وابنَ ساسيتها وأُسايتها^(٢) ومعنى أسماؤها ومُسَمَّياتها: نادرة الفلكِ الدوّارِ وأعجوبة الليل والنهار. إنْ هَزَلَ فسَجُعُ الحمام، أو جدّ فزئير الأسد الضرغام. نَظَمَ كما اتَّسَقَ الدرُّ على النحور، ونَثَرَ كما خُلِطَ المسكُ بالكافور، إلى نوادرِ كأطرافِ القنّا الأملود^(٣) تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ، و(إلى) جَوَابٍ يَجْري مجرى النَّفسِ وَيَسْبِقُ الطَّرْفَ المُخْتَلِسَ^(٤) ».

وبعدَ أن كان ابنُ بَسّامٍ قد نَقَمَ من الأندلسيّين تقليدَهُمُ المشاركةَ واقتباسَهُمُ منهم، رأينا عنده هو مثل ذلك كلّهُ. ولا يَفْعَلُ أحدٌ في هذا النصِّ لابنِ بَسّامٍ عن اقتباسِ ابنِ بَسّامٍ من بيت أبي الطيّب المتنبّي:

راياتٍ بأنهم ريشها الهدى بَ تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ^(٥).

ومَعَ أنَّ ابنَ بَسّامٍ كان أحياناً كثيرةً يَرْجِعُ إلى الكلامِ الواضحِ الدقيقِ في دراسة الشعر والشعراء، فإنَّ جماعةَ غيرِ ابنِ بَسّامٍ، من أهل عصره، كالفتح بن

(١) فقي (الرجل ذو النجدة والقدرة) الحضرة العظمى (عاصمة الدولة: قرطبة) - كان مشهوراً في قرطبة يرجع الناس في القول إليه.

(٢) الأُساءة جمع آسر (طبيب).

(٣) القنّا جمع قنّاة: قصيدة، رمح. الأملود أو الأملد: اللّين الناعم من الفصون (يبدح الرمح إذا كان ينثني من غير أن ينقصف).

(٤) الطرف: البصر. المختلس (النظرة السريعة). ويجوز أن تكون « المختلس » بكسر اللام (أي النظر السريع الخاطف).

(٥) الهدب (بالضم) جمع هدبة (بالضم): شعرة الجفن. ريشها الهدب (يوضع عادة في أسفل السهم ريش ليساعده على المرور باستقامة وسهولة في الهواء) والمتنبّي يشبّه أهداب عيون المحبوبة بريش السهام (وعيون المحبوبة بالسهام).

خاقان مثلاً، كانوا لا ينتقلون عن الألفاظ القليلة الجدوى في نقد الشعر والنثر. ولعلك تعجب إذا علمت أن ابن بسام وأنداده في هذا المضمار لا يُشيرون، في معظم الأحيان، إلى سنة المولد أو الوفاة ولا يُعرجون على حادثٍ مُعين في حياة الأديب. قال الفتح بن خاقان (قلائد العقيان ١٤٤) في الوزير الكاتب أبي محمد بن القاسم^(١):

«رَجُلٌ زَهَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ وَالتَّدْيِيرُ، وَجَبَلُ دُونِهِ يَلْمَلُمُ وَثِيرٌ^(٢)، وَوَقَارٌ لَا يُسْتَفْزُ وَلَوْ دَارَتْ عَلَيْهِ الْعُقَارُ^(٣). إِذَا كَتَبَ بَاهَتْ الْبُذُورُ رُقْعَتُهُ، وَقَرُطُسَتْ أَفْئِدَةُ الْمَعَانِي نَزْعَتُهُ^(٤). وَضَعَتْهُ الدَّوْلَةُ فِي مَفْرِقِهَا، وَأَطْلَعَتْهُ فِي مَشْرِقِهَا، فَأَظْهَرَ جَاهَهَا وَعَظَّرَ صَبَاهَا وَشَالَهَا^(٥)....»

ويلحقُ بالنقد الأدبي تأريخُ الأدب، ومُعتلاً عصرِ المرابطين في ذلك ابنُ بسام والفتح بن خاقان نفسهما. ومن المُولَم أن كتابَ ابنِ القِطَّاعِ الصِّقْلِيِّ (ت ٥١٤) «الدُّرَّةُ الْخَطِيرَةُ فِي شُعْرَاءِ الْجَزِيرَةِ (صَقْلِيَّة)» لم يَصِلْ إلينا.

الشعر خاصة

لقد أصيبَ الشعرُ في عصرِ المرابطين بالكساد.

ولكن «للكساد» في هذا الموضعِ مَعْنِيَانِ.

(١)

(٢) يللم وثير جبلان.

(٣) العقار (بالضم): الخمر.

(٤) الرقعة التي يكتب عليها (بأسلوبه أو بخطه) تزيد (في البهاء: الجمال) على القمر ليلة البدر. فرطست أفئدة المعاني نزعته (؟) - إذا نزع مدقلمه إلى الدواة ثم أخرجه وبدأ يكتب به أتى بمعان صائبة كل الصواب (الأصل الاستمارة أن الرجل ينزع (بكسر الزاي) السهم في وتر القوس ثم يرسلها فتصيب الهدف.

(٥) المفرق: مكان اقتراق الشعر في مقدم الرأس (أكرم موضع في الإنسان). الصبا (بالفتح) ريح الشرق. والشمال (بالفتح) ريح الشمال (والصبا والشمال، في نجد، محبوبتان للرطوبة وللبرودة التي فيها (بخلاف ما يعرف في الشام أو غربي آسيا، مثلاً، حيث يكون الصبا شديدة الحرارة والجفاف، والشمال شديدة البرد والجفاف).

ذكر المستشرق نيكل^(١) كَسَادَ الشعر فقال: «بعد سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين انحطَّ نَظْمُ الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطاً كبيراً. وكان يوسف (ابن تاشفين) - كما كنا قد رأينا - لا يكادُ يفهم الكلامَ العربيَّ السائر، دَعَكَ من الأسلوب الأدبيِّ الكثيرِ الصَّنعة. أما ابنه عليُّ فكانَ أحسنَ معرفةً باللغة العربية، ولكنَّ تفكيرَه كان مُتَّجِهاً إلى الأمور الدينية وإلى الرصانة (في أحوال الحياة). وقد كان ثَمَّةَ قَلَّةٍ من أحياء ذلك العصر المجيد (عصر ملوك الطوائف) لا يزالون على قيد الحياة ثمَّ أَسْتَطَاعُوا أَنْ يَجِدُوا مَلْجأً لهم في بلاطي شاطِبَةٍ وسَرَقِظَةٍ حيثُ كان الأمراء المرابطون من الشبان يُحاولون أن يُنافسوا أسلافهم (ملوك الطوائف) أو يَزِيدُوا عليهم (في تشجيع الشعر). ثمَّ إنَّ المَوْشَحَ والزَّجَلَ على الأخص، وقد كانا أَقْرَبَ إلى أفهام الناس - لِقُرْبِهِمَا من مُسْتَوَاهُمُ الفكري والحُلُقِيِّ - أصبحا زِيّاً شائعاً، وكان ابنُ قُزْمانَ (في الزجل) سيِّدَ الجماعة»^(٢).

أما المخل جنثالث بالنشيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣) فقد كان أكثرَ تشاؤماً، إذ قال: كان «عصرُ سيادة المرابطين على الأندلس عصرَ تأخِرٍ وأنكماشٍ للثقافة الأندلسية، وكان يوسفُ بن تاشفين - أولُ أمراء هذه الدولة - لا يكاد يفقهُ العربية».

وأحبُّ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٩٠) أن يلزِمَ جانب الشعراء، فقال: «حتى إذا حلَّ عصرُ المرابطين تراجعتْ منزلة الشاعر أكثرَ من ذي قبل، وأصبحَ التصريحُ بكساد الشعر أشدَّ وأوضحَ - ذلك أن الشاعر، حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة، لم يبقَ في طَوْقِهِ منافسةُ رَجُلٍ السيف (وهو من المُلثَمِينَ) والفقيه والكاتب (وهما في الغالب من الأندلسيين). ولعلَّ الأعمى التُّطِيلِيَّ قد عبَّرَ في بعضِ لَحَظَاتِ الإحساس (بالتعسُّر) عن هذا المعنى

(١) عبد الرحمن (١٠٠١ ر. ٠) نيكل مستشرق أصله من بوهيمية (إحدى مقاطعات تشيكوسلوفاكية) أميركي الجنسية (مولده عام ١٨٨٥ ووفاته نحو ١٩٦٠ م. هو صاحب النظرية العربية للشعر البروفنسا c الفرنسي القديم) وأكثر اختصاصه في أدب العرب في الأندلس (الزجل والموشحات على الأخص).

(2) A. . Nykl, Hispano-Arabic Poetry 219

بأجلى عبارة حين قال:

أيا رَحْمَتا للشعر أَقَوْتُ رُبُوعه، على أنها للمَكْرُمات مناسك^(١)؛
وللشُعراء اليوم ثُلَّتْ عُروشُهُم: فلا الفخر مُمْتَثِلٌ ولا العِز تامك^(٢).
ويا «قام زيد»، أعرضي أو تعارضي؛
فقد حال من دونِ النسي «قال مالك»^(٣).

وكان حَسَنُ أَحْمَدَ مَحْمُود (قيام دولة المرابطين ص ٤٤٤) حَسَنَ التعليل لكساد الشعر لما قال: «لا تُنْكِرُ أَنْ مجيء المرابطين إلى شِبْهِ الجزيرة (إلى الأندلس) قد صَحِبَهُ كسادٌ في سوق الشعر إلى حدٍّ كبير، فقد كان عهدُ يوسفَ (بن تاشفين) في الأندلس عهدَ جهادٍ وكفاح وحرب، وليس بمعهدِ تَرْفٍ ورَفاهيةٍ وإقبالٍ على المَلذَّاتِ...، صَوَّرَ ذلك كُلُّه صاحبُ «الذخيرة» أبلغَ تصويرٍ إذ قال (٢: ٦٦٩): فلَمَّا صَمَتَ ذِكْرُ ملوك الطوائف بالأندلس طُويَ الشعرُ على غَرَّة^(٤) وبريء من حُلُوهِ ومُرَّه، إلَّا نفثة مَصْدُورٍ أو آلتفاته مذعور. وهو (يَقْصِدُ: عبد المجيد بن عبدون) اليوم ببلدة يابرة يرتشفُ فضلَ ثيابه^(٥)، ويأكلُ من بَقِيَّةِ زادِهِ «مِمَّا كان قد ناله في أيام ملوك الطوائف».

إنَّ الشعرَ الذي كَسَدَتْ سُوْقُهُ كان شعرَ التَكْسَبِ؛ وإنَّ تلك العاصفة التي أثارها نفرٌ من الشعراء والمُشايعين للشعراء على يوسف بن تاشفين خاصة كان سببها كثرة ما

(١) أقوت الدار: خلت (من سكانها). الربع (بالفتح): المكان المكون. المنك (هنا): المكان الذي يقوم به الإنسان بعبادة مفروضة (كالطواف حول الكعبة).

(٢) ثل فلان الدار (هدمها)؛ وثل الهرش (أبطله، أذهب سلطانه وأهله). التامك: السنام (كناية عن العلو).

(٣) «قام زيد» كناية عن الاشتغال بالنحو (واللغة والأدب). أعرض: صد، انصرف (ترك المجال لغيره). تعارض الأمران: (هنا)؟ استعد للمقاومة وللنزاع. «قام مالك» (صاحب المذهب المالكي) كناية عن سيادة الفقه.

(٤) طوي الشعر على غَرَّة كناية عن رضا الشعراء بالحال السيئة التي وصلوا إليها). الغر: الثني في الثوب، مكان الطي منه).

(٥) الثاد جمع ثمد (بفتح فسكون: الماء القليل).

كان ينالُه الشعراء من أمراء الطوائف ثم ضياع تلك المغام في أيام السلطان يوسف ابن تاشفين. ونحن نعلم، من تاريخ الحضارة، أن الدول في أيام قيامها قلما تحفلُ بالشعر وبسائر الفنون، إذ نراها مُهتَمَّةً بالفكر وبالعلم - رأينا ذلك في دولة الخلفاء الراشدين وفي مطلع الدولة الأموية وفي مطلع الدولة العباسية أيضاً. ثم إذا نحن استعرضنا العلم والثقافة والشعر نفسه أيضاً في عصر المرابطين لم نجدَها أدنى مما كانت من قبل. وكان بعضها أحسنَ حالاً، إلا شعر التكبُّس. وكتاب «الذخيرة» (وهو من نتاج عصر المرابطين) أحسن الأدلة على كثرة الشعر وكثرة الشعراء في ذلك الحين.

ثم إن الشعراء قد مدحوا سلاطين المرابطين (بعد يوسف بن تاشفين) ومدحوا أمراء المرابطين على المدن الأندلسية كثيراً. إن الأعمى التُّطيلي (ت ٥٢٠ هـ) قد قصّر ديواناً برّمته على السلطان الثاني من المرابطين - علي بن يوسف بن تاشفين - بعد الحملة التي قادها علي على ألفونسو صاحب طليطلة (وكان الإسبان قد استردوا طليطلة منذ عام ٤٨٥ هـ = ١٠٨٥ م) وأستنقاذ طَلْبِيرة (راجع بروكلمن ١ : ٣٢٠). وكذلك مدحهم ابنُ خَفَاجَة (ت ٥٣٣ هـ) وأكثر.

وأما سائر الشعراء الكبار الذين امتلأ بهم عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ) ثم بنو القَبْطُرْنُوَة ثم عبد الجبار المعروف بالمُتَنِّي الجزيري وابن الزقاق وابن عَبْدُون وابن حَمْدِيس وابن خَفَاجَة وابن شَرَفِ أبو الفضل جعفر بن محمد (ت ٥٣٤ هـ) وابن بَقِيّ (ت بعيد ٥٤٠ هـ).

ومَعَ أنَّ فنون الشعر الكبرى لا تختلف كثيراً بين عصرٍ وعصر، فإن الأغراض (الموضوعات الجزئية) تتبدل. فمن الأغراض التي برزت في هذا العصر النقد الاجتماعي الذي نشأ من كُرْه الأندلسيين للجُند الصنهاجيين (البربر من جيوش المرابطين) كما نرى عند أبي بكر الأبيض (ت ٥٤٤ هـ) وأبي بكر اليكبي (ت نحو ٥٦٠ هـ) وعند ابن خَفَاجَة نفسه (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٤٣ وما بعد). ولا غرابة في أن يكثر رثاء المُدُن التي كانت تتساقط في عهد ملوك الطوائف في يد الإسبان أو بعد مطلع عهد المرابطين، كما نرى عند

الأعمى التطيلي ثم عند ابن عبدونٍ خاصّةً (ت ٥٢٩ هـ) ثم عند ابن خفاجة أيضاً. ومع هذا فقد وجدَ ابنُ خفاجة نفسه مندوحةً من اطمئنان النفس فتوقّر في أثنائها على وصف الجنائن.

وكان من المنتظر أن نجدَ - لَمَّا اضطربت أحوالُ هذا العصر - اتجاهين متناقضين في الشعر: مدحاً للرسول وآله، كما نجدُ عند أبي عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن أبي الحِصَال المُتَوَفَّى نحو ٥٤٠ للهجرة وعند أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم النُميري من أحياء النصف الأول من القرن السادس (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٩ وما بعد، ثم بروكلمن ١: ٥٤٥). وكذلك نجدُ عند ابن خفاجة، في مثل هذا الباب، ذكراً للحِجاز وللأماكن المقدسة، تقليداً للشريف الرضي. أما الاتجاه الآخرُ فهو الميلُ نحو الهزل والخلاعة، كما نرى عند أبي الحكم عبيد الله بن المُظَفَّر الباهلي المُرسِيّ المُرسِيّ (من أهل المِريّة) والمُتَوَفَّى في دِمَشقَ سَنَةِ ٥٤٩، وكان له «نهجُ الرِّضَاعَةِ لأولي الخلاعة» - ويبدو أن شعره قد ضاع -، ولكنّا نجدُ له في «نفح الطيب» أبياتاً في هذا المعنى، منها (٢: ١٣٤ - ١٣٥) في أحدٍ معاصريه:

... وهو على خِيفَةٍ به أبدأ معترفٌ أَنه من الثُقَلَا
يُمُتْ بالثَّلَبِ والرَّقَاعَةِ والسُّدِّ سُخْفٌ، وأما بغيرِ ذاك فلا^(١).
إِنْ أَنْتَ فَاتَّخَذْتَهُ لِتَخْبِرَ مَا يصدرُ عنه فَتَحَتَ منه خلا^(٢).

وله أيضاً مُعارضةٌ لمقصورة آبنِ دُرَيْدٍ منها:

وكلُّ ملمومٍ فلا بُدَّ له من فُرْقَةٍ لو أَلزَقوه بالفِرا.

وفي «قلائد العقيان» للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) أشياء من الهزل والتجني والسّفه على الأعيان تدخل في هذا الباب ويمكن تأويلها بهذا السبب من اضطراب

(١) الثلب: الانتقاص من قدر الناس وذكر معايبهم (أو نسبة المعايب أو الميوب إليهم).

(٢) إذا أنت فاتحتته (خاطبتته) لتخبر (تعرف) ما يصدر عنه (عمّا له من القيمة الذاتية التي تمكنه من الكلام المفيد) فتحت منه (كشفت منه) خلا = خلا: قراغاً.

الأحوالِ وضِياعِ المُثُلِ العُلَيَا في زمنِ تُصبحُ أسبابُ الحياةِ المادِّيَّةِ مِقياساً للمعاملةِ.
فقد قال في الوزير أبي محمد بن عبد الغفور (ص ١٨٢) - نثراً:
« قد كنتُ نَوَيْتُ أَلَّا أُثَبِتَ لَهُ ذِكْرًا وَلَا أُعْمِلَ فِيهِ فِكْرًا^(١)، وَأَدَعُهُ مُطَرِّحًا
وَأَقْطَعَهُ الْإِهْمَالَ مَسْرَحًا^(٢)، لِتَهْوُرِهِ وَكَثْرَةِ تَقَعُّرِهِ^(٣). فَإِنَّهُ بَادِي الْهَوَجِ وَاعِرُ
الْمَنْهَجِ^(٤)، لَهُ أَلْفَاظُ مُتَعَقِّدَةٍ وَأَغْرَاضٌ غَيْرُ مُتَوَقِّدَةٍ لَا يُفَكِّ مَعَهَا^(٥) وَلَا يُعْلَمُ
مَرَمَاهَا، مَعَ نَفْسٍ فَاسِدَةٍ الْإِعْتِقَادِ^(٦) ثَابِتَةٍ عَلَى الْأَحْقَادِ »

ابن الملح

١ - هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن الملح أو ابن الملاح اللخمي، أصله من شلب،
كانت له مدائح في المعتضد العبادي وابنه المعتمد. وكانت وفاة ابن الملح في رمضان
من سنة ٥٠٠ (ربيع عام ١١٠٧ م)، وقد أسن كثيرًا.

٢ - كان أبو بكر بن الملح في أول حياته مُستغلاً بالفتوة والبطالة ثم أناب (تاب)
في أواخر أيامه وزهد. وكان إلى جانب معرفته بالفقه شاعراً وخطيباً. ومن
خصائص شعره أنه كان يُفرق أحياناً في الصناعة من تشابيه واستعارات خاصة.
ومن أغراض شعره الفخر والمدح والعتاب والغزل والنسيب والوصف. وشعره
مقاطع ومطولات.

-
- (١) ألا أذكره في كتابي «قلائد العقيان» ولا أفكر في أمره.
 - (٢) أتركه ملقى جانباً، مرمياً، مهملًا. أقطعه (أمنحه قطعة من الأرض) الإهمال (قلة المبالاة أو الاهتمام به) مسرحاً (يفعل ما يشاء، يشرح كالبهائم).
 - (٣) التهور: السقوط في الأخطاء والمخاطر لقلة التفكير وللطيش. التقعر: التشقق (الكلام من أقصى الفم وتكلف الكلام الغريب مع قلة فائدة).
 - (٤) بادي (ظاهر) الهوج (بفتح ففتح): الحمق (بالضم) والطيش. واعر (صلب، صعب) المنهج (الطريقة، السلوك).
 - (٥) المعنى: الأحجية، اللغز.
 - (٦) المرمى: الغاية، المقصد. فاسد الاعتقاد (سيء العقيدة) لا يؤمن بالحق.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكر بن الملح في الغزل:

ظَنِّي بِمَوْجِ الهوى بِناظرِهِ حَتَّى إِذَا مَا رَنَا بِهِ انْبَعَثَا^(١).
مُبْتَدِعُ الْبُخْلِ، لَا كَفَاءَ لَهُ: يُعَدُّ شَكْوَى صَبَابِي رَفَثَا^(٢).
أُنْكِرَ سُقْمِي، وَمَا قَصَدْتُ لَهُ، وَلَا تَعَرَّضْتُ لِلْهوى عَبَثَا^(٣).
أَقْسَمَ فِي الْحَبِّ أَنْ أَمُوتَ بِهِ، فَمَا قَضَى بَرَّهُ وَمَا حَنَثَا^(٤).

- وقال في النسيب:

لَا حَدَّ لِلْوَجْدِ إِلَّا أَنْتَ عَارِفُهُ^(٥)، كَأَنْ قَلْبَكَ لِلْأَشْوَاقِ مِيزَانُ.
وَلَا صَبَابَةٌ إِلَّا أَنْتَ وَاسِعُهَا، كَأَنَّ صَدْرَكَ لِلْأَشْجَانِ مِيدَانُ^(٦).
سِرْنَا نُرَاقِبُ إِعْلَانَ الصَّبَاحِ بِهِ، كَأَنَّنَا فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ كِتْمَانُ^(٧).
- وقال يمدح المعتمد بن عبادٍ بقصيدة فيها مدحٌ ووصفٌ وفخرٌ، منها:

وَالرَّوْضُ يَبْعَثُ بِالنَّسِيمِ كَأَنَّا أَهْدَاهُ يَضْرِبُ لِاصْطِبَاحِكَ مَوْعِدَا^(٨).
سَكَرَانُ مِنْ مَاءِ النِّعَمِ، وَكُلَّمَا غَنَّاهُ طَائِرُهُ وَأَطْرَبَ رَدْدَا.
يَأْوِي إِلَى زَهْرٍ كَأَنَّ عُيُونَهُ رُقْبَةً تَقْعُدُ لِلْأَجْبَةِ مَرَصْدَا^(٩).
زَهْرٌ يَفُوحُ بِهِ اخْضِرَارُ نَبَاتِهِ كَالزُّهْرِ أَسْرَجَهَا الظَّلَامُ وَأَوْقَدَا^(١٠).

-
- (١) رنا: نظر (إلَيَّ). انبعث: ثار (الهوى في).
(٢) الصبابة: الحب، الشوق. الرفث: الكلام القبيح.
(٣) ما أحببته عبثاً (لعياً ولهوياً)، ولكن جداً (لأنه مستحق أن يكون محبوباً).
(٤) أقسم أن أموت بحبه. لم يف بوعده (لم يحبني)، وما حنث: ما أخلف وعده (لأنني مت من هجره).
(٥) الوجد: شدة الحب.
(٦) الصبابة: الشوق. الشجن (بفتح لفتح): الحزن.
(٧) كان الليل شديد الظلمة فلم يرنا أحد.
(٨) الاصطباح: شرب الخمر صباحاً.
(٩) المرصد: الكمين.
(١٠) الزهر (بالضم): النجوم.

قد خفَّ مَوْقِعُهُ لَدَيْهِ، وربما
 أَغْلَى مَحَلَّ الشَّعْرِ أَنَّ قِصَائِدِي
 خطبته تركب بطن كَفِّي منبرا،
 أَبْنِي لَدَيْكَ الْعِشَّ أَخْضَرَ يَانِعاً
 يقظانَ تحسُّبِي الكواكبُ ناظراً
 وإذا تَكَنَّفَنِي النِّهَارُ لَيْسْتُهُ
 سَمَحَ النَّسِيمُ بِعِطْفِهِ قَتَاوُداً^(١).
 جعلتُ مَدِيحَكَ بِالْمَعَانِي مَقْصِداً.
 ودعتك تَعْمُرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مَسْجداً^(٢)،
 فَأَجُوبُ جُنْحَ اللَّيْلِ أَسْفَعَ أَسوداً^(٣)،
 فيها أَرَاقِبُ لِلْغَزَالَةِ مُورداً^(٤).
 وَهَجاً لَفُوحاً أَوْ سَرَاباً مُزِيداً^(٥).

- وكان لأبي بكر بن الملح ابنان شاعران. وكان أحدهما أبو القاسم أحمد قد
 اشتغل منذ مطلع شبابه بالزهد وكتب التصوف. فقال له أبوه: يا بُنيَّ، هذا الأمرُ
 ينبغي أن يكون في أواخر العمر. أمّا الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء
 وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الأدب. فلما عاش نقرأ من الظرفاء زينوا
 له شرب الخمر، فتهتكت في الحلاعة ثم قرأ إلى إشبيلية وتزوج امرأة لا تليق به -
 كانت تضرب الدف في الأعراس - فصار يضرب معها بالدف. فكتب إليه أبوه:

يَا سَخْنَةَ الْعَيْنِ يَا بُنْيَا لَيْتَكَ مَا كُنْتَ لِي بُنْيَا^(٦).
 أَبَكَيْتَ عَيْنِي، أَطَلَّتْ حُزْنِي، أَمَسَتْ ذِكْرِي وَكَانَ حَيًّا.
 حَطَّطْتَ قَدْرِي وَكَانَ أَعْلَى - فِي كُلِّ حَالٍ - مِنْ الثُّرَيَّا.
 أَمَا كَفَّاكَ الزَّنا ارتكاباً وَشُرْبُ مَشْمُولَةٍ الْحُمَيَّا^(٧)،

(١) العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الكتف). تأود: ماس، قاتل.

(٢) قصائدي (التي ألقبها من ورقة أحلها في كَفِّي) تخطب (تتكلم) في فضائلك (مدحك). وقصائدي (حينما تذكر أنت فيها) تملأ ظهر كَفِّكَ بالتقبيل (٢).

(٣) اليانع: (الثمر) الناضج. الأسفع: الأسود.

(٤) الغزالة الشمس. المورد (المطلع). أنا سهران في نظم مديحك طول الليل (حتى ليظن الناس أنني أريد أن أرى الشمس كيف تطلع).

(٥) تكتنفي: أحاط بي (وفي أثناء النهار) أسير إليك، سواء أكان اليوم هجاً لفوحاً (حاراً يلفح الوجه) أو سراباً مُزِيداً: ماء كثيراً بارداً (٤).

(٦) سخنة العين: دامة العين (حزينة). يا بنيّا: يا ابني الصغير - ليتك لم تولد لي (لم تكن ابناً لي).

(٧) الحميّا: الخمر.

حَتَّى ضَرَبْتَ الدُّفُوفَ جَهْرًا وَقُلْتَ لِلشَّرِّ: جِيءَ إِلَيَّ؟
فَالْيَوْمَ أَبْكِكَ مِلءَ عَيْنِي، إِنْ كَانَ يُغْنِي الْبُكَاءُ شَيْئًا.

٤-★★ القلائد ٢١٤ - ٢١٥؛ الذخيرة ٢: ٤٥٢ وما بعده؛ المغرب ١: ٣٨٣ - ٣٨٤؛
الخريدة (المغرب) ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ نفح الطيب ٤: ٧٠ - ٧١، ١٤٨ - ١٤٩،
٢٦٣؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤٨٨ - ٤٩٠.

تميم بن المعزّ الصنهاجي

١- هو أبو يحيى تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ^(١) بْنِ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ^(٢) بْنِ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ
الصَّنْهَاجِيِّ وَلَدَ فِي الْمَنْصُورَةِ^(٣)، فِي ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٤٢٢
(١٠٣١/٧/٦ م).

كَانَتْ عَاصِمَةُ بَنِي زَيْرِي الْقَيْرَوَانَ. فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٤٥ (رَبِيعِ ١٠٥٣ م) عَهْدَ
الْمُعِزِّ إِلَى ابْنِهِ تَمِيمٍ بِالْوَلَايَةِ عَلَى مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ الْمُعِزُّ^(٤) ظَفَرَ تَمِيمٌ بِالْمُلْكِ. وَقَدْ
كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ أَحْدَاثٌ كَثِيرَةٌ: لَمْ تَكُنْ تَخْلُو سَنَةٌ مِنْ ثَوْرَةٍ دَاخِلِيَّةٍ أَوْ هُجُومٍ خَارِجِيٍّ
بَرًّا أَوْ بَحْرًا. وَقَدْ تَغَلَّبَ تَمِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْقَائِمِينَ بِهَذِهِ الْحَرَكَاتِ. وَلَكِنْ عَهْدَ تَمِيمٍ اضْطَرَبَ
بِثَلَاثَةِ أَحْدَاثٍ كَبِيرَةٍ: هُجُومُ قِبَاثِلِ بَنِي هَلَالٍ وَبَنِي سُلَيْمٍ عَلَى الْقَيْرَوَانِ وَمَا حَوْلَهَا، فِي
أَيَّامِ أَبِيهِ الْمُعِزِّ وَاسْتِمْرَارُ آثَارِ تِلْكَ الْمَهْجَةِ إِلَى أَيَّامِهِ. ثُمَّ احْتِلَالُ الْجَنُودِ الْإِيطَالِيِّينَ

(١) المعزّ اسم وليس في الأرجح لقباً (راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥). والمنصور مثل ذلك.

(٢) المنصورية التي يقال لها صبرة من بلاد إفريقية (وفيات الأعيان ١: ٣٠٥)، وهي المنصورة (ويقال لها المنصورية) بلد قرب القيروان (تاج العروس - الكويت - ١٤: ٢٣٢).

(٤) هنالك اختلاف يسير في تاريخ وفاة المعزّ. ذكر ابن الأثير (١٠: ١٥) وفاة المعزّ في أخبار سنة ٤٥٣. وفي الحلة السراء (٢: ٢١) كانت وفاته ٤٥٤؛ وفي وفيات الأعيان (١: ٣٠٥ و ٥: ٢٣٤) أنها كانت في ربيع شعبان من سنة ٤٥٤ (١٢/٨/١٠٦٣ م). أمّا البيان المغرب فيجعل وفاة المعزّ سنة ٤٥٤ (١: ٢٩٥ راجع السطرين الخامس والسادس)، ولكنّ سنة وفاته ترد (في المكان نفسه، السطر الرابع من أسفل) هكذا «٤٥٥». ولكنّ في هذا التاريخ غلطة مطبعية تظهر من مراجعة الجملة كلّها: «مولده سنة ٣٩٩، وولي الملك سنة ٤٠٧..... وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ثمان وخمسون سنة، فكانت مملكته سبعاً وأربعين سنة» (فتكون وفاته عند ابن عذارى أيضاً سنة ٤٥٤ هـ).

لمدينتي المَهْدِيَّة وَزَوِيلَةَ (سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م)، ثم استيلاء النورمان على صِقْلِيَّة (سنة ٤٨٤ هـ). وكانت صِقْلِيَّة تابعةً، منذ القرن الثالث للهجرة، للدُول التي تقومُ في القيروان.

وكانت وفاة تميم بن المُعزِّ في رَجَب من سَنَةِ ٥٠١ (أواخر السِّتاء من عام ١١٠٨ م).

٢ - كان تميم بن المُعزِّ شجاعاً حازماً حَسَنَ السِّيرة كريماً مُحبِّاً للعلماء . وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ من فُحولِ الشعراء من الملوك . وأكثرُ شعره الحماسة والغزلُ والخمر . وكان ناقدًا يعترضُ الذين يمدِّحونه أو يُناشدونه فينتقدُ ألفاظهم فلا يتخلَّص منه إلَّا الماهرُ منهم . غير أنَّنا نجدُ في شعره ، على جِماله وعُدوبته ، مآخذَ لغويَّة ونحويَّة .

٣ - مختارات من شعره :

- قال تميم بن المُعزِّ الصنْهاجيُّ في الحماسة :

- | | |
|----------------------------------------|---------------------------------------------------------|
| ★ فإمَّا الملْكُ في شَرَفٍ وعِزٍّ | عليَّ التاجُ في أعلى السَّيرِ ، |
| وإمَّا الموتُ بينَ ظُبا العوالي ، | فلستُ بخالدٍ أبَدَ الدهورِ ^(١) . |
| ★ وذِي عَجَبٍ من طولِ صَبْرِي على الذي | ألاقي من الأرزاءِ ، وهو جَليلُ ^(٢) |
| يقولُ : ألا تشكو؟ فقلتُ : متى شكا | شبا السيفِ عَضْبَ الشَّفَرَتَيْنِ صَقيلِ ^(٣) |
| وإنَّ امرأً يشكو إلى غيرِ نافعٍ | ويسخو بما في نفسه لَجْهولُ ^(٤) . |
| عدائي أنْ أشكو إلى الناسِ أنِّي | عليلٌ ومنْ أشكو إليه عليلُ ^(٥) . |

(١) الظبا جمع ظُبة (بضمّ ففتح) : حدّ السيف . والعوالي : صدور الرماح . وكان بإمكان الشاعر أن يقول : « ظبا المواضي » (فلا يختل الوزن ويصحّ المعنى) .

(٢) العجب : الاستغراب : الرزء (بالضمّ) : المصيبة الكبيرة . الجليل : العظيم .

(٣) الشباة (بالفتح) : حدّ السيف . العضب : القاطع ، الحادّ . من حقّ « صَقيل » (هي نكرة) أن تكون منصوبة على الحال .

(٤) سخا : جاد . بما في نفسه (بأسراره وحقيقته أمره) .

(٥) عدائي : صرفني .

سَأَسْكُنْتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ فُلُولٌ^(١)
- وَقَالَ يَصِفُ مُنَافِقًا:

رَأَيْتُكَ قَاعِدًا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْتَ الشَّهْمُ فِي « قَالُوا وَقُلْتُ »^(٢)
وَطَرَارًا لَهُ لُطْفٌ وَحِذْقٌ وَالْفَاظُ يُنَمِّقُهَا وَسَمْتُ^(٣)
وَتَقْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَسَبٍ وَبَيْتٍ، وَلَوْلَا ذَاكَ مِنْهُ لَهَا وَتَقْتُ^(٤).
وَقَدْ يَعِدُ الْوَعْدَ وَلَيْسَ يُوفِي وَلَيْسَ بِقَائِلٍ يَوْمًا: « فَعَلْتُ »^(٥).
كَخَزِّ الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ يَرُوقُ وَمَالَهُ أَصْلٌ وَنَبْتُ^(٦)
- وَمِنْ شَعْرِهِ الْوُجْدَانِي فِي الْخَمْرِ وَالْغَزَلِ:

* مُدَامٌ يَطُوفُ بِكَأْسِ الْمُدَامِ فَلَمْ أَذِرْ أَيْهَا أَشْرَبُ^(٧)!
فَهَذَا الصَّدِيقُ، وَهَذَا الرَّحِيقُ، وَهَذَا الْهَلَالُ، وَذِي الْكَوْكَبِ^(٨).
وَهَذَا يُمَدُّ بِالْحَاطِظِ، وَهَذَا بِأَلْبَابِنَا تَلْعَبُ^(٩).
وَمَا الْبَدْرُ وَالنَّجْمُ مِنْ ذَا وَذَاكَ وَلَكِنَّهُ مَثَلٌ يُضْرَبُ^(١٠)!

-
- (١) الاحتساب: طلب الأجر من الله. فلول جمع فلّ (بالفتح): الكسر في حدّ السيف.
(٢) الشهم: الذئبي، السديد الرأي، الصبور.
(٣) الطرار: النشال الذي يشقّ الجيوب غمًا فيها ويحتطفه. سمت: الهيئة، الوقار.
(٤) الحسب: الفعل الحميد (والشاعر يقصد النسب: الأسرة المشهورة). البيت (البيت المشهور بالزعامة أو الفنى، الخ).
(٥) وفى وأوفى بعهده: برّ به ونفّذه.
(٦) خزّ الماء: ما يعلو وجه الماء من الطحلب (تعليق من خريدة المغرب ١: ١٤٤).
(٧) مدام الأولى اسم غلام. مدام الثانية: خمر.
(٨) الرحيق: الشراب المخلو. فى البيت تشابيه بليغة: مدام (الغلام) صديق وهلال، ومدام (الخمر) رحيق وكوكب.
(٩) يمدّ بالحاظنا: يجعلنا ننظر إلى بعيد (إلى ما لا يجوز لنا أن ننظر إليه - لا يجوز لنا أن نشتهي). اللبّ (بالضم): العقل.
(١٠) البدر ليس مثل مدام (الغلام)، والنجم (الكوكب) ليس خمرًا، ولكن جرت العادة بتشبيه بعض هذه الأشياء ببعض.

- ★ هُمْ عَرَّضُونِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهُوَى
جَفَوْنِي جَنَّتْ قَتْلِي عَلَى صَبَابَةٍ؛
- ★ وَجَاهِلِيَةِ بِالْحُبِّ لَمْ تَذَرِ طَعْمَهُ،
أَقَامْتُ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا وَحَارِسًا
أَدْرْتُ الْهُوَى، حَتَّى إِذَا صَارَ كَالرَّحَا
- ★ أَلَمْتُ بِوَجْهِ كَبْدَرِ الدُّجَى
كَبْدَرِ السَّمَاءِ بَدَا طَالِعًا
- ★ وَإِذَا حَرَكَ الثَّانِي عَنِيدُ
وَسَعَى بِالْكُؤُوسِ بَذْرٌ مُنِيرٌ
مَا أَبَالِي إِذَا شَرِبْتُ ثَلَاثًا
- وَهُمْ قَطَعُوا حَبْلِي وَهُمْ صَرَفُوا رُسْلِي^(١)
وَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا بِالْحَاطَةِ قَبْلِي!
وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْحُبِّ.
فَلَيْسَ لِدَانٍ مِنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي^(٢).
جَعَلْتُ لَهُ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ الْقُطْبِ^(٣).
تَقَنَّعَ بِالْمَغْجَرِ الْأَزْرَقِ^(٤)؛
تَحِيفُ بِهِ زُرْقَةَ الْمَشْرِقِ.
وَسَمِعْنَا زَمْرًا وَلَحْنًا شَجِيًّا^(٥)،
وَسَقَانَا الرِّحْقَ صِرْفًا وَحَيًّا^(٦)،
أَيَّ قَاضٍ بِالْجَوْرِ يَقْضِي عَلَيَّا^(٧)!

- وَمِنْ أَبْيَاتٍ لَهُ فِي دَلَائِلِ التَّقْوَى:

- ★ مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ
إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ سِرٌّ
- ★ فَكَّرْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَهَوْلِهَا،
وَأُنْفِذَ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءُ،
يَحْكُمُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ.
يَا وَيْلَتَاهُ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ^(٨).

- (١) الصبابة: الشوق. صرفوا رُسْلِي: ردّوهم (لم يقبلوا دعوتي).
- (٢) دَانٍ: قريب (مقرب) - رَقِيبًا وَحَارِسًا: يمنعان غيرها من الدنو إلى قلبي (لا أستطيع أن أحب سواها).
- (٣) الرّحَا والرّحَى: الطاحون من حجرين يدور أعلاهما على أسفلهما حول قطب (أسطوانة قصيرة) في نصف الرّحَا الأسفل. - جميع الهَبَيْنِ جعلتهم من مذهبي.
- (٤) المغجّر ثوب أصفر من الرداء وأكبر من المقنعة تلفه المرأة على رأسها ثم تلبس فوقه جلبابها.
- (٥) الثاني (هنا): الآلات الموسيقية. عنيد (٤). الشجّي: الحزين (المؤثر في العاطفة).
- (٦) الرّحيق: الشراب الحلو (هنا) الخمر. صرفًا: غير ممزوجة بماء. حيًّا: ألقى (علينا) السلام، (أشار إلينا بالكأس).
- (٧) الجور: الظلم.
- (٨) لات حين مناص: ليس (لي يوم القيامة) مناص (مفرّ من الناس، لسوء أعمالي في الدنيا).

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ خَيْرَ سَائِلِي، يَوْمَ الْمَعَادِ، شَهَادَةُ الْإِخْلَاصِ^(١).

★ فَلَيْتَنُ صَبَوْتُ لَقَدْ صَبَا أَهْلُ النُّهْيِ، وَلَيْتَنُ هَفَوْتُ فَلَسْتُ بِالْمَعْصُومِ^(٢)!

٤ - ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ م.

★★-٤ البيان المغرب ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ الحلة السراء (مع ترجمة أبيه) ٢: ٢١ - ٢٦؛
ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٤ - ٣٠٦؛ الخريدة (المغرب)
١: ١٤١ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧١ - ٧٢ (٨٢).

عز الدولة الصَّادِحِيّ

١ - هو عز الدولة أبو مروان عبد الله^(٣) بن محمد المعتصم بن معن بن صَاحِح.

في سنة ٤٨٣ هـ جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازَه الثالث وهو يُضْمِرُ
الاستيلاء على الأندلس فبدأ بفَرَنَاطة. وكان المعتصم بن صَاحِحَ مَكرًا بعيدَ التفكيرِ
فأَرَادَ تَأَلَّفَ يوسف بن تاشفينَ لعلَّهُ يتركُ الاستيلاءَ على المَرِيَّةِ، فأرسلَ ابنَه عزَّ الدولة
لِيُهَنِّئَ يوسفَ بنَ تاشفينَ بالفتح. ولم يَخَفَ على يوسفَ مَقْصِدَ المعتصمِ فاعتقلَ عزَّ
الدولة وسجنَه مُقَيَّدًا. ولكنَّ المعتصمَ أَحْتَالَ في إنقاذ عزَّ الدولة ونقلَه من طريقِ ثَغْرِ
مالقة إلى المَرِيَّةِ. حينئذٍ أَسْرَعَ يوسفُ بنُ تاشفينَ فأرسلَ جيشًا أَحْتَلَّ المَرِيَّةَ
(٤٨٤ هـ).

وانتقل عزَّ الدولة وشيكًا إلى شَالِي إفريقيةَ ولجأ إلى أحدِ المرابطين في بجاية
لِصِلَةٍ كانتَ له به من قبلُ ولازمه آمناً عنده يُنادمه، وقد صَرَفَ أَهْتَامُهُ عن الكفاحِ
واكتفى بِشُرْبِ الخَمْرِ ومُعَاشَرَةِ الملاح.

وفي سنة ٤٨٤ هـ، أو في السنة التي تليها، أرسلَ الشاعرُ ابنُ اللَّبَّانَةِ إلى عزَّ

(١) المعاد: يوم القيامة. شهادة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله.

(٢) صبا: مال (إلى اللهو والغزل). النهي: العقل. هفا: أخطأ، أذنب.

(٣) في المغرب (٢: ٢٠١): هو الواثق عزَّ الدولة أبو مُحَمَّد عبد الله. وفي الحلة السراء (٢: ٨٨): هو عزَّ

الدولة أبو مروان عبيد الله (عبيد بالتصغير). وفي نفح الطيب (٧: ٤٠): هو عزَّ الدولة أبو مروان

عبد الله.

الدولة بَيْنَتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ يَنَالُ مِنْ عَطَايَا بَنِي صُهَادِحَ مِنْ قَبْلُ،
فَارْسَلَ عِزَّ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ مَبْلَغًا يَسِيرًا قِطْعًا لِلْسَّانَةِ.

وَلَمَّا سَارَ يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ، سَنَةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ م)، لِفَتْحِ طَلَيْطَلَةَ
كَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مَعَهُ. وَلَعَلَّ عِزَّ الدَّوْلَةِ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا.

٢ - قَالَ الشُّقْنَدِيُّ: إِنَّ عِزَّ الدَّوْلَةِ أَشْعَرُ مِنْ أَبِيهِ (نَفْح ٣: ٣٦٩). وَمُعْظَمُ مَا
وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِ عِزَّ الدَّوْلَةِ الشَّكْوَى وَالْعِتَابُ وَالنَّسِيبُ. كَانَ نَسِيبُهُ يَحْمِلُ
خَصَائِصَ مُوَلَّدَةٍ، أَمَّا عِتَابُهُ فَجَزَلُ الْأَلْفَاظِ عَلَى عَمُودِ الشَّعْرِ. وَيَشْكُو عِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ
أَنَّهُ، فِي اعْتِقَالِهِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ ثُمَّ فِي اعْتِزَالِهِ بَعْدَ سُقُوطِ دَوْلِ الطَّوَائِفِ، لَا يُحَارِبُ وَلَا
يُقَاتِلُ، مَعَ أَنَّهُ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ أَبِيهِ كَانَ مُنْصَرِفًا إِلَى اللَّهِو وَحْدَهُ، وَقَدْ زَادَ انْهَاكُهُ فِي
الْمَلَاذِّ بَعْدَ ذَلِكَ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- لَمَّا اعْتُقِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ الصَّادِحِيُّ فِي غَرْنَاطَةَ وَتَقَفَ (قَيْدًا) كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ:
أَبْقَدَ السَّنَا وَالْمَعَالِي خُمُولُ؟ وَبَعْدَ رُكُوبِ الْمَذَاكِي كُبُولُ^(١)؟
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ حُرًّا عَزِيزًا أَنَا الْيَوْمَ عَبْدٌ أَسِيرٌ ذَلِيلٌ؟
حَلَلْتُ رَسُولًا بِغَرْنَاطَةِ فَحَلَّ بِهَا بِي خَطْبٌ جَلِيلٌ^(٢).
وَتَقَفْتُ إِذْ جِئْتُهَا مُرْسَلًا، وَقَدْ كَانَ يُكْرَمُ قَبْلِي الرَّسُولُ^(٣).
فَقَدْتُ الْمَرِيَّةَ - أَكْرِمْ بِهَا! - فَمَا لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا سَبِيلٌ^(٤).

- قَادَ الْأَمِيرُ يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ غَزْوَةً إِلَى طَلَيْطَلَةَ، وَكَانَ مَعَهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا
وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَيْهَا وَنَصَبَ الْخِيَامَ فِي سَاحَتِهَا اتَّفَقَ أَنْ سَقَطَ لِيَوَاءَ مِنْ يَدِ حَامِلِهِ.

(١) السَّنَا: الضَّوءُ، ضَوْءُ الْقَمَرِ (الشَّهْرَةِ). الْمَذَاكِي: الْخَيْلُ (الْقَامُوسُ ٤: ٣٣٠) لَا مُفْرَدَ لَهَا. الْكُبُولُ جَمْعُ
كَبَلٍ (بِالْفَتْحِ): قَيْدٌ.

(٢) خَطْبٌ: مَصِيْبَةٌ. جَلِيلٌ: عَظِيمٌ.

(٣) تَقَفَ الرَّجُلُ: وَضَعَ فِي رَجْلَيْهِ أَوْ يَدَيْهِ الثَّقَافَ (الْقَبِيودَ).

(٤) الْمَرِيَّةُ: مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٍ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ.

فانكسر عودُهُ. فتشَاءَمَ قومٌ من ذلك فقال عِرْ الدولة:

لم يَنْكَسِرْ عودُ اللؤلؤِ لِطَيَرَةٍ يُخْشَى عَلَيْكَ بِهَا، وَإِنْ تَتَأَوَّلَا
لَكِنْ تَحَقَّقْ أَنَّهُ يَنْدَقُّ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، لَدَى الْوَعْيِ، فَتَعَجَّلَا.
- لَمَّا لَجَأَ عِرْ الدَّوْلَةَ إِلَى صَدِيقِهِ الْمُرَابِطِيِّ فِي بَحَايَةِ (الجزائر اليوم) تَذَكَّرَ عِرْهُ
الْقَدِيمَ فَقَالَ يَشْكُو:

لَكَ الْحَمْدُ؛ بَعْدَ الْمُلْكِ أَصْبَحُ خَامِلًا بَأَرْضٍ اغْتَرَابٍ لَا أُمِيرٌ وَلَا أُحْلِي^(١)
وَقَدْ أَصْدَأْتُ فِيهِ الْهُوَادَةَ مُنْصَلِي، كَمَا نَسِيتُ رَكْضَ الْجِيَادِ بِهَا رِجْلِي^(٢)
وَلَا مِسْمَعِي يُصْفِي لِنَغْمَةِ شَاعِرٍ، وَكَفَيْ لَا تَمْتَدُّ يَوْمًا إِلَى بَذَلٍ؛
طَرِيدًا شَرِيدًا لَا أَوْمَلُ رَجْعَةً إِلَى مَوْطِنٍ بُوْعِدْتُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِي.
وَقَدْ كُنْتُ مَتَبوعًا فَأَصْبَحْتُ تَابِعًا لَدَى مَعْشَرٍ لَيْسُوا بِجِنْسِي وَلَا شَكْلِي؛
وَقَوْلِي مَسْمُوعٌ وَفِعْلِي مُحْكَمٌ، وَهَا أَنَا لَا قَوْلِي يَجُوزُ وَلَا فِعْلِي.
وَقَدْ كُنْتُ غِرًّا بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ، فَقَدْ بَانَ قَدْرُ الْعِرِّ عِنْدِي وَالذُّلُّ^(٣)
- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

إِنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ كَمَدٍ فَإِنِّي قَدْ جَمَعْتُ الْهَمَّ وَالْكَمَدَ^(٤)؛
لَمْ أَبْقِ مِنْهُ لَغِيرِي مَا يُحَازِرُهُ، فَلَيْسَ يَقْصِدُ دُونِي فِي الْوَرَى أَحَدًا^(٥)
- وَمِنْ شَعْرِهِ فِي النَّسِيبِ:

أَهْوَى قَضِيبَ لُجَيْنٍ قَدْ أَطْلَعَ الْبَدْرُ فِيهِ^(٦).
إِنْ كَانَ مَوْتِي بِلُحْظٍ مِنْهُ فَعَيْشِي يَلِيهِ.

(١) لَا أَمْرٌ وَلَا أَحْلِي (لَا أَضُرُّ وَلَا أَنْفَعُ).

(٢) الْهُوَادَةُ (السُّكُونُ: الْبَقَاءُ بِلَا عَمَلٍ) أَصْدَأْتُ مُنْصَلِي (سَيْفِي): جَعَلْتُ الصَّدَأَ يعلوه.

(٣) غَرٌّ: قَلِيلُ الْاِخْتِبَارِ، جَاهِلٌ. صَرَفَ الزَّمَانُ: ثَقَلَبَهُ (مَصَاتِبُهُ). بَانَ: ظَهَرَ.

(٤) الْكَمَدُ: الْحُزْنُ وَالْغَمُّ.

(٥) الْوَرَى: النَّاسُ، الْبَشَرُ كُلُّهُمْ. - اجْتَمَعَ الْكَمَدُ كُلُّهُ عَلَيَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَخَافُ أَنْ يَحِلَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(٦) لُجَيْنٌ: فَضَةٌ. قَضِيبُ لُجَيْنٍ: كُنَايَةٌ عَنِ الْقَامَةِ الرَّشِيقَةِ الْجَمِيلَةِ. الْبَدْرُ (كُنَايَةٌ عَنِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ).

يا ربُّ، كم أَتَمَنَّى لُقِيَاهُ، كم أَشْتَهِيهِ!
ولا أرى منه شيئاً سوى جَفَاءٍ وتيه^(١).
طوبى لدارِ حَوْنِهِ وأُمِّهِ وأبيهِ،
بل ألفُ طوبى لعبدٍ في مَوْضِعٍ يَلْتَقِيهِ.

★★-٤ المغرب ٢: ٢٠١ - ٢٠٢؛ الحلة السراء ٢: ٨٩ - ٩٢؛ فنج الطيب ٧: ٤٠ - ٤٣؛ نيكل ١٨٤ - ١٨٥.

ابن اللبّانة

١- هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عيسى بنِ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِيُّ الدَّائِي، وُلِدَ في مدينة دَائِيَّةٍ ونُسِبَ إلى أُمِّهِ التي كانت، فيما يبدو، تَبِعُ اللَّبْنِ؛ ولا نَعْرِفُ شيئاً عن أبيهِ عيسى. وكذلك لا نَعْرِفُ شيئاً عن حياته الأولى.

بدأ ابنُ اللَّبَّانَةِ حياته العامَّةَ بالدَّورَانِ على بَلَاطِ ملوكِ الطوائفِ للتكسِّبِ بِشعرِهِ. اختار أن يذهب إلى المَرِيَّةِ لِيَمْدَحَ أبا يحيى مُحَمَّدَ بْنَ مَعْنٍ المعروف باسمِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهاجٍ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ)، سَنَةَ ٤٦٠ هـ أو قبلَ ذلك بقليل. ويبدو أنه لم يستطع في أول الأمر أن يَتَّصِلَ به، ثم اتَّصَلَ به ومدحه. ولكنَّ هذا الاتِّصالَ لم يَظُلْ لأنَّ شاعراً آخرَ اسمه أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الحَدَّادِ الوادي آشي - كان قد نال حظوةً عند المعتصم بن صُهاجٍ وأصبحَ وزيراً له - سرَّعانَ ما أفسد ما بين المعتصم بن صُهاجٍ وابنِ اللَّبَّانَةِ المَرِيَّةِ وذَهَبَ إلى بَطْلَيْوُسَ لِيَمْدَحَ أميرها المتوكِّلَ على الله أبا حفصِ عُمَرَ. ولكنَّ المتوكِّلَ على الله كان، فيما يبدو، قليل الاحتفال بالشعر في ذلك الحين لأنَّه كان يَحْكُمُ بَطْلَيْوُسَ بالاشتراك مع أخيه المنصورِ يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ). وفي سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) توفِّي يحيى وانفرد المتوكِّلُ بالحُكْمِ.

وبارح ابنُ اللَّبَّانَةِ بَطْلَيْوُسَ إلى قُرْطُبَةٍ. وأغلبُ الظنِّ أنه جاء إلى قرطبة سَنَةَ

(١) الجفاء: البعد. التيه: التكبر.

٤٦٩ هـ لِيَهْتَى المعتمد بن عبادٍ بفتح قرطبة للمرة الثانية. ثم انتقل إلى بلاط المعتمد في إشبيلية ونال فيه حظوة أنستهُ مرارة الأيام الخالية.

وفي سنة ٤٨٤ هـ استولى المرابطون على إشبيلية وحلوا المعتمد بن عبادٍ أسيراً وحبسوه في سجن أغمات (قرب مراكش)، فظلَّ ابنُ اللبَّانةَ وفياً للمعتمد يزوره بين الفينة والفينة ويمدحه. ولم يَمِلْ ابنُ اللبَّانةَ إلى المرابطين، بل كان منحرفاً عنهم كمُعْظَم الشعراء في ذلك الحين، لأنَّ يوسفَ بنَ تاشفينَ كان يبني دولةً ومُلْكاً ولم يَكُنْ يُلْقِي بالآ إلى المَدائح والأهاجي.

ثم أنَّ ابنَ اللبَّانةَ جاء إلى جزيرة ميورقة في آخرِ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٤٨٥ هـ، قبل وفاة المعتمد بن عبادٍ، لِيَمْدَحَ، فيما يبدو، أميرها ناصر الدولة مبشَّرَ بنَ سُلَيْمَانَ الذي كان قد جاء إلى حكم الجزيرة في تلك السنة نفسها. وبعد وفاة المعتمد في أغمات (٤٨٨ هـ) عاد ابن اللبَّانة إلى ميورقة ومدح ناصر الدولة بقصائدٍ كثيرة. غير أن ناصر الدولة غَضِبَ من ابن اللبَّانة، فغادر ابنُ اللبَّانةَ جزيرة ميورقة وانتقل إلى بجاية (في المغرب الأوسط) لاجئاً إلى بني حمود، في أواخر أيام المنصور (بجاية ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ) أو في أيام ابنه باديس (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ).

وذهب ابن اللبَّانة إلى تِلْهَسَانَ ثم عادَ ثالثةً إلى ميورقة وتوفي فيها سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قبل وفاة أميرها مُبَشَّرَ بنحو سَنَةٍ واحدة.

٢- كان أبو بكر بن اللبَّانة أديباً كاتباً شاعراً مُكثِراً ومُجيداً في الشعر وفي النثر. وله قصيدٌ ومَوْشَحٌ وقصائدٌ طوالٌ ومُقْطَعَاتٌ. وَهُوَ مُتَصَرِّفٌ في المعاني قليلُ التَّكَلُّفِ قد جَمَعَ بين سُهولة التركيبِ ورَشَاقَةِ التعبير، يعتمدُ في ذلك جُودَةَ طبعه وقوَّةَ قريحته، ولا يَعْرِفُ عِلَلَ الشَّعْرِ وعلومه. وله مديح كثير أحسنه في بني عبادٍ. ومن فنونه أيضاً الشكوى والعتابُ والرثاء والهجاء والغزلان المذكر والمؤنث، وله أيضاً وَصْفٌ للطبيعة. ثم هو مؤلِّف، له: كتاب مناقل الفتن - نَظْمُ السلوك في وعظ الملوك - سَقِيطُ الدَّرَرِ وَلَقِيطُ الزَّهَرِ (في شعر بني عبادٍ).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو بكر بن اللبّانة يَصِفُ جزيرةَ مَيُورِقَةَ (المغرب ٢: ٤٦٦):
- بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْجَمَامَةُ طَوْقَهَا، وكسَاهُ حُلَّةَ رِيشِهِ الطَّائِفُوسُ^(١).
وكَأَنَّهَا تِلْكَ الْمِيَاهُ مُدَامَةٌ، وكأنَّ قِيَعَانَ الدِّيَارِ كُؤُوسُ^(٢)!
- وقال يهجو رجلاً اسْمُهُ ابْنُ السَّيِّدِ:
- يَرُوقُكَ فِي أَهْلِ الْجَمَالِ ابْنُ سَيِّدٍ كَثَرَتْ جَمَّةٌ رَاقَتْ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى^(٣).
حَكَى شَجَرَ الدِّفْلَاءِ حُسْنًا وَمَنْظَرًا؛ فَمَا أَحْسَنَ الْمَجْلَى وَمَا أَقْبَحَ الْمَجْنَى^(٤)!
- وقال يَمْدَحُ^(٥):

بَكَتْ عِنْدَ تَوْدِيعِي، فَمَا عَلِمَ الرِّكْبُ أَذَاكَ سَقِيطُ الطَّلِّ أَمْ لَوْلُورُ طَبْ^(٦)!
وَتَابَعَهَا سِرْبٌ؛ وَإِنِّي لَمُخْطِئٌ، نُجُومُ الدِّيَاجِي لَا يُقَالُ لَهَا: سِرْبٌ^(٧)!
لَئِنْ وَقَفْتُ شَمْسُ النَّهَارِ لِيُوشِعَ، لَقَدْ وَقَفْتُ شَمْسُ الْهَوَى لِي وَالشُّهْبُ^(٨)!

- (١) طوق الحمامة: الريش الملون حول عنق الحمامة (ويكون عادة كثير الألوان). الحلة: الثوب من الحرير. - كناية عن أن أرض جزيرة ميورقة كثيرة المروج كثيرة الأزهار.
- (٢) المدامة: الخمر. القيعان جمع قاع: بقعة منخفضة تتجمع فيها المياه.
- (٣) يروقك: يعجبك، يسرك. الترجمة: فاحمة الكتاب (مقدمته).
- (٤) الدفلى والدفلاء: شجيرة لها زهر حى ولكن لا رائحة له ولا ثمر لها. المجلى: المظهر، المنظر. المجنى: قطع (الزهر) أو قطعه قبيح إذ لا رائحة له.
- (٥) في فوات الوفيات (٢: ٣٢٥) أن هذه الأبيات من قصيدة في مديح العتمد بن عباد، وفي قلائد العقيان (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) بيت فيه ذكر ميورق (ميورقة؟) ثم ذكر ناصر الدولة (بن سليمان صاحب ميورقة من سنة ٤٨٥ - ٥٠٨ هـ). وفي المغرب (٢: ٤١٠) قصيدة من هذا البحر وعلى هذا الروي في المتوكل بن الأفطس.
- (٦) الركب: الجماعة يركبون الخيل أو الإبل ويسيرون معاً. سقيط الطل: قطرات الندى التي تتكون ليلاً على أوراق الشجر. الرطب (صفة للؤلؤ): الذي له بريق (٤). - لآ بكت المحبوبة وتساقطت دموعها على خديها ظن الذين يرافقونني أن دموعها ندى أو لؤلؤ.
- (٧) وتابعها سرب: بكى معها لباكائها سرب (السرب في الأصل القطيع من بقر الوحش = الغزلان، الطباء). نجوم الدياجي (جمع دجى: الليل المظلم) = كناية عن النساء الحسنات.
- (٨) إذا كانت الشمس قد توقفت فوق الأفق ليوشع ولم تغب حتى استمر يوشع في خوض المعركة، فإن =

عَقِيلَةُ بَيْتِ المَجْدِ؛ لَمْ تَرَهَا الدُّجَى، وَلَا لَمَحَتْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ لَهَا تَرَبٌ^(١)،
وَبَحْرٍ - سَوَى بَحْرِ الهَوَى - قَدَرَكِبْتُهُ
وَلَمَّا رَأَتْ عَيْنِي جَنَابَ مَيُورَقِي
نَزَلْتُ بِكَافُورٍ وَتَبَرٍ وَجَوْهَرٍ
وَقُلْتُ: المَكَانُ الرَّحْبُ فِيهِ؛ فَقِيلَ لِي:
حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ عَفْوَاً، وَلَوْ سَمَى
وَيَرْتَاحُ عِنْدَ الجُودِ حَتَّى كَأَنَّهُ
سَأَلْتُ أَخَاهُ البَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي:
ذُرَى نَاصِرِ العَلِيَّةِ أَجْمَعُهُ رَحْبٌ^(٢)
لَهَا البَرَقُ خَطْفاً جَاءَ مِنْ دُونِهَا يَكْبُو^(٣)
- وَحَاشَاهُ - نَشْوَانٌ يَلْذُلُهُ الشُّرْبُ^(٤)
شَقِيقِي إِلَّا أَنَّهُ البَارِدُ العَذْبُ!^(٥)

- وَمِنْ مَوْشَحَاتِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ اللَّبَّانَةِ هَذِهِ المَوْشَحَةُ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا بَادِيسَ بْنِ
الْمَنْصُورِ (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ) مِنْ بَنِي حَمَادٍ أَصْحَابِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ وَبِجَايَةِ وَغَيْرِهَا فِي
الْمَغْرِبِ الأَوْسَطِ:

فِي نَرْجَسِ الأَحْدَاقِ وَسَوْسَنِ الأَجْيَادِ نَبْتُ الهَوَى مَغْرُوسٌ بَيْنَ القَنَا المَيَّادِ^(٨)

★ ★ ★

- = اللَوَاقِي وَقَفْنَ لودَاعِي شَمْسِ الهَوَى (المُحِبَّة) والشَّهْبِ (الْفَتَيَاتِ الجَمِيلَاتِ المُرَافَقَاتِ لَهَا). بِقَصْدِ أَنْ
الشَّمْسُ وَحْدَهَا وَقَفَتْ لِيُوشِعَ، أَمَّا هُوَ فَوَقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَالنَّجُومُ.
- (١) العَقِيلَةُ: الكَرِيمَةُ المَحْدَرَةُ، المَصُونَةُ. الدُّجَى: اللَّيْلُ، ظِلَامُ اللَّيْلِ. التَّرَبُّ: المَائِلُ لغيرِهِ فِي العَمْرِ. - هِيَ
مَكْرَمَةٌ مَصُونَةٌ لَا تَبْتَدِلُ فِي الأَعْمَالِ لَا نَهَاراً وَلَا لَيْلاً.
- (٢) بَحْرٌ: هُوَ البَحْرُ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ السَّفَنُ. لِأَمْرٍ: لِبُلُوغِ أَمْرٍ عَظِيمٍ. كَلَا البَحْرَيْنِ: البَحْرَ وَالهَوَى (الْحُبَّ).
- (٣) الجَنَابُ: الجَانِبُ. حَسَبَ المَرءِ بَغِيَّتَهُ: يَكْفِي الإِنْسَانَ أَنْ يَنَالَ بَغِيَّتَهُ (مَا يَبْغِي، مَا يَطْلُبُ).
- (٤) نَزَلْتُ فِي جَزِيرَةٍ حَجَارَتِهَا وَرَمَلُهَا تُشَبِّهُ الكَافُورَ وَالدَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ.
- (٥) الرَّحْبُ: الوَاسِعُ، المَتَّعُ لِلضُّيُوفِ. الذَّرَى: المَكَانُ المُرْتَفِعُ كَالذَّرْوَةِ.
- (٦) حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ: سَبَقَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ. عَفْوَاً: عَلَى مَهْلٍ وَمِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ لذلِكَ. وَمِنْ غَيْرِ أَنْ
يَجْهَدَ (يَتَعَبُ). وَلَوْ أَنَّ البَرَقَ أَسْرَعَ لِفَعَلَ فَعَلَ (الْمَدْدُوحُ) لَجَاءَ البَرَقُ وَرَاءَهُ نَعْباً أَيْضاً. يَكْبُو: يَسْقُطُ
عَلَى وَجْهِهِ.
- (٧) يَرْتَاحُ: يَطْرُبُ، يَسْرُ.
- (٨) نَرْجَسُ الأَحْدَاقِ: العَيُونُ الَّتِي تُشَبِّهُ النَّرْجَسَ. سَوْسَنُ الأَجْيَادِ: الأَعْنَاقُ الَّتِي تُشَبِّهُ السَّوسَنَ (الزَّنْبَقَ)
بِبَيَاضِهَا. القَنَا: الرَّمَاحُ. المَيَّادُ: الَّذِي يَهْتَزُّ (كُنَايَةٌ عَنْ قَامَاتِ النِّسَاءِ الحَسَنَاتِ).

وفي نَقَا الكافورِ والمنَدَلِ الرُّطْبِ
 والهَوْدَجِ المَزْرُورِ بالَوْشِي والعَصْبِ
 نادَى بها المَهْجُورِ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ:
 قُضِبُ من البَلُورِ حَمِينٍ بالقُضْبِ.
 أَذَابَتْ الأَشْوَاقُ رُوحِي عَلَى أَجْسَادِ أَعَارَهَا الطَاوُوسِ
 من ريشه أبراذ^(١)

★ ★ ★

كواكِبُ أترابٍ تَشَابَهَتْ قَدًّا
 عَضَّتْ عَلَى العُنَابِ بِالْبَرْدِ الأَنْدَى؛
 أَوْصَتْ بِي الأَوْصَابِ وَأَغْرَتِ الوَجْدَا.
 وَأَكْثَرُ الأَحْبَابِ أَعْدَى من الأَعْدَا.
 تَفْتَرُّ عَنْ أَغْلَاقٍ لآلِيَةٍ أَفْرَادٍ فِيهِ اللَّمَى مَخْرُوسٌ
 بِالسَّنِ الأَغْمَازِ^(٢).

★ ★ ★

خَرَجْتُ مُحْتَالًا أَنْغِي سَنَا البَرَقِ
 أَقْطَعُ أُمَيْلًا غَرْبًا إِلَى شَرْقِ،

(١) النقا: الرمل الأبيض. نقا الكافور: أبيض كلون الكافور. والمندل (أجود أنواع العود = نبت طيب الرائحة) الرطب (الجديد الذي تفوح منه رائحة قوية). الهودج: شبه غرفة تحمل على الجمل وتركب فيها النساء. المزور: المربوط، المغلق، المستور. الوشي: نسيج فيه نقوش. العصب: نوع من الثياب الحريرية. قضب من البلور: نساء بيض (جيلات) طويلات القامة حين: جاهن، قام حولهن سور من الرجال الشجعان القضب: السيوف. الأشواق (فاعل)، رُوحِي (مفعول به). الأبراد جمع بُرد: ثوب من حرير.

(٢) كواكب أتراب: فتيات جيلات متماثلات في الأعمار. القد: القامة. عضت على العناب بالبرد الأندى: لمن شفاء شديدة الحمرة وأسنان شديدة البياض. أوصت....: سببت (تلك الشفاء والأسنان) لي الآلام وجعلتني شديد الحب لها (لصاحباتها). تفتّر (تنفتح، تنكشف) عن أغلاق (جمع علق بكسر العين: الشيء النفيس) لآلئ أفراد (مثل اللآلي الفريدة، الكبيرة، الثمينة: الأسنان) اللمى: السمرة في الشفاء (الشفاء). الغمد: قراب (بيت) السيف. ألسن الأعاد: رموش العيون.

مُؤْمَلًا حَالًا تَكُونُ مِنْ وَفْقِي.

فَقَالَ مَنْ قَالَا وَفَاهَ بِالصِّدْقِ:

دَعِ قَطْعَكَ الْآفَاقِ، يَا أَيُّهَا الْمُرْتَادُ وَاقْصِدْ إِلَى بَادِيَسٍ خَيْرِ بَنِي حَمَّادٍ^(١)

- وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ اللَّبَّانَةِ، لَمَّا اسْتَوْلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَخَلَعُوا الْمُعْتَمِدَ بْنَ

عَبَادٍ وَحَلَوْهُ مَعَ أَهْلِهِ الْبَاقِينَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ أُسْرَى إِلَى الْمَغْرِبِ:

تَبْكِي السَّمَاءُ بُمَزْنٍ رَائِحٍ غَادِي عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أَبْنَاءِ عِبَادٍ^(٢)،

وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أُوتَادٍ^(٣)،

وَكَعْبِيَّةٌ كَانَتْ الْأَمَالَ تَخْدِمُهَا، فَالْيَوْمَ لَا عَاكِفٌ فِيهَا وَلَا بَادٍ^(٤).

يَا ضَيْفُ، أَقْفَرَ بَيْتُ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ.

خَفَّ الْقَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي^(٥)،

وَأَنْتَ يَا فَارِسَ الْخَيْلِ الَّتِي جَعَلْتُ تَحْتَالَ فِي عُدَدٍ مِنْهُمْ وَأَعْدَادٍ^(٦)،

أَصْبَحَتْ فِي لَهَوَاتِ الضَّيْفِ الْعَادِي^(٧)،

وَكُلَّ شَيْءٍ لِمَيْقَاتٍ وَمِيعَادٍ^(٨).

هَنَّاكَ مِنْ دُرَرٍ لِلْمَجْدِ أَفْرَادٍ^(٩).

(١) خَرَجْتَ مَحْتَالًا (لِكَسْبِ الرِّزْقِ) أَبْنِي (أَطْلُبْ) سَنَا الْبَرْقِ (لِمَعَانِ الْبَرْقِ: الْخَيْرِ). مِنْ وَفْقِي: تَوَافَقِي،

تَنْطَبِقُ عَلَى مَا أُرِيدُ. الْمُرْتَادُ: الَّذِي يَذْهَبُ أَمَامَ الْقَوْمِ لِيَكْشِفَ لَهُمْ مَكَانًا فِيهِ مَرْعَى وَمَاءٌ.

(٢) الْمَزْنُ (الْمَطَرُ) رَائِحٌ (فِي الْمَسَاءِ) غَادٍ (فِي الصَّبَاحِ). الْبَهْلُولُ: السَّيِّدُ الْجَامِعُ لَصِفَاتِ الْخَيْرِ.

(٣) ذَاتَ أُوتَادٍ (ثَابِتَةٌ، رَاسِخَةٌ).

(٤) الْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ (فِي الْبَلَدِ)، الْمُتَوَطِّنُ. الْبَادِي: الطَّارِئُ عَلَى الْبَلَدِ (الزَّائِرُ) رَاجِعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢٢:

٣٥، سُورَةُ الْحَجِّ.

(٥) الْقَطِينُ: السَّاكِنُ خَفَّ: رَحَلَ.

(٦) الْعِدَّةُ: الْأَلَاتُ، الْأَدْوَاتُ. الْأَعْدَادُ (الْعِدَدُ)، الْكَثْرَةُ مِنَ النَّاسِ.

(٧) الشَّرْفِيُّ: السِّيفُ. اللَّهَوَاتُ (جَمْعُ اللَّهَاءِ): اللَّحْمَةُ الْمَشْرِفَةُ عَلَى الْحَقْلِ فِي أَقْصَى سَقْفِ الْغَمِّ. الضَّيْفُ:

الْأَسَدُ. الْعَادِي: الْهَاجِمُ، الْجَرِيءُ الْوَتَّابُ.

(٨) لَمْ تُخْلَفْ (أَنْتَ) عِدَّةً (وَعِدًا) - صَبِرْتَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْقَدَرُ.

(٩) الدَّرَارِي: النُّجُومُ. - نُجُومُ السَّعْدِ غَابَتْ (فَانْتَشَرَ الشُّؤْمُ فِي الْعَالَمِ). وَهِيَ: ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ (سَلَكَ الْعَقْدَ).

الدَّرَرُ: حَبَاتُ اللَّوْلُؤِ. أَفْرَادٍ (يَقْصِدُ فَرَادٍ أَوْ فَرَائِدَ جَمْعٍ فَرِيدَةٍ: اللَّوْلُؤَةُ الْكَبِيرَةُ النَّادِرَةُ الثَّمِينَةُ).

١. وقد خلت قبل حصّ أرض بغداد (١).
 ٢. سيقوا على نسي في جبل مقتاد (٢).
 ٣. وصارخ من مفداة ومن فاد (٣).
 ٤. كأنها إبل يحدو بها الحادي (٤).
 ٥. تلك القطائع من قطعات أكباد (٥).
 ٦. ماء السماء أبي سقيا حتى الصادي (٦).

- وقال في مثل ذلك:

لكل شيء من الأشياء ميقاتُ
 والدر في صبغة الحربك مُنغمِسُ،
 ونحن من لعب الشطرنج في يده،
 فأنفض يديك من الدنيا وساكنها،
 وقل لعالمها السفلي قد كتمتُ
 وللمنى من مناياهنّ غاياتُ (٧).
 ألوانُ حالاته فيها استحالات (٨).
 وريّا قمرت بالبيذق الشاة (٩).
 فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا.
 سريرة العالم العلوي أغاث (١٠).

-
- (١) قبل سقوط المعتمد بن عباد عن عرش حص (أشبيلية) سقط بنو العباس عن عرش بغداد.
 (٢) سيقوا أصرى متتابعين في جبل واحد (بعد العزّ ذلوا).
 (٣) حان: قرب. ضجت: بكت. المفداة: التي يفدّها الناس (محبتونها) والفادي: الذي يفدّي (يحج) الناس. جميع الناس حزنوا.
 (٤) يحدو بها: يسوقها. ساروا مقودين (بعد أن كانوا قواداً).
 (٥) القطائع جمع قطيعة: قطعة من الأرض. والملموح (هنا) أنها السفينة.
 (٦) بنو عباد أصلهم من المناذرة أبناء ماء السماء (وماء السماء هي أم المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة) (ت ٦٠ قبل الهجرة = ٥٦٢ م). ماء السماء (الثانية): المطر. الحشى: القلب. الصادي: العطشان.
 (٧) وللمنى (جمع أمنية: رغبة) من مناياهنّ غايات (جمع غاية: نهاية). - لكل أمنية (نعمة، حال حسنة) نهاية (موت، كما يكون للبشر).
 (٨) الاستحالة: التبدّل، التغيّر. أحوال الدهر لا تبقى على وثيرة واحدة.
 (٩) الشاة (يقصد الشاه - الملك - أعظم قطع الشطرنج) فإذا مات الشاه انتهت دورة اللعب بالشطرنج، ولو بقيت جميع الحجارة الباقية سليمة. البيذق: الجندي: أصغر حجارة الشطرنج.
 (١٠) سريرة العالم العلوي (المعتمد بن عباد): خلاصة الوجود الإنساني. أغاث قرب مدينة مراكش سجن فيها المعتمد بن عباد.

طَوَتْ مِظْلَتُهَا لَا بَلْ مَدَّتْهَا مَنْ لَمْ تَزَلْ فَوْقَهُ لِلْعَزِّ رَايَاتُ^(١)؛
 مَنْ كَانَ بَيْنَ النَّدَى وَالْبَاسِ أَنْصَلَهُ هِنْدِيَّةٌ، وَعَطَايَاهُ هُنَيْدَاتُ^(٢).
 رَمَاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَسْتَرْهُ سَابِغَةٌ دَهْرٌ مُصِيبَاتُهُ نُبُلٌ مُصِيبَاتُ^(٣).
 وَكَانَ مَلَأَ عِيَانِ الْعَيْنِ تُبْصِرُهُ وَلِلْأَمَانِيِّ فِي مَرْعَاهُ مِرْعَاةُ^(٤).
 انْكَرَتْ إِلَّا التَّوَاتُاتِ الْقِيُودُ بِهِ؛ وَكَيْفَ تُنْكَرُ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُ^(٥).
 حَسِبْتُهَا مِنْ قَنَاءٍ أَوْ أَعْنَتَتْهُ، إِذَا بِهَا لِقَافِ الْمَجْدِ آلَاتُ^(٦).
 دَرَوْهُ لَيْشًا فَخَافُوا مِنْهُ عَادِيَّةٌ، عَذْرَتُهُمْ فَلَعْدَوَى اللَّيْثِ عَادَاتُ^(٧).
 - وَقَالَ يَصِفُ الرُّوضَ وَنَسِيمَ الرُّوضِ:

وَالرُّوضُ إِنْ بَعُدَتْ عَلَيْكَ قُطُوفُهُ وَاقْتَنَكَ عَنْهُ الرِّيحُ وَهِيَ بَلِيلُ^(٨).
 حَسْبُ النَّسِيمِ مِنَ اللَّطَافَةِ أَنَّهُ صَحَّتْ بِهِ الْأَجْسَامُ وَهُوَ عَلِيلُ^(٩).

٤-★★ قلائد العقيان ٢٨٣ - ٢٩٠ المغرب ٢: ٤٠٩ - ٤١٦؛ فوات الوفيات ٢: ٣٢٤ - ٣٢٧؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٩٧؛ ابن الأثير ١٠: ١٨٨ - ١٩٢، ٢٤٩ -

- (١) المِظْلَةُ: الغطاء السقف. المِذْلَةُ (كناية عن سقف السجن). - كانت تحقق فوق رأسه رايات العزِّ (في الملك والحرب) فأصبح فوق رأسه سقف السجن.
- (٢) النَّدَى: الكرم. البَاسُ: القُوَّة (الحرب). النَصْلُ: حَدَّ السِّيفِ. هِنْدِي: (سيف) من صنع الهند. الهِنْدِيَّةُ: المائدة من الإبل.
- (٣) السَابِغَةُ: الدرع. مُصِيبَاتُ (الأولى) مصائب، نَوَائِبُ. النَبْلَةُ: السهم. مُصِيبَاتُ (الثانية): اسم فاعل من أَصَابَ (أصاب مقتلًا من الإنسان).
- (٤) المِرْعَى (مكان الرعي). مِرْعَاة: رعاية (المعتمد بن عباد للناس). مِرْعَاة: مرعى (كان الناس يجردون في حكم المعتمد بن عباد أمنًا وازدهارًا).
- (٥) رَأَيْتُ المَعْتَمِدَ بنَ عِبَادٍ فِي سِجْنِهِ (فِي حَالِ نَفْسِيَّةٍ سَامِيَةٍ، كَمَا كُنْتُ أَرَاهُ فِي قَصْرِهِ) لَوْلَا الْقِيُودُ الَّتِي كَانَتْ فِي رِجْلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّ الشَّاعِرَ يَشَبِّهُ المَعْتَمِدَ بنَ عِبَادٍ بِالرُّوضِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَزْهَارٍ وَغَارٍ، وَيَشَبِّهُ قِيُودَهُ بِالْأَفَاعِي. وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَفْعَى وَبَيْنِ النَّبَاتِ.
- (٦) الْقَنَا جَمْعُ قَنَاءٍ: رِمَحٌ. أَعْنَتَ (جَمْعُ عَنَانٍ بِالْكَسْرِ): لَجَامٌ، رَسَنٌ. وَلَكِنْ كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ ثِقَافًا (قِيُودًا) لِلْمَجْدِ (لِلْمَعْتَمِدِ بنِ عِبَادٍ).
- (٧) دَرَوْهُ (عَرَفُوهُ) لَيْشًا (أَسَدًا). عَادِيَّةٌ: اعْتِدَاءٌ. وَمِنْ عَادَةِ الْأَسَدِ الْعُدْوَى (الاعْتِدَاءُ) عَلَى غَيْرِهِ.
- (٨) إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْبُسْتَانِ قُطُوفٌ (أَغْصَانٌ) تَأْكُلُهَا وَافَاكُ (جَاءَكَ مِنْهُ) هَوَاءٌ بَلِيلٌ (رَطْبٌ).
- (٩) عَلِيلٌ: مَرِيضٌ. وَالهَوَاءُ الْعَلِيلُ (إِذَا كَانَ هَيُوبَهُ خَفِيفًا لَطِيفًا مَنَعًا).

٢٥٠، المطرب ١٧٨ - ١٧٩؛ المعجب ١٤٧، ١٤٩ - ١٥٠؛ جيش التوشيح
 ٥٩ - ٧٢، راجع ٢٤؛ نفح الطيب ١: ٦٦٢، ٣: ١٩٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٨ -
 ٣٦٩، ٦١٢، ٤: ٩٤ - ٩٨، ١٠٣، ١٥٦، ٢١٤ - ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤١ -
 ٢٤٢، ٢٤٦ - ٢٤٨، ٢٥٥ - ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٤ - ٢٧٥، ٢٧٩ -
 ٢٨٠، ٧: ٤٢ - ٤٣؛ شذرات الذهب ٤: ٢٠؛ نيكل ١٦٣؛ مختارات
 نيكل ١١٣ - ١١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٣؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ٢١٤ (٦: ٣٢٢)؛ بالنشأ ١٥٧.

ابن طاهر القيسي

١ - أسرة ابن طاهر هذا أسرة عربية كبيرة العدد واسعة الثروة عالية المكانة
 ترجع بنسبها إلى قيس عيلان. وكان مسكنها في مرسية من كورة تدمير (في الطرف
 الجنوبي الشرقي من الأندلس). ونشأ في هذه الأسرة «أعلام وحملة سيوف وأقلام»،
 كما يقول لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام ٢٠١) ثم صارت لهم - في مطلع
 الفتن - الرئاسة على مرسية.

وكان أبو بكر أحمد بن طاهر (والد صاحب هذه الترجمة) قد استبد بأمر كورة
 تدمير كلها، وكان حكمه صالحاً على الناس فاجتمعوا على طاعته والاعتراف بحقه.

أما صاحب الترجمة نفسه فهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر،
 كان مولده نحو سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م). واتفق أن أحمد بن طاهر فُلجَ في أواخر
 أيامه فقام ابنه أبو عبد الرحمن محمد مكانه وسد مسده. فلما توفى ابن طاهر الكبير،
 (سنة ٤٥٥ هـ)، خلفه ابنه أبو عبد الرحمن.

طمع المعتمد بن عباد ملك إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) بالاستيلاء على مرسية،
 فواطأ (سنة ٤٧٤ هـ) رايوندو الثاني صاحب (حاکم) برشلونة، وحاصر الملك المسلم
 والملك النصراني مرسية المسلمة - وتلك عادة كانت، مع الأسف، مألوفة في أيام
 ملوك الطوائف - ولكن الملكين لم ينجحا في الاستيلاء على مرسية.

ثم استطاع المعتمد - في حديث طويل - أن يستولي على مرسية (بقيادة عامله
 على « حصن بلج » - على مقربة من جيان -، عبد الرحمن بن رشيقي). ودخل ابن

رشيق مدينة مرسية وأخذ صاحبها ابن طاهر واعتقله. ثم إنَّ المعتمد أمر بإطلاق سراح ابن طاهر، فانتقل ابن طاهر إلى شاطبة، ثم ذهب إلى بَلَنْسِيَة وَبَقِيَ فيها إلى أن تُوُفِّي سَنَة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م). وفي العام التالي نُقِلَ رُفَاتُهُ إلى مرسية.

٢- أبو عبد الرحمن بن طاهر القَيْسِيُّ أديبٌ ناثِرٌ يُجيدُ النثرَ المسجوعَ جدًّا وهزلًا، وَرَوِيَّةٌ وارتجالًا، ومحلُّه من الأدب معروفٌ، إذ هو المثلُّ السائر في البلاغة والبيان. ثم هو ظريفُ التوقيع^(١) خفيفُ الروح عَذْبُ النادرة والفكاهة. وكانت به دُعابة غَلَبَتْ عليه لا يتركها مجال. وهو مع ذلك قد رَوَى الحديثَ وروى الحديثَ عنه آخرون. وكذلك كان جواداً مُمدِّحاً مدَّحَهُ أبو بكر بن عمَّارٍ (قُتِلَ ٤٧٧ هـ) يوم كان أبو بكر بن عمَّارٍ لا يزال ناشئاً في الأدب خاملاً. وأغراضه في رسائله كثيرة. وهو يُكثِرُ الاستشهادَ بالشعر ولكن لا يقوله. وقد ألَّف ابن بسَّام صاحب «الذخيرة» كتاباً في رسائل ابن طاهر عنوانه: «سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر» (الذخيرة ٣: ٢٥).

٣- مختارات من نثره:

- من كتاب لابن طاهر القَيْسِيَّ خاطِبَ به أبا الحسن يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون صاحبَ طَلِيْطِلَة^(٢):

...الآن عادَ الشبابُ خيرَ معادِهِ، وانبَيَضَ الزمانُ بعدَ سَوادِهِ، وترك الزمان فضلَ عِناهِ^(٣)، فله الشُّكرُ المُردَّدُ بإحسانِهِ. ووافاني - أَيْدِكَ اللهُ - كتابٌ كريمٌ كما طرَّرَ البدرُ النَّهَرَ، أو كما بَلَّلَ القَيْثُ المطرَ، وطَوَّقَنِي طَوَّقَ الحِمامَةِ^(٤) وألْبَسَنِي ظِلَّ

(١) التوقيع: تعليق جملة في آخر الرقعة التي تقدَّم إلى الحكومة بطلب ما (يصرف - لا يصرف - إن الله مع الصابرين - كما تدن تدان... الخ مما يعرف منه ماذا يراد أن يفعل بطلب الطالب).

(٢) يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون حكَّم في طليطلة (جنوب مدريد) من ٤٦٧ إلى ٤٧٨ هـ.

(٣) العنان (بالكسر) اللجام. ترك (له) الزمان فضل (زيادة أو بقية عِناهِ): تركه يفعل ما يشاء.

(٤) وطَوَّقَنِي (جعل حول عنقي طوقاً: عَقِداً) طوق الحِمامَة (مثل طوق الحِمامَة: ثابتاً). وطوق الحِمامَة ريش مخالف في لونه لون الريش في سائر جسم الحِمامَة.

الغامة^(١)، وأثبت لي فوق النجم منزلةً وأراني الخطوبَ نائيةً عني ومعتزلة. فوضعتُه على رأسي إجلالاً ولثمتُ كلَّ سطوره احتفاءً واحتفالاً.

- وله من رسالة يجري فيها مجرى المزل:

.... مَثَلِي وَمَثْلُكَ مَثَلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ^(٢) اسْتَقْرَى عَقِيلَةَ رَبِّبٍ^(٣)، بَلْ سَلِيلَةَ فَضْلٍ وَحَسَبٍ. فَأَجَزَلْتُ قِرَاهُ وَأَكْرَمْتُ مَثْوَاهُ^(٤). فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِهِ الْمَجْلِسُ وَانْتَضَمَ التَّائِسُ، سَعَتْ إِلَى بَعْضِ أَوْطَارِهَا فَرَاقَهُ مَا تَحْتَ إِزَارِهَا^(٥). فَجَعَلَ يُنْشِدُ:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ، مَاذَا تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَةٍ^(٦)،
أَصْبَحَ يَهْوِي حُرَّةً مِعْطَارَهُ؟ إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي، يَا جَارَةَ^(٧).

وكذلك غَيْرُكَ الْمُخَاطَبُ فِي شَوْوَنِي وَأَنْتَ الْمُرَادُ، وَإِلَيْهِ الْإِيْمَاءُ^(٨) وَفِيكَ يَبْدَأُ الْقَوْلُ وَيُعَادُ. وَلِلَّهِ أَنْتَ مَا أَعْطَرَ خِلَالَكَ وَأَكْثَرَ اهْتِبَالَكَ^(٩). لَا زَالَتْ أَيْادِيكَ كَالْأَطْوَاقِ وَهَالِيكَ مُعْطَرَةٌ الْآفَاقِ.

- وله من رسالة في التعزية (الذخيرة ٣: ٨٤ - ٨٥):

الدنيا - أعزك الله - ليست بدارٍ قَرَارٍ. والمرء منها على شفا جُرْفٍ هَارٍ^(١٠). وإنَّا

(١) وألبسني ظلَّ الغامة (ما يدفع عني حرَّ الشمس من غير أن يؤذيني البرد): تفضّل علي بنعمة بعد نعمة.

(٢) العرب: البدو.

(٣) استقرى: طلب القرى (بكسر القاف) الضيافة. العقيلة: السيدة المخدّرة، الزوجة الكريمة، سيّد القوم. الربيب: القطيع من الماشية. عقيلة ربرب (٤): اجمل بنات قومها.

(٤) أجزلت: أكرمت. أكرمت مثواه (مقامه، بالضم): أقامته عندها.

(٥) أوطارها: أغراضها، غاياتها. راقه: أعجبه. الإزار: ما تلقيه المرأة على جسمها (يبدو أن إزارها انكشف عن بعض جسمها).

(٦) فزارة: قبيلة من العرب.

(٧) معطارة: تستخدم العطر بكثرة. ذات رائحة عطرة. «اياك أعني....» مثل (أنا أتكلّم عن غيرك وأعنيك).

(٨) الإيماء: الإشارة.

(٩) الاهتبال: اغتنام الفرصة (هنا: الذي يدرك حاجة السائل من التلميح).

(١٠) على شفا (طرف) جرف (شقّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله) هار (الرمال المتساقط المنهار) - مكان فيه خطر (يحشى منه السقوط).

هي جسرٌ على الطريق وعدوٌّ في ثياب صديق^(١). ولما بلغتني وفاةُ فلان - رحمه الله ونصّر وجهه وبرّد مثنواه^(٢) - علّمتُ أنّك الجبلُ الذي لا يرتقي الجزعُ ذُراه^(٣). وإن كان سَهْمُ المنايا قد أصابَ حِمياً واستَلَبَ كريماً^(٤)، فقد أبغى الله بك الصّدعَ مرؤوباً^(٥) والجزعَ مغلوباً.

٤-★★ قلائد العقيان ٦٤ - ٧٩؛ المغرب ٢: ٢٤٧؛ الذخيرة ٣: ٢٤ وما بعد؛ الحلة ٢: ١١٦ وما بعد؛ أعمال الأعلام ٢٠١ - ٢٠٢؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٣١٣ - ٣٣٠؛ الاعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥: ٣١٥) ووفاته فيه نحو ٤٨٠ هـ (وهو تقدير خاطيء).

أبو العرب مصعب بن محمد

١- هو أبو العرب مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْفَرَاتِ الْقُرَشِيِّ الْعَبْدِيُّ الزُّبَيْرِيُّ الصِّقْلِيُّ، وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ سَنَةَ ٤٢٣ (١٠٣٢ م). وقد تَرَكَهَا بَعْدَ أَنْ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا النُّورْمَانِيُّونَ، سَنَةَ ٤٦٤، وانتقل إلى إِشْبِيلِيَّةَ (في الأندلس) - بِدَعْوَةٍ مِنَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣) - وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ يَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ وَيُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِ. وقد حَظِيَ كَذَلِكَ عِنْدَ عَدَدٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِمْ. وانتقل أخيراً إلى بَلَاطِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مَبْشَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي مَيُورْقَةِ (٤٨٥ - ٥٠٨ هـ) فَتُوفِيَ فِي (جَزِيرَةِ) مَيُورْقَةِ بُعِيدَ سَنَةِ ٥٠٧ (١١١٣ م).

٢- أبو العرب مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَالِمٌ بِالْأَدَبِ وَأَدِيبٌ شَاعِرٌ مَتِينٌ الْأَسْلُوبِ عَالِي

(١) يقول أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا ليبس تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق.

(٢) نصّر (بيّض ونور) وجهه (يوم القيامة) وبرّد مثنواه (إقامته في الجنة).

(٣) الجزع: الحزن مع الخوف. الذرى: أعلى الشيء.

(٤) استلب (الموت): أخذ.

(٥) الصّدع: الشق. مرؤوب: مضموم، مجموع (إنّ موت ذلك الميت لم يفرّق قومه لأنّهم وجدوا سيّداً لهم بعده لا يقلّ عنه).

النفس ، ولكنَّ أثرَ أبي تمامٍ وأثرَ المتنبي يظهران في شعره واضحَيْن . وأبرزُ فنونه المدحُ والوصفُ والخمرُ والحكمةُ .

٣ - مختارات من شعره :

- قال أبو العربِ مُصَنَّبُ بْنُ مُحَمَّدٍ في الخمرِ وفي الساقِي :

- ★ أبهى المناظرِ في عَيْني وأحسُّها كأسٌ بكفِّ رَخيِّمِ الدَلِّ سَمَّارٍ^(١) .
كَأَنَّهُ إِذْ يُسْقَى سَادَةٌ زُهْرًا نَجْمٌ يُورَعُ نَجْمًا بَيْنَ أَقْمَارٍ^(٢) .
★ بِكَرٍّ حَصَانٌ إِذَا مَا الْمَاءُ وَقَعَهَا أَبَدَتْ لَنَا زَبَدًا فِي سَوْرَةِ الْغَضَبِ^(٣) .
كَادَتْ تَطِيرُ نَفَارًا حِينَ نَافَسَهَا ، لَوْلَا الشِّبَاكُ الَّتِي صَيِّغَتْ مِنَ الْحَبِّ .

- وله من قصيدة يمدح بها المُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ :

- يُشَاهِدُ أَسْرَارَ الزَّمَانِ جَلِيلَةً بِفِطْنَةٍ مَدْلُولِ الْبَصِيرَةِ مُلْهِمٍ .
أَيَادٍ أَبَانَتْ عَنْهُ وَهِيَ صَوَامَتْ ؛ وَرَبٌّ مُبِينٌ لَيْسَ بِالْمُتَكَلِّمِ :
فَلَا الْغَرَضُ الْأَقْصَى عَلَيْهِ بِعَازِبٍ بَعِيدٍ ، وَلَا الْمُعْتَصُ عَنْهُ مُبْنِهِمِ^(٤) .

- وقال يمدح رجلاً بالقدرة على الظفرِ بكلِّ هَارِبٍ مِنْ سُلْطَانِهِ :

- كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ يُمْنَاكَ ، إِنَّ يَسِرْ بِهَا خَائِفٌ تَجْمَعُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ .
فَأَنَّى يَغِيرُ الْمَرْءُ عَنْكَ بِجُرْمِهِ ، إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ الْمَرَّاحِلَا ؟

- وقال في الحنين إلى وَطَنِهِ صِقْلِيَّةَ :

- إِلَّامَ اتِّبَاعِي لِلْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ ، وَهَذَا طَرِيقُ الْمَجْدِ بَادِي الْمَذَاهِبِ !
أَهْمُ وَلِي عَزْمَانٍ : عَزْمٌ مُشْرِقٌ وَآخِرُ يُغْرِي هِمَّتِي بِالْغَارِبِ .

(١) رخييم: عذب (مطرب). الدل: إظهار المرأة (على المحبة). سَمَّار: كثير (حسن) السهر مع الندمان:

(٢) سادة زهر: بيض (كناية عن شرفهم ومكانتهم).

(٣) بكر (خر لم يشرب من إنائها أحد بعد) حصان (لم تلمسها كف إنسان). واقعها: جامعها (مزجت بالماء).

(٤) العازب: البعيد. المعتاص: الصعب.

ولا بُدَّ لي أن أسأل العيسَ حاجةً تشقُّ على أخفافِها والغوارب^(١).
 عليّ لآمالي اضطرابٌ مؤمِّلٌ، ولكن على الأقدارِ نُجَحُ المطالب^(٢).
 فيا نفسُ، لا تستصحي الهونَ إنَّه - وإنْ خدعتْ أسبابه - شرُّ صاحب^(٣).
 ويا وطني، إنْ بنتُ عنكْ فإنني سأوطن أوكارَ العتاقِ النجائب^(٤).
 (إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادي، وكلُّ العالمين أقاري)^(٥).
 وما ضاق عني في البسيطة جانبٌ - وإنْ جَلَّ إلَّا اعتَضْتُ عنه بجانب.
 إذا كنتَ ذا همٍّ فكن ذا عزيمَةٍ، فما غائبٌ نال النجاحَ بغائب^(٦)!

٤-★★ التكملة ٣٨٦ (رقم ١٠٩٩ خريدة القصر (الأندلس) ١٠٢:٢ - ١٠٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣، ٣٣٤، نفح الطيب ٣: ٥٦٩ - ٥٧٠، ٤: ٢٦٠ - ٢٦١ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩).

ابن القصيرة الولي

١- هو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعيّ الإشبيليّ الوليّ الأندلسيّ، لعلَّ مولده كان نحو ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م). نشأ ابنُ القصيرة في دولة المُعتَضِدِّ بن عبَّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) ثم بقيَ عند المَعتَمِدِ ونُكِبَ مَعَه، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولكن يوسف بن تاشفين عادَ فقرَّبه وضمَّه إلى كُتَّابه. فانتقل ابنُ القصيرة إلى مراكش وبقيَ فيها إلى أن تُوفِّي، سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م).

٢- كان ابنُ القصيرة كاتباً مُترسلاً مُجيداً. وكان له نظمٌ.

-
- (١) العيس: النياق. الحفّ (بالضم) للبعير كالقدم للإنسان. الغارب: أعلى الكتف. تشقُّ على أخفافها الخ: حاجة في مكان بعيد لا تستطيع أن تصل إليه النياق.
 (٢) اضطرب: تحرك (تقلَّ في البلاد).
 (٢) الهون: الهوان، الذلّ.
 (٤) بان: ابتعد. العتاق النجائب: الإبل الأصيلة (القادرة على السير).
 (٥) راجع ص ١٨٥.
 (٦) يقول أبو تمام (ت ٢٣٢):
 ما أب من أب لم يظفر بجاحته ولم يغيب طالب بالنجح لم يخيب.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب ابن القصيرة رسالة إلى الفتح بن خاقان منها:

وافتنى - أطال الله بقاءك - أحرفٌ كأنها الوشمُ في الحدودِ تَمِيسُ في حُللِ إبداعها^(١)، وإنَّكَ لَسَابِقُ الحَلْبَةِ لا يُدْرِكُ غُبَارُكَ في مِصَارِها ولا يُضَافُ سِرَارُكَ إلى إبدارها^(٢).... وما أنتَ في البلاغةِ إلَّا نُكْتَةٌ فَلَكِهَا^(٣) ومُعْجِزَةٌ تَشْرُفُ الدُّوْلُ بِتَمَلُّكِهَا. وما كانَ أَخْلَقَكَ بِمَلِكٍ يُدْنِيكَ وَمَلِكٍ يَقْتَنِيكَ^(٤). ولكنَّها الحِظُوظُ لا تَعْتَمِدُ مَنْ تَتَجَمَّلُ بِهِ وَتَتَشَرَّفُ ولا تَقِفُ إلَّا على مَنْ تَوَقَّفُ^(٥). ولو أنْفَقْتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ لما ضَرَبْتَ إلَّا عليك قِبابَها ولا عَطَفْتَ إلَّا عليك أثوابَها^(٦).

- وكتب عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى طائفةٍ مُتَعَدِّيَةٍ (لعلَّ الرسالة إلى بعض ملوك الأندلس بعد معركة الزلاقة):

أما بعدُ، يا أُمَّةَ لا تَعْقِلُ رُشْدَها ولا تَجْري إلى ما تَقْتَضِيهِ نِعَمُ اللهِ عِنْدَها ولا تُقْلَعُ عن أَدَى تُفْشِيهِ قُرْبًا وَبُعْدًا جُهِدَها^(٧). فَإِنَّكُمْ لا تَرَعُونَ لِجَارٍ ولا لِغَيْرِهِ حُرْمَةً ولا تُرَاقِبُونَ في مُؤْمِنٍ إلَّا ولا ذِمَّةً^(٨). قد أَعْمَأَكُمُ عن مَصَالِحِكم الْأَشْرُ^(٩)، وَأَضْلَكُم ضَلَالًا بَعِيدًا الْبَطَرُ، وَنَبَذْتُمُ الْمَعْرُوفَ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ.... ليس فيكم زاجرٌ، ولا منكم إلَّا غَوِيٌّ فاجِرٌ.

-
- (١) الوشم: علامات ترسم على الجسم طلباً للجمال في الأكثر. تميس تتايل، تتخايل، تعترز وتفتخر.
(٢) سابق الحلبة: الحصان الذي يأتي أولاً. السرار: حال القمر في آخر الشهر. الإبدار: امتلاء القمر في نصف الشهر. - ظلامك خير من نورهم.
(٣) النكتة: النقطة البارزة. الفلك: مدار النجوم. نكتة فلك البلاغة: أبرز رجالها.
(٤) ما أخلقك: ما أحقك. يدنيك: يقربك. يقتنيك: يخص نفسه بك.
(٥) لا تعتمد من تتجمل به: لا تحسب حساب الذي يريدك قيمة، لا تطلبه وتقربه ابتداءً. من توقف: من طلب هو (التقرب من الملوك).
(٦) ولو أن الدنيا عاملت الناس بحسب أقدارهم لقربتك (يا فتح بن خاقان). ضربت عليك قبابها، الخ: أوتك، اعتزّت بك.
(٧) تفشيّه: تنشره. جهدها: أكثر ما تستطيع.
(٨) رعى حرمة: حافظ على كرامته. ولا تراقبون... الخ: لا تحفظون له عهداً ولا حقاً.
(٩) الأشر: النشاط (الاعتداد بالقوة).

٤-★★ خريدة (الأندلس) ٢: ٣٤٢ - ٣٤٨، أعتاب الكتاب ٣٣٢ - ٢٢٤، قلائد
العقيان ١١٧ - ١٢٠، المغرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١، الحمدون ٣٥٨، الوافي بالوفيات
٣: ١٢٨ - ١٢٩، الصلة ٥٠٢، المعجب ١١٥ - ١٢١، الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦):
١٤٩ - ١٥٠).

سراج بن عبد الملك بن سراج

١- أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٤٥٦ هـ) بن عبد الله بن
محمد بن سراج، وُلِدَ في قُرْطَبَة سَنَة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٨ م) واقتصرَ في تَلَقِّي
العلمِ على أبيه عبد الملك (ت ٤٨٩ هـ) ثم تَصَدَّرَ للتدريس. ويبدو أَنَّهُ وَزَرَ للمُعْتَمِدِ
ابن عَبَّادٍ في إشبيلية. وكانت وفاة ابن سراج في ثاني عِشْرِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ من سَنَةِ
٥٠٨ (١١١٤/١١/٢٣ م).

٢- كان أبو الحسين بن سراج عالمَ زمانه في الحديث والفقه، كما كان بارعاً في
اللغة والنحو مُلِمّاً بالتاريخ والأدب. وكان شاعراً أَكْثَرَ شِعْرَهُ الغزلُ والنسيب
والحكمة.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسين بن سراج في الحكمة:

بُثَّ الصَّنَائِعَ لَا تَحْفِلُ بِمَوَاقِعِهَا: فِي مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا، مَا كُنْتُ مُقْتَدِرًا^(١)؛
كَالْفَيْثِ لَيْسَ يُبَالِي حَيْثُ انْكَبَّتْ، مِنْهُ الْغَاهِمُ، تُرْبًا كَانَ أَوْ حَجَرًا.

- وقال في النسيب:

لَا تَبَوِّأْ مِنْ فَوَادِي مَنْزِلًا وَغَدَا يُسَلِّطُ مُقْلَتِيهِ عَلَيْهِ^(٢)،
نَادَيْتُهُ مُسْتَرْحَجًا مِنْ زَفْرَةٍ أَفْضَتْ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ:

(١) بُثَّ: نشر، فَرَّقَ. الصَّنَائِعُ جمع صنِيعَة: عمل المعروف. نَأَى: بعد.

(٢) تَبَوِّأَ: نَزَلَ، سَكَنَ فِي مَنْزِلٍ الْخ.

رَفِيقاً بِمَنْزِلِكَ الَّذِي تَحْتُلُهُ، يَا مَنْ يُخَرِّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ!

٤-★★ قلائد العقبان ٢٣١-٢٣٢؛ معجم الأدباء ١١: ١٨١-١٨٢؛ بغية الملتبس ٢٩٠-٢٩١ (رقم ٧٨١)؛ المغرب ١: ١١٦-١١٧؛ معجم ابن الأثير ٣٠٥-٣٠٧؛ خريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩-٥٢١؛ المحمّدون من الشعراء ٤٨٩-٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤: ٥١٩-٥١٢؛ بغية الوعاة ٢٥١-٢٥٢؛ الديباج المذهب ١٢٦.

ابن قُزَمان الكبير

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قُزَمان - يُعرفُ بابن قُزَمان الكبير، تمييزاً له من من ابن أخيه أبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قُزَمان الزجالي المتوفى سنة ٥٥٥ (١١٦٠ م) - وَزَرَ أَوَّلَ مَا وَزَرَ لِأبي حفص عُمَرَ بن محمد المتوكل صاحب بَطْلَيْوُسَ (٤٦٠-٤٨٧ هـ)، ولكن لعله لم يَزِرْ للمتوكل إلا بعد أن انفرد المتوكل بالحكم، سنة ٤٧٣ (١٠٨٠ م). نال ابن قُزَمان هذا في أول الأمر مكانة سامية وحياة ناعمة. ولكن الدهر عاد فقساً عليه قسوة شديدة؛ - جاء في قلائد العقبان (ص ٢١٣) أَنَّ القاضي ابن حَمْدِينَ تَعَمَّدَ الإِسَاءَةَ إِلَيْهِ. ولكن لا أَعْلَمُ مَنْ كَانَ ابنُ حَمْدِينَ هَذَا. هنالك ابنُ حَمْدِينَ تَوَلَّى الْقَضَاءَ سَنَةَ ٥٢٩ (قضاة الأندلس ١٠٣)، في أيام ولاية يحيى بن علي بن غانية (ت ٥٤٣) والي غرناطة (راجع نفع الطيب ٤: ٧٦)، وَمِنْ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ ابنُ حَمْدِينَ هَذَا مَقْصُوداً بِرِوَايَةِ صَاحِبِ الْقَلَائِدِ^(١). وكانت وفاة ابن قُزَمان الكبير في سادس رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥٠٨ (١١١٤/٧/٣ م).

٢- كان ابن قُزَمان الكبير وزيراً جليلاً من أُسْرَةٍ كان لها تقدّم في مناصب الدولة، إلا أنه هو كان ضيق الصدر قليل الأنس بالناس. ثم إنه كان من أهل البلاغة والبيان، كاتباً مترسلاً وشاعراً مُجيداً. وفي شعره ونثره دُعاة ومُجون

(١) في دائرة المعارف الإسلامية (٣: ٨٤٩) أن ابن قُزَمان ذلك كان في خدمة ابن حَمْدِينَ هَذَا.

أحياناً، ولكنه مُجون مستور كما ترى في قطعتيه النثرية في المختارات. وهو بارعٌ في الوصفِ والغزل.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ قُزَّمانَ الكبيرُ في وصفِ جيشٍ ذاهبٍ إلى المعركة:

رَكِبُوا السُّيُولَ مِنَ الْخِيُولِ وَرَكَّبُوا فَوْقَ الْعَوَالِي السُّمُرِ زُرُقَ نَطَافٍ^(١).
وَاسْتَوْدَعُوا الْخُلُلَ الْجَدَاوِلَ وَاصْطَفَوْا بِيضَ الرُّؤُوسِ مِنَ الْحَبَابِ الطَّافِي^(٢).
وَتَجَلَّلُوا الْغُدْرَانَ مِنْ مَادِيهِمْ مُرْتَجَةً إِلَّا عَلَى الْأَكْتَافِ^(٣).
- وقال بين الوصف والغزل:

قُلْتُ لِلْعَيْنِ حِينَ أَذَرْتُ عَلَى الْحَذِّ بِدِ دُمُوعاً لَا تَسْتَفِيقُ انْهَالاً^(٤)،
جَزَعاً مِنْ صُدُودٍ أَحْوَرَ قَدْ حَيَّ حَيْرَ بَالاً، وَكَمْ جَنَى بَلْبَالاً^(٥):
لَا تَرُومِي مِثَالَ مَا لَمْ تَنَالِي وَالْمَحِيهِ كَمَا رَأَيْتِ الْهِلَالَ.
فَأَجَابَتْ: لَقَدْ أَحَلَّتْ مِثَالاً هُوَ أَنْأَى مِنَ الْهِلَالِ مَنَالاً.
إِنَّ بِسَدْرِ السَّمَاءِ يَطْلُعُ لِلْأَبِّ صَارٍ مُنْسَى وَمُصْبِحاً وَزَوَالاً^(٦).

(١) ركبوا خيولاً كثيرة (كأنها سيول). العوالي صدور الرماح. الأسمر: الجاف الذي خرج بلونه عن لون النبات (لأن الرماح تعمل من القصب الفارسي). نطاف (بالكسر) جمع نطفة (بالضم): الماء الصافي (كناية عن النصل الحديد في أعلى الرمح). زرق جمع أزرق (حيناً يكون الماء في الحوض العظيم صافياً يبدو أزرق اللون (لانمكاس لون السماء فيه).

(٢) الخلة (بالكسر): غمد (بالكسر) السيف، بيته. الجدول (كناية عن السيف) لأنه ببياضه واهتزازة يشبه الجدول (محري الماء في السهل). اصطفي: اختار. البيضة: الخوذة يضعها المحارب على رأسه. حباب الماء: فقائع مكورة بيضاء. وضعوا سيوفهم في أغصانها ولبسوا الخوذ (بضم ففتح) على رؤوسهم (لأنهم قاصدون إلى الحرب في مكان بعيد).

(٣) تجلَّلوا: لبسوا. المادي: الدرع اللينة. الغدران: مجرى من الماء يغادر النهر (٤). مرتجة: الدروع لينة تهتز على أبدانهم (لأنها مصنوعة من الزرد: حلق من حديد). إلا على الأكتاف فإنها ثابتة لأنه يكون على الأكتاف صفائح من حديد (٤).

(٤) أذرى: نثر.

(٥) جزعاً: خوفاً. أحور: من كان في عينيه حور (بفتح ففتح: شدة بياض العين وشدة سوادها). جنى: ارتكب (سبب). البلبال: اضطراب الفكر.

(٦) الزوال: وقت مرور الشمس فوق الرؤوس (نصف النهار، الظهر).

وإذا ما استسرَّ أبَ وقد ذا بَ اكْتِئاباً مِنْ أَنْ يُغَيَّبَ وَصالاً^(١).
 وَهُوَ الْبَدْرُ قَدْ أَجَدَّ مَلالاً واجْتِناباً كما أَجَدَّ كما لا^(٢).
 يتوارى مِنَ الْعُيُونِ نهاراً، وَمَعَ اللَّيْلِ لَا يَزُورُ خيالاً^(٣).

- وله في الْحِكْمَةِ بَيْتانِ فِيهما تَشَاوُمٌ وَقَسْوَةٌ:

لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى أَحَدٍ واحْذَرْ وَشَمِّرْ وَاسْتَعِذْ.
 فَالْكُلُّ كُلُّبٌ مُوسَدٌ إِلَّا إِذَا وَجَسُوا أَسَدٌ.

- وَكُتِبَ رِسالَةٌ تَهْنِئَةٌ وَمُداعِبَةٌ إِلَى عَرُوسٍ^(٤):

الْكُلْفَةُ بَيْنَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - جِدُّ ساقِطَةٍ، وَالْحالُ الْجَامِعَةُ لَنَا فِي أَقْصَى حَدِّ
 الْمُؤانَسَةِ وَالْمُبَاسِطَةِ^(٥). فَلَا نُكْرَهُ أَنْ نَتَبَأَّ السِّرَّ الْمُحَجَّبَ، وَلَا غَرَوُ أَنْ نَتَكاشَفَ
 الْمُغَيَّبَ^(٦). وَاتَّصَلَ بِي دُخُولُكَ بِعَقِيلَةٍ أَثْرابِها وَبَيَضَةُ خَدْرِها وَرَبَّةٌ مِخْراِبِها^(٧)،
 تُشَاطِرُكَ نَسْلَكَ كما شَاطَرْتِكَ أَصْلَكَ^(٨)، (وَهِيَ) الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ إِلَّا لَهَا وَلَمْ تَكُنْ
 تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ^(٩). فَخَدَمَتَكَ بِالنِّبَةِ وَحَضَرَتَكَ عَلَى بُعْدِ الْمَشَقَّةِ وَتَقَاذُفِ الطَّيِّبَةِ^(١٠).

-
- (١) استسرَّ: خفي (في آخر الشهر). أب: رجع (في أول الشهر). غبَّ الزيارة: جاء يوماً وترك يوماً.
 (٢) البدر أيضاً يملُّ من الطلوع على الدنيا فيغيب عنها حيناً. هو دائماً يجدد كماله (طلوعه بديراً) ويجدد
 ملاله (غييبته عن سواه الدنيا بديراً).
 (٣) يوازن الشاعر هنا بين حبيبه والبدر (حبيبه يخالف البدر: لا يأتي لزيارتي نهاراً ولا أراه في منامي
 ليلاً).

- (٤) العروس تقال على المرأة وعلى الرجل (وليس في القاموس عريس).
 (٥) الحال الجامعة: (المؤانسة والمباشطة).
 (٦) نتحدث في الأمور التي لا يبوح بها المتزوجون للعزَّاب.
 (٧) الدخول (اجتماع الرجل بالمرأة ليلة العرس). عقيلة (سيدة) أثارها (مثيراتها). وببيضة خدرها (المصونة
 التي لا يطلع أحد على أحوالها). وربَّة (صاحبة) مخرايها (كناية عن كثرة صلاتها وتقواها).
 (٨) تشترك معك في الاتيان بنسل كما قد جئنا من أصل واحد (من أسرة كبيرة واحدة).
 (٩) قال الشاعر العباسي أبو العتاهية (ت ٢١١) يمدح الخليفة المهدي:
 أَتَتْهُ الْخِلاَفَةُ مِنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيالُها.
 فلم تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا.
 (١٠) بعد المشقة (كذا في الأصل: بالميم) والصواب: الشقة (بالضم): السفر البعيد، المسافة الطويلة. وتقاذف =

وسألت الله أن يُبارك لك ويبارك عليك، ويجمع بينكما في خيرٍ وعافيةٍ على أسعدِ الجَدِّ وأمينِ الطيرِ إلى آخرِ القافية^(١). ثم ترقبتُ كتابك مُودِعاً من وصفِ حالِكَ ما يُنبئُ فحواه عن اجتماعِ شَمْلِكَ ونعمةِ بِالكِ. فراثني التَّواؤهُ وَقَدَحَ في نشاطي توقُّفه وإبطاؤه^(٢). وتسلَّطتُ على الظُّنونُ وخِفْتُ ما عسى ألا يكون. وساءَ في أن أستمطِرَ مِن الأملِ جَهماً، وأستنصرَ لَدَى ذلكِ العملِ كَهماً^(٣)، ويَحيدَ صاحِبُكَ مُعرِّداً عن المناجزة لاِئذاً بالمَجازة^(٤)، منقطعاً عن موضعِ الحجج، مبدعاً به عن مستقبلِ مَفرِّقِ الطريقِ وَلَقَمِ المنهج^(٥) :

تريدُ جَوًّا ويُرِيدُ بَرًّا كأنَّها أُسِطَ شَيْئاً مُرًّا^(٦) .

ثم قُلْتُ: لَعَلَّه قد حَظِي بما جُنِيَ له فافتتحَ الحِصْنَ الذي نازَلَه قسراً، وتحلَّله كيف شاءَ مَجالاً ومَكراً، وأفضى به انصداعُ ما صدَّعَه إلى التَّيَّامِ، وانشِعبَ ما شَعَبَه إلى انتظامِ والتحامِ. ولُهي بتوابعِ هذه الحالِ التي هي أختُ الإِمرَةِ وجامعةُ أَفانينِ^(٧) المِسرَةِ عن صديقِ يَصِلُهُ بكتابٍ إِلَيهِ يُعلمُه^(٨). وإن يكنَ ذلكَ فهُناكَ وظَفِرتُ يداكَ، وإن يكنَ ما عداه - ويكفي الله - فَمَعَ اليومِ غَدًا^(٩)، وفي اللَّمَمِ خِلالَ ذلكِ

= الطَّيَّة: التردّد في الجهات (مناطق البلاد) لعلّ الزوج كان قد قضى وقتاً طويلاً في البحث عن زوجة له.

(١) الجَدُّ: الخطُّ. أمينِ الطير (في أحسن الساعات الميمونة: المباركة). إلى آخرِ القافية: إلى آخرِ الجملِ التي تعبّر عن هذا المعنى.

(٢) التَّواء الكتاب (ترك إرساله). قدح في نشاطي (جمل رغبتي في صداقتك فائرة؟).

(٣) الجَهماً (بالفتح): السحاب لا ماء فيه. الكَهماً (بالفتح): (السيف) المفلول (الذي لا يقطع).

(٤) صاحِبِكَ (كناية عما لا يجوز ذكره). عرَّد: أحجم، تأخّر. المناجزة: القتال. لاذا: لجأ. المَجازة: الفصل بين المتقاتلين.

(٥) مبدع به: مخدول، منقطع. اللقم: الطريق الواضح.

(٦) جَوًّا (في الداخل). بَرًّا (في الخارج). أسعط: أعطى سعطاً (بالفتح): دواء يستنشَق فيعطس منه.

(٧) لُهي (مثل فرح) ولُهي (بالبناء للمجهول): تلهّى، استعاض بالمرح عن الجد (بالكسر). أَفانين (جمع فنون جمع فنّ): أنواع. أخت الإِمرَةِ (الإِمارَة) - لَذَّةُ الزواج مثل السرور بتوليّ الإِمارَة والملِك.

(٨) كأنَّ الجملة هنا ناقصة كلمة أو أكثر.

(٩) فَمَعَ اليومِ غَد: إن لم تنجح الآن فيمكن أن تنجح في مرة قادمة.

مُتَعَلِّلٌ^(١) . ثُمَّ لَا يَشْغَلُ عَنِ الْكِتَابِ جَذَلٌ وَلَا يَحُولُ دُونَهُ خَلَلٌ^(٢) .

٤-★★ فَلَائِدُ الْعَقِيَانِ ٢١٣ - ٢١٤ ؛ الذَّخِيرَةُ ٢ : ٧٧٤ - ٧٨٦ ؛ خَرِيدَةُ (الْأَنْدَلُسِ) ٢ : ٢٨٧ ؛ الْمَغْرِبُ ١ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣ : ٨٤٩ ؛ نَيْكَل ٣٠٢ ، مَخْتَارَاتُ نَيْكَل ١٧٨ - ١٧٩ ؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ٧ : ١٢٧ (٦ : ٢٤٨) .

أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْحَاجِّ (★)

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الْمُعَاوَرِيِّ مِنْ أَهْلِ لُورِقَةَ؛ سَمِعَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّدَقِيِّ (ت ٥١٤ هـ) . اتَّصَلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ بِبَنِي عَبَّادٍ لِيَتَكَسَّبَ عَنْدهُمْ بِالشِّعْرِ فَلَمْ يَنْلُ عَنْدهُمْ حِظْوَةً لِأَنَّ أَحْوَالَهُمُ السِّيَاسِيَّةَ كَانَتْ قَدْ سَاءَتْ . وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ مُنْذَفِعاً فِي اللُّهُوِّ ثُمَّ مَالَ إِلَى الزُّهْدِ وَالنَّسْكِ . وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٠ هـ (١١١٦ م) .

٢ - كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ شَاعِراً مُجِيداً مُحْسِناً جَيِّدَ الْمَعَانِي فَصِيحَ الْأَلْفَاظِ مَتِينِ السَّبْكِ ، وَفَنُونَ شَعْرِهِ الْمَدِيحُ ، مَدَحَ بَنِي عَبَّادٍ وَبَنِي رُحَيْمٍ ، وَالْعَتَابُ وَالْهَجَاءُ وَالْفَزْلُ وَالنَّسِيبُ وَالْوَصْفُ الْبَارِعُ ، يُلَمُّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْحِكْمَةِ . وَهُوَ عَظِيمُ الْإِجَادَةِ فِي الْمُقْطَعَاتِ لَهُ فِي كُلِّ مَقْطُوعَةٍ لَفْتَةٌ بَارِعَةٌ .

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ :

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ يُعَرِّضُ بِالْبَخْلَاءِ :

عَجَباً لِمَنْ طَلَّبَ الْحَا مِدَّ وَهُوَ يَمْنَعُ مَا لَدَيْهِ ،

(١) اللِّمَمُ: الذُّنُوبُ الصَّغِيرُ (هنا: التَّجْبِيلُ وَمَا يُشَبِّهُهُ) . خِلَالُ: فِي أَثْنَاءِ . مُتَعَلِّلٌ: شَيْءٌ مِنَ التَّعْوِضِ .

(٢) ثُمَّ لَا يَشْغَلُ عَنْ (وَمَعَ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا اتَّفَقَ لَكَ لَا يَجِبُ أَنْ يَمْنَعَكَ عَنْ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ رِسَالَةً قَصِيرَةً) . الْجَذَلُ: الْفَرَحُ . الْخِلَلُ: نَقْصَانُ الْحَالِ أَوْ فُسَادُهُ .

(★) وَصَفَهُ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (الْقَلَائِدُ ١٥٨) بِذِي الْوِزَارَتَيْنِ ، كَمَا ذَكَرَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا (الْقَلَائِدُ ١٦٣) بِأَنَّهُ ذُو الْوِزَارَتَيْنِ أَيْضاً .

ولباسٍ آمالٍ ————— في الجَدِّ لم يَبْسُطْ يَدَيْهِ
لَمْ لَا أَحِبُّ الضيفَ أو أرتاحُ من طَرَبٍ إليه،
والضيفُ يأْكُلُ رِزْقَهُ عِنْدِي وَيَحْمَدُنِي عَلَيْهِ^(١)!

- وله في صديقٍ سيِّءٍ الظَّنُونِ يُسَوِّغُ احْتِمَالَهُ إِيَّاهُ عَلَى مَا فِيهِ:

لِي صَاحِبٌ عَمِيَتْ عَلَى شُؤْنِهِ: حَرَكَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ.
يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيلِيِّ تَوَهُّاءً، وَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتْهُ ظُنُونُهُ.
مَا زِلْتُ أَخْفِظُهُ عَلَى شَرْقِي بِهِ كَالشَّبِّ تَكَرَّهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ^(٢)!

- وَقَالَ فِي الْأَصْدِقَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ لَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ:

كُلُّ مَنْ تَهَوَّى صَدِيقٌ مُنْحِضٌ لَكَ مَا لَا تَتَّقِي أَوْ تَرْتَجِي^(٣).
فَإِذَا حَاولَتْ نَصراً أَوْ جَدّاً لَمْ تَقِفْ إِلَّا بِيَابَ مُرْتَجٍ^(٤)!
- وَلَهُ فِي مَعْنَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ:

كَفَى حَزْناً أَنْ الْمَشارِعَ جَمَّةٌ وَعِنْدِي إِلَيْهَا غُلَّةٌ وَأَوَامٌ^(٥).
وَمَنْ نَكَدَ الْأَيَّامَ أَنْ يَعْدَمَ الْغِنَى كَرِيماً، وَأَنَّ الْمَكْثَرِينَ لِنِامٍ^(٦)!

- وَقَالَ يَعْزُضُ بِنِي عِبَادَ:

تَعَزَّزْ عَنِ الدُّنْيَا وَمَعْرُوفِ أَهْلِهَا إِذَا عُدِمَ الْمَعْرُوفُ فِي آلِ عِبَادَ.
أَقْمَتْ بِهِمْ ضَيْفاً ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بَغِيرِ قَرَى، ثُمَّ انْصَرَفْتُ بِلَا زَادٍ^(٧).

(١) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْسِلُ رِزْقَ الضَّيْفِ إِلَيَّ ثُمَّ يَأْتِي الضَّيْفَ فَيَأْكُلُ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَيَحْمَدُنِي (يُشْكِرُنِي) أَنَا.

(٢) يَصُونُهُ: يَحْفَظُ عَلَيْهِ (لَأَنَّ ذَهَابَ الشَّيْبِ هُوَ الْمَوْتُ) شَرْقٍ (بِفَتْحٍ فَكْسِرٍ) فَلَانٌ بِالْمَاءِ: عَصَا.

(٣) مَحْضٌ إِنْسَانٌ إِنْسَاناً النَّصِيحَةَ: كَانَ مَخْلَصاً فِي النَّصِيحَةِ. تَتَّقِي: تَخَافُ. تَرْتَجِي: تَأْمَلُ، تَنْتَظِرُ، تَرِيدُ لِنَفْسِكَ.

(٤) الْجَدَا: الْعَطَاءُ. مُرْتَجٍ: مَغْلُوقٌ.

(٥) الْمَشارِعُ: مَكَانُ الشَّرْبِ. جَمَّةٌ: كَثِيرَةٌ. غُلَّةٌ: شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَةُ الْجُوفِ. الْأَوَامُ: اشْتِدَادُ الْعَطَشِ حَتَّى يَضِجَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ.

(٦) الْمَكْثَرُ: الَّذِي عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ.

(٧) قَرَى: ضِيَاةٌ.

٤-★★ قلائد العقيان ١٥٨ - ١٦٣؛ بغية الملتبس ٢٤١ - ٢٤٢ (رقم ٦١٦)؛ المغرب ٢:
 ٢٧٧ - ٢٨١؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٣٩ - ١٤٧؛ المطرب ١٧٥ -
 ١٧٧؛ معجم ابن الأبار ٦٩ - ٧٠؛ بغية الوعاة ٢٤١؛ نفح الطيب ٢: ١٠٨، ٣:
 ٢٥٩ - ٢٦٠، ٤٦٢ - ٤٦٣، ٥٩٦ - ٥٩٧، ٤: ٢٢٦.

الجزّار السرقسطي

١- هو أبو بكر يحيى السَّرْقُسْطِيُّ (من سَرَقُسْطَة، في شَالِي الأندلس) كانت حِرْفَتُهُ الْجِزَارَةَ أَوْ الْقِصَابَةَ - وهي بَيْعُ اللَّحْمِ - . ويبدو أَنَّهُ تَرَكَ الْجِزَارَةَ مَدَّةً وَأَرَادَ أَنْ يَتَكَسَّبَ بِالشَّعْرِ فَلَمْ يُؤَفَّقْ، فَعَادَ إِلَى الْقِصَابَةِ. ثُمَّ إِنَّ الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ فِي الْمُخْتَارَاتِ تُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ عَيَّنَ مَدَّةً فِي دِيْوَانِ الْحَرَاكِ (لِجَمْعِ الضَّرَائِبِ)، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ يَشْكُو الْعُمَالِ (جَامِعِي الضَّرَائِبِ)، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ يَدَافِعُ عَنْهُمْ فِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِابْنِ حَسْدَايَ الَّذِي غَادَرَ الْأَنْدَلُسَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٤٩٥ هـ (رَاجِعِ الْقِطْعَةَ الْأُولَى فِي الْمُخْتَارَاتِ).

٢- كَانَ الْجَزَّارُ السَّرْقُسْطِيُّ شَاعِرًا مُقَصِّدًا وَوَشَّاحًا جَيِّدَ الطَّبْعِ (قَلِيلُ التَّكَلُّفِ) سَهْلَ الشَّعْرِ إِلَى حَدِّ الضَّعْفِ أحيانًا. وَالهَزْلُ يَغْلِبُ عَلَى شَعْرِهِ. وَفَنُونُهُ الْمَدْحُ وَالْأَسْتِعْطَافُ، وَهُوَ فِيهَا كَثِيرُ الشُّكْوَى. وَلَهُ خَمْرِيَّاتٌ وَشَيْءٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمِنَ الْقَصَصِ، وَمِنَ الْهَجَاءِ مَعَ التَّهْكِيمِ.

٣- مُخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- كَتَبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ^(١) إِلَى ابْنِ الْجَزَّارِ السَّرْقُسْطِيِّ:
 تَرَكْتَ الشَّعْرَ مِنْ ضَعْفِ الْإِصَابَةِ وَعُدْتَ إِلَى التِّجَارَةِ وَالْقِصَابَةِ^(٢).
 فَرَدَّ ابْنُ الْجَزَّارِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا:

(١) أَبُو الْفَضْلِ يَوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ حَسْدَايَ طَبِيبٌ أَصْلُهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ سَنَةِ ٤٩٥ هـ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ (عَيُونُ الْأَنْبَاءِ ٢: ٥١).

(٢) الْإِصَابَةُ: الصَّوَابُ (التَّوْفِيقُ فِي الْعَمَلِ). الْقِصَابَةُ: الْقِطْعُ (مِهْنَةُ الْقِصَابِ: الْجَزَّارُ، بَائِعُ اللَّحْمِ).

تَعِيبُ عَلِيٍّ مَأْلُوفَ الْقَصَابَةِ. وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدَرَ الشَّيْءِ عَابَةً. وَلَوْ أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَنٍّ فَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا لَهَالِكَ مَنْظَرِي؛ وَلَقُلْتُ: هَذَا فَتَكُنَا فِي بَنِي الْعَزْيِيِّ فَتَكَا وَلَمْ نُقْلَعْ عَنِ الثَّوَرِيِّ حَتَّى وَقَدْ شَهِدْتَ لَنَا كَلْبٌ وَهَرٌّ وَمَنْ يَغْتَرَّ مِنْهُمْ بِامْتِنَاعٍ، وَيَهْرُزُ وَاحِدٌ مَنَا لِأَلْفٍ أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرَ، أَجِبْ نِدَائِي، وَإِصْنَاءً إِلَى شَكْوَى شَكُورٍ وَحَقِّكَ، مَا تَرَكْتُ الشَّعْرَ حَتَّى وَحَتَّى زُرْتُ مُشْتَقَاً خَلِيلِي

وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدَرَ الشَّيْءِ عَابَةً. لَهَا اسْتَبَدَّلَتْ مِنْهَا بِالْحِجَابَةِ^(١). وَحَوَّلِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عِصَابَهُ^(٢)، هَزَبَرٌ صَيَّرَ الْأَوْضَامَ غَابَهُ^(٣). أَقَرَّ الذُّعْرَ فِيهِمْ وَالْمَهَابَةَ^(٤) مَرْجَنَا بِالْدَّمِ الْقَانِي لُعَابَهُ^(٥). بَأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ حُزْنَا لُبَابَهُ^(٦). فَإِنَّ إِلَى صَوَارِمَنَا إِيَابَهُ^(٧). فَيَغْلِبُهُمْ، وَتِلْكَ مِنَ الْغَرَابَةِ. وَفَضْلُكَ ضَامِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَةِ، أَطَلَّتْ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ رَأَيْتُ الْبُخْلَ قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ^(٨)؛ فَأَبْدَى لِي التَّحِيلَ وَالْكَأَبَةَ^(٩).

- (١) الحِجَابَةُ (فِي الْأَنْدَلُسِ): رِثَاسَةُ الْوِزَارَةِ.
- (٢) عِصَابَةٌ: جَمَاعَةٌ. مِنْ بَنِي كَلْبٍ = مِنَ الْكِلَابِ (فِي هَذَا ثَوْرِيَّةٌ: بَيْنَ بَنِي كَلْبٍ الْقَبِيلَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَنِي الْكَلْبِ، أَيْ الْكِلَابِ).
- (٣) هَالٌ: أَخَافُ. الْهَزَبَرُ: الْأَسَدُ. الْوَضْمُ (يَفْتَحُ فَيَفْتَحُ): الْخَشْبَةُ أَوْ الدَّفُّ الَّذِي يَقَطَعُ الْجَزَارَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ. الْغَابُ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ غَابَةٍ. صَيَّرَ الْأَوْضَامَ غَابَهُ (يَفْتَرِسُ الْغَنَمَ عَلَى الْوَضْمِ كَمَا يَفْتَرِسُ الْأَسَدُ فَرَائِشَهُ فِي الْغَابَةِ).
- (٤) بَنِي الْعَزْيِيِّ: الْمَعَزِيُّ.
- (٥) الثَّوْرِيُّ (هَذَا) الثَّوْرُ (ذَكَرُ الْبَقَرِ) ثَوْرِيَّةٌ مَعَ الثَّوْرِيِّ الْمُنْسُوبِ إِلَى قَبِيلَةِ ثَوْرٍ (رَاجِعِ الْقَامُوسَ ١: ٣٨٤).
- (٦) الْقَانِي (مِنَ الْفَارْسِيَّةِ، قَانَ: دَمٌ): الشَّدِيدُ الْحُمْرَةِ. اللَّعَابُ: الرِّيقُ فِي الْغَنَمِ.
- (٧) كَلْبٌ (أَيْ الْكِلَابِ) وَهَرٌّ (أَيْ الْهَرَّةُ) تُقَرَّرُ لَنَا (لِلْجَمَاعَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ) بَأَنَّ خِلَاصَةَ الْمَجْدِ لَنَا نَحْنُ (لَأَنَّهَا تَأْكُلُ مِنَ فَضَلَاتِ اللَّحْمِ الَّتِي نَلْقِيهَا إِلَيْهَا).
- (٨) الَّذِي لَا يَأْبَهُ بَنَا (مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ) إِذَا مَرَّ بَنَا (اغْتَرَاراً مِنْهُ بِأَنَّهُ نَاجٍ) فَيَسْأَلُنِي دَوْرَهُ فِي الذَّبْحِ يَوْمَ مَا.
- (٩) كَانَ الْجَزَارُ السَّرْقِطِي قَدْ تَرَكَ الْجَزَارَةَ وَجَعَلَ يَمْدَحُ الْوُجُهَاءَ فَلَمْ يَعْطُوهُ عَلَى الْمَدْحِ بِالشَّعْرِ. الْبُخْلُ أَوْصَى صِحَابَهُ (أَصْحَابَ الْمَالِ) بِمَنْعِ مَا لَهُمْ عَنِ النَّاسِ.
- (٩) التَّحِيلُ (كَيْلًا يِقَابِلُنِي) وَالْكَأَبَةُ (الْحُزْنُ).

وطني زيارتي لِطِلابِ شيءٍ ، فَنافَرَنِي وَغَلَّظَ لِي حِجَابَهُ (١) .

- كان والدُ الجَزَارِ يَحْيَى السَّرْقُطِيُّ قد تَقَبَّلَ أَرْضاً للأحباس (ضَمِنَ قطعة من أراضِي الأوقاف) لِيَزْرِعَهَا ثم يُوَدِّي عنها خَرَاجَهَا فِضَاع (خَسِرَ) وَاجْتَمَعَ عليه خَرَاجُ الأرض (تراكمتُ عليه الضرائب) فَكُتِبَ (يَحْيَى عن والده) إلى العاملِ (جامع الضرائب) يَسْتَقِيلُهُ (يَطْلُبُ منه إعفاءه من ضَمَانِ الأرض مع إسقاطِ الضرائب عنه):

يَا أبا جعفرٍ، لَعَأَ من عِثَارٍ وَغِيَاثاً فَمَا يَقَرُّ قَرَارِي (٢) .
سَيِّدِي، أَسْمَعُ لِعَبْدِكَ الْقِنِّ يَحْيَى خَبِراً مُضْحِكاً من الأَخْبَار (٣) :
كَانَ لي والدٌ، وَكَانَ - لَعَمْرِي - في بني العصرِ بِالْفَلَاحةِ دار (٤) .
كَامِلُ الرَّأْيِ تاجِرُ البرِّ والبحرِ -ر-، وَنَاهِيكَ، فَارَسُ في التِّجَارَةِ (٥) ،
مِثْلَ مَا سُمِّيَ اللَّديغُ سَليماً؛ وَأنا بَعْدَهُ على ذاكِ جَار (٦) .
وَكَذا يَسْلُكُ النَجِيبُ وَيَقْفُو نَهْجَ آبائِهِ على آثَار (٧) :
لو وَرَدَتْ البَحَارُ أَطْلُبُ ماءً جَفَّ قَبْلَ الْوَرُودِ ماءُ الْبَحَارِ (٨) ؛
أَوْ لَمَسْتُ الْعُودَ النُّضِيرَ بِكَفِّي لَذَوِي بَعْدَ نَضْرَةٍ وَأَخْضَرَار .
فَاكْتَرَاهَا - ولم يَكُنْ مُسْتَخِيراً - وَقَتِ شُؤْمٍ بِطَالِعِ الْإِذْبار (٩) .

(١) الحِجَابُ: السِتْر (منعُ العامَّةِ من الدخولِ على الملوك).

(٢) أبو جعفر (هنا) اسمُ العاملِ الَّذِي كان يَجْمَعُ الضَّرَائِبَ على الأَرْضِ في أَيَّامِ الْجَزَارِ السَّرْقُطِيِّ. لَعَأَ: رَفَعاً لَكَ من عَثْرَتِكَ. غِيَاثاً: أَغَثِي، أَنْقَذِي. لا يَقَرُّ قَرَارِي: لا أَستطِيعُ الْهُدُوءَ وَالْإِطْمِئْنَانَ (لِكثْرَةِ الضَّرَائِبِ الَّتِي تَطالِبُنِي بِهَا).

(٣) الْقِنُّ: الْعَبْدُ الدَّائِمُ أَوْ الْمُرْتَبِطُ بِالأَرْضِ.

(٤) دار (حَقّاً أَنْ تَكُونَ دارِياً - هِيَ خَيْرُ كان) - من هَذَا الْبَيْتِ وما بَعْدَ يَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِالْتِهْكِمِ بِأَبِيهِ: دارٍ بِالْفَلَاحةِ (يَقْصِدُ: غَيْرُ دارٍ بِهَا) كَامِلُ الْعَقْلِ (يَقْصِدُ: ناقصُ الْعَقْلِ) الْخ.

(٥) نَاهِيكَ: يَكْفِيكَ. التِّجَارَةُ (بِتَسْمِيلِ الْجِمْ) كَالْتِّجَارَةِ (بِتَشْدِيدِ الْجِمْ).

(٦) اللَّديغُ: الَّذِي لَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ (يَسْمَى سَليماً تَفَاوُلاً بِأَنَّهُ سَيَشْفَى مِنَ اللَّدْغَةِ). وَأنا سائرٌ على خَطِي وَالَّذِي (جَاهِلٌ مِثْلُهُ في هَذِهِ الْأُمُور).

(٧) النَجِيبُ: الْوَلَدُ الذَّكِيُّ. يَقْفُو: يَتَّبِعُ. نَهْجٌ: طَرِيقٌ.

(٨) الْوَرْدُ (بِالْكَسْرِ): الذَّهَابُ إِلَى الْمَاءِ).

(٩) اكْتَرَى (ضَمَنَ، اسْتَأْجَرَ) هَذِهِ الأَرْضَ من غَيْرِ أَنْ يَسْتَخِيرَ اللَّهَ (أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ في عَمَلِهِ

جَذْبَةً، بَعْضُهَا مِنَ الشُّؤْمِ أَضْحَى فِي عُلُوٍّ وَبَعْضُهَا فِي الْخُذَارِ^(١).
 لَمْ يَزَلْ زَارِعاً بِهَا حِمْلَ بَغْلٍ رَافِعاً مِنْهُ نِصْفَ حِمْلِ حِجَارٍ.
 سَاءَ فِي مَا أَصْبَتْ فِيهَا، وَلَكِنْ سَرَّني مِنْهُ خَيْبَةُ الْعَشَّارِ^(٢).
 مَا أَبَالِي؛ وَقَدْ غَدَا لِي رُكْنًا صَاحِبُ الشَّرْطَةِ الْكَرِيمُ النِّجَّارِ^(٣).

- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَزَّارِ السَّرْقَسِيُّ فِي الْحِكْمَةِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٥١٨):

إِيَّاكَ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ، فَإِنَّا عَقَلُ الْفَتَى فِي لَفْظِهِ الْمُسْمُوعِ.
 وَالْمَرْءُ يَخْتَبِرُ الْإِنْسَاءَ بِنَقَرِهِ لِيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ الْمَصْدُوعِ^(٤).

- وَقَالَ فِي بَقَاءِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ وَذَهَابِ أَصْحَابِ الْمَالِ الْمُوْهَبِ

(نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٤٦٤):

ثَنَاءُ الْفَقِي يَبْقَى، وَيَفْنَى ثَرَاؤُهُ. فَلَا تَكْتَسِبْ بِالْمَالِ شَيْئاً سِوَى الذِّكْرِ.
 فَقَدْ أَبْلَتْ الْأَيَّامُ كَعْبًا وَحَاتِمًا، وَذِكْرُهَا غَضٌّ جَدِيدٌ إِلَى الْحَشْرِ^(٥).

- وَلَهُ مِنْ مَوْشَعَةٍ:

وَهُمْ بَافْتِضَاحٍ فِي الْغَيْدِ الْمِلَاحِ وَقُمْ لَاصْطِبَاحٍ^(٦)
 بِكَاسِ الْمُدَامِ ثُمَّ اشْرَبْ هَنِيئًا وَاسْقِ النَّدَامَ^(٧)

★ ★ ★

خير)، بَلْ اتَّفَقَ أَنْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ شُؤْمٍ وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ كَانَتْ فِي الْإِدْبَارِ، أَيِ فِي الرَّجُوعِ (كَوَاكِبُ
 نَحْسٍ).

(١) جَذْبَةٌ (مُؤَنَّثٌ جَدَبٌ: مُجَدَّبٌ، قَلِيلُ الْخَصْبِ بِالْكَسْرِ).

(٢) سَرَّني خَيْبَةُ الْعَشَّارِ (جَامِعُ الْعُشُورِ: الضَّرَائِبُ). وَمِنْذُ الزَّمَنِ الْأَقْدَمِ كَانَ النَّاسُ يَكْرَهُونَ دَفْعَ
 الضَّرَائِبِ.

(٣) النِّجَّارُ: الْأَصْلُ وَالْحَسَبُ.

(٤) الْمَصْدُوعُ: الْمَشْقُوقُ.

(٥) كَعْبٌ بِنَ مَامَةٍ وَحَاتِمُ الطَّائِي مِنَ الْأَجْوَادِ (الْكَرَمَاءِ) فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(٦) هُمْ (بِكسْرِ فَسْكَوْنٍ) فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ هَامٍ يَهْمُ (أَحَبُّ حُبًّا شَدِيدًا). الْإِفْتِضَاحُ: اسْتِهْزَاءُ الْإِنْسَانِ بِمَا لَا
 يَلِيقُ. الْغَيْدُ جَمْعُ غِيدَاءٍ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ) الَّتِي تَتَأَمَّلُ فِي مَشْيِهَا. الْمَلِيحَةُ: الْحَسَنَةُ الْمُنْظَرُ (فِي اللَّوْنِ
 خَاصَّةً؟). قُمْ (انْهَضْ بَاكِرًا) الْإِصْطِبَاحُ: شَرَبُ الْخَمْرِ صَبَاحًا.

(٧) الْمُدَامُ: الْخَمْرُ. نَدَامٌ (بِالْكَسْرِ) وَنَدَمَاءُ (بِالضَّمِّ) جَمْعُ نَدِيمٍ: الْمَصَاحِبُ عَلَى شَرَبِ الْخَمْرِ وَالْمَسَامَرِ (التَّرْيِكِ
 فِي الْحَدِيثِ فِي اللَّيَالِي).

فتاة كعاب نعم الشباب عليها مَذاب^(١)
كروض الغمام لها المسك رِيّا والدرّ ابتسام

- وشكا جماعة من الناس عَمَّالهم (جامعي الضرائب) فوقَّع على كتابِ شكواهم:

نَسَبْتُمُ الْجَوْرَ لِعَمَّالِكُمْ وَنِمْتُمْ عَنْ سُوءِ أَعْمَالِكُمْ^(٢).
لَا تَنْسِبُوا الْجَوْرَ إِلَيْهِمْ، فَمَا عُمَّالُكُمْ إِلَّا كَأَعْمَالِكُمْ.
تَاللَّهِ، لَوْ مُلِكْتُمْ سَاعَةً مَا خَطَرَ الْعَدْلُ عَلَى بَالِكُمْ!

٤-★★ الذخيرة ٣: ٩٠٥ - ٩٠٨؛ المغرب ٢: ٤٤٤ - ٤٤٥؛ زاد المسافر ١٤٠ - ١٤١؛
جيش التوشيح ١٤٧ - ١٥٧ (راجع ٢٥٩ - ٢٦١)؛ نفح الطيب ٣: ٤٦٤، ٥٩٨،
٦٠٩.

ابن النحوي التوزري (*)

١- هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المشهور بابن النحويّ التوزريّ وُلِدَ
في القيروان، سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وقرأ العلم في بلده ثم دَخَلَ الْمَغْرِبَ وتطوَّفَ
فيه واستقرَّ في قلعة بني حمّاد قرب بجاية. وقد حجَّ وزار مِصرَ.

تصدَّر ابن النحويّ التوزريّ للتدريس وأقرأ النحوَ خاصّةً، وكان لا يَقْبَلُ على
التدريس شيئاً، بل كان يعيش من ضِيعَةٍ له في توزر. وكانت وفاته في قلعة بني حمّاد
سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في الأغلب.

٢- ابن النحويّ التوزريّ عالم قَصَرَ حَيَاتَهُ على طلبِ الْعِلْمِ ونَشَرِهِ، وكان فقيهاً
يَمِيلُ إلى الاجتهاد. ثم هو شاعرٌ ومُصَنِّفٌ، له الوصيّة، وتُنَسَّبُ إليه قصيدةُ
«الْمُنْفَرَجَةِ» (وتسمّى أيضاً: الْفَرَجَ بَعْدَ الشِّدَّةِ) نَظَمَهَا شُكْرًا لِلَّهِ، فقد كان ضاع له
مالٌ ثم رُدَّ إليه. وقد نالت هذه القصيدة شهرةً كبيرةً فشرَحَهَا كثيرون وخمَّسَهَا

★ تورر في القطر التونسي

(١) الفتاة الكاعب: التي كعب أو استدار نديها (في أوّل شبابها).

(٢) الجور: الظلم.

آخرون، وقد كثر اعتقاد الناس فيها وجعلوا قراءتها وسيلة إلى تفرّج كروبهم ونيل أمانيتهم. وقد نسبت هذه القصيدة إلى محمد بن أحمد بن إبراهيم العطار القرشي الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)، كما نسبت إلى الغزالي (بروكلمان ١: ٣١٦؛ راجع أيضاً طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥). وقصيدة «المنفرجة» خاصة قريبة المعاني جداً لتلائم أذواق عامة الناس وهي منظومة على بحر الخَبَب المُرَقَص القليل في الشعر. وتراكيبها سهلة جداً أيضاً تضعف أحياناً كثرة.

٣ - مختارات من شعره:

- مختارات من قصيدة «المنفرجة»:

اشتدّي، أزمّة، تنفرجي؛	قد آذنَ ليلك بالبلج ^(١) .
وظلامُ الليلِ له سُرُجٌ	حتّى يغشاه أبو السُرُج ^(٢) .
وسحابُ الخير له مطرٌ،	فإذا جاء الإبانُ تجي ^(٣) .
وفوائدُ مولانا جملٌ	لسروجِ الأنفسِ والمُهَج ^(٤) ؛
ولها أَرَجٌ مُخيّ أبداً،	فاقصِدْ مُخيّ ذاك الأَرَج ^(٥) .
والخلقُ جميعاً في يده:	فذو سَعَةٍ وذو حَرَج ^(٦) ؛
ونزولُهُم	فإلى دركِ وعلى درَج ^(٧) ،
ومعاشُهُم	ليست في الشّي على عِوَج ^(٨) .

(١) الأزمة: الضيق والشدة. البلج: الضوء. - آذن ليلك بالبلج (البياض): قرب طلوع النهار.

(٢) سرج (هنا): نجوم. أبو السرج: الشمس.

(٣) الإبان (بكسر الهزرة وتشديد الباء): الزمن، الموسم.

(٤) مولانا: ربّنا (الله). جل: كثيرة. سروج (جمع سرج) وسروح (بفتح السين): السريع من الخيل والإبل، والشروح (لم يتضح لي معنى البيت معها).

(٥) أَرَج: راحة طيبة. أبداً: دائماً. مخي ذاك الأَرَج: الله. - لا تحاول أن تستعيد نشاطك بشم الرائحة الطيبة، بل الجأ إلى خالق هذه الرائحة.

(٦) ... من الخلق (الناس) من هو في سعة من العيش ومن هو في ضيق.

(٧) الدرك: للزول (إلى أسفل) والدرج: للصعود (إلى أعلى). - كلّ أعمال البشر مقدرة عليهم.

(٨) لا يستطيع الناس أن يمتثلوا (بالسير الأعوج: خلافاً للقانون الإلهي) لبلوغ ما يريدون بإرادتهم.

حِكْمٌ نُسِجَتْ يَدِ حَكَمَتْ ثُمَّ اتَسَجَّتْ بِالْمُنْتَسِجِ: (١).
 فَإِذَا اقْتَصَدَتْ ثُمَّ انْعَرَجَتْ فِيمُقْتَصِدٍ وَيُنْعَرَجِ: (٢).
 شَهِدَتْ بِعَجَائِبِهَا حَجَجٌ قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحَجَجِ: (٣).
 مُدِحَ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هُدَى، وَهَوَى مُتَوَلٍّ عَنْهُ هُجَى: (٤).
 وَخِيَارُ الْقَوْمِ هُدَاتُهُمْ، وَسَوَاهِمُ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ: (٥).
 وَإِذَا كُنْتَ الْمَقْدَامَ فَلَا تَجْزَعُ فِي الْحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ: (٦).
 وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُدَى فَظَهَرَ فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَجِ: (٧).
 وَالرِّفْقُ يَدُومُ لَصَاحِبِهِ، وَالْخُرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ: (٨).

- ولأبي الفضل النحويّ التوزريّ أبيات يتشوّق فيها إلى مصر:

أَيْنَ مِصْرُ، وَأَيْنَ سُكَّانُ مِصْرٍ! بَيْنَنَا شُقَّةُ النُّوَى وَالْبُعَادِ: (٩).
 حَدَّثَانِي عَنْ نَيْلِ مِصْرٍ، فَإِنِّي مُنْذُ فَارَقْتُهُ إِلَى الْمَاءِ صَادٍ: (١٠)،
 وَالرِّيَاضِ الَّتِي عَلَى جَانِبَيْهِ؛ وَاجْعَلَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ زَادِي.
 رَقَّ قَلْبِي حَتَّى لَقَدْ خِلْتُ أَنِّي بَيْنَ أَيْدِي الزُّوَارِ وَالْعُودَادِ: (١١).

-
- (١) للأُمُور الجارية في عالَمنا حكمة أرادها الله ثم هي تنفذ بسعي الإنسان (المنتسج).
 (٢) اقتصدت: اعتدلت، استقامت (صلحت).
 (٣) عجائب الحكمة الإلهية قامت الحجج (السنوات الكثيرة المتوالية) دليلاً عليها. قامت بالأمر على الحجج (٩) جمع حجة (بالضم).
 (٤) من عمل الأمور بعقل مدح (كان ممدوحاً، محموداً). ومن تولى (مال، انحرف) عن العقل في أفعاله هُجى (كان مهجواً، مذموماً).
 (٥) الهمج: الرّعاع من الناس لا نظام لهم.
 (٦) الرهج: غبار الحرب (لا تخف من غبار الحرب، فإن الغبار لا يقتل. ولكن أقدم على القتال لأنّ الأعداء بيد الله).
 (٧) أظهر (ارتفع، تسلّق) فرداً (وحدك) فوق الثبج (ما بين الكاهل إلى الظهر: المكان العالي).
 (٨) الخرق: الجهل والحمق (قلّة العقل). المهرج: (بفتح الراء): الحيرة واضطراب الأمور.
 (٩) الشقّة: المسافة. النوى: البعد، البعد.
 (١٠) صاد: عطشان.
 (١١) ... - خلت (ظننت) أُنّى ... مريض.

ما تراني أبكي على كلِّ رَنعٍ! ما تراني أهِمُّ في كلِّ وادٍ^(١)!
 رَوْشٌ من رواشنِ النيلِ خيرٌ - بعدُ - مِنْ دِجَلَةٍ ومن بَغْدَادٍ^(٢).
 إنَّ مِصْرًا لها مَعَانٍ، لَعَمْرِي، قد تَأَبَّتْ على جميعِ البلادِ^(٣).
 هذه الأرض إنَّها هي نادٍ؛ مِصْرٌ من بَيْنِهَا سِرَاجُ الناديِ^(٤).

- ٤ - قصيدة « المنفرجة »، الاسكندرية (طبع حجر) ١٣٠٤ هـ (مع تخميس لها)؛ مطبوعة مع « منبّهات ابن حجر - ص ٥٥ - ٥٧ »، الاستانة (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ؛ مَكَّة ١٣١٧ هـ؛ ذيل « جالية الكدر » للبرزنجي، القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢١ هـ.
- ★ الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، لأبي يحيى زكريّا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، القاهرة ١٣٢٣ هـ.
- المنفرجة على المنفرجة لعبد الله بن عبد العزيز الصوفي، مصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).
 المغرب ١: ٣٢٥؛ طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥؛ الخزينة (المغرب) ١: ٣٢٥ - ٣٢٦؛
 التشوّف ٧٢؛ نيل الابتهاج ٣٤٩؛ بغية الوعاة ٤٢٤؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١:
 ٤٧٣ - ٤٧٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦ (٨: ٢٤٧)؛ مجمل الأدب التونسي
 ١٧٢؛ نويهض ٢٠٧ - ٢٠٨؛ راجع تخميساً لها في « عنوان الدراية » ٢٧٢ وما بعده؛
 سركيس ٢٦٦ - ٢٦٧.

أبو القاسم بن الجَدِّ

١ - هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجَدِّ الفِهْرِيّ - ويُعرَفُ بلقبِ « الأَحَدَبِ » أصلُهُ من مدينةِ لَبْلَةَ، في الجَنُوبِ الغرْبِيِّ من الأَنْدَلُسِ (وقيل من شِلْبِ المجاورةِ لِلْبَلَّةِ).

وسكنَ أبو القاسمُ بنُ الجَدِّ مدينةَ إشبيلية، فلَمَّا وَلَّى المعتمدُ بنُ عبَّادٍ أبْنَه يزيدَ الراضِيَّ على الجزيرةِ الخضراءِ (في جَنُوبِ الأَنْدَلُسِ) جَعَلَ أبا القاسمِ بنَ الجَدِّ وزيراً

(١) ألا تراني بعد مفارقة مصر أبكي في كلِّ مكان (حزيناً) وأمضي هائماً (حيران).

(٢) الروشن: الشرفة (المعجم الوسيط ١: ٣٤٨).

(٣) تَأَبَّتْ على: استعصت، صعب وجودها.

(٤) النادي: مجتمع الناس، مجلس الأشراف.

معه. ثم انتقل الرازي إلى الولاية على رُنْدَةَ فانتقل أبو القاسم معه أيضاً. وبقي أبو القاسم مع الرازي إلى أن قُتِلَ الرازي (٤٨٤ هـ) في حَمْلَةِ يوسف بن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف.

ثم إنَّ أبا القاسم بن الجَدَّ اعتزل الحياةَ السياسيَّةَ واستقرَّ في بلده لَبْلَةَ فولَّاه أهلها خِطَّةَ الشُّورى فيها (المغرب ١ : ٢٤١) فكان يُفتي في لَبْلَةَ.

وبعد أن استولى المرابطون على الأندلس اتصل بهم أبو القاسم بن الجَدَّ فدعاه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى مَرَّاكُشَ فانتقل أبو القاسم إليها ثم استمرَّ يعيشُ فيها. وقد تولَّى الكتابةَ لعلِّي بن يوسف بن تاشفين وكتب عنه رسالة (سنة ٥١٢ هـ)، ولعله كان في هذا المنصب من قبل علي بن تاشفين أيضاً.

وكانت وفاة أبي القاسم بن الجَدَّ، سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م)، في مدينة مَرَّاكُشَ.

٢- كان أبو القاسم بن الجَدَّ من أهلِ التَّفَنُّنِ في المعارف، بارعاً في الحديث والفقه خاصَّةً، ثم كان أديباً كاتباً: مُنْشِئاً بارعاً ومُتَرْسِّلاً قديراً وشاعراً أيضاً. وكانت بينه وبين الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مراسلة. وشعره وُجِدانيٌّ يدورُ على الوصفِ والعتاب في الأكثرِ ثم إخوانيَّات. ويبدو أن نثره أكثرُ من شعره وأعلى مكانةً^(١).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم بن الجَدَّ (يَصِفُ قصيدةً):

لَيْنٌ رَاقٍ مَرَأَى لِلْحِسانِ وَمَسْمَعٌ، فَحَسَنَّاوَكَ الْغَرَاءُ أَهْبَى وَأَمْتَعُ.
عروسٌ جَلاها مَطْلَعُ الشَّمْسِ فأنْجَلَتْ، إليها النجومُ الزاهراتُ تَطْلَعُ.
زَفَفْتُ بها بِكَرًّا تَضَوَّعَ طيِّبُها؛ وما طيِّبُها إِلَّا الثناءُ المَضَوَّعُ.

(١) في المطرب (ص ١٩٠) لأبي القاسم بن الجَدَّ ابنُ عمِّ أديبٍ شاعرٍ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى ابن الجَدَّ، ولد سنة ٤٩٦ هـ وتوفي سنة ٥٨٦ هـ.

لها من طرازِ الحُسْنِ وَشَيِّ مُهْلَهْلٌ، ومن صِيغة الإحسان تاجٌ مُرْصَعٌ^(١).

- وكتب عن أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين إلى أهل غرناطة مُهدِّداً:
كتابنا - عَصَمَكُمُ اللهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسِّرْكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ، وَجَنِّبْكُمْ مَا يُسْخِطُكُمْ وَيَنْعَاهُ^(٢) -
مِنْ حَضْرَةِ مَرَّاكُشٍ^(٣) حَرَسَهَا اللهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ الْمُعْظَمِ سَنَةِ
سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا أَنْكُمْ مِنْ مُطَالِبَةِ فُلَانٍ عَلَى أَوْلَاكُمْ وَفِي عُنْفُوَانٍ
عَمَلِكُمْ^(٤)، وَأَنَّهُ لَا يَعْدُمُ تَشْغِيْبًا وَتَأْلِيْبًا مِنْ قِبَلِكُمْ^(٥). فَإِلَى مَتَى تُلْحَوْنَ فِي الطَّلَبِ
وَتَجِدُونَ فِي الْغَلَبِ وَتَقْرَعُونَ النَّعْ بِالْغَرْبِ^(٦)... لَقَدْ آَنَ^(٧) لِحَرْكَتِكُمْ فِي أَمْرِهِ أَنْ
تَهْدَى وَلِلنَّائِثَةِ بَيْنَكُمْ أَنْ تُطْفَى وَلِذَاتِ بَيْنِكُمْ أَنْ تَنْصَلَحَ وَلَوْجُوهِ الْمَرَاشِدِ قِبَلَكُمْ أَنْ
تَنْتَضَحَ^(٨). وَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ خِطَابُنَا هَذَا فَاتْرَكُوا مُتَابِعَةَ الْهَوَى وَاسْلُكُوا مَعَهُ الطَّرِيقَةَ
الْمُثْلَى وَدَعُوا التَّنَافُسَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا. وَلْيُقْبَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى مَا يَغْنِيهِ وَلَا
يَسْتَغْلُ بِمَا يُنْصِبُهُ وَيُغْنِيهِ^(٩). فَلَا بَدَّ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَجْلِ وَلِكُلِّ وَلايَةٍ مِنْ غَايَةٍ^(١٠). وَلَنْ
يَسْبِقَ شَيْءٌ أَنَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا سَأَاهُ^(١١). وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

(١) مهلهل: رقيق (نفيس، ثمين، جميل).

(٢) تقواه: طاعته والخوف منه. جنبكم: أبعد عنكم. يسخطكم: يفضيكم (إذا عوقبتم على سوء تأتون). ينعاه (عليكم): يعيبكم به، يؤاخذكم عليه.

(٣) الحضرة: المكان الذي يوجد فيه كبير القوم. حضرة مراكش: عاصمة المغرب الأقصى.

(٤) مطالبة فلان: ما يطلبه منكم (الناثر، العاصي، الخارج على الدولة). على أولكم: كما كنتم من قبل في أول الأمر (على المعصية). العنفوان: الشدة.

(٥) لا يزال يجد فيكم من يقوم له بالفتنة ويجمع حوله الأنصار منكم.

(٦) تصرّون على محاربة الدولة وتجدون حتّى تنتصروا، وتقرعون (تدقّون، تقاتلون) النع (أغصان الشجر المتين، الرماح، قوّة الدولة) بالغرب (بأغصان الشجر الضعيف، بقوة سيرة).

(٧) آن: قرب الوقت.

(٨) النائثة: الهائجة، الفتنة، الثورة. ذات البين: ما بين قومين، الصلة. قبلكم: عندهم.

(٩) الحطام: ما يتكسر من أطراف الأشياء اليابسة، قشر البيض (أشياء لا قيمة لها). أنصبه الأمر: أتميه. عناه: أتميه جدّاً (من غير أن يستطيع التغلب عليه).

(١٠) لكلّ عمل أجل: مدّة (إشارة إلى انقراض دويلات الطوائف). ولاية: حكم. غاية: نهاية.

(١١) أنا: حينه، زمنه (لا يأتي شيء قبل أوانه). سآه: سهّله (الاقموس ٤: ٣٤٥). - الأنى (بالفتح أو بالكسر: الحين).

لكم^(١). والله يعلم وأنتم لا تعلمون^(٢). وَفَقَّكُمْ اللَّهُ لما فيه صَوْنُ أديانكم وتسديدُ أُنحائكم وأغراضكم، بمنه^(٣).

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٢٣ - ١٢٩؛ الصلة ٥٤٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٥٧ - ٢٦٨؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٣٩٣ - ٤٠١؛ الذخيرة ٢: ٢٨٥ - ٣٢٢؛ المغرب ١: ٣٤١ - ٣٤٢؛ المطرب ١٩٠ - ١٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠٣ - ١٠٤ (٦: ٢٢٨).

ابن القطّاع

١ - هو أبو القاسم عليُّ بنُ جعفر بن عليٍّ بن مُحَمَّد بن عبدِ الله بن الحسين بن أحمد ابنِ مُحَمَّد بن زيادة الله بن الأغلب السَّعْدِيّ بن إبراهيم بن الأغلب؛ ويُعرفُ بابنِ القطّاع السعديّ الصِقْلِيّ.

وُلِدَ ابنُ القطّاع الصِقْلِيّ في صِقْلِيَّة، في العاشر من صَفَر من سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤١/٩/٩م). وقرأ ابنُ القطّاع في بلدِهِ على نَفَرٍ منهم العالمُ اللغويّ أبو بكرٍ مُحَمَّد ابنُ عبد البر الصِقْلِيّ.

ولمّا أشرفَ الإفرنجُ (النورمانديون) على احتلالِ صِقْلِيَّة، في حدود ٥٠٠ هـ (١١٠٦م) رَحَلَ ابنُ القطّاع إلى مِصرَ واشتغل فيها بإقراء كتاب الصِّحاح للجَوْهَرِيّ وبتعليم أولادِ الأفضَل بن بدر الجماليّ.

وكانت وفاةُ ابنِ القطّاع في الفُسطاطِ (مِصرَ القديمة)، سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢م) في الأغلب.

٢ - كانَ ابنُ القطّاع الصِقْلِيّ إماماً في اللُّغة خاصّةً وفي الأدبِ واسعَ الاطِّلاع؛ وكان له شِعْرٌ كثيرٌ حَسَنٌ. وكانت له أيضاً مؤلَّفاتٌ منها: الجوهرة الخطيرة في شعراء

(١) قرآن كريم (٢: ٢١٦)، البقرة.

(٢) قرآن كريم (٢: ٢١٦).

(٣) الصون: الصيانة والحفظ. النحو: القصد. الغرض: الغاية، الهدف. المنّة: الإنعام.

الجزيرة (أي صقلية)، وقد اشتمل هذا الكتاب على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت من الشعر) - كتاب الأفعال (هذب فيه كتباً في الأفعال لابن القوطية وابن طريف وغيرهما) - كتاب الأسماء أو أبنية الأسماء (جمع فيه أبنية الأسماء كلها) - فرائد الشُّدُور وقلائد النحور (في الأشعار) - كتاب العروض والقوافي - لُحُحُ المِلَح (في شعراء الأندلس) - كتاب ذكر تاريخ صقلية.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن القطّاع الصِّقْلِيُّ يَفْتَخِرُ بِشِعْرِهِ:

يا رَبَّ قَافِيَةٍ بِكَرٍ نَظَّمْتُ بِهَا في الجِيدِ عِقْدًا بِدُرٍّ المَجْدِ قَدْ رُصِفَا؛
يَوَدُّ سَامِعُهَا لو كان يَسْمَعُهَا بِكُلِّ أَعْضَائِهِ - مِنْ حُسْنِهَا - شَغَفَا!
- وقال يتغرَّل:

إِيَّاكَ أَنْ تَذُنُوَ مِنْ رَوْضَةٍ بوجنَّتِيهِ تُنَبِّئُ الوردَا؛
واخْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ قُرْبِهَا فَإِنَّ فِيهَا أَسَدًا وَرَدَا!
- وقال في الزُّهْدِ والحِكْمَةِ:

فلا تُنْفِدَنَّ العُمَرَ في طَلَبِ الصِّبَا ولا تَشْقَيْنَ يَوْمًا بِسُعْدَى ولا نَعَمَ؛
ولا تَنْدِينِ أَطْلَالَ مَيَّةَ باللَّوَى ولا تَسْفَحَنَّ ماءَ الشُّؤْنِ على رَسَمِ.
فإنَّ قُصَارَى المَرءِ إدراكُ حَاجَةٍ؛ وَتَبْقَى مَذَمَاتُ الأحاديثِ والإثْمِ!

- من مقدّمة «كتاب الأفعال»:

.... اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ما رَغِبَ فِيهِ الرَّاغِبُ وتعلّق به الطالبُ معرفةَ لغةِ العربِ التي نَزَلَ بها القرآنُ ووَرَدَ بها حديثُ النبيِّ عليه السلامُ لِتُعْلَمَ بِها حَقِيقَةُ مَعَانِيهَا ولِثَلَا يَضِلَّ مَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِهَا. وقد قال بعضُ الحكماء: اللغةُ أركانُ الأدبِ والشعرُ ديوانُ العربِ. بالشعرِ نُظِمَتِ المآثِرُ وباللغةِ نُثِرَتِ الجواهرُ^(١). لولا اللغةُ لذهبتِ الآدابُ،

(١) الجوهرة: اللؤلؤة (نثرت الجواهر: كتبت المقاطع النفيسة). المأثرة (بضمّ التاء): العمل الحميد.

ولولا الشعرُ لَبَطَلَتِ الأحسابُ. بلغة العربِ نَزَلَ القرآنُ، وبشعرِهِمْ مُيِّزَ الفرقانُ^(١). من ذمَّ شعرَهُمْ فَجَرَ، ومن طَعَنَ على لُغَتِهِمْ كَفَرَ^(٢). سألتني - أراك الله السُّولَ^(٣) وبلغك المأمولَ - أن أُلْخِصَّ لك ما انْفَلَقَ وَبَعَدَ، وأُخْلَصَ لك ما عَسَرَ وانْعَقَدَ من كتابِ «أُنبِيَةِ الأفعالِ» لأبي بكرٍ مُحَمَّدٍ بنِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ المعروفِ بابنِ القوطيةِ^(٤). وهذا الكتابُ في غايةِ الجودةِ والإحسانِ، لو كان ذا ترتيبٍ وبيانٍ، لأنَّه قد أَرَبَى^(٥) فيه على كُلِّ من أَلَفَ في معانيه. إلَّا أَنَّهُ لم يَذْكُرْ فيه سِوَى الأفعالِ الثلاثيةِ وما دَخَلَ عليها من الهمزِ. ولم يَسْتَوْعِبْ ذلك. وَتَرَكَ نحواً ممَّا ذَكَرَ^(٦)، وَخَلَطَ في التَّبْوِيبِ وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ في التَّرْتِيبِ. وجعلَ الثلاثيَّ في اتِّفَاقٍ معنَى في أبوابٍ، وباختلافٍ معنَى في أبوابٍ، والثَّنَائِيَّ المُضَاعَفَ في أبوابٍ، والمُتَّفِقَ والمُخْتَلَفَ منه في أبوابٍ. فَاتَّعَبَ الناظرُ وَأَنْصَبَ الخاطرُ^(٧). وصار الطالبُ للحرفِ يَجِدُهُ مُتَفَرِّقاً في الكتابِ في عِدَّةِ أبوابٍ. ولم يَذْكُرْ فيه الأفعالَ الرَّبَاعِيَّةَ الصَّحِيحَةَ والسُّدَاسِيَّةَ الْمَزِيدَةَ ولا الثَّنَائِيَّةَ الْمُكَرَّرَةَ. فَاجْتَنَكَ إلى ما سألتَ وَأَسْعَفْتُكَ^(٨) بما أَرَدْتُ، على ما في ذلك من التَّعَبِ الطَوِيلِ والنَّصَبِ الجَزِيلِ، لِأَنِّي أحتَاجُ (إلى) أن أُعْرِضَ الكُتُبَ لِكُلِّ حَرْفٍ عَرْضَةً^(٩)، وَالْحَقُّ بِهِ ما تَرَكَ من عِدَّةِ دَوَائِمٍ..... فَرَدَدْتُ كُلَّ فَعْلٍ إلى مِثْلِهِ، وَقَرَنْتُ كُلَّ شَكْلٍ بِشَكْلِهِ. وَرَتَّبْتُ خِلَافَ تَرْتِيبِهِ وَهَدَّبْتُ خِلَافَ تَهْذِيبِهِ.

(١) بشعرهم... بمقارنة شعرهم بلغة القرآن الكريم، ظهر أنَّ أسلوب الفرقان (القرآن) مميَّز (مختلف، فوق) الشعر.

(٢) فجر: استهتر في ارتكاب المعاصي. طعن على لغتهم: عابها، ذمها.

(٣) السول = السؤل = السؤال: ما يطلبه الإنسان، الحاجة (أراك الله: ...).

(٤) راجع ترجمة ابن القوطية (ت ٣٦٧).

(٥) أربى: زاد.

(٦) استوعب: استوفى (ذكر جميع ما أَرادَهُ). ترك نحواً مساوياً للذي أثبتَهُ في كتابهِ) ممَّا ذَكَرَ (أنَّهُ سيعالِجُهُ). الأفعال الثلاثية (صيغة فعل: علم، أخذ، سمى). وما دخلها من الهمز (صيغة أفعال: أعلم، أخذ، ألقى).

(٧) أنصب: أجهد، أتعب.

(٨) الفعل الرباعي الصحيح (فعل: دحرج). السداسية المزيدة (استفعل وافعول: استعلم، استعبر ثم اخضوضر، احلول). المكررة الثنائية (قلقل، جمعج). أسعف: ساعد.

(٩) عرضة: استعراض الكتاب مرَّةً جديدةً.

وذكرت ما أغفلت من الأفعال الثلاثية والمزيدة بالهمزة والثنائية المكررة. وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة والأفعال الخماسية والسداسية المزيدة. وأثبتها على حروف المعجم حتى لا يحتاج الناظر (إلى) أن يخرج من باب إلا وقد استوعب جميع الأفعال. وأعلمت ما أوردته (ابن القوطية) بحرف «القاف» وعلى ما أوردته أنا بحرف «العين»، ليُعرف بذلك ما أوردته وما أوردته، وما ترك وما زدت.....

٤- كتاب الأفعال (رتبه سالم الكرنكوي)، حيدر آباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ.

★★ معجم الأدباء ١٢: ٢٧٩ - ٢٨٣؛ خريدة (المغرب) ١: ٥١ - ٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٩؛ المحمدون ٦٣ - ٦٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٢ - ٣٢٣؛ بغية الوعاة ٣٣١ - ٣٣٢؛ شذرات الذهب ٤: ٤٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٨ - ٨١٩؛ بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ٧٦ (٤: ٢٦٩).

ابن صارة الشنتريني

١- هو الأستاذ الأديب الكبير الشهير (نفع الطيب ٤: ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر بن صارة (أو سارة) الشنتريني، من أهل شنترين الغرب (في البرتغال اليوم).

كان ابن صارة «قليل الحظ إلا من الحرمان»: كان رجلاً «أعان الدهر على نفسه» فما رفق في معاشرته أحد ولا صبر على عمل. من أجل ذلك كان يتكسب ببيع المحقرات (الأشياء التافهة)، كما اشتغل حيناً بالتأديب والتعليم. ولقد تطوّف في الأندلس شرقاً وغرباً وراء الرزق ومدح نفرأ من الأمراء وكتب لبعضهم (كان كاتباً عندهم). ثم استقر في بطليوس وعاش في بلاط بني الأفطس أيام المتوكل أبي حفص عمر الذي جاء إلى الحكم سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) شريكاً فيه مع أخيه يحيى. فلما مات يحيى، سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) انفرد هو بالحكم.

لما استولى المرابطون على بطليوس (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وقتلوا المتوكل انتقل ابن صارة إلى إشبيلية (وكانت إشبيلية أيضاً في يد المرابطين) واشتغل في الوراقة

(نسخ الكتب وتجليدها) وعاش عيشة يؤسّر. ولمّا رَجَعَ القاضي أبو بكر بن العربي من المشرق، سنة ٤٩٣ هـ، سكن إشبيلية فمدحه ابن صارة. ولمّا جاء أبو بكر بن إبراهيم والياً على غرناطة من قبل المرابطين ذهب ابن صارة إلى غرناطة ودخل عليه مع الشعراء ومدحه. ثم مدحه أيضاً في نوروز سنة ٤٩٩ هـ (رجب ٤٩٩ هـ = آذار - مارس ١١٠٦ م). وكذلك مدح أبا العلاء بن زهير (ت ٥٢٥ هـ) وأبا أمية بن عصام قاضي الشرق (شرق الأندلس)، ولا أعلم متى فعل ذلك.

ولا يبدو أن ابن صارة تكسّب بالشعر ما يذهب بشقائه فاعتزل الحياة العامة في أواخر أيامه - وكانت وفاته بالمرية، سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢ - ابن صارة الشنتريني أديبٌ ناثرٌ ناظمٌ: كان شاعراً بارعاً مُقدّراً صحيحَ اللغة متينَ الأسلوب يُحبُّ المعاني الغريبة والتلاعب بالألفاظ مع قُدرة على التوليد والاختراع. وقد أُولع بالمقطعات القصار فأرسلها أمثالاً. وكذلك كانت له براعة وقدره في القصائد الطوال.

أما فنونه فهي المديحُ والثناء (فقد رثى ابنته رثاءً فيه زهدٌ فيها وفي الدنيا) والمهجاء (وقد أكثر منه وخصوصاً في أيام شقائه الأولى) والوصف (وصف الطبيعة، وله أوصافٌ مُستجادةٌ في النارِ ووصفٌ للشهاب). وتكثرُ الشكوى في شعره. وله حكمة وزهد وغزلان، مذكّرٌ ومؤنث.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن صارة الشنتريني يمدح الأمير أبا بكر بن إبراهيم لما جاء أبو بكر إلى غرناطة والياً عليها:

اليومَ أخدمتِ الضلالةُ نارَها، واسترجعت دارُ الهدى عمارَها^(١)؛
واستقبلت حدقَ الورى غرناطةً، وهيَ الحديقةُ فوّتَ أزهارَها^(٢).

(١) استرجع (قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، المقصود: استردّ. العمار: الساكنون.

(٢) فوّت: أزهارها: جعلت ألوانها كثيرة.

فَكَأَنَّ تَشْرِينَأَ بِهَا نَيْسَانَهُ
 مَا شِئْتَ مِنْ نَهْرٍ كَصَدْرِ عَقِيلَةٍ
 أَوْ جَذُولٍ كَالنَّضْلِ فِي يَدِ ثَائِرٍ
 اللَّهُ أَرْوَعُ مِنْ ذَوَائِبِ حِمِيرٍ
 مَا هَالَهُ يَبْدُ تَعَسَّفَهَا، وَلَا
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي إِلَى قَصْرِ الْمُدَى
 خَضَبُوا السَّوَاعِدَ بِالرِّقَاقِ تَفَاوُلًا
 غَرَسُوا الْأَيْدِيَّ فِي ثَرَى مَعْرُوفِهِمْ
 ضَرَبُوا سُرَادُقَ بَأْسِهِمْ مِنْ دُونِهَا
 لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ قَدَوُخَا
 شُهْبٌ إِذَا أَوْفَتْ عَلَى أَقْفَى الْوَغَى
 يَكْسُو رُبَاهَا وَرَدَّهَا وَبَهَارَهَا^(١).
 شَقَّتْ أَنَامِلُهَا عَلَيْهِ صِدَارَهَا^(٢)،
 أَمْهَى صَحِيفَتَهُ وَهَزَّ غِرَارَهَا^(٣).
 رَاعَ الْعُدَاةَ فَمَا تَقَرُّ قَرَارَهَا^(٤).
 لُجَجٌ بِجَنْحِ اللَّيْلِ خَاضَ بِحَارَهَا^(٥).
 فَتَنَطَّنُهم سَدَّوَا الدُّجَى أَقْهَارَهَا^(٦)؛
 أَنْ سَوْفَ تَخْضُبُ بِالنَّجِيعِ شِفَارَهَا^(٧).
 فَجَنَّا بِالنِّسَاءِ الثَّنَاءِ ثِنَارَهَا.
 وَقَدْ اشْرَأَبَ الْكُفْرُ يَهْدِمُ دَارَهَا^(٨).
 أَرْضَ الْعِدَى وَاسْتَأْصَلُوا كُفَّارَهَا^(٩).
 جَعَلَتْ أبا يَحْيَى الْأَمِيرَ مَدَارَهَا^(١٠).

- (١) تشرين (الشهر العاشر في التقويم الميلادي) يبدأ فيه الخريف وتساقط ورق الشجر. نيسان (الشهر الرابع) فيه يبدأ الربيع واکتساء الأشجار بالورق وتفتح الأزهار في الحقول. البهار: الزهر الأصفر أو زهر الربيع عامة.
- (٢) الشاعر هنا يشبه مجرى النهر في المرج الأخضر بعقيلة (سيّدة كريمة) تكشف بأطراف أصابعها ثيابها (الخضراء) عن (صدرها الأبيض). الصادر (ثوب قصير يغطي الصدر).
- (٣) النصل (السيف). أمهى (رقق السيف وجلاه). الفرار: حدّ السيف، والمقصود السيف كله.
- (٤) الأروع: الشجاع. الذّؤابة: ضفيرة من الشعر (رئيس القوم). حير: عرب الجنوب (اليمن) أي الملوك. راع: أخاف.
- (٥) ما هاله (لم تخفه) بيد (أي الصحارى) تَعَسَّفَهَا (قاسى المشقة في قطعها) ولا لجج (أمواج) بجنح الليل (في الوقت الذي يشتد فيه الظلام).
- (٦) فتية (أقارب الأمير الممدوح؟). سدّوا الدجى أقهارها (أقهارها بدل من الدجى): سدّوا (غطّوا - بفتح الطاء) الأقار (لأنهم أجل من الأقار).
- (٧) خضبوا (صبغوا) السواعد (جمع ساعد: ما بين المرفق إلى الكف) بالرقاق (٤). النجيع: الدم. الشفرة (حديدة السيف).
- (٨) السرادق (الخيمة الكبيرة) البأس (القوة، الحرب) من دونها (دفاعاً عن بلادهم). اشْرَأَبَ: مدّ عنقه (رغب في، أراد).
- (٩) لبسوا القلوب على الدروع (استهانوا بالموت). دوّخ البلاد: جال فيها وعرف جميع نواحيها (استولى عليها). استأصل (اقتلع، قضى على).
- (١٠) شهب (جمع شهاب: نجم). أوفى على أفق الوغى (اقترب من ميدان المعركة) جعلت أبا يحيى مدارها =

حاشا لِأَزُنْدٍ شَرَعْنَا مِنْ كَبُوءٍ وَيَدُ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ تُورِي نَارَهَا (١) .
أُولِيَّ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ، أَنَهَجَتْهَا مُذْصِرَتْ مِنْ جَوْرِ الْحَوَادِثِ جَارَهَا (٢)
فَحُطِرِ الرَّعِيَّةَ فِي مَرِيعِ جَنَابِهَا وَأَرَأَبُ ثَاثَا وَاصْطَنَعَ أَحْرَارَهَا (٣)
وَاقْذِفْ نُحُورَ الْمُشْتَرَكِينَ بِجَحْفَلٍ يَمْحُو مَعَالِمَ أَرْضِهَا وَمَنَارَهَا (٤) .
وَاحْلُلْ عُرَى تِلْكَ الْجَاهِجِ ، إِنَّهَا عَقَدَتْ عَلَى بُغْضِ الْهُدَى زُنَارَهَا (٥) .
وَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ ثَلَلْتَ عُروَشَهُمْ وَسَلَبْتَ بَيْنَضَةَ مُلْكِهِ جَبَّارَهَا (٦) !
لَا تَرَضُ مِنْهُمْ بِالنَّفُوسِ تَحُوزُهَا سُمِرَ الْقَنَا حَتَّى تَحُوزَ دِيَارَهَا (٧) !
صَمَّتْ سَيُوفُكَ فِي الْقُمُودِ وَجُرَدَتْ يَوْمَ النِّزَالِ فَحَدَّثْتَ أَخْبَارَهَا .
لَمَّا اخْتَسَتْ خَمَرَ الْهِيَاجِ نِصَالُهَا أَهْدَتْ إِلَى هَامِ الطُّغَاةِ خُفَارَهَا (٨)

- وقال في الغزل:

ومَهْفَفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاغِهِ قَمَرًا بِآفَاقِ الْحَاسَنِ يُشْرِقُ (٩) .

- = (دارت حوله لتحمية أو اقتدت به في الدوران معه في ميدان القتال).
- (١) الزند (قطعة من حديد تقدح بها النار من الحجر الصوان). شرعنا (الإسلام). الكبوة: العثرة، السقوط. أوري: أوقد.
- (٢) أُولِيَّ = يا وليّ (الوالي، الأمير). أحد (محد رسول الله). أبهج فلانٌ فلاناً (أفرحه، سرّه). الجور: الظلم. الجار (الجير، النقد، الهامي، المدافع).
- (٣) حاط يحوط (حفظ). المريع: الخصب. الجنب (الجانب من الأرض). رأب فلان الصدع: جمع شقيه وأصلحه. الثأى: الخرم (بالفتح)، الشق. اصطنع أحرارها (قرب إليك الأحرار لا الأشرار).
- (٤) الجحفل: الجيش العظيم.
- (٥) احلل عرى الجاهج (الرووس): اخلع رؤوس هؤلاء القوم عن أجسادهم (٤). الهدى: دين الهدى (الإسلام). الزنار: شعار النصارى يلقونه على أوساطهم.
- (٦) ثل: هدم. بيضة الملك: ما يدافع الملك عنه (العاصمة). الجبار: الملك. = سلبت الجبار (مفعول به أول) بيضة ملكه (مفعول به ثان مقدم).
- (٧) لا تقنع بأن تأخذ سمر القنا (الرماح) أرواحهم، بل يجب أن تستولي أنت على بلادهم.
- (٨) احتسى: شرب. خر الهياج (القتال، الحرب): الدم. الطاغية: المستبد الظالم. الخمار: السكر. إكثارك القتل فيهم جعل ملوكهم كأنها أصابهم صداع (بالضم: وجع في الرأس).
- (٩) المهفف: الدقيق الخصر. الطوق: العقد. قبة القميص. قمر (كناية عن الوجه).

يُفْضِي إِلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةً مَتَأَلَّقَ فِيهَا سِنَانٌ أَزْرَقُ^(١).
- وقال يرثي أبنه له ماتت (ونجد في هذا الرثاء شيئاً من الاستخفاف بالأنثى إذا ماتت):

أَلَا يَا مَوْتَ، كُنْتَ بِنَا رَوْوَفًا فَجَدَّدْتَ الْحَيَاةَ لَنَا بِزَوْرَةٍ.
حَمَادٍ لِفِعْلِكَ الْمَشْكُورِ لَمَّا كَفَفْتَ مَوُوتَةً وَسَتَرْتَ عَوْرَهُ^(٢)؛
فَأُنْكَحْنَا الضَّرِيحَ بِلا صِدَاقِي، وَجَهَّزْنَا الْفَتَاةَ بِغَيْرِ شُورَةٍ!

- وقال يصف شهاباً ترك وراءه خطأً طويلاً من النور:

وَكُوكِبٍ أَبْصَرَ الْعِفْرِيَّةَ مُسْتَرْقَاً فَانْقَضَ يَذْكُنِي عَلَى آثَارِهِ لَهْمَةٌ^(٣).
كَفَارِسٍ حَلَّ إِحْضَارُ عِمَامَتِهِ فَجَرَّهَا كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذَبَةٌ^(٤)!
- وقال في وصف النار:

لِأَبْنَةِ الزُّنْدِ فِي الْكَوَانِينِ جَمْرٌ كَالدَّرَارِيِّ فِي دُجَى الظُّلَمَاءِ^(٥)!
خَبَّرُونِي عَنْهَا وَلَا تَكْذِبُونِي: أَلَدَيْهَا صِنَاعَةُ الْكِيمِيَاءِ؟
سَبَكْتُ فَحَمَهَا صَفَائِحُ تَبْرِ رَصَعْتُهَا بِالْفِضَّةِ الْبِيضَاءِ!
كَلِمًا رَفَرَفَ النَّسِيمُ عَلَيْهَا رَقَصَتْ فِي غُلَّالَةٍ حَمْرَاءِ!
لَوْ تَرَانَا مِنْ حَوْلِهَا قُلْتَ: شَرِبٌ يَتَعَاطُونَ أَكُوسَ الصَّهْبَاءِ^(٦).

(١) يفضي: يصل. المهجة: دم القلب. صعدة (قصبة، رمح) (كناية عن القامة الطويلة الرشيقة). متألّق: لامع. السنان (نصل حديد في أعلى الرمح) أزرق (كناية عن العين). - قدّ هذا المحبوب كالرمح وعينه زرقاء كنصل الرمح، من أجل ذلك هو يقتل المحبين.

(٢) حماد (اسم فعل): حمداً (لفعلك). العورة: العيب (ما كان النظر إليه عيباً).

(٣) مسترقاً: يستمع سرّاً (أخبار السماء). فانقضّ (الكوكب): سقط بسرعة. على آثار (العفريت): وراءه. لهبه (مفعول به من « يذكّي »).

(٤) كالفارس الذي حلّ إحضار فرسه (ركضه السريع) عمامته، فأصبحت عمامته منشورة كأنها عذبة (قطعة متدلّية من العمامة). لهذا الشهاب الساقط رأس مكورة (كرأس الإنسان) ووراءه ذنب طويل من النور.

(٥) الزند (هنا): الحطب أو الفحم المستدير (كزند الإنسان) أو النار (لأنّ الزند - أي قطعة الحديد - هي التي تقدح النار من حجر الصوّان). الدراري: النجوم.

(٦) الشرب (بالفتح) الجماعة يشربون (الخمر) معاً. الصهباء: الخمر الحمراء.

- وقال في وصف النار أيضاً:

باتت لنا النارُ درياقاً، وقد جعلتْ
زهراءُ قدَّتْ لنا مِنْ دِفْئِهَا لِحْفاً
تُبِيحُنَا قُرْبَهَا حِيناً وتُبْعِدُنَا:
عقاربُ البردِ تحتَ الليلِ تَلْسَعُنَا^(١).
لم يَعْلَمْ البردُ فيها أينَ مَوْضِعُنَا^(٢).
كالأُمِّ تَقْطِئُنَا حِيناً وتُرْضِعُنَا!
- وقال يتغزَّل:

تَمَنَيْتُ مِنْهُ قُبْلَةً حِينَ زَارَنِي
وَقُلْتُ لَهُ: جُدْ لِي بِشَعْرِكَ إِنِّي
فَقَبَلْتُهُ ثِنْتَيْنِ فِي الْحَدِّ وَالْحَدِّ.
أَقُولُ بِتَفْضِيلِ الْأَفَاحِ عَلَى الْوَرْدِ^(٣)!

- وقال يصف الشقاء من كَسَبِ المعيشَةِ بصناعة الوراقة (نسخ الكتب):
أما الوراقةُ فهيَ أَنْكَدُ حِرْفَةٍ؛
شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَةٍ
أوراقُهَا وَثَارُهَا الْحِرْمَانُ.
تَكْسُو الْعُرَاةَ وَجَسْمُهَا عُرْيَانُ.
- وقال يَتَهَكَّمُ بِالَّذِينَ يَعِيبُونَ الْجَهَالََةَ (ويفضلون العِلْمَ عليها):

عابوا الجَهَالََةَ وَازْدَرَوْا بِحُقُوقِهَا
وَهَاتَفُوا بِحَدِيثِهَا فِي الْمَجْلِسِ^(٤).
وَهِيَ الَّتِي يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغِنَى،
وَتَجِيئُهَا الدُّنْيَا بِرُغْمِ الْمَغْطَسِ^(٥).
إِنَّ الْجَهَالََةَ لِلْغِنَى جَذَابَةٌ
جَذَبَ الْحَدِيدِ حِجَارَةَ الْمَغْنِطِيسِ!
- وقال يَصِفُ البردَ الَّذِي يَهْبُ عَلَى غَرْنَاطَةٍ مِنْ جَبَلِ شَلِير:

يَحِلُّ لَنَا تَرْكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ
فِرَاراً إِلَى أَرْضِ الْجَحِيمِ، فَإِنَّهَا
شُرْبُ الْحُمَيَّا وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ،
أَحَنُّ عَلَيْنَا مِنْ شَلِيرٍ وَأَرْحَمُ.
(فَإِنْ كُنْتُ، رَبِّي، مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمَ
فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ).

(١) الدرياق = الترياق (دواء يشفي كل داء).

(٢) قدَّتْ: قطعت، فصلت، خاطت، صنعت. اللحف (بالضم) جمع لحاف (بالكسر): الدثار (بالكسر) نوب سابغ يغطي البدن ليمنع عنه البرد.

(٣) الأفاح (زهر الأقحوان) كناية عن الأسنان (القم). الورد (كناية عن الخدود).

(٤) ازدري فلان شيئاً: احتقره. تهاق: هتف (صاح) بعضهم لبعض (استهزاء بشيء ما).

(٥) المغطس: الأنف. برغم الأنف: بالكراه، بالإكراه.

٤-★★ قلائد العقيان ٢٢٩ - ٣١٤؛ المغرب ١: ٤١٩ - ٤٢٠؛ المطرب ٧٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٣ - ٩٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣١٥ - ٣٣١، ٣: ٥٧٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٥٦ - ٢٨٢؛ بغية الوعاة ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٤: ٥٥؛ نفع الطيب ١: ٤٩٩، ٢: ٣٠ - ٣١، ٣١ - ٦٥٢، ٦٥٣، ٣: ٢١٦، ٤١٤، ٤٣٨، ٤٤١ - ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٨ - ٤٥٩، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٤: ٨٦، ٩١، ١١٧ - ١١٨، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نيكل ٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٥ - ١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (١٢٢ - ١٢٣).

أبو بكر بن عطية

١- هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد سنة ٤٤١ هـ في غرناطة. روى أبو بكر بن عطية عن أبي علي الفسافي. ثم رحل باكراً سنة ٤٦٩ إلى المشرق فحج ولقي نفراً من العلماء. ولما عاد إلى الأندلس تصدر للإفادة فروى الناس عنه (راجع قضاة الأندلس ١١٠). وزهد في أواخر حياته. وكانت وفاته سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) في غرناطة بعد أن كف بصره.

٢- كان أبو بكر بن عطية عالماً محدثاً وله شعر في الزهد والشكوى والعتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو بكر بن عطية في الشكوى من البشر:
كُنْ بِذَنْبٍ صَائِدٍ^(١) مُسْتَأْنَسًا وإذا أبصرت إنساناً ففِرَّ.
إنَّما الإنسانُ بَحْرٌ ما لَهُ ساحلٌ فاحذَرُهُ: إِيَّاكَ الْغَرَرُ^(٢).
واجعلِ الناسَ كَشَخْصٍ واحدٍ ثمَّ كُنْ من ذلك الشخصِ حَذِرًا^(٣)!

(١) صائد (كذا في الأصل). اقرأ: صائت: عاوٍ (يعوي). فرّ: هرب.

(٢) الغرر: الهلكة، الهلاك.

(٣) اجمل جميع الناس كأنهم كأنهم شخص واحد (شرير).

- وقال في عتاب صديقي (المغرب ٢ : ١١٨):

وكنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضْوَى تَزُولُ وَأَنَّ وَدَّكَ لَا يَزُولُ.
ولكنَّ الزَّمانَ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَحْوالُ ابنِ آدَمَ تَسْتَحِيلُ.
فإنَّ يَكُ يَبْنِنَا وَصَلَ جَيْلٌ، وإِلَّا فَلْيَكُنْ هَجْرٌ جَيْلًا!

٤-★★ قلائد العقيان ٢٣٧ - ٢٣٩؛ الصلة ٢ : ٤٣١؟ (رقم ٩٧٧)؛ بغية الملتبس ٣٢٧
(رقم ١٢٧٧)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٨٨ - ٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس)
٢ : ٥٢٦ - ٥٢٨؛ المطرب ٢١٥؛ نفح الطيب ٢ : ٥٢٣ - ٥٢٦؛ أزهار الرياض
٣ : ٩٩ - ١٠١؛ نيكل ٢٦٤؛ مختارات نيكل ١٧٧ - ١٧٨.

بنو القبطرونه^(١)

١- بنو القَبْطَرُونَه ثلاثة إخوة من أهل قُرْطَبَة ومن ذوي الوجاهة والفنى والذكاء والعلم والأدب، ولعلَّهم كانوا متقاربين في السن. ووَزَرَ بنو القَبْطَرُونَه كلُّهم لِعُمَرَ المتوكِّل بن الأَفْطُس صاحب بَطْلَيْوُس (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ). وبعدَ استيلاء المُرابطين على الأندلس، سَنَة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)، دَخَلَ بنو القَبْطَرُونَه الثلاثة في خِدمة المِرابِطين.

وكان بنو القبطرونه يأخذون الحياة هَوْنًا فانصرفوا إلى اللُّهُو والخمر والنساء والصَّيْد وإلى قول الشعر في هذه الوجوه من الحياة وفي المديح للتكسُّب. وكان شعرُهم، عُمومًا، وَجْدانيًّا عَذْبًا. ولا يبدو من حياتهم وشعرهم أنَّهم كانوا من ذوي المبادئ السامية، بل كانوا يهتَمُّون بيومهم ولا يهتَمُّون بالغدِ قبل أن يأتي. ثم كانوا يهتَمُّون بحظِّ أنفسهم في الحياة ولا يبدو أنَّهم كانوا يَحْفِلون بأحوال البلاد وأحوال الأُمَّة. وكانوا كلُّهم أيضًا أصدقاء للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ)، وكان الفتحُ مثلهم

(١) بنو القبطرونه (القبطورنه، الخ) هم أبناء سعيد بن عبد العزيز بن يحيى، ويبدو أنَّ أصلهم من المولَّتين. والأغلب أنَّ لقب « القبطرونه » دخل من كابو طورنو (الرأس المستدير، المتلفت) Cabo torno (راجع قاموس اللغة الإسبانية - أصدرته الأكاديمية الإسبانية، مدريد ١٩٤٧ - الطبعة السابعة عشرة، ص ٢١٠ و ١٢٣٢).

في النظر إلى الحياة، وإن كانوا هم أحسن منه تستراً ومُدَاراةً.

(أ) كان أبو محمد طلحة أسن من أخويه وأكثر وجاهة، كتب (وزر) للمتوكل بن الأفسس وكان يسامره، ولعله اتصل بالمعتمد بن عباد. ثم كتب ليوسف بن تاشفين. ولما توفي يوسف بن تاشفين، وخلفه ابنه علي (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ظل أبو محمد بن القبطرنة على اتصالٍ بالبلاط المرابطي.

(ب) أما أبو الحسن محمد فكان أيضاً شاعراً بارعاً، ولكن أخباره أقل من أخبار أخويه.

(ج) وأما أبو بكر عبد العزيز فلعله أصغر الإخوة الثلاثة سناً، وتذكر المصادر أنه كان فتى جيلاً وأنه تولى الوزارة قبل أن يلتحق ولقب «الرئيس الكاتب الوزير الخطير». ويبدو أن مكانه عند بني الأفسس في بطليوس يلي لهم الوزارة قد طال حتى لقب «البطليوسي». وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان شعر بني القبطرنة وجدانياً عذباً وأكثره مقطعات في أغراض عارضة. وشعرهم سهل عذب وإن لم يكن فيه معاني مبتكرة ولا بعيدة الغور.

٣- مختارات من أشعارهم:

- كتب أبو محمد طلحة بن القبطرنة إلى أبي نصر الفتح بن خاقان الأندلسي صاحب كتاب «قلائد العقيان» (وقد غادر أحدها بلده):

أبا النصر، إنَّ الجدَّ لا شكَّ عاثرٌ، وإنَّ زماناً شاءَ بينك جائرٌ^(١).
فلا تُوجِّتْ من بعدِ بُعْدِكَ راحةً، ولا حنَّ عليها المزامر^(٢).
ولا ااحتلتْ من بعدِ نايك مُقلةً، ولا ضمتْ عليها المحاجر^(٣).

(١) الجدَّ (الحظَّ) عاثر (واقع، ساقط): حظي سيء. بينك: فراقك (البعد عنك). جائر: حائد عن الصواب (ظالم).

(٢) الراحة: الكف. الراح: الخمر. حنَّ: زنت (صدر عنها صوت حيناً تنقر أوتارها أو ينفخ فيها). لا دارت بعدك الخمر ولا صدحت الموسيقى (لا كان بعدك سرور ولا لهو).

(٣) النأي: البعاد. الحجر (يفتح فكون فكسر): التجويف الذي تكون المقلة فيه.

ولي رَغْبَةٌ جَاءَتْكَ وَهِيَ مُدَّةٌ تَسْقُوقُ إِلَيْكَ الْحَمْدَ وَهُوَ أَزَاهِرُ^(١)
لَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْ جَوَابِكَ عَاجِزٌ وَمُعْتَذِرٌ فِيهِ، فَقُلْ: «أَنَا عَازِرٌ» .
وَكَيْفَ أُجَارِي سَابِقًا لَمْ تَقُمْ لَهُ هُبُوبُ الصَّبَا وَالْعَاصِفَاتُ الْخَوَاطِرُ^(٢)
إِذَا قِيلَ: مِنْ هَذَا؟ يَقُولُونَ: كَاتِبٌ! وَإِنْ قِيلَ: مِنْ هَذَا؟ يَقُولُونَ: شَاعِرٌ!
وَإِنْ أَخَذَ التَّحْقِيقُ فِيكَ بِحَقِّهِ وَقِيلَ: وَمِنْ هَذَا؟ يَقُولُونَ: سَاحِرٌ!
تُسَيِّعُكَ الْأَلْبَابُ وَهِيَ أَوَاسِفٌ، وَتَتَّبِعُكَ الْأَلْحَاطُ وَهِيَ مَوَاطِرُ^(٣) .

- وقال في الخمر:

إِذَا مَا الشَّوْقُ أَرْقَنِي وَبَاتَ اللَّهُمَّ مِنْ كَثَبٍ^(٤) ،
فَضَضْتُ الطِّينَةَ الْحَمْرَا عَنْ صَفْرَاءَ كَالذَّهَبِ^(٥) .
- وقال يرثي امرأته أُمَّ الْفَضْلِ:

مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَسْلُوَ بِيَدِ وَأَنْ أَصْبُوَ إِلَى كَأْسٍ وَخَرٍ^(٦) ،
وَلَا لِأَرَاكَةِ نَهَضَتْ بِحَقِّهِ وَلَا لِرَوَادِفٍ وَعَظِيمٍ خَصْرِ^(٧) ،
وَلَا تَفَاحَةٍ طَلَعَتْ بِجَدٍّ وَلَا رُمَانَةٍ نَبَتَتْ بِصَدْرِ^(٨) ،

(١) مدَّة: جريئة في طلب الأشياء (منك).

(٢) أجاري: أسبق. السابق: الحصان. لم تقم له: (لم تنافسه) هبوب الصبا (الرياح الشرقية، الريح) والعاصفات (جمع عاصفة) الخواطر (التي تهب فجأة - وتكون عادة سريعة عنيفة).

(٣) الألباب (المقول) أواسف (جمع أسفة: حزينة). الألحاط (العيون) مواطر (تطر، تدمع): باكية، حزينة.

(٤) أرقني: أقلق نومي، منع نومي. كَثَب: قرب.

(٥) فضضت (نزعت، أزلت) الطينة الحمراء (الحم الذي يكون على دَن الخمر أو على قنينة الخمر) عن صفرَاء كالذهب (خر صافية عتيقة).

(٦) معاذ الله (لا قدر الله) أَنْ أَسْلُوَ (أَنسَى أُمَّ الْفَضْلِ، ولو كان بجاني بدر: امرأة أخرى جميلة) وَأَنْ أَصْبُوَ (أشتاق، أميل) إِلَى كَأْسٍ خَرٍ (ينسيني أُمَّ الْفَضْلِ).

(٧) أَرَاكَة: شجرة (كتاية عن المرأة الرشيدة الجميلة). نهضت: قامت، بدا لها. الحقو (بالفتح أو بالكسر): حيث يعتقد الإنسان إزاره (الجانب الأدنى من الخصر). الردف (بالكسر): أحد قسمي مؤخرة الإنسان. وعظيم خصر (المقصود معظم خصر): دقيق الخصر^(٤).

(٨) ... ولا خد أحمر جميل، ولا نهد بارز على صدر فتاة.

وَأَنْ أَلْهُو مِنَ الدُّنْيَا بَشِيئًا ، وَأُمُّ الْفَضْلِ ، يَا أَسَفًا ، بِقَبْرِ !

★ - وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَبْطَرْنُوهِ فِي النَّسِيبِ :

ذَكَرْتُ سُلَيْمِي وَحَرُّ الْوَعْيِ كَجَسْمِي سَاعَةً فَارَقْتُهُمَا^(١) .
وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَتَا قَدَّهَا ، وَقَدْ مِلَنْ نَحْوِي فَقَبَّلْتُهَا^(٢) !

★ - وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْقَبْطَرْنُوهِ يَدْعُو صَدِيقًا إِلَى جُلُوسَةِ أَنْسٍ :

هَلُمَّ إِلَى رَوْضِنَا ، يَا زَهْرُ ؛ وَلُحْ فِي سَمَاءِ الْمُنَى ، يَا قَمَرُ^(٣) .
هَلُمَّ إِلَى الْأَنْسِ ؛ سَهْمُ الْإِخَاءِ لَقَدْ عَطَلْتُ قَوْسَهُ وَالْوَتَرَ^(٤) .
إِذَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَنَا حَاضِرًا ، فَمَا لِنُغْصِنِ الْأُمْنَانِي ثَمْرَ .
وَقَعْتَ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ الْمُنَى ، وَحَسَنْتَ فِي الْعَيْنِ حُسْنَ الْحَوَرِ^(٥) .

- وَلَهُ يَرِثُنِي امْرَأَتُهُ :

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ ، فَوْقَ الْقَبْرِ ذُو حُرْقٍ يَرِثُنِي لَهُ الْقَبْرُ مِنْ شَجْوٍ وَمِنْ شَجَنِ^(٦) .
تَبَايَنْتَ فِيكَ أَحْوَالي أَسَى ، فَمَضَى إِلَى لِقَائِكَ صَبْرِي طَالِبَ الْوَسَنِ^(٧) ؛
وَخَالَفَ الْقَلْبُ فِيكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمَدٍ فَاسُودَ بِالْغَمِّ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحَزَنِ^(٨) !

★★★ - كَانَ لِلْمَتَوَكَّلِ عَمْرَ بْنِ الْأَفْطُسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ مُنِيَّةً (رَوْضَةً وَاسِعَةً ،

(١) الوعى: الحرب.

(٢) القنا: الرماح. قدَّها: قامتها. ذكَّرتني الرماح بقامتها. فلما مالت الرماح نحوي (لتقتلني) قبَّلت تلك الرماح (هذا من قول عنتره: ولقد ذكرك الرماح.... - راجع عنتره في الجزء الأول من هذه السلسلة).

(٣) يا زهر، يا قمر (أيها الذي تشبه الزهر والقمر). لح (فعل أمر من لاح): ظهر، حضر.

(٤) ... تعال إلينا. سهم الإخاء: (٤).

(٥) في الإحاطة: وحزت من العين حسن الحور (أنت منا كالْبُوْبُو من العين: لا يستغنى عنك، ولا نفع للعين بغير بُوْبُو).

(٦) فوق (عند) القبر ذو حرق (يقف زوجك). الشجو والشجن: الحزن.

(٧) تباین: اختلف. الأسى: الأسف، الحزن. الوسن: النوم.

(٨) الكمد: الحزن الشديد... قلبي الأبيض أصبح أسود (بالحزن) وبُوْبُو عيني الأسود صار أبيض (لا يرى) من كثرة البكاء.

ضبعة خِصبة)، وكان بنو القبطرونه يَقْضُونَ فيها بعضَ أَيَّامٍ لَهُوهم. ففي ليلة سَكروا فغلبَهُمُ النومُ. وقُبيلَ الصُّبحِ استيقظَ أبو مُحَمَّدٍ فقال:

يا شَقِيقِي، وافِى الصُّباحُ بوجهِ سَتَرَ اللَّيْلَ نوره وبهاؤُهُ^(١)؛
فاصْطَبَحْ واغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يومٍ لستَ تَدْرِي بما يَجِيءُ مساؤُهُ^(٢).
ثمَّ استيقظَ أبو بكر فقال:

يا أَخِي، قُمْ تَرِ النَّسيمَ عَلِيلاً: باكِِ الرُّوضَ والمُدامَ شَمولاً^(٣).
لا تَنَمْ واغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يومٍ؛ إِنَّ تَحْتَ التُّرابِ نوماً طويلاً!
في رِياضٍ تَعانَقَ الزَّهرُ فيها مِثْلَ ما عانَقَ الحَلِيلُ خليلاً.
ثمَّ استيقظَ أبو الحسن فقال:

يا صاحِبِي، ذَرَا لَوْمِي ومَعْتَبِي، قُمْ نَصْطَبِحْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ ما ذَخَرُوا^(٤)؛
وبادِراً غَفْلَةَ الأَيَّامِ واغْتَنِمِها. فالِيومَ خَمَرٌ، ويبدو في غَدٍ خَبَرٌ^(٥).

٤-★★ قلائد العقيان ١٦٩ - ١٧٦؛ المغرب ١: ٣٦٧ - ٣٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤١٢ - ٤١٩؛ المطرب ١٨٦ - ١٨٧؛ المعجب ١٧٣؛ الإحاطة ١: ٥٢٨ - ٥٣١؛
نفع الطيب ١: ٦٣٤ - ٦٤٠، ٤: ٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٣ - ٨١٤؛
نيكل ١٧٣ - ١٧٩.

عَمَدُ بنِ بَشِيرٍ

١- هو أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الصمَدِ بنِ بَشِيرِ التَّنُوخِيِّ المَهْدَوِيِّ، كان من

-
- (١) وافى: أقبل، جاء. نور الصبح وبهاؤه (جماله) ستر الليل (أذهب سواد الليل).
 - (٢) اصْطَبَحَ: شَرَبَ الخمر صباحاً.
 - (٣) عليل: مريض (خفيف، فيه برد يسير ورطوبة ييرة ينعثان الجسم). المدام: الخمر. شمول (مشمولة، الريح الباردة): باردة.
 - (٤) وذر، يذر: ترك. ذخر = ادَّخَرَ: خَبَأَ (مدَّة طويلة).
 - (٥) بادر: سبق. خمر (هو). يبدو خير (يحدث ما يبيء إلى الإنسان): (خير الموت).

شعراء الأمير علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي، وقد مدحه لمّا فتح مدينة قابس (تونس)، سنة ٥١١ هـ. وكانت وفاته في حدود ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان محمد بن بشير أديباً شاعراً جمع رقة المعنى ومتانة السبك إلى وضوح الأغراض. وكانت له براعة في الوصف.

٣- مختارات من شعره:

- قال محمد بن بشير قصيدة يصف فيها الأسطول الذي أنشأه الأمير علي بن يحيى في ثغر المهديّة. وكان هذا الأسطول مزوّداً أسلحة نارية: من هذه القصيدة:

وأعددت للأعداء كلّ مُصمّ	يسير إليهم قاصداً وهو أهوج ^(١) ؛
كمثل الرواسي منعة، غير أنّها	على تبيج الدماء تردي وتدلج ^(٢) .
كأنّ القنا والتبّل في جنباتها	سبالاً بأكناف الهضاب وعوسج ^(٣) .
يُعبدُ مضيء الجوّ أقمّ حالكاً	دُخانٌ لظى من نارها يتوهج ^(٤) .
إذا نضنضت من ألسنٍ لهيئة	بمارجٍ نارٍ يستقلّ ويعرج ^(٥) ،
رأيت صلالاً أخرجت من جهنّم	تُحرّق أكباد العداة وتُنضج ^(٦) .

٤-★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٥ - ١٧٦.

- (١) المصمّ: الذي عزم ثم لا يريد أن يرجع عن عزمه. القاصد: المتّجه اتّجهاً مستقيماً. أهوج: مجنون.
- (٢) الرواسي: الجبال. المنعة (في القاموس: بفتح ففتح): الحصانة، والمنيع ما يصعب الوصول إليه. تبيج الدماء: وسط البحر. تردي: تسير بلا مبالاة (واثقة من نفسها). أدلج: سار ليلاً.
- (٣) القنا جمع قناة: رمح. التبّل جمع نبلة: سهم. السبلة (بفتح ففتح) = السنبلة: مجموع ثمر القمح (إشارة إلى ما فيه من الشوك). العوسج: نبات ذو شوك. أكناف جمع كنف (بفتح ففتح): طرف. الهضاب: الأراضي المرتفعة. - يشبه المراكب الحربية بهضاب على أطرافها شوك كثير (لكثرة السلاح في تلك المراكب).
- (٤) أقمّ حالك: (شديد السواد). لظى: نار. يتوهج: يتقدّ، يشتعل، يتلأأ.
- (٥) نضنضت الحية: أخرجت لسانها (وحركته يميناً وشمالاً). المارج: لهب النار الذي لا يخالطه دخان. يستقلّ: يندفع اندفاعاً مستقيماً. يعرج: يميل، ينحرف. واستعمل الشاعر يعرج (بفتح الراء لم يستقم مشيه) بمعنى عرج.
- (٦) الصلال هنا لا توافق المعنى. والشاعر يقصد الأصل جمع صلّة (بكسر الصاد): الحية الخبيثة.

أبو بكر بن رحيم

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن رُحيم صاحب الديوان المُشرف ذو الوزارتين كان من بيت جاء ووزارة، مدح الأمير أبا اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدتين في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان أبو بكر محمد بن رُحيم شاعراً مُكثرًا مُطيلًا أكثر فنونه المدح والوصف والغزل والنسيب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكر محمد بن رُحيم من قصيدة يصف فيها الرياض:

لله يومُ ضَرَبْنَا للمُدامِ بها	رواقَ لَهوٍ بطاساتٍ وجاماتٍ ^(١)
وللبلايلِ الحانُ مُرَجَّةٌ	تُجِيبُهُنَّ غوانينا بأصواتٍ ^(٢)
وللرياحينِ أنفاسٌ مُعْتَبِرَةٌ	مَعَ الرياحِ تُوافينا لأوقات.
حدائقُ أهدقَتها للمنى شَجَرٌ	خُضْرٌ وأودِيَّةٌ حَفَّتْ برَوْضاتٍ ^(٣)
جِنانُ أنسٍ رَعَى الرحمنُ بَهْجَتَهَا	حَسِبْتُ نَفْسِي منها وَسَطَ جَنّات.
منازلٌ - لست أهُوى غيرها - سَقِيَتْ	حَيًّا يعمُ وخَصَّتْ بالتحياتِ ^(٤)

- وله في النسيب:

خَلِيلِي، سِيرَا وارْبَعَا بالمناهل ورُدّا تَحِيَّاتِ الخَلِيطِ المَزَايِلِ^(٥).

(١) الرواق: جانب البيت (مُترسقوف). رواق هو: مدّة طويلة من اللهو. الطاس والجام: وعاءان تشرب بهما الخمر.

(٢) المَرَجَّة: المترددة في الحلق. الألحان المَرَجَّة: المتلاحقة. الغواني: النساء الجميلات، المغنيات.

(٣) أهدقتها = أهدقت (أحاطت) بها.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) ربع: وقف. النهل: مكان استقاء الماء (وتكون عنده مساكن). الخليط: الساكن مع غيره، العشير. المزايل: الذي ينوي الرحلة والسفر.

فَإِنْ سَأَلَ الْأَحْبَابُ عَنِّي تَشَوُّقًا فَقُولَا: تَرَكْنَاهُ رَهِينَ الْبَلَابِلِ^(١).
لَعَلَّ الصَّبَا تَأْتِي فَتُحْنِي بِنَفْحَةٍ فَوَادِيَّ مِنْ تِلْقَاءِ مَنْ هُوَ قَاتِلِي^(٢).
فِيَا لَيْتَ أَعْنَاقَ الرِّيحِ تَقْلُنِي وَتُنْزِلُنِي مَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَنَازِلِ^(٣).

- موشحة لابن رحيم:

هَزَّ أَرْتِيَا حِي رَاحُ بِرَاحِي مِسْكِيَّةُ الْأَنْفَاسِ سَحَبُ الْوَشَاحِ^(٤)

★ ★ ★

مَا لَذَّةُ الدُّنْيَا إِلَّا كُوُوسُ:
سُلَافَةٌ تَحْيَا بِهَا النُّفُوسُ،
تُدِيرُهَا سُقْيَا لَنَا شُمُوسُ^(٥)
فِي رَوْضِ رَاحٍ غَضٌّ النَّوَاحِي يُهْدِيكَ عَرْفَ الْأَسْ مَعَ الرَّوَّاحِ^(٦)

★ ★ ★

يَا شَادِنَا أَحْوَى رَفَعْتُ أَمْرِي
إِلَيْكَ، وَالشُّكْوَى عُنْوَانُ صَبْرِي
لَا تَحْشَ أَنْ أَهْوَى سِوَاكَ، عَمْرِي^(٧).

-
- (١) البلابل جمع بلابل: شدة الهم.
(٢) الصبا: ريح الشرق. من تلقاء: من نحو، من عند. قاتلي (المحبوب الذي كاد حبه يهلكني).
(٣) ليت أعناق الرياح تقلني: ليت الريح تحملني (بسرعة إلى المحبوب).
(٤) الارتياح: السرور والنشاط (في نفس الإنسان لطلب اللهو أو لفعل جيد أو غير جيد). راح: خر (كأس خر) براحي (على كفي). الوشاح: نسيج عريض تلفه المرأة حول القسم الأعلى من جسمها. سحب الوشاح (٩).
(٥) السلافة: الخمر الخالصة، الصافية. تدويرها (تدور علينا بها) سقيا: لسقيانا (لنشرها) شمس (نساء جيلات).
(٦) في القاموس (١: ٢٢٤، السطر التاسع): يوم راح (برفعها): شديد الريح. روض راح: ذكي الرائحة وزكيها (٩). غض: ناضر. الرواح: المساء.
(٧) الشادن: ولد الظبية. الأحوى: الأسمر الشفة. عمري = طول عمري.

أَنْتَ أَقْتَرَا حِي مِنْ الْمِلَاحِ أَغْنَى عَنِ النَّبْرَاسِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ^(١)

★ ★ ★

أَهْوَاكَ لِلْفَضْلِ وَلِلْعَلَاءِ
وَذَلِكَ النَّبْلِ مَعَ السَّاءِ
وَالْمُقْلِ النَّجْلِ وَهَنْ دَائِي^(٢).
مَرْضَى صِبَاحٍ تَبْرِي صِرَاحٍ وَلَا تَنْسِي، يَا نَاسُ، وَرِشَ جَنَاحِي^(٣)

★ ★ ★

صِلْنِي، أَيَا خِلِّي، أَخْشَى تَلَا فِي.
وَالْمَوْتُ فِي الْوَضْلِ مَعَ الْعَفَافِ
وَلَيْسَ مِنْ قُبْلِ وَلَا ارْتِشَافِ^(٤)
تَفَرُّ الْأَقْبَاحِي عَلَى السَّمَاحِ لَدِي الْعَلَا مِنْ بَاسٍ وَلَا جُنَاحِ^(٥)

★ ★ ★

لَا أَنْسَ مَا عِشْتُ يَوْمًا شَرِبْتُ
مَعَ مَنْ بِهِ هِمْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ

-
- (١) الملاح: النساء الجميلات. النبراس: السراج.
(٢) النبيل: الشرف. الساء: الرفعة. المقل (العيون) النجل (الواسعة).
(٣) مرضى (فاترة، ناعسة: تظهر كأنها مريضة). تبري = تشفي. صراح (بالضم): صراحة (بالفتح)، بلا شك. يا ناس (أيها الناسي). رش (ضع ريشاً) في جناحي كناية عن المساعدة على القوة والحياة والثروة.
(٤) تلافي (يقصد تلفي): هلاكي. قبل (يجب أن تكون بضم ففتح). جمع قبلة (بالضم). ارتشاف: شرب من ريق الحبوب.
(٥) الثغر (الفم) الذي فيه أسنان مثل بتلات الأخوان (رقية بيضاء منتظمة). السامح: الكرم. لذي العلا من بأس: من (يفتح فسكون) بأس (قَبْلُ ؟) أو من (يكسر فسكون) بأس (شدة، مانع، حرج). ومؤدي القراءتين واحد. «لدى العلا» (٤). جناح: ذنب.

حِينَ تَنَاشَيْتُ وَقَدْ طَرَبْتُ^(١) :

بِاللهِ، يَا صَاحِ، دُرُّ كَأْسِ رَاحٍ وَدَغَ كَلَامِ النَّاسِ مَعَ الرِّيحِ^(٢) .

٤-★★ قلائد العقيان ١٢٩ - ١٤٤؛ الحمّدون ٧٩ - ٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٣٦٩ - ٣٨٣؛ بغية الملتبس ٤٢ - ٤٣ (رقم ٣٠)؛ المغرب: ٢: ٤١٧ - ٤١٨؛ جيش التوشيح ١٧٠ - ١٨١، راجع ٢٦٦ - ٢٦٨؛ نفح الطيب ١: ٦٧٣؛ نيكل ٢٦٠ - ٢٦١؛ مختارات نيكل ١٧٣ - ١٧٤ .

المتنبّي الجزيري

١- هو أبو طالب (أو أبو الوليد) عبدُ الجبّار المعروفُ بالمتنبّي الجزيري وبالمتنبّي الشقريّ (نسبة إلى جزيرة شَقَر قرب شاطبة)^(٣). وبالمتنبّي الأندلسي أيضاً. يبدو أنّه في القسم الأوفر من حياته لم يطرأ على الدّول (لم يتكسّب من ملوك زمانه)، ولكنّه فيما بعد اتّصل بالمرابطين ومدّح عليّ بن يوسف بن تاشفين. وكان لا يزالُ حيّاً في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- المتنبّي الجزيريُّ شاعرٌ وناثرٌ، ولكنّ شعره أعلى طبقة من نثره. وشعره رقيقٌ يدورُ أكثره على الغزل والوصف. ويبدو من أرجوزته على الأخصّ أنّه كان متفنّناً في وجوه العلم والفلسفة، وفي المنطقيّ وعلم الكلام خاصّة. وهو أشعريّ الرأْيِ يعتقِدُ بالصفات التي هي من أسماء الله الحسنى ويكره الملاحدة والمجادلين بغير علم. وله أرجوزةٌ بدأها بالكلام على أشياء من العلم والفلسفة يجمّعها من نقر من الفلاسفة القدماء والمتأخّرين بلا قاعدة ثابتة. ثمّ قصّ في هذه الأرجوزة أحداث التاريخ، مُنذُ خلق آدم، ممزوجةً بكثيرٍ من الإسرائيليات (الخُرَافات المأخوذة عن اليهود). ثمّ جاء

(١) هام: شغف حبّاً. أحبّ حبّاً شديداً. تناشى (ليست في القاموس): دار فيه السكر.

(٢) در (المقصود أدر). الراح: الخمر.

(٣) جزيرة شقر أرض محصورة بين نهر شقر ورافدٍ له شماله. وشاطبة قرية من منتصف الساحل الشرقيّ من الأندلس. وشقر بالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢)، وبالضم (وفيات الاعيان ١: ٥٧).

إلى تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس (ولم يُعْرَجْ على تاريخ المغرب في قاره إفريقية)، فعَلَ ذلك كُلَّهُ على غاية من الإيجاز واعتمدَ في ذلك (كما يقولُ هو) المؤرِّخَ المسعوديَّ وغيره. ولكنَّه كان أكثرَ توسُّعاً في تاريخ الأندلس. وقد وَصَلَ في القِصَصِ (في السردِ) إلى أيامِ عليِّ بن يوسفَ بن تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وتبلغ هذه الأرجوزة أربعاً وأربعين بيتاً^(١).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان المتنبي الجزيريُّ مرَّةً في باب الحنش بمدينة بلنسية فأبصر فتاةً جميلةً في أذنيها قرطانٍ كأنها كوكبانٍ فقال فيها قصيدةً مَطلَعُها:

معشر الناس، بباب الحنشِ بذُرْتُمَ طالِعُ في غَبَشِ^(٢).
عَلَّقَ القُرْطَ عَلَى سَمْعِهِ مَنْ عَلَيْهِ آفَةُ العَيْنِ خَشِي!
- وله في الخمرِ (يجري في سبيلِ أبي نواس):

وخارٍ - أَنْخَتُ بِهِ - مَسِيحِي رَحِمَ الدَّلَّ ذِي وَتَرٍ فَصِيحِ^(٣).
سَقَانِي ثُمَّ غَنَّانِي بِصَوْتِ، فداوى ما بقلبي مِنْ جُروحِ.
وفضَّ قَمَ الدِّنانِ على اقتراحي ففاحَ البيتُ منها طيبَ رِيحِ^(٤).
فقلتُ له: «لِكَمْ سَنَةً تَرَاهَا؟» فقال: «أظنُّها من عهدِ نوحِ».
فلَمَّا أن شدا الناقوسُ صوتاً دعاني: أنْ هَلُمَّ إلى الصُّبوحِ^(٥).
وحَيَّانِي - وفدَّانِي - بكأسٍ، وقبَّلَنِي فردَّ إليَّ رُوحِي.

- من الخطبة التي قدَّمَ المتنبي الجزيريُّ بها أرجوزته:

-
- (١) يمكن أن تصبح هذه الأرجوزة أربعاً وخمسة وستين بيتاً. في الذخيرة (١: ٩٣٢)، في الحاشية بيتان: أَوَّلُها قِراءةٌ مختلفةٌ من بيت في المتن، وثانيها بيت جديد.
- (٢) باب الحنش: محلةٌ في بلنسية، أو في سرقسطة. الغبش: ظلمة آخر الليل.
- (٣) الدلّ = الدلال: الفنج، تجرؤُ المحبوب على الحبّ.
- (٤) الدنّ: وعاء الخمر الكبير.
- (٥) الصبوح: شرب الخمر صباحاً.

.... لَمَّا كَانَتْ مُخَاطَبَةُ الرَّئِيسِ تَتَوَّبُ عَنْ لِقَائِهِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ النُّفُوسِ وَرَبِيعُ
الْقُلُوبِ..... وَكَانَتْ حَالِي^(١) قَدْ أَنَاخْتُ بِذُرَاهِ الرَّحْبِ^(٢)، وَأَمَالِي قَدْ كَرَعَتْ فِي
مَوْرِدِهِ الْعَذْبِ، إِذْ هُوَ سَاءٌ تُمَطِّرُ وَبَحْرٌ لَا يُكْدَرُ وَغَيْثٌ مُمْرَعٌ^(٣) يَحْيَا بِهِ الْمُجْدِبُ. وَمَا
زِلْتُ أُرَوِّمُ لِقَاءَهُ عَلَى تَرَاحِي الْأَيَّامِ فَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَدَرٌ لَا يُرَامُ^(٤) وَعِقالُ تَقَاضِيهِ
غَيْرُ مُطْلَقٍ^(٥) وَبَابُ الرَّجَاءِ بِهِ^(٦) مُغْلَقٌ. فَأَعْمَلْتُ الْمِدَادَ^(٧) وَالْأَقْلَامَ بِرَجَزٍ صَنَعْتُهُ
وَكَلَامٍ وَضَعْتُهُ. وَالْفَرَضُ فِيهِ امْتِدَا حُهُ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ اسْتِمْنَا حُهُ^(٨). وَهُوَ فِي مَعْنَى مَا
تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّوَارِيخِ: قَطَفْتُ عَيُونَ زَهْرِهَا وَالتَّقَطُّتُ مَكْنُونٌ دُرَرِهَا^(٩).
وَاقْتَصَرْتُ عَلَى أَقْلَهَا دُونَ أَكْثَرِهَا تَمَّا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ. وَحَذَفْتُ كُلَّ حَدِيثٍ يَتَغَلَّلُ وَخَيْرٍ
يَتَسَلَّلُ^(١٠)، إِلَّا مَا زِدْتُ حُلَاهُ رَوْنَقًا وَمُجْتَلَاهُ تَأْلَفًا^(١١) مِنْ شَأْنِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا
اتَّصَلَ بِذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ أَمْلَاقِهَا الدُّرُسِ^(١٢) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَمَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ
وغيرِهِمْ. وَذَكَرْتُ مَنْ وَلِيَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْمُطِيعِ اللَّهُ^(١٣) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا -

-
- (١) اقرأ: رحالي.
(٢) أناخت (بركت، نزلت) في ذراه (مكانه العالي، السامي) الرحب (الواسع).
(٣) الممرع: الخصيب.
(٤) تراخي الأيام: تطاولها. امتدادها. يحول (يعترض) بيني وبينه. قدر (أمر مكتوب على الإنسان) لا يرَام (؟ مبني للمجهول من «رام - يرم» : يرح، ترك) لا يستطيع الإنسان أن يتجنب وقوعه.
(٥) عقال (رباط). التقاضي: مطالبة الغريم (المدين) بما عليه من مال. (والمقصود هنا: المربوط به).
(٦) اقرأ: دونه (دون علي بن يوسف بن تاشفين). أو «باب الرجاء به» (بالقدر) دونه مغلق.
(٧) المداد: الحبر الأسود. أعملت: استخدمت (؟ لم أستطع أن أركب جلاً وآتي إليه فركبت الحبر والأقلام: وجهت إليه هذه الأرجوزة).
(٨) الاستمناح: طلب المنح (العطاء).
(٩) العين: المنتخب، النفيس من كل شيء. الزهر بفتح ففتح كالزهر بفتح فسكون. المكنون: الخبأ (لنفاسته) البهرة (اللؤلؤة).
(١٠) يتغلل: أسرع، دخل، جرى، تطيب بالمطر (وهذه المعاني لا توافق المقصود) اقرأ: يتعلم (بالعين المهملة): يضطرب. يتسلسل (يستمر ويتشعب).
(١١) إِلَّا مَا زِدْتُ حُلَاهُ (زينته) رَوْنَقًا (جمالاً) وَمُجْتَلَاهُ (منظره) تَأْلَفًا (لمعاناً).
(١٢) أَمْلَاقُ جَمْعُ مَلِكٍ. الدُّرُسُ (الذين درسوا): فنوا (بضم النون)، ماتوا.
(١٣) المطيع العباسي (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ).

وهو وقتُ التاريخ الذي ذكرته في الأرجوزة - والإمام الآن فيه القائمُ بأمرِ الله^(١) ابنِ القادر بالله. وقصدتُ إلى مَعْنَى الاستدكارِ به^(٢) لجوامع التاريخ والأخبار وسَلَكْتُ مذهبَ الاختصار، رجاءُ أنْ تُطْلِعَنِي قريحتي على مَغْزَاهُ وتنشِطَ مِنِّي إلى قرب مَرَمَاهُ^(٣). وقدمتُ أولاً (في الأرجوزة) مقدّماتٍ من أصولِ الاعتقادات.

- من أرجوزة المتنبي الجزيري (في الغاية وفي حمد الله وفي العلم والدين والتاريخ)

... أهدي من القريض ما نَمَقْتُهُ	إلى رئيسِ سَيِّدٍ أَمَلْتُهُ ^(٤) ؛
في كَلِمٍ كُلُّوْهُ العُقُودِ	أَنْظِمُ مَا ضَمَّنَهُ المَسْعُودِ
وغيره من سائر الأئمة	في كلِّ مَنْ وُلِّيَ أَمْرَ الأَمَّةِ؛
مُقْتَصِراً منه على عُيُونِهِ	وحاذِفاً للحشو من قُنُونِهِ.
والحمدُ للمُبْتَدِعِ السَّامِعِ	والأرضِ ذي الآلاءِ والنِّعَمِ ^(٥)
وكلِّ شيءٍ عنده معلومٌ،	فَهوَ الإِلَهِ الواحدُ القَيُّومُ.
إِيَّاهُ فَاعْبُدْ، أَيُّهَا الإنسانُ،	فهو اللطيفُ القادرُ النَّانُ.
عَلَّمَنَا بِالْقَلَمِ البَيَانَا	حَتَّى عَلَّمَنَا قَبْلُ ما قد كانَا ^(٦) .
مِنْ أَمْرِ بَادَتْ بِصَرْفِ الأَدْهِرِ	أَشْهَدْنَا مِنْ ذاكِ ما لم نَخْضِرُ ^(٧) .
سُبْحَانَهُ مِنْ وَاحِدٍ قَدِيرٍ	مُصَرِّفِ الأَزْمَانِ والْدَهُورِ.

-
- (١) القائم العباسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)، وهذا يدلّ على أنّ المتنبي الجزيري بدأ نظم أرجوزته باكراً (في أيام يوسف بن تاشفين).
- (٢) استدكار (القاموس ٢: ٣٦): حفظ. جوامع التاريخ: الأحداث الجامعة لمظاهر كثيرة، المهمة، البارزة.
- (٣) مغزاه: خلاصته والمقصود منه. تنشط مِنِّي (قَوِّي) إلى مرماه (نهایتِه): حتّى أجد في نفسي همةً للانتهاء منه (للبلوغ بتدوين الأحداث إلى أيامي).
- (٤) سأشرح المختارات من هذه الأرجوزة شرحاً يقتصر على الأمور التي لا تفهم الأبيات إلّا بها.
- (٥) الآلاء جمع ألي وإلى: النعمة. النماء: الاطمئنان والسكون والمال.
- (٦) ... ما قد كان من قبل.
- (٧) صرف الدهر: أحداثه ومصائبه.

أَفْ لِقَوْلِ الْفِئَةِ الْبَصْرِيَّةِ
 فَاحْذَرْ- هَذَاكَ اللَّهُ، يَا ذَا الْفَهْمِ -
 وَقُلْ بِمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَقِّ
 وَكُلُّ مَا تُذَرِّكُهُ مَوْجُودٌ
 فَالْجَوْهَرُ الْحَامِلُ لِلْأَعْرَاضِ،
 وَالْعَرَضُ الْمَحْمُولُ كَالْأَلْوَانِ
 أَوْصِيكَ، يَا مَنْ يَطْلُبُ الْعُلُومَا
 وَلَا تَقُلْ بِالْمَيْلِ لِلتَّقْلِيدِ،
 وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ،
 وَالْعِلْمُ، إِنْ أَرَدْتَ حَدَّ مَطْلَبَةٍ:
 وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ، أَيَا مَنْ يَبْحَثُ:
 إِنَّ الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ
 أَهْلِ الْهَوَى وَالْفِرْقَةِ الْغَوِيَّةِ^(١).
 قَوْلُهُمْ وَاحْذَرْ مَقَالَ جَهْمٍ^(٢).
 مِنْ مُشَبِّحِي صِفَاتِ رَبِّ الْخَلْقِ^(٣).
 مُؤَلَّفٌ مُبَعَّضٌ مَحْدُودٌ^(٤).
 وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أُنْبَعَاضٍ^(٥).
 وَحَرَكَاتِ الْجِرْمِ وَالْإِسْكَانِ^(٦).
 أَنْ تَعْرِفَ الْمَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَا.
 فَذَاكَ رَأْيُ الْكُودَنِ الْبَلِيدِ^(٧).
 لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَلَا لِلخَصْمِ^(٨).
 مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ.
 عِلْمٌ قَدِيمٌ ثُمَّ عِلْمٌ مُخَدَّثٌ.
 بَارِي (الْبَرِّيَّاتِ) الشَّدِيدِ الْبَطْشِ؛

- (١) الفئة البصرية: المعتزلة (فرقة كانت تقدّم العقل على الرواية الدينية وتقول بأن الإنسان مخير بفعل الخير والشر بإرادته واختياره).
- (٢) جهم بن صفوان (١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) قال: إِنَّ المرء مجبر على أفعاله (لأنَّ الفاعل الحقيقي لها هو الله). وقال: إِنَّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط، أمَّا الكفر فهو الجهل به فقط. وامتنع عن إبداء رأيه في صفات الله (أنكر صفات الله): إِنَّ علم الله حادث (أي إِنَّ الله يعمل الأمور بعد أن تحدث تلك الأمور) راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م)، ص ١٢٨.
- (٣) أهل الحق (من مشبّحي الصفات لله): الأشعرية.
- (٤) كلّ شيء مدرك بالحواس مركّب من عناصر مختلفة ثُمَّ هو قابل للقسمة ومحدود (بمكان معيّن وزمان معيّن).
- (٥) كلّ موجود له جوهر (أصل ثابت) وعرض (صفات طارئة متبدّلة). الحديد جوهر، فإذا أحمر بالنار أصبحت الحرارة فيه عرضاً (لأنّها تزول). وإذا صبغناه صبغاً أحمر (مثلاً) فلو أنه الأحمر عرض (لأنّه كان بإمكاننا أن نصبغه بصبغ أصفر أو أزرق، الخ) ليس بذِي أُنْبَعَاضٍ: غير القابل للقسمة أو للتجزؤ.
- (٦) الجرم: الجسم.
- (٧) الكودن: البغل.
- (٨) الخصم (مصدر): الخصام والمجادلة.

وَمُخَدَّتٌ فِذَاكَ عِلْمُ الْخَلْقِ
وَكُلَّ عِلْمٍ مُخَدَّتٍ عِلْمَانِ:
كَالْعِلْمِ أَنَّ اثْنَيْنِ ضَعْفُ (الواحد)
وَبَعْدَهُ فَالْعِلْمُ بِاسْتِدْلَالِ
مَا فِيهِ يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ
وَصَانِعُ الْعَالَمِ فَرْدٌ صَمَدٌ،
(تَمَّ اسْمُ فِي) التَّفَكِيرِ نَحْوَ النَّفْسِ
يَحْجِمُ جِسْمَ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ
وَانْظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا
مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ
لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا
إِذْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَةً وَأَشْرَفُ
لَكِنَّهُ تَلَحُّقُهُ الْآفَاتُ
فَدَلَّ ذَاكَ أَنَّ رَبًّا فَوْقَهُ

مِنْ نَاطِقِي وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقٍ.
عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِلَا بُرْهَانٍ
وَأَنَّهُ مَا قَائِمٌ (كَالْقَاعِدِ).
وَالْمُنْطِقُ الْبَحْثُ عَنِ الْأَحْوَالِ (١).
يُذَكِّرُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَعْتَبِرُ (٢).
وَالصَّنْعُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ (٣).
تُبْصِرُ قُوَّاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدْسِ (٤)
وَالْمُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ ذِي التَّخْطِيطِ (٥)
يَوْمُهَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمِ (٦)
(مُنْقَادَةٌ فِيهِ) إِلَى التَّكْلِيفِ (٧)
فَهَوَّ إِلَى اخْتِيَارِهِ يَنْقُلُهَا (٨).
مِنْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ وَالطَّفُ (٩)
مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَجْزُ وَالْعَاهَاتُ.
بَايِنَ بِالذَّاتِ وَالْأَسْمِ خَلْقَهُ (١٠).

- (١) بالاستدلال: بإقامة الدليل. المنطق يبحث في أحوال الموجود (ما هو؟ كيف هو؟ أين هو؟ الخ).
- (٢) ما = الذي. إذا نظر الإنسان بعقله في شيء من الأشياء أو في أمر من الأمور أدرك (عرف) ذلك الشيء أو ذلك الأمر.
- (٣) صانع العالم (الأصح: مبدع العالم): الله. فرد: لا ند (مساو) له. صمد: مقصود. إليه.
- (٤) محلّ القدس (الألوهية): المأ الأعلى. هذا رأي أفلاطون في وجود النفس مفارقة (مستقلة عن الجسد).
- (٥) كان القدماء يعتقدون أن هذا العالم بمجموعه جسم يشبه جسم الحيوان (الكائن الحي) وأن له نفساً كلية تحييه وتحركه.
- (٦) وهذه النفس الكلية (التي تحرك العالم كله) هي بدورها مُسَخَّرَةٌ (خاضعة في أفعالها) للعقل الكلية الذي يدير هذا العالم (لأن الله عندهم منزّه عن أن يتصل بالعالم المادّي. من أجل ذلك، وهب الله للعقل قوة يسيطر بها على العالم). أم: قصد. وللعقل أيضاً سلطة على هذا العالم.
- (٧) النفس الكلية تخضع (من تلقاء نفسها) للعقل.
- (٨) العقل يقلّب النفس كما يشاء.
- (٩) إذ هو (أي العقل). حصلته (أدركت كنهه، فهت أحواله). أطف (في «مادته» من مادة النفس).
- (١٠) باين (خالق) خلقه (الذين خلقهم) بذاته (جوهره) كما خالفهم في اسمه (خالق ومخلوقون).

أَقُولُ قَوْلًا لَيْسَ بِالْمُفَنَّنِ دِ،
 إِنَّ مَقَالَ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقَا
 مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ أَوْ مِثَالٍ شَيْءٍ
 أَبَدَعَ تَكْوِينَ الْمَبَادِي الْأَوَّلِ
 وَكَانَ بَدْءُ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْأَحْذِ
 وَنِعْمَةُ اللَّهِ بِبَغْتِ الرُّسُلِ
 أَوَّلُهُمْ آدَمُ الصَّفِيِّ،
 أَرْسَلَهُمْ طُرًّا لِيَهْدُوا النَّاسَا
 فَبَيَّنُوا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا
 حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ
 تَأْلَفُهُمْ صَحَابَةٌ أَمْجَادُ
 حَتَّى هَدَى اللَّهُ بِهِمْ مَنْ آهَتْدَى،
 ثُمَّ تَوَلَّى عُمَرُ الْفَارُوقُ
 وَاسْتَعْمَلَ الْبُعُوثَ وَالْأَجْنَادَا
 حَتَّى أَتَتْهُ مِحْنَةُ الشَّهَادَةِ
 فَصَيَّرَ الشُّورَى إِلَى أَصْحَابِهِ

وَلِي لِسَانٌ كَشَبَا الْمُهَنْدِ (١):
 أَنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ خَلَقَا-
 مُكَوِّنٍ مِنْ مَيِّتٍ أَوْ حَيٍّ-
 بِقُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ تَزَلِ (٢).
 وَتَمَّ فِي يَوْمِ الْعَرُوبَةِ الْعَدَدُ (٣).....
 بِحَمْدِهَا يَنْطِقُ كُلُّ مَقُولٍ (٤).
 وَآخِرُ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ
 مُؤَلَّفَاً بِالْدَعْوَةِ الْأَجْنَسَا
 وَأَنْفَذُوا الْأُمُورَ وَالْأَحْكَامَا
 وَأَسْمَعُوا مَنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ.
 أَسَدُ حُرُوبٍ قَادَةٌ أَنْجَادُ (٥)
 لَوْلَاهُمْ لِأَصْبَحَ النَّاسُ سُدى.
 فَالتَّأَمَّتْ مِنْ بَعْدِهِ الْفُتُوقُ (٦)،
 وَأَلِيفَ الْحُرُوبِ وَالْجِهَادَا.
 فَهَيَّا اللَّهُ لَهُ السَّمَادَةَ.
 سَتَتَهُمْ (إِذَا كَانَ) يَشْكُو مَا بِهِ (٧).

- (١) فَنَدَ فُلَانٌ قَوْلَ فُلَانٍ (كَذَّبَهُ، أَبْطَلَهُ). الشُّبَا: الْحَدُّ. الْمُهَنْدُ: السِّيفُ (يَفْصَلُ فِي الْأُمُورِ بَلَا تَرَدَّدَ).
 (٢) أَبَدَعَ: أَوْجَدَ مِنَ الْعَدَمِ. الْمَبَادِيءُ الْأَوَّلُ (الْمَبَادِيءُ الْعَالِيَةُ): الْعُقُولُ وَالنَّفُوسُ السَّمَاوِيَّةُ (التَّهَانُوي ١: ١٠٦ س)، وَلَعَلَّهَا هُنَا: الْعَقْلُ وَالنَّفْسُ وَالصُّورَةُ وَالْمَادَّةُ وَالْعَلَّةُ.
 (٣) بِقُدْرَةِ اللَّهِ الْقَدِيمَةِ وَالَّتِي لَا تَزَالُ بَاقِيَةً لَهُ.
 (٤) الْمَقُولُ: اللِّسَانُ.
 (٥) الْأَجْنَادُ جَمْعُ مُجِيدٍ (الَّذِي لَهُ مَجْدٌ: شَرَفٌ وَمَكَانَةٌ). وَالْأَنْجَادُ جَمْعُ نَجْدٍ (بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ أَوْ بِفَتْحٍ فَضْمٍ): الرَّجُلُ ذُو الْعِزَّةِ الْمَاضِي فِي الْأُمُورِ.
 (٦) عُمَرُ الْفَارُوقُ بْنُ الْخَطَّابِ. التَّأَمُّ: اجْتَمَعَ. الْفُتُوقُ (الشُّقُّ) الَّذِي حَدَثَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ مِنَ الرَّدَّةِ (الْعَصْيَانِ لِلسُّلْطَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ لِلْخِلَافَةِ فِي الْمَدِينَةِ).
 (٧) لَمَّا طَمَعَنَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَيْنَ سِتَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ =

فَأَثَرُوا عُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ،
بُؤْسًا لِقَوْمٍ قَتَلُوا عُثْمَانَ
ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَبُو السِّنْطِينِ
عَلِيٌّ ذُو الْعِلْمِ وَذُو الشَّجَاعَةِ
وُثَارَتِ الْحُرُوبُ بِالْخَوَارِجِ
ثُمَّ عَلِيٌّ (قَدْ نَحَا) مُعَاوِيَةَ
فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صِفِّينَا
وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلِيٌّ
حِينَ (أُصِيبَ مِنْ) يَدِ ابْنِ مُلْجَمٍ
تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَارِجِيٍّ فَاسِقٍ
فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحْرًا
ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْإِمَامَةَ
فَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الدِّمَاءَ
(إِذْ) سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ
فَسَارَ فِيهَا آبَنُ أَبِي سُفْيَانَ

وَكَانَ لِلْإِلَهِ ذَا مَخَافَةٍ.
إِذْ تَقَمَّوْا اسْتِخْلَاصَهُ مُرَوَّانًا^(١).
الْحَسَنُ (الْإِمَامُ) وَالْحُسَيْنُ:
وَالزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْبِرَاعَةِ.
- أَصْلَاهُمْ بِالنَّارِ ذُو الْمَعَارِجِ^(٢).
فَاضْطَرَبَ الْأَمْرُ بِعَمْرِو الدَّاهِيَةِ^(٣)
وَأَيْتَمَوْا الْيَتَامَى وَالْبَنِيَا
حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ دَهِيٌّ،
(وَحُضِبَ) الْمَفْرِقُ مِنْهُ بِالْدَمِّ.
خَالَفَ فِي التَّنْزِيلِ أَمْرَ الْخَالِقِ،
قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ يَدْعُو مُنْذِرًا.
فَمُنِحَتْ يَمِينُهُ السَّلَامَةَ.
وَأَذْهَبَ الْمِحْنَةَ وَاللَّوَاءَ^(٤).
- حَيَاتُهُ - وَصَارَ عَنْهَا نَاحِيَةً^(٥).
بَسِيرَةً لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(٦)

- = والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص) وكانوا يطمحون إلى الخلافة وأمرهم؛
إذا هو مات، أن ينتخبوا واحداً منهم للخلافة. بعد أن يتشاوروا فيها بينهم.
- (١) لما تولى عثمان الخلافة (بعد عمر بن الخطاب) جعل مروان بن الحكم كاتباً له (وزيراً ومستشاراً) وكان
مروان هذا يسمى (طريد رسول الله)، لأنه كان أولاً من كتبة الوحي ثم اتهم في أمانته. وكان مروان
مستبداً بكثير من أمور عثمان.
- (٢) أصلهم (أحرقهم) ذو المعارج (الله) بالنار.
- (٣) نحا: قصد. كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب، وكان يمالئ معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي
طالب لأن معاوية كان قد وعده بالولاية على مصر مدى الحياة وعلى أن تكون مصر طعمته (بالضيق) له
(بأن يكون خراجها أو ضرائبها له).
- (٤) المحنة (المصيبة على المسلمين بالاعتقال بين الصحابة على الخلافة). اللأواء: الشدة والضييق.
- (٥) اعتزل الخلافة ودفعها إلى معاوية.
- (٦) ابن أبي سفيان: معاوية.

وكان فرداً في النُهي والحلم
 فانتقل الأمرُ إلى يزيدٍ
 مُجْتَرِماً في قتلِهِ الحُسَيْنَا
 وغَلَبَ البَغَاةَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 وقد تَوَقَّاهُ مُزِيلُ مُلْكِهِ
 وكان في السيرة لَدُنَّا لَيْنَا
 وقد بنى الجامعَ في دِمَشقِ
 في وَقْتِهِ فَتَّحَ أُنْدُلُوسَا
 في عامِ تِسْعِينَ مَضَتْ وَاثْنِينَ
 ثُمَّ تَوَلَّى الأَمْرَ، بَعْدُ، عُمَرُ
 زُهْدًا وَعِلْمًا وَاعْتِدَالًا وَتَقَى
 قَفَا سَبِيلَ جَدِّهِ الْفَارُوقِ
 وانقرضَ الأَمْلَاكُ مِنْ أُمَيَّةَ،
 حَتَّى رَمَاهُ حَيْنَهُ بِسَهْمٍ (١).
 فَحَادَ عَنْ مَنَاهِجِ التَّسْهِيدِ (٢)
 وَجَاءَ فِي الْحَرَّةِ فِعْلًا شَيْنًا (٣).
 بِالْحَزْمِ وَالْجِدِّ وَعَزَمَ مُوشِكِ (٤).
 فَوَلَّى الْوَلِيدُ بَعْدَ هُلْكِهِ
 مُسْتَمْسِكًا حَتَّى أَذِيقَ الْحَيْنَا (٥).
 مُقْتَصِدًا فِي ذَاكَ وَفَقَّ الصِّدْقِ.
 طَارِقُ مَوْلَى ابْنِ نُصَيْرِ مُوسَى.
 ثُمَّ سَقَاهُ الدَّهْرُ كَأْسَ الْحَيْنِ.....
 وَكَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَامًا يُؤَثَّرُ (٦)
 حَتَّى اغْتَدَى فِي الْأَمْرِ فَرْدًا مُنْتَقَى
 وَدَحَضَ الْبَاطِلَ بِالْحَقُوقِ (٧).
 وَالْمَوْتُ قَصَرَ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ (٨)....

- (١) فرداً: لا شبيه له في النُهي (العقل) والحلم (سعة الصدر). الحين (بالفتح): الموت.
- (٢) حاد: مال. التسديد: الاستقامة والصواب.
- (٢) كان قتل الحسين بن علي في أيامه جرماً هو المسؤول عنه. وكانت وقعة (معركة) الحرّة قرب المدينة، وبعد الانتصار في تلك المعركة أباح مسلم بن عقبة المروّي (قائد الحملة) المدينة (بالاستيلاء على أموالها ونسائها). الشين: العيب.
- (٤) البغاة: الطالبون (للخلافة)، لأن مروان بن الحكم (والد عبد الملك) كان لما تغلب على خصومه في معركة مرج راهط وحاز الخلافة دونهم، قد أرضى نفرًا منهم بأن سّاهم أولياء للعهد يأتون إلى الخلافة بعده (كان قد قطع لكل واحد منهم عهداً، في ستر عن الآخرين).
- (٥) اللدن: الطريّ. اللين يتسكين الياء كاللين (بتشديد الياء). الحين (بالفتح): الموت.
- (٦) عمر بن عبد العزيز. أثر فلان فلاناً: فضله (على غيره).
- (٧) كان عمر بن عبد العزيز بسيط (بالكسر) عمر بن الخطاب، كانت أمّه بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب. دحض: أبطل، أزال. بالحقوق (برّد الحقوق إلى أصحابها) - كان أهل البيت المالك من الأمويين يتناولون رواتب من بيت المال فمنع عمر بن عبد العزيز ذلك.
- (٨) الأملاك: الملوك (جمع ملك). قَصُرَ: غاية، نهاية (في الذخيرة ١: ٩٣٣ قصرى، وليست هذه في القاموس ولا في تاج العروس).

فصار في الأمر بنو العباسِ
وصيرَ الأمرُ إلى المنصورِ
إذ كان ذا سياسةٍ وحزمٍ
وصار هرونُ الرشيدُ تالياً
فشيّد الملكَ وأعلى كعبه
واستوزرَ البرامكَ الأعجادا
حتى دهاهمُ حادثُ الأيامِ،
وجاءها المأمونُ عبداً لله
حتى اغتدّت في زينةِ العروسِ
إذ بايعَ الناسُ له وسلّموا
وكان في سيرتهِ المأمونُ
ذا بصيرٍ بالعلم والكلامِ
وصيرَ الملكُ إلى المعتصمِ
فاستفتحَ المعتصمُ العموريّةِ
فعاقره عن ذاك أمرٌ مُزعجٌ
وأنّ الأفشينَ بدا من كفره
وقتلَ المعتصمُ الأفشيناً

ولم يكن في حُكْمِهِم من باسٍ .
فأحكَمَ التدبِيرَ للأُمُورِ ،
مُسَدِّدَ الرَّأْيِ قَوِيَّ العِزِّمِ .
لِلْمَلِكِ الهادي إماماً والياً^(١) .
حزماً وعزماً وأذلَّ صَعْبَهُ .
فاستوثقَ الملكُ بِهِم وزاداً^(٢) .
وكلُّ عيشٍ فإلى انصِرَامِ .
فانزاحَ عنها كلُّ أمرٍ داهٍ^(٣) .
وغابَ عنها كوكبُ النُحُوسِ ،
فأشرقَ الدهرُ وكاد يُظْلِمُ .
عَدلاً رِضاً لهُ تُقَى ودينُ ،
مُفَوَّهاً بالنُشْرِ والنِظَامِ^(٤) .
فأحسنَ السيرةَ (إذ لم) يَظْلِمِ .
ثمَّ أرادَ غَزُو قَسطنطينيَّة^(٥) .
من ثائرٍ قامَ عليه يَخْرُجُ^(٦) ،
ما كان قد أَجَنَّهُ في صَدْرِهِ^(٧) .
إذ كان بالبَغْيِ يَكِيدُ الدِّينَا :

-
- (١) موسى الهادي أخو هرون الرشيد وسلفه في الخلافة .
(٢) الأعجاد جمع مجيد: ذو المجد (الشرف والمكانة) . استوثق: أخذ وثيقة من شخص (المقصود « ثبت ») .
(٣) الداهي: المصيب (الذي يأتي بمصيبة) .
(٣) الكلام = علم الكلام (وكان المأمون معتزلياً يرى تقديم العقل على الرواية الدينية) . المفوّ: حسن القول، القادر على الكلام الجيد . النظام: نظم الشعر .
(٥) كان ملوك الروم (في أيام الدولة الأموية) من مدينة أموريوم (في آسيا الصغرى، على مقربة من أنقرة) .
(٦) هذا الثائر كان بابكاً الخرمي .
(٧) الأفشين (حيدر بن كاوس) كان قائد الجيش العباسي (ولكنّه كان يالئ بابكاً الخرمي لأنّه كان في الحقيقة يبطن الكفر ويظهر الإسلام) . أجَنَّهُ: كتمه .

أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ لَمَّا أَنْ بَغَى، وَهَكَذَا يَجْزِي الْإِلَهُ مَنْ طَغَى.....
 ثُمَّ انْتَهَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَدَبَّرَ الْأَتْرَاكُ أَمْرَ النَّاسِ^(١).
 وَاسْتَوْثَقَ الْمَلِكُ بِهَذِي النَّاحِيَةِ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ^(٢)،
 وَبَعْدَهُ النَّاصِرُ ذُو الْبِنَاءِ، خَسِينٌ عَاماً، صَاحِبُ الزَّهْرَاءِ^(٣).
 وَبَعْدَهُ الْمُسْتَنْصِرُ بْنُ النَّاصِرِ، وَبَعْدَهُ هِشَامُ آلِ عَامِرٍ^(٤).
 لَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ آلِ عَامِرٍ قَامَ بِهَا مَهْدِيُّ آلِ النَّاصِرِ^(٥).
 فَأَظْلَمَتْ فِي عَصْرِهِ الْآفَاقُ وَعَمَّهَا الشَّقَاقُ وَالنِّفَاقُ^(٦).
 وَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ سُلَيْمَانُ يَلِي حَتَّى انْبَرَى لَهُ ابْنُ حَمُودٍ عَلِي^(٧).
 فَاسْتَوْثَقَ الْأَمْرُ لَهُ وَالطَّاعَةُ وَكَانَ - فِيمَا زَعَمُوا - تَلْقَاعُهُ^(٨).
 فَاغْتَالَهُ الصَّقْلَبُ فِي الْحَمَّامِ وَجَرَّعُوهُ أَكْؤُسَ الْحِمَامِ.
 ثُمَّ انْقَضَى (عَهْدُ) بَنِي حَمُودٍ وَالْحَرْبُ وَالْفِتْنَةُ فِي مَزِيدٍ.
 وَظَهَرَ الْمُسْتَظْهَرُ الْمَرْوَانِيُّ وَشِغْرُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَانِي.

- (١) الأتراك (يقصد الشاعر دويلات المشرق: السامانية والغزنوية؟).
 (٢) استوثق (ثبت) الملك (الحكم) بهذي الناحية (في الأندلس) لعبد الرحمن الداخل (بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان). سمي الداخل لأنه كان أول من دخل الأندلس من أمراء بني أمية بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العبَّاس.
 (٣) عبد الرحمن بن محمد المقتول بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. وعبد الرحمن الناصر (الثالث) أول من تسمى بلقب خليفة في الأندلس وكانت أيامه أيام قوة وعزٍّ وازدهار. بنى قصر (مدينة) الزهراء.
 (٤) الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر وخلفه في الخلافة. هشام آل عامر: هشام المؤيد (بن الحكم المستنصر وخليفته) جاء إلى الخلافة صغيراً فاستبد بأموره المنصور بن أبي عامر (الحاجب: رئيس الوزراء) بأموره، ثم استبد بأموره أيضاً ابنان للمنصور بن أبي عامر.
 (٥) المهدي هو محمد بن هشام، الحادي عشر في سلسلة الجالسين على عرش الأندلس.
 (٦) في أيامه بدأت الفتنة (القتال على الخلافة) بين العرب والبربر.
 (٧) سليمان المستعين جاء إلى عرش الأندلس بعد محمد المهدي وآتست الفتنة في أيامه. علي بن حمود استبد بأمر قرطبة وحكم مستقلاً.
 (٨) تلقاعة (في القاموس ٣: ٨٢) بكسر التاء واللام وتشديد القاف: الكثير الكلام، الأحق، الداهية. ولا تستقيم في الوزن هنا إلّا بسكون اللام.

وقتلوه بعدَ ذاكَ صَبْرًا فبايعوا للنَّاصِرِ المُستَكفِي
 ففَرَّ عنها ثمَّ عادَ المُعتَلِي ثمَّ أتى من بعده المُعْتَدِّ
 فنَقَمُوا استخلاصه للحائِكِ وخلعوا مُعْتَدَّهُمْ هِشَامًا
 لَمَّا رَأَى أعلامَ أَهْلِ قُرْبَةِ (إِذْ) عُدِمَتْ شاكِلَةُ للطاعةِ
 فقدموا الشَّيْخَ مِنْ آلِ جَهْوَرٍ ثمَّ ابْنَه أبا الوليدِ بعده
 فجاهَرَتْ في فَضْلِها الجهاورةُ (في كَلِّ قَطْرِ) منتزِ (أو) نائِرُ
 وابنُ يعيشَ ثارَ في طَلِيظَلَهْ، وفي بَطْلِيوْسَ انتزى سابورُ
 من بعد ما قَلَدوه الأُمرا^(١) بعدَ خُطوبٍ طال فيها وصفي^(٢).
 باللهِ يحْيى نَجْلُ حَمَوِدِ علي. والحربُ في أَقطارِها تشتدُّ^(٣)،
 وزيره، فخرٌ أيُّ هالِكِ^(٤). وسجنوه عندهم أَعوامًا.
 أَنَّ الأُمورَ عندهم مُضطربةٌ، فاستعملتُ آراءَها الجماعةُ^(٥)
 المكتني بالحِزْمِ والتدبِيرِ^(٦) وكان يحدو في السِّدَادِ قَصْدَهُ^(٧).
 وكلَّ قُطْرٍ حلَّ فيه (فاقرة)^(٨)؛ وعادلٌ عن كلِّ عدليٍّ جائرُ^(٩).
 ثمَّ ابنُ ذي النونِ تَصَفَّى المُلْكُ لَهُ. وبعده آيْنُ الأَفطسِ المنصورُ.

- وله من أرجوزة في تاريخ الأندلس: عدد من ملوك الطوائف ثم مجيء
 المرابطين:

- (١) قتلوه صبراً (بحسبه بلا طعام حتى مات جوعاً).
- (٢) محمد المستكفي (جاء إلى العرش سنة ٤١٤ هـ).
- (٣) هشام المعتد آخر الخلفاء في الأندلس.
- (٤) الحكم بن سعيد القرظي (قتل ٤٢٢ هـ) كان حائكاً في قرطبة ثم توصل إلى أن أصبح حاجباً (رئيساً للوزارة) لهشام المعتد. فاستبد بالأمور وأساء السيرة في الناس.
- (٥) الشاكلة: القاعدة، الطريقة (٤). الجماعة: رؤساء الناس.
- (٦) هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور كان وزيراً ثم لما اضطرب أمر الأندلس استبد بأمور قرطبة.
- (٧) كان ابنه يسير في ضبط الحكم مثل سيرته.
- (٨) الجهاورة (المتوالون في حكم قرطبة من آل جهور). فاقرة: داهية، مصيبة كبيرة (كل بلد في الأندلس استبد به رجل).
- (٩) المنتزي: العاصي على الدولة. عادل: مائل، منحرف. جائر: ظالم.

وثارَ في حِمَصِ بنو عَبَّادٍ
 وشاعَ عن هِشامِ الْمُؤَيَّدِ
 وأَنَّهُ جاءَ من الحِجَازِ
 وقالَ عَبَّادٌ بِهِ فَصَدَّقُوا
 فنصبوا دَعْوَتَهُ طِلْسًا
 فعبدوه مُدَّةَ أَعوامٍ
 ثُمَّ نَعَاهُ بَعْدَ ذَا عَبَّادٍ
 وثارَ في غَرناطَةِ حَبَّوسٍ
 وآلُ مَعْنٍ مَلَكُوا المَرِيَّةَ
 ذِكْرُهُمْ في غَيْرِ ما قَصِيدِ
 وثارَ في (شَرَقِيَّها) الفَتِيانُ
 ثُمَّ زهيرٌ والفقي لبيبُ
 سلطانِهِ رِسا بِمَرْسَى دَانِيَّةَ
 ثُمَّ أَقامَتِ هَذِهِ الصَّقَالِبَةُ
 وَجُلُّ ما مُلْكُهُ بَلَنسِيَّةَ
 ثُمَّ تَمادَتِ هَذِهِ الطَوائِفُ

والحربُ والفتونُ في اَزْدِيادٍ^(١)
 بَأَنَّهُ حيٌّ وَلَمَّا يُلْحَدِ^(٢)
 واحتلَّ في حِمَصِ على الحِجازِ^(٣)
 بَأَنَّهُ حيٌّ لَدَيْهِ يُرَزَقُ^(٤)
 وقد مَحَا المِائَتُ مِنْهُ الرِّسْمُ^(٥)
 إِذِ عَدِمُوا الأَلْبابَ والأَحلامَ^(٦)
 من بَعْدِ ما طاعَتْ لهُ البِلادُ^(٧)
 ثُمَّ ابنُهُ من بَعْدِهِ باديسُ
 بِسِيرةِ مُحَمَّدِ مَرَضِيَّةَ
 يُشْرِقُ مِنْهُ النَخْرُ بِالفَرِيدِ^(٨)
 العامريُّونَ مِنْهُمْ خَيْرانُ^(٩)
 وَمِنْهُمْ مُجاهدُ اللَّيبِ
 ثُمَّ غزا حَتَّى إِلى سَرْدانِيَّةَ^(١٠)
 لابينِ أَبِي عامِرِهِمُ بِشاطِبَةِ^(١١)
 وثارَ آلُ طاهِرِ بِمَرْسِيَّةَ
 تَخَلَّفُهُمْ مِنْ آلِهِمُ خَوالِيفُ

(١) حمص (إشبيلية لشبهها بحمص في الشام). الفتون: الفتنة. الفتوق جمع فتق: الخلاف.

(٢) لَمَّا يُلْحَد: لم يدفن بعد.

(٣) على الحجاز (على ضفة النهر مستعداً للجواز إلى قلب إشبيلية؟).

(٤) أبو عمرو عبّاد (المتنشد) بن محمد، ملك إشبيلية (ابتداء من ٤٣٣ هـ).

(٥) الطلسم: العوذة (بالضم)، التسمية (اتخذوا اسمه حجة للحكم).

(٦) عبده الناس (أطاعوه وانقادوا له). اللب (بالضم) والحلم (بالكسر): العقل.

(٧) وبعد أن استقر أمر عبّاد في حكم إشبيلية نعى هشاماً (أعلن موته).

(٨) النحر: أعلى الصدر. الفريد: اللؤلؤ.

(٩) الفتيان: موالى (عبيد) العامريين (المنصور بن أبي عامر وأهله).

(١٠) رِسا: استقر. سردانية جزيرة إيطالية.

(١١) الصقالبة (من العرق السلافي) كانوا موالى في خدمة العامريين وغيرهم.

وَإِذْ أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَ الْبَدِينِ اسْتَصْرَخَ النَّاسُ ابْنَ تَاشَفِينَ^(١)،
فَجَاءَهُمْ كَالصُّبْحِ فِي إِثْرِ غَسَقٍ مُتَّيِّدًا كَالْمَاءِ يُنْقَى مِنْ رَتَقٍ^(٢).
وَافَى أَبُو يَعْقُوبَ كَالْعُقَابِ فَجَرَّدَ السِّيفَ عَنِ الْقِرَابِ^(٣)،
وَوَاصَلَ السَّيْرَ إِلَى الزَّلَاقَةِ وَسَاقَهُ لِيَوْمِهَا مَا سَاقَهُ^(٤).
لِلَّهِ دَرٌّ مِثْلُهَا مِنْ رُقْعَةٍ قَامَتْ بِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.
وُئِلَ لِلشَّيْكِ هُنَاكَ عَرْشُهُ، لَمْ يُغْنِ عَنْهُ يَوْمَهَا أَذْفُنُشُهُ^(٥).
فَوَجَبَ الْخَلْعُ لَدَى الْجَمَاعَةِ وَصَبَّحُوا لِيُوسُفَ بِالطَّاعَةِ^(٦).
فَاتَّصَلَ الْأَمْرُ عَلَى النِّظَامِ وَامْتَدَّ ظِلُّ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ.

٤-★★ المغرب ٢: ٣٧١ - ٣٧٢؛ الذخيرة ١: ٩١٦ - ٩٤٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٩٣ - ٩٧؛ نفح الطيب ١: ٦٧١ - ٦٧٢، ٣: ١٨٢؛ نيكل ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٦٠؛ الاعلام للزركلي (٣: ٢٧٤).

أبو بكر الطرطوشي

١- هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة (وهي مدينة في الشمال الشرقي من الأندلس على نهر أبره قريباً من مصبه)؛ ويُعرف أيضاً بابن أبي رندقة. وُلِدَ أبو بكر الطرطوشي في طرطوشة، سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م). وعاش في

-
- (١) استصرخ الناس ابن تاشفين (استجدوا بيوسف بن تاشفين).
 - (٢) إثر: بعد. غسق: ظلام (من هجمات النصارى الإسبان على البلدان الإسلامية). الرتق: الكدر (الوحل في الماء).
 - (٣) أبو يعقوب (يوسف بن تاشفين). القراب: غمد (بالكسر) السيف.
 - (٤) الزلاقة (راجع، فوق، ص ١٧). ساقه ليومها ما ساقه (جاء به إلى الزلاقة حرصه على دفع الشر عن المسلمين في الأندلس).
 - (٥) ثل: هم. الأذفنش: اسم عدد من ملوك الإسبان (وقد استخدم أيضاً لقباً). المقصود هنا ألفونس السادس ملك قشتالة (كاستيل).
 - (٦) أهل الأندلس خلعوا عنهم طاعة ملوك الطوائف ثم دانوا (أطاعوا في الحكم) ليوسف بن تاشفين.

سَرَقُظَّة مُدَّة وَدَرَسَ فِيهَا فِي إِشْبِيلِيَّة. وَفِي سَرَقُظَّة صَحِبَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ (٤٠٢ - ٤٧٣ هـ) مُدَّةً يَسِيرَةً وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئاً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ ثُمَّ دَخَلَ الْعِرَاقَ فَتَفَقَّهَ فِي بَغْدَادَ عَلَى أَبِي مَكْرَمٍ بْنِ أَحْمَدَ الشَّاشِيِّ (ت ٥٠٧ هـ) وَسَمِعَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ التُّسْتَرِيِّ (ت ٤٧٩ هـ) وَزَارَ الْقُدْسَ. بَعْدَئِذٍ جَاءَ إِلَى الشَّامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَتَطَوَّفَ بَيْنَ مُدُنِهَا. ثُمَّ انْتَقَلَ (٤٨٨ هـ) إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ رَشِيدَ مُدَّةٍ ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَقَعَدَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ. وَفِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مُتَعَبِّدَةً مُوسِرَةً وَقَرَنَ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنْ السَّعْيِ فِي سَبِيلِ تَكْلِيفِ الْحَيَاةِ.

وَجَاءَ الطَّرُطُوشِيُّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَزَارَ الْأَفْضَلَ بْنَ بَذْرِ الْجَمَالِيِّ وَزَيْرَ الْفَاطِمِيِّينَ (٤٩٥ - ٥١٥ هـ) زِيَارَةً نَصِيحَةً وَعِتَابَ أَغْضَبِ الْأَفْضَلِ. وَلَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَكْرَمَ الطَّرُطُوشِيَّ. وَبَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ فِي الْأَغْلَبِ (فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٥١٥ هـ) اسْتَدْعَى الْأَفْضَلُ أَبَا بَكْرَ الطَّرُطُوشِيَّ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ إِقَامَةَ قَسْرِيَّةٍ. وَفِي آخِرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥١٥ مَاتَ الْأَفْضَلُ فَخَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَأْمُونُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَطَّاحِيِّ (قَتَلَ ٥١٩ هـ) فَأُطْلِقَ سَرَاحَ الطَّرُطُوشِيَّ. فَعَادَ الطَّرُطُوشِيُّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطَّرُطُوشِيِّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فِي ٢٦ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٥٢٠ (١٨ / ٦ / ١١٢٦ م).

٢- أَبُو بَكْرٍ الطَّرُطُوشِيُّ عَالِمٌ حَافِظٌ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ وَأَدِيبٌ نَاصِرٌ وَشَاعِرٌ وَمُؤَلِّفٌ. لَهُ شَعْرٌ وَسَطٌ فِي الزَّهْدِ وَالْحِكْمَةِ وَلَهُ عَدَدٌ مِنَ التَّصَانِيفِ، إِلَّا أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقَوُّمٌ عَلَى كِتَابِهِ «سِرَاجِ الْمُلُوكِ» وَقَدْ أَلَّفَهُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي مَدَى عَامٍ وَاحِدٍ وَانْتَهَى مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٥١٦ (١٩ / ١١ / ١١٢٢ م) وَقَدَّمَهُ لِلْبَطَّاحِيِّ.

وَأَبُو بَكْرٍ الطَّرُطُوشِيُّ مُصَنِّفٌ كَثِيرٌ وَاسِعِ الدِّرَايَةِ لَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: «اِخْتِصَارُ الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (لِلثَّعْلِيِّ النِّيسَابُورِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ) - اِخْتِصَارُ «كِتَابِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ» (لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَيَّانَ) - كِتَابُ الْأَسْرَارِ (فِي حَقِيقَةِ الْعَقْلِ وَأَقْسَامِهِ وَمَدَارِكِهِ) - الْكِتَابُ الْكَبِيرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِيَّاتِ

(أو التعليقة^(١) الكبيرة في الخلافات^(٢)) - حاشية على إثبات الواجب - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - النهاية في فروع^(٣) المالكية - تحريم الاستمراء - منتخب من عيون خصائص العباد - نزهة الإخوان المتحابين في الله - كتاب الدعاء - العدة عند الكرب والشدة - الكلام على الغنى والفقر - كتاب يُعارض فيه الغزالي (يأخذ على الغزالي عدداً من آرائه في التصوف وفي الفلسفة ثم ينسبها في بعضها إلى الابتداع، ويبدو أنه يخالف الغزالي في إباحة السماع أو الغناء والعزف) - كتاب الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومحدثاتها) - تحريم الغناء واللهو على الصوفية في رقصهم وسماعهم - رسالة في تحريم جبن الروم (الجبنة التي يصنعها اليونان ثم يصدرونها إلى مصر) - كتاب الفتن - رسالة إلى يوسف بن تاشفين (فيها عددٌ من النصائح في التزام أمور الدين وترك البدع) - كتاب برّ الوالدين - نفائس الفنون - سراج الملوك .

وأشهرُ كتبِ الطرطوشي - لعلّه أهمُّها أيضاً - كتابُ سراج الملوك، وهو يبحث فيه في الاجتماع والتاريخ ويريدُ أن يُهدِّبَ نفوسَ الحُكَّام من طريقِ العظة وضربِ الأمثال. وهو لا يفرِّقُ بينَ السُّلوك السياسيِّ ومبادئ الأخلاق ويعتقد أن صلاح الرعيّة من صلاح الملوك (الحكّام). وأسلوبه فيه سهلٌ كثيرُ الاقتصادِ بالمحسنات اللفظيّة قليلُ المبالغة في كلّ شيء، وهو يمزجُ فيه النثرَ بشيءٍ من الشعر .

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرٍ الطُّرطوشيُّ في حالِ الزَّهاد ونظرهم إلى هذه الدنيا:
 إِنَّ لِلّهِ عِبَاداً فُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا^(٤).
 نَظَرُوا فِيهَا، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

(١) التعليقة: ما يعلِّقه الطالب عن شيوخه (دقتر يدون فيه الطالب ما يسمعه من أساتذته).

(٢) الخلافات: ما يختلف فيه أصحاب المذاهب.

(٣) في أمور الدين العملية: (المبادات والمعاملات). الفروع غير الأصول.

(٤) الفتن (بضم فسكون جمع فاطن وفطين ثم جمع فطن (بكسر ويفتح الخ): ذو فهم وعقل. والفتنة (بالكسر): الحن، الابتلاء، الاختبار والإعجاب بالشيء والضلal والاقتتال والتزاع والشقاق.

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنًا^(١)!

- وَمَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا، وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمٌ،
فَارْسِلْ بِأَكْمَةِ خَلَابَةِ بِهِ صَمٌّ أَغْطَشُ أَبْكُمْ^(٢)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ!

- لَا يَبْكِرُ الطَّرُطُوشِيُّ قِطْعَةً عَبَّرَ فِيهَا عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الْمَعَانِي نَثْرًا ثُمَّ أَعَادَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَأَمَثَلَهَا شِعْرًا، هِيَ الَّتِي تَلِيَ (وَلَعَلَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ):
يَا بُنَيَّ، إِذَا هَاجَ شَوْقِي وَتَضَعَّضَ أَصْطَبَارِي وَاضْطَرَبَتْ عِزَائِي وَاضْطَرَمْتُ بِلَابِي^(٣) أَسْرَحُ طَرْفِي^(٤)، فَلَا أَرَاكُمْ، وَأَسْتَقْبِلُ الرُّكْبَانَ فَلَا أَلْقَاكُمْ. فَلَا نَسِيْمُكُمْ أَشْمُهُ، وَلَا شَخْصُكُمْ أَغْتَنِّقُهُ وَأَضْمُهُ، وَلَا وَجْهَكُمْ أَسْتَدْنِيهِ وَالْتَزِمُهُ. وَأَبْسُطُ كَفًّا وَأَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ طَرْفًا وَأَذْرِفُ الدَّمُوعَ ذَرْفًا، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ مَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعَارِضْ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ - لِمَا آتَيْتَنِي بِهِ مِنْ أَحِبَابِهِ وَصَبَّرَ عَلَى بِلَائِهِ - : «فَصَبِّرْ جَبِيلٌ»، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ^(٥). يَا بُنَيَّ، كُلَّمَا ذَكَرْتُكَ هَاجَ شَوْقِي إِلَى رُؤَيْتِكُمْ، أَلْحَظُ النَّجْمَ الَّذِي تَلْحَظُونَهُ. وَأَنَا أَقُولُ:

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ،
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي بِمَنْ قَدْ شَمَّ عَرْفَكَ أَظْفَرُ^(٦).
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْيَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا، لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ،
وَأَمْشِي، وَمَا لِي فِي الطَّرِيقِ مَأْرَبٌ، عَسَى نَفْعَةٌ بِاسْمِ الْحَبِيبِ سَتُذَكِّرُ^(٧).

(١) جَعَلُوهَا (عَدَّوْهَا، حَسْبُوهَا) لُجَّةً (جَانِبٌ مِنَ الْبَحْرِ) ..

(٢) الْأَكْمَةُ (الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى، وَلَكِنْ خَلَابَةٌ (خَدَاعٌ). صَمٌّ (فَقْدَانُ السَّمْعِ) أَغْطَشُ (بِهِ ضَعْفٌ فِي الْبَصَرِ) أَبْكُمْ (أَخْرَسَ).

(٣) الْبِلْبَالُ: شِدَّةُ الْهَمِّ وَالْوَسْوَاسِ.

(٤) الطَّرْفُ: الْبَصَرُ.

(٥) مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١٢: ١٨، سُورَةُ يُوسُفَ.

(٦) الْعَرَفُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ.

(٧) مَأْرَبٌ: حَاجَةٌ.

وَأَلَمَحُ مِنْ أَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ،
وَمَنْ ظَلَّ فِي عَيْدٍ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ
وَأِنْ زَارَ إِنْفَاءً إِنْفَهُ زُرْتُ مِنْزِلًا
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعَيْدِ كُلِّ حَبِيبِهِ،
يُثَوِّبُ إِلَى الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ غَائِبًا
وَيَأْوِي إِلَى الْأَحْبَابِ مَنْ كَانَ حَاضِرًا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّا
أَحْبَابُنَا، هَلْ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَنَا
أَمَا حَذَرَ الْوَاشِي مِنَ الدَّهْرِ صَرْعَةً؟
عَسَى لَمَحَةٌ مِنْ حُسْنٍ وَجْهِكَ تَسْفِرُ^(١).
فَمَا لِي مِنَ الْأَهْلِينَ إِلَّا التَّحِيرُ.
وَحَوْلِي مِنَ أَهْلِ الْحَفِيزَةِ مَعِشَرُ^(٢).
وَمَا لِي مِنْكُمْ مَنْ أَنَا جِي وَأَنْظُرُ^(٣).
وَمَا لِي مِنَ الْأَوْطَانِ إِلَّا التَّذَكُّرُ^(٤).
وَمِنْ دُونَ أَحْبَابِي لَيَالٍ وَأَشْهُرُ^(٥).
عَلَى شَمْلِنَا خُطَّتْ مِنَ الْبَيْنِ أُسْطُرُ^(٦).
عَسَى نَلْتَقِي قَبْلَ الْمَمَاتِ وَنَحْضُرُ!
فَلِلدَّهْرِ وَاشِرٍ لَا يَنَامُ وَيَسْهَرُ^(٧).

- من مقدمة «سراج الملوك» للطرطوشي:

إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي سِيرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُلُوكِ الْخَالِيَةِ وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فِي
تَدْيِيرِ الدُّوَلِ وَالتَّزْمُومِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النِّحْلِ^(٨)، وَجَدْتُ ذَلِكَ نَوْعَيْنِ: أَحْكَامًا
وَسِيَاسَاتٍ. فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْبُيُوعِ
وَالْأَنْكِحَةِ وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا وَالرُّسُومِ^(٩) الْمَوْضُوعَةُ لَهَا وَالْحُدُودِ^(١٠) الْقَائِمَةُ
عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا فَأَمَرُ أَصْطَلَحُوا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ، لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بُرْهَانٌ
وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ^(١١)، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَدْيِيرٍ^(١٢) وَلَا اتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا. وَإِنَّا

(١) لَعَلِّي أَرَى شَيْئًا شَبِيهَا بِجِهَالِكَ فِي وَجْهِهِ الْآخَرِينَ.

(٢) الحفيظة: البقضاء.

(٣) ناجاه: سارره.

(٤) ثاب: رجع.

(٥) ومن دون أحبابي ليالٍ وأشهر (هم بعيدون عني جدًا).

(٦) النوى: البعد. البين: الفراق.

(٧) صرعة: قتلة.

(٨) النحلة (بالكسر): الدين، العقيدة (العقيدة الفرعية من الملة أو الدين العام).

(٩) الرسم: الطريقة التي يجري عليها تصريف الأعمال.

(١٠) الحد: العقاب، القصاص.

(١١) ما أنزل الله بها (بوجوبها) من سلطان (حجة أو برهان).

(١٢) تدبير: تنظيم منتج من تفكير.

هي صادرة عن خَدَمَةِ النيرانِ وَسَدَنَةِ بُيُوتِ الأصنامِ وَعَبَدَةِ الأندادِ والأوثان^(١). وليس يَفْجِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله (عن) أَنْ يَصْنَعَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَشْبَاهَهَا وَمِثَالَهَا^(٢). وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعُوهَا فِي آلْتِزَامِ الأحكامِ والذَّبِّ^(٣) عَنْهَا والحِجَايَةِ لَهَا، وَتَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمَهَا وَإِهَانَةِ مَنْ خَالَفَهَا، فَقَدْ سَارُوا فِي ذَلِكَ بِسِيرَةِ العَدْلِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَجَمَعَ القُلُوبَ عَلَيْهَا وَالتَّزَامَ النَّصْفَةِ^(٤) فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَا تُوجِبُهُ تِلْكَ الأحكامِ.

فَجَمَعْتُ مَحَاسِنَ مَا أَنْطَوْتُ عَلَيْهِ سِيرَتُهُمْ خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ^(٥) وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ فَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي سِتِّ أُمَمٍ، وَهُمْ الْعَرَبُ وَالْفَرَسُ وَالرُّومُ وَالْهِنْدُ وَالسِّندُ وَالسِّندُ هِنْدُ^(٦).... فَنَظَّمْتُ مَا أَلْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمِ الْبَالِغَةِ^(٧) وَالسِّيَرِ الْمُسْتَحْسَنِ وَالْكَلِمَةِ اللَّطِيفَةِ وَالطَّرِيقَةِ الْمَأْلُوفَةِ وَالتَّوْقِيعِ الْجَمِيلِ وَالْأَثَرِ النَّبِيلِ إِلَى^(٨) مَا رَوَيْتُهُ وَجَعَلْتُهُ مِنْ سِيَرِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَثَارِ الْأَوْلِيَاءِ وَبَرَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ وَنَوَادِرِ الْخُلَفَاءِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ وَمَقَاصُ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَاتِ^(٩).

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَخْتَصِرَ^(١٠) لِمَحَّةٍ دَالَّةٍ وَإِشَارَةٍ خَفِيفَةٍ. فَإِنْ طَالَ فَأَلْفَاظٌ بَارِعَةٌ وَأَيَاتٌ

- (١) الخدمة جمع خادم. خدمة النيران: الموكلون بايقاد النار باستمرار في هياكل الجوس. الساذن: الخادم القائم على تدبير بيوت العبادة.
- (٢) النذ (هنا) ما يعبد على أنه شريك لله (تعالى الله). الوثن: شيء يعبد، وهو على غير صورة معينة (حجر، شجرة، جانب من جبل، الخ).
- (٣) الخلق، خلق الله: الناس، جماعات الناس. ومثالها (اقرأ: وأمثالها).
- (٤) النصفية: الإنصاف.
- (٥) ملوك الطوائف (ملوك الدول الصغيرة).
- (٦) السند بلاد بين الهند وكرمان وبلجستان - أي بلاد فارس - (تاج العروس - الكويت ٨: ٢٢١ - ٢٢٢)، هي باكستان اليوم. السندهند (٤).
- (٧) ألفى: وجد. البالغة: النامة (تصل إلى أقصى ما وصل إليه الاختبار الإنساني).
- (٨) التوقيع: قول موجز يكتبه الخليفة أو الوزير في آخر الرقعة المقدمة إليه ليجيز تنفيذ ما فيها أو لينمنعه. إلى ما رويته (بالإضافة إلى ما رويته).
- (٩) المقاص: المكان الذي يغوص فيه الملاحون والصيادون. الجواهر (الآلي جمع لؤلؤة). المكنونة: التي لا تزال في الصدفة (النادرة، الثمينة).
- (١٠) اقرأ: أن أختصره لمحّة...

مُعْجَزَةٌ.... فَاَنْتَظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَأَحْكَمْتُهُ غَايَةً^(١) فِي بَابِهِ غَرِيباً فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ خَفِيفَ الْمَحْمِلِ كَثِيرَ الْفَائِدَةِ لَمْ تَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ^(٢) أَفْكَارُ الْفُضَلَاءِ، وَلَا حَوَتْهُ^(٣) خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ.... (فَهُوَ عِصْمَةٌ^(٤) لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرِّئَاسَةِ وَجُنَّةٌ^(٥) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أُولَى الْإِمْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَجَمَالٌ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْآدَابِ وَالْمُحَاضَرَةِ^(٦) وَعُنوانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمُذَاكِرَةِ^(٧)). وَسَمَّيْتُهُ «سِرَاجَ الْمُلُوكِ» يَسْتَنْفِي الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنْ مُصَاحِبَةِ الْحُكَمَاءِ، وَالْمَلِكُ عَنْ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ...

- مِنْ مَتَنِ الْكِتَابِ:

(ص ١٢): اَعْلَمْتُ أَيُّهَا الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنْ عَقُولَ الْمُلُوكِ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَاراً، إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَغْرِقَةٌ بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ^(٨)، فَتَسْتَدْعِي مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ^(٩) عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَيَتَغَلَّغُلُ فِي مَكَانٍ تِلْكَ الْأَسْرَارِ...

(ص ٧٩): إِنَّ السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ وَبَلِيَّتُهُ عَامَّةٌ^(١٠)، وَقَدْ يَطْرُقُهُ مِنَ الْآفَاتِ وَيَحْتَوِشُهُ^(١١) مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْلَكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ تَمَّا حَمَلَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ^(١٢): لَا يَهْدَأُ فِكْرُهُ وَلَا تَسْكُنُ خَوَاطِرُهُ وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ وَلَا

(١) غَايَةً: نَهَايَةً (أَحْسَنُ مَا هُوَ) فِي بَابِهِ (نَوْعُهُ).

(٢) فِي نَظْمِهِ (اقْرَأْ: فِي نَظْمٍ مِثْلِهِ).

(٣) وَلَا حَوَيْتُهُ (اقْرَأْ: وَلَا حَوَتْ مِثْلَهُ).

(٤) عِصْمَةٌ: حِمَايَةٌ، حِفْظٌ، وَقَايَةٌ.

(٥) جُنَّةٌ: سِتْرٌ (وَقَايَةٌ).

(٦) الْمُحَاضَرَةُ مَفَاوِظَةٌ فِي الْكَلَامِ، تَبَادُلُ الْآرَاءِ.

(٧) الْمُذَاكِرَةُ: تَبَادُلُ الْآرَاءِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي يُسَاعِدُ بَعْضُهَا عَلَى تَذَكُّرِ بَعْضِهَا الْآخَرِ.

(٨) غَارِقَةٌ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ الْمَلِكِ (عَاجِزَةٌ عَنْ أَنْ تَحِيطَ بِكُلِّ مَا يَرِيدُهُ الْمَلِكُ).

(٩) تَوَلَّجَ: دَخَلَ (أَعَانَ عَلَى جَلَاءِ تِلْكَ الْأَفْكَارِ).

(١٠) بَلِيَّتُهُ: مَكَانَتُهُ. بَلِيَّتُهُ: مَصِيبَتُهُ (مَا يَنْتَظَرُ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ).

(١١) طَرَقَ النُّجْمُ: طَلَعَ لَيْلاً. طَرَقَ الْأَمْرُ فَلَاناً (أَتَاهُ بَغْتَةً). احْتَوَشَهُ: أَحَاطَ بِهِ.

(١٢) اللَّبُّ: الْعَقْلُ... تَمَّا حَلَّهُ (الْمَلِكُ) وَيَشْكُرُ (اللَّهُ) عَلَى مَا عَصَمَهُ (عَصَمَ الرَّجُلُ غَيْرَ السُّلْطَانِ)...

يَسْتَقِرُّ لُبُّهُ. الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِمْ^(١). وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا، وَهُوَ^(٢) يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ. وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَدْيِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ... وَتَدْيِيرِ مَعِيشَتِهِ، وَهُوَ مَدْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ: كُلُّمَا رَتَقَ فَتَقًا مِنْ حَوَاشِي^(٣) مَمْلَكَتِهِ أَنْفَتَقَ آخَرَ. وَكُلُّمَا - قَمَعَ عَدُوًّا أَرْصَدَ لَهُ أَعْدَاءُ، إِلَى^(٤) سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ، وَ(مِنْ) نَصَبِ الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ وَبَعَثِ الْجُيُوشِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَاسْتِجْبَاءِ الْأَمْوَالِ^(٥) وَدَفْعِ الْمَظَالِمِ.

(ص ٢٠٧) مَنْ طَالَ عُدُوَانُهُ^(٦) زَالَ سُلْطَانُهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ وَلِقَاحَةُ الْأَمْنِ وَنَتَاجَةُ الْعَدْلِ^(٧). وَهُوَ حُسْنُ السُّلْطَانِ وَمَادَّةُ الْمُلْكِ. وَالْمَالُ أَقْوَى الْعُدَدِ^(٨) عَلَى الْعَدُوِّ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ وَحَيَاةُ الْأَرْضِ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ وَيُنَمَّعَ مِنَ السَّرَفِ^(٩). وَلَا (يَجُوزُ أَنْ) يُؤْخَذَ مِنَ الرِّعْيَةِ إِلَّا مَا فَضَلَ عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ثُمَّ (يَجِبُ أَنْ) يُنْفَقَ ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى (الرِّعْيَةِ).

٤ - سراج الملوك، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة ١٣٠٦، ١٣١٩ هـ؛ (بهاشم مقدمة ابن خلدون)، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣١١ هـ.

-
- (١) الناس لا يهتمون بما يعيب الملك ولا بالواجبات التي عليه كيف يجب أن يقوم بها، بينما هو مجبر على الاهتمام بكل فرد منهم.
 - (٢) والرجل (العادي) يخاف عدوًّا واحدًا، وهو (أي الملك).
 - (٣) رتق: سدّ (خاط، أصلح). الفتق: الشقّ (الحادث، الثورة على الملك). حواشي المملكة: أطرافها البعيدة.
 - (٤) وكلُّمَا قَمَعَ (قهر، تغلب على) عدوًّا أَرْصَدَ (برز) له أَعْدَاءُ، إِلَى (بالإضافة إلى).
 - (٥) الثغر: مكان ينفذ منه العدو إلى المملكة (الحدود). سدّ الثغر (حماه). استجباء الأموال (جمع أموال الجباية: الضرائب).
 - (٦) العدوان: الظلم.
 - (٧) لقاحه ونتاجه (٩). المقصود: لقاح (بالكسر: سبب) ونتاج (نتيجة).
 - (٨) العدد جمع عدّة (بالضمّ): الأداة أو الآلة التي يستعين الإنسان بها على القيام بالعمل. (السلاح عدّة الحرب).
 - (٩) السرف: الإسراف.

- كتاب الحوادث والبدع (حقّقه محمد الطالبي)، تونس (مطبوعات كتابة الدولة للتربية القومية) ١٩٥٩ م.
- رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى ابن تاشفين (منشورة في «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد....») - انظر السطر التالي.
- ★★ أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، تأليف جمال الدين الشّبال (أعلام العرب، رقم ٧٤ - وزارة الثقافة: المؤسسة العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٨ م.
- المغرب ٢: ٤٢٤؛ الصلة ٥١٧؛ بغية الملتبس ١٢٥ - ١٢٩؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛
الوافي بالوفيات ٥: ١٧٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٢: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ الخريدة ٢:
٢١١ - ٢١٤؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الديباج المذهب ٢٧٦ - ٢٧٨؛
شذرات الذهب ٤: ٦٢؛ نفع الطيب ٢: ٨٥ - ٩٠؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٣ - ١٦٥؛
بروكلمن ١: ٦٠٠ - ٦٠١؛ الملحق ١: ٨٣٩ - ٨٣٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٩ (١٣٣ -
١٣٤)؛ نيكل ٢٣٧ - ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٥٩ - ١٦١؛ سركيس ١٢٣٩؛ تراجم
اسلامية لعبد الله عنّان ٢٨٩ وما بعد؛ العربي ٨ / ١٩٧٠ م، ص ٨٨ - ٩٣.

ابن السيد البطليوسي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن السيد^(١)، أصله من شلب ومولده في بطلئوس سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

بدأ ابن السيد البطليوسي تلقّي العلم في بطلئوس على أبيه ثم على أخيه أبي الحسن علي بن السيد (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وكان لغويًا أديبًا. درس ابن السيد القراءات على عبد الله بن محمد بن خلف الرازي (٤) وعلى علي بن أحمد بن حمدون (٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م)، كما درس اللغة على أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي^(٢).

وفي نحو سنة ٤٦٤ هـ ارتحل ابن السيد إلى المرّة ومكث فيها عامًا واحدًا سمع في أثناءه من عبد الدائم بن جبر القيرواني. ثم غادرها إلى قرطبة حيث درس الحديث على أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبّاني (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م)

(١) السيد (بكسر السين وتسهيل الياء، بلا تشديد): الذئب.

(٢) أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م) من علماء اللغة، له «شعر الشعراء النّسة (الجاهليين)» وكتاب «الأوائل».

المحدث (بروكلمن (١ : ٤٥٤). بعدئذ أخذ ابن السيد ينتقل بين بلاطات ملوك الطوائف: اتصل بالقادر يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ) في طليطلة ثم انتقل إلى سرقسطة واتصل بأحمد المستعين التنجي (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ). ثم إنه اتصل بحسام الدولة أبي مروان عبد الملك آخر ملوك بني رزين في السهلة^(١)، فنال عنده حظوة ولما ساءت أحوال السهلة وتغير عبد الملك على ابن السيد ارتحل ابن السيد إلى قرطبة وجلس في مسجدھا الجامع يُقرئ علوم الدين واللغة والنحو والأدب. غير أنه انتقل عن قرطبة وشيكاً وذهب إلى بلنسية حيث اشتغل بالتدريس والتأليف. وفي بلنسية توفي ابن السيد البطليوسي، في منتصف رجب من سنة ٥٢١ (٢٧ / ٧ / ١١٢٧ م).

٢ - كان ابن السيد البطليوسي واسع المعرفة بفنون العلم: كان محدثاً وفقياً ولغوياً ونحوياً وأديباً ناقداً وشاعراً ومؤرخاً عارفاً بأيام العرب وأشعارها، وقد تكسب بالشعر مدة. وكان أيضاً فيلسوفاً ومؤلفاً كثيراً.

وشعر ابن السيد الذي وصل إلينا قليل، على بعضه نفحة دينية صوفية، وعلى بعضه الآخر شيء من مجون. وله مدح ورناء ووصف وغزل وزهد وحكمة. وأحسن شعره الزهد والحكمة.

ولابن السيد البطليوسي تصانيف نافعة وممتعة، منها كتاب المثلث^(٢) (أتى فيه بالمعجائب ودلّ على اطلاع واسع) - الاقتضاب (في شرح «أدب الكتاب» لابن قتيبة^(٣))، وهو أشبه بدليل يستعين به المنشئون والمشتغلون في ديوان الإنشاء) - كتاب الحروف الخمسة (س، ص، ض، ظ، ذ، مع التمييز بين الكلمات التي ترد فيها هذه الحروف) - الإنصاف (في التنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بين الأئمة) - شرح (ديوان) سقط الزند (للمعري)؛ وهو أجود من الشرح الذي صنعه المعري

(١) خلعه المرابطون سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) في اللغة، جمع فيه الكلمات التي يجوز أن يكون أولها مفتوحاً أو مكوراً أو مضموماً، مثل: جنة، ركوة.

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) من أئمة الأدب ومن المصنفين الكثيرين.

نفسه) - شرح ديوان المتنبي - الحداث في المطالب الفلسفية العالية العويصة - الانتصار ممن عدل عن الاستبصار (رسالة صغيرة رد فيها على أبي بكر بن العربي^(١)) في عدد من وجوه الشعر واللغة والنحو والفلسفة).

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب المسائل والأجوبة (وهو مجموع أجوبته على مسائل من فنون المعرفة كانت ترد عليه) - إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل^(٢) (وصفه ابن السيد نفسه فقال: غرضي في هذا الكتاب هو الكلام في إعراب أبياته: الأبيات الواردة في كتاب «الجمل» ومعانيها وكشف ما يخفى من أسرارها قائلها وعرض ما يتصل بكل بيت منها).

ولقد أراد ابن السيد البطليوسي (في كتبه) أن يُيسر النظر في اللغة وفي النحو وأن يفصل بين الإعراب (الذي يُقصد منه فهم المعاني اللغوية) والتعليل الفلسفي (الذي يُراد منه إظهار البراعة في الإتيان بأوجه متعددة من أحوال الإعراب ومن الجدل عند المفاضلة بينها). وقد جرّ عليه ذلك عداوة نفر من معاصريه أشهرهم الفيلسوف ابن باجة (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وأبو عبد الله محمد بن خلصة الضرير النحوي^(٣) (ت نحو ٥٠٣ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن السيد البطليوسي بيتان في الحكمة مشهوران:

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم^(٤).
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يُظن من الأحياء وهو عديم.

- وقال في مداراة الناس:

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي القاضي، من حفاظ الحديث ومن الأدباء والفقهاء (ت ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م).

(٢) كتاب «الجمل» لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م) شيخ العربية (النحو) في أيامه.

(٣) الرميم: البالي، المتفتت.

إذا سألوني عن حالتي
أقول: بخير؛ ولكنَّه
وربُّك يعلم ما في الصدور
وحاولتُ عذراً فلم يُمكن
كلام يدور على الألسنِ.
ويعلم خائنة الأعين^(١).

- وقال يمدح المستعين بالله بن هود:

هم سلبوني حُسنَ صبري إذ بانوا
لئن غادروني باللوى، إنَّ مُهجتي
سقى عهدهم بالحنيف عهدُ غمام
أحبابنا، هل ذلك العهد راجعٌ
ولي مقلّة عبّري وبين جوانحي
تنكّرت الدنيا لنا بعد بُعدي
بوجه ابن هودٍ كلّما أعرض الوري
أناخت بنا في أرض شتَمَريّة
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها،
بأقار أطواقٍ مطالعها بان^(٢).
مُسايرةً أظعانهم حيثما كانوا^(٣).
ينازعها مزنٌ من الدمع هتان^(٤).
وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان^(٥)؟
فؤادٌ إلى لُقيائكم الدهر حنان^(٦).
وحلّت بنا من مُفضّل الخطب ألوان^(٧).
صحيفةٌ إقبال لها البشرُ عنوان^(٨).
هواجسُ ظنٍّ خانٍ، والظنُّ خوآن^(٩).
فلا ماؤها صدّاً ولا التبت سَعْدان^(١٠).

- (١) في القرآن الكريم: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠: ١٩، سورة غافر). خائنة: خيانة.
(٢) بان: ابتعد. البان: شجرٌ أغصانه طوال سمراء مستقيمة تشبّه بها قامات النساء. قمر: (كناية عن الوجه الجميل). الطوق: شبه العقد يُلبس في العنق.
(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (رمز لنزل الأحيّة). الظمن: الهودج تسافر فيه المرأة.
(٤) مكان قريب من مكّة (كناية عن منزل المحبوب). هتان: كثير المطر. عهد غمام (مطر متتابع).
(٥) سلوان: نسيان.
(٦) عبّري: دامة.
(٧) المعضل: المرض يستصعب على الطبيب. الخطب: المصيبة. ألوان: أنواع.
(٨) البشر: تهلل الوجه وطلاقته، سروره.
(٩) في هذا البيت يعتذر الشاعر من الزيارة التي كان قد قام بها إلى بلاد بني رزين في السهلة (وشتَمَريّة الشرق عاصمة السهلة). أناخ: برك، نزل. الهاجس: الحاطر.
(١٠) سوام: ابتغاء، طلب. لغيرها (لرسطة، إليك). فلا ماؤها (ماء شتَمَريّة). صدّاً - في المثل: «ماء ولا كصداء» (فرائد اللآل ٢: ٢٤٠). صدّاء ركيّة (بئر) ماؤها عذب جدّاً. السمدان: نبت تسمن عليه الإبل.

إلى ملك حاباه بالمجد يوسف، وشاد له البيت الرفيع سليمان^(١) :
إلى مستعمين بالإله مؤيد له النصر حزب والمقادير أعوان .
- وله من رسالة إخوانية:

....وإفاني - أعزك الله - كتاب شغل حاستي سمعي وبصري، وملاً حافتي
فكري وخطري. وأراني الدر^(٢) إلا أنه لم ينظم، وأسمعي السحر إلا أنه لم يحرم.
لو صيغ عقداً لأخجل الدر والعقيان^(٣)، ولو حيك بُرداً لعطل الديباج
والخسروان^(٤). فله قريحة أذكت ناره وأطلعت أنواره.... وقد طلع علينا طلوع
البدر في الغسق^(٥)، وضمح أفعها بخلق من الخلق. واقتدحنا زند ذكائه فأورى^(٦)،
ولمحننا كوكب سائه فأعشى^(٧)، وشاهدنا البلاغة فيه شخصاً محسوساً، والرئيس
المتعاطي البراعة مرووساً. أقدمه الله خير مقدم وأغنمه أفضل مغنم.

- وقال في التوحيد والرد على المشركين:

إلهي، إني شاكر لك حامد، وإني لساع في رضاك وجاهد.
وإنك - مهما زلت النعل بالفتى - على العائد التواب بالفضل عائد.
وما لي على شيء سواك معول إذا دهمتني المفضلات الشدائد.
وقدماً دعا قوم سواك، فلم يقم على ذاك برهان ولا لاح شاهد.
وبالفلك الدوار قد ضل معشر، وللنيرات السبع داع وساجد.

(١) المستعين بالله بن هود هو أحمد بن يوسف بن سليمان.

(٢) الدرّة: اللؤلؤة.

(٣) العقيان (بالكسر): الذهب الخالص.

(٤) البرد: ثوب من حرير. الديباج: ثوب منسوج كله من الحرير. الخسرواني والخسروي نوع من الشراب

ومن الثياب (التمينة) نسبة إلى خسرو شاه (من ملوك الفرس) - راجع تاج العروس - الكويت ١١ :

. ١٦٥

(٥) أذكي: أوقد. الغسق: الظلام.

(٦) ضمح: لطح، دهن. الخلق: الطيب، العطر. الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوان. أورى: اشتعل، أشعل.

(٧) أعشى: أضعف البصر، منع البصر من الرؤية.

وللعقل عُبَادٌ، وللنفس شِيعَةٌ؛ وكلُّهُمَّ عن منهجِ الحقِّ حائد.
 وهل يُوجَدُ المعلولُ من غيرِ علَّةٍ، إذا صحَّ فِكْرٌ أو رأى الرُّشدُ راشد.
 وهل غِبْتَ عن شيءٍ فيُنْكِرُ مُنْكَرٌ وجودك، أم لم تَبْدُ منك الشواهد؟
 وفي كلِّ معبودٍ سواك دلائلٌ من الصُّنْعِ تُبْدي أَنَّهُ لك عابد.
 وكم لك في خَلْقِ الوري من دلائلٍ يراها الفتى في نفسه ويُشاهد!

- فقرات من كتاب « الانتصار » (الداية ٣٤٨ - ٣٤١):

قال ابن السيد البطليوسي يعرض بأبي بكر بن العربي:

....ورأيناك لما وصَلْتَ بالقراءة والتصفحِ إلى قولِ (المعري):

فإن لَمِيتَ وليداً، والنوى كَثَبٌ، يومَ القيامة لم أَعِدْهُ تَبَكُّيتاً^(١)،

ذكرت أن رواية شَيْخِكَ « قَذَفَ »^(٢)، وهذا من الألفاظ التي ذكرنا أن المعريَّ غيَّرَها في آخرِ عُمُرِهِ، لما فيها من قُبْحِ التأويل والقال والقليل. (ذلك) لأنَّ الكَثَبَ: القُربَ، وهو الشيءُ القريبُ أيضاً. والقَذَفُ ضِدُّه - فإذا قال: « والنوى كَثَبٌ » كان فيه تقريبُ الأمدِ وأَنَّهُ هامةُ اليومِ أو الغدِ. وإذا قال « قَذَفَ »، ففيه استبعادُ ليومِ القيامة.

....ورأيناك - أعزَّكَ اللهُ - لما انتهى بك النظرُ إلى قولِ (المعري):

فذكرني بدرَ السماوةِ بادنأ شفا لاح من بدرِ السماوةِ بال^(٣)،

أنكرت السماوةَ الثانيةَ وكتبتَ السماءَ بالهمزة. فلم أنكرتها علينا؟ أحسبتَ أنها لا تُقال أم حسبتَ أنها أليقُ بالبيت؟ وكلا الأمرين لنا فيه الظهورُ عليك^(٤)، لأنَّ أهلَ اللغة حَكَمُوا أَنَّهُ يُقال سماءٌ بالهمز وسماءٌ وسَمَاءٌ على وَزْنِ قَطَاة. فمن قال

(١) النوى: البعد، (الفراق). كَثَبٌ: قريب. التبكيت: التوبيخ.

(٢) قَذَفَ: بَمِيد.

(٣) السماوة: بادية في العراق. ذكرني بدر السماوة (اللال الجديد في أول الشهر، راجع البيت السابق، في الديوان، طبعة هندية، ص ١٠١) بادنأ (وقد كبر). الشفا: حرف الشيء، والقليل من كلِّ شيء..... في الديوان (ص ١٠١) السماوة.... والسماوة.

(٤) الظهور عليك: التغلب عليك.

سَمَاءٌ فَهَمَزَ، بَنَاهَا عَلَى سَمَاءٍ فَهَمَزَ. وَمَنْ قَالَ سَمَاوَةً بِالْوَاوِ بَنَاهَا عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ سَمًا يَسْمُو. وَأَمَّا مِنْ طَرِيقِ التَّرْجِيحِ ^(١) بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ، فَإِنَّ السَّمَاوَةَ أَحْسَنُ الْوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَفْصَحُ اللَّفْظَتَيْنِ، لِأَنَّهَا أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَأَوْسَعُ مَجَالًا. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمَاوَاتٌ، وَبِذَلِكَ قَرَأَ الْقُرْآنُ ^(٢)، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ سَمَاءَاتٌ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهَا أَلْيَقُ بِالْبَيْتِ لِمَا تَقَدَّمَ فِي صَدْرِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّمَاوَةِ الْأُخْرَى، فَأَفْسَدَتْ عَلَى الرَّجُلِ التَّجْنِيسَ الَّذِي جَرَى إِلَيْهِ وَحَامَ فِكْرَهُ عَلَيْهِ. فَمَا هَذَا الْخِلَافُ وَالْعِنَادُ، أَيْنَ النَّظَرُ الْحَسَنُ وَالِانْتِقَادُ؟

...وَأَيْنَاكَ - وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى قَوْلِ الْمَعْرِيِّ:

فُبُعْدًا لِهَذَا الْجِسْمِ، يَا رُوحُ، مَسْلَكَاً وَبُعْدًا لِهَذَا الرُّوحِ، يَا جِسْمُ، سَالِكَا.
تَوَاصَلْتُمَا فَاسْتَحْدَثَ الْوَصْلُ مِنْكُمَا عَجَائِبَ كَانَتْ لِلرِّجَالِ مَهَالِكَا.

قَدْ أَنْكَرْتَ عَلَيْنَا فِي بَعْضِ كَلَامِنَا فِيهِ أَنَّ الرُّوحَ طَاهِرٌ شَرِيفٌ، وَالْجِسْمَ دُونَهُ مَوَاتٌ ^(٣) لَا يَقَعُ عَلَيْهِ تَكْلِيفٌ ^(٤). فَكَتَبْتُ فِي الطُّرَّةِ ^(٥): صَوَابُهُ مَوْجُودٌ شَرِيفٌ وَكَيْفَ حَدَثَتْ بِاقْتِرَانِهَا خَطِئَةٌ، وَهُوَ قَوْلٌ يَقْدَمُ الْأَعْرَاضُ ^(٦) أَوْ مَجَازٌ لَا يَعْدَمُ انْتِقَاضُ ^(٧). وَهَذَا كَلَامٌ أَوَّلٌ مَا نَنْقُدُ فِيهِ فَسَادُ الْإِعْرَابِ بِتَرْكِ نَصْبِ الْانْتِقَاضِ وَبَعْدَ ذَلِكَ نَقُولُ: كَيْفَ أَنْكَرْتَ قَوْلَنَا إِنَّ الرُّوحَ طَاهِرٌ شَرِيفٌ وَقَدْ طَهَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ عَلَى النَّفْسِ وَقَدَّمَهُ، فِي الْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ عَلَيْنَا وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ لَنَا...

٤ - الْاِقْتِضَابُ فِي شَرْحِ أَدَبِ الْكِتَابِ (قَلْفَاطٌ وَمِيدَانِي - وَقَفَ عَلَى طَبْعِهِ عَبْدُ اللَّهِ الْبُسْتَانِي)،
بِيروت ١٩٠١ م.

-
- (١) التَّرْجِيحُ (لَعَلَّهَا: التَّرْجِيحُ: الْمُقَاضَاةُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ).
(٢) الْقُرْآنُ: حَفَظَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
(٣) مَوَاتٌ: بِلَا حَيَاةٍ. كَالْحَجَرِ مَثَلًا.
(٤) تَكْلِيفٌ: أَمْرٌ بِأَدَاءِ الْعِبَادَةِ وَمَا يَشْبَهُ الْعِبَادَةِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.
(٥) الطُّرَّةُ: الْقِطْعَةُ، رَأْسُ الصَّفْحَةِ.
(٦) فِي الْفَلَسَفَةِ: الْجَوْهَرُ (كَنْهِ الشَّيْءِ، مَادَّتُهُ) قَدِيمٌ، لِأَنَّهُ ثَابِتٌ. الْعَرَضُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا لِأَنَّهُ مُتَبَدِّلٌ.
(٧) انْتِقَاضٌ: نَقْضٌ، بَطْلَانٌ (حَقٌّ انْتِقَاضٌ هُنَا النِّصْبُ).

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (أحمد عمر المحمضاني)، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ .
- كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (محمد زاهد بن الحسن الكوثري)، القاهرة (السيد عزت العطار الحسيني) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).
- شرح سقط الزند للمعري (في كتاب «شروح سقط الزند» للجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري)، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م.
- شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (حرره حامد عبد المجيد)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٧٠ م.
- رسائل في اللغة (إبراهيم السمرائي)، بغداد (مطبعة الإرشاد) ١٩٦٤ م (٢) كتاب المسائل والأجوبة.

★★ قلائد العقيان ٢٢١ - ٢٣١؛ الصلة ٢٨٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية الملتبس ٣٢٤ (رقم ٨٩٢)؛ الذخيرة ٣ : ٨٩٠ - ٨٩٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٧٨ - ٤٨٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٥٠٩ - ٥١٨؛ المغرب ١ : ٣٨٥ - ٣٨٦؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨؛ المطرب ٤٣، ٢٢٦؛ إنباه الرواة ٢ : ١٤١ - ١٤٣؛ وفيات الأعيان ٣ : ٩٦ - ٩٨؛ الديباج المذهب ١٤٠ - ١٤١؛ بغية الوعاة ٢٨٨؛ شذرات الذهب ٤ : ٦٤؛ نفح الطيب ١ : ١٨٥، ٦٤٣ - ٦٥٠؛ ٣ : ٢٢٨، ٢٨٧، ٤٥٩، ٤٧٠، ٥٦٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٠١ - ١٤٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٠٩٢؛ بروكلن ١ : ٥٤٧، الملحق ١ : ٧٥٨؛ نيكل ٢٣٤؛ مختارات نيكل ١٥٧ - ١٥٩؛ بالنشأ ١٨٧؛ الداية ١٧٩ - ٢١١، ٣٤٦ - ٣٥١؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٦٨ (١٢٣)؛ سركيس ٥٦٩ - ٥٧٠؛ العربي ٢ / ١٩٦٦.

ابن أخت غانم

- ١- هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن معمر النَّفْزِيُّ المالكي المعروف بأبن أخت غانم^(١)، كان مولده في مائة سنة ٤٣٤ أو قبيل ذلك.
- روى ابن أخت غانم عن خاله، وسمع الصحيحين على الدلائي^(٢) وسُنَّ أبي

(١) كان خاله أبو محمد غانم بن الوليد الخزومي (ت ٤٧٠ هـ أو ٤٦٥) وكان أديباً شاعراً (له ترجمة منفردة).

(٢) الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم (في الحديث). ابن الدلائي: أبو العباس أحمد بن عمر من علماء المريّة - الأندلس (ت ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م).

داوود^(١) على أبي الوليد الوقيطي الطليطلي (٤٠٧ - ٤٨٨ هـ). ويبدو أن تصدّره للإقراء كان في مألقة نفسها، وقد كانت عنايته مُنصرفة إلى إقراء كتاب « الهداية » لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي (ت ٤٣٠ هـ).

ثم إن خاله نصحه بمغادرة مألقة التي كانت في حُكم البربر - ولم يكونا فيها أمينين على نفسيهما - فانتقل إلى المريّة (حتى إذا قُتل أحدهما في مكان بقي الآخر حيّاً). وقد نال ابنُ أخت غانم حُطوة عند صاحب المريّة المعتمد بن ضاهر (٤٤٣ - ٤٨٤ هـ) فأقام فيها زمناً.

وكانت وفاته سنة ٥٢٥ (١١٣١ م) وقد قارب مائة سنة أو أربى عليها.

٢ - كان ابنُ أخت غانم واسع الحفظ بارعاً في عددٍ من العلوم: في القرآن والحديث واللغة والنحو والنّبات. كما كان حافظاً لكلام الأطباء ولأحوال الديانات. وله شرحٌ لكتاب النبات^(٢) في ستين مجلداً. وكان يقول الشعر في يسر. وقد كانت له نقائض مع أبي الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ أخت غانم في أبي الفضل بن شرف:

قولوا لشاعرٍ برّجة هل جاء من أرض العراق فحاز طبع البُخترى^(٣)
واقى بأشعارٍ تضحُّ بكفه وتقول: هل أعزى لمن لم يشعُر^(٤)
يا جعفرأ ردّ القريض لأهله وأترك مُباراةً لتلك الأبحر.

(١) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) إمام أهل الحديث في زمانه، له كتاب السنن (في الحديث).

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) مؤرّخ ومهندس ونباتي جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

(٣) حاز: اكتسب. (كان في العراق فهل اكتسب خصائص البخترى؟).

(٤) تضح: (تصرخ متململة) بكفه (لأنه سرقها من غيره. تضح بكفه (٤). أعزى: أنسب. شعر: ينظم شعراً.

لا تَزْعُمَنَّ مَا لَمْ تَكُنْ أَهْلًا لَهُ؛ هذا الرُّضَابُ لغيرِ فيكَ الأُبْخَرِ^(١)!

٤-★★ المغرب ١: ٤٣٣؛ بغية الوعاة ١٠٦؛ نفح الطيب ٣: ٣٩٧ (راجع ٣٩٥)؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢١ (١٠٦)؛ نيكل ١٨٨ - ١٩٠؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٢١.

الأعمى التطيلي^(*)

١- هو أبو العباس (أو أبو جعفر) أحمد بن عبد الله بن (أبي) هريرة القيسيُّ التطيليُّ الإشبيليُّ، كان أصلُ أهلِهِ من مدينةٍ تُطِيلَة ثم هاجروا إلى إشبيلية وسكنوها.

نشأ أبو العباس أحمد بن عبد الله في إشبيلية ضريباً، ولذلك لُقِّب بالأعمى، وقضى فيها أكثرَ أيامِ حياته، ولم يكنْ مسروراً من الإقامة فيها، ومع ذلك فقد كان لا يُحِبُّ مُغادرتها. إلا أنه اضْطُرَّ إلى السكنى مُدَيِّدَةً في مُرْسِيَةِ ثم إلى المَجِيءِ إلى قُرْطُبَة ليتكسَّبَ بمدحِ رجالِ فيها.

وكانت وفاةُ الأعمى التطيليِّ سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) قبل أن يُجاوِزَ الأربعينَ من عُمرِهِ في الأغلب.

٢- الأعمى التطيليُّ شاعرٌ وَجْدانيٌّ مُحْسِنٌ مُجِيدٌ وَوَسَّاحٌ بارِعٌ يتقدَّمُ جميعَ وسَّاحي زَمَانِهِ وراجِزٌ يكادُ يكونُ بَدَوِيًّا في أراجيزِهِ. وشِعْرُهُ عَذْبٌ رائقٌ جَزَلٌ الألفاظِ متينٌ الأسلوبِ يظهرُ عليه أثرُ التقليدِ للمشاركة - ولأبي تمامٍ والمنتبِّي خاصةً - ظهوراً واضحاً. أمَّا فنونه فأكثرُها المدحُ، وله أيضاً رِثاءٌ ووصفٌ قليل وشيءٌ من الهجاء والتعريض، وغزلان، مَوْنٌ ومذكَّرٌ، وإخوانيات. وموشحاته

(١) الرضاب: الريق ما دام في الفم (هذا الشعر الجميل). فيك: فك. الأبخَر (الكريه الرائحة).

(*) هو غير أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التطيليِّ الضريب القرطبي - وكان يعرف بالتطيليِّ الأصغر - وكان أيضاً شاعراً. وقد توفي بعد التطيليِّ الأكبر بزمان يسير (راجع نكت الحميان ٩٠؛ الوافي بالوفيات ٦: ١٣٤ تحفة القادم ٢٧ - ٢٩).

مختلفة النسقِ جدًّا حتَّى كأنَّه يَقْصِدُ أَنْ يَنْظِمَ كُلَّ مُوشَّحَةٍ مِنْ مَوْشَّحاتِهِ عَلَى نَسَقٍ مُستَقِلٍّ.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ خلدون (المقدمة، بيروت ١٩٦١، ص ١١٣٩): «إنَّ جماعةً من الوشَّاحين اجتمعوا في مجلسٍ في إشبيلية، وكان كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مُوشَّحَةً وتأتَّقَ فيها. فتقدَّم الأعمى التَّطِيلِيُّ للإِنْشَاد؛ فلَمَّا أَفْتَتَحَ مُوشَّحتَه المشهورةَ بقوله:

ضاحِكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بَدْرٍ
خرَّقَ ابنُ بَقِيٍّ مَوْشَّحتَه وتَبِعَه الباقونَ». وفي ما يلي هذه المَوْشَّحَةُ:

ضاحِكٌ عَن جُمانٍ سافرٌ عَن بَدْرٍ؛
ضاقَ عَنه الزمانُ وحواه صَدْرِي^(١).



أِهْ تَمَّما أَجِدُ شَفَنِي ما أَجِدُ^(٢).
قامَ بي وقعدُ ظالمٌ مُتَّيِدُ^(٣)؛
كلَّما قُلْتُ: قَدَا قالَ لي: أينَ قَدُ^(٤)؟
وأثْنَيْ خُوطَ بانٍ ذا مَهْرٍ نَضْرٍ^(٥).

(١) جان (جمع جانة: اللؤلؤة الكبيرة) كناية عن جمال أسنانه (وشابه). سافر (كاشف) عن بدر (عن وجه يشبه البدر). والحب الذي ضاق به البشر كلُّهم حويته أنا وحدي في صدري.

(٢) وجد، يجد وجداً (يسكون الجم): شعر بحبٍّ شديد نحو آخر. شفه الهمَّ أو المرض: جعله غيبلاً أو هزيبلاً. وجد، يجد وجداناً ووجوداً الخ: لقي. - يقول الشاعر: إن الذي ألقاه من الحبِّ قد أحلَّ جسمي.

(٣) - عذَّبني بجميع أنواع العذاب ظالمٌ متَّيِد (متمهل): يسير في عذابي على مهل ولا يبالي بي.

(٤) قد = قدى: يكفيني (عذاب منك). أين قد (أين الذي يكفي وزاد عن حدِّه)، يقول ذلك متجاهلاً ما حلَّ بي.

(٥) خوط (غصن طري ناعم) بان (نبات أغصانه مستقيمة سحر). مهر: اهتزاز. نضر: غض، أخضر (لأنَّ الفصن إذا يبطل تأوده: اهتزازه وتمايله).

عَابَتْهُ يَدَانِ لِلصَّبَا وَالْقَطْرِ^(١).

★ ★ ★

ليس لي منك بُدٌّ؛ خُذْ قَوَادِي عَنِ يَدِ^(٢).
لَمْ تَدَعْ لِي جَلْدٌ غَيْرَ أَنِّي أَجْهَدُ^(٣).
مَكْرَعٌ مِنْ شَهْدٍ وَأَشْتِيَاقِي يَشْهَدُ^(٤).
مَا لِبْنَتِ الدِّانِ وَلِذَاكَ الشَّغْرِ^(٥).
أَيْنَ مُحَيَّا الزَّمَانِ مِنْ حُمَيَّا الْخَمْرِ^(٦)!

★ ★ ★

بِي جَوِّي مُضْمَرٌ لَيْتَ جُهْدِي وَفْقُهُ^(٧)؛
كَلَّمَا يَظْهَرُ فِقْوَادِي أَفْقُهُ^(٨).
ذَلِكَ الْمَنْظَرُ لَا يُدَاوِي عِشْقُهُ.
بِأَيِّ كَيْفَ كَانَ فَلَكِي دُرِّي^(٩)

-
- (١) لعبت به ريح الشرق والمطر (وجعلت تحركه حركات مختلفة).
(٢) أنا لا أستغني عنك (فلماذا تنتزع قلبي مني انتزاعاً)، خذ قوادِي عن يدي (طوعاً وبإرادتي).
(٣) - حبك لم يترك لي قوّة على الاستمرار في التعلّق بك، ولكنني أبذل جهدي في ذلك.
(٤) مكرع: مكان الكرع (بسكون الراء): الشرب، ويقصد الشاعر فم الحبيب. الشهد (بفتح الشين أو بضمّها وبسكون الهاء في الحالين): العسل (واضطر الشاعر إلى فتح الشين). - شوقي إلى فم الحبيب يدلّ على أن فيه عسلاً.
(٥) بنت الدنان: الخمر. الشغري: الفم. - من أين تشبه الخمر ذلك (العسل) في فم الحبوب.
(٦) «محيا الزمان» غامضة الدلالة لعلّها محيا (بسكون الهاء) الزمان (بكسر الزاي: المرضي!) فيكون المعنى حينئذ في البيتين معاً: إن الخمر لا تشبه العسل الذي في فم الحبيب لأن العسل الذي في فم الحبيب يشفي المرضي بينما حيّا الخمر (الشدة أو الإسكار الذي في الخمر) تعرض الأصحاء.]
(٧) - حبيّ الشديد المضني ليس جهدي وفقه (لا أستطيع احتفاله).
(٨) كَلَّمَا ظهر (المحبوب) ظهر في قَوَادِي (أنا أتذكره دائماً).
(٩) فَلَكْتَ (بفتح اللام) الجاريةُ وَلَكْتَ (استدار ثديها فبُتّت). الدُرِّي: نسبة إلى الدرّة (اللؤلؤة الكبيرة)، كناية عن إشراق الوجه وجالّه.

راق حتّى استبان عذره وعذري^(١).

★ ★ ★

هل إليك سبيل أو إلى أن أياسا.
ذُبتُ إلا قليلاً عبّرة أو نفساً.
ما عسى أن أقول! ساء ظنّي بعسى.
وأنقضى كلُّ شأن وأنا أستشري^(٢)
خالعاً من عنان جزعي أو صبري^(٣).

★ ★ ★

ما على من يلوم لو تناهى عني^(٤).
هل سوى حُبٍّ ريم دينه التجني^(٥).
أنا فيه أهيم، وهو بي يُغني^(٦).
[قد رأيتك عيان ليس عليك، ستدري.
سيطول الزمان، وستنسى ذكرى!]^(٧)

- وقال الأعمى التطيلي في مطلع موشحة له:

- (١) - راق وجهه وكثر جماله (فوق أُنْداده) حتّى استبان (ظهر للناس جلياً) عذره (في الصدود عن المحبوبين) وعذري (في التفاني في حبه).
(٢) استشري الأمر: تفاقم (زاد سوءاً). أنا أستشري: يتعاضم حبي للمحبيب.
(٣) خالعاً لعنان (لا ألقي بالاً، لا أهتم). جزعي وصبري (أن أجزع: أخاف وأحزن حتّى يضرّ في الجزع، وأن أترك الصبر حتّى يضرّ في ذلك أيضاً).
(٤) تناهى الشيء: بلغ نهايته. تناهى عني: (هنا) أقصر، توقّف (عن لومي).
(٥) الريم: الغزال الأبيض. دينه: دأبه، عادته. التجني: أن يدّعي أحد على آخر أنه أتى ذنباً والآخر لم يأت ذلك الذنب.
(٦) أهيم: أُجَنّ (بضم الهمزة وفتح الجيم). يغني به: (في القاموس) يمدح أو يذمّه، و(هنا): يتسلّى به، يهزأ به.
(٧) هذه القفلة (الأشطر الأربعة الأخيرة) من اللغة الحكيمّة العاميّة.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي، فِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ،
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ بِالْخُرْدِ النِّوَامِ قَدْ بَانُوا^(١).

★ ★ ★

أَقْبَلَنَ يَوْمَ الْحِمَى فِي سُندِیَّاتِ الْحُلَلِ
بِیَضٍ مَطْلُ الدِّمَا سَوْدَ الْفُرُوعِ وَالْمُقَلِّ.
فِيَا مُعْنَى بَا لَوْ نَالَهُ نَالَ الْأَمَلُ^(٢).

دُونَ ذَوَاتِ الْحُلَى لِلْسَيْفِ بِالصَّوَارِمِ حِرْمَانُ
أَنْعِ النَّجَاةَ وَلَا يَغْرُرَكَ بِالضَّرَاغِمِ غَزْلَانُ^(٣)!
- وَقَالَ أَيْضاً فِي مَطْلَعِ مَوْشَعَةٍ أُخْرَى:

إِلَى مَقَى بُوَصِلْنَا تَبْخَلُ وَلَا تَلِينُ
وَلَا تَفِي وَيَشْمَتُ الْعُدْلُ بِالْعَاشِقِينَ
أَنْتَ الْقَمَرُ يَجْلُو الدُّجَى نَوْرُهُ
تَحْتَ الشَّمَرِ يَرِفُ دَيَّجُورُهُ.

(١) أَشْجَانُ، جَمْعُ شَجْنٍ (بِفَتْحٍ فَتَح): حَزَنٌ. الرِّكْبُ: الذِّينَ يَرْكَبُونَ فِي الْقَافِلَةِ (لِلسَّفَرِ أَوْ الْإِنْتِقَالِ) مَعاً. الْخُرْدُ جَمْعُ خَرِيدَةٍ: الْبَكْرُ مِنَ النِّسَاءِ (الْجَمِيلَةِ). بَانُوا: ذَهَبُوا، ابْتَعَدُوا. فِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ^(٢).

(٢) الْحُلَلُ جَمْعُ حَلَةٍ (بِضَمِّ الْهَاءِ): ثَوْبٌ فَاحِرٌ. سُندَسٌ: نَسِيجٌ رَقِيقٌ مِنْ حَرِيرٍ. مَطْلُ الدِّمَا: الْمَكَانُ الَّذِي تَطْلُ مِنْهُ الدِّمَا عِنْدَ الذَّبْحِ؛ أَوْ يُخْرَجُ مِنْهُ الدَّمُ وَلَا يَرْجِعُ صَاحِبُهُ إِلَى الْحَيَاةِ) أَيْ الْعَنْقِ. يَقْصِدُ الشَّاعِرُ: بِيَضَاءَ الْعَنْقِ، بِيَضَاءَ اللَّوْنِ. الْفُرُوعُ: خَصَلُ الشَّعْرِ. الْمُقَلَّةُ: شَحْمَةُ الْعَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ. (يَقْصِدُ الشَّاعِرُ حَذَقَةَ الْعَيْنِ). الْمَعْنَى بِالشَّيْءِ: الْمُتَعَلِّقُ بِهِ، الَّذِي يَتَعَبَّ نَفْسَهُ فِي طَلَبِهِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ.

(٣) ذَوَاتُ الْحُلَى: النِّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ اللَّابِسَاتُ لِلْحُلَى، أَوْ اللَّوَاتِي يَكُونُ جَاهِلُنَ حُلَى لِهِنَّ. لِلْسَيْفِ (بِفَتْحٍ) السِّينِ: الرَّجُلُ الْجَرِيءُ، وَالَّذِي يَحْمِلُ سَيْفًا) حِرْمَانُ مِنْ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ بِالصَّوَارِمِ (السُّيُوفِ الَّتِي يَحْمِلْنَهَا فِي عَيُونِهِنَّ). وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ: دُونَ ذَوَاتِ الْحُلَى بِالْسَيْفِ (بِكسر السِّينِ: جَانِبُ الْوَادِي، السَّكَاتُ فِي جَانِبِ الْوَادِي - كِتَابَةٌ عَنِ التَّرَفِّ وَالنِّعْمَةِ). لَا يَغْرُرَكَ بِالضَّرَاغِمِ غَزْلَانُ: لَا تَغْتَرَّ بِأَنَّكَ تَهْجُمُ عَلَى غَزْلَانِ (نِسَاءٍ جَمِيلَاتٍ) فَيَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّهُنَّ يَفْتَكِنُ بِجَاهِلُنَ كَالضَّرَاغِمِ (الْأَسُودِ).

يا مَنْ عَتَا طُوبَى لِمَنْ قَبْلَ ذاكِ الجَبِينِ .
ويكتفي مِنْ رَيْقِكَ السَّلْسَلِ قَبْلَ النُّونِ .

- وقال يشكو زمانه وسيادة الظالمين الجهال الأغبياء ويشكو ما في ذلك في مدينته حِمَص (إشبيلية) ويُحَرِّضُ أَهْلَ حَصْرٍ عَلَى حَاكِ ظَالِمٍ :

إلى الله أشكو الذي نحن فيه: أَسَى لَا يُنْهِنُهُ مِنْهُ الْأَسَى^(١) !
على مثلها فلتشقّ القلوبُ - مكانَ الجيوبِ - وإلاّ فلا^(٢) .
فشا الظلمُ وأغترّ أشيأُؤه، ولا مُسْتَفَاتٌ ولا مُشْتَكى^(٣) .
وساد الطغَامُ بتمويههم؛ وهل يَفْدَحُ الرُّزْءُ إِلَّا كَذَا^(٤) !
وكيف تَضاحَكُ هذي الرِّياضُ؟ وكيف يَصُوبُ النِّهَامُ الحَصَى^(٥) ؟
(وماذا « بِحِمَصٍ » من المضحكاتِ، ولكنّه ضَحِكٌ كالبُكا)^(٦) .
وذا اليومُ حَمَلْنَا فادِحاً خَضَعْنَا لَهُ وَأَنْتَظَرْنَا غِداً^(٧) .
ويا رَبَّ إلبِ على المسلمين زَوَى الحَقُّ عَنْ أَهْلِهِ فَأَنْزَوَى^(٨) .

(١) أَسَى: حزناً. ينهيه: يكفه، يردّه، يخفّفه. الأسى: المداواة.

(٢) الجيوب: (جمع جيب): مدخل العنق في الثوب. - في المصائب الشديدة النازلة يقال: شقّ الحزين جيبه (وأكثر ما يقال ذلك في موت عزيز). أمّا مصيبة إشبيلية بما حكمها الظالم العدو للمسلمين فلا يكفي فيها شقّ الجيوب بل تبلغ من الشدة والعنف إلى أنّ المصاب يشقّ قلبه (يموت).

(٣) فشا: انتشر، شاع، كثر. اغترّ (طمع الظالمون بقوتهم).... لا أحد قادراً على إغاثة الناس (إنقاذهم) ولا أحد يسمع الشكوى من الناس.

(٤) الطغام: أوغاد الناس. يَفْدَحُ: يثقل، يعظم (يجعل الإنسان عاجزاً عن الاحتمال). الرزء: المصيبة.

(٥) تضاحك: تتضاحك (يكثر نباحها وزهرها). وكيف يصوب (يسقط) النِّهَام (المطر) الحصى (صغار الحجارة): كيف يزل المطر على الأرض من ظلم هذا الحاكم!

(٦) هذا البيت للمتنبي: « وماذا بمصر من المضحكات..... ».

(٧).... انتظرنا غدا: رجونا أن تتبدّل الحال في المستقبل.

(٨) الإلب (بكسر الهمزة في الأكثر): القوم مجتمعون على عداوة إنسان واحد. زوى: أمال، منع.

هو الكلبُ أسده جهله، وراعهم زأره فيهم؛
تهاون بالله والمسلمين، وقد خلع الدين خلع النجاء،
فمراه في كل عين قذى، إذا سئل العسف بالمسلمين
وإن أمكنت منهم فرصة ولا بُدَّ للحق من دولة
فما غفل الله عن أمة، أيا أهل حصص، وقدماً دعوت!
ألا قد لحت لكم فاسمعوا وطال؛ فخالوه ليث الشرى^(١).
ولو كان في غيرهم ما عوى^(٢). وقد كان في واحد ما كفى^(٣).
وقد أكل الدين أكل الربا^(٤). وذكراه في كل حلق شجا^(٥).
فأجود من حاتم القرى^(٦). فأفتك من خالد بالعدا^(٧).
تُميت الضلال وتُحيي الهدى^(٨). ولا ترك الله شيئاً سدى.
وهل تسمعون إلى من دعا؟ وحاجيت، إن كان يُغني الحجا^(٩).

- معظم قصائد الأعمى التُّطيليّ على النهج المشرقيّ. ثم هو كثيرُ المبالغة كثير الاستعارات قليلُ المعاني. من ذلك قوله يمدح أبا العلاء بن زُهْرٍ في قصيدة طويلة:

- (١) أسده جهله: جهله (بمعاقبة الظلم) أسده (أغراه وأطمعه) بأن يظلم. خال: ظنّ. ليث: أسد. الشرى: الجبل (للاعتقاد بأن أسود الجبال أشد فتكاً).
- (٢) راع: أخاف. الزأر: الزئير: صوت الأسد. العواء (بالضم): صوت الكلب.
- (٣) كان في واحد ما (الذي) كفى: التهاون بالله وحده أو بالمسلمين وحدهم كاف حتى يجعل الإنسان كافراً مستوجباً للقتل.
- (٤) النجاء: سير من جلد يحمل به السيف متديلاً من العنق إلى جانب الجسم. الربا: الفائدة الفاحشة (أو الفائدة مطلقاً) على الأموال. وقد أكل.....: كناية عن الإسراف في الظلم (الذي هو صنو الكفر) وعن السرور بفعله!!
- (٥) قذى: قدر، وسخ، ضرر. شجا: شيء يعترض في الحلق فيؤله.
- (٦) العسف: الظلم. القرى (بالكسر): الضيافة، الكرم.
- (٧) خالد: خالد بن الوليد.
- (٨) الدولة (بفتح الدال وبضمها): انقلاب الزمان والغلبة وانتقال الأمر من حال إلى حال.
- (٩) لحن فلان لفلان: قال له قولاً يفهمه هو عنه ويخفى على غيره (القاموس ٤: ٢٦٦). حاجي: فاطن (قال قولاً يختبر به فهم الآخرين: قال تلميحاً). الحجا: الفطنة والعقل (هل ينفع العقل الذي فيكم فتفهموا عني ما أعني). والحجا يمكن أن تكون مرخمة من الحجا (مصدر حاجي).

أبى الله إلا أن يكون لك الفضل، وأن يتباهى بأسميك القول والفعل؛
وأن تقف العليا عليك ظنونها إذا رابها جد من القول أو هزل.
أضىء يا سراج الدين وابن سراج، إذا اشتبهت تلك المسالك والسبل.
عفاء على الأرض التي لا تحلها ولو نبئت فيها الساحة والبذل.

- وقال يشكو الدهر الذي جعل شعره أبيض بعد أن بيض عينيه (أعماه):
أما أشفقت مني الأيام في وطني حتى تضايق فيما عن من وطر^(١)؛
ولا قصت من سواد العين حاجتها حتى تكر على ما كان في الشعر^(٢)!
- هجاء ومجون:

وجوه تغز على معشر، ولكن تهون على الشاعر.

- ٤ - ديوان الأعمى التطيلي (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
* * * قلائد العقيان ٣١٥ - ٣٣٢، بغية الملتبس ١٧٥ - ١٧٦ (رقم ٤٢٩)؛ المغرب ٢:
٤٥١ - ٤٥٦، الوافي بالوفيات ٧: ١٢٦ - ١٣٢؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٥١١ -
٥٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٦٧ - ٥٨٢؛ الذخيرة ٢: ٧٢٨ - ٧٥٣؛ نكت الهميان
١١٠ - ١١٣؛ نفح الطيب راجع ٣: ٤٠٤، ٥٣٦؛ جيش التوشيح ١٦ - ٤٥، راجع
٢٣١ - ٢٣٣، ٢٧٩ - ٢٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٠،
الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٧٠ - ١٧١.

أبو عمرو الأندلي

- ١ - هو أبو عمرو أحمد بن خليل الأندلي نسبة إلى أئدة من كورة تدمير (جنوب
شرقي الأندلس)، لا نعرف من تاريخ حياته شيئاً. ولعل وفاته كانت نحو سنة
٥٢٥ هـ (١١٣١ م).

(١) أما اكتفت الأيام (الدهر) بما نزل بي من الظلم والمصائب في بلدي إشبيلية حتى تضايق (تتضايق) من
تحقيق غاية من غاياتي مرة بعد مرة.

(٢) - ولم تكتف الأيام بإذهاب سواد عيني (بالعمى) حتى تعود بالهجوم على سواد شعري (بالشيب).

٢ - كان أبو عمرو الأندليّ طبيباً وشاعراً له مُقَطَّعاتٌ حِسانٌ وأخيلةٌ شعريةٌ بارعة في اللفظ العذب والتركيب المتين، مع شيءٍ من الطبع على غرار القدماء. ومُقطَّعاته التي وصَلَتْ إلينا في الوصف والغزل.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي عمرو الأندليّ مقطَّعاتٌ منها:

- ★ ★ ومذعورةٌ من حلّٰها قد ذعَرْتُها بسَلّةِ مَطَرٍ الغرارِ مُهَنِّدٍ^(١).
فما وَجَدَتْ للحزم إلا التَّفانَةَ تُرَقِّقُها ما بينَ دَمْعٍ وإِثْمٍ^(٢).
حَكَمْتُ على العاظِمِها بعضَ حُكْمِها، فحَسْبُكَ مِنِّي مُعْتَدٍ غيرُ مُعْتَدٍ^(٣)!
★ ★ وهيفاء رامَ الفُصنُ يحكي قَوامَها، وقالت لها شَمْسُ الضُّحى: أَنْتِ أَمْلَحُ^(٤)،
يُقِلُّ رِداحَ الرِّدْفِ منها مُخَصَّرٌ، بأضيقَ من خَلخالِها تَتَوَشَّحُ^(٥).
تَلْعَبُ بالمرأةِ عَجَباً، وإنّا تُلاعِبُ ظي الموتِ في الماءِ تَسْبَحُ^(٦).

(١) - شعر الشاعر سيفه في وجه حبيبته مزحاً ليخيفها فقط لا ليؤذيها. مذعورة: خائفة. من حلّٰها (من وسوسة: صوت الحلى التي تتزيّن بها - لركة إحساسها). ذعرتها: أخفتها. بسَلّة (إخراج السيف فجأة من غمده). مطرور (جميل) الغرار (الحذاء)، أي أبيض، مصقول (حاذٍ، قاطع). مُهَنِّد: من صنع الهند (دلالة على جودته).

(٢) فالت بوجهها إلى الوراء حذراً حينما توهّمت أن السيف يمكن أن يصيبها. التفانة ترققها (تجري معها دمعاً من عينيها). الإثم: الكحل.

(٣) أربتها (في لحظة، من التهويل عليها بالسيف) ما تُري هي عشاقها في كلّ يوم من سيوف عينيها. فحسبك (يكفيك) مِنِّي أَنِّي كنت معتدياً عليها (لأنّي أخفتها) غير معتد (لأنّي لم أقصد الإضرار بها).

(٤) الهيفاء: المشوقة، التحيلة. رام: أراد. يحكي: يشابه، يقلّد.

(٥) يقل: يحمل. رداح الردف (عظيمة وسط الجسم). مخَصَّر: خصر نحيل. وشاحها الذي تَلَفّه على خصرها ضيقٌ جدّاً (كأنّه خلخال: سوار يلبس في الرجل فوق القدم).

(٦) - تَلْعَبُ بالمرأة (تتسلّى بالنظر دوماً في المرأة، دلالاً - للتملّي دائماً من جمال وجهها) ومعنى الشطر

الثاني غامض، وخصوصاً لأنّ كلمة «ظي» لا تدخل هنا في الوزن. المعنى المقصود: ظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ولكن الوزن يقتضي لفظة على وزن «فعل» (بحركة فسكون فحركة).

ولعلّ الكلمة ظاً (بفتح فسكون) عطش وظماً الحياة (راجع القاموس وتاج العروس) تعبير مألوف. =

★★ ذو غُرَّةٍ إِنْ مَرَّ تَحَسَّبُ بِهِ رِيحاً يَمُرُّ أَمَامَهَا قَبَسٌ^(١).
 شَهْمٌ كَطَبْعِكَ فِي الْوَعْيِ يَقِظُ، سَهْلٌ كَخُلُقِكَ فِي النَّدَى سَلِسٌ^(٢).
 ★★ وَغَدِيرٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي قَدْ سَاخَا^(٣).
 وَكَأَنَّ الطَّيُورَ، إِذْ كَرَعَتْ فِيهِ هَ وَعَلَّتْ، تَزُقُّ فِيهِ فِرَاخَا^(٤).

★★ - ٤ الوافي بالوفيات ٦: ٣٧٤ - ٣٧٥، تحفة القادم ١٢، القدح المعلى ١٦٨ - ١٦٩.

أبو الحسن بن الباذش

١ - هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف - ابن الباذش - الأنصاري الأندلسي، وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٤٤ (شِتَاءُ ١٠٥٣ م). قَرَأَ عَلَى نَعَمِ الْخَلْفِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ بَحْيٍ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الصَّدْفِيِّ وَحَدَّثَ عَنِ الْقَاضِي عِيَّاضِ بْنِ مُوسَى وَأَبِي مُحَمَّدٍ أَبِي عَطِيَّةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَبِي خَالِدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُ أُمَّ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ فِي جَامِعِ غَرْنَاطَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي غَرْنَاطَةِ فِي ثَلَاثِ عَشَرَ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٥٢٨ (١١٣٣ / ١١ / ١٣ م).

٢ - كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَاذِشِ بَارِعاً فِي النَّحْوِ وَمُشَارِكاً فِي عَدِيدٍ مِنْ فَنُونِ الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقَرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَسَوَى ذَلِكَ. وَهُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ عَدَدٌ مِنَ الْكُتُبِ مِنْهَا: الْإِقْنَاعُ فِي الْقَرَاءَاتِ ثُمَّ شُرُوحٌ عَلَى كُتُبٍ، مِنْهَا: كِتَابُ سَيَبَوَيْهِ - الْمُقْتَضَبُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ (لَا بِنَ جَنِّي) - الْأَصُولُ (لَا بِنَ السَّرَاجِ) - الْإِيضَاحُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ - كِتَابُ الْجُمَلِ - الْكَافِي لِابْنِ النَّحَّاسِ^(٥). وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ.

= وَطِئاً الْمَوْتَ هُنَا (السِّيفُ الَّذِي فِي عَيْنَيْهَا ظَامِئٌ إِلَى قَتْلِ الْهَبَيْنِ بِالْحَرَمَانِ). فَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ: تَتَسَلَّى بِالنَّظَرِ إِلَى فِتْنَةِ عَيْنَيْهَا فِي الْمَرَاةِ (فِي الْمَاءِ تَسْبِيحُ: مَاءُ الْمَرَاةِ). وَتَجْعَلُ تَسْبِيحَ يَسْبِيحٍ.
 (٢-١) الْبَيْتَانِ فِي وَصْفِ حِصَانٍ ذِي غُرَّةٍ بَيَاضٍ، وَهُوَ سَرِيعُ الْجَرِيِّ. ثُمَّ هُوَ شَهْمٌ (سَرِيعٌ) فِي الْحَرْبِ، سَهْلٌ، سَلِسٌ (وَدِيعٌ) فِي النَّدَى: الْكُورَمُ (فِي السَّلْمِ!).
 (٤ و ٣) سَاخٌ: غَاصٌّ، غَرِقَ. كَرَعَتْ: شَرِبَتْ. عَلَّتْ: شَرِبَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. - إِنَّهَا وَهِيَ تَضَعُ مَنَاقِيْرَهَا فِي الْمَاءِ ثُمَّ تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا عَالِيَةً (لِيَنْزِلَ الْمَاءُ فِي حَنَاجِرِهَا) تَشْبَهُ أَمْهَاتِ الْعَصَافِيرِ وَهِيَ تَطْعَمُ فِرَاخَهَا.
 (٥) رَاجِعْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٣٢٧.

- لأبي الحسن بن الباذر شيء من النظم، منه:

أَصْبَحْتَ تَقْعُدُ بِالْهَوَى وَتَقُومُ وَبِهِ تُقَرِّطُ مَعْشَرًا وَتَذِيمُ^(١).
تَغْنِيكَ نَفْسُكَ فَأَشْتَغِلْ بِصَلَاحِهَا؛ أَنَّى يُعَيِّرُ بِالسَّقَامِ سَقِيمُ^(٢)!

- وله في مدح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي:

أَضِعِ الْكَرَى لِتَحْفُظِ الْإِيضَاحَ وَصِلِ الْغُدُوَّ لِفَهْمِهِ بِصَبَاحِ^(٣).
هُوَ بُغْيَةُ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَمَنْ بَغَى حَمَلَ الْكِتَابِ يَلْجُهُ بِالْمِفْتَاحِ^(٤).
لَأَبِي عَلِيٍّ فِي الْكِتَابِ إِمَامَةٌ شَهِدَ الرُّوَاةُ لَهَا بِفَوْزِ قِدَاحِ^(٥).
يَقْضِي عَلَى أَسْرَارِهِ بِنَوَافِذِ مِنْ عَلَيْهِ بَهَرَتْ قُوى الْأَمْدَاحِ^(٦)،
فِيخَاطِبُ الْمُتَعَلِّمِينَ بِلَفْظِهِ وَيَحُلُّ مُشْكِلةً بِوَمُضَةٍ وَاحِ^(٧).
مَضَتْ الْعُصُورُ وَكُلُّ نَحْوٍ ظُلْمَةٌ، وَأَتَى فَكَانَ النُّحُو ضَوْءُ صَبَاحِ.
أَوْصِي ذَوِي الْإِعْرَابِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا بِحُرُوفِهِ فِي الصُّحُفِ وَالْأَلْوَاكِ^(٨).
فَإِذَا هُمُ سَمِعُوا النَّصِيحَةَ أَنْجَحُوا. إِنَّ النَّصِيحَةَ غُبُّهَا لِنَجَاحِ^(٩)!

(١) تَقَرَّطَ: تَدَحَّحَ. ذَام يَذِيمُ ذَيْمًا (بفتح الـ ذال) وذامًا: ذَمَّ، هَجَا.

(٢) أَنَّى: كَيْفَ. - كَيْفَ يُعَيِّرُ السَّقِيمُ سَقِيمًا آخَرًا!

(٣) أَضِعْ فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ «أَضَاعَ» (ضَعِيَ). الْكَرَى: النُّومُ. تَحْفُظُ الْكِتَابَ: بِذَلِكَ جَهْدًا فِي حِفْظِهِ جُزْءًا بَعْدَ جُزْءٍ. الْإِيضَاحُ (كِتَابُ الْإِيضَاحِ). الْغُدَاةُ: مَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

(٤) بَغَى يَبْغِي: طَلَبَ، أَرَادَ. وَلَجَّ: دَخَلَ. حَمَلَ الْكِتَابَ (مَعْرِفَةُ كِتَابِ سَيَبُوهِ مَعْرِفَةُ صَحِيحَةٍ). الْمِفْتَاحُ (كُنَايَةٌ عَنْ كِتَابِ الْإِيضَاحِ!) - نِسْبَةٌ كُلِّ مِفْتَاحٍ إِلَى كُلِّ بَابٍ كُنِسْبَةِ الْإِيضَاحِ إِلَى كِتَابِ سَيَبُوهِ.

(٥) لَأَبِي عَلِيٍّ (الْفَارِسِيِّ) فِي الْكِتَابِ (كِتَابِ النُّحُو لِسَيَبُوهِ) إِمَامَةٌ (مَقْدَرَةٌ وَتَقْدِيمٌ). الْقَدَحُ (بِكسر القاف): سَهْمٌ أَوْ قِطْعَةٌ مِنْ خَشَبٍ أَوْ نُحُوهِ تُسْتَخْدَمُ فِي الْإِسْتِقْسَامِ (الْمِيسَرِ أَوْ الْقَارِ).

(٦) - يَشْرَحُ مَا غَمِضَ مِنْهُ بِرَأْيِ نَافِذٍ (مُصِيبٍ، صَحِيحٍ) يَهْرُ: أَدْهَشَ، غَلَبَ، فَاقَ. الْأَمْدَاحُ جَمْعُ مَدْحٍ. قُوى جَمْعُ قُوَّةٍ (!). فَهْمُهُ يَزِيدُ عَلَى كُلِّ مَدِيحٍ.

(٧) وَمُضَةٌ: بَرَقَةٌ، لَمْعَةٌ. الْوَاحِي (مَنْ وَحَى بِحْيٍ: أَثَارَ أَوْمًا). بِسُرْعَةٍ.

(٨) ذَوُو الْإِعْرَابِ (الْمُسْتَغْلُونَ بِتَعْلِيمِ النُّحُو).

(٩) أَنْجَحَ (نَجَحَ). الْغُبُّ: الْعَاقِبَةُ، النَتِيجَةُ.

٤-★★ إنباه الرواة ٢: ٢٢٧ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٣٢٦ - ٣٢٧؛ الديباج المذهب ٢٠٥ - ٢٠٦؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦٠ (٤: ٢٥٥).

ابن الطراوة

١- هو أبو الحسين (أبو الحسن) سليمان بن محمد بن عبد الله بن الطراوة الشيباني (المطرب - الخرطوم ٢٠٩؛ القاهرة ٢٣١) السبتي أو السبائي (بغية الوعاة ٢٦٣) الملقب، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٤٤٠ (١٠٤٨ م). كان أكثر اهتمامه بكتاب سيبويه (في النحو) قرأه أولاً سَنَةِ ٤٦١ في إشبيلية على أبي بكر بن عياش المرشاني ثم في سَنَةِ ٤٦٥ على أبي الحجاج الأعمى (ولكن بقراءة محمد بن الأعمى) ثم رَحَلَ إلى قرطبة وقرأ الكتاب نفسه على أبي مروان بن سراج ثم على أبي مروان الطنبلي.

ثم إنه جَعَلَ يتجول في البلدان الأندلسية ليُعلِّمَ فيها ما كان يَعْرِفُهُ من النحو ومن الأدب أيضاً. وكانت بينه وبين أبي الحسن الحضري (ت ٤٨٨ هـ) مخاطبات نال كل واحد منها فيها من صاحبه. وكانت وفاة ابن الطراوة في رَمَضان أو شَوالِ سَنَةِ ٥٢٨ (صيف ١١٣٤ م).

٢- ابن الطراوة في الأصل نحوي، كان نحوي المَرِيَّة لم يكن بها في هذه الصناعة مثله. ثم إن له آراء تفرَّد بها وخالف فيها جمهور النحاة، ولقد مدَّحه عليها نفرٌ ثم لأمه عليها نفرٌ آخرون. وكذلك كانت له عناية بالأدب وكان يُقرئه (نفع الطيب ٢: ١٤٢). وله شعرٌ في المدح، مدح المعتصم بن ضُادح وعلي بن يوسف بن تاشفين. غير أن الذي بين أيدينا من شعره مُقطَّعاتٌ في الخمر والغزل والنقد الاجتماعي. وكذلك كان مُصنِّفاً له: الترشيح (في النحو - مختصر) - المقدمات على كتاب سيبويه - مقالة في الاسم والمسمى - الإفصاح ببعض ما جاء في الإيضاح (للفارسي المتوفى سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من شعره:

- لابن الطراوة مقاطع قصار منها:

★★ يشرُّبها الشيخُ وأمثالُهُ وكلٌّ مَنْ تُخَمِّدُ أفعالُهُ.

والَبَكْرُ إِن لَّمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةً
 ★★ أَلَا بِأَيِّ وَغَيْرِ أَيِّ غَزَالٍ
 فقال مُنادمي في الحُسْنِ صِفُهُ،
 ★★ وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ لَاحَ بِخَدِّهِ
 وَأَطْلَعَهَا مِثْلَ الْغَزَالَةِ، وَهُوَ كَالِ
 ★★ شَرِبْنَا بِمِصْبَاحِ السَّمَاءِ مُدَامَةً
 وَظِلَّ جَهْلٌ يَرْقُبُ الصُّبْحَ ضِلَّةً،
 ★★ وَقَائِلِيَّةٌ: أَتَصْبُو لِلْغَوَانِي
 فَقُلْتُ لَهَا: حَثَّتْ عَلَى التَّصَايِي
 ★★ خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا، وَقَدْ نَشَأَتْ
 تُلْقَى عَلَى الْبُزْلِ أَثْقَالَهُ (١).
 أَتَى وَبِرَاحِهِ لِلشَّرْبِ رَاحٌ (٢).
 فَقُلْتُ: الشَّمْسُ جَاءَ بِهَا الصَّبَاحُ.
 دَعَوْتُهُمْ: رِفْقاً تَلَحُّ لَكُمْ الشَّمْسُ (٣).
 غَزَالٌ، فَتَمَّ الطَّيِّبُ وَاكْتَمَلَ الْأَنْسُ (٤).
 بِشَاطِي غَدِيرٍ وَالْأَزَاهِرُ تَنْفَحُ (٥).
 وَمِنْ أَكْوَاسِي لَمْ يَبْرَحِ الصُّبْحُ يُصْبِحُ (٦).
 وَقَدْ أَضْحَى بِمَفْرِقِكَ النَّهَارُ (٧).
 (أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارِ) (٨).
 بَحْرِيَّةٌ يَدُو لَهَا رَشْحٌ (٩).

- (١) البيتان في الخمر. البكر (بفتح الباء): الجمل الصغير. البازل: الجمل الذي بزلت (طلعت) سته (إذا بلغ ثماني سنوات أو تسعاً). الصولة: السطوة في الحرب ونحوها. - لا تليق الخمر إلا بالوقور الهادي. وإذا عجز الصغير عن فعل أمر عهد بهذا الأمر إلى الكبير المجرب.
- (٢) الراح جمع راحة: الكف. الشرب: الذين يشربون (الخمر) معاً. الراح: الخمر.
- (٣) الصبح (الوضوء والجلال) لاح (ظهر - لما بدا الساقى الجميل). تلوح: تظهر. الشمس (الخمر).
- (٤) جاء بالخمر مثل الغزالة (الشمس). الطيب: الرائحة (من الخمر). الأنس (بالفلام الجميل).
- (٥) شربنا (الخمر) بمصباح السماء (على ضوء القمر). تنفح: تنتشر رائحتها.
- (٦) ضلة: ضلالة وجهل. يقال: أصبح الرجل: دخل في الصباح (والشاعر يقصد: يطلع في كل لحظة من كؤوس الخمر التي أشرها صباح جديد).
- (٧) صبا: مال إلى. المفرق: مقدم الرأس. النهار (البياض، الشيب).
- (٨) حثت على التصايي: أنت الآن (بقولك هذا وتذكيري أن شبابي سينقضي قريباً) تحضيني على الميل إلى النساء الجميلات. المعار: العارية (الذي استعمرته من غيرك). والمعار: المسنن. وقيل المغار (بالعين المعجمة): المضمّر - راجع «فوائد اللال» ١: ١٨٨ وتاج المروس - الكويت ١٣: ١٧٩ هذا الشطر يروي لابن أبي خازم الجاهلي (راجع ديوانه بتحقيق عزة حسن، دمشق ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م، ص ٧٨ والحاشية الطويلة المفيدة رقم ٥٥). وهو ينسب أيضاً للطرمّاح بن حكيم الأموي - يجب أن أستفيد من بقية شبابي!
- (٩) خرجوا إلى صلاة الاستسقاء (بالمراء) بعد انقطاع المطر مدة طويلة. بحرية: غمامة آتية من جهة البحر! الرشح: ترّب الماء من خلال جسم ما.

حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا لِذَعْوَتِهِمْ وبدا لأَعْيُنِهِمْ بها نَضْحٌ^(١) ،
كُشِفَ الْغِطَاءُ إجابةً لَهُمْ ، فكأنَّها جاءوا لِيَسْتَضَحُوا^(٢) .
★★ إِذَا رَأَوْا جَمَلًا يَأْتِي عَلَى بُعْدٍ مدَّوا إِلَيْهِ جَمِيعاً كَفَّ مُقْتَنِصٌ^(٣) .
إِنْ جِئْتَهُمْ فَارْغاً لَزُوكَ فِي قَرْنٍ ، وإن رَأَوْا رِشْوةً أَفْتَوْكَ بِالرُّخْصِ^(٤) !

★★ - ٤ بغية الملتبس ٢٩٠ (رقم ٧٧٩) ؛ التكملة ٧٠٤ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ :
٥٧١ - ٥٧٢ ؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٦٥٦ = ٦٥٧ ؛ الذيل والتكملة ٤ : ٧٩ -
٨١ ؛ وفيات الاعيان ٤ : ١٦٠ ؛ بغية الوعاة ٢٦٣ ؛ نفح الطيب ٣ : ٣٨٤ - ٣٨٥ ،
٤ : ٣٣٢ ؛ بروكلمن ١ : ١٧٦ (السطر ٢١) ؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٦ (١٣٢) ؛
أخبار وتراجم أندلسية ١٧ ، راجع ٦٣ .

ابن الزقاق البلنسيّ

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ (إبراهيم بن) عَطِيَّةِ اللَّهِ بنِ مُطَرِّفِ بنِ سَلَمَةَ اللَّخْمِيّ ،
ويُعرفُ بابنِ الزَّقَاقِ وبابنِ الحاجّ ، أصلُ أسرته من إشبيلية ، وقد كان بينَهم وبينَ بني
عَبَّادٍ قرابةً (فلما خَلَعَ الْمُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ أنكَرُوا ذلك) . ويبدو أنَّ أهلَه انتقلوا ، بعدَ
أَسْتِلاءِ المرابطين على إشبيلية (٤٨٤ هـ) ، إلى بَلَنْسِيَّةَ . وفي بَلَنْسِيَّةَ تزوَّجَ والدُ ابنِ
الزَّقَاقِ أختَ الشاعرِ ابنِ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) .

وُلِدَ ابنُ الزَّقَاقِ البَلَنْسِيُّ في بَلَنْسِيَّةَ ، سَنَةَ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) ، وفيها نشأ وطلَّبَ
الْعِلْمَ وقضى حَيَاتَهُ كُلَّهَا ، ولا نَعْلَمُ أَنَّهُ غادرَها إلى مكانٍ آخَرَ . وتلقَى ابنُ الزَّقَاقِ
جانباً من العلم على ابنِ السَّيِّدِ البَطْلَيْوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في إحدى زوراتِ البَطْلَيْوْسِيِّ
إلى بَلَنْسِيَّةَ .

-
- (١) حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا (للصلاة) وللقيام بالدعاء . النضح : الرش .
(٢) كُشِفَ الْغِطَاءُ (انجابت الغيوم عن وجه السماء) . ليستصحوا : ليطلبوا الصحو . - في البيت تهكم .
(٣) هذان البيتان في التهكم بالفقهاء . الجمل (هنا) : شيء ما (ولو كان كبيراً كالجمل) . المقتنص : الصياد
(الذي ينتهز الفرص في الحصول على ما يستطيع الحصول عليه) .
(٤) فَارْغاً (لا تحمل إليه هدية) لَزُوكَ في قرن (جبل) : ربطوك مع غيرك بجبل واحد (أذلوك) . أَفْتَوْكَ
بالرخص (الرخصة : ما له وجه من القانون) : وجدوا لك مخرجاً للتحلُّل من قيود القانون والشرع .

وكانت وفاة ابن الزقاق البلنسي نحو سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) قبل الأربعين من العمر.

٢ - كان ابن الزقاق البلنسي شاعراً وجدانياً رقيقاً مُحسناً، حسن التصرف في معاني الشعر - يَحْتالُ للمعنى القديم حتى يبدو كأنه مُخترعٌ جديدٌ - وكذلك كان نبيل الأغراض، يُطيل أحياناً ويُجيد في المقطعات. ولابن الزقاق من الفنون مدحٌ قليلٌ جيدٌ وشيءٌ من الرثاء وقليل من الهجاء. وله الغزلان، المؤنث والمذكر، مع شيء من الجون المستور فيها كليهما. وله خمر. ويكثر الوصف في شعر ابن الزقاق فهو بارعٌ في وصف الطبيعة دقيق الملاحظة؛ غير أن وصفه للطبيعة لمحاتٌ مستقلة موضوعية لم تمزج عادةً بالشاعر الإنسانية؛ وعلى هذا نجد أدنى مرتبة في وصف الطبيعة من خاله ابن خفاجة.

٣ - مختارات من شعره:

- لابن الزقاق البلنسي قصيدة في مديح أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية ينسب فيها ويفتخر، منها:

يا شمسَ خذِرِ ما لها مغربٌ،	أرامنة دارك أم غُربٌ ^(١) ؟
ذهبت فاستعبر طرقي دِمَاءً	مُضْفَضُ الدمع به مُذهَّبٌ ^(٢) .
الله في مهجّة ذي لَوْعَةٍ	تيمّه يوم النقا الربّ ربّ ^(٣) !
ناشدك الله، نسيم الصبا،	أئن استقلت ^(٤) بعدنا زَيْنَب؟

(١) شمس خدر: فتاة جميلة (كالشمس) مخدرة (لا تخرج من بيتها لوجاهتها وصونها فلا يراها الناس). ما لها مغرب: لا تقترب من الغروب (شابة أبداً). رامة وغرب: مكانان في شبه جزيرة العرب (يقصد: من أي بلاد الحسن والجمال أنت؟).

(٢) استعبر: بكى. الطرف: العين. - امتزج دمعني الأبيض بدمي الأحمر.

(٣) المهجة: دم القلب، القلب. اللوعة: الحرق في القلب من الحب. تيمّه: أمرضه أو عذبه بالحب. النقا: الرمل الأبيض. يوم النقا (يوم الاجتماع بذلك المكان الذي فيه نقا). الربرب: القطيع من بقر الوحش (الغزلان)، كناية عن جماعة من الفتيات الجميلات.

- الله في مهجة ذي لوعة: أعان الله الحب.

(٤) نسيم الصبا (يا نسيم الصبا). استقلت: ذهب، استقل: حل (أحمله وسافر).

لم تَسِرْ إِلَّا بِشَدَا عَرَفْهَا؛ وَإِلَّا، فإِذَا النَّفْسُ الطَّيِّبُ^(١)!
وَيَا سَحَابَ الْمَزْنِ، مَا بَالُنَا يَشُوقُنَا ذَيْلُكَ إِذْ تَسْحَبُ^(٢)؛
هَاتِ حَدِيثًا عَنْ مَغَانِي اللَّوَى فَعَهْدُكَ الْيَوْمَ بِهَا أَقْرَبُ^(٣).
أَفْلَحَ مَنْ خَاضَ بِحَارَ الدُّجَى وَصَهْوَةَ الْعِزِّ لَهُ مَرْكَبُ^(٤)؛
أَلَيْسَ فِي الْبَيْدَاءِ مَدْرُوحَةٌ إِنْ ضَاقَ يَوْمًا بِالْفَقَى مَذْهَبُ^(٥)!
إِنْ كَانَ لِلْفَضْلِ أَبٌ إِنَّهُ نَجَلُ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَبُ.
تَنْحَطُّ قَحْطَانُ وَسَادَاتُهَا عَنْهُمْ، وَتَمْشِي خَلْفَهُمْ تَغْلِبُ.
لَمْ تَخْلُ مِنْ نَارٍ لَهُمْ فِي الدَّجَى ثَنِيَّةٌ عَلَيْهِ أَوْ مَرْقَبُ^(٦).
هَلْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ إِلَّا فَتَى رَاقٍ بِهِ الْمَحْفِلُ وَالْمَرْكَبُ^(٧)؛
فِي الدَّسْتِ مِنْهُ عَلَّمَ أَصِيدٌ، وَفِي الْوَعَى ضَرْغَامَةٌ أَغْلَبُ^(٨).
كُلَّ شِهَابٍ عِنْدَهُ خَامِدٌ، وَكُلَّ بَرْقٍ عِنْدَهُ خُلْبُ^(٩)

- وله في وصف الخمر ووصف الطبيعة:

- (١) - لَمَّا هَبَّتْ، أَيُّهَا النسيم في الليل كانت رائحتك الطيبة منها، وإلا فمن أين جئت بهذه الرائحة؟
- (٢) المزن: المطر. ذيل السحاب: الأطراف المتدلية من السحاب (ويكون هذا النوع من السحاب ممطراً). يشوقنا (يهيجنا، يجعلنا نجيل) ذيلك إذ تسحب (لأنك تأتي بالمطر).
- (٣) المغاني جمع مغنى: المكان المأهول، المسكون. اللوى: الرمل الملتوي، تلة الرمل.
- (٤) - لقد نجح الذي يسافر في الليالي يدفعه إلى ذلك محافظته على كرامته.
- (٥) البيداء: الأرض الواسعة (الصحراء). مندوحة: متسع. المذهب: الطريق، السبيل، طلب العيش.
- (٦) الثنية (العطفة في الطريق أو الجبل) العلياء (العالية). المرقب: المكان المرتفع (ترى منه الطرق المتفرعة). هم كرماء (يشعلون النار للضيوف عند كل عطفة طريق) وهم أبطال (يشعلون النار على كل مكان مرتفع يدعون بها قومهم إلى الحرب).
- (٧) المحفل: مكان اجتماع الناس لأمر من الأمور (في السلم). المركب: الخيل (للحرب).
- (٨) الدست: المجلس الرسمي؛ يقال دست الوزارة (الحكم). العلم: الرجل المشهور، الأصيل: الشريف (الأصيل بفتح الصاد والياء: ميلان العنق، كناية عن الكبر بكسر الكاف). والأصيل الملك أيضاً. الوعى: الحرب. الضرغامة: الأسد.
- (٩) كل نجم مها يكن مضيئاً خامد (لا نور فيه) بالإضافة إلى المدوح. وكل برق (مها يكن فيه من المطر) خلْب (لا مطر فيه). - كل مجد أقل من مجده وكل كرم أقل من كرمه.

- (أ) بَلَنْسِيَّةٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا
كَسَاهَا رَبُّنَا دِيْبَاجَ حُسْنٍ
- (ب) أَدِيرَاهَا عَلَى الرُّوضِ الْمُنْدَى
وَكَأْسَ الرَّاحِ تَنْظُرُ عَنْ حَبَابٍ
وَمَا غَرَبَتْ نَجْمُ الْأَفْقِ لَكِنْ
- (ج) تُثَرِّ الْوَرْدُ بِالْخَلِيجِ وَقَدْ دَرَّ
مِثْلَ دِرْعِ الْكَمِيِّ مَرْقَهَا الطَّغْفُ
وَلَيْلٍ قَطَعَتْ دِيَابِجَهُ
- (د) أَدِيرَتْ كَوَاكِبُ أَقْدَاحِهَا
فَقَالَ - وَقَدْ طَارَ مِنْ خَيْفَةٍ -
رَأَيْتُكَ تَشْرَبُ زُهْرَ النُّجُومِ
- وَفِي آيَاتِهَا أَسْنَى الْبِلَادِ (١).
بَأَنَّ جَالَهَا لِلْعَيْنِ بَادٍ (٢)؛
لَهُ عَلَمَانِ مِنْ بَحْرِ وَوَادٍ (٣).
وَحُكْمُ الصُّبْحِ فِي الظُّلُمَاءِ مَاضِي (٤)
يَنْوِبُ لَنَا عَنِ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ (٥).
نُقَلِّنُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الرِّيَاضِ (٦).
جَهْ بِالْهُبُوبِ مَرُّ الرِّيَاحِ (٧)؛
نُ فَسَالَتْ بِهَا دِمَاءُ الْجِرَاحِ (٨).
بَعَذْرَاءَ حَمْرَاءَ كَالْعَنْدَمِ (٩)،
عَلَيَّ فَأَغْرَبْتُهَا فِي فَمِي (١٠).
وَلِإِضْبَاحِهِ وَاضِحُ الْمَبْسِمِ:
فَوَلَّيْتُ خَوْفًا عَلَى أَنْجُمِي (١١)!

- (١) أسنى: أكثر نوراً وإشراقاً. الآيات: المجائب، الأمور الغريبة العظيمة.
- (٢) - وأعظم ما يمكن أن أستشهد به على جالها مأخوذ منها نفسها، وهو أن جالها ظاهر للميؤن.
- (٣) الديباج: ثوب منسوج كله من حرير. العلم: رسم في الثوب. الوادي: النهر.
- (٤) - يا ساقيان، أديرا الراح (الخمر) على الروض المندى (ونحن جلوس في روضة في الصباح الباكر لم يجف الندى الذي نزل فيها في الليل بعد). وحكم الصبح في الظلماء ماض: نور الصباح يطرد ظلام الليل.
- (٥) يشبه الفقايع التي تطفو على وجه كؤوس الخمر بميؤن تنظر إلى الشاربين، تقوم (لجالها) مقام الحدق (الميؤن) المراض (الناعسة).
- (٦) لما طلع الصبح واختفت نجوم الليل، فإن نجوم الليل لم تغب ولكنها نزلت واستقرت في روضتنا (كتابة عن الأزهار، أو كتابة عن الفقايع التي تطفو على الخمر في الكؤوس).
- (٧) الخليج: النهر.
- (٨) الكمي: الشجاع.
- (٩) الديجور: الظلام. العذراء: الخمر (إذا شق عنها الدن - خاية الخمر - للمرة الأولى). العندم: دم الأخوين أو البقم (نبات ثمره شديد الاحمرار).
- (١٠) أغربتھا (جعلتها تغرب) في فمي (يقصد: شربتها).
- (١١) - رأيتك تشرب خراً يطفو على وجهها فقايع (كالكواكب) فخفت أن تشرب نجومى أيضاً.

- وله في الغزل والنسيب وما يلحق بهما :

- (أ) عَذِيرِي مِنْ هَضِيمِ الْكَشْحِ أَحْوَى رَخِيمِ الدَّلِّ قَدْ لَيْسَ الشَّبَابُ^(١)،
أَعَدَّ الْمَجْرَ هَاجِرَةً لِقَلْبِي وَصَيَّرَ وَغَدَهُ فِيهَا سَرَابًا^(٢)؛
- (ب) وَأَغْيَدِ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضُحَى وَحْثَهَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا.
وَالرُّوْضُ أَهْدَى لَنَا شِقَاقَهُ، وَأَسُّهُ الْعَنَبِيُّ قَدْ نَفَحَا.
قَلْنَا: وَأَيْنَ الْأَقَاحِ، قَالَ لَنَا: أَوْدَعْتُهُ ثَغَرَ مِنْ سَقَى الْقَدْحَا.
فَظَلَّ سَاقِي الْمُدَامِ يَجِدُ مَا قَالَ، فَلَمَّا تَبَسَّمَ أَفْتَضَحَا.
(ج) وَمَرْتَجَّةِ الْأَطْرَافِ أَمَّا قَوَائِمُهَا فَلَذَنُّ وَأَمَّا رِذْفُهَا فِرْدَاحُ^(٣)،
أَلَمْتُ فَبَاتَ اللَّيْلُ، مِنْ قِصَرِ بِهَا، يَطِيرُ وَلَا غَيْرَ السُّرُورِ جَنَاحُ^(٤)
فَبِتُّ وَقَدْ زَارَتْ بَأْنَعَمَ لَيْلَةٍ يُعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ^(٥).
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حَمَائِلُ وَفِي خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَاحُ^(٦).
(د) سَفَتْنِي بَيْنَهَا وَفِيهَا فَلَمْ أَزَلْ يُجَاذِبُنِي مِنْ ذَاكَ أَوْ هَذِهِ سُكْرُ.
تَرَشَّفْتُ فَاها إِذْ تَرَشَّفْتُ كَأَسْهَاءِ، فَلَا، وَالْهَوَى، لَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا الْخَمْرُ!
- وَابْنُ الزَّيْنِاقِ مَوْشَحَةٌ مِنْهَا :

- (١) عذيري = عاذري: من يكون عاذري ولا يلومني (في ما أعمل). هضم (نحيل، ضامر) الكشح (وسط الجسم). أحوى: أسمر الشفة. رخم (ناعم) الدلّ (الدلال، الفتح).
- (٢) الهاجرة: نصف النهار، شدة الحر - هجره (ابتعاده عني) كالحر الشديد لقلبي. السراب: لمعان يُرى من بعيد كأنه ماء. وَغَدَهُ سَرَاب: لا يفي بوعده (لكنه يُطمع المحبين بوعوده).
- (٣) مرتجة الأطراف: مهتزة، متألمة (كتابة عن ليونة الجسد وعن الشباب). لدن: لين، طري. الردف: الورك، الألية. رداح: متسع، ثقيل.
- (٤) ألم: نزل، جاء (ضيافاً)، زار. من قِصَرِ بِهَا: يبدو قصيراً لأنها معي.
- (٥) أنعم ليلة: أكثر الليالي نعمة عليّ. الصباح: أول النهار. صباح: فتاة جميلة تشبه الصباح (ببياضها وحسنها).
- (٦) الساعد = الذراع (من المرفق إلى طرف الأصابع). الحائل جمع حالة (يكسر الحاء): علاقة (يكسر العين) سير من جلد يعلّق به السيف إلى الكتف أو العنق. الوشاح: قطعة من جلد أو نسيج تشدها المرأة على كتفيها وخصرها.

فَأَشْرَبُ مِنْ يُمْنَاهُ مَا فَوْقَ خَدِّهِ وَأَلْثُمُ مِنْ خَدَّيْهِ مَا فِي يَمِينِهِ^(١).

- ٤- ديوان ابن الزقاق البلنسيّ (تحرير غارثيا غومس) مدريد ١٩٣٤ م، ١٩٥٦ م؛ (تحقيق عفيفة محمود ديراني)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- ★★ المغرب ٢: ٢٣٠-٢٣٨؛ المطرب ١٠٠-١١١؛ التكملة رقم ١٨٤٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦٥-٢٦٨؛ الخريدة (المغرب والأندلس). ٣: ٥٦٤-٥٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٤٧-٦٥٣ تم ٦٦٥-٦٦٦؛ فوات الوفيات ١: ٧٧-٧٩؛ شذرات الذهب ٤: ٨٩؛ نفع الطيب ٣: ١٩٩-٢٠٠، ٢٨٩-٢٩١، ٤١٤-٤١٥، ٤: ١٥٨-١٥٩، ٢٩٨-٣٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧١؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٣١-٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٤-١٥٥ (ذكر باسم ابن القرّاز)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٨ (٤: ٣١٢).

أبو الصلت بن عبد العزيز الأندلسي

١- هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، وُلِدَ في دَانِيَّةَ بِشَرْقِ الأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) ودرّسَ على جماعةٍ منهم أبو الوليد الوَقْشِيّ قاضي دَانِيَّةَ.

ولمّا اسْتَوَلَى المُرَابِطُونَ على الأندلس بَارَحَهَا أُمِيَّةٌ في أَهْلِ بَيْتِهِ إلى مِصْرَ فوصل إليها يوم الأَضْحَى من سَنَةِ ٤٨٩ (١٠٩٦/١١/٢٧ م)، في أَيَّامِ الأَمْرِ الفاطميّ أبي عليّ المنصور. واتّصل أُمِيَّةٌ بِرَجُلٍ اسْمُهُ تَاجُ المَعَالِي كان من خَوَاصِّ الأَفْضَلِ شاهنشاه ابن بَدْرِ وزيرِ الأَمْرِ. وقَدَّمَهُ تَاجُ المَعَالِي إلى الأَفْضَلِ فَحَظِيَ أُمِيَّةٌ عِنْدَهُ. ولكنّ ذلك ساءَ كَاتِباً لدى الأَفْضَلِ فَأَصْمَرَ لأُمِيَّةَ المَكْرُوهَ. ثم إن الأَفْضَلِ تَغَيَّرَ على تَاجِ المَعَالِي فَقبَضَ عَلَيْهِ وعلى أُمِيَّةَ وَسَجَنَهُمَا، سَنَةَ ٥٠٢ هـ. وقيل إن سَجَنَ أُمِيَّةَ كان لأن مَرَكَباً كان مُحمَّلاً بالنُّحَاسِ غَرِقَ في مِيناءِ الإسكندرية، فقال أُمِيَّةٌ للأَفْضَلِ إنه قادِرٌ على إِخْرَاجِهِ. وقَدَّمِ الأَفْضَلُ لأُمِيَّةَ جَمِيعَ ما طَلَبَ من المَعَدَّاتِ والأموال. ولكنّ أُمِيَّةَ خَابَ

(١) أَشْرَبَ من الكأس التي في يمينه خمرًا كخَدِّهِ وأَقْبَلَ وجنته فأجد تقبيلها لذيقاً كالخمر التي يحملها بيده.

في ذلك (راجع طبقات الأطباء ٢: ٥٣ وتاريخ العلوم عند العرب ٢٢٨-٢٢٩). وبعد ثلاثة أعوامٍ وشهرٍ، في ٥٠٥ هـ (١١١١ م)، خرج أُميّة من السجّنة. وبعد مدة ذهب إلى تونس فاستقبله أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس. وتوفي أُميّة في مدينة بجاية في عاشر المحرم من سنة ٥٢٩ (١١٣٤/١٠/٣٠).

٢- برع أُميّة بن عبد العزيز في الطبّ والفلك وفي الفلسفة وفي الطبيعيات والرياضيات والموسيقى. ومع ذلك فقد كان قديراً في فنون الأدب: كان شاعراً كثيراً اختار له العباد الأصفهاني في الخريدة (قسم المغرب ١: ١٨٩ - ٢٧٠) نحو ألف ومائة بيتٍ على جميع حروف الهجاء، ما عدا الذال (أخت الدال) والواو، قصيداً ورجزاً، ومن أبواب الشعر المختلفة من المديح والتّهنئة والثناء والهجاء والوصف والخمر والغزل والنسيب (مع شيء من الدّعابة، والمجون أحياناً) والأدب والحكمة والإخوانيات والألغاز. وله المقاطع القصار والقصائد الطوال. ثم هو ناقدٌ بارعٌ في شعره وفي نثره. قال مثلاً (الخريدة، قسم المغرب ١: ٢٥٩):

جرّد معاني الشعر، إن رُمته كما تُوقى اللّوم والطّغنا.
ولا تراعى اللفظ من دُونها؛ فاللفظُ جِسمٌ روحه المعنى.
ولأُميّة بن عبد العزيز اللّفتة التالية في النقد (الخريدة - قسم المغرب ٢: ٣١):
وقال (المعتمد بن عباد) في جارية يُحبّها، وهي بين يديه تسقيهِ والكأسُ في يديها،
إذ لمع البرق، فارتاعت فقال:

روّعها البرق، وفي كفّها برقٌ من القهوة لَمّاع^(١).
باليّت شعري - وهي شمسُ الضحى - كيف من الأنوار ترتاع.
(واتفق أن المعتمد بن عباد أنشد البيت الأوّل أمام عبد الجليل بن وهبون وطلب منه أن يُجيزه). فقال ابن وهبون:

(١) القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

ولن ترى أعجبَ من آنسٍ^(١) من مثل ما يُفسِكُ يرتاعُ^(٢).

فقال أبو الصلتِ في (كتابه) الحديقة:

هذا البيتُ (لآبن وهبون) أجودُ، لجودةِ ترتيبِ اللفظِ معَ جودةِ المعنى، وللمطابقة (التضادُ التامُ، في البلاغة) بينَ لفظي الأُنسِ والآرتِيعِ وتشبيهِ لمعانِ الخمرِ بلمعانِ البرقِ، وإن كان بيتُ الأميرِ (المعتمدِ بن عباد) جيِّداً.

وكان له من الكتب: الرسالةُ المصرية (ذكر فيها ما رآه في مصرَ من هيئتها وآثارها وذكرَ من اجتمعَ بهم فيها من الأطباءِ والنُجَّمينَ والشُعراءِ وغيرهم من أهلِ الأدب). وقد ألَّفَ هذه الرسالةَ لأبي الطاهرِ يحيى بن تميمٍ - كتاب الأدويةِ المفردة (على ترتيبِ الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وقد رتبه أحسنَ ترتيب) - الملحُ العصريةُ من شعراءِ أهلِ الأندلس والطائرين عليها - رسالة في الموسيقى - كتاب في الهندسة - رسالة في العمل بالأسطرلاب - تقويم منطقِ الذهن (طبقات الأطباء ٢: ٦٢). وله أيضاً: ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، كتاب الديباجة في مفاخرِ صنهاجة - ديوان رسائل - الحديقة في مختار أشعار المحدثين (معجم الأدباء ٧: ٦٤).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أُمَيَّةُ بنُ عبدِ العزيزِ يَصِفُ الثُّرَيَّا^(٣):

رَأَيْتُ الثُّرَيَّا لَهَا حَالَتَانِ مَنْظَرُهَا فِيهَا مُفْجَبُ:
لَهَا عِنْدَ مَشْرِقِهَا صُورَةٌ يُرِيكَ مُخَالَفَهَا الْمَغْرِبُ^(٤).
فَتَطْلُعُ كَالْكَأْسِ إِذْ تُسْتَحَثُّ وَتَغْرُبُ كَالْكَأْسِ إِذْ تُشْرَبُ^(٥)!

(١) يرتاع: تخاف.

(٢) آنس (يسكن مع الإنسان، مطمئن). من مثل ما يفسك (الخمر التي يحملها في كفه).

(٣) الثريا مجموعة نجوم يُرى منها سبعة نجوم بالعين المجردة.

(٤) شكلها في رأي العين مختلف حينما تطلع (في المشرق) منه حينما تغرب (في المغرب).

(٥) حينما تطلع ترى طويلة (كالكأس المحمولة في الكف) وحينما تغرب ترى مائلة وقصيرة (كالكأس حينما يشرب الشارب بها).

- شكوى:

مارستُ دهري وجربتُ الأنامَ فلم أحمذهم قطُّ في جدِّ وفي لعبِ.
وكم تمنيتُ أن ألقى به أحداً يُسلي من الهُمِّ أو يُعدي على النُوبِ^(١):
فما وجدتُ سوى قومٍ، إذا صدَّقوا كانت مواعيدُهم كالآلِ في الكذبِ^(٢).
وكان لي سببٌ قد كنتُ أحسبه أخطى به، فإذا دأى من السببِ^(٣):
فما مقلَّم أظفاري سوى قلَمي، ولا كتائبُ أعدائي سوى كُتبي^(٤)!

- من قصيدة في مدح أبي الطاهر يحيى بن تميم (وفيها نفحة من أبي فراس):

فلم أستسغ إلا نداءً ولم يكن ليَعْدِلَ عندي ذا الجَنابِ جنابُ^(٥).
فما كلَّ إنعامٍ يَخِفُّ أحتمله، وإن هطَلتْ منه عليَّ سحابُ^(٦).
ولكن أجلُّ الصنعِ ما جَلَّ ربُّه ولم يأت بابٌ دونه وحِجابُ^(٧).
وما شئتُ إلا أن أدلَّ عواذلي على أن رأيتُ في هواك صوابُ^(٨)،
وأعلمُ قوماً، خالفوني وشرَّقوا وغرَّبْتُ؛ إنِّي قد ظفرتُ وخابوا^(٩)!

- وقال أُميَّة بنُ عبد العزيز يمدحُ يحيى بن تميم بنِ المعزِّ الصنهاجيِّ (حكَم المَهديَّة

من سَنَةِ ٥٠١ هـ إلى سَنَةِ ٥٠٩ هـ). والظاهرُ أن هذه القصيدةَ في مدحِ وَلَدِه عليٍّ

(١) يُسلي (ينسى)... يُعدي (ينصر، يساعد) على النوب (جمع نائبة: مصيبة).

(٢) الآل: السراب (يرى من بعيد كأنه ماء، فإذا جفَّه لم تجده شيئاً).

(٣) سبب أخطى (أنال خطوة، مكانة عند الناس): شعري وعلمي.

(٤) مقلَّم أظفاري (مانعي عن نيل حقِّي).

(٥) لم استسغ: (أره سهلاً في حنجرتي) لم أحتمل نداء: كرمه وجوده. يعدل: يساوي الجَناب: جانب الأرض، البلد.

(٦) هطل: كثر سقوط المطر (منه).

(٧) أجلُّ (أعظم) الصنع (المعروف) ربِّه: صاحبه (المنعم بالمعروف). لم يأت بابٌ... الخ.: لم يكن الوصول إليه صعباً.

(٨) عواذلي: الذين لاموني (في قصدك بالمدح).

(٩) هم ذهبوا إلى المشرق ليمدحوا ملوكه فخابوا، وأنا أتيت إلى المغرب (لأمدحك) فظفرت (نلت ما أمَلتَه).

المتولّي بعده، من سنة ٥٠٩ إلى سنة ٥١٥ هـ (راجع الخريدة، قسم المغرب ١: ١٩٣،
الحاشية الرابعة):

وما أَعترفُ المجدُ إلّا لكم، فليس إلى غيركم يُنسبُ^(١).
توارثتموه أباً عن أبٍ كما أَطردت في القنا الأكمبُ^(٢).
إذا بلدٌ ضاق عن آمِلٍ فعندكم البلدُ الأرحبُ^(٣).
بجيت يُنادي الندى بالعفاة: هلمّوا فقد طَفَحَ المِشربُ^(٤).
دنا كَرَمًا ونأى هَيَبَةً فتاه به الدستُ والموكبُ^(٥).
وسالت نَدَى ورَدَى كَفُّه: فهذا يُرجى وذا يُزهبُ^(٦).

- وله رَجَزٌ يشكو فيه البراغيثَ وفعلها في جسده:

وليلةٍ دائمةٍ الفسوقِ بعيدةٍ الممسى من الشروقِ^(٧).
كليلةٍ المتيمِّمِ المشوقِ أطالَ في ظلماتها تأريقي^(٨).
أخبثُ خلقي للأذى مخلوق. يرى دمي أشهى من الرّحيقِ^(٩).
يُعَبُّ فيه غيرَ مُستفيق. لا يتركُ الصُّبوحَ للغُبوقِ^(١٠).

-
- (١) المفروض أن المشرق كان عند المغاربة أفضل من المغرب. الشاعر الآن يقول: إنَّ وجود هذا المدوح جعل المغرب أفضل من المشرق. المطنب: المبالغ.
- (٢) القناة: القصبة. الكمب (العقدة في القصبة). أطرد: تتابع على استواء. (كلّ واحد منكم كان مثل كلّ سلف من أسلافه).
- (٣) الأرحب: الأوسع.
- (٤) الندى: الجود، الكرم. العافي: الذي يطلب المعروف. المِشرب: المكان الذي يشرب الناس منه. طَفَحَ المِشرب (كناية عن الخير الكثير والكرم الكثير عند المدوح).
- (٥) تاه: أعجب (بالبناء للمجهول) بنفسه. الدست: كرسى الحكم. الموكب (الذهاب إلى الحرب؟).
- (٦) الردى: الموت.
- (٧) الفسوق: الإظلام (اشتداد الظلام).
- (٨) المتيمِّم: الذي تيممه (أمرضه) الحبّ. التأريق (منع النوم).
- (٩) الرحيق: الخمر الصافية.
- (١٠) عبّ: شرب ملء فمه. غير مستفيق (غير واع، مستمرّ في العبّ). الصُّبوح والغُبوق (شرب الخمر صباحاً ومساءً). لا يتركُ الصُّبوح للغُبوق (يتصل شربه الخمر من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح).

لو بَسَّ فوقَ قَمَّةِ العَيَّوقِ ما عاقَه ذلك عن طُروقِ^(١) .
 كعاشقي أسرى إلى معشوق . أعلَمَ من بُقراطَ بالعُروقِ^(٢) :
 من أكحلٍ منها وباسليقي يَفْصِدُها بِمَبْضَعِ رَقِيقِ^(٣)
 من خَطَمِهِ المُذَرَّبِ الذَّلِيقِ فَصَدَّ الطَّبِيبَ الحاذِقِ الرَفِيقِ^(٤) .

- وفيما يلي عدد من المقاطع الجياد لأمية بن عبد العزيز:

- ١- جَدَّ بقلبي وعبث ثم مضى وما أكرث .
 واحرَبَـبَا من شادين في عُقَدِ الصبر نَفَث^(٥) .
 يَقتُلُ مَنْ شاءَ بَعْدَ خَيْبِهِ، وَمَنْ شاءَ بَعَث .
 فـأَيَّ وَدٍّ لم يَحْنُ؟ وأَيَّ عَهْدٍ ما نَكث؟
- ٢- وقائلة: « ما بالُ مِثْلِكَ خامِلاً؛ أأنتَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ أم أنتَ عاجِزُ؟ »
 فقلتُ لها: « ذنبي إلى القومِ أَنِّي لِمَا لم يحوزوه من المجدِ حائِز .
 وما فاتني شيءٌ سوى الحظِّ وَحدَه؛ وأما المعالي فهي عندي غرائِزُ! »
- ٣- إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادِي، وكلُّ العالمين أَقاري* .
- ٤- سَكَنْتُكِ يا دارَ الفناءِ مُصَدِّقاً بَأَنِّي إلى دارِ البقاءِ أَصيرُ^(٦) .
 وأَعْظُمُ ما في الأمرِ أَنِّي صائرٌ إلى عادِلٍ في الحِكمِ ليس يَجورُ^(٧) .

(١) العَيَّوقُ: نجم . عاقَه: أَخْرَه . الطُروقُ: الطلوع (الوصول إلى).

(٢) أسرى: سار ليلاً (المحبَّ يَهْدِي إلى محبوبه في جميع الأحوال) . بقراط طبيب يوناني قديم كان بارعاً في التطبيب .

(٣) الأكحل (الأزرق): ويريد يحمل الدم الوسخ إلى القلب والرتتين لينقى . الباسليق (يبدو أَنه من العروق التي تحمل الدم) .

(٤) السيف الذرب: الحادّ، الماضي، القاطع . اللسان الذلق: الطلق البليغ .

(٥) الشادن: الغزال الصغير . نفث: تغلّ، بصق، (كانت الساحرات يتمنّين لشخص أمنية شرّ في الأكثر ثم ينفثن عليها ليربطن المسحور) . نفث في عقد الصبر (جعلني مربوطاً بالصبر: أَصبر ولا أَصل إلى ما أَرغب فيه) أو هو جعلني لا أَصبر عن حبه .

* راجع ص ٩٣ .

(٦) دار الفناء (هذه الدنيا) . دار البقاء (الآخرة) .

(٧) إلى عادِل (إلى الله) . يَجور: يظلم .

فيا ليت شعري، كيف ألقاه عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرٌ^(١).
 فإن أكَ مَجْزِيًّا بذنبي فَأَنْتَ بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرٌ^(٢).
 وإن يك عفوٌ منه عني ورحمةٌ فَمَنْ نَعِمٌ دَائِمٌ وسرورٌ^(٣).
 ٥ - ومَهْفَهِفٍ شَرَكْتَ محاسنُ وجهه ما مَجَّهٌ في الكاس من إبريقه^(٤).
 ففِعَالُهَا من مُقْلَتَيْهِ، ولونُهَا من وجنتَيْهِ، وطعمُهَا من ريقه^(٥).

٤ - الرسالة المصرية (مطبوعة في نوادر المخطوطات: (نشرها عبد السلام محمد هارون)، القاهرة
 (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م.
 - تقوم الذهن، بحريط ١٩١٥ م.

★★ معجم الأدباء ٧: ٥٢ - ٧٠، المغرب ١: ٢٥٦ - ٢٥٧، المقتضب من تحفة القادم ٣،
 الخريدة (المغرب) ١: ١٨٩ - ٢٧٠، ابن الأثير ١١: ١٨، وفيات الأعيان ١: ٢٤٣ -
 ٢٤٧، ٤٦٥، طبقات الأطباء ٢: ٥٢ - ٦٢، نفح الطيب ١: ٤٩٦ - ٤٩٨، ٢: ١٠٥ -
 ١١٠، ٣: ٤٨٠ وما بعد (مختارات)، شذرات الذهب ٤: ٨٣ - ٨٥، دائرة المعارف
 الإسلامية ١: ١٤٩، بروكلمن ١: ٦٤١، الملحق ١: ٨٨٩، مختارات نيكل ١٦٠ -
 ١٦٢، الأعلام للزركلي ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢: ٢٣)، سركيس ٣٢٠.

الفتح بن خاقان الإشبيلي

١ - هُوَ أَبُو نَصْرِ الْفَتْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَاقَانَ الْقَيْسِيِّ
 الإشبيلي، وَلَدَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا صَخْرَةُ الْوَلَدِ قُرْبَ قَلْعَةٍ يَحْصُبُ مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةِ.
 ويبدو أنه نشأ فقيراً مُهْمَلًا فشبَّ شَرِيرًا نَاقِمًا مُغَامِرًا خَلِيعَ الْعِذَارِ كَثِيرَ الْأَسْفَارِ
 سَرِيعَ التَّنَقُّلِ، لَا يُقِيمُ وَزْنًا لِفَضِيلَةٍ وَلَا يُرَاعِي حُرْمَةَ لَذِي مَكَانَةٍ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَافِرَ
 الذِّكَاةِ وَالنَّشَاطِ.

- (١) زادي (من التقوى والأعمال الصالحة).
- (٢) جدير: خليق، مستحق.
- (٣) ثم: هنالك (في الآخرة).
- (٤) المهفف: الضامر البطن الدقيق الخصر. فعل جال وجهه فعل الخمر. مجّه: لفظه، أخرجه، صبه.
- (٥) إبريقه (إبريق الخمر). ففعالها: فعال الخمر (الإسكار).

وقد تَلَقَّى الفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَيْئاً مِنْ فَنُونِ الْأَدَبِ عَلَى ابْنِ عَبْدِوَيْ (ت ٥٢٩ هـ) -
وعلى ابْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّوسَيَّ (ت ٥٢١ هـ) خَاصَّةً. ثُمَّ كَتَبَ لِنَفَرٍ مِنَ الْوَلَاةِ، وَلَكِنْ لَمْ
يَكُنْ يَسْتَقِرُّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً، لِأَنَّهُ كَانَ يُصْرَفُ مِنَ الْخِدْمَةِ وَشَيْكاً لِانْفِاسِهِ فِي
الشَّهَوَاتِ وَاسْتَهْتَارِهِ بِهَا وَلِجُرْأَتِهِ عَلَى النَّاسِ بِالْهَجَاءِ وَالثَّلْبِ. وَقَدْ كَتَبَ مَدَّةَ سِيرَةٍ
لِوَالِي غَرْنَاطَةِ أَبِي يَوْسَفَ تَاشَفِينَ بْنِ عَلِيٍّ ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ لِاسْتِثْنَائِهِ تَطَوُّفِهِ حَتَّى
وَصَلَ إِلَى مَرَّاكُشَ.

وفي ٢٢ من الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (١١٣٤/١١/١٣ م) قُتِلَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ فِي
قُنْدُقٍ كَانَ يَنْزِلُ فِيهِ فِي مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ، قِيلَ بِتَحْرِيسٍ مِنْ سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ أَبِي
الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشَفِينَ.

٢- كان الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ أَدِيباً بَارِعاً كَثِيرَ التَّكَلُّفِ فِي الصَّنَاعَةِ حَازِقاً فِي
التَّلَاعُبِ بِالْأَلْفَاظِ وَفِي اقْتِنَاصِ التَّشَابِيهِ وَالِاسْتِعَارَاتِ. أَمَّا شِعْرُهُ فَقَلِيلٌ جِدًّا عَادِيٌّ
الْمَعَانِي مَعَ لَمَحَاتٍ عَارِضَةٍ.

وَتَقُومُ شُهْرَةُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عَلَى كِتَابَيْنِ لَهُ، هُمَا:

« قَلَائِدُ الْعِيقَانِ »، وَقَدْ أَلْفَهُ بَيْنَ سَنَةِ ٥٠٦ وَسَنَةِ ٥٢١ هـ وَقَدَّمَهُ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي
إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشَفِينَ. أَحَبَّ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ أَنْ يُقَلَّدَ ابْنَ بَسَامٍ فِي
« الذَّخِيرَةِ » بِاخْتِيَارَاتٍ مِنْ أَشْعَارِ مُعَاَصِرِهِ مَعَ تَنْتَبِ طَرِيقَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِمْ، مِنْ
غَيْرِ التَّزَامِ مِنْهَاجٍ أَوْ اسْتِقْصَاءٍ، مَصُوغَةً فِي نَثْرِ فَنِّيٍّ أُنِيقٍ. غَيْرَ أَنَّهُ قَصَرَ عَنِ ابْنِ
بَسَامٍ فِي أَمْرَيْنِ: فِي الْإِحَاطَةِ بِالشُّعْرَاءِ مِنْ مُعَاَصِرِهِ ثُمَّ فِي التَّزَامِ التَّقْسِيمِ الْجُغْرَافِيِّ
وَالِاجْتِمَاعِيِّ (رَاجِعِ الْكَلَامَ عَلَى ابْنِ بَسَامٍ). عِنْدئِذٍ كَتَبَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ
مَشَاهِيرِ عَصْرِهِ (وَأَغْنِيَاثِهِ) يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِمْ خَاصَّةً، فَمِنْ لَبَّاءِ مِنْهُمْ سَرِيعاً
وَأَعْطَاهُ كَثِيراً ذَكَرَهُ ذِكْراً حَسَناً، وَإِلَّا أَهْمَلَهُ أَوْ أَسَاءَ ذِكْرَهُ. وَيَسْتَشْهَدُونَ فِي هَذَا
الْبَابِ بِابْنِ بَاجَهٍّ، فَقَدْ أَسَاءَ الْفَتْحُ ذِكْرَهُ فِي الْقَلَائِدِ (الترجمة الأخيرة) ثُمَّ ذَكَرَهُ فِي
« مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ » (بَعْدَ أَنْ اتَّقَى ابْنُ بَاجَهٍّ شَرَّهُ، فَمَا يَبْدُو، بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالَ) ذِكْراً
مُؤَرِّىً: يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ.

أما كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس » فهو (من حيث أسلوب السرد) على غرار « قلائد العقيان »، ولكن في نفر ماتوا. ولقد حمله الوزير أبو العاص حكم بن الوليد على جمع هذا الكتاب (ص ٢، المقدمة).

٣ - مختارات من آثاره:

- « وأحسن ما أنشدَه (الفتحُ بنُ خاقان) من شعره قوله » (المغرب ١ : ٢٥٥):

سَقَى أَرْضَ حِمَصٍ بِالْأَصِيلِ وَالضُّحَى سَحَابٌ كَدَمَعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْجُمُ^(١).
وَمُدَّتْ بِهَا لِلرَّوْضِ أَبْرَادُ سُندُسٍ تُطَرِّزُهَا كَفُّ الْغَامِ وَتَرْقُمُ^(٢).
وَحَيًّا الْحَيَا أَرْضَ الْغُرُوسِ وَرَوْضَهَا بِحَيْثُ التَّوَى فِيهِ مِنَ النِّهْرِ أَرْقَمُ^(٣)!

- وقال يَصِفُ الحُصْنَ الزَّاهِرَ (في إشبيلية)، في ترجمة الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ (قلائد العقيان ٢٧):

.... وَكَانَ الحُصْنَ الزَّاهِرُ مِنْ أَجْمَلِ الْمَوَاضِعِ لَدَيْهَا وَأُنْهَاهَا * وَأَحَبَّهَا إِلَيْهِ
وَأَشْهَاهَا * لِإِطْلَالِهِ عَلَى النِّهْرِ * وَإِشْرَافِهِ عَلَى الْقَصْرِ * وَجَمَالِهِ فِي الْعِيُونِ * وَاشْتِمَالِهِ
بِالشَّجَرِ وَالزَّيْتُونِ * وَكَانَ لَهُ بِهِ مِنَ الطَّرَبِ * وَالْعَيْشِ الْمُزْرِيِّ بِجَلَاوَةِ الضَّرَبِ^(٤) *
مَا لَمْ يَكُنْ يُجَلِّبُ لَبْنِي حَمْدَانَ * وَلَا لِسَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ فِي رَأْسِ غُمْدَانَ^(٥) * وَكَانَ
كَثِيرًا مَا يُدِيرُ بِهِ رَاحَهُ^(٦) * وَيَجْمَلُ فِيهِ انْشِرَاحَهُ * فَلَمَّا اسْتَدَّ إِلَيْهِ الزَّمَانُ

(١) حص: إشبيلية. الأصيل: بين العصر وغياب الشمس. الضحى: بعد قليل من ارتفاع الشمس. استهلّ (الدمع والمطر) بدأ يسقط. سجم: كثر سقوطه.

(٢) البرد: الثوب. السندس: ثوب رقيق من الحرير. رقم فلان الثوب: جعل فيه علامات ونقوشاً (أنبت المطر في الروض أنواعاً مختلفة من النبات).

(٣) حياً: ألقى التحية والسلام. الغروس (٤). الأرقم: الشاعر هنا يشبه النهر في سيره المتعرج بالحية في سيرها المتلوي.

(٤) المزري: الذي يزري (يعيب). الضرب: العسل.

(٥) بنو حمدان: قوم سيف الدولة حكّام الموصل وحلب. ذو يزن من ملوك اليمن. غمدان أم قصر في اليمن.

(٦) الراح: الخمر.

بَعْدُوانِهِ^(١) ★ وَسَدَّ عَلَيْهِ أَبْوَابَ سُلْوانِهِ^(٢) ★ لَمْ يَحِجَّ إِلَّا إِلَيْهِ ★ وَلَمْ يَتَمَنَّ إِلَّا الْحُلُولَ
لَدَيْهِ ★ فَقَالَ (المُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ):

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبَيْنِ أَسِيرٌ سَيَبْكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ

- من أسلوب الفتح بن خاقان (من مقدمة «قلائد العقيان»):

الحمد لله الذي راضَ لنا البيانَ حتَّى انقَادَ فِي أعْيُنِنَا وشَادَ مِثْوَاهَ فِي أجْنَتِنَا^(٣)،
وَذَلَّلَ لَنَا مِنَ الفَصَاحَةِ مَا تَصَعَّبَ فَمَلَكْنَاهُ وَأَوْضَحَ لَنَا مِنَ مُشْكَلاتِهَا مَا تَشَعَّبَ
فَسَلَكْنَاهُ، فَصَارَ لَنَا الْكَلَامُ عَبْدًا يَجِيبُ إِذَا نَادَيْنَاهُ وَسَهْمًا يَصِيبُ الْفَرَضَ إِذَا
رَمَيْنَاهُ... وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْأَدَبَ أَجَلٌ مَا أَلْتَحَفْتُهُ الْهِمَّةُ وَعَرَفْتُهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ. فَإِنَّهُ مُطْلَقُ
اللسانِ مِنْ عِقَالٍ وَمُنْطَقُ الْإِنْسَانِ بِصَوَابِ الْمَقَالِ. وَلَهُ مِنَ النُّثْرِ وَالنَّظْمِ نَجْمَانِ صَارَتِ
الْقُلُوبُ لَهَا فَلَكَأَ وَالْخَوَاطِرُ مَسْلُكًا..... وَلَمَّا رَأَيْتُ عِزَّانَهُ فِي يَدِ الْإِمْتِحَانِ وَمِيدَانَهُ
قَدْ عَطَّلَ مِنَ الرِّهَانِ، وَبَوَاتِرَهُ قَدْ صَدَّيْتُ فِي أَغْمَادِهَا وَشَعْلَهُ قَدْ قَذَيْتُ^(٤) بِرَمَادِهَا،
تَدَارَكْتُ مِنْهُ الذَّمَاءُ الْبَاقِيَّ وَتَلَاقَيْتُ لَهُ نَفْسًا قَدْ بَلَغَتْ التَّرَاقِيَّ^(٥) وَانْتَخَبْتُ مِنْهُ لُمَعًا
كَالسَيْفِ الْمُرْهَفَةِ وَالشُّفُوفِ الْمُفَوِّقَةِ^(٦).... وَانْتَقَيْتُ مِنْ تَوَلِيدِهِ الْمُخْتَرَعَ وَتَجْدِيدِهِ
الْمَبْتَدَعَ لُمَعًا يَهْرُهَا الزَّمَانُ عِطْفَهُ انْتِشَاءً وَتَرَوْقُ كَالنَّجُومِ طَلَعَتْ عِشَاءً..... لِيُعْلَمَ
أَنَّ بِالْأَوَانِ افْتِنَانًا جَرَتْ لَهُ الْعَوَائِقُ بَنَانًا وَبَيَانًا^(٧) فَأَبَقْتُ مِنْهُمْ أَثْرًا لَا عِيَانًا^(٨)،

(١) اسْتَدَّ (اتَّجَهَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ). الْعِدْوَانُ: الْإِعْتِدَاءُ (بِالْمَصَائِبِ).

(٢) السُّلْوانُ: النِّسْيَانُ، التَّسْلِي عَنْ الْهَمِّ.

(٣) الْعِنَانُ: الرِّسْنُ. أَجَنَّةٌ، جَمْعُ جَنِينٍ: الطِّفْلُ مَا دَامَ فِي الرَّحِمِ (بِفَتْحِ فَكْسٍ). شَادَ (بَنَى) مِثْوَاهَ (بَيْتَهُ) فِي
أَجْنَتِنَا (مِنْذُ كُنَّا أَجَنَّةً: قَبْلَ أَنْ نُولِدَ، مِنْذُ زَمَنِ قَدِيمٍ).

(٤) مِيدَانُهُ عَطَّلَ مِنَ الرِّهَانِ: تَوَقَّفَ جَرِي الْخَيْلِ فِيهِ (خِلَا مِنَ الْأَدْبَاءِ). الْبَاتِرُ: السَّيْفُ. قَذَيْتُ الْعَيْنَ:
نَشَأَ فِيهَا قَذَى (وَسُخٌّ).

(٥) الذَّمَاءُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْجَسَمِ. بَلَغَتْ النَفْسُ التَّرَاقِيَّ (أَعْلَى الصَّدْرِ) أَصْبَحَ مَوْتَ صَاحِبِهَا قَرِيبًا.

(٦) الْمُرْهَفَةُ: الرِّقِيقَةُ، الْمَاضِيَّةُ، الْقَاطِعَةُ. الشَّفْ (بِفَتْحٍ أَوْ بَكْسٍ): النِّسِيجُ الرِّقِيقُ. الْمَفُوقُ: الْخَتْلَفُ
الْأَلْوَانِ.

(٧) افْتِنَانٌ: تَفَنُّنٌ، تَنْوَعٌ. الْبَنَانُ (رُؤُوسُ الْأَصَابِعِ) وَالْبَيَانُ (وَضُوحُ التَّيْدِيرِ). بَنَانًا وَبَيَانًا (؟) كِتَابَةٌ
وإنشاداً.

(٨) الْأَثَرُ: الْعَلَامَةُ الْبَاقِيَّةُ بَعْدَ زَوَالِ الشَّيْءِ. الْعِيَانُ: الشَّيْءُ الْمَائِلُ يَرَى بِالْعَيْنِ.

وَرَجَالًا لَمْ تَفْسَحْ لِإِبْدَاعِهِمْ مَجَالًا فَأُظْهِرْتُ مَا خَفِيَ مِنْ فَخَارِهِمْ وَدَلَّلْتُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي الْمَعَارِفِ وَأَقْدَارِهِمْ. وَاسْتَثْبِتْتُ فِي انْتِقَاءٍ مِنْ أَثْبَتْتُ^(١)، وَانْتَخَبْتُ مَا جَلَبْتُ وَشَنَّفْتُ^(٢)، حَتَّى أَتَى وَكَأَنَّ الْبِدْرَ فِي لَبَّتِهِ^(٣) وَنَسِيمَ الْمِسْكِ مِنْ هَبَّتِهِ وَلَمْ يَزَلْ شَخْصُ الْأَدَبِ وَهُوَ مُتَوَارٍ^(٤)، وَزَنْدُهُ غَيْرُ وَارٍ وَجَدُّهُ عَائِرٌ وَمَنْهَجُهُ دَائِرٌ^(٥) إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ اعْتِلَاءَ أَسْمِهِ وَإِحْيَاءَ رَسْمِهِ وَإِنَارَةَ أَفْقِهِ وَإِعَادَةَ رَوْنَقِهِ، فَبَعَثَ مِنَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَوْسُفَ تَاشَفِينَ^(٦) مَلِكًا عَلِيًّا غَدَا لِلَّيَّةِ الْمَجْدِ حُلِيًّا وَلَمَّا أَنْارَتْ (بِهَ تَلَك) الْأَفَاقُ وَعَادَ بِهِ كَسَادُ الْفَضْلِ إِلَى النِّفَاقِ^(٧)، رَأَيْتُ أَنْ أَخْذَمَ مَجْلِسَهُ الْعَالِي بِزَفٍّ (هَذَا الْكِتَابِ) إِلَيْهِ فَوَسَّمْتُهُ بِأَسْمِهِ وَكَسَوْتُهُ نُورَ رَسْمِهِ

- وَمِنْ أَسْلُوبِهِ أَيْضًا (قِلَائِدُ الْعُقَيَّانِ، ص ١٥٤ - ١٥٥) - مِنْ تَرْجُمَةِ «الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى»:

مَنْ بَلَغَتْ هِمَّتُهُ السَّمَاءَ وَجَلَّتْ أَسْرَتُهُ^(٨) الظُّلُمَاءُ، لَهُ الرُّتَبُ الْمَكِينَةُ وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَةُ. أَخْذَمَ يِرَاعَهُ الْعَوَالِي^(٩) وَاسْتَخْدَمَ الْأَحْرَارَ وَالْمَوَالِي، وَأَقَامَ بِدَوْلَةِ آلِ ذِي النُّونِ وَأَقْعَدَ وَتَبَوَّأَ سِهَاكَهَا^(١٠) وَاقْتَعَدَ. فَسَمَا بِهِ قَدْرُهَا وَهَمَى بِسَبِيهِ قَطْرُهَا^(١١) وَحَسَّنَتْ

(١) وَاسْتَثْبِتْتُ فِي انْتِقَاءٍ مِنْ أَثْبَتْتُ: طَلَبْتُ التَّثْبِتَ (الْوَثُوقَ) مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ ضَمَنْتَهُمْ كِتَابِي. (فِي رَأْيِي).

(٢) الشَّنْفُ (بِالْفَتْحِ): الْقِرْطُ (الَّذِي يَمْلُقُ فِي الْأُذُنِ): شَنَّفْتُ الشَّيْءَ: زَيَّنْتُهُ، حَلَيْتُهُ.

(٣) اللَّبَّةُ: أَعْلَى الصَّدْرِ.

(٤) مُتَوَارٍ: مُحْتَجِبٌ، مُحْتَفٍ. زَنْدُهُ (الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَقْدَحُ بِهَا النَّارَ مِنْ حَجَرِ الصُّوَانِ) غَيْرُ وَارٍ (لَا يَشْعَلُ شَيْئًا) - لَا تَنَاجُ أَدَبِيًّا فِيهِ.

(٥) دَائِرٌ: مُحَوٍّ.

(٦) هُوَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ مَلِكِ (وَالِيِ) شَرْقِيِّ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ أَدَبِيًّا؛

(٧) النِّفَاقُ (بِالْفَتْحِ): الرُّوَاغُ (ضَدُّ الْكَسَادِ).

(٨) الْأَسْرَةُ (هُنَا) خُطُوطُ الْوَجْهِ (مَلَامَحُهُ).

(٩) الْيِرَاعُ: الْقَلَمُ. الْعَوَالِي (جَمْعُ عَالِيَةٍ): صَدْرُ الرَّمْحِ، الْقِسْمُ الْأَعْلَى مِنْهُ: الرَّمَاخُ. (جَعَلَ الرَّمَاخَ (الْحَرْبِ) خَدَمًا (تَطْعِمَ) قَلَمَهُ (أَوَامِرَهُ) (؟)).

(١٠) السِّهَاكُ بَرَجٌ (مَجْمُوعُ نَجُومٍ).

(١١) هَمَى (أَنْهَلَ، سَقَطَ) بِسَبِيهِ (بِعِطَانِهِ) قَطْرُهَا (مَطَرُهَا): كُلُّ الْخَيْرِ مِنْهُ.

سيرها وأمنت غيرها. وحُمدت أيامها ووردت جِام الأمانى خيامها^(١). وله أدبٌ غَضَّ
المقاطفِ رطبُ المعاطف. إن تثرَ فالنجومُ في أفلاكِها أو نَظَمَ فالجواهرُ في أسلاكِها.
قد أخذَ بمجامعِ القلوبِ كُلِّه وأغذَّ^(٢) في طُرُقِ الإبداعِ قَلَمه. وقد أثبتَ له ما
تستهديه زهراً^(٣) وترتديه بُرداً مُحَبَّراً^(٤). فمن ذلك قوله يُخاطبُ أبا عيسى بنَ
لبونَ. وافر^(٥):

أبا عيسى، أتذكُرُ حينَ كُنَّا على هامِ الكواكبِ نازلينا،
نَدوسُ بخيلنا زهرَ الثُريا ونُوردها الحجرَ إن ظَمِينا^(٦)،
وننزلُ جَنَّةَ الأسدِ اعتسافاً إذا ما البدر مرَّ بها كميناً^(٧)...

- ٤ - أنموذج تحليلي يعطي قطعاً من ابن خاقان عن ابن زيدون (هنريكوس انجلينوس وايزر -
فايزر)، ليدن (بريل) ١٨٣١ م (١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ).
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان (المعنى بتصحيحه عبده سليمان الحرائري)، (باريس)
١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)؛ بولاق ١٢٨٣، ١٢٨٤؛ الآستانة ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة
التقدم العلمية) ١٣٢٠ هـ؛ (قدم له محمد العناني)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، القسطنطينية ١٢٨٣ هـ؛
القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠، ١٣٢٥، ١٣٢٨ هـ.
* * المغرب ١: ٢٥٤ - ٢٥٥؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٣٨ - ٥٤٨ (ترجمة الفتح بن
خاقان)، ٢: ١٧٣ - ٣٣٧ (إشارات متفرقة)، ٣: ٣٥٥ - ٥٣٨ (نقول من القلائد في
الأكثر ومن المطمح في الأقل)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦١٠ - ٦٢٤؛ معجم الأدباء ١٦:

- (١) ورد: ذهب إلى الماء. الجِام جمع جَمَّة (بالضم): معظم الماء - هذا تضمين من قول زهير بن أبي سلمى:
فلَمَّا وردن الماء زرقاً جامه وضمن عصيَ الحاضر المتخيم.
(زرقاة الماء، هنا، كناية عن صفاء الماء الذي لم يكدُرْه بعد أحد بالتزول عليه قبلهن).
(٢) أغذَّ: أسرع.
(٣) زهر (بالفتح) مفرد أزهار (وبالضم) جمع أزهر (لامع) كناية عن النجوم.
(٤) حَبَر: حَبَر البرد أو الثوب: وشاه وطرزَه.
(٥) لأبي عيسى بن لبون ترجمة مفردة (ت بعيد ٤٩٠ هـ). وافر (من البحر الوافر).
(٦) داس: دعس. زهر (بالضم) - راجع الحاشية رقم (٩) أعلاه. الحجر: أمّ النجوم (نجوم كثيرة متقاربة
ترى ممتدة في عرض السماء كأنها نهر. ظمى: عطش (في القافية إقواء: اختلاف).
(٧) اعتسافاً: بقوة وعنف. كميناً (٩): كمين لمجمع الإناث الفائبات (من «كمن»: استهتر).

١٨٦ - ١٩٢؛ معجم ابن الأبار رقم ٢٨٥؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٣ - ٢٤؛ الذيل
 والتكملة ٥: ٥٢٩ وما بعدها؛ فوات الوفيات ٢: ١٥٣ - ١٥٤؛ شذرات الذهب ٤:
 ١٠٧؛ نفح الطيب (نقول منه) ٢: ٦ - ٨، ٧٤ - ٧٥، ٢٤٥ - ٢٤٧، ٤٩٤ - ٤٩٦،
 ٥٢٣ - ٥٢٨، ٢٥٩: ٣ - ٢٦٠، ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥٥٢ - ٥٥٧، ٤: ٢٤ - ٥٥، ١٦٣ -
 ١٦٥، ٢٠٩ - ٢١٤، ٢١٨ - ٢٢١، ٢٤١ - ٢٤٨، ٢٥٧ - ٢٧٣، ٢٨٣ - ٢٨٧، ١٧: ٧ - ٢٤،
 ٢٩ - ٦١ ثم ١٨٣: ٣ (تعريف به)، ٤: ٧٢ (تقديم «القلائد» للأمير إبراهيم بن يوسف
 ابن تاشفين)، ثم ٢٣٢ - ٢٣٣ و ٤٢: ٥، ١٣٨ (أخبار عنه) ثم ٣٢٧: ٦ و ٢٢٠
 و ٩٧: ٧ (فيما يتعلق بأناس قلدوا أسلوبه)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٣ - ١٤٨ (نقول عنه)؛
 دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٨٣٦؛ بروكلمن ١: ٤١٣، الملحق ١: ٥٧٩؛ نيكل ٢٢٣
 (راجع ٥٣٥)؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٣٣ (١٣٣)؛ بالنشأ ٢٩٦ - ٢٩٩؛ سركيس
 ١٤٣٤ - ١٤٣٥

ابن عبدون

١- هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري، نسبة إلى يابرة، وهي
 بلدة في غربي الأندلس على نحو مائة كيلومتر من بطليوس غرباً في جنوب.

يبدو أن مولد ابن عبدون كان في منتصف القرن الخامس الهجري (نحو
 ١٠٦٠ م). وتلقى ابن عبدون العلم على أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي، كما
 روى من الأعلام الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) وأبي مروان بن سراج (ت ٤٨٩ هـ)
 وعاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ).

ولفتت عبقرية ابن عبدون نظر المتوكل عمر المظفر بن الأفطس منذ كان عمر
 يتولى بطليوس مع أخيه يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ) فقرب ابن عبدون وأكرمه؛ فلما
 توفي يحيى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) وانفرد عمر بالحكم اتخذ ابن عبدون
 كاتباً ووزيراً.

ولما فتح المرابطون بطليوس وقتلوا عمر المظفر وولديه العباس والفضل رثاهم
 ابن عبدون. ولكنه سرعان ما دخل في خدمة سير بن أبي بكر بن تاشفين فاتح
 بطليوس (٤٧٨ هـ)، فكان ذلك من المآخذ الكبار عليه لأنه جرح بذلك وفاءه للذين

كانوا سببَ نعمته. ولعلَّ الحاجة هي التي دفعت ابنَ عبدونٍ إلى التكبُّبِ ممَّن قَتَلُوا أولياءَ نعمته.

ولمَّا خَلَفَ عَلِيُّ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ تَاشِفِينَ أَبَاهُ عَلَى عَرْشِ الْمُرَابِطِينَ، ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)، اسْتَدْعَى ابْنَ عَبْدِوْنٍ إِلَى مَرَآكُشَ وَوَلَّاهُ الْكِتَابَةَ.

وعاد ابنُ عبدونٍ إلى يَابُورَةَ، قُبَيْلَ سَنَةِ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) - قيل لزيارة أهله؛ ولعلَّه فعلَ ذلكَ لِتَقْدَمِهِ فِي السِّنِّ وَلِعْجَزِهِ عَنِ الْقِيَامِ بِهَا مِثْلَ الدَّوْلَةِ مَعَ تَبَكُّيْتِ ضَمِيرِهِ عَلَى الدَّخُولِ فِي خِدْمَةِ الْمُرَابِطِينَ - ومكثَ فيها إلى أن تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - كان عبدُ المجيد بنُ عبدونٍ أديباً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُقَلَّاً. وكان عالماً بالخَبَرِ والأَثَرِ (الحديث) عارفاً بالتاريخ واسعَ الحِفظِ للأشعار. ولم يصلْ إلينا من شعر ابنِ عبدونٍ سوى بضعِ مَقْطَعَاتٍ وقصيدةٍ واحدةٍ تُعْرَفُ بالقصيدةِ العبدونيةِ لشهرتها في المغرب والمشرق وتدعى «البشامة»^(١). هذه القصيدةُ التي تقومُ عليها شهرةُ ابنِ عبدونٍ تتألف من خمسةٍ وسبعين بيتاً:

الْأَبْيَاتُ التِّسْعَةُ الْأُولَى مَقْدَمَةٌ عَامَّةٌ فِي عَادَةِ الدَّهْرِ وَغَدْرِ الدُّنْيَا. وَابْنُ عَبْدِوْنٍ يَنْصَحُ الْقَارِئَ بِالْأَيَّامِ بِغَفْلَةٍ الدَّهْرِ عَنْهُ مَدَّةٌ وَلَا بَأْسَ فِي الدُّنْيَا أحياناً من السرور. ثم تأتي ثمانيةٌ وثلاثون بيتاً يستعرض فيها ابنُ عبدونٍ ما فعل الدهر بالأفراد العظام وبالقبائل القويَّة وبالدول العظيمة قبل الإسلام وبعد الإسلام، عند العرب خاصَّةً وعند الفرس مع إشارة إلى اليونان.

ثم تأتي عشرون بيتاً في رثاء عُمرَ بنِ الأَفْطُسِ وولَدَيْهِ وإشهار مناقبهم وفي التفجُّع لهم والحزن عليهم.

(١) في بروكلمن (١: ٣٢٠، الملحق ١: ٤٨٠): البشامة والبشامة (بالتشديد فيها). وفي المغرب (١: ٣٧٦، الحاشية ١) البشامة (بلا تحريك) اسم للقصيدة. وفي المطرب (٢٧، الحاشية ٥): «البشامة» (بلا تحريك أيضاً): اسم الشرح الذي صنعه ابن يدرون لهذه القصيدة. والأصوب ما ذكره نيكل (ص ١٧٦): البشامة (بلا تشديد: اسم شجرة طيِّبة الرائحة - القاموس ٤: ٨٠)، يدلُّ على ذلك العنوان التام: البشامة بأطواق الحماية.

وختام القصيدة ثمانية أبيات يندب الشاعر حظّه في أربعة منها ثم يتساءل عمّن يمكن أن يقوم له مقامَ عمرَ بنِ الأَفسس وولديه. وهو لا يستكثر ذلك على الدهر ولا يستغربه من الدهر لأن الدهرَ في العادة كثيرُ التقلّب غريب الأطوار (البيتان ٧١ و٧٢ من القصيدة). وهذا هو الذي حمَلَ نَفراً من النقاد على أن ينسبوا قِلَّة وفاء ابنِ عبدونٍ لمن كانوا سببَ نعمته وشهرته. ثم يفخر الشاعرُ، في الأبيات الثلاثة الأخيرة، بهذه القصيدة ويتنبأ لها بأن تشتهر وتسير على الألسن.

والشاعر في قصيدته هذه صحيحُ المعاني متينُ الأسلوب مقتدرٌ في النظم بارع في العَرَض مع شيء من التأنق (الصناعة) وشيء من التكلف أحياناً. وتبدو مقدرة الشاعر وبراعته في أنه استطاع أن يَجْمَعَ في هذه القصيدة بين كثرة الإشارات التاريخية (المُجَانِبَةِ بطبعها للشعر) وبين سلاسة التركيب وطلاوة الشعر. وقد صدّق المُستشرقُ عبد الرحمن نيكُل البوهيمي حيناً قال: «وبخلاف ما زعمَ دوزي»^(١) وجميع الذين تبعوه في رأيه^(٢) من أن في هذه القصيدة جفافاً ومبالغات (جَوْفاً)، نجدُ أن هذه القصيدة تستحقُّ الشهرةَ التي تَمَتَّعَ بها بينَ العرب. أما القسم التاريخي منها فلا يَضِحُ إلا بالشرح الذي علّقه عليها ابنُ بدرون^(٣). وعلى قارئ هذه القصيدة أن يكونَ على علم تامٍّ بما تَصَنَّنَتْ مِنَ الإشارات التاريخية، على أن يكون هذا القارئ مُسلياً أو من الذين يَشْعُرُونَ شعورَ المسلمين. وحينئذٍ فقط يكونُ لها صدَى مستحبٌّ في نفسه.»

وكان ابنُ عبدونٍ مؤلفاً له كتابُ «الانتصار لأبي عُبيدة على ابن قتيبة».

-
- (١) في مقدّمته لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون.
(٢) راجع رأي دوزي موجزاً وشيئاً من التعليق عليه في كتاب «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف آخيل غنثالت بالنشيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م، ص ١١٩ - ١٢٠.
(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحضرمي الشلي (يكسر الشين)، يبدو أنه عاش مدّة في إشبيلية. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢١٢ م) في الأغلب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن عبدون من قصيدة طويلة (البشامة) يرثي بها بني الأفطس:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ، فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ^(١) ؟
أَنَّهُكَ أَنَّهُكَ - لَا أَلُوكَ مَوْعِظَةً - عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ^(٢) .
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ، وَإِنْ أَبَدَى مُسَالَمَةً؛ فَالْبَيْضُ وَالسُّمُّ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٣) .
فَلَا تَغُرَّنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا، فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ^(٤) .
مَا لِلْيَالِي؟ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا مِنَ اللَّيَالِي وَخَانَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ^(٥) .
تَسُرُّ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَغُرَّ بِهِ، كَالْأَنْيَمِ ثَارٍ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهْرِ^(٦) .
كَمْ دَوْلَةٍ وَلَيْتَ بِالنَّصْرِ خِدْمَتَهَا لَمْ تُبْقِ مِنْهَا - وَسَلَّ ذِكْرَاكَ - مِنْ خَيْرِ .



هَوْتُ بَدَارًا، وَقَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ، وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأُمْلَاكِذَا أَثَرِ^(٧) .

- (١) العين: البناء الشاخص أو الشخص المائل. الأثر: العلامة الدالة على ما كان موجوداً. - فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ: ما الفائدة من الحزن على شيء سيصبح غداً صورةً أو شيئاً.
- (٢) أَنَّهُكَ: أردك، أَمْنُكَ، لَا أَلُوكَ مَوْعِظَةً: لَا أَضُنُّ عَلَيْكَ بِمَوْعِظَةٍ (أُنْصَحُكَ بِمَجْمِيعِ النَّصَائِحِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْمُتَخَيَّلَةِ). أَنَّهُكَ عَنْ نَوْمَةٍ (الطَّمْثَانِ) بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ (بَيْنَ أَحْدَاثٍ فِي الْحَيَاةِ خَطَرَةٌ مِثْلُ أَنْيَابِ الْأَسَدِ وَأُظْفَارِهِ).
- (٣) حَرْبٍ (خَصَامٍ). الْبَيْضُ وَالسُّمُّ (الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي) كَالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ (السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ) فِي الْفَتْكِ بِالنَّاسِ.
- (٤) لَا تَغُرَّنْكَ (وَتَطْمَئِنِّ) إِذَا أَمْهَلْتِكَ الْأَيَّامُ فَلَمْ تَصْبِكَ (فِي فِتْرَةٍ مَا) بِمَصِيبَةٍ. الدُّنْيَا بِعَيْنَيْهَا تَكُونُ دَائِمًا سَاهِرَةً تَرْقُبُ، وَإِنْ بَدَتْ لَكَ أَنَّهَا نَائِمَةٌ (غَافِلَةٌ عَنْكَ).
- (٥) - مَا شَأْنُ اللَّيَالِي بِنَا (تَصْبِينَا فِي كُلِّ حِينٍ بِالْمَصَائِبِ)؟ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا: نَجَّأَنَا اللَّهُ مِنْهَا الْغَيْرَ: الْمَصَائِبَ وَالْأَحْدَاثَ. خَانَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَصَائِبَ بِالدُّنْيَا حَتَّى تَغْفَلَ عَنْهَا وَنَرْتَاحَ لَهَا مِنْهَا.
- (٦) الْأَيْمُ: الْحَيَاةُ. الْجَانِي: الَّذِي يَجْنِي (يَقْطِفُ) الزَّهْرَ. - إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يَدَّ يَدَهُ لِقَطْفِ زَهْرَةٍ (الطَّمْثَانَا) بِأَنْ الْأَزْهَارَ لَا خَطَرَ مِنْهَا عَلَى الْإِنْسَانِ) هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْهَا ثَمْبَانٌ.
- (٧) هَوْتُ بَدَارًا: سَقَطْتُ بِهِ (أَهْلَكْتُهُ). دَارًا: اسْمُ ثَلَاثَةِ مِنْ مَشَاهِيرِ مُلُوكِ فَارِسَ: دَارَا الْأَوَّلُ (ت ٤٨٦ ق. م. = ١١٠٨ ق. هـ) ائْتَصَرَ فِي مَعَارِكٍ كَثِيرَةٍ وَوَحَّدَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةَ وَقَامَ بِإِصْلَاحَاتٍ كَثِيرَةٍ ثُمَّ ائْتَهَزَمَ فِي مَعْرَكَةِ مَارَاثُونِ فِي بِلَادِ الْيُونَانِ (٤٩٠ ق. م.). دَارَا الثَّانِي هُوَ قَتَلَ أَخَاهُ مِنْ أَبِيهِ =

وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ
وَأَلْحَقَتْ أُخْتَهَا طَسْمًا، وَعَادَ عَلَى
وَمَزَقَتْ سَبَأَ فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ
وَأَنْفَذَتْ فِي كُلِّبِ حُكْمَهَا وَرَمَتْ
وَلَمْ تَرُدَّ عَلَى الضَّلِيلِ صَبْحَتَهُ
وَدَوَّخَتْ آلَ ذُبْيَانَ وَإِخْوَانَهُمْ
وَأَهْلَكَتْ إِبْرَوِيذًا بِابْنِهِ وَرَمَتْ
وَمَزَقَتْ جَعْفَرًا بِالْبَيْضِ وَاخْتَلَسَتْ
وَخَضَبَتْ شَيْبَ عُثْمَانَ دَمًا وَخَطَبَتْ

وَلَمْ تَدَعْ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثَرٍ^(١).
عَادَ وَجُرَّهُمْ مِنْهَا نَاقِضُ الْمِرَرِ^(٢).
فَمَا أَلْتَقَى رَائِحٌ مِنْهُمْ مُبْتَكِرٍ^(٣)!
مُهْلَهْلًا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصْرِ^(٤).
وَلَا ثَنَتْ أَسَدًا عَنْ رَبِّهَا حُجْرٍ^(٥).
عَبَسًا وَغَصَّتْ بَنِي بَدْرِ عَلَى النَّهْرِ^(٦).
بَيْرَدَ جُرْدَ إِلَى مَرَوْ فَلَمْ يَحِرْ^(٧).
مَنْ غِيلَهُ حَمْرَةَ الظَّلَامِ لِلْجَزْرِ^(٨).
إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمَرَ^(٩).

- = ثم حدث في أيامه اغتيالات كثيرة ثم توفي هو أيضاً (٣٣٠ ق.م.). دارا الثالث حاربه الإسكندر المقدوني، قتله أحد ضباطه. الغرب: حد السيف (ثم قتل قاتله؟). وقد كان هو عضباً (سيفاً قاطعاً) على (في قتال) الأملاك (الملوك) ذا أثر (فيهم: يتغلب عليهم).
- (١) سلبت بني ساسان (الفرس) ملكهم الذي كانت قد منحته إياه. وقضت على ملوك اليونان
- (٢) طسم وعاد وجرحهم من القبائل العربية البائدة (المنقرضة). المرة (بالكسر): القوة. ناقض الممر (مبطل، مضعف كل قوة).
- (٣) وشئت أهل سبأ (اليمن) بعد انفجار سد مأرب فتمرققوا في جميع نواحي الأرض.
- (٤) كليب وائل كان سيد قومه قتله جساس بن مرة (ولم يكن يدانيه في الشرف والقوة)، فآثار مهلهل (أخو كليب) حرب البسوس التي دامت أربعين سنة. ثم إن مهلهلاً اعتزل الحرب وترك أرضه ولم يعرف أحد بعد ذلك ما حدث له.
- (٥) امرؤ القيس الشاعر المشهور مات (شاعراً) غريباً عند أنقرة (في آسيا الصغرى) بالجدري (في الأغلب). وحجر (والد امرئ القيس) والملك على بني أسد، ثار عليه بنو أسد وقتلوه. الضليل لقب امرئ القيس.
- (٦) وكذلك أوقعت القتل والفناء في بني ذبيان وأولاد أعماهم بني عبس في حرب داحس والغبراء. غص: شرق (يفتح فكسر) ببني بدر على النهر (؟) الشاعر يستعمل «غص» متعدية، وهي لازمة.
- (٧) كسرى أبرويز الثاني قتله ابنه قباذ. يزدرج قاتله المسلمون فانهزم منهم فقتله بعض أتباعه. حار مجور: رجع. (لم يرجع إلى ملكه).
- (٨) جعفر الطيار (أخو علي بن أبي طالب) قتل في سرية مؤتة (٨ هـ) ووجد في جسمه تسعون طعنة. وحجرة ابن عبد المطلب (عم الرسول) قتل في معركة أحد (سنة ٣ هـ) ومضت هند بنت أبي سفيان (أخت معاوية) قطعة من كبده (حقداً عليه وانتقاماً) وكان هو كريماً ينحر الجزور (الإبل) ويطعم الناس.
- (٩) عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعمر بن الخطاب قتلوا قتلاً.

وَأُجْزِرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ
وَلَيْتَهَا، إِذْ فَدَتْ عَمْرَأَ بَخَارِجَةٍ،
وَفِي آيِنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنِ
فَبَعْضُنَا قَائِلٌ: مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ؛
وَلَمْ تُرَاقِبْ مَكَانَ آيِنِ الزُّبَيْرِ وَلَا
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السِّفَاحِ نَائِيَةً
وَأُشْرَقَتْ جَعْفَرًا، وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلِّ مُعْتَمِدٍ
وَرَوَّعَتْ كُلِّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنٍ

وَأُمَكَّنَتْ مِنْ حُسَيْنٍ رَا حَتَّى شَمِيرٍ (١).
فَدَتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ (٢) !
جَاءَتْ بِمُغْضِلَةِ الْأَلْبَابِ وَالْفِكْرِ (٣):
وَبَعْضُنَا سَاكِتٌ لَمْ يُؤْتِ مِنْ حَصْرِ (٤) !
رَاعَتْ عِيَادَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ (٥).
عَنْ رَأْسِ مَرَوَانَ وَأَشْيَاعِهِ الْفُجْرِ (٦)
وَالشَّيْخِ يُحْيَى، بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذَّكْرِ (٧).
وَأُشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلِّ مُقْتَدِرٍ (٨).
وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ (٩).

★ ★ ★

- (١) أبو حسن (علي بن أبي طالب) قتله عبد الرحمن بن ملجم. والحسين بن علي قتل في كربلاء، قتله شمر (بفتح فكسر) بن ذي الجوشن.
- (٢) عمرو بن العاص كان والياً على مصر. مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح ليصلي بالناس فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة (بضم الحاء) فقتل (وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص).
- (٣) ابن هند معاوية بن أبي سفيان انتزع الخلافة من علي بن أبي طالب (أو شركه فيها على الأصح) ثم اختار آل علي الحسن بن علي للخلافة، فتنازل الحسن عنها لمعاوية. ولم يكن ذلك منتظراً منه. المعضلة هي المشكلة التي لا حل لها.
- (٤) يقال إن معاوية وعد امرأة الحسن أن يزوجه ابنة يزيد إذا هي قتلت زوجها الحسن. وهنا جماعة لا يريدون أن يتكلموا في ذلك فسكتوا. الحصر: العجز عن الكلام.
- (٥) وعبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف الثقفي (والي بني أمية على الحجاز) وكان ابن الزبير قد التجأ إلى الكعبة. البيت (الكعبة). الحجر (الحجر الأسود).
- (٦) القضيبي: السيف. السفاح: أبو العباس (أول الخلفاء العباسيين). نائية (بعيدة). مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين). الفاجر: الفاسق الذي يرتكب المعاصي (الذنوب). كان أهل الأندلس (في الأكثر) يحبون بني أمية ويكرهون بني العباس.
- (٧) أشرق فلان فلاناً بالماء: أغصه (جعله يَغصُّ - بفتح الياء والغين - لا يسيغه). (هنا) الحياة أشرقت جعفرًا البرمكي (أماتته ميتة - بكسر الميم -) غصَّ فيها بدمه. ريق الصارم (السيف) الذكر (المصنوع من الحديد الذكر: الفولاذ). الفضل (أخو جعفر) ويحيى (أبو جعفر). لما نكب هرون الرشيد البرامكة لم يقتل منهم إلا جعفرًا، ولكنه صادر أموال الباقيين.
- (٨ و ٩) أوثق: قيد، ربط. العروة (بالضمة): الرباط. أشرق: أغص. - إن الخلفاء والأمراء الذين تلقبوا =

بني المظفر، والأيام ما برحت
سُحْقاً ليومِكُم يوماً ولا حَمَلَتْ
مَنِ للأسيرة أو مَنِ للأعنة أو
مَنِ للبراعة أو مَنِ للبراعة أو
أو دفع كارثة أو ردع آزفة
ويح السَّاحِ ويح البأس لو سلما؛
سقت ثرى الفضل والعباس هاميةً
ثلاثة ما رأى العصران مثلهم
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رَقُوا
ثلاثة كذواتِ الدهر مذ نأوا
مَراحِلًا والورى منها على سفر^(١)،
بمثلِه ليلَةٌ في مُقْبِلِ العُمُرِ^(٢).
مَنِ للأسِنَّةِ يُهديها إلى الثغرِ^(٣)؟
مَنِ للسَّاحَةِ أو للنفع والضررِ^(٤)؛
أو قفع حادثة تعيا على القدرِ^(٥)؟
وحسرةُ الدين والدنيا على عمر^(٦)
تُعزى إليهم سَاحاً لا إلى المطرِ^(٧).
فضلاً، ولوعُزَّزاً بالشمس والقمرِ^(٨)؛
وكلُّ ما طار مِن نَسْرِ ولم يَطِرِ^(٩).
عني مضى الدهر لم يَرِنِّعْ ولم يَحِرِ^(١٠)

بألقاب هي: المعتمد والمقتدر والمأمون والمؤمن والنصور والمنتصر وغير ذلك من الألقاب التي تدلّ على
السلامة والقدرة والانتصار كلّم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا (لأنّ للحياة سنّة ثابتة تتبعها ولا تهتمّ بأما في
البشر).

- (١) مراحل (فترات زمنية). الورى (جميع الناس) على سفر (ينتظرون الموت).
- (٢) سُحْقاً (بعداً) ليومِكُم (الذي قتلتم فيه).
- (٣) السرير: العرش (الملك). العنان: الرسن (الحيل، الشجاعة). السنان: الحديدية في رأس الرمح (الحرب). الثغر (الحدود الشمالية في الأندلس المتاخمة لمالك النصارى): الجهاد.
- (٤) البراعة (في نظم الشعر؟). البراعة: القلم (كتابة النثر). الساحة: الجود والكرم.
- (٥) الآزفة: القيامة، ميتة (بكسر الميم) السوء. حادثة (مصيبه) تعيا على القدر (يعيا على الإنسان أن يقاوم فيها القدر).
- (٦) السباح: التسامح والتساهل وسعة الصدر. البأس: القوة، الحرب. عمر بن محمّد المتوكّل، بن الألفس صاحب بطليوس (من ملوك الطوائف) قتله المرابطون مع ولديه، سنة ٤٨٧ هـ.
- (٧) ثرى: تراب (تربة، قبر). هامية: سحابة ممطرة. سَاحاً (جوداً وكرماً). تعزى: تنسب.
- (٨) العصران: الصباح والمساء (الدهر كلّهُ). عزَّز فلان فلاناً بفلان: أَيْدِه، ضَمَّه إليه.
- (٩) النسران: نجران في السماء. رقي: ارتفع. ما طار من نسر (النسر من الطيور) وما لم يطر (النسر من النجوم).
- (١٠) ذوات الدهر: كملوك الدهر (كانوا في ملكهم يملون إرادتهم على الأيام، فأملى الآن الدهر إرادته عليهم). نأوا: بعدوا، ابتعدوا (ماتوا) - مضى الدهر عني (زالت سعادتي). لم يربيع (لم يبق، لم يستمع). ولم يحِر (من حار بحور: رجع عاد) لم أَلَقِ توفيقاً ونجاحاً بعدهم.

ومرّ من كلّ شيء فيه أطيّبه
من للجلال الذي غصّت مهابته
أين الإباء الذي أرسوا قواعدهُ
أين الوفاء الذي أصفوا شرائعهُ
من لي، ولا من بهم، إن أظلمت نوبّ،
من لي، ولا من بهم، إن عطّلت سنن
على الفضائل إلّا الصبر بعدهم
يرجو عسى، وله في أختها طمع؛
قرّطت أذان من فيها بفاضة
سيارة في أقاصي الأرض قاطعة

حتى التمتّع بالآصال والبُكر^(١).
قلوبنا وعيونُ الأنجم الزُّهر^(٢) ؟
على دعائم من عزٍّ ومن ظفر^(٣) ؟
فلم يرِدْ أحدٌ منها على كَدَرٍ^(٤) ؟
ولم يكن ليُلها يُفزي إلى سحرٍ^(٥) ؟
وأخفيت السنُّ الآثارَ والسيرَ^(٦) ؟
سلامٌ مُرتقِبٍ للأجر منتظرٍ^(٧).
والدهر ذو عُقبٍ شتّى وذو غيرٍ^(٨).
على الحسانِ حصَى الياقوتِ والدررِ^(٩)
شقايقاً هدرت في البدو والحضرِ^(١٠).

(١) مرّ (من مرّ يمرّ بضم الميم في المضارع): ذهب، مضى، انقضى، انتهى؛ أو (من مرّ يمرّ بفتح الميم في المضارع: صار مرّاً، فيه مرارة). الأصيل (بين العصر وغياب الشمس) والبكرة: الصباح (وقت الهدوء والتمتّع بالراحة).

(٢) غصّ: خفض، نقص أو أنقص. الزُّهر: النجوم اللامعة.

(٣) أرسى القواعد: جعلها راسخة (ثابتة).

(٤) الشريعة: مكان الشرب من النهر وغيره. ورد (شرب).

(٥) من لي؟ من يعينني، من ينقذني؟ لا من بهم (؟) نائبة: مصيبة. ليُلها: يفضي: يؤدي. إلى سحر: صباح (إذا لم تنكشف عني الغمّة، فمن يساعدني على إنقاذي منها؟).

(٦) عطّلت سنن (طرقات، شرائع)..... ثم من يجهر بفضلهم بعد أن تحو آثارهم وتلف كتب التاريخ في حكم المرابطين (كان المرابطون - في أول الأمر على الأقل - لا يشجعون الشعر والثقافة).

(٧) لقد فارقتي كلّ ما كان في من فضائل (خسرت المال والجاء والسرور..... ولكن لم أخسر الصبر لأنني صبر على أن أصبر).

(٨) المرتقب (المنتظر الصابر، أي الشاعر) يرجو (يأمل) «عسى» أن تتبدّل الأحوال. وله في أختها «لعل» (أمل آخر. والدهر ذو عقب - جمع عقبة: تعاقب، الخير بعد الشر، والشر بعد الخير). الغير (جمع غيرة بكسر الغين): أحداث الدهر وأحواله.

(٩) قرّط الأذن: جعل فيها قرطاً. من فيها (من ذكر منهم فيها: عمر المتوكل وأبناءه) - مدحهم فيها مدحاً جيلاً. بفاضة: (بقصيدة) تفضح (تخفض عن الياقوت والدرر: اللؤلؤ) بما تزين به الحسان (النساء الجميلات).

(١٠) سيارة (مشهورة، متداولة بين الناس) قاطعة (مسكنة) شقايقاً (أصواتاً عالية: أشعاراً تشد بصوت =

- ولا بن عبدون رسالة طويلة كتبها سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ هـ) عن أمير

المسلمين علي بن تاشفين يذكر فيها فتح مدينة شتتين:

..... وكانت قلعة شتتين - أدام الله أمر أمير المسلمين - من أحصن المعقل
للمشركين وأثبت المعقل^(١) على المسلمين. فلم نزل بسعيك الذي اقتفيناه وهديك
الذي اكتفيناه نخضد شوكتها^(٢).... ونتناولها عللاً بعد نهلٍ ونطاولها عَجَلًا في
مهَل^(٣).....

ولمّا.... أحاط بهمُ البلاء، واستشاط عليهم بغضب الجبار القضاء^(٤)، ولم يكن
للَّيل بأسائهم سحرٌ يتأمل^(٥).... اختاروا الدنية على المنيّة ورَضُوا بالاستسلام
للعبوديّة.... وكان القتل - كما قدّمنا - قد أتى على صيد أعيانهم وصناديد^(٦)
قُرسانهم.... وقد سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم، بعد أن قدّموا من الخضوع
صدقة بين يدي نجواهم^(٧). وهبنا أولاهم لأخراهم^(٨)، وجعلنا العفو عنهم تطريقاً

= (عال) هدرت (ترددت بقوة وبصوت مرتفع) في البید والحضر (في البادية وفي المدينة: في كل مكان). -
هذه القصيدة ستنسي الناس جميع القصائد الأخرى.

(١) المعقل جمع معقل. من أحصن (أشد) المعقل للمشركين. أثبت المعقل على المسلمين (من أرسخ القلاع،
الحصون لوصول المسلمين إليها).

(٢) اقتفى: أتبع. اكتفيناه (اكتفينا: قنعنا به). خضد: كسر. الشوكة: القوة، السلاح.

(٣) الملل: الشرب شيئاً فشيئاً. النهل: الشرب بقدر كبير. نطاولها: غاطل (تتظاهر بالتأخر في أخذها).
عَجَلًا (ونحن في الحقيقة نسابقهم فيما يبدو منّا مهلاً) (تمهل، تأن، تأخر).

(٤) شاط: حمى، سخن، احترق. الجبار (الله تعالى).

(٥) البأساء: الشدة، الضيق. سحر (صباح، فرج) يتأمل: ينتظر (يرجى).

(٦) الأصيد: المائل العنق (المتكبر اعتداداً بنفسه). الصنديد: البطل القوي.

(٧) قدّموا صدقة بين يدي نجواهم. هذه الجملة مقتبسة من القرآن الكريم: «إذا ناجيت الرسول فقدّموا

بين يدي نجواكم صدقة» (٥٨: ١٢، راجع ١٣، سورة المجادلة). ومعنى الآية: إذا كنتم تريدون أن
تخاطبوا الرسول سراً في أموركم الشخصية فتصدّقوا قبل ذلك بشيء إلى أحد المحتاجين دلالة
على حِكَمٍ للخير، وعلى أنكم لا تطلبون المشاورة مجاناً حيناً تريدون، بل يجب أن تشعروا أنّ عليكم في
ذلك أيضاً واجباً يجب أن تؤدّوه نحو المؤمنين. ومعنى الجملة: أنّ الإنسان لما خاطبونا سراً في أمر
التسليم دفعوا جزية.

(٨) وهبنا أولاهم (كبار السن فيهم؟) لأخراهم (لنسلمهم حتى يربوهم؟).

لسواهم من يَتَقَيَّلُ صَنِيعَهُمْ^(١) إِذَا نَحْنُ غَدَاً - بِإِذْنِ اللَّهِ - حَاصِرُنَاهُمْ.....

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨ م؛ (في مجموعة نشرها محيي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ.

- كرامة الزهر وفريدة الدهر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٦ م.

★ ★ قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ الصلة (رقم ٨٢١)؛ الذخيرة ٢: ٦٦٨ - ٧٢٧؛ المغرب ١: ٣٧٤ - ٣٧٦؛ بغية الملتبس ٥٢٣ (رقم ١٥٦٧)؛ المطرب ١٨٠ - ١٨٣، راجع ٢١ - ٣٣؛ المعجب ٥٣ - ٦٣، ١١٥ - ٢٢٢؛ فوات الوفيات ٢: ١١ - ١٣؛ صلة الصلة ٤٢؛ أعمال الأعلام ١٨٦ - ١٨٩؛ نفح الطيب ١: ١٨٥، ٤٤٢، ٦٦٣ - ٦٦٦، ٦٧٣ - ٦٧٥؛ ٣: ٢٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٥٤، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٠٩، ٤: ٣٠٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠؛ بروكلمن ١: ٣٢٠ - ٣٢١، الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ١٧٥ - ١٧٩؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٣٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٣ (١٤٩)؛ بالنشأ ١١٨ - ١٢٠، سركيس ١٦٧

ابن حمديس الصِقْلِيّ

١ - هو عبدُ الجبَّارِ بنُ أبي بكرٍ محمد بنِ حمديسِ الأَزْدِيّ الصِقْلِيّ، وُلِدَ في مدينة سَرْقُوسَةَ (في جزيرة صِقْلِيَّةٍ أو صِقْلِيَّة)، سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)، في أسرة عربية تنتمي إلى الأزد من عَرَبِ الجنوب. وكانت أُسْرَتُهُ مُتَدَيِّنَةً مُحَافِظَةً. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ انصَرَفَ ابنُ حمديسٍ في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ إِلَى اللَّهِوَ كَثِيرًا.

في سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ - ١٠٧٩ م) كان النورمَنْدِيُّونَ قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَى مُعْظَمِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ، فَرَأَى ابنُ حمديسٍ أَن يُغَادِرَ صِقْلِيَّةً فَاخْتَارَ أَن يَذْهَبَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (تُونِس)، فَمَكَثَ هُنَاكَ مَدَّةً ثُمَّ انتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ طَمَعًا فِي أَن يَنَالَ حُظُوَّةً عِنْدَ مُلُوكِهَا. ففِي سَنَةِ ٤٧٧ هـ حَلَّ فِي إِشْبِيلِيَّةَ عَاصِمَةِ الْمُعْتَمَدِ بْنِ عَبَّادٍ وَأَقَامَ فِيهَا مَدَّةً مُهْمَلًا

(١) تطريقاً: شق طريق (قدوة لغيرهم ليفعلوا مثل فعلهم حينما تتغلب عليهم). يتقيل (يستغل في القائلة:

وقت القيلولة: النوم بعد الظهر، يستريح) صنيعهم (عملهم). يقصد الكاتب: ليكون ما عاملناهم به تشجيعاً لغيرهم أن يفعل مثل ما فعلوا (في الاستسلام لنا).

نازلاً في خانٍ ينتظرُ أن يَسْتَدْعِيَهُ ابنُ عَبَّادٍ حتَّى قَنِطَ أو كاد . ثمَّ جاءه رَسولُ المعتمدِ فذهبَ إليه . وامْتَحَنَهُ المعتمدُ بقولِ الشعرِ بديهةً وسُرّاً من بديته . ونالَ ابنُ حَديسٍ عندَ المعتمدِ حُظوةً ومالاً وشُهرةً . ولها في إشبيلية ما شاء له اللّهُ .

وفي سنة ٤٨٤ هـ ، بعد أسْرِ المعتمدِ بنِ عَبَّادٍ على يَدِ المُرابطين ، انتقل ابنُ حَديسٍ إلى المَغْرِبِ وتَطَوَّفَ بين أَغْمَاتِ (قَرَبَ مدينةَ مَرَّاكُشَ ، حيثُ كانَ المعتمدُ أسيراً سجيناً) وبين سَفَاقُصَ (في تونِسَ على شاطئها الشرقي) وبالمدينِ التي بينهما عَشْرينَ سَنَةً من غيرِ أنْ يَقْطَعَ صِلَتَهُ بالمعتمد . فلَمَّا ماتَ المعتمد (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) اتَّصل ابنُ حَديسٍ ببني عَلِنَّاسٍ وبني زيري وبني خُرَّاسان - ولكنه لم يتَّصل بسلطينِ المُرابطينِ وفاءً منه للمعتمد - . وأخيراً اسْتَقَرَّ في بجايةَ (على الساحل ، شَرْقَ مدينةِ الجزائرِ) ، ويبدو أَنَّهُ كانَ قد عَمِيَ في ذلكَ الحينِ .

وكانتْ وفاةُ ابنِ حَديسٍ في بجايةَ ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (تموز - يوليو ١١٣٥ م) .

٢ - ابنُ حَديسٍ الصِّقْلِيُّ شاعرٌ مُكثِّرٌ مُجيدٌ من أكبرِ شعراءِ الأندلسِ ؛ وأسلوبُهُ مألوفٌ - على عَمَدِ الشعرِ العربي - وعلى شِعْرِهِ أثرٌ واضحٌ من النَفَسِ المَشْرِقي في الفنونِ التقليدية ، ويَظْهَرُ هذا الأثرُ في المعاني وفي الألفاظِ والتراكيبِ . ومَعَ أَنَّ ابنَ حَديسٍ شاعرٌ وَجْدانيٌّ يَجْري في نَظْمِهِ على السليقةِ ، فَإِنَّهُ يُوغِلُ أحياناً في التكلُّفِ : في التجنيسِ والمطابقة . وشعرُ ابنِ حَديسٍ قصيدٌ وَرَجَزٌ قصائدٌ طَوَّالٌ ومُقْطَعاتٌ قِصاراً . أما فنونه فالمديحُ والرنائُ (وليس له هجاءٌ) والغَزَلُ والنسيبُ والشكوى ، وَهُوَ كثيرُ الحنينِ إلى موطنِهِ صِقْلِيَّةَ وإلى أيامِ طفولتِهِ وشبابِهِ . ووصفُهُ بارعٌ جداً ، وهو وصَّافٌ لمَظَاهِرِ الطبيعةِ في مَقْطَعاتٍ وفي مطالعِ القصائدِ أو في ثناياها أحياناً ، ثَمَّ يذهبُ عادةً بقيمةِ فنونه الأخرى إذ يَضِيعُ المديحُ مثلاً في الأوصافِ المُتراكِمةِ . وقد تَضَعُفُ أوصافُهُ حيناً حيناً يُغْرِقُ في تَطَلُّبِ الصُّورِ الشعريةِ الغريبةِ فتَغْمُضُ تلكَ الصُّورُ . وكذلك له شيءٌ من الحَمْرياتِ والطَّرَدِ (وصفِ الحيوانِ) والحِكْمَةِ والزُهْدِ .

ولابن حَديسٍ كتابٌ اسمه « تاريخ الجزيرة الخضراء » .

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ حمديسٍ يتذكّر صقليةً ويصف الخمر والرقص من قصيدة مطلعها:

قَضَتْ فِي الصَّبَا النَّفْسُ أَوْطَارَهَا، وَأَبْلَغَهَا الشَّيْبُ إِنْذَارَهَا^(١).
منها:

وراهبةً أَغْلَقْتُ دَبِيرَهَا	فَكُنَّا مَعَ اللَّيْلِ زَوَارَهَا.
هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَا قَهْوَةٍ	تُدْبِعُ لِأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا ^(٢) .
طَرَحْتُ بِمِيزَانِهَا دِرْهَمِي	فَأَجَرْتُ مِنَ الدَّنِّ دِينَارَهَا ^(٣) .
تَفَرَّسَ فِي شَمِّهِ طَيْبَهَا	مُجِيدُ الْفِرَاسَةِ فَاخْتَارَهَا ^(٤) .
فَتَسَى دَارِسَ الْخَمْرِ حَتَّى دَرَى	عَصِيرَ الْخُمُورِ وَأَعْصَارَهَا ^(٥) .
يَعُدُّ لَهَا شِئْتِ مِنْ قَهْوَةٍ	سِنِّيَهَا وَيَعْرِفُ خَمَارَهَا.
وَقَدْ سَكَنْتُ حَرَكَاتِ الْأَسَى	قِيَانٌ تُحَرِّكُ أَوْتَارَهَا ^(٦) .
فَهْذِي تُعَانِقُ لِي عُودَهَا	وَتِلْكَ تُقَبِّلُ مِزْمَارَهَا.
وَرَأَقَصَةٍ لَقَطْتُ رِجْلَهَا	حِسَابٌ يَدٍ نَقَرَتْ طَارَهَا ^(٧) .

(١) - في أيام الصبا نلت جميع أوطاري (غاياتي ومآري)، فلما جاء الشيب أجبرني على ترك اللذات وأخبرني بقرب الموت.

(٢) الشذا: الرائحة. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

(٣) - أعطيتها درهماً أبيض (من فضة) فوزنت لي خيراً حمراء (كالحرير: الذهب).

(٤) تفرّس: نظر، تثبّت (فحص واختبر). والاسم من «تفرّس» الفراسة بكسر الفاء (القاموس ٢: ٢٣٦، السطر الثالث من أسفل).

(٥) دارس = درس: تعلّم الخصائص في الأشياء. درى يدري: أدرك، عرف. عصير الخمر: نوعها (العنب الذي عصرت منه). أعصارها (بفتح الهمزة): زمنها الذي عصرت فيه.

(٦) الأسا أو الأسى: الحزن. (والحزن أحياناً يجعل الإنسان مضطرباً). قيان جمع قينة (بفتح القاف): المرأة الجميلة التي تحترف اللهو (كسقي الخمر والرقص الخ).

(٧) الطار والطاردة (ليستا في القاموس): الدف، أداة موسيقية تتألف من إطار يشدّ عليه رق (بكسر الراء: جلد رقيق) وينقر عليه. نقرت رجلها حساب يد: ضربت الأرض بـرجلها ضرباً يماثل نقر الأصابع على الدف.

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّسَةً وَالْأَسَى يُهَيِّجُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا^(١)،
وَمَنْزِلَةً لِلتَّصَايِ خَلَّتْ، وَكَانَ بَنُو الظَّرْفِ عُمَارَهَا^(٢).
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا.
وَلَوْ لَا مَلُوحَةٌ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَهَا رَهَا.
ضَحِكْتُ ابْنَ عَشْرِينَ مِنْ صَبَوَةٍ بَكَيْتُ ابْنَ سِتِينَ أَوْزَارَهَا^(٣).
فَلَا تَعْظُمَنَّ لَدَيْكَ الذُّنُوبُ، فَمَا زَالَ رَبُّكَ غَفَّارَهَا.

- وقال يصف جماعة على جانبي نهرٍ يشربون خمرًا:

وَمُطَرِّدِ الْأَجْزَاءِ يَصْقُلُ مَتْنَهُ صَبَاً أَعْلَنْتُ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ^(٤)؛
جَرِيحٍ بِأَطْرَافِ الْحَصَى كُلِّهَا جَرَى عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعَهُ بِخَرِيرِهِ^(٥).
شَرَبْنَا عَلَى حَافَاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ؛ وَأَقْتُلُ سُكْرًا مِنْهُ لَحْظُ مُدِيرِهِ^(٦).
كَأَنَّ الدُّجَى حَطَّ الْمَجْرَةَ بَيْنَنَا وَقَدْ كَلَّلْتُ حَافَاتَهَا بِبَدْوَرِهِ^(٧).

- (١) - شقاء الإنسان في حاضره يذكره النعيم في ماضى حياته.
(٢) التصابي هو أن يشوق الحبَّ محبوباً إلى نفسه (أيام النصابي: أيام الشباب). الظرف: الكياسة وحسن الوجه واللسان (يستعمل للفتيان والفتيات لا للشيوخ). العمار: السكّان: عمر الأرض أو المكان أو المنزل: سكنه.
(٣) - سررت وأنا ابن عشرين سنة من الصبوة (الجهلة في زمن الشباب، الانفاس في الحب) ثم أصبحت وأنا ابن ستين أشكو من نتيجة ذلك في صغتي وفي ديني (الذنب الذي تحمّلت من جراء ذلك).
(٤) مطرد الأجزاء: متتابع الأجزاء على استواء. صقل: جلا، جعل الشيء أملس. متنه: ظهره، سطحه (سطح النهر). الصبا: ريح الشرق. أعلنت: أظهرت. ما في ضميره: ما في جوفه (في قاعه).
(٥) يقول الشاعر: هذا النهر يتقلب في سيره على حصي (حجارة صفار) فتجرحه فيتألم فيحدث خريراً (صوتاً خافتاً كاللفيط الخارج من أنف النائم). - إن معنى هذا البيت يألف في المنطق مع معنى البيت السابق (لأن النهر المستوي الأجزاء المصقول السطح لا يحدث الصوت الذي يقصده الشاعر هنا).
(٦) حافتا الوادي: جانباه. دور سكرة: شرب جماعة الشاربين مرة واحدة من خر تدور عليهم. - على أن الذي جعلنا سكارى ليس هذا الدور من الخمر ولكن عيون الساقى الذي كان يدير علينا هذه الخمر.
(٧) كأن الدجى (الليل) حطَّ (أنزل) المجرة (يشبه الشاعر النهر الأبيض في المرح الأخضر أو في الأرض الداكنة بنهر المجرة في عرض السماء ليلاً) غير أن هذا النهر يحيط به بدور (شباب صباح الوجوه) بينما المجرة في السماء يظهر عند أطرافها نجوم (صفار).

كَلِفْتُ بِكَاسَاتِ الصَّبَوحِ مُبَكَّرًا؛ وَكَمْ بَرَكَاتٍ لِلْفَتَى فِي بُكُورِهِ^(١).
هُوَ الْعَيْشُ فَاغْتَمَّ مِنْ زِمَانِكَ صَفْوَهُ وَصِدَّ قَنْصَ اللَّذَاتِ قَبْلَ مُثِيرِهِ^(٢).

- وقال في الدعوة إلى الجهاد بعد الاضطراب إلى الجلاء عن الوطن:

بَنِي الثَّغْرِ، لَسْتُ فِي الْوَعَى مِنْ بَنِي أُمِّي إِذَا لَمْ أَصِلْ بِالْعُرْبِ مِنْكُمْ عَلَى الْعُجْمِ^(٣)
فَرُدُّوا وُجُوهَ الْخَيْلِ نَحْوَ كَرِيهَةِ مُصَرَّحَةِ لِلرُّومِ بِالثُّكُلِ وَالْيَتَمِّ^(٤)؛
وَصُولُوا بِيَيْضٍ فِي الْعَجَاجِ كَأَنَّهَا بُرُوقٌ بِضَرْبِ الْهَامِ مُحْمَرَّةُ السَّجَمِ^(٥)،
وَقَرَعُ الْحَسَامِ الرَّأْسَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ سَمْعِي مِنَ النَّقْرِ فِي الْبَمِّ^(٦).
وَلِلَّهِ أَرْضٌ إِنْ عَدِمْتُمْ هَوَاءَهَا فَأَهْوَاؤُكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنُثَوْرَةُ النِّظَمِ^(٧)؛
وَعِزُّكُمْ يُفْضِي إِلَى الذِّلِّ، وَالنَّوَى مِنَ الْبَيْنِ تَرْمِي الشَّمْلَ مِنْكُمْ بِمَا تَرْمِي^(٨).
فَإِنَّ بِلَادَ النَّاسِ لَيْسَتْ بِبِلَادٍ كَمْ وَلَا جَارُهَا وَالْخَلْمُ كَالْجَارِ وَالْخَلْمُ^(٩).
أَعَنْ أَرْضَكُمْ يُغْنِيكُمْ أَرْضٌ غَيْرُكُمْ؟ وَكَمْ خَالَةٍ جِنْدَاءٍ لَمْ تَغْنِ عَنْ أُمِّ^(١٠)!

(١) كلف فلان بالشيء: تعلقت به نفسه، اشتدَّ حبه له.

(٢) القنص: الطريدة، ما يصيده الصياد. مثير الصيد: كلب أو إنسان يسير أمام الصياد ليدله على مكان الطائر أو ليثير الطائر الذي يكون كامناً هادئاً، ويكون ذلك عادة بإحداث صوت أو إلقاء حجر. وصد قنص اللذات قبل مثيره: أقبل على اللذة ما دمت أنت قادراً عليها وقبل أن تحتاج إلى من يدلك عليها (٩).

(٣) الثغر: المكان على حدود أرض العدو. بني الثغر: الأشخاص الموجودون في أرض يحتلها عدو. صال: وثب، هجم. العجم (بضم فسكون أو بفتح ففتح) = عجم الأندلس (إفرنج الأندلس الذين لم يكونوا يتكلمون اللغة العربية): الأعداء.

(٤) الكريهة: الحرب. الثكل: فقد الزوج زوجه. اليتم: فقد الولد أبويه. الروم: إفرنج الأندلس. الإفرنج عامة.

(٥) صولوا (اهجموا) ببيض (بسيوف) في المعجاج (غبار المعارك، في الحرب). - كأنَّ البَيضَ السِّوْفَ بَرُوقٌ (لبياض لونها ولكنها تصيح) بضرب الهام (الرؤوس) نَحْمَرَةُ السَّجَمِ (يسيل منها الدم الأحمر).

(٦) الرأس مفعول به (من المصدر « قَرَعَ » المضاف إلى فاعله). اليم: الوتر الغليظ في العود (أحبُّ إليَّ من سماع الموسيقى).

(٧) إذا عديمتم شئ هواء بلادكم (إذا جلوت عنها) تفرقت أهواؤكم (غاياتكم وجهودكم).

(٨) يفضي: يقود، يؤدي إلى. - وتفرق الناس في الأماكن المتباعدة يقطع الصلات التي بينهم.

(٩) - وليس الجار في البلاد الفريية كالجار في وطنك ولا الخلم (الصديق) هناك كالخلم في الوطن.

(١٠) الجنداء: طويلة الجيد (العنق) (جميلة أو كريهة الأصل).

تَقَيِّدُ من القَطْرِ العَزِيزِ بِمَوْطِنٍ ومُتْ عِنْدَ رَيْعٍ من رُبوعِكَ أَوْ رَسْمٍ^(١) .
وإِيَّاكَ يوماً أَنْ تُجَرَّبَ غُرْبَةً؛ فلن يَسْتَجِيزَ العقلُ تَجْرِبَةَ السِّمِّ^(٢) !

- وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح :

قُمْ هَاتِيهَا من كَفِّ ذَاتِ الوِشَاحِ فقد نَعَى اللَّيْلَ بِشِيرِ الصَّبَاحِ^(٣) .
خَلَّ الكَرَى عَنْكَ وَخُذْ قَهْوَةً تُهْدِي إلى الرُّوحِ نَسِيمَ ارْتِيَاحِ .
هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ، فَمَا عَذْرُكَ في تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ^(٤) .
بَاكِزٍ إلى اللَّذَاتِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللُّهُو ذَوَاتِ المِرَاحِ^(٥) .
من قَبْلِ أَنْ تَرْشُفَ شَمْسُ الضُّحَى رَيْقَ الغَوَادِي من ثُغُورِ الأَفَاحِ^(٦) ،
في رَوْضَةٍ غَنَاءٍ غَنَّتْ بِهَا في قُضْبِ الأَوْرَاقِ وَرُقِّ فِصَاحِ^(٧) .
لَا يَعْرِفُ النَّاظِرُ أَغْصَانَهَا - إِذَا تَثَنَّتْ - من قُدُودِ المِلَاحِ^(٨) !
يَا صَاحِ، لَا تَصْحُ، فَمَكْ لَذَّةً في السُّكْرِ لَمْ يَذَرِ بِهَا عَيْشُ صَاحِ^(٩) ؛
وَارْكَبْ زَمَاناً لَا جَبَاحَ لَهُ من قَبْلِ أَنْ يَحْدُثَ فِيهِ الجَبَاحِ^(١٠) .

- (١) تَقَيِّدُ: ضع قيداً في رجلك (لا تبرح وطنك). الربع: المكان المأهول. الرسم: المكان إذا خرب وهجره الساكنون.
- (٢) لَا تَجَرَّبُ هَجَرَ الوطنِ لِأَنَّهُ مَوْتُ أَوْ كَالْمَوْتِ. كما أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْرِبَ فِعْلَ السِّمِّ فِي نَفْسِهِ هُوَ (يَكْفِي أَنْ يَرَى غَيْرَهُ مَاتَ بِالسِّمِّ كَمَا يَكْفِي أَنْ يَرَى حَالِ غَيْرِهِ مِمَّنْ جَلَوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ).
- (٣) هَاتِيهَا: هَاتِ الخمر. الوشاح (بكسر الواو أو بضمها): حلية من لؤلؤ وجوهر تلبس في العنق؛ غطاء عريض مرصع بالجواهر تضعه المرأة على كتفيها. ذات الوشاح: المرأة (الجميلة). - إن البشير الذي يدلُّ على قرب طلوع الصباح قد دلَّ على قرب انقضاء الليل.
- (٤) الصبوح: شرب الخمر في الصباح.
- (٥) سوابق (خيل) اللهو ذات المراح (النشاط والتبخر).
- (٦) ترشفت: تشرب. الغوادي جمع غادية: السحابة المطيرة في الصباح. - قبل أن تجفَّ الشمس الأزهار (قبل أن يذهب الشباب).
- (٧) القضب جمع قضيب: غصن. قضب الأوراق: الأغصان المكسوة بالورق (كناية عن الربيع). الورق (بضم الواو) جمع ورقاء: حامة. فصاح جمع فصيحة: واضحة (عذبة الفناء).
- (٨) - لَا يَفْرُقُ النَّاظِرُ بَيْنَ أَغْصَانِ الأشجار (في استقامتها وجمالها) وَبَيْنَ قَامَاتِ الفتيات الملاح (الجميلات). المليحة في الأصل: ذات اللون الحسن (السمر).
- (٩) يَا صَاحِ: يَا صَاحِبِي. لَمْ يَذَرِ بِهَا عَيْشُ صَاحِ: لَمْ يَعْرِفْهَا مِنْ قَضَى حَيَاتِهِ صَاحِباً (لَمْ يَشْرَبِ الخمر).
- (١٠) الجباح: الاعتزاز بالنشاط ومحاولة التغلب على الآخرين. - استند من الزمان ما دام الزمان مؤتياً.

- وقال يذكر موطنه صقلية ويندد باحتلال النورمان لها:

أَعَاذِلُ، دَعْنِي أَطْلِقِ الْعِبْرَةَ الَّتِي
لَقَدَّرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَا؛
وَكَيْفَ، وَقَدْ سَمِيتَ هَوَانًا، وَصَيَّرْتَ
إِذَا شَاءَ الرُّهْبَانُ بِالضَّرْبِ أَنْطَقْتَ
صِقْلِيَّةً كَادَ الزَّمَانُ بِلَادَهَا،
فَكَمْ أَعْيَنَ بِالْخَوْفِ أَمْسَتْ سَوَاهِرًا
أَرَى بَلَدِي قَدْ سَامَهُ الرُّومُ ذِلَّةً،
وَكَانَتْ بِلَادُ الْكُفْرِ تَلْبَسُ خَوْفَهُ،
عَدِمْتُ أَسْوَدًا مِنْهُمْ عَرَبِيَّةً
هُمْ فَتَحُوا أَغْلَاقَهَا بِسُيُوفِهِمْ،
يَخْضُونَ بِحَرًّا كُلَّ حِينٍ إِلَيْهِمْ

عَدِمْتُ لَهَا مِنْ أَجْلِ الصَّبْرِ حَابِسًا^(١).
فَسَاءَتْ ظُنُوفِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ يَأْسًا^(٢).
مَسَاجِدَهَا أَيْدِي النَّصَارَى كُنَائِسًا.
مَعَ الصُّبْحِ وَالْإِمَاءِ فِيهَا النُّوَاقِسَا.
وَكَانَتْ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ مَحَارِسَا^(٣).
وَكَانَتْ بِطِيبِ الْأَمْنِ مِنْهُمْ نَوَاعِسَا^(٤).
وَكَانَ بِقَوْمِي عِزُّهُ مَتَقَاعِسَا^(٥).
فَأُضْحَى لِذَاكَ الْخَوْفُ مِنْهُمْ لَا يَأْسًا^(٦).
تَرَى بَيْنَ أَيْدِيهَا الْعُلُوجَ فَرَائِسَا^(٧).
وَهُمْ تَرَكُوا الْأَنْوَارَ فِيهَا حَنَادِسَا^(٨).
بِبحْرِ يَكُونُ الْمَوْجُ فِيهِ فَوَارِسَا^(٩)

ومن هذه القصيدة في وصف هجوم النورمان بالسفن الحربية على شواطئ صقلية وإطلاق النيران اليونانية عليها^(١٠):

- (١) أعاذل = يا عاذلي: يا لائي (على قلة الصبر). دعني أطلق العبرة (الدعوة): لا تلمني إذا بكيت. - لقد صبرت نفسي كثيراً فما استطعت أن أمنع عيني من البكاء.
- (٢) لقدرت: كنت قد قدرت.
- (٣) كاد الزمان بلادها: عاملها بالكر والخبث والحيلة، غدر بها وأذلها. المحارس (غير موجودة في القاموس) أماكن للحراسة والأمن.
- (٤) منهم = من الذين احتلوا صقلية (النورمان). نواعس: هاجمة، نائمة (مطمئنة).
- (٥) عزه (قوته، مجده) متقاعس (مرتفع، قوي).
- (٦) أصبح يخاف من بلاد الإفرنج.
- (٧) عدمت: فقدت (الآن).... كنت ترى العلوج (إفرنج الأندلس) أسرى وقتلى بين أيديهم.
- (٨) الأغلاق (الأبواب المغلقة، القلاع). وهم تركوا الأنوار فيها حنادس (ظلمات): كانوا كثراً فملأوا الأرض حتى بدت الأرض سوداء في النهار (٤).
- (٩) كانوا يأتون لفتح هذه الجزيرة بمجوش كبيرة كالبحر الذي له أمواج متلاحقة من الفرسان.
- (١٠) النار اليونانية مزيج من النفط والمواد المشتعلة الأخرى (كالقطن مثلاً) تشعل ثم تلقى بالمنجنيق على السفن والأسوار والمدن....

وَحَرْبِيَّةٍ ترمي بِمُحْرِقٍ نَفْطَها
تَراهُنَّ في حُمْرِ اللَّبُودِ وَصَفْرها
إذا عَثْنَتْ فيها التَّنائيرُ خِلَتْها
أفي قَصْرِينِي رُقْعَةً يَعمُرونَها،
ومن عَجَبٍ أن الشَّياطِينِ صَيَّرَتْ
وأَضَحَّتْ لَهم سَرَقُوسَةً دارَ مَنعَةٍ
مَشَوْا في بِلادِ أَهلِها تَحْتَ أرضِها،
ولو شَقَّقْتَ تلكَ القُبُورُ لَأَنهَضَتْ
ولكن رَأَيْتُ الغِيلَ إن غابَ لَيْثُهُ
فَيَغْشَى سُعوَطُ المَوتِ فيها المَعاطِسا^(١).
كَمِثْلِ بَناتِ الرَّنَجِ رُفَّتْ عَرائِسا^(٢).
تُفْتَحُ لِلبُرْكانِ عَنها مَنافِسا^(٣).
وَرَسَمَ مِنَ الإِسلامِ أَصَبَحَ دارِسا^(٤).
بُرُوجُ النَجومِ المُحْرِقاتِ مَجالِسا^(٥).
يَوزَرونَ بِالدَّيرينَ فيها النَواوِسا^(٦).
وما مارَسا مَنهم أَيْبًا مَهارِسا^(٧).
إِلَينَهم مِنَ الأَجداثِ أَسَدًا عَواِسا.
تَبَخَّرَ في أَرجائِهِ الذَّئِبُ مائِسا^(٨)!

- وقال في هلال رمضان يشبه شكله بالراء (الحرف الأول من كلمة رمضان):
قُلْتُ والنَّاسُ يَرَقُبونَ هِلالًا يُشِبُّ الصَّبَّ مِنَ نَحافَةِ جَسَمِهِ:

- (١) وحربية = وسفن حربية كثيرة. المعاطس: الأنوف. السموط: مادة مطحونة تشم فتثير العطس. يدل قول الشاعر على أن النفط كان يترك دخاناً بسبب الاختناق.
- (٢) تراهن: ترى السفن الحربية. في حر اللبود وصفرها. كانت توضع على السفن الحربية لبود وجلود حتى لا تتصل النار بخشب السفن فيحترق. أما لماذا يصف هذه اللبود بأنها حر وصفرة (وليست سوداً مثلاً) فلا أدري له وجهاً.
- (٣) عثن: دخن. التنور: حفرة توقد فيها نار. البركان: فتحة في الأرض يخرج منها مواد مصهورة. منفس: مكان يدخل منه الهواء ويخرج منه الدخان.
- (٤) قصريني بلدة في الجانب الشرقي من جزيرة صقلية تدعى اليوم «أنا» (بإمالة الهمزة وتخميم الألف). يعمرونها: يسكنها الإفرنج. الدارس: المحو.
- (٥) في هذا البيت إشارة إلى أن الشياطين كانت إذا اقتربت من السماء لتسرق السمع وتعرف أخبار الغيب رجعت بالنجوم (بالشهب). يقول الشاعر: ومن المجيب (الآن) أن الشياطين (الإفرنج) جعلت بروج النجوم (المراكب التي ترمي منها النار كأنها شهب) مجالس لها!
- (٦) دار منعة: مكان يمتنعون فيه (بجميعهم). النواوس مقبرة النصراني.
- (٧) مشوا (مشى الإفرنج).... أهلها تحت أرضها: أهل البلاد (من الأبطال المجاهدين الأولين) تحت أرضها (ماتوا دفنوا فيها). وما مارسوا (وما اصطدم الإفرنج بأحد من هؤلاء الأباة للضم الذين كانوا مجاهدون ويقاتلون).
- (٨) الغيل: الشجر الملتف (وربما كان مسكناً للأسود).

من يَكُنْ صائماً فذا رَمَضانُ خَطَّ بالنُّورِ للورى أَوَّلَ أَسْفِه

- وقال ابنُ حَديسٍ في الاعتذار عن الهجاء :

يقولونَ لي: « لا تجيّدُ الهجاءَ »؛ فقلتُ: « وما لي أُجيّدُ المديحَ »^(١)!

فقالوا: « لأنّكَ تَرجو الثَّوابَ ». وهذا القياسُ - لَعَمري - صَحيحٌ.

فقلتُ: « صِفاقي؟ » فقالوا: « حِسانٌ »؛ فقلتُ: « نَسِيتُ؟ » فقالوا: « مَليحٌ! »^(٢)

فقلتُ: إِلَيْكُمْ، فلي حُجّةٌ، وَلِلْحَقِّ فيها مَجالٌ فَسيحٌ -

عَفافُ اللِّسانِ مَقالُ الجَميلِ، وَفُسقُ اللِّسانِ مَقالُ القَبِيحِ.

ومَما لي ولا مَريءٌ مُسلمٌ يَروحُ بِسِيفٍ لِسانِي جَريحٌ!

- وقال في الحماسة والفخر يتذكر بلاده (صقلية):

ولو أَنَّ أَرْضِي حُرَّةٌ لَأَتَيْتُهَا بعَزمٍ يَعدُّ السَّيرَ ضَرَبَةً لَازِبٍ^(٣).

ولَكنَّ أَرْضِي كَيفَ لي بِفَكاكِها مِن الأَسْرِ في أَيْدي العُلُوجِ الغَواصِبِ^(٤)

أَحينَ يُعاني أَهلُها طَوَعَ فَننَةٍ يُضرمُ فيها نارَهَ كُلُّ حاطِبٍ^(٥)؟

ولم يَرحمِ الأَرحامَ مِنهم أَقاربٌ تُروى سِيوفُأَمَنَ نَجيعِ الأَقاربِ^(٦).

وأَضحَتْ بِها أَهواؤُهم وَكانَها مَذاهِبُهم فيها اِختلافُ المَذاهِبِ.

إِذا ضاربوا في مَازِقِ الضَربِ جَردوا صِواعِقَ مِن أَيْديهِم في سَحابٍ^(٧).

لَهم يَومَ طَعَنَ السُّمَرُ أَيْدٍ مَبيحَةً كُلّى الأَسَدِ في كَرَائِهِم لِلشَّعالبِ^(٨).

(١) ما لي أُجيّدُ المديحَ: لماذا أنا أُجيّدُ المديحَ، فكيف أنا أُجيّدُ المديحَ؟.

(٢) فقلتُ: صِفاقي؟ = كيف تجدون الوصف في شعري؟.

(٣) السير (الذهاب، الرجوع) إليها ضربة لازب (تمبير أصبح مثلاً): واجب، لازم (لا مفرّ من فعله).

(٤) فكاكها: فكّكها، إنقاذها. الملج: الفرنجي الذي لا يتكلّم العربية.

(٥) الحاطب (الذي يجمع الخطب: أصحاب المصالح الشخصية).

(٦) روى فلان فلاناً من الماء: سقاء حتّى ارتوى (امتلاً). نجح: دم.

(٧) مازق الضرب: مكان القتال الضيق (في المعركة الشديدة). صواعق (سيوف تلمع كالصواعق: مجلوة،

حاذة، قاطعة).... في سحاب (غمام يطر دماً).

(٨) الأسمر: الرمح. الكلى جمع كلية (مقتل الإنسان - إذا بطل عمل الكليتين تسمّى بدن صاحبها

فیات) - هؤلاء الأقارب يبيعون قتل الأسود (قومهم وأقاربهم) للشعالب (للأعداء: أعداء الفريقين).

تَحَبَّ بِهِمْ قُبَّ يُطِيلُ صَهِيلَهَا
مُؤَلَّلَةُ الْأَذَانِ تَحْتَ إِلَاهِم
إِذَا مَا أَدَارَتْهَا عَلَى آلِهَامِ خِلَتْهَا
إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُّومِ كَانَ دُخُولُهُمْ
يَمُوتُونَ مَوْتَ الْعِزِّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى
بَأَرْضِ أَعَادِيهِمْ نِيَّاحُ النُّوَادِبِ (١).
كَمَا حُرِّقَتْ بِالْبَرْزِيِّ أَقْلَامُ كَاتِبِ (٢).
تَدُورُ لَسْمَعِ الذِّكْرِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ (٣).
بُطُونُ الْخَلَايَا فِي مَتُونِ السَّلَاحِ (٤).
إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْجَبَنِ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ.

٤- ديوان ابن حديس الأزدي السيراكوسي (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛ ديوان ابن حديس (وقف على تصحيحه سكياباريلي)، رومية ١٨٩٧؛ (صححه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠.

- الوطنية في شعر ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥٢ م.

★★ ترجمة ابن حديس الصقلي، تأليف عبد الغني المنشاوي ومصطفى السقا، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

- في الأدب العربي وديوان ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي تونس ١٩٥٢ م.
- ابن حديس الصقلي، تأليف علي مصطفى المصراحي، القاهرة (في سلسلة أقرأ - دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ طرابلس - ليبيا (دار الفكر) ١٩٧٢ م.

الذخيرة ٤: ٣٢٠ - ٣٤٢؛ الخزينة (المغرب والأندلس) ٢: ١٩٤ - ٢٠٧؛ الخزينة (الأندلس) ٢: ٦٦ - ٨٤؛ المطرب ٥٤ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٢١٢ - ٢١٥؛ المكتبة الصقلية ٢: ٥٩٢ - ٦٠٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩١ - ٤٩٦، ٤٩٩، ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦١٦ - ٦١٧، ٢٥٦: ٤، ٢٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ - ٧٨٣؛ بروكلمن

(١) ومع ذلك فهم شجعان (لو أرادوا) - تحب (تسير بسرعة) بهم قبَّ (خيل ضامرة البطن) يطيل صهيلها: صوتها (وجودها في المارك) نياح النوادب (نواح النادبات اللواتي ييكن القتلى من أهلن - كناية عن الانتصار في أرض العدو).

(٢) مؤللة (أذان خيلهم): منتصب. الإلال (رفع الصوت بالدعاء).

(٣) إذا أداروا (سيوفهم فوق الرؤوس، وهم يحاربون). الهامة: الرأس. خال: ظن، حسب. سمع الذكر (استماع الذكر الحسن). - ظننت سيوفهم تدور في الفضاء الواسع عالية حتى كأنها تريد أن تسمع الذين يتحدثون ببطولتهم في الكواكب (في كل مكان).

(٤) الروم: نصارى الأندلس من أي مذهب كانوا. - كان دخولهم (اقتحامهم، هجومهم) بطون الخلايا (إلى قلب مأوى الأسود. الخلية: مأوى الأسد) في (على) متون (ظهور) السلاحب (جمع سلهب: الحصان الطويل).

١: ٢٦٩، الملحق ١: ٤٧٤؛ نيكل ١٦٨ - ١٧٠؛ مختارات نيكل ١١٦ - ١٢٠؛ الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ - ٤٨ (٣: ٢٧٤)؛ سركيس ٨٧ - ٨٨.

الرشيذ العبّاديّ

١ - هو الرشيذ أبو الحسين عبّيدُ الله^(١) بنُ محمّدِ المُعتمِدِ بن عبّادٍ، كان مَوْلده نحوَ سَنَةِ ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)، وأُمّه أَعْتَمَدُ الرُمَيْكِيَّة. وهوَ أحدُ النُجباء من أبناء المُعتمِد، ومنَ الذين يُوثَقُ بهم. فلَمّا آنصَرَفَ المُعتمِدُ إلى اللّهُو ألقى مقاليدَ الأمورِ في الإدارة والحربِ إلى ابنه الرشيذِ هذا. وَبَلَغَ الرشيذُ في المِكانَةِ إلى أن مَدَحَه الشاعرُ مُحَمَّدُ بنُ عَمّارٍ (قُتِلَ ٤٧٧ هـ) بقولهِ: «أنتَ الرشيذُ فدَعُ مَنْ قد سَمِعْتَ به» (نفع الطيب ٤: ٢٧٢) تعريضاً بهرونَ الرشيذِ.

وكان الرشيذُ منذُ مَطْلَعِ حياتِهِ يَميلُ إلى اللّهُو وَيَعْقِدُ مَجالِسَ الغناء. ثمَّ كَثُرَ انغماسُهُ في ذلك قُبيلَ النّائِرة: هِياجُ الناسِ ونِقَمَتِهِمْ على بني عبّادٍ، وقُبيل سقوطِ دَوْلَتِهِمْ. وكانت وفاءُ الرشيذِ العبّاديّ في حُدودِ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (الحلّة السّيراء ٢: ٦٨)، أو ١١٣٥ م.

٢ - كان الرشيذُ العبّاديّ شاعراً يُحسِنُ الارتفاعَ. ومن فنونِ شِعْرِه الغَزَلُ والحماسةُ والمدحُ. وعلى شِعْرِهِ شيءٌ من الطّلاوة.

٣ - مختارات من شعره:

لَمّا انتهى المُعتمِدُ بنُ عبّادٍ من بِناء القُبّةِ المَعروفةِ باسمِ «سَعْدِ السّعودِ» فوقَ مَجْلِسِهِ في قَصْرِه «الزاهي» صَنَعَ قَسِماً (شُطْراً من الشّعر): «سَعْدُ السّعودِ يَتِيهُ فوقَ الزاهي» ثمَّ طَلَبَ من الحاضرين أن يُجيزوه فَعَجَزُوا. فقال الرشيذُ ابنُهُ:

(١) عبّيدُ الله (بتصغير عبد) الحلّة السّيراء ٢: ٦٨، نفع الطيب ٤: ٢٥٦. وورد عبد الله (بلا تصغير)، نفع الطيب ٣: ٦١٢، راجع ٤: ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠ (ولعلّه خطأ مطبعي). للمُعتمِد ابن اسمه عبد الله أيضاً (راجع، فوق، ترجمة المُعتمِد - توفي ٤٨٨ هـ).

وَكِلَاهُمَا فِي حُسْنِهِ مُتَنَاهِي.

وَمَنْ أَعْتَدَى سَكَنًا لِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
قَدْ جَلَّ فِي الْعَلَيَاءِ عَنْ أَشْبَاهِ (١).
لَا زَالَ يَبْلُغُ فِيهَا مَا شَاءَ؛
وَدَهَتْ عِدَاهُ مِنَ الْخُطُوبِ دَوَاهٍ

- وفيما كَانَ الْمُعْتَمِدُ مُتَّجِهًا مِنْ مِكْنَسَةٍ إِلَى أَغْمَاتٍ (بَعْدَ أُسْرِهِ) بَدَرَ مِنَ الرَّشِيدِ فِي
أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ مَا حَمَلَ أَبَاهُ عَلَى الْعَتَبِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْإِفْرَاطِ فِي الْعَتَبِ. فَكَتَبَ
الرَّشِيدُ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَعْفِفُهُ:

يَا حَلِيفَ النَّدَى وَرَبَّ السَّحَابِ وَحَبِيبَ النُّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ (٢)،
مِنْ تَمَامِ النُّعْمَى عَلَيَّ الْتِيَّاحِي لَمَحَةً مِنْ جَبِينِكَ الْوَضَّاحِ (٣).
قَدْ غَنِينَا بِبِشْرِهِ وَسَنَاهُ عَنْ ضِيَاءِ الصَّبَاحِ وَالْمِصْبَاحِ (٤).
ذَاكَ حَظِّي مِنَ الزَّمَانِ. فَإِنْ جَاءَ دَبٌّ بِهِ لِي بَلَّغْتُ كُلَّ اقْتِرَاحِي.

- وَلَمَّا وُلِدَ لَهُ ابْنُهُ «الْمُعْلَى» قَالَ يَكْشِفُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ آمَالٍ:

أَهْنِيكَ - بَلْ نَفْسِي أَهْنِي - فَإِنِّي بَلَّغْتُ الَّذِي كَانَ اقْتِرَاحِي عَلَى الدَّهْرِ:
خَلَاصُكَ مِنْ أَيْدِي الْمَنُونِ وَغُرَّةَ بَدَتِ لِلْمُعْلَى مِثْلَ دَائِرَةِ الْبَدْرِ (٥).
كَأَنِّي بِهِ عَمَّا قَرِيبٍ مُمْلِكًا زِمَامَ الْمَعَالِي نَافِذَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ.
يَقُودُ إِلَى الْهَيْجَاءِ كُلِّ غَضَنْفَرٍ وَبَضْرِبُ مَنْ نَاوَاهُ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ (٦).
فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنُكَ فِي الْعُلَا، وَلَا زَالَ أَسْمَى فِي الْمَحَلِّ مِنَ الْغَفْرِ (٧).

(١) مُحَمَّدُ الْمُعْتَمِدُ (وَالِدُ الرَّشِيدِ عَبْدِ اللَّهِ).

(٢) دَهَا: أَصَابَ. الدَّوَاهِي: الْأُمُورُ الْمُنْكَرَةُ الْعَظِيمَةُ. الْخُطْبُ: الْمَصِيبَةُ.

النَّدَى: الْكَرَمُ. السَّحَابُ: التَّسَامُحُ وَالتَّسَاهُلُ.

(٣) التَّيَّاحِي (أَنْ أَلْمَحَ أَنَا).

(٤) الْبِشْرُ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَظَهْرُ السَّرُورِ عَلَى الْوَجْهِ. السَّنَا: الضَّوْءُ السَّاطِعُ.

(٥) يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ فِي وَلَادَةِ الْمُعْلَى عَشْرٌ. وَلَعَلَّ الْقِطْعَةَ مُوجَّهَةً إِلَى الْمُعْتَمِدِ.....

(٦) يَقُودُ (أَيُّ الْمُعْلَى). الْغَضَنْفَرُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ (الْجَنْدِيُّ الشَّجَاعُ). الْأَبْيَضُ: السِّيفُ. الْأَسْمَرُ: الرَّمَحُ.

(٧) قَرَّتْ عَيْنُهُ: سَكَنَتْ، هَدَأَتْ (كُنَايَةً عَنِ السَّرُورِ). عَيْنُكَ (لَعَلَّ الْخُطَابَ لِلْمُعْتَمِدِ). الْغَفَرُ ثَلَاثَةُ نَحُومٍ

صَغَارَ هِيَ مَنْزِلَةُ لِلْقَمَرِ.

أبو الحسن بن جودي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي السَّعْدِيُّ، أصلُ سَلَفِهِ من إلبيرة (وقيل من سَرْقِسطَة). نشأ في المَرْيَّة ثمَّ تَنَقَّلَ في بُلدانِ الأندلسِ والمَغْرِبِ.

روى أبو الحسن بن جودي كثيراً من الحديث (حديث رسول الله) عن القاضي أبي عليِّ حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصَّدْفِيُّ (ت ٥١٤ هـ). وكذلك كان من المتَّصلين بأبي العلاء بن زُهْرِي (ت ٥٢٥ هـ) ثمَّ حَدَّثَتْ بينهما وَحْشَةٌ لَعَلَّ سَبَبَهَا أَنَّ ابنَ جودي هذا قرأ على ابنِ بَاجَه (قبل سنة ٥١٢ هـ) شيئاً من علوم الفلسفة فاشتهرَ ذلك عنه واثَّهمَ بالزندقة. يُضاف إلى ذلك أَنَّ أبا العلاء بن زُهْرِي كان كارهاً لابنِ بَاجَه وخصماً له. واضطَّرَّ ابنُ جودي إلى أَنْ يَفَارِقَ أبا العلاء بن زُهْرِي. ثمَّ طلب العامةُ ابنَ جودي ليقْتُلوه فهربَ منهم وتشرَّدَ عن بَلَدِهِ وصار من قُطَاعِ الطريقِ بينَ الجزيرةِ الخضراءِ وقلعةِ خولانَ.

ثمَّ نَسِيَ الناسُ أمرَ ابنِ جودي فعاد ابنُ جودي إلى غَرْنَاطَة يُعَاوِدُ قِرَاءَةَ الطِّبِّ. في هذه الأثناء توفِّي أبو الحسن عليُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ خَلْفِ الأنصاريِّ الغَرْنَاطِيِّ المعروفُ بابنِ الباذش، سنة ٥٢٨ هـ، فرثاه ابنُ جودي. وتوفِّي ابنُ جودي في غَرْنَاطَة بعدَ سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م). ولعلَّ عُمُرُهُ كان يومَذاك نحوَ خمسينَ عاماً.

٢- أبو الحسن عليُّ بنُ جودي أديبٌ شاركَ في عددٍ من فنونِ المعرفة: في الأدب والنحو والطبِّ والفلسفة وغيرها. وهو شاعرٌ مُجِيدٌ على عَمودِ الشَّعْرِ المَشْرِقيِّ. وأكثرُ شعره النسيبُ والغزلُ والوصفُ. وهو كثيرُ التَّقليدِ للشُّعراءِ العُذْرِيِّينَ المَشَارِقَةِ، يكثرُ في شعره الحنينُ إلى نَجْدٍ (كما كانوا هم يفعلون) ويذكرُ ليليَ العامريَّةَ (محبوبةَ قيسِ بنِ المُلَّوحِ العامريِّ المعروفِ بِمجنونِ ليلي) ويذكرُ العامريَّ (مجنونَ ليلي) نفسه أيضاً.

٣ - مختارات من شعره:

- وقال أبو الحسن بن جودي في النسيب:

لقد هيجَ النيرانَ، يا أمَّ مالكِ، بتدميرِ ذكْرِي ساعدتها المدامُ^(١)،
عشيَّة لا أرجو لقاءك عندها، ولا أنا، أن يدنومَ الليل طامع^(٢).

- وقال يصف مجيء الصبح في أحد أيام الشتاء:

نبهتُـه وعيونُ الزهر نائمةٌ والطلُّ يمكي وتغرُّ الكأسُ يبتسمُ.
والبرق يرقمُ من بُردِ الدجى علماً والزهرُ عقْدٌ بجيدِ النهر منتظم^(٣).
حتى بدتْ رايةُ الإصباح زاحفةً في كفِّ ذي ظفرٍ والليل منهزم^(٤)!

- وقال في النسيب يذكر نجداً ويلي العامرية يشبه نفسه بمجنون ليلي (بالعامري):

خليلي من نجدٍ، فإنَّ بنجدهم مَصيفاً لبيتِ العامريِّ ومربعا^(٥)،
ألا رجَّعا عنها الحديثَ فإنني لأغبطُ من ليلي الحديثِ المرجَّعا^(٦).
عزيزُ علينا، يا ابنةَ القومِ، أننا غريبانِ شتَّى لا نطيق التجمُّعا^(٧):
فريقُ هوى مِنّا يهان، ومُشتمُّ يُحاولُ يأساً أو يُحاول مَطمعا^(٨).
كأنَّا خلِقنا للنوى، وكأنَّا حرامٌ على الأيامِ أن نتجمَّعا!

- وقال:

أحينُ إلى ريحِ الشَّال فإنَّها تُذكرنا نجداً؛ وما ذِكرُنا نجداً؟^(٩)

(١) تدمير، مقاطعة في الشرق الجنوبي من الأندلس. الطل: نقاط الندى التي تتساقط في آخر الليل على

الأغصان فتعلق عليها (وربما جدت بفعل البرد الليلي).

(٢) ولا أنا - أن يدنو مع الليل - طامع: وأنا لا أطمع أيضاً أن يدنو (يقترِب) لقاؤك إذا جاء الليل (لا أطمع أيضاً أن أراك في منامي).

(٣) رقم الثوب يرقمه: وشاه (زَيَّته بالنقوش).

(٤) في كفِّ ذي ظفر: في يد قائد منتصر.

(٥) المصيف (مكان الإقامة في الصيف) والمربع (مكان الإقامة في الربيع).

(٦) رجَّع الصوت: ردَّه في حنجرتِه. والشاعر يقصد «أعاد الحديث» مرةً بعد مرة.

(٧) لا نطيق التجمُّعا: لا نقدر على أن نجتمع (لبعد ما بيننا في السكنى).

(٨) يمان: يمني الدار (في أقصى الجنوب) ومشم (من الشمال).

(٩) وما ذكرنا نجداً: ما ينفعنا أن نذكر نجد (ولا سبيل إلى الاجتماع بأهله: بالحبوب).

خليليّ، لا والله، ما أحملُ الهوى وان كنتُ في غير الهوى رجلاً جَلْدًا^(١) !

٤-★★ المغرب ٢: ١٠٩ - ١١٠، معجم الصدي، رقم ٢٥٩ (ص ٢٧٨ - ٢٧٩)؛ نفح الطيب ٣: ٣٣٤، ٧: ٥٧ - ٦٠؛ المطمح.

ابن باجّه

١- هو أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ المعروف بابن باجّه (بتشديد الجيم ثم هاء ساكنة)، والباجّه بلغة نصارى الأندلس « الفِضّة ». وُلِدَ في سَرَقِسطَة نحو سَنَةِ ٤٧٥ (١٠٨٢ م)، وفيها نشأ وقال الشِعْر ومدَحَ أميرها أبا بكر بن إبراهيم بن تيفلّويت. ثم وَلِيَ ابنُ تيفلّويت الثغر والشرق فاستوزر ابن باجّه. ولَمَّا حاصرَ ألفونسو الأولُ مَلِكُ الأَرغون مَدِينَةَ سَرَقِسطَة غادرها ابنُ باجّه (٥١٢ هـ = ١١١٧ م)، قبلَ أن يستوليَ عليها ألفونسو، وانتقل إلى إِشْبِيلِيَّة وطَبَّبَ فيها. ثم إنّه انتقل إلى مَرَّاكش ونال حُظوةً عند المرابطين. وقد حسدَهُ مُنافسوه، لبراعته في الطِبِّ ولتوفيّقه في التّطبيب فدسُّوا له السُّمَّ فمات، سَنَةِ ٥٣٣ (١١٣٨ م).

٢- كان ابنُ باجّه أولَ فلاسفةِ الإسلامِ العَقَلِيِّينَ على الحَصَر، وكان عالماً في الرياضيات وفَلَكِيًّا راصداً قديراً يَحْسِبُ للخسوف والكسوف. وكان واسعَ العلم في الطّبيعيات. أمّا في الموسيقى فقال فيه المَقْرِي (نفح الطيب ٧: ٧، ٣: ١٨٥): «الحكيمُ أبو بكر بنُ باجّه صاحبُ التّلاحينِ المعروفة.... وإليه تُنسَبُ الألحانُ المُطَرَّبَةُ في الأندلس والتي عليها الاعتقادُ».

وأمّا في الأدب فكان شاعراً مُقَصِّداً ووَشَّاحاً، وأكثرُ شِعْره المدحُ والثناءُ والهجاءُ والنسيبُ والغزلُ، ولكنَّ الجانبَ المَعْنَوِيَّ في شِعْره أفضلُ من الجانبِ اللفظي الذي يبدو عليه شيءٌ من الجفاف. وله نثرٌ علميٌّ فيه شيءٌ من التعقيد.

(١) الجلد: القوي الاحتمال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن باجّه في الغزل:

أَسْكَنْ نَعْمَانَ الْأَرَكَ، تَيَقَّنُوا بَأْنِكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سَكَّانُ؛
ودوموا على حِفْظِ الْوِدَادِ فَطالما بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا اسْتَحْفِظُوا خَانُوا!
سلوا اللَّيْلَ عَنِّي، إِذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ: هَلْ أَكْتَحَلْتُ لِي فِيهِ بِالنَّوْمِ أَجْفَانُ؟
وهل جُرِّدَتْ أَسِيفُ بَرْقِ سَهَائِكُمْ فَكَانَتْ لَهَا إِلَّا جُفُونِي أَجْفَانُ^(١)!

- وقال يرثي أبا بكر بن إبراهيم بن تيفلويت (ت ٥١٠ هـ)، وكان والياً على سَرَ قُسْطَةَ من قِبَلِ المِرابِطِينَ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ لَعَمْرِي نَعَى الْمَجْدِ مَدَ نَوَاعِيكَ يَوْمَ قُمْنَا فَتَحْنَا^(٢).
كَمْ تَقَارَعْتَ وَالْخُطُوبَ إِلَى أَنْ غَادَرَتْكَ الْخُطُوبُ فِي التُّرْبِ رَهْنًا^(٣).
غَيْرَ أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُكَ وَالِدَهُ رَا إِخَالُ الْيَقِينِ فِي ذَاكَ ظَنًّا^(٤).
وَسَأَلْنَا: «مَتَى اللَّقَاءُ؟» فَقِيلَ: «الْحَشْرُ!» قُلْنَا: «صَبْرًا إِلَيْهِ وَحُزْنًا!».

- وله في مديح «الْمُلْتَمِينَ»:

قَوْمٌ إِذَا انْتَقَبُوا رَأَيْتَ أَهْلَةً، وَإِذَا هُمْ سَفَرُوا رَأَيْتَ بُدُورًا^(٥).
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ النِّوَالِ عُفَاتِهِمْ شُكْرًا، وَلَا يَحْمُونَ مِنْهُ نَقِيرًا^(٦).
لَوْ أَنَّهُمْ مَسَحُوا عَلَى جَذْبِ الرُّبَى بِأَكْفُفِهِمْ نَبَتَ الْأَقَاحُ نَضِيرًا.

-
- (١) الجفن (بفتح الجيم): قراب السيف. - حينما تشرق السماء من جهة بلادكم فلا يرى هذا البرق أحد غيري (لأنني أكون وحدي ساهراً في حبكم، وجميع الناس نياماً!).
(٢) قمن ونحن (بضم أولهما) فعلان ماضيان للجماعة الإناث من قام وناح.
(٣) قارع: نازع، غالب، قاتل. الخطوب جمع خطب (بفتح الخاء): المصيبة. رهناً = مرهوناً: باقياً.
(٤) اليقين الموت. - لم أصدق أنك مت.
(٥) إذا انتقبوا (وضعوا نقاباً أو غطاء على وجوههم) أشرق نور وجوههم من خلال النقاب اشراقاً قليلاً كما يبدو الهلال في أول الشهر. أمّا إذا أسفروا (كشفوا عن وجوههم) فهم بدور.
(٥) النوال: العطاء. العفاة جمع عاف: طالب العطاء. النقير: الذباب الأسود الصغير: هم يبيحون نوالهم لكل من يطلبه ولا يحمون (يتمنعون) من هذا النوال أحداً، ولا الذباب الأسود.

- حَسَبَ ابْنُ بَاجٍ مَرَّةً خُسُوفَ الْقَمَرِ وَنَظَّمَ فِي خُطَابِ الْقَمَرِ بَيِّنَتَيْنِ. ثُمَّ دَعَا نَفَرًا مِنْ أَصْدِقَائِهِ، قُبِيلَ مَوْعِدِ الْخُسُوفِ، وَجَعَلَ يَتَغَنَّى أَمَامَهُمْ بِذَنبِكَ الْبَيْتَيْنِ (نَفَحَ الطَّيْبُ ٧: ٢٥ - ٢٦):

شَقِيقُكَ غُيِّبَ فِي لَحْدِهِ؛ وَتُشْرِقُ، يَا بَدْرُ، مِنْ بَعْدِهِ؟
فَهَلَّا كُسِفَتْ فَكَانَ الْكُسُوفُ حِدَادًا لَيْسَتْ عَلَى فَقْدِهِ!
وَجَعَلَ يَرُدُّ الْبَيْتَيْنِ. فَلَمَّا خُسِفَ الْبَدْرُ عَظَّمَ التَّعَجُّبُ مِنَ الْحَاضِرِينَ.

- نَصٌّ مِنْ كِتَابِ «تَدْيِيرِ الْمُتَوَحَّدِ»:

.... وَكُلُّ فَعْلٍ لَا يَسْتَعْمَلُ الْإِنْسَانُ فِيهِ فِكْرَهُ فَهُوَ (عَمَلٌ) بَهِيمِيٌّ لَا شَرِكَةَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ الْمَوْضُوعَ (الْفَاعِلَ) جِسْمٌ خَلَقْتُهُ إِنْسَانِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَبْطِنٌ بَهِيمَةٌ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَ أَعْمَالٌ وَانْفِعَالَاتٌ مِنْ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ وَانْفِعَالَاتِهِ مِثْلَ الْعُجْبِ لِلطَّائِوُسِ وَالْكَرَمِ لِلدِّيكِ^(١) وَالْمَلَقِ لِلْكَلْبِ وَالْمَكْرِ لِلثَّلَبِ وَالْحِيَاءِ لِلْأَسَدِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِذَا كَانَتْ لِلْبَهَائِمِ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً لِلنَّوْعِ وَلَمْ يَخْتَصَّ بِهَا شَخْصٌ (دُونَ شَخْصٍ) مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ. وَ (لَيْسَتْ) هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فُضَائِلَ لِلْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا تَسْتَعْمِلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ سِوَاءِ أَكَانَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَوْ لَا يَنْبَغِي.... وَأَمَّا (الْأَفْعَالُ) الْفِكْرِيَّةُ فَهِيَ أَحْوَالٌ خَاصَّةٌ بِالصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَصُورَةِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ.....

٤- تَدْيِيرِ الْمُتَوَحَّدِ (حَرَّرَهُ د.م. دَنْلُوب - مَجَلَّةُ الْجَمْعِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ الْأَسْيُويَّة - لَنْدُنْ)، نَيْسَانَ (أَبْرِيلَ) ١٩٤٥م؛ (حَرَّرَهُ مِيفِيلَ آسِين بِالْأَثِينُوسِ)، مَدْرِيد - غَرْنَاطَةَ (الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، مَوْسَعَةُ مِيفِيلَ آسِين - مَدَارِسُ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَدْرِيد وَغَرْنَاطَةَ) ١٩٤٦م؛ (حَرَّرَهُ مَعْنُ زِيَادَةَ)، بَيْرُوتَ (دَارُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ - دَارُ الْفِكْرِ) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م.

- كِتَابُ النَّفْسِ (نَشَرَهُ مُحَمَّدٌ صَغِيرٌ حَسَنُ الْمَعْصُومِي)

(١) الْعَجَبُ: الزَّهْوُ (الْفَخْرُ بِالنَّفْسِ). ذَكَرَ الْجَاهِظُ (ت ٢٥٥) فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الدِّيَكَةِ (بِكْسَرٍ فَفَتْحَ: جَمْعُ دِيَكٍ) أَنْ تَأْخُذَ الْحَبَّ فَتَلْقِيهِ أَمَامَ الدَّجَاجِ، مَا عَدَا دِيَكَةَ مَرُو (عَاصِمَةُ خُرَاسَانَ فِي فَارَسٍ) فَإِنَّهَا تَسْلُبُ الدَّجَاجَ مَا فِي مَنَاقِيرِهَا

- تلخيص كتاب النفس
- كتاب الكون والفساد (نشره محمد صغير المعصومي)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٧ م.
- شرح السماع الطبيعي لأرسطو (تحرير ماجد فخري)، بيروت (دار النهار) ١٩٧٣ م.
- شروحات السماع الطبيعي (تحقيق مع زيادة)، بيروت (دار الكندي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- رسائل ابن باجّه الإلهية (حقّقها ماجد فخري)، بيروت (دار النهار للنشر) ١٩٦٨ م.
- رسالة الاتصال (مضموم إلى كتاب «ابن باجّه» لأحمد فؤاد الأهواني).
- ★★ ابن باجّه والفلسفة الغربية، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ثم ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.
- ابن باجّه، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الأنوار) ١٩٦٥ م:
- قلائد العقيان ٣٤٦ - ٣٥٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣٣٢ - ٣٣٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٨٣ - ٢٨٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٠ - ٢٤٢؛ المغرب ٢: ١١٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٢٩ - ٤٣١؛ نفع الطيب ٣: ١٨٥، ٣٧٣ - ٣٧٤، ٤٣٣ - ٤٣٤، ٤٦٧، ٧: ٧؛ شذرات الذهب ٤: ١٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ بروكلمن ١: ٦٠١، الملحق ١: ٨٣٠؛ نيكل ٢٥١ - ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٦٩ - ١٧٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٨ (١٣٧: ٧).

ابن خفاجة

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الهوّاريّ الشُّقْريّ، وُلِدَ في جزيرة شُقر* - وهي بَلْدَةٌ بين شاطِئَةِ وِبلَنْسِيَّة - سَنَةَ ٤٥٠ هـ (وفيات الأعيان ١: ٥٧) في أُسْرَةٍ على جانبٍ من اليَسَارِ وعلى قِسْطٍ من العِلْمِ والأدب. بدأ عِلْمَهُ في بَلَدِهِ ثُمَّ تَرَدَّدَ بين مُرْسِيَّة وشاطِئَةِ فَسَمِعَ من القاضي أبي عليّ الصَّدْفِيّ (ت ٥١٤ هـ) والفقيه أبي عمرانَ موسى بن تليدٍ الشاطِبي (ت ٥١٧ هـ) وأبي بكرٍ بن عتيقٍ بن أسيد (٥٣٨ هـ).

لَهَا ابنُ خفاجة في مَطَلَعِ حَيَاتِهِ ثُمَّ تَرَكَ اللّهُوَ والمُجُونَ، وعاشَ صَرُورَةً (لم يتزوَّج) وقَضَى مُعْظَمَ حَيَاتِهِ في ضَيْعَةٍ لَهُ قُرْبَ بَلَدِهِ يَنْظُمُ الشَّعْرَ في أغراضٍ نَفْسِهِ ولم يَقْصِدْ أَحَدًا من مُلُوكِ الطوائِف. ولكنْ بَعْدَ أن استولى المِرابطون على مُعْظَمِ جَزِيرَةِ

(*) شُقر بالضم (وفيات الأعيان ١: ٥٧)؛ وبالفَتْح (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢)

الأندلس وأزالوا مُعْظَمَ ملوكِ الطوائفِ، اتَّصَلَ ابْنُ خَفَاجَةَ - وكان قد بَلَغَ أَشَدَّهُ
وذاعتْ شُهْرَتُهُ - بِبُلاَةِ المرابطين على الأندلس ومدَحَهُم إِعْجَاباً لا تَكْسُباً. وكانت له
في أيامِهِمْ حُظُوءٌ. أمَّا وفاتُهُ فكانتْ في ٢٦ من شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٣
(١١٣٩/٦/٢٥ م)، في بلدته.

٢ - يُحِيطُ ابْنُ خَفَاجَةَ بِعَدِيدٍ من فنونِ المعرفة: الحديثِ والفِقه واللُّغة والنحو
وغيرها، ولكنْ غَلَبَ عليه نَظْمُ الشعرِ. وهو شاعرٌ وَجْدانيٌّ مطبوعٌ، على شِعْرِه طَلَاوَةٌ
وفيه سَهولَةٌ، وهو عَذْبُ الجُرْسِ تَشيعُ فيه رَنَّةٌ موسيقيةٌ قَلَّ أنْ تَجِدَ مثلها عندَ شاعرٍ
آخَرَ. ثم هو على النَهْجِ المَشْرِقيِّ ما فارقَ عَمُودَ الشعرِ قَطُّ. ورَبَّما حاولَ في القصيدةِ
بعدَ القصيدةِ أنْ يُلْقِيَ على أبياتِهِ نَفْحَةً من فَخامةِ الشعرِ القديمِ وفُنُونِ شعرِهِ المَذحِ
(إِعْجَاباً بِمدوحِهِ لا تَكْسُباً مِنْهُمْ) والرتاء والغزل والنسيب والهجاء (ورَبَّما أَفْحَشَ
فيه) والعتابُ والحكمة والزهد والإخوانيات. أمَّا الفنُّ الذي بَرَعَ فيه فهو وصفُ
الطبيعةِ والحنينِ إلى الوطن. وهو بارِعٌ جِدًّا في وصفِ الأشجارِ والأزهارِ والأنهارِ
حتَّى سُمِّيَ «الْجَنَّانَ» (لِكَثْرَةِ أوصافِهِ للحدائقِ والجنانِ ولبراعتهِ في تلكِ
الأوصافِ).

ولابن خَفَاجَةَ نَثْرٌ دون شِعْرِه مرتبَةٌ يُصَرِّفُهُ في بعضِ أغراضِ نَفْسِهِ في رسائلَ
إخوانيةٍ أو في أغراضٍ تتعلَّقُ بِعَدِيدٍ من قصائده. وقد جَمَعَ ابْنُ خَفَاجَةَ شعرَهُ ونَثْرَهُ
في ديوانٍ قَدَّمَ له بِمَقْدَمَةٍ أشارَ فيها إلى رأيِهِ في الشعرِ وفي شعرِهِ ونَثْرِهِ. وفي هذه المَقْدَمَةِ
خَطَرَاتٌ من النَقْدِ.

٣ - مَخْتارات من آثاره:

- من المَقْطَعاتِ القصارِ لابن خَفَاجَةَ:

★★ إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْسٍ^(١):

(١) رِيًّا: طيب الرائحة.

وَدُجَى لَيْلَتِهَا مِنْ لَعَسٍ ^(١).
صِيخْتُ: وَأَشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ!
أَشْهَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَاءِ ^(٢).
وَالزَّهْرُ يَكْنِفُهُ، مَجْرُ سَمَاءٍ ^(٣).
هُدْبٌ يَحِيفُ بِمَقْلَةٍ زَرْقَاءٍ ^(٤).
مُتَلَوِّياً كَالْحِمَةِ الرَّقْطَاءِ ^(٥).
ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ ^(٦).
بِحَيْثُ الظِّلِّ وَالْمَاءِ الْقَرَّاحُ ^(٧).
تَحَرَّمَ مُلْكُهُ الْقَدْرُ الْمُتَّاحُ ^(٨).
عَلَيْهِ، وَشَدُو طَائِرِهِ نُوَّاحٍ!
وَطَارِخَنِي بِشَجْوِكَ، يَا حَمَامُ ^(٩).
وَنَادَتْنِي وَرَائِي: هَلْ أَمَامُ!
هَنَّاكَ، وَمِنْ مَرَاضِعِي الْمَدَامُ ^(١٠).
فَيُنْكِرُنَا، وَيَعْرِفُنَا الظَّلَامُ ^(١١).

فَسْنَا ضَخَوْتَهَا مِنْ شَنْبٍ،
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَباً ^(٢).
★★ اللَّهُ نَهْرٌ سَالٌ فِي بَطْحَاءٍ
مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السَّوَارِ كَأَنَّهُ،
وَعَدَتْ تَحِيفُ بِهِ الْغُصُونُ كَأَنَّهَا
وَالْمَاءُ أَسْرَعَ جَرِيَهُ مُتَحَدِّراً
وَالرِّيحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ، وَقَدْ جَرَى
★★ وَمُرْتَبِعٍ حَطَطْتُ الرِّحْلَ فِيهِ
تَحَرَّمَ حُسْنُ مَنْظَرِهِ مَلِيكَ
فَجَرِيَةُ مَاءٍ جَذُولِهِ بُكَاءٍ
★★ أَلَا سَاجِلُ دُمُوعِي، يَا غَمَامُ.
فَقَدْ وَقَيْتُهَا سِتِّينَ حَوْلًا،
وَكُنْتُ وَمِنْ لُبَانَاتِي لُبِينِي
يُطَالِعُنَا الصَّبَاحُ بَبْطُنِ حُزْوِي

(١) السنا: الضوء الساطع. الشنب: بياض الأسنان. اللعس: السمرة في الشفاه.

(٢) صبا: من الشرق (بليلة باردة).

(٣) البطحاء: الأرض المنبسطة. الورد: الذهاب إلى الماء للشرب. اللمى: السمرة في الشفاه (وهنا الرقيق).

(٤) يكنفه: يحيط به. المجر (لعلها هنا جمع مجرة) مجموع نجوم يعترض في السماء من الشمال إلى الجنوب.

(٥) الهدب: شعر جفون العينين.

(٦) الرقطاء: التي على جلدها نقط سود.

(٧) ذهب الأصيل (بين الظهر والمغرب): (نور الشمس الأحمر) على لجين (فضة) الماء (بياض الماء).

(٨) المرتبع: مكان ينزله الناس في الربيع. القراح: الصافي.

(٩) لعلّه وقف هنا على قبر أحد الملوك. المتاح: المرسل، الذي لا مفرّ منه.

(١٠) ساجله: باراه، سابقه (يقول إن دموعه أغزر من المطر). طارحه الحديث: تحدثا وناقش بعضها بعضاً. الشجو: الحزن.

(١١) اللبانة الحاجة. المدام: الخمر.

(١٢) إذا طلع الصبح افترقنا فلا يعلم النهار أننا محبان. وإذا جاء الظلام اجتمعنا فيعرف الليل أننا محبان

وكان لي البشامُ مراح أنسر ،
 ★ ★ أي عيش أو غذاء أو سنة
 قلص الشيبُ بها ظلَّ امرئ
 تارة تسطو به سيئة
 ★ ★ عاثت بساحتك الطبي، يا دارُ،
 فإذا تردّد في جنابك ناظرُ
 أرض تقاذفت الخطوبُ بأهلها،
 كتبت يدُ التاريخ في عرصاتها
 ★ ★ يا أهل أندلس، لله درُّكمُ:
 ما جنةُ الخلد إلا في دياركمُ.
 لا تحسبوا في غداً أن تدخلوا سقراً.
 ★ ★ يا لؤلؤا ينسي العيون أنيقاً،
 ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله:
 وإذا نظرت إلى محاسن وجهه،

فإذا بعدنا فعل البشام^(١) ؟
 لابن إحدى وثمانين سنة^(٢) ؟
 طالما جرّ صباه رسنه^(٣).
 تسخن العين، وأخرى حسنه^(٤) !
 ومحا محاسنك البلى والنار^(٥).
 طال اعتبار فيه واستعمار^(٦).
 وتمحصت بحرايبها الأقدار^(٧)،
 (لا أنت أنت، ولا الديار ديار)^(٨).
 ماء وظل وأنهار وأشجار.
 ولو تخيرت، هذا كنت أختار.
 فليس تدخل بعد الجنة النار^(٩) !
 ورشاً بتقطيع القلوب رقيقاً^(١٠)،
 درأ يعود من الحياء عقيقاً^(١١).
 ألفت وجهك في سنه غريقاً^(١٢).

- (١) البشام: نوع من الشجر.
- (٢) سنة (بكر السين): النعاس، النوم.
- (٣) قلص الشيء: صغر مساحته (بكر الميم). جرّ صباه رسنه (الجاهة): كان قد جعله الشاب يندفع في ملذاته بلا ضابط.
- (٤) تسخن العين: تبكي، تؤلم.
- (٥) عاث: أفسد. الظي جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. البلى: الفناء.
- (٦) اعتبار: تأمل في حوادث الأيام. استعمار: بكاء.
- (٧) تمحصت: انكشفت (ظهر أثرها).
- (٨) العرصة (يفتح وسكون): ساحة الدار. «لا أنت أنت ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأيّ مقام (كناية عن تبدل الأشياء تبدلاً كاملاً).
- (٩) سقر من أساء جهنم.
- ★ تروي أيضاً لابن عبد ربه
- (١٠) لؤلؤ (كناية عن الوجه الأبيض الجميل). الأنيق: الذي يعجب العين. الرشأ: الغزال الصغير.
- (١١) العقيق: حجر كريم أحمر اللون. (حينما يستحي يصبغ وجهه الأبيض أحمر اللون).
- (١٢) رأيت وجهك في وجهه (كان وجهه مرآة).

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ، ما بِالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا؟
 ★★ ومائسةٌ تُزْهِى وقد خَلَعَ الحَيَا عليها حُلَى حُمْرًا وَأُرْدِيَّةً خُضْرًا^(١).
 يذوبُ لها ريقُ الغائمِ فِضَّةً ويجمدُ في أعطافِها ذَهَبًا نَضْرًا.
 - وقال يُدَاعِبُ مِنْ بَقْلِ عِذارِهِ:

أُثِمَّا التَّائِهَ، مَهْلًا، ساءَ في أَنْ تِهْتَجَّ جَهْلًا^(٢).
 هَلْ تَرى - فِيمَا تَرى - إِلَّا شَبَابًا قَدْ تَوَلَّى؟
 وَغَرَامًا قَدْ تَسَرَّى وَقُوَادًا قَدْ تَسَلَّى^(٣)؟
 أَيْنَ دَمْعٌ فِيكَ يَجْرى أَيْنَ جَنْبٌ يَتَقَلَّى...؟

أَمَّا بَعْدُ: أُثِمَّا النَبِيلُ النَبِيه، إِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ الْعِذارُ وَالْتِيه^(٤). قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَغُضُنُ
 الشَّبِيه رَطْبًا، وَمَنْهَلُ ذَلِكَ الْمُقْبِلِ عَذْبٌ^(٥). وَأَمَّا وَالْعِذارُ قَدْ بَقِلَ^(٦) وَالزَّمانُ قَدْ
 انْتَقَلَ وَالصَّبُّ قَدْ صَحَا وَعَقَلَ، فَقَدْ رَكَدَتْ رِياحُ^(٧) الْأَشْواقِ وَرَقَدَتْ عَيُونُ الْمُشَاقِّ.
 فَدَغْ عَنْكَ مِنْ نِظَرَةِ التَّجَنِّي وَمِشْيَةِ التَّشَنِّي، وَغُضُّ مِنْ عِنانِكَ^(٨) وَخُذْ فِي تَرَضِّي
 إِخْوانِكَ. وَهَشَّ عِنْدَ اللَّقَاءِ هِشَّةً أُرْيَحِيَّةً وَاقْنَعْ بِالْإِياءِ رَجْعَ تَحِيَّةٍ^(٩). فَكَأَنِّي بِفِئائِكَ

(١) يصف زهرة بتلاتها بيض وجوفها أصفر. الحيا: المطر.

(٢) التائه: المعجب (بضم الميم وفتح الجيم) بنفسه والتكبر على غيره.

(٣) تسرى: ذهب في السرية (خرج إلى الحرب): ذهب عنك. وريًا تسرى: تزوج سرية (أمة من النساء).
 تسلى (عنك): نسيك لاشتغاله بغيرك.

(٤) العذار: الشعر الذي ينبت في الوجه.

(٥) المنهل: المشرب (مكان الشرب). المقبل: الفم.

(٦) بقل: نبت.

(٧) ركذ: هداً.

(٨) التجنّي: نسبة الذنوب إلى الآخرين، ظلم الآخرين. التشنّي: التخلّع، التأيل بدلال. غَضٌّ (اخفض)
 من عنانك (لجامك): اكبح نفسك، لا تحاول أن تستميل الناس بالتكبر عليهم (ذلك تفعله النساء
 الجميلات الشابات).

(٩) هشّ: تلقى الناس بطلاقة وجهه ويتواضع. الإياء (الإشارة). لا تنتظر من الناس أن يحتفوا بك كما
 كانوا يفعلون من قبل).

مهجوراً وبزائرك مأجوراً^(١). والسلام.

- ومن مقدمة ديوانه (نثراً):

والشعر - وإن اهتبل به واعتُمِلَ فيه^(٢) - ليس يخلو جيده من سقَطٍ وانقسام
إلى طرفينٍ ووسطٍ.... فكلُّ ما ينشأ من أجزاءٍ مُؤتَلَفَةٍ فإنَّما يتركَّبُ من أشياء
مختلفة. والشعرُ يأتلفُ من معنَى ولفظٍ وعروضٍ وحرفٍ روي^(٣)، فقد يتعاصى في
بعضِ الأمكنةِ جزءٌ من هذه الأجزاء أو أكثرُ.... وإنَّ من قولنا^(٤) ما كنَّا قد
افتتحناه بمنثورٍ، وشحناه بفقيرٍ مزدوجةٍ وشُدور^(٥). وها نحن قد أوردناه كما كنَّا
سرَدناه، ونقلناه بحسبِ ما قلناه، تعلقاً بحرٍّ من النثر يساق خلالِ النظم، وينتقلُ
مطالعُه من قسمٍ من الكلام إلى قسم. ولعلَّ ذلك أبسطُ للنفسِ وأنشطُ، وأذهبُ مع
الأنسِ وأهذبُ^(٦). ومنه ما كان انتظمَ في عصرِ الشيبيةِ وبطريقِ الدُّعابةِ والطَّيِّبةِ؛
ولمَّا لم نُشِرْ في معناه إلى نُكْرٍ، ولم نُلَمَّ في ألفاظِهِ بهُجْرٍ، أثبتناه في بابِ الفكاهةِ
والهزلِ. ولعلَّ لها موقِعاً من نفسِ الفقي النَّدبِ^(٧) والسيدِ الجزلِ^(٨).

- وله مقطوعة في اللهو:

وليلٍ تعاطينا المدام، وبيننا حديثٌ كما هبَّ النسيمُ على الورْدِ.

(١) الفناء: الباحة أمام البيت. فناؤك مهجور (لا يزورك أحد). مأجور: له أجر عند الله (بالأس كانوا يزورونك لمصية. واليوم يزورونك قياماً بواجب اجتماعي).

(٢) اهتبل: انتزع فجأةً (أتى عفواً). اعتمل فيه: جهد الشاعر في نظمه.

(٣) العروض: وزن الشعر. الروي: الحرف الذي تبنى عليه قافية القصيدة.

(٤) قولنا: قول الشعر.

(٥) وشح: زين. الفقرة (بالكسر): الجملة القصيرة. مزدوجة: جملتان متساويتان في الطول ومسجوعتان. الشذر (بفتح فسكون): قطع صغيرة من الذهب توضع بين حبات اللؤلؤ في العقد (أتينا بين المزدوجات بجمل غير مسجوعة).

(٦) أبسط للنفس (أكثر سروراً) أذهب مع الأنس: أكثر موافقة للهو. أذهب: أشدَّ أثرًا في تهذيب النفس (٤).

(٧) النكر: الأمر المنكر (الذي لا يجوز فعله). الهجر: القول أو العمل القبيح.

(٨) النَّدب: الظريف. الجزل: العظيم، الكثير (الوقور).

نُعَاوِدُهُ وَالكَأْسُ تَعْبَقُ نَفْحَةً؛ وَأَطِيبُ مِنْهُ مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي^(١)،
وَنَرْجَسُهُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدُهُ الْحَدَّ^(٢)،
إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَأْسُ وَالْكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لَهَا بَيْنَ أَضْلُمِي
وَعَايِنْتُهُ قَدْ سَلَّ مِنْ وَشِي بُرْدِهِ:
لَبَانَ مَجَسٌّ وَاسْتَقَامَةً قَامَةً
أُغَارِلُ مِنْهُ الْفُضْنَ فِي مَفْرَسِ النَّقَا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
تَسَافَرُ كِلْتَا رَاخَتَيْ جِسْمِهِ،
فَتَهَيِّطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفِّي تِهَامَةً
وَأَطِيبُ مِنْهُ مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي^(١)،
وَنَرْجَسُهُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدُهُ الْحَدَّ^(٢)،
وَمَا لَا بَعْطْفِيهِ فَمَالَ عَلَى عَضْدِي.
مِنْ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّغُورِ مِنَ الْبَرْدِ!
فَعَايِنْتُ فِيهِ السَّيْفَ سَلَّ مِنَ الْغَمْدِ:
وَهَزَّةَ أَعْطَافٍ وَرَوْتَقَ إِفْرَنْدٍ^(٣).
وَأَلْتِمُ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ^(٤).
أَخُوهَا كَمَا قَدْ الشِّرَاكُ مِنَ الْجِلْدِ^(٥).
فَطَوَّرًا إِلَى خَصْرِ وَطَوَّرًا إِلَى نَهْدِ:
وَتَصَعَّدُ مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ^(٦)!

٤ - ديوان ابن خفاجة، مصر (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ (نشره كرم بستانى)، بيروت (دار صادر) ١٩٥١ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ (تحقيق مصطفى غازي)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦٠ م.
★ ★ ابن خفاجة، تأليف محمد رضوان الدايدة، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

قلائد العقيان ٢٦٦ - ٢٧٨؛ الصلوة ١٠٠ وما بعدها؛ بغية الملتبس ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ١٤٧ - ١٦٣، ٥٤٨ - ٥٥٢؛

- (١) ما نعيد وما نبدي (نبداً) من الكلام - أو من الأفعال.
- (٢) النقل: ما يتفكك به الناس من المكسرات والفاكهة وما شابهها. أقاح وأقاحي جمع أقحوان بضم الهمة والحاء (القاموس ٤: ٣٧٦) الثغر (الغم: الأسنان. سوس: زنبق. الطلاجع طلاء) (بالضم): العنق.... يقصد أنه على الشراب لا يتناول اللوز والفسق. الخ، بل يقبل هذه الأعضاء من المحبوب.
- (٣) اللبان: اللين. الإفرند: السيف.
- (٤) - قامته التي هي كالفضن. النقا: الرمل الأبيض (يقصد أن وسط المحبوب كبير كأنه تلة من النقا).
- (٥) فإن لم يكن: إذا لم يكن هذا المحبوب هو الشمس (بالنصب على أنها خبر كان، والضمير «هو» لتوكيد اسم كان). قد: قطع. الشراك: سير من جلد.
- (٦) الكشح: أوسط الجسم (عند الخصر). تهامة (ساحل الحجاز): المكان المنخفض. النجد: ما ارتفع من الأرض.

الخريدة (الأندلس) ٢: ١ - ٦، ٦٢٥ - ٦٣٣؛ الوافي بالوفيات ٦: ٨٣ - ١٩٠، وفیات الأعيان ١: ٥٦ - ٥٧، ٣٩٥؛ المغرب ٢: ٣٦٧ - ٣٧١، المطرب ١١١ - ١١٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ نفح الطيب ١: ١٦٩ - ١٧٠، ٢١٠، ٥٠٤، ٥٣٦، ٥٣٩، ٦٧٧ - ٦٨٧، ٣: ٢٠٠ - ٢٠٢، ٣١٨، ٣٢٠ - ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٠٥، ٤٦٠، ٤٨٨ - ٤٨٩، ٤: ١٤ - ١٥، راجع ٥٤، ١٠٦ - ١٠٧، ٣٢٨، ٤٥٥، ٥: ٥٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٢٢ - ٨٢٣؛ بروكلمن ١: ٣٢١، الملحق ١: ٤٨١ - ٤٨٢؛ مختارات نيكل ١٥٠ - ١٥٤؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣ - ١٢٥؛ الأعلام للزركلي ١: ٥١ (٥٧)؛ سركيس ١٩٥؛ تاريخ النقد (عباس) ٤٩٧ - ٤٩٩؛ نيكل ٢٢٧ - ٢٣١.

أبو الفضل بن شرف

١ - هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني، وُلِدَ في بَرَجَة، قرب المَرِيَّة (الأندلس) في الغالب، سَنَة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعدها بقليل^(١). وكان أبو الفضل يتزَيَّاً بزيّ البدو. وجاء بهذا الزي من بَرَجَة إلى المَرِيَّة لِيَمْدَحَ المعتصم بن صَاحِد^(٢). ويبدو أنَّ حاله ارتقت بعد ذلك فَكَثُرَ اتِّصَالُهُ بملوك الطوائف وتولَّى عندهم عدداً من المناصب ثم تولَّى مَنَصِبَ الوزارة^(٣). وكانت وفاة أبي الفضل جعفر بن شرف سَنَة ٥٣٤ هـ (١١٤٠ م).

٢ - أبو الفضل بن شرف « هو الحكيمُ الفيلسوف » (نفح الطيب ٣: ٣٩٥)، وهو

(١) في نفح الطيب (٣: ٣٩٥) « ... ولد ببرجة، وقيل إنَّه دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين ». ويبدو أن حسن حسني عبد الوهاب قد قبل أن يكون مولد جعفر بن شرف في القيروان ودخوله إلى الأندلس في السابعة من عمره. وبما أن أبا عبد الله محمد بن شرف (والد أبي الفضل جعفر) قد دخل إلى الأندلس في نحو سنة ٤٥٠ هـ، فقد جعل ولادة جعفر سنة ٤٤٤ هـ (مجلد تاريخ الأدب الأندلسي ١٧٧).

(٢) كان محمد بن معن المعتصم بن صَاحِد من ملوك الطوائف في المَرِيَّة وما حولها. ويبدو أن جعفر بن شرف كان في مقتبل عمره لما جاء إلى المعتصم بن صَاحِد مادحاً. ولعلَّ ذلك كان قبل معركة الرِّلَاقَة (٤٧٩ هـ)، فإنَّ ملوك الطوائف اشتغلوا بعد تلك المعركة بدفاع المَرابِطِين عَمَّا كان بأيديهم من البلاد التي كان النصارى الإسبان يستولون عليها قليلاً قليلاً، أي قبل أن يبلغ جعفر بن شرف الثلاثين من عمره.

(٣) مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٧٧.

« فقيهٌ مشهورٌ » (بغية الملتبس ص ٢٣٩). ثم هو كاتبٌ شاعرٌ مليحٌ المعاني عَذْبُ الكلام زادَ في رِقَّةِ الشعرِ على أبيه^(١). وتراه أحياناً يسمو بشعره إلى المتانةِ والحُسونةِ حتَّى يكادُ شعرُهُ يُصبحُ بدوياً جاهليّاً، كما يسمو أحياناً أخرى إلى مُعارضةِ المتنبي فيقاربه في الألفاظِ وبناء الأبيات، ورُبَّما لَمَحَ لَمَحَةً أدنَتْهُ من معاني المتنبي. وله أرجوزة^(٢) في الزُّهدِ وذِكْرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم والصَّحابةِ، ولعلَّ له تصانيفاً.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف حكم منها:

العالم مع العلم كالناظر إلى البحر يستعظم منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر -
الفاضل في الزمن السوء كالصباح في البراح^(٣)، قد كان يضيء لو تركته الرياح -
التعليم فلاحه الأذهان، وليست كلُّ أرضٍ منبتة - الحازم من شكٍّ فروى وأيقن
فبادر^(٤) - ليس المحروم من سأل فلم يُعطَ، وإنَّها المحروم من أُعطي فلم يأخذ.

- وقال يمدحُ محمدَ بنَ معمرِ المعتصم بنَ صُهاح صاحبِ المِرْيَةِ:

مَطَلَ اللَّيْلُ بوعَدِ الفَلَقِ وَتَشَكَّى النَجْمُ طَوْلَ الأَرَقِ^(٥).
ضربتُ رِيحُ الصَّبَا مِسْكَ الدُّجَى فَاسْتَفَادَ الرُّوضُ طِيبَ العَبَقِ^(٦).
وَأَلَا حَ الفَجْرُ خَدًّا خَجَلًا جال من رَشَحِ النَّدى في عَرَقِ^(٧).

(١) خلط كثير من رواة الأدب والمؤرخين في تاريخ الأدب بين أشعار أبي عبد الله محمد بن شرف وبين أشعار ابنه أبي الفضل جعفر.

(٢) فهرسة ابن خير ٤٢٣.

(٣) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٤) البادرة: ما يسرع به الإنسان من قول أو عمل.

(٥) الفلق: انشقاق الفجر (طلوع الصبح). الأرق: السهر، قلة النوم. - لم يفِ الليل بوعده في طلوع الصبح في حينه فشمت النجوم من سهرها في هذا الليل الطويل.

(٦) ريح الصبا الشرقية (الباردة) اختلطت بلون الليل (الذي يشبه المسك الأسود) فنتجت (بالبناء للمجهول) منه رائحة طيبة.

(٧) ألاح (أبدى، أظهر، أدار) الفجر خدًّا خَجَلًا: بدأ ظهور الفجر، فظهرت (في النور القليل) نقاط =

جَاوَزَ اللَّيْلَ إِلَى أَجْمِهِ فَتَسَاقَطْنَ سَقُوطَ الْوَرَقِ^(١).
وَاسْتَفَاضَ الصُّبْحُ فِيهِ قَيْضَةً أَيْقَنَ النِّجْمُ لَهَا بِالْفَرْقِ^(٢).
فَانْجَلَى ذَاكَ السَّنَا عَنْ حَلَكِ، وَامَّحَى ذَاكَ الدُّجَى عَنْ شَفَقِ^(٣).
بَأْيٍ بَعْدَ الْكَرَى طَيْفٌ سَرَى طَارِقاً عَنْ سَكْنٍ لَمْ يَطْرُقِ^(٤)،
زَارِنِي وَاللَّيْلُ نَاعٍ سِدْقَهُ وَهُوَ مَطْلُوبٌ بِبَعْضِ الرَّمَقِ^(٥).
وَدُمُوعُ الطَّلِّ تَغْرِيبُهَا الصَّبَا، وَجَفُونُ الرُّوْضِ غَرَقْنِي الْحَدَقِ^(٦)،
فَتَأَنَّى فِي إِزَارٍ ثَابِتٍ، وَتَشَنَّى فِي وَشَاحٍ قَلْبِي^(٧).
وَتَجَلَّى وَجْهُهُ عَنْ شَعْرِهِ فَتَجَلَّى فَلَقْتُ عَنْ غَسَقِ^(٨).
نَهَبَ الصُّبْحُ دُجَى لَيْلَتِهِ فَحَبَا الْخَدَّ بِبَعْضِ الشَّفَقِ^(٩).

- = الندى (التي كانت قد نزلت في الليل البارد على الأشجار) كأنها نقاط عرق (على خد جيل).
(١) - بعد أن بدأ الفجر يطرد الليل وصل إلى النجوم فأخذت تحتفي نجماً بعد نجم (كما تساقط أوراق الشجر في الخريف).
(٢) ثم جاءت دُفْعَةٌ جديدة من نور الفجر فأيقنت النجوم أنها ستختفي كلها بعد ذلك.
(٣) فتبَيَّنَ السَّنَا (النور) بعد الحلك (الظلام). وذهب الدجى (ظلام الليل) وبقي مكانه الشفق (حمرة الفجر).
(٤) أفدي بأبي = أي فداء : ما أحسن هذا الطيف (الخيال الذي رأيته في المنام) والذي جاء في آخر الليل (بعد أن نمت). طارِقاً : مفاجئاً (على غير انتظار). سَكْنٌ : شيء تسكن إليه، تسر به. لم يطرُق : لم يزر (قبل الآن).
(٥) ناعٍ سِدْقَهُ (شدة ظلامه) : وقد أوشك أن ينتهي. وهو مطلوب : يطلبه (يلحق به) الصبح ليجهز عليه، ولا يزال فيه بعض الرمق (بقية سيرة).
(٦) - وكانت نقاط الندى قد بدأت تمربها الصبا (قد بدأت ريح الصبا العليلة الخفيفة تهز الأغصان فتساقط حبات الندى). بينما بقي عدد من الأزهار تملأ نقاط الندى (وعيون الروض، أي الأزهار) غرقى (بملأها الندى). الحدق : الميون (هنا : قلب الزهر).
(٧) فتَأَنَّى (المحبوب الذي جاءني في المنام) : سار على مهل. بإزار ثابت (كان إزاره، أي الثوب الذي على القسم الأدنى من جسمه، ثابتاً لا يتحرك، لأنَّ أوسط جسمه مليء مكتنز) ويتشَنَّى (يتأيل بدلال) بوشاح (عقد أو شيء تطرحه المرأة على أكتافها) فلقى (كثير التحرك، لأنَّ القسم الأعلى من جسد المحبوب أهيف، رشيق، ناعل).
(٨) ولَمَّا أَزَاحَ شَعْرَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ أَزَالَ الْفَسَقَ (الظلام : شعره الأسود) عن الفلق (الصبح : وجهه الأبيض).
(٩) إِنَّ اللَّيْلَ قَدْ أَخَذَ لَوْنَهُ مِنْ سَوَادِ شَعْرِ الْمَحْبُوبِ وَعَوَّضَهُ عَنْ ذَلِكَ شَيْئاً مِنَ الْحُمْرَةِ فِي خَدِّهِ.

سَلَبْتُ عَيْنَاهُ حَدِيثِي سَيْفِهِ وَتَحَلَّى خَدَّهُ بِالرَّوْنَقِ^(١) .

وهنا أربعة وعشرون بيتاً تصفُ فرساً وفارسه وجولانها في معركة خيالية يتخذها الشاعر وسيلةً إلى الإتيان بصورةٍ بلاغيةٍ بارعةٍ معَ عددٍ من الألفاظ الغريبة. وتنتهي القصيدة بأربعة أبياتٍ في المديح، هي:

يا بنى مَعْنٍ لَقَدْ ظَلَلْتُ بِكُمْ شَجَرَ لَوْلَا كُمْ لَمْ تُورَقِ^(٢) .
لو سقى حَسَّانٌ إِحْسَانَكُمْ مَا بَكَى نُدْمَانَهُ فِي جَلْقِ^(٣) .
أَوْ دَنَا الطَّائِيُّ مِنْ حَيْكُمِ مَا حَذَا الْبَرْقَ لَرَبْعِ الْأَبْرِقِ^(٤) .
أَبْدَعُوا فِي الْفَضْلِ حَتَّى كَلَّفُوا كَاهِلَ الْأَيَّامِ مَا لَمْ يُطِيقِ^(٥) .

- وله من قصيدة في الحماسة والحكمة:

إِنِّي - وَإِنْ غَرَّتْ نَيْلُ الْمُنَى - لَأَرَى حِرْصَ الْفَتَى خَلَّةً زِيدَتْ إِلَى الْعَدَمِ^(٦) .
تَقَلَّدْتَنِي اللَّيَالِي وَهِيَ مُدْبِرَةٌ كَأَنِّي صَارُمٌ فِي كَفٍّ مُنْهَزِمٍ^(٧) !
ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ لَا أَلْوِي عَلَى نَشَبٍ، وَإِنْ دُعِيتُ بِهِ أَبْنُ الْحَمْدِ وَالْكَرَمِ^(٨) .

(١) في عينيه وخده صفات السيف: حدّ السيف القاطع في عينيه، ولون السيف الجلّو الأبيض في وجهه. الرونق: الجلال والبياض.

(٢) ظَلَلْتُ = أَظَلْتُ: ظَلَلْتُ (الناس) بِحُكْمِكَ الْأَمِينِ الْعَادِلِ وَبِكَرَمِكَ.

(٣) لو أَنَّ كَرَمَكَ وَصَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ لَنَسِيَ (لَمَّا ذَكَرَ حَسَّانَ) كَرَمَ مَدْمُوحِيهِ فِي جَلْقٍ (بَصْرِي عَاصِمَةِ الْفُتُوحِ). كَانَ حَسَّانٌ قَدْ قَالَ:

للهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتُهُمْ يَوْمًا بِجَلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ.

يُمْكِنُ ضَبْطُ هَذَا الْبَيْتِ بِنَاءً «سَقَى» لِلْمَجْهُولِ (سَقَى) وَبَرَفَعَ حَسَّانٌ وَنَصَبَ إِحْسَانَكُمْ.

(٤) وَلَوْ أَنَّ حَاتِمًا الطَّائِيَّ جَاوَرَكُمْ مَدَّةً لَمَّا اشْتَأَقَ إِلَى رُبْعِ الْأَبْرِقِ.

(٥) لَقَدْ جَاءَ الْمَدْمُوحُونَ (بَنُو مَعْنٍ) بِبَدْعٍ (أَشْيَاءَ لَمْ تَعْرِفْ مِنْ قَبْلُ) فِي الْكَرَمِ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَرَادَ تَقْلِيدَهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ.

(٦) الْحِرْصُ: الْجَشْعُ، الطَّمَعُ فِي الْحَصُولِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. الْخَلَّةُ (بِفَتْحِ الْهَاءِ): الْحَصْلَةُ، الْخَاصَّةُ، الصِّفَةُ. الْعَدَمُ: الْفَقْرُ.

(٧) تَقَلَّدْتَنِي اللَّيَالِي: حَلَّتْنِي، تَزَيَّيْتُ فِي. مُدْبِرَةٌ: مُتَقَهَّرَةٌ، (أَيَّامٌ فَقْرٌ وَهَزِيمَةٌ). صَارُمٌ: سَيْفٌ. - جُسْتُ فِي زَمَانٍ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْتَفِيدَ فِيهِ مِنْ مَوَاهِي.

(٨) ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ (بِنَفْسِي): تَكَبَّرْتُ، فَضَّلْتُ نَفْسِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، تَرَفَعْتُ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. لَا أَلْوِي (أَلْتَفِتُ) إِلَى نَشَبٍ (مَالٍ، ثَرْوَةٍ).

فللمصارع أطرافُ اليراعِ يدٌ بَنَتْ لي المجدَ بينَ السيفِ والقلمِ^(١).

- وقال يشكو الدهر وأهله (نفع الطيب ٣ : ٢٢٩):

لعمركَ ما حَصَلْتُ على خَطيَرٍ من الدنيا ولا أذركُ شَيْئاً^(٢).
وها أنا خارجٌ منها سَلِيباً أَقْلِبُ نادماً كِلْتا يَدَيَّ.
وأبكي ثم أَعْلَمُ أَنَّ مَبْكَأَ يُّ لا يُجدي فأَمْسَحَ مَقْلَتِيَّاً^(٣).
ولم أَجْزَعْ لَهْولِ الموتِ لكنْ بَكَيْتُ لِقَلَّةِ الباكي عَلَيَّ،
وَأَنَّ الدهرَ لم يَعْلَمْ مَكَانِي ولا عَرَفَتْ بَنُوهُ ما لَدَيَّ،
زَمَانٌ سوفَ أُنْشَرُ فيه نَشْراً إذا أنا بِالْحِجَامِ طُويتُ طَيّاً^(٤).
أَسْرُ بِأَنِّي سَاعِيشٌ مَيْتاً به، ويسوءُني أَنَّ مِثَّ حَيّاً^(٥).

- وفد أبو الفضل بنُ شَرَفٍ مرَّةً على المعتصم بنِ صَهاجٍ يشكو إليه عاملاً (جايَ ضرائبٍ) ناقَشه في قَريَةٍ يَحْرُثُ فيها، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها (نفع الطيب ٣ : ٣٩٦):

قَامَتْ تَجَرُّ ذُيُولَ العَصَبِ والحَبَرِ ضَعِيفَةُ الحَصَرِ والمِيثاقِ والنَظرِ^(٦).
لَم يَبْقَ لِلجَوْرِ في أَيَّامِكُم أَثَرٌ إِلَّا الذي في عُيُونِ الغَيْدِ من حَوَرٍ^(٧).
من كُلِّ مَازِيَةٍ أُنْثَى، فِيا عَجَبًا كيف استهانَتْ بوقوعِ الصارمِ الذَكَرِ^(٨).

- وقال في التملُّقِ والمدارة:

إذا ما عَدُوُّكَ يوماً سَما إلى رُتْبَةٍ لَمْ تَسْتَطِعْ نَقْضُهَا،

(١) اليراعة: القصة الجوفاء (القلم) - ولعلها الرماح (٤).

(٢) خطير: عظيم، مهم، ذو قيمة.

(٣) يجدي: ينفع.

(٤) أنشر: أبعث (اشتهر). الحجام: الموت.

(٥) عشت مَيْتاً (مغموراً، مجهولاً)، وساعيش مَيْتاً: سأشتهر بعد موتي.

(٦) العصب: نوع من البرود (ثياب الحرير المقصّبة: المنسوجة بالذهب). الحبر: الثياب حرير سود.

(٧) الغيداء: المرأة الجميلة. الحور: شدّة أبيضاض بياض العين وشدة أسوداد سوادها.

(٨) المازية الدرع (والدرع التي تلبس في الحرب مؤنثة). الصارم الذكر: السيف الذي سقى الذكرة (بضمّ

الذال)، الفولاذ.

فَقَبْلَ - ولا تَأْنَفَنَّ - كَفَّه إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَطِعْ عَضُّهَا.

- ٤-★★ فلائد العقيان ٢٩٠ - ٣١٤، الصلة ١٣١، التكملة ٨٧٠؛ الذخيرة ٣: ٨٦٧ - ٨٨٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٧١ - ١٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٣ - ٣٩؛ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢؛ نفح الطيب ١: ١٥١، ٣: ٢٢٩، ٣٧١، ٣٩٣ - ٣٩٦، ٣٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦ - ٩٣٧؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨؛ مختارات نيكل ١٢٩ - ١٣٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٢٤ (١٢٨).

أبو العباس بن العريف

١ - هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الصِّنْهَاجِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَرْبِيِّ، مِنْ قَبِيلَةِ صِنْهَاجَةَ وَمَنْسُوباً إِلَى مَدِينَةِ الْمَرْيَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ (وفيات الأعيان ١: ٩٤).

وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ فِي الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٤٨١ (١٠٨٨/٨/٢٣ م). وَقَدْ كَانَ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ الصَّالِحِينَ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي عِيَّاضِ بْنِ مُوسَى الْيَحْصِيَّيِّ (ت ٥٤٤ هـ) مَكَاتِبَاتٌ. وَوَشَّى بِهِ بَعْضُ أَعْدَائِهِ إِلَى سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ عَلِيِّ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشَفِينَ فَاسْتَقْدَمَهُ عَلَيْهِ بَنُ يَوْسَفَ إِلَى مَرَّاكُشَ. وَفِي مَرَّاكُشَ تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ، فِي ٢٢ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٦ (١١٤١/٩/٢٦ م).

٢ - كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصِّنْهَاجِيُّ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْعُلُومِ وَعِنَايَةٌ بِالْقِرَاءَاتِ كَمَا كَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا «كِتَابُ الْمَجَالِسِ» (تَمَّا يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ). وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْعَرِيفِ أَيْيَاتٌ رَقِيقَةٌ عَلَى مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ (بَغْيَةِ الْمُلْتَمَسِ ١٥٥؛ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١: ٩٤):

شَدُّوا الْمَطِيَّ وَقَدْ نَالُوا الْمُنَى بَيْنِي،
سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْدَى رَوَائِحُهَا
نَسِيمُ قَبْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى لَهُمْ
يَا وَاصِلِينَ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ،
إِنَّا أَقْمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ؛
وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَا حَا (١).
طِيباً بَا طَابَ ذَاكَ الْوَقْدُ أَشْبَا حَا (٢).
رَوْحٌ إِذَا شَرَبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَا حَا (٣).
زُرْتُمْ جُسُوماً وَزَرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا (٤).
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَا حَا (٥).

- وقال أبو العباس بن العريف (نفح الطيب ٥ : ٥٩٨):

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا؛
لَوْ تَفَرَّغْتُ لَاسْتَطَالَةَ لَيْلِي
إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ عَنْ قِصَرِ اللَّيْلِ
- وقال (نفح الطيب ٤ : ٣٣١):

إِذَا نَزَلْتُ بِسَاحَتِكَ الرِّزَايَا
فَلَا تَجَزَّعْ لَهَا جَزَعُ الصَّبِيِّ (١).
فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عِزَاءً
بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ فَقْدِ النَّبِيِّ (٢).

- (١) أَسْرَجُوا مَطَايَاهُمْ (خَيْلَهُمْ وَإِبِلَهُمْ) وَسَافَرُوا عَلَيْهَا. مَنِ مَنَسَكَ مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ شَرِقَ مَكَّةَ.
- (٢) مَطَايَاهُمْ كَانَتْ ذَاتَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَجْسَامُهُمْ كَانَتْ ذَاتَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ.
- (٣) الرُّوحُ (بِالْفَتْحِ): الرَّاحَةُ، السَّرُورُ. إِذَا ذَكَرُوا الرُّسُولَ طَرِبُوا كَمَا يَطْرِبُ الَّذِي يَشْرَبُ الرَّاحَ (الْخَمْرَ).
- (٤) الْمُخْتَارُ مِنْ أَسْمَاءِ الرُّسُولِ. مُضَرٌ: مِنْ عَرَبِ الشَّامِ. - أَجْسَامُكَ زَارَتْ الْأَجْسَامَ (الْأَبْنِيَّةَ) فِي مَكَّةَ، وَلَكِنْ أَرْوَاحُنَا تَقَعَتْ بِذِكْرِ الرُّسُولِ وَبِالشَّوْقِ إِلَى تِلْكَ الْأَمَاكِنِ (الَّتِي زَرَعْتُمُوهَا أَنْتُمْ بِأَجْسَامِكُمْ).
- (٥) نَحْنُ أَقْمْنَا (فِي بِلَادِنَا: لَمْ نَذْهَبْ إِلَى الْحَجِّ) عَنْ عُذْرٍ (لَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَطِيعِينَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ) وَعَنْ قَدَرٍ (وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْتُبْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ). وَلَكِنَّا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ (أَنْتُمْ رَغِبْتُمْ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ وَبَيَّرَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ. وَغَنَ رَغْبَانَا فِي الذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ وَلَمْ يَسِّرْ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ).
- (٦) تَقَلَّى: جَلَسَ مُضْطَرَباً مُتَمَلِّلاً (كَأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ فِي الْمَقْلَى عَلَى النَّارِ).
- (٧) لَوْ كُنْتُ أَفَكَّرْتُ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ وَقَصَرِهِ (فِي أُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ) لَكُنْتُ مَخْلًا (مَقْصُوراً): كُنْتُ مُتَمَلِّياً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِذِكْرِ أَشْيَاءَ لَا قِيَمَةَ لَهَا.
- (٨) إِنَّ الْعَاشِقِينَ (الْحُبَّانَ لِلَّهِ - مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ) يَشْغَلُهُمْ (بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْفَيْنِ) ذِكْرُهُمْ لِلَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ.
- (٩) الرِّزْيَةُ: الْمَصِيبَةُ الْكَبِيرَةُ. الْحَزَنُ: الْخَوْفُ مَعَ الْاضْطِرَابِ.
- (١٠) النَّازِلَةُ: الْمَصِيبَةُ. عِزَاءً: تَسْلِيَةً، نَسِيَانًا. - إِنَّ النَّاسَ يَدْرِكُونَ مَصِيبَةَ الْمُسْلِمِينَ بِوَفَاةِ الرُّسُولِ تَهْوَنُ عَنْدهُمْ جَمِيعُ الْمَصَائِبِ الْآخَرَى.

٤ - محاسن المجالس (تحقيق آسين بالاثيوس)، باريس ١٩٣٣ م.
 ★★ بغية الملتبس ١٥٤ - ١٥٥؛ المقتضب ١٧؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣ - ١٣٥؛ وفيات
 الأعيان ١: ٩٣ - ٩٤؛ المغرب ٢: ٢١١ - ٢١٢؛ المطرب ٩٠ - ٩١، شذرات الذهب
 ٤: ١١٢؛ نفع الطيب ٣: ٢٢٩ - ٢٣٠، ٤: ٣١٩، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨؛ دائرة
 المعارف الإسلامية ٣: ٧١٢ - ٧١٣؛ بروكلمن ١: ٥٥٩، الملحق ١: ٧٧٦؛ الأعلام
 للزركلي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ (٢١٥).

ابن برنجال

١ - هو أبو بكر أبو علي محمد بن الحسن بن يحيى بن خلف الأموي الأندلسي
 ويعرف بابن برنجال. كان من أهل دانية (بشرق الأندلس)، سمع في بلده من طاهر
 ابن هشام وغيره. ثم رحل إلى المشرق وحج. وقد سمع في القدس (٤٦٥ هـ) من أبي
 الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) وفي عسقلان (فلسطين) وغيرها.
 وكان (٤٦٩ هـ) في الإسكندرية يتصدّر للتدريس فأخذ عنه الناس. ولكن نزلت به
 ضيقة ثم أنفجرت بأن تولّى القضاء في الصعيد (مصر العليا) ثم في وادي إخم.
 وعاد ابن برنجال إلى الأندلس وتصدّر في دانية للتدريس (٤٧٢ هـ) وتولّى
 القضاء فيها أيضاً. وكانت وفاته في دانية في الثالث والعشرين من رجب من سنة
 ٥٣٦ (١١٤٢/٢/٢٠ م).

٢ - كان ابن برنجال الأندلسي فقيهاً مالكيّاً من أهل الدراية في الفقه والحديث
 والنحو. وكان أيضاً أديباً شاعراً. وشعره وجدائي سهل يدلّ على تسامي نفسه.

٣ - مختارات من آثاره:

قال ابن برنجال عن نفسه (وكان في مصر):
 أَمَلْتُ سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَقُلْتُ: أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(١)، فَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَقُولَ

(١) أَمَلْتُ الرجل: افْتَقَر. أَدْرَكْتَنِي (لِحَقَّتَنِي) حِرْفَةُ الْأَدَبِ: قَوْلٌ شَائِعٌ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَامِلِينَ فِي حَقْلِ الْآدَابِ
 وَالْعُلُومِ وَاللِّسَانِ لَا تَعْظِمُ ثُرَوَاتُهُمْ فِي الْغَالِبِ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونَ.

شِعْراً فِي وَالِي عَيْذَابٍ أَمْتَدِحُهُ وَأَسْتَحْذِيهِ^(١). أَخْرَتْ نَفْسِي إِلَى السَّحَرِ وَأَعَدَدْتُ دَوَاةً
وَقُرْطَاساً فَلَمْ يُسَاعِدْنِي الْقَوْلُ فِيهِ^(٢) بِشَيْءٍ. وَأَجْرَى اللَّهُ الْقَلَمَ بِأَنْ كَتَبَ:

قالوا: تَعَطَّفَ قُلُوبَ النَّاسِ! قُلْتُ لَهُمْ: أَدْنَى مِنَ النَّاسِ عَطْفاً خَالِقُ النَّاسِ .
وَلَوْ عَلِمْتُ لِسَعْيِي أَوْ لِمَسْأَلَتِي جَدَوِي، أَتَيْتُهُمْ سَعْيَا عَلَى الرَّاسِ^(٣).
لَكِنْ مِثْلِي فِي سَاحَاتٍ مِثْلِهِمْ كَمَزَجِرِ الْكَلْبِ يَرْعَى غَفْلَةَ الْخَاسِي^(٤).
وَكَيْفَ أَبْسُطُ كَفِّي لِلِسُّؤَالِ وَقَدْ قَبَضْتُهَا عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَاسِ^(٥).
تَسْلِيمُ أَمْرِي إِلَى الرَّحْمَنِ أَمْثَلُ بِي مِنْ اسْتِلَامِي كَفَّ الْبَرِّ وَالْقَاسِي^(٦).

فَقَنِعْتُ نَفْسِي وَأَقْبَلَ أَنْسِي وَحَمِدْتُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وَشَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَرَفَنِي عَنْهُ مِنْ
اسْتِجْدَاءٍ مَخْلُوقٍ مِثْلِي. فَمَا لَبِثْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَ فِي كِتَابٍ وَالِي عَيْذَابٍ يُؤَلِّينِي
فِيهِ بِحُطَّةٍ قِضَاءِ الْقَضَاءِ^(٧) بِالصَّعِيدِ ثُمَّ وَادِي إِحْمِيمَ.

★★-٤ المَحْمُودُونَ ٣٠٥ - ٣٠٦: نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٥٠٨.

الإمام المازري

١ - هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ الْمَشْهُورُ بِالْمَازَرِيِّ^(٨) نِسْبَةً

- (١) عِيَذَابٌ: مَرَفَأٌ فِي جَنُوبِ مِصْرَ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. اسْتَحْذِيهِ: أَطْلَبُ مِنْهُ حِذَاءً أَوْ عِطَاءً.
- (٢) السَّحَرُ: آخِرُ اللَّيْلِ قَبْلَ الْفَجْرِ (يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ قَدْ نَالَ قِسْطاً كَافِياً مِنَ النَّوْمِ وَارْتَاحَ جِسْمُهُ وَعَقْلُهُ فَيَكُونُ أَكْثَرَ نَشَاطاً وَأَقْدَرَ عَلَى نَظْمِ الشَّعْرِ وَعَلَى غَيْرِ نَظْمِ الشَّعْرِ).
- (٣) جَدَوِي: فَائِدَةٌ.
- (٤) فِي الْأَصْلِ: سَاحَاتٍ مِثْلِكُمْ. وَالْمَعْنَى يَقْتَضِي: مِثْلَهُمْ. مَزَجَرَ الْكَلْبَ (الْجُلُوسَ بَعِيداً) يَرْعَى (يُرَاقِبُ) غَفْلَةَ الْخَاسِي (الْخَاسِيَاءُ) وَالْخَاسِي مِنَ الْكِلَابِ الْكَلْبُ الَّذِي لَا يَتْرَكَ أَنْ يَدْنُو مِنَ النَّاسِ. وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ بِالْخَاسِيَاءِ الَّذِي يَطْرُدُ الْكَلْبَ. فَيَقُولُ الشَّاعِرُ أُرَاقِبُ غَفْلَةَ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي، فَإِذَا غَفَلُوا عَنِّي اقْتَرَبْتُ مِنْ طَعَامِهِمْ.
- (٥) قَبَضْتُهَا عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَاسِ: كُنْتُ قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَى النَّاسِ مَراراً فَارْجَعْتُ يَدِي فَارْغَةً وَارْجَعْتُ أَنَا يَائِساً مِنْ خَيْرِهِمْ.
- (٦) أَمْثَلُ: أَلْيَقُ. الْاسْتِلَامُ: تَقَبُّلُ الْيَدِ وَنَحْوُهَا. الْبَرُّ: التَّقْيُ، الرَّفِيقُ بِالنَّاسِ.
- (٧) اسْتِجْدَاءٌ: طَلَبُ الْجَدْوَى (الْعَطِيَّةِ). قَاضِي الْقَضَاءِ: مَنْصَبٌ يَتَنَاولُ الْقَضَاءَ الْعَامَ غَيْرَ قَاصِرٍ عَلَى بَقْعَةٍ مَعْيِنَةٍ.
- (٨) مَعْظَمُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى كِتَابِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ (ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م).

إلى مازَرَ^(١)، وهي بلدة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية (أو سقلية). ويبدو أن مولده كان في المهدية (بالقطر التونسي)، نحو سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)، وفيها نشأ وتلقى علومه على نفر من علماء المهدية، منهم الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الربيعي اللخمي (ت ٤٧٨ هـ) وأبو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ (ت ٤٨٦ هـ).

تصدّر المازري للتدريس في المهدية وقصده الطلاب من القطر التونسي ومن خارجه. وكانت وفاته في (يوم الاثنين) ثامن عشر ربيع الأول من سنة ٥٣٦ (١١٤١/١٠/٢١ م). في المهدية.

٢- كان الإمام المازري محدثاً حافظاً وفقيهاً مجتهداً، إلا أن قلّمه (كتابته) أبلغ من لسانه (كلامه)، وإن كان كثير الاستشهاد بالأدب كثير الإيراد للحكايات. وكان ناثراً يُشبه نشره نشر الفقهاء عامة، ولعله كان ينظم أيضاً. وقد تعلّم المازري الطب. ثم هو مصنف للكتب كثير، له: المعلم بفوائد مسلم (وهو مجموع ملاحظات أبداها المازري لما قرأ عليه صحيح مسلم القشيري، في المهدية، في رمضان من سنة ٤٩٩ هـ؛ ولا تبلغ تلك الملاحظات إلى أن تكون شرحاً) - إيضاح الحصول من برهان الأصول (وهو شرح على: البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن محمد الجويني؛ وكتاب البرهان مفقود) - المعين على التلقين (شرح كبير على كتاب «التلقين» لأبي محمد عبد الوهاب بن علي الثعلبي المالكي، قاضي بغداد والمتوفى سنة ٤٢٢ هـ) - نظم الفرائد في علم العقائد (صنّفه المازري في المعتقدات وأصولها) - تعليق على «مدونة» سحنون (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) - عدد من «الأمال» على «رسائل إخوان الصفا» (في إيضاح عدد من مشكلات هذه الرسائل في العلوم الرياضية والآراء الفلسفية) - «الواضح في قطع لسان النابج» (في الرد على مسلم كان في صقلية ثم ارتدّ وجعل يطنّ على الإسلام) - كشف الغطاء عن لمس الخطأ - كتاب في الطب (٢) - تثقيف مقالة أولي الفتوى وتعنيف أهل الجهالة والدعوى.

(١) مازر (بفتح الزاي) - راجع تاج العروس (الكويت) ١٤: ١٢٠.

مختارات من آثاره:

- قال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري:

ما أَفْتَيْتُ قطُّ بغيرِ المشهور، ولا أَفتي به (بغير المشهور).

- وقال الإمام المازري في الإفتاء قولاً على شيء من التفصيل:

ولست أَخِملُ الناسَ على غيرِ المشهور من قولِ العلماء، لأنَّ الورع^(١) قلٌّ، بل كاد يُعَدُّ. والتحفُّظُ على الدياتِ كذلك^(٢). و(قد) كَثُرَتِ الشَّهَوَاتُ وَكَثُرَ مَنْ يَدَّعي العِلْمَ والتَّجاسرَ^(٣) على الفتوى. ولو فُتِحَ لهؤلاءِ بابُ مُخالفةِ المشهور من المذهب لَاتَّسَعَ الخِرْقُ على الرافِعِ^(٤) و(لَ) هتكوا حِجابَ هَيْبَةِ الدين. وهذا من المُفسدات التي لا خَفَاءَ فيها.

- وسئل الإمام المازري عن الأحكام التي يُصَدِّرها القضاةُ المسلمون في صِقْلِيَّةٍ (وصقْلِيَّةٍ يومذاك في حُكم دولةٍ غيرِ مُسلمة)، كما سُئِلَ عن إقامة المسلمين فيها: أيِ اختياريَّةٍ مِنْهُمْ أمِ اضطرارية؟ فقال:

القادحُ في هذا^(٥) على وَجْهَيْنِ: الأوَّلُ في الكلام على القاضي من ناحية العَدالة (إذا) أقامَ ببلدٍ الحربِ في قيادةِ أَهلِ الكُفْرِ. وذلك لا يُباح. والثاني من ناحيةِ الولاية، إذ هو مَوْلَى^(٦) من قِبَلِ أَهلِ الكُفْرِ. فالأوَّلُ له قاعدةٌ يُعْتَمَدُ عليها (اقرأ: تعتمد) شرعاً - وهي تحسِينُ الظنِّ بالمسلمين ومُباعدةُ المعاصي عنهم، فلا يُعَدَّلُ^(٧) عن هذا الأصلِ لِظُنُونٍ قد تكون كاذبةً. ومِثَالُهُ حُكْمُنَا بظاهرِ العَدالة. وقد يجوزُ (أنَّ

(١) الورع: التقوى (الخوف من أن يقع الإنسان في الخطأ).

(٢) التحفظ: العناية. الدية: الغرامة التي توضع على القاتل (لا بدَّ من نصب قاضٍ لإقامة الحدود: القضايا الجنائية، على الأقل).

(٣) اقرأ: وكثر التجاسر.

(٤) «اتَّسَعَ الخِرْقُ (الشَّقُّ) على الرافِعِ»، مثل: أي أصبح إصلاح الأمور صعباً.

(٥) الذي يَدْمُ (القاضي المسلم إذا عَيَّنهُ سلطانٌ غير مسلم في بلد غير مسلم).

(٦) مَوْلَى: معيَّن في منصب.

(٧) فلا تترك هذه القاعدة الأساسية.

يكون ذلك القاضي في الحَفَاء وفي نفس الأمر (قد ارتكب كبيرة؛ إلا من قام الدليل على عصمته. وهذا التجويز مطروح^(١)). والحكم للظاهر، إذ هو الأصل؛ إلا أن يظهر (على ذلك القاضي) من الخايل^(٢) ما يخرج عن الأصل. فيجب التوقف^(٣) حينئذ حتى يظهر ما يوضح.

(ثم) هذا المقيم ببلد الحرب، إن كان (يقيم) اضطراباً، فلا شك في أن (ذلك) لا يقدح في عدالته. وكذلك إن كان اختياراً (ولكن) جاهلاً بالحكم أو معتقداً للجواز، إذ لا يجب عليه أن يعلم هذا الطرف من العلم وجوباً يقدح تركه في عدالته^(٤). وكذلك إن كان متأولاً - وتأويله كإقامته بدار الحرب لرجاء أفتكاكها وإرجاعها إلى الإسلام، أو لهداية أهل الكفر، أو نقلهم عن ضلالة ما.....

وأما الوجه الثاني، وهو تولية (الحاكم) الكافر للقضاة والعُدول والأمناء وغيرهم، فحجزُ الناس بعضهم عن بعض واجب حتى ادعى بعض أهل المذاهب أنه جائز عقلاً..... فتولية (الحاكم) الكافر لهذا القاضي العدل - إما لضرورة إلى ذلك أو لطلب من الرعية - لا يقدح في حكمه. (ثم) تنفذ أحكامه كما لو (كان قد) ولّاه سلطاناً مسلماً. والله الهادي إلى سواء السبيل.

٤-★★ الإمام المازري، تأليف حسن حسني عبد الوهاب (منشورات لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية)، تونس (الشركة التونسية لفنون الرسم) ١٩٥٥ م (تاريخ كلمة التصدير). - راجع نقد هذا الكتاب في «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق»، ٣١: ٣٠٤.

وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٥١؛ العبر للذهبي ٤: ١٠٠ - ١٠١؛ الديباج المذهب ٢٧٩ - ٢٨١؛ شذرات الذهب ٤: ١١٤؛ نفح الطيب، راجع ١: ٥٥٦، ٢: ١٥٩، ٦٥٠، ٣٠٦؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٤ (٦: ٢٧٧).

(١) مطروح: متروك، مهمل (يجب طرحه: تركه).

(٢) الخايل: العلامات.

(٣) التوقف: ترك الحكم إثباتاً أو نفيًا.

(٤) إن نفراً كثيرين من الناس ليسوا أهل علم بالحكم الشرعي في كل الأمور.

أبو الطاهر التميمي القرطبي

١ - هو أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي^(١) المازني القرطبي السرقسطي المعروف أيضاً بالاشركوني أو الأشركوي (نسبة إلى أشركوي، وهي حصن قرب تطيلة في شالي الأندلس، ويبدو أن أصل أهله منها). ولكن أبا الطاهر التميمي نفسه وُلِدَ في سرقسطة ثم كان مسكنه في قرطبة. تلقى أبو الطاهر التميمي القرطبي العلم على نفرٍ كثيرين، أخذ أكثر ما أخذه عن الحافظ أبي علي الحسين بن فيره بن حيون بن سُكرة الصّدقي السرقسطي (ت ٥١٦ هـ) في مُرسية. وروى ابنُ الأَبار (المعجم ١٤١) أَنَّ أبا الطاهر التميمي كان في مُرسية سنة ٥٠٨ هـ وسنة ٥٠٩ هـ (١١١٤ - ١١١٦ م) كما كان في سبتة في سنة ٥٠٩ هـ أيضاً. ورحل أبو طاهر كثيراً في طلب العلم فأخذ عن أبي محمد بن السيد البطلنوسي (ت ٥٢١ هـ) في بلنسية، وعن أبي عمران بن أبي تليد وأبي محمد بن ثابت وأبي محمد الركلي في شاطبة، وعن أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي بحر وأبي القاسم ابن أبي صواب في قرطبة. وكذلك راسل نفراً من العلماء في فنون مختلفة من العلم والأدب، من هؤلاء أبو بكر غالب بن عطية وأبو الحسن بن الباذر في غرناطة، وابنُ أخت غانم في مالقة، وابنُ الأخضر وابنُ العربي في إشبيلية؛ وقد لقي بعض هؤلاء أيضاً.

وأقرأ أبو الطاهر وحدث في قرطبة مدة^(٢).

وفي سنة ٥٣٨ هـ لحقت أبا الطاهر زمانة (علة مقعدة) توفي منها في ٢١ من جمادى الأولى^(٣) من سنة ٥٣٨ (١١٤٣/١٢/٢ م).

(١) يرد اسم صاحب هذه الترجمة في عدد من النسخ المخطوطة لكتاب «المسلسل» (راجع ص ٧ - ١٥ من

النسخة المطبوعة): الشيخ أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي.

(٢) لعل أبا الطاهر قد خدم بالكتابة في بعض أدوار حياته.

(٣) في نسختين مخطوطين من كتاب «المسلسل» أن وفاة أبي طاهر الاشركوني كانت لثان بقين من شهر

ربيع الآخر (راجع المسلسل، ص ١٣، ١٥).

٢- كان لأبي طاهر التميمي القرطبي إحاطةٌ باللغات (لهجات العرب) وبالأدب، وكان كاتباً ناثراً وشاعراً مُكثرًا وفقيهاً، ولكن غلبَ عليه العلمُ باللغة؛ وكانَ على شعره شيءٌ من الجفاف والضعف وكثيرٌ من التكلف. وله تصانيفٌ منها كتابُ المُسلسل والمقامات اللزومية أو السرقسطية أو القرطبية وغيرها (فهرسة ابن خير ٤٥٠). وكتابُ المسلسل خمسون باباً لم يجعل أبو الطاهر لها عناوين. وهذا الكتاب في المداخل أو المداخلات، أي الألفاظ التي يكون لكل معنى كلمة منها معنى آخر (راجع الناذج) «وقد تعمَّد التميمي أن يفتح كل بابٍ ويختتمه بشاهد شعري: يأخذ من الشاهد الأول الكلمة التي يجعلها أساساً للتسلسل، ويكون الشاهد الأخير استشهداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب» (مقدمة «السلسل» ص ٥).

ولأبي الطاهر التميمي مقامات^(١) أراد أن يعارض بها الحريري (ت ٥١٦) فجعل مقاماته خمسين كما جعلها مظهراً للبراعة في غريب اللغة وأوجه البلاغة. وفي مقاماته شخصيتان رئيستان السائب بن قمام والشيخ أبو حبيب. ثم هنالك ابنان للشيخ أبي حبيب هما حبيبٌ وغريبٌ وشخص آخر هو المنذر بن حمام ينقل أحداث المقامة عن السائب. وقد دعا الاشتراكي «مقاماته» المقامات اللزومية تقليداً للمعري^(٢) والسرقسطية (نسبة إلى بلد أصله) والقرطبية (نسبة إلى بلد سكّنه) والتميمية (نسبة إلى أصله العربي القديم). ومن المقامات المفردة ما له أسماء (مقامة الشعراء، المقامة الهمزية، المقامة البائية، مقامة النظم والنثر، الخ)، ومنها ما لا اسم له. ومع أن المقامات تنطوي على نقد اجتماعي، فإن أكثر أغراضها مأخوذة من المشرق. وفي هذه المقامات اثنتان تنطويان على نقد أدبي، إلا أن هذا النقد لا ابتكار فيه، بل هو ترديدٌ لآراء النقاد القدماء. قال في الفرزدق وجري^(٣) مثلاً: «كُرسفٌ وحريرٌ،

(١) الخصائص التالية قد جمع أكثرها من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس» لمحمد رضوان الدابة ومن «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» لإحسان عباس.

(٢) للمعري ديوان اسمه «لزوم ما لا يلزم» فيه مقطوعات شعرية في الحكمة والنقد الاجتماعي مبنية على حرفي روي أو أكثر من حرفي روي.

(٣) الفرزدق (ت ١١٤). وجري (توفي بعده بمدة يسيرة) كان بينها مهاجاة وكان الناس منقسمين في شأنها.

وخطامٌ وجَرِيرٌ^(١). فَرَسًا رَهَانٍ كِلَاهِمَا غَيْرُ مُذَالٍ^(٢) وَلَا مُهَانٍ. أَمَّا هَمَامٌ فَسَيْدٌ هُمَامٌ مُسْتَهْلٌ غَمَامٍ وَعَارِضٌ جِجَامٍ^(٣). بَحْرٌ لَا يُخَاضُ غِمَارُهُ وَجَوَادٌ لَا يُتَعَاطَى مَسَارُهُ: يَنْحِتُ مِنْ صَخَرٍ^(٤) وَيَنْطِقُ عَنْ فَخْرِ. وَأَمَّا جَرِيرٌ فَسَابِقٌ دَرِيرٌ: أَحْزَنُ صَاحِبُهُ فَاسْهَلُ^(٥) (هُوَ) وَأَعْجَلُ فَاسْهَلِ، وَصَعَبَ فَذَلَّلَ، وَأَكْثَرَ وَقَلَّلَ، وَأَعْوَصَ فَلَيَّنَّ، وَشَدَّدَ فَبَيَّنَّ^(٦): يَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ، وَيَنْطِقُ عَنْ سِحْرِ، يُيَارِي بَرَقَةَ النِّسَمِ وَيَبْرُزُ مِنْ قَوْلِهِ الرَّائِقِ وَالْوَسِيمِ^(٧).

ونقده عاديٍّ ومقصود على الشعراء المشاركة ثم ليس فيه شيء من التحليل بل هو أقوال مجموعة من آراء النقاد السابقين.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي طاهر الأشركيّ مَقْطَعَاتٌ من الشعر منها:

★★ وَمُنْعَمَ الْأَعْطَافِ مَعْسُولِ اللَّمَى مَا شِئْتَ مِنْ بَدَعِ الْحَاسَنِ فِيهِ^(٨).
لَمَّا ظَفِرْتُ بَلِيلَةٍ مِنْ وَصْلِهِ، وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ^(٩)،

- (١) كرسف: قطن. الخطام: اللجام (المجدول أو المصنوع على شكل معين). الجرير: قطعة من جبل (يقاد بها الحيوان) ليس فيها صنعة ولا عناية.
- (٢) مذال: مبتذل ومهان (مستخدم في غير الوجه الذي قصد به: نحن نذيل الحصان الأصيل إذا حلنا عليه حجارة).
- (٣) اسم الفرزدق: همام بن غالب. الهام: السيد الشجاع السخي. مستهلّ غام: مطر منهمر بكثرة. عارض جمام.....(٤).
- (٤) ينحت من صخر (كناية عن صلابه شعره).
- (٥) سابق (حصان) درير (سريع). - في الجمل التالية مقابلات: أحزن (الفرزدق) فأسهل (جرير) الخ. أحزن: سار في الأرض الصعبة. أسهل: سار في السهل.
- (٦) أعجل: (أتى بالشيء قبل أوانه!)..... أعوص: أتى بالكلام العويص (الغريب: القليل الدوران على الألسن).
- (٧) يغرف من بحر (كناية عن سهولة شعره). الوسيم: الجميل. الرائق: الذي يروق للنظر أو للفكر (الذي يوجب الناس). يجوز في الرائق والوسيم «الرفع».
- (٨) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. اللمى: السمرة في الشفاء. البدعة (بالكسر): الشيء الجديد، المخالف للألوف.
- (٩) الصبّ: الحبّ المشتاق راجع، تحت، ص ٢٩٠.

أَنْضَجْتُ وَرَدَةَ خَدَّهِ بِتَنْفَسِي وَظَلَّلْتُ أَشْرَبُ مَاءَهَا مِنْ فِيهِ!
 ★ ★ هِيَهَاتِ مِنْ ذَنْبِ الْمُسِيءِ تَأْسُفُ، وَلَهُ عَلَى هَوْلِ الذُّنُوبِ تَعَسُّفُ^(١)!
 قَالُوا: طَلِيقٌ فِي الْبَسِيطَةِ سَارِحٌ. أَتَى؟ وَفِي قَيْدِ الْغَوَايَةِ يَرُسِفُ^(٢)!
 يَا مُذْنِباً لَمْ يَذَرِ مَا جَمُرُ الْغَضَا، شَوْكُ الْقَتَادِ إِلَى عَذَابِكَ كُرُسُفُ^(٣).
 عَاوِذُ أَسَاكَ، لَعَلَّ تَوْبَةَ رَاجِعٍ! فَلَقَدْ يُفِيدُ تَتَدُّمٌ وَتَأْسُفُ^(٤).
 - وله من المقامة الخمسين^(٥):

.... قال حبيبٌ لغريب^(٦): هذا النظمُ والنثرُ، كيفَ القُلَّ منه والكُثْرُ^(٧)؟ وأيُّ
 النصلِ أو الأثر؟ وأيُّهما أعقبَ صاحبه أثراً وأحرزَ دونه أثراً^(٨)؟ وأيُّهما في النفوسِ
 أوقعُ وأشفى لُغْلَةً الصادي وأنقَعُ^(٩)؟ وأحظى عند السوقة والملوكِ وأمضى بالسفارةِ
 والألوكِ^(١٠)؟ فقال حبيبٌ: الشعرُ أصعبُ مُرتقى وأعذبُ مُنتقى^(١١)، وأبدعُ

-
- (١) تعَسَّفَ الطريق: سار فيه على غير هدى. - لا ينفع المذنب أن يندم على فعله إذا هو استمرَّ يرتكب الذنوب بلا مبالاة.
 (٢) أتى: كيف. - قالوا: هو يسير (في عمل الذنوب) على هواءٍ حرّاً طليقاً. هذا خطأ: إنَّه يمشي وهو يرسف (مقيّداً) بقيود الضلال.
 (٣) الغضا: شجر كثيف المادّة وجمره شديد الحرارة (المقصود: نار جهنّم عقاباً على الذنوب). القتاد: نبت صلب له شوك كالإبر. الكرسف: القطن.
 (٤) عاود أساك: اجعل الأسى (الحزن) عادة لك، فلملك تتوب توبةً ترجع بها (نهائياً) إلى الله. فحينئذ يكون ندمك وأسفك نافعين.
 (٥) النصّ التالي مجموع من الشواهد التي أوردها محمد رضوان الداية من المخطوطة.
 (٦) حبيب وغريب ابنان للشيخ أبي حبيب (رجل محتال من عُمان - بضمّ العين وإهال الميم) هو والسائب ابن تمام الشخصان الرئيسان في مقامات أبي طاهر الأشركي.
 (٧) القُلّ: الجانب القليل الأصغر من الشيء. والكثّر: معظم الشيء.
 (٨) الأثر: بريق السيف والأثر - العلامة - خلاصة السمن (الشيء الثمين).
 (٩) أوقع: أشد أثراً. اللُغْلَةُ: العطش. الصادي: العطشان. أنقع: أكثر قدرة على إطفاء العطش.
 (١٠) السفارة: الذهاب في مهام رسمية إلى الملوك والرؤساء. الألوك: الرسالة (في هذين يستعمل النثر لا الشعر).
 (١١) أعذب منتقى (إذا انتقيت، اخترت، بضعة أبيات من الشعر فإنّها تكفي عادة في الاستشهاد، بينما الاستشهاد بالنثر يحتاج إلى إطالة).

لفظاً وأسرع حفظاً، وأوسع مجازاً وأنصح إيجازاً^(١).... وأقصر معاني وأجند مباني، وأورى زنداً وأذكى رنداً^(٢)، وأجرى على اللسان وأجرى بالإحسان^(٣)، وأبعث للطرب وأذهب للكرب. وهل سمعتم بنثر تخلع عليه اللجون؟.... (فقال أبوها): كل - على حياله - محمول على الحسن معدود من اللسن^(٤). والشعر لحن عقيم وسفر مقيم، وبغض مودود ومغدير مجدود^(٥).... وإن (هم) شابهوه كذباً وميناً فقد أغضوا عليه عيناً^(٦). وإننا حمده أوفر من ذمه، وشهده أكثر من سمة^(٧).... وأما النثر فإنه أنثى ولود وزند لا كاب ولا صلود^(٨). عين ثرة وأم برة، له موضع ومكانة، وعزة واستكانة. يخلولي ويمر ويحل ويمر^(٩). يلج في كل ناد ويقدح بكل زند. باد حاضر، وذابل ناضر^(١٠).... وقد فضلت الأكاير والأعاطم، فلا تفضلاً (أنثا) قائلاً

- (١) مجازاً: مرأً، طريقاً. أنصح: أشدّ بياضاً (أوضح) - الإيجاز (الاختصار) أكثر إمكاناً في الشعر منه في النثر.
- (٢) أنجد: أعلى. أورى زنداً: أشدّ إشعالاً للنار (الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر). أذكى: أطيّب رائحة. الرند: نبات طيب الرائحة.
- (٣) أجرى (أكثر دوراناً) أكثر استملاً. أجرى بالإحسان: أسهل (الذين يحسنون النثر أكثر من الذين يحسنون الشعر). - لعلها أحرى (بالهاء المهملة) بالإحسان: أجدر، ألصق.
- (٤) على حياله: (بإزائه)، في موضعه. محمول على (الوجه) الحسن: يحسن في المناسبة التي تقتضيه. اللسن: الفصاحة.
- (٥) لحن (نغم) عقيم (لا يلد): ليس له شبيه، وحيد في باب. السفر: الجماعة يسافرون معاً. مقيم: دائم (في الشعر كأنك مسافر أبداً بين أشياء جميلة). بغض (كره) لصعوبة نظمه وإجادته. مودود: محبوب (ومع ذلك فكثيرون يحاولون قول الشعر أو يحبّون سماعه). معذر (مقبول العذر) مجدود (محظوظ): الناس يعذرون الشاعر إذا لم يكن كل شعره جيداً.
- (٦) شاب: خلط، مزج. المين: الكذب. أغضى الرجل جفنيه (أدنى، قرّب، بعضها من بعض): أغضوا عليه (على الشاعر) عيناً: عذروه إذا لم يحسن مرّة.
- (٧) الشهد: العمل.
- (٨) أنثى ولود (تمالج في النثر أغراض أكثر من تلك التي تمالج في الشعر). الزند: حديدة تقدح بها النار. الكاي: الزند الذي أصبح أملس جداً لا يحكّ الحجر حكاً صحيحاً. الصلود: (الزند) الذي لا يخرج ناراً من الحجر.
- (٩) العزة: القوة. الاستكانة: الضعف والذلة. يخلولي: يخلو (يصبح حلو الطعم) كثيراً. يمر: يصبح مرأً الطعم. يجل (يقتى، يستقر) ويمر (يمضي، يذهب): يصلح لجميع الأحوال.
- (١٠) يلج: يدخل. ناد: مجتمع. باد: ساكن البادية. حاضر: ساكن الحضر (المدن). ذابل: جاف. ناضر: أخضر.

على قائل. والإحسان ضروب، والشمس طلوع وغروب.... وخُذَا في كلِّ الأحوال
بالأعدل^(١) الأقسط^(٢).....

- من مقدّمة كتاب «المُسَلَّس»:

.... قد كان لعلم اللسان العربي، في صدر هذه الأمة، مطارٌ ونفاق^(٣)، وعلى
تقدّيه إجماعٌ وإصفاق^(٤). فتجرّد لضبطها وتقييدها الخيارُ الصلحاء والخُلصُ
الأفاضلُ الصرّحاء^(٥). وبذلوا فيها الاعتناء وقطعوا في جمعها وضبطها الأحيان
والآناء^(٦)، حتّى أحرزوا منها غاية^(٧) ورفعوا لشأنها علماً ورأية؛ حين رأوا أنّه لسانُ
العلوم الشرعية والمهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية: بها يُتوصّلُ إلى حقيقة معانيها
ويُتسَمُّ دَرَجُ مبانيها. وعنها يصنّدرُ التأويلُ وتتوجّهُ الأقاويل^(٨)؛ وأنّه لا يُوصَلُ إلى
معرفة كتاب الله تعالى ومعرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وصحابه
والتابعين وأئمة الهدى من أمته إلّا بحفظ لغات^(٩) العرب وأنحائها والأنس بإطنابها
وإيجائها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسّعها ومجازها^(١٠)، إلى ما في معرفتها من العون

(١) الأعدل: المعتدل (لا نقصان ولا زيادة).

(٢) الأقسط: الأعدل (الحكم بالعدل).

(٣) المطار: علو الشأن، انتشار بين الناس. النفاق: الرواج، كثرة الاستعمال.

(٤) الإصفاق: الإجماع والاتفاق على رأي واحد.

(٥) تجرّد للشيء: خصّه باهتمامه. لضبطها (كان يجب أن يقول: لضبطه، أي اللسان العربي. ولكنه حمل

اللسان على «اللغة» وأجرى الضائر في الألفاظ التالية مجرى التأنيث). الصريح من الناس: الخالص
النسب.

(٦) الحين والآن: الوقت.

(٧) أحرز الشيء: اكتسبه، امتلكه. غاية: منتهى (قدراً كبيراً جداً).

(٨) يتسَمُّ: يرتقى. التأويل: فهم المقاصد من الجمل (من آيات القرآن الكريم خاصة). تتوجّه الأقاويل:
تشعّب الأقوال (يختلف التعبير عن الآراء).

(٩) اللغات (هنا): استعمال القبائل العربية المختلفة ألفاظاً مختلفة للشيء الواحد (كالسكين والمديّة).

(١٠) النحو: الوجه من الاستعمال. الإطناب: التفصيل في التعبير. الإيجاء: الإشارة السريعة. الإبلاغ:

التفنّن في التعبير. الإيجاز: الاختصار في التعبير. المجاز: استعمال الكلمة لغير المعنى الذي وضع لها في

القاموس (الشمس: المرأة الجميلة. البحر: الرجل العالم والكريم).

على البلاغة والنطق، والاستظهار على قمع الباطل وبسط الحق^(١)، والتمكّن من أنحاء القول وممالك الكلام والتقلب في مسارج الأخبار والأعلام^(٢).

والآن فقد زهد الناس فيه زهدهم في الفضائل ورغبوا عنه رغبته عن الأواخر من العلم والأوائل^(٣). ولكل نجم طلوع وأفول، ولكل حالة علو وسفول^(٤).

وأنّه كان فيما سُمع عليّ كتاب «المدخل في اللغة» لأبي عمر المطرزي^(٥) رحمه الله، فاستنزرتُه لِقَدْرِهِ و(لكن) لم أخط بهلاله فيه ولا بديره. فرأيت أنّه رأيٌّ لم يُستوف تَمامه وغرضٌ لم تُقرطِسه سِهامه^(٦). ولعله إنّما ارتجله ارتجالاً وجرت^(٧) ركائبه فيه عجالاً، فلم يَدُمَّتْ حَزَنُهُ ولا أَقامَ وَزَنُهُ^(٨).

فحرّكني ذلك إلى صِلَةٍ ما ابتدأ وتمكّن ما رَسَمَ منه وأنشأ، واقتضبت^(٩) في ذلك خمسين باباً أَقْتَتَحْتُ كُلَّ بابٍ منها بِشِعْرِ عَرَبِيٍّ ثُمَّ خَتَمْتُ البابَ بِمَثَلٍ ذَلِكَ، وَأُورِدْتُ ما أُمَكَّنَ من الشاهدِ على ألفاظِهِ هُنَاكَ. وعلى ذلك فما اعتمدتُ مُجاراةً ولا قصدتُ

(١) الاستظهار: الاستعانة. قمع: قهر، إذلال. بسط الحق: إعلاء شأنه وتثبيت سلطانه، نشره.

(٢) التقلب في مسارج الأخبار: التفهم لأنواع الأخبار (التاريخ) والاستمتاع بها. الأعلام: مشاهير الناس.

(٣) رغب عن الشيء: فقد اللذة في الحصول عليه، تركه، مال عنه. فيه (في علم اللغة). الأواخر من العلم والأوائل (٩)، لعلّ هذه الجملة: رغبة الأواخر (المتأخرين في الزمن: المعاصرين للمؤلف) عن علوم الأوائل (علوم الفلسفة القديمة، الفلسفة اليونانية). - يخبرنا ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) في مقدّمة «قصة حيّ بن يقظان» أن علوم الفلسفة كانت قليلة الانتشار في الأندلس قبل أيامه.

(٤) الأفول: الغروب. السفول: الانخفاض.

(٥) محمد بن عبد الواحد المطرزي عالم لغوي (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) له كتاب (المدخل - في غريب اللغة: الانتقال في اللفظة الواحدة من معنى إلى معنى؛ راجع النصّ التالي).

(٦) استنزرتُه (وجدتُ المذكور في كتابه قليلاً) لقدره (بالإضافة إلى مكانته العلمية وإلى ما كنت أنتظر منه أن يقول في كتابه). الغرض: الهدف (العلامة تنصب للتمرين على الإصابة بالسهم أو بالرصاص الخ). لم أخط (لم أعتج) بهلاله ولا بديره (لم أره وافيّاً كليّاً ولا جزئياً). غرض: هدف. قرطس: أصاب القرطاس (الهدف: علامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسهم أو بالرصاص، الخ).

(٧) ارتجل الخطيب خطبته (قالها وهو واقف على رجليه - بلا استعداد سابق). جرت: سارت، ركضت.

(٨) دُمّت: لَيّن، سهّل، سوّى (جعل سطح الشيء مستوياً). الحزن: الأرض القاسية، التي يصعب السير فيها.

(٩) اقتضبت: قطع أشياء يسيرة من رؤوس القضبان (أتيت بأشياء مختصرة).

مُباراة^(١) . وإِنِّي لأرى فضلَ السابق وأُبغعُ بُخوعَ الآتي، وأُحمدُ منه ذلك البدءَ والعودَ^(٢)

- مطلع كتاب المسلسل:

أشدَّ أبو عبيدة لصبيان الأعراب، وتُروى لامرئ القيس بن حُجر^(٣):
لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(٤)؛
يُنَادِي الْآخِرُ الْأُلَّ: أَلَا حَلَّوْا، أَلَا حَلَّوْا^(٥).
ويُروى: أَلَا حَلَّوْا، أَلَا حَلَّوْا. ويروى: زحلوقة بالقاف والفاء والكاف^(٦).

الألّ الأول، وأوّل يوم الأحد، والأحد هو الوجد، والوجد الفرد^(٧)، والفرد الثور، والثور الظهور، والظهور الغلبة، والغلبة جمع غالب، وغالب أبو لؤي، ولؤي تصغير اللؤي^(٨)، واللؤي الثور، والثور فحلّ البقر، والبقر الفرق، والفرق تباعد ما بين الثنايا، والثنايا^(٩) العقاب، والعقاب الموالاة.....

- من كتاب « المسلسل » (الباب الثالث والعشرون):

قال زهير بن أبي سلمى:

- (١) ما اعتمدت مجازة (لم أقصد أن أفعل مثله) ولا مباراة (ولا حاولت أن أصنع أفضل مما صنع).
- (٢) بجمع بالحق بجمعاً: أقر به. وأحد له (أشكره على) ذلك البدء (التأليف في هذا الموضوع). والعود: الطريق (راجع القاموس ١: ٣١٨ س)، الطريقة التي اتبعتها في تأليف هذا الموضوع.
- (٣) راجع ترجمة أبي عبيدة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وترجمة امرئ القيس في الجزء الأول.
- (٤) الزحلوقة: لوح من خشب يرفع على محور بحيث يتوازن ثم يجلس على كلّ طرف من طرفيه صبي ويميلانه (بضم الياء) فيرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر، ويتوالى ذلك. زلّ: ينزلق الجالس عليها. انهلت العينان: سقط دمعها بكثرة (القاموس ٣: ٢٤٠).
- (٥) الألّ: الأوّل (الأولون، السابقون). حَلَّوْا: اتركوا أمكنتم!
- (٦) حَلَّوْا: تخلَّوْا (فعل أمر، بفتح اللام المشددة). - يقال: زحلوقة وزحلوقة وزحلوقة.
- (٧) الوجد والفرد: المنفرد (الذي يعيش أو يمكث في مكان وحده).
- (٨) لؤي بن غالب جدّ بني قريش.
- (٩) الثنية: السنّ (واحدة أسنان الإنسان). والثنية: الطريق في الجبل. العقاب (جمع عقبة): الطريق في الجبل. العقاب (مصدر): الموالاة (توالي الأمور واحداً بعد واحداً).

فَشَدَّ - و لم يُفزعُ يُبوتاً كثيرةً - لَدَى حَيْثُ أُلْقَتْ رَحْلُهَا أُمُّ قَشَمٍ (١).

أُمُّ قَشَمٍ ههنا المنيّة أو الحربُ أو الداهية. والقشَمُ النسرُ، قالَ عنترةُ:

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهَا جَزْراً لِحَامِعةٍ وَنَسِرٍ قَشَمٍ (٢).

وَالنَّسْرُ النَّتْفُ، وَالتَّنْفُ الطَّرْقُ، وَالتَّرْقُ الضَرْبُ بِالْحَصَا (٣)، وَالْحَصَا الْعَدْدُ الْكَثِيرُ..... وَالكَثِيرُ الدَّبْسُ، وَالدَّبْسُ الصَّقَرُ، وَالصَّقَرُ عَسَلُ الرُّطَبِ (٤)، الْخُ الْخ.

٤- المسلسل في غريب اللغة (قدّم له محمد عبد الجواد) مصر (وزارة الإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.

★ ★ الصلة ٥٢٩، ٥٣٠؛ التكملة ١٤٠ - ١٤١ (رقم ١٢٤)؛ فهرست ابن خير ٣٨٧، ٤٥٠؛
الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣؛ الوعاة ١٢٠؛ نفع الطيب، راجع ١: ٢٩١؛ التشوّف ٩٦؛
بروكلن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٢ (٧: ١٤٩)؛ بالنشأ ١٨١؛
تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عباس) ٥٠٠ - ٥٠١؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لحمد
رضوان الداية) ٣٥٢ - ٣٦٣؛ مجلّة المقتبس (دمشق) ٢: ٤٦٦.

ابن الفخّار المالقي

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن كامل المعروف بابن الفخّار الحضرميّ
المالقيّ - ويُعرَف أيضاً بابنِ نِصْفِ الرِّبَضِ - كانت وفاته في المغربِ سنة ٥٣٩
(١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢- كان ابن الفخّار المالقيّ فقيهاً وكان أديباً يَسْلُكُ في الشعرِ مَسْلَكا قديماً
ومسلَكا جديداً، وله شيءٌ من توشيحِ العَروض (٥) لم يَبْلُغْ إلى أن يكونَ توشيحاً. وفي

(١) شَدَّ: هجم. ببوتاً كثيرة: جماعات كثيرة أو أشخاصاً (لم يفزع أحداً).... هجم على النار (على هلاكه).

(٢) جزراً: مجزوراً (مقطّاً). الحامعة: الضيع. القشَم: النسر المسن.

(٣) النسر (مصدر): تنف ريش الطير. الطرق: ضرب الصوف أو القطن بالمصا للتفريق بين أقسامها.
الطرق بالحصا: تقليب الحصا اعتقاداً بأن مركز بعض تلك الحصا من بعض يدلّ على الحوادث المقبلة.

(٤) الرطب: التمر.

(٥) العروض (بالفتح): آخر الشطر الأول من البيت. وتوشيح العروض: التزام نسق معين في ختام
أواخر الشطور الأولى من الأبيات مع بقاء الأبيات نفسها محتومة بقواف على روي آخر (كما نرى في
القصيد). - راجع القطعة الثانية في «مختارات» هذه الترجمة.

جانب من ألفاظه وبعض تركيبه ضَعْفٌ. وفنون شعره الفخر والحماة والمدح والعتاب والوصف.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن الفخار المالقي في الشيب:

أُمُسْتَنَكَّرُ شَيْبُ الْمَفَارِقِ فِي الصَّبَا؟ وَهَلْ يُنَكَّرُ النَّوْرُ الْمُفْتَحُ فِي الْغُصْنِ^(١)!
أَظُنُّ طِلَابَ الْحَدِيدِ شَيْبَ مَفْرِقِي، وَإِنْ كُنْتُ فِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِي.

- وقال يعاتبُ صديقاً قديماً له كُنَيْتُهُ أَبُو حَسَنِ:

أَقِلَّ عِتَابَكَ، لَيْسَ الْكَرِيمُ يُجَازِي عَلَى حُبِّهِ بِالْقَلَى^(٢)؛
وَحَلُّ أَجْتِنَابِكَ، إِنْ الزَّمَانُ يَمَرُّ بِتَكْدِيرِهِ مَا حَلَا^(٣).
وَوَاصِلُ أَخَاكَ بِعِلَاتِهِ، فَقَدْ يُلْبَسُ الثَّوبُ بَعْدَ الْبِلَى.
وَقُلْ كَالَّذِي قَالَه شَاعِرٌ نَبِيلٌ - وَحَقَّكَ أَنْ تَنْبَلَا -:
«إِذَا مَا صَدِيقٌ أَسَا مَرَّةً، وَقَدْ كَانَ فِي مَا مَضَى مُحْسِنَا،
ذَكَرْتُ الْمُقَدَّمَ مِنْ فِعْلِهِ فَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلَا».
أَبَا حَسَنِ، إِنْ أَتَى حَدَثٌ يُجَرِّدُ لِي سَيْفَكَ [الْمُقْصَلَا]^(٤)،
أُولَى الْمَلَامَةِ، عَنْكَ، الزَّمَانُ وَأَصْحَبُكَ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَلَا^(٥).

(١) المفرق (يفتح فسكون فكسر): مكان اقتراق الشعر في مقدم الرأس.

(٢) في الخريدة (الأندلس ٢: ٢٩٢): ليس الكريم مجازي (بإلازي أخت الراء وبالبناء للمعلوم)؛ وفي الخريدة (المغرب والأندلس ٣: ٣٣٨): مجازي (بالراء المهملة وبالبناء للمعلوم أيضاً). وكلا القراءتين مقبولة. أما في «قلائد العقيان» (ص ٣٣٩): إن الكريم مجازي (بالزاي أخت الراء وبلا نقطتين تحت الياء). وكذلك في نفع الطيب (٣: ٣٩٣): إن الكريم مجازي (بالزاي أخت الراء المشكولة بكسرة وبنقطتين تحت الياء). وقد اعتمدت أنا: ... ليس الكريم مجازي ... القلى: البفض والكراهة.

(٣) الاجتناب: الابتعاد، الهجر، الترك (والاخيرتان بالفتح). يمر: يصبح مرّ الطعم (٤).

(٤) في الخريدة (الأندلس ثم المغرب والأندلس): المنصل (بضم فسكون ثم بضم أو بفتح): السيف. وفي قلائد العقيان: المصتلا (ولعلها: المقصل - بكسر فسكون ففتح: القاطع من السيوف).

(٥) أجعل الذنب على الزمان ثم أبقى مصاحباً لك معتقداً أنك أكرم الناس وأفضل الناس.

أَقُولُ - وَأَنْتَ لِسَانُ الْمَقَالِ وَعَيْنُ الْكَمَالِ وَرَأْسُ الْعَلَا -
« لئن جَارَ فَيْكَ عَلَيَّ الزَّمَانُ فَقَدْ كَانَ لِي حَكْمًا أَعْدَلًا ^(١) ،
لِيَالِي كُنْتَ صَحِيحَ الْإِخْلَ صَرِيحَ الْوَفَاءِ بِمَا أُمِّلَا .
تُدَافِعُ عَنِّي خُطُوبَ الزَّمَانِ بِضَرْبِ الرِّقَابِ وَطَعَنِ الْكُلَى .
وَلَكِنْ أَطَغَتْ غُوَاةَ الرِّجَالِ وَبَغَتْ صَدِيقَكَ لَا بِالْفَلَا .
سَأُضْبِرُ لِلخَطْبِ حَتَّى يَزُولَ وَأَدْعُو لَهُ رَأْيَكَ الْأَجْمَلَا ^(٢) .
وَدُونَكُمَا كَالْعُرُوسِ الْكَعَابِ عَلَيْهَا مِنَ الْحَلِيِّ مَا فُصِّلَا ^(٣) .

- وَقَالَ يَخَاطَبُ شَاعِرًا (عَلَى سَبِيلِ الْعِتَابِ) بِمَقْطُوعَةٍ مُوشَّحَةٍ الْعُرُوضِ (مُخْتَمَةٌ بِقَوَافٍ مَعِينَةٍ فِي صَدُورِهَا أَيْضًا):

رُؤْيِدَكَ، أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْنَى، فَإِنَّ الرِّفْقَ أَجْمَلُ بِاللَّبِيبِ ^(٤) .
وَلَا تَعْجَلْ، قَرِيبٌ فَتَنِي تَأْنِي فَأَذْرَكَ غَايَةَ الْقَرَمِ النَجِيبِ ^(٥) .
فَكَمْ عَقْدٌ سَدِيدٌ قَدْ تَسْنَى بَلَا تَعْبَ وَلَا طَرِبَ مَرِيبِ ^(٦) .



فَإِنَّ الْجَيْشَ لَيْسَ يُطِيقُ شَيْئًا لِفَايَتِهِ بَلَا قَدَرٍ مُصِيبِ ^(٧) .

-
- (١) إِذَا جَارَ عَلَيَّ الزَّمَانُ (ظَلَمَنِي الْآنَ فِي صَحْبَتِكَ) فَقَدْ طَالَمَا كَانَ لِي مَنْصَفًا مِنْ قَبْلِ .
(٢) الْخُطْبُ: الْحَادِثُ النَّازِلُ، الْمَصِيبَةُ. وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَنَا بِرَأْيِكَ الْجَمِيلِ (الثَّاقِبِ، الْعَادِلِ).
(٣) فَإِلَيْكَ مِنِّي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ كَالْعُرُوسِ الْكَعَابِ (الثَّابَةِ) عَلَيْهَا مِنَ الْحَلِيِّ مَا فَصَّلَا (تَوَلَّوْا فَصَلَ بَيْنَ حَبَّاتِهِ بِقَطْعِ صَفِيرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ).
(٤) الْمَعْنَى: الَّذِي يَشْغَلُ (بِفَتْحِ الْفَيْنِ) نَفْسَهُ بِالْأُمُورِ وَيَكْثُرُ الْإِهْتِمَامُ بِكُلِّ شَيْءٍ. الرِّفْقُ: اللَّطْفُ وَالتَّأْنِي. اللَّبِيبُ: الْعَاقِلُ.
(٥) الْقَرَمُ: الْفَعْلُ مِنَ الْإِزْلِ لَا يُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) عَلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ مَخْصُوصًا بِالضَّرَابِ (بِالْكَسْرِ) لِلنَّسْلِ. السَّيِّدُ الْعَظِيمُ (مِنَ النَّاسِ). النَجِيبُ: الْفَاضِلُ مِنْ أَوْثَانِ جَنْسِهِ.
(٦) الْعَقْدُ (بِالْفَتْحِ) مُصْدَرٌ مِنْ «عَقَدَ» الْحَبْلَ وَنَحْوَهُ (وَالْمَقْصُودُ «عَقْدَةٌ» بِالضَّمِّ). سَدِيدٌ (بِحَكْمٍ، شَدِيدٍ). تَسْنَى: انْحَلَّ، انْفَكَرَ رِبَاطُهُ. الطَّرِبُ: هَزَةُ تَدُلُّ عَلَى الْفَرَحِ أَوْ عَلَى الْحُزَنِ، اضْطِرَابٌ وَقَلَقٌ. مَرِيبٌ (هُنَا): يَحْمِلُ الرَّأْيَ عَلَى الشَّكِّ فِي أَنَّ هَذَا الطَّرُوبَ غَيْرُ تَامٍ الْعَقْلُ. يَدْعُو إِلَى التَّهْمَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ.
(٧) ٢.....

ولا يَقْضِي الْحَيَا لِلنَّبْتِ شَطْطًا إِذَا لَمْ يَقْضِ عَلَامُ الْغُيُوبِ^(١).

* * *

أَخَوَكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا تَغْنَى
وَقَضَاهَا بِوَاحِدَةٍ فَتَنَى
فَخُذْهَا غَادَةً خُضِبَتْ يَرْنَا
إِذَا مَا رَامَهَا مِنْ قَدْ تَبَنَى
جَمِيعَ بَيَانِهَا لَفْظًا وَمَعْنَى
كَمَا جُمِعَ الْحَبِيبُ إِلَى الْحَبِيبِ.

- وقال في الفخر والحامسة:

إِلَى كَمْ يَجِدُ الْمَرْءُ وَالدهرُ يَلْعَبُ،
وَهَلْ نَافِعِي، إِنْ كُنْتُ سِيفًا مُصَمَّمًا،
أُبَيِّتُهُمُ وَاللَّيْلُ كَالنِّقْسِ أَسْوَدُ،
فَلَا أَنَا عَمَّا رُمْتُ مِنْ ذَاكَ مُقْصِرٌ،
أَبَا حَسَنِ، سَائِلُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَعَى
وَأَعْتَنَى الْأَبْطَالَ حَتَّى كَانُوا
وَيَبْعُدُ عَنْهُ الْأَمْنُ وَالْخَوْفُ يَقْرُبُ؟
إِذَا لَمْ يَكُنْ يُلْقَى بِحَدَّيْ مُضْرَبٌ^(٥)!
وَأَهْجُمُهُمُ وَالصَّحْحُ كَالطَّرْسِ أَشْهَبُ^(٦)،
وَلَا خَيْلٌ عَزَمِي لِلْمَقَادِيرِ تُغْلِبُ.
لَنْ كُنْتُ لَمْ أَصْبِحْ أَهْشُ وَأَطْرَبُ^(٧)،
يُعَانِقُنِي عَنْهُمْ مِنَ الْبَيْضِ رَبْرَبٌ^(٨).

(١) الحيا: المطر. الشطء: بدء النبات بالظهور فوق الأرض. عَلَامُ الْغُيُوبِ (الله).

(٢) أصاخ: استمع. أذن الغريب (الجاهل، البعيد، العدو)...

(٣) غادة: امرأة جميلة (قصيدة). خضبت: صبغت. يرنا: الحناء (مادة تصبغ الأشياء بلون أحمر) - كناية

عن الجمال. تقدّم (ليست في القاموس): اكتسب حمرة خفيفة. الصبيب (ما ينصبّ - بتشديد الباء): ما

يسيل من الصباغ (بغير قصد) فيلون الأشياء تلويناً خفيفاً على غير نسق معين.

(٤) رام: قصد. تعرض دونها شبح الحروب.... (لم يستطع أن ينظم مثلها)...

(٥) المصمّم: (السيف) الذي يقطع العظام. يلقي (يلقى = يوجد). للحركات على كلمة «مضرب» راجع

تاج العروس (الكويت) ٣: ٢٤٧. المضى غامض (لعل المقصود: إذا لم يوجد رجل شجاع يضرب

بالسيف) أو إذا لم يستخدم (في الحرب).

(٦) بيّت الرجل القوم (هاجمهم ليلاً). النقس: صباغ أسود. أهجمهم: اقتحم (عليهم) مكانهم (أهجم عليهم

وهم في بيوتهم). الطرس: الورق. أشهب: أبيض.

(٧) هش: داخله سرور، فرح. - الوعى: الحرب (لأنه يكون قد انتصر).

(٨) اعتناق الأبطال في المعركة كناية عن المبارزة بالجسم (المغالبة). البيض (النساء الجميلات). الربرب في =

- وقال يذمُّ السُّكنى في مدينة مَرَّاكش:

وأرضٍ سَكَنَّاها فِيا يَنْسَ مَسْكَنٌ، بها العِيشُ نُكْدٌ والجَنَاحُ مَهِيضٌ^(١)؛
نروحُ ونغدو ليس إلَّا مُرَوِّعٌ: عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بيضٌ^(٢)!

٤-★★ قلائد العقيان ٣٣٧ - ٣٣٩؛ بغية الملتبس ٦٠، (رقم ٩٠)؛ المغرب ١: ٤٣٢؛
المطرب ١٩٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣٣٤ - ٣٣٩؛ الخريدة (الأندلس)
٢: ٢٨٧ - ٢٩٦؛ الحمدون ٢٩٥؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥٧؛ نفح الطيب ٣:
٣٩٢ - ٣٩٣؛ الأعلام للزركلي (٦: ٨٥).

أبو العلاء عبد الحق بن الجنان

١- هو أبو العلاء عبدُ الحقِّ بنُ خَلَفِ بنِ مُفَرِّجٍ المعروفُ بابنِ الجنَّانِ، وُلِدَ نَحْوَ
سَنَةِ ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)، في شاطِبةَ. ويبدو أَنَّهُ تَوَلَّى فيها الكِتابَةَ لِنَقَرٍ من الأُمراءِ
الذين تولَّوها. وقد صَحِبَ الشاعرَ المشهورَ ابنَ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ). وكانت وفاةُ ابنِ
الجنَّانِ هذا سَنَةَ ٥٣٩ هـ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢- كان أبو العلاء عبدُ الحقِّ بنُ الجنَّانِ الشاطِبيُّ ذا بَصَرٍ باللُّغَةِ وبالأدبِ، كما
كان أديباً وكاتباً مترسلاً وشاعراً بارعاً. وكذلك كانت له معرفةٌ بالطبِّ. وهو شاعرٌ
وُجَدَانِيٌّ سَهْلُ الأسلوبِ قَرِيبُ المعاني. وأبياته التي وَصَلَتْ إلينا كانت في الإخوانيَّاتِ
والأدبِ (الحِكْمَةِ) والنسيبِ.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو العلاء عبدُ الحقِّ بنُ الجنَّانِ (المغرب ٢: ٣٨٢) في النسيبِ:

= الأصل: قطع الفزلان (المقصود: أغالب الأعداء في المعركة كما لو كنت ألهو مع حبيبي: يسر وسهولة
وانشراح).

(١) نكد (بالضم): قليل (سَيِّئٌ). مهيض: مكسور.

(٢) نروح (في المساء) ونغدو (في الصباح): في كل وقت. مرَّوع: خيف. الأرقم: الحية.

سرى بَعْدَ المَهْدُوءِ خَيَالُ لَيْلِي ولم تَذِرِ الوُشَاةُ أَوَانَ سَارَا^(١).
 وَاعَيْنِ الرُّقْبَاءُ تَذَكِّي حِذَاراً أَنْ يَزُورَ وَأَنْ يُزَارَا^(٢).
 فَدُونَ طُرُوقِ ذَاكَ الْحَيِّ سَفَرٌ تَدُورُ بِجَانِبَيْهِ حَيْثُ دَارَا^(٣).
 سَأَشْكُرُ لِلْكَرَى خُلْسَاتٍ وَصَلٍ كَمَا لَقَطَ الْقَطَا ثَمَّ اسْتَطَارَا^(٤).

- وقال من رسالة كَتَبَهَا إلى يحيى بن غانية المَلَمَّ^(٥) (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أَطَالَ اللهُ بقاءَ الرئيسِ الأجلِّ واضحَ آياتِ المساعي، مُجَاباً في تأييده دَعْوَةَ الداعي، ولا زالَ مَعْقُودَةً بِالظَّفَرِ أَلْوِيَّتُهُ مَعْمُورَةً بِصَالِحِ الدُّعَاءِ سَاحَاتُهُ وَأُنْدِيَّتُهُ. كتابي، وما خَطَطْتُ بِحَرْفٍ إِلَّا رَمَقْتُ السَّمَاءَ بِطَرْفٍ أَدْعُو وَأَتَوَسَّلُ إِلَى مَنْ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ وَيَقْبَلُ، وَيُسْنِي الحُظُوظَ وَيُجْزِلُ^(٦)، على ما أُولَى مِنْ قِسَمٍ أَتَاحَهَا اللهُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَلْقَى أَرِمَتَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى أَنْقَادَتْ لَهُ بَعْدَ شِهَاسٍ وَتَأَنَّتْ عَلَى يَاسٍ^(٧). وَهَلْ كَانَتْ إِلَّا خَبِيئَةُ الدَّهْرِ وَبَيْضَةُ الْعَمَرِ^(٨)، صَعَبَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلُ مِنْ أُولَى السِّيَاسَاتِ وَمُدَبِّرِي الرِّيَاسَاتِ.

- وقال أبو العلاء عبد الحق بن الجنان أيضاً (الخريدة - المغرب والأندلس، ٣ :

٥٦٨):

-
- (١) المهدوء: سكون الناس في الليل ونومهم. أوان: وقت.
 (٢) أعين الرقباء تذكي: ترسل (تشدد المراقبة على الناس).
 (٣) الطروق: الطلوع (المجيء) فجأة. الأسمر: الرمح.
 (٤) الكرى: النوم. الخلسة (بالضم): الفرصة (القصة). كما لقط القطا (كما تناول طير القطاء الحبة من الأرض بمنقاره) ثم استطار. في القاموس (٢ : ٨٠) انتشر الخ. والشاعر يقصد «استطير» (بالبناء للمجهول): ذعر (بضم فكسر)، أي خاف وطار.
 (٥) هو يحيى بن علي بن يوسف الموسوي (ت ٥٤٣ هـ)، وغانية أمه وكانت قرية ليوسف بن تاشفين. ويحيى ابن غانية هذا كان أول الذين تولوا الأندلس من قبل (بكر ففتح) الملتين (المرابطين).
 (٦) يسني الحظوظ ويجزل: يعطي جوائز سنية (ثمينة) جزيلة (كثيرة وقيمة).
 (٧) الشمس: الإباء والامتناع. يأس: قنوط (فقدان الأمل).
 (٨) «بيضة العمر» (تاج العروس - الكويت ١٣ : ١٠٩) تطلق على أشياء كثيرة والمقصود بها (هنا) «الشيء النادر».

وَكُنَّا وَرَيْبُ الدَّهْرِ وَسَنَانُ، وَالنَّوَى بَعِيدٌ مَدَاهَا لَا تَرَوْعُ لَنَا سِرْبًا^(١)؛
فَعُدْنَا وَقَدْ صِرْنَا بَمَرَأَى وَمَسْمَعٍ، فَأَبْصِرْ بِهِ عَيْنًا وَأَسْمِعْ بِهِ قُرْبًا^(٢).
أَبَا حَسَنِ، إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ نَازِحًا أُرَاقِبُ لَمْعَ الْبَرْقِ أَوْ أَسْأَلُ الرِّكْبَا^(٣)،
فَكَمْ قَدْ تَجَاذَبْنَا الْحَدِيثَ لِيَالِيَا تَقْلِدُهُ أَجْيَادَهَا لَوْلَا رَطْبًا^(٤).
وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا الشَّمْسَ لَاحَتْ لَنَاظِرٍ فَأَوْنَةُ شَرْقًا وَأَوْنَةُ غَرْبًا^(٥).

٤-★★ المغرب ٢: ٣٨١ - ٣٨٢؛ التكملة ٦٤٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٦٨؛
الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٤؛ نفح الطيب ٣: ٣١٠ - ٣١١.

أبو بكر بن الجنان

١- أبو بكر أحمد بن عبد الحق بن الجنان شاعرٌ مُجِيدٌ لم أعثرَ على تاريخ وفاته
فألحقتُ ترجمته بترجمة أبيه. وفي ظني أنه لم يعيش طويلاً لأنه دخل السجن وعُذِّبَ
فيه وقُتِلَ على الأرجح.

٢- هو شاعرٌ مطبوعٌ متينُ السبكِ حَسَنُ الصَّنَاعَةِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ وَالْمُقَطَّعَاتِ.
وَشِعْرُهُ مَذَحٌّ وَأَدَبٌ (حكمة) وَغَزَلٌ. وقد مَدَحَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَسَدٍ الشَّاطِبِيَّ.

٣- مختارات من شعره:

- جرتُ على أبي بكرٍ أحمد بن عبد الحق بن الجنان مِحْنَةً دخل على أثرها إلى

(١) ريب (حادث، مصائب) الدهر وسنان (قد غلب عليه النعاس) والنوى (الفراق، البعاد) لا تروع (لا تخيف) لنا سرباً (جماعة).

(٢) صرنا بمرأى ومسمع (من الدهر) يصيبنا بأحداثه. فأبصر به الخ (والدهر قويّ البصر قويّ السمع فأصابنا بمصائب كثيرة).

(٣) نازح: بعيد، مغترب. الركب (الجماعة الراكبون: المسافرون معاً): أسأل عنك الناس وأحاول أن أعرف أخبارك في كل مناسبة. - راجع في خطاب «أبي حسن» ترجمة ابن الفخار المالقي (ت ٥٣٩ هـ).

(٤) كانت أحاديثك كالقلائد من اللؤلؤ الثمين لأجسادنا (لأعناقنا).

(٥) - كناية عن كثرة أسفاره.

السَّجْنُ وَوُضِعَتِ الْأَكْبَالُ (الْقِيُود) فِي يَدَيْهِ . وَلَمَّا أُيقِنَ بِالْمَوْتِ كَتَبَ عَلَى حَائِطِ السَّجْنِ
بِقِطْعَةٍ مِنَ الْفَحْمِ (المغرب ٢ : ٣٨٢) :

أَلَا دَرَى الصَّيْدُ مِنْ قَوْمِي الصَّنَادِيدُ أَنِّي أَسِيرٌ - بَدَارُ الْهُونِ - مَقْصُودُ
لَا أَسْطُ الْخَطْوِ إِلَّا ظِلٌّ يَقْبِضُهُ كَبَلٌ - كَمَا التَفَّتِ الْحَيَاتُ - مَعْقُودُ .
وَقَدْ تَأَلَّبَ أَقْوَامٌ لِسَفْكِ دَمِي لَا يَعْرِفُ الْفَضْلُ مَفْنَاهُمْ وَلَا الْجُودُ
- وَقَالَ فِي غِلَامٍ مَرَّ بِهِ يَقْفِزُ فَارًّا (مَنْ نَارٍ عَلِقَتْ بِهِ ؟) :

وَوَسِيمَ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ يَنْثَنِي كَالْفُصْنِ فِي الْوَرَقِ ،
مَرَّ يَلْقَى النَّبَارَ فِي ضَرْمٍ كَفَوَادِ الصَّبِّ مُخْتَرِقِ
وَمَضَى يَجْتَابُ جَاغِمَهَا* كَانْصِلَاتِ النَّجْمِ فِي الْأُفُقِ

- قَالَ ابْنُ الْجَنَانِ الْمُرْسِيُّ يَدْحُ قَاضِيًا اسْمُهُ (أَوْ كُنْيَتُهُ) أَبُو بَكْرٍ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :
أَلَا طَرَقْتُنَا فِي الدُّجَى رَبَّةُ الْخَدْرِ وَقَدْ جَنَحَتْ فِي الْأُفُقِ أَجْنَحَةُ النَّسْرِ^(١)
وَمَالَتْ إِلَى الْغَرْبِ الثَّرِيًّا كَأَنَّهَا مَطَارُ حَمَامٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرٍ^(٢) ؛
فَهَبَّتْ مَعَ الْفَجْرِ النَّعَامَى فَجَرَّرَتْ ذُيُولًا عَلَى الْغَيْطَانِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ^(٣) .
فَمَنْ مُبْلِغِي - وَالِدَارُ بِالْقَوْمِ غُرْبَةً شَطُونٌ - وَصِدْقُ الْقَوْلِ أَجْدَرُ بِالْحُرِّ^(٤) ،
عَنِ الرُّوْضِ بِالرُّوحَاءِ كَيْفَ نَسِيمُهُ ، وَهَلْ جَادَهُ بَعْدِي مُلْكٌ مِنَ الْقَطْرِ^(٥) ،
وَهَلْ حَلَّ قَلْبِي فِي مَعَاهِدِ زَيْنَبٍ بِذَاتِ النَّقَامِ رَاحَ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ^(٦) .
وَمِمَّا شَجَا نَفْسِي تَأَلَّقُ بَارِقِ يَقْدُ جَلَابِيبَ الدُّجْنَةِ إِذْ يَسْرِي^(٧) .

- (١) طروق: طلع (جاء) فجأة. ربّة الخدر (المرأة المصونة). المقصود بالنسر هنا كوكبة (مجموعة نجوم).
جنحت في الأفق: مالت إلى المغرب، كناية عن اقتراب نهاية الليل (راجع البيت الذي يلي التالي).
(٢) مطار جمع مطارة: مكان يكثر فيه الطير. نهض الطير: بسط جناحيه ليطير.
(٣) النعامى ريح الجنوب (وهي في شبه جزيرة العرب رطوبة محبوبة).
(٤) الشطون (بالفتح): بعيدة.
* الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.
(٥) الروحاء (اسم مكان). الملت (المستمر). القطر: المطر.
(٦) السفر (بالفتح): الجماعة المسافرون معاً.
(٧) شجا: حزن (بفتح ففتح) وأحزن. تألق: لمعان. يقْدُ (يشق) جلابيب (جمع جلاب: ثوب) الدجّة (الظلام) إذ (حيناً) يسري (يسير ليلاً).

مَلِيحٌ إِذَا مَا أَهْتَاجَ قُلْتُ: صَفِيحَةٌ مِنْ الْهِنْدِ أَوْ رَجَمَ مِنَ الْأَنْجَمِ الزُّهْرُ (١)،
 يَنْوُءُ بِهِ مُسْتَمْطِرٌ ذُو هِيَادِبٍ كَمَا نَهَضَتْ بُذْنُ الْحَجِيجِ إِلَى النَّحْرِ (٢).
 إِلَى كَمْ أَطِيعُ الْقَلْبَ فِي طَلِبِ الصَّبَا

وَأُجْهِدُ نَفْسِي فِي هَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ (٣)؟
 سَأُنْثِي عِنَانَ الشَّعْرِ عَنْ سُبُلِ الْهَوَى إِلَى مِدْحَةِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ (٤):
 فَتَى أَنْهَضَ الْإِسْلَامَ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَصَيَّرَ طَيِّ الْمَعْلُوتِ إِلَى النَّشْرِ (٥)،
 وَشَيْدَ أَرْكَانِ الدِّيَانَةِ فَاعْتَدَتْ تُزَاحِمُ أَشْبَاحَ النَّعَائِمِ وَالنَّسْرِ (٦).
 حَفِيزٌ عَلَى ذَاتِ الْآلَةِ وَدِينِهِ، مَلِيٌّ بِمَا يُرْضِيهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ (٧).
 تَحَدَّثَ عَنْ آثَارِهِ فَتَيَسَّ السُّرَى كَمَا حَدَّثُوا فِي الْمَحَلِّ عَنْ سُبُلِ الْقَطْرِ (٨).
 وَأَصْفَرَ مَصْقُولِ الْأَدِيمِ أَجَلْتَهُ فَرِيَعَتُ مَتُونِ الْبَيْضِ وَالذُّبْلِ السُّمْرِ (٩).
 إِذَا اسْتَنْطَقْتَ يُمْنَاكَ مِنْهُ مَفُوهًا أَجَابَ بَمَا يَثْنِي بِهِ نُوبَ الدَّهْرِ (١٠).
 وَإِنْ خَضَبْتَ أَعْلَاهُ مَجَّةً حَبْرَهُ قَضَى بِالْحُبُورِ الْجَمَّ عَنْ ذَلِكَ الْحَبْرِ (١١).

- (١) صفيحة من الهند (صفحة سيف من صنع الهند). رجم (شهاب مضيء ساقط إلى جو الأرض). الأزهر: الأبيض، اللامع.
- (٢) مستطر (قطع سحب فيها مطر). الهيدب: ما يتدلى من السحاب فيكون قريباً من الأرض (لكثرة الماء الذي فيه). البدنة (بفتح ففتح): حيوان (كالجمل والبقرة والخروف). الحجيج: الحجّاج. النحر: الذبح. ويستحسن في البدن (بالضم) التي يضحي بها الحجّاج أن تكون سمينة.
- (٣) الصبا: الشباب (أفعال الشباب). أجهد: أتعب. البيض والسر (النساء الجميلات).
- (٤) سأثني (أرد) عنان (زمام) الشعر من الفزل (الهزل) إلى المدح (الجدّ - بكسر الجيم).
- (٥) المعلاة: مقبرة مكّة. طي (ما في بطن) المعلوات (جمع معلاة): المقابر. - أحيأ آمال الناس (٢).
- (٦) تزاحم: تسابق (ترتفع، تعلو) أشباح (أجسام) النعائم والنسر (مجموعتا كواكب): جعل مكانة الدين سامية.
- (٧) المليء: الكثير المال، والمضطلع بالأمور (القدير على تصريف الأمور).
- (٨) السرى (السرّ ليلاً). المحل: الجذب، انقطاع المطر. القطر: المطر. - تحدّث الناس في أسأهم عنه (باهتمام وسرور) كما يتحدّث الناس عادة عن سقوط المطر بعد زمن طويل من الجذب والقحط.
- (٩) وأصفر (قلم) أجلته (على الورقة). ريعت (المجهول من راع: خاف) المتن: الحدّ. البيض (السيوف) والذبل السر (الرماح).
- (١٠) المفوّه: القدير على الكلام. يثني: يردّ، يدفع. النائية: الحادث، المصيبة.
- (١١) خضب: صبغ. أعلاه (أعلى القلم: الطرف المبرى الذي يكتب به). الحبور: السرور. الجمّ: الكثير.

إِلَيْكَ، أبا بكرٍ، بَعَثْتُ عَقِيلَةً
ولستُ كَمَنْ يَبْنِي نَوَالَ مُمَدَّحٍ
فَدُونَكُهَا غَرَاءَ أَمَّا نَسِيمُهَا
بَقِيَتْ مَكِينَ الْعِزِّ مُقْتَبِلَ الْعُلَا
وما إن لها إلا قبُولك من مَهْر^(١).
ولو نَوَلْتَنِي الشُّعْرَيْنِ يَدُ الشُّعْر^(٢).
فكالرَوْضِ يَنْدَى أَوْ كَعَنْبَرَةِ الشَّجَرِ^(٣).
فسيحَ المَدَى سامي المراتب والذِّكْر.

- وله في النسب:

خَلِيلِيَّ مِنْ وادي اليَمَامَةِ، خَبَّرَا
وهل سِرْحَةُ القَاعِ المَرِيحِ جَنَابُهُ
وما هي إِلَّا لِلدَّوَاعِ مَوَاقِفُ
فيا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ، هل أَنْتَ مُبْلَغُ
مَتَى يَلْتَقِي جِسْمُ بَرَامَةِ مُتَمِّمُ
هلِ البَانُ فِي أَرْجَائِهِ يَتَأَوَّدُ^(٤)؟
تصبح إِذَا غَشَى الحَمَامُ المُرْدُ^(٥)؟
يُرَاقُ بِهَا دَمْعٌ وَيَفْنَى تَجَلَّدُ.
دِيَارَ سُلَيْمَى مَا أَقُولُ وَأُنْشِدُ^(٦).
وَجِسْمٌ بِأَكْنافِ العَقِيقَيْنِ مُنْجِدُ^(٧)؟

٤-★★ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٤٩ -
١٥٣؛ المغرب ٢: ٣٨٢ - ٣٨٣؛ زاد المسافر ٧٣ (١١٥).

ابن مجبر الصقليّ

١- هو مُجَبِّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَبَابِ الْأُمَوِيِّ،
المعروف بابن مجبرٍ وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧١ - ١٠٧٢ م). وقد هاجرَ إِلَى
مِصْرَ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ، سَنَةَ ٤٨١ هـ. وكانت وفاته قبلَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م).

- (١) عَقِيلَةٌ: زَوْجَةٌ كَرِيمَةٌ (قصيدة).
- (٢) الشُّعْرَانِ: الشُّعْرَى الْعَبُورُ وَالشُّعْرَى الْفَيْضَاءُ نَجْمَانِ مِنَ الْقَدَرِ الْكَبِيرِ.
- (٣) غَرَاءَ: بِيضَاءَ (كَرِيمَةً). الشَّجَرُ (شَاطِئِي فِي جَنُوبِ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ).
- (٤) البَانُ: شَجَرُ أَغْصَانِهِ طَوِيلَةٌ رَشِيقَةٌ وَسَمَرَاءُ مِلْسَاءَ (لَعَلَّهَا كُنَايَةٌ عَنِ الْمَحْبُوبَةِ) يَتَأَوَّدُ: يَتَأَيَّلُ (سُرُوراً وَسَعَادَةً).
- (٥) السِّرْحَةُ: الشَّجَرَةُ الطَوِيلَةُ الْكَبِيرَةُ (لَعَلَّهَا أَيْضاً كُنَايَةٌ عَنِ الْمَحْبُوبَةِ). المَرِيحُ: الْخَصْبُ. جَنَابُهُ: جَانِبُهُ.
- تَصِيحُ (تَعَبَّرَ عَنْ سُرُورِهَا أَوْ عَنْ حَزْنِهَا).
- (٦) الْوَجْنَاءُ: النَّااقَةُ.
- (٧) الْمُتَمِّمُ: الْمُقِيمُ فِي تَهَامَةٍ (بِالْكَسْرِ: عِنْدَ شَاطِئِ الْبَحْرِ) وَالْمُنْجِدُ (السَّاكِنُ فِي نَجْدٍ: الْمَكَانِ الْعَالِي).

٢ - كان ابنُ مجير الصِّقْلِيُّ رجلَ جِدِّ كَرِيمِ الخُلُقِ، وكانَ شاعراً فَحَلًّا مُكثِراً. وشعرُهُ فصيحُ الألفاظِ متينُ التركيبِ مَعَ سَهولَةٍ واضِحَةٍ. وفنُونُ شعرِهِ المديحُ والغزلُ والوصفُ والأدبُ (الحكمة). ويبدو أَنَّهُ كانَ قد أَخَذَ نَفْسَهُ بِنَظْمِ مَلَحِمَةِ «السيرة المصرية».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ مُجِيرِ الصِّقْلِيُّ قصيدةً في مدحِ رجلٍ كَرِيمٍ، منها:

انملاً كؤوسَكَ بالمدامِ وهاتِها.	إِنَّ الهوىَ للنفسِ من لَذَاتِهَا ^(١) .
إِصْرِفْ عَنِ المِشْتاقِ صِرْفَ مُدَامَةٍ	رَشَفُ الرُّضابِ أَلَذُّ من رَشَفَاتِهَا ^(٢) .
وَأَحِلِّ أَشْرَبَتِي وَأَحْلَاهَا الَّتِي	أَمَسَتْ تُغَوِّرُ البِيضَ من كاسَاتِهَا ^(٣) .
ومريضةِ الأَجْفَانِ سَامَتْ في الهوى	قَتَلِي فَهَانَ عَلَيَّ في مَرَضَاتِهَا ^(٤) .
مَا زِلْتُ أَصْفَحُ في الهوى عَن جُرْمِهَا	وَأَغْضُ في الإِعْرَاضِ عَن هَفَوَاتِهَا،
حَتَّى تَوَهَّمْتُ الصَّدُودَ زِيَادَةً	في حُسْنِهَا عِنْدِي وفي حَسَنَاتِهَا.
مَا خِلْتُ أَنَّ النَفْسَ يَنكُدُ عَيْشُهَا	حَتَّى يَكُونَ المَوْتُ من شَهَوَاتِهَا.
أَسْتَوْدِعُ اللهَ القِبابَ وَأَوْجُهَاً	فِيهِنَّ كالأَقَارِ في هَالَاتِهَا ^(٥) ،
وَالوَرْدُ بِحَسْدٍ نَرَجِساً وَبَنَفْسَجاً	في شَهْلِ أَعْيُنِهَا وَلُغْسٍ لِثَانِهَا ^(٦) .
تلكَ الرِّياضُ اللَّاءُ مَا بَرِحَتْ يَدِي	تَجَنِّي ثِيَارَ الوَصْلِ من وَجَنَاتِهَا ^(٧) .

(١) المدام: الخمر.

(٢) الصرف: الخالصة (غير المزوجة بماء). الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الشفر: الفم. البيضاء: المرأة (الجميلة).

(٤) سام السلعة: عرضها للبيع وطلب فيها ثمناً. هان: سهل.

(٥) القباب جمع قبة (بالضم): خيمة صغيرة أعلاها مستدير (تكون عادة للمرأة). الهالة: دائرة ترى أحياناً محيطاً بالقمر أو الشمس أو السراج (يشبه المرأة في القبة كالقمر في وسط الهالة).

(٦) الورد (النبات الطبيعي) يحسد النرجس الذي يشبه عينيها (أو عينيها اللتين تشبهان النرجس). الشهلة (بالضم): أن يخالط يوبؤ العين حمرة (أو صفرة). اللص: السمرة. اللثة (بكسر ففتح بلا تشديد): اللحم الذي تثبت فيه الأسنان.

(٧) اللاء: اللائي، اللوائي، التي.

وَلَرُبَّ قَافِيَةٍ شَرِدَتْ
حَتَّى وَرَدَتْ مِنَ التَّأْسُفِ بَعْدَهَا
مَا زِلْتُ أَنْظِمُ طَيْبَ ذِكْرِكَ غَنَبَرًا
حَتَّى إِذَا تَشَرَّ الصَّبَاحُ رِداءَهُ
وَتَمَثَّلَتْ عِقْدًا تَوَدَّ كَوَاكِبُ الـ
أُعَدَّدْتُهَا لِلِقَاءِ مَذْحِكِ سُبْحَةٍ
وَمَدَائِحُ الْكُرَمَاءِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ
وَأَحَقُّهَا بِالنُّجْحِ مَدْحُكَ إِنَّهُ
فَالْيَوْمَ أَنْثَرُهَا جَوَاهِرَ حِكْمَةٍ
قَسَمًا بِمَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَنِلْتَ أَفْ
وَبْنَى الْعُلَى رُبًّا فَكُنْتَ بِفَضْلِهِ
لَوْلَا وَجُودُكَ فِي الزَّمَانِ وَجُودُكَ الـ
لَمْ يُعْرِفِ الْمَعْرُوفُ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ

نَوْمِي فَبِتُّ أَجُولُ فِي أُنْيَاتِهَا^(١)،
نَارًا دَمُوعِي الْحُمُرُ مِنْ جَمَرَاتِهَا.
أَرْجَا خِلَالَ الدَّرِّ مِنْ كَلِمَاتِهَا^(٢)،
عَنْ مِثْلِ نَفْعِ الْمِسْكِ مِنْ نَفْحَاتِهَا،
جُوزَاءً عَقَدْتَهُ عَلَى لَبَاتِهَا^(٣)،
أَدْعُو بِهَا لِأُنَالَ مِنْ بَرَكَاتِهَا.
شُفِعْتَ بِهَا الْآمَالُ فِي حَاجَاتِهَا.
لِلنَّفْسِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُرْبَاتِهَا^(٤).
عَقُمْتُ بِحَارُ الشَّعْرِ عَنْ أَخَوَاتِهَا.
ضَلَلَهَا وَنَالَ النَّاسُ مِنْ فَضْلَاتِهَا،
أَوَّلَى مَنْ أَسْتَوَى عَلَى غَايَاتِهَا^(٥)،
مُخْنِي الْمَكَارِمَ بَعْدَ بُعْدِ وَفَاتِهَا^(٦)،
طَفْنَا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا.

٤-★★ الخريدة (مصر) ٢: ٨٢-٨٩.

ابن بقيّ الأندلسي

١- هو أبو بكر يحيى بن أحمد (أو محمد) بن عبد الرحمن بن بقي^(٧) القيسي،
القرطبي الطليطلي الأندلسي. ومن المستغرب أن المعروف من تفاصيل حياته نزر

- (١) القافية الشروذ: السائرة في البلاد. يقصد قصيدة بارعة جمل قوافيها متخيرة موافقة لأبياتها.
- (٢) أرج: طيب الرائحة.
- (٣) اللبة: أعلى الصدر.
- (٤) القرية: ما يتقرب به الإنسان إلى غيره (في الأصل: إلى الله).
- (٥) استولى على الغاية: سبق المتبارين.
- (٦) جودك (كرمك). بعد بُعد وفاتها (موت المكارم منذ زمن بعيد).
- (٧) ابن بقي من أهل وادي آش (جنوبي الأندلس) ووفاته في وادي آش (صلة الصلة ١٧٤).

قليل برغم شهرته وتقدمه في تاريخ الأدب.

كان مولد ابن بقي^(١) (في طليطلة؟) في أواخر القرن الهجري الخامس (الحادي عشر للميلاد) قضى حياته في التطواف في الأندلس نفسها وفي المغرب من غير أن ينال خيراً إلى أن قرّبه يحيى بن علي بن القاسم من بني العشرة القضاة في سلا (قرب الرباط - في المغرب) فنال عنده حظوةً يبدو أنها لم تطل فعاد من المغرب غاضباً يائساً. ثم كانت وفاته في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، في رواية ياقوت (معجم الأدباء (٢٠: ٢١) ورواية ابن خلكان (وفيات الأعيان ٦: ٢٠٥). وقيل سنة ٥٤٥ هـ.

٢- أبو بكر بن بقي^(١) وشاعرٌ مجيدٌ وشاحٌ بارعٌ صاحبٌ موشحاتٍ وقصيدٍ في مقاطعٍ وقصائدٍ طوالٍ. كانت فنونه المديح، أكثر من مديح يحيى بن علي ابن القاسم، والشكوى والغزل الرقيق والنسيب. ويبدو أنه قد نسبت إليه موشحات لم تكن له، ولكن شهرته دفعت الرواة إلى ذلك. ومع أن ابن بقي كان ذا مكانة سامية في التوشيح، فإن الأعمى التطيلي كان أكثر توفيقاً منه في بعض الأحيان (راجع مقدمة ابن خلدون ٥٨٤ / ١١٣٩ - ١١٤٠). وكان في موشحاته «خرجات» (والخرجة نهاية الموشحة) رومانسية، أي باللغة الأعجمية لغة نصارى الأندلس (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩).

٣- مختارات من شعره:

- موشحة ابن بقي:

غَلَبَ الشوقُ بقلبي فأشتكى أَلَمَ الوجدِ فَلَبَّتْ أذُنِي.

★ ★ ★

أُثِّمُهَا النَّاسُ، فُوَادِي شَفِيفُ؛
وهو مِنْ بَنِي الهوى لَا يُنْصَفُ؛

(١) وهو نائر أيضاً (صلة الصلة ١٧٤).

كَمْ أَدَارِيهِ وَدَمْعِي يَكْـفُ؟
أُثْهَا الشَادِنُ مَنْ عَلَّمَكَا بِسَهَامِ اللَّحْظِ قَتَلَ السَّيِّعِ^(١)؟

★ ★ ★

بـَدْرٌ تَمَّ تَحْتَ لَيْسَلٍ أَغْطَشَ،
طَالَعٌ فِي غُضْنِ بـَانٍ مُنْتَشٍ،
أَهْيَفُ الْقَدِّ بَحْدَ أَرْقَشِ.
سَاحِرُ الطَّرْفِ، وَكَمْ ذَا فَتَكَا بِقُلُوبِ الْأَسَدِ بَيْنَ الْأَضْلَعِ^(٢)!

★ ★ ★

أَيُّ رِيَمٍ رُمْتَهُ فَاجْتَنَبَا،
وَأَنْشَى يَهْتَزُّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا
كَضَيْبٍ هَزَّهُ رِيحُ الصَّبَا.
قُلْتُ: هَبْ لِي، يَا حَبِيبِي، وَصَلْكََا وَأَطْرَحْ أَسْبَابَ هَجْرِ وَدَعِ^(٣).

★ ★ ★

قَالَ: خَدِّي زَهْرَةً مُذْ فُوفَا
جَرَدْتُ عَيْنَيَّ سَيْفًا مُرْهَفَا
حَذَرًا مِنْهُ بَالًا يُقْطَفَا.

(١) الوجد: ألم الحبِّ. شَفِيفٌ (ليست في القاموس). المقصود « مشغوف »: مجنون (من الحبِّ). البغي: الظلم. يكف: يهطل، ينسكب. الشادن: الغزال الصغير.

(٢) أغطش: ضعيف البصر. والشاعر يقصد ليل غاطش (تاج العروس - الكويت ١٧: ٢٩٢): مظلم. منتش: سكران (يتأود: يتأيل مثل السكران). أهيف القد: نحيل معتدل القامة. أرقش: (فيه ألوان): أحمر (٩).

(٣) ريم: غزال أبيض. رام: طلب. ريح الصَّبَا: ريح الشرق. يجب أن يقول: هَزَّتْهُ.

إِنْ مَنْ رَامَ جَنَاهُ هَلَكَا فَأَزَلَّ عَنْكَ عَلَالُ الطَّمَعِ^(١).

★ ★ ★

ذاب قلبي في هوى ظبي غريز،
وجهه في الدجن صُبْحُ مستنير،
وفؤادي بـيـنَ كَفِّـهِ أسير.

لم أجد للصبر عنه مَسْلَكَ فانتصاري بأنسكاب الأذمع^(٢).

- شكوى مريّة من الدهر والناس في الوطن والغربة:

إلى الله أشكوها نَوَى أَجْنِبِيَّةَ لها من أبيها الدهر شِمةً ظالم^(٣).
إذا جاش صدر الأرض بي كنت مُنْجِداً وان لم يَجِشْ بي كنت بين التهام^(٤).
أَكُلُ بني الآداب مثلي ضائع فأجعل ظلمي أسوةً في المظالم.
ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها على عَرَيِّ ضاع بين أعاجم.

- وقال في النسب:

بأي غزال غارلتُه مُقلتي بين العُذيب وبين شَطِيّ بارق^(٥)،
وسألت منه زيارةً تشفي الجوى فأجابني فيها بوعْدٍ صادق^(٦).
بتنا ونحن من الدجى في لُجّة، ومن النجوم الزهر تحت سُرّادق^(٧).

(١) التفويف: التلون (كثرة الألوان). مرهف: رقيق (حادّ، قاطع). جناه = اجتناؤه: قَطَفَه (تقبيله).
علال (ليست في القاموس بالمعنى المقصود). الشاعر يقصد علالة (بالضمّ: ما يتلهم الإنسان به) أو
التعلّل: التأمل، الأمل.

(٢) الغريز (الصغير، القليل الاختبار). الدجن: الغم.

(٣) نوى: بعاد، فراق. الأجنبية: الغريبة (البعيدة، في بلاد أجنبية^(٤)). شِمة: خصلة.

(٤) جاش: تحرك، اضطرب. جاش في صدر الأرض: سرت في الأرض كثيراً. المنجد: المرتقي إلى النجد
(المكان المرتفع). التهام جمع تامة (بالفتح أو بالكسر): الأرض المنخفضة.

(٥) العذيب وبارق من أسماء الأماكن (ولا يقصد بها هنا مكاناً بعينه).

(٦) الجوى: ألم الحب.

(٧) الدجى (الظلام). اللجة: معظم الماء (في ظلام شديد). الزهر جمع أزهر وزهراء (أبيض، لامع).

السرداق: كلّ ما أحاط بك (خيمة كبيرة تمتدّة: كانت النجوم كثيرة^(٨)). بات: قضى الليل.

عَاطِيَّتُهُ، وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ، صَهْبَاءُ كَالْمَسْكِ الْفَتِيقِ لِنَاشِقٍ^(١)؛
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْكَمِيِّ لِسَيْفِهِ حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سِنَّةُ الْكُرَى
وَدَوَّابَتْهُ حَائِلٌ فِي عَاتِقِي^(٢). زَحْزَحْتُهُ شَيْئًا وَكَانَ مَعَانِقِي^(٣)؛
بَاعَدْتُهِ عَنْ أَضْلَعِ تَشَاقُّهِ كَيْلًا يَنَامَ عَلَى وِسَادٍ خَافِقٍ^(٤)!
- وَقَالَ يَتَفَرَّلُ:

يَا أَقْتَلَ النَّاسِ الْحَاطِطَ وَأَطْيَبَهُم

رَيْقًا، مَتَى كَانَ فِيكَ الصَّابُ وَالْعَصَلُ^(٥)؟
فِي صَخْنِ خَدِّكَ، وَهُوَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ، وَرَدُّ يَزِيدُكَ فِيهِ الرَّاحُ وَالْحَجَلُ^(٦).
إِيمَانُ حَبِّكَ فِي قَلْبِي تُجَدِّدُهُ مِنْ خَدِّكَ الْكُتُبُ أَوْ مِنْ لَحْظِكَ الرُّسُلُ.
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنَّنِي عَبْدُ مَمْلُوكَةٍ مُرْنِي لِمَا شَتَّ آتِيهِ وَأَمْتَلُ^(٧).
لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى قَلْبِي وَجَدْتَهُ بِهِ مِنْ فِعْلِ عَيْنَيْكَ جُرْحًا لَيْسَ يَنْدَمِلُ.

٤-★★ قلائد العقيان ٣٢٢ - ٣٢٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢٣٦ - ٢٤٦، ٣؛
٥٧٩؛ الخريدة (الأندلس) ١٣٠ - ١٤٣؛ المطرب ١٩٨؛ المغرب ٢: ١٩ -
٢١، ٢٥؛ وفيات الأعيان ٦: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ معجم الأدباء ٢٠: ٢١ - ٢٥؛
البيان المغرب ٢: ١٩٢؛ التكلمة؛ (رقم ٢٠٤٢) صلة الصلة ١٧٤؛
جيش التوشيح ٢ - ١٥، راجع ٢٢٧ - ٢٣٠؛ نفع الطيب ١: ٤٧١ - ٤٧٣، ٣؛

- (١) عايطيته: شربت وإياه. والليل يسحب ذيله (طول الليل؟). صهباء: خر حرام اللون. الفتيق = المفتوق (من إناء فتح لأول مرة). الناشق (يقصد المنتشق والمستنشق: الذي يقصد أن يشم رائحة ما).
- (٢) الكمي: الكامل السلاح. ضم الكمي لسيفه (حباً له ومحافظة عليه). الذؤابة: الضفيرة. حمالة (ملقاة على). العاتق ما بين العنق والكتف.
- (٣) السنة (بالكسر): النعاس. الكرى: النوم.
- (٤) وساد: مخدة. وساد خافق (يقصد قلبه).
- (٥) الصاب: شجر مرّ.
- (٦) لون الراح (الخمرة - الحمرة) ولون الحجل (الحمرة) أو طعم الخمر (عند شمّ الخدّ وتقبيله) ولون الحجل.
- (٧) حقّ «آتيه وأمتل» الجزم (في جواب الأمر). ويستقيم الإعراب إذا قلنا: مرني، فما شئت آتيه وأمتل (أطيع).

٢٠٨ - ٢٠٩ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤٨ ، ٤ : ١٣ ، ١٥٥ ،
 ٢٣٦ - ٢٤٠ ، ٢٤٠ : ٧ - ٦ - ٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٢٩ ؛ نيكل ٢٤١ -
 ٢٤٤ ؛ مختارات نيكل ١٦٣ - ١٦٥ ؛ الأعلام للزركلي ١٨٨ : ٩ (١٥٨ : ٨) .

ابن أبي الخِصال الغافقيّ

١ - هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن مسعود بن طيّب بن فرج بن خلصة الشقوريّ المعروف بابن أبي الخِصال الغافقيّ (نفع الطيب ١ : ٢٩٤) ، وأولّيته من فرغليط ، قُرب شقورة ، وفيها كان مولده ، سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) ، وكانت نشأته أيضاً . ثم إن ابن أبي الخِصال انتقل إلى قرطبة وسكنها .

وتردّد ابن أبي الخِصال على أبي الحسن ابن مالك البغمريّ قاضي أبدّة (راجع نفع الطيب ٣ : ٥١٩ - ٥٢٠) . ثم عني بالحديث فقرأ على أبي عليّ الحسين بن محمد بن سكرة الصديّ (ت ٥١٤ هـ) بالمرّة صحيح مسلم وجامع الترمذيّ ومُصنّف أبي داوود وأكثر صحيح البخاريّ .

وترقى في مراتب الدولة فأصبح رئيس كتّاب الأندلس . وقد كان كاتباً لوالي غرناطة عليّ بن يوسف بن تاشفين (قبل أن يليّ عليّ بن يوسف السلطنة ، سنة ٥٠٠ هـ) .

ولما قام السلطان عليّ بن يوسف بحملته على طليّة (غرب طليطلة) رافقه ابن أبي الخِصال . وسكن ابن أبي الخِصال مدّة في فاس .

ولما استولى المصامدة (الموحّدون) على الأندلس ظلّ يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين على الأندلس) يُقاوم جيوشهم . واتفق يوماً أن كان محمد بن أبي الخِصال في باب بيته في قرطبة فرأى الجنود المصامدة يهاجمون الناس ويقتلون نفراً منهم . فجعل (ثقة بمكانته العلمية وحباً بدفاعه عن الخلق والحق والدين) ينصح الجنود بالكفّ عن قتل الناس . فجاء الجند إليه وقتلوه ، في ثاني عشر ذي الحجة من سنة ٥٤٠ (١١٤٦/٥/٢٧ م) .

٢ - كان محمد بن أبي الخِصال مُتَفَنِّناً في العلوم مُستبحراً في الآداب واللغات (لغات العرب: لهجات العرب) بارعاً في البلاغة أديباً مُترسلاً حتّى اشتهر بأنّه رئيسُ كُتّاب الأندلس في أيامه، وإن كانت عنايته الأولى مُتّجهةً إلى الحديث. وكذلك كان عالماً بالأخبار (التاريخ). ثمّ إنّّه كان شاعراً يُحسنُ الارتجال، وكانت أكثرُ براعته في الوصف. غير أنّه كان قليلَ الابتكار كما كان على شعره شيءٌ من الجفاف. ونثره مُثَقَّلٌ بالصناعة.

وكان مُصنِّفاً أيضاً له كُتُبٌ منها: مجموعُ ترسُّلٍ وشعرٍ في خمسة مجلّدات (معجم ابن الأَبار ١٤٤) - ظلُّ الغَمامة (في مناقب الصَّحابة) - منهاج المناقب - منهاج العشرة (المُبشرين بالجنة؟) وعمي الرسول (حمزة والعبّاس؟).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان لأبي عبد الله ابن أبي الخِصال أقوالٌ في الحكمة منها (المغرب ٢: ٦٦ - ٦٧):

لولا الظلامُ ما سَطَعَ السَّراجُ ولولا الصبرُ ما نَفَعَ الإفراج - حقّ الأديب على الأديب حقّ الوابل^(١) على المكانِ الجَدِيب - أعفِ صديقك من ريحِ العِتاب وإن كانَ نسيماً.

- وقال في مُغنّ زارَه بعد أن كان قد أغبَّ (انقطع عنه مدّة):

وافى وقد عَظُمْتُ عليّ ذنوبُه في غَيْبَةٍ قُبِحت بها آثارُه.
فحما إساءَتَه بها إحسانُه، واستَغفرت لِدُنبِهِ أوتارُه^(٢).

- وكتب الفتحُ بنُ خاقانٍ إلى أبي عبد الله بن أبي الخِصال يطلبُ منه نُخبَةً من شعره فردَّ ابنُ أبي الخِصال برسالة يعتذرُ فيها من ذلك، منها (قلائد العقيان).

(١) الوابل : المطر الكثير.

(٢) الأوتار جمع وتر (كناية عن العزف على الآلة الموسيقية): غنائي غناءً عبداً فنسيت هجرانه لي من قبل.

الْحَذَرُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يُؤْتِي مِنَ الثِّقَةِ^(١)، وَالْحَبِيبُ يُؤَدِّي مِنَ الْحَقِّ^(٢). وقد كنت أرضى من وُدِّكَ، وهو الصحيح، بَلْمَحَةٍ؛ وأقنع من ثنائِكَ، وهو الْمِسْكُ، بِنَفْحَةٍ. فما زِلْتُ تُعَرِّضُنِي لِلامْتِحَانِ وَتَطَالِبُنِي بِالْبُرْهَانِ، وَتَأْخُذُنِي بِالْبَيَانِ، وَأَنَا بِنَفْسِي أَعْلَمُ وَعَلَى مِقْدَارِي أَحْوَطُ وَأَحْزَمُ^(٣). وَالْمُعِيدِي يُسَمِعُ بِهِ لَا أَنْ يُرَى^(٤)، وَإِنْ وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ تَتَرَى^(٥)، فَشَخْصَهُ مُقْتَحَمٌ مُزْدَرَى^(٦). وَلَا سِيَّما مِنْ لَا يُجَلِّي نَاطِقًا وَلَا يُبْرِزُ سَابِقًا^(٧). فَتَرْكُهُ وَالظَّنُّونُ تَرْجِعُهُ، وَالْقَالُ وَالْقِيلُ يَقْسِمُهُ^(٨).... أَوَّلَى بِهِ مِنْ كَشْفِ الْقِنَاعِ وَالتَّخْلُفِ عَنْ مَنْزِلَةِ الْإِمْتَاعِ^(٩). وَفِي الْوَقْتِ فُرْسَانُ هَذَا الشَّانِ^(١٠).... وَقَطَّانُ هَذِهِ الْمَنَاهِلِ وَهْدَاةُ تِلْكَ الْمَجَاهِلِ^(١١)... وَأَنَا أَنْزُهُ دِيْوَانَهُ النَّزِيهَ^(١٢) وَتَوَجِّيهَهُ الْوَجِيهَ عَنْ سَقَطٍ مِنَ الْمَتَاعِ^(١٣) قَلِيلِ الْإِمْتَاعِ.....

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّسِيبِ:

وَلَيْلِي عَنَبْرِيَّةَ الْأَفْقِ رَوَيْتُ فِيهَا السَّرُورَ مِنْ طُرُقٍ^(١٤)؛

- (١) الذي يحذر من الأشياء التي يشك فيها يُخدع أحياناً بالشئ الذي يثق به.
- (٢) المقة: الحبة.
- (٣) أنا على مقداري احوط (أكثر حذراً) من أن تنزل مكانتي عندك.
- (٤) تسمع بالمعدي خير من أن تراه مثل يضرب لمن كانت حقيقته أقل من ظاهره.
- (٥) ترى: متوالية.
- (٦) مقتحم: تقتحمه العين (لا تكبره إذا رأيته). مزدري: محقر.
- (٧) جلي الفرس: سبق (إذا نطقت أنا لم أحسن الكلام مثل أصحابي). برز الفرس: سبق. وبرز الرجل: فاق أصحابه في الفضل.
- (٨) إذا تركت صاحبك ورأي الناس فيه مختلف بين الإجابة والإساءة خير من أن تكشفه فتثبت إساءته.
- (٩) امتنع الشيء: سر.
- (١٠) وفي (هذا الوقت الذي نحن فيه) فرسان (بارعون). هذا الشأن (الشعر).
- (١١) القاطن الساكن. الهادي: الدليل. الجهل: الأرض لا معالم (علامات) فيها. - هنالك من هو أبرع مني في ذلك.
- (١٢) أنزعه: أجلسه أبعد عن العيب. ديوانه (كتاب القلائد للفتح بن خاقان). النزبه (الذي لا مطعن فيه).
- (١٣) توجيهه: اتجاهه (خطه، طريقة). الوجهه: السيد في قومه (الصحيح الاتجاه). سقط المتاع: الأشياء الرديئة.
- (١٤) عنبرية: سوداء (كثيرة الغم). رويت فيها السرور من طرق: تمتعت بأنواع مختلفة من اللهو.

وافت بنا عاطلاً وقد لَبَسَتْ
فاجأ بها الدهرُ مِنْ بَنِيهِ دُجَى
قامت لنا في المَقامِ أَوْجُهُمْ
وأطلَعَ البدرَ من ذُرَى غُصْنِ
من عبدِ شمسٍ بدا سَناءه، وهل
مَدَّ بحمراءٍ من مُدامَتِه
يشرَبُ في الراحِ حين يشرَبُها
غُلالةٌ فُصِّلَتْ من الحَدَقِ^(١).
يَفْتِيَةٌ كالصَباحِ في نَسَقِ^(٢).
وراحُهُم بالنجوم والشفق^(٣)،
تهفو عليه القلوب كالورقِ^(٤).
ذا البدرُ إلَّا لذلك الأفقِ^(٥)!
بيضاءٍ كَفِ مِسْكِيَةِ العَبَقِ^(٦).
ما غادرتُ مُقلتاه من رَمَقِي^(٧).

٤-★★ قلائد العقيان ١٩٩-٢٠٦؛ المعجم لابن الأبار ١٤٤-١٤٩؛ المغرب ٢: ٦٦-٦٧؛ المطرب ١٨٧؛ بغية الملتبس ١٢١ (رقم ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤٥٩-٤٦٤ (راجع ٤٦٥-٤٧٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٢٦٤-٢٧٥؛ المعجب ١٢٤-١٢٧؛ بغية الوعاة ١٠٤؛ بروكلن ١: ٤٥٤-٤٥٥؛ الملحق ٦٢٩؛ نيكل ٢٥٩-٢٦٠؛ مختارات نيكل ١٧٣، ١٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٦ (٩٥-٩٦)؛ بالنشيا ١٢٠، ١٢٧، ١٧٠.

رفيع الدولة الصَّادحي

١- هو الحاجبُ رُفيعُ الدولة أبو زكريّا يحيى بنُ مُحَمَّدٍ المُعْتَصِمِ (ت ٤٨٤ هـ) بن

- (١) وافت بنا (وصلت تلك الليلة بنا) عاطلاً (إلى امرأة جميلة لا تلبس حلياً لأنَّ جمالها يفنيها عن لبس الحليّ). غلالة: ثوب رقيق. غلالة فُصِّلَتْ من الحدق (هي عارية، ولكنَّ العيون تنظر إليها من كلِّ جانب حتَّى كأنَّ تلك العيون ثوب لها).
- (٢) فاجأ الدهر هذه المرأة الجميلة بفتيان كالصباح (شَبَّان لهم جمال) في نسق (متفقين في الرأي الخ).
- (٣) أوجهم كالنجوم (من جمالها) والراح (الخمر) كالشفق (حمراء اللون).
- (٤) وهذا الدهر جاء لنا في تلك الليلة بعلام جميل من ذرى غصن (رشيح القوام كالغصن). تهفو... تسقط الورقاء (الحمامة) على الغصن.
- (٥) هو أمويّ من بني عبد شمس. ومثل هذا الغلام الجميل لا يكون إلّا من بني أمية.
- (٦) جعل هذا الغلام يسقينا الخمر، فيمدُّ إلينا يده البيضاء بالخمر الحمراء.
- (٧) الخمر ذهبت بأكثر نشاطي ووعيي ثمَّ ذهبت عيناه الناظرتان إليّ ما بقي من ذلك.

مَعْنِ (ت ٤٤٣ هـ) بن صُمَاحٍ . يبدو أن مَوْلَدَه كان نحو ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)، إذ كان أبوه المعتصم قد جَعَلَه حاجباً له (رئيساً للوزراء)، كما كان قد أصبحَ وله مكانةٌ سياسيةٌ واجتماعيةٌ وأدبية: كان صديقاً للشاعر يحيى بن مطروح، وكانت بينه وبين الشاعر ابن اللبَّانة (ت ٥٠٧ هـ) مكاتبةً (نفع الطيب ٧: ٤٢). ومدَّحه ابنُ الفراء الأَخفشُ بنُ مَيْمونٍ ومدَّحه أيضاً الشاعرُ المنفِئِلُ (نفع الطيب ٣: ٣٨٧ - ٣٨٨).

ولمَّا اسْتَوَلَى المُرابطون على الأندلسِ وَخَلَعُوا ملوكَ الطوائف (٤٨٤ هـ) كان رفيعُ الدولة لا يزالُ في عُنْفوانٍ شبابه فَوَصَلَ يَدَه بيدِ المُرَاطين. ثمَّ لَمَّا حَاصَرَ المُوَحِّدون تِلْغَسَانَ (في الجزائر اليوم)، سَنَةَ ٥٣٩ هـ، كان رفيعُ الدولة عاليَ المكانةِ عند واليها المُرابطيِّ أبي بكر ابن القائِدِ مَزْدَلِي بن سَلْنَكَان. وكان لا يزالُ فيه يومَذاك بَقِيَّةٌ من قُوَّةٍ وجَلْدٍ فجعله ابن مزدلي مُقَدِّماً على بُنيانِ سور الرَبَضِ (٩).

وكان برفيعِ الدولة عِلَّةُ الحَصَى (نفع ٣: ٣٧٠). وقد أَسَنَّ كثيراً (الحلَّة ٢: ٩٢) وعاش إلى آخرِ دولةِ المُرَاطين (الحلَّة ٢: ١٩٢) التي انتهت مُدَّتُهَا سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م).

٢- كان رفيعُ الدولة ناثراً وشاعراً وُجْدَانِيّاً ذا بديهة. وله نَظْمٌ رائعٌ (نفع ٣: ٣٦٩). ولم يكن في بني صُمَاحٍ أشعُرُ منه، إلَّا أَنَّ الخُمُولَ أَخْنَى على مُحَاسِنِه، إذ كان مُنْهَمِكاً في ملاذِّ الدنيا من خمرٍ ولهو وما يتبعُهما.

وكان رفيعُ الدولة فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيبِ ولكن رُبَّما مرَّ خطأً في أبياته (دِيَارُهُمُ «التي» ذَكَرْنِي). وأكثرُ شعرِه جارٍ على الجزالةِ في اللفظِ والمتانةِ في التركيبِ، ولكنَّ المُبْتَكِرَ من المعاني عنده نادر. وشِعْرُه الذي وصلَ إلينا مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ في النسيبِ والخمرِ والأدبِ. ورَبَّما أطال.

٣- مختارات من آثاره:

- قيلَ يوماً لرفيعِ الدولة: لا تَقْرَبْ هذا اللعينَ (أَبَنَ الفراءُ الأَخفشَ بنَ مَيْمونٍ) لأنَّه مدَّحَ الوزيرَ اليهوديَّ ابنَ النفريلةِ ثمَّ رثاه بعدَ موته. فردَّ رفيعُ الدولة على القائلِ بما يلي:

هذا، والله، هُوَ الْحُرُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصْطَنَعَ، فَلَوْلَا وَفَاؤُهُ مَا بَكَى كَافِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَصْحَابِنَا مَنْ لَا يَرَعَى مُسْلِمًا فِي حَيَاتِهِ.

- لرفيع الدولة مقطعاتٌ في أغراضٍ مختلفة، منها:

- سَطَا ظَنِّيُ الْخَمِيلَةَ يَا لَقَوْمِي! - عَلَى أَسَدِ الْعَرِينَةِ وَاسْتَطَالَ^(١).
 فَأَوْتَرَ قَوْسَ حَاجِبِهِ آخِثِيالًا، وَفَوْقَ مَنْ لَوَاحِظُهُ نِبَالًا^(٢).
 ★ وَأَهْيَفَ لَا يَلْوِي عَلَى عَتَبِ عَاتِبٍ وَيَقْضِي عَلَيْنَا بِالظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ^(٣).
 يُحَكِّمُ فِينَا أَمْرَهُ فَتُطِيعُهُ وَنَحْسُبُ مِنْهُ الْحَكْمَ ضَرْبَةً لَازِبًا^(٤).
 ★ مَا لِي وَلِلْبَدْرِ لَمْ يَسْمَحْ بِزُورَتِهِ؛ لَعَلَّهُ تَرَكَ الْإِجَالِ أَوْ هَجَرَ^(٥).
 إِنْ كَانَ ذَاكَ لَذَنْبٍ مَا شَعَرْتُ بِهِ، فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ يَغْفُو إِذَا قَدَّرَا.
 ★ هَذَا دِيَارُهُمُ الَّتِي ذَكَّرَنِي عَهْدَ الصَّبَا وَحَدِيثَهُ الْمَغْسُولَا.
 مَا كَانَ أَجَلَ عَهْدِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، لَوْ كَانَ فِعْلُكَ، يَا زَمَانُ، جِيلا.
 ★ إِذَا مَا الْأَمْرُ أَخْفَقَ فِيهِ سَعْيِي وَضَاقَ مَرَامُهُ عَنْ كُلِّ بَابٍ^(٦).
 فَلَا تَقْنُطْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِفَتْحٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي حِسَابِ.
 ★ أَبَا الْعَلَاءِ، كَوْسُ الرَّاحِ مُتْرَعَةٌ، وَلِلْفُصُونِ تَنْنُ فَوْقَهَا طَرَبًا.
 وَلِلنَّصُونِ عَلَى النَّهْرِ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ كَأَنَّا عُصِرَتْ مِنْ خَدِّ سَاقِيهَا^(٧).
 ★ بَاكِرُ إِلَى الْقَصْفِ، أَبَا عَامِرٍ، فَإِنَّا نَجْحُ الْفَتَى فِي الْبُكْرِ^(٨).

(١) سطا: اعتدى، قهر. الخميعة: الشجر المجتمع الكثير الملتف. العرينة (العرين: مأوى الأسد). استطال: اعتدى.

(٢) فوق السهم: وضعه في الوتر (ليطلقه).

(٣) الأهيف: التحيل الخصر (الرشيق). ألوى: التفت (اهتم).

(٤) ضربة لازب: ضرورة (لا بد منه).

(٥) الإجمال: حسن الصنيع (ترك الإساءة، المداواة).

(٦) أخفق: خاب. المرام: الطلب (الوصول).

(٧) صهباء: خر حراء. صافية (رائقة لأنها عتيقة).

(٨) القصف: اللهو.

من قبل أن يمسح كف الصبا دمع الغوادي من خُود الزهر^(١).

- استأذن رفيع الدولة يوماً على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه: «تلك أمة قد خلت» (٢: سورة البقرة ١٣٤، ١٤١) استحقاراً له واستثقالاً للإذن له (يقصد أن مكانة بني صَاحِدٍ قد زالت مع زوال دولتهم). وبلغ الخبر إلى رفيع الدولة فكتب إلى الوجه المرابطي بهذه الأبيات (وهي من النمط العالي):

خلت أمتي، لكن ذاتي لم تخل.	وفي الفرع مايفني إذا ذهب الأصل.
وما ضرركم لو قلتُم قولَ ماجدٍ	يكون له، فيما يحیی به، الفضل.
وكل إناء بالذي فيه راسخ،	وهل يمنح الزنبور ما مجّه النحل.
سأصرف وجهي عن جناب تحله،	ولو لم تكن إلا إلى وجهك السبل.
فما موضع تحتله بمرقع،	ولا يرضى فيه مقال ولا فعل ^(٢) .
وقد كنت ذا عدل لعلك ترعوي،	ولكن بأرباب العلا يجمل العذل ^(٣) .

- وكتب إلى الشاعر أبي زكريا يحيى بن مطروح، وكان يُناديه، يستدعيه إلى مجلس شراب بالأبيات التالية:

يا أخي بل سيدي بل سدي	في مهمات الزمان الأنكد،
لح بأفقي غاب عنه بذره	في اختفاء من عيون الحسد ^(٤) .
وتعجل فحبيبي حاضر	وفي ساق وكأسي في يدي ^(٥) !

٤-★★ المغرب ٢: ١٩٩ - ٢٠٠؛ الحلة السراء ٢: ٩٢ - ٩٦، ١٩٢؛ نفح الطيب ٣: ٣٦٩ - ٣٧٠، ٣٨٧ - ٣٨٨، ٧: ٤٢ - ٤٣؛ نيكل ١٨٥ - ١٨٦.

(١) قبل أن تجف ريح (النهار) الندى. العادية (السحابة الآتية صباحاً).

(٢) المكانة التي تكون ساقطة لا يمكن أن يكون فيها عمل صالح ولا قول صالح.

(٣) كنت أود أن أعذك (ألومك وأنضحك) لو ترعوي (لو كان بالإمكان أن ترجع عن غيئك). ولكن اللوم (والنصح) ينفع في خيار الناس فقط.

(٤) تعال إلينا بعد أن غبت عنا، ولكن في ستركلا يراك الحاسدون لنا فيمنعوك من الوصول إلينا.

(٥) وفي ساق (يسقي الخمر).

أبو محمد بن عطية

١ - هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد في غرناطة سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م).

بدأ أبو محمد بن عطية تلقى العلم على أبيه غالب (٤٤١ - ٥١٨ هـ)، وسمع من أبي علي الفسائي، في غرناطة، سنة ٤٩٥ هـ، أدباً وشعراً، ومن أبي علي الصدي (ت ٥١٤ هـ) في مرسية ومن ابن عتاب وابن بحر الأسدي، وكان له اختصاص بأبي الحسن بن الباذر النحوي (ت ٥٢٨ هـ).

وكان أبو محمد بن عطية يكثر الذهاب إلى الغزوات مع أمراء المرابطين. وقد تولّى القضاء في المرسية، في المحرم من سنة ٥٢٩ (خريف ١١٣٤ م). وفي آخر أيامه ذهب إلى مرسية لتولي القضاء فيها فلم يتمكن من دخولها فرجع إلى لورقة. وهناك توفي في منتصف رمضان من سنة ٥٤١ (١١٤٧/٢/١٩ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمد بن عطية عالماً في تفسير القرآن حافظاً للحديث وفتياً له الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (عشر مجلدات) - برنامج (فهرسة بأسماء شيوخه). ثم هو شاعر مجيد.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن عطية في قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٦، راجع ١٥٣):

بأربع فاقَتِ الأمصارَ قرطبةُ منهن قنطرة الوادي وجامعها^(١).

هاتان ثنتان، والزهراءُ ثالثة. والعلمُ أعظمُ شيء وهو رابعها^(٢).

- وقال في وداع أهل قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٥ - ٦١٦):

(١) القنطرة: الجسر. الوادي: الوادي الكبير (نهر قرطبة).

(٢) الزهراء: مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة واتخذها بلاطاً.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قَرْطَبَةِ
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَتِيقَ وَلَا
حَيْثُ عَهْدْتُ الْحَيَاءَ وَالْكَرَمَا؛
زَالَ مَدَى الدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمًا.
- وَقَالَ يَصِفُ النَّرْجِسَ:

نَرْجِسٌ بَاكَرْتُ مِنْهُ رَوْضَةً
حَثَّتِ الرِّيحُ بِهَا خَمَرَ حَيًّا
فَقَدْأَ يُسْفِرُ عَنْ وَجْنَتَيْهِ
خِلْتُ لَمَعَ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ
وَبَيَاضَ الطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ
لَذَّ قَطْعُ الدَّهْرِ فِيهَا وَعَذْبُ،
رَقَصَ النَّبْتُ لَهَا ثُمَّ شَرِبَ^(١).
نَوْرُهُ الْفَضُّ وَيَهْتَرُ طَرْبُ^(٢).
لَهَبٌ يَجْمُدُ مِنْهُ فِي لَهَبِ^(٣)،
نُقَطَ الْفِضَّةِ فِي خَطِّ الذَّهَبِ^(٤).
- وَقَالَ يَذَمُّ أَهْلَ الزَّمَانِ:

دَاءُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
أُطْلِقْتُ فِي ظُلُمَائِهِ
لِصَحَابَةٍ أَعْيَا ثِقَا
أَخْلَاقُهُمْ مَاءٌ صَفَا
كَالِدَرِّ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ،
دَاءٌ يَعْزُّ لَهُ الْعِلَاجُ^(٥).
وَدَا كَمَا سَطَعَ السِّرَاجُ^(٦)
فِي مَنْ قَنَاتِهِمْ اغْوَجَاجُ^(٧).
مَرَأَى، وَمَطْعَمُهُمْ أَجَاجُ^(٨)؛
فَإِذَا اخْتَبِرْتَ فَهَمْ زُجَاجُ!

- (١) الحيا: المطر. يشبه الشاعر المطر بالخمير، ولذلك جعل النبات بعد هذا المطر يرقص.
(٢) أسفر: كشف. أخذ النور (بفتح النون: الزهر) بعد هذا المطر يتفتح (تنكشف أوراقه الخضر عن بتلاته الملونة).
(٣) خلت (ظننت) أن نور (بضم النون) الشمس لهب سائل يشرق على هذه الجنينة فيصبح فيها لهباً جامداً (زهراً).
(٤) ظننت أن نقط الطلّ (ماء الندى) على تلك الأزهار نقط من الفضة (البيضاء) فوق كلمات مكتوبة بالذهب.
(٥) يمز: يصعب.
(٦) منحت أهل هذا الزمان المملوء بالعداوة ودأ (صدادة ومحبة) بيضاء كنور السراج.
(٧) الثغاف والتثقيف: التثقيف. القنأة: القصة (السلوك والأخلاق). أعياء: أتعب. - استحال عليّ تقويم أهل هذا الزمان.
(٨) أجاج: شديد الملوحة حتى أصبح مرّاً.

- وله من رسالة يَصِفُ فيها نُزُولَ الإفرنج حول سَرَقُشْطَةَ مُحاولين الاستيلاء عليها:

.... فَإِنَّ الْأَمِيرَ الْأَجَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْذَلَى - أَيْدُهُ اللَّهُ - أَضَاقَ بِضَبْطِ الطُّرُقِ وَقَطَعَ الْمُتَصَرِّفِينَ ذَرْعَهُمْ^(١) وَعَجَزَ بِنَصْبِ حِبَائِلِ الْحِيلِ لِمَنْ شَدَّ أَوْ فَرَّ وَسَعَهُمْ^(٢). فَإِنَّهُ - دَامَ أَمْرُهُ - أَطْلَلَ إِطْلَالَ الْفَجْرِ عَلَى الظَّلَامِ وَأَخَذَ هُنَاكَ بِضَيْعِ الْإِسْلَامِ^(٣)، وَأَقَامَ مَرَّةً كَالْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ وَطَوَّرَ كَالْأَسَدِ الْقَضْقَاضِ^(٤)، يُسَرِّبُ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ مَنْ يُضِرُّ نَارَ الْحَرْبِ فِي أَكْنَافِهَا وَيَأْتِي أَرْضَهُمْ يَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥). وَلَوْلَاهُ مَا عَلَا هُنَاكَ لِلْإِسْلَامِ اسْمٌ وَلَا عَادَ لِلْمَدَافِعَةِ رَسْمٌ وَلَا لَاحَ لِلْمَكَافَحَةِ وَسْمٌ^(٦) وَلَا عَنْ لَتْلِكَ الْعِلَلِ الْمُجْهَرَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَقْطَارِ جَسْمٌ.....

٤ - الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تفسير ابن عطية (تحقيق الطاهر الفاسي وأحمد بن شقرون....)

★ ★ قلائد العقيان ٢٣٩ - ٢٤٧؛ بغية الملتبس ٣٧٦ - ٣٧٧ (رقم ١١٠٢)؛ معجم ابن الأثير ٢٥٩ - ٢٦٢ (رقم ٣٤٠)؛ المغرب ١١٧: ٢ - ١١٨؛ المطرب ٩١ - ٩٢؛ قضاة الأندلس ١٠٩؛ الديباج المذهب ١٧٤ - ١٧٥؛ تحفة القادام ٣٠؛ وفيات ابن قنفذ ٢٧٩؛ بغية الوعاة ٢٩٥؛ نفح الطيب ١: ١٥٣، ٦١٥ - ٦١٦، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٣؛ ١٧٩؛ بروكلمن ١: ٥٢٥، الملحق ١: ٧٣٢؛ نيكل ٢٦٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٥٣ (٣)؛ ٢٨٢؛ الحريدة (الاندلس) ٢: ٥٢٩ - ٥٤٠.

- (١) ... أضاق (ضيق) ذرع (قوة، قدرة) لما ضبط الطرق (سيطر عليها) وقطع المتصرفين (المستبدين) بها....
- (٢) شد: هجم. فر: هرب. ونصب الحيل لهؤلاء حتى عجز الموجودون عن الهرب وعجز الثائرون الجدد عن الهجوم. الوسع: القدرة.
- (٣) الضيع: المزد، جانب الجسم. أخذ فلان بضيع فلان: ساعده وأنهضه.
- (٤) النضناض: الحية تخرج لسانها وتحركه عينا وشمالاً (احتياطاً للدغ). القضااض: الأسد يأخذ الفريسة بفمه فيكسر عظامها بين أضراسه.
- (٥) يسرب: يبعث جماعة بعد جماعة. الأكناف: الأطراف. ينقصها من أطرافها: يستولي على قطع منها من جوانبها البعيدة.
- (٦) رسم: تنظيم، خطة. وسم: علامة (ما كان يشعر أحد أن هنالك مكافحة، قتالا).

المخزومي الأعمى الغرناطي

١ - هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي الغرناطي، أصله من حصن المدور (شمال شرقي قرطبة) تنقل في عدد من مدن الأندلس كقرطبة وطليطلة وغرناطة. وطال مكثه في غرناطة حتى لقب «الغرناطي». وكان يطوف يتكسب بالشعر. وكانت وفاته سنة ٥٤١ (١١٤٦ - ١١٤٧ م).

٢ - كان المخزومي الأعمى رجلاً ذكياً فطناً سريع الجواب وشاعراً مطبوعاً مشهوراً مقتديراً في النظم. ولقد غلب عليه الهجاء فكان فيه مقدعاً موجعاً شديداً الفحة والشره مغيراً على الأعراس غير مراعى للحرمان فكان الأشراف يدارونه. وله مدح ضعيف وغزل قليل ضعيف. أما أسلوبه فمتين السبك عالي النفس من نجر الشعر القديم، ولكنه يصرف ذلك الأسلوب الفخم في الهجاء:

ألا فاعلموا أنني لكم غير صابر	على لؤمكم أخرى الليالي الفواير ^(١) .
فعوجوا، بني اللخناء، نحو هجائكم	إلى لغنة تزري بمن في المقابر ^(٢) .
رأيتكم لا تتقون مدممة،	ولا عندكم من هزة نحو شاكر ^(٣) .
فأين الألى كانوا إذا جاء ناظم	تلقتهم منهم بالندی كف ناثر ^(٤) !
سلام عليهم كلما ارتخت نخوهم،	فلا أثر من بعدهم للمآثر.
أعيركم جهدي بكل قبiche،	وما لكم من يقظة بالمعاير ^(٥) !

٣ - مختارات من آثاره:

- قال المخزومي الأعمى يمدح علي بن أضحى قاضي غرناطة ثم يستطرد إلى هجاء

- (١) أخرى الليالي (التي أصبحت كثيرة: لها أوائل وأواخر) الغابرة: الماضية.
- (٢) عاج مال، أتجه. (خذوا مني هجاء لكم). اللخناء: المرأة التي يكثر التبن في جسمها. تزري: تعيب من في المقابر (تصل إلى أجدادكم).
- (٣) تتقون: تخافون، تدفنون. الهزة: نشاط، طرب (يهتز منه الجسم فرحاً).
- (٤) الألى: الأولون، القدماء، الذين هلكوا. ناظم: شاعر. الندى: الكرم. ناثر (للمال).
- (٥) المعاير (المعايير، نسبة المعاير إليكم) لا توقظكم (لا تؤثر فيكم).

عَجَبًا لِلزَّمانِ يَطْلُبُ ثَارِي وَمَلَاذِي مِنْهُ عَلَيُّ بْنُ أَضْحَى^(١)
 الأبيُّ الَّذِي يَمُدُّ مِنَ البَأْسِ سِـ إِبَاهَ إِلَى السَّامِكَيْنِ^(٢) رُمَحًا.
 جَارِهِ قَدْ سَمَا عَلَى النَّطْحِ عِزًّا: لَيْسَ يَخْشَى مِنْ طَالِبِ الثَّارِ نَطْحًا^(٣).
 فَكَأَنِّي عَلَوْتُ قَرْنَ فُلَانٍ؛ أَيُّ تَيْسٍ مُطَوَّلُ الْقَرْنِ أَلْحَى^(٤)!

فقال له عليُّ بن أَضْحَى: يا أبا بكر، هَلَّا اقْتَصَرْتَ عَلَى مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ؟ فكم تَقَعُ فِي النَّاسِ^(٥)! فقال: أَنَا أَعْمَى، وَهُمْ لَا يَبْرَحُونَ حَفْرًا^(٥)! فقال (ابن أَضْحَى): وَاللَّهِ، لَا كُنْتُ لَكَ حُفْرَةً أَبَدًا. وَجَعَلَ يُوَالِي يَدَهُ عَلَيْهِ (يُحْسِنُ إِلَيْهِ).

- وَقَالَ يَهْجُو بَنِي سَعِيدٍ (مُؤَلَّفِي كِتَابِ « الْمَغْرِبِ ») فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ:

★ ★ لَا تَرْجُونَ بَنِي سَعِيدٍ لِلنَّدَى، فَالظِّلُّ أَفِيدُ مِنْهُمْ لِلسَّائِلِ^(٦).
 فَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فَمَا أَبْصَرْتُ مِنْهَا غَيْرَ بَعْدِ مَنَازِلِ^(٧).
 قَوْمَ مُصِيبَتِهِمْ بَطْلَعَةٍ وَافِدٍ، وَسُرُورُهُمْ أَبَدًا بِخَيْبَةِ رَاحِلِ^(٨).
 ★ ★ أَبْنِي سَعِيدٍ، قَدْ شَقِيتُ بِقُرْبِكُمْ فَلَتَرَكْنِي حَيْثُ شِئْتُ أُسِيرُ^(٩)

(١) الملاذ: الملجأ.

(٢) الأبي: المترفع عن الأفعال التي لا تليق. البأس: القوة والشدة. إِبَاهُهُ يَدُ السَّامِكَيْنِ رُمَحًا. السَّامِكَيْنِ صُورَتَانِ لِلنَّجُومِ: إِحْدَاهُمَا السَّمَكُ الرَّامِحُ (يَحْمِلُ رُمَحًا) وَالثَّانِيَةُ مِنْهَا السَّمَكُ الْأَعْزَلُ (بَلَا رُمَحًا). - الممدوح يغلب بإبائه السامكين.

(٣) جاره: ضيفه، المستجير به (الشاعر يقصد نفسه). - لاحظ أن الشاعر يستعمل كلمة « النطح » هنا لِأَنَّهُ قَدْ أَلْفَ أَفْظَاءَ الْهَجَاءِ.

(٤) فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْتَطْرَادَ (خُرُوجَ مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ) إِلَى هَجَاءِ فُلَانٍ (وَلَمْ يَكُنِ الْهَجَاءُ مِنْ مَقْصِدِ الشَّاعِرِ). أَلْحَى: ذُو لَحْيَةٍ.

(٥) مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ (مَا تَقْصِدُهُ مِنَ الْمَدْحِ). وَقَعَ فِي النَّاسِ: قَالَ فِيهِمْ قَوْلًا قَبِيحًا.

(٦) لَا يَبْرَحُونَ حَفْرًا: مُسْتَمِرُّونَ فِي مَحَاوَلَةِ الْإِضْرَارِ بِي.

(٧) - الظِّلُّ يَدْفَعُ أَذَى الْحَرِّ عَنِ اللَّاجِئِ إِلَيْهِ، عَلَى الْأَقْلَى.

(٨) ... غَيْرَ أَنَّ مَنَازِلَهُمْ بَعِيدَةٌ (يَأْتِي إِلَيْهِمُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ثُمَّ لَا يَحْصِلُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ).

(٩) الْوَافِدُ: الْقَادِمُ (طَلِبًا لِلْمَطَاءِ).

(٩) فِي الْأَصْلِ: فَلَتَرَكْنِي (وَالْأَمْرُ بِنُونِ التَّوَكِيدِ هُنَا أَجْرَى مَعَ مَتَانَةِ الْأَسْلُوبِ).

أُفْنِي المَدَائِحَ فَيْكُمْ: لَا وَعْدُكُمْ يُقْضَى، وَقَلْبِي فِي الْمِطَالِ أُسِيرُ^(١).
 أَعْطَيْتُمْ نَزْرًا عَلَى طُولِ الْمَدَى، وَيَقُولُ وَغَدٌ: إِنَّهُ لَكَثِيرُ^(٢).
 وَلَشَدَّ مَا عَرَّضْتُمُونِي لِلْعَنَاءِ: فَرَسٌ عَتِيقٌ عَاشَرْتُهُ حَمِيرُ^(٣).
 فَإِذَا صَهَلْتُ غَدَا التَّهَاقُ مُجَاوِي. يَا رَبُّ، أَنْتَ عَلَى الْخِلَاصِ قَدِيرُ^(٤)!
 - وَمِنْ هَجَائِهِ الْمُقْذِعِ (مِمَّا سُوِّرَتْ مَعَانِيهِ):

★★ زَنْجِيكُمْ بِالْفُسُوقِ دَارِي يُسْـدِلِي مِنَ الْحِرْصِ كَالْحِمَارِ
 يَخْلُو بَنَجْلَ الْوَزِيرِ سِرًّا فَيُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ.
 ★★ أَلَا قُلْ لِنَزْهَوْنَ^(٥): مَا لَهَا تَجُرُّ مِنَ التَّيِّهِ أَذْيَالُهَا؟
 وَلَوْ أَبْصَرْتُ فَيْشَةً شَمَرْتُ - كَمَا عَوَّدْتَنِي - سِرْبَالُهَا!
 ★★ يَا فَارِسَ الْخَيْلِ، وَلَا فَارِسُ إِلَّا عَلَى مَتْنِ جَوَادِ الْخِصْيِ.
 زِدْتُ عَلَى مُوسَى وَآيَاتِهِ: تُفَجِّرُ الْمَاءَ وَتُخْفِي الْعَصَا!

★★-٤ المغرب ١: ٢٢٣ - ٢٢٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥٤ - ١٥٥، ١٦٦٨؛ الإحاطة
 ١: ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفع الطيب ١: ١٥٥، ١٩٠ - ١٩٣، ٢٩٠، ٣: ٢٠٥؛ زاد
 المسافر ٧٥ (١١٧).

ابن بسّام الشنتريني

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ الشَّنْطَرِينِي، نِسْبَةً إِلَى شَنْتَرِينَ عَلَى نَهْرٍ تَاجُهُ، قَرِيبًا
 مِنْ مَصْبِهِ، فِي غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ (الْبَرْتَغَالِ الْيَوْم).

وُلِدَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي شَنْتَرِينَ، فِي الْأَغْلَبِ، بُعِيدَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) فِي أَسْرَةٍ غَنِيَّةٍ
 وَجِيهَةٍ. وَفِي سَنَةِ ٤٧٧ هـ انْحَدَرَ إِلَى أَشْبُونَةَ (لَشْبُونَةَ) ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ، سَنَةَ

(١) المطال: التلكو في الوفاء بالوعد.

(٢) الزر: القليل.

(٣) العناء: التعب. العتيق: الأصيل.

(٤) الصهيل: صوت الخيل. التهاق والتهيق: صوت الحمير.

(٥) نزّهون شاعرة ماجنة كانت تهاجي الخزومي الأعشى، ولها ترجمة مفردة.

٤٩٤ هـ (١١٠٠ م) لِيَسْتَقَرَّ فيها. وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَخْدِم أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ (الأمراء والولاة وأغنياء الناس) بكتابة أو وزارة أو مديح، فَإِنَّهُ أَلَفَ كِتَابَهُ الْقِيَمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» بِرِسْمِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالِي غَرْنَاطَةِ وَصِهْرِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ.

وجاء ابن بَسَّامٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٥٠٢ هـ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْقَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْإِكْرَامِ بَلْ عَاشَ فِيهَا مُدَّةً مُعَرَّضًا لِلْإِزْعَاجِ وَلِشَيْءٍ مِنَ الْكُرْهِ وَالْإِحْتِقَارِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م).

٢- كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ الشَّتْرِبُيُّ أَدِيبًا ذَوَاقَةً بَارِعًا فِي النَّثْرِ غَيْرَ مُحْسِنٍ فِي الشَّعْرِ. وَأُسْلُوبُهُ جَزَلٌ أُنِيقٌ كَثِيرُ الْخَيَالِ وَالسَّجْعِ وَالتَّكَلُّفِ.

لَا بِن بَسَّامٍ عَدَدٌ مِنَ الْكُتُبِ مِنْهَا: كِتَابُ الْإِعْتِدَادِ عَلَى مَا صَحَّ مِنْ أَشْعَارِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ - كِتَابُ الْإِكْلِيلِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى ذِكْرِ عَبْدِ الْجَلِيلِ (بْنِ وَهْبُونَ) - سَلَكُ الْجَوَاهِرِ فِي تَرْسِيلِ ابْنِ طَاهِرٍ (صَاحِبِ مَرْسِيَةِ) - تَحِيَّةُ الْإِخْتِيَارِ مِنْ أَشْعَارِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمَّارٍ - الذَّخِيرَةُ فِي مُحَاسَنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ (عَارِضٌ فِيهِ «يَتِيمَةُ الدَّهْرِ» لِلتَّعَالِيِّ). وَتَقُومُ شُهْرَةُ ابْنِ بَسَّامٍ عَلَى كِتَابِ «الذَّخِيرَةِ» وَفِيهِ مَخْتَارَاتٌ مُطَوَّلَةٌ مِنَ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ لِنَفَرٍ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ لِلْمُؤَلِّفِ تَمَّ عَرَفَهُمُ الْمُؤَلِّفُ شَخْصِيًّا أَوْ مِنْ طَرِيقِ نَفَرٍ آخَرِينَ. وَالْمُؤَلِّفُ يُطْرَقُ الَّذِينَ اخْتَارَ مِنْ آثَارِهِمْ بِأُسْلُوبٍ أُنِيقٍ مُسَجَّعٍ يَدُلُّنَا عَلَى حِمَاةِ الْمُؤَلِّفِ فِي تَقْدِيمِ مَا اخْتَارَهُ مِنْ آثَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفِيدَنَا فَائِدَةً كَبِيرَةً تَتَعَلَّقُ بِتَارِيخِ حَيَاتِهِمْ أَوْ بِخَصَائِصِهِمُ الْفَنِّيَّةِ. أَمَّا الَّذِينَ اخْتَارَ لَهُمْ فَقَسَمَهُمْ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

(أ) أَهْلَ حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ وَمَا يُصَاقِبُهَا مِنْ بِلَادِ مَتَوَسِّطَةِ الْأَنْدَلُسِ (٣٣ شَخْصًا)؛

(ب) أَهْلَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَذَكَرَ حَضْرَةَ إِشْبِيلِيَّةَ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ بِلَادِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْحَيْطِ الرُّومِيِّ (٤٦ شَخْصًا)؛

(ج) أَهْلَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْ نَجَمٍ مِنْ كَوَاكِبِ الْعَصْرِ فِي أَفْقِ ذَلِكَ الثَّغَرِ الْأَعْلَى إِلَى مُنْتَهَى كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ هُنَاكَ (٣٢ شَخْصًا)؛

(د) مَنْ طرأ على الجزيرة في المدّة المؤرخة من أديب وشاعرٍ (١٥ شخصاً).
أما غاية ابن بسّام من تأليف « الذخيرة » ونهجه فيها فتمتّ طرَفُ منها
في « المختارات من آثاره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- في « المغرب » (١: ٤١٨) أن الأبيات التالية من شعر ابن بسّام الشنتريني أعلى
شعره مرتبة:

ألا بادِرْ فلا ثانٍ سوى ما عَهَدَتْ: الكأسُ والبدرُ التامُ^(١).
ولا تكسلْ برؤيتِهِ ضباباً تَفَصُّ به الحديقةُ والمُدامُ^(٢)؛
فلئن الروضَ مُلْتَمِثٌ إلى أن تُوافِيَه فينَحْطُ اللِّثامُ^(٣)!

- من مقدّمة كتاب « الذخيرة »:

أما بعدَ حَمْدِ اللهِ وَلِيِّ حَمْدِهِ وأَهْلِهِ^(٤)، والصلاة على سيّدنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ رُسُلِهِ، فإنّ
ثَمَرَةَ هذا الأدبِ العالِي الرُّتَبِ رسالةٌ تُنَثَرُ وتُرْسَلُ وأُبياتٌ تُنظَّمُ وتُفَصَّلُ^(٥): تُنْشَأُ
تلكَ انْثِيالَ القِطَارِ على صَفَحَاتِ الأزهارِ، وتَتَّصِلُ هذه اتِّصَالَ القِلَائدِ على نُحُورِ
الخِرَائدِ^(٦). وما زالَ في أَفْقِنَا هذا الأندلسيِّ القَصِيّ^(٧) إلى وَقْتِنَا هذا من فُرْسانِ
الفَنِّينِ وأُئِمَّةِ النُّوعَيْنِ قومٌ هُمَ ما هُمَ طِيبَ مَكَاسِرَ وصفاءِ جواهرٍ وعذوبةِ مواردِ

(١) - أسرع في التملّي من الحياة، فليس يليها أو يقارنها في الأهمية (واللذة) سوى الكأس (الخمر) والبدر التام (المحبوب الجميل).

(٢) ولا تكسل على الهوى إذا رأيت الضباب لا يزال يملأ الحديقة (في الصباح) ولا تطيب فيه الخمر.

(٣) إن الروض الآن مغطّى وجهه (بهذا الضباب) انتظاراً لك حتّى تأتي...

(٤) وليّ الحمد (صاحب الحمد وحده) وأهله (أهل الحمد = مستحقّ الحمد وحده دون سواه).

(٥) تنثر: تكتب نثرًا. ترسل = لا تقيّد (ليس فيها قافية ولا لها وزن معلوم). تفصل: تجعل لها فواصل (قواف) على نسق معلوم.

(٦) انثال: انصبّ، تتابع. القطار = القطر: المطر. القلائد جمع قلادة (بكسر القاف): عقد (بكسر العين). الخرائد جمع خريدة: الفتاة البكر (الصغيرة الجميلة). النحور جمع نحر: أعلى الصدر.

(٧) أفقنا: مكان سكننا. القصي: البعيد (عن المشرق): الأندلس.

ومصادر^(١)، لعبوا بأطراف الكلام المُشَقَّقِ لعبَ الدُّجَى بِجُفُونِ المُرَّقِ^(٢)، وحدّوا
بِفَنُونِ السِّحْرِ المُنَمَّقِ حُدَاءَ الأعشى بِبَنَاتِ المُحَلَّقِ^(٣). فصَبَّوا على قوالبِ النجومِ^(٤)
غرائبَ المنشورِ والمنظومِ، وباهَوْا غُرَرَ الأصائلِ^(٥) بعجائبِ الأشعارِ والرسائلِ: نَثَرُوا
لو رآه البديعُ نَسِيَّ اسمِهِ، أو اجْتَلَاهُ ابنُ هِلَالٍ لَوَلَّاهُ حُكْمَهُ^(٦)؛ وَنَظَّمُوا لَوْ سَمِعَهُ كَثِيرٌ
مَا نَسَبَ وَلَا مَدَحَ، أو تَتَبَعَهُ جَرَوَلٌ مَا عَوَى وَلَا نَبَحَ^(٧). إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْأُفُقِ أَبَوْا
إِلَّا مُتَابِعَةَ أَهْلِ الشَّرْقِ: يَرْجِعُونَ إِلَى أَخْبَارِهِم المُنْتَادَةَ رُجُوعَ الحديثِ إِلَى قِتَادَةِ^(٨)،
حَتَّى لَوْ نَقَعَ بِتِلْكَ الْآفَاقِ غُرَابٌ أو طَنَّ بِأَقْصَى الشَّامِ والعِرَاقِ ذُبَابٌ لَجَثَوْا على هَذَا
صَنَاءً وَتَلَّوْا ذَلِكَ كِتَابًا مُحْكَمًا^(٩)، وَأَخْبَارُهُم الْبَاهِرَةُ وَأَشْعَارُهُم السَّائِرَةُ مَرَمَى
القَصِيصَةِ وَمَنَاخُ الرَّذِيَّةِ^(١٠). فغَاظَنِي مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَنْفَتُ مِمَّا هُنَاكَ، وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِجَمْعِ
مَا وَجَدْتُ مِنْ حَسَنَاتِ دَهْرِي وَتَتَبَعْتُ مُحَاسِنَ أَهْلِ بَلَدِي وَعَصْرِي - غَيْرَةَ لِهَذَا الْأُفُقِ

- (١) قوم هم ما هم: ذوو قيمة ومكانة. طيب مكاسر: تظهر طبيعة نفوسهم بعد الاختبار (تشبيهاً بالجوز الذي يكسر فيلقي سلباً طيباً لذيقاً). عذوبة موارد ومصادر (المقصود: طيب الأصل وحسن المعاملة).
- (٢) الكلام المشقَّق: الذي يلفظ لفظاً حسناً. الدجى: الليل. المُرَّق: الذي ذهب نومه (أدبهم حلواً يشغل الناس).
- (٣) حدا: تغنى، أنشد. السحر المُنَمَّق: الأدب الغريب المزين الحسن. الأعشى: الشاعر الجاهلي المشهور. المحلَّق رجل كان له بنات لم يخطبهن أحد لفقره، فمدحه الأعشى (في حديث طويل) فتزوجت بناته كلهن وشيكاً.
- (٤) على قوالب النجوم: (أدب جميل) مثل النجوم.
- (٥) الفرة: الشعر في مقدّم الرأس (أول كل شيء). الأصائل جمع أصيل وأصيلة: ميل الشمس إلى الغروب (أول الأصيل يكون جيلاً في البادية لأن الحرَّ عندئذٍ يخف).
- (٦) البديع = بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات. وابن هلال = ابن هلال الصائمي من مشاهير النثرين في العصر العبّاسي. لَوَلَّاهُ حُكْمَهُ (لجعله حَكَمًا في نثره هو = نثر ابن هلال الصائمي).
- (٧) كَثِيرٌ = كثير عزة: زعيم الغزل العُذْرِي في العصر الأموي. نسب: تفرّك. جرول: الخطيئة. عوى (كالذئب) ونبح (كالكلب) كناية عن الهجاء. - لو قرأ كَثِيرٌ والخطيئة الشعر الأندلسي لما نظما شعراً في حياتها.
- (٨) قِتَادَةُ بن دعامة تابعي مشهور كانت أحاديث الرسول التي تروى من طريقه صحيحة موثوقة.
- (٩) الكتاب المحكم: الذي لا تفاوت ولا اختلاف فيه (القرآن الكريم).
- (١٠) مرمى القصبة (كالناقة الغريبة التي تطرد عن المرمى وعن الماء)، ومناخ الرَّذِيَّة: ميرك الرَّذِيَّة (الناقة المهزولة المريضة) لا يأتي أحد ليركبها أو يحمل حاجاته عليها (لا يهتمون بأدبهم).

الغريب^(١) أن تعودَ بدوره أهلةً وتُصنِّح بحارهُ ثِياداً مُضْمَجَلَّةً^(٢) مَعَ كَثْرَةِ أَدْبَائِهِ
وَوُفُورِ عُلَمَائِهِ؛ وَقَدِيماً ضَيَّعُوا الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ^(٣)، وَيَا رَبَّ مُحْسِنٍ مَاتَ إِحْسَانُهُ قَبْلَهُ.
وَلَيْتَ شِعْرِي، مَنْ قَصَرَ الْعِلْمَ عَلَى بَعْضِ الزَّمَانِ وَخَصَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ بِالْإِحْسَانِ!

وَقَدْ كَتَبْتُ لِأَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ^(٤)، مِنْ أَهْلِ الْوَقْتِ وَالزَّمَانِ، مَحَاسِنَ تَبَهَّرُ^(٥)
الْأَلْبَابَ وَتَسَحَّرُ الشُعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ؛ وَلَمْ أُغْرِضْ لشيءٍ مِنْ أَشْعَارِ الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ وَلَا
الْمَدَائِحِ الْعَامِرِيَّةِ^(٦)، إِذْ كَانَ ابْنُ فَرَجٍ الْجَيَّانِيُّ قَدْ رَأَى رَأْيِي فِي النِّصْفَةِ وَذَهَبَ
مَذْهَبِي فِي الْأُنْفَةِ^(٧) فَأَمَلَنِي فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ زَمَانِهِ كِتَابَ الْحَدَائِقِ مُعَارِضاً لِكِتَابِ
الزُّهْرَةِ لِلأَصْفَهَانِيِّ، فَأَضْرَبْتُ أَنَا عَمَّا أَلَّفَ وَلَمْ أُغْرِضْ لشيءٍ مِمَّا صَنَّفَ، وَلَا تَعَدَّيْتُ
أَهْلَ عَصْرِي مِمَّنْ شَاهَدْتُهُ بِعُمَرِي^(٨) أَوْ لَحِقَهُ بَعْضُ أَهْلِ دَهْرِي، إِذْ كُلُّ مُرَدِّدٍ ثَقِيلٌ
وَكُلُّ مُتَبَكِّرٍ مَمْلُولٌ. وَقَدْ مَجَّتِ الْأَسْمَاعُ «يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنَدِ» وَمَلَّتِ الطِّبَاعُ
«لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بَيْرَقَةٍ تَهْمِدِ^(٩)..... وَالْإِحْسَانُ غَيْرُ مَحْصُورٍ، وَلَيْسَ الْفَضْلُ عَلَى زَمَنِ
بِمَقْصُورٍ. وَعَزِيزٌ عَلَيَّ الْفَضْلُ أَنْ يُنْكَرَ^(١٠)، تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَلَحَى^(١١) اللَّهُ

(١) الغريب: العجيب، الطريف، المستحسن.

(٢) تعود بدوره أهلة: تنحط مكانته ويقل قدره. الثَّد: الماء القليل المتبقي من مطر أو غيره. اضمحل: انحل، ذهب، تلاشى.

(٣) الوفور: الكثرة. وقديماً ضيَّعوا العلم وأهله: كان (الأندلسيون) من قبل قد أهملوا علوم قومهم حتى ضاعت تلك العلوم.

(٤) لأرباب (أصحاب) هذا الشأن (الأمر): المهتمين بالأدب الأندلسي.

(٥) تبهر: يغلب نورها) الألباب (العقول): تجعل الناس يتعجبون من جمالها).

(٦) دولة بني مروان بدأت بمبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ) وسقطت سنة ٤٢٢ هـ. ودولة المنصور بن أبي عامر (في الوزارة والاستبداد بالأمر دون الخليفة)، سنة ٣٦٦ هـ ثم استمرت في أولاده وأحفاده ومواليه إلى نحو ٤٧٠ هـ.

(٧) النصفه: الانتصاف (أن يسترد الإنسان حقَّه المشروع أو يحصل عليه بداءة). الأنفة: الاستنكاف، إباء (رفض) الذل.

(٨) بمعري: في زمني، طول عمري.

(٩) «يا دار مِيَّة» مطلع معلقة النابغة، و «لخولة أطلال» مطلع معلقة طرفة (يقصد: ملّ الناس الأدب القديم).

(١٠) يمرّ (يصعب) عليّ أن ينكر إنسان فضل غيره.

(١١) لحى: لعن.

قولهم: الفضلُ للمتقدم! فكم دَفَنَ مِنْ إِحْسَانٍ وَأَخْمَلَ مِنْ فُلَانٍ^(١). ولو اقتصَرَ المتأخرونَ على كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ لَضَاعَ عِلْمٌ كَثِيرٌ وَذَهَبَ أَدَبٌ غَزِيرٌ.

وقد أودَعْتُ هذا الديوانَ الذي سَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ مِنْ عَجَائِبِ عِلْمِهِمْ وَغَرَائِبِ نَظْمِهِمْ وَنَثَرِهِمْ مَا هُوَ أَحْلَى مِنْ مُنَاجَاةِ الْأَحِبَّةِ..... وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَتَصَفَّحُهُ سَيَقُولُ إِنِّي أَغْفَلْتُ كَثِيرًا وَذَكَرْتُ خَامِلًا وَتَرَكْتُ مَشْهُورًا. وَعَلَى رِسْلِهِ^(٢)! فَإِنِّي جَمَعْتُهُ، بَيْنَ صَعْبٍ قَدْ ذَلَّ وَغَرَبٍ قَدْ فُلَّ وَنَشَاطٍ قَدْ قَلَّ وَشَبَابٍ وَدَّعَ فَاسْتَقَلَّ^(٣)، مِنْ تَفَارِيقِ كَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَتَعَالِيقِ كَالْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ بِخُطُوطٍ جُهَالٍ كَخُطُوطِ الرَّاحِ أَوْ مَدَارِجِ النَّمْلِ بَيْنَ مَهَابِّ الرِّيَاحِ^(٤): ضَبَطُهُمْ تَصْخِيفٌ، وَوَضْعُهُمْ تَبْدِيلٌ وَتَحْرِيفٌ، أَيْأَسُ النَّاسِ مِنْهَا طَالِبُهَا وَأَشَدُّهُمْ اسْتِرَابَةً بِهَا كَاتِبُهَا^(٥). فَفَتَحْتُ أَنَا أَقْفَالَهَا وَفَضَّضْتُ قِيُودَهَا وَأَغْلَلَهَا فَأُضَحَّتْ غَايَاتُ تَبْيِينِ وَبَيَانِ وَوَضَحَتْ آيَاتُ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ^(٦).

على أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الدِّيَّوَانِ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَخْبَارًا مُوضُوعَةً وَلَا أَشْعَارًا مَجْمُوعَةً تَفْسُحُ لِي فِي طَرِيقِ الْإِخْتِيَارِ مِنْهَا؛ إِنَّمَا انْتَقَدْتُ مَا وَجَدْتُ وَخَالَسْتُ فِي ذَلِكَ الْخُمُولَ^(٧) وَمَارَسْتُ هُنَالِكَ الْبَحْثَ الطَّوِيلَ وَالزَّمَانَ الْمُسْتَحِيلَ حَتَّى ضَمَنْتُ كِتَابِي

(١) فكم دفن... الخ: أضاع أدباً جيداً كثيراً وأخل ذكر أناس كثيرين.

(٢) على رسله: ليتمهل قليلاً، ليخفف من حية نقده.

(٣) الصعب: الجمل الشيط الذي لا يدع أحداً يركبه. ذل: ذلل، روض (بالبناء للمجهول فيها) = أصبح ذليلاً طائعاً. الغرب: حد السيف. فل: تثلّم، أصبح لا يقطع. استقل: ذهب (يقصد بعد أن كبر في السن وذهب معظم قوّته ونشاطه).

(٤) تفاريق (أشياء متفرقة) كالقرون الخالية (متباعدة، منسية) وتعاليق (إضافات مكتوبة على الصفحات) كالأطلال (أثر الديار بعد رحيل ساكنيها عنها) البالية (المتهرئة، المحوّة). كخطوط الراح (جمع راحة: باطن الكف = رموز لا تقرأ). مدارج: آثار السير. (كلّ هذا كناية على أن الخطّ سقيم تصعب قراءته).

(٥) تصحيف: تبديل حروف الكلمة (جهلاً). تحريف: تغيير الشيء (قصداً). استرابة: شك. (حتى الذي كتبها لا يستطيع قراءتها).

(٦) فض: كسر، شق، فتح. وضحت: ظهرت. آيات: عجائب، غرائب.

(٧) خالست الخمول: انتزعت أشخاصاً من طبقات الخمول وأبرزتهم.

هذا من أخبارِ أهلِ هذا الأفقِ ما لعلِّي سأُرِي (١) به على أهلِ المشرقِ . وما قصَدْتُ به - عَلِمَ اللهُ - الطَّعْنَ على فاضلٍ ، ولا التَّعَصُّبَ لقائلٍ على قائلٍ

وهذا الديوانُ إنَّما هو لسانُ منظومٍ ومنثورٍ لا مَيِّدانُ بيانٍ وتفسيرٍ: أوردُ الأخبارَ والأشعارَ لا أَفُكُ مُعَمَّاهَا في شيءٍ من لفظِها ولا مَعْنَاهَا (٢) ، ولكن رُبَّما أَلَمَنْتُ ببعضِ القولِ بين ذكرِ أَجْرِيهِ وَوَجْهِ عَذْرَاءٍ أُرِيهِ (٣) لا سِيَّما أنواعِ * البديعِ ذي المحاسنِ الذي هُوَ قِيَمُ الأشعارِ وقوامُها ، وبِهِ يُعْرَفُ تَفَاضُلُهَا وَتَبَاطُؤُهَا (٤) ، فلا بُدَّ (من) أنْ نُشِيرَ إِلَيْهِ وَنُنَبِّهَ عَلَيْهِ

وَمَعَ أَنَّ الشَّعْرَ لَمْ أَرْضَهُ مَرْكَباً وَلَا اتَّخَذْتُهُ مَكْسِباً وَلَا أَلْفَتُهُ مَثْوًى وَلَا مُنْقَلَباً (٥) ؛ إِنَّمَا زُرْتُهُ لِهَاماً وَلَمَحْتُهُ تَهَمُّماً لَا اهْتِمَاماً (٦) ، رَغْبَةً يَعْزُّ نَفْسِي عَنْ ذُلِّهِ وَتَرْقُعاً لِمَوْطِئِي أَخْمِصِي عَنْ مَحَلِّهِ (٧) ؛ فَإِذَا (أَنَا) شَعَشَعْتُ رَاحَةَ لَمْ أَذُقْهُ إِلَّا شَمِئاً (٨) وما كُنْتُ إِلَّا على الحديثِ نَدِياً (٩) . وما لي وَلَهُ ؛ وَإِنَّمَا أَكْثَرُهُ خُدْعَةٌ مُخْتَالٍ وَخِلْعَةٌ مُخْتَالٍ (١٠) ؛ جِدُّهُ تَمْوِيَةٌ وَتَخْيِيلٌ ، وَهَزْلُهُ تَدْلِيَةٌ وَتَضْلِيلٌ (١١) ؛ وَحَقَائِقُ الْعُلُومِ أَوَّلَى بِنَا مِنْ أَبَاطِيلِ

(١) أُرِي: زاد (على) .

(٢) المعنى: القول المصوغ في سياق يصعب على الفهم . (لم أفسر معانيها) .

(٣) وجه عذراء (جملة مبتكرة لم يقل أحد مثلها بعد أو لم تفسر جملة مثلها بعد) .

(*) يكون الاسم المستثنى بعد لا سِيَّما (إذا كان نكرة) مجرور أو مرفوعاً أو منصوباً . أمَّا إذا كان معرفة ، فالأولى جرّه ، ويجوز رفعه ، ولكن لا يجوز نصبه .

(٤) التفاضل أن يفضل شيء شيئاً آخر (يزيد عليه في المعنى أو الجاهل الخ) . التباين: أن يختلف شيء من شيء آخر .

(٥) المَثْوَى: المسكن: المنقلب: المرجع، المعتمد .

(٦) لَمَاماً: غِبّاً (بكسر الفين = مرّة بعد مرّة من غير استمرار) . تَهَمُّمُ الشَّيْءِ: طلبه طلباً يسيراً في الحين بعد الحين . الاهتمام: أن تجعل الشيء هَمَّكَ (موضع عنايتك الدائمة) .

(٧) الأخص: باطن القدم . المحلّ (بكسر الحاء): المكان الذي يحلّ (ينزل) فيه الإنسان أو الشيء .

(٨) شَعَشَعَ: مزج (بالماء) . الراح الخمر . شَعَشَعْتُ رَاحَ الشَّعْرِ (مزجته بشيء من كلامي ، قلت شيئاً قليلاً منه) . التسميم: السم . لم أَذُقْهُ إِلَّا شَمِئاً (لا أقول منه إلّا قليلاً) .

(٩) ما كنت إلا على الحديث ندياً (رفيقاً ، مؤانساً ، محادثاً) = أسمع الحديث ولا أشارك فيه (أندوّق الشعر ولا أنشده) .

(١٠) الخلة: الثوب . المختال: الذي يمرض نفسه على الناس مفتخراً متعاطفاً .

(١١) التمويه: طلاء المعادن (الحسيسة) بالذهب . التخيل: الاحتيال لإظهار الأشياء على غير حقيقتها . =

المنظوم والمنثور. وعلى ذلك فقد وَعَدْتُ أَنْ أُلْجَ في هذا المجموع بِلَمَعٍ من ذِكْرِ
البدیع^(١)، وَأَنْ أُمَهِّدَ جانباً من أسبابه وأُشرحَ جُملاً من أسمائه وألقابه. وإذا ظَفِرْتُ
بِمَعْنَى حَسَنٍ أَوْ وَقَفْتُ على مَعْنَى مُسْتَحْسِنٍ ذَكَرْتُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ وَأَشَرْتُ إِلَى مَنْ
نَقَصَ عَنْهُ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ؛ وَلَسْتُ أَقُولُ: أَخَذَ هَذَا مِنْ هَذَا قَوْلًا مُطْلَقًا فَقَدْ تَتَوَارَدُ
الخواطرُ وَيَقَعُ الحافِرُ على الحافِرِ^(٢)، إِذِ الشَّعْرُ مِيدَانُ والشَّعْرَاءُ فُرْسَانُ.....

- ٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (منشورات جامعة فؤاد الأول)، القاهرة (مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م وما بعد (لم تطبع الأجزاء بالترتيب)؛ تحقيق إحسان
عبّاس، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- ★ ★ بغية الملتبس ٣٧٦ - ٣٧٨ (رقم ١١٠٣)؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ (سطران)؛ المغرب
١ : ٤١٧ - ٤١٨ ؛ بغية الوعاة ٢٩٥ ؛ نفح الطيب ٣ : ٢٠٣ و ٤٥٨ (سبعة أبيات لابن
بَسّام) ثم أماكن كثيرة (راجع فهرس نفح الطيب) فيها إشارات إلى ابن بَسّام أَوْ نَقُولُ
قصار أَوْ طوال من كتابه «الذخيرة» ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣٤ ؛ بروكلمن ١ :
٤١٤ - ٤١٥ ، الملحق ١ : ٥٧٩ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٢ (٤ : ٢٦٦) ؛ مجلّة البحث العلمي
(الرباط) ماي - غشت ١٩٦٦ م ، ص ٧٩ - ١٦٦ ؛ العربي (الكويت) تموز ١٩٦٦ ، ص
٦٣ ؛ تاريخ النقد (لإحسان عبّاس) ٥٠١ - ٥٠٧ ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لحمّد
رضوان الداية) ٣٧١ - ٣٩٠ ، بالنشيا ٢٨٨ - ٢٩٦ ؛ تراجم اسلامية لعنان ٢٩٨ .

أبو القاسم الكلاعيّ

- ١- هو أبو القاسم محمّد بن عبد الغفور ★ الكلاعيّ الإشبيليّ، وُلِدَ في مطلع القرنِ
السادسِ للهجرة (الثاني عشر للميلاد) وتلقّى أشياء من العلم على أبي عبد الله بن أبي
العافية وأبي القاسم الزنجانيّ والحافظ ابن إسماعيل. وتصدّر للتدريس في طَوْرِ باكرٍ

= التذليل: الخيال الذي يذهب فيه العقل (الذي يقود إلى مثل الجنون). التضييل: الإيهام بغير الحق.

- (١) اللع جمع لعة (بضم اللام): البقعة (من جسم الإنسان، مثلاً) لا يصيبها ماء (الوضوء)، شيء قليل.
البدیع: ذكر ألفاظ تتفق في اللفظ أَوْ تتقارب مع اختلاف في المعنى. ★ راجع ص ٢٨٣ (ح ٧).
(٢) الخاطرة: ما يخطر للإنسان (يمرّ في ذهنه أَوْ خياله). تتوارد الخواطر: يأتي بعضها مع بعض متشابهاً.
الخوافر (جمع حافر): منتهى قوائم الحيوان من ذوات الأظلاف (كالخيل). يقع الحافر على الحافر: يطأ
حصان حيث كان قد وطئ حصان آخر (يقول إنسان ما قاله إنسان آخر تماماً).

من حياته ثم انتقل وشيكاً إلى الكتابة في الدولة. وفي سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ - ١١٣٧ م) كان كاتباً لابن تاشفين^(١). ثم إنه أدرك وفاة ابن بسم صاحب «الذخيرة»، سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م)، وتوفي بعد ذلك مُعْتَبِطاً^(٢) قريباً من مُتَنَصِّفِ القرن السادس للهجرة.

٢- كان أبو القاسم الكلاعي من بيت علم وأدب ومن الكتاب. وقد كان مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة مُقَدِّماً في الفقه وفنون الأدب من البلاغة والنقد والشعر، كما كان كاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له إحكام صنعة الكلام (وهو الكتاب الوحيد الذي نعلم أنه وصل إلينا). ثم إن له عدداً من الكتب عارض فيها عدداً من مؤلفات المعري: الانتصار لأبي الطيب (المتنبي) - الساجعة والغريب (عارض فيه «الصاهل والشاحج»^(٣)) - كتاب (على مثال «السجع السلطاني») - خطبة الإصلاح (معارضة لخطبة الفصيح) - ثمرة الأدب (معارضة لسقط الزند^(٤)) - ديوان المعري).

٣- مختارات من آثاره:

- لأبي القاسم الكلاعي مُقَطَّعاتٌ منها:

★★ تركتُ التصابي للصواب وأهله، وبيضَ الطلالِ للبيض، والسُمرَ للسُمرِ^(٥)

- (١) يجب أن يكون أحد أعضاء البيت التاشفيني الذين تولوا (بفتح اللام) الولاية على الأندلس. أما سلاطين المرابطين في مراكش، في مدة حياة أبي القاسم الكلاعي فكانوا: علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٤٧ هـ) وتاشفين بن علي ثم إسحاق بن علي (٥٤٠ - ٥٤١ هـ).
- (٢) اعتبط (بالبناء للمجهول) مات عبطة (بالفتح): صحيحاً (بلا علة) شاباً.
- (٣) الساجع والساجعة: الناقة أو الحمامة إذا رددت صوتها. والغريب: الشديد السواد (والمقصود هنا: الحمامة والغراب). الصاهل: الفرس. الشاحج: البغل أو الحمار (شجع البغل أو الحمار: رفع صوته. والشاحج: الغراب إذا أسن وغلظ صوته).
- (٤) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر. السقط: الشرارة التي تحدث من قذح الحجر بالحديدة.
- (٥) التصابي: محاولة استمالة النساء. تركت التصابي وملت إلى العمل الصواب (اللاثق بالإنسان الشريف). الطلا جمع طلاة (بالفتح): صفحة العنق (بيض الطلا كناية عن النساء الجميلات).. للبيض: للبيوف. السمر: النساء السمرات. السمر: الرماح: فضلت القتال على الفزل.

مُدَامِي مِدَادِي، وَالْكُؤُوسُ مُحَابِرِي وَنَدْمَايَ أَقْلَامِي، وَمَنْقَلَتِي سِفْرِي^(١)!
 ★★ رُوَيْدَكَ، يَا بَدْرَ التَّهَامِ، فَإِنِّي

أَرَى الْعِيسَ حَسْرَى وَالْكُوكَبَ ظُلُمًا^(٢).

كَأَنَّ أَدِيمَ الصُّبْحِ قَدْ قُدَّ أَنْجَمًا، وَغُودِرَ دِرْعُ اللَّيْلِ فِيهَا مُرْقَعًا^(٣).
 وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الشَّبَابُ مُحَبَّبًا إِلَيَّ فِي قَلْبِي أَجَلٌّ وَأَوْقَعًا،
 لَأَنْفُ مِنْ حُسْنِ بَشْعَرِي مُفْتَرَى وَأَنْفُ مِنْ حُسْنِ بَشْعَرِي قَعًا^(٤)!

- وله في الترجيح بين النثر والشعر (ص ٣٦):

إِنَّ التَّرْجِيحَ بَيْنَ الْمُنْثَوِرِ وَالْمَنْظُومِ يَمُّ قَدْ خَاضَ فِيهِ الْخَائِضُونَ وَمَيِّدَانِ قَدْ رَكَّضَ فِيهِ الرَّاكِضُونَ. وَرَأَيْتُ أَنَّ الْقَرِيضَ قَدْ تَزَيَّنَ مِنَ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ بِمَجْلَةٍ سَابِغَةٍ ضَافِيَةٍ^(٥)، صَارَ بِهَا أَبَدَعُ مَطَالَعٍ وَأَصْنَعُ مَقَاطِعَ وَأَبْهَرَ مِيَاسِمَ^(٦) وَأَنْوَرَ مَبَاسِمَ وَأَبْرَدَ أَصْلًا وَأَشْرَدَ مَثَلًا وَأَهَزَّ لِعُطْفِ الْكَرِيمِ وَأَفْلَّ لَغَرْبِ^(٧) (وَلِئِمِّ). (وَإِنَّ) النَّثْرَ أَسْلَمَ جَانِبًا وَأَكْرَمَ حَامِلًا

(١) مدامي (خري) ومدادي (حبري، كناية عن الاشتغال بالتأليف). المحبرة: إناء الحبر. المنقلة (بالفتح): المرحلة من السفر، و (بالكسر): أداة هندسية لضبط الخطوط والزوايا، وهو يقصد بالمنقلة (بالفتح) وعاء يوضع فيه النقل (بالضم): ما يتفككه به الناس بين وجبات الطعام أو على الشراب من لوز وجوز ومقلّيات وأشباهها.

(٢) العيس (جمع عيساء أو أعيس): الإبل الكريمة. حسرى: كليله (ضعيفة، حلّ بها التعب). الطالع: الذي به عرج.

(٣) أديم الصبح (البياض). قد تقطع) أنجماً (قطعاً بيضاً) كناية عن تحلل نور الصبح في ظلام الليل. الدرع: (هنا) الثوب (لون الليل الأسود مرقّع بقطع بيضاء من نور الصبح).

(٤) أكره أن أحسن شعري (بالكسر) بالافتراء (الكذب) أو أن أحسن شعري (بالفتح) بقناع (بصباغ).

(٥) يمّ: بحر. الحلة: ثوب فاخر. سابع: يكسو الجسم كله. ضاف واسع طويل.

(٦) المطلع: البيت الأول في القصيدة. أصنع مقاطع (يسهل في الشعر صنع المقاطع - من أبيات أو بيتين أو بيت واحد - مما لا يمكن أحياناً كثيرة في النثر). أبهر: أكثر حسناً. الميسم (بالكسر): العلامة (أثر الجبال والحسن).

(٧) الأصيل: الوقت بين الظهر والمغرب. أبرد أصلاً (كناية عن السرور عند قراءة الشعر). أشرد: (هنا): أندر وأحسن (للمثل في الشعر أثر أشد في النفس من المثل في النثر). العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الشعر أكثر استالة للمخاطب به من النثر). أفلّ: أشد تقطيعاً (كبحاً ومنعاً). الغرب: حدّ السيف.

وطالباً^(١).....، لأنَّ الشعرَ داعٍ لسوءِ الأدبِ وفسادِ المنقلبِ^(٢) لآنه - لضيعةِ وصُعوبةِ طريقه - يَحْمِلُ الشاعرَ على الغلوِّ في الدينِ حتَّى يؤولَ إلى فسادِ اليقين^(٣)، وَيَحْمِلُهُ على الكَذِبِ؛ والكَذِبُ ليس من شِيَمِ الْمُؤْمِنِينَ..... ومن مَعَايِبِهِ أَنَّهُ قَلَّمَا يُجِيدُهُ إِلَّا مُتَكَسِّبٌ بِهِ. والدليلُ على ذلك قولُهُم: اللَّهُمَّ تَفْتَقِ اللَّهُمَّ^(٤)..... وأَمَّا الكِتَابَةُ فبَعِيدَةٌ عَن هَذَا كُلِّهِ: سَلِيمَةٌ تَمَّا يَدْعُو إِلَى الْمَهْجُورِ أَوْ يَتَشَبَّثُ بِالْمَخْجُورِ^(٥).

(فصل): العاطلُ. وإِنَّمَا سَمَّيْنَا هَذَا النُّوعَ «العاطِلُ» لِقِلَّةِ تَحْلِيلَتِهِ بِالْأَسْجَاعِ والفواصلِ^(٦)، وهذا هو الأَصْلُ. والتَّجْمُلُ بِكَثْرَةِ السَّجْعِ فَرَعٌ طَارِئٌ عَلَيْهِ. وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ ذَلِكَ إِلَّا الْمُتَقَدِّمُونَ.... من أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ. فَكَانُوا إِذَا عَنَّ لَهُمُ السَّجْعُ ذَكَرُوهُ، وَإِذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ لَمْ يَسْتَجْلِبُوهُ.....

٤ - إحكام صناعة الكلام (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
 ★★ المطمح ٢٩ - ٣٠؛ قلائد العقيان ١٨٢ - ١٨٦؛ الذخيرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٥، ٤: ٥٤٨؛
 الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦؛ المغرب ١: ٢٣٦؛ نفع الطيب ٣: ٥٥١ - ٥٥٣؛
 تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٩ - ٥١٢؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (للمحمد رضوان الداية) ٤٠١ - ٤١٣.

- (١) أَسْلَمَ جَانِباً (لأنَّه لَا يَفْرُضُ عَلَى قَائِمِهِ نَسْقاً مَعْيِياً فَيُخَالِفُ الْمَعْنَى فِي سَبِيلِ اللَّفْظِ). حَامِلاً وَطَالِباً....
- (٢) المنقلب: آخر الأمر، تبدل الحال الراهنة بحال مقبلة.
- (٣) يؤول: يرجع، يؤذي. اليقين: العلم الثابت. الاعتقاد.
- (٤) اللهم (بالضم) جمع لهوة (بالضم): العطية. اللهم (بالفتح) جمع لهاة (بالفتح): اللحمة المشرفة على مدخل الحنجرة (المال يساعد الشاعر على قول الشعر).
- (٥) المهجور: الألفاظ التي بطل استعمالها. يتشبث: يتمسك بشدة. والمهجور: الذي لا يستحسن استعماله من الألفاظ في النثر.
- (٦) العاطل: المرأة الجميلة لا تحتاج إلى أن تتزين، والأحرف لا نقط عليها، والجميل ليس فيها صناعة (جناس أو طباق الخ). الفواصل: أواخر الجمل القصار.
- (٧) في المغرب (١: ٢٣٦ - ٢٣٧): أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (المتوفى في أيام الممتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ) ثم ابنه أبو محمد عبد الغفور ثم حفيده محمد بن عبد الغفور (صاحب هذه الترجمة) وكلهم كانوا أدباء. وهناك مقطوعة مطلعها:
 لَا تَنْكُرُوا أَتْنَا فِي مَهْمَسِهِ أَبْدَاً نَحْتُ فِي نَقْصِيفٍ طَوْرًا وَفِي هَدَفٍ
 نَسَبَتْ فِي الْمَغْرِبِ (١: ٢٣٦) إِلَى مُحَمَّدٍ (الجدِّ) وَنَسَبَتْ إِلَى مُحَمَّدٍ (الحفيد) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٣: ٥٥٢).

أبو بكر بن العربي

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المَعافري الأندلسي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية في الثامن والعشرين من شعبان من سنة ٤٦٨ (١٠٧٦/٣/٣٠ م).

بدأ أبو بكر بن العربي تعلّمه في الأندلس على أبيه عبد الله (٤٣٥ - ٤٩٣ هـ) وعلى خاله أبي القاسم حسن بن عمر الهوزني (ت ٥١٢ هـ) وعلى أبي عبد الله السرقسطي.

وكان عبد الله من المتصلين ببلاط المعتمد بن عباد. فلما استولى المرابطون على إشبيلية وحلوا المعتمد أسيراً (٤٨٤ هـ) كره الإقامة في الأندلس فرحل عنها (في مُستَهَلَّ ربيع الأول ٤٨٥) وأخذ ابنه معه. ويبدو أنه في أثناء هذه الرحلة أخذ أبو بكر بن العربي شيئاً من الحديث في بجاية من أبي عبد الله محمد بن عمار الكلاعي (ت ٤٨٥) ثم انتقل إلى المهديّة وأخذ عن أبي الحسن علي بن محمد الخولاني المعروف بالحدّاد المهديّ.

وفي مصر سمع ابن العربي من أبي الحسن علي بن الحسن الخُلعي (ت ٤٩٢ هـ). وفي^(١) ذي الحجة من سنة ٤٨٩ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٩٦ م) حجّ أبو بكر ابن العربي وسمع في مكّة من أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري (ت ٤٩٨ هـ). وسمع في دمشق من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت ٤٩٠ هـ). وأمّ أبو بكر بن العربي بغداد وطال مُقامه فيها، وكان يخرج منها ثم يعود إليها. وفي بغداد سمع من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة (ت ٤٩٣ هـ) وقرأ الأدب على أبي زكريّا التبريزي (ت ٥٠٣ هـ). وقد لقي في بغداد أيضاً أبا بكر محمد بن أحمد

(١) يمكن أن يكون تطوّف أبي بكر بن العربي في المشرق قد جرى على خلاف هذا الترتيب قليلاً أو كثيراً، فالمصادر لم تأبه كثيراً بضبط هذا الترتيب.

ابن الحسين الشاشي (ت ٥٠٧ هـ) وأبا حامد الغزالي إثر رجوع أبي حامد من رحلته^(١).

غادر ابن العربي بغداد في سنة ٤٩١ ماراً بدمشق ثم وصل إلى مصر فتوفي أبوه (٤٩٣ هـ) في مدينة الإسكندرية، فعاد وحده إلى الأندلس ووصل إليها في السنة ٤٩٣ هـ نفسها^(٢).

عاد أبو بكر بن العربي إلى إشبيلية بعلم كثير كان قد تلقاه في المشرق. وفي سنة ٥٠٨ هـ - بعد عودته بخمس عشرة سنة - عين قاضياً للقضاة (قاضي الجماعة) في كورة إشبيلية كلها. ولكن يبدو أنه لم يلبث في هذا المنصب إلا مدة يسيرة، فقد عزل عنه فانصرف إلى نشر العلم. ثم إنه انتقل إلى قرطبة وحدث فيها.

وسقطت دولة المرابطين في المغرب (٥٤٠ هـ) وقامت على أنقاضها دولة الموحدون. وفي شعبان من سنة ٥٤١ (كانون الثاني - يناير ١١٤٧ م) استولى الموحدون على إشبيلية. ويبدو أن أبا بكر بن العربي لم يكن راضياً عن الموحدون - كما لم يكن هو وأبوه من قبل راضيين عن المرابطين - ومع ذلك فقد ذهب في وفد إلى مراكش، للتهنئة أو للإعراب عن الولاء، فسجن هنالك ومن معه سنة كاملة أو تزيد. ولما أطلق سراح المسجونين اتخذ ابن العربي طريقه إلى الأندلس، ولكنه توفي في المغيلة (على مقربة من مدينة فاس)، في ربيع الآخر من سنة ٥٤٣ (صيف عام ١١٤٨ م).

٢ - أبو بكر بن العربي عالمٌ محدثٌ فقيه وأديب كاتب شاعر، إلا أن العلم بالحديث والفقه أغلب عليه. أما شعره فمتين السبك في الأغلب على مذهب القدماء. وشعره الباقي لنا في الوصف والغزل وفي التشويق أقرب إلى أهل المشرق.

(١) يروى أن أبا بكر بن العربي لقي حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في بغداد (نفع الطبيب ٦٤ - ٦٥، راجع ٧٦ - ٧٧)، ولكن هذا مستبعد، لأن ابن العربي غادر بغداد قبل أن يرجع إليها الغزالي. ويستبعد أيضاً أن يكونا قد التقيا في أثناء طوافهما في المشرق.

(٢) الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٢٠.

ولأبي بكر بن العربي تصانيفٌ كثيرةٌ منها: كتاب القَبَس في شرح موطأ مالك بن أنس - كتاب ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك - كتاب أحكام القرآن - كتاب عريضة الأحوذِي في شرح الترمذي^(١) - كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن - كتاب قانون التأويل - كتاب الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنَى وصفاته العليا - كتاب التوسُّط في صحة الاعتقاد والردّ على من خالف أهل السنّة من ذوي البدع والإلحاد - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (بين الفقهاء!) - كتاب الحصول في علم الأصول - كتاب ترتيب الرحلة (رحلة ابن العربي إلى المشرق).

٣ - مختارات من آثاره:

- رَكِبَ أَبُو بَكْرٍ بن العربي يوماً مَعَ أَحَدِ أُمَرَاءِ المرابطين - وكان هذا الأميرُ صغيراً - فهِزَّ عليه رُحماً كان في يده مُدَاعِباً. فقال أبو بكر (المغرب ١ : ٢٥٠):
يَهْزُ عَلَيَّ الرُّمَحَ ظَنِّي مَهْفَهْفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الرَّعِيَّةِ عَابُثٌ^(٢).
ولو كان رُمحاً واحداً لَاتَّقَيْتُهُ؛ ولكنّه رمحٌ وثانٍ وثالثٌ*.
- ودخل عليه غلام جميل في ثياب خَشِنَةٍ فقال (المغرب: ١ : ٢٥٠):
لَيْسَ الصُّوفَ لِكَنِّي أَنْكَرُهُ وَأَتَانِبَا شَاجِباً قَدْ عَبَسَا.
قُلْتُ: إِيه، قَدْ عَرَفْنَاكَ؛ وَذَا جَلُّ سَوْءٍ لَا يَعِيبُ الْفَرَسَا^(٣).

(١) راجع فتح الطيب ٢: ٢٨، ٣٥، وبروكلمن (الملحق) ١: ٨٠٠ (السطر ١٦ من أسفل)، راجع أيضاً ص ٢٦٨ و ٦٣٣، «الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم» أو عارضة (في بروكلمن: عريضة) الأحوذِي في شرح الترمذي. والعارضة: القدرة على الكلام وقوة الحجّة. والأحوذِي (بفتح الهمزة): الخفيف الحاذق المشمّر في الأمور (المستعدّ لمعالجة الأمور). والترمذي، هو (في الأغلب) الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن عليّ المتوفى نحو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)، راجع الأعلام للزركلي ٧: ١٥٦ (٦: ٢٧٢). وللترمذي الحكيم هذا كتاب عنوانه: «الدرّ المكنون في أسئلة ما كان وما يكون» (بروكلمن ١: ٣٥٦، السطر ١٧ من أسفل)، وعلّم هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه ابن العربي.

(٢) مهفف: دقيق الخصر (رشيق).

(*) ولكنّه رمح (الرمح الذي يحمل في يده) وثانٍ وثالث (في عينيه).

(٣) الجَلُّ (بالفتح) والجلال (بالكسر): سرج (غطاء يوضع على ظهر الدابة). سوء (سَيء، حقير المنظر).

كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ فِيهِ حَسَنٌ؛ لَا يُبَالِي حَسَنٌ مَا لَبَسَا^(١)!

- وقال قصيدة طويلة يتشوّق فيها إلى أيامه في بغداد وإلى إخوانه في بغداد -
(وعلى هذه القصيدة نفحة من قصيدة المتنبي: أغالبُ فيك الشوقَ، والشوقُ أغلبُ).
قال ابن العربي:

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ: مَا لَكَ مُوَضِعاً
أَفِي كُلِّ عَامٍ رَائِعُ الْقَلْبِ رَوْعَةً
فَقُلْتَ: دَعَيْنِي - لَا أَبَالِكَ - وَانْظُرِي
وَكَفَيْنِي مِنَ التَّانِيبِ شَيْئاً، فَرِيّاً
وَمَا أَنَا فِي الدَّارِ الْخَلَاءِ بِوَاقِفٍ
وَقَدْ قِيلَ: يَشْقَى الْحَاسِدُونَ بِسَفْعِهِمْ؛
يُرِيدُ بِي الْأَعْدَاءُ مَا اللَّهُ دَافِعُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً
بِمَشْرَعَةِ الْكَرْخِ الَّتِي لَمْ نَزَلْ بِهَا
وَكَمْ شَارِبٍ لِلْمَاءِ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ؛
مَنَازِلُ عَزٌّ طَالَ فِيهِنَّ مَفْخَرُ،
وَقَدْ رَاقَ مَلْهُىً لِلسَّرُورِ وَمَلْعَبُ^(٢)!
مِنَ الْبَيْنِ لَا تُخْطِي وَلَا تَتَكَذَّبُ^(٣)؟
فَقَدْ يَخْسِرُ الْبَادِي وَيَخْطِي الْمَعْقَبُ^(٤)؛
تَبَيَّنَ أَغْقَابُ الْأُمُورِ الْمُؤَنَّبُ.
أُكْفَ عَدَى الْأَجْفَانِ فِيهَا وَأُنْدَبُ ★★
أَلَا إِنَّمَا الْحَسُودُ أَشْقَى وَأَنْصَبُ^(٥).
وَقَيْضُ الْمَعَالِي وَالْجَلَالُ الْمُهَذَّبُ.
- مِنَ الدَّهْرِ لَا أَخْشَى وَلَا أَتَرَقَّبُ -
يَلْذُّ لَنَا شَرْحُ الشَّبَابِ وَيُعْجِبُ^(٦).
وَمُذْغِبْتُ عَنْهُ مَاءَ عَيْنِي أَشْرَبُ^(٧).
وَمَنْظَرُ حُسْنٍ حَارٍ فِيهِ التَّعَجُّبُ.

(١) يبدو أن اسم الم محبوب كان حسناً (كي يكون جناساً مع «حسن» في صدر البيت).

(٢) ابنة العمري (نسبة إلى عمرو بن حريث وإلى عمرو بن عوف، وهذا بطن من الأوس - والشاعر يكتفي بذلك عن محبوبة ما). الموضوع (الذي يسوق دابته بسرعة): الذي يريد السفر عاجلاً.

(٣) راع: أخاف. البين: البعاد، الفراق.

(٤) البادي = الباديء (الذي يبدأ أمراً فيعمله مرة واحدة؟). حظي: نال حظوة (حباً، مكانة، هدفاً). المعقب: الذي يطلب الأمر بمجد مرة بعد مرة.

(★★) عدى (٤). أكَفَ عَدَى الْأَجْفَانِ (المقصود: أَمْسَحَ دُمُوعِي، لكثرة بكائي).

(٥) أَنْصَبُ (أَكْثَرُ تَعَباً).

(٦) المشرعة: شريعة الماء (المكان الذي يشرب منه الناس). الكرّخ: الجانب الغربي من بغداد (غرب نهر دجلة).

(٧) ماء عيني: دمعي (أي أنا أبكي كثيراً).

قطعنا بأيّامِ القَطِيعَةِ دَهْرُنَا نُوالِي سَمَاعَ الْعِلْمِ فِيهَا وَنَكْتُبُ.
 سَلامٌ عَلَى بَغْدَادَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ؛ وَحَقُّ لَهَا مِنِّي السَّلامُ الْمُطَيَّبُ.
 فوالله، ما فارقْتُها عَنْ قَلِيٍّ لَهَا؛ وَكَيْفَ؟ وَلِي فِيهَا مَجَالٌ وَمَرْحَبٌ^(١)!
 وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ يَوْمًا إِلَى الْفَقِ بِمَا ظَلَّ يَهْوَاهُ، وَيَوْمًا تُنْكَبُ^(٢).
 فَيَا بَرَقُ، إِنَّ الْكَرْخَ هَمِّي وَهَمِّي؛ وَأَنْتَ إِلَيْهَا الْيَوْمَ أَدْنَى وَأَقْرَبُ.
 عَسَى فَيْكَ مِنْ مَاءِ الصَّرَاةِ صَبَابَةٌ تَبْلُ غَلِيلًا غَلَّ قَلِيٍّ فَيَذْهَبُ^(٣).

- وله يصف رحلته (الأولى) في البحر:

.... وَقد سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَعْظُمَ الْبَحْرُ بِرَوْلِهِ وَيُفَرِّقَنَا فِي هَوْلِهِ^(٤).
 فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ خُرُوجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْقَبْرِ. وَانْتَهَيْنَا، بَعْدَ خُطْبٍ^(٥) طَوِيلٍ، إِلَى
 بِيوتِ بَنِي كَعْبٍ بْنِ سُلَيْمٍ وَنَحْنُ مِنَ السَّغَبِ عَلَى عَطَبٍ^(٦) وَمِنَ الْعُرْيِ فِي أَقْبَحِ زِيٍّ -
 قَدْ قَذَفَ الْبَحْرُ زِقَاقَ زَيْتٍ مَزَقَتِ الْحِجَارَةُ مَنِيئَتَهَا^(٧) وَدَسَمَتِ الْأُدْهَانُ وَبَرَّهَا
 وَجَلَدَتْهَا^(٨). فَاحْتَرَمْنَاهَا إِزَارًا وَاشْتَمَلْنَاهَا لِفَافًا تَمَجَّنَا^(٩) الْأَبْصَارُ وَتَخَذَلْنَا
 الْأَنْصَارُ.....

٤-★★ المطمح ٦٢ - ٦٣؛ الصلة ٥٣٢؛ بغية الملتبس ٨٢ - ٨٣ (رقم ١٧٩)؛ الوافي
 بالوفيات ٣: ٣٣٠، وفیات الأعيان ٤: ٢٩٦ - ٢٩٧؛ الديباج ٢٨١؛ ابن قنفذ
 ٢٧٩؛ النباهي ١٠٥ - ١٠٧؛ شذرات الذهب ٤: ١٤١؛ نفع الطيب ٢: ٢٥ -

- (١) قلى: بغض، كره. مجال (سعة من العيش). مرحب (قوم يرحّبون بي، يحبّونني).
- (٢) ...يَوْمًا (تَأْتِي) لِلْفَقِي بِمَا يَهْوَاهُ (يَحِبُّهُ) وَيَوْمًا تُنْكَبُ (تَبْعُدُهُ، تَبْعُدُ بِهِ عَمَّا يَحِبُّ).
- (٣) الصرّاة: قناة في بغداد تصل دجلة بالفرات. صبابة: بقية. الغليل: شدة العطش. غلّ: دخل، تخلّل، توسّط (وصل إلى وسط قلبي).
- (٤) الزول (٢). الهول: الفزع، الأمر الشديد.
- (٥) الخطب: الأمر الشديد (يتخاطب - يتبادلون الرأي فيه - فلا يجدون منه مخرجاً).
- (٦) السغب: الجوع. المطب: الهلاك.
- (٧) الزق: وعاء من جلد. المنية: الجلد (أول عهده بالديغ).
- (٨) ودسّمت (جعلت فيها دسماً، دهنًا).....
- (٩) احتزمتها: ربطناها على أوساطنا مثل الحزام. الإزار: ما يلفّ على القسم الأدنى من الجسم. اشتمل الشيء: جعله شملة (حول جسمنا كلّهُ). تمجّنا: تلفطنا (تكره رؤيتنا) الأبصار.

٤٣، ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧؛ أزهار الرياض ٣: ٦٢ - ٦٥، ٨٦ - ٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٧، بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ٢٥٨؛ الأعلام للزركلي ١٠٦: ٧ (٦: ٢٣٠)؛ سركيس ١٧٤ - ١٧٥.

أبو بكر الحشني

هو أبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الحشني المعروف بابن أبي ركب (جمع رُكبة) من أهل جَبَّانَ، أَخَذَ الْقِرَاءَاتِ عَنْ ابْنِ النُّحَاسِ وَابْنِ شَفِيعٍ وَغَيْرِهِمَا، وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ (النحو) وَالْآدَابَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَابْنِ الْأَخْضَرِ وَابْنِ الْأَبْرَشِ كَمَا أَخَذَ عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سِرَاجٍ وَأَبِي عَلِيٍّ الصَّدَقِيِّ.

وَفِي أَوَاخِرِ عُمُرِهِ اسْتَوْطَنَ غَرْنَاطَةَ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلِقِرَاءَةِ وَوَلِيَ صَلَاةَ الْفَرِيضَةِ وَالْخُطْبَةِ فِي جَامِعِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٥٤٤ (صيف ١١٤٩ م).

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الْحَشْنِيُّ مِنْ كِبَارِ نُحَاةِ الْمَغْرِبِ (القاموس ١: ٧٦) وَمِنْ مَفَاخِرِهَا فِي الْفَنِّ وَالنَّحْوِ، لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: «شَرْحُ كِتَابِ سَيَبَوِيهِ». وَكَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ النَّظْمِ.

★ بغية المتتبعين ١٢١ (رقم ٢٨٣)؛ التكملة ١٨٨؛ معجم الأدباء ١٩: ٥٤ - ٥٥؛ معجم ابن الأبار ١٥٧ - ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٢ - ٢٣؛ بغية الوعاة ١٠٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٦ (٩٦).

ابن سلام المالقي

١ - هو أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهليّ الإشبيليّ المالقيّ، وُلِدَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ وَزَرَاءِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ.

وَسَكَنَ مَالِقَةَ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَلَبَ فِي نِصْفِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥٤٤ (١١٤٩/١١/١٩ م).

٢ - كَانَ ابْنُ سَلَامٍ الْمَالَقِيُّ أَدِيبًا كَاتِبًا وَشَاعِرًا رَقِيقًا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ بِضَعَةُ أَبْيَاتٍ

في الحكمة والغزل والنسيب وكتاب « الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن سلام المالقِي في الغزل:

لَمَّا ظَفِرْتُ بَلِيلَةَ مِنْ وَصْلِهِ - وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ (١) -
أَنْضَجْتُ وَرْدَةَ خَدِّهِ بَتَنَفْسِي وَطَفِقْتُ أَرْشِفُ مَاءَهَا مِنْ فِيهِ (٢).

- وقال في النسيب:

كَيْفَ لِي بِالسُّلُو عَنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مَوْضِعُ السُّؤْلِ وَالْمُنَى وَالْمُرَادِ (٣).
بَاعِدُونِي إِنْ شِئْتُمْ وَاهْجُرُونِي يَسْتَبِينَ قَدْرُ مَا لَكُمْ فِي فُؤَادِي (٤).
- وله في الحكمة:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ فُضَائِلُهُ، وَقَامَتْ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ دَلَائِلُهُ:
فَلَا تُنْكِرُ الْأَبْصَارُ مَا هُوَ فَاعِلُهُ، وَلَا تُنْكِرُ الْأَسْمَاعُ مَا هُوَ قَائِلُهُ.

٤ - الذخائر والأعلاق، القاهرة (مطبعة مصطفى وهي) ١٢٩٨ هـ.

★ * المغرب ١: ٤٣٤؛ الذيل والتكملة ٤: ٤٨ - ٥٥ (رقم ١٢٢)؛ نفح الطيب ٢: ٣٣٣،

٤: ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٤٠ - ٢٤١.

القاضي عياض

١ - هو أبو الفضل عياض بن موسى (٥) بن عياض (٦) بن عمرو (٧) بن موسى بن

(١) الوصل: لقاء المحبوب. الصبُّ: الحب. راجع، فوق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) ماء ورد خدّه (١).

(٣) السلو: النسيان، نسيان الحب. السؤل = السؤال: الطلب، المبتغى.

(٤) يستبين: يظهر (لكم). ما لكم في فؤادي (من الحب).

(٥) في سياقة هذا النسب شيء من الاختلاف.

(٦) ولد قبل ٣٩٧ هـ بمدة يسيرة (أزهار الرياض ١: ٢٨).

(٧) في عدد من المصادر «عمرو». ولكن الثابت عند المقرئ (أزهار الرياض ١: ٢٣، راجع ٢٥):

عمرون (توفي سنة ٣٩٧ هـ).

عياض بن عبد الله^(١) بن محمد^(٢) بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي^(٣)، أصله من الأندلس ثم إنهم أنتقلوا إلى المغرب مُتَنَقِّلِينَ. وأخيراً استقرّوا في سبتة. وُلِدَ عياضُ بنُ موسى اليحصبي في سبتة، في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦ (٢٨ / ١٢ / ١٠٨٣ م). وفي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ - ١١١٤ م) دخل الأندلس طلباً للعلم ودرس في قرطبة على نفرٍ كثيرين من المحدثين والفقهاء خاصة^(٤). تولى القضاء في سبتة مدةً طويلةً، ثم انتقل إلى قضاء غرناطة، سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م). بعدئذ عاد مدةً يسيرةً إلى قضاء سبتة.

وكان عياض قد دخل في طاعة المرابطين فأكرموه ورفعوا منزلته. فلما اضطربت أحوالهم، سنة ٥٤٣ هـ، ساءت حاله فخرج شريداً عن وطنه إلى مرّاكش حيث تُوفِّيَ وشيكا، في سابع جُمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١٣ / ١٠ / ١١٤٩ م).

٢- كان عياض بن موسى اليحصبي مُحَدِّثاً وفقياً كما كان عالماً باللغة والنحو وبأيام العرب وأنسابهم وأديباً. وكذلك كان أديباً خطيباً مُتَرَسِّلاً بليغاً وشاعراً مُكثِراً حَسَنَ الشعر رقيقاً. وهو مصنفٌ له تآليفٌ كثيرةٌ منها: الشفا في تعريف حقوق المُصْطَفَى (الرسول) - مشارق الأنوار إلى صحيح الآثار (في تفسير الألفاظ الغريبة في كتب الحديث الثلاثة: الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم، مع التنبيه على موضع الأوهام والتصحيحات في أسماء الرجال الواردة أسماؤهم في تلك الكتب الثلاثة) - كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة (في ضبط الألفاظ وتحرير المسائل) - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - بُغْيَةُ الرائد لما تَضَمَّنَتْه حديث أم زرعٍ من الفوائد - الإعلام بمجود قواعد الإسلام - الغُنيَّة (في شيوخه من فقهاء المغرب والأندلس) - كتاب العيون الستة في أخبار سبتة - غُنيَّة الكاتب وبُغْيَةُ الطالب في الصدور

(١) هنالك خلاف على وجود «محمد» في سلسلة هذا النسب وعلى وجود «عبد الله» بعد «محمد». (٢) اليحصبي يجب أن تكون بكسر الصاد عند المقرئ (أزهار الرياض ٢٧). وفضل بعضهم الضم. وأبعد الأقوال في ذلك «الفتح».

(٤) راجع أسماءهم في «الديباج»، ص ١٦٩، وأزهار الرياض ٣: ٦٦ - ٣٢٦.

والترسل - سرّ السراة في أدب القضاة - ديوان خطبه، الخ.

٣ - مختارات من آثار:

- للقاضي عياض من الوصف البارع:

انْظُرْ إِلَى الزَّرْعِ وَخَامَاتِهِ تَحْكِي - وَقَدَّمَا سَتَامَا الْريَّاحُ^(١) -
كَتَيْبَةً خَضَاءَ مَهْزُومَةٍ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيهَا جِرَاحُ!

- وقال في التشويق (من لزوم ما لا يلزم):

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أَرْكُمُ كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيْشُ الْجَنَاحَيْنِ.
فَلَوْ قَدَرْتُ رَكِبْتُ الْبَحْرَ نَحْوَكُمُ لِأَنَّ بُعْدَكُمْ عَنِّي جَنَى حَيْنِي^(٢)!

- وقال في التشويق (من لزوم ما لا يلزم أيضاً):

يَا مَنْ تَحَمَّلَ عَنِّي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ، لَكِنَّهُ لِلضُّنَى وَالسُّقْمِ أَوْصَى^(٣).
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَامَ الْقَلْبِ ذَا حُرْقِي أَخَا جَوَى وَتَبَارِيحٍ وَأَوْصَابِ^(٤).
أَرَاقِبُ النِّجْمَ فِي جِنْحِ الدُّجَى سَمَرًا كَأَنِّي رَاوِدٌ لِلنَّجْمِ أَوْ صَابِي^(٥)!

- وقال القاضي أبو الفضل عياض لما رَحَلَ عَنْ قُرْطُبَةَ (نفع الطيب ١ : ٥٤٤ -

: ٥٤٦)

(١) الخام من الزرع: أول ما ينبت منه، أو الضمة منه. ماس: غايل.

(٢) جنى: أغمر: سبب. الحين (يفتح الحاء): الموت.

(٣) تحمّل: ارتحل، بافر. غير مكترث: مهمّ، مبال. الضنى: المرض كلّما ظنّ المريض أنّه شفي منه انتكست حاله من جديد. السقم: المرض. للسقم أوصى بي: جعلني وديعة عند المرض (دام مرضي).

(٤) مستهام القلب: هائم القلب (كأنّه موسوس من شدة الحب). الجوى: شدة الحبّ حتّى كأنّ الحب فيه مرض. التبريح: التعذيب، شدة الأذى. الوصب: الألم، الوجع.

(٥) جنح (جانب من) الليل = يقصد الشاعر: في ظلام الليل، طوال الليل. السمر (يفتح الميم): حديث الليل؛ والشاعر يقصد سمرا (بسكون الميم): بلا نوم (سمر سمرا: لم يمْ). صابي = صابىء: عابد النجوم (الصابئة طائفة قديمة من عبدة النجوم، وهي غير الصابئين الوارد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والحجّ - ٢ : ٦٢، ٥ : ٧٢، ٢٢ : ١٧).

أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ أَرْحَالِي وَغَرَّدَتْ
وَقَدْ غَمِصَتْ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي،
لَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ يَسْتَحِثُّهَا
رَعَى اللَّهُ جِيرَانًا بِقُرْطُبَةِ الْعُلَا
وَحَيًّا زَمَانًا بَيْنَهُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ
أِخْوَانَنَا، بِاللَّهِ، فِيهَا تَذَكَّرُوا
غَدَوْتُ بِهِمْ مِنْ بَرِّهِمْ وَأَخْتَفَائِهِمْ
حُدَاتِي، وَزُمْتُ لِلْفِرَاقِ رَكَائِي^(١)،
وَصَارَتْ هَوَاءً مِنْ فُؤَادِي تَرَائِي^(٢)،
وَدَاعِي لِلْأَحْبَابِ لَا لِلْحَبَائِبِ^(٣)؛
وَجَادَ رَبُّهَا بِالْعَهَادِ السَّوَاكِبِ^(٤)،
طَلِيقَ الْحَيَّا مُسْتَلَانَ الْجَوَانِبِ^(٥)،
مَوَدَّةَ جَارٍ أَوْ مَوَدَّةَ صَاحِبٍ،
كَأَنِّي فِي أَهْلِي وَبَيْنَ أَقَارِي.

- كَتَبَ الْقَاضِي عِيَاضٌ إِلَى أَثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ رِسَالَةً مُثَقَّلَةً بِالصَّنَاعَةِ وَقَدْ مَلَأَهَا
بِأَسْمَاءِ النُّجُومِ (كُلَّ أَسْمٍ عَلَّمَ عَلَى نَجْمٍ أَوْ مَجْمُوعِ نَجُومٍ أَتْبَعْتُهُ بِهِذِهِ الْعَلَامَةَ: ★) -
مِنْ «الْخَرِيدَةِ» (الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ٣: ٤١٣ - ٤١٥) - وَقَدْ آخَرْتُ أَلَّا أَحُلَّ الْفَاطَةَ
هَذِهِ الْقِطْعَةَ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الاسْتِعَارَاتِ:

قَدْ وَقَفْتُ - أَعَزُّكُمْ اللَّهُ - عَلَى بَدَائِعِكُمَا الْغَرِيبَةِ وَمَنَازِعِكُمَا الْبَعِيدَةِ، وَرَأَيْتُ
تَرْقِيَكُمَا مِنَ الزَّهْرِ إِلَى الزَّهْرِ، وَتَنَقُّلَكُمَا إِلَى الدَّرَارِيِّ^(٦) بَعْدَ الدَّرِّ، فَأَبَحْتُمَا حِمِيَّ

(١) جَدَّ الرَّحِيلُ: اجْتَهَدَ الرَّاحِلُونَ بِالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ وَأَسْرَعُوا. غَرَّدَ: غَنَّى. الْحَادِي: الَّذِي يَسُوقُ الْقَافِلَةَ
وَيُغْنِي لِلْمَسَافِرِينَ كَيْلًا يَمْلَأُ مِنْ طُولِ السَّفَرِ وَمَشَقَّتِهِ. الرُّكُوبَةُ: الدَّابَّةُ الْمَعْدَّةُ لِلرُّكُوبِ. زُمْتُ (بِالْبِنَاءِ
لِلْمَجْهُولِ) رَكَائِي: أَخَذَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) بِزَمَانِهَا لِتَبْدَأَ سِيرَهَا. وَيَجُوزُ زُمْتُ (لِلْمَعْلُومِ) رَكَائِي: رَفَعْتُ
رَكَائِي رُؤُوسَهَا لِتَبْدَأَ السَّيْرَ.

(٢) غَمِصْتُ (بِالْفِعْلِ الْمَعْجَمَةِ وَالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ): كَثُرَ فِيهَا الْغَمِصُ أَوْ الرَّمْصُ: (الْقَذَى). فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١):
٤٤٦) وَفِي الْخَرِيدَةِ (الْمَغْرِبِ ٣: ٥٠٣) وَالْخَرِيدَةُ (الْأَنْدَلُسِ ٢: ٥٥٣) غَمِصْتُ بِالْفِعْلِ وَالصَّادِ
الْمَجْمُوعَيْنِ. وَقَدْ أَشَارَتْ الْخَرِيدَةُ (الْمَغْرِبِ ٣: ٥٠٣، الْحَاشِيَةُ ٥) أَنَّ الْكَلِمَةَ فِي «قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ» بِالْفِعْلِ
الْمَعْجَمَةِ وَالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ. رَاجِعْ «قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ» (ص ٢٥٧). التَّرَائِبُ: الْعُظَامُ فِي أَعْلَى الصَّدْرِ.
صَارَتْ هَوَاءً... (تَبَخَّرَتْ عُظَامُ صَدْرِي مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ قَلْبِي؟).

(٣) لَمْ يَبْقَ مِنَ الْوَقْتِ لِبَدْ السَّفَرِ غَيْرُ وَقْفَةٍ قَصِيرَةٍ يَسْتَحِثُّهَا (يَسْتَعْجِلُهَا: يَطْلُبُ تَقْصِيرَهَا)... الْأَحْبَابُ جَمْعُ
حَبِيبٍ، وَالْحَبَائِبُ جَمْعُ حَبِيبَةٍ.

(٤) الْعَهَادُ: الْمَطَرُ الْمَعْهُودُ (الَّذِي يَقُطُّ مُتَتَالِيًا).

(٥) طَلِيقَ (يَقْصِدُ: طَلَقَ، بِالْفَتْحِ) الْحَيَّا (الْوَجْهَ): مَسْرُورَ. اسْتَلَانَ الرَّجُلُ الْعَيْشَ: وَجَدَهُ لَيْثًا نَاعِمًا،
هَنِئًا. مُسْتَلَانَ (فِي الْقَلَائِدِ: مُسْتَلِينَ) (٢).

(٦) الزَّهْرُ (بِالضَّمِّ) وَالْدَّرَارِيُّ: النُّجُومُ.

النجومِ وَقَدَفْتُمَا مِنْ ثَوَابِ أَفْهَامِكُمَا بِالرُّجُومِ، وَتَرَكْتُمَا بَعْدَ الطَّلَاقِ ذَاتَ
وُجُومٍ^(١). فَحَلَلْتُمَا بَسِيطَهَا غَارَةَ شِعْوَاءَ^(٢) لَهَا عَوَتْ أَكْلَبُ الْعَوَاءِ * هُنَالِكَ أَقْتَرِسَتْ
الْفَوَارِسُ وَلَمْ تُغْنِ عَنِ السَّكِّ * الدَّاعِسُ (٣) وَغُودِرَتِ النَّثْرَةُ * نِثَاراً وَأُغْشِيَ
لِأَلَاؤِهَا نَقْعاً^(٤) مِثَاراً كَانَ لَكُمَا عِنْدَهَا ثَاراً. وَأُشْعِرَتِ الشُّعْرَيَانِ * دُغْرًا وَقَطَعَتْ
إِحْدَاهُمَا أَوَاصِرَ الْآخَرَى. فَأَخَذَتْ بِالْحَزَمِ مِنْهَا الْعَبُورُ * وَبَدَرَتْ خَيْلَكُمَا وَسَيْلَكُمَا^(٥)
بِالْعُبُورِ. وَحَذَرَتِ اللَّحَاقَ عَنْ أَنْ تَعُوقَ عَنْ مُنْحَنِ الْعَيُوقِ * فَخَلَفَتْ أُخْتَهَا تَنْدُبُ
الْوَفَاءِ وَتَجْهَدُ جُهْدَهَا فِي الْإِخْتِفَاءِ. وَكَانَ الثَّرِيًّا * حِينَ تُرْتَمُ بِقَطِينِهَا^(٦) اتَّقَتَكُمْ
بِيَمِينِهَا، فَجَذَبْتُمْ بَنَانَهَا وَبَذَلْتُمْ لِلخَضِيبِ * أَمَانَهَا^(٧) فَعِنْدَهَا أَسْتَسْهَلَ سُهَيْلٌ *
الْفِرَارَ فَأَبْعَدَ بِيَمِينِهِ الْقَرَارَ. وَوَلَّى الدَّبْرَانِ * إِثْرَهُ مُدْبِرًا.

- وَلِلْقَاضِي عِيَاضٍ أَيْضاً خُطْبَةٌ جَمَعَ فِيهَا سَوْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَسَيَكُونُ أَسْمُ
كُلِّ سُورَةٍ مُتَبَوِّعاً بِنَجْمٍ * (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٧: ٣٣٣ - ٣٣٤):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ * كَلَامَهُ وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ * أَحْكَامَهُ، وَمَدَّ فِي
آلِ عِمْرَانَ * وَالنِّسَاءِ * مَائِدَةَ * الْأَنْعَامِ * لَيْتَمَ إِنْعَامُهُ. وَجَعَلَ فِي الْأَعْرَافِ *
أَنْفَالَ * تَوْبَةَ * يُوسَى * وَ«أَلَرَ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ»^(٧) * مُجَاوِرَةَ يُوسُفَ *
الصِّدِّيقِ فِي دَارِ الْكِرَامَةِ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ * بِحَمْدِهِ، وَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
إِبْرَاهِيمَ * لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحَجَرِ * أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ * وَلَا مَلْجَأَ

-
- (١) الرجم (بضمّ فضمّ) والرجوم (حجارة تتساقط من السماء - تكون دائرة في أفلاك لها حول الكواكب
ثم تغلت من مداراتها فتسقط إلى الأرض بسبب جذب الأرض لها). الوجوم: السكوت.
- (٢) حلّ: نزل. البسيط: الأرض المستوية. الشعواء: المنتشرة. فحلّتم بسيطها غارة... (٣): ملأتم الأرض
بالحرب
- (٣) النقع: غبار الحرب.
- (٤) بدرت خيلكما وسيلكما..... (٥): سبقت. الشعريان: أختان عبرت أحداهما إلى الجانب الآخر من
السماء، فبكت الثانية حتى عصمت.
- (٥) القطين: الساكن معك في بيت واحد.
- (٦) الكفّ الخضيب: نجم.
- (٧) «أَلَرَ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» بدء سورة هود (السورة الحادية عشرة في المصحف).

إِلَّا إِلَيْهِ لَا يُظْلَمُونَ قَلَامَةً^(١).

- ٤ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول)، استانبول ١٢٦٤ هـ الخ، الهند ١٢٧٦ هـ الخ، القاهرة ١٢٩٥ هـ الخ فاس ١٣٠٥ هـ الخ. هـ ١٣٢٩.
- مشارق الأنوار، فاس ١٣٢٨، ١٣٣٣ هـ، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
- الألامع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، الهند بلا تاريخ.
- المدارك (حققه أحد بكير محمود).

★★ أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين المقرئ التلمساني (ضبطه... مصطفى السقا وإبراهيم الإياري وعبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ = ١٩٣٩ - ١٩٤٢ م.

قلائد العقيان ٢٥٥ - ٢٥٨؛ بغية الملتبس ٤٢٥ (رقم ١٢٦٩)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٤١٣: ٣ - ٤١٤، ٥٠١ - ٥٠٥؛ الخريدة (الأندلس) ٥٥٠: ٢ - ٥٥٥؛ إنباه الرواة ٣٦٣: ٢ - ٣٦٤؛ معجم ابن الأبار ٢٩٤ - ٢٩٨؛ وفيات الأعيان ٤٨٣: ٣ - ٤٨٥؛ ابن قنفذ ٢٨٠؛ النباهي ١٠١؛ الديباج المذهب ١٦٨ - ١٧٣؛ شذرات الذهب ١٣٨: ٤ - ١٣٩؛ نفح الطيب ٥٤٤ - ٥٤٥، ٤٠٨: ٥ - ٤٠٩، ٣٣٣: ٧ - ٣٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ٢٨٧، ١٨: ٤٥٠ (تحقيق الاسم والنسبة)؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٥٦٦: ٢ - ٥٦٧، (الطبعة الثانية) ٢٨٩: ٤ - ٢٩٠؛ بروكلمن ٤٥٥: ١ - ٤٥٦، الملحق ١: ٦٣٠ - ٦٣٢؛ الأعلام للزركلي ٢٨٢: ٥ (٩٩)؛ بالنشيا ٢٨٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، سركيس ١٣٩٧ - ١٣٩٨.

أبو بكر الأبيض

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد الأبيض^(٢) أصله من قرية همدان^(٣) وتأدب في إشبيلية وقرطبة (المغرب ٢: ١٢٧). وكان أبو بكر الأبيض قد ولع بهجاء الزبير بن عُمَرَ المُلثَم^(٤) أمير قرطبة من قَبْلِ المرابطين فقتله الزبير سنة ٥٤٤ هـ (وفيات

(١) القلام: ما يقطع عادة من الظفر (شيء قليل جداً).

(٢) وقيل: أحمد بن محمد (زاد المسافر ١٠٨، نفح الطيب ٣: ٤٦١). وقيل أيضاً: ابن الأبيض (جيش التوشيح ٤٦).

(٣) لملها جنوب غرناطة (إذ هي من مملكة إلبيرة).

(٤) المُلثَم من المُلثمين (المرابطين، الطوارق اليوم) لأنّ رجالهم كانوا يضعون لثاماً على وجوههم.

٢- أبو بكر الأبيض من الموشحين المطبوعين (مقدمة ابن خلدون ١١٤٠)، وهو شاعرٌ مشهورٌ ووشاحٌ حسنُ التصرفِ هجاء (المغرب ٢: ١٢٧) اخترعَ ووَلَدَ ونَظَمَ شعره وتوشيحَه في قالبِ الإعجازِ مُتَصَرِّفاً فيه بالحقيقةِ والمجاز (جيش التوشيح، ص ٤٦).

وشعره القصيدُ على عمودِ الشعرِ متينٌ فخمٌ. أمّا موشحاته ففيها لينٌ - حتى حيناً تُقاسُ بأشباهاها من الموشحات الأندلسية - ولعله لا يستحقُّ المكانة التي يحتلُّها في أقوالِ النقاد إذا نحنُ حكمنا على موشحاته التي وصلت إلينا^(١).

وفنونُ أبي بكرِ الأبيض - في قصيده وموشحه - المدحُ والهجاء والغزل والمجون وشيءٌ من الوصف. وهجاؤه كثيرٌ مُقَدِّعٌ. وقد هاجى ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرِ الأبيضُ في الفقهاء المرائين^(٢):

أهلَ الرياء، لَيْسَتْ ناموسكم كالذئب يُدْلِجُ في الظلامِ العاتم^(٣)؛
فَمَلَكْتُمُ الدنيا بمذهبِ مالكٍ، وقسَمْتُ الأموالَ بأينِ القاسم^(٤)،

(١) نسب إليه ابن خلدون (المقدمة ١١٤٠ - ١١٤١) الموشحة المشهورة « ما لذ لي شرب راح » (هي ليست له في الأصل).

(٢) تروى أيضاً لأبنِ البَنِي (راجع نفع الطيب ٣: ٤٤٨، الحاشية ٢).

(٣) الناموس: القانون أو الشريعة (تظاهروا باتباع الشريعة في أموركم). والقرينة هنا تدلُّ على أن الناموس ثوب أسود (٢).

(٤) الإمام مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وصاحب المذهب المالكي الذي يعمل به جميع أهل الأندلس والمغرب (استفلمت الدين في سبيل جرّ منافع الدنيا إليكم). ابن القاسم هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد فقيه مالكيّ صاحب مالِك بن أنس عشرين سنة وجمع بين العلم والزهد (ت ١٩١ هـ، في مصر). وهو صاحب المدونة (كتاب الفقه المعتمد في المغرب والأندلس) في رأي أتباع مالك، وعن ابن القاسم رواها سحنون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه أهل المغرب. قسمت الأموال: اقتسمتموها احتزموها لأنفسكم).

وَرَكِبْتُمْ شُهَبَ الْبِغَالِ بِأَشْهَبٍ، وَبَأَصْبَغٍ صُيِّغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(١).

- وقال يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نِدَاءُ شَيْخٍ أَفَادَكَ مِنْ نَصَائِحِهِ اللَّطِيفَةِ^(٢)،
تَحَفَّظُ أَنْ يَكُونَ الْجَذْعُ يَوْمًا سَرِيرًا مِنْ أَسْرَتِكَ الْمُنِيفَةِ^(٣).
أَفَكَّرُ فِيكَ مَطْوِيًّا فَأَبْكِي، وَتُضْحِكُنِي أَمَانِيكَ السَّخِيفَةِ^(٤).
- وقال يهجو الزبير أمير قرطبة:

عَكَفَ الزُّبَيْرُ عَلَى الضَّلَالَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ الْمَشْهُورُ كَلَبُ النَّارِ^(٥).
مَا زَالَ يَأْخُذُ سَجْدَةً فِي سَجْدَةٍ^(٦) بَيْنَ الْكُؤُوسِ وَنَفْعَةِ الْأَوْتَارِ.
فَإِذَا أَعْتَرَاهُ السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صَوْتُ الْقِيَانِ وَرَنَةُ الْمَزْمَارِ^(٧)!

- ومن أحسن شعره قوله في مولود (المغرب ٢: ١٢٧):

يَا خَيْرَ مَعْنٍ وَأَوْلَاهَا بَعَارِفَةٍ، اللَّهُ نَعْمَاءُ عَنْهَا الدَّهْرُ قَدْ نَعَصَا^(٨)،

- (١) ركبتم البغال الشهباء (البيضاء) كناية عن المكانة الاجتماعية الرفيعة وعن الثروة. أشهب بن عبد العزيز القيسي فقيه الديار المصرية على مذهب مالك (١٤٥ - ٢٠٤ هـ). أصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥ هـ) من كبار الفقهاء المالكية في مصر. وكان أعلم الخلق برأي مالك (القاموس المحيط ٣: ١٠٩). صبغت (شهرتكم، مكانتكم: حسنت) أو نلتم محاسن الدنيا.
- (٢) أمير المؤمنين (نداء على التهكم، لأن الرجل يدعي أنه سينال الخلافة). في نفح الطيب ٣: ٤٩٠ «من أماليه».
- (٣) تحفظ: احترس، احذر. الجذع: جذع شجرة أو قطعة من خشب يعلق عليها المصلوب. سرير: عرش أو مجلس وثير. منيف عال. (في «عال» تورية بين العالي (المرتفع في الجو) والعالي (المرتفع في المكانة).
- (٤) في نفح الطيب: وأذكر منك مصلوباً فأبكي.
- (٥) هو الزبير بن عمر الملقب (المرابطي) أمير قرطبة (راجع نفح الطيب ١: ٤٧١، ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).
- (٦) يداخل بين السجدة (يخطيء في صلاته) لأنه لا يفيق من السكر ولا يبي من كثرة الغناء والعزف عنده.
- (٧) إذا نسي الإمام في الصلاة حركة أو ركعة نبهه المصلون وراءه بقولهم: سبحان الله. أما الزبير هذا فإنه يخطيء كثيراً، ولكن بدلاً من أن يقال له: «سبحان الله»، يسمع وراءه غناء المغنيات وأصوات المزمار (ولذلك لا ينتبه إلى ما ينسأ من صلاته).
- (٨) معن: بنو معن (لعلهم آل صُباح - بضم الصاد - وهم أمراء المريّة في الأندلس). وأولاهما أولى قبيلة بني معن. العارفة: المعروف (فعل الخير). - أنتم في نعمة نعت (نأتم) عنها الدهر (نسيها) فدامت فيكم.

لِيُهْنِكَ الْفَارِسُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ؛ اللَّهُ أَنْتَ، لَقَدْ أَذْكَيْتَهُ قَبْسًا^(١).
أَصَاخَتِ الْخَيْلُ أَذَانًا لِمَصْرَخَتِهِ، وَارْتَاعَ كُلُّ هَزْبٍ حِينًا عَطَسًا^(٢).
تَعَلَّمَ الرِّكْضَ أَيَّامَ الْمَخَاضِ بِهِ فَمَا امْتَطَى الْخَيْلَ إِلَّا وَهُوَ قَدْ فَرَسًا^(٣).
تَعَشَّقَ الدِّرْعَ مُذْ شُدَّتْ لِفَائِفُهُ، وَأَنْكَرَ الْمَهْدَ لَمَّا أَبْصَرَ الْفَرَسَا^(٤).
بَشَّرَ قِبَائِلَ مَعْنٍ أَنَّ سَيِّدَهَا قَدْ أَثْمَرَ الْمَلِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي غَرَسَا^(٥).

- لَمَّا وَلَعَ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ بِهِجَاءَ الزُّبَيْرِ بْنِ عُمَرَ أَمَرَ الزُّبَيْرُ بِإِحْضَارِهِ فَفَرَّعَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ: (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٤٩٠):

« إِنِّي لَمْ أَرْ أَحَقَّ بِالْهَجْوِ مِنْكَ. وَلَوْ عَلِمْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَازِي لَهَجَوْتُ نَفْسَكَ إِنْصَافًا وَلَمْ تَكِلْهَا إِلَى أَحَدٍ! »

فَلَمَّا سَمِعَ الزُّبَيْرُ ذَلِكَ مِنْهُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

سَفَكَ الْمَسِيحُ سُلَافَهَا وَاخْتَارَهَا وَدَعَا لَهَا حَوْلًا بَيِّنَتِ الْمَقْدِسِ^(٦).
فَإِذَا بَدَا لِأَلَاؤِهَا سَجَدُوا لَهُ مُتَطَوِّفِينَ بِهَا وَلَمَّا تُلَمَسَ^(٧)،
يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّ عَيْسَى كَامِنٌ مُتَنَفِّسٌ فِي رَوْحِهَا الْمُتَنَفِّسِ.
مِنْ هَذِهِ فَلْتَسْقِنِي، وَدَعِ الْتِي تَنْغَلَّ فِي جِلْبَابِهَا الْمُتَدَنِّسِ^(٨)!

(١) أَذْكَيْتَهُ قَبْسًا: أَوْقَدْتَهُ فَكَانَ مَشْعَالًا شَدِيدَ الضَّوءِ.

(٢) أَصَاخ: مَدَّ أُذُنَهُ وَمَالَ بَرَأْسَهُ لِيَسْمَعَ جَيِّدًا. لِمَصْرَخَتِهِ (لِمَصْرَخَتِهِ الْأُولَى يَوْمَ وَلَدِ). ارْتَاع: خَافَ. الْهَزْبُ: الْأَسَدُ. عَطَسَ (عَطَسَ عَقِبَ الْوِلَادَةِ). - كَانَ مَهُوبًا (يَخَافُ النَّاسَ مِنْهُ) مِنْذُ وَلَادَتِهِ.

(٣) الرِّكْضُ: السِّبَاقُ، الْهَجُومُ فِي الْحَرْبِ. الْمَخَاضُ: آلامُ الْوِلَادَةِ عِنْدَ الْمَرْأَةِ. - مَا بَلَغَ مِنَ السَّنِّ مَا يَبْدَأُ بِهِ النَّاسُ أَنْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ حَتَّى كَانَ قَدْ فَرَسَ (أَصْبَحَ مِنَ الْفَرَسَانِ الشَّجْعَانِ).

(٤) الْفَائِفُ: الْأَقْمِطَةُ الَّتِي يَلْفُ بِهَا الْوَلِيدُ. - حِينًا كَانَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ أَبْصَرَ حِصَانًا، فَأَصْبَحَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ يَكْرَهُ الْبَقَاءَ فِي الْمَهْدِ رَغْبَةً فِي رُكُوبِ الْخَيْلِ.

(٥) إِنَّ رَئِيسَ قَبِيلَةٍ مَعْنٍ قَدْ غَرَسَ مَجْدًا (الطِّفْلُ الَّذِي أُنْجِبَهُ) فَكَانَ ثَمَرُهُ ذَلِكَ مُلْكًا (دَائِمًا)!

(٦) لَمْ تَكِلْهَا (لَمْ تَعْمِدْ بِهَا) إِلَى أَحَدٍ.

(٧) السُّلَافُ: أَفْضَلُ الْخَمْرِ وَأَخْلَصُهَا (أَكْثَرُهَا صَفَاءً). دَعَا لَهَا (صَلَّى عَلَيْهَا) حَوْلًا (عَامًّا).

(٨) وَلَمَّا تُلَمَسَ: قَبْلَ أَنْ يَمْسَ أَحَدٌ (قَبْلَ أَنْ يَبْدُؤَا بِشَرْيَا).

(٩) انْغَلَّ فِي الثَّوْبِ: دَخَلَ فِيهِ. الْجِلْبَابُ: الرِّدَاءُ الْوَاسِعُ. الْمُتَدَنِّسُ: الْمُلَوَّنُ.

- من موشحات أبي بكر الأبيض (جيش التوشيح ٥٤) :
من سقى عَيْنَيْكَ كأسَ المُدَامِ ؟ يا مُنى المُسْتَهَامِ^(١)

★ ★ ★

رَشَاءُ أَسْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
رَقٌّ لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَازِمِ.
عَجَبًا مِنْ دَمْعِهِ وَهُوَ بِاسْمِ
خَنْتٍ يَمْزُجُ تَحْتَ اللَّثَامِ عَبْرَةً بَابْتِسَامِ^(٢).

★ ★ ★

قَلْبَ دُنْيَايَ تَسْقَى رَوْيَدُ
تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْدُ.
فَأَنَا أَرْبَعُ فِي خَيْرِ قَيْدَا
بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جِسَامِ أَخَوَاتِ الْقِمَامِ^(٣).

★ ★ ★

بِائِنُ الْغَوْرِ بَعِيدُ الْمَسَافَةِ.
قَدْ كَفَى قُرْطُبَةً كَسَلٌ آفَةٌ.
كَمْ يَبْدِ أَوْلَيْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ.
طَوَّقْتُ جِيدَكَ طَوَّقَ الْحَمَامِ فِي حُجْلِ الْكِرَامِ^(٤).

★ ★ ★

(١) المستهام: الهائم (الذي حيرته الحب).

(٢) الرشأ: الغزال الصغير. الحيزوم: الصدر أو وسطه. والموت بين الحيازيم: قاربت الروح أن تخرج من الجسم. الخنث (هنا): اللين الجسم، والذي يفعل فعل الخنث من لين الكلام.

(٣) قلب دنياي تسقى (٤) رويد (على مهل). أربع: أرتع، أسرح في الربيع. في خير قيد (تقيدي به) (انقطاعي إليه وحده) خير كبير لي. أخوات الغمام (السحاب) كثيرة كريمة.

(٤) بائن (بعيد، عميق) الغور (القعر)... لا يدرك أحد دهائه ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل =

بِكَ، يَا مُشْرِفُ، صَحَّ الْيَقِينُ
 أَنْتَ صَبَحَ الْمَشْكَاةَ الْمَبِينُ.
 أَيُّ نَضْلٍ سَلَّاهُ مَا.....
 مَلِكٌ شَرَّفَهُ فِي الْأَنْبَامِ حَمْلٌ ذَاكَ الْحَمَامِ.

★ ★ ★

شُرِّفَ الْمَلِكُ بِهِ حِينَ حَاطَهُ
 فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
 إِذْ تَوَخَّى بِسَوَاهَا ارْتِبَاطَهُ.
 كُلَّ يَوْمٍ أَقْرَيْكَ، يَا حَبِيبُ، سَلَامٌ؛ وَنَسِيتَ أَنْتَ ذِمَامٌ^(١).

★★-٤ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٣: ٥٨٠ - ٥٨١ الخريدة
 (الأندلس) ٢: ١٦٠، ٦٧٠؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٧؛ المغرب ٢: ١٢٧ - ١٢٨؛
 المطرب ٧٦؛ زاد المسافر ١٠٨ - ١١٣؛ جيش التوشيح ٤٦ - ٥٨، راجع
 ٢٣٤ - ٢٤٠؛ مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤ - ٥٨٥ (١١٤٠ - ١١٤١)؛ نفح الطيب
 ٣: ٢٨٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٨٩، ٧: ٧؛ نيكل ٢٤٥ - ٢٤٧؛ مختارات
 نيكل ٢١٩.

جعفر بن محمد الشنتمري

١ - هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري^(٢) من
 أهل شنت مريّة الغرب (فارو، البرتغال اليوم)، وُلِدَ فيها ونشأ وأقرأ النحو فيها منذ

= إليه هو. كم يد...: كم فضل لك على دار الخلافة (العاصمة) في حفظ الملك على أهله. لعدد من أنواع
 الحمام طوق (ريش مخالف لريش سائر الجسم يحيط بالعنق). الفضل ظاهر فيك ثابت (كشبات طوق
 الحمام). في (من) حلى الكرام: يدلّ على أصلك الكريم أو عملك الكريم.

(١) حاطه: (حاه من الأخطار) فشدت (تفتّت = افتخرت) وجداً به (جأله). إذ توخّى (أراد) بسواها
 ارتباطه (الانتقال إلى بلد آخر) (٩). أقريك = أقرئك. الذمام: العهد (الحبة التي بيننا).

(٢) هو حفيد الأعم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ).

صِبَاهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ^(١). ويبدو أنه تَطَوَّفَ بِالْأَنْدَلُسِ قَلِيلًا وَمَدَحَ سُلْطَانَ الْمُرَابِطِينَ عَلِيَّ بْنَ يُونُسَ بْنِ تَاشْفِينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وقد تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَلَدِهِ شَنْتَ مَرِيَّةَ. ويبدو أنه تَوَلَّى الْوِزَارَةَ أَيْضًا. وعَاشَ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاتِهِ مُنْغَمِسًا فِي مَلَاذِهِ مِنَ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَابَ وَرَزَهَدَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٥٤٧ (١١٥٢ - ١١٥٣ م).

٢ - كان جعفر بن محمد الشنتمري فقيهاً وبارعاً في النحو، كما كان أديباً ناثراً وشاعراً. وفي نثره تكلُّفٌ ظاهرٌ للغريب وللصناعة. وفي بعض شعره إجادَةٌ وإحسانٌ. ومن فنونه: الوصفُ والخمر والغزل والزهد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال جعفر بن محمد الشنتمري يَصِفُ قَرَسًا وَسَرَجًا:

انْظُرْ إِلَيْهِ (إِلَى الْفَرَسِ) سَلِمَ الْأَدِيمِ كَرِيمِ الْقَدِيمِ كَأَنَّمَا نَشَأَ بَيْنَ الْغَبَرَاءِ وَالْيَحْمُومِ^(٢): نَجْمٌ إِذَا بَدَأَ وَوَهْمٌ إِذَا عَدَا^(٣)، يَسْتَقْبِلُ بَغْزَالٍ وَيَسْتَدِيرُ بَرَالٍ وَيَتَحَلَّى بِشِيَاتِ تَقْسِيَمَاتِ الْجَمَالِ^(٤).... (وَفِي السَّرَجِ): بَرْزَةٌ جِيَادٍ وَمَرْكَبُ أَجْوَادٍ^(٥): جَمِيلُ الظَّاهِرِ رَحِيبٌ مَا بَيْنَ الْقَادِمَةِ وَالْآخِرِ^(٦)، كَأَنَّمَا قُدَّ مِنَ الْحُدُودِ أَدِيمُهُ وَاخْتَصَّ بِإِنْتِقَانِ

(١) التحي الشاب: ظهرت لحيته.

(٢) الغبراء فرس (مؤنثة) لقيس بن زهير المبيسي، وهي (أي الغبراء) خالة داحس (فرس مذكر). وبسبب داحس والغبراء ثارت الحرب المشهورة باسمها في الجاهلية. واليحموم فرس مذكر كان للنعمان بن المنذر وكان (أي اليحموم) من نسل الحرون (راجع القاموس ٤: ١٠١، ٢١٣ وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٩١). كَأَنَّمَا نَشَأَ بَيْنَ الْخِ: كَأَنَّمَا أُمَّهُ الْغَبْرَاءُ وَأَبَاهُ الْيَحْمُومُ.

(٣) وهم (خيال) إِذَا عَدَا (ركض): سريع جدًا.

(٤) يستقبل بغزال (أي: رأسه وعنقه كرأس الغزال وعنق الغزال). ويستدير برال (أي: مؤخرته تشبه الرال) الرال: فرخ النعام. - والصورة لم تتضح (بكسر الضاد) لي. الشية: الصفة. تقسيات (أقسام، أوجه).

(٥) بَرْزَةٌ (ثوب) جِيَادٍ (جمع جواد: حصان أصيل) وَمَرْكَبُ أَجْوَادٍ (جمع جواد: كريم، يعطي من ماله).

(٦) رَحِيبٌ (واسع) الْقَادِمَةُ (الجبهة، الرأس، الخ) وَالْآخِرُ (أي طويل الجسم): سرج واسع.

- وله في النسيب وفي الغزل:

★★ كَتَبْتُ وَلَا عَجُ الْبُرْحَاءُ يُمْلِي، ونَارُ الشَّوْقِ تَسْتَمْرِي الدُّمُوعَا^(٢).
ولو نفسي أَطَاوِعُهَا لَقَضَّصْتُ إِلَيْكُمْ، يَا أَحِبَّتِي، الضُّلُوعَا^(٣)!
★★ قَالَتْ- وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتِمُهَا، وَالْخَرْصُ لَا يَلُوي عَلَى الدَّهْشِ-^(٤)
أَفْضَحْتُ نَفْسَكَ. قُلْتُ: وَاحْرَبَا! أَمُوتُ فِي غَرْقِي مِنَ الْعَطَشِ^(٥)؟

- وقال لما تاب وزهد (وقد شارف الكهولة):

أَمَّا أَنَا فَيَقْدِرُ أَرْعَوَيْتُ عَنِ الصِّبَا وَعَظَضْتُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيَّ بَنَانِي^(٦).
قَاطَعْتُ نَصَاحِي، وَرَبَّ نَصِيحَةٍ جَاءُوا بِهَا فَلَجَجْتُ فِي الْعِصْيَانِ.
أَيَّامَ أَسْحَبُ مِنْ ذُبُولِ شَبِيبَتِي مَرَحًا، وَأَعَثِرُ فِي فُضُولِ عِنَانِي^(٧)؛
وَأَجِلُّ كَأَسِي أَنْ تُرَى مَوْضُوعَةً، فَعَلَى يَدِي أَوْ فِي يَدَيَّ نَذْمَانِي^(٨).
أَيَّامَ أَحْيَا بِالْفَوَانِي وَالْغِنَا وَأَمُوتُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ،
فِي فِتْنَةٍ فَرَضُوا اتِّصَالَ هَوَاهُمْ، فَمُنَاهُمْ دَنْ مِنَ الْأَدْنَانِ^(٩).

(١) كأنها قد (قطع) من الحدود أدبمه (جلده): أي ناعم الجلد (كأن الجلد الذي صنع منه بشرة خدود لنعمته). الحبك (النسج، الجدل) تقويمه (مثاله): أي جيل الصورة.

(٢) البرحاء: الشدة (شدة حرارة الحُمى) - اللاعج: الهوى المحرق. استمرى: استحلب (جمل الحليب يجري من ضرع الناقة، الخ).

(٣) قض فلان الشيء: دقه وكسره.

(٤) الخرص (بالكسر): الحلقة (بفتح فسكون) توضع في الأذن. الدهش: الحيرة وتشتت الفكر. يلوي من الدهش (يجوز هنا في «يلوي» أن تكون على صيغة فعل وعلى صيغة أفعال): الخرص (الذي هو جاد) لا يلوي (لا يميل، لا يتحرك، لا يلتفت) من الدهش (لكثرة قبلاتنا وشذتها).

(٥) أُمُوتُ في غرق من العطش (أأرى مجالاً واسعاً أمامي للتقبيل، ثم لا أقبل حببي؟).

(٦) ارعويت (رجعت، تركت) عن الصبا (أفعال الشباب). عضضت الخ: ندمت.

(٧) حينما كنت أتمتع بكل ما أستطيع بشبابي. وأعثر في فضول (ذبول، زيادة) عِنَانِي (رسمي): كنت لا أبالي ما أفعل ثم أخطئ وأعاقب بنتائج خطأي.

(٨) أجل: أرفع قدر كَأَسِي. الندمان (بالفتح) الندم، وقد تكون للجمع (القاموس ٤: ١٨٠).

(٩) الدن: الخابية (للخمر).

هَزَّتْ عَلَاهُمْ أَرْحِيَّاتُ الصِّبَا، فَهِيَ النِّسِيمُ وَهُمْ غُصُونُ الْبَانِ،
 مِنْ كُلِّ مَخْلُوعٍ الْأَعْنَةِ لَمْ يُبَلِّ فِي غِيهِ بِمَصَارِفِ الْأَزْمَانِ^(١).

٤-★★ المغرب ١: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ نفح
 الطيب ٤: ٣١ - ٣٥، ٧٣ - ٧٥، ٨٦.

ابن يَنْقُ الشاطبي

١- هو أبو عامرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيفَةَ الشاطبيُّ المعروفُ بابنِ يَنْقَ (من
 الإسبانية إنييقي من اللاتينية أنيقوس)^{*}، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م).

أَخَذَ ابْنُ يَنْقَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الصَّدَقِيِّ وَرَحَلَ إِلَى قُرْطَبَةَ وَسَمِعَ مِنْ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ
 سِرَاجٍ. وَكَذَلِكَ لَازَمَ أَبَا الْعَلَاءِ زُهْرَ بْنَ زُهْرٍ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئاً مِنَ الطَّبِّ.
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٥٤٧ هـ (١١٥٣ م).

٢- كَانَ ابْنُ يَنْقَ الشاطبيُّ بَارِعاً فِي عِدَدٍ مِنَ الْعُلُومِ مُؤَرِّخاً أَدِيباً نَاصِراً وَشَاعِراً.
 ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ: كِتَابُ الْحِمَاسَةِ (كَبِيرٌ) - مَلُوكُ الْأَنْدَلُسِ وَالْأَعْيَانِ وَالشُعَرَاءِ فِيهَا -
 مَجْمُوعَةٌ خُطِبَ (عَارِضٌ فِيهَا ابْنُ نُبَاتَةَ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ ابْنُ يَنْقَ الشاطبيُّ فِي الْغَزَلِ:

وَمَا ظَبِيَّةٌ أَدْمَاءُ تَأْلَفُ وَجَرَةً تَرُودُ ظِلَالَ الضَّالِّ أَوْ أَثْلَاتِهَا^(٢)
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ أُوْمَتَ بَلَحْظِهَا إَلَيْنَا وَلَمْ تَنْطِقْ حَذَارَ وَشَاتِهَا^(٣)

(١) مَخْلُوعُ الْعَنَانِ: مُسْتَهْتَرٌ. لَمْ يُبَلِّ (لَمْ يُبَالِ): لَمْ يَهْتَمْ. مَصَارِفُ الْأَزْمَانِ (تَقَلَّبَ أَحْوَالُ الزَّمَانِ).

★ رَاجِعْ نِيكَل ٢٤٥.

(٢) أَدْمَاءُ: سَمَاءُ اللَّوْنِ. وَجَرَةٌ: اسْمُ مَكَانٍ مَشْهُورٍ بِالظُّبَاءِ. تَرُودُ (تَتَجَوَّلُ). الضَّالُّ وَالْأَثْلُ: نَوْعَانِ مِنَ الشَّجَرِ.

(٣) أُوْمَتَ = أُوْمَاتُ: أَثَارَتُ. حَذَارَ (خَوْفَ).

- وقال قصيدة في المديح مَطلَعُها في الشكوى من الزمان ومُداراة الحياة:

حَسْبِي مِنَ الدَّهْرِ أَنَّ الدَّهْرَ يَنْتَجِي لِي بِكَرِّ الْخُطُوبِ وَأَنْتِي عَائِثُ الْأَمَلِ^(١).
دَعْنِي أَصَادِ زَمَانِي فِي تَقْلُبِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ بَظْلًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ^(٢)؟
وَكَلَّمَا رَاحَ جَهْمًا رُخْتُ مُبْتَسِمًا كَالْبَدْرِ يَزْدَادُ إِشْرَاقًا مَعَ الطِّفْلِ^(٣)!
أَغْرُ إِن تَدْعُهُ يَوْمًا لِنَائِبَةٍ جَلَّى، وَلَا يَكْشِفُ الْجَلَّى سِوَى جَلَلِ^(٤).
قَدْ أَوْسَعَ الْأَرْضَ عَدَلًا وَالْبِلَادَ نَدَى،

فَالرَّوْضُ طَلَقَ الرَّبَى وَالشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ^(٥).

يَرعى المالكُ من قَرَبٍ ومن بُعْدٍ وَيَأْخُذُ الْأَمْرَيْنِ الرَّيْثَ وَالْعَجَلَ^(٦).
دَغَّ عَنْكَ مَا أَحْرَزْتَ يُونَانَ مِنْ حِكْمٍ وَسَارَ مِنْ حِكْمَاءِ الْفُرسِ مِنْ مِثْلِ
وَانْظُرْ إِلَيْهَا تَجِدُهَا أَحْرَزَتْ سَبَقًا فِي الْجُهْدِ مِنْهَا، وَحَازَ السَّبْقَ فِي مَهَلِ^(٧)!

- وكتب إلى هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي يدعوها إلى جلسة

غناء: (نفع الطيب ٤: ٢٩٣):

يَا هِنْدُ، هَلْ لَكَ فِي زِيَارَةِ فِتْنَةٍ نَبَذُوا الْمَحَارِمَ غَيْرَ شَرْبِ السَّلْسَلِ^(٨).
سَمِعُوا الْبَلَابِلَ قَدْ شَدَّتْ! فَتَذَكَّرُوا نَغَامَاتِ عُودِكَ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(٩)!

(١) حسي: يكفي. ينتج: يلد. بكر الخطوب (المصائب): الخطوب التي لم يعرف أحد مثلها قبلي. العائث (الذي يقع كثيراً في أثناء سيره). عائث الأمل: قليل الحظ.

(٢) أصادي: أداري (٢).

(٣) الجهم: العابس. الطفل (بفتح ففتح): ضعف النور قبيل الغروب.

(٤) أغر: أبيض (من قوم مشهورين). النائبة: المصيبة. الجلى: العظيمة (ولا يجوز نعت النكرة باسم التفضيل، كان يجب أن يقول: جليلة مكان جلى). الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم. الجلل: (الرجل) العظيم.

(٥) الندى: الكرم. طلق الربى (التلال): مبتسم التلال (بالأزهار). الشمس في (برج) الحمل: في البرج الذي يبدأ به، عند المنجمين، فصل الربيع (وهو برج السعادة أيضاً).

(٦) الريث: البطء والتأني.

(٧) إليها (إلى اليونان والفرس) - حكماء اليونان والفرس نالوا الفوز والنجاح ببذل الجهد (بضم الجيم: الكد).

(٨) السلسل: ما يجري في الخلق بسهولة (لعل المقصود هنا: الخمر).

(٩) شدا: غنى. الثقليل الأول من نقرات العود.

٤ - ** قلائد العقيان ٢١٢ - ٢١٣ ، المغرب ٢ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ خريدة (الأندلس) ٢ : ٤٨٤ - ٤٨٦ ، طبقات الأطباء ٢ : ٦٥ ، التكملة ١٩٨ ، معجم ابن الأبار ١٦٢ - ١٦٣ ، الوافي بالوفيات ٥ : ١٩٦ ، بغية الوعاة ١١٢ - ١١٣ ؛ نيكل ٢٤٥ ؛ مختارات نيكل ١٦٦ ؛ جيش التوشيح ١٨٢ - ١٩٦ ، راجع ٢٦٩ - ٢٧١ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥٩٦ ، ٤ : ١٥ - ١٦ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٧ (٧ : ١٣٧) .

ابن وكيل الأقليشي

١ - هو أبو جعفر (أو أبو العباس) أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد - أصل أبيه من أقليش ، وهي بلدة قرب طليطلة - ولذلك يعرف بابن الأقليشي . وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) في دانية ، وفيها نشأ وبدأ تعلّمه : سَمِعَ الحديثَ من أبيه ومن الفقيه أحمد بن طاهر بن عيسى (المتوفى في دانية ٥٣٢ هـ) وتعلّمَ له ثُمَّ رَحَلَ إلى بلنسية فأخذ اللغة والنحو والأدب عن عبد الله بن محمد البطلاني (ت ٥٢١ هـ) . ثم أخذ عن كثيرين ، منهم صهره طارق بن يعيش ومنهم أبو بكر بن العربي وعبد الحق بن عطية وأبو العباس أحمد بن العريف (ت ٥٣٦ هـ) .

وبدأ ابن وكيل الأقليشي الإقراء والتحديث في الأندلس . وفي سَنَةِ ٥٤٢ هـ رَحَلَ إلى المشرق وَحَجَّ (٥٤٦ هـ) وجاورَ في مكّة مُدَّةً . وعَزَمَ - منذ سَنَةِ ٥٤٧ هـ - على العُودَةِ إلى الأندلس ، ولكنه تُوَفِّي في أثناء عودته - في قوص ، من صعيد مصر - في رابع رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٩ هـ (١٣ / ١١ / ١١٥٤ م) أو في سَنَةِ ٥٥٠ هـ . وقيل كانت وفاته في مكّة .

٢ - كان ابن وكيل الأقليشي راويةً للحديث عارفاً بالعلوم الشرعية وباللغة والنحو والأدب ، وكان شاعراً أيضاً له أبياتٌ في الزهد والحكمة والوصف . ثم هو مُصَنَّفٌ له كتبٌ منها : الكوكبُ الدُرِّيُّ المُستَخْرَجُ من كلام النبي العربي (مرتّب على حروف الهجاء) - النجمُ من كلام سيّد العرب والعجم ^(١) (عشرة أبواب عاشرها

(١) المفروض أن يكون بين « النجم » و« المعجم » سجع وموازنة (فتح ففتح فيها أو ضمّ وسكون فيها...) .

أدعية مأثورة عن الرسول) - الدر المنظوم فيما يُزيل الغُوم والهموم - أنوار الأثر (أربعون حديثاً في الصلاة على النبي) - الأنباء في حقائق (أو شرح) الصفات والأسماء (أسماء الله الحسنى) - شرح الباقيات الصالحات - أنوار الآثار (في أحاديث الرحمة) - ضياء الأولياء (في عدة أجزاء) - محاسن المجالس (في التصوّف) - المعشّرات (مجموع من شعره في الزهد).

ولابن وكيل الأقليشي شعرٌ قليل منه المقطوعةُ الفائيةُ التي عارضَ بها المقطوعةَ الفائيةَ لابن الفرّضيّ (ت ٤٠٣ هـ)، وقد استعارَ مطلعَها.

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن وكيل الأقليشي أبياتٌ في الوصف والأدب منها:

تَحَدَّرُ الْعَبْرَاتُ مِنْ أَحْدَاقِهِ فَتَرَى لَهَا فِي خَدِّهِ آثَارًا.
وَلَرُبَّمَا امْتَزَجَتْ دَمًا مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ الدَّمْعَ يَطْلُبُ ثَارًا!
★★ كَانَ حَقِّي أَلَّا أَذْكَرَ غَيْرِي، وَأَنَا مَا كُفَيْتُ شَرِّي وَضَيْرِي^(١).
غَيْرَ أَنِّي بِرَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّي أُرْتَجِي أَنْ يُفِيدَنِي^(٢) كُلَّ خَيْرٍ.
- وله أبيات في الابتهاال هي^(٣):

أُسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفُ^(٤).
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ^(٥).
تَزِيدُ سُنُوهُ وَهُوَ يَزِدُّهُ ضِلَّةً فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ^(٦).

(١) الضير: الضرر. - لا حق لي في أن أنصح غيري إذا كنت أنا لم أتحلّص تمامًا بضري.

(٢) يفيدني (ربّي).

(٣) مطلع هذه المقطوعة كمطلع مقطوعة ابن الفرّضي (ت ٤٠٣ هـ) في المعنى نفسه.

(٤) مخالف لطريق الحق.

(٥) الغرّة (بالكسر): الغفلة.

(٦) الضلّة: الضلال. العاكف: المقيم على الأمر المتأبر عليه (المصر).

تَطْلَعُ صَبَحَ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
ثلاثون عاماً قد تولّت كأنها
وجاء المشيبُ المُنْذِرُ المرءَ أنّه
فيا أحمدُ الخَوَّانُ، قد أدبَرَ الصِّبا
فهل أَرَقَّ الطَّرْفَ الزَّمانُ الذي مضى
فجُدْ بالدموعِ الحُمْرَ حُزْناً وَحَسْرَةً،
فما طاف فيه من سَنَا الحَقِّ طَائِفٌ^(١)
حُلُومٌ تَقَصَّتْ أَوْ بَرُوقٌ خَوَاطِفٌ^(٢)
إذا رحلتُ عنه الشَّيْبَةُ تالِفٌ.
وناداك من سِنِّ الكُهولةِ هاتِفٌ^(٣)
وأبكاه ذنبٌ قد تقدّم سالفٌ^(٤)؟
فدمعُك يُنبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفٌ.

- ٤ - النجم من كلام سيّد العرب والعجم، (مطبعة الاعلام) مصر ١٣٠٢ هـ.
تكملة الصلة ٧٤-٧٦؛ إنباه الرواة ١: ١٣٦-١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٨:
١٨٣-١٨٤؛ أخبار وتراجم أندلسية ٢٤-٢٥؛ بغية الوعاة ١٧١؛ شذرات الذهب ٤:
١٥٤-١٥٥ (في وفيات ٥٥٠ هـ)؛ نفح الطيب ٢: ٥٩٨-٦٠٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٦-
٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ١٢١؛ الاعلام للزركلي ١: ٢٤٣ (٢٥٩)؛ تاج العروس
(الكويت) ١٧: ٢٣٩؛ سرّكيس ٦٢٨-٦٢٩.

ابن السراج الشنتريني

١ - هو الشيخ الأديب الإمام الرئيس أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن
السَّراج الشنتريني^(٥)، سَكَنَ إِشْبِيلِيَّةَ وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ (النحو) عن أبي عبد الله محمد بن
خَيْرَةَ ابن أبي العافية المقرئ النحويِّ الأُمويِّ (ت ٤٨٧ هـ) وعن عليّ بن عبد
الرحمن بن الأخضر الإشبيليِّ (ت ٥٤٥ هـ) ورَوَى الحديثَ عن أبي القاسم النُّفْطِيِّ ثُمَّ
حَدَّثَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بَكْتَابَ «المَوْطَأَ» (للملك بن أنس).

- (١) السنا: الضوء. (واستخدم الشاعر «تطلع» متعدية، خطأ).
(٢) الحلم (بالضّم): المنام (ما يراه النائم). الحاطف (هنا): السريع.
(٣) يا أحد (تجريد: مناداة الإنسان نفسه) الخَوَّانُ: المبالغ في الخيانة (لنفسه) والمصرّ على الخيانة. أدبر:
تولّى، انقضى، ذهب. الهااتف: صوت يناديك ولا ترى صاحبه.
(٤) هل أَرَقَّتْ (أسهرت) حوادث الزمان طرفك (عينك): هل أخذت تفكّر في أعمالك السيئة؟
(٥) نسبة إلى شنترين: مدينة في غربي الأندلس على نهر تاجه شمال إشبونة (لشبونة اليوم، عاصمة
البرتغال).

وفي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) رَحَلَ ابنُ السَّراجِ إلى المَشْرِقِ فنَزَلَ في مِصرَ وأَقْرَأَ بها القرآنَ والنحوَ وحَدَّثَ. ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ إلى اليَمَنِ فأقام فيها مُدَّةً عادَ بَعْدَها إلى مِصرَ حيثُ تُوُفِّيَ في رَمَضانَ مِن سَنَةِ ٥٤٩ هـ (خَرِيفِ ١١٥٤ م) في الأَغلَبِ.

٢- كان ابنُ السَّراجِ الشَّنْزَرِيُّ بارِعاً في القرآنِ والحديثِ والفِقْهِ وفي اللُغةِ والنحوِ، أديباً ناقداً. وكان مؤلفاً، له: المِعارِ في أوزانِ (وزن) الأَشعارِ - الكافي في علم القوافي - تنبيه الأَلِبابِ على فضائلِ (فضل) الإِعرابِ (أو تلقيح الأَلِبابِ في عوامل الإِعرابِ، كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة) - اختصار كتاب العُمدة لابن رشيقي والتنبيه على أغلاطه (وقد أوردته بروكلمن أيضاً باسم جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب) - تقويم البيان لتحرير الأوزان.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ السَّراجِ الشَّنْزَرِيُّ في مقدِّمة كتاب «المِعارِ في أوزانِ الأَشعارِ»:

..... إِنَّ الشِّعْرَ لَمَّا كانَ دِيوانَ العَرَبِ المُتَقَفِّ لأَخْبَارِها والمُقَيَّدِ لأوزانِ كَلِمِها والمُبَيَّنِّ لمعاني أَلْفاظِها والمُنَبِّه على آدابِها ومكارِمِ أخلاقِها، وكان حُجَّةً نَزَجُ إليها في تَفْسيرِ ما أَشْكَلَ من كِتابِ اللَّهِ تَعَالَى ومَفْرَعاً يُلْجَأُ إليه في بَيانِ ما اسْتَبْهَمَ^(١) من حَدِيثِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ - رَأَيْتُ أَنَّ العِنايةَ بِمَعْرِفَةِ أوزانِهِ مُهِمَّةٌ في الدِّينِ، مُتَعَيِّنَةٌ^(٢) على كافَّةٍ من يَقومُ بِها من كافَّةِ^(٣) المُسلمين. (ذلك) لأنَّ الجَهْلَ بالوزنِ يُؤدِّي إلى تَغييرِ اللَّفظِ بِتَحريكِ ساكني أو إِسكانِ مُتَحَرِّكِ أو تَخفيفِ مُشَدِّدٍ أو تَشديدِ مُخَفَّفٍ، وذلك يُبْطِلُ الثِّقَةَ بِكَلِمَاتِهِ وَيَمْنَعُ الاسْتِشْهادَ بِلُغَاتِهِ^(٤) لِتَعَرُّضِها لِلاَحْتِمَالِ عِندَ من يَجْهَلُ الوزنَ. وما كانَ هذا سَبيلَهُ^(٥) فلا يَجوزُ الاسْتِدلالُ بِهِ إِذْ لَيسَ أَحَدٌ

(١) استبهم: كان معناه غامضاً.

(٢) متعين: واجب على شخص بعينه.

(٣) يقال: على المسلمين كافة، لا «على كافة المسلمين». متعيّن على...: هذه الحجة (البراعة في الشعر)

واجبة على كلّ من يشتغل بتفسير القرآن الخ.

(٤) اللغات: الكلمات التي للمعنى الواحد فيها صيغ مختلفة.

(٥) ما كان هذا سبيله: ما كانت ألفاظه تحمل أوجهاً مختلفة من الصيغ والتهجئة.

مُحْتَمَلَاتِهِ بِأَوَّلَى بِهِ مِنَ الْآخِرِ ...

- ٤ - المعيار في أوزان الأشعار (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م (على الغلاف الخارجي: ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م).
- الكافي في علم القوافي (مطبوع مع الكتاب السابق).
- ★ ★ الوافي بالوفيات ٤: ٤٦؛ بغية الوعاة ٦٨؛ البلغة في أئمة اللغة ٢٣٢ - ٢٣٣؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٨؛ بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ و ١٢٨ (٦: ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٥٨.

يونس بن عيسى المرسي

- ١ - هو أبو الوليد يونس بن عيسى^(١) المرسي الخباز، أصله من مُرْسِيَّة لا نعلم له مَشِيخَةً، ولكن نجد في «المطرب»^(٢) أن محمد بن أبي العافية^(٣) قد قرأ عليه. ولعل وفاته كانت في أواسط القرن السادس (أواسط الثاني عشر للميلاد).
- ٢ - كان يونس بن عيسى المرسي أديباً عصامياً ثقفاً نفسه وقال شعراً جيداً وموشحاتٍ كثيراً فيها براعةٌ. ورُبَّما شَبَّهه بالخُبَزِ أُرْزِي^(٤) أو بالخَبَّازِ الْبَلَدِي^(٥). قال فيه إسان الدين بن الخطيب: «عَذَبَ سَبْكُهُ وراق ترصيعه وحَبْكُهُ، مَعَ طَبْعٍ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ سَيَّالٍ وَإِلَى الْإِحْسَانِ مَيَّالٍ.... وهو في الأندلس شبه الخُبَزِ أُرْزِي في المَشْرِقِ..... والذي حَدَاهُ^(٦) إلى الاختراع والتوليد وأَقْدَمَهُ على الابتداع وترك التقليد ذكاءً أَرْهَفَ فُؤَادَهُ.....».

(١) في المطرب (الخرطوم ٨٥): يونس بن أبي عيسى.

(٢) المطرب ٨٥.

(٣) انظر الكتندي (محمد بن عبد الرحمن الشاعر) تحت (ت ٥٨٣ هـ).

(٤) جيش التوشيح ١٣٥. والخُبَزِ أُرْزِي هو أبو القاسم نصر بن أحمد البصري (ت ٣٢٧ هـ) انتقل إلى بغداد. وكان خبازاً. وله شعر حسن. راجع الجزء الثاني ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٥) راجع تعليق في جيش التوشيح، ص ٢٥٧.

(٦) راجع هذا النص في جيش التوشيح ١٣٥. - الأُصُوب أن يقال حدا به: يقال عادة: حدا الجمل (ساقه) وحدا براكبه.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونسُ بنُ عيسى من قصيدةٍ يمدحُ بها فاضلاً من أهلِ مُرْسِيَّةٍ انتقل إلى المَرِيَّةِ واسمهُ ابنُ الأسود:

كم سامعٍ غزلي يقولُ تَعَجُّباً لا، والذي خَصَّ ابنُ أسودَ بالُعْلا،
أَتَجَدَّدَتْ خُلُقُ الصِّبَا في يونسٍ؟ لا غرو أن تُضحي المَرِيَّةُ دارَه،
ما أَصْبَحَتْ أَثوابُها من مَلَبْسِي. فَمَكَّةِ نَشَأَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ؛
وتفوزَ مُرْسِيَّةٌ بحظٍّ أَنفَسِ^(١)؛ لولا الذي أَحْرَزَتْهُ من هِنْبَةٍ
واختَصَّ بالمِعْراجِ بَيْتُ المَقْدَسِ^(٢). - وقال في الرثاء:

كُلُّ كَمالٍ إلى مُحْراقٍ وكلَّ جَمْعٍ إلى افْتِراقٍ^(٣).
سَجِيَّةُ الدهرِ شَتُّ شَمْلٍ، وما سِواه فَعَنُ وِفْاقٍ^(٤).
أَيْنَ ثَوَى آدَمَ وَنوحُ والمُصْطَفى صاحِبُ البُراقِ^(٥)؟
إِنْ قِيلَ: إِنَّ السُّمُوَّ يُجْدي! فَلَيْدُمُ البَدْرُ في اتِّساقٍ^(٦).
للهِ ما تَحْمِلُ المَطايَا من نَعْيِكَ اليَوْمَ في الرِّفاقِ^(٧)!

- وقال يزعمُ أن إقبال الدنيا على الإنسان يُغْنِيهِ عن الشَّباب:

-
- (١) بحظِّ أَنفَسٍ: أغلى (لأنَّها مولده).
(٢) بيت المقدس: القدس. المعراج: انتقال الرسول بالإسراء من مكَّة إلى القدس ثمَّ بالمعراج (بالرقي) إلى السماء).
(٣) الحاق: امحاء القمر في آخر الشهر (نقص، موت).
(٤) سَجِيَّةٌ: طبيعة. شَتُّ: تفریق. وما سِواه (دوام الاجتماع) عن وفاق (اتِّفاقاً، شذوذاً، نادراً أو « صدفة »).
(٥) ثوى: استقرَّ، بقي (ثوى في قبره). المصطفى: محمَّد رسول الله. البراق: دابةٌ أَصْفَرُ من الحصان عظيمة السرعة ركبها الرسول في المعراج (راجع فوق).
(٦) السُّمُو: العلو. يجدي: ينفع (يحمي من النقص والموت). ليدم البدر (ليبق) في اتِّساق (على حال واحدة من الكمال، كما يرى في وسط الشهر).
(٧) - خبر موتك كان شديداً على رفاقك.

إذا أَيَّامَ دَوْلَتِكَ استمرت على شيءٍ فلا رَجْعَ السُّبَابِ .
 فَيُطْرِبُنِي الْحَمَامُ إِذَا تَغَنَّى ، وَيُشْجِينِي إِذَا نَعَبَ الْغُرَابِ .
 - وله من موشحة :

مَنْ لِي بَطْنِي رَبِيبٌ * يَسْطُو بِأَسَدِ الْغِيَاضِ * لَوْ يَدِينِي لَمَّا * أَمَلْتُهُ لِلتَّقَاضِي ^(١) .

★ ★ ★

جَعَلْتُ حَظِّي مِنْسُهُ بِسَيْنِ الرَّجَا وَالتَّمَنِي .
 لَمْ أَظْهَرِ الْيَسَاسَ عَنْهُ لَمَّا أَطَالَ التَّجَنِّي ^(٢) .
 بَلْ قُلْتُ: يَا قَلْبُ، صُنْهُ لَدَيْكَ عَنْ سُوءِ ظَنِّي ^(٣) .
 وَأَنْتِ، يَا نَفْسُ، ذُوبِي * وَيَا مُطِيلَ اعْتِرَاضِ * نَفْذِ بِمَا شِئْتَ حُكْمًا * إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضٍ .

★ ★ ★

مَا حَالُ قَلْبٍ لَدَيْكَ لَا تَنْقُضِي حَسْرَاتُـهُ ،
 يَشْكُو جَوَاهِ إِلَيْسُوكَ وَلَيْسَ تُجَدِّي شَكَاتُـهُ ^(٤) .
 مَهْلًا، فِي رَاحَتَيْكَ حَيَاتُـهُ وَمَمَاتُـهُ .
 يَا مُعْرِضِي وَطَبِيبِي * بِفَيْكِ بَرُّهُ الْمَرَاضِ * وَمَنْكَ قَدْ ذُبْتُ سُقْمًا * فَلْتَقْضِ مَا أَنْتِ قَاضٍ ^(٥) .

★ ★ ★

- (١) الربيب: (في الأصل) المرئى عند غير أبويه (المدلل - إذ يجب أن يكون محبوباً جداً حتى يرثيه غير والديه). يسطو: يبطش. الغيضة: مكان فيه شجر ملتف (كثيف). لوى الدين (بفتح الدال): مطله (حاول ألا يفیه، أنكره). أملتہ للتقاضي: رجوت أن يحكم في أمري بالحق (أو بالمطف).
- (٢) التجنّي: نسبة جنابة (ذنب) إلى من لم يأتها. ★ الحمام: الشعر الأبيض. الغراب: الشعر الأسود.
- (٣) صان: حفظ. من سوء ظني (من أن يصدق سوء ظني فيه).
- (٤) الجوى: شدة العشق التي تحول بصاحب العشق إلى الحزن والمرض. تجدي: تنفع. الشكاة: الشكوى.
- (٥) بفيك: في فمك (ريقك). برء: شفاء. المراض: المرضى (جمع مريض ومريضة). فلتقض.... (افعل ما تريد). في القرآن الكريم (٢٠: ٧٢ طه): « قالوا: لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إنّا تقضي هذه الحياة الدنيا » - (لن نسع منك ونترك ما جاءنا من الله من قول الحق. فاحكم بما تريد لأنّ حكمك لا ينفذ إلّا في هذه الدنيا الفانية. أمّا الحكم الثابت الدائم فهو في الآخرة ويكون لله وحده).

- وله أيضاً من موشحة:

برَحَّ بي الهوى في اشتياقي * فكم أذوبُ * وهذه النفسُ في التراقي * هل من طبيب^(١)!

★ ★ ★

الله! يا مَنْ بِهِ أَهْمٌ،

فَعِنْدِي الْمُقْعِدُ الْمُقِيمُ^(٢).

مَنْ رَامَ يَسْلُو فـــــــلا أَرِيمُ^(٣).

هذا غرامي عَلَيْكَ باقٍ * عسى يَثُوبُ * لا عَذَّبَ اللهُ بِالْفِرَاقِ * غيرَ الرقيب^(٤)

★ ★ ★

يا شَدَّ في الحُبِّ ما لَقِيتُ^(٥):

دُهَيْتُ فِيهِ بِما دُهَيْتُ^(٦).

إِنْ قُلْتُ الْحَاطُّهُ تُمِيتُ،

ففي الطَّلَامنه والتراقي * مَحيا القلوبُ * لاشيء أشهى مِنَ العِناقِ * إلى الكَيْبِ^(٧).

★ ★ ★

هِنْدُ - وَإِنْ شَفَّ حُبُّ هِنْدِ^(٨) -

(١) برَحَّ بي: آذاني اشتدَّ عليّ. الترقوة: عظمة في أعلى الصدر (وها ترقوتان). بلغت النفس التراقي: أشرف صاحبها على الموت.

(٢) المقعد المقيم: الهم العظيم (الذي يجعل الإنسان يقوم ويقعد: حائراً في ما يجب عليه أن يفعل).

(٣) رام: أراد. سلا يسلو: ينسى، يتسلى (عن همومه). رام يريم: ترك، بارح. - أنا لا أريد أن يذهب عني عذاب الحبّ.

(٤) تاب يثوب: رجع. - عسى أن يرجع إليّ حبيبي (يرجع إلى المطف عليّ!).

(٥) يا شَدَّ (ما أشدّ).

(٦) دهى بالشيء: أصيب به (بمصيبة).

(٧) الطلا جمع طلاة (بالضم): العنق، جانب العنق. الترقوة: عظم في أعلى الصدر.

(٨) شَفَّ: انحل (أسقم، أمرض).

بَسْدُرُ غَرَامِي وَسِرُّ وَجْدِي^(١)،
وإنَّ عَدا حُبَّهَا وَيُعْدِي^(٢).
عسى خِلَالِ الَّذِي أَلَقِي * مِنَ الْوَجِيبِ * أَنْ يَسْمَعَ الدَّهْرُ بِالتَّلَاقِي * عَمَّا قَرِيبِ^(٣).

★ ★ ★

من غَابَ في الْعِيدِ عن حَبِيبَةٍ
وجَاءَ في ثَوْبِهِ وَطِيبَةٍ
فَشَدُّهُ يُظْهِرُ الَّذِي بِسَةِ^(٤).
ما الْعِيدُ في حُلَّةٍ وَطَاقٍ * وَشَمِّ طِيبٍ * وَإِنَّا الْعِيدُ في التَّلَاقِي * مَعَ الْحَبِيبِ^(٥).

٤-★★ جيش التوشيح ١٣٥ - ١٤٦ (راجع ٢٥٧ - ٢٥٨).

الحجاري صاحب «المُسَهَّب».

١- هو جاحظُ الْمَغْرَبِ (المغرب ٢: ٣٥) وخافظ الأندلس (نفع الطيب ٢:
٣٢٩) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي إسحاق إبراهيم^(١) بن وزمر^(٢) الصنهاجي

(١) الوجدي: شدة العشق.

(٢) عدا حبها (جاوز الحد في تعديها). يعدي: يصيب بالمرض. حبها انتقل إلي كآته مرض (لم أستطع أن أتجنبه).

(٣) الوجيب: خفقان القلب (من الاضطراب).

(٤) إنَّ الحبَّ لو شدا (غنى) لظهر ما به (من الحزن) في غناؤه.

(٥) الحلة: الثوب الجميل. الطاق: الطيلسان (ثوب ثمين من حرير).

(٦) سمي والده باسم جدّه، لأنَّ والده ولد بعد موت جدّه بقليل.

(٧) اسم والد جدّه ولقبه «وزمر» (بضم الميم، ورياً بتشديد الزاي) مما يدل على نسبه في البربر (راجع المغرب ٢: ٣٣، نفع الطيب ٤: ١٢٣).

وكان جدّه أبو إسحاق إبراهيم بن وزمر أديباً شاعراً (راجع المغرب ٢: ٣٣ - ٣٤). وكذلك كان عمّه أبو محمد عبد الله (وكنيته واسمه ككنية صاحب الترجمة واسمه) أديباً شاعراً أيضاً (المغرب ٢: ٣٤).

الحِجَارِيُّ - نِسْبَةٌ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ - وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي مَدِينَةِ الْفَرَجِ (أَوْ وَادِي الْحِجَارَةِ نَفْسَهَا: عَلَى نَحْوِ سِتِّينَ كِيلُومِتْرًا مِنْ مَدْرِيدِ شَرْقًا فِي شَمَالٍ) ، وَذَلِكَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٠٠ (١١٠٦ - ١١٠٧ م). وَلَقَدْ نَشَأَ الْحِجَارِيُّ فِي أُسْرَةٍ عُنِيَ أَفْرَادُهَا بِالْأَدَبِ وَأَشْتَهَرُوا بِهِ.

سَكَنَ آلُ الْحِجَارِيِّ فِي سَرَقُسْطَةَ ثُمَّ اضْطُرُّوا إِلَى مَغَادِرَتِهَا لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْإِسْبَانُ، سَنَةَ ٥١٤ (١١١٩ م) فَانْتَقَلُوا - فِيمَا يَبْدُو - إِلَى بَلَنْسِيَّةَ (رَاجِعِ الْمَغْرِبَ ٢: ٣٠٨). ثُمَّ سَكَنَ الْحِجَارِيُّ نَفْسَهُ فِي شَلْبَ (فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - جَنُوبِيَّ الْبُرْتُغَالِ الْيَوْمَ)، وَلَكِنْ انْتَقَلَ مُدَّةً إِلَى غَرْنَاطَةَ فَأَقْرَأَ فِيهَا الْبَلَاغَةَ.

فِي سَنَةِ ٥٣٠ (١١٣٦ م) وَفَدَ الْحِجَارِيُّ عَلَى الْقَائِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ مَادِحًا - وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبَ قَلْعَةٍ يَحْصِبُ^(١) - فَحَاوَلَ الْحُجَّابُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّخُولِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِزِيَّةِ الْبَدْوِيِّ^(٢). وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ الدَّخُولَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَالَ عِنْدَهُ حُظْوَةً. وَرَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ سَعَةَ مَعْرِفَةِ الْحِجَارِيِّ بِتَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ وَبَادِيهَا فَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُصَنِّفَ لَهُ كِتَابًا يَضُمُّ مَخْتَارَاتٍ لِلْبَارِعِينَ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَقَرَّ الْحِجَارِيُّ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ نَحْوَ عَامَيْنِ (٥٣٠ - ٥٣٢ هـ) أَلْفَ لَهُ فِي خِلَالِهَا كِتَابُ « الْمُسْنَهَبِ ».

وَفِي سَنَةِ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) غَادَرَ الْحِجَارِيُّ قَلْعَةَ يَحْصِبَ - مَعَ أَنْ عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَ سَعِيدٍ كَانَ قَدْ بَالِغَ فِي إِكْرَامِهِ - مُتَعَلِّلًا بِأَنْ نَفْسَهُ تَوَاقَّةٌ إِلَى التَّنَقُّلِ وَالرَّحْلَةِ، وَقَدِيمٌ عَلَى الْمُسْتَنْصَرِ بْنِ هُودٍ فِي رُوطَةِ (قُرْبَ سَرَقُسْطَةَ). وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمُسْتَنْصَرَ كَانَ فِي ذَلِكَ

(١) بَنُو سَعِيدٍ أُسْرَةٌ يَمْنِيَّةُ الْأَصْلِ جَاءَ أَوَّلُهُمْ مَعَ جَيْشِ الْفَتْحِ (مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ)، وَنَزَلُوا مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ قُرْبَ غَرْنَاطَةَ فِي قَلْعَةٍ تَدْعَى قَلْعَةَ أَسْطَلِيرٍ فَعُرِفَتْ بِاسْمِ « قَلْعَةِ يَحْصِبِ » (نِسْبَةً إِلَى قَبِيلَةِ بَنِي سَعِيدٍ الْيَمْنِيَّةِ) ثُمَّ اشْتَهَرَتْ بِاسْمِ « قَلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ ». وَفِي الزَّمَنِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ الْحِجَارِيُّ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ هُوَ الْمُتَوَلَّى لِلْقَلْعَةِ وَكَانَ يَدِينُ بِالطَّاعَةِ لِعَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ تَاشْفِينِ سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). - رَاجِعِ نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ٢٧٠، ٣٢٩، ٣٣٠). الْقَائِدُ (هُوَ الْوَالِي عَلَى مَقَاطِعَةٍ - وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَسْتَعْمَلُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْمَغْرِبِ إِلَى الْيَوْمِ). وَبِحِصْبٍ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكسْرِ الْحَاءِ.

(٢) رَاجِعِ نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ١٣٢. - وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى مَا حَوْلَ وَادِي الْحِجَارَةِ الْبَدَاوَةُ فِي طَبِيعَةِ الْأَرْضِ وَفِي عَادَاتِ السَّكَّانِ (رَاجِعِ نَفْحِ الطَّيِّبِ ١: ٣٤٣).

الحين خارجاً في غزوة إلى أرض نبرّه (على مَقْرُبَةٍ من حدود بلادِ الفَرَنْجَةِ على البحر) فرافقه الحِجَارِيُّ. انهزمَ ابنُ هود في هذه الغزوة ووقع الحِجَارِيُّ في الأسر. واستنجد الحِجَارِيُّ بابن هود لِيَقْتَدِيَهُ فلم يفعل ابنُ هود ذلك. ثم استنجدَ بعبدِ الملك بن سعيد فافتداه، فكان بذلك « طليق آل سعيد ».

ويبدو أنه في تلك الفترة - بعد تأليف كتاب « المُسَهَّب » ومغادرة قلعةٍ يحصّبَ كَثُرَ تطوافُ الحِجَارِيِّ في عددٍ من المُدُنِ الأندلسية: كان في باغَةٍ من كورةِ إلبيرة (نفع الطيب ٢ : ١٥٥) ثم في أماكنٍ أُخرى، كما نجد في كتاب « المغرب »: في لُوشة (٢ : ١٥٨) ولورقة (٢ : ٢٧٥) وغرناطة (٢ : ١٦٠).

ولعلّ وفاةَ الحِجَارِيِّ^(١) صاحبِ « المُسَهَّبِ » كانتْ نحو سَنَةِ ٥٥٠ (١١٥٥ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢ - كان الحِجَارِيُّ أديباً بليغاً وناظراً ناثراً ومن ذَوِي البراعة في التصنيف (راجع المغرب ٢ : ٣٥). وشعره مدحٌ وخمرٌ وغزلٌ ووَصَفٌ. ولكنْ نثره وتَصْنِيفُهُ أعلى مرتبةً من شعره. ثم إنّه كان ناقدًا. ومع أنّ النقدَ كان قد ارتقى، في ذلك الحين في الأندلس، فإنّ نقدَ الحِجَارِيِّ ظلّ بدائياً يَقِفُ عند اللفظةِ أو عند البيتِ أو عند القصيدة. وأكثر أحكامه تجري في جُمْلٍ لفظيّةٍ عاطفيةٍ مع كثيرٍ من المبالغة. فَمِنْ وَجوهِ نقده:

★ قال عن يحيى بن سهلٍ البَكِّي (المغرب ٢ : ٢٦٦): هو ابنُ روميٍّ عَصْرِنَا وَحُطْبَيْتُهُ دَهْرِنَا، لا تُجيدُ قريحَتَهُ إلّا في الهِجاءِ ولا تنشطُ به في غير ذلك من الأنحاء .

(١) في « تاريخ الفكر الأندلسي » (ص ٢٧٢) أنّ مولده كان سنة ٤٩٩ وأنّ وفاته كانت سنة ٥٤٩. وقال نيكل (ص ٢٦٣) إنّ الحِجَارِيَّ تُوُفِّي سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) قبل ابن قزمان (الأصغر) بخمس سنوات. وقد اخترت أن أعتمد قول نيكل لتدقيقه في مثل هذه الأمور ولأنّه أكّد قوله بمقارنة بين وفاة الحِجَارِيّ ووفاة ابن قزمان. ونيكل هو الثقة في بحوث ابن قزمان. وذكر خير الدين الزركلي مثل ذلك (الأعلام ٤ : ١٨٧). وكذلك نسب الزركلي إلى الحِجَارِيّ هذا كتاب « الحديقة في البديع » مع أنّ « الحديقة في البديع » (وهي كتاب في فنّ البديع من فنون البلاغة) لعمّه الأديب أبي محمد عبد الله (المغرب ٢ : ٣٤، نفع الطيب ٥ : ٥٧٢، راجع ٥٧١).

★ وقال... (المغرب ٢: ٣١٥): له نظمُ أرقُّ من دَمْعَةٍ مَهْجُورٍ تُدار عليك بهِ صافيةُ الحُمُورِ.

★ وقال في ابن الزقاق (المغرب ٢: ٣٢٣):... من فِتْيَانِ عَصِرْنَا الذينَ أَشْتَهَرَ ذِكْرُهُمْ وطارَ شِعْرُهُمْ. وهو جديرٌ بذلك، فَلِشِعْرِهِ تَعَشَّقُ بالقلوب وتعلَّقُ بالسَّمْعِ^(١). وأعانه على ذلك مَعَ الطَّبْعِ القابل كونهُ أَستَمَدَّ من خاله آبي إِسحاق بن خَفَاجَةٍ ونَزَعَ مَنْزِعَهُ^(٢).

★ وقال.... (المغرب ٢: ٤٠٥): كاتبٌ بليغُ الكتابةِ كثيرُ الإِصابةِ.

★ وأطنب الحِجَارِيُّ في الثناء على ابن شَرَفٍ القيرواني، وعظَّمه في الشعر بقوله في آبن صَاحِحٍ:

لَمْ يَنْقُ لِلْجَوْرِ فِي أَيَّامِكُمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عَيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حَوَرٍ^(٣).

★ ولما قالَ عبدُ الرحمنِ المُسْتَظْهَرُ من أبياتٍ له:

وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي ذَهَباً فِي لَازُورِدٍ^(٤).

قال الحِجَارِيُّ: لو قال «لُؤْلُؤاً فِي لَازُورِدٍ» لَكَانَ أَحْسَنَ تَشْبِيهاً (نفع الطيب ١: ٤٣٦).

★ وقد قَدَّمَ الحِجَارِيُّ صاعداً اللُّغَوِيَّ البَغْدَادِيَّ بقوله: (نفع الطيب ٣: ٩٦):

كَأَنَّ إِبْرِيْقَنَا وَالرَّاحُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاولُ يَاقُوتاً يَمْنَقَارُ.

وَيُكْثِرُ الحِجَارِيُّ عندَ النِّقْدِ مِنَ المَبالِغَةِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ (المغرب ٢: ٤٠ و ٣٦٧):

★ أَبُو تَمَّامٍ غَالِبُ بْنُ رَبَاحٍ المَعْرُوفُ بِالْحِجَّامِ «شاعِرُ القَلْعَةِ الَّذِي نَوَّهَ بِقَدْرِهَا

وَرَفَعَ مِنْ فَخْرِهَا، لَا أَحَاشِي حَدِيثاً وَلَا قَدِيماً وَلَا أَخَصُّ لُثِيماً وَلَا كَرِيماً»... وأبو

(١) تَعَشَّقُ: التَّصاق. تَعَلَّقَ بِالسَّمْعِ (حفظ سهل دائم).

(٢) نَزَعَ مَنْزِعَهُ (سار على طريقته).

(٣) الجور: الظلم. اشتداد بياض العين واشتداد سوادها.

(٤) لازورد: لون أزرق مائل إلى الحمرة (بنفسجي قاتم).

إسحاق إبراهيم بن خفاجة « هو اليومَ شاعرُ الجزيرة، لا أعرفُ فيها شرقاً ولا غرباً نظيره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قرطبة (نفع الطيب ١: ١٥٣) من « المسهب »:

كانت قرطبة في الدولة المروانية^(١) قبة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام، بها استقرَّ سريرُ الخلافة المروانية وفيها تمخّضت خلاصة القبائل المديّة واليبانية^(٢)، وإليها كانت الرحلة في الرواية، إذ كانت مركزَ الكرماء ومعدن العلماء^(٣). وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد. ونهرها من أحسن الأنهار مكتنفٌ بديباج المروج^(٤) مطرّز بالأزهار، تصدّح في جنباته الأطيّار وتنعرُ النواعيرُ وينسيمُ النّوار^(٥). وقرطابها الزاهرة والزّهراء حاضرتا الملك وأفقاً النّماء والسّراء^(٦). وإن كان قد أخنى عليها الزمانُ وغيرَ بهجة^(٧) أوجُها الحسان، فتلك عادته - وسلّ الخورنق والسديرَ وغمدان^(٨) - وقد أعذّر (الزمان) بإنذاره إذ لم يزل يُنادي بصروفه^(٩): لا أمان، لا أمان. وقد قال الشاعر:

وما زلتُ أسمعُ أنّ الملو كَ تَبْنِي على قَدْرِ أخطارِها^(١٠).

-
- (١) الدولة المروانية: دولة بني أمية في الأندلس.
 - (٢) تمخّضت: صفت (أصبحت صافية). المديّة (من معدّ): عرب الشمال. اليبانية: عرب الجنوب.
 - (٣) في الرواية (أخذ العلم والأخبار). المعدن: الأصل. المصدر.
 - (٤) مكتنف: محاط. ديباج: (هنا): اللون الأخضر (النبات الكثير).
 - (٥) نمر: صاح، صوت، غرد، غنى. النّوار جمع نوّارة (بالضم): زهرة.
 - (٦) القرط (بالضم): حلية تعلّق في الأذن. الزاهرة (مدينة بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مركزاً لدولته ومسكناً لرجالها). والزّهراء (مدينة بناها عبد الرحمن الناصر...). النّماء (النّعمة) والسّراء (السرور).
 - (٧) أخنى عليها الزمان (طال عليها وأهلك أهلها). البهجة: الحسن وتلاؤه.
 - (٨) الخورنق والسدير (قصران في العراق) وغمدان (قصر في اليمن) وصفت كلها بالعظم والجمال.
 - (٩) أعذر: أصبح له عذر (لا لوم عليه - لأنّه كان صريحاً في تنبيهه الناس إلى عواقب الأمور). صرف (بالفتح) الزمان: الحادث، المصيبة.
 - (١٠) الخطر (بفتح ففتح): الشرف والمكانة.

- ابن بَسَّامِ الشَّنْزَرِيُّ (المغرب ١: ٤١٧ - ٤١٨) من «المُسْنَب»:

العَجَبُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ الآدَابِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ مِنْ شَنْزَرَيْنِ قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَمَحَلِّ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ^(١) مَنْ يَنْظِمُهَا قَلَانِدَ فِي جِيدِ الدَّهْرِ وَيُطْلِعُهَا ضَرَائِرَ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرِ^(٢) - . وَلَمْ يَنْشَأْ بِمَحْضَرَةِ قُرْطُبَةَ وَلَا بِمَحْضَرَةِ إِسْبِيلِيَّةَ وَلَا غَيْرِهَا مِنَ الْحَوَاضِرِ^(٣) الْعِظَامِ مِنْ يَمْتَعِضُ امْتِعَاضَهُ لِأَعْلَامِ عَصْرِهِ وَيَجْهَدُ فِي جَمْعِ حَسَنَاتِ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ. وَسَلِ «الذَّخِيرَةَ» فَإِنَّهَا تُعْنَوْنَ عَنْ مَحَاسِنِهِ الْغَزِيرَةِ^(٤).

- وَقَالَ فِي وَصْفِ بَلَنْسِيَّةَ (المغرب ٢: ٢٩٧):

مَطِيبُ الْأَنْدَلُسِ وَمَطْمَحُ الْأَعْيُنِ وَالْأَنْفُسِ. قَدْ خَصَّهَا اللَّهُ بِأَحْسَنِ مَكَانٍ وَحَفَّهَا بِالْأَنْهَارِ وَالْجِنَانِ. فَلَا تَرَى إِلَّا مِيَاهًا تَتَفَرَّغُ، وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا أَطْيَارًا تَسْجَعُ، وَلَا تَسْتَنْشِقُ إِلَّا أَزْهَارًا تَنْفَحُ، وَمَا أَجَلْتَ لَخَطَأَ بِهَا فِي شَيْءٍ إِلَّا قُلْتَ: هَذَا أَمْلَحُ! وَلَهَا الْبُحِيرَةُ الَّتِي يَزِيدُ فِي ضِيَاءِ بَلَنْسِيَّةَ صَخَوُ الشَّمْسِ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ بَلَنْسِيَّةَ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ سَائِرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَجَوْهَا صَقِيلٌ أَبَدًا لَا تَرَى فِيهِ مَا يُكَدِّرُ خَاطِرًا وَلَا بَصَرًا، لِأَنَّ الْجَنَّاتِ أَخْدَقَتْ بِهَا فَلَمْ يَثُرْ بِأَرْجَائِهَا تُرَابٌ مِنْ سَيْرِ الْأَرْجُلِ وَهَبُوبِ الرِّيَّاحِ فَيُكَدِّرُ جَوْهَا. وَهَوَاؤُهَا حَسَنٌ لَتَمَكِّنْهَا مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ * وَأَخَذَهَا مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بِنَصِيبٍ. وَلَهَا الْبَحْرُ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَرُّ الْمُتَّسِعُ. وَحَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ جِهَاتِهَا لَا تَلْقَى إِلَّا مَنَازِلَ وَمَسَارِحَ، وَمَنْ أَبْدَعَهَا وَأَشْهَرَهَا الرُّصَافَةُ وَمُنِيَّةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَهِيَ

(١) محلّ الطعن (بالمراح) والضرب (بالسيوف): بلد الاضطراب والحرب.

(٢) ينظمها = ينظم الآداب. القلائد: المقد يلبس في العنق. الضرة (بالفتح): الزوجة الثانية (المنافسة، المبارية). الزهر: اللامعة.

(٣) الحاضرة: البلد الكبير، العاصمة.

(٤) امتعض: غضب، شق، (كره)؟؟ يقصد: اهتم، واعتنى. الذخيرة = «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (كتاب ابن بَسَّامِ الشَّنْزَرِيِّ). عَنَوْنَ عَنْ (كشف، دلّ على). الغزير: الكثير.

(*) كان القدماء يعتقدون أَنَّ القسم المَسْكُون من الأرض إِنَّمَا هو نصفها الشَّامِلِي (من خطِّ الاستواء إلى القطب الشَّامِلِي). وقد قسموا هذا النصف الشَّامِلِي من الأرض سبعة أقاليم، فكان الإقليم الرابع الذي في وسط هذه الأقاليم «أعدل بقاع الأرض» عندهم. - لتمكُّنها من الإقليم الرابع (لوجودها في وسط الإقليم الرابع).

مدينة مُتَمَكِّنَةُ الحضارة جليَّة القدر.

- مَقَاطِعُ مِنْ آثَارِ الْحِجَارِيِّ صَاحِبِ « الْمُسْهَبِ » (من كتاب « المغرب »):

★ ★ كَانَ أَلْزَمَ لِلْكَأْسِ مِنَ الْأَطْيَارِ لِلْأَغْصَانِ، وَأَوَّلَعَ بِهَا مِنْ خَيَالِ الْوَاصِلِ
بِالْهِجْرَانِ (١ : ٨٥).

★ ★ وَقَالَ فِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ الْأَعْمَى الْخَزُومِيُّ^(١) (١ : ٢٢٣): بَشَّارُ^(٢) الْأَنْدَلُسِ
انْطِبَاعاً وَلَسْنَا وَأَذَاةً^(٣). وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا سِيرَةَ الْحُطَيْئَةِ^(٤) بِالْأَنْدَلُسِ فَمُقَّتَ^(٥). وَكَانَ
لَا يَسْلُمُ مِنْ هَجْوِهِ أَحَدٌ: وَلَا يَزَالُ يَخْطُبُ الْآفَاقَ بَعْصَاهُ، وَيَقَعُ فِي مَنْ أَطَاعَهُ
وَعَصَاهُ^(٦). وَأَصْلُهُ مِنَ الْمَدُورِ، وَفَرَّ إِلَى قُرْطُبَةٍ. ثُمَّ جَالَ عَلَى الْبُلْدَانِ وَأَكْثَرَ الْإِقَامَةَ فِي
غَرْنَاطَةَ وَتَعَرَّضَ لِشَاعَرَتِهَا نَزْهُونَ وَهَجَاهَا.....

★ ★ مُرْسِيَّةُ أُخْتُ إِشْبِيلِيَّةَ: هَذِهِ بَسْتَانُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَهَذِهِ بَسْتَانُ غَرْبِهَا. قَدْ
قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا النَّهْرَ الْأَعْظَمَ^(٧) فَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ الشَّرْقِيَّ وَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ
الْغَرْبِيَّ. وَلِمُرْسِيَّةٍ مَرْيَّةٌ تَيْسِيرُ السَّقْيَا مِنْهَا. وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ إِشْبِيلِيَّةُ، لِأَنَّ نَهْرَ مُرْسِيَّةٍ
يَرْكَبُ أَرْضَهَا، وَإِشْبِيلِيَّةُ تَرْكَبُ نَهْرَهَا^(٨). وَلِمُرْسِيَّةٍ فَضْلٌ مَا يُصْنَعُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ
الْحُلَلِ وَالْدِيْبَاجِ، وَهِيَ حَاضِرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ الْمَكَانِ كَثِيرَةُ الْإِمْكَانِ^(٩) (٢ : ٢٤٥).

-
- (١) كَانَ شَاعِراً زَكِيّاً، وَلَكِنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْهَجَاءِ، مَقْدَعٌ فِي الْقَوْلِ تُوْفِيَ بَعْدَ ٥٤٠.
(٢) كَانَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ شَاعِراً أَكْمَهُ (أَعْمَى مِنْذُ الْوِلَادَةِ)، بَارِعاً فِي فُنُونِ الشَّعْرِ وَأَنْوَاعِهِ، شَدِيدُ الْهَجَاءِ
(ت ١٦٧).
(٣) الْإِنْطِبَاعُ (هَذَا): الطَّبْعُ فِي قَوْلِ الشَّعْرِ. اللَّسَنُ: الْفَصَاحَةُ.
(٤) الْحُطَيْئَةُ: شَاعِرٌ إِسْلَامِي شَدِيدُ الْهَجَاءِ (ت ٥٩).
(٥) مَقَّتَ: كَرِهَ.
(٦) يَخْطُبُ (يَضْرِبُ) الْآفَاقَ (أَطْرَافَ الْبِلَادِ): يَتَطَوَّفُ فِي الْأَرْضِ. وَقَعَ فُلَانٌ فِي فُلَانٍ: قَالَ فِيهِ قَوْلًا قَبِيحاً.
(٧) الْوَادِي (النَّهْرُ) الْكَبِيرُ: نَهْرُ قُرْطُبَةٍ.
(٨) يَرْكَبُ أَرْضَهَا: يَجْرِي إِلَيْهَا مِنْ أَمَاكِنَ أَعْلَى مِنْهَا. إِشْبِيلِيَّةُ تَرْكَبُ نَهْرَهَا: تَقُومُ عَلَى أَرْضٍ أَعْلَى مِنْ
مُسْتَوَاهِ.
(٩) حَاضِرَةٌ: بَلَدُ السُّلْطَانِ (عَاصِمَةٌ). كَثِيرَةُ الْإِمْكَانِ: ذَاتُ مِرَافِقٍ (أَوْجِهٍ لِلْمَعِيشَةِ وَالْإِدَارَةِ) كَثِيرَةٌ.

- وَقَدْ الْحِجَارِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ يَمْدُحُهُ (٢ : ٣٥ - ٣٦ ؛ نفع الطيب ٤ :

١٢٤) فقال:

عَلَيْكَ أَحَالَنِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَجِئْتُ وَمِنْ ثَنَائِكَ لِي دَلِيلُ.
.....
وَوَدَّعْتُ الْحَبِيبَ بِغَيْرِ صَبْرٍ فَصَحَّ الْعَزْمُ وَاقْتَضَى الرَّحِيلُ^(١)
وَأَسْبَلْتُ الظَّلَامَ عَلَيَّ سِتْرًا، وَلَمْ أَسْمَعْ لِمَا قَالَ الْعَذُولُ^(٢).
وَلَمْ أَشْكُ الْمُهْجِرَ وَقَدْ دَعَانِي وَنَجَّمَ الْأَنْقَى نَاطِرُهُ كَلِيلُ^(٣).
أَتَيْتُ وَلَمْ أَقْدِمُ مِنْ رَسُولٍ، إِلَى أَفْيَائِكَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ^(٤).
أَجَلٌ طَرَفًا لَدَيَّ، فَإِنَّ عِنْدِي لِأَنَّ الْقَلْبَ كَانَ هُوَ الرُّسُولُ^(٥).
وَمَثَّلَنِي بِدَنْ فِيهِ سِرٌّ مِنْ الْأَدَابِ مَا يَخْوِي الْخَلِيلُ^(٦)؛
يَخِيفُ بِهِ وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلُ^(٧)!

- وَقَالَ (نفع الطيب ٤ : ٧٦ - ٧٧):

كَمْ بَيْتٌ مِنْ أَسْرِ السُّهَادِ بَلِيلِيَّةٍ نَادَيْتُ فِيهَا: هَلْ لِحِجْنِكَ آخِرُ^(٨)؟
إِذْ قَامَ هَذَا الصُّبْحُ يُظْهِرُ مَلَّةً حَكَمْتُ بِأَنْ ذُبِحَ الظَّلَامُ الْكَافِرُ^(٩).

- (١) جاء البيت الأول في «المغرب» (٢ : ٣٥) كما أثبتته. وجاء في نفع الطيب (٤ : ١٢٤) وعجزه (بفتح فضم) ما أثبتته بعد النقط.
- (٢) العذول: الذي يلوم المحبين.
- (٣) أسبل: مذل. كليل: ضعيف. - جئت في ليلة شديدة السواد (لشدة حاجتي).
- (٤) المهجير (اشتداد الحر).
- (٥) حق «الرسول» (في القافية) أن تكون منصوبة (لأنها خبر كان). أما الضمير «هو» فهو تأكيد لاسم كان.
- (٦) أجل طرفاً (نظراً، عيناً) لدي: انظر ما عندي. الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) من العلماء في صدر الدولة العباسية، سبق إلى تدوين علوم كثيرة: اللغة (في كتاب العين) والنحو ثم العروض (أوزان الشعر) وكان شاعراً.
- (٧) الدن: خابية (وعاء كبير من فخار) للخمر خاصة: منظره الخارجي غير جميل، ولكن فيه خيراً تبعث في شاربها نشوة.
- (٨) السهاد: السهر، وقلة النوم. المنح: الجانب من الليل.
- (٩) الملة، الملل، السأم. الكافر: الذي يغطي الأشياء ويستترها. - بدأ الصبح يتململ من طول الليل =

- وقال الحجاريُّ (نفع الطيب ٣ : ٣٤٦) من « المسهب » :
 كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ اللَّوْثِيِّ^(١) أَسْتَدْعِي مِنْهُ شِعْرَهُ لِأَكْتُبَهُ فِي
 كِتَابِي، فَتَوَقَّفَ عَنِّي. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

يَا مَانِعاً شِعْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أَدَبٍ نَائِي الْمَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُقْتَرِبِ :
 يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَجِّهِ كَمَا يُرِّ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعَذَبِ^(٢) ،
 إِنِّي وَحَقِّكَ أَهْلٌ أَنْ أَفُوزَ بِهِ ؛ وَأَسْأَلُ - فَدَيْتُكَ - عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أَدَبِي .
 فكان جوابه :

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ بِالْأَدَبِ ، مَاذَا تَرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرِ مُنْتَخَبٍ ؟

ثُمَّ كَتَبَ لِي مِمَّا أَتَحَفِّي بِهِ مِنْ نَظْمِهِ أَهْبَى مِنْ الْأَقْمَارِ وَأَرْقَ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ .
 - قَالَ الْحَجَارِيُّ يَمْدَحُ بَنِي سَعِيدٍ (نفع الطيب ٢ : ٣٣٠) :

قَوْمٌ لَهُمْ فِي فَخْرِهِمْ شَرَفُ الْحَدِيثِ مَعَ الْقَدِيمِ ،
 وَرِثُوا النَّدَى وَالْبَاسَ وَالْ عَلِيّاً كَرِيماً عَنْ كَرِيمِ^(٣) :
 مِنْ كُلِّ وَضَّاحٍ بِهِ يُجَلِّي دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٤) .

- وَقَالَ فِي مَدْحِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ :

مَلِكُكَ طُفَيْلِيُّ السَّمَاءِ حَرَى عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ^(٥) .

= ويرسل أشعته الحمراء (الفجر الذي يشبه الدم في لونه)، فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءِ اللَّيْلِ (أَيَّامُ شَقَائِي). فِي الْكَافِرِ (تُورِيَّة) (كَأَنَّ اللَّيْلَ قَدْ ذُبِحَ).

(١) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ اللَّوْثِيِّ هَذَا. فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥ : ١٢، ٧ : ١٤٧، ١٦٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اللَّوْثِيُّ الْخَطِيبُ الْبَلِيغُ مِنْ شَيْوخِ ابْنِ زَمْرَكٍ، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ جَدًّا عَنْ عَصْرِ الْحَجَارِيِّ.

(٢) يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ... (سَتَشْتَهَرُ إِذَا وَرَدَ ذِكْرُكَ فِي كِتَابِي) الْعَذَبُ جَمْعُ عَذْبَةٍ (يَفْتَحُ فَفَتْحُ فِيهِمَا) : طَرَفُ الْعَامَةِ الْمَتَدَلِّيِّ وَغَيْرِ الْعَامَةِ.

(٣) الْبَاسُ : الشَّدَّةُ (الْقِتَالُ، الْحَرْبُ).

(٤) وَضَّاحٌ : أَبْيَضٌ. الْبَهِيمُ : الَّذِي لَا عِلَامَةَ فِيهِ تَبَيَّرَ مِنْ غَيْرِهِ (اللَّيْلِ الْبَهِيمِ : الشَّدِيدُ السَّوَادِ).

(٥) طُفَيْلِي (؟) السَّاحِلُ (وَسَعَةُ الصَّدْرِ)، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ السَّاحَةَ (الْكَرَمَ). - سَاحَ طُفَيْلِي : مَعْرُوفٌ يَصِلُ إِلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَهُ النَّاسُ.

مَا فُرِّجَتْ أَبْوَابُهُ إِلَّا تَفَرَّجَتِ الشَّدَائِدُ^(١).

★ وفي مدح بني سعيد أيضاً:

وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجِباً خَيْرَ عَصْبَةٍ هُمْ فِي بَنِي أَرْمَانِهِمْ كَالْمَوَاسِمِ^(٢).

مُشَنَّفَةُ أَسْمَاعُهُمْ بِفَضَائِلِ، مُسَوَّرَةٌ أَنْيَانُهُمْ بِالصَّوَارِمِ^(٣).

فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ فَضْلِ نَائِرٍ، وَكَمْ لَهُمْ فِي السَّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَازِمٍ^(٤).

★ في الغزل والخمر:

زَارَتْكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ كَالْفُضْنِ يَثْنِيهِ النَّسِيمِ.

سَلَبَتْ ظِلَامَ اللَّيْلِ مَا أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ النَّظِيمِ^(٥).

فَلِذَاكَ أَمْسَى عَاطِلُ الْآ فَلَاقِ مُسَوِّدَ الْأَدِيمِ^(٦).

لَوْلَا الْمَدَامُ لَمَا أَهْتَدَى فِيهِ إِلَى كَاسٍ نَدِيمٍ^(٧).

وتقومُ شهرةُ الحِجَارِيِّ على كتابه «المُسْهَبُ»^(٨):

أ- أَلَّفَ الْحِجَارِيُّ كِتَابَ «المُسْهَبِ» وَهُوَ مُقِيمٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (المغرب ٢: ١٦٠). وكان- في أثناء التأليف- يكتبُ إلى الشعراء يطلبُ منهم أشياء من نتاجِهِمْ (نفع الطيب: ٣: ٣٤٦) وريّاً زارَهُمْ في بُلْدَانِهِمْ من أجل ذلك (راجع نفع الطيب: ٢: ٣٨١). وكتاب «المُسْهَبِ» هذا هو الذي وسَّعه بنو سعيدٍ في جَوَانِبَ ثمَّ هذَّبوه واختصروه في جَوَانِبَ أُخْرَى حَتَّى أَصْبَحَ الْكِتَابُ الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ «المُغْرِبِ»

(١) إذا فتحت أبوابه تفرّجت (زالَت) الشدائد (المر في أسباب الحياة).

(٢) أنجب الرجل: رزق أبناء فاضلين. الموسم: العيد.

(٣) - أسماهم (أذانهم) مشنفة (معلقة بها أقراط: تسمع دائماً) بالفضائل. أيان جمع بين (اليد اليمنى) مسورة (محبة) بالصوارم (بالسيوف) كناية عن شجاعتهم.

(٤) في الحرب ينثرون (يفرقون، يقتلون) أعداءهم، وفي السلم ينظمون (يجمعون) أتباعهم.

(٥) ما أبصرت في العقد (اللؤلؤ الذي يشبه النجوم).

(٦) العاطل: المرأة الجميلة التي تستغني بجيهاها الطبيعي عن الحلي. الأديم: الجلد (صفحة السماء).

(٧) المدام الخمر. ضياء الخمر جمع الناس على المشاركة فيها. شهرتم بالكرم جعلت الناس يقصدونكم.

(٨) والمسهب (بكره الهاء): المفضل. أما المسهب (بفتح الهاء) فما كان فيه تطويل بلا فائدة.

في حُلَى الْمَغْرِبِ ». ويبدو أن كتاب « المُسَهَب » قد بَقِيَ قائماً بنفسه مُستقلاً عن كتاب « الْمَغْرِب » إلى أيامِ الْمُقَرِّي (ت ١٠٤١ للهجرة) وقد وَصَفَه الْمُقَرِّي فَقَالَ (٢ : ٣٢٩) :

« وَقَصَدَهُ ، * سَنَةَ ٥٣٠ ، حَافِظُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحِجَارِيِّ وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابَ « الْمُسَهَبِ فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ » ، فِي نَحْوِ سِتَّةِ أَصْفَارٍ ^(١) . وَابْتَدَأَ فِيهِ مِنْ فَتَحِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى التَّارِيخِ الَّذِي ابْتَدَأَهُ فِيهِ ، وَهُوَ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ^(٢) ... » .

وذكر الْمُقَرِّي هذا الكتابَ مرَّةً (نَفْحُ الطَّيِّبِ : ٣ : ١٨٣) بِاسْمِ « الْمُسَهَبِ فِي فَضَائِلِ الْمَغْرِبِ » ومرَّتَيْنِ (١ : ٥٧٥ ، ٤ : ٧٦) بِاسْمِ « الْمُسَهَبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » . فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ عُنواناً لِكِتَابٍ وَاحِدٍ ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحِجَارِيَّ كَانَ قَدْ تَوَسَّعَ كَثِيراً فِي الْجَانِبِ التَّارِيخِيِّ حَتَّى قَالَ الْمُقَرِّي نَفْسُهُ (١ : ٥٧٥) : « وَهَذَا مَنَقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحِجَارِيِّ فِي « الْمُسَهَبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ (مِمَّا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ الْأُخْرَى) » . وَكَذَلِكَ يَنْقُلُ الْمُقَرِّي أحياناً صَفَحَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَّارِيخِ الْأَنْدَلُسِ ، كَمَا نَجِدُ مِثْلًا فِي أَخْبَارِ مُغِيثٍ فَاتِحِ قُرْطُبَةَ (١ : ١٢ - ١٤) وَفِي أَخْبَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ (رَاجِعْ ٣ : ٣٩ - ٤٧) .

ب - « ... وَكِتَابُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجَارِيِّ الْمُسَمَّى « بِالْمُسَهَبِ فِي فَضَائِلِ الْمَغْرِبِ » ، صَنَّفَهُ بَعْدَ « الذَّخِيرَةِ » وَ « الْقَلَائِدِ » ^(٣) مِنْ أَوَّلِ مَا عُمِرَتْ ^(٤) الْأَنْدَلُسُ إِلَى عَصْرِهِ . وَخَرَجَ فِيهِ عَنْ مَقْصِدِ (هَذَيْنِ) الْكِتَابَيْنِ ^(٥) إِلَى ذِكْرِ الْبِلَادِ وَخَوَاصِّهَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْجُغْرَافِيَا وَخَلَطَهُ بِالتَّارِيخِ وَتَفَنَّنَ الْأَدَبَ ^(٦) ... وَلَمْ يُصَنَّفْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ١٨٣) .

ج - وَفِي كِتَابِ الْمُسَهَبِ لِلْحِجَارِيِّ فِي هَذَا الشَّأْنِ ^(٧) - وَفِي تَدْيِيلِنَا عَلَيْهِ - فِي

(١) السَّفَرُ (بِالْكَسْرِ) : الْجُزْءُ ، الْمَجْلَدُ ، الْكِتَابُ .

(٢) ١١٣٥ - ١١٣٦ لِلْمِيلَادِ .

(٣) « الذَّخِيرَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ » لِابْنِ بَسَّامِ الشَّنْتَرِينِيِّ ثُمَّ « قَلَائِدُ الْعُقَيَّانِ » لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ .

(٤) عُمُرُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ أَوْ لِلْمَجْهُولِ) الدَّارُ (سَكَنُهَا النَّاسُ) .

(٥) أَيْ « الذَّخِيرَةُ » وَ « الْقَلَائِدُ » .

(٦) تَفَنَّنَ الْأَدَبُ : تَنَوَّعَ (٤) أَوْجُهُ الْأَدَبِ .

(٧) فِي هَذَا الشَّأْنِ : (هَنَا) فِي الْجُغْرَافِيَا .

هذا الكتاب الجامع^(١) ما جَمَعَ زُبْدُ^(٢) الأولَيْنِ والآخرين في ذلك (نفع الطيب ٣ : ١٨٥).

٤-★★ المغرب ٢ : ٣٥ - ٣٦ ثم راجع الفهرس الهجائي؛ ويعدّ كتاب «المغرب» كلّه إيجازاً من جانب، وتوسيعاً (في عدد التراجم) من جانب آخر، لكتاب «المسهب» - نفع الطيب (راجع الفهرس الهجائي)؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٨٧ (٦٣)؛ نيكل ٢٦٢، بالنشأ ٢٧٢ - ٢٧٣.

أبو جعفر بن عطية

١- هو أبو جعفر أحدُ بنِ أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي، أصلُ أسرته من طُرُوشة ثم انتقلت إلى دانية ثم إلى مراكش. وكان مولدُ أبي جعفر سنة ٥١٧هـ^(٣) في مراكش، وفيها نشأ وتلقّى العلم على والدِه وعلى نفرٍ كثيرٍ من علمائها.

دخل أبو جعفر في خدمة المرابطين فكان كاتباً لدى علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ولدى ابنَيْه تاشفين (٥٣٧ - ٥٤٠ هـ) وإسحاق (٥٤٠ - ٥٤١ هـ). ولما سقطت دولة المرابطين، سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ - ١١٤٧ م) استتر أبو جعفر بن عطية وتزياً بزيّ الجند. ثم تطوَّع في جيش للموحدين لمحاربة محمد بن هود الماسي الذي ثار في السوس (جنوب المغرب)، سنة ٥٤١ هـ، انتصاراً للمرابطين. وبعد هذه المعركة التي انهزم فيها ابن هود الماسي وقتل، كتب أبو جعفر بن عطية (في خبر طويل) رسالة بالفتح إلى الخليفة عبد المؤمن، فاتَّخذه عبدُ المؤمن كاتباً. ثم جعله وزيراً.

ولما هاجم الإسبان مدينة المرية استنجد واليها السيد أبو سعيد بعبد المؤمن، فأرسل عبدُ المؤمن حملة بقيادة ابنه يوسف وجعلَ معه الوزيرَ أبا جعفر بن عطية.

(١) أي في «المغرب في حلّ المغرب».

(٢) زبد جمع زبدة (بالضم): خلاصة.

(٣) الأدب المغربي (ص ١٧٤) وفي الإحاطة (١ : ٢٧٩) ٥٢٧ وأظنه خطأ مطبعياً.

وبعد نجاح الحملة زار أبو جعفر مدينة غرناطة (٥٥١ هـ) وإشبيلية.

وبينا كان أبو جعفر في الأندلس نُقِلَ حُصَّادُهُ إلى عبد المؤمن وشايةً صدَّقها عبدُ المؤمن. فلمَّا عادَ أبو جعفر من الأندلس قُبِضَ عليه وأُلْقِيَ في السجن. وحَمَلَهُ عبدُ المؤمن مَعَهُ مُقَيِّدًا لَمَّا ذَهَبَ إِلَى تِينَمِلَ لزيارة قبر المَهْدِيِّ بْنِ تومرت. وفي أثناء الرجوع إلى مَرَّاكُش، أَمَرَ عبدُ المؤمن بقتله عند تاقمرت (نفتح ٥ : ١٨٤) - على مقربة من مَرَّاكُش - لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٥٥٣ (١١٥٨/٣/٢٧ م).

٢ - كان أبو جعفر بنُ عطية كاتباً مُترسلاً بليغاً سهلاً المأخذ (قريب المعاني) سيال الطبع. وكان له نظمٌ عادي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو جعفر بنُ عطية يستعطفُ عبدَ المؤمن:

تالله، لو أحاطتُ بي خطيئة^(١)، ولم تنفكْ نفسي عن الخيرات بطيئةً حتَّى سَخِرْتُ
بمن في الوجود^(٢) وأنفَتُ لآدَمَ من السجود^(٣).... وكتبتُ صحيفةً القطيعة بدار
النَّدْوَةِ^(٤)، وظاهرتُ الأحزابَ بالقُصُوى من العُدوة^(٥).... وقلتُ إِنَّ بَيْعَةَ السَّقِيفَةِ لَا
توجبُ إمامةَ خليفة^(٦)، وشحذتُ شَفْرَةَ غُلامٍ المغيرة بن شُعبة^(٧).... ثُمَّ أَتَيْتُ حَضْرَةَ

(١) أحاطت به خطيئته (راجع القرآن الكريم ٢ : ٨١، سورة البقرة): كثرت خطيئاته وثبتت بالأدلة عليه.

(٢) من في الوجود (٤).

(٣) لم أرضَ أَنْ أَسْجُدَ لآدَمَ كما أمر الله (وَأَنْ أَفْعَلَ فَعَلَ إبليس الذي عصى أمر الله ولم يسجد لآدم).

(٤) في نحو السنة الثالثة قبل الهجرة كتب القرشيون صحيفة أخذوا فيها على أنفسهم أن يحصروا محمدًا رسول الله ومن كان قد آمن معه في شعب (بكسر الشين: حي) أي طالب، وأن يقاتلهم فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يزوجهونهم ولا يتزوجون منهم....

(٥) في السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر. وكان القرشيون يمسكون على جانب الوادي المقابل لمعسكر المسلمين (يقصد لو كان مع الكفار يحارب رسول الله). إِنَّ كَلِمَةَ «الأحزاب» توهم بأن الإشارة إلى معركة الخندق (سنة ٥ هـ). ولكن الكلام على العُدوة القصوى (الجانب الآخر من الوادي) - راجع القرآن الكريم ٨ : ٤٢، سورة الأنفال - تشير إلى معركة بدر (سنة ٢ هـ).

(٦) يوم سقيفة بني ساعدة: يوم بايع الناس أبا بكر بالخلافة (يعني لو فارق إجماع الأمة).

(٧) غلام المغيرة هو أبو لؤلؤة الذي قتل عمر بن الخطاب.

المعلوم لا ئذاً وبِقبر المَهْدِيّ عائِداً^(١)، لقد آنَ^(٢) لمقاتلي أن تُسمَعَ، وتُفَرَّ الخطيئاتُ لي أجمعَ، معَ أَنِّي مُقْتَرَفٌ^(٣) وبالذنبِ معترفٌ.

(وكتب مع هذه الرسالة):

عَظُفًا عَلَيْنَا، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ^(٤).
قَدْ أَغْرَقْتَنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجَجٌ؛ وَعَظُفَةٌ مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّنَنِ^(٥).
مَنْ جَاءَ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ بَنَصْرِهِ، لَمْ يَخَفْ مِنْ بَطْشَةِ الزَّمَنِ.
فَالثُوبُ يَطْهَرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنِ، وَالطَّرْفُ يَنْهَضُ بَعْدَ الرُّكُضِ فِي سَنَنِ^(٦).

- ومن رسالة له بعدَ مقتلِ ابنِ هودِ الماسيِّ:

.... هُزِمَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَحْزَابِ وَتَسَاقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ تَسَاقُطَ الذُّبَابِ،
وَأَعْطَوْا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ صَفَحَاتِ الرِّقَابِ وَلَمْ تَقْطُرْ كَلِمَتُهُمْ إِلَّا عَلَى الْأَعْقَابِ^(٧).
فَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْجِهَاتُ بِأَجْسَادِهِمْ، وَأَذْنَتْ الْأَجَالُ بَانْقِرَاضِ آمَادِهِمْ^(٨). وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ. فَلَمْ يُعَايِنْ مِنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَرٍّ صَرِيحاً وَسَقَى الْأَرْضَ نَجِيعاً^(٩).

٤- ** إعتاب، الكتاب ٢٢٥ - ٢٢٩؛ المعجب ١٩٨ - ٢٠٠؛ الإحاطة ١: ٢٧١ -
٢٧٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٠٨، ٥: ١٨٣ - ١٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٧؛ الأدب
المغربي ١٧٤ - ١٨٠.

(١) المعلوم (٤)، وفي الإحاطة (١: ٢٧٦): المعصوم. لا ذ: التجأ. عاذ: احتمى.

(٢) آن: حان، قرب الوقت.

(٣) اقترف ذنباً: ارتكب ذنباً.

(٤) بان: ابتعد. فرط: شدة. البث: الحزن الشديد.

(٥) اللجة: معظم الماء، (وسط الماء). ذنوب لجج (كثيرة تغمر أصحابها).

(٦) الدرن: الوسخ. الطرف (بالكس): الحصان السابق. في الإحاطة (١: ٢٧٦): بعد الركن من وسن (نوم، نعاس)، وفي نفح الطيب (٥: ١٨٥): بعد الركن في سن (نهج الطريق، اتجاهه الصحيح، الشوط الذي يركض فيه الخيل). وأظن أن كلمة الركن خطأ في النسخ. وأرى أنها «الكنو» (العثرة، السقوط).

(٧) عن بكرة أبيهم: جميعاً، كلهم. كلوم جمع كلم (بفتح فسكون): جرح. قطرت جروحهم (دماً) على الأعقاب (مؤخر الأرجل): قتلوا وهم فارّون.

(٨) آجالهم (مقادير حياتهم) أذنت (أعلنت، نادت) بانقراض آمادهم (بانتهاؤ مددهم في الحياة).

(٩) النجيع: الدم.

أبو محمد بن الحاجّ

١ - هو أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر من أهل لُورِقَة سَكَنَ مُرْسِيَةَ وسمع، سَنَةَ ٥٠٣ هـ وسنة ٥٠٤ هـ (١١٠٩ - ١١١١ م) من أبي عليّ الصدي (ت ٥١٤ هـ) وقرأ عليه. وفي سَنَةِ ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) اسْتُدْعِيَ إلى مَرَاكُشَ وتولّى الكِتَابَةَ فيها، ولكنّه استعفى بعدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ وعاد إلى مُرْسِيَةَ زَاهِداً في المناصب وفي أمورِ الدُّنْيَا. ولَمَّا اخْتَلَّ أمرُ المرابطين خَلَعَ أَهْلُ مُرْسِيَةَ طَاعَةَ المرابطين وولّوا على أنفسهم أبا محمد بن الحاجّ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٣٩ (١١٤٥ م). ولكنّ أبا محمد بن الحاجّ تَرَكَ وِلَايَةَ مُرْسِيَةَ بعدَ نحو شهرٍ وعادَ إلى زُهدِهِ ونُسكِهِ. وكانت وفاته بعدَ سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

٢ - كان أبو محمد ابن الحاجّ بارِعاً في الآداب ناثراً وشاعراً على شعره شيء من الرَوْنَق وفي نثره كثير من التكلّف. والغالبُ على شعره الوصفُ والنسيب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن الحاجّ في الوصف والنسيب:

سقاها الحيا من مغانٍ فِصاحٍ، - فكم لي بها من معانٍ فِصاحٍ^(١) -
وحلّى أكاليلَ تلك الرُبيّ ووشى معاطفَ تلك البطاح^(٢).
فما أنسَ لا أنسَ عَهدي بها وجرّي فيها ذُيولَ المِراح^(٣).
ونومي على حَبَرَاتِ الرِياضِ يُجاذِبُ بُرْدَيَّ مرُّ الرِياحِ^(٤)؛

(١) الحيا: المطر. المغانى جمع مغنى: المنزل أو المسكن وفيه أهله. وقد نظمت وصفها شعراً واضح المعاني.

(٢) الحيا (المطر) ملأ أكاليل (رؤوس) الربى (التلال) ووشى (زين) معاطف (منحنيات) البطاح (الأرض المستوية) بالنبات والزهر.

(٣) المراح: نشاط الشباب. جرّ ذيل المراح: سار متبختراً معتزلاً بشبابه ونشاطه.

(٤) الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء): ثوب حرير من صنع اليمن (يقصد الأرض المغطاة بالنبات والزهر المختلف الألوان). ونهب الريح فتكشف ثوبي عني مرة وتردّه إلى حاله الأولى مرة.

بِحَيْثُ لَمْ أُعْطِ النُّهَى طَاعَةً وَلَمْ أُصْغِرْ سَمْعاً إِلَى لَخْيٍ لَاحٍ^(١).
وَلَيْسَ كَرَجْمَةِ طَرْفِ الْمُرِبِ سَبِّ لَمْ أَذِرْ لِي شَفَقاً مِنْ صَبَاحٍ^(٢).
- كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَاجِّ رَدًّا عَلَى رِسَالَةٍ إِلَيْهِ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ:

قَدْ رَمَانِي - عَلَى قَوْتِ بَيَانِي بَيَانُكَ، وَقَدْ تَوَلَّى إِحْسَانِي وَارْجَحَنَّ إِحْسَانُكَ^(٣) -
بَعَيْنَيْنِ مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ نَجْلَاوَيْنِ..... وَفَصْلَيْنِ مِنْ دُرٍّ وَبَاقُوتٍ، بَلْ أَصْلَيْنِ مِنْ
سِحْرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ^(٤). إِذَا لَمَحْتُ النَّثْرَ قُلْتُ: لَوْ نُظِمَ هَذَا لَفَسَدَ، وَإِذَا تَصَفَّحْتُ
النِّظْمَ قُلْتُ: لَوْ نَثِرَ هَذَا لَتَبَدَّدَ^(٥).... وَفِي الْقَطْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ - أَطَالَ اللَّهُ بِسُطَّةِ
نَاصِرِهِ وَحَامِيهِ، وَوَصَلَ عِزَّةَ حَاضِرِهِ وَنَائِيَةِ^(٦) - شَرَفُ قَدِيمٍ وَسَلَفُ كَرِيمٍ وَأَدَابِ
وَعُلُومِ وَأَلْبَابٍ وَحُلُومِ وَأُودِيَةٍ يَجْتَابُهَا الْفَضْلُ وَالطُّوْلُ عِذَابِ^(٧) وَأُنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ
وَالْفِعْلُ رَحَابِ^(٨). وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ شِهَابٌ وَوَكَّفَ سَحَابُ^(٩).

٤ - ★★ قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ معجم ابن الأبار ٢٣٣ - ٢٣٥؛ المغرب ٢: ٢٧٦.

ابن قُزْمانِ الأصغرُ

١ - هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عِيسَى بْنِ قُزْمانِ الأصغرِ،

- (١) النهى: العقل. اللحي: اللوم. اللاحي: اللائم. - لم أطلع عقلي في (ترك محبة الحبوب) ولا سمعت نصيحة الذي لامني على الانجراف في الحب.
- (٢) كرجمة طرف المريب (المتهم الخائف): قصير جداً. الشفق يكون في أول الليل. والصباح بعد انتهاء الليل (لم أذر متى بدأ الليل ولا متى انتهى لكثرة سروري في تلك الليلة).
- (٣) البيان: المقدرة على التعبير بالكلام. القوت: الذهاب، الانقضاء. تولى: ذهب، انقضى. ارجحن: اهتز (من النشاط والنضارة).
- (٤) رماني ببيانك بعينين نجلاوين (واسعتين): أعجبنى وجعلني أعشقه. هاروت وماروت ساحران قديران كانا في بابل.
- (٥) لو جعل كلامك المنشور نظماً (شعراً) لذهب جلاله. وكذلك لو نثر شعرك.
- (٦) البسطة: اتساع الملك والسيطرة. نائية: بعيدة (٤).
- (٧) ألباب وحلوم: عقول. أودية: منازل، بلاد. يجتابها: يقطعها من طرف إلى طرف (يملاها). الفضل: الكرم. الطول: الفضل والقدرة والغنى. عذاب: حلوة.
- (٨) رحاب: واسعة.
- (٩) شهاب: نجم. وكف (سال، أمطر).

تَمييزاً له من عَمِّه أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٠٨ هـ).

ولد أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ قَزْمَانَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) فِي قُرْطُبَةِ فِي بَيْتٍ جَلِيلٍ خَرَجَ مِنْهُ أَعْلَامٌ وَنُبَهَاءٌ. وَسَلَكَ ابْنُ قَزْمَانَ الْأَصْغَرَ فِي حَيَاتِهِ طَرِيقَ اللَّهِوِ وَالْمُجُونَ وَالِاسْتِهْتَارَ بِالْمُلَذَّاتِ، وَكَانَ يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ عَلَى إِسْبِيلِيَةِ لِلنُّزْهَةِ وَاللَّهُوِ (مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ ١١٥٤).

وَمَدَحَ ابْنُ قَزْمَانَ الصَّغِيرُ بِحَيِّ بْنِ غَانِيَةَ آخَرَ وَلَاةِ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ (ت ٥٤٣ هـ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ (٥٤١ هـ) عَاشَ فِي بُؤْسٍ وَذِلَّةٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ إِمَامَ مَسْجِدٍ (بَعْدَ ذَلِكَ الْمَجُونَ وَالِاسْتِهْتَارَ) لِلْحَصُولِ عَلَى الْكَفَافِ مِنَ الْعَيْشِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ قَزْمَانَ الصَّغِيرِ فِي قُرْطُبَةِ ٢٩ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ (١١٦٠/١٠/٢ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - اشْتَغَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَزْمَانَ الْأَصْغَرُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالشَّعْرِ الْمَغْرَبِ (الْفَصِيحِ) فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ كَثِيراً إِذْ قَصَّرَ فِيهِ عَنْ أُنْدَادِهِ وَمُعَاصِرِيهِ كَابْنَ خَفَاجَةَ فَانْقَلَبَ إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّجَلِ (الشَّعْرِ الْعَامِّيِّ). وَفِي شَعْرِهِ جُرْأَةٌ وَشِيءٌ مِنَ النُّقْدِ الْاجْتَاعِيِّ. وَلَهُ مَدِيحٌ وَخَمْرِيَّاتٌ وَغَزَلٌ مَذْكُورٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَزْمَانَ الْأَصْغَرُ فِي الْمَوَازَنَةِ بَيْنَ الْفَارِسِ وَالْأَدِيبِ:
يُمْسِكُ الْفَارِسُ رُحْمًا بِيَدٍ، وَأَنَا أُمْسِكُ فِيهَا قَصَبَةً^(١).
فَكَلَانَا بَطْلٌ فِي حَرْبِهِ، إِنَّ الْأَقْلَامَ رِمَاحُ الْكُتُبِ.
- وَلَهُ فِي الْمَهْرَمِ بَعْدَ الشَّبَابِ:

وَعَهْدِي بِالشَّبَابِ وَحَسَنٍ قَدِّي حَكَى أَلْفَ ابْنِ مُقَلَّةٍ فِي الْكِتَابِ^(٢).

(١) قَصَبَةٌ: أَنْبُوبٌ قَصِيرٌ مِنْ قَصَبٍ رَفِيعٍ (غَزَار).

(٢) أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَقَلَّةٍ (ت ٣٢٨ هـ) خَطَّاطٌ عَبَّاسِيٌّ مَشْهُورٌ وَبَارِعٌ. أَلْفُ ابْنِ مَقَلَّةٍ (لَعَلَّ ابْنَ مَقَلَّةٍ =

فَصِرْتُ الْيَوْمَ مُنَحْنِيًّا كَأَنِّي أَفْتَشُّ فِي التُّرَابِ عَلَى شَبَابِي.

- وكان ابنُ قزمان مَلِيحَ المَوَاسِةِ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ (ت ٥٤٠ هـ) غَلَامَهُ يَدْعُوهُ إِلَى لَيْلَةِ أَنْسٍ. فَأَسَاءَ الْغَلَامُ الْإِبْلَاحَ. فَردَّه ابنُ قزمان. فكتب ابنُ أبي الخِصَالِ إِلَى ابنِ قزمانَ أَيْبَاتًا مَطْلَعُهَا: «إِنِّي أَهْرُكَ هَرَّ الصَّارِمِ الْحَذَمِ *». فَأَجَابَهُ ابنُ قزمانَ بِالأَيْبَاتِ التَّالِيَةِ:

أَتَى مِنَ الْمَجْدِ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ نَشِي عَلَى الرَّأْسِ فِيهِ لَا عَلَى قَدَمٍ .
رَقَزُ وَرَقَصُ وَمَا أَحْبَبْتَ مِنْ مُلَحٍ عِنْدِي وَأَكْثَرُ مَا تَدْرِيهِ مِنْ شَيْمٍ ^(١) ،
حَتَّى يَكُونَ كَلَامُ الْحَاضِرِينَ بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ « وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ » ^(٢)
(يَا لَيْلَةَ السَّفَحِ هَلَّا عُدْتُ ثَانِيَةً ؛ سَقَى زَمَانُكَ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيمِ) ^(٣) .

وَجَاءَ ابنُ قزمانَ إِلَى تِلْكَ الْجُلُوسَةِ فَأَمْتَعَ الْحَاضِرِينَ بِكَلَامِهِ . ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ بَدَرَتْ مِنْهُ حَرَكَةٌ أَنْطَفَأَ بِهَا السِّرَاجُ فَقَالَ:

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ الْعَالِي عِلْمُكُمْ مَا مِلْتُ، لَكِنِّي مَالَتْ بِي الرَّاحُ ^(٤) .
فَإِنْ أَكُنْ مُطْفِئًا مِصْبَاحَ بَيْتِكُمْ فَكُلُّ مَنْ مِنْكُمْ فِي الْبَيْتِ مِصْبَاحُ ^(٥) .

٤ - (ديوان) ابن قزمان El Cancionero de Aben Guzman بالحرف اللاتيني (نشره نيكل Nykl) مدريد ١٩٣٣ ^(١) .

= كان يطيل الألف على استقامة واحدة) كناية عن انتصاب القامة والرشاقة. الكتاب: الكتابة (الخط). * الصارم (السيف) الحذم (القاطع).

(١) الرقز: الرقص. والراقز: الضارب (على الدف - بضم الدال) راجع تاج العروس - (الكويت) ١٥ : ١٥٨. الشيعة: الخصلة الجميلة.

(٢) حتى يكون كلام الحاضرين بها (تنتهي عودتها لأنها كانت ليلة سرور - راجع البيت التالي). وما بالعهد من قدم (عمًا قريب؟).

(٣) هذا البيت للشاعر العباسي الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ). هطال من الديم (مطر غزير) ..

(٤) الراح: الخمر. مال: ترنح (تايل على غير نظام).

(٥) فكل من منكم (تعبير فاسد): كل واحد منكم.

(٦) إن ديوان ابن قزمان يجمع أزراله. وليس من غاية كتابي أن يبحث في الكلام العامي. ولكن

★★ المغرب: ١: ١٠٠ - ١٠١؛ مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦٦) ص ١١٥٤، ١١٥٥؛ نفح الطيب ٤: ٢٣ - ٢٥، ٢٩٦ - ٢٩٧ (؟)، ٧: ١٥ - ١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٩ - ٨٥٣؛ بروكلمن ١: ٣٢١ - ٣٢٢، الملحق ٤٨١ - ٤٨٢؛ نيكل ٢٢٦ - ٣٠١؛ مختارات نيكل ١٧٨ - ١٨٠؛ تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٨ - ٥٠٩؛ بالنشيا ١٥٨ - ١٦٦^(٢)؛ الحريدة (الاندلس) ٢: ٤٨٧؛ سركيس ٢١٤ - ٢١٥^(١)

ابن الإمام الشَّليّ

١ - هو أبو عمرو عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُثْمَانَ، أصله من استنجة^(٢) (نفح الطيب ٣: ١٨٤) ومولده في شَلْب من جَنُوبِ غَرْبِيّ الأندلس. تلقى جانباً من علومه في قُرْبَةِ وإشبيلية، وكان من شيوخه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). ولعلّ وفاة ابن الإمام الشَّليّ كانت نحو ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أو بعد ذلك بوقت قليل.

٢ - كان ابن الإمام الشَّليّ شاعراً وناثراً ومؤرخاً. والأبيات الباقية لنا من شعره في الشكوى التي تحالطها الحكمة، وهي على المنهج الشرقي. وعُرف ابن الإمام الشَّليّ بأنه مؤلف كتاب «سِنَطُ الْجُهَانِ وَسَفَطُ اللَّالِي وَسِقْطُ الْمَرْجَانِ» - وقد ضاع ولكن بقي لنا منه نَازِجٌ متفرقة، وخصوصاً في كتاب «المغرب» لابن سعيد. وكان ابن الإمام مُعْجَباً بنهج الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) فأراد أن يجمع كتاباً فيه ذكر للشعراء الذين كان ابن خاقان وابن بسام قد تركاهم، وأن يُتِمَّ هذه السلسلة إلى إيامه. ولعلّه أراد أن يقف عند السنة ٥٥٠ للهجرة. ونثر ابن الإمام أنيقاً حسن الصناعة، مُسَجِّعٌ أحياناً ومُطَلِّقٌ أحياناً؛ وربما جرى في نثره على السجّية كما نرى في كلامه على أيوب بن سليمان السُّهيلي (المغرب ١:

= المستشرق عبد الرحمن نيكل، وهو أختص بدراسة ابن قزمان، قد جعل لهذا الديوان مقدمة (باللغة الإسبانية) مفيدة جداً ؟

(١) يخلط نفر كثيرون بين أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان هذا (ت ٥٥٥ هـ) وعمه المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (وكنيته واسمه ككنية ابن أخيه واسمه ونسبه: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان).

(٢) استنجة (بفتح فسكون ففتح ففتح): بلد بالأندلس من أمهال قرطبة (تاج العروس - الكويت ٦: ٢٨). وفي حاشية هذه الصفحة نفسها: بكسر فسكون فكسر (عن معجم البلدان).

٦٠ - ٦٢)؛ قال ابن الإمام: «إنه من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان ممن خَلَّ ذِكْرُهُ في الفتنة^(١)، كان يخدم أبنَ الحاجِّ. فلما ثار أبنُ الحاجِّ في مدَّة المثلَّمين (المرابطين) أنشده (أيوب) قصيدة منها:

إذا أنا لم أبلغ بك الأمل الذي قطعْتُ به الأيام فالصبرُ ضائعٌ.
فأعْتذر له بالفتنة، فقال (له أيوب): إن لم يكن ما أرتقبه فليكن وعدٌ والتفاتٌ
أَتعلَّلُ بها وأعلِّمُ منها أُنَى في فكرِ الأمير. فالسُّكوتُ يطمِسُ أنوارَ الآمالِ ويُغلقُ
أبوابَ الرجاء...».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عمرو عثمان بن علي بن الإمام الشَّليبي (نفع الطيب ٣: ٤٨٧):
عذيري من الأيام، لا درَّ درُّها، لقد حَمَلْتَنِي فوقَ ما كنتُ أرهبُ^(٢).
وقد كنتُ جَلْدًا ما تُنْهِنِي النوى، ولا يَسْتَبِينِي الحادثُ المتغَلَّبُ^(٣).
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا جَذِيلُ حِكَاكِ أو عُذيقُ مَرَجَبُ^(٤).

- (١) الفتنة (الاضطراب السياسي) التي كانت في آخر حكم المرابطين في الأندلس، لا الفتنة المشهورة في أواخر أيام الخلافة الروانية في قرطبة.
- (٢) عذيري من الأيام (من ينصرتني على فعل الأيام؟ - من يعذرنني إذا رأيته أوم الأيام؟) لا درَّ (جرى) درُّها (لبنها): ليت لبنها يجفَّ (ليتها تصاب بسوء). وكنت أخاف أن تصيبني مصيبة صغيرة فجاءتني بمصائب كبيرة كثيرة. أرهب: أخاف.
- (٣) الجلد: القدرة على العمل الصعب والمستمر. نهه فلان فلاناً عن أمر: كفه (ردّه). النوى: (مؤنثة): البعد (في الأصل ينهني النوى - وذلك خطأ). استباه = سباه، أسره. إن الحادث (الأمر النازل: المصيبة) المتغَلَّب (الشديد، القوي) لا يقعدني، لا يفهرني.
- (٤) صروف الدهر جمع صرف (بالفتح): النائبة، المصيبة. مع الصبا (برغم أنني كنت شاكياً)، يقول: إن الدهر يقاسي مني (وأنا لا أقاسي منه). جَذِيل حِكَاكِ الخ. قال الحباب (بالضم) بن المنذر (ت نحو ٢٠ هـ) يوم السقيفة (يوم بايع الناس لأبي بكر بالخلافة): «أنا جَذِيلُا الحِكَاكِ وعذيقها المَرَجَبُ». الجَذِل (بالكسر) أصل الشجرة، وعود ينصب للإبل الجرمي لتحكَّ به أجسامها (يقال هو جَذِل حكاك: أي يستشفى برأيه). العذيق (بالفتح): النخلة يحملها حينما تكون عليها العذوق (جمع عذق بالكسر): الفصن الذي فيه التمر. المَرَجَب المدعوم، المسند. هذا المعنى اللغوي. أمّا المقصود الاجتماعي فهو: أنا رجل كثير الاختبار يستفتيني الناس في شؤونهم، وأنا رجل له قبيلة كبيرة قوية تعضدني وتنصرتني.

وكنْتُ إذا ما الحَظْبُ مدَّ جَنَاحَه عليّ تراني تحتَه أَتَقَلَّبُ^(١)،
فقد صِرتُ خَفَّاقَ الجَنَاحِ يَروَعُني غرابٌ إذا أَبْصَرْتَه وهو يَنعَبُ^(٢).
وأحسَبُ من ألقى حبيباً مُودَّعاً، وأن بلادَ الله طُراً مُحَصَّبُ^(٣).

- وقال ابن الإمام الشَّليبي في مُحَمَّد بن يحيى الشَّلطيَّشي المعروف بابن القابلة (المغرب ١: ٣٥٢):

ذو المنزِع اللطيف، والتلون الشريف، وسالك مَهيع ابن العَريف^(٤)، ومُلْسُ
سُوقِ المعاني حُلَل اللفظ الشريف. كلَّ حين تَهْدِلُ غُصُونُ آدابه وتَرِفِلُ أيامُ شَبابه في
ذبولِ آرابه. يَنْدَى مَجْلِسُه بِقَطْرِ الأدبِ الغُصِّ^(٥)، وَيَفْري الفَريَّ لسانَه وعيناه لا
يَبْرَحُ مغرِزها في الأرض^(٦).

- وقال في عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام^(٧) (المرواني) (المغرب ٢: ٢٤٦):

- (١) كنت إذا أصابني مصيبة أو دهاني أمر تقلبت تحتَه (عاجلته، تخلصت منه).
- (٢) الجناح: جانب الجسم (حيث القلب؟). خَفَّاق الجناح (مضطرب القلب من الخوف). يروعي (يخيفني) نعيب (صوت) الغراب (مع أن صوت الغراب مألوف عندنا لا يجوز أن يخيف أحداً).
- (٣) وأحسب: أظنّ (بمعنى أوقن) أن كلَّ من ألقاه من الناس واتَّخذَه صديقاً سَأْفَارة يوماً ما؛ وأن جميع البلاد «محَصَّب» (مكان في منى - بكسر الميم - شرق مكة يذهب الحجاج إليه لرمي الجمار - بكسر الجيم: سبع حصوات - وبيت الحاج في منى عادة ثلاث ليال في الأكثر). كلَّ بلد تحلَّ فيه ستركه يوماً ما.
- (٤) المنزِع: الخُفَّة، الطريقة، الاتجاه. التلون (تنوع أدب المدوح؟). المهيع: الطريق الواضح. ابن العريف أحد بن محمد الصنهاجي (ت ٥٣٦ هـ) كان يسلك مسلك الصوفيَّة. لم أجد صلة بين ابن العريف وابن القابلة (ت ٥٣٩ هـ) توضح هذه الجملة.
- (٥) رفل: تبخر في سيره. آراب جمع إرب (بالكسر): الحاجة، الدهاء، العقل. هدل الغصن: تدلَّى إلى أسفل. وتهدل غصون آدابه الخ (؟). الغصن: الطريُّ الناضر.
- (٦) يفري (يقطع) الفريَّ (الكلام الباطل، الكاذب). وعيناه مغرِزها (اقرأ: مغرِزها). يفري الفريَّ لسانه (يبطل قوله الأقاويل الباطلة) وعيناه مغرِزها في الأرض (من التواضع).
- (٧) - (١٥) لطلب الأمر (الحكم، الإمارة). ناقض: خالف لما توقي عبد الرحمن الداخل (أول أمراء بني أمية المتوارثين في الأندلس)، سنة ١٧٢ هـ، أوصى بالإمارة بعده لابنه هشام (ولم يكن أكبر إخوته، بل كان قد ولد في الأندلس، فاعتقد عبد الرحمن الداخل أن أهل الأندلس يمكن أن يطيعوا أميراً ولده =

سَمَتَ نَفْسَهُ بَعْدَ أَبِيهِ لَطَلِبِ الْأَمْرِ^(١) فَنَاقَضَ أَخَاهُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سُلْطَانَ الْأَنْدَلُسِ ، وَشَايَعَ أَخَاهُ الْخَارِجَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢) . ثُمَّ حَارَبَ ابْنَ أَخِيهِ الْحَكَمَ بْنَ هِشَامِ^(٣) ، ثُمَّ حَارَبَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ^(٤) . وَفِي مُدَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (كَانَ) يُهْزَمُ وَيُقْصَى^(٥) ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى عَنْ طَلِبِ الْأَمْرِ . وَأَلَّ^(٦) أَمْرُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَنْ خَطَبَ فِي جَامِعِ مَرْسِيَّةٍ وَدَعَا عَلَى الظَّالِمِ بَيْنَهُمَا ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالْمَنِيَّةِ دُونَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ .

٤ - ** التكملة ٦٦١ (رقم ١٨٣٣)؛ الحلة السراء ٢: ٩٢ (في الحاشية خاصة)؛ المغرب (نصوص مختلفة من كتابه) ١: ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٦، ١٠: ٤٣، ٥٥، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣١٥؛ نفع الطيب ٢: ٢٦٢، ٣: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٧.

أبو بكر الصيرفي

١ - هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاريّ الغرناطيّ المعروف بابن الصيرفيّ، أخذَ عن الحسن بن مغيث وأبي بكر بن العربيّ (ت ٥٤٣ هـ) وأبي مروان ابن بونة.

كان ابن الصيرفيّ كاتباً للأمير محمد بن تاشفين والي غرناطة. ثمّ كانت وفاته في أوريوله (من أعمال مرسية) في سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) في قولٍ أو في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) في قولٍ آخر، وقد أسنّ كثيراً.

٢ - كان أبو بكر الصيرفيّ كاتباً مُترسلاً مُجيداً وشاعراً رقيقاً مُكثرًا. فصيح

= بينهم أكثر من طاعتهم أميراً ولد في خارج الأندلس). ولكن سليمان وعبد الله (أخوي هشام) قاوما أخاهما هشاماً. واستطاع هشام أن يترضى عبد الله أخاه بمبلغ من المال فاعتزل إلى المغرب. فلما توفي هشام، وقد جعل الإمارة في ابنه الحكم، عاد سليمان وعبد الله إلى العصبان. واستطاع الحكم أيضاً أن يترضى عمه عبد الله بمبلغ آخر فاعتزل إلى بلنسية وعرف بالبلنسي. وأمّا سليمان فقتل (سنة ١٨٤ هـ) في حديث طويل.

(١) آل: رجع، انتهى إلى.

الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وبعض شعره جزلٌ مشرقِي النفس. وله موشحاتٌ بارعة. ثم إنه كان مُشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ، وله كتابٌ «الأنوار الجلية في أخبار الدولة المُرابطية».

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن الصيرفي موشحة منها:

قد جَنَحَتْ خَيْلي إلى أي بكر^(١)
فلا إلى النيل ولا إلى مِصرِ
أما ترى لَيْلي حَيْرَان لا يَسْري^(٢)
كأنَّا خَطَّاء * من ذَيْلِهِ مَجْرى * وكلَّما شَطَّأ * جرَّ الدُّجى جرًّا^(٣)!

★ ★ ★

لَهْني على مَوْعِدْ لم يَقْضِهِ الدهرُ
علَّ الذي أرْصدُ قد عاقَهُ عُدْرُ^(٤)
لِذاك ما أنْشِدُ إذ عَزَّي الصبرُ^(٥)
مَحْبوبي قد أبْطأ * مَنْ غَيَّبَ البدرا * حتَّى لقد أخطأ * وأشغل السِّرا^(٦)
- موشحة لأبي بكر يحيى بن الصيرفي:

(١) جنح: مال (زار). أبو بكر لعلَّه أبو بكر يحيى بن تاشفين والي فاس (٢)

(٢) سرى: سار ليلاً.

(٣) عند بدء طلوع الفجر يبدو في السماء شبه عمود (من نور الشمس التي لا تزال تحت الأفق) يشبه المجرى (الممر) كأنه أثر لذيل الليل (أو آخره). وكلَّما شَطَّأ الليل (انحرف عن اتجاه العمود): اتَّسع النور في السماء مع اقتراب الشمس من الأفق، جرَّ الدُّجى جرًّا (سحبه) أي أبطأ ظهور النور في السماء (بالإضافة إلى سرعة ظهور عمود الفجر).

(٤) أرصد: اترقَّب، أنتظر.

(٥) عَزَّي (غلبني) الصبر: يئست من الانتظار.

(٦) أشغل (ليست في القاموس) يقصد «شغل»: صرف الإنسان عن عمله وأهله. لعلَّها «أشعل». السر: ما يخفيه الإنسان في نفسه. يقصد: إبطاء محبوبي في الزيارة جعلني مشتعل البال.

جَرَّ الذَّيْلَ أَيْ جَرَّ وَصَلَ السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

★ ★ ★

وَاخْضَبِ الزَّيْدَ مِنْكَ بِاللَّهَبِ مِنْ لُجَيْنٍ تَحِفُّ بِالذَّهَبِ^(١)
تَحْتَ سُلُوكٍ مِنْ لَوْلُو الْحَبِّ مَعَ أَحْوَى أَغَرَّ ذِي شَنْبِ^(٢)
أُودِعْتَ كَفُّهُ مِنَ الْخَمْرِ جَامِدَ الْمَاءِ ذَائِبَ الْجَمْرِ^(٣)

★ ★ ★

ذَاكَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
لَا تَقِذْ فِي الظَّلَامِ مِصْبَاحَا خَلَّ عَنْهُ وَشَعِشِعَ الرَّاحَا^(٤)
حِينَ تَنْهَلُ أَذْمُعُ الْقَطْرِ وَتَرَى الرُّوضَ بِاسْمِ الزَّهْرِ

★ ★ ★

نَظَّمْتَ جَوْهَرَ الْمُلا سِلْكَا كَفُّ مَلِكٍ يُزِينُ الْمُلْكََا
مَا بَرَى اللَّهُ مِثْلَهُ مَلْكََا لَاحَ بَدْرًا وَفَاحَ لِي مِسْكََا^(٥)
كَالْحَيَا، كَالْأَمَانِ، كَالدَّهْرِ، كَعَلِيٍّ فِي الْحَرْبِ أَوْ عَمْرٍو^(٦)

★ ★ ★

-
- (١) خضب: صبغ. الزند: ما بين الكف والذراع. باللهب: بلون أحمر. من (من خلال) لجين (فضة) يحفّ (يحيط) بالذهب (بالخمر) - حينما يحمل الشارب كأس الخمر يمرّ لونها الأحمر من خلال كأسها الزجاجيّ الأبيض ويقع على اليد).
- (٢) سلوك جمع سلك: الخيط الذي تنظم فيه اللآلي. يشبه الحبيب فقايع الهواء العائنة على وجه الخمر بالآلي، لجالها وكثرتها). أحوى: ذو شفة سمراء. أغرّ: أبيض. الشنب: بياض الأسنان.
- (٣) أودعت: وضعت. جامد الماء (زجاج أبيض) ذائب الجمر (خمر حراء اللون).
- (٤) لا تقد (من وقد يقدر) بمعنى اشتعلت النار. والشاعر يجعل «وقد» فعلاً متعدياً بمعنى أوقد. - اترك إضاءة المصابيح (في الليل) وشعشع الراح (امزج الخمر بالماء) واشربها، فالخمر تضيء لك الليل.
- (٥) برى = برأ: خلق.
- (٦) الحيا: المطر. علي (بن أبي طالب) وعمرو (بن العاص) أي جمع الشجاعة والدهاء.

أَيُّ بَحْرٍ وَأَيُّ ضِرْغَامٍ ؟ أَيُّ رُمَحٍ وَأَيُّ صَمْصَامٍ ^(١)
 طاعنُ الصدرِ ضاربُ الهامِ بَيْنَ كَرٍّ وَبَيْنِ إِقْدَامِ
 مُخْلَفُ الْبَيْضِ بِالْحُلِيِّ الْحُمْرِ وَمُرَوِّي الْقَنَاقَةِ فِي النَّحْرِ ^(٢).

★ ★ ★

حِينَا لَاحَ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ كَهَيْلَالٍ تَحْفُفُهُ الدِّيمُ ^(٣)
 خَافِقُ فَوْقَ رَأْسِهِ عَلمٌ غَنَّتِ الْعُرْبُ فِيهِ وَالْعَجَمُ
 عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَصْرِ لَأَمِيرِ الْعُلَا أَيْ بَكْرِ -
 وله في النسيب:

أَجَرْتُ دَمِي تَحْتَ اللَّثَامِ لَثَامًا وَسَقَتْ - وَلَمْ تَذَرْ - الْكُؤُوسَ مَدَامَا ^(٤)
 شَمْسٌ إِذَا سَرَقَتْ مَعَاطِفَ بَانَةٍ فِي ثَوْبِهَا سَجَعَ الْحُلِيُّ حَامَا ^(٥)
 وَتَنَفَّسَتْ فِي الصُّبْحِ مِنْهَا رَوْضَةٌ بَاتَتْ تُنَادِمُ بَارِقًا وَغَمَامَا ^(٦)
 نَجْدٌ بِهِ عَثَرَ النِّسْمُ بِمِسْكَةٍ فِي تَرْبِهَا فَتَفَرَّقَتْ أَنْسَامَا ^(٧)!

٤ - ★ ★ المغرب ٢: ١١٨ - ١١٩؛ التكملة ٢: ٧٢٣؛ صلة الصلة ١٨٣؛ جيش التوشيح ١٢٠ - ١٣٤ (راجع ٢٥٢ - ٢٥٦)؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٠٨ (٨: ١٦٤ - ١٦٥).

-
- (١) الضرغام: الأسد الشديد. الصمصام: السيف الذي يقطع العظم.
 (٢) مخلف (تارك، جاعل) البيض (السيوف) بالحلى الحمر (مصبوغة بدم الأعداء). مرووي (ساقى) القناة (الرمح) في النحر (في صدور الأعداء).
 (٣) تحفه: تحيط به. الديم جمع ديمة: غيمة فيها مطر.
 (٤) تحت اللثام (ما تحت اللثام) وجهها. لثام: غطاء. - وجهها الشديد الحمرة أخذ حرته من دمي (بإحالي في حبها). وريقها هو الذي ملأ الكؤوس مداماً (خراً).
 (٥) البانة: شجرة ذات أغصان طويلة مستقيمة سمراء. المعطف والعطاف: ثوب واسع. سرقت معاطف بانه (ظهرت في ثيابها كأنها غصن بان) وأحدث حليها نفماً جيلاً كهديل الهمام كناية عن أنها فتاة جميلة وليست قضيبي بان إلا على التشبيه.
 (٦) الروضة في الصباح أخذت من أنفاس المحبوبة للمعان (الجمال والبياض) والبرودة المستعجة (التي يسببها الغيم).
 (٧) الترب (ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الشاعر) المقصود تربية مفرد ترائب (الصدر). - نسيم نجد وجد في صدر المحبوبة قطعة من مسك فعمّرها بها جميع الرياح الطيبة الرائحة.

أبو جعفر بن سعيد

١ - هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ الْعَنْسِيِّ الصَّحَابِيِّ الْمَعْرُوفِ. وَجَدَهُ سَعِيدٌ هُوَ الَّذِي دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ وَحَلَّ فِي قَلْعَةِ يَحْصِبَ^(١). وَلَمَّا جَازَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّخَلَ الْأُمُوِيُّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) طَلَبَ وَالِي الْأَنْدَلُسِ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ مِنْ سَعِيدٍ أَنْ يَقَاوَمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُعَاوِيَةَ^(٢). وَبَيَدُوا أَنَّ سَعِيدًا لَمْ يَسْتَجِبْ لَذَلِكَ الطَّلَبِ؛ فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ ضَرَبَ عُنُقَهُ.

وفي أيامِ الْفِتْنَةِ وَثُورَةِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ (مطلع القرن الخامس الهجري) = مطلع القرن الحادي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ) اسْتَبَدَّ خَلْفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِقَلْعَةِ يَحْصِبَ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ خَلْفُ تَوَلَّى الْقَلْعَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ سَعِيدٌ ثُمَّ تَوَلَّاهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ.

ولَمَّا اسْتَوْلَى الْمُوَحِّدُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ قَاوَمَهُمُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ ثُمَّ خَضَعَ لَهُمْ. وَلَكِنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ بْنَ عَلِيٍّ سُلْطَانَ الْمُوَحِّدِينَ لَمْ يَثِقْ بِوَلَايَتِهِ فَسَجَنَهُ ثُمَّ عَادَ فَأُطْلِقَ سَرَّاحَهُ. وَوَفَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْحِجَارِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (ت ٥٦٠ هـ) فِي قَلْعَةِ يَحْصِبَ وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلُوعًا: «عَلَيْكَ أَحَالَتِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ» ثُمَّ أَلْفَ لَهُ كِتَابَ الْمُسْهَبِ فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ. وَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِكِتَابِ «الْمُسْهَبِ» فَهَذَّبَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ تَأْلِيفَ كِتَابِ الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ.

ومن مؤلفي كتاب الْمَغْرِبِ أَيْضًا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ.



(١) قَلْعَةُ يَحْصِبَ (بفتح الياء وكسر الصاد) أو قَلْعَةُ يَعْقُوبَ، فِي الْإِسْبَانِيَّةِ: الْقَلْعَةُ الْمَلِكِيَّةُ (بفتح الميم واللام) إِلَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ غَرْنَاطَةِ. وَقَدْ سَمِّيَتْ قَلْعَةً بِنِي سَعِيدٍ.

(٢) رَاجِعِ الْجُزْءَ الرَّابِعَ.

أدركَ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ فترةَ الشُّغورِ بينَ المرابطينَ والموحِّدين^(١). وإذا صحَّ أنَّه كانَ تلميذاً للشاعرين ابنَ الرِّزَّاقِ (ت ٥٢٨ أو ٥٣٠ هـ) وابنِ خفاجة المشهور (ت ٥٣٠ هـ)، فيجب أن يكون مولده قبل سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م).

وأرادَ عبدُ الملكِ بنُ سعيدٍ شيئاً من الحُطوة والجاه لابنه أبي جعفرٍ فأدخله على عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ، فألقى أبو جعفرٍ بين يديَّ عبدِ المؤمنِ قصيدة، وذلك في أولِ سنَّةِ ٥٤٦ هـ (أولِ الربيع من عام ١١٥١ م) في الأغلب، حينما أذنَ عبدُ المؤمنِ لأهلِ الأندلس بالوفادة عليه في مدينة سلا (شمالَ مدينة الرباط الحاضرة) في المغرب الأقصى.

ثم إنَّ أبرزَ الأحداثِ في حياة أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سعيدٍ وأهمَّها كانَ حبُّه لِحَفْصَةَ الرُّكُونِيَّةِ^(٢)، برُغمِ الفارقِ في السنِّ بينها. ونعمَ الحبيبانِ مدَّةً بالزيارات والنزَّه ثم ألحَّ عليها الدهر بالشقاء.

في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) استولى أبو سعيدٍ عُثمانُ بن عبدِ المؤمنِ على غرناطة فكان أولَ ولاةِ الدولة الموحِّديَّة على تلك المدينة. واحتاج عُثمانُ إلى كاتبٍ قديرٍ فسُمِّي له أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ. وتردَّد أبو جعفرُ في قبولِ المنصبِ - لأنَّه كان شخصاً يُحبُّ الدَّعةَ ويميل إلى الراحة؛ ولم يكن، فيما يبدو، بحاجة إلى المناصب والمال - ثمَّ قَبِلَ.

وكانت حَفْصَةُ تتردَّد على بلاطِ غرناطة فنشأتَ بينها وبينَ عُثمانَ بن عبدِ المؤمنِ ناشئةٌ هوى. ويبدو أن حَفْصَةَ جعلتُ تراوحُ بينَ المُحبِّين فكان عُثمانُ بن عبدِ المؤمنِ كثيرَ الغيرةِ من غريمه. أما أبو جعفرُ بنُ سعيدٍ فكان يلومُ حَفْصَةَ على قِلَّةِ وفائها - ويقال إنَّه، في أثناء ذلك، جعل يُغيظُها بالتَّحَبُّبِ إلى جاريةٍ سوداء، أو أنَّه أحبَّ تلك الجاريةَ فعلاً.

ويبدو أن هذه الحالَ قد طالَتْ وبلغتْ غيرةَ عُثمانَ ذرَوتَها ثمَّ تجمَّعَ عددٌ من

(١) نحو عشر سنين بين ٥٣٩ و ٥٤٦ هـ (١١٤٤ - ١١٥١ م).

(٢) ستأتي ترجمتها (ت ٥٨٩ هـ). ويقال إنَّه كان بين حَفْصَةَ وأبي جعفر بن سعيد فارق واضح في السن.

الأسباب يدعو إلى النِّقمة من أبي جعفر بن سعيد: منها أَنَّ أبا جعفر كان يُعَرِّضُ
بعثانَ شعراً ونثراً ويتهمك عليه؛ قال مرةً لحفصة: « ما تُحِبِّينَ في هذا الأسود (وكان
لونُ عثانَ مائلاً إلى السَّواد)، وأنا أقدرُ أن أشتريَ لك من سوق العبيد عَشْرَةَ خيراً
منه! ». ومنها أن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (أخا أبي جعفر) فرَّ إلى محمد بن
مردنيش النائر في مُرْسِيَّةَ وشرقي الأندلس منذ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) -
وكان قد سبق لوالد عبد الرحمن أن اتَّصل بآبن مردنيش - فخاف أبو جعفر أحمد بن
سعيد أن يؤخذ بجريرة أخيه ففرَّ إلى مالقة ونحى فيها. غير أن رجال عثان بن عبد
المؤمن عرفوا مكانه فألقوا القبض عليه ووضعوه في سجن مالقة. واستشار عثانُ أباه
عبد المؤمن في قتل أبي جعفر بن سعيد على تُهمة الاتصال بآبن مردنيش، فأذن عبد
المؤمن بذلك فقَتِلَ أبو جعفر في جُمادى الأولى من سنة ٥٥٩ (نيسان - أبريل
١١٦٤ م). سراً

٢ - كان أبو جعفر أحمد بن سعيد أديباً بارعاً في الشعر والنثر وناقداً بصيراً.
وهو في الأصل شاعرٌ وجدائيٌّ مُكثِّرٌ، وشعره أعلى مرتبةً من نثره. ولكنَّ شعره أيضاً
مُتفاوتٌ في الجودة. وكان يقول رُويَّةً وارتجالاً، ورُيَّةً أطال. غير أنَّ المقطعات المرويةَ
له كثيرةٌ وفنونه متعددةٌ، منها المدحُ والهجاءُ والفخرُ وأكثرها الوصفُ والخمر
والفزلُ والمُجون، وله عددٌ من الإخوانيات؛ وكان يقولُ في المناسبات. وقد كان
مُصنِّفاً أيضاً، إذ قام بِقِسطٍ في تأليفِ كتابِ « المُغريبِ » (المغرب ٢: ١٦٤)، راجع
نفع الطيب ٢: ٤٢٩).

ويبدو أن أبا جعفر بن سعيد كان حَسَنَ النِّقَدِ للكلامِ، فقد قال عن حمدة بنت
زيادٍ المؤدِّبِ: « هي خنساءُ المغرب » (المغرب ٢: ١٤٥)، كما كان يُثني على الشاعر
أبي زكريا يحيى بن مطروح (المغرب ٢: ١٥٥). ولما قال أخيل بن إدريس الرُّندي
في مديح عبد المؤمن بن عليٍّ قصيدةً مَطلَّعها:

ما الفخرُ إلَّا فخرُ عبدِ المؤمنِ أُنسى عليه كلُّ عبدٍ مؤمنٍ،

قال أبو جعفر بن سعيد: « دَعاه (الإغراق في) التجنيس إلى الضَّعْفِ والخروج عن

المقصود ولو قال: شادَ الخِلافةَ، وهو أوَّلُ مُبْتَنِي (نفتح الطيب ٤: ٢٠٢) لكانَ أوَّلَى وأَحْسَنَ.

٣ - مختارات من آثاره:

- لَمَّا قُبِضَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ فِي مَالَقَةٍ وَوُضِعَ فِي السِّجْنِ مُقَيَّدًا دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ دَمِعَتْ عَيْنُهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ:

أَعَلَيْ تَبْكِي بَعْدَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَطَايِبَ لَذَائِهَا فَأَكَلْتُ صُدُورَ الدَّجَاجِ وَشَرِبْتُ فِي الزُّجَاجِ وَلَبِسْتُ الدِّيْبَاجَ وَتَمَتَّعْتُ بِالسَّرَّارِيِّ وَالْأَزْوَاجِ وَاسْتَعْمَلْتُ مِنَ الشَّمْعِ السِّرَاجَ الْوَهَّاجَ وَرَكِبْتُ كُلَّ هِمْلَاجٍ^(١). وَهَا أَنَا فِي يَدِ الْحَجَّاجِ مُنْتَظَرٌ مِخْنَةً الْحَلَّاجِ^(٢) قَادِمٌ عَلَى غَافِرٍ لَا يَخْتَاجُ إِلَى اعْتِذَارٍ وَلَا احْتِجَاجٍ!

- مِنَ الْمُتَنَزَّهَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِي غَرْنَاطَةِ حَوْرٍ مُؤَمِّلٍ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ فِي مُوَسَّحَتِهِ الْبَدِيعَةِ (المغرب ٢: ١٠٣ - ١٠٤):

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ فِضَّةُ النَّهْرِ.

★ ★ ★

أَيُّ نَهْرٍ كَالْدَامِ نَهْرُهُ

صَيَّرَ الظِّلَّ قِدَامَ نَهْرُهُ

نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَ نَهْرُهُ

وَتَنَتِ لِلْفَصْنِ لَامَ نَهْرُهُ

فَهُوَ كَالْمَعْضَبِ الصَّقِيلِ حُفًّا بِالشَّفْرِ^(٣).

★ ★ ★

(١) الهملاج: البرذون (بكسر الباء وفتح الدال): البغل الحسن السير والتبختر فيه.

(٢) الحجَّاج بن يوسف الثقفي كان والي الأمويين على العراق، وكان معروفاً بالشدة (ينسبون إليه أشياء من الظلم لم تكن فيه). الحلَّاج: مخرق مشعوز يدعي التصوف وقد كان متهماً في دينه وفي ولائه للدولة، وقد قتل.

(٣) الأصيل: بين العصر ومغيب الشمس. فضة النهر: البياض الحاصل من تقلب المياه في مجرى النهر. =

مُضْحَكًا ثَغَرَ الْكِمَامُ
مُبْكِيًا جَفَنَ الْغَمَامُ
مُنْطِقًا وُرُقَ الْحَمَامِ
دَاعِيًا إِلَى الْمُسَدَامِ.

فَبِهَذَا لِلْقَبُولِ خُطٌّ كَالسَّطْرِ^(١).

★ ★ ★

حَبَّذَا بِالْفَوْرِ مَغْنَمِي
هِيَ لَفْظٌ وَهُوَ مَغْنَمِي
مُذْهِبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا
كَمْ دَرَيْنَا كَيْفَ سِرْنَا

تَمْ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ نَذْرِي^(٢).

★ ★ ★

قَلْبْتُ وَالْمَرْجَ اسْتَدَارَا
بِذُرَى الْكَأْسِ سَوَارَا
سَالِبًا مِّنَّا الْوَقَارَا

= المدامة: الخمر (٢). الفدام: غطاء يوضع على فم الإبريق ونحوه، أو ما يصفى فيه الشراب. اللامة: أداة الحرب كلها من درع ورمح وسيف وبيضة (خوذة تلبس في الرأس). ثنى (حنى) اللام (حرف الهجاء (بين الكاف والميم). لام الفصن: اعتداله. العضب: السيف. الصقيل: المصقول (الحاذ، الماضي، القاطع). الشفر: (اسم جمع للشفرة (حدّ السيف).

(١) الكمامة: غطاء الزهر (الكأس: الأوراق الخضراء التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتح الزهرة). داعياً إلى (شرب) الدمام (الخمر). فهذا (٢) للقبول: (ريح الصبا (بالفتح: الشرق - وهي محبوبة في نجد). خطّ كالسطر (يبدو أن الضمير (في «خطّ») يرجع إلى «النهر» (في البيت: المقطع السابق). رسمت الريح على صفحة النهر خطوطاً متعرجة، أو إشارة إلى الأشجار على شاطئ النهر.

(٢) الفور: المكان المنخفض (ويكون فيه ماء ونبات). مغنى: مكان للسكنى، مسكون. هي، أي الخمر (٢)، وهو معنى (٢). الشجن (بفتح ففتح): الحزن. تذهب الأشجان: الخمر (٢). كم درينا.... نذري: كذا في أول النهار نسير سيراً صحيحاً (لأننا كنا صاحين) وعند الأصيل (لما تمكّن منا السكر) لم نكن ندري كيف نسير.

دائراً من حِيَاثِ دارا
صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ شَبَّكَ الْخَمْرُ^(١).

★ ★ ★

وَعَدَ الْحَبِّ فَأَخْلَفَ
وَاشْتَهَى الْمَطْلَ فَسَوَّفَ
وَرَسُولِي قَدْ تَعَرَّفَ
مِنْهُ مَا أُدْرِي فَحَرَّفَ.

بِاللَّهِ قُلْ: يَا رَسُولِي، لَشْ يَغِيبُ بَدْرِي^(٢).
- طلب أبو جعفر بن سعيد من محبوبته حَفْصَةَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهَا فَمَطَّلَتْهُ شَهْرَيْنِ،
فَكُتِبَ إِلَيْهَا:

يَا مَنْ أَجَانِبُ ذِكْرَ آسِ حَمِيٍّ، وَحَسَنِي عِلَامَةٍ^(٣).
مَا إِنْ أَرَى الْوَعْدَ يُقْضَى، وَالْعَمْرُ أَخْشَى أَنْصَرَامِهِ.
الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، لَا أَنْ تَكُونَ لِي فِي الْقِيَامِ.
لَوْ قَدْ بَصُرْتُ بِجَالِي وَاللَّيْلُ أَرْخَى ظِلَامِهِ،
أَنْوَحُ وَجُدًا وَشَوْقًا إِذْ تَسْتَرِيحُ الْحَمَامَةُ^(٤).
صَبُّ أَطْيَالِ هَوَا عَلَى الْحَبِيبِ غَرَامِهِ^(٥).

-
- (١) المزج: مزج الخمر بالماء. ذرى أو ذرا جمع ذروة (بالكسر أو بالضم): أعلى الشيء. شبك الخمر (الحباب) (بالفتح) الذي يطفو على سطح الخمر بعد مزجها بالماء.
(٢) الحب (بالكسر): المحبوب. هذه الخرجة (القفلة الأخيرة في الموشح باللغة العامية): لماذا يغيب عني بدري (حبيبي)؟
(٣) إن إضرابي عن ذكر اسمه دليل على أُنِي أَحَبَّهُ.
(٤) الوجد: ألم الحب. الحمامة معروفة بأنها لا تهدأ عن الهديل (عن الصوت الذي يشبه النواح). ومع ذلك، فإذا وقعت الحمامة عن النواح فأنا أظن أبكي.
(٥) الصب: الحب. غرامه: تعذيبه (شدة حب الحب للمحبوب - والمحبوب لا يبالي - تزيد في عذاب الحب).

لَمَنْ يَتِيَسُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَرُدُّ سَلَامَهُ.
 إِنْ لَمْ تُتِيَسْ لِي أَرْجِي، فَالْيَأْسُ يَثْنِي زِمَامَهُ^(١).
 - وقال يذكر اجتماعه بحفصة في حَوْر مُؤَمِّل.

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا لَمْ يَرُحْ بِمُذَمِّمٍ عَشِيَّةً وَارَانَا بِحَوْرٍ مُؤَمِّلٍ^(٢)
 وَقَدْ خَفَقَتْ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرْجِيَّةٌ إِذَا نَفَحَتْ هَبَّتْ بِرِيًّا الْقَرَنُفْلُ^(٣)،
 وَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى الدَّوْحِ وَأَتَشْنَى قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ مِنْ فَوْقِ جَدْوَلٍ.
 يُرَى الرُّوْضُ مُسْرُورًا بِمَا قَدْ بَدَّلَهُ: عِنَاقٌ وَضَمٌّ وَآرْتِشَافٌ مُقَبَّلٍ.

- وقال يَصِفُ رِحْلَةَ لُحُودٍ وَصِيدٍ. وَالبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ تَغْرِيسُ بَأْيٍ سَعِيدٍ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالْيَ غَرْنَاطَةَ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي زَادَتْ فِي نَقْمَةِ الْوَالِي غَرْنَاطَةَ عَلَيْهِ:

وَيَوْمَ تَجَلَّى الْأُنْفُقُ فِيهِ بَعْنِيرٍ مِنَ الْغَيْمِ لُذْنَا فِيهِ بِاللَّهِوِّ وَالْقَنْصِ^(٤).
 وَقَدْ بَقِيَتْ فِينَا مِنَ الْأَمْسِ فَضْلَةٌ مِنَ السُّكْرِ تُغْرِينَا بِمَنْتَهَبِ الْفُرْصِ.
 رَكَبْنَا لَهُ صُبْحًا وَلَيْلًا، وَبَعْضُنَا أَصِيلًا، وَكُلُّنَا إِنِّ شَدَا جُلُجُلٌ رَقَصَ^(٥).
 وَشُهْبٌ بُرَاقٌ قَدْ رَجَمْنَا بِشُهِبِهَا طَيُورًا يُسَاغُ اللَّهُوُّ إِنْ شَكَتِ الْفُصَصُ^(٦)،
 وَعَنْ شَفَقِي تَغْرِيسُ الصَّبَاحِ أَوِ الدَّجَى إِذَا أُوثِقَتْ مَا قَدْ تَحَرَّكَ أَوْ قَمَصَ^(٧).

-
- (١) إِنْ لَمْ تَرْضَى (بفتح الضاد) بِوَأَصْلِي أَعْلَى أَنْكَ لَا تَحْمُونِي، فَيَأْسِي جِينُذُ مِنْ وَصَالِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّنِي عَنْ حَبِّكَ فَأَنْسَاكَ وَأَسْتَرِيحَ.
 (٢) لَمْ يَرُحْ بِمُذَمِّمٍ: لَمْ يَنْتَه بِفَعْلٍ ذَمِّمٍ (إِذْ جَعَلْنَا نَلْتَقِي).
 (٣) خَفَقَتْ: تَحَرَّكَ (سَارَ). أَرْجِيَّةٌ: رِيَا (رَاحَةُ طَبَّيَّة).
 (٤) تَجَلَّى: انْكَشَفَ، بَدَأَ. الْعَنْبِيرُ لَوْنُهُ أَسْمَرٌ. لِذَا: التَّجَا. الْقَنْصُ: الْمَصِيدُ (الطَّرَائِدُ الَّتِي صِيدَتْ): جَعَلْنَا نَأْكُلُ مِنَ الطَّرَائِدِ الَّتِي كُنَّا قَدْ اصْطَدْنَاهَا مِنْ قَبْلِ.
 (٥) الْجُلُجُلُ: جَرَسٌ صَغِيرٌ. إِنْ شَدَا: غَنَّى (رَنَّ). كُنَّا فِي حَالِ انْتِشَاحٍ نَرْقِصُ (نَطْرِبُ جَدًّا مِمَّا يَكُنُ السَّبَبُ ضَمِيغًا).
 (٦) (٩).
 (٧) قَمَصَ: عَدَا فِي نَشَاطٍ (ذَهَبَ يَقْفِزُ قَفْزًا) (٩).

وَمِلْنَا، وَقَدْ نَلْنَا مِنَ الصَّيْدِ سُؤْلَنَا، عَلَى قَنَصِ اللَّذَّاتِ وَالْبَرْدُ قَدْ قَرَصَ^(١)،
 بِخِيَمَةِ نَاطُورٍ تَوَسَّطَ عَذْبُنَا جَحِيمٌ، بِهِ مَن كَانَ عَذْبٌ قَدْ خَلَصَ^(٢).
 أَدْرَنَا عَلَيْهِ مِثْلَهُ ذَهَبِيَّةً
 دَعَتْهُ إِلَى الْكُبْرَى فَلَمْ يُجِبِ الرُّخَصَ^(٣).
 فَقُلْ لِحَرِيصٍ أَنْ يِرَانِي مُقَيِّدًا بِخِدْمَتِهِ: لَا يُجْعَلُ الْبَارُ فِي الْقَفْصِ.
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا طَوْعَ نَفْسِي. فَهَلْ أُرَى مَطِيعًا لِمَنْ عَن شَأْوٍ فَخْرِي قَدْ نَقَصَ^(٤)؟
 - لِأَبِي جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدِ الْعَنْسِيِّ مَقْطَعَاتٌ بَارِعَةٌ، مِنْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٥١٥ -
 : (٥١٧):

لِلَّهِ يَوْمٌ مَسْرَّةٌ أَضْوَى وَأَقْصَرُ مِنْ ذُبَالَةٍ^(٥).
 لَمَّا نَصَبْنَا لِلْمَنْسَى فِيهِ بِأَوْتَارِ حِبَالَةٍ^(٦)،
 طَارَ النَّهَارُ بِهِ كَمُرٍّ نَاعٍ، فَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةُ^(٧).
 فَكَأَنَّهَا مِنْ بَغْدِيدِهِ بِعْنَا الْهَدَايَةَ بِالضَّلَالَةِ.
 * اسْقِنِي مِثْلَ مَا أَنَارَ لِعَيْنِي شَفَقُ الْبَسِّ الصَّبَاحِ جَمَالَةٍ^(٨)،
 قَبْلَ أَنْ تُبْصِرَ الْغَزَالَةُ تَسْتَدَّ رَجُ مِنْهُ عَلَى السَّمَاءِ غُلَالَةً^(٩).

- (١) انصرفنا (بعد أن كنا قد اكتفينا بما صدناه من قبل) إلى قنص (صيد) اللذات. قرص البرد الإنسان (اشتد عليه وآله).
- (٢) عذبنا (ماؤنا الحلو؟) - جحيم..... (٩٩) - لعله يقصد «ناراً موقدة (حراء) طلباً للدفع».
- (٣) ذهبية (خر حراء اللون - بلا مزج بماء). الكبرى (الفاحشة) فلم يجب (لم يفعل). الرخصة (حال تجيز للمتعبد أن يترك شيئاً من العبادة: كقصر الصلاة في السفر).
- (٤) الشأو: الشوط، الأمد، الغاية. نقص عن شأوي (قصر عن مجاراتي).
- (٥) أضوى: أضعف، أرق، أدق. ذبالة: فتيلة السراج.
- (٦) الحباله (بالكسر): مصيدة، شرك (من حبال). الوتر (كناية عن العزف على العود).
- (٧) طار (أسرع) النهار في الذهاب. مرتاع: خائف. أجفلت (مضت، أسرع) الغزالة (الشمس): غابت باكراً.
- (٨) مثل ما أنار لعيني شفق (خر حراء اللون - غير ممزوجة بماء).
- (٩) قبل أن تستدرج الغزالة (الشمس) بحرارتها منه (من الشفق: اللون الأحمر الذي يرى على الأفق الغربي بعد غياب الشمس) غلالة (سترأ رقيقاً). - قبل أن تغيب الشمس.

- وتَأْمَلْ لَعَسْجِدٍ سَالَ نَهْرًا
 * لو لم يكن شَدُو الحمامِ فاضلاً
 طَرَبٌ ثَنَى حَتَّى الْجَمَادِ تَرْتَحَا
 * في الرَّوْضِ مِنْكَ مِثَابُهُ مِنْ أَجْلِهَا
 الْفُضْنُ قَدْ، وَالْأَزَاهِرُ حَلِيَّةٌ،
 * ولقد قلتُ للذي قال: حَلُّوا
 لَا تُعَيِّنْ لَنَا مَكَاناً، وَلَكِنْ
 * أَلَا هَاتِيهَا، إِنَّ الْمَسْرَةَ قُرْبُهَا.
 مُدَامٌ بَكَى الْإِبْرِيْقُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
 كَرَعَتْ فِيهِ، أَوْ تَقَضَّى، غَزَالَةً^(١).
 شَدَوَالْقِيَانِ لَمَّا اسْتَخَفَّ الْأَغْصَنُ^(٢).
 وَأَفَاضَ مِنْ دَمْعِ السَّحَابِ أَعْيُنَا.
 يَهْفُو لَهُ طَرْفِي وَقَلْبِي الْمُغْرَمُ^(٣).
 وَالْوَرْدُ خَدٌّ، وَالْأَقَاحِي مَبْسِمٌ.
 هَهْنَا: سِرٌّ، فَإِنَّا مَا سَمِينَا^(٤).
 حَيْثُمَا لَسْتُ اللَّوَاظِظُ مِلْنَا.
 وَمَا الْحُزْنُ إِلَّا مِنْ تَوَالِي جَفَائِهَا^(٥).
 فَأَضْحَكَ ثَغَرَ الْكَأْسِ عِنْدَ لِقَائِهَا^(٦).

- وله أيضاً في المتنزه المعروف بحور مؤمل (نفع الطيب ٣: ٥١٧):

- عَرَّجَ عَلَى الْحَوْرِ وَخَيَّمَ بِهِ
 حَيْثُ الْأَمَانِي ضَافِيَاتُ الْجَنَاحِ^(٧).
 وَاسْتَقَى لَهُ قَبْلَ ارْتِحَالِ النَّدى
 وَلَا تَزُرُهُ دُونَ شَادٍ وَرَاحٍ^(٨).
 وَكُنْ مُقِيماً مِنْهُ حَيْثُ الصَّبَا
 تَتَارُ مِسْكَاً مِنْ أَرِيحِ الْبِطَاحِ^(٩).

- (١) ماء النهر كعسجد (ذهب) من نور الشمس الواقع عليه، أو الأشعة الحمراء التي تملأ الجو. تقضى: انقضى. غزالة: طيبة. - (٢).
 (٢) لو لم يكن شدو (غناء) الحمام أفضل (أعذب) من شدو القيان (النساء الجميلات المغنيات) لما استخفَّ الفصون (جعل الفصون تطرب وتناهل).
 (٣) مشابه (أوجه شبه). هفا: حنّ، اشتاق.
 (٤) حلّوا: انزلوا هنا.
 (٥) هاتها (هات الحمر). - إن السرور أن نقرب نحن من الحمر، والحزن أن يتوالى (يتتابع، يستمر) جفاؤها (بعدها عنّا).
 (٦) مدام (خير). حينما يصبون الحمر من الإبريق يمكن أن تقطر منه نقاط (فكأنه يبكي). وحينما يتتابع صب الحمر في الكأس تحدث قرقرة (فكأن الكأس حينئذ تضحك).
 (٧) ضافي الجناح: متسع (كثير).
 (٨) قبل ارتحال الندى: قبل أن تجفّ الشمس قطرات الندى (أي باكراً، قبل شروق الشمس). الشادي: المغني. الراح: الحمر.
 (٩) الصبا: ريح الشرق. امتار جمع الميرة (الطعام). - كأن الريح الهابّة عليّ تجمع الرائحة الطيبة من كل مكان.

والقُضْبُ مَالَ البعْضُ منها على بعضٍ كما يَثْنِي القُدودَ ارتِياح^(١).
 وشَقَّ جَنِبَ الصُّبْحِ نورٌ، كما شَقَّتْ جُيُوبَ الطَّلِّ منها الرِّيح^(٢).
 * ألا حَبْذا رَوْضٌ بَكَرْنَا له ضُحَى وفي جَنَبَاتِ الرُّوضِ للطلِّ أذْمُغُ.
 وقد جَعَلْتَ بَيْنَ الغُصُونِ نُسَيْمَةً تُمَرِّقُ ثَوْبَ الطَّلِّ منها وترَقُّع^(٣).
 ونَحْنُ، إِذَا مَا ظَلَّتِ القُضْبُ رُكْعَاءُ، نَظَلُّ لَهَا من هِزَّةِ السُّكْرِ نَرْكِعُ^(٤).

- وقال يَصِفُ غلاماً ساقياً أسودَ وقد لبس ثياباً بيضاً:

وغُصْنٍ من الآبِنُوسِ ارْتَدَى بعَاجٍ، كَلِيلِ عَلاهْ فَلَقُ^(٥).
 يُحاكي لَنَا الكَأْسُ في كَفِّه صَبَاحاً بَجْنَحِ عَلاهْ شَفَقُ^(٦).

- وله في الحِكْمَةِ، وقد ترك قوماً فاعتذر إليهم بأنه فعل ذلك مضطراً لا عن رَغْبَةٍ منه في ذلك:

تَرَكْتُكُمْ لا كَارِهاً في جَنابِكُمْ، ولكن أبى رَدِّي إلى بابِكُمْ دَهْرِي.
 وطاحت بِي الأَطْماغُ في كُلِّ وَجْهَةٍ تُنْقَلِنِي من كُلِّ سَهْلٍ إلى وَغَرٍ^(٧).
 وما باختيارٍ فارقَ الخُلْدَ آدَمُ؛ وما عَن مُرادٍ لاذَ أَيُّوبُ بالصَّبْرِ.
 ولكنَّها الأَيَّامُ ليست مُقِيمَةً على ما اشتَهاه مُشْتَهَى أَمَدِ العُمُرِ.
 وإنَّكَ إنْ فَكَّرْتَ في ما أَتَيْتُهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ التَّرْكَ لَمْ يَكُ عن غَدْرِ؛

(١) القُضْبُ (جمع قضيب): الأغصان. الارتِياح: النشاط والسرور.

(٢) (٢).

(٣) يستط الطلّ (الندى) عن الأغصان على الأرض (فتبدو الأرض جافة في مواضع ومبتلة في مواضع - فكأن البقع المبتلة رقع على الأرض).

(٤) القُضْبُ (الأغصان) تدنو من الأرض بفعل النسيم، ونحن في مشينا يدنو أعلى جسمنا من الأرض (بفعل الخمر).

(٥) الفلق: الصبح.

(٦) الجَنَح: الجانب من الليل (الشديد الظلام - السواد). الشَّق: اللون الأحمر الذي يبدو على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.

(٧) طاح: اضطرب، تاه، مضى.

ولكن لجاج في النفوس إذا انقضى
وإني لنسوب إليكم وإن نأت
وإني لمتن بالذي نلت منكم
وإن خنتكم يوماً فخانني المني،
على أنني أقررت أنني مذنب؛
رجعت، كما قد عاد طير إلى وكر^(١).
بي الدار عنكم، والغدير إلى القطر^(٢).
مقيم على ما تعلمون من البر.
وساء - لديكم، بعد إحماده - ذكري.
وذو المجد من يغني المقر عن العذر.

- وقال يصف ناراً موقدة في زمن الشتاء ليلاً:

نظرت إلى نار تصول على الدجى؛
ترفعها أيدي الرياح، وتارة
وإلا فمن لا يملك الصبر قلبه
لها ألسن تشكو بها ما أصابها
إذا ما حسيناها تئأت تبعد^(٣)
تخفّضها فعل المكبّر يسجد^(٤)،
يقوم به غيظ هناك ويقعد^(٥).
وقد جعلت من شدة البرد ترعد^(٦)!

- وقال يصف قوادة (أورد هذه الأبيات لأنها لا فسق فيها، ما عدا إشارتين

بعيدتين في البيت الرابع والبيت التاسع):

قوادة تفخر بالعمار
ولاجة في كل دار، وما
ظريفة مقبولة الملتقى
أقود من ليل على سار^(٧).
يذري بها من جذقها دار^(٨).
خفيفة الوطاء على الجار^(٩).

(١) اللجاج: التادي (في العناد)، الاستعجال في معرفة النتائج.

(٢) الغدير: مجرى من الماء يغادر النهر. القطر: المطر.

(٣) تصول: تسطو، تقهر (تغلب على) الدجى (الليل): نار كبيرة قوية تضيء الليل.... كلما اقتربنا منها نراها تبعد عنا (رغبنا في سرعة الوصول إليها توهمنا أنها تبعد عنا).

(٤) الرياح الشديدة تتلاعب بها علواً وهبوطاً (كما يفعل المصلي بيديه كلما قام بركن من الصلاة كبر ورفع يديه إلى أذنيه ثم خفّضها).

(٥) أو كالفضبان لا يسقر على حال (يقوم ويقعد لا يذري ما يفعل).

(٦) ألسنة اللهب تتلاعب بها الريح الشديدة (فكانت تلك النار ترتعد مثلنا من شدة البرد).

(٧) الساري (السائر في الليل) يستره الليل عن عيون الناظرين.

(٨) الولاة: الكثير الدخول (والخروج): كثير الحركة. الداري (اسم فاعل من درى): العالم بالأمر.

(٩) خفيفة الوطاء (الدعس: صوت الأقدام): على الجار (لا يشعر أحد بما تعمل).

لحافُها لا يَنْطوي دائماً ألقُ من راية ييطار^(١).
 قد رُبِّيتُ - مذ عَرَفْتُ نَفْعَها - ما بين فُتّاك وشُطّار^(٢).
 جاهِلَةٌ حيثُ ثَوَى مَسْجِدُ عارِفَةٌ حانَةَ خَمّار.
 بَسَامَةٌ مُكثِرَةٌ بَرّها ذاتُ فُكاهاتٍ وأخْبار.
 عِلْمُ الرِياضاتِ حَوْتُهُ وسا سَتُّهُ بَتَقويمٍ وأسْجار^(٣).
 مُبتاعَةٌ لِلنِّعْلِ من كِيسِها موسِرَةٌ في حالٍ إِعْصار^(٤).
 تَكَادُ من لُطْفِ أحاديثِها تَجْمَعُ بين الماءِ والنَّارِ!
 * ولَمّا رَأَيْتُ السَّعْدَ في صَفْحِ وَجْهِهِ مُنيراً، دَعاني مارَأَيْتُ إلى الشُّكْرِ^(٥).
 وأَقْبَلَ يُبْدي لي غَرائبَ نُطْقِهِ، وما كُنْتُ أَدرِي قَبْلَهُ مَنْزِعَ السَّحْرِ^(٦)،
 فَأَصْغَيْتُ إِصْغَاءَ الجَدِيدِ إلى الحَيَا وكان ثَنائي كالرِياضِ على القَطْرِ.

- ولَمّا أَمَرَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ يَسْجُنَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ سَعِيدٍ (والدَّ أَبِي جَعْفَرِ هَذَا)،
 قال أَبُو جَعْفَرٍ (وكانَهُ يُخاطَبُ أَباهُ) من رِسالَةٍ مُلَمَّعَةٍ بالشَّعرِ والنثرِ:

مولاي، غَيْرِكَ يُعزِّي بِما لَمْ يَزَلْ يَجْري على الكِرامِ، ويُذَكِّرُ تَأْنيساً لَه في الوَحْشَةِ
 بما يَطْرَأُ من الخُسوفِ والكُسوفِ على الشَّمسِ النُّيرةِ والبَدْرِ التَّامِ..... ماذا
 تُفِيدُكَ من العِلْمِ^(٧) وصدْرُكَ يَنْبوعُهُ، وبِخاطِرِكَ لا يَزالُ غُروبُهُ وطلُوعُهُ. وإنَّما هي

(١) ألقُ من راية ييطار (٩).

(٢) مذ عَرَفْتُ نَفْعَها: منذ أَقْنَمْتُ (طَلابَ اللّهُو) بِمَقْدَرَتِها. الفاتِك: الجَرِيءُ على المَعاصي. الشاطر: الخبيث الفاجر.

(٣) الرِياضَةُ (هنا): ترويضُ الإنسان الصَّعب (الإقْناعُ بالخِداعِ والحيلة). تقويم: إِصلاح (بأسلوبٍ خيِّر) وأسْجار (جمع سحر): السَّيطرةُ النَفْسيَّةُ (النَّثر).

(٤) النعل: الزوجة. من كِيسِها الخ: تَهَيَّأَ اللّهُو للمِصر (المَقْل: الذي لا مالَ حاضِراً مَعَهُ) وتنتظرُ أن يَفِيها هذا الدِّين في المِستقبل.

صفح (جانب) وجهه.

(٦) المَنْزِع: الانتِهاءُ إلى هِدف (غاية، طَريقَة).

(٧) العلم (بمعاني آياتِ ذِكْرِها أَبُو جَعْفَرِ بْنُ سَعِيدٍ فيها حَكَمٌ وبِصائِح).

عادةً تَبِعْنَاهَا أَدَبًا، وَقَضَيْنَا بِهَا مَا فِي النَّفْسِ مِنَ الْإِعْلَامِ بِالتَّوَجُّعِ وَالتَّفَجُّعِ أَرَبًا^(١).
ولعلَّ اللهَ يُتَبِعُ هَذِهِ التَّسْلِيَةَ بِتَهْنِئَةٍ، وَيُعْقِبُ بِالنُّعْمَةِ هَذِهِ الْمَرْزُوتَةَ^(٢).

٤ - ★★ المغرب ٢ : ١٦٤ - ١٦٨ (وأماكن أخرى مفيدة - راجع الفهرس)؛ الإحاطة ١ :
٢٢٢ - ٢٢٧ ؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٢ : ٣٢٩ ، ٤ : ١٧٩ - ٢٠٢ ، ٢٠٤ - ٢٠٥
(وأماكن أخرى فيها إشارات مفيدة)؛ نيكل ٣١٧ - ٣٢٢ ؛ بالنشيا ١٢٧ - ١٢٨ .

نزهون بنت القلاعي الفرناطية

١ - هي نزهونُ القِلاعية (بنتُ القِلاعي، وقيل القليعي - ولعلّه: أبو بكر محمدُ ابنُ أحمد بنِ خَلَف بنِ عبدِ الملكِ بنِ غالبِ القَسَّانِي). قرأتُ على أبي بكرٍ المخزومي الأعمى فكانت تلميذةً له برُغمَ ما كانَ بَيْنَها من المَعارضة والمُهاجاة. وكذلك كانَ بَيْنَها وبينَ الوزيرِ أبي بكرٍ بنِ سَعيد (صاحبِ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةِ في أيامِ المرابطين) مُحاضرةً ومَذَاكِرَةً ومراسلةً بالإضافة إلى ما كانَ بَيْنَها من الحبِّ واللقاء. ثمَّ كانَ بَيْنَها وبينَ ابنِ قُزَمانَ (نحو ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ) منافرةً. ولعلَّ وفاتها كانت سَنَةَ ٥٦٠ (١١٦٥ م)^(٣).

٢ - كانت نزهونُ ذاتَ جَمالٍ فائِزٍ خفيفةِ الروحِ حُلوةِ اللَّفْظِ سَريعةِ البديهة كثيرةِ النوادرِ بارعةً في الأدبِ حافظةً للأشعارِ مَعَ المَعرفةِ بِضَرْبِ الْأَمْثالِ نَابغةً في قولِ الشعرِ، إِلَّا أَنَّها كانتَ ماجنةً بلا احتشامٍ ولا عِفَّةٍ. وشِعْرُها وَجُدائي أَكثَرُه الغَزَلُ والهَجاءُ .

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المرزئة: المصيبة (الكبيرة).

(٣) نقل المَقْرِي (نفح الطيب ٤ : ٢٩٥) عن الحِجاري أَنَّ نزهونَ كانت « من أهلِ المائَةِ الخامسة » (٤٠٠ - ٤٩٩ هـ). وَلَكِنْ نزهونَ كانت تلميذةً للمخزومي الأعمى، وقد كانَ حيًّا بعدَ ٥٤٠ هـ (نفح الطيب ١ : ١٩٣) كما كانت معاصرة لابن قُزَمانَ (٤٨٠ - ٥٥٥ هـ). وعلى هذا قبلتُ أَنَّ تكونَ وفاتها سنة ٥٦٠ أو بعدها بقليل.

٣ - مختارات من آثارها:

- لَمَّا تَعَجَّبَ الْأَعْمَى الْخَزُومِيُّ مِنْ مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَعِيدٍ وَمِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ - وَكَانَتْ نَزْهُونُ حَاضِرَةً - قَالَتْ لَهُ:

وَتَرَاكَ، يَا أَسْتَاذُ، قَدِيمَ النِّعْمَةِ بِمَجْمَرٍ نَدٍّ وَغِنَاءٍ وَشَرَابٍ، فَتَعَجَّبَ مِنْ تَأْتِيهِ وَتُشَبِّهِهُ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَتَقُولَ: مَا كَانَ يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّاعِ وَلَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ بِالْعِيَانِ! وَلَكِنْ مِنْ يَجِيءُ مِنْ حُصْنِ الْمُدَوَّرِ وَيَنْشَأُ بَيْنَ تَيُوسٍ وَبَقَرٍ، مِنْ أَيْنَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِمَجَالِسِ النِّعَمِ؟

فَلَمَّا اسْتَوَفَتْ نَزْهُونُ كَلَامَهَا تَنَحَّنَحَ الْخَزُومِيُّ الْأَعْمَى، فَقَالَتْ نَزْهُونُ: ذُبْحَةٌ!

- إِنَّ نَزْهُونَ شَاهَدَتْ ابْنَ قُرْزَمَانَ الْأَصْغَرَ يَلْبَسُ غِفَارَةً (خُرْقَةً تُلْبَسُ تَحْتَ

الْقُلَنْسُوءَةِ!) فَقَالَتْ لَهُ:

أَصْبَحْتَ كَبَقَرَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنْ لَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ.

- دَخَلَ الشَّاعِرُ الْكُتْنَدِيُّ عَلَى الْخَزُومِيِّ الْأَعْمَى، وَنَزْهُونُ عِنْدَ الْخَزُومِيِّ تَقْرَأُ

عَلَيْهِ. فَقَالَ الْكُتْنَدِيُّ لِلْمَخَزُومِيِّ: أَجِزْ: «لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ مِنْ تَكَلُّمِهِ!» فَأَفْجَمَ الْخَزُومِيُّ وَلَمْ يَحِزْ جَوَابًا، فَقَالَتْ نَزْهُونُ:

لَفَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ^(١).

الْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ أَرْزَرَّتِهِ، وَالْفُصْنُ يَمْرَحُ فِي غَلَائِلِهِ^(٢).

- قَالَتْ تُخَاطَبُ الْأَعْمَى الْخَزُومِيَّ بِهَجَاءٍ فِيهِ إِقْدَاعٌ^(٣):

قُلْ لِلْوُضِيْعِ مَقَالًا يُتَمَلَّى إِلَى يَوْمٍ يُخْشَرُ:

مِنْ الْمُدَوَّرِ أَنْشُدْ، وَالْخَرَا مِنْكَ أَعْطَرُ،

(١) الخللخال (بالفتح): حلية (بالكسر) كالسوار تلبسها النساء في الأرجل. أخرس من خلاخله: كثير الصمت. (إذا كانت المرأة سميعة فإن الأساور والخللاخيل في يدي المرأة ورجليها لا تتحرك فلا تحدث صوتاً).

(٢) الزر: مدخل الثوب في المتق. الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق يلبس (مباشرة على البدن). البدر (الوجه الجميل) والفصن (القائمة المشوقة).

(٣) في هذه المقطوعة كلام قبيح وصور قبيحة لا حاجة إلى تفسيرها.

حيثُ البداوةُ أُمْتُ
لِذَاكَ أُمِّيَّتَ صَبَا
خُلِقْتَ أَعْمَى، وَلَكِنْ
جَازِيَتْ شِعْرًا شِعْرِي،
إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أَنْثَى،
فِي مَشِيهِهَا تَبَخَّرْتُ.
بِكُلِّ شَيْءٍ مُدَوَّرُ:
تَهْمٌ فِي كُلِّ أَعْوَرٍ!
فَقُلْ، لَعَمْرِي: مَنْ أَشْعَرُ؟
فَإِنْ شِعْرِي مُذَكَّرُ!

- وَقَالَتْ تَنْسِبُ بِأَبِي بَكْرِ بْنِ سَعِيدٍ:

حَلَلْتُ، أَبَا بَكْرٍ، مَحَلًّا مَنَعْتُهُ
وَأِنْ كَانَ لِي كَمَنْ مِنْ حَبِيبٍ فَإِنَّا
سِوَاكَ. وَهَلْ غَيْرُ الْحَبِيبِ لَهُ صَدْرِي؟
يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِّ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ (١)!

- وَلَهَا فِي النَّسَبِ الصَّرِيحُ:

لِلَّهِ دُرُّ اللَّيَالِي مَا أَحْسَنَهَا،
لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتُ
وَمَا أُحْسِنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ!
عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ،
بَلْ رِيَمَ خَازِمَةٍ فِي سَاعِدَيَّ أَسَدٍ (٢)!

٤- ** بغية المتمس ٥٣٠ (رقم ١٥٨٨)؛ المغرب ٢: ١٢١، راجع ١: ٢٢٣؛ المقتضب ١٦٤ - ١٦٥؛ راجع الإحاطة ١: ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفح الطيب ١: ١٩٢ - ١٩٣، ٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٧ - ٢٩٨، راجع ١: ١٩٠ وما بعده؛ نيكل ٣٠٢ - ٣٠٨، مختارات نيكل ١٨٠ - ١٨١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٣٢ (١٧)؛ بالنشيا، راجع ١٢٥ و ١٦٥.

أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِي الْمَالَقِيّ

١- هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ سَيِّدِ الْجَرَاوِي الْمَالَقِيّ (٣) أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ

(١) يُقَدِّمُ أَبُو بَكْرٍ (عشيرة نزهون) عَلَى جَمِيعِ مَحَبِّيْهَا، كَمَا قَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فِي الْخُلَافَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. - كَمَنْ مِنْ حَبِيبٍ (مَحْبُوبٍ كَثِيرُونَ).

(٢) شَمْسُ الضُّحَى (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ) وَالْقَمَرُ (الرَّجُلُ الْجَمِيلُ). الرِّيمُ: الْغَزَالُ الْأَبْيَضُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ) الْأَسَدُ (كَنَايَةُ عَنِ الرَّجُلِ الْقَوِيِّ).

(٣) هُوَ غَيْرُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَيِّدِ الْإِسْبِيلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِاللَّصِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٦ هـ. وَغَيْرِ ابْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّسِيِّ (ت ٥٢١ هـ).

سليمان بن محمد المالقي المعروف بابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) وأخذ اللُّغة عن محمد بن مَعْمَرٍ المعروف بابن أُختٍ غانمٍ (ت بعيد ٥٢٤ هـ).

وقد وقعت وحشة بين أبي العباس الجراوي والقاضي ابن الوحيدي^(١) فاضطرَّ إلى الانتقال من مألقة فذهب إلى قُرطبة. ثم إنَّ الجراوي استمال ابن الوحيدي فلان ابن الوحيدي له فعاد إلى مألقة بعد غياب أربعة أعوام. ثم تولَّى القضاء أبو الحكم ابن حَسَّونٍ فقرَّبَ أبا العباس الجراوي. ويبدو أن ابن حَسَّونٍ هذا قُتِلَ (٥٤٧ هـ)^(٢) فانتقل الجراوي إلى مَرَّاكُشَ وأدب أبناء أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي^(٣) فسمَا قدره وعظَّم صيته.

وكانت وفاة أبي العباس الجراوي بعيدَ سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م).

٢ - كان أبو العباس الجراوي من كبار النحاة والأدباء في الأندلس، وكان كاتباً بليغاً وشعره متين السبك. والأبيات القليلة المروية له هي في الأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العباس الجراوي المالقي:

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عمر الوحيدي، ولي القضاء في مدينة رية (٥٢١ - ٥٣٩ هـ) فسار بالعدل وأدخل على إدارة الأحباس (الوقف) إصلاحاً كبيراً. ثم لما شاخ اعتزل القضاء واستغنى عن أخذ المرتب الذي يعطى لأمثاله. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ. كتب إليه الخطيب ابن أبي العيش يوصيه بأحد المتخصصين لديه فكتب إليه ابن الوحيدي:

«وهبك الله وإياي من نعيمه السوايح الضوافي، وأوردك من نسمه العذاب الصوافي. ولا زلت بصيراً بكائد الناس... فإنك كما تدرهم يريشهم الباطل ويبرهم (يغتنون من طريق الباطل ويفتقرون من طريق الباطل). والعاقل يعظمهم ولا يفرهم (لا يستطيع استألتهم إلى سماع الوعظ). ومثلك من الإخوان من علم تلون الزمان، وعرف سير المعجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع (٩ - لعل المقصود هنا «السمع»، وهو ما يعمل النحل بيوتا مسددة ثم يخزن فيها العسل). والضرب (بفتح ففتح: العسل). لا سيما والدنيا قد صارت مكشوفة وأخلاق أهلها معروفة. فهناك يجب أن يعذر المرء أخاه..... والولي تكفيه الإشارة، وإن قصرت عن الغرض المطلوب العبارة.....» (راجع المرقبة العليا ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) راجع المرقبة العليا ١٠٤، السطر الثالث وما بعده.

(٣) دخل عبد المؤمن بن علي مدينة مراكش وانتزعها من يد المرابطين سنة ٥٤١ هـ.

★ وَبَيْنَ ضُلُوعِي لِلصَّبَابَةِ لَوْعَةً بِحُكْمِ الْهَوَى تَقْضِي عَلَيَّ وَلَا أَقْضِي (١).
 جَنَى نَاطِرِي مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ مَا جَنَى فَيَا مَنْ رَأَى بَعْضًا يُعِينُ عَلَى بَعْضِ (٢).
 ★ لَمَّا رَأَيْتُكَ عَيْنَ الزَّمَانِ وَأَنْ إِلَيْكَ تُحَثُّ الْخُطَا (٣)،
 بَكَرْتُ إِلَيْكَ بُكُورَ الْغُرَابِ وَرُخْتُ عَلَيْكَ رَوَاحَ الْقَطَا (٤).

★ وَرَأَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِيُّ جَرِيحًا أُصِيبَ بِهِمْ فَقَالَ:

حَسَدْتُكَ نَشَابُ الْقِسِيِّ لِأَنْ رَأَتْ عَيْنُكَ أَمْضَى فِي الْإِصَابَةِ مَقْصِدًا (٥).
 فَجَنَنْتُ عَلَيْكَ. وَيَا لَهَا مِمَّا جَنَنْتُ. لَهْفِي عَلَيْكَ، فَمَا خَشِيتُ الْحُسْدَا!

- وللجراوي (٤) في الغزل (المغرب ٢: ٢٦٩):

يوسف، يَا بَغِيَّتِي وَأَنْسِي، صَيَّرَنِي مُغْرَمًا هَوَاكَ.
 حَوَيْتَ قَلْبِي، وَأَنْتَ فِيهِ. كَيْفَ حَوَيْتَ الَّذِي حَوَاكَ؟

٤-★★ زاد المسافر ٣٤ (٤٩-٥١)؛ الوافي بالوفيات ٦: ٣٠٧-٣٠٨؛ تحفة القادم ٤٤؛ المطرب ٢٠٠؛ تكملة التكملة ٨٥؛ بغية الوعاة ١٣٠.

أَخِيلُ الرُّنْدِيِّ

١- هو أَبُو الْقَاسِمِ أَخِيلُ بْنُ إِدْرِيسَ، كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَاتِبًا لِلْمُرَابِطِينَ ثُمَّ اتَّخَذَهُ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَاتِبًا، وَكَانَ حَمْدُ بْنُ مُسْتَبْدًا بِقُرْطُبَةٍ. فَلَمَّا اسْتَوَلَى ابْنُ غَانِيَةَ عَلَى قُرْطُبَةٍ رَجَعَ أَخِيلُ إِلَى بَلَدِهِ رُنْدَةَ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَبْدَّ بِهَا مَدَّةَ سِيرَةٍ. غَيْرَ أَنَّ ابْنَ غَرْوَنَ (وَكَانَ مِنْ رِجَالِ ابْنِ حَمْدٍ) اسْتَوَلَى عَلَى رُنْدَةَ فَنَجَا أَخِيلُ بِنَفْسِهِ إِلَى مَالِقَةَ

(١) الصَّبَابَةُ: الْحَبَّ. لَوْعَةٌ: حُرْقَةٌ.....- يَحْكُمُ الْحُبُوبَ عَلَيَّ فَأَقْبِلْ حُكْمَهُ وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْكُمَ عَلَيْهِ.

(٢) عَيْنِي رَأَتْهُ فَأَحْبَبْتُهُ فَأَصْبَحْتُ مَمْدَبًا فِيهِ. وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ بَعْضِي (عَيْنِي) جَنَتْ عَلَى بَعْضِي (قَلْبِي).

(٣) عَيْنُ الزَّمَانِ: خَيْرُ النَّاسِ. (وَرَأَيْتُ) أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ تَسْرِعُ إِلَيْكَ (تَطْلُبُ فَضْلَكَ).

(٤) الْقَطَا طَائِرٌ سَرِيعُ الطَّيْرَانِ.

(٥) النَّشَابُ جَمْعُ نَشَابَةٍ (بِضَمِّ النُّونِ فِيهَا): النَّيْلُ (بِفَتْحِ النُّونِ): السَّهَامُ. الْقِسْيُ جَمْعُ قَوْسٍ. السَّهَامُ حَسَدُكَ

لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ عَيْنِكَ (سَهَامَ عَيْنِكَ) أَشَدَّ إِصَابَةً لِلْهَدَفِ مِنْهَا.

لاجئاً إلى صاحبها (٢) ابنِ حَسُونِ.

ثمَّ إِنَّ أَخِيْلَ ذَهَبَ إِلَى مَرَّأَكُشَ وَاتَّصَلَ بِالْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ عَطِيَّةَ (قَتَلَ ٥٥٣ هـ) فَعَطَفَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ وَرَدَّ إِلَيْهِ مَا كَانَ قَدْ نُهَبَ مِنْ أَمْوَالِهِ. وَاسْتَوَظَنَ أَخِيْلُ مَرَّأَكُشَ مَدَّةً ثُمَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَخَشَّةٌ - لِوَشَايَةِ نُقُلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ زَعَمُوا فِيهَا أَنَّ أَخِيْلَ قَالَ عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ: كَيْفَ تَصِيحُ لَهُ الْخِلَافَةُ وَلَيْسَ بِقُرْشِيٍّ! - فَعَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَقَدْ تَوَلَّى أَخِيْلُ قِضَاءَ قُرْطَبَةَ ثُمَّ قِضَاءَ إِشْبِيلِيَّةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٥٦٠ أَوْ ٥٦١ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م).

٢ - كَانَ أَخِيْلُ الرُّنْدِيُّ فَقِيهًا وَشَاعِرًا وَنَاثِرًا مُتَرَسِّلًا (لَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ فِي الدَّوَاوِينِ) وَتَقَلَّبَ السَّهْلَةُ عَلَى شَعْرِهِ وَنَثَرَهُ مَعًا. وَلَكِنْ رَبَّاهُ تَطَلَّبَ التَّجْنِيسَ فَلَمْ يُحْسِنَهُ، كَمَا قَالَ فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ:

مَا الْفَخْرُ إِلَّا فَخْرُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. أَتُنْسِي عَلَيْهِ كُلَّ عَبْدِ مُؤْمِنٍ.
وَلَا رَبِّبَ فِي أَنْ التَّجْنِيسَ هُنَا بَارِدٌ. وَلَكِنْ لَمَّا عَرَّضَ أَخِيْلُ بِمُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ مَرْدَنِشَ وَالثَّائِرِ عَلَى الْمُوحِّدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ فَقَالَ:

أَمَّا ابْنُ سَعْدٍ فَهُوَ أَوَّلُ مَارِقِي. يَا لَيْتَهُ بِأَبِيهِ سَعْدٍ يَكْتَنِي^(١).
مَا قَدَرُ مُرْسِيَّةٍ وَحُكْمُكَ نَافِذٌ إِنَّ شِئْتَ مِنْ عَدَنِ لَأَرْضِ الْمَعْدِنِ^(٢).
سُرَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَقَالَ لَهُ: أَجَدْتُ. فَقَالَ أَخِيْلُ مُرْتَجِلًا بَيْتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَالْقَافِيَةِ:

مِنْ لِي، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَوْفِقِي هَذَا؟ وَقَوْلُكَ لِي: أَجَدْتُ وَلَمْ تَنْ^(٣)!
فَلَقَدْ مَدَحْتُكَ خَائِفًا أَلَّا يَنْفِي لَسَنِي بِمَا يُعْنِي جَمِيعَ الْأَلْسُنِ^(٤).

(١) المارِق: الخارج من الدين (الكافر). يَا لَيْتَهُ..... هُوَ لَا يَكْتَنِي بِأَبِيهِ سَعْدٌ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ سَعْدًا لَيْسَ وَالِدُهُ.

(٢) أرض المعدن: انكلترا أو إسبانية (٢).

(٣) وَنِي: تَعَبَ (قَصَرَ).

(٤) لَسَنِي (بَفَتْحِ فَسْكَوْنِ): كَلَامِي، لَفْقِي. الْأَلْسُنُ جَمْعُ لِسَانٍ: لَفْعٌ. يَعْني: يَتَعَبُ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ عَاجِزًا.

٣ - مختارات من آثاره:

قال أخيلُ بنُ إدريسَ يُعَاتِبُ مَحْبُوبَهُ:

شَتَانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْهَوَى: أَنَا أُبْتَغِيكَ وَأَنْتَ عَنِّي تَصْدِفُ^(١).
وَإِذَا عَتَبْتُكَ وَارْعَوَيْتَ بَيْنِي لِي فِي الْحَيْنِ مِنْكَ بَأَنَّ ذَاكَ تَكْلُفُ^(٢).
يَا لَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ يُقْضَى وَصْلُنَا؟ وَالْعَمْرُ يُفْنَى وَالْمَوَاعِدُ تُخْلَفُ!

- وقال في المديح:

إِلَيْكَ أَخَذْتُ حِبَالَ الدِّمَامِ وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ^(٣)؛
فَأَرْسَلْتُهُ جَائِلًا كَالرَّمَاكِ، وَصُلْتُ بِهِ ثَائِرًا كَالْحَسَامِ^(٤).
وَمَا كُنْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهَا أَيْدِي تَفْجَرُ صَمَّ السِّلَامِ^(٥).
وَتَنْشِي الْفُصُونَ عَلَى هِزَّةٍ كَأَنَّ بِهَا سَكَرَاتِ الدِّمَامِ^(٦).
فَتَى الْمَكْرُمَاتِ تَصْدَى لَهَا بِحُكْمِ الْكُهُولِ وَسِنَّ الْفُلَامِ.
وَسَاقٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الَّتِي أَنْارَتْ لَهُمْ فِي اعْتِكَارِ الظَّلَامِ.

- وقيل لأخيل، وقد هَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، اِكْتَبَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرًا وَبَرَهِنَ عَلَى بَرَاءَتِكَ، فَقَالَ:

« مَا يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَجَرَنِي إِلَّا وَقَدْ صَحَّ^(٧) عِنْدَهُ (مَا نَقَلَ إِلَيْهِ عَنِّي). وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُنْسِبُهُ فِي أَمْرِي لِلْجَوْرِ^(٨) وَقِلَّةِ التَّثَبُّتِ. وَإِنَّمَا أُرْغَبُ فِي عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ».

- وله من رسالة (المغرب ٣٣٥):

- (١) أُبْتَغِيكَ: أُرِيدُكَ، أَطْلُبُكَ (أَحْبَبُكَ). صدف: مال.
- (٢) إِذَا عَتَبْتُكَ (لَمْتُكَ) وَارْعَوَيْتَ (رَجَعْتَ عَنْ هَجْرِي) بَيِّنَ (يُظْهِرُ) لِي فِي الْحَيْنِ (حَالًا).
- (٣) الدِّمَامُ الْعَهْدُ. إِلَيْكَ الْخ: جَعَلْتَ كُلَّ مَوْدِقِي لَكَ (٤).
- (٤) صَال: سَطَا، قَهَرَ (هَجَمَ، قَاتَلَ).
- (٥) الْأَصَمُّ: الصَّلْبُ (بِالضَّمِّ). السَّلَامُ (بِالْكَسْرِ) جَمْعُ سَلْمَةٍ (بِفَتْحِ فَكْسَرٍ): الْحَجَرُ.
- (٦) الدِّمَامُ: الْحُمْرُ.
- (٧) صَحَّ: ثَبِتَ. يَرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَذْنِبًا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ظَنَّ السُّلْطَانِ كَاذِبًا.
- (٨) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ.

قد تَحَيَّلْتُ أَنَّ الهوى لا يبلُغُ إلى هذا الحدِّ، كما تَحَيَّلْتُ أَنَّكَ لا تنتهي في الجفاء إلى هذا الإعراض والصدِّ. فَبِتُّ أَرْقُبُ الكواكبَ كأنِّي مُنَجِّمٌ حاسبٌ، مُنْشِداً لأفقي السماء - وقد تَحَيَّلَ^(١) أَنِّي عَلِقْتُ بِقَمَرِهِ وقاسيتُ منه أَشدَّ العناء^(٢) -:

لو بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي مَا بَتَّ أَرْعَى قَمَرَكُ.
- ولأخيلَ الرُنْدِيِّ في الخمر (المغرب ١: ٣٣٥):

وَوِدْتُ أَنَّ الْمُدَامَ حِلٌّ فَأَصْرِفَ الهَمِّ بِالْمُدَامِ^(٣).
لَكُنِّي خَائِفٌ عِقَاباً مُجَانِبٌ لَذَّةَ الْمَلَامِ.
يَا لَيْتَنِي قَدْ خُلِقْتُ مِنْ قَبْ لِي حَرَمُوهَا بِالْفِ عَامِ.

٤-★★ المغرب ١: ٣٣٥ - ٣٣٦، الحلة السراء ٢: ٢٤١ - ٢٤٥، نفع الطيب ٣: ٢٤٩،
٤: ٢٠٢ - ٢٠٣، الأعلام للزركلي ١: ٢٦٥ (٢٧٨).

أبو بكر اليكِّي

١- هُوَ أَبُو بَكْرٍ يَحْنَى بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ سَهْلِ الْيَكِّيِّ نِسْبَةً إِلَى يَكَّةَ (بالياء) وهي حِصْنٌ شَالَ مُرْسِيَةً. أَفْرَطَ الْيَكِّيُّ فِي هِجَاءِ أَهْلِ فَاسٍ فَلَفَّقَتْ عَلَيْهِ دَعْوَى بَدِينٍ، فِيمَا قِيلَ، وَسُجِنَ بِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بُعِيدَ سَنَةٍ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م).

٢- كَانَ الْيَكِّيُّ شَاعِراً لَهُ إِجَادَةٌ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ فِي الْمَهْجَاءِ، وَفِي هِجَاءِ أَهْلِ فَاسٍ خَاصَّةً، بِالْفَاطِئِ مُقْذِعَةٍ. وَيَبْدُو أَنَّ شُهْرَتَهُ كَانَتْ لَوْقُوعِهِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْهَا لَجُودَةِ هِجَائِهِ مِنْ نَاحِيَةِ اللَّفْتَاتِ وَالصُّوَرِ الشِّعْرِيَّةِ.

٣- مختارات من شعره:

- قَالَ الْيَكِّيُّ يَمْدَحُ الْمُرَابِطِينَ (وهم من بني لَمْتُونَةَ الْبَرْبَرِ)، وَيُقَالُ لَهُمُ الْمُلْتَمُونَ

(١) تَحَيَّلَ أَفْقُ السَّمَاءِ.

(٢) الْعَنَاءُ: التَّعَبُ.

(٣) الْمُدَامُ: الْخَمْرُ. حِلٌّ: حَلَالٌ.

لأنّ رجالهم يَضَعون على أَوْجِهِهِمْ لِثَامًا:

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ الْعُلَا فِي حِمِيرٍ، وَإِذَا انْتَمَوْا لِمَتُونَةَ فَهُمْ هُمْ!!
لَمَّا حَوَّوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحِيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَثَّمُوا!

- ومن هجائه الذي يُمكنُ أن يُستشهدَ به:

إِنَّ الْمُرَابِطَ^(١) بَاخِلٌ بَنَوَالِهِ لَكِنَّهُ بَعِيَالِهِ يَتَكَرَّمُ^(٢).
الْوَجْهُ مِنْهُ مُخَلَّقٌ بِقَبِيحٍ مَا يَأْتِيهِ فَهُوَ مِنْ أَجْلِهِ يَتَلَثَّمُ^(٣).
* قَصَدْتُ جَلَّةَ فَاسٍ أَسْتَرْزِقُ اللَّهَ فِيهِمْ^(٤).
فَمَا تَيْسَّرَ مِنْهُمْ دَفَعْتُ^(٥) لِبَنِيهِمْ.

- وقال له فتى اسمه أَيْمَنُ: هَجَوْتَنِي. فقال:

أَيْمَنُ، لَمْ أَهْجُكَ. لَا، وَالَّذِي يَعْلَمُ مَا أُخْفِي وَمَا أُظْهِرُ.
إِنْ كُنْتُ فِي مَا قُلْتُهُ كَاذِبًا، كَفَرْتُ بِاللَّهِ كَمَا تَكْفُرُ؛
وَحَلَّ بِي دَاوُكٌ - ذَاكَ الَّذِي إِنْ ذُكِرَ الْأَدْوَاءُ لَا يُذْكَرُ.

٤- ** الغرب ٢: ٢٦٦ - ٢٧٠؛ زاد المسافر ١١٩ - ١٢٣؛ بغية الملتبس ٤٨٨ - ٤٨٩
(رقم ١٤٧٩)؛ المطرب ١٣٢ - ١٣٣؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦٩؛ صلة الصلة
١٧٧ - ١٧٨؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٦، ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٨٧
(١٥٢: ٨).

-
- (١) هنالك اعتقاد سائد بأن أصل البربر من حِمير (أهل اليمن). - هؤلاء عطاء سواء أكان أصلهم من حير أو إذا اكتفوا بالانتساب إلى قبيلتهم لمتونة.
(٢) المرابط: المدافع عن حدود البلاد الإسلامية (وهنا: واحد المرابطين، البربر من لمتونة).
(٣) مَخْلَقٌ: مشكّل على هيئة معينة.
(٤) الجَلَّة: كبار القوم.

عصر الموحدين

(نحو ٥٢٤ هـ إلى ٦٧٤ هـ)

لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ المَرَابِطِينَ قَامَ رَجُلٌ يُدْعَى أَمْغَارَ بْنَ تَوَمَرَةَ الْهَرَجِيُّ مِنْ قَبِيلَةِ مَصْمُودَةَ مِنْ أَهْلِ السُّوسِ - وَيُسَمِّيهِ أَتْبَاعُهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَوَمَرَةَ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - بِدَعْوَةٍ لِلإِصْلَاحِ فِي مَدِينَةِ تِينَمَلٍ (فِي جِبَالِ الْأَطْلَسِ). وَكَانَ ابْنُ تَوَمَرَةَ هَذَا قَدْ تَطَوَّفَ فِي الْبِلَادِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ. وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ لَقِيَ الْغَزَالِيَّ. وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ أَنَّ ابْنَ تَوَمَرَةَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ (وَلَمْ يَكُنِ الْغَزَالِيُّ، فِي ذَلِكَ الْحِينِ، فِي بَغْدَادَ - بَلْ كَانَ قَدْ اعْتَزَلَ فِي طُوسَ بِفَارِسَ). وَلَكِنَّ لَا شَكَّ أَبَدًا فِي أَنَّهُ اتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنْ أَتْبَاعِ الْغَزَالِيِّ وَأَنْصَارِهِ، غَيْرَ أَنَّ تَأَثُّرَهُ بِآرَاءِ الْغَزَالِيِّ لَمْ يَكُنْ فَاصِلًا. وَعِنْدِي أَنَّ الَّذِينَ رَتَّبُوا هَذِهِ الرِّوَايَةَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُسَيِّغُوا عَلَى حَرَكَةِ ابْنِ تَوَمَرَةَ شَيْئًا مِنَ الْوَجَاهَةِ، لِأَنَّ كُلَّ دَعْوَةٍ جَدِيدَةٍ مُحْتَاجَةٌ إِلَى صِلَةٍ بِحَرَكَةٍ كَانَتْ مَعْرُوفَةً مِنْ قَبْلُ وَعَلَى شَيْءٍ مِنَ الثَّبَاتِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ.

وَلَمَّا عَادَ ابْنُ تَوَمَرَةَ مِنْ رِحْلَتِهِ فِي الْمَشْرِقِ وَقَامَ بِحَرَكَتِهِ ثُمَّ كَثُرَ أَتْبَاعُهُ سَمَّاهُمْ «الْمُوحِّدِينَ» وَتَسَمَّى هُوَ «الْمَهْدِيُّ بْنُ تَوَمَرَةَ». بَعْدَئِذٍ أُرْسِلَ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)، جَيْشًا بِقِيَادَةِ أَحَدِ أَتْبَاعِهِ الْمُخْلِصِينَ الْأَشْدَاءَ - عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُومِيٍّ - لِقِتَالِ الْمَرَابِطِينَ.

ثُمَّ تُوَفِّيَ الْمَهْدِيُّ بْنُ تَوَمَرَةَ فَجَاءَ - وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعُمُرِ، فِي الْغَالِبِ - فَكْتَمَ أَتْبَاعُهُ خَبَرَ مَوْتِهِ حَتَّى اتَّفَقُوا عَلَى خَلْفٍ لَهُ. وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ خِلَافَهُمْ كَانَ حَادًّا بَيْنَ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ الْكَبِيرَةِ، تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي لَمْ يَرْضَ بَعْضُهَا أَنْ يُقَرَّ

لبعض بالتقدم والسيادة، فاتفقوا على ما يجري مثله، في مثل تلك الأحوال، على رجلٍ من قبيلة غير قويّة هو عبدُ المؤمن بنُ عليّ. ولقد كان من الأسباب التي ساعدت على اختيار عبدِ المؤمن أنّه كان من المُقرّبين إلى المهديّ بن تومرت وأنّه كان ذا سابقة في الجهاد في سبيل قيام الدولة التي دعا المهديّ بن تومرت إلى قيامها.

أخضع عبدُ المؤمن قبائل المغرب وطهر سواحل إفريقيا من النورمان ثمّ جاز إلى الأندلس واستولى على مدنها من أيدي بقايا المرابطين ومن أيدي الإسبان أيضاً. ولما توفي عبد المؤمن (٥٥٨ هـ = ١١٦٣ م) كان حُكمُ الموحدّين قد توطّد في المغرب وفي الأندلس. وكان أعظم سلاطين المُوحّدين أبو يعقوب يوسفُ حفيدُ عبدِ المؤمن والمعروفُ بلقبِ المنصور المُوحّدي، وكان مُعاصراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي أيامِ المنصورِ المُوحّدي وصل بنو هلال وبنو سليم إلى المغرب. وأسْتَجَدَّ صلاح الدين بالمنصور المُوحّدي فلم يَسْتَطِعِ المنصورُ إنجاده لأنّ يديه كانتا مغلّولتين بالجهاد في الأندلس.

وفي سنة ٥٩١ هـ = ١١٩٤ كانت حشودٌ عظيمةٌ من الصليبيين آتيةً إلى المشرق فنزلت على سواحل الأندلس واشتركت مع ألفونس الثامن ملك قشتالة في قتالٍ مُسلمي الأندلس وأكثروا القتل والتدمير. فجاز المنصورُ المُوحّدي إلى الأندلس، في تلك السنة نفسها، وقاتل الإسبان والفرنجية في معركة الأرك وانتصر نصراً مُبيناً كالنصر الذي حازه يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة.

ولمّا توفي المنصورُ المُوحّدي (٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م) خلفه ابنُه محمدُ الناصر. ثمّ اشتد أذى الإسبان على المسلمين في الأندلس فجاز الناصر، سنة ٦٠٢ هـ، وقاتل الإسبان في معركة العقاب في موضع يُعرفُ بمُحصن العقبان، ولكنّ المسلمين انهزموا. ثمّ جاء بعد الناصر ابنُه يوسفُ المنتصر (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م). ولمّا ألح الإسبان على المسلمين في الأندلس أمرَ المنتصرُ الولاةَ المُوحّدين على الأندلس بمُحاربة الإسبان فوقعت المعركة في قصر أبي دانسٍ وانهزم المسلمون فيها هزيمةً كالهزيمة في معركة العقاب. وقد دلت هذه المعركة على ذهابِ قوّة المُوحّدين وعلى ضعفِ أمرِ المسلمين في الأندلس.

الحفصيون والمرينيون وبنو عبد الواد

كَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْحَفْصِيُّ وَالْيَا لِلْمُوَحَّدِينَ عَلَى تُونِسَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م)، خَلَفَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ ابْنُهُ الْآخَرُ عَبْدُ اللَّهِ (سنة ٦٢٠ هـ). ثُمَّ جَاءَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَأَمْرُ الْمُوَحَّدِينَ فِي إِدْبَارٍ فَأَعْلَنَ اسْتِقْلَالَهُ وَنَازَعَ الْمُوَحَّدِينَ، ثُمَّ نَازَعَ بَنِي مَرِينٍ حَتَّى امْتَدَّ مُلْكُهُ مِنْ طَنْجَةَ فِي الشَّالِ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ فِي الْجَنُوبِ. وَأَغْزَى أَبُو زَكَرِيَّا الْحَفْصِيَّ جَيْشًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْلِ مَرَامًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو زَكَرِيَّا الْحَفْصِيُّ أَعْظَمَ الْحَفْصِيِّينَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى، فِي تُونِسَ، جَامِعَ الْقَصْبَةِ وَصَوَّمَعَتَهُ الْجَمِيلَةَ وَبَنَى سَوَاقِ الْعَطَّارِينَ وَكَثِيرًا مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ (٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م) كَانَتْ أُمُورُ بَنِي حَفْصٍ قَدْ تَلَاشَتْ.

أَمَّا بَنُو مَرِينٍ فَكَانُوا يَنْزِلُونَ فِي بِلَادِ الْقِبْلَةِ مَا بَيْنَ الزَّابِ وَسِجِلْمَاسَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى). فَلَمَّا ضَعُفَ الْمُوَحَّدُونَ، بَعْدَ وَقْعَةِ الْعُقَابِ انْتَشَرَ بَنُو مَرِينٍ فِي الْمَغْرِبِ بِقِيَادَةِ رَئِيسِهِمْ عَبْدَ الْحَقِّ بْنِ مَحْيُو، لَكِنَّهُ قُتِلَ فِي حَرْبِ زِنَاتَةَ (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). وَكَانَ أَعْظَمُ مُلُوكِ بَنِي مَرِينٍ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ الْمَرِينِيُّ فَقَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ مِنْ فَاسٍ إِلَى سَلَا قُرْبَ الرِّبَاطِ وَسِجِلْمَاسَةَ ثُمَّ إِلَى وَادِي أُمِّ الرَّبِيعِ جَنُوبًا. وَقَدْ جَازَ الْمَنْصُورُ الْمَرِينِيُّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ سِيَاقِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى بَنِي الْأَحْمَرِ. وَفِي سَنَةِ ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) اسْتَوْلَى الْإِسْبَانُ عَلَى مَرَفَا سَلَا فَأَخْرَجَهُمُ الْمَنْصُورُ مِنْهُ ثُمَّ حَصَّنَهُ.

وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ الْوَاحِدِ فَكَانُوا وَلَاءَةً لِلْمُوَحَّدِينَ عَلَى الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ. فَلَمَّا ضَعُفَ الْمُوَحَّدُونَ أَسَّسَ جَابِرُ بْنُ يَوْسُفَ دَوْلَةً بِبَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ، سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م). وَفِي سَنَةِ ٦٣٣ هـ اسْتَقَلَّ يَغْمُرَاسُنُ بْنُ زَيَّانَ بِالْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ وَاتَّخَذَ تِلِمْسَانَ عَاصِمَةً، وَلَكِنْ الْحَرْبُ ظَلَّتْ سِجَالًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَفْصِيِّينَ أَصْحَابِ تُونِسَ وَبَيْنَ الْمَرِينِيِّينَ أَصْحَابِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى. وَفِي سَنَةِ ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) اسْتَوْلَى بَنُو مَرِينٍ عَلَى تِلِمْسَانَ وَزَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ.

وَعَظُمَتْ شُهْرَةُ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ الْحَفْصِيِّ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) فِي الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا، وَاسْتَبَحَرَتْ فِي أَيَّامِهِ الْحَضَارَةُ وَكَثُرَ الْعُمَرَاءُ.

ولمّا تابعتِ المَعارِكُ على الإفرنج الصليبيين في المَشْرِقِ أرادَ البابا وملوكُ أوروبا أن يُحرزوا شيئاً من النصر في المغرب فأقنعوا لويسَ التاسعَ مَلِكَ فرنسا بأن يقودَ حملةً صليبيةً على تُونِسَ فجاء على رأسِ أربعين ألفَ جُنديٍّ ونزل على الشاطئِ التونسي فتصدّى له أهلُ تُونِسَ، وسارعتْ إلى نَجدةِ التونسيين قبائلُ من المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وبعد حربٍ اتّصلتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ هَلَكَ لويسُ التاسعُ، في العاشر من المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٦٩ (١٢٧٠/٨/٢٩ م) وهلكَ معه مُعظمُ جيشه.

ظلَّ الموحّدون في نزاعٍ وقِتالٍ حتّى زالتْ سُلْطَتُهُم عن الأندلس. ثمَّ قَوِيَ أمرُ بني مرّين فقاتلوا الموحّدين وساروا على مَرّاكُش. وقد تصدّى لَهُمُ المَلِكُ أبو العلاء إدريسُ المرينيُّ المعروف بِلَقَبِ أبي دبّوسٍ ولكنّه قُتِلَ في المَعْرَكَةِ (٦٦٨ هـ = ١٢٦٧) ودخل المرينيّون مَرّاكُش. وانسحبَ الموحّدون إلى تِينْمَلَّ وبايعوا فيها إِسحاق بنَ أبي إبراهيم. وفي سنة ٦٧٤ هـ قَبَضَ السلطانُ يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ المرينيُّ على إِسحاق ابن أبي إبراهيم وقتله فانقرضتْ بِمَقْتَلِهِ دولةُ الموحّدين.

ولمّا بدأ أمرُ بني حفصٍ يَضْعُفُ بِنِزاعِ أمراءِ البيتِ المالِكِ قاد أبو الحسن المريني جيشاً كبيراً، سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وانتزع قُسْطَنْطِينَةَ من يدِ الحفصيين ثمَّ استولى على عاصِمَتِهِم تُونِسَ. غيرَ أنَّ أبا الحسن المرينيَّ أساءَ السيرةَ فنارت عليه فِتْنَةٌ شديدةٌ فاضطُرَّ إلى الرجوعِ عَمَّا كان قد استولى عليه (٧٥٠ هـ).

أما أعظمُ سلاطينِ الدولةِ الحَفْصِيَةِ فكانَ أبا فارسٍ عزّوزاً (عبد العزيز) فإنّه وسَّعَ مُلْكَهُ ووطَّدَ الأَمَنَ فيه وسالَمَهُ بنو مرّين وبايعه أهلُ الأندلسِ وأطاعه أهلُ المغربِ كُلُّهُمْ. وبعد وفاة أبي فارسٍ عزّوزِ الحفصيِّ (٨٣٧ هـ = ١٤٣٤ م) بدأتْ أمورُ الدولة الحفصية بالفساد.

الحياة الاجتماعية في عصر الموحّدين...

اتَّخَذَ الموحّدونَ أَسْمَهُمُ من الرَغْبَةِ في « التوحيد » بالاعتصار في أمور الدين على ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف، فهُمُ في ذلك سَلَفِيّون لا يَنْتُمون إلى مذهبٍ من المذاهب التي كانت قد نشأت من قبل. وقد نَهَى يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ -

٥٩٥ هـ) عن الإفتاء إلّا بالكتاب والسنة، وأباح الاجتهاد لمن اجتمعت فيه شروط الاجتهاد (من العلم والعدالة والمعرفة بالأصول التي تُستخرجُ بها الأحكام). كما نهى عن التقليد وعن الأخذ بالأمور الخلافية (اختلاف الفقهاء في فروع الفقه والجدال في تقديم وجهٍ على وجهٍ منها).

وكان الناس في أيام الموحدين - منذ بدء حركتهم على يد المهدي بن تومرت - ثلاث طبقات هي: السابقون الأولون (الذين كانوا أنصار المهدي بن تومرت في حركته وفي أيامه) ثم الأتباع (الذين جاءوا بعد ابن تومرت أو لم يكونوا قد اتصلوا به) ثم العامة (وهو جمهور الناس). وخص أعضاء الأسرة المالكة من أبناء عبد المؤمن ابن علي - أول سلاطين الموحدين - أنفسهم بلقب «السيد».

واتسعت مرافق الدولة في أيام الموحدين وخصوصاً في القضاء والوزارة وفي نظام الجيش والأسطول. بلغ جيش الموحدين نحو نصف مليون جندي تامي العدة والشارات (بالإضافة إلى زمنه) وكان يجري عرضه (استعراضه) مرة بعد مرة، كما بلغ العدد في مراكب الأسطول إلى أربعمئة مركب.

غير أن عصر الموحدين لم يخلُ من منغصات كانتشار البدو في أقطار المغرب. ومع أن البدو (من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم) كانوا قد جاءوا إلى المغرب منذ أواسط القرن الخامس للهجرة (أواسط القرن الحادي عشر للميلاد) فإنهم ظلوا إلى ذلك الحين رُحلاً (ينتقلون من مكان إلى مكان). ثم بدأوا في أيام الموحدين يستقرون في الأرض. وكان نفر من الثائرين أو الناقمين على الدولة يستخدمون أولئك البدو في العصيان على سلطة الموحدين. ومنذ السنة الأولى لحكم السلطان يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثار يحيى بن إسحاق بن غانية - وهو من بني غانية ومن أقارب سلاطين المرابطين - في إفريقية (القطر التونسي) وفي طرابلس (الجانب الغربي من ليبيا اليوم) ودعا للخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ).

وقد اتسع العمران في أيام الموحدين، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور، فإنه بنى المساجد والقلاع والمستشفيات (للمرضى وللمجانين) وبنى القناطر (الجسور)

والأقنية لجَرِّ المياه وحَفَرَ الآبَارَ وأَجْرَى على الفقهاء وطلّبة العلم مُرتَبَاتٍ. ومن آثارِ يعقوبَ المنصورِ الجامعُ الأعظمُ في مَرَاكُشَ والمِثْدَنَةُ المعروفةُ باسمِ « الكُتُبِيَّة ». ثم إنّه أنشأ مدينةَ الرِّباطِ (أورِباطِ الفتح) لِتَكُونَ مركزاً لتَجَمُّعِ الجنودِ إذا أرادَ الموحِّدون الجَوَازَ إلى الأندلسِ للدِّفاعِ عنها في وَجْهِ الإسبانِ. وبنى يعقوبُ المنصورُ في مدينةِ سَلا، على مسافةٍ سيرةٍ من الرِّباطِ الجامعَ الأعظمَ والمدرسةَ التابعةَ للجامعِ، كما بنى في ظاهرِ مدينةِ الرِّباطِ جامعَ حَسَّانِ ومِثْدَنَتَهُ الجميلةَ. وهذا الجامعُ اليومَ بقايا من الأعمدةِ ما عدا الصَّوْمَعَةَ (المِثْدَنَةُ) التي لا تزالُ قائِمةً إلّا شيئاً يسيراً من أعلاها. وقد أمَّ يعقوبُ المنصورُ جامعَ إشبيلية (الأندلس) ومِثْدَنَتَهُ التي هي طِرَازُ رائعٍ من العَظْمَةِ والزُخْرُفِ، وارتفاعُها خمسةٌ وتسعونَ متراً.

... وفي أيام المرينيّين

(٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م وما بعد).

كان بنو مرينٍ فخذاً من زِنَاتَةٍ (تصحيف « جانا »: وهو جدُّهم الأعلى)، وكانت حياتُهم بدَوِيَّةً ومساكنُهم، في الأكثرِ خِياماً، وكانوا يَزْحَلُونَ من مكانٍ إلى آخرٍ ويعتنون بتربيةِ الإبلِ والخيَلِ. من أجل ذلك يبدو أن آثارَهم الحضاريَّةَ لم تكن كثيرةً برُغمِ الثروةِ العظيمةِ التي كانت في أيديهم، وهذا، كما يقولُ عبدُ الرحمن بنُ محمَّدٍ الجيلاليّ (تاريخ الجزائر العام ٢: ٨٩) صعبُ التعليلِ. ومع هذا كُلِّهِ فنحنُ نجدُ في المغربِ وفي الجزائرِ أيضاً عدداً من المنشآت التي ترجعُ إلى أيامِ بني مرينٍ وتُتَّصَفُ بِجَمالِها وقيمتِها الأثريَّةِ. من ذلك مثلاً المدينةُ البيضاءُ (فاسُ الجديدة) التي يَرْجِعُ زَمَنُ بنائها إلى أيامِ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) خامسِ سلاطينِ بني مرينٍ، إلى جانبِ عددٍ من المدارس والمساجد والأبراج. وفي « تاريخ الجزائر العام » (٢: ٩٥ - ٨٧) تفاصيلُ لأوجهِ من الحضارةِ والثقافةِ تَنطِقُ بشيءٍ من الرقيِّ ولكنها لا تَبْلُغُ إلى أن تكونَ وافيةً باتِّساعِ مُلْكِ بني مرينٍ وبِعِظَمِ الثروةِ التي اجتمعت في خزائنها.

... وفي أيام الدولة الحفصية

(٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م وما بعد).

بدأ الحفصيون، وهم أحفاد أبي حفص عمر بن يحيى الهنتائي الحفصي أحد أنصار عبد المؤمن بن علي الموحدي، ولاية للموحدين على تونس، قام بذلك منهم ثلاثة هم الشيخ عبد الواحد (٦٠٣ - ٦١٨ هـ) ثم أبناؤه من بعده عبد الرحمن ثم عبد الله عبّو (٦٢٠ - ٦٢٥ هـ). ولما جاء ثالث أبناء الشيخ عبد الواحد - وهو أبو زكريا يحيى - إلى ولاية تونس، سنة ٦٢٥ هـ، في حديث طويل، كان أمر الموحدين في تراجع، فأعلن استقلاله عن الموحدين، وهو - في الحقيقة - مؤسس الدولة الحفصية.

وتمتعت الدولة الحفصية، في تونس بعزّ وقوة، ثم اتسع ملكها اتساعاً كبيراً، ولكن غلب على رجالها وعلى تمدنها الاتجاه البربري في الحياة (البدوية)، كما غلب عليها سوء الإدارة. غير أن الحفصيين عادوا فسادوا في طريق الحضارة والثقافة شوطاً بعيداً. فمنذ أيام ولايتهم قرّبوا الشعراء. ثم إنّ أبا زكريا يحيى أنشأ المساجد والمدارس والمكتبات وقصده الشعراء، كما كان هو نفسه أيضاً كاتباً شاعراً. وهو الذي بنى جامع القصبة (القلعة) وصومعته الجميلة. ولما انتهى بناء هذا الجامع (غرة رمضان ٦٣٠: ١١/٦/١٢٣٣ م) أذن فيه السلطان أبو زكريا بنفسه.

وجاء بعد أبي زكريا يحيى ابنه محمد المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) - وكانت الخلافة العباسية في بغداد قد سقطت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) على يد هولاكو المغولي، فأرسل أمير مكة أبو نمي محمد بن علي (٦٥٢ - ٧٠١ هـ) إلى المستنصر الحفصي بمبايعة أهل مكة والمدينة، سنة ٦٥٧ هـ، فسرّ المستنصر بذلك سروراً بالغاً واحتفل بذلك اليوم احتفالاً عظيماً وتلقّب بلقب أمير المؤمنين، إذ كانت الخلافة العباسية قد سقطت ثم كان هو أكبر سلاطين المسلمين في زمانه. وكذلك هاداه ملك برنو (وبرنو) سلطنة في أواسط السودان أهلها مسلمون).

وعاش بنو حفص في الملك مدة طويلة بعد المستنصر، ولكن تلك المدة تخرج من نطاق هذا الفصل الذي خصّته به دولة الموحدين.

العلوم الدينية عامة

كثُر التأليفُ في علوم القرآن والحديث والفقه لِمَيْلِ الموحِّدين إلى التوسُّع في هذه العلوم. فمن علماء هذه الحِقْبَةِ أبو القاسم محمدُ بنُ فيرْه الشاطبيّ (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً ومحدثِ رسولِ الله، اشتهر بمنظومته «الشاطبية» أو «حِرْز الأمانِي ووجه التهانِي» (وهي ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً) نظم فيها الشاطبيّ القواعدَ التي وردت في كتاب «التيسير» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) في القراءات. وكذلك نظم الشاطبي قصيدة دالية في خمسمائة بيتٍ لخص فيها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ). وكتاب «التمهيد» هذا يقع في سبعين جزءاً رتَّبَ فيها ابنُ عبد البرّ أسماءَ شيوخ مالِكٍ على حروف المعجم. وللشاطبي أيضاً تفسيرٌ للقرآن - ناظمة الأزهار في عدد آيات القرآن - عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الخ (وللشاطبي في هذا الجزء ترجمة مفردة).

ومن المُفسِّرين في هذا العصر أبو عبد الله عليُّ بنُ أحمدَ الحِرايِّ المراكشيّ (ت في حِماة ٦٣٧ هـ) وابنُ خليلٍ العشَّابُ الإفريقيّ (ت ٦٣٧ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بنُ محمَّد الإشبيليّ (ت ٦٥١ هـ) له كتاب في تجويد القرآن ومخارج الحروف.

ولابن قُرَح الإشبيليّ - شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن قُرَح بنُ محمَّد - مولدُه في إشبيلية، سنَّة ٦٢١ هـ (وقيل ٦٢٥) ووفاته في تاسع شعبان من سنَّة ٦٧١ (١٢٧٣/٤/٢٩ م) - وقيل ٦٩٩ - له: «جامعُ أحكام القرآن» و«قصيدة غَزَلٍ في ألقاب الحديث» (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧).

الحديث خاصة

أما في الحديث فهنالكَ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليّ الجبَّائيّ (ت ٥٦٣ هـ) له كتاب الأربعين من رواية المحدثين ثم هنالك أبو إسحاق إبراهيم بن قُرُقُولٍ أو ابن قُرُقُلٍ (ت ٥٦٩ هـ) وكان من المتحقِّقين بعلوم الحديث؛ وأبو حفصٍ محمدُ بنُ عبد الحميد

المياشي (ت ٥٧٩ هـ) له كتاب «ما لا يسعُ المحدثين جهله»؛ ثم عبدُ الحق بنُ عبدِ الرحمن بنِ الخَرَّاطِ الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) كان حافظاً للحديث عالماً بعِلِّله ورجاله وفقهياً، له: الجمع بين الصحيحين (صحيح مُسلم وصحيح البخاري) - الأحكام الكبرى - الأحكام الوسطي - الأحكام الصغرى - كتاب الجمع بين المصنّفات الستة - كتاب المعتل من الحديث - كتاب الرقائق.

وفي هذا الباب أيضاً محمد بنُ عبد الله القرطبي (ت ٦٢٩ هـ) له موجز كتاب «التمهيد» لابن عبد البرّ؛ وأبو الربيع الكِلاعي (ت ٦٣٤ هـ) وأبو المكارم محمد بن محمد بن مُسدي الفرناطي (ت ٦٦٣ هـ) له كتابٌ عُنوانه «الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة» (الأعلام للزركلي ٨: ٢٤ و ٧: ١٥٠).

الفقه

وفي أيام المنصور الموحّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) تُركت دراسةُ فروعِ الفقه (لما كان فيها من الآراء المختلفة في مُفردات العبادات وأوجه المعاملات) فقد أمر المنصور بإحراق كتب المذهب (المالكي) بعد أن يجرد ما فيها من الآيات والأحاديث. قال عبد الواحد المراكشي (في المعجب): «فأحرقَ منها جُملةً في سائر البلاد، كمُدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر آبن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحوها.....» وتقدّم (المنصور) إلى الناس في تركِ الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعّد على ذلك بالعقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنّفات العشرة في الصلاة وما يتعلّق بها - على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بنُ تومرت في الطهارة. فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يُمليه بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظه. وانتشرَ هذا المجموعُ في جميع المغرب وحَفِظه الناسُ من العوامِّ والخاصة..... وكان قصّده في الجملة مَحَوَ مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحَمَلَ الناسَ على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصدُ بَعَيْنِهِ كان مَقْصِدَ أبيه وجَدّه، إلّا أنها لم يُظهِراه وأظهره يعقوبُ هذا..... قال الحافظ أبو بكر

ابن الجَدِّ... « لما دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب * - أول دخلتُ دخلتُها عليه - وجدتُ بين يديه كتابَ ابنِ يونسَ. فقال لي: يا أبا بكرٍ، أنا أنظرُ في هذه الآراءِ المتشعبةِ التي أحدثتُ في دين الله! أرأيتَ، يا أبا بكرٍ، المسألة فيها أربعة أقوالٍ أو خمسة أقوالٍ أو أكثرُ من هذا؟ فأبى هذه الأقوال هو الحقُّ؟ وأبى يجب أن يأخذَ به المقلدُ؟ فافتتحتُ أُبينُ له ما أشكل عليه من ذلك. فقال لي - وقطع كلامي - يا أبا بكرٍ، ليس إلّا هذا (وأشارَ إلى المصحف) أو هذا (وأشارَ إلى سننِ أبي داود، وكان عن يمينه) أو السيفُ! » (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

ومن فقهاء هذا العصر أحمدُ بن محمد بن خَلَفِ الحَوْفِي القَلَمِي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ)، له كتاب في الفرائض (تقسيم الإرث)، وأبو الوليد هشامُ بن عبد الله بن هشام (ت ٦٠٦ هـ) له كتاب « مفيد الحكام »، وأبو عبد الله بن عيسى بن أصبغ القرطبي (ت ٦٢٠ هـ) وعبدُ السلام بنُ غالبِ السِّراقِي (بكر فسكون) الليثي المعروف بابنِ غَلَاب (ت ٦٤٨ هـ)، له كتاب « الوجيز » (في الفقه المالكي)، وأبو العباس أحمدُ بنُ عُمَرَ القُرطُبِي (ت ٦٥٦ هـ)، له « كشف القناع عن حكم الوجود والسَّماع » (في التصوُّف؟) وشرحُ صحيحِ مُسلم. ولأبي البقاء صالح بن شريف الرُّنديّ الشاعر (ت ٦٨٤ هـ) أرجوزةٌ في الفرائض.

وهناك أبو إسحاق إبراهيم بنُ أبي بكرِ التِّلِمَسَانِي (ت ٦٩٠ هـ) له المنظومة التِّلِمَسَانِيَّة (في الفرائض: الإرث؟) - وقد شَرَحَهَا كثيرون، وله أيضاً نتائجُ الحَيْرِ ومُزِيلَةُ الغَيْرِ في نَظْمِ المَغازِي والسَّيَر (بروكلن الملحق ١: ٦٦٦). وكذلك نجدُ في القرن السابع أيضاً أبا عبد الله محمد بن موسى بن النُّعمانِ الفاسِي المراكُشي المَزَالِي، له كتاب النور الواضح.

ونذكرُ من فقهاء الإباضية، في عصرِ الموحِّدين، أبا زكريا يحيى بن الحَيْرِ الجنوويّ من أهل جبل نفوسة (بروكلن، الملحق ١: ٦٩١)، له كتاب « الوَضْع » (في فروع الفقه) ثم كتاب النِكَاح والطلاق. وهناك أيضاً من هؤلاء أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم بن مِيَادِ السِّدْرَاتِي الوَرْغَلَانِي (ت ٥٧٠ هـ)، له: الدليل لأهل العقول (و؟)

* كذا في الاصل. اقرأ: يعقوب.

لباغي السبيل بما (هو؟) الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق ثم له أيضاً ترتيبُ مُسنَدِ الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي البصريّ (بروكلمن، الملحق ١: ٦٩٢).

الفلسفة والتصوف

وبلغت الفلسفة والصوفية في العصر الموحي ذروتيهما.

أما في الفلسفة فيكفي أن نُشير هنا إلى آبن طُفيل (ت ٥٨١ هـ) وإلى ابن رُشد (ت ٥٩٥ هـ) ولهما ترجماتان مُفردتان. ثم جاء بعدها ابن طُملوس (ت ٦٢٠ هـ) وكانت له شروح على عددٍ من كتب أرسطو في المنطق. وقد بقيَ منها « المُدخلُ إلى صناعة المنطق » نشره آسين بالاثيوس (مدريد ١٩١٦ م). ولقد تأثر آبن طُملوس بآبن رُشد خاصةً، إذ كان تلميذاً له (أخذاً عنه)، كما تأثر بكتب الفارابي وبكتب الغزالي على الأخص. وأستعرض آبن طُملوس حال الفلسفة مع الناس عامةً ومع الفقهاء خاصةً ثم قال:

« ولما أمتدت الأيام ودلّ إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كُتبُ أبي حامد الغزالي مُتفنّنة. فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألّفوها ولا عرّفوها، وبكلام خرج بهم عن معتادهم من مسائل الصوفية.... فبعُدت عن قبوله أذهانهم ونفرت منه نفوسهم، وقالوا: إن كان في الدنيا كُفرٌ وزندقةٌ فهذا الذي في كتب الغزالي. وأجمعوا على ذلك وأجتمعوا للأمر إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم، فأحرقت كتب الغزالي وهم لا يَعْرِفون ما فيها.... ثم لم تكن تمتدّ الأيام إلّا قليلاً حتى جاء الله بالإمام المهدي، رَضِيَ اللهُ عنه، فبان للناس ما كانوا قد تحيَّروا فيه. ونَدَبَ الناس إلى قراءة كتب الغزالي، رحمه الله، وعُرف من مذهبه أنه يُوافقه. فأخذ الناس في قراءتها وأعجبوا بها وبما رأوا فيها من جودة النظام والترتيب (مما) لم يَرَوْا مثله في تأليف (آخر). ولم يَنَقِ في هذه الجهات مَنْ لم يَغْلِبْ عليه حُبُّ كُتب الغزالي إلّا مَنْ غَلَبَ عليه إفراطُ الجمود من غلاة المُقلِّدين، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد أن كانت كُفراً وزندقة. فلما رأيتُ هذا الذي ذكرته - وما جرى عليه أمرُ الناس في القديم والحديث، مِنْ إنكارهم أولاً ما أَسْتَحْسِنوه آخراً - قلتُ في نفسي:

ولعلّ صناعة المنطق هكذا يكون حكمها: تُنكرُ أولاً وتُستعمل أخيراً.... تشوّتُ إلى معرفتها.....» (بالنثيا ٣٦٢ - ٣٦٦).

وكان السلطان يعقوب المنصورُ شديدَ الرّغبة في علومِ الفلسفة. فلما أرادَ الجوّازَ إلى الأندلس لِقِتالِ الإسبان الذين كانوا يُلحّون بالاستيلاء على المدن الأندلسيّة من أيدي المسلمين، أنبرى الفقهاء له ثم جعلوا يُثبّطون الناسَ عن الانضمام إلى جيشِ سلطانٍ يقربُ إليه الفلاسفة ويشغل بعلمهم المخالفة للدين. فأضطرَّ المنصورُ إلى ترضي الفقهاء فأظهر التبرُّو من الفلسفة وأهلها ونفى الفيلسوفَ ابنَ رشدٍ إلى أليسانة (وكان معظمُ أهلها من اليهود)، ثم تقدّم إلى الناس بترك هذه العلوم جملةً واحدةً. ثم إنه أمر « بإحراق كتب الفلسفة، إلّا ما كان من الطبِّ والحساب وما يتوصّل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذِ سنّ القِبلة. فانتشرت هذه الكتبُ في سائر (جميع) البلاد وعُمل بمقتضاها » (المعجب ٢٥٥).

وعباً المنصورُ جيشاً عظيماً وجاز إلى الأندلس وواقع الإسبان في معركة الأرك (سنة ٥٩١ هـ؛ نفع ١: ٤٤٣) وانتصر انتصاراً باهراً. « ثم لما رجع إلى مرّاكش نزع عن ذلك كلّه وجنح إلى تعلّم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد (ابن رشد) من الأندلس إلى مرّاكش للإحسان إليه والعفو عنه فحضر أبو الوليد - رحمه الله - إلى مرّاكش.... » (المعجب ٢٢٥).

ومن المتصوّفة في هذا العصر أبو مدّين شُعب بن الحسين الأندلسي^(١) (٥٢٠ - ٥٩٤ هـ)، أصله من قطنيانة (قرب إشبيلية) بدأ حياته حائكاً ثم مالت نفسه إلى العلم. أنتقل إلى المغرب وسكن فاس وأخذ التصوّف عن أبي يعزّي (يعزّة) الحرمزي وعن علي بن حرزهم وعن الدقاق الذي ألبسه الخِرقة (أجازه بسلوك طريق التصوّف مُنفرداً). ورَحَلَ أبو مدّين وحجّ ولعله اجتمع في مكّة بعبد القادر الجيلاني وبنفّر من أتباع الغزالي فرجع متأثراً جداً بآراء الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) والجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

(١) راجع: عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ العربي ٦٩/١٢ ص ١٠٦؛ الأصاله ٢٦: ٤ ص ٢٨٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦).

الصوفيّين. ولما عاد أبو مدّنيّ إلى المغرب استقرّ في بجاية. ثم إنَّ المنصورَ الموحّديّ دعاه إلى مراكش فلبّى الدعوة، ولكنه مريضٌ في أثناء الطريق وتوفّي قُربَ تلمسان، سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م)، وله إلى اليوم مقامٌ ومسجدٌ في إحدى ضواحي تلمسان.

ومن أقوال أبي مدّنيّ: لا يصلحُ سماعُ هذا العلمِ (علمِ التصوّف) إلّا لمن جمعتَ له أربعة: الزهدُ والعلمُ والتوكّل واليقين - مَنْ تعلّق بدعوى الأماي لم يفارق التواني - من لم يجد في قلبه زاجراً فهو (قلبه) خرابٌ - من عرف نفسه لم يفتّر ببناء الناس عليه - علامةُ الإخلاص أن يغيبَ عنك الخلقُ في مُشاهدة الحقّ.

ومن المتصوفين في هذا العصر الموحّديّ: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البجائي (ت ٥٧٧ هـ) وابن طُفيل الذي نحا في التصوف منحىً عقلياً ثم أبو الفضل عبد المؤمن بن عمر (ت ٦٠٢ هـ)، له: آداب السلوك (في الطريقة الصوفية) - ديوان الحِكم وميدان الكَلِم - ديوان المادح - ديوان الديباج (وفيه قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي قالها عبد المؤمن فيه حينما استقر عبد المؤمن مدة في القدس). ثم هناك عبد السلام بن مَشيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الشريشي السلويّ (ت ٦٤١ هـ) وكبيرُ المتصوفة في الإسلام ابنُ عربي (ت ٦٣٨ هـ) وأبو الحسن الشُّتري (ت ٦٦٨ هـ) وابن سَبعين المُرسيّ (ت ٦٦٩ هـ) تلميذُ ابنِ عربيّ والناقم عليه فيما يبدو، مع أنه سلك في أقواله مسلك ابنِ عربيّ في المزج بين التصوف وأشياء من فلسفَتَي أفلاطون وأرسطو. غير أنه ظلّ - بخلاف ابنِ عربيّ - حريصاً على الاعتقاد بخلق العالم وبقاء النفس بعد الموت. ولابن سَبعين كُتِبَ منها: (١) المعارف وعقيدة المحقّق المقرّب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف - الدّرج - الدّرة المُنّية والخافية الشمسية (في علم الجفر) - رسائلُ متنوعة (إحداها وصاةٌ إلى تلاميذه لَمَن فيها نفراً من معاصريه من الذين يُنكرون البعثَ والجنة والنار).

(١) بروكلمن، الملحق ١: ٨٤٤. اقرأ: يَدُو أو يَدُو (٢).

التاريخ

في هذا العصر اتسع التأليف في التاريخ على اختلاف أنواعه: التاريخ العام وتاريخ العصور وتاريخ المدن وكتب الفهارس (لأسماء المشايخ الذين تخرج بهم نفر من العلماء). ولكن يبدو أن عدداً كبيراً من الكتب التي ألّفت في هذا العصر قد ضاع. ثم إننا لا نجد مُصنّفاً تاريخياً ذا قيمة راجحة إلا في أواخر هذا العصر.

فمن المؤرخين أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن سيدالة التجيبي (ت ٥٥٨ هـ)، له كتاب «مجموع من رجال الأندلس»؛ ثم أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر (ت ٥٥٩ هـ)، له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار». ثم هناك يوسف بن أبي زيد اللّري (ت ٥٧٥ هـ) ألف كتاباً في طبقات الفقهاء في القرنين الخامس والسادس؛ ثم أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) له فهرست مفيد في أسماء شيوخه.

ومن كبار المؤرخين أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكّوال (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ألف عدداً كبيراً من كتب التاريخ أهمها كتاب «الصلة» جعله استمراراً لتاريخ علماء الأندلس لابن الغرضي (ت ٤٠٣ هـ).

ومن المؤرخين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حُبِيش (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب «الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة»؛ ثم محمد بن أبي بكر بن عفيون الشاطبي (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب في أخبار الزّهاد والعُباد. ثم يأتي أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩ هـ) وقد اشتهر بكتابه «بُغية المُلتَمِس في تاريخ رجال الأندلس» وهو استمرار لكتاب «جُذوة المقتبس» للحميدي (ت ٤٨٨ هـ). ثم هنالك أحمد بن هارون بن عات النكري الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) له كتاب في قضاة بلده و(كتاب آخر؟) في قضاة الأندلس؛ ثم محمد بن عبد الرحمن التّجبي (ت ٦٠٩ هـ) ألف كتاباً في أسماء شيوخه. هذا الكتاب قد ضاع، ولكن ابن الأبار نقل منه كثيراً إلى كتابه «التكملة لكتاب الصلة». ثم هنالك أبو عمرو محمد بن عيشون (ت ٦١٤ هـ) ألف كتاباً في «تاريخ الكتاب الأندلسيين»، ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حمّاد

(ت ٦٤٢ هـ)، ألّف (نحو سنة ٦١٧ هـ) كتاب « التَّبَذُّدُ المحتاجة في أخبار صِنهاجَة »
(الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة، ٦ : ٢٨٠).

ويأتي في هذا الباب أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إِبخلاف (أو
إِخلاف) الدرجيني (بلغ أشدّه نحو ٦٢٦ هـ)، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر إباضي من
تيمجار في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاط في نشر المذهب الإباضي. وقد اشتهر
بكتابه « طبقات المشايخ ».

ومن كبار المؤلفين في التاريخ أبو الخطّاب بن دَحِيّة (ت ٦٣٣ هـ)، له كتاب
« النِّبراس في خلفاء بني العباس - الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صِفّين -
المُطرب من أشعار أهل المغرب (وفيه لمحات تاريخية مُهمّة ومفيدة).

ومنهم أبو العباس محمد بن أحمد العَرَفِي السَّنِّي ألّف (نحو ٦٣٣ هـ) « الدرّ المنظّم
في مولد النبي المعظّم » (ثم أمّه أبْنُه). ومن كبارهم ابنُ الأَبّار القُضاعي المتوفى سنة
٦٣٥ هـ (راجع ترجمته). ولأبي عبد الله محمد بن علي المألقي (ت ٦٣٦ هـ) « تاريخ
مألقة ». ثم إن هنالك أبا القاسم الطيلسان (ت نحو ٦٤٢ هـ)، له: زهر البساتين
ونفحات الرياحين - غرائب أخبار المُسندين ومناقب آثار المهتدين - تاريخ صلحاء
الأندلس - أخبار القُرطُبيّين والتَّبِيين عن مناقب من عُرِفَ بقُرطبة من التابعين
والعلماء الصالحين. ثم هنالك أبو عبد الله محمد بن سعيد الطرّاز الغرناطيّ
(ت ٦٤٥ هـ) وله فهرسة مُشمّلة على أسماء شيوخه. ثم هنالك عبد الواحد المراكشيّ
(ت ٦٤٧ هـ) - وله في هذا الجزء ترجمة مفردة؛ ثم جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن
محمد البَيّاسيّ (ت ٦٥٣ هـ) صاحب « الحماسة المغرّبية » له في التاريخ كتاب « الإعلام
في الحروب والوقائع في صدر الإسلام » (من مقتل عُمرَ بن الخطّاب إلى أيام هرون
الرشد). ثم إنّ لأبي المطرّف أحمد بن عبد الله بن عميرة الحزوميّ (ت ٦٥٨ هـ) كتاباً
في فضائل ميورقة وتاريخها وكتاباً آخر في « كائنة ميورقة وتعلّب العدو عليها ». ثم
هنالك محمد بن الحسن الحسنيّ المِصْريّ ألّف (نحو ٦٥٩ هـ) كتاباً في أنساب القبائل،
ألّفه برسم السلطان أبي عبد الله محمد بن زكريا الحفصي صاحب تُونِسَ (٦٤٧ -
٦٧٥ هـ). ولبني سعيد في هذا الجزء ذِكرٌ خاص؛ ويأتي الكلام على كتابهم « المغرب »

في ترجمة أبي عليّ الحسن بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

الجغرافية

أما المصنّفات في الجغرافية - في هذا العصر - فقليلةٌ جدًّا. ولا بأس في أن نُشير هنا إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) من أهل سبته سكّن الأندلس مدة ثم انتقل إلى جزيرة صقلية وأتصل بملكها رُجّار الثاني (٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) وألّف له كتاب «نزهة المشتاق في أختراق الآفاق»، ويُعرف أيضاً باسم الكتاب الرُّجّاري. وقيمة هذا الكتاب إنما هي في شموله وفي الخُرط الكثيرة الدقيقة التي توضح جانباً من مواقع الأماكن الواردة فيه. وقد صنع الإدريسيّ خارطة للعالم تُعدُّ قريبةً من الواقع. وكان هنالك كُرّة من فضة للعالم صنعت بإشراف الإدريسيّ، ولكن لم تصل إلينا.

وهناك الرحالة أبو حامد الغرناطيّ (ت ٥٦٥ هـ) وله في هذا الكتاب ترجمة خاصة. كما تحسّن الإشارة إلى ابن طُفيل (ت ٥٨١ هـ) وله أيضاً ترجمة مفردة. وكذلك لابن عَفْيُون الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ) في الجغرافية كتاب في عجائب البحر. ثم هنالك ابن جُبَيْر (ت ٦١٤) الرحالة المشهور وله ترجمة خاصة.

العلوم الرياضية والطبيعية

كان للعلم الرياضي وللعلم الطبيعيّ نهضةٌ في عصر الموحّدين. فمن الكتب العامة ذات الدلالة: بَرْنَامُجُ أبي بكرٍ محمد بن خير بن عُمَرَ بن خليفة الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) فهو مُعْجَمُ شيوخه أو «فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف»^(١). أما أبو جعفر أحمد بن محمد الحشّاء التونسي فقد بلغ أشدّه في أيام السلطان أبي زكريا يحيى الحفصيّ (ت ٦٤٧ هـ) وكتب كتاباً هو «مفيد العلوم ومُبيد الهموم» أو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوريّ^(٢).

(١) تحرير كوديرا وريبيرا، سرقطة ١٨٩٣ م.

(٢) المنصوري: كتاب في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢١ هـ = ٩٢٤ م).

وكان في القرن السادس أبو عبد الله محمد بن عمر البَلَنْسِيَّ صاحبُ كتاب «اختيار الجبر» ثم أبو محمد بن مُعَاذ الجِيَّانِي صاحبُ الشرح على كتب (فصول) أقليدس الخمسة (في الهندسة).

وآزدهرَ علما الجغرافية والفلك في هذا العصر، فإنَّ ابنَ طُفَيْلٍ خالفَ مُعاصريه والسابقين على زمانه وأعلن أن خطَّ الاستواء أعدلُ بِقَاعِ الأرض بقلَّة الاختلاف فيه بين دَرَجَتَي الحرارة في الليل والنهار. وألَّف أبو علي الحسنُ المَرَاكُشي (ت ٦٦٠ هـ) «جامع المبادئ والغايات في علم الميقات». وله خارطة للمغرب ظهرت عليها لأول مرة خطوط الطول وخطوط العرض (الدَّالَّة على الساعات في أقطار الأرض)، كما أنه وضعَ جدولاً يضمُّ مائتين وأربعين نجماً رَصَدَهَا (وعَيَّن مواقعَهَا) بنفسه.

وكان الفيلسوف ابنُ رُشْدٍ أولَ من رأى الكَلَفَ^(١) على وجهِ الشمس. ثم عَرَفَ بواسطة الحساب الفلكيَّ عبورَ كوكبِ عطاردَ على وجه الشمس.

ولابن طُفَيْلٍ ولتلميذه أي إسحاق نور الدين البِطروجي جهودٌ مختلفة في الفلك ومحاولةٌ لإصلاح نظام بَطْلَيْمُوسَ^(٢) في تفسير حركات الكواكب المتحيرة^(٣). وقد «ابتدع البِطروجي نظرية جديدة في حركات النجوم..... نقض (بها) نظرية بطليموس من أساسها..... وقال بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس.....»^(٤).

(١) الكلف: يقع غير مضيئة على وجه الشمس.

(٢) بطليموس القلودي (كلودْيوس بطولومايوس) عالم رياضي وفلكي ولد في صعيد مصر وقضى حياته في الاسكندرية وتوفي فيها نحو عام ١٧٠ م. وبطليموس هذا لا صلة له بالبطالسة حكام مصر اليونانيين. والأغلب أن بطليموس لم يكن يونانياً.

(٣) الكواكب المتحيرة هي الكواكب التي ترى مرّة تسبق الشمس والقمر ثم ترى مرّة أخرى تتأخر عن الشمس والقمر (في رأي العين). وجاءت هذه التسمية «متحيرة» من أن بطليموس كان يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة. ولو أنه عرف أن الشمس والنجوم ثابتة (بالإضافة إلى الأرض) وأن الأرض هي المتحركة (حول نفسها وحول الشمس) لاستطاع تحليل هذه الظاهرة تحليلًا صحيحاً.

(٤) كان الاعتقاد القديم أن مدارات الكواكب حول الأرض (والصحيح: حول الشمس) مستديرة. وقد =

وتحسُّ الإشارةُ هنا إلى ابن شكر (أو يشكر) وهو يحيى بن محمد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٠ هـ أو بعدها بقليل)، وقد كان من علماء الرياضيات والفلك كثير التأليف فيها (بروكلمن ١: ٦٢٦، الملحق ١: ٨٦٨ - ٨٦٩).

وفي أواخر القرن السادس كان أبو علي الحسين بن أحمد «أمين الأوقات» (الموقَّت أو الميقاتي) في قرطبة. وقد وضع رسالة في الأوقات ووضع الصفيحة الجامعة لجميع عروض الأرض.

ونجد ابن أرفع رأسه - وهو أبو الحسن علي بن موسى (ت ٥٩٣ هـ) - من المهتمين بالصنعة (الكيمياء القديمة) ألف عدداً من الكتب، منها: شذرات الذهب في فنّ السلامة (٢) وهو مجموع أشعار في حجر الفلاسفة - الطبّ الروحاني بالقرآن الرحاني - الجهات في علم التوجيهات في شرح قصيدة ثابت بن سليمان - رسالة في الكيمياء.

وكان أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت ٦٥١ هـ) مؤلفاً لعددٍ من الكتب الطريفة والجريئة فمن كتبه العلمية «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (في الحجارة الكريمة) ثم «مطالعُ البدور في منازل السرور» (في المعادن). ثم له أيضاً: «نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» (قصص وأشعار في النكاح) - رجوعُ الشيخ إلى صباه في القوة على الباه (وقد اشتهر باسم «الباه في رجوع الشيخ إلى صباه». وربما أُشير إليه باسم «رجوع الشيخ» - رسالة فيما يحتاج إليه الرجال مع النساء في استعمال الباه بما يضرُّ وينفع.

وبرع ابن طفيل في التشريح وفي التطبيب، كما برع ابن رشد في التأليف في الطب، ممّا نرى في كتابه «الكليات»، فقد تكلم فيه على التشريح ووظائف الأعضاء وعلى الأمراض وأعراضها وعلى الأغذية وحفظ الصحة والعلاج.

غير أنّ الذين ملأوا عصرَ الموحدّين بالزُهو في التطبيب كانوا بني زُهري، وكان

= ذكر البطروجي أنها إهليلجية، أي بيضاوية. وقد كان ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) قد طلب من تلميذه البطروجي إصلاح نظام بطليموس القائل بالكواكب المتحرّرة (راجع أيضاً بالنشأ ٤٥٦).

أشهرهم أبو مروان عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ) وأبْنُه أبو بكر محمد (ت ٥٩٥ هـ) الذي كان شاعراً ووشاحاً أيضاً.

ويأتي في هذا الباب أبو محمد محمد بن عليّ الإلبيريُّ له كتاب « النتائج العقلية في الوصول إلى المناهج الفلسفية والقوانين الطبية ».

والصيدلة لائحةً بالطبِّ ومتصلةً بعلم النبات. ونحن نجد أبا العباس أحمد بن محمد ابن الرومية الإشبيلي (ولد سنة ٥٦٠) يَدْرُسُ النباتَ على أنه علمٌ ولم يقتصر على درس منافع الطبِّية فقط. أما أشهر علماء النبات فكان ابنُ البيطار المالقي (ت ٦٤٦ هـ). وضع كتاب « الجامع لمفردات الأغذية والأدوية » (على ترتيب المعجم). قال ابنُ البيطار يوجز طريقته في التأليف:

« جمعتُ هذا الكتابَ في القول في الأدوية المُفْرَدَةِ والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار عندَ الاحتياج إليها في ليلٍ كان (ذلك) أو نهارٍ..... وأذكر ما ينتفع به الناس من شعار (ثوب يُلبَسُ مما يلي البدن) وذيثار (ثوب يلبس فوق الشعار). وأستوعبتُ فيه جميع ما في الخمسِ مقالاتٍ من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصّه. وكذلك فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الستِ مقالاتِ بنصّه. ثم ألحقتُ بقولها من أقوالِ المُحدِّثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكرها، ووصفتُ عن ثقاتِ المُحدِّثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه. وأسندتُ - في جميع ذاك - (تلك) الأقوالَ إلى قائلها وعرفتُ طرق النقل فيها بذكر ناقلها.

واختصصتُ بما تمّ لي به الاستبداد * وتوضّح لي القول ووضح عندي الاعتماد.... وسمّيته « بالجامع » لكونه جمع بين الدواء والغذاء واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز (الإيجاز ٩) والاستقصاء..... »

اللغة والنحو

برزَ في هذا العصر نفرٌ من مشاهير اللغويين والنحاة نَعُدُّ منهم السَّهيليَّ (ت ٥٨١ هـ) وأبا الحجاج البَلْويَّ (ت ٦٠٤ هـ) وابنَ يَلْلَبختَ (ت ٦٠٧ هـ) وشرف الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الله المُرسيَّ (ت ٦٥٥ هـ) اللُّغويَّ النَحْويَّ وأبا المطرِفِ

أحمد بن عبد الله المخزومي (ت ٦٥٨ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) صاحب المقرَّب في النحو وأبا الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع القُرشي (ت ٦٨٨ هـ). ولمعظم هؤلاء تراجم في هذا الجزء .

في الأدب وتاريخه

في عهد الموحِّدين ازدهر الشعر وكثر الشعراء لاحتفال الموحِّدين - خلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، وخصوصاً في أيام السلطان يعقوب المنصور (ت ٥٩٥ هـ)، فليس غريباً إذن أن تكثر مجاميع الشعر التي صنعت في هذا العصر، ثم وصل إلينا كثير منها. من هذه الجاميع: رَوْح الشعر ودَوْح الشجر لأبي عبد الله بن محمد بن الجلاب الفهري المعاصر للمنصور الموحَّدي - زاد المسافر لأبي بحر صفوان بن إدريس (ت ٥٩٨ هـ) - المطرب لابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) - الحماسة المغربية لأبي الحجاج البياسي (ت ٦٥٣ هـ) - ثم الحلة السَّيراء - تحفة القادم - إعتاب الكتاب (والثلاثة الأخيرة لابن الأَبَّار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ) - المقرَّب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ).

ومن هذا العصر وصل إلينا مُوشَّحاتٌ بارعةٌ لأبي بكر بن زهر (ت ٥٩٦ هـ): «أيها الساقى، إليك المشتكى» ثم «ما للمؤله من سُكره لا يُفيق؟» ثم موشحة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ): «هل درى ظيُّ الحمى أن قد جمى»، وهي الموشحة التي نظمَ نفرٌ كثيرون على مثالها منهم لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في قوله: «جادك الغيث إذا الغيث همى».

وبما أن المُدَن الأندلسية أخذت تسقط في أيدي الإسبان في أواخر هذا العصر، فإن قصائد «رثاء المدن» كثرَت، نذكرُ منها: «أذكرُ بحمَّلك خيل الله أندلسا» لابن الأَبَّار القُضاعي و«لكل شيء إذا ما تمَّ نقصان» لأبي البقاء الرندي (ت ٦٨٥ هـ).

وكذلك برزت العناية بالمقامات، فمن الذين وضعوا مقاماتٍ تقليداً للحريري (ت ٥١٦ هـ): أبو الطاهر الأشرقوني أو الأشرقوني (ت ٥٣٨ هـ) ثم أبو محمد عبد الله الأزدي (ت ٥٧٥ هـ). وشرح مقامات الحريري نفرٌ كثيرون أيضاً منهم: أبو طالب

عقيلُ بن عطيةَ القُضاعي المَرَاكُشي (ت ٦٠٨ هـ) ثم الشَرِيشي أبو العباس (ت ٦١٨ هـ).

في النقد

وفي النقد في هذا العصر نبدأ بـابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) مبتدع القِصة الفلسفية (سياقة الحقائق العلمية والآراء الفلسفية في أسلوب أدبي). ولما وصل إلى وصف ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الولاية (أي وصف الملاً الأعلى: عالم الألوهية كما يتخيله رجال التصوف). جعل يتكلم «رمزاً» ثم قال: «إذ لا نجد في الألفاظ الجمهورية (الدائرة في الاستعمال بين جمهور الناس) ولا في الاصطلاحات الخاصة (الألفاظ الفنية التي وضعها العلماء والفلاسفة) أسماء تدلّ على الشيء الذي يُشاهد به هذا النوع من المشاهدة».

وانتقد ابنُ طفيل طريق الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في التأليف فقال عنه إنه قد بنى كتبه على عقلية عوام الناس ثم هو «يربطُ في مكانٍ ويحلّ في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها. فمن جملة ما كفر به الفلاسفة مثلاً إنكارهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة. ولكنه عاد فقال في أول كتاب «الميزان» إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد الصوفية على القطع. بعدئذ أعلن في «المنقذ من الضلال» أن اعتقاده كاعتقاد الصوفية.

وقال ابنُ طفيل عن ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ): ولم يكن في زمن ابن باجه في الأندلس من هو أثقُبُ ذهنًا وأصحُّ رويّةً منه، ولكنه مات قبل أن يقول كل ما عرفه. وأكثر كتبه ناقصة أو وجيزة العبارة أو معقدة التركيب. ولقد كان وقته يضيق عن ترتيب عبارته على وجهها الأكمل.

ومن يُنظّم في هذا السلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميري المؤدب (٥١٤ - ٦١٠ هـ) «آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس» لم يكن فيها، في أيامه، أحد «أزوى لشعرٍ قديمٍ أو حديثٍ، ولا أذكرُ بحكاية تتعلق بأدبٍ أو مثلٍ سائرٍ أو بيتٍ نادرٍ أو سجعةٍ مستحسنَةٍ منه. قال عبد الواحد المراكشي - وكان أبو

جعفر الحِميري شيخه - : أنشدته يوماً (من أيام سنة ٦٠٦)، وكان من عادته أن يَسْتَنَشِدَني أشياء من شعري، يَتَتَبِعُ ارتجالَها في شابٍّ كان يقرأ معنا شديد العِفَّة - رحمه الله - مع حُسْنِ رائع وظَرْفِ ناصع، وكان اسمه فَتَحاً، وهما:

يَا مَنْ لَهُ عَنِ كِنَاسٍ مِنْ الْمُتَمِّمِ قَلْبُهُ،
مَا أَنْتَ كَاسِمُكَ فَتَحٌ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ قَلْبُهُ!

فَطَرَبَ وَانْتَفَتَ إِلَى ابْنِهِ وَقَالَ لَهُ: هَذَا - وَاللَّهِ - الشَّعْرُ، لَا مَا تُصَدِّعُنِي بِهِ طَوْلَ نَهَارِكَ. إِنْ كُنْتَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا (فَقُلْ) أَوْ فَاسْكُتْ.

« فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِي: لَمْ يَزَلْ (عَصَام) أَمْسَ يُعْمِلُ فِكْرَتَهُ، فَبَعْدَ الْجُهْدِ الشَّدِيدِ أَخَذَ مَعْنَى بَيْتِكَ فَسَلَبَهُ رُوحَهُ وَأَعْدَمَهُ رَوْنَقَهُ وَمَسَّخَهُ جُمْلَةً فَقَالَ:

سَبَّحْنِي فَوَادِي خَشْفٌ فَقَوِي الْيَوْمَ ضَعْفٌ.
سَمُوهُ فَتَحاً مَجَازاً وَفِي الْحَقِيقَةِ حَتَفٌ.

مَا زَادَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ. فَقُلْتُ أَنَا: هَذَا - وَاللَّهِ - أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي. فَتَغَيَّرَ لِي وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، دَعْ عَنْكَ هَذِهِ الْعَادَةَ، فَإِنَّ أَسْوَأَ مَا تَخْلُقُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْمَلَقُ وَتَزْيِينُ الْبَاطِلِ، (وَلَا) سَيِّئاً إِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْحَلْفَ الْكَاذِبَ. وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِلَّا فَقَدْ آخَتَلَ مَيِّزُكَ وَسَاءَ آخِتْيَارُكَ. وَمَا أَظُنُّ هَذَا هَكَذَا » (المعجب ٢١٩ - ٢٢٢).

وَكَانَ لِعَنَائَةِ ابْنِ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) بِكُتُبِ أَرِسْطُو أَنْ أَبْدَى عِدْداً مِنْ آرَائِهِ فِي النِّقْدِ فِي أَثْنَاءِ شَرْحِهِ لِكُتَابِ أَرِسْطُو « فِي الشَّعْرِ ». إِلَّا أَنَّ آرَاءَ ابْنِ رُشْدٍ كَانَتْ أَكْثَرَ صِلَةً بِالْبَلَاغَةِ عَامَةً مِنَهَا بِالنِّقْدِ الْأَدَبِيِّ خَاصَّةً (رَاجِعْ تَرْجُمَةَ ابْنِ رُشْدٍ).

وَاتَّفَقَ أَنْ حَرَّشَ أَمِيرُ سُبْتَةَ أَبُو يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا بَيْنَ أَبِي الْوَلِيدِ الشُّقْنَدِيِّ (ت ٦٢٩ هـ) وَأَبِي يَحْيَى بْنِ الْمَعْلَمِ الطَّنْجِيِّ (ت ؟ هـ) وَدَعَاها إِلَى أَنْ يُؤْلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا رِسَالَةً فِي تَفْضِيلِ عُدُوْتِهِ. فَكُتِبَ الشُّقْنَدِيُّ رِسَالَةً فِي تَفْضِيلِ عُدُوْتِهِ الْأَنْدَلُسِ، وَافْتَخَرَ فِيهَا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَنْدَلُسِ: بِلُوكِهَا وَعِلْمَائِهَا وَمُؤَرِّخِيهَا وَشِعْرَائِهَا وَبِعِدْنِهَا أَيْضاً. أَمَّا الْقِسْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِكِبَارِ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ فَقَدْ نَحَا الشُّقْنَدِيُّ فِيهِ نَحْوَ

الفخر والدفاع، ولا يمكن أن يسمى هذا نقداً إلا على المجاز. من ذلك قوله مثلاً (نفح الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

«.... وإِنَّكَ إِن تَعَرَّضْتَ لِلْمُفَاضِلَةِ بِالْعُلَمَاءِ فَأَخْبِرْنِي: هل لكم في الفقه مثلُ عبدِ الملك بن حبيب^(١) الذي يُعْمَلُ بِأَقْوَالِهِ إِلَى الْآنِ، ومثلُ أبي الوليدِ الباجي، ومثلُ أبي بكر بن العربي، ومثلُ أبي الوليد بن رُشدٍ الأكبر، ومثلُ أبي الوليد بن رُشدٍ الأصغر^(٢) - وهو ابنُ ابنِ الأكبر - : نجوم الإسلام ومِصباحُ شريعةِ محمدٍ عليه السلام؟ وهل لكم في الحِفْظِ^(٣) مثلُ أبي محمد بن حزم الذي زَهَدَ في الوِزَارَةِ والمَالِ ومَالٍ إِلَى رُتْبَةِ الْعِلْمِ ورَأَاهَا فَوْقَ كُلِّ رُتْبَةٍ، وقال وقد أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ: «دَعُونِي مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وكَاغِدٍ» (راجع ترجمته، ت ٤٥٦ هـ) ومثلُ أبي عُمَرَ بن عبدِ البرِّ صاحبِ كتاب «الاستذكار» و«التمهيد» ومثلُ أبي بكر بن الجَدِّ حافظ^(٤) الأندلسي في هذه الدولة؟ وهل لكم في حِفَاطِ اللُّغَةِ كَابِنِ سَيِّدِهِ صاحبِ كتاب «المُحَكَّم» وكتاب «السماء والعالم» (وهو) الذي إِن أَعْمَى اللَّهُ بَصَرَهُ فَمَا أَعْمَى بَصِيرَتَهُ؟ وهل لكم في النَحْوِ مثلُ أبي محمد بن السَّيِّدِ وتَصَانِيفِهِ ومثلُ ابنِ الطَّرَاوَةِ ومثلُ أبي عَلِيٍّ الشُّلُوبِيْنِ الذي بَيْنَ أَظْهَرِنَا الْآنَ، وقد سار في المشارِقِ والمَغَارِبِ ذِكْرُهُ؟ وهل لكم في عِلْمِ اللُّحُونِ^(٥) والفلسفة كَابِنِ بَاجِهِ؟ وهل لكم في عِلْمِ النُّجُومِ والفِلسَفَةِ والهِندَسَةِ مَلِكٌ كَالْمُقْتَدِرِ بنِ هُوْدٍ صاحبِ سَرَ قُسْطَةٍ فَإِنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ آيَةٌ؟ وهل لكم في الطِّبِّ مثلُ ابنِ طُفَيْلٍ صاحبِ رِسَالَةِ «حَيَّ بن يَظْطَانَ» المُقَدَّمِ فِي عِلْمِ الفِلسَفَةِ ومثلُ بَنِي زُهْرٍ: أبي العِلاَّءِ ثُمَّ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ثُمَّ ابْنَهُ أَبِي بَكْرٍ: ثَلَاثَةٌ فِي نَسَقٍ؟ وهل لكم في عِلْمِ التَّارِيخِ كَابِنِ حَيَّانٍ صاحبِ «الْمَتْنِ» و«الْمُقْتَبَسِ»؟ وهل عِنْدَكُمْ فِي رُؤُوسِ عِلْمِ الْأَدَبِ مثلُ أبي عُمَرَ بن عبدِ رَبِّهِ صَاحِبِ (كِتَابِ) «الْعِقْدِ»؟ وهل لكم فِي الْإِعْتِنَاءِ بِتَخْلِيدِ مَآثِرِ فُضْلَاءِ إِقْلِيمِهِ

(١) إن الكثرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم في هذا النص، يجد القارئ لكل واحد منهم ترجمة مفردة في هذا الجزء أو في الجزء الذي سبقه.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كان فقيهاً؛ وهو جدُّ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) الفيلسوف المشهور والذي كان أيضاً فقيهاً.

(٣) و(٤) في حفظ أحاديث رسول الله. وحافظ الأندلس (أشهر حفاظ الحديث في الأندلس).

(٥) الموسيقى.

والاجتهاد في حَسَدِ محاسنهم مثلُ ابنِ بَسَّامِ صاحبِ « الذخيرة »؟ وهَبْ أَنَّهُ كَانَ يَكُونُ لَكُمْ مِثْلُهُ، فَمَا تَصْنَعُ الْكَيْسَةُ فِي الْبَيْتِ الْفَارِغِ^(١)؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي بِلَاغَةِ النَثْرِ كَالْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الَّذِي إِنْ مَدَحَ رَفَعَ وَإِنْ ذَمَّ وَضَعَ؟ وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْقَلَائِدِ » مَا هُوَ أَعَدَلُ شَاهِدٍ. وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ أَيْنَ أَبِي الْخِصَالِ فِي تَرْسِيلِهِ وَمِثْلُ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلٍ بْنِ مَالِكٍ^(٢) الَّذِي بَيْنَ أَظْهَرْنَا الْآنَ فِي خُطْبِهِ؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي الشِّعْرِ مَلِكٌ مِثْلُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ..... وَمِثْلُ ابْنِهِ الرَّاضِي؟.... وَهَلْ لَكُمْ مَلِكٌ أَلْفَ فِي فَنُونِ الْأَدَابِ كِتَابًا فِي نَحْوِ مِائَةِ مُجَلَّدَةٍ مِثْلُ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوَسَ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ الْحُرُوبُ وَلَا الْمَمْلَكَةُ عَنْ هِمَّةِ الْأَدَبِ؟

« وَهَلْ لَكُمْ فِي الْوُزَرَاءِ مِثْلُ ابْنِ عَمَّارٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَارَتْ أَشْرَدَ مِنْ مَثَلِ وَأَحَبَّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ وَصَلَ^(٣)؟ (تِلْكَ الَّتِي) مِنْهَا:

أَنْمَرْتَ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مُلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُفْشِقُ مُثْمِرًا؛
وَصَبَفْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كَهَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُنْبَسُ أَحْمَرًا^(٤).

وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي لَمْ يُقَلِّ مَعَ طَوْلِهَا فِي النَّسِيبِ أَرْقًى مِنْهَا؟ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

كَأَنَّنَا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا، وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا^(٥)؛
سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا.

وَهَلْ لَكُمْ فِي الشُّعْرَاءِ مِثْلُ ابْنِ وَهْبُونَ فِي بَدِيعَتِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَمِدِ..... وَهَلْ لَكُمْ مِثْلُ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ دِرَّاجٍ الَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّعَالِيُّ^(٦): هُوَ بِالصِّغَرِ الْأَنْدَلُسِيِّ

(١) المقصود: يمكن أن يكون في المغرب (شمال إفريقيا) نفر من المؤرخين، ولكن ليس في المغرب أدباء كبار يستحقون أن يؤرخ لهم مثل أدباء الأندلس. - الكيس (بتشديد الياء): العاقل، البارع.

(٢) أبو الحسن سهل بن مالك الأزدی فقیه وخطیب بلیغ وشاعر أندلسی (ت ٦٣٩ هـ).

(٣) المثل الشroud: البارع المشهور. من حبيب وصل (اتصل بـحبه).

(٤) الكمي: الشجاع والتام السلاح.

(٥) غص (كف، صرف) من أجفان (عيون) واشينا (عدونا): خيب ظن الذين يريدون سوءاً بنا.

(٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد الشعالي (ت ٤٢٩ هـ) صاحب «يتيمة الدهر» من مشاهير أدباء المشرق.

كالمتنبّي بصِفَع الشام، والذي إن مدَحَ الملوكَ قال مِثْلَ قوله:.....

وأنا أُقْسِمُ بما حازَتْه هذه الأبياتُ من غرائبِ الآياتِ لو سَمِعَ هذا المديحَ سَيِّدُ بني حَمْدَانَ لَسَلَا به عن مدحِ شاعِرِهِ^(١) الذي سادَ كُلَّ شاعِرٍ، ورأى أن هذه الطريقةَ أولى بمدحِ الملوكِ من كُلِّ ما تَقَنَّ فِيهِ كُلُّ ناظِرٍ وناثِرٍ.....»

ولابن دِحْيَةَ الكلبيّ (ت ٦٣٣ هـ) أحكامٌ عارضةٌ في النقدِ منشورةٌ في كتابه «المطرب» على غير قاعدة. إنه اختار أشعارَ «المطرب» اعتماداً على «ذوقه الشخصي»، وإلاّ فما الحُجَّةُ مثلاً لاختيار الرمادي (ت ٤٠٣ هـ - راجع ترجمته) في شعراء المطرب بيتين - هما سهلان عذبان ولكنها لا يمثلان الرماديّ؟ وباعتماد ذوقه الشخصي أيضاً جاء بأحكامه في النقد.

وابن دِحْيَةَ يورد أحكامه في النقد في جُمْلٍ عامّةٍ مسجوعة قلّ أن تفيد «حكماً» كقوله مثلاً: «له مُقَطَّعاتٌ غَزَلٍ أحسن من الرياض وأغزل من العيون المراض - مَنْ نُسَجَ على منواله وضُرِبَ في بديع المعاني والألفاظ على مثاله».

وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون النساء الجميلات بالنرجس، فقال ابن دِحْيَةَ في نقد ذلك: «هو تشبيه غير وثيق إذا حُكَّ بِحِكِّ التحقيق، لأن بين نَرْجَسٍ الحداثق والأحداق الموصوفة بالدعج وتكحيل الآماق^(٢) من التباين ما بين الأضداد. وليس يحسن أن تحِلَّ الصفرة في موضع السواد. فتشبيهه بعيون الحرر أولى من تشبيهه بعيون الناس في حكم القياس. ولكنه حَسَنٌ تشبيهه بذلك لموضع إحاطة البياض بالصفرة كإحاطة بياض العين بسوادها». ولكنّ مثلَ هذا التحليل قليل عند ابن دِحْيَةَ.

ويقف ابن دِحْيَةَ في نقده موقف الدفاع عن شعراء الأندلس ويُسَوِّغُ قِلَّةَ سَيَرورة

(١) سيد بني حمدان (سيف الدولة أمير حلب). سلا: تملّى (عن)، نسي، أهمل. شاعره (شاعر سيف الدولة: أبو الطيب المتنبّي).

(٢) الدعج: سعة العين مع الحور (شدة اسوداد البؤبؤ وشدة البياض حوله). تكحيل (سواد). المؤق: طرف العين (المقصود: أطراف الجفون).

شعر الأندلسيين على الألسنة بالإضافة إلى سيورة شعر المشاركة بشهرة المشاركة وميل أهل الأندلس إليهم.

واختار ابن دحية ليحيى بن حكيم الغزال (ت ٢٥٠ هـ) مقطوعته في تود المحوسية (راجع ترجمته): «كُلِّفَتْ، يَا قَلْبِي، هَوًى مُتَعَباً» ثم علق عليها بقوله: «وهذا الشعر لو روي لِعَمَرَ بن أبي ربيعة أو لبشار بن بُرْدٍ أو للعباس بن الأحنف^(١) وَمَنْ سَلَكَ هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاسْتَفْرِبَ له؛ وَإِنْ ما أَوْجَبَ أَنْ يكون ذكرُهُ مَنْسِيّاً أَنْ كان أُنْدَلِسِيّاً. وإلاّ فما له أُخِلَ؟ وما حقّ مثله أَنْ يُفَعِّلَ!» «يا لأهل المشرق»، قَوْلُهُ غاصٌّ بها شَرِقٍ^(٢)! أَلَا نَظَرُوا إلى الإحسان بعين الاستحسان، وأقصرُوا عن استهجان الكَرِيمِ الهجان^(٣)، ولم يُخْرِجْهُمُ الإِزْرَاءُ بالمكان عن حَدِّ الإمكان...»^(٤).

وعبدُ الواحد المراكشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) مؤرخ في الدرجة الأولى، إلّا أنه كان أديباً بارعاً في عَرَضِ الخصائص واستعراض الشعر والنثر - وقد أكثر من غاذجها في كتابه «المُعْجَب في تلخيص أخبار المغرب». وكان له نثرٌ رَشِيقٌ مَعَ سهولته، ولكنَّ شعره كان عادياً - ولقد قال هو نفسه على قصيدة من قصائده (ص ٣٠٩): «مع ركاكتها وقلة انطباعها وظهور تكلفها».

ولعبد الواحد المراكشي أحكامٌ في النقد متفاوتة بعضها إنشائي فقد قال في قصيدة ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ) الرائية: «الدهر يفجعُ بعد العين بالأثر»: «....».

(١) راجع في هؤلاء الجزأين الأول والثاني.

(٢) «يا لأهل المشرق» قَوْلُهُ (يقول: أنا أفضل أدباء المشرق على أدباء الأندلس، وأنا كاره لذلك: برغمي).

(٣) أقصر: كَفَّ، اعتدل، استهجان: تقبيح الهجان: الكريم الأصل، الجيد من كل شيء.

(٤) الإِزْرَاءُ (أن يعيب الإنسان إنساناً آخر ويحتقره). عن حَدِّ الإمكان (البقاء في نطاق الأحكام الممكنة: المعقولة، المنصفة، العادلة).

قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء^(١) التي أزرّت على الشعر^(٢) وزادت على السحر وفعلت في الألباب فعلَ الخمر، فجَلَّتْ عن أن تُسامي وأنفَت من أن تُضاهي^(٣). فقلْ لها النظرُ وكثُرَ إليها المُشِيرُ وتساوي في تفصيلها وتقديمها باقلْ وجريـر^(٤).... (ص ٧٥ - ٧٦).

غير أن له أيضاً أحكاماً دقيقةً صحيحةً، كقوله عن عبد الجليل بن وهبون (ص ١٠٢): «كان حسنَ الشعر لطيفَ المآخذِ حسنَ التوصلِ إلى دقيق المعاني». أو كقوله في الرصافي الرقاء (ص ٢٢١): «هو من مُجيدي شعراء عصره، ولا سِيَّما في المقاطع، كالحمسة الأبياتِ فما دونها... وقد رأيتُ أن أوردَ من (شعره) ها هنا بُدَّةً يسيرةً تدلُّ على ما وصفناه به. فمن ذلك قوله يصف نهرَ إشبيلية الأعظمَ....».

ونستطيعُ أن ننسبَ جميعَ أحكامِ النقد الواردة في كتاب «المغرب» إلى أيّ الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) لأنه آخرُ مُصنِّفي الكتاب. والمفروض أنه قد تقبل هذه الأحكامَ كلّها، سواء أكانت للحجاريّ (ت نحو ٥٥٠ هـ) الذي كان قد بدأ تحرير هذا الكتاب باسم «المُسهب» أو كانت لآله الذين سبقوه في العمل على تتميم «المغرب».

ومع أنَّ ابنَ سعيدٍ ينحو أيضاً نحوَ الدفاع عن الشعراءِ الأندلسيين، فإنه لا يدفع المشاركة عن الإحسان والإبداع، فالفريقان لا يقتصران على قطر دون قطر. ونحن نستطيع أن نرى اتجاهَ ابنِ سعيدٍ في تطبيق الشعر (جعله طبقات) من العناوين التي

(١) الغراء: البيضاء (البارعة، الجيدة). عقيلته: حليته، زوجته. العذراء (التي لم يتزوجها أحد غيره): لم ينظم مثلها شاعر سواه.

(٢) أزرّت علي الشعر: عابت جميع الشعر (كانت أفضل القصائد، فظهرت جميع القصائد الأخرى بجانبها قليلة القيمة).

(٣) جلّت (عظمت، ارتفعت عن أن) تُسامي (ترتفع قصيدة أخرى إلى مستواها) وأنفَت (كرهت، ترفعت عن أن) تُضاهي (تُماثل: يكون لها مثيل أو شبهه).

(٤) النظر: المثيل. باقل: رجل كان عيباً (لا يحسن اللفظ ولا التلفظ بالكلام). جريـر: الشاعر الأموي المشهور (كان فصيحاً عذب الكلام سهل التعبير، بخلاف معاصره ومهاجيه الفرزدق الذي كان في شعره فخامة مع شيء من التعقيد).

تَوَجَّحَ بِهَا كُتُبُهُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَلَهُ : الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ - رَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ
وَشَارَاتُ الْمُمَيَّزِينَ - عُنْوَانُ الْمُرْقَصَاتِ الْمَطْرَبَاتِ - الْمَشْرِقُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ - الْقَذْحُ
الْمَعْلَى فِي التَّارِيخِ الْمَجْلَى - الْمُقْتَطَفُ مِنْ أَزَاهِرِ الطَّرَفِ .

والمختارات في هذه « الجاميع » ليست متحيّزة (لكلٍ منها حيّزه الخاص به) بل
هي متداخلة (تجد بعض ما في مجموعٍ مُثبتاً في مجموعٍ آخر). والذي يَغْلِبُ على هذه
الجاميع (كما غَلَبَ على « المطرب » لابن دحية، وكما غلب على الحِجَارِي) « النكتة
الطريفة ». إن هذه الجاميع كلّها لا تُثبت للشاعر مختاراتٍ تمثل اتّجاهه أو تُنصِفُ
عبقريته أو ما يدلّ على قيمةٍ ذاتيةٍ في القطعة المختارة، بل تثبت ما فيه نُكْتَةٌ أو لَفْظَةٌ
أُعْجِبَ بها الجامعُ المختار. وربما خصَّ ابنُ سعيد (كما فعل ابن دحية من قبله والفتحُ
ابن خاقان من قبلها) شاعراً بفصل من كتابه ثم اختار له بيتين أو ثلاثة أبياتٍ فقط .

ابن خَيْرَةَ^(١) المواعيني

١ - هو أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ - من أهلِ قُرْطُبَةَ ثُمَّ سَكَنَ
إِسْبِيلِيَّةً وَأَصْبَحَ مِنْ أَعْيَانِهَا - تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرِيِّ (ت ٥٤٣ هـ) وابنِ
أَبِي الْخَصَالِ (؟) مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٤٠). ويبدو أَنَّهُ بدأ حَيَاتَهُ الْعَامَّةَ
بالدُّخُولِ فِي خِدْمَةِ الْمُوحِدِينَ ، فَقَدْ كَانَ كَاتِباً لَوَالِي غَرْنَاطَةَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثُمَّ
لأَخِيهِ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَابْنِ إِسْبِيلِيَّةَ . وَلَمَّا جَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ إِلَى
عَرْشِ الْمُوحِدِينَ ، سَنَةَ ٥٥٨ ، أَصْبَحَ ابْنُ خَيْرَةَ كَاتِباً لَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى مَرَاكُشَ ثُمَّ تُوُفِّيَ
فِيهَا سَنَةَ ٥٦٤ (١١٦٨ - ١١٦٩ م).

٢ - كَانَ ابْنُ خَيْرَةَ الْمَوَاعِينِيُّ أَدِيباً نَاشِئاً وَمُتَرَسِّلاً وَشَاعِراً وَنَاقِداً . وَلَعَلَّ النِّقْدَ
أَبْرَزُ فُنُونِهِ . لَهُ كِتَابُ « رَيْحَانِ الْأَلْبَابِ وَرَيْعَانِ الشَّبَابِ فِي مَرَاتِبِ الْأَدَابِ » (في

(١) خيرة (بالفتح أو بالكسر) من أسماء البنات، ولعلّ الفتح أشهر وأكثر (راجع تاج العروس - الكويت
٢٤٧ : ١١ وما بعد).

النقد الأدبي) جعله سبع مراتب (في أبواب متنوعة) هي: مرتبة تدرّج النُمو والارتقاء إلى مراقبي السُّمو والاعتلاء - مرتبة لُمع من قانون العربية ونُبذ من الألفاظ اللغوية - مرتبة الإيهام بالمعارض والكلام المُحتمل التعريض - مرتبة الفصاحة في البلاغة وجامع في لوازم إنشاء الصناعة - مرتبة نظام القريض والتزام ميزان العروض - مرتبة اقتضاب شجرة النسب ومنتهاه من ولد آدم ونوح إلى جذم العرب - مرتبة اختيار الأشعار والأخبار وما يتعلّق بها من ماثور الحديث والآثار.... وفيه تاريخُ بني أميّة وبني العبّاس وفتح الأندلس وذكرُ ولاتها إلى سنة ٥٥٩.

والمواعيني يعتمدُ في آرائه كُتبَ المشاركة، وخصوصاً كتابَ البيان والتبيين للجاحظ. وتجدُ في « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لإحسان عبّاس عرَضاً وافياً لآراء المواعيني في النقد. ولعلّ من آراء المواعيني البارزة أنّه كان يُحاول أن يرى الصواب في جُودة الشعر اجتماعَ الجزالة (العربية القديمة) والرّقة (الأندلسية الحديثة) في القصائد كي يُوفّق بين آراء النّقّاد في الأندلس.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن خيرة الإشبيلي من قصيدة يمدحُ بها أبا حفص بن عبد المؤمن:
 كأنها الأفقُ صرّحٌ والنجومُ به كواعبٌ وظلامُ الليلِ حاجِبُهُ^(١).
 وللهملالِ اعتراضٌ في مطالعِهِ كأنّه أسودٌ قد شاب حاجِبُهُ^(٢).
 وأقبلَ الصّبحُ فاستحيّت مشارقُهُ، وأدبرَ الليلُ فاستخفت كواكبُهُ^(٣).

(١) الصرح: القصر (البناء العظيم). الكاعب: المرأة في أول شبابها. الحاجب: الحارس (الذي يمنع العامة من الدخول على السلطان).

(٢) وقد بدأ طلوع الهلال (في الشرق) في أواخر الشهر القمري. الأسود (العبد الأسود). الحاجب (الشعر النابت فوق العين).

(٣) استحيّت مشارقه (ظهر عليها الفجر بلونه الأحمر).

كالسيد الماجد الأعلى الهمام أي حَفَصَ لِرَحْلَتِهِ ضُمَّتْ مِضَارِبُهُ^(١).
- وقال في الكلام الحسن مكتوباً بخط جميل:

يا مَنْ لَهُ مَنْطِقُ كالدَّرِّ فِي نَسَقِ يُزْهِى بِهِ الْحَبْرُ فِي وَشْيٍ مِنَ الْحَبْرِ^(٢)،
وَيُشْرِقُ الطَّرْسُ مَمْشُوقاً بِأَسْطَرِهِ كَأَنَّا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَوْرِ^(٣)!
- وقال يمدح الزبير بن عُمَرَ:

بَرَقَتْ ثُغُورُهُمْ وَسَلَتْ أَدْمُعِي، فَانْظُرْ إِلَى بَرَقِ وَصَبِّ عِيَادِ^(٤).
طُولُوا وَصَلُّوا فَلِلْمُنَاسِبِ حَيْثَرٌ: أَهْلُ الْمَفَاخِرِ وَالنَّدَى وَالنَّادِي^(٥).
لِلْقَوْمِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ رِثَاسَةٌ تَحْكِي بَنِي الْعَبَّاسِ فِي بَغْدَادِ.
أَضْحَتْ بِمَجَالِسِهِمْ سُورَجٌ جِيَادِهِمْ؛ إِنَّ السُّرُوحَ بِمَجَالِسِ الْأَمْجَادِ^(٦)!
- وقال في صفات أمير (من رسالة):

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مُحْفُوقاً بِالرَّايَاتِ الْخَافِقَةِ، مُوصُوقاً بِالْآرَاءِ الْمُتَوَافِقَةِ. وَلَا
زَالَتْ أَمْصَارُهُ تُنِيرُ وَمِضَاؤُهُ يُبِيرُ^(٧). يَا لَهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - مِنْ مِضَاءٍ^(٨) لَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ
عَلَى وَجَلٍّ، وَرَدَّى يَسْتَوْهَبُ مِنْ كُمَاتِهِ كُلِّ أَجَلٍ!

(١) اختفاء النجوم مع قدوم الصبح يشبه انطفاء المصابيح في مضارب (خيام، قصور المدوح) لكثرتها (٢).

(٢) يُزْهِى (يعجب بنفسه، يفتخر) الحبر (المداد الأسود الذي يكتب به: كناية عن تدوين كلامه). وشي: تطريز (زخرف). الحبر (بفتح ففتح أو بكسر ففتح): ملاءة (ثوب واسع) من حرير.

(٣) المشتق: نوع من الخطوط تكون الحروف فيه طويلة. الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٤) الثغر: الفم. الصوب: الدفعة من المطر الغزير. المهاد: المطر (المتوالي).

(٥) طولوا: افتخروا. صلوا (تسلطوا). حير: عرب الجنوب. الندى: الجود والكرم. النادي: المكان الذي يجتمع فيه رؤساء القوم وكذلك أسرة الرجل. أنت واهل بيتك أشرف البلاد وحكامها.

(٦) الأمجاد جمع ماجد (٢): الشريف الكريم. السروج مجالس الأمجاد (كناية عن ركوب الخيل للحرب)، دلالة على القوة.

(٧) المصير: البلد الكبير. المضاء: النفوذ في الأمور. ومضاء (بالكسر): السيف. أبار: أهلك. أفنى.

(٨) مضاء بتشديد الضاد (شديد العزم؟). الوجل: الخوف. ردى: موت. الكمي: الشجاع الذي يتقلد سلاحه الكامل. رجاله (جنوده)، إذا هم لم يجاربوا أحداً عاش ذلك الشخص طويلاً.

- شروط الفصاحة في اللفظة :

..... أن تَجِدَ لتأليف اللفظة في السَّمْعِ حُسْنًا وَمَزِيَّةً على غيرها، وإن تساوى في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أَنَّكَ تَجِدُ لِبَعْضِ النِّعَمِ والألوان حُسْنًا يُتَصَوَّرُ في النفس ويُدْرِكُ بالبصرِ والسَّمْعِ والحِسِّ. مثال ذلك من الحروف ع ذ ب، فإن قُدِّمَتْ بعضُ هذه الحروفِ على بعضِ ذَهَبَتْ حَلَاوَةُ الكَلِمَةِ ولم تَجِدْ حُسْنَهَا على الصِّفَةِ. فإن قالوا: فأتونا بكلامٍ يَتَبَيَّنُ مَوْقِعُ حُسْنِهِ بلفظٍ يَشْفُ رَوْنَقُهُ عن غيره، فمثال ذلك مِمَّا يُخْتَارُ قولُ أبي القاسمِ المَغْرَبِيِّ^(١) من رسالة: فَرَعَوْا جَمِيعًا قد تَأَنَّفَتْ رَوْضَتُهُ^(٢) ورادوا مَسْرَحًا مَسَحُوا عن أعطافِ نَبَاتِهِ قَطَرَ نَدَاهُ^(٣) ونَشَرُوا مِن لَبَّاتِهِ عِقْدَ طَلَّةٍ. فتَأَنَّفَتْ كَلِمَةٌ لاختفاء بِمَوْقِعِهَا وحُسْنِ مَوْضِعِهَا....

..... ولَمَّا لم تَجِدِ الصَّوْفِيَّةُ كلاماً أَهَرَ للنفوسِ وأُبْعَثَ لإطرابها من أشعارِ النسيبِ ووَصَفِ المَحْبُوبِ تَنَاشُدَتْهَا وتَفَانَّتْ على أعراضها^(٤)! وهامتُ بظواهرِ أَلْفَاظِهَا، ولكنَّهُم يَغْنُونِ المَحْبُوبَ^(٥) الذي لا يُوجَدُ منه الاضطرابُ ولا الصدودُ إذا صَدَّ الأَحْبَابُ.....

٤-★★ المغرب ١: ٢٤٢؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥١؛ نفح الطيب ٣: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٧٧-٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٨٦ (٥: ٢٩٦)؛ تاريخ النقد لمبّاس ٥١٣-٥٢١؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٨.

(١) لعلّه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين، (ت ٤١٨ هـ)، كان وزيراً من العلماء والأدباء (من أهل مصر) وكان أيضاً مصنّفاً له عدد من الكتب (راجع الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٦-٢٦٧). (٢٤٥).

(٢) رعى الجميع (العشب الكثير النامي). تأنفت روضته (لم يرع أحد فيها).

(٣) راد: قصد. المسرح: المرعى. العطف (بالكس): الجانب. مسحوا الخ (هم أول من رعى أنعامه في هذا المكان).

(٤) تفانت على أعراضها (٢).

(٥) الله تعالى.

أبو حامد الغرناطي

١ - هو أبو حامد (أو أبو عبد الله) محمد بن عبد الرحيم (أو عبد الرحمن) بن سليمان بن الربيع بن تميم بن محمد بن علي بن عبد الصمد المازني القيرواني القيسي^(١) الغرناطي الأندلسي المغربي، وُلِدَ سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وسكَنَ أَقْلِيش^(٢).

تَرَكَ أَبُو حَامِدٍ الْأَنْدَلُسَ وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) فَسَمِعَ فِيهَا (الْحَدِيثَ) مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّازِي وَسَمِعَ فِي مِصْرَ (الْقَدِيمَةَ) مِنْ أَبِي صَادِقٍ مُرْشِدٍ بْنِ يَحْيَى الْمَدِينِيِّ وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْفَرَّاءِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَكَاتٍ بْنِ هَلَالِ النَّحْوِيِّ (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَأَصَابَتْ أَبَا حَامِدٍ ضَائِقَةٌ مَالِيَّةٌ فَرَحَلَ، سَنَةَ ٥١١ هـ (١١١٧ م) إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِجَزِيرَةِ سَارْدَانِيَّةٍ وَجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ ثُمَّ نَزَلَ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَانْتَقَلَ مِنْهَا وَشَيْكَاً إِلَى الْقَاهِرَةِ. ثُمَّ غَادَرَ الْقَاهِرَةَ إِلَى دِمَشْقَ (بَعْدَ ٥١٢ هـ) وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ يَسْمَعُ مِنْ أَبِي الْعَزَّ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَادَشٍ.

وَفِي سَنَةِ ٥١٦ هـ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَمَكَثَ فِيهَا أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ فَنَالَ حُظُوَّةً لَدَى الْوَزِيرِ عَوْنِ اللَّهِ بِحْيَى بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ (٤٩٩ - ٥٦٠ هـ)، وَكَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا شَاعِرًا مَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ فَأَكْثَرُوا. وَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُهُ بِعَجَائِبِ مَا رَأَى فِي أَقْطَارِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَرَغِبَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَنْ يُؤَلِّفَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كِتَابًا فَأَلَّفَ لَهُ «الْمُغْرِبَ فِي عَجَائِبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وَمِنْ بَغْدَادَ بَدَأَ أَبُو حَامِدٍ رِحْلَةً إِلَى شَرْقِيَّ آسِيَّةٍ وَشَرْقِيَّ أُوْرُوبَةِ: كَانَ فِي أَنْهَرِ (٥٢٤ هـ) وَفِي سَخْسِينِ^(٣) (٥٢٥ هـ) ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بِلَادِ الْبُلْغَارِ (٥٣٠ هـ) عِنْدَ نَهْرِ

(١) المازني (مازن قبيلة عربية). القيرواني (أصله من القيروان). القيسي (نسبة إلى قيس، إحدى القبائل الكبرى من عرب الشمال - بفتح الشين). أو نسبة إلى آل قسي الإِسْبَان. وذكر حسين مؤنس (هنا لندن، آب ١٩٦٨، ص ٥) أَنَّ أَبَا حَامِدٍ الْغُرْنَاطِيَّ وَلَدَ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ تَسْمَى قَيْسَ قَرِبَ غُرْنَاطَةِ (وسط العمود الثاني).

(٢) شرق طليطلة.

(٣) سخسين أو سقسين أو سختين ولعلها سخسي (عند مصب نهر الفولغا في شمال بحر قزوين).

الفولغا^(١). وقد رأيناه، سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) يعودُ من بلاد المَجَر^(٢) إلى بَغْدَادَ لِيَسْتَأْنَفَ منها رِحْلَةً إلى خُرَاسَانَ حيث بَقِيَ مُدَّةً يَتَطَوَّفُ في بُلْدَانِهَا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إلى الحَجِّ.

وعادَ إلى بَغْدَادَ، سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ثمَّ جاءَ في ٥٥٦ هـ إلى المَوْصِلِ ونال فيها حُطْوَةً لدى مُعِينِ الدِّينِ أَبِي جَعْفَرٍ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَضِرِ الأَرْدَبِيلِيِّ المَلَّاءِ وألَّفَ له «تُحْفَةُ الأَلْبَابِ». ثُمَّ رَجَعَ إلى الشَّامِ وأقامَ في حَلَبَ سَنَتَيْنِ. وبعدها عادَ إلى دِمَشْقَ حيثُ تُوْفِيَ في صَفَرٍ من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م).

٢- كان أبو حامدِ الغَرْنَاطِيُّ شيخاً فاضلاً حافظاً للحديثِ عالماً به، كما كان أديباً يَنْظُمُ الشعرَ. واشتهرَ أبو حامدٍ بِالرَّحْلَةِ في المَغْرِبِ والمَشْرِقِ وفي شَرْقِيٍّ أوروْبَةٍ: طافَ المَغْرِبَ كُلَّهُ وعَرَفَ قبائِلَ كَثِيرَةً في السُّودَانِ الغَرْبِيِّ ووَصَفَ لَنَا أحوالَهَا. ولم يَكُنْ أبو حامدِ الغَرْنَاطِيُّ جُغرافياً ولا فَلَكيّاً ولا نَسَابةً، ولكنَّهُ كان رَحَّالَةً يُدَوِّنُ ما يَرى وما يَسْمَعُ، مَعَ مَيْلٍ ظاهِرٍ إلى الاهتمامِ بالأشياءِ الغَرِيبَةِ والمُسْتَعْرَبَةِ وإلى المِبالِغَةِ في وصفِها وحِكايةِ الأخبارِ المُتعلِّقَةِ بِهَا. وَمَعَ أَنَّهُ كان يُحْسِنُ التَّحْدِيثَ فَإِنَّ لُغَتَهُ تَنَوَّهَ بشيءٍ من الضَّعْفِ في اختِيارِ الألفاظِ وفي بِناءِ التراكيبِ. ولِرِحْلَةِ أَبِي حامدِ الغَرْنَاطِيِّ قِيميَّةٌ ظاهِرةٌ هي أَنَّهُ وَصَفَ لَنَا فيها مَعالِمَ في مِصرَ قد زالتْ فيها بَعْدُ، كما وَصَفَ كَثِيراً من أحوالِ البِلادِ في شَرْقِيٍّ أوروْبَةٍ ومن أحوالِ التِّجَارَةِ في جَنُوبِيٍّ الرُّوسِيَّةِ.

٣- مَخْتارات من آثاره:

- من تُحْفَةِ الأَلْبَابِ (الدِّياجَةِ):

.... ولَمَّا وَصَلْتُ إلى المَوْصِلِ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وخَمْسِمِائَةٍ (نَزَلْتُ بِهَا) في جَنَابِ

(١) البُلغار كانوا لا يزالون، في أيامِ أَبِي حامدِ الغَرْنَاطِيِّ، قبائِلَ رَحَلاً بين نَهْرِ الفولغا ونَهْرِ الطَّوْنَةِ (الدَّانُوبِ) قَبْلَ اسْتِقْرارِهِمْ في مَنازِلِهِمُ الحالِيَةِ شَمالِ بِلادِ اليُونانِ.

(٢) المَجَرُ ويسمَّيهِمُ أيضاً بَاشَ كِيرِدَ وبَاشَ كُورِدَ (بِلادِ هَنْغارِيَّةِ).

الشيخ الإمام الزاهد معين الدين... أبي حفص عمر بن محمد محيي سنن سيد
المرسلين بتأليف «وسيلة المتعبدين»^(١) متوخياً بتأليفها رضا الله تعالى وشفاعة نبيه
المصطفى....

جَمَعَ الْوَسِيلَةَ مُشَبَّهُ الْفَارُوقِ وَسَمِيَّهُ فَسَمَا عَلَى الْعَيُّوقِ^(٢).
بَاهَى بِهَا فَلَكَ الْبُرُوجَ فَأَصْبَحْتَ كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ طَرِيقِ^(٣).
خَتَمْتَ تَوَالِيفَ الْعُلُومِ بِهَا كَمَا خَتَمَ النَّبُوءَةُ أَحْمَدُ الصَّدِيقِ^(٤) (٥).

فَشَهِدْتُ مِنْ كَرَمِهِ وَإِكْرَامِهِ وَتَوَاضَعِهِ وَإِنْعَامِهِ، لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِطْعَامِهِ
لِلْقَاصِدِينَ مِنْهُمْ وَالْقَاطِنِينَ، وَتَقَشُّفِهِ فِي لِبَاسِهِ عَلَى زِيِّ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالْإِقْتِدَاءِ
بِالْأَيْمَةِ الصَّالِحِينَ الْعَامِلِينَ الْعَامِلِينَ، كَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي زِيٍّ مُسْكِينٍ، فَهُوَ فِي هَذَا الْعَصْرِ
مَعْدُومُ الْقَرِينِ..... وَلَمْ يَزَلْ - أَيْدَهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ، وَمِنْ الْمَكَارِهِ وَقَاهُ، يَحْتَنِي كُلُّهُ كُنْتُ
أَلْقَاهُ عَلَى أَنْ^(٥) أَجْمَعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي الْأَسْفَارِ مِنْ عَجَائِبِ الْبُلْدَانِ وَالْبَحَارِ وَمَا صَحَّ
عِنْدِي مِنْ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ وَالثِّقَاتِ الْأَخْيَارِ. وَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ،
لِعُزُوبِ الْفِطَنِ وَضِيقِ الْعَطَنِ^(٦) وَبُعْدِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ، وَتَشَتَّتِ الْأَحْوَالِ وَرُكُوبِ
الْأَهْوَالِ وَطُولِ الْإِغْتِرَابِ وَالبُعْدِ عَنِ الْأَحْبَابِ وَمُسَاوَرَةِ الْعَذَابِ^(٧)..... وَرَأَيْتُ أَنْ

(١) معين الدين الأردبيلي له كتاب وسيلة المتعبدين (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٣ - ٧٨٤) في عدة أجزاء.

(٢) الفاروق: عمر بن الخطاب... معين الدين الأردبيلي يشبه عمر بن الخطاب في أعماله وبأسه أيضاً (لأن اسمه عمر).

(٣) باهى فلان فلاناً: غلبه في البهاء (زاد عليه في الجلال). الفلك: الخط الوهمي الذي يسير فيه الكوكب (واستعمال الكلمة هنا بمعنى «الكوكب» خطأ). البروج جمع برج: (هنا) منازل تمر بها الشمس في أثناء العام (بحسب رأي القدماء).

(٤) كتاب معين الدين الأردبيلي (وسيلة المتعبدين) آخر كتب العلماء وأفضل كتبهم كما أن أحد (محمد صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء وأفضلهم. الصديق حقها الجر وهي هنا مرفوعة.

(٥) وقاه: حفظه. حش: حض، شجع على عمل شيء.

(٦) لم أكن هنالك: لست من أهل هذا الميدان (التأليف). العزوب: البعد. الفطنة: الذكاء (الذكاء بعيد عني). ضيق العطن: قلة الصبر (على العمل المجهد).

(٧) مساورة العذاب: إحاطة العذاب (بي من كل جانب).

أُسْمِيَ هذا المجموع «تُحْفَةُ الْأَلْبَابِ» وَأُرْتَبَتْ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ. فَاَلْمُقَدِّمَةُ لِلْبَيَانِ وَالتَّمْهِيدِ، وَالْأَبْوَابُ لِتَتِمَّةِ الْمَقْصُودِ: الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا وَسُكَّانِهَا مِنْ إِنْسِهَا وَجَانِّهَا. - الْبَابُ الثَّانِي فِي صِفَةِ عَجَائِبِ الْبُلْدَانِ وَغَرَائِبِ الْبُنْيَانِ. - الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي صِفَةِ الْبَحَارِ وَعَجَائِبِ حَيَوَانَاتِهَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْغَنِيِّ وَالْقَارِ وَمَا فِي جَزَائِرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ النِّفْطِ وَالنَّارِ^(١). - الْبَابُ الرَّابِعُ فِي صِفَاتِ الْحَفَائِرِ وَالْقُبُورِ وَمَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الْعِظَامِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ^(٢) لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى الْإِعْتِبَارِ وَدَاعِيًا إِلَى الْفِرَارِ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ^(٣).....

- مِنَ الْمُقَدِّمَةِ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ فِي الْعُقُولِ وَمَنَحَهُمْ مِنْهُ مَا شَاءَ مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ كَمَا فَضَّلَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَسَعَةِ الْمَالِ، كَذَلِكَ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْعَقْلِ..... وَبَقَدَّرَ هَذَا التَّفَاوُتَ يَقَعُ الْإِنْكَارُ لِأَكْثَرِ الْحَفَائِقِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لِنُقْصَانِ الْعَقْلِ لِأَنَّ الَّذِي يَعْرِفُ الْجَائِزَ وَالْمُسْتَحِيلَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَقْدُورٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ. فَالْعَاقِلُ إِذَا سَمِعَ عَجَبًا جَائِزًا اسْتَحْسَنَهُ وَلَمْ يُكَذِّبْ قَائِلَهُ وَلَا هَجَّنَهُ^(٤). وَالْجَاهِلُ إِذَا سَمِعَ مَا لَمْ يَشَاهِدْ قَطَعَ بِتَكْذِيبِ (قَائِلِهِ) وَتَرْيِيفِ نَاقِلِهِ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ وَضَيْقِ بَاعِ فَضْلِهِ^(٥).....

- مِنْ مَتْنِ الْكِتَابِ: بِلَادُ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ (ص ٤١ -).

.... لِأَنْوَاعِ السُّودَانِ، وَبِلَادُهُمْ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ الْأَعْلَى الْمُتَّصِلَ بِطَنْجَةَ^(٦). وَقَدْ

(١) الْغَنِيُّ: الْمَادَّةُ الَّتِي تَوْجَدُ فِي الْحَوْتِ الْمُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ، وَهِيَ مَادَّةٌ ثَمِينَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا سَمَاءُ اللَّوْنِ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ. الْقَارُ: الزَّفْتُ. النِّفْطُ (بِفَتْحِ النُّونِ أَوْ كَسْرِهَا): الْبَتْرُولُ (الْمَادَّةُ السَّائِلَةُ الْقَابِلَةُ لِلِاشْتِعَالِ). النَّارُ (نَارُ الْبَرَاكِينِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ عَدَدٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحَارِ).

(٢) الْحَفَائِرُ جَمْعُ حَفِيرٍ وَحَفِيرَةٍ: الْقَبْرِ، الْبُشْرُ الْوَاسِعَةُ (كُلُّ حَفْرَةٍ كَبِيرَةٍ تَتَكَشَّفُ عَنْ أَثَرٍ أَوْ ثَرَوَةٍ). النُّشُورُ: الْبَعْثُ (يَوْمُ الْقِيَامَةِ).

(٣) دَارُ الْبَوَارِ (الْهَلَاكِ) الدُّنْيَا. دَارُ الْقَرَارِ (الْهُدُوءُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالِدَوَامُ): الْآخِرَةُ.

(٤) هَجَّنَهُ: عَابَهُ وَقَبَّحَهُ.

(٥) التَّرْيِيفُ: الْغَشُّ. (زَيَّفَ نَاقِلَهُ: نَسَبَ إِلَى نَاقِلِهِ الْجَهْلَ وَالزِّيَادَةَ فِي الْكَلَامِ).

(٦) طَنْجَةُ بَلَدٌ عَلَى سَاحِلِ الْمَغْرِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ.

أَسْلَمَ مِنْ مُلُوكِهِمْ فِيمَا يُقَالُ خَمْسُ قِبَائِلَ أَقْرَبَهُمْ غَانَةُ^(١) يَنْبِتُ فِي رِمَالِهِمُ الذَّهَبُ التَّيْبَرُ الْغَايَةُ^(٢)، وَهُوَ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ يَخْمِلُ التَّجَارُ إِلَيْهِمْ حِجَارَةُ الْمِلْحِ^(٣) عَلَى الْجِبَالِ مِنَ الْمِلْحِ الْمَعْدِنِيِّ فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدِهِ يَقَالُ لَهَا سِجْلَاسَةُ آخِرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَعْلَى^(٤) فَيَمْشُونَ فِي رِمَالٍ كَالْبَحَارِ وَيَكُونُ مَعَهُمُ الْأَدْلَاءُ يَهْتَدُونَ بِالنُّجُومِ وَبِالْجِبَالِ فِي الْقِفَارِ يَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الزَّادَ لِسِتَّةِ شُهُورٍ. فَإِذَا صَارُوا إِلَى غَانَةَ بَاعُوا الْمِلْحَ وَزَنَّا بِوزَنِ الذَّهَبِ، وَرَبَّيَا بَاعُوهُ وَزَنَّا بِوزْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عَلَى قَدَرِ كَثَرَةِ التُّجَّارِ وَقَلَّتِهِمْ. وَأَهْلُ غَانَةَ أَحْسَنُ السُّودَانِ سِيرَةً وَأَجْلُهُمْ صُورَةٌ سُبُطُ الشُّعُورِ^(٥) لَهُمْ عَقُولٌ وَفَهُمْ وَيَحْجُونَ إِلَى مَكَّةَ. وَأَمَّا فَاوَهُ وَقَوْقُو وَمَلْيَ وَتَكَرُورُ وَغَدَامِسُ فَقَوْمٌ لَهُمْ بَأْسٌ^(٦) وَلَيْسَ فِي أَرْضِهِمْ بَرَكَتٌ، وَلَا خَيْرٌ فِي أَرْضِهِمْ، وَلَا دِينَ لَهُمْ وَلَا عَقُولٌ. وَشَرُّهُمْ قَوْقُو قِصَارُ الْأَعْنَاقِ فُطُسُ الْأَنْوَفِ^(٧) حُمْرُ الْعَيُونِ كَانَ شُعُورَهُمْ حَبُّ الْفَلْفِيلِ وَرَوَاتِحُهُمْ كَرِيهَةٌ كَالْقُرُونِ الْمُحْرِقَةِ يَزْمُونَ بَنَابِلَ مَسْمُومَةٍ بِدَمَاءِ^(٨) حَيَاتٍ صُغْرِ لَا تَلْبَثُ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَسْقُطَ لَحْمٌ مِنْ أَصَابِهِ ذَلِكَ السَّهْمُ عَنْ عَظْمِهِ، وَلَوْ كَانَ فَيْلًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ. وَالْأَفَاعِي عِنْدَهُمْ كَالسَّمَكِ يَأْكُلُونَهَا لَا يُبَالُونَ بِسُمُومِ الْأَفَاعِي وَلَا الشَّعَابِينَ إِلَّا بِالْحَيَّةِ الصُّفْرَاءِ الَّتِي فِي بِلَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَتَّقُونَهَا^(٩) وَيَأْخُذُونَ دَمَهَا لِسِهَامِهِمْ. وَقِسِيَهُمْ^(١٠) صِفَارٌ قِصَارٌ رَأَيْتُهُمْ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَنَبْلُهُمْ^(١١). وَرَأَيْتُ قِسِيَهُمْ. وَأَوْتَارُهُمْ مِنْ لِحَاءِ^(١٢) الشَّجَرِ الَّذِي فِي بِلَادِهِمْ، وَنَبْلُهُمْ

(١) « غانة » لقب ملوك البلد الذي عاصمته كومي. وتطلق على البلد أيضاً.

(٢) الذهب التبر الغاية: الذهب الصافي تماماً.

(٣) حجارة الملح = الملح المعدني (الذي يستخرج من مناجم في الأرض لا المستخرج من ماء البحر).

(٤) سجلاسة: مدينة كانت في المغرب الأعلى (جنوبي المغرب) على حدود الصحراء.

(٥) الشعر السبط (بفتح السين ثم بسكون الباء أو فتحها أو كسرهما): المسترسل غير المجمد.

(٦) بأس: قوة، شدة (في القتال).

(٧) الأنف الأفطس: العريض غير البارز.

(٨) يعتقد أبو حامد الفرناطي أن سم الأفعى إنما يكون في دمها (والسم موجود في كيسين في رأس

الأفعى يتصلان بالنايين).

(٩) يتقونها: يخافونها، يتجنبون الاقتراب منها.

(١٠) القسي جمع قوس. والسهام جمع سهم. المقصود منها أن تصيب الأعداء.

(١١) النبل جمع نبله: السهم.

(١٢) الوتر (بفتح ففتح): الخيط الذي يربط بين طرفي القوس ثم يستخدم في إطلاق السهم. لحاء: قشر

الشجر (وتعمل منه الأوتار إذا كان ليفاً أو يشبه الخيوط).

قصار كل سَهْمٍ شِبْرٌ. ونصَّالُهُم^(١) شوكُ شجرٍ كالحديد في القوَّة قد شدَّوه في نَبْلِهِمْ بلحاء شجرٍ يُصَيَّبُونَ الحَدَقَ^(٢). وهم شَرُّ نَوْعٍ في السودان. وسائرُ السودان يُنْتَفَعُ بِهِمْ في الخِدْمَةِ والعَمَلِ إِلَّا قَوَقُو فلا خَيْرَ فِيهِمْ إِلَّا في الحرب. ولهم أُلُوحٌ صِغارٌ مُثَقَّبَةٌ يُصَفَّرُونَ في تلك الثُقَبِ^(٣) فتصَوَّتُ بأصواتٍ عجيبةٍ فتخرجُ إلى ذلك الصوتِ جميعُ أنواعِ الحَيَّاتِ والأفاعي والثعابين فيأخذونها ويأكلونها. وفيهم من يَشُدُّها على وَسَطِهِ كما يُشَدُّ الحِزامُ. ومنهم من يَتَعَمَّمُ بالثُعْبَانِ الطويل ويدخلُ السوقَ على غَفْلَةٍ فيَكْشِفُ ثوبَهُ ويرمي على الناسِ أنواعَ الثعابين والحَيَّاتِ فيُعْطُونَهُ شَيْئاً حتَّى يَخْرُجَ، وإن لم يُعْطَوْهُ أَلْقَى في دكاكِينِهِمْ من تلك الحَيَّاتِ. ويَجِيءُ من بلادِ السودان أنواعٌ من جلودِ الماعِزِ مدبوغةٌ دِباغةً عجيبةً، الجِلْدُ الواحدُ يكونُ غليظاً كبيراً لَيِّناً مُحَبَّباً في لونِ البَنْفَسَجِ إلى السواد^(٤) يكونُ الجِلْدُ الواحدُ عِشْرِينَ مَتّاً يُتَّخَذُ مِنْهُ الخُفَّافُ^(٥) للملوكِ ولا يُبَلُّ بالماءِ ولا يَبْلَى ولا يَفْنَى مَعَ لِينِهِ ونُعُومَتِهِ وطيب رائحته يُباعُ الجِلْدُ الواحدُ بعِشْرَةِ دنانيرَ تَبْلَى خِيوطُ الخُفِّ ولا يَبْلَى هو ولا يَتَقَطَّعُ فيفْسِلُونَهُ في الحَمَّامِ بالماءِ الحارِّ فيعودُ كأنَّهُ جَدِيدٌ يتوارثه الحَفِيدُ من أَبِيهِ عن جَدِّهِ، وهو من عجائبِ الدنيا.

- في بلاد سخسين (ص ١١٦):

ولما دخلتُ سَخْسِينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، اجتمعَ إِلَيَّ النَّاسُ من أهلِ العلمِ وغيرِهِمْ وفي جُمْلَتِهِمْ شَيْخٌ ضَعِيفٌ لَهُ ثِيَابٌ خَلَقَةُ^(٦) فَأَلْقَى عِنْدِي سِوَارَ ذَهَبٍ وَزَنُهُ أَرْبَعُونَ مِثْقَالاً وقال: « ما أَصْنَعُ بهذا السِوَارِ ؟ » فقلتُ: « لا أدري ما تصنعُ به، لستُ صائِغاً حتَّى أَعْلَمَ ما تصنعُ به ». فقال: « اشترَيْتُ سَمَكَةً بطَسُوجٍ^(٧) فوجدتُ هذا

(١) النصل (يفتح فسكون) حديدة السيف أو الحديدة التي تكون في رأس الرمح أو السهم.

(٢) الحدقة (يفتح ففتح): يؤبؤ العين (الجزء الملوّن منها).

(٣) الثقب جمع ثقبه (بالضم): الحرق (بالفتح) النافذ.

(٤) محبباً: غير أملس، سطحه مغطى بما يشبه الجيوب. إلى السواد: ضارب (ماثل) إلى السواد.

(٥) الخفاف جمع خفّ (بالضم): حذاء خفيف من جلد.

(٦) خَلَقَةُ ليست في القاموس بالمعنى المراد هنا. يقال: ثوب خلق (بفتح ففتح): المتهرّى، والجمع خلقان (بالضم) وأخلاق.

(٧) طَسُوج: ربع الدانق، والدانق سدس الدرهم (الدرهم جزء من الدينار يكون عشرة أو أقل إلى جزء من عشرين).

السَّوَارَ فِي بَطْنِهَا . فَقُلْتُ : « عَرَّفْهُ »^(١) ! فقال : « قد عَرَفْتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ أَشَدَّهُ عَلَى عَكَازِي وَأَطْوَفُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ وَالطَّرِيقَاتِ وَفِي دُورِ الْأَمْراءِ فَلَا أَجِدُ لَهُ مَنْ يَدْعِيهِ » . فَقُلْتُ : « خُذْهُ أَنْتَ ! فَإِنَّهُ مَالٌ حَلَالٌ وَأَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ » . فَغَضِبَ مِنْ كَلَامِي وَقَالَ : « وَاللَّهِ ، لَا تَرَانِي أَكُلُهُ ! » . فَقُلْتُ : « لِمَاذَا تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ ؟ » قَالَ : « لِأَنِّي رَجُلٌ صَانِعٌ ، أَعْمَلُ الْخِيفَافَ وَأَخْذُ مَا يَكْفِينِي » . فَقُلْتُ : « أَفِيدُ بِهِ الْأَسَارَى مِنْ أَيْدِي التُّرْكِ » . فَفَرِحَ وَقَالَ : « بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَرَجَّتْ عَنِّي كُرْبَةٌ »^(٢) . فَقُلْتُ : « أَوَلَيْسَ هَا هُنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَأْمُرُكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ » فَقَالَ : « هَا هُنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَقُولُ أَعْطِنَا إِيَّاهُ وَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا نَصْنَعُ بِهِ . وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَكْلَهُ » .

- فِي بِلَادِ الْبُلْغَارِ : (ص ١١٧ -) :

وَسَمِعْتُ بُلْغَارًا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي آخِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ فِي الشَّهْلِ ، هِيَ فَوْقَ سَقْسَيْنِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، يَكُونُ النَّهَارُ فِي الصَّيْفِ عِشْرِينَ سَاعَةً وَاللَّيْلُ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ وَيَشْتَدُّ الْبَرْدُ فِيهَا حَتَّى إِذَا مَاتَ لِأَحَدٍ مَيِّتٌ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْفِنَهُ سِتَّةَ شُهُورٍ ، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَصِيرُ كَالْحَدِيدِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْفَرَ فِيهَا قَبْرٌ . وَلَقَدْ مَاتَ لِي بِهَا وَلَدٌ ، وَكَانَ فِي آخِرِ الشَّتَاءِ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَفْنِهِ فَبَقِيَ فِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أُمَكَّنَ ذَفْنُهُ . وَيَبْقَى الْمَيِّتُ كَالْحَجَرِ . وَيَخْرُجُ التُّجَّارُ مِنْ بُلْغَارَ إِلَى وِلَايَةِ مِنَ الْكُفَّارِ يُقَالُ لَهُمْ وَيَسُوا (وَيْسُو) مِنْهُ^(٣) يَجِيءُ الْقَنْدَرُ^(٤) الْجَيِّدُ ، وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ السُّيُوفَ الَّتِي تُتَّخَذُ فِي آذَرَبَيْجَانِ نَصَالًا غَيْرَ مَحَلِيَّةٍ^(٥) تُشْتَرَى فِي آذَرَبَيْجَانِ أَرْبَعَةَ سِيُوفٍ بِدِينَارٍ وَيَسْقُونَهَا^(٦) سَقِيًّا كَثِيرًا حَتَّى إِذَا عَلَّقُوا

(١) عَرَّفَهُ : نَادَى فِي النَّاسِ بِهِ (أَعْلَنَ أَنَّكَ وَجَدْتَهُ) .

(٢) كُرْبَةٌ : حُزْنٌ وَغَمٌ .

(٣) اقْرَأْ : مِنْهَا (مِنْ وِلَايَةِ الشَّمْبِ وَيَسُو) .

(٤) الْقَنْدَرُ (لَمْ أَعثرْ عَلَيْهَا فِي الْقَامُوسِ) . فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (١٣ : ٤٨٠) : الْقَنْدُورَةُ مِنْ مَلَابِسِ النِّسَاءِ . وَلَعَلَّهُ الْقَنْدَسُ (بِضْمٍ فَسَكُونٌ فَضْمٌ) : حَيَوَانٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْفَرَّاءُ .

(٥) مَحَلِيَّةٌ (٢) .

(٦) يَسْقُونَهَا : (لَعَلَّ الْمَقْصُودَ : يَضَعُونَهَا فِي النَّارِ حَتَّى تَحْمَرَّ مِنَ الْحَرَارَةِ ثُمَّ يَغْمِسُونَهَا فِي الْمَاءِ فَتَصْبِحُ شَدِيدَةً الصَّلَابَةِ) .

النَّصْلَ بِخَيْطٍ وَتَقَرَّ طَنْ^(١) كثيراً. فذلك الذي يصلحُ لهم فيشترون به القندر. ويذهب أهلُ ويسوا بتلك السيوفِ إلى ولاية قريبة من الظلمات^(٢) مُشْرِفَةً عَلَى الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السِّيُوفَ مِنْهُمْ بِجُلُودِ السَّمُورِ وَيَأْخُذُونَ تِلْكَ النُّصُولَ^(٣) فَيُلْقُونَهَا فِي الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ سَمَكَةً كَالْحَبْلِ تَتَّبِعُهَا سَمَكَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا أَضْعَافاً تَرِيدُ أَكْلَهَا فَتَلْقِي نَفْسَهَا قَرِيباً مِنَ الْبَرِّ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُهَا الرُّجُوعُ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهَا بِالسَّفَنِ وَيَقْطَعُونَ مِنْ لَحْمِهَا شَهْوراً حَتَّى يَمْلَأُوا بَيْوتَهُمْ وَيَدَّخِرُونَ وَيُقَدِّدُونَ^(٤) مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَدُهْنِهَا. وَرَبِّهَا يَكْبُرُ الْبَحْرُ^(٥) فَتَرْجَعُ تِلْكَ السَّمَكَةُ إِلَى الْبَحْرِ وَقَدْ مَلَأَتْ مِائَةَ أَلْفِ بَيْتٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ لَحْمِهَا. وَإِذَا كَانَتِ السَّمَكَةُ صَغِيرَةً يُخَافُونَ أَنْ تَصِيحَ إِذَا وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْقَطْعِ مِنْ لَحْمِهَا إِلَى عِظَامِهَا يُخْرِجُونَ أَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا صَوْتَهَا.

ولقد حَدَّثَنِي بَعْضُ التَّجَارِ أَنَّهَا خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ سَمَكَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَقَبَّوْا أُذُنَهَا وَجَعَلُوا فِيهَا الْحِبَالَ وَجَرَّوْهَا فَانْفَتَحَتْ أُذُنُهَا وَخَرَجَ مِنْ أُذُنِهَا جَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ بَيضَاءُ سَوْدَاءُ الشَّعْرُ حُمْرَاءُ الْخَدَّيْنِ عَجَزَاءُ^(٦) مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمِنْ سُرَّتِهَا إِلَى نِصْفِ سَاقِهَا جِلْدٌ أَبْيَضٌ كَالثَّوْبِ خَلْقَةٌ^(٧) يَتَّصِلُ بِجَسَدِهَا يَسْتُرُ حَيَّهَا وَجَسَدَهَا وَدُبْرَهَا^(٨) كَالْإِزَارِ دَائِراً عَلَيْهَا. فَأَخَذَهَا الرِّجَالُ إِلَى الْبَرِّ وَهِيَ تَلْطُمُ وَجْهَهَا وَتَنْتِفِ شَعْرَهَا وَتَعْصُ ذِرَاعَهَا وَتَذْيِهَا وَتَصِيحُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ النِّسَاءُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَاتَتْ فِي أَيْدِيهِمْ.

٤ - تحفة الألباب ونجبة الأعجاب (حرره غريال فرّان)، باريس (غونتر) ١٩٢٥ م (منشورة

(١) نقر: ضرب عليه بعود أو بالأصبع. طَنْ: أحدث صوتاً.

(٢) الظلمات: البلاد التي يطول فيها الليل في الشتاء (٤).

(٣) السَّمُور: حيوان يتخذ منه الفراء. النصول جمع نصل (بالفتح): حديدة عريضة قاطعة.

(٤) يُقَدِّدُونَ: يَجِفِّفُونَ.

(٥) يكبر البحر: يهيج. يملو (يحدث فيه مد بعد الجزر؟)

(٦) العجزة: الكبيرة العجز (بفتح فضم) أي مؤخرة الجسم.

(٧) خلقة: مخلوقاً (طبيعي غير صناعي).

(٨) الحَيَّ والحَيَاء: فرج المرأة. الدبر: الجانب الخلفي.

- في جورنال آزياتيك، باريس ١٩٢٥ م).
- المغرب عن بعض عجائب البلدان (قسم شرقي أوروبا) (تحرير ضبلر)، مدريد ١٩٥٣ م.
 - وصف رومية (عن تحفة الألباب - حرره كرسبو مونكادا)، بالرمو ١٩٠٠ م.
 - ★★ الوافي بالوفيات ٣: ٢٤٥، نفع الطيب ٢: ٢٣٥، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢، بروكلمن ١: ٦٢٨ - ٦٢٩، نيكل ٢٦٦، الأعلام للزركلي ٧: ٧١ (٦: ١٩٩ - ٢٠٠)، بالنشيا ٣١٢، المكتبة العربية الصقلية ٧٤ - ٧٥، سركيس ٢٩٩.

ابن ظَفَرِ الصِّقْلِيِّ

١ - هو حُجَّةُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ (أبي) مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ظَفَرٍ، وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ سَنَةِ ٤٩٧ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) وَنَشَأَ فِي مَكَّةَ. وَقَدْ تَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرًا: رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ (تُونِس) فَأَقَامَ فِي الْمَهْدِيَّةِ مُدَّةً وَشَهِدَ فِيهَا الْحَرْبَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنُّورْمَانِ حُكَّامِ صِقْلِيَّةَ وَاسْتِيلَاءِ الْإِفْرَنْجِ النُّورْمَانِ عَلَيْهَا، فِي ثَانِي عَشَرَ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٣ (١١٤٨ / ٧ / ١ م). ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى صِقْلِيَّةَ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى حَلَبَ فَأَقَامَ فِي مَدْرَسَةِ ابْنِ أَبِي عَصْرُونٍ. وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ نَهَبَتْ كُتُبُهُ فِيمَا نَهَبَ فَاثْنَقَلَ إِلَى حِمَاةَ فَلَقِيَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ وَمِنْ الْأَطْمِنَانِ، وَلَكِنْ رِزْقُهُ ظِلٌّ قَلِيلًا دُونَ الْكَفَافِ. وَقَدْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ - وَهُوَ فِي حِمَاةَ - بِغَيْرِ كُفُوٍّ، مِنْ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ، فَخَرَجَ الزَّوْجُ بِهَا مِنْ حِمَاةَ وَبَاعَهَا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ.

وكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ ظَفَرِ الصِّقْلِيِّ فِي حِمَاةَ سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢ - كَانَ ابْنُ ظَفَرِ الصِّقْلِيِّ أَحَدَ الْأَدْبَاءِ الْفُضْلَاءِ عَارِفًا بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَكَانَ نَاصِرًا وَشَاعِرًا. أَمَّا شِعْرُهُ فَشِعْرٌ عَادِيٌّ كَثِيرُ الْمَعَانِي قَلِيلُ الرُّوْنِقِ، وَمُعْظَمُهُ فِي الْحِكْمَةِ. وَحِكْمُهُ فِي نَثَرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حِكْمِهِ فِي شِعْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ آسَقَى كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْحِكْمِ مِنْ أَقْوَالِ الْأَوَائِلِ، وَخُصُوصًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ. غَيْرَ أَنَّهُ يُخْسِنُ سَبْكَ مَا يَأْخُذُهُ عَنِ الْآخَرِينَ. وَقَدْ كَانَ مُصَنِّفًا مُكْتَرَأً مُجِيدًا. مِنْ كُتُبِهِ: الْيَنْبُوعُ أَوْ يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (اثْنَا عَشَرَ جُزْءًا) - التفسير الكبير^(١) - إكسِيرُ كِيمِيَاءِ

(١) الْيَنْبُوعُ وَالتفسير الكبير كتابان مستقلان (راجع معجم الأدباء ١٩: ٤٨).

التفسير - أساليب الغاية في أحكام آية - خيرُ البشرِ بخيرِ البشرِ (ذكر الإرهاصات التي كانت بين يدي ظهور^(١) النبي صلى الله عليه وسلم) - البشحن^(٢) في أصول الدين - كتاب المعادات^(٣) (بفتح الميم: في الاعتقاد) - الجنة^(٤) (بضم الجيم) من فِرَقِ أهل السنة (في الاعتقاد) - معاتبه الجريء على معاقبة البريء - مالك^(٥) الأذكار في مسالك الأفكار - الخوذ الواقية والموذ^(٦) الراقية (في الوعظ) - نصائح الذكرى - أرجوزة في الفرائض (تقسيم الإرث)^(٧) - كشف الكسف في نقض الكتاب المسمى بالكسف - الإنباء عن الكتاب المسمى بالإحياء^(٨) - سلوان المطاع وعُدوان الأتباع^(٩) (فيه خمسُ سلوانات: في التفويض ونتائجه، في التآسي وفوائده، في الصبر وعوائده، في الرضا وميامنه، في الزهد. وقد صنَعَ المؤلفُ من هذا الكتابِ عدداً من النسخِ كَتَبَ إحداها في صِقْلِيَّة، سنة ٥٥٤ هـ برسم القائد أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم القرشي. والكتابُ مشتمل، كما قال العبادُ الأصفهاني الكاتب، على حُسْنِ معْنَى ولفظٍ وذكرٍ تنبيه ووعظ) - الاشتراك اللغوي - مُلَحُّ اللغة (وهو فيما اتَّفَقَ لفظُهُ واختلف معناه) على حروف المعجم - كتاب الاستنباط المعنوي - الإشارة إلى علم العبارة - القواعد والبيان (في النحو) - مختصر في النحو. وله على كُتُب الحريري مُصَنَّفَاتٌ منها: شرح المقامات (كبير) - شرح المقامات (صغير) - التنقيب على ما في المقامات من الغريب - حاشية على دُرَّة العَوَاص (ردّ فيها على الحريري). ثم له أيضاً: أنباءُ نجباء الأبناء (ويُلْفى أيضاً بعنوان الغرر والدرر في نجباء الأولاد).

(١) البشر (بضم ففتح) جمع بشري (بالضم): الخير المفرح. الإرهاص: الأمر الخارق يظهر للنبي قبيل بعثته، بين يدي ظهور النبي: قبيل ظهوره.

(٢) راجع الوافي بالوفيات ثم إنباه الرواة ٣: ٧٦، الحاشية ٣.

(٣) المعاد (بالفتح): البعث يوم القيامة.

(٤) الجنة (بالضم): الوقاية، الترس.

(٥) الموازة تقضي أن تكون كلمة «مالك» على وزن مفاعل (مثل مسالك).

(٦) الخوذة (بالضم) بيضة من معدن يلبسها المحارب في رأسه. العوذة (بالضم): حرز يقال إنه يمنع الأذى عن حامله.

(٧) هنالك كتاب لابن ظفر اسمه «أرجوزة في الفرائض والولاء» (والأغلب أنه الأرجوزة نفسها).

(٨) المقصود: كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ ظَفَرِ الصِّقْلِيِّ (في مقدّمة «سُلوان المطاع»):

الحمدُ لله جاعِلِ الصبرِ للنجاحِ ضَمِيناً والمحبوبِ في المكروهِ كَمِيناً^(١)، الذي ضرب دونَ أسرارِ الأقدارِ حِجاباً مستوراً، وقضى أن الخيرَ على الفَطنِ لا يزالُ حِجْراً محجوراً^(٢)..... (ثم يلتفت إلى القارئ الذي صنع نسخة من الكتاب برسمه فيخاطبه قائلاً):

بارك الله له فيما أُلْهِمَهُ كَسْبُهُ، وكان وَلِيَّهُ وَحْسَبُهُ^(٣). فلقد أنزلَ الدنيا بِدَرَكٍ مَنزِلَتِها وكُوْشِفَ بِشَرَكٍ مَزَلَتِها^(٤) فَعَمِلَ لِلْبَقَاءِ لا لِلْفَنَاءِ وجَعَلَ لِلْجُودِ لا لِلْاِقْتِنَاءِ، وجادَ لله لا لِلشَّاءِ، وآخَى لِلتَّعَاوُنِ على البرِّ والتَّقْوَى لا لِلتَّهافتِ في هَوَى الهَوَى^(٥). وزانَ الرِّئاسةَ بِنَفْسٍ لا تَضِيقُ بِنازِلَةِ ذَرَعاً ولا تُصْنِي إلى الوِشاةِ سَمْعاً^(٦)، ولا تُدْنِسُ بِطَبَعٍ طَبْعاً^(٧)، ويَجْلِمُ لا يَرْفَعُ الغَضَبُ لَدَيْهِ رَأْساً وَحَزَمَ لا تَخافُ الإِيالةَ مَعَهُ بِأَساً^(٨). فالحمدُ لله الذي أَباحَني من إِخائِهِ حِمَى مَنِيعاً وَحَرَمَ أَمِيناً ومرتَعاً مَرِيحاً ومورداً مَعِيناً^(٩):

-
- (١) ضمين: ضامن. والمحبوب في المكروه كمين (قد يكون ظاهر الأمر مكروهاً أو ضاراً ويكون باطنه محبوباً أو نافعاً).
- (٢) الذي ضرب دون.... (إن الله أخفى الغيب عن الناس). وقضى أن الخير... الخ (الذكي لا يعظم رزقه).
- (٣) ما أُلْهِمَهُ كَسْبُهُ: ما قَدَّرَ (الله) له أن يكسبه. الولي: الصاحب (المعتني بغيره). حسبته: كافيه، ما كان وحده كافياً.
- (٤) أنزل الدنيا بدرك (أدنى المكان): عرف المنزلة الحقيقية للدنيا. كوشف (كشف الله له) بشرك (عن شرك: فُخّ) مَزَلَتِها (المنزلة): ما تزلزل الرجل عليه. والهاء ضمير راجع إلى الدنيا).
- (٥) التهافت: التفرق، السقوط. الهوى (بالضم) جمع هَوَّة: المكان العميق.
- (٦) الذرع: القياس بالذراع، سعة الصدر، الاحتمال. تصني: قبيل (بالضم).
- (٧) الطبع (بفتح ففتح): الفساد.
- (٨) الإيالة: المنطقة، المقاطعة، البلد المجموع تحت حكم حاكم.
- (٩) المرتع: المكان الذي يكثر فيه العشب قترعاه الماشية. مريح: خصب. مورد: مكان الشرب. معين (بفتح الميم): قريب من سطح الأرض (لا يحتاج أحد إلى أن يستعين على جلب الماء منه بجبل).

فَنَحْنُ بِقُرْبِهِ فِيهَا اشْتَهَيْنَا وَأَحْبَبْنَا وَمَا اخْتَرْنَا وَشِينَا^(١).
يَقِينًا مَا نَخَافُ، وَإِنْ ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا رَأَيْنَاهُ يَقِينًا.
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا!
وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ الشُّكْرَ عَقْدٌ شَرْعِيٌّ وَحَقٌّ مَرْعِيٌّ لَأَقْرَزْتُ عَيْنَهُ بِطَيٍّ مَا نَشَرْتُ
وَالتَّوَرِيَّةَ عَمَّا إِلَيْهِ أَشَرْتُ، إِذْ كَانَ - وَقَانِي اللَّهُ بُعْدَهُ وَلَا أَبْقَانِي بَعْدَهُ - يَرَى أَنَّ
الشُّكْرَ فِي وُجُوهِ آلَاتِهِ نُدُوبٌ^(٢)، وَالْمَدْحُ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ذُنُوبٌ.

- وَلَهُ مَقْطَعَاتٌ حِكْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أَتَيْهَذَا الْمُسْتَجِيشُ مِنَ أَلْسِنِ الْوُ
هَآكَ يَبْتَأُ يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ سَجْعٍ
لَا تَشَاغَلُ بِالنَّاسِ عَنْ مَلِكِ الدِّ
* حَمَلْتُكَ فِي قَلْبِي، فَهَلْ أَنْتَ عَالِمٌ
أَلَا إِنَّ شَخْصًا فِي فُؤَادِي مَحِلُّهُ
* مَرْحَبًا بِالْكَفَافِ عَيْشًا هَنِيئًا،
مَا عَلِمْنَا - وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا
لَا يَزَالُ الْحَرِيصُ يَسْتَامُهُ الْحِرُّ
عَاطِظٌ، قَدْ أَسْهَبُوا وَمَا أُيَقْظُوكَ^(٣).
وَقَرِيضٌ كَانُوا بِهِ وَعَظُّوكَ:
سَاسٍ، فَلَوْلَا نَعْمَاهُ مَا لَحَظُّوكَ^(٤)!
بَأَنَّكَ مَحْمُولٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ؟
وَأَشْتَاقُهُ شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمٌ!
ثُمَّ لَا مَرْحَبًا بِمُحْرَضٍ وَكَدٌّ^(٥).
وَسَمِعْنَا - مَنْ حَازَ جَدًّا بِجِدٍّ^(٦).
صُ بِنُصْبٍ مِنَ الشَّقَا وَبِكَدٍّ^(٧)،

(١) شينا: شئنا: أردنا.

(٢) آلاء جمع ألى (بفتح الهمزة أو كسرهما): النعمة. ندوب جمع ندب (بفتح ففتح): أثر الجرح بعد شفائه (عيب).

(٣) المستجيش من ألسن الوعظ: الحريص على أن يسمع كثيراً من الواعظين. الإسهاب: الكلام الكثير الذي يعبر عن معان قليلة.

(٤) ملك الناس هو الله (راجع السورة ١١٤): قل: أعوذ بربِّ الناس ملك الناس إله الناس...

(٥) الحرص: الرغبة الشديدة في جمع الأشياء والاحتفاظ بها. الكد: بذل الجهد والتعب.

(٦) الجدُّ (بالفتح): الحظُّ. الجدُّ (بالكسر) بذل الجهد (بالضم).

(٧) يستامه الحرص: يطلب شراءه (الحريص يبيع حياته بجميع الأشياء المادية من غير أن ينتفع بها).

النصب (بالضم): الشرُّ والبلاء. وبكدٍّ (كذا في الأصل المطبوع. وفي بعض المخطوطات بمجد: بضم الجيم أي بتعب). الحرص يملك الإنسان أشياء مادية ثم يسلبه راحته وسعادته.

ثم لا يستطيع أن يتعدى قدراً ما لحكمه من مرد^(١)!
- وله أقوال حكيمية منثورة:

معارضة الليل طبيبه توجب تغذيته - المال كالماء ، فمن استكثر منه ولم يجعل له مسرباً ، ينسرب به ما زاد على قدر الحاجة ، غرق به^(٢) - المؤاساة في المال والجاه عوذة بقائهما - المؤثوق موموق ، والأمين بالمودة قمين^(٣) - كن من عينك على حذر: فرب جئوج حين جناه جئوج عين^(٤) - السامة من أخلاق العامة - من لزم الرقاد حرم المراد - الغريب ميت الأحياء - العاقل يقدم التحريم على التقريب ، والاختبار على الاختيار ، والثقة على الحق - الرأي سيف العقل - رب حيلة أنفع من قبيلة .

٤ - سلوان المطاع في عدوان الاتباع (أماري) ، فلورنسا ١٨٥١ م ، ١٨٨٢ م (٢) ، مصر (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ (بتصحيح علي بن علي العزّي المحلّلي) ، تونس ١٢٧٩ هـ ، استانبول ١٢٨٥ هـ ، بيروت ١٣٠٠ هـ .

- خير البشر في خير البشر ، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) .
- أنباء نجباء الأبناء (نشره مصطفى بن محمد القبّاني) ، القاهرة (مطبعة التقدم) بلا تاريخ .
★★ الخريدة (الشام) ٣ : ٤٩ - ٦٠ ، معجم الأدباء ١٩ : ٤٨ - ٤٩ ، الوافي بالوفيات ١ : ١٤١ - ١٤٢ ، إنباه الرواة ٣ : ٧٤ - ٧٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٥ - ٣٩٧ ، وفيات ابن قنفذ ٢٨٥ : بغية الوعاة ٥٩ - ٦٠ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٧٠ ، بروكلمن ١ : ٤٣١ - ٤٣٢ ، الملحق ٥٩٥ - ٥٩٦ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٧ (٦) : ٢٣٠ - ٢٣١ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٥ : ١٤٩ ، سركيس ١ : ١٤٩ ، المكتبة العربية الصقلية ٦٨١ - ٦٩٦ .

-
- (١) لا يستطيع الإنسان ، مهما يكن حريصاً ، أن يتخطى ما قدره الله عليه .
(٢) إذا لم يكن للماء في مكانه منفذ يخرج منه ما يزيد على ما يستوعبه ذلك المكان فاض الماء من المكان وأغرق صاحبه .
(٣) موموق : محبوب . قمين : أهل ، مستحق .
(٤) جئوج : ميل (بالفتح) ، مجيء ، هجوم . حين (بالفتح) : موت . جئوج عين : تطلع الإنسان إلى ما لا يجوز له التطلع إليه .

ابن المنخل الشلبي

١ - هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل المهري^(١) الشلبي، نسبة إلى شلب (جنوبي غربي الأندلس)، انتقل إلى إفريقية واتصل بالموحدين منذ قيام دولتهم. وكانت وفاته في عشر السنين وخمسمائة للهجرة^(٢)؛ وقد أسن كثيراً.

٢ - كان ابن المنخل الشلبي أديباً ومن الشعراء المجودين وذوي النفس العالي على عمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحجاسة، كما كان مشاركاً في علم الكلام^(٣).

٣ - مختارات من شعره:

- في شهر ذي القعدة، من سنة ٥٥٥ (تشرين الثاني - نوفمبر ١١٦٠ م) أجاز عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين البحر من سبتة إلى جبل طارق، بعد أن جمع كل بلاد إفريقية في حكمه وانتقل إلى الأندلس ليدافع عن المدن الإسلامية التي كان الإسبان يهددونها بالاستيلاء عليها. فقام بين يديه الخطباء والشعراء (في معسكر جبل طارق) يمدحونه. فقال أبو بكر بن المنخل قصيدة فخمة يعارض بها القصيدة التي كان المتنبي قد مدح بها سيف الدولة، سنة ٣٤١ هـ ومطلعها:

فدينك من ربيع، وإن زدتنا كرباً؛ فإنك كنت الشرق للشمس والغرباً^(٤)

والحق أن قصيدة ابن المنخل الشلبي كانت بارعة. فمما جاء فيها:

(١) الوافي بالوفيات ٣: ٧؛ في تعليق لمبد الهادي التازي (المن بالإمامة، ١٥١، الحاشية الأولى) «الفهري».

(٢) في عشر السنين وخمسة: ٥٦١ - ٥٦٩ (والذين يجهلون التعبير العربي يقولون: السنينات، نقلاً للتعبير الانكليزي). وذلك بالتاريخ الميلادي ١١٦٥ - ١١٧٣ م. ويبدو أن مولده كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

(٣) علم الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية وتفسيرها بالعقل.

(٤) الربع: المسكن (الذي كان فيه المحبوب). الكرب: الحزن والغم. زدنا كرباً لأنك تذكرنا بالمحبوب الذي ارتحل عنك، بينما كنت له كالشرق والغرب: (يخرج منك صباحاً ثم يعود إليك مساء: كان ساكناً فيك).

فَتَحْتُمُ بِلَادَ الشَّرْقِ، فَاعْتَمِدُوا الْقَرَبَا؛
أَصْرْتُمْ إِلَيْهِ الْخَيْلَ وَهِيَ أَجَادِلُ
وَدُسْتُمْ بِهَا هَامَاتٍ كُلُّ مُضَلِّلٍ
رَمَيْتُمْ بِهَا مِثْلَ السِّهَامِ فَأَصْبَحَتْ
[أَتَوْكُمُ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ] سَوَايغاً
وظَنُّوا - وفي الظنِّ الجَهَالَةُ - أَنَّهُمْ
فَلَمَّا تَلَاقَيْتُمْ وَبَيَّنَّتِ الْوُغَى
أَظْلَتَهُمُ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا^(١)
وَقَادَتْهُمْ تِلْكَ السِّيُوفُ إِلَى الرَّدَى
وَرَامُوا فِرَاراً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُمْ،

فَإِنَّ نَسِيمَ النَّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَا^(١).
فَسَالَتْ بِكُمْ بَحْرًا وَطَارَتْ بِكُمْ رُكْبًا^(٢).
وَلَمْ تَتْرَكُوا عُجْبًا هُنَاكَ وَلَا عُرْبًا^(٣).
كَمَا تُهُمُّ صَرْعَى وَأَمْوَالَهُمْ نُهْبَى^(٤).
كَأَنَّهُمُ الْبَحْرُ الْغَالِطُ إِذْ عَبَا^(٥).
يَفْلُتُونَ مِنْ أَجْنَادِكَ الصَّارِمِ الْعَضْبَا^(٦).
تَوَلَّوْا وَقَدْ طَارَتْ قُلُوبُهُمْ رُغْبًا^(٧).
فَكَانَتْ لَهُمْ رَفْعًا وَكَانُوا لَهَا نُصْبًا^(٨).
وَمَا غَادَرَتْ سَهْلَ الْقِيَادِ وَلَا صَعْبًا.
فَمَا قَطَعُوا فَجًّا وَلَا سَلَكَوْا شِعْبًا^(٩).

- (١) بلاد الشرق (هنا: بلاد إفريقية). اعتمد: قصد. الغرب (بلاد الأندلس).
(٢) أصار: (بعث، أرسل، نقل). الأجل: الصقر (تشبه به الخيل لشدة جسمه وسرعة طيرانه). فسالت بكم بجرأ (كالبحر) لكثرتها. تطير بكم ركبا: تسرع بكم جداً وأنتم على ظهورها.
(٣) الهامة: الرأس. المصلل: الداعي إلى ضلالة (الثائر). العجم (عجم الأندلس: الذين لم يعتنقوا الإسلام ولا تعلموا العربية) العرب (البدو) القبائل العربية التي سرحها الفاطميون من مصر لإزعاج البربر في إفريقية (وهم بنو هلال وبنو سليم - بضم السين).
(٤) بها = بالخيول. مثل السهام (سريعة ومصيبة!). الكمي: البطل، الشجاع. الصريع: القتيل. النهي: الشيء المنهوب.
(٥) «أتوكم...» من قول المتنبي:

أَتَوْكُمُ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ، كَأَنَّمَا سَرَوْا بِجِيَادٍ مِمَّا لَهْنُ قَوَائِمُ!
سَرَوْا (بفتح الراء). السابعة: الدرع. الغالط... عب: عظم عبا به (بضم العين: الموج) هاج وعظم موجه.

- (٦) فل: قطع (هزم). الصارم: السيف. العضب: القاطع.
(٧) بيئت الوغى (الحرب) برهنت على قوتك. تولي: فرّ، هرب.
(٨) البيض الصوارم: السيوف القاطعة. القناة: الرمح. أظلتهم: ارتفعت فوق رؤوسهم بكثرة. في الأصل: أظلتهم (بالضاد المنقوطة - وهو هفوة من أهل المناطق التي يلفظ أهلها الضاد ظاء).
(٩) كانت لهم رفعا (ترفع عليها رؤوسهم!). النصب (بالضم): المنصب (الهدف المرفوع الذي يصاب بسهولة).
(١٠) ناشه بالرمح: أصابه. الرماح تنوشهم: تناوهم من كل جانب. الفج: الطريق الواسع. الشعب: (بالكسر) الطريق (الفرعي، الضيق). لم يستطيعوا أن يهربوا.

وخرّوا جميعاً هامدين كأنّهم
لقد حكمت فيهم ظبا الهند رأيتها
وكانوا لكم جنداً فصاروا غنيمةً،
قروكم عتاقاً شرباً وعواتقاً
أقيموا، إلى ابن الريق بعد، صدورها؛
رعتها الفيافي فاستدقت جُسومها
عليها رجالٌ كالقِداح، وإنّا
فإن تبدأوا بالغربِ فالفتحُ واضحٌ؛
تَعاف نَميرَ الماءِ صفواً، فإن جرى
يلوذون في الهيجا بأرْوَع ماجدٍ
وإن عَصَفَت رِيحُ الوغى أَحْدَقُوا به،

ندامى تساقوا بينهم أكوُس الصَّهبا
تُقَتِّلُهُم ضرباً وتؤسّرهم سرباً^(١).
كذلك من يُزهي بأرائه عجباً^(٢).
بما قد قرأهم جيشك الطعن والضربا^(٣)
وليس عليكم أن تُرى ضمراً قُباً^(٤).
بما قدرعت فيها الكلايا بسار طُبا^(٥).
يكونون في الهيجا هنديةً قُضياً^(٦).
وإنّ نجومَ الدين طالعةٌ غرباً^(٧).
به من دمِ الأعداء أفنيتهُ شرباً^(٨) !
إذا دارت الهيجا كان لها قُطبا^(٩).
فكانوا له جسماً وكان لهم قلباً^(١٠).

- (١) الطبا جمع طبة (بضمّ فتح): حدّ السيف. ضرباً (بالسيف). تؤسّرهم (كذا في الأصل) = تأسّرهم. سرباً (جماعات، بالجملة).
- (٢) في هذا البيت يتكلّم على بدو إفريقية من العرب الذين ثاروا على الموحّدين. يزهي: يظهر الإعجاب برأيه.
- (٣) قروكم: قدّموا لكم (في الضيافة) عتاقهم (خيَلهم الأصيلة) وعواتقهم (العاتق: المنكب، ما بين العنق والكتف) أي أنفسهم (أبيدوا هم وخيَلهم).
- (٤) ابن الريق (ويقال: ابن الرنك) هو ألفونسو أنريكويز صاحب البرتغال. بعد (بعد ذلك). أقيموا صدورها (صدور الخيل): سيروا إلى حربه. - لا تهتمّوا إذا كنتم ترون خيولكم ضمراً (ضامرة، نحيلة) قُباً (جمع قَباء: ضامرة البطن)، فإنّ ذلك ليس من مرض أو عيب، بل من صفاتها الحميدة.
- (٥) مناخ البادية (الفيافي) ورعيها الكلأ (العشب) في البادية، وكثرة سيرها في الفيافي (الصحارى) جعل أجسامها دقيقة (نحيلة).
- (٦) القدح (بالكسر): السهم. القضيبي: السيف. هندية (من صنع الهند: جيّدة).
- (٧) طالعة: مشرقة (تتّجه من الشرق إلى الغرب).
- (٨) خيولكم تعاف (تكره) غير الماء (الماء الصافي). أفنيتهُ شرباً (شربه كله). في الأصل: أفنيتهُ (بتاء المخاطب) والصواب (كما أثبتّه) بنون النسوة.
- (٩) - في هذا البيت يتكلّم الشاعر على جنود الموحّدين. يلجأون، يحتمون (يتبعون). الأروع: الشجاع. القطب: المحور الذي تدور حوله الأشياء (قطب الحرب: الذي يحمل العبء الأكبر من القتال).
- (١٠) أَحْدَق: أحاط.

مليكُ كأنَّ الأرضَ قبضةُ كفِّه،
لِكفِّهِ فضلٌ بأنَّ عن كلِّ فاضلٍ،
إذا أُجْدِبَتْ أرضٌ نَحَاها بِجُودِهِ،
وقد كان هذا الدينُ وَلِيَّ شَبَابِهِ،
إذا ما ذَكَرْنَاهُ، وقد ضاقَ أمرُنا،
نَسِينَا بهُ أبنَاءَنا وديارَنا،
بلادٌ قضى فيها الشابُّ مَآرِي
فَقُلْ لابنِ رَيْمُونِدٍ: تَأَهَّبْ لَعَزْوَةٍ
إذا جُرِّدَتْ فيه السيوفُ حَسْبَتِهَا
وإنَّ عَثَرَتْ أعلامُه لِمُحَارِبٍ
وَيَسْتَنشِدُ البَطْرِيْقُ في عَرَصَاتِكُمْ:
فَلَا بُعْدَ - فَمَا يَنْتَحِيهِ - وَلَا قُرْبَا^(١).
إذا شَدَّ عَقْدَ السِّلْمِ أَوْ بَعَثَ الْحَرْبَا^(٢).
فَمَا أَغْزَرَ السُّقْيَا وَمَا أَكْثَرَ الْخِصْبَا!
فَلَمَّا تَوَلَّى الدِّينَ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَبَا^(٣).
تَفَرَّجَ حَتَّى صَارَ مُتَّسِعاً رَحْبَا.
فَهَا نَحْنُ لَا نَرْتَا حُجْ إِنْ ذَكَرُوا شِلْبَا^(٤).
وَأَبْقَى لِنَفْسِي مَا بَقِيَتْ بِهَا إِرْبَا^(٥).
يَسُدُّ عَلَيْكُمْ جَيْشُهَا الْأَفْيَحَ السَّهْبَا^(٦).
جَدَاوِلَ رَوْضٍ وَالرَّمَاحَ بِهَا قُضْبَا^(٧)!
جَرَى دَمُهُ مِنْ تَحْتِهَا وَابِلًا سَكْبَا^(٨).
[فَدَيْنَاكَ مِنْ رَنْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا]^(٩)

(١) انتحى: قصد.

(٢) بان: اختلف (هو مختلف - أفضل - من كلِّ أحد، في وقت السلم وفي وقت الحرب).

(٣) وَلِيَّ: ذهب (وَلِيَّ شَبَابِهِ: ضعفت سلطته السياسية). فَلَمَّا تَوَلَّى (عبد المؤمن بن عليّ الخلافة - الحكم السياسي في الإسلام) - لم يعد أن شَبَا (عاد إلى الإسلام شَبَابِهِ). في الأصل: فَلَمَّا تَوَلَّى الدِّينَ (مرفوعة بضمة). عدا يعدو: تحطّى، تجاوز.

(٤) شَلَبَ بِلْدَةَ الشَّاعِرِ (في الطرف الجنوبي الغربي من الأندلس). به: بالعيش معه (مع عبد المؤمن بن عليّ).
(٥) الإِرْب: الحاجة. - مع أَنِّي تَمَتَّعتْ بِلَهْوِي كُلِّهِ فِيهَا، وَلَا أَزَالُ - كَلِمًا كُنْتُ فِيهَا - أَتَمَتَّعُ بِبَقِيَّةٍ مِنْ ذَلِكَ اللَّهُو!

(٦) ريموند الرابع (١١١٥ - ١١٦٢ م) ابن ريموند الثالث (١٠٩٦ م) وخليفته: قومن برشلونة (١١٣١ - ١١٦٢ م) وأمير أرغونة (١١٣٧ - ١١٦٢ م)، وكان قد ساعد ملك قشتالة في الاستيلاء على طرطوشة ولاردة (١١٤٨ - ١١٤٩ م). والقصيدة مقولة في ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). الأفْيَحَ (الواسع) السَّهْبَ (المتسع البعيد المكان). سيكون جيشنا كبيراً بحيث يملأ الأرض بيننا وبينكم. في الأصل: الأفْتح (بتاء بنقطتين من فوقها)، ومرفوعة على أَنَّهَا نَعْتَ لَجِيْشٍ. والصواب ما أثبتته.

(٧) القُضْب (جمع قضيب) أغصان الأشجار. - سَتَطْنُونُ أَنْ سِيُوفَ جَيْشِنَا وَرَمَاحَهُ أَهْرًا وَأَغْصَانًا (لكثرتها).

(٨) عثرت أعلامه (أعلام عبد المؤمن بن علي). لمحارب (؟)، أقرأ: بمحارب (إذا لقيت مقاتلاً عدواً، ولو اتفاقاً) جرى دم هذا العدو تحت تلك السيوف والرماح وابلًا (كالطرر) سكبًا (منهمراً بكثرة).

(٩) سيطلب ريموند، وهو أسير لديهم (العرصة بفتح فسكون: باحة مكشوفة) أن ينشده أحد قصيدة المتنبي =

أَمْرُسِلَهَا شُعْتَ النَوَاصِي سَوَاهِمَا وَمُصْدِرَهَا شُقْرًا، وَقَدْ وَرَدَتْ شُهْبًا^(١)
تَرَفَّقَ عَلَيْهَا إِنَّهَا خَيْرُ مَكْسَبٍ. وَأَفْضَلُ مَالِ الْمَرْءِ أَفْضَلُهُ كَسْبًا^(٢).
فَلَوْ لَمْ تُجِزْهَا السُّفُنُ نَحْوَ عَدُوِّهَا، لَجَازَتْ إِلَيْهِ الْبَحْرَ تَقْطَعُهُ وَثْبًا.
فَمَا أَعْطَتْ الْعُرْبُ الْقِيَادَ طَوَاعَةً وَلَا أَسْمَحَتْ وَدًّا وَلَا أَدْعَنْتْ حُبًّا^(٣)،
وَلَكِنْ رَأَتْ شُهْبَ الْهُدَى مُسْتَنِيرَةً فَخَافَتْ نَجُومًا مِنْ أَسْنَتِهِ شُهْبًا^(٤).
رَأَوْا بِكَ دِينَ اللَّهِ كَيْفَ اعْتَرَاظَهُ، وَأَنْتُمْ لَهُ حِزْبٌ فَكَانُوا لَهُ حِزْبًا^(٥) !

٤-★★ المغرب ١: ٣٨٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ٧-٨؛ المنن بالإمامة ١٥٠-١٥١،
٢٤٣-٢٤٥، راجع ٤٥٧ ح، ٤٦١، بغية الوعاة ٨٦؛ نفع الطيب ٤: ١١٧،
راجع ٣: ٥٢٠-٥٢١، ٤: ٧٣؛ زاد المسافر ٤٨٧ (١٢٩-١٣٠).

ابن الصقر الخزرجي

١- هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، أصل أهل من سرقسطة: خَرَجَ مِنْهَا جَدُّهُ لِأَبِيهِ لِحُدُوثِ بَعْضِ الْفِتَنِ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى بِلَنْسِيَّةَ. وَفِي بِلَنْسِيَّةَ وَلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (وَالدُّ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ). ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْمَرْيَةِ، وَفِي الْمَرْيَةِ وَلِدَ أَحْمَدُ فِي آخِرِ شَهْرِ رَبِيعِ

= في سيف الدولة « فدينك ... » حتّى يعلم ماذا فعل الدستق (بضمّ فضمّ فسكون فضمّ) البطريق (قائد جيش الروم) حينما سار سيف الدولة لحربه (كان يجب على ريموند هذا أن يهرب من حرب عبد المؤمن ابن عليّ كما هرب الدستق من حرب سيف الدولة).
(١) أمرسلها: يا مرسل الخيل، شعت (مقبرة) النواصي (شعر مقدّم الرأس) لكثرة أسفارها: حروبها، ومصدرها (راجعا بها من الحرب) شقرا (حررا، من دم الأعداء) وقد وردت (ذهبت إلى مكان المعركة) شهباً (بيضاء، لا دم عليها).

(٢) خير مكسب: أفضل ما يجمع الإنسان من ثروة.
(٣) العرب (البدو): طواعة (يقصد: طواعة، عن رضا. أذعن: انقاد، أقر للآخرين بحقّ لهم.
(٤) شهب (نجوم) الهدى (الإسلام): حقائق الإسلام وبراهينه. نجوم من أسنّته شهباً (بيضاء): رؤوس رماحه المسنونة.
(٥) في الأصل: حرب (مرتّب) مكان « حزب ».

الأوّل من سنة ٤٩٢ (١٠٩٩/٢/٢٤ م).

وفي نحو سنة ٤٩٩ للهجرة (١١٠٥ - ١١٠٦ م) انتقلت أسرة بني الصقر إلى سبتة (في العدوّة المغربيّة) فسكنتها مدّة، ثمّ إلى فاس وبقيت فيها مدّة أقصر، ثمّ إلى مدينة مراكش. ورحل أبو العبّاس أحمد إلى الاندلس رحلة قصيرة ثمّ عاد إلى مدينة مراكش واستوطنها.

ولأبي العبّاس أحمد بن الصقر عدد كبير من الشيوخ ملأوا ثلاث صفحات كاملة من كتاب الذيل والتكملة (١: ٢٢٤ - ٢٢٦).

تولّى أبو العبّاس بن الصقر القضاء والإمامة في مراكش منذ أيام المرابطين، ثمّ في بلنسية. ثمّ تولّى القضاء في غرناطة. ولكن تولّى القضاء كان مدّة يسيرة - وقد خبر الناس منه في القضاء سيرة حميدة ونزاهة - لأنّ اتجاهه في الحياة نحو الزهد صرّفه عن مناصب الدولة (راجع الذيل والتكملة ١: ٢٢٧).

وكانت وفاته في مراكش في ثامن جُمادى الأولى من سنة ٥٦٩ (١١٧٣/١٢/١٥ م). ورثاه جاره وصديقه ابن طُفيل (ت ٥٨١ هـ) فقال (الذيل والتكملة ١: ٢٣١ - ٢٣٢):

لأمرٍ ما تغيّرتِ الدُّهورُ،	وأظلمتِ الكواكبُ والبُدورُ ^(١)
أبا العبّاس، جادتكَ الفوادي،	ولاقتكَ الكرامةُ والحبورُ ^(٢) .
لقد فقدَ الأياصى واليتامى	مكانَكَ والمُحافلَ والصُّدورُ ^(٣) .
وعطّلتِ المدارسُ من مُفيضٍ	علومَ الوُحي ليسَ له نظير....

٢ - كان أبو العبّاس بن الصقر مُقرئاً مُجوداً ومُحدّثاً مُكثراً ثِقَةً وفقيهاً متقدِّماً في علم الكلام وزاهداً، كما كان شاعراً مُحسناً سهّل التراكيب واضح المعاني. يُضاف

(١) لأمر (عظيم): موت ابن الصقر الخزرجي.

(٢) الغادية: السحابة (المطر) المقبلة في الصباح. ولاقتك الكرامة والحبور (السرور) في الجنة.

(٣) الأئمّ والأئمة: التي مات عنها زوجها. المحفل: مكان اجتماع الناس. الصدور صدور المجالس: لأنّ ابن الصقر كان، لكاتبته ولعلمه، دائماً في صدر كل مجلس.

إلى ذلك كُلِّهِ نَفْسٌ أَيْبَةٌ وَسِيرَةٌ مَحْمُودَةٌ فِي النَّاسِ وَخِدْمَةٌ أَجْتَمَاعِيَّةٌ. ثُمَّ هُوَ مُصَنَّفٌ، وَلَكِنْ كُتِبَ فِي مَكْتَبَتِهِ وَكُتِبَ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَدْ فَقِدَتْ، سَنَةَ ٥٤١ هـ لِلْهِجْرَةِ (١١٤٦ م)، لَمَّا دَخَلَ الْمُوَحِّدُونَ مَرَاكُشَ وَأَتَزَعَوْهَا مِنْ يَدِ الْمُرَابِطِينَ. لَهُ كِتَابٌ «أَنْوَارُ الْأَفْكَارِ فِيمَنْ دَخَلَ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الزَّهَادِ وَالْأَبْرَارِ». أَبْتَدَأَهُ ثُمَّ لَمْ يُتِمَّهُ فَكَمَّلَهُ أَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الصَّخْرِ الْخَزْرَجِيُّ (الوَاقِي بِالْوَفِيَّاتِ ٧: ٤٨؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٣٣٣) فِي الْحِفَافِ عَلَى الْإِخْوَانِ مِمَّا تَكُنْ حَالُهُمْ:

لِلَّهِ إِخْوَانٌ تَنْسَاءُ دَارُهُمْ، حَفَظُوا الْوَدَادَ عَلَى النَّوَى أَوْ خَانُوا^(١).
يُهْدِي لَنَا طَيْبَ الثَّنَاءِ وَدَادَهُمْ كَالَّذِي يُهْدِي الطَّيِّبَ وَهُوَ دُخَانٌ^(٢).

- وَقَالَ فِي مِصَانَعَةِ الْأَعْدَاءِ (الوَاقِي بِالْوَفِيَّاتِ ٧: ٤٨؛ الْإِحَاطَةُ ١: ١٩٢؛ الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ١: ٢٣٠؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤: ٣١٩):

أَرْضِ الْعَدُوَّ بظَاهِرٍ مُتَصَنِّعٍ، إِنْ كُنْتَ مُضْطَرًّا إِلَى اسْتِرْضَائِهِ^(٣).
كَمْ مِنْ فِتْنَى أَلْقَى بِوَجْهِهِ بِاسْمٍ، وَجَوَانِحِي تَنْقُدُ مِنْ بَغْضَائِهِ^(٤).

- وَقَالَ فِي الزَّهْدِ (الْإِحَاطَةُ ١: ١٩١؛ الدِّيْبَاجُ ٥٠):

إِلَهِي، لَكَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ حَقِيقَةً؛ وَمَا لِلْوَرَى - مِمَّا نَعَتْ - نَقِيرٌ^(٥).
تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا مَكَانِي فَسَرَّنِي. وَمَا قَدَّرُ مَخْلُوقٍ جَدَاهُ حَقِيرٌ^(٦).
وَقَالُوا: فَقِيرٌ - وَهُوَ عِنْدِي جَلَالَةٌ. نَعَمْ، صَدَقُوا. إِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ^(٧).

(١) تَنَاءَى: ابْتَعَدَ. النَّوَى: الْبَعَادُ.

(٢) إِنَّ الثَّنَاءَ الْقَلِيلَ مِنْ خَصْمِكَ (أَوْ عَدُوِّكَ) يَدُلُّ عَلَى عَظَمِ هَيْبَتِكَ فِي نَفْسِهِ.

(٣) أَرْضُ: فَعَلَ أَمْرًا مِنْ أَرْضَى.

(٤) كَمْ مِنْ فِتْنَى أَلْقَى (أَلْقَاهُ أَنَا). تَنْقُدُ: تَنْقَطِعُ (بِغَضَا لَهُ).

(٥) الْوَرَى: النَّاسُ. مِمَّا نَعَتْ (مِمَّا أَصِفُهُمْ بِالْفَتْنَى) نَقِيرٌ: شَيْءٌ قَلِيلٌ. لَيْسَ مَا يَمْلِكُهُ النَّاسُ، إِذَا قَيسَ بِمَلِكِ اللَّهِ، شَيْئًا.

(٦) تَجَافَى (فَعَلَ لَازِمًا) تَبَاعَدَ. يَقْصِدُ الشَّاعِرُ: تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا عَنْ مَكَانِي (عَنِّي). الْجَدَا: الْكِرَمُ.

(٧) إِلَيْهِ: إِلَى اللَّهِ.

- في الذيل والتكملة (١ : ٢٣٠ - ٢٣١) : « وقوله في وداع القبر المُكْرَم ، قبر النبي صَلَّى الله عليه وسلّم » ، مع أننا لا نَعْرِفُ له رحلة إلى المشرق :

حَسْبُ الْحَبِّ مِنَ الْحَبِيبِ سَلَامٌ	يُقْضَى بِهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ ذِمَامٌ ^(١) .
رُحْنَا وَرَوْعُ الْبَيْنِ يُخْرِسُ السُّنَا ،	وَمِنْ الدَّمُوعِ إِشَارَةٌ وَكَلَامٌ ^(٢) .
يَا أَرْضَ يَثْرَبَ ، لَا عَدَاكَ غَهَامٌ .	أَنْتِ الْمُنَى لَوْ تُسْفِئُ الْأَيَّامَ ^(٣) .
لِلْقَلْبِ فِي تِلْكَ الْعَرَاصِ عَرَامَةٌ	مَضْمُونُهُ كَلَفٌ بِهَا وَغَرَامٌ ^(٤) .
قَبْرٌ تَضْمَنَ أَعْظَمًا تَغْظِيْمُهَا	عَنْهُ يَصِحُّ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ
وَرَدَّتْ بِهَا نَفْسُ الْمَشُوقِ مَنَاهِلًا	كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَهُنَّ حَرَامٌ .

٤ - ★★ تحفة القادم ٤٩ ؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٢٣ - ٢٣٢ ؛ الإحاطة ١ : ١٨٩ - ١٩٣ ؛
نفح الطيب ٣ : ٣٣٣ ، ٣١٩ .

ابن ميمون القرطبي

١ - هو ، في الأغلب ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدي القرطبي المعروف بلقب مركوش (أو مُرْقُس ، لأنه من أصل غير عربي) ، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٩٨ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) في قرطبة .

روى ابن ميمون القرطبي عن أبي بكر بن العربي وشريح وأبي الحسن الباذش ولازم أبا الوليد بن رُشْدٍ عَشْرَ سَنَوَاتٍ . ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَوطنَ مَدِينَةَ

-
- (١) الذمام : العهد ، الحق ، الحرمة (بالضم : ما يجب المحافظة عليه) .
(٢) رحنا (رجعنا مساء) ، غادرنا المكان . روع (الخوف من) البين (الفراق ، البعاد) .
(٣) يثرب : المدينة المنورة . لا عداك (لا تحطاك) ، غم (أدعو الله أن تمطر كل سحابة تبك - أن تكون الرحمة دائمة فيك) . تسف : (تساعد) الأيام (على اللقاء) .

مَرَّاكُشَ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِإِقْرَاءِ النَّحْوِ خَاصَّةً. وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ابْنِ عَلِيٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) مَعَ الْعُلَمَاءِ ، فَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنْ أُنْشِدَ أَبْيَاتًا فِيهَا زَنْدَقَةٌ (رَاجِعِ الْمُخْتَارَاتِ) فَهَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَمَنَعَهُ مِنَ الْحُضُورِ فِي مَجْلِسِهِ وَصَرَفَ بَنِيهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ وَاقْتَدَى كَثِيرُونَ بِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ .

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ فِي ثَامِنِ عَشَرَ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (١١٧٢ / ١ / ١٧ م).

٢ - كَانَ ابْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ حَسَنَ الْعُسْرَةِ فَكَيْهَ الْحَدِيثِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّعَابَةِ. وَكَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ مُبَرِّزًا فِي النَّحْوِ، كَمَا كَانَ كَاتِبًا وَشَاعِرًا. ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ، أَلْفَ عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ، مِنْهَا: شَرْحُ (أَبْيَاتِ) الْإِيضَاحِ - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ - مَشَاحِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَا أُخِذَ عَلَى النَّظَارِ (عُلَمَاءُ الْكَلَامِ وَأَصْحَابُ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ).

٣ - مُخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ رِسَالَةِ لَابْنِ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ إِلَى مَحْبُوبٍ لَهُ:

.... فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا لَقِيتَ الرَّسُولَ بِوَجْهِ يَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ، وَتَفَضَّلْتَ بِأَنْ تَصِلَ قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَيْنَا وَتُخَالِفَهُ مِنْ طَرِيقٍ مُخْتَصِرٍ حَتَّى تَطْلُعَ قَبْلَهُ عَلَيْنَا^(١). هُنَالِكَ كُنَّا نَجْرُ لِلْفَضَائِلِ سُجْدًا، وَلَا نَزَالُ نُوَالِي شُكْرَكَ وَذِكْرَكَ أَبَدًا^(٢).

- أُنْشِدَ ابْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ مَرَّةً فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ أَبْيَاتًا كَانَ قَدْ نَظَّمَهَا فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ تَيْسِيَتٍ:

(١) تَخَالَفَهُ: تَأْتَى مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَيَأْتِي مِنْهَا (وَأَقْصَر). تَطْلُعَ عَلَيْنَا (مِثْلَ الْبَدْرِ).

(٢) فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنَّا نَشْكُرُ نِعْمَةَ الدَّهْرِ عَلَيْنَا وَنُوَالِي (نَسْتَمِرُّ) فِي شُكْرِهِ.

أَبَا قَاسِمٍ، وَالْهَوَى جِنَّة - وَهَا أَنَا مِنْ مَسَّهَا لَمْ أَفُقْ^(١) -
تَقَحَّمتَ جَاحَمَ نَارِ الضَّلُوعِ كَمَا خُضَّتْ بِحَرَ دُمُوعِ الْحَدَقِ^(٢).
أَكُنْتَ الْخَلِيلَ، أَكُنْتَ الْكَلِمَ: أَمِنْتَ الْحَرِيقَ، أَمِنْتَ الْفَرَقَ^(٣)!

- وَقَالَ فِي النَسِيبِ وَالْعِتَابِ:

طَرَفِي، وَحَقَّكَ، يَرَعَى الذُّنُجُومَ نَجْجًا فَنَجَمًا^(٤)
مُرَدَّدًا: فَكَأَنِّي أَفُكَّ مِنْهَا مُعَمَّى^(٥)!

- وَقَالَ فِي غُلَامٍ قَصَّ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ:

تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ نَوْرِ الْأَقَاحِي وَأَقْصَدْنَا بِمِرَاضٍ صِحَاحٍ^(٦)
وَمَرَّ يَمِيسُ كَمَا مَاسَ غُضُنٌّ تُلَاعِبُ عِطْفِيهِ هُوجُ الرِّيحِ^(٧)
وَقَصَرَ مِنْ لَيْلِهِ سَاعَةً فَأَعْقَبَ ذَلِكَ ضَوْؤُ الصَّبَاحِ^(٨)

-
- (١) الجَنَّة (بكر الحيم): الجنون. المسّ: الإصابة بالجنون. لم أفق: لم أبرأ (لم أشف).
(٢) تقحمت: هجمت، رميت بنفسك. جاحم: شديد الحرارة. الحدق: العيون.
(٣) أكنت مثل الخليل (إبراهيم الذي أُلقي في النار فلم يحترق) ومثل الكلم (موسى الذي خاض البحر الأحمر فلم يفرق). وقد غضب السلطان الموحد عبد المؤمن بن عليّ على ابن ميمون لأنه شبه بمدوحه بإبراهيم وموسى.
(٤) طرفي = ناظري: عيني. يرعى: يراقب، يتأمل.
(٥) مرَدَّدًا: مكرَّرًا، معيَّدًا. المعمى: اللغز.
(٦) تبسّم (فظهرت أسنانه جميلة منتظمة) مثل نور (بفتح النون: زهر) الأقاح. وأقصدا: قتلنا (بمعين) مراض (مريضة بمعنى ناعسة) صحاح (سليمة).
(٧) يمس: يتأبل. العطف (بكر العين): جانب الجسم (يشبه الغصن بإنسان). هوج الرياح: الرياح الشديدة.
(٨) قصر من ليله...: قص من ليله (من شعره الأسود) ساعة (جزءاً يسيراً). فأعقب (تلا، تبع) ذلك (تقصير شعره) ضوء الصباح (ظهور جزء أكبر من وجهه).

وَأَنِّي - وَإِنْ زَعَمَ الْعَادِلُونَ - مِنْ خَمَرٍ أَجْفَانِهِ غَيْرُ صَاحٍ^(١).

٤- ** جذوة المقتبس ٨٦؛ بغية الملتبس ١٢١ (رقم ٢٨٤)؛ المغرب ١: ١١١ - ١١٢؛
معجم الأدباء ١٩: ٦٣ - ٦٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٠٤؛ إنباه الرواة ٣: ٢١٨؛
المطرب ١٩٨ - ١٩٩؛ المنى بالإمامة ٢٢٦ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٦١ - ٦٢، ١٠٩؛
الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣١).

أبو الحسن بن عيَّاش

١ - هو أبو الحسن عبدُ الملك بنُ عيَّاش بن فرج بن عبدِ الملك بن هرون الأزديُّ
القرطبيُّ، أصله من مدينة يابُرة (في غربيّ الأندلس: البرتغال اليوم، شرقَ أشبونة أو
لشبونة). صحبَ بني حَمْدَنَ بقرطبة - وكانوا أسرةً نَبَغَ فيها نَفَرٌ من القضاة - ثمَّ
استخدمه الموحِّدون في الكتَّابة. وكانت وفاته في إشبيلية في غُرَّةِ جُمادى الثانية من
سنة ٥٦٨ (١٨ / ١ / ١١٧٣ م).

٢ - كان أبو الحسن ابنُ عيَّاش كاتباً مَتَرَسِّلاً واسعَ المعرفة بالعربية ويفنون
الأدب يُكثِرُ التضمينَ والاقْتِباسَ من كتابِ الله. وكان له نَظْمٌ أدنى مرتبةً من نثره.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو الحسن بنُ عيَّاشِ القرطبيُّ يَحِثُّ قبائلَ العَرَبِ (البَدُو) من بني هِلَالٍ
على الجهاد:

أقيموا إلى العلياء عِوَجَ الرواحل وقودوا إلى الهَيْجَاءِ جُرْدًا الصَوَاهِلِ^(٢).
وقوموا لنَصْرِ الدين قُوْمَةً نائِرٍ وشُدُّوا على الأعداء شِدَّةَ صَائِلِ^(٣).

(١) سَاطَلَ سكران من خر عينيه ولو قال العادلون (اللائئون، المفضون) أَنِّي سَاصِحُو منها.
(٢) أَقام: رفع (أنهض الدابة من مريضها استعداداً للسفر). الراحلة: الدابة التي تستعمل في
الرحلة (السفر والانتقال). العوج جمع عوجاء: الضامرة البطن (تسرع في سيرها). الصاهل: الحصان.
الأجرد: الحصان القصير الشعر (وذلك من صفات الخيل الجياد).
(٣) شَدَّ: هجم. الصائل: المهاجم الذي يبغي قهر خصمه.

فما العِزُّ إلَّا ظَهْرُ أَجْرَدَ سَابِحٍ تَمُوتُ الصَّبَا فِي شَدَّةِ الْمُتَوَاصِلِ^(١) ،
 وَأَبْيَضُ مَأْثُورٌ كَأَنَّ فِرْنَدَهُ عَلَى الْمَاءِ مَحْبُوكٌ وَلَيْسَ بِسَائِلِ^(٢) ،
 بَنِي الْعَمِّ مِنْ عَلِيَا هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِلِ^(٣) ،
 تَعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إِلَى الْغَزْوِ نِيَّةٌ عَوَاقِبُهَا مَقْرُونَةٌ بِالْأَوَائِلِ^(٤) .

- وَلَمَّا تَغَلَّبَ الْمُوَحِّدُونَ عَلَى ابْنِ مَرْدَنِيشَ^(٥) فِي الْأَنْدَلُسِ، كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ
 عِيَّاشٍ كِتَابَ الْبُشْرَى بِالنَّصْرِ إِلَى مَرَّاكُشَ. فَمِمَّا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ:

..... فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي حِينِ الزَّوَالِ اسْتَخَارَ اللَّهُ
 الْمُوَحِّدُونَ^(٦) عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّنَايَا الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُرْسِيَّةِ^(٧) .
 فَتَمَيَّزُوا شُعُوبًا وَقِبَائِلَ وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْبَةِ وَإِحْصَاءِ
 النِّيَّةِ^(٨) . فَرَأَى الْأَعْدَاءُ مَا هَالَهُمْ وَأَحَالَ حَالَهُمْ^(٩) . هَذَا عَلَى احْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ^(١٠)
 وَكَثْرَةِ عِدَّتِهِمْ. وَتَرَدَّدُوا بِسَفْحِ الْجَبَلِ زُهَاءً ثَمَانِيَةَ آلَافٍ فَارِسٍ أَكْثَرُهُمْ أَرْغُونُ^(١١)

-
- (١) السابح: الحصان (السريع). تموت الصبا الخ: تقصّر الريح عنه في السرعة (٢).
 (٢) أبيض: سيف. مأثور: متوارث (جيد الجنس، مختبر). الفرنده: البياض في حدّ السيف. (هذا السيف
 كأنه منسوج من سطح الماء، ولكنه جامد غير جار).
 (٣) هلال بن عامر: قبائل عربية (بدوية) كان الفاطميون (بعد انتقائهم من القيروان إلى القاهرة وبعد
 ترك البربر للمذهب الفاطمي) قد سرّحوها إلى المغرب لتحدث فيه فلاقول. الباسل: الأسد (الشديد في
 الحرب).
 (٤) عواقبها (نتائجها) مقرونة (مرتبطة، معتمدة على) الأوائل (الأسباب، المقدمات، الاستعداد).
 (٥) هو محمد بن سعد (٥١٨ - ٥٦٧ هـ) ثار على الموحّدين في شرقيّ الأندلس ووصل يده بيد الإسبان.
 طمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة. قاتله الموحّدون وحاصروه في مرسية فمات في أثناء الحصار.
 (٦) من سنة ٥٦٠ هـ (١٤ / ١٥ / ١١٦٥ م). الزوال (زوال الشمس عن خط كبد السماء): وقت الظهر.
 استخار الله الموحّدون = الموحّدون استخاروا الله (طلبوا من الله أن يختار لهم ما هو أصليح لهم).
 (٧) بينه (بين ابن مردنيش) وبين الثنايا (الطرق في الجبال).
 (٨) تميّزوا (افترقوا) شعوباً وقبائل (بحسب أقسامهم القبلية). «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
 عليه...» (٣٣: ٢٣، سورة الأحزاب). المحض: الخالص (الصافي، الصادق).
 (٩) هالهم: أفزعهم. أحال: بدل.
 (١٠) احتداد: اشتداد. الشوكة: القوة.
 (١١) أرغون: نصارى أرغونة (شمال شرقيّ إسبانية).

وَقَفُوا يَتَشَاوِرُونَ وَيَتَنَازَعُونَ. وَلَمْ يَجِدُوا مَحِيداً عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي ضَمَّتْهُمْ، وَلَا مَنَفَذاً إِلَّا فِي الْمَسَافَاتِ الَّتِي حَفَّتْ مُحِيطَةً بِهِمْ وَعَمَّتْهُمْ..... وَصَافَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ ضُحَى النَّهَارِ إِلَى أَنْ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(١)، فِي أَيَّامٍ يُقْبَلُ فِيهَا التَّوْبُ^(٢) وَيُغْفَرُ فِيهَا الذَّنْبُ وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ وَيُعْبَدُ الرَّبُّ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْمُوحِّدِينَ أَنْ نَاشِبُوهُمْ الْقِتَالَ، وَقَدْ كَثُرَ الذِّكْرُ وَالْإِهْلَالُ^(٣). وَزَحَفَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَنَا السَّوَادُ مِنَ السَّوَادِ، وَتَشَوَّفَهُ بِالْكَلِمِ وَالطَّرَادِ^(٤). وَحَمَلَتِ الرُّومُ^(٥) حَمَلَتَهُمُ الْمَعْلُومَةُ الْمَعْهُودَةُ^(٦).... وَالتَّقَّتْ عَلَيْهِمْ قِبَائِلُ الْمُوحِّدِينَ، وَاحْتَدَمَتِ الْحَرْبُ وَحَمِيَّ الْوُطَيْسُ^(٧).... وَثَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَ الْمُوحِّدِينَ وَزَلَزَلَ أَقْدَامَ الْمُلْحَدِينَ. وَثَبَّتِ السَّاقَةُ الَّتِي فِيهَا الْأَعْلَامُ كَأَنَّهَا الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَالْأَعْلَامُ^(٨). وَانْبَرَى الْمُوحِّدُونَ الْأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ تَيْنَمَلٍّ وَهَنْتَاتَةٍ^(٩) فَصَبَرُوا صَبْرَ أَمْثَالِهِمْ وَخَوَّلَهُمْ إِقْبَالاً فِي اسْتِقْبَالِهِمْ^(١٠). وَأَجْفَلَ الْكَفَرَةُ مُنْهَزِمِينَ وَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ مُدْبِرِينَ^(١١)، وَالسَيْفُ يَأْخُذُ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ، وَحِزْبُ

(١) صَافَهُمْ: أَقَامَ صُفُوفَ الْقِتَالِ فِي مَوَاجِهَتِهِمْ. الضُّحَى: الْوَقْتُ الَّذِي تَرْتَفِعُ فِيهِ الشَّمْسُ فَوْقَ الْأَفْقِ قَلِيلاً. «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ٩: ٦٢)، وَقْتُ انْتِصَافِ النَّهَارِ.

(٢) التَّوْبُ: التَّوْبَةُ.

(٣) نَاشَبَهُ الْقِتَالَ: نَازَبَهُ (طَالِبَهُ بِالْقِتَالِ، اسْتَفْرَزَهُ لِلْقِتَالِ). الذِّكْرُ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى. الْإِهْلَالُ: قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(٤) دَنَا السَّوَادُ (الْجِسْمُ) مِنَ السَّوَادِ (أَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ يَرَى بَعْضُهُمَا بَعْضاً). تَشَوَّفَ: رَأَى عَنْ بَعْدِ. الْكَلِمُ: الْكَلَامُ (الْمُنَادَاةُ). الطَّرَادُ: مَعَالِجَةُ الْخَصْمِ بِالْمُهْجُومِ.

(٥) الرُّومُ: (فِي الْأَنْدَلُسِ) النَّصَارَى، الْفَرَنْجَةُ (مِنْ أَيْ جَنْسٍ كَانُوا).

(٦) الْحَمْلَةُ: الْمُهْجَةُ. الْمَعْلُومَةُ الْمَعْهُودَةُ: (فِيهَا غَدْرٌ وَوَحْشِيَةٌ).

(٧) الْوُطَيْسُ: حَفْرَةٌ صَغِيرَةٌ يَخْبِرُ فِيهَا وَيَشْوِي (تَنْوَرُ)، كُنَايَةٌ عَنْ اشْتِدَادِ الْقِتَالِ.

(٨) السَّاقَةُ: مُؤَخَّرَةُ الْجَيْشِ (وَيَكُونُ فِيهَا الطَّعَامُ وَالصَّنَاعُ لِإِصْلَاحِ مَا يَتَكَسَّرُ مِنَ السِّبْوَافِ وَالْأَسْلِحَةِ). الْعِلْمُ (يَفْتَحُ فَيَفْتَحُ): الرَّايَةُ وَالْجَيْلُ.

(٩) تَيْنَمَلٍّ أَوْ تَيْنَمَلْ: الْبَلَدَةُ (فِي جِبَالِ الْأَطْلَسِ) الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْهَا دَوْلَةُ الْمُوحِّدِينَ. هَنْتَاتَةٌ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ مُنَاصِرَةً لِلْمُوحِّدِينَ.

(١٠) الْأَمْثَالُ (الْمَقْصُودُ: الْأَمْثَالُ): خِيَارُ الْقَوْمِ وَشَجَاعَتُهُمْ - صَدَقَ الْجَمِيعُ فِي الْحَرْبِ كَأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ خِيَارِ الْقَوْمِ. خَوَّلَهُمْ (أَعْطَاهُمْ) إِقْبَالاً (سَعَادَةً، حَقّاً، نَصْراً) فِي اسْتِقْبَالِهِمْ (فِي مَقَاتِلَةِ الْعَدُوِّ وَجْهًا لَوَجْهٍ).

(١١) أَجْفَلَ: مَضَى مُسْرِعاً. وَلَّى (أَعْطَى، أَدَارَ) الدَّبْرَ (بِضْمٍ فَضْمٍ): الْفَقَا (كُنَايَةٌ عَنِ الْهَرَبِ). مُدْبِرٌ: رَاجِعٌ، مُنْصَرَفٌ إِلَى الْخَلْفِ. هَارِبٌ.

الله يتقدّم غالباً فيصرع ويصدع^(١). وقُتِلَ رجال الشقيّ ومشاهير^(٢)، والروم أكثر القتلى فيهم. فخرّوا كأنهم أعجاز نخل خاوية^(٣)..... ولاذ الشقيّ.... للفرار، وقد خَبَرَ من حدّ السيوف وأنبأها ما أغناه عن الأخبار.

٤- ** المنّ بالإمامة ٨٣، راجع ١٦٠، ح، ٢٥٢، ٢٧٦ - ٢٨٢، ٣٠٢ - ٣٠٧، ٣٠٩ - ٣٧٦، ٣٢٣ - ٣٨٠، ٤١٥ - ٤١٧؛ التكملة ٢: ٦١٨ (رقم ١٧٢١)؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦ - ٣٠؛ زاد المسافر ٩٣ (١٣٥)؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، ٣٢٧ - ٣٢٨.

أبو عامر بن الحمار

١- هو أبو عامر محمد^(٤) بن الحمار العرناطيّ - من المهديّة في القطر التونسيّ - وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)، ويُقَرَّنُ اسْمُهُ بَلَقَبِ «الوزير». تَتَلَمَّذَ عَلَى ابْنِ بَاجِه (ت ٥٣٣ هـ) فِي صِنَاعَةِ الْغِنَاءِ وَفِي الْفَلَسَفَةِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي عَامِرِ بْنِ الْحِمَارَةِ، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م).

٢- كَانَ أَبُو عَامِرِ بْنِ الْحِمَارَةِ، فِيمَا قِيلَ، مِنْ فَلَاسِفَةِ الْأَنْدَلُسِ. وَلَكِنَّنَا لَا نَعْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ كُلِّهَا سِوَى إِشَارَاتٍ جُزْئِيَّةٍ. وَقِيلَ فِيهِ: كَانَ عَارِفًا بِصِنَاعَةِ الْأَلْحَانِ: يَصْنَعُ الْعُودَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَنْظِمُ الشَّعْرَ وَيُلَحِّنُهُ وَيُغْنِيهِ فَيَطْرِبُ سَامِعِيهِ. وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا أُبْيَاتٌ يَسِيرَةٌ مِنْ شِعْرِهِ تُدَلُّ عَلَى بَرَاعَةٍ وَعَلَيْهَا طَلَاوَةٌ، وَكَانَ يَرْتَجِلُ أَيْضًا. وَفَنُونُهُ الْمَذْحُ وَالرِّثَاءُ وَالْهَجَاءُ (وَهَجَاؤُهُ خَبِيثٌ) وَالْفَزْلُ وَالْوَصْفُ.

(١) ودع يدع: ترك. صرع: ألقى (خصمه) أرضاً، قتل. صدع: شقّ، كسر.

(٢) الشقيّ: ابن مردنیش. مشاهير: أبطاله وخاصة أنصاره.

(٣) أعجاز النخل: أصولها (جذوعها). خاوية: فارغة؛ نخرة. «كأنهم أعجاز نخل خاوية» (٧: ٦٩)، سورة الحاقة).

(٤) هنالك قصّة واحدة (راجع نفح الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠) تروى مرّة عن أبي عامر محمد بن الحمار ومرّة عن أبي الحسين عليّ بن الحمار.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي عامرٍ محمد بن الحِجَارَةِ هذا البيتُ الذي أَقْتَنَصَ فيه صُورَةَ الحُلُمِ (المنام) الذي يَنْفِرُ عن النَّامِ (المغرب (٢: ١٢٠):

إِذَا ظَنُّ وَكَرَأٌ مُقْلَتِي طَائِرُ الْكَرَى رَأَى هُدْبَهَا فَارْتَاَعَ خَوْفَ الْحَبَائِلِ^(١).

- وله في رثاء زَوْجَتِهِ (المغرب ٢: ١٢٠):

وَلَمَّا أَنْ حَلَلْتَ التُّرْبَ قُلْنَا: لَقَدْ ضَلَّتْ مَوَاقِمَهَا النُّجُومُ.

أَلَا يَا زَهْرَةَ ذَبَلْتَ سَرِيعاً، أَضَنَّ الْمُزْنَ أَمْ رَكَدَ النَّسِيمُ^(٢)؟

- ولما بنى أبو العباس بن القاسم بن العشرة قصره في مدينة سلا^(٣)، وصَفَ الشعراء ذلك القصر. واتفق أن كان أبو عامر بن الحِجَارَةِ حينئِذٍ في سلا - ولم يكن قد أعدَّ شيئاً من الشعر لتلك المناسبة - ففكَّر قليلاً وقال (نفح الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠):

يَا وَاحِدَ النَّاسِ، قَدْ شَيْدَتْ وَاحِدَةً فَحُلَّ فِيهَا مَحَلُّ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ^(٤).

فَمَا كِدَارِكَ فِي الدُّنْيَا لِذِي أَمَلٍ، وَلَا كِدَارِكَ فِي الْآخِرَى لِذِي عَمَلٍ^(٥).

- وقال في مُدَارَاةِ الْأَصْدِقَاءِ (نفح الطيب ٣: ٥٩٧):

وَلِي صَاحِبٌ أَحْنُو عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيُوجِعُنِي حِيناً فَلَا أَتَوَجَّعُ.

(١) شَبَّهَ الحُلُمَ (بضم فسكون) بطائر ثم قال: إِنَّ ذَلِكَ الطَّائِرَ قَدْ ظَنَّ أَنَّ مُقْلَتِي (عيني) وكر يمكن أن يُلْجَأَ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَبْصَرَ أَهْدَابَ عَيْنِي (الشعر في جفنيها) فارتاع (خاف) إِذْ ظَنَّ أَهْدَابِي حِبَالَةَ (بكسر الحاء: مصيدة، شركا) لكثرة ما كان قد رأى الطيور في الحبال.

(٢) يَشَبُّهُ زَوْجَتُهُ الَّتِي مَاتَتْ بِزَهْرَةٍ ذَبَلَتْ (جفت وذوت) لانتقطاع المزن (المطر) أو لركود (هدوء) الهواء (إِذْ حُلَّ مَحَلُّ النَّسِيمِ الْمُنْعَشِ رِيحَ حَارَّةٍ تَقْتُلُ النَّبَاتَ).

(٣) سلا: مدينة قرب الرباط (في المغرب).

(٤) وَاحِدَ النَّاسِ (أعظم الناس، لا مثيل له). وَاحِدَةً (داراً هي أعظم الدور). حُلَّ فِيهَا (انزل فيها، اسكنها) كَمَا تَنْزِلُ الشَّمْسُ فِي بَرَجِ الْحَمَلِ (إيذاناً بحلول فصل الربيع).

(٥) دَارَكَ هَذِهِ أَجَلَ مِنْ جَمِيعِ الدُّوَرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَفْضَلَ مِنْ مَنَازِلِ غَيْرِكَ فِي الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

أَقِمْ مَكَانِي مَا جَفَانِي، وَرُبَّمَا يُسَائِلُنِي الرَّجُوعِي فَلَا أَتَمَنَّعُ^(١).
كَأَنِّي فِي كَفْنِهِ غَضْنُ أَرَاكِسَةٍ تَمِيلُ عَلَى حُكْمِ النِّسِيمِ وَتَرْجِعُ^(٢).

- لأبي عامر بن الجِعَارَةِ مَقَاطِعُ حَسَانٌ مِنْهَا:

★★ اللَّهُ يَوْمٌ كَانَ فِيهِ مُنَادِي وَجْهَ الْحَبِيبِ وَزَهْرَةَ الْبِسْتَانِ،
صَرَعَتْنِي اللَّذَاتُ فِيهِ مَضْرَعاً مَا شِئْتَ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ^(٣).
يَا صَاحِبِي، تَمَتَّعَا مِنْ سَاعَةٍ شُغِلَ الزَّمَانُ بِهَا عَنِ الْحَدَثَانِ^(٤).
★★ لَوْ كُنْتُ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ فِي الْحُلُمِ لَمَّا قَرَعْتُ عَلَيْكَ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٥).
يَحْمِي وَصَالِكَ أَعْدَاءُ لَهُمْ رَصَدٌ وَيَصْرِفُ الطَّيْفَ أَنِّي بَتُّ لَمْ أَنَمْ^(٦).
يَا مَرَسلاً سَهَمَ عَيْنِيهِ لِيَقْتُلَنِي، مِنْ ذَا أَبَاحَ لَذَاكَ اللَّحْظِ سَفْكَ دَمِي؟
★★ أَتَانَا فَتَيْتُ الْمِسْكِ يَغْبِقُ عَرْفُهُ وَيُثْنِي عَلَى ذَاكَ النَّدَى وَالتَّكْرُمِ^(٧)؛
فَأَشْعَرَنِي رِيّاً حَبِيبَ أُعْيَرِهِ، عَلَى رِقْبَةٍ، لَحْظَ الْمَشُوقِ الْمُتَيَّمِ^(٨).
فَوَاللَّهِ، لَوْلَا أَنْ تَقُولَ لِي الْمُنَى: رُوَيْدَكَ، لَا تُقَدِّمُ عَلَى غَيْرِ مُقَدَّمٍ^(٩)،
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّنِي أَشُمُّ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْفَمِ !

- (١) إذا جفاني (صديقي): ابتعد عني (كره لقائي) أقمت مكاني (لا أزوره). وإذا سألتني أن أعود إلى صداقته فلا أرفض.
- (٢) الأراكسة: شجرة (لينة الأغصان؟).
- (٣) صرع الرجل خصمه: ألقاه أرضاً (على الأرض، قتله). الروح: الراحة، النسيم المنعش. الريحان: نبات ذو رائحة طيبة. - انغمست (ذلك اليوم) في اللذات حتى فقدت وعيي.
- (٤) ... نسي فيها الزمان أن يحني إلينا بمصائب.
- (٥) قرع السنّ ندماً (ندم ندماً كثيراً).
- (٦) رصد: مراقبة. الطيف: الخيال (الطارق في النوم). بتّ (قضيت الليل). أنا لا أرى خيالك في النوم (لأني سهران في حبك ولا أنام).
- (٧) فتيت المسك (إذا فت المسك: طحن) يزيد انتشار الرائحة منه. عبق (بفتح فكس): ضاع (مضارعه: يضوع): فاح، انتشر. العرف: الرائحة الطيبة. الندى: الكرم.
- (٨) الريّا: الرائحة الطيبة. رقبة (مراقبة وحذر). المتيمّ: الذي ذلّله الحبّ. إنّ الرائحة الطيبة دلّتني على وجود حبيبي فجعلت أعيره لحظي (أنظر إليه بحذر).
- (٩) المنى جمع أمنية. رويدك: مهلاً. مقدم (أمر يقدم الناس عادة عليه).

- وقال أبو عامر بن الحمارَة يَرثِي أُسْتَاذَه ابنَ بَاجَه (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢):

يا صاحبَ القبرِ القريبِ - ودُونَه هَمَّ تَبَيَّتْ لَهُ الكواكِبُ تَسَهَّرُ -
قَمَّ، إِن أَطَقْتَ، وهاتِ عَن صُورِ الرَّدَى خَبْرًا، فَقَدْ عَايَنْتَ كَيْفَ تُصَوِّرُ^(١).
أَخْبِرْ عَنِ المَلَكُوتِ كَيْفَ رَأَيْتَه: إِنَّ الْغَرِيبَ عَنِ الْغَرَائِبِ يُخْبِرُ.

★★-٤ بغية الملتبس ٥١٧ (رقم ١٥٥١؛ ١٠٥٥)؛ المطرب (الخرطوم) ١٠٧ - ١٠٨؛
الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢ (الأسطر ١١ - ١٤)؛ المغرب ٢: ١٢٠؛ نفع الطيب ١:
٢٠٥، ٣، ٥٩٧؛ ٤، ١٣، ١٤٠.

الأصم المرواني

١- هو الشريف الأصم المرواني القرطبي^(٢)، كان من نسل الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) من جهة أمه^(٣)، وكان في مَطْلَعِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ في أيامِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ابنِ عَلِيٍّ. وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِالتَّخْمِينِ بَيْنَ ٥٧٠ وَ ٥٧٥ هـ (١١٧٥ - ١١٨٠ م).

٢- الأصم المرواني شاعرٌ جَزَلُ الألفاظِ مَتِينُ الأسلوبِ مَشْرِقِي الدِّياجَةِ بَرَعَ في المَدِيحِ والوَصْفِ. وَقَدْ اشتهر بِقَصِيدَتِهِ البائِئَةِ الَّتِي قالها، في أواخرِ سَنَةِ ٥٥٥ للهجرة (أَوَّلَ ١١٦٠ م) في مَدِيحِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بنِ عَلِيٍّ (راجع المختارات) يَعارِضُ فيها قَصِيدَةَ أَبِي تَمَّامٍ: «السيفُ أَصْدَقُ إِنْباءٍ مِنَ الكُتُبِ».

٣- مختارات من شعره:

- لَمَّا جازَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بنِ عَلِيٍّ، أَوَّلُ خُلَفَاءِ الْمُوحِدِينَ، بَحَرَ الرُّفَاقِ (مَضِيقَ جَبَلِ

-
- (١) قم (انهض من قبرك). أطاق: قدر، استطاع. كيف تصوّر (كيف تكون صور الأمور في الآخرة).
(٢) بعد سقوط الدولة المروانية (الأموية) في الأندلس (٤٢٨ هـ) تمّ مجيء المرابطين (٤٨٤ هـ = ١٠٩١) ثمّ الموحّدين، تفرّق الأمويّون في البلاد واستخفوا (بفتح الفاء) واستغنى أكثرهم عن التمدّح بأسمائهم الشخصية. ولكن ظلّوا يعرفون باسم الشرفاء. من هؤلاء كان الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) والأصم المرواني صاحب هذه الترجمة والشريف الغرناطي (٦٩٧ - ٧٦١ هـ).
(٣) المعجب ١٥٣ (٢١٥ - ٢١٦).

طارق) مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَاثَارَهُ الشُّعْرَاءُ فَالْقَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَصَائِدَ. فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أُلْقِيَ الْأَصَمُّ الْمُرَوِّاتِيُّ قَصِيدَتَهُ الْبَائِيَّةَ. وَمِمَّا جَاءَ فِيهَا:

مَا لِلْعِدَا جُبَّةٌ أَوْقَى مِنَ الْهَرَبِ. كَيْفَ الْمَفَرُّ، وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ^(١).
وَأَيْنَ يَذْهَبُ مَنْ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِذَا رَمَتْهُ سَمَاءُ اللَّهِ بِالشُّهْبِ^(٢).
حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ فِي أَقْطَارِ أَنْدَلُسٍ وَابْحَرُ قَدَمَلَاءَ الْعَبْرَيْنِ بِالْعَرَبِ^(٣).
وَطَوَّدُ طَارِقٍ قَدْ حَلَّ الْإِمَامُ بِهِ كَالطُّورِ كَانَ لِمُوسَى أَيْمَنَ الرُّتَبِ^(٤).
لَوْ يَعْرِفُ الطَّوْدُ مَا غَشَّاهُ مِنْ كَرَمٍ لَمْ يَنْسُطِرِ الْغَوْرُ فِيهِ الْكَفَّ لِلْسُّحْبِ.
مِنْهُ يُعَاوَدُ هَذَا الْفَتْحُ ثَانِيَةً أَضْعَافٌ مَا حَدَّثُوا فِي سَالِفِ الْحَقَبِ^(٥).
وَيَلْبَسُ الدِّينُ غَضًّا ثَوْبَ عِزَّتِهِ كَأَنَّ أَيَّامَ بَدْرِ عَنْهُ لَمْ تَعْبِ^(٦).
تَدْبِيرُ مَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ وَاخْتَلَطَتْ آرَاؤُهُ فِي الْوَعَى بِالسُّمْرِ وَالْقُضْبِ^(٧).
إِنْ أَبَ مِنْ غَزْوَةٍ أَفْنَتْ أَعَادِيَهُ كَانَ الْإِيَابُ لِأُخْرَى أَعْظَمَ النَّسَبِ^(٨).

- (١) الْجَنَّةُ (بِضْمِ الْجِيمِ): الْوَقَايَةُ (مَا يَجِبُ الْإِنْسَانُ عَنِ الْخَطَرِ).
(٢) فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ (جَبَلٍ عَالٍ): مَكْشُوفٌ مَعْرَضٌ لِلْأَخْطَارِ. الشَّهْبُ جَمْعُ شَهَابٍ: حَجَرٌ يَفْلَتُ مِنْ مَدَارِهِ حَوْلَ كَوْكَبٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ فَيَدْخُلُ جَوْ الْأَرْضِ وَيَشْتَعِلُ وَهُوَ سَاقِطٌ (إِذَا كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ إِهْلَاكَهُمْ).
(٣) الرُّومُ كَانَتْ تُطَلَّقُ عَلَى جَمِيعِ النَّصَارَى فِي الْأَنْدَلُسِ سِوَاءِ أَكُنَانَا رُومًا أَوْ قُوطًا. حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ كَانَتْ الْجَيْشُوسُ الَّتِي تَجَمَّعَتْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرُّومِ لِهَارِبَةِ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةً، وَكَذَلِكَ كَانَ جَيْشُوسُ الْعَرَبِ كَثِيرَةً جَدًّا تَمَلُّ الْعَبْرَيْنِ (الْجَانِبَ الْإِفْرِيقِيَّ وَالْجَانِبَ الْأَنْدَلُسِيَّ).
(٤) طَوْدُ طَارِقٍ: جَبَلُ طَارِقٍ (الطَّرْفُ الْجَنُوبِيُّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ). الْإِمَامُ: عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ. الطُّورُ: الْجَبَلُ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْهِ مُوسَى. أَيْنَ: أَكْثَرُ مِمَّا (بِضْمِ الْيَاءِ: بَرَكَةٌ). إِنَّ جَبَلَ الطُّورِ كَانَ أُبْرَكَ الْمَوَاقِفِ فِي حَيَاةِ مُوسَى. وَنَزُولُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي جَبَلِ طَارِقٍ (لِلدَّفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ) كَانَ بَرْتَبَةً وَقُوفَ مُوسَى عَلَى جَبَلِ الطُّورِ.
(٥) سَالِفٌ: مَاضِي. الْحَقْبَةُ (بِكْسَرِ الْهَاءِ): الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ. - مِنْ جَبَلِ طَارِقٍ نَبِعَادَ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا كَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ قَدْ فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْمَكَانِ.
(٦) الْفَضُّ: الطَّرِي، الْجَدِيدُ. بَدَرَ أَوَّلَ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ (سَنَةِ ٢ هـ = ٦٢٤ م).
(٧) قَارَعَ الْأَيَّامَ: قَاوَمَهَا (اخْتَبَرَهَا) الْوَعَى: الْحَرْبُ. السَّمَرُ جَمْعُ أَسْمَرٍ: الرَّمَحُ. الْقُضْبُ جَمْعُ قُضْبٍ: السِّيفُ. - اخْتَلَطَتْ آرَاؤُهُ الْخ: آرَاؤُهُ فِي خَوْضِ الْحُرُوبِ مَهْمَةً وَفَعَالَةً مِثْلَ السِّيفِ وَالرَّمَحِ.
(٨) أَبَ: رَجَعَ. - إِذَا انْتَصَرَ فِي غَزْوَةٍ انْتَصَارًا عَظِيمًا (كَادَ يَفْنِي أَعَادِيَهُ) كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا مَهْمًا لِيَعُودَ إِلَى خَوْضِ غَزْوَةٍ ثَانِيَةٍ.

مَلَكٌ إِذَا مَا دَعَتْهُ الْحَرْبُ مِنْ بُعْدٍ
 مَا بَيْنَ مُخْضَرَّةِ الْأَقْطَارِ نَازِحَةٍ
 حَتَّى أَنْاخَ بِأَمِّ الشَّرِكِ مُرْضِعَةً
 مَنِيعَةً مِنْ ذُرَى سَوْرٍ تَكْنَفُهَا
 تَغْلَغَلْتُ فِي خِنَاقِ الْجَوْ صَاعِدَةً
 وَحِينَ غَادَرَهَا طَوْلُ الْحِصَارِ لَهَا
 أُلْقَتْ إِلَيْكَ بِأَيْدِي الدَّلِّ طَائِعَةً
 سَارَ الْعُلُوجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ مِثْنٌ
 مَدَّوْا الْأَكْفَ لِلْمَسِّ الشَّمْسِ مِنْ فَرَجٍ ،
 إِنَّ الْجَزِيرَةَ مِنْ طَوْلِ انْتِظَارِكُمْ

طَارَ السَّفِينُ أَمَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجْبِ (١) ،
 وَأَخْضَرَ فِي غَيَارِ الرِّيحِ مُضْطَرِبِ (٢) .
 أَوْلَادَهَا حَلَبًا جَمًّا عَلَى حَلَبِ (٣) ،
 وَزَاخِرٍ مُزِيدِ الْأَمْوَاجِ مِنْ غَضَبِ (٤) .
 حَتَّى حَسِينَا مَدَارَ النِّجْمِ فِي صَبَبِ (٥) .
 كَأَنَّهَا مَرْكَبٌ أَشْفَى عَلَى الْعَطَبِ (٦) .
 وَمَكْنَتُكَ مِنَ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ .
 مِنْ عَفْوٍ مُقْتَدِرٍ لِلْفَزْوِ مُنْتَدِبِ (٧) .
 وَشَمَّرُوا لِوُثُوبِ الْبَحْرِ مِنْ طَرَبِ (٨) .
 لَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ لَحْظٌ مُرْتَقِبِ (٩) .

- (١) من بعد: من مكان بعيد (مها يكن مكان المعركة بعيداً). السفين: جمع سفينة. الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: الكثير الأصوات (لكثرة ما فيه من الجنود ومن السلاح). طار السفين.... سبقت سفن البحر جيوش البر (شوقاً إلى الجهاد).
- (٢) مخضرة (كتيبة، قسم من جيش): مسودة (لكثرة ما فيها من السلاح). نازحة: ما بين أطرافها (واسعة، كبيرة). أخضر (أسطول): أسود (لكثرة سفنه - وتكون السفن عادة مطلية بالقار الأسود). غار: وسط. مضطرب: كثير الحركة (شوقاً إلى الجهاد).
- (٣) أم الشرك: عاصمة الإسبان التي هاجمها عبد المؤمن آنذاك. مرضعة أولادها: ربيبة أهلها ومهيئة لهم (لخوض الحرب). الحلب: الحليب (اللبن). جمًّا: كثيراً - المقصود: أعدتهم إعداداً جيداً وأغياً. حلباً: جمًّا على حلب: مرة بعد مرة.
- (٤) ذرى سور تكنفها: سور عالي يحيط بها. زاخر: (بحر) مملوء بالماء. مزيد الأمواج: شديد الهياج (تأثير يجعل الوصول إلى المدينة صعباً).
- (٥) صبيب: اغتدار. هذه المدينة عالية حتى ليخيل إلى الناظر أن النجوم أدنى (أقرب إلى الأرض) منها.
- (٦) أشفى: قرب. المطب: الهلاك.
- (٧) الملحج: القوي، الشديد (هنا: غير المرئي). في أعناقهم متن (جمع متة: فضل) لأنك عفوت عنهم. منتدب: انتدبه الله للجهاد.
- (٨) فرحوا كثيراً (لما عفوت عنهم) حتى أصبحوا لحقتهم ونشاطهم كأنهم يستطيعون الوصول إلى الشمس أو الوثوب من فوق البحر.
- (٩) الجزيرة: الأندلس. لها بكل طريق... كانت تنتظر مجيئك من كل مكان.

يا وافداً عَلِقْتَ مِنْ يُمَيْنِ مَقْدَمِهِ
 ما بَيْنَ رَاحَتِهِ الطُّولَى وَخَاطِرِهِ
 أَلْقَتْ عِصِيَّ النَّوَى أَشْيَاخُ قُرْطَبَةِ
 أَتَتَكَ تَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعَمٍ ،
 تَزْدَادُ نُوراً إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ بِهَا
 وَالصَّبْرُ فِي كُلِّ خَطْبٍ طَعْمُهُ صَبْرٌ ،
 أَيْدِي الْأَمَانِي بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ ^(١)
 يَفِيضُ بِحَرِّ النَّدى بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ^(٢) ؛
 فِي مَنْبِتِ الْعِزِّ وَالْحَاجَاتِ وَالطَّلَبِ ^(٣)
 وَإِنَّا أَرْجُ النَّوَارِ لِلسُّحْبِ ^(٤)
 كَأَنَّهَا سُرُجٌ فِي حَالِكِ النُّوبِ ^(٥) .
 لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ ^(٦) !

٤-★★ زاد المسافر ١٢٦-١٢٧؛ المعجب ٢١٥-٢١٧؛ نفح الطيب ١: ٤٧٥، ٣:
 ٥٩٢-٥٩٣؛ المنّ بالإمامة ١٥٩-١٦٤ (وفي تعليف محقق «المنّ بالإمامة» عبد
 الهادي التازي- ص ١٥٩ - ما يوهم أن الأصمّ الرواني هو الطليق الرواني، مع
 أن هذا حفيد ذاك).

ابن حبّوس

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله بن حبّوس، أصله من فاس، وُلِدَ
 سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) أو قبيل ذلك في إشبيلية وفيها نشأ.

-
- (١) الوافد: القادم (عبد المؤمن بن عليّ). اليمن: البركة. منقضب: منقطع. علقت أيدي الأمانى بجبل...
 وثقت واطمأنت.
 (٢) الطولى (بالضمّ): مؤنث الأطول (من الطول بالضمّ بمعنى القياس والطول بالفتح بمعنى الفضل
 والنعمة). الندى: الكرم.
 (٢) الأشياخ: كبار القوم وأعيانهم. العصي جمع عصا. ألقى عصا النوى: استقرت واطمأنت ثقة بك (من
 قول الشاعر: فألقى عصاها واستقرّ بها النوى).
 (٤) أرج (رائحة طيبة) النّوار (الأزهار) للسحب (من فضل الغيم الذي يسقط فيسقي الأرض فتنبت
 الأرض نباتها وأزهارها).
 (٥) السرج جمع سراج: المصباح، القنديل. الحالِك: المظلم. النوب جمع نوبة (بفتح النون): النازلة
 (المصيبة).
 (٦) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (المصيبة). صبر (بفتح فس): ذو الطعم المرّ. الضرب
 (بفتح ففتح): العسل.

قرأ ابنُ حبّوس القرآنَ الكريمَ على ابنِ عَيْشونِ المُقرئ (ت ٥٣١ هـ) وعلى القاضي أبي الحسنِ شريحِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ شريحِ (ت ٥٥٧ هـ) ودرس النحوَ على ابنِ الرّمّاكِ (ت ٥٤١ هـ) وقرأ الأدبَ على الأديبِ البليغِ أبي مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ الغفورِ (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدّرَ للإقراء في إشبيلية.

وتكسّب ابنُ حبّوسٍ بالشعرِ فمدَحَ الأمراءَ وكثُرَ اتّصالُه بسلطانِ الموحّدين عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ). وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م)، في الأغلب.

٢ - عُرِفَ ابنُ حبّوسٍ بأنّه شاعرُ الدولةِ المَهديّةِ (نسبةً إلى المَهديّ بن تومرت مؤسس دولة الموحّدين). وهو شاعرٌ كبيرٌ بلا ريبٍ واسعُ القول فخمُ الكلامِ متينُ الأسلوبِ غزيرُ المعاني بارِعٌ في الصناعة متنوّعُ الأغراض. ولكنّه متطرّفٌ في عددٍ من آرائه حتّى لتظنُّ حيناً أنّه فاطميّ. قال في مديحِ رجالِ دولة الموحّدين:

بَلَّغَ الزَّمانُ بِهَدْيِكُمْ ما أَمَلّا،	وتعلّمتُ أَيامُه أن تُعَدِّلا ^(١) .
فَلَأَنْتُمْ الحقُّ الَّذي لا يُمْتَرى	فيه، وليس بجائزٍ أن يُجْهَلّا ^(٢) .
وَلَأَنْتُمْ سِرُّ الإِلَهِ، وأمرُكم	ملأُ العوالمَ مُجَمَّلّا ومُفَصَّلّا.
عُزِلَتْ وُلاةُ الحِسِّ عن إدراكه،	فهو المُنزّه حَسْبُه أن يُعْقَلّا ^(٣) .

٣ - مختارات من شعره:

- حاصرَ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ مدينةَ بَجايةَ فلجأ الناسُ إلى قَصْرِ صاحبها يحيى ابنِ العزيزِ بنِ حَمّادٍ يستنجدون به ويسألونه أن يخوضَ بِهِمُ المَعركةَ. ولكنّه تَسَلَّلَ إلى زَوْرَقٍ كان قد أعدّه وَهَرَبَ. فأنشدَ ابنُ حبّوسٍ في تلك الساعة، بين يَدَيِ عبدِ المؤمنِ ابنِ عليٍّ، قصيدةً - قيل ارتجالاً - منها:

- (١) الهدي (بفتح فسكون) كالهدى (بضمّ ففتح).
- (٢) لا يَمْتَرى فيه: لا يثبُتُ أحدٌ فيه.
- (٣) إِنَّ سِرَّ الإِلَهِ الَّذي هو فيكم (راجع البيت السابق) لا يدرك بالحسّ. هو منزّه (أعلى، أسمى) من اختبار الشرّ، ويكفي البشر أن يدركوه بمقولهم.

مَنْ الْقَوْمُ فِي الْغَرْبِ تُصْنِي إِلَى حَدِيثِهِمْ أَذُنُ الْمَشْرِقِ!
جَرَوْا وَالْمَنِيَا إِلَى غَايَةِ فَلَمْ يَسْبِقُوهَا وَلَمْ تَسْبِقْ،
بَأْيَدِيهِمُ النَّارُ مَشْبُوبَةٌ؛ فَمَهْمَا تُصِيبُ بَاطِلًا تُحْرِقُ.
يَقُودُهُمْ مَلِكُكَ أَرْوَعُ تَفَرَّدَ بِالسُّودِّ الْمَطْلَسِي^(١)،
تَخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ فَمَا زَالَ مُنْهَدِرًا يَرْتَقِي^(٢).
إِلَى النَّاصِرِيَةِ سِرْنَا مَعًا، وَلَمَّا تَقَتْنَا وَلَمْ تُلْحَقْ^(٣)؛
إِلَى بَرْزَةِ فِي ذُرَى أَرْعَنَ تَجَلَّ عَنْ السَّوْرِ وَالْخَنْدَقِ^(٤).
فَلَاذُوا بِقَصْرِ لَمَوْلَاهُمْ وَمَوْلَاهُمْ لَازِدًا بِالزَّوَرَقِ^(٥).
وَفَارَقَهُ أَحْمَرًا أَيْضًا وَلَجَّجَ فِي أَخْضَرِ أَرْزَقِ^(٦)،
وَأَوْرَثَهُ خَوْفُكُمْ خِفَّةً، فَلَوْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَفْرَقْ.

- وِلايْنِ حَبَّوسِ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَطِيَّةٍ مِنْهَا:

أَلَا زَارَ مِنْ أُمَّ الْخُشَيْفِ خَيَالُهَا وَمِنْ دُونِهَا الْبَيْدَاءُ يَخْفِقُ آلُهَا^(٧).
لَقَدْ أَوْقَدَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي جَمْرَةً بَدَا فِي سَوَادِ الْعَارِضِينَ اشْتِعَالُهَا^(٨).
تَكَلَّمْتُ اللَّيَالِي: عِنْدَ غَيْرِي سِلْمُهَا وَرَوَقَةُ دُنْيَاهَا، وَعِنْدِي قِتَالُهَا؛

- (١) أروع: شجاع. السُّود (بضم السين وفتح الدال الأولى أو صمها): الجد.
- (٢) - ما زال ينحدر منذ أيام آدم في أصلاب آيائه ولكنه يكتب رفعة كلما اقترب مولده.
- (٣) الناصرية: بجاية. لم تقتنا: لم نتج منا. لم تلحق: لم تصل إليها نجدة قبل استيلائنا عليها.
- (٤) البرزة: البارزة، المرأة الشريفة الواتقة من نفسها تبرز للرجال، قلعة حصينة بعيدة المنال. أرعن: (هنا) له فضول (أي: جبل تحيط به مرتفعات ومنخفضات تجعل الوصول إليه صعباً). تجلَّ (تكبر، لا تحتاج) عن السور والخندق (لأنها حصينة بطبيعتها).
- (٥) لآذ: التجأ.
- (٦) فارقه (فارق القصر) أحمر (من الغضب أو الخجل) أبيض (من الخوف لذهاب لونه من وجهه). لجج: خاض في لجة (معظم الماء) البحر (على غير هدى). أخضر (أسود). الأخضر الأزرق: البحر البعيد عن الشاطئ العميق القعر.
- (٧) الخشيف تصغير الخشف (بسكون الشين، وفتح الخاء أو كسرهما أو ضمها) ولد الطيبة ساعة يولد. يخفق (يضطرب) آلهة (سراها) لشدة الحر عند انتصاف النهار.
- (٨) العارضان: جانباً الوجه. بدا في سواد العارضين اشتعالها: بدا الشيب في شعري من جانبي الوجه.

أَتَحْسُدُنِي فِي أَنْ أَعِيشَ، كَأَنَّا
أَمَّا تَتَّقِي أَنْ يَشْرَيْبَ لِنُصْرَقِي
وَزِيرَ الْعُلَا، عِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ فَضْلَةٌ:
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى مُدَّةَ الدَّهْرِ أَنْ أُرَى
إِذَا فَسَدَتْ حَالِي سَتَصْلُحُ حَالُهَا.
قَوِيَّ إِذَا رَامَ السَّمَاءَ يَنَالُهَا^(١).
رَوَيْتُهَا فِي مَدْحِكُمْ وَارْتَجَالُهَا^(٢).
تَمِيدُ بِي الدُّنْيَا وَأَنْتُمْ جِبَالُهَا!

- وله قصيدة يشكو فيها الناس ويُبدي رأياً سيئاً في مُعَامَلَتِهِمْ، منها:

وَعَامِلٌ بِالْخَدِيعَةِ مِنْ
وَهْزٍ لِمَعْشَرٍ سَيْنَفَاً.
وَسَوْ ظَنَّنَا بِكُلِّ أَخٍ
وَلَا تَحْرِصُ، فَرُبَّ فَتَى
وَجِرْصُ الطَّائِرِ الْوَاقِدِ
وَقَدْ ذَهَبَ الْوَفَاءُ، فَلَا
وَمِنْ شَهِدَ الْخُطُوبَ وَعَا
لَقَيْتَ وَبَادِرَ الْفُرْصَا.
وَهْزٌ لآخرينَ عَصَا.
يُقَاسِمُكَ الثَّنَا حُصَا^(٣).
مُضَاعٌ عِنْدَمَا حَرَصَا
حِصْرَ صَيْرَ جَوْهَ قَفْصَا^(٤).
يَقُولُ مُغَالِطٌ: نَقْصَا!
شِثْ مِثْلِي يَشْرَحُ الْقَصَا.

٤-★★ الحمدون من الشعراء ٢٦٣ - ٢٦٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٦ - ١٧؛ التكملة (رقم ١٠٥٥)؛ زاد المسافر ٤٣ - ٤٨؛ المطرب ١٩٩ - ٢٠٢؛ المعجب ١٥١ - ١٥٣؛ النبوغ المغربي ١٦٧ وما بعد، ٦٨٠، ٨٥٢ - ٨٥٤، ٩٠٨ - ٩٠٩؛ الأدب المغربي ١٦٩ - ١٧٣؛ تاريخ الجزائر العام ١: ٣٦٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٣ (١٠١).

أحمد بن مالك السرقسطي

١- هو أبو بكر أحمد بن الوزير أبي الوليد محمد بن مالك الأنصاري أصله من سرقسطة، انتقل أبوه منها وسكن بلنسية. ويبدو أنه هو أيضاً قد تولى الكتابة

- (١) تتقي: تخاف. اشرب: تطاول، نهض.
(٢) ... - وقفت جميع شعري (الذي أقوله ارتجالاً والذي أقوله بعد روية وتفكير) على مدحكم وحدكم.
(٣) يقاسمك الثنا حصصاً: يثني عليك كلما أثبتت أنت عليه (يعاملك معاملة حسابة).
(٤) - طمع الطائر في أن يلتقط كل حبة (حتى تلك القريبة من الفخ) هو الذي يوقعه في يد الصائد.

والوزارة. وقيل إنه ذهب إلى مراكش. وقد كانت له رحلة إلى مصر واشتهر هناك. وكانت وفاته سنة ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦ م).

٢ - كان أحمد بن مالك السرقسطي أديباً شاعراً مقصداً وشاحاً. وكانت له مشاركة في الفلسفة.

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة لأحمد بن مالك السرقسطي فيها مدح وغزل وخمر:
حُثَّ كَأْسَ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ وَأَدْرَهَا كَالْأَنْجَمِ الزُّهْرُ^(١).

★ ★ ★

أَنْسِمُ يَفُوحُ أَمَ عِطْرُ
وَعُصُونُ أَمَالِهَـا الْقَطَرُ
تَنْثَنِي وَمَا بِهَا سُكْرُ
وَطَيُورٌ نَطَقَنَ بِالسَّيْرِ حِينَ هَبَّ النِّسْمُ فِي السَّحْرِ^(٢)

★ ★ ★

اطْرِدِ الهمَّ بِابْنَةِ الْعَنَبِ،
وَامزُجِ الرَّاحَ مِنْ لَمَى شَنِبِ.
إِنَّا طَيْبُ عَيْشٍ ذِي أَدَبٍ
قَطَعُ أَيَّامَ دَهْرِ الْغُرِّ بِسُلَافٍ وَشَادِنٍ غِرٍّ^(٣).

★ ★ ★

-
- (١) الطلا: الخمر. الأنجم الزهر (البيضاء، اللامعة).
(٢) القطر: المطر (٤). السحر (يفتح ففتح أو بفتح وسكون أو بضم فكون): آخر الليل قبيل مجيء الصباح.
(٣) اللعى: سمر الشفاء. الشنب (الريق) البارد. الغر (بالضم جمع أغر وغراء): البيض. السلاف: الخمر. الشادن: الغزال الصغير. الغر (بالكسر): الذي لا اختبار له (محبوب لطيف طيب القلب).

بِمَعَالِي أَيِّ عَلِيٍّ أَهَمِّ
 رَقٌّ طَبْعاً كَالْمَاءِ أَوْ كَالنَّسِيمِ
 ذِي جَبِينٍ طَلَقَ وَوَجْهِهِ وَسِيمِ
 وَيَمِينٍ تَنَهَّلَ بِالتَّبِيرِ وَسَيْوفِ هَامٍ الْعِدَا تَبْرِي^(١).

★ ★ ★

ذُو جَلَالٍ سَامٍ وَعِزٍّ أَثِيرِ
 طَالِبٍ حَافِظٍ ذَكِيٍّ وَزِيرِ
 زَادَ مِنَّا قُرْباً بِقُرْبِ الْأَمِيرِ
 وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاءِ وَالنَّسْرِ إِنَّ دَجَا لَيْلُنَا بِهِ نَسْرِي^(٢)

★ ★ ★

صِلْ ثَنَاءً عَلَى ابْنِ أَبِي زَيْدِ
 بَطْلٍ فِي الْحُرُوبِ ذُو كَيْدِ
 وَعَلَى الْمَارِقِينَ ذُو أَيْدِ
 لَمْ يَهْمُ بِالْحِصَانِ وَالسُّمْرِ إِنَّهَا هَامٌ بِالْقَنَا السُّمْرِ^(٣)

★ ★ ★

رُبَّ هَيْفَاءٍ شَفَّهَا بُغْدَا
 عَفَّ عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ بُدَا

-
- (١) طلق: بشوش. وسيم: جميل. التبير: الذهب (المطايا). تنهل (تطهر) بالتبير: كريم؛ كثيرة المطايا. هام: رؤوس. برى: قص، قطع.
- (٢) أثير: مكين، ثابت. السامك والنسر: نجهان (كناية عن العلو والرفعة). دجا: أظلم. نسري: نسير ليلاً (إذا اضطربت الأمور اهتدينا به).
- (٣) المارق: الخارج على إرادة جماعته. الأيد: القوة. هام: اشتدَّ حبه. القنا (الرماح) السمر (جمع أسمر: رمح ذابل: دقيق قوي).

مِنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجْـدًا:

رَبِّ، قَوِّ فِي ذَا الْهَوَى صَبْرِي إِنَّ هَجَرَ الْحَبِيبِ كَالصَّبْرِ^(١)

٤ - ★★ التكملة ١: ٧٧ (رقم ٢٠٥). المغرب ٢: ٤٤٦؛ جيش التوشيح ٢١٣ - ٢٢٤ (راجع ٢٧٧)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٦.

ابن سعد الخير البلنسي

١ - هو الأستاذ أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاريُّ البلنسيُّ، قشتاليُّ الأصل، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ نحو سَنَةِ ٥١٠ (١١١٦ م) وَسَكَنَهَا. وتلقَّى ابنُ سعدِ الخيرِ العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن بن النعمة ولازمه وتأدَّب به، ومنهم أبو محمد بن السيِّد واختصَّ به. وكان منهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن خيرة وأبو الوليد بن الدِّبَاغ. وقد تصدَّرَ للتدريس في بلنسية طولَ عُمُرِهِ. وكانت وفاته في ربيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ٥٧١^(٢) (خريف ١١٧٥ م) في إشبيلية.

٢ - كان ابنُ سعدِ الخيرِ بارِعاً في علومِ اللسانِ (اللغة والنحو والأدب)، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً جيِّد الوصف. وكذلك كان مُصنِّفاً له رسائلٌ بدِيعَةٌ وكتبٌ منها: الحُلَلُ في شَرْحِ الجُمَلِ^(٣) (للزَّجَّاجي المتوفَّى ٣٣٧) والقرطُ المذيل على الكامل (للمبرِّد المتوفَّى سنة ٢٨٦) وله جذوة البيان وفريدة العُقَيان.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الأنصاريُّ البلنسيُّ يَصِفُ سَحَابَةً يَظْهَرُ الْبَرْقُ مِنْ خِلَالِهَا:

(١) الهيفاء: المشوكة القوام. شَفَّها: أخلَّها (من ألمَّ أو من المرض). الوجد: الحب. الشوق. الصبر (بفتح

فكسر): الطعم المرّ (والشاعر استعمل الكلمة بسكون الباء).

(٢) في فوات الوفيات (٢: ٤٩): سنة «إحدى وسبعين وستائة» (بالأحرف) - وهو خطأ.

(٣) شرح الأبيات التي في كتاب الجمل (في النحو) للزَّجَّاجي.

وسارية سَحَبَتْ ذَيْلَهَا وَهَزَّتْ عَلَى الْأَفْقِ أَعْطَافَهَا^(١)؛
تسلُّ البروقُ بأَرْجَائِهَا كَمَا سَلَّتِ الرِّزْنُجُ أَسْيَافَهَا^(٢).

- وقال يصف طلوعَ البدر في لَيْلَةٍ دَاكِنَةٍ^(٣):

بَدَا الْبَدْرُ فِي أَفْقِهِ لَا يَسَاءُ ثِيَاباً مِنَ الشَّفَقِ الْأَخْمَرِ.
فَشَبَّهَتْهُ - وَالْدُجَى حَائِلٌ عَرُوساً تُزْفُّ إِلَى أَسْمَرِ!

- وقال يصف ناعورةً يدورُ دولابُها:

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلِ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُيْنَعَتْ أَفْنَانَا^(٤).
قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ بِشَجْوِهَا فَيُجِيبُهَا وَيَرْجِعُ الْأَلْحَانَا^(٥).
فَكَأَنَّهُ دَنَفٌ يَدُورُ بِمَعْهَدِ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا^(٦).
ضَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ مِنْ دَمْعِهِ فَتَفَتَّحَتْ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا^(٧)!

★★-٤ زاد المسافر ١٤٥ - ١٤٧ (رقم ٥٥)؛ التكملة ٢: ٦٧١ (رقم ١٨٦٨)؛ تحفة القادم
٥١ - ٥٣؛ المغرب ٢: ٢١٣ - ٢١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ١٨٧ - ١٩١؛ فوات
الوفيات ٢: ٤٩ - ٥٠؛ صلة الصلة ٩١؛ نفح الطيب ٣: ٣٣٠؛ الأعلام للزركلي
٥٣: ٥ (٤: ٢٥١).

- (١) السارية: الغيمة الآتية في المساء. سحبت ذيلها (كناية عن قربها من الأرض: تكون ثقيلة كثيرة الماء).
- (٢) المعطف (بكسر العين): جانب الجسم (تتحرك كثيراً لاشتداد الريح).
- (٣) تظهر أقسام البرق من خلال فجواتها كأن تلك الأقسام من البرق سيوف. سلت الرزنج أسيافاً (شبه السحابة السوداء التي تسلُّ بروقها بالرزنج الذين يسلون أسيافهم).
- (٤) الداكن (المائل إلى السواد). الحائل (في البيت الثاني): متغير (الليل قليل السواد - لكثرة البرق).
- (٥) السلسل: (الماء) العذب الذي ينحدر في الحنجرة بسهولة. الأفنان: الأغصان. أُنِعت (الأغصان): نضج الثمر الذي عليها.
- (٦) طارحه: بادله، تداول الحديث معه. الشجو: الحزن. رجّع: أعاد (الصوت) وكرّره.
- (٧) الدنف: المريض المقبل على الموت (من الحب). المعهد: المكان الذي كان مسكوناً. بان: ابتعد، هجر (المكان).
- (٧) في دولاب الناعورة قواديس (علب صغيرة) ترفع الماء من النهر أو البئر ثم إذا علت ألقته في مجرى أو حوض (فكأن تلك القواديس عيون). ولكن أصابع الدولاب ترفع أيضاً ماء (فكأن الماء يخرج من ضلوع الدولاب).

الرصافي الرقاء البلنسي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرقاء الأندلسي الرصافي البلنسي، نسبة إلى رصافة بلنسية.

وُلِدَ الرصافي الرقاء الأندلسي في رصافة بلنسية، في سَنَةِ نَجْهَلِهَا. وخرجَ به أهله من الرصافة إلى مالقة - طلباً للرزق - وله من العُمُرِ نحوُ عَشْرِ سِنِينَ. وفي مالقة بدأ الرصافي يَتَلَقَّى شيئاً من فنونِ العِلْمِ والأدبِ لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلها. غير أن الذي نَعْرِفُهُ أَنَّ الرصافي عاش في مالقة عيشةً لهو ومَجَانةً، وأن مواهبهُ الشعريّة تفتحت باكراً.

في سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). جاء سُلْطَانُ الموحّدين عبدُ المؤمن بن عليٍّ إلى الأندلس ونَزَلَ بجبلِ الفَتْحِ (جبل طارق) ثم استدعى الشعراء فوفدوا عليه، وألقى الرصافي بين يديه قصيدة - فيها ثلاثة وستون بيتاً - صحيحة البناء تفيضُ بالروح الديني وتكثرُ فيها الإشاراتُ التاريخيّة. ولقد بَشَّرَتْ هذه القصيدة الرصافي الذي لم يكن بعدُ قد جازَ العشرين بمستقبلٍ زاهرٍ في الشعر.

ثم إنَّ الرصافي انتقلَ إلى غرناطة واستوطنها - ووالها يومذاك محمد بن عبد الملك بن سعيد - من غير أن يترك الترددَ، في الحين بعد الحين، على مالقة. غير أنه في هذه الأثناء زهدَ في الدنيا فانصرفَ إلى التكبُّبِ بالرّفُو أنفةً من التكسُّبِ بالشعر. ومع ذلك فقد كانت عطايا الأمراء والأعيان تصلُ إليه. وقضى الرصافي عُمُرَهُ عزَباً.

وفي ١١ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٧٢ هـ (١١٧٧/٢/١٣ م) تُوفِّيَ الرصافي البلنسي في مالقة.

٢ - كان الرصافي الأندلسي شاعراً كبيراً مشهوراً في عصره. وكان يُطيلُ أحياناً ويُجيدُ في المُقطَّعاتِ وفي القصائد. ومع أنه كان من الذين يُنقِّحون شعرهم ويُجودونه ويتكلفون فيه أحياناً، فقد كان في شعره رقةٌ وعُدوبة. وفي شعره أيضاً تقليدٌ ظاهرٌ للمشاركة: كان يُسَبِّهُ بأبن الرومي في القَوصِ عن المعاني وفي توليد بعضها من بعض، كما كان يُقلِّد ابن خفاجة الأندلسي، إلّا أنه كان أميل إلى الخيال. وللرصافي مدح

قليلٌ ورثاءٌ بارعٌ فيه من التصوير أكثر مما فيه من التفجّع؛ ثم له وصفٌ جيّدٌ للطبيعة يُكثّرُ فيه من وصفِ الطبيعة في وطنه؛ كما تكثرُ في شعره أوصافُ الحياة الدنيا (كوصفِ النجّار والصقّار - صانع الأدوات من الصُفّر أو الشبّه، أي من النحاس الأصفر). وفي شعره وصفٌ للخمر وغزلٌ مؤنّثٌ وغزلٌ مذكّرٌ ومُجون. ويغلبُ على شعره النسيبُ والشكوى والحنين إلى الوطن وإلى الماضي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الرُّصافيُّ البُلنسيُّ يمدح أبا جعفرٍ الوَقّشيَّ وزيرَ ابنِ هَمّشكَ بقصيدةٍ منها:

يا سعدُ،	قد طاب الحديثُ فزِدْ	منه أخوا نَجْواك،	يا سعدُ ^(١) .
فلقد تَجَدَّدَ لي الغرامُ،	وإنْ	بَلَيَ هَلْهوى وتَقادَمَ العَهْدُ.	
ذِكْرُ تَمَرٍّ على الفؤادِ	كما	يُوحِي إِلَيْكَ بِسَقَطِهِ الزَّندُ ^(٢) .	
وإذا خَلَوْتُ بها تَمَثَّلَ لي		ذاك الزمانُ وعَيْشُهُ الرَغْدُ ^(٣) .	
ولِقَاءُ جِيرَتِنَا،	غَدَاتْنِيذِ،	مُتَيَسِّرٌ ومَرامُهُم قَصْدُ ^(٤) .	
من كُلِّ أَرْوَعَ حَشَوٍ مِغْفَرِهِ		وَجَهْ أَغْرٌ وفاحِمٌ جَعْدُ ^(٥) .	
ذِكْرُ الوَزيزِ الوَقّشيِّ لهم		فأثَارَهُم لِلقائِلِ الوُدِّ.	
قد رَنَحَتْهُمْ من شَأْنِهِ		ذِكْرٌ كما يَتَضَوَّعُ النَّدُّ ^(٦) .	
نَعَمَ الحديثُ الحَلُوُّ تَمَلُّكُهُ الـ		رُكْبَانِ حَيْثُ رَمَى بها الوَخْدُ ^(٧) .	

- (١) النجوى: التنازع (التخاطب بصوت منخفض جداً). أخو النجوى: الصديق الحميم.
- (٢) الزند: حديدة تقدح بها النار من الصوانة. السقط: الشرر المتساقط من قدح الصوانة بالزند. ذكر.... (يجب أن تكون بعيدة غائمة في النفس).
- (٣) إذا خلوت بها (أستعيد ذكراها) تمثّل لي (وضح في ذهني). الرغد (خصب، كثير، ناعم).
- (٤) مرامهم (هدفهم) قصد (معتدل): لا يطلبون أموراً يصعب تحقيقها.
- (٥) أروع: شجاع. المغفر: غطاء للرأس. حشو مغفره (أي رأسه). وجه أغر (أبيض): كريم الأصل والأعمال. وفاحم (شعر أسود) جمد: كناية عن الشباب والقوّة.
- (٦) رنحت الريح القوم: أمالتهم، حركتهم، هزّتهم (سرّتهم). التماثل: الصفات الحميدة. تَضَوَّعَ النَّدُّ (نوع من الطيب): انتشرت رائحته.
- (٧) الركبان: المسافرون. الوخد: السير، السفر (البعيد الشاق).

رَجُلٌ إِذَا عَرَّضَ الرِّجَالَ لَهُ كَثُرَ الْعَدِيدُ وَأَعْوَزَ النَّدُّ^(١)
سَتَرَى الْوَزِيرَ وَمَجْدَهُ فَتَرَى جَبَلًا يُلَاذُ بِهِ وَيُعْتَدُّ^(٢)؛
وَتَرَى مَآثِرَ لَا نَفَادَ لَهَا بِالْعَدِّ حَتَّى يَنْفَدَ الْعَدُّ^(٣)!
وَلَقَدْ أَرَانِي بِالْبِلَادِ وَآ مَالُ الْبِلَادِ بِيَابِهِ وَقَدْ^(٤)؛
وَهَبَاتُهُ تَصِفُ النَّدى بِيَدِ عَلِيَاءٍ أَقْدَمَ وَفَرَهَا الْمَجْدُ^(٥)
وَكَفَى بِأَنْ وَسَمَ النَّدى سِمَةً لَمْ تَمَحُهَا الْأَيَّامُ مِنْ بَعْدُ^(٦)
بِعَوَارِفِ عَمَرَ الْبِلَادِ بِهَا فَاخْضَرَّ مِنْهَا الْغَوْرُ وَالنَّجْدُ^(٧).
هَيْهَاتَ يَذْهَبُ عَنْكَ مَوْضِعُهُ هَطَلَ الْغَمَامُ وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ^(٨).
أُغْرِبْتُ عَنْ مَكْنُونِ سُودِّهِ مَا تُعْجِمُ الْوَرَقَاءُ إِذْ تَشْدُو^(٩)؛
سُورًا مِنَ الْأَمْدَاحِ مُحْكَمَةً مِنْ آيِينَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدُ^(١٠).
وَلَقَلَّ مَا يَخْفَى وَرَاءَ فَمِي مِنْ وَدِّهِ أَضْعَافُ مَا يَبْدُو.

- وقال يصف جماعة مسافرين قد نهكهم السفر فأخذوا يترنحون على العيسِ

- (١) كثر العديد (كثر عدد الناس العاديين). وأعوز الند: استحال وجود شبيه له.
(٢) يلاذ به: يلجأ الناس إليه، يحتشون به. يعتد: يتخذ عدة (ذخيرة، وسيلة للدفاع) في المستقبل.
(٣) المآثر: المحامد: لانفاد له بالعد....: مها تطل في العد لا تستطع عد مآثره.
(٤) آمال البلاد ببابه وفد: آمال الناس كلهم تتجه إليه.
(٥) هباته: عطاياه. تصف الندى (الكرم): هي التعريف الصحيح للكرم (لأن عطايا الناس صغيرة لا تدل على كرم، بينما عطاياه هو كبيرة جداً). أقدم وفرها (غناها) المجد: تعوّدت ذلك منذ القدم.
(٦) وسَمَ الندى سمة: وضع على الندى (الكرم) علامة (خاصة به). لم تمحها الأيام من بعد: لم يأت بعده أحد أكرم منه حتى ينسى الناس كرمه هو.
(٧) العوارف (جمع عارفة): المعروف (الصنيع الحسن). الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.
(٨) هيهات يذهب عنك موضعه: إنك لا تضل الطريق في الوصول إليه. جلجل: أحدث صوتاً قوياً. (إنك تبصر المطر وتسمع الرعد من نحو أرضه) - عطاياه دائمة لا تنقطع، وكثيرة لا تحفى.
(٩) أغربت: أوضحت، بينت. مكنون: مستتر، خفي. السؤدد: المجد. أعجم الشيء: ستره، الورقاء: الحمامة. تشدو: تغني. - الحمام يذكر كرم هذا المدح ولكن الناس لا يفهمون كلام الحمام فجئت أنا بشعري أشرح كلام الحمام هذا وأبينه.....
(١٠) سُورًا مِنَ الْأَمْدَاحِ: الحمامات تتلو على الناس سوراً في مدحهم. من آيين: من آيات تلك السور. - أن الحمد والشكر اللذين تغنى بها الحمام هما ما يستوجب هذا المدح على بعض أعماله.

(النياق) من النعاس كأنهم سكارى:

وَمُجِدِّينَ لِلسَّرَى قَدْ تَعَاطَوْا غَفَوَاتِ الْكَرَى بِغَيْرِ كُؤُوسٍ^(١).
جَنَحُوا وَانْتَنَوْا عَلَى الْعِيسِ حَتَّى خِلْتَهُمْ يَلْثِمُونَ أَيْدِيَ الْعِيسِ^(٢).
نَبَذُوا الْقَمَضَ، وَهُوَ حُلُوٌّ، إِلَى أَنْ وَجَدُوهُ سُلَافَةً فِي الرُّوُوسِ^(٣)!

- كان الرصافي بظاهر مألقة مع طائفة من أصحابه على أنس، فصعد غلام أسود لأحدهم شجرة لوز منورة ثم قطع منها غصناً وجاءهم به. فسأل الجماعة الرصافي أن يصف ذلك لهم، فقال بديهة:

وَرَزَنَجِيٍّ أَلَمَّ بَنُورِ لَوَزٍ، وَفِي كَاسَاتِنَا بِنْتُ الْكُرُومِ^(٤).
فَقَالَ فَتَى مِنَ الْفَتَيَانِ صِفْهُ فَقُلْتُ: اللَّيْلُ أَقْبَلَ بِالنُّجُومِ^(٥)!

- وقال يصف حائكاً (صغير السن جيلاً):

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي حُبِّهِ عَذَلِي: لَوْ لَمْ تَهَمْ بِمُذَالِ الْقَدَرِ مُبْتَذَلِ^(٦)!
فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي الصَّبَابَةِ لِي لَأَخْتَرْتُ ذَاكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ ذَاكَ لِي.
عَلَّقْتُهُ حَبِيَّ الشَّغْرِ عَاطِرَهُ، حُلُوَ اللَّمَى سَاحِرَ الْأَجْفَانِ وَالْمُقَلِّ^(٧).
غُرْزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغُرْزَلِ جَائِلَةً بِنَانُهُ، جَوْلَانُ الْفَكْرِ فِي الْغُرْزَلِ^(٨).

-
- (١) السرى: السير ليلاً. - يشبه النوم كأنه خر يشرها الإنسان.
(٢) جنحوا: مالوا. انتنوا: اغنخوا (بفتح النون). - كان أحدهم ينحني على ظهر ناقته كثيراً (وهو بلا وعي من عمق نومه) حتى يكاد رأسه يصل إلى الأرض.
(٣) لم يريدوا أن يناموا فقهرهم النوم كأنه خر يغيث شاربها عن وعيه.
(٤) ألم: أصاب، قطف. النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. بنت الكروم: الخمر.
(٥) الليل = الغلام الزنجي. النجوم = زهر اللوز الأبيض.
(٦) العذل: اللوم. هام: ضلّ، جرى على غير هدى (أحب حباً بلا وعي). مزال القدر: مهان، قليل القيمة. مبتذل: معروض ومبذول لكل طالب.
(٧) علّقته: تعلّق قلبي به، أحببته. الحبيبي: نسبة إلى الحب = فقايع الهواء التي تطفو على سطح الخمر في الكأس. حبيي الشجر (القلم): طعم ريقه كالخمر (!). اللمى (بفتح اللام أو كسرهما أو ضمهما): السمرة في الشفاء. حلو اللمى: حلو الريق، عذب التقبيل. المقلة: العين.
(٨) غُرْزِيلٌ = مصغر غازل. الغرزل: خيوط القطن والصوف الخ. البنان جمع بنانة: طرف الإصبع =

جَذْلَانُ تَلْعَبُ بِالْحَوَاكِ أَنْمُلُهُ عَلَى السَّدى لَعِبَ الْأَيَّامَ بِالْأَمَلِ^(١).
ضَمًّا بِكَفِّهِ أَوْ فَحْصًا بِأَخْمَصِهِ تَحْبُطُ الطَّبْنِي فِي أَشْرَاكِ مُحْتَبِلِ^(٢).
- وقال يتشوّق إلى بلنسية (وكان قد نشأ فيها):

خَلِيلِي، مَا لِلْبَيْدِ قَدْ عَبَقَتْ نَشْرًا، وَمَا لِرُؤُوسِ الرِّكَبِ قَدْ رُنَحَتْ سُكْرًا^(٣)
هَلِ الْمِسْكُ مَفْتُوقًا بِمَدْرَجَةِ الصَّبَا أَمْ الْقَوْمُ أَجْرَوْا مِنْ بَلَنْسِيَّةٍ ذِكْرًا^(٤)؟
بِلَادِي الَّتِي رِيشتُ قُوَيْدِمَتِي بِهَا فُرَيْخًا، وَأَوْتَنِي قَرَارُتُهَا وَكْرًا^(٥).
مَبَادِيءُ لَيْلِ الْعَيْشِ فِي رَيْقِ الصَّبَا أَبِي اللَّهِ أَنْ أَنْسَى لَهَا أَبَدًا ذِكْرًا^(٦).
أَكُلُّ مَكَانٍ رَاحَ فِي الْأَرْضِ مَسْقَطًا
لِرَأْسِ الْفَتَى يَهْوَاهُ - مَا عَاشَ - مُضْطَرًّا؟
بَلَنْسِيَّةُ تِلْكَ الزَّبْرَجْدَةُ الَّتِي تَسِيلُ عَلَيْهَا كُلُّ لَوْلُوءٍ نَهْرًا^(٧).
كَأَنَّ عَرُوسًا أَبْدَعَ اللَّهُ حُسْنَهَا فَصَيَّرَ مِنْ شَرْخِ الشَّبَابِ لَهَا عُمْرًا.

= (الإصبع). - تتفنّن أصابعه في نسج الثياب (بطرق وأنواع كثيرة) كما يذهب الفكر مذاهب كثيرة في تأمل جماله.

(١) جذلان: فرحان. الحواك ليست في القاموس، والشاعر يقصد «الوشيجة»، والعامّة تقول: المَكْوَك (وقد أقر مجمع اللغة العربية كلمة «المَكْوَك»): بكرة تلفّ عليها خيوط ثم تقذف فوق السدى (الخيوط المنصوبة طولاً على المنوال) يميناً ويساراً لتؤلف اللحمة (بضمّ اللام): الخيوط العرضية في النسج) فينشأ النسيج.

(٢) قذفاً بالوشيجة بيده اليمنى إلى اليسار، ويده اليسرى إلى اليمين - بسرعة عظيمة حتّى يبدو وكأنّه يضم يديه. فحماً بأخمصه (باطن قدمه): تحريكاً برجليه (على خشبتين تفصلان السدى طبقتين حتّى تمر بينهما الوشيجة). المحتبل: الذي يصيد الحيوانات بالحبال (بضمّ الحاء): شرك من حبال.

(٣) البيد (جمع بيداء: الأرض الواسعة). عبقت نشرت: انتشرت (في البيد) رائحة طيّبة. الركب: المسافرون. رنحت: ترنحت، تمايلت.

(٤) المسك المفتوق: المسك حينما يفتح وعاءه للمرّة الأولى. مدرجة: مكان تدرج فيه الريح (تهبّ وتستمر). الصبا: ريح الشرق.

(٥) القويدمة = مصغر قادمة: الريشة الكبيرة في جناح الطائر. - بلادي (بلنسية) شبت فيها وكانت سكناً (وطناً) لي.

(٦) ريق (أول) الصبا (الشباب). - عرفت أول حياتي الناعمة الهنيئة في بلنسية.

(٧) الزبرجد: حجر كريم أخضر. - بلنسية كثيرة الجنائن كثيرة الأنهار.

- وقال من قصيدة يرثي بها:

وقد ودَّعْتُ قَبْلَكَ كُلَّ سَفَرٍ، ولكن غابَ حيناً ثمَّ آبا^(١).
وأهْيَجُ ما أكونُ لك اذْكاراً إذا ما النّجْم صَوَّبَ ثُمَّ غابا^(٢).
أرى فَقَدْ الحَبِيبَ من المنايا إلى يأسٍ كَمَنْ فَقَدَ الشَّبابا.
وما معنى الحياةِ بِلا شَبَابٍ؟ سواء مات في المعنى وشابا.
وليلِ أَسَى كصُبْحِ الشَّيْبِ قُبْحاً أكابِدُهُ سُهَاداً وانتِحابا^(٤).
تزيّدُ بِهِ جِوانِحِي اتِّقاداً إذا زادتْ مَدامِعي أنسكابا.
أيا عبدَ الإلهِ، نداءُ يأسٍ؛ وهل أرجو لدى رَمْسٍ جَوابا!
أصِخْ لي كيفَ شِئْتَ، فإنَّ أنساً لِنَفْسِي أنْ تُبَلِّغَكَ الحِطابا^(٥).
سَقاك - ولا أخُصُّ - رَبابَ مُزْنٍ؛ لَعَلَّ ثَراكَ قد سَمَّ الرِّبابا^(٦).
ولكن ما يَسوغُ على التَّكافي لِقَبْرِكَ أنْ يكونَ لَهُ شَرابا^(٧).
فإنِّي رُبَّما اسْتَسْقَيْتُ يوماً لَكَ الجِوْنَيْنِ: جَفْنِي والسَّحابا^(٨).
فَتَجَلَّ من مُلوحتِها دُموعي إذا ذَكَرْتَ شَائِلَكَ العذابا^(٩)!

- (١) السُّفَر: المسافر، المسافرين. آب: رجع. عاد.
(٢) اذْكار: اذكار: تذكّر. صَوَّب: انحدر، مال إلى المغيّب.
(٤) ليلِ أَسَى: الليل الأسود من الأَسَى (الحزن) يشبه صبح الشيب (بياض الشعر). السهاد: السهر.
الانتحاب: البكاء بصوت مرتفع.
(٥) أصاخ: ألقى بسمعه. سمع.
(٦) الرِّباب (بفتح الراء): جمع ربابة: السحابة البيضاء. - لا أطلب لقبرك أن تسقيه السحب، فإنّي أرى أن قبرك قد سقته سحب كثيرة (لأنك أنت تستحق رحمة الله على ما كان منك من أعمال صالحة في الدنيا). حتى سمّ قبرك المطر من السحاب.
(٧) ساغ: سهل مجرى الشراب في الخلق. ساغ له الأمر: جاز له أن يفعله. التكافي: المائلة. - إنّ مطر السحاب وحده ليس أهلاً أن يكون الماء النازل على قبرك.
(٨) الجون: الأسود، السحاب الأسود (المطر). - كنت أحياناً أستسقي لك (أطلب لك السقيا) من دموعي أيضاً.....
(٩) ولكن كنت أخجل من طلي هذا حيناً أذكر أن دمعي مالح وأن شائكك (خصالك) عذبة (حلوة، رقيقة).

لا أَعْرِفُ الْمَجْرَ والتَجَنِّي
 أَلَيْتُمْ تَغَرَّ الْمُنَى وَأَجْنِي،
 من فوقِ رُمَاتِنِي نُهْودٍ، زَهَرَ الْخُـدُودُ.

★ ★ ★

مَذْحُ الْأَمِيرِ الْأَجَلُّ أَوْلَى
 السَّيِّدِ الْمَاجِدِ الْمُعَلَّى
 تَاجِ الْمُلُوكِ السَّنِيِّ الْأَعْلَى
 أفضـلُ مَنْ سَارَ بِالْجُنُودِ تَحْتَ
 الْبُنُودِ

★ ★ ★

أَكْرَمُ بَعْلِيَاءَهُ مِنْ هَامٍ
 إِمَامٍ هُدًى وَابْنِ الْإِمَامِ
 مُبَدِّدِ الرُّومِ بِالْحُسَامِ
 يَعْقِدُ فِي هَامَةِ الْأَسْوَدِ بِيضَ الْهِنُودِ^(١).

٤-★★ المغرب ٢: ٢١٠ - ٢١١؛ التكملة (طبع الجزائر) ١٨٧؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥٧؛
 المقتضب من تحفة القادام ٥٤؛ صلة الصلة ٩٢؛ نفح الطيب ٤: ٢٠١ - ٢٠٢.

أبو الحسن بن نزار

١- هو الأمير أبو الحسن بن نزار حسيبٌ وادي آشَ ومن أعيانها وحُكَّامها. لما
 سقطت دولة المرابطين (٥٤١ هـ = ١١٤٦ م) خَلَعَهُ أَهْلُ بِلَدِهِ وَبَايَعُوا لِهَمْدِ بْنِ
 مردانیش صاحبِ مُرْسِيَّةَ (توفي ابن مردنیش ٥٦٧ هـ) ثُمَّ وَشَوْا بِهِ إِلَى ابْنِ
 مردانیش. فحمله ابنُ مردانیش إِلَى مُرْسِيَّةَ وَسَجَنَهُ فِيهَا ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَّاحَهُ وَرَدَّهُ إِلَى

(١) بِيضُ (سَيُوف) الْهِنُودِ (جمع هندي: سيف من صنع الهند).

حُكْم وادي آشَ في حديثٍ طويل. عاش أبو الحسن بنُ نِزارٍ في النِصف الثاني من القرن السادس للهجرة (النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد).

٢ - أبو الحسن بنُ نِزارٍ شاعرٌ ومُترسِّلٌ. وشعره كثيرٌ جيّدٌ رقيقٌ. وله قصيدٌ وموشحٌ.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بنُ نِزارٍ في الفَخْر (بعد أن خَسِرَ مُلكه في الأغلب):
الآنَ أعرِفُ قدرَ النفعِ والضررِ، وكيفَ أُصدِرُ ما للمُلكِ من صَدَرٍ^(١)،
وكيفَ أطلُعُ في أفقِ العلا قمرًا ويستهلُّ بكفِّي واكِفُ الدررِ^(٢)،
وكيفَ أملأُ صدرَ الدهرِ من رُعبٍ وأستقلُّ بمحملِ الحادثِ النُكرِ^(٣)،
وأستعدُّ لما ترمي الخُطوبُ بهِ وأستطيلُ على الأيامِ بالفِكرِ^(٤).
لكنني ربّما بادرتُ مُنتَهزًا لفرصةٍ مرّقتْ كاللّمعِ بالبصرِ.
في أمِّ راسي ما يعيا الزمانُ بهِ شرّحاً، فسَلَّ بعده الأيامُ عن خَبَري!
- في المغرب (٢: ١٤٧)، موشحة لابن نزار، وتروى لابن حزمون، منها:

اشربْ على نعمةِ المثاني ثانٍ،
ولا تكنْ في هوى الغواني وانٍ،
وقُلْ لِمَن رام في معانٍ: عانٍ
ماذا من الحُسْنِ في بُرودٍ رُودٍ^(٥).

★ ★ ★

-
- (١) كيف أصدر ما للملك من صدر: كيف أدبر أمور الملك.
(٢) وكيف يستهل بكفّي واكف (منهمر) الدرر (اللؤلؤ، المال): كيف أصبح غنيًا.
(٣) وأستقل بمحمل الحادث النكر (المنكر، القطيع): احتمل الحوادث وحدي.
(٤) وأستطيل على الأيام بالفكر: أغلب أحداث الدهر بالرأي الصائب.
(٥) الثاني جمع مثني وتر في العود. المثاني: ثانٍ = ثانياً: مرة ثانية أو ثانياً من عطفك =

يهيِّجُ وَجُدِي إِذَا الْأَنَامُ ناموا .
 قَوْمٌ إِذَا عَسَسَ الظُّلَامُ لاموا ،
 وما به هامٌ مُسْتَهَامٌ هاموا .
 فقل لعَيْنٍ بلا هُجُودٍ: جودي^(١)!

★ ★ ★

أَفْنَيْتُ فِي الرَّوْنَقِ الصَّقِيلِ قِيلي .
 يَا رَبَّةَ الْمُنْظَرِ الْجَمِيلِ ميلي ؛
 فَإِنَّا أَنْتِ ، وَالرَّسُولِ ، سُولي .
 رَأَيْتُ فِي وَجْهِكَ السَّعِيدِ عَيْدي^(٢) .

★ ★ ★

★★-٤ المغرب ٢: ١٤٧ ؛ نفع الطيب ٣: ٤٩٢ - ٤٩٨ .

أبو جعفر الوقيشي

١ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقيشي من وقش بنواحي طليخيرة، سكن مألقة ثم وزر للأمير إبراهيم بن همشك المستبد بمدينة جيان. ولما انهزم ابن همشك في وقعة السبيكة قرب غرناطة، سنة ٥٥٧ هـ، أمام جيش الموحدين سلم

- = (مفتخراً، معجباً بنفسك). وان = وانياً: ضعيفاً، تبعياً. رام: قصد، أراد. في معان (تعبير عامي): معونة، عون، مساعدة (أو مثل معاق، مثل المعاني التي آتي أنا بها في الشعر). عان (فعل أمر من عانى: قاسى، جرب). برود جمع برد (بضم الباء) ثوب من حرير. الرود: الفتاة اللينة المنعمة الأنام: البشر، الناس. عسس الليل: أقبل ظلامه. وما به هام مستهام هاموا: إذا أحب أحد حباً شديداً هاموا هم: أحبوا أن يكثرُوا التحدث في شأنه. الهجود: النوم. جودي: ابني كثيراً.
- (١) الرونق: الجمال. الصقيل: المصقول الناعم (دلالة على أول الشباب). قيلي: قولي. - كان جميع شعري في وصف الجمال. والرسول = أقسم بالرسول (محمد صلى الله عليه وسلم). سولي = سؤلي، سؤالي، مطلبي. - كل قافية رديف جزء من القافية الأصيلية: السعيدى = عيدي

مدينة جَيَّانَ إلى وزيره أبي جعفرِ الوَقْشي فحماها الوَقْشي. ثم إن ابنَ همشك أرسلَ أبا جعفرِ الوَقْشيَّ إلى مَراكُشَ، سنة ٥٦٤ هـ، في بعض شؤونه. ويبدو أن الوَقْشيَّ مال إلى الموحِّدين ومدَحَ السُّلطانَ يوسفَ بنَ عبدِ المؤمن، سنة ٥٦٦ هـ، بقصيدة يَصِفُ فيها حالَ المسلمين في الأندلس ويدعو الناس إلى الجهاد.

ورَجَعَ الوَقْشيُّ من مَراكُشَ إلى الأندلسِ فلَمَّا وصل إلى مالقة تُوفِّيَ فيها، سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ - ١١٧٩ م).

٢- كان أبو جعفرِ الوَقْشيُّ من الوزراء الذُهاة المقتدرين، وكان أديباً شاعراً بَرََعَ في الوصف والمدح والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو جعفرِ الوَقْشيُّ في كِتْمَانِ السِرِّ:

وَمُسْتَوْدِعٍ عِنْدِي حَدِيثًا يَخَافُ مِنْ إِذَاعَتِهِ فِي السِّرِّ إِنْ يَنْفَدَ الْعُمُرُ^(١).
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخْشَ مِنِّي فَضِيحَةً لَسْتُ غَدًا مَيِّتًا وَصَدْرِي لَهُ قَبْرُ.
عَلَى أَنَّ مَنْ فِي الْقَبْرِ يُرْجَى نُشُورُهُ؛ وَسِرُّكَ مَا يُرْجَى لَهُ أَبَدًا نَشْرُ!

- وقال يمدحُ أبا يعقوبَ يوسفَ سُلطانَ الموحِّدينَ بقصيدة مطلَّعُها: «أَبَتْ غَيْرَ ماءٍ
بِالنَّخِيلِ وَرُوداً» جاء فيها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُمَدُّ لِي الْمَدَى فَأُبْصِرَ شَمْلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيداً^(١).
وَيَغْزُوا أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَنْتِ يَاقِبٍ يُعِيدُ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيداً^(٢)،
وَيُلْقِي عَلَى إِفْرِنْجِهِمْ عِبَاءَ كُلِّكِلٍ فَيَتْرُكُهُمْ فَوْقَ الصَّعِيدِ هُجُوداً^(٣)،
وَيَقْتَكُ مِنْ أَيْدِي الطُّغَاةِ نَوَاعِيًا تَبَدِّلُنَّ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قِيوداً^(٤)،

(١) أن يمدَّ لي المدى: هل يطول عمري.

(٢) شنت ياقب: بلدة في أقصى الشمال الغربي من جزيرة إيبيرية (إسبانية) كانت معقل الإفرنج الإيبان.

يعيد = فيعيد. عميد = رئيس. عمود = معمود: مضروب بالعمود (قتيل).

(٣) عبء (ثقل) كلكل (صدر): شدة الحرب. الصعيد: التراب (الأرض). هجوداً: نائمين (قتلى).

(٤) افتك = فك: أطلق سراح (الأسرى). نواعم: نساء شابَّات الحجل (بفتح الحاء أو كسرها): الخلخال.

وَأَقْبَلْنَ فِي خُشْنِ الْمُسُوحِ؛ وَطَالَمَا
وَغَبَرَ مِنْهُنَّ التَّرَابُ تَرَائِباً،
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ نَظَامِي قِلَادَةً
غَدَتُ يَوْمَ إِنْشَادِ الْقَرِيضِ وَحِيدَةً،
سَحَبْنَ مِنَ الْوَشْيِ الرَّقِيقِ بُروداً^(١).
وَخَدَّدَ مِنْهُنَّ الْهَجِيرَ خَدوداً^(٢).
يَلْقَبُهَا أَهْلُ الْكَلَامِ قَصِيداً^(٣).
كَمَا قَصَدَتْ فِي الْمَعْلُوتِ وَحِيداً^(٤)!

- وحضر يوماً قتل أسدٍ (مصارعة أسد) فقال:

جَهْمُ الْحَيَّا إِنْ تَبَسَّمَ هَبْتَهُ؛
وَكَأَنَّمَا هُوَ نَاطِرٌ عَنْ زَيْبُقٍ،
وَكَأَنَّ لِبَدَّتِهِ بَقِيَّةُ فَرَوَةٍ
لَمَّا تَمَرَّدَ فِي الْعَرِينَةِ فَتَحَتْ
وَعَلَا زَيْبُرٌ مِنْهُ حَتَّى خَلَّتْهُ
وَطَنَنْتُ أَنْ الرِّعْدَ مِنْ حَيْثُ الْحَيَّا،
وَمِنَ الْعَجَائِبِ هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ^(٥).
وَكَأَنَّمَا هُوَ كَاشِرٌ عَنْ مِخْذَمٍ^(٦).
قَصُرْتُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ^(٧).
أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ^(٨).
كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ عِنْدَ شَوْلِ هَيْمٍ^(٩)،
حَتَّى سَمِعْتُ الْيَوْمَ رَعْدًا مِنْ فَمٍ^(١٠).

- (١) المسح (بكسر الميم): ثوب أسود من جلد (أو من نسيج خشن). البرد (بضم الباء): ثوب من حرير. الوشي: الزخرف في النسيج. سحبن برودا: سرن مختلات فخورات.
- (٢) الترائب: جوانب الصدر. خدد: شقق. الهجير: وقت اشتداد الحر.
- (٣) من نظامي: من نظمي، من شعري (من صناعي). قلادة: عقد يلبس في العنق (قصيدة، صنفاً جليلاً).
- (٤) القريض: الشعر. المعلوات جمع معلاة: الشرف، والمعلاة مقبرة في مكة.
- (٥) جهم: عابس. الحيا: الوجه. هاب: خاف.
- (٦) ناظر عن زئبق: تتحرك عيناه بسرعة يميناً ويساراً (من الغضب أو الحذر). كاشر: فاتح فمه مظهراً أسنانه. مخذم: سيف.
- (٧) اللبدة: شعر حول رقبة الأسد (الذكر). الفروة: ثوب صوف سابغ سبيك. بقية فروة (يشبه الشاعر لبدة الأسد بالفروة التي قصرت بعد مرور زمن عليها).
- (٨) العرين والعريئة: مأوى الأسد (والمقصود هنا: القفص الذي كان فيه ذلك الأسد). تمرّد في العريئة: اشتدّت حركته يريد الخروج (للصراع). الأرقم: الحية.
- (٩) الزئير: صوت الأسد. خال: ظن. الفحل: الذكر التام الخلقة والقوي (من الحيوان والإنسان). هدر الفحل: صوت (من الهياج أو الغضب). الشول جمع شائلة: الناقة ترفع ذنبها في موسم اللقاح. الهيم يقصد الهيام (بضم الهاء): العشاق، العطاش (الراغبات في اللقاح).
- (١٠) الحيا: المطر. - كنت أظن أن الرعد يصدر عن السحاب فقط، وقد سمعت الآن رعداً من فم (الأسد).

وتناولت زُرْقُ الأَسِنَّةِ زُرْقَه حَتَّى بدا في شكله كالشَّيْه^(١) .

٤-★★ الحلة السراء ٢: ٢٥٧ - ٢٦٧؛ الذيل والتكملة ١: ١٩٧ - ٢٠١؛ نفح الطيب ٤: ٤٧٧ - ٤٧٨؛ نيكل ٣٢٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢.

أبو بكر بن خير الإشبيلي

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م) وبدأ تلقّي العلم فيها. ثمّ إنّه قضى حياته بالتطوّف في بلدان الأندلس في طلب العلم: غادر إشبيلية (٥٢٧ هـ) فكان في قرطبة (٥٢٩ هـ) والمرية وطريف (٥٤٠ هـ) وشلب (٥٤٩ هـ) ومورور (٥٦٣ - ٥٦٤ هـ). ويبدو أنّه كان في أثناء ذلك يعود مرّة بعد مرّة إلى إشبيلية (٥٣٥ هـ، مثلاً).

وفي سنة ٥٧٢ هـ تولى أبو بكر بن خير - وكان قد ضعّف جسمه بتقدّمه في السنّ - الإمامة في جامع قرطبة. وكانت وفاته في قرطبة في رابع ربيع الأول من سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩/٨/٩ م) ثمّ نُقِلَ رُفَاتُه إلى إشبيلية.

قضى أبو بكر بن خير حياته كلّها في طلب العلم، فلا غرو إن عرّ نظيره في هذا الباب. وقد صنّف ابن خير فهرستاً للكتب التي قرأها على شيوخ العلم والأدب في بلدان الأندلس. هذا الفهرست اليوم ذخيرة ثمينة بما فيه من تراجم أولئك الشيوخ ومن وصف كتبهم التي بلغت في هذا الفهرست ألفاً وخمسة وأربعين كتاباً. ولا ريب أن ثمت كتباً لم يصفها ابن خير في «فهرسته» لأنها غابت عنه أو لأنه لم يجدّها خليفة بالوصف إلى جانب الكتب التي وصفها.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة..... أبو بكر محمد بن خير.....

(١) زرق الأسنة: الأسنة (رؤوس الرماح والسهام): الأسنة الصافية اللامعة لمضائها وقوتها على الطعن والقطع الخ. زرقه (ليس في القاموس معنى يوافق هذه الكلمة في موضعها هنا. في القاموس: «زرقه» بالنصل: رماه به. فيكون «زرقه» هنا - بفتح الزاي - مسافة جسم الأسد التي يمكن أن تصاب بالنبال). الشيه: القنفذ الذكر (أصبح جسم الأسد مملوءاً بالنبال كجسم الشيه المغطى بالشوك).

الإشبيلي (تحرير قداره ورباره وطراغو)، سرقسطة (مطبع قومن) ١٨٩٣ م؛ طبعة ثانية (بإشراف زهير فتح الله)، بيروت، بغداد، القاهرة (المكتب التجاري، مكتبة المثني، مؤسّسة الخانجي) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

★★ الوافي بالوفيات (رقم ٢٣٩)؛ التكملة ١: ٢٤٠؛ المنّ بالإمامة ٣٠١ - ٣٠٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ تاج العروس (الكويت) ١١: ٢٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ١: ٦٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٥٤ (١١٩)؛ بغية الوعاة ٤١؛ سركيس ٤٥٠.

اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى

١ - هو أبو يحيى اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى بْنِ حَزْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ اليَسَعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الفافقيّ، وُلِدَ فِي جَيَّانَ؛ وَانْتَقَلَ أَبُوهُ مِنْ جَيَّانَ إِلَى الْمَرْيَةِ، ثُمَّ سَكَنَ فِي بَلَنْسِيَّةَ وَبَعْدَهَا فِي مَالَقَةَ.

كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى قَدْ أَخَذَ الْقَرَاءَاتِ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَصَّيِّ وَسِوَاهُمَا، كَمَا سَمِعَ (الْحَدِيثَ) مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُغَيْبَةَ، سَمِعَ مِنْهُ صَاحِبُ الْبُخَارِيِّ وَصَاحِبُ مُسْلِمٍ. ثُمَّ أَخَذَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ. وَقَدْ اتَّخَذَهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ فِي شَرْقِيّ الْأَنْدَلُسِ كَاتِبًا.

وَفِي سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) رَحَلَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى إِلَى مِصْرَ فَسَكَنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. وَلَمَّا قَضَى صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ عَلَى الْخِلَافَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ بِالدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فِي الْمَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (أَيْلُول - سَبْتِمَبْر ١١٧١ م) وَلَمْ يَخْشُرْ أَحَدٌ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّينِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ اليَسَعِ بْنِ عَيْسَى فِي الْقَاهِرَةِ، فِي ١٩ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٥٧٥ (١١٧٩/١٢/٢٠ م).

٢ - كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى مُقَرَّنًا وَمُحَدِّثًا وَفَقِيهًا وَمُؤَرِّخًا وَشَاعِرًا وَخَطِيبًا. وَلَكِنْ

كتاب المغرب يقول فيه (٢: ٨٨): «نثره كَرُّ ثَقِيلٌ، ونظمه مَغْسُولٌ»^(١) ليس عليه طلاوة، وكأنه أرادَ مُعارضةَ كتاب القلائد^(٢). وهو مُصَنَّفٌ له كتابُ «المغرب في آداب المغرب»^(٣) صنّفه بمصرَ لصَلاح الدين الأيوبي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صدرُ الدين أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الأصفهانيُّ السّلفيُّ المتوفى سنة ٥٧٦ هـ (أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩): أنشدني أبو يحيى اليسعُ بنُ عيسى بديارِ مصرَ لنفسه:

قلْ لِمَن تاهَ بدُنياً ساعدتهُ وترقى فوقَ أفلاكِ المعالي:
ذاك قُطبٌ يَقلبُ العالِي سَفلاً، ويردُّ السُفلَ في الأغلبِ عالي.
لو توسّطتَ سَماه كنتَ نجماً آمناً من صَرفِهِ في كلِّ حال.

- وقال اليسعُ بنُ عيسى في كتابِ المغربِ عند ذكرِ مدينةِ شَنْترةَ^(٤) (نفع الطيب ١: ١٦٤):

إنَّ مِن خَواصِّها أَنَّ القَمَحَ والشَّعيرَ يُزْدَعانَ فيها ويُخَصَّدانَ عند مُضَيٍّ أربعينَ يوماً، وأنَّ التَّفاحَ فيها دَوْرٌ كلُّ واحدٍ ثلاثةَ أَشبارٍ وأكثرُ. قال لي أبو عبدِ اللهِ الباكوريُّ، وكان ثِقَةً: أبصرتُ عند المُعْتَمِدِ بنِ عَبادٍ رجلاً من أَهلِ شَنْترةَ أَهدى إِلَيهِ أربعاً من التَّفاحِ ما يُقَلُّ الحاملُ على رأسِهِ غيرَها^(٥)، دَوْرٌ كلُّ واحدٍ خَمسةَ أَشبارٍ. وَذَكَرَ الرَّجُلُ أَنَّ المَعْتادَ عِندَهُم أَقلُّ من هذا. فإذا أرادوا أَن يَجيءَ (التَّفاح) بهذا العِظَمِ قَطَعُوا أَصلَها^(٦) وأَبَقُوا مِنْهُ عَشْراً أو أَقلَّ وجعلوا تَحْتها دِعاماتٍ من الخشبِ.

(١) نظمته (شعره) مغسول: ليس فيه شيء من أوجه البلاغة (لا جناس ولا استعارة ولا غيرها).

(٢) معارضة (محاكاة، تقليد) القلائد (كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان).

(٣) المغرب ٢: ٨٨. ولعنون هذا الكتاب قراءات أخرى.

(٤) شنترة: بلدة في غربي الأندلس (البرتغال اليوم).

(٥) ما يقل (يستطيع أن يحمل) الحامل على رأسه غيرها.

(٦) أصلها (كذا في المصادر). اقرأ: أكلها (بضم الهمة والكاف): ثمرها.

٤-★★ التكملة (رقم ٢١١٢)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩؛ المغرب ٢: ٨٨؛ معجم
الصدقيّ ٣٢٢-٣٢٣ (رقم ٣١٥)؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٠؛ نفح الطيب ١:
١٦٤، ٢: ٣٧٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٤٨-٢٤٩ (٨: ١٩١).

الوهرانيّ صاحب المنامات

١- هو الشيخ ركنُ الدينِ (أو جمال الدين)^(١) أبو عبدِ الله محمدُ بنُ مُحَرِّزِ بنِ محمدٍ
الوهرانيّ (نسبةً إلى وهران، في الجزائر) المغربيّ. رَحَلَ إلى المشرق، نحو ٥٥٠ هـ:
خرج من وهران ومَرَّ بجزيرة صِقْلِيَّة ثمَّ انتقل إلى الشام وطاف بعددٍ من بلدانها
واستقرَّ في دِمَشقَ، وذلك في أيام نور الدين محمود بن زَنْكي (٥٤١-٥٦٩ هـ). وفي
سَنَةِ ٥٥٥ هـ ذهب إلى بَغْدَادَ طلباً للتكسُّب بشعره فيما يبدو، لأنَّ بَغْدَادَ دارُ
الخلافة. ولكنه لم يوفِّق في الأغلب فعاد إلى دِمَشقَ في ٥٥٦ هـ وبعد رجوعه من بَغْدَادَ
تولَّى الخطابة في دارياً (وهي قرية في الغوطة على مقربة من دِمَشقَ).

وزار الوهرانيّ مصر مرّتين على الأقلّ. يبدو أنّه زارها في المرّة الأولى للتكسُّب
بالشعر وللدخول في ديوان الإنشاء، وذلك في أيام السُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبيّ
(٥٦٤-٥٨٩ هـ). فلمّا رأى فيها القاضي الفاضلَ (٥٢٩-٥٩٦ هـ) والهادِ الكاتبَ
الأصفهانيّ (٥١٩-٥٩٧ هـ) وتلك الحُلبَة من أمثالها في مَيِّدانِ الإنشاء عادَ إلى
دِمَشقَ. ثمَّ إنّه زار مصر مرّةً أخرى أو أكثر من مرّة وتطوّف فيها وعمل في التجارة،
ولكنَّ حظّه من التكسُّب بالتجارة لم يكن أوْفَرَ من حظّه في التكسُّب بالشعر.

وكانت وفاةُ الوهرانيّ في دارياً، سَنَةَ ٥٧٥ هـ، في الأغلب - وقد وَصَلَ خبرُ وفاته
إلى القاهرة في سابعِ عَشَرِ رَجَبَ (١٨ / ١٢ / ١١٧٩ م) - أو في سَنَةِ ٥٧٤ هـ. ولعلّه لم
يُعمَّر طويلاً.

٢- الوهرانيّ أديبٌ متعدّدُ نواحي الشخصية، له مشاركةٌ في الأدب والفقه والعلم
والفلسفة، وله معرفةٌ بالفاظِ الفِرَقِ الإسلاميّة الظاهرية والباطنية، ويبدو أنّ له

(١) لعله اتخذ هذا اللقب لما استقرَّ في المشرق.

اطِّلاعاً على علم الفلك. وهو يُصَرِّفُ كلَّ ذلك في آثاره الكتابية. ثم هو مُنْشِئٌ ظريفٌ بارِعٌ في وجوه الصِّناعة اللفظية خاصَّةً، غيرَ أَنَّهُ يَتَكَيُّ على تعابيرٍ بدیع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) كثيراً وعلى تعابير الحريري (ت ٥١٦ هـ) قليلاً. ولا ريبَ في أَنَّهُ أدنى في الإنشاء طَبَقَةً من الهمداني والحريري والقاضي الفاضل والعماد الأصفهاني. ومعَ أَنَّهُ عدَلَّ عن طريقة هؤلاء وأمثالهم في الجِدِّ إلى الهزل والسُّخرية، فإنَّه انحدرَ إلى الإسفاف والإحماض المكشوفين النايين، ولم يستطع أن يسوق الهزل والإحماض في الكِنَايات البريئة كما فَعَلَ بدیع الزمان والحريري مثلاً.

ويبدو أَنَّ الوهرانيَّ قد تَرَكَ الكُذْيَةَ أو الاستجداء في مقاماته. أما مقاماته الوهرانية فتنبوء بترديد ممل.

وللوهرواني نظمٌ عاديٌّ. وعلى آثاره كُلُّها شيءٌ من الضَّعف.

وكان الوهرانيُّ مُتَكَسِّباً قليلَ الاحتفالِ بالمبادئ السامية. ومعَ كَثْرَةِ إيرادِ الأقوال الدينية في آثاره، فإنَّنا لا نستطيعُ أن ندفعَ عنه أشياء من قِلَّةِ الوَرَعِ تقتربُ من أن تكونَ شواهدَ على زُنْدَقَتِهِ.

وللوهرواني من الكتب «جليسُ كلِّ ظريفٍ» فيه عددٌ من رسائله وفصوله الهزلية. وله «المنامات» وفيه مقاماته ورسائله. ولا يتَّضح من تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش ولا من تصدير عبد العزيز الأهواني إذا كان «الجليس» و«المنامات» كتابين مستقلَّين أو إذا كانا يَجْمَعَانِ نُصُوصاً مُتداخلةً. (وسلَّك الوهرانيُّ في «المنامات» مسلَّكَ أبي العلاء المَعَرِّي في «رسالة الغفران» - وقد مدَحَ ابنُ خلكانَ هذا الكتابَ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقامة الفاسية:

دَخَلْتُ مَدِينَةَ فَاسَ في أيامِ أَبِي العَبَّاسِ، فرَأَيْتُهَا تُجَاوِزُ الأوصافَ على طريقِ الإنصاف. فَعَشِقَهَا شَيْطَانِي فَأَقَمْتُهَا مَقَامَ أوطاني. فَحَضَرْتُ يوماً في بَعْضِ بسَاتينِهَا مَعَ

قوم من أهل دينها^(١)، وفيهم أبو الوليد القرطبي^(٢) سُلطان الكلام بِأمره فيوالفه وينهاه فلا يُخالفه. وجَرى بَيْنَهم حديثُ أهلِ البلادِ ومن فيها من الأعيان والنقاد^(٣)، فقالوا: يا أبا الوليد، أنتَ حَجَرٌ مَحْكَنٌ وبُودَقَةٌ سَبَكِنَا^(٤). وها نحنُ سائلوك ففضل من يَسْتَحَقَّ وعَيِّب، لِيُمَيِّزَ الحَبِيثَ من الطَيِّبِ.

فقال: أنا أوضِحُ إشكالَكُم فاسألوا عما بدا لَكُم. فقلنا: ما تقول في القاضي أبي القاسم^(٥)؟ فقال: علِمَ من الأعلام وشيخ الإسلام ومُنْجِزُ الأحكام وحاكمُ الحُكَّام. غيرَ أَنَّهُ - رَحِمَهُ اللهُ - يَتَنَاسُ لِلخَصَمَيْنِ فلا يُوقِظُهُ إِلَّا صَلَصلةُ الكَفِّينِ، ولو قَبَضْتَ على أنفِهِ بالكُلْبَتَيْنِ.....

قلنا: فما تقول في ابنِ الأَبَّارِ^(٦)؟ فقال: رَجُلٌ عَطَّارٌ وبائعُ أَبْزار. فَإِنْ تناوَلَ غيرَ هذا فهو بِنِيطار؛ يتعلَّمُ حِجامةَ الحِجَّامِ في أَقْفِيَةِ الأَيِّتام. قلنا: فما تقول في ابنِهِ أبي بَكْرِ^(٧)؟ فردَّ وَجْهَهُ وَقَطَّبَ، وقام على أن يَذْهَبَ؛ وقال: أبا بَخْرٍ^(٨) انقلب! قال الراوي لهذه الحِكَاية: فَعَنَّفْتُهُ لهذه الغِواية. فقال: إِنِّي في كلِّ هذا معذورٌ، وما هي إِلَّا نَفْتَةٌ مصدور. وأنشد:

إذا أنا لم أشْكُرْ على الخيرِ أهله ولم أذمُّ الحِيسَنَ^(٩) اللئيمَ المُذَمَّمَا،
ففيَمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ وشقَّ لِي اللهُ الماسِعَ والفَها!
قال: فودَّعناه وسارَ القومُ، وخرَجنا من المدينة في ذلك اليوم.

- من مطلع مقامته التي يصف فيها بغداد:

-
- (١) الدين: العادة. أهل دينها (الذين يَتَّبِعُونَ طريقتهم في المعيشة).
 - (٢) يبدو أن أبا الوليد القرطبي بطل مقامات الوهراني.
 - (٣) النقاد (بكسر النون وتخفيف القاف): نوع من الغنم الرديئة.
 - (٤) حجر الهكَّ تختبر به المِعادن. البودقة: وعاء تصهر فيه المِعادن.
 - (٥ و ٦ و ٧) أسهل مرتجلة (لا تدلُّ على أشخاص بأعيانهم).
 - (٨) البخر: الرائحة الكريهة في الفم. فردَّ - لعلها: أريد: تغيَّر لونه.
 - (٩) الحيس: الأمر الرديء.

قال الوهراني: لما تعذرت مآربي واضطربت مغاري، ألقيتُ جبلي على غاري^(١) وجعلتُ مذَهَبَاتِ الشعرِ بضاعتي ومن أخلاف الأدبِ رضاعتي^(٢). فما مررتُ بأميرٍ إلَّا حلَّلتُ ساحتَهُ واستمطَرتُ راحته، ولا وزيرٍ إلَّا قرعتُ بابَهُ وطلبتُ ثوابَهُ^(٣)، ولا بقاضٍ إلَّا أخذتُ سَيِّئَهُ وأفرغتُ جَنِبَهُ^(٤). فتقلَّبتُ في الأعصار وتقاذفتُ في الأمصار، حتَّى قرَّبتُ من العراقِ وسَمِمتُ من الفِراقِ. فقصدتُ مدينةَ السلامِ لأَقْضِيَ حَاجَةَ الإسلامِ^(٥). فدخلتها بعدَ مَقَاسَةِ الضُرِّ ومُكَابِدَةِ العَيْشِ المُرِّ. فلَمَّا قَرَّ بها قراري وانجلي فيها سراري^(٦)، طُفَّتْهَا طَوَافَ المُفْتَقِدِ وتَأَمَّلْتُهَا تَأَمَّلَ المُنْتَقِدِ، فرأيتُ مجراً لا يُعْبَرُ زَاخِرُهُ ولا يُبْصَرُ آخِرُهُ، وَجَنَّةً أَبَدَعُ جَنَّاتُهَا وفازَ باللَّذَّةِ سُكَّانُهَا..... وتآقتُ نفسي إلى مُحَادَثَةِ العُقَلَاءِ واشتآقتُ إلى معاشرَةِ الفُضَلَاءِ، فدَلَّنِي بعضُ السادةِ المَوَالِي إلى دُكَانِ الشَّيْخِ أَبِي المَعَالِي^(٧)، وقال: هُوَ بُسْتَانُ الأدبِ وديوانُ العرب، يَرْجِعُ إلى رأيٍ مُصِيبٍ وَيَضْرِبُ من كُلِّ عِلْمٍ بنصيب. فقصدتُ قَصْدَهُ وجلسْتُ عِنْدَهُ. وسألني عن حالي وعن طريقي انتِحالي^(٨). فقلتُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَهْدِي بالسَّفَرِ قَرِيب. فقال: من أَيِّ البلادِ خرجتَ وعن أَيِّها دَرَجْتَ^(٩)؟ فقلتُ له: من المَغْرِبِ الأَقْصَى والأَمَدِ الذي لا يُحْصَى^(١٠)، ومن البلدِ الذي لا تَصِلُ

- (١) تعذرت مآربي: استحالة عليَّ الحصول على ما أريده (في بلدي). اضطربت مغاري: تعددت أسفاري بين بلد وبلد. ألقيت جبلي على غاري (على كتفي): سرت في البلاد على غير خطة مرسومة.
- (٢) مذهبات الشعر: القصائد الجياد (تشبيهاً لها بالملقات التي قيل إنها كانت تكتب بالذهب). الأخلاف: جمع خلف (بكر الحاء: ضرع الناقة). - جعلت أنكتب بالشعر والأدب.
- (٣) استمطرت راحته (كفّه): طلبت منه عطاء (مالاً).
- (٤) السيب: العطاء. الجيب (في الأصل) مكان العنق من الثوب (وهنا): شبه كيس في ظاهر الثوب أو باطنه توضع فيه الأشياء.
- (٥) مدينة السلام: بغداد. حجة الإسلام: وجوب زيارة بغداد (عاصمة الإسلام السياسية).
- (٦) السرار: آخر الشهر القمري (حينما لا يظهر الهلال في السماء). انجلي (انكشف) سراري: بدأ هلاي يبدو في السماء (بدأت حالي تتحسن).
- (٧) الدكة والدكان: مرتبة عالية يُجلس عليها. أبو المعالي: (في منامات الوهراني، ص ٢، ح ١): هو غالباً أبو المعالي الكتبي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ.
- (٨) انتحالي: نخلتي (بكر النون) من المعاش: طريقة تحصيل معاشي.
- (٩) درج: بدأ سيره (خرج من طفولته إلى شبابه).
- (١٠) الأمد: الغاية والنهاية: وهنا: المسافة. الأمد الذي لا يحصى: لا يعرف قياسه (البعيد).

إليه الشمسُ حتَّى تكِلَّ أفلاكُها وتَضِجَ أملاكُها^(١)....

قال: كيفَ مَعْرِفَتُكَ بَدَهْرِكَ وَمَنْ تركته وراءَ ظَهْرِكَ؟ قلتُ له: أمّا البلادُ فقد قَلَبْتُ جُنُوبَهَا وكَشَفْتُ عُيُوبَهَا^(٢). وأمّا الملوكُ فقد لَقِيتُ كِبَارَهَا وحَفِظْتُ أخبارَهَا. فأَيُّ الدُّوَلِ تَجْهَلُ وعن أيِّها تَسألُ...؟

قال: فما تقولُ في عبدِ المؤمنِ وأولاده وسيرته في بلادِهِ^(٣)؟ فقلتُ: مُؤَيِّدٌ مِنَ السماءِ خَوَاضٌ لِلدِّمَاءِ مُسَلِّطٌ مِنَ فَوْقِ المَاءِ^(٤). حَكَمَ سِيفَهُ فِي القِمْمِ وَأَعْمَلَهُ فِي رِقَابِ الأُمَمِ^(٥)، حتَّى خَضَعَتْ لَهُ التَّيْجَانُ ودَانَتْ لَهُ الإِنْسُ والجَانُ. فَأَغْمَدَ الحِلْمُ شِفَارَهُ وَقَلَمَ العِلْمُ أَظْفَارَهُ^(٦)، فَلَانَ مَسَّهُ وَهَدَأَ حَسَّهُ^(٧). ولو أَنَّ للعِلْمَ لِسَانًا وَلِلوَرَقَةِ إِنْسَانًا لَتَأَلَّمَتْ وَتَظَلَّمَتْ^(٨) ولَأُنْشِدَتْكَ فِي المَلَأِ قولَ الشَّيْخِ أَبِي العَلَاءِ^(٩):

(١) تكلّ: تتعب. أفلاك جمع فلك (المدار الذي يسير فيه الكوكب). والكلمة هنا مستعملة في غير محلّها.

ضجّ: صاح صياحاً يدلّ على مشقّة أو فزع الخ. أملاك جمع ملك (بفتح الميم: واحد الملائكة). - كان الاعتقاد الوثني اليوناني أن الشمس تسير في مركبة يسوقها ويدفعها أشخاص سماوية.

(٢) الجنوب جمع جنب: طرف، جانب. قَلَبْتُ جُنُوبَهَا الخ: أَكثَرْتُ مِنْ زِيَارَةِ مَنَاطِقِهَا وَعَرَفْتُ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِهَا.

(٣) عبد المؤمن بن عليّ، أمير المسلمين، وأوّل سلاطين دولة الموحّدين (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، كان له ستّة عشر ولداً من الذكور، منهم أبو يعقوب يوسف، خلفه في الملك (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) - ولم يدرك الوهراني أحداً من سلاطين الموحّدين بعده. ثمّ كان من أبناء عبد المؤمن نفر تولّوا (بفتح اللام) عدداً من المدن في المغرب وفي الأندلس ويظهر أن الوهراني لم يكن ميّالاً إلى دولة الموحّدين لأنّه لم ينل حظوة عند أهلها.

(٤) خواض للدماء: كثير المعارك أو كثير القتل للناس. مسلّط من فوق الماء (؟) السماء (سلطة الله على الناس).

(٥) حَكَمَ سِيفَهُ فِي القِمْمِ (قتل كثيراً من رؤساء الناس) وَأَعْمَلَهُ فِي رِقَابِ الأُمَمِ (ظلم الناس والشعوب وأبادهم).

(٦) الحِلْمُ (بكسر الحاء): العقل، سعة الصدر، ضبط النفس. الشفار جمع شفرة (بفتح فسكون): حديدة عريضة مسنونة (سيف). قَلَمَ أَظْفَارَهُ: جعله عاجزاً عن الظلم أو القتل أو الاعتداء.

(٧) لانّ مسّه: أصبح ظاهره بريئاً لا يدلّ على خطر أو ضرر. راجع قول عنتره:

إِنَّ الأَفَاعِي وَإِنْ لَانَسَتْ مَلَامِسَهَا عِنْدَ التَّغَلُّبِ فِي أُنْيَابِهَا العُطْبِ.

هدأ (قلّ، بطل) حَسّه (بكسر الحاء): الشعور، ولا معنى لها هنا. وحسّه (بفتح الحاء) القتل.

(٨) ... لِسَانًا (يتكلم)... إِنْسَانًا (بؤبؤاً للعين) يرى.

(٩) الملاء: أنشرف القوم وجهرتهم. أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم والناثر النقاد (ت ٤٤٩ هـ).

جَلَّوْا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا: صَدَقْنَا. فَقُلْنَا: نَعَمْ^(١) !
ولكنَّ السكوتَ عن هذا أَرْجَحُ ومُسَالمةُ الأفاعي أُنْجَحُ. وعند الله تَجْتَمِعُ
الْخُصُومُ^(٢).

- للوهرا في جوابٍ طويلٍ على رسالةٍ وردتْ إليه. سَلَكَ الوهرا في هذا الجوابِ
مَسَلَّكَ التَّرْسُلِ حيناً ومَسَلَّكَ المَقَامَةِ أحياناً، ثمَّ طَوَاهِ على مَنَامٍ رَءَمَ أَنَّهُ رَآهُ. وهذا
الجوابُ الرسالةُ المَقَامَةُ طَوِيلٌ يَبْلُغُ نَحْوَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ صَفْحَةً (٥٣٠ سَطراً) قَلَّدَ في
بَعْضِهِ رسالةَ الْغُفْرَانِ لِلْمَعْرِيِّ: الشاعِرُ الْحَكِيمُ وَالنَّائِثُ النِّقَادَةُ (ت ٤٤٩ هـ).
- من هذا الجوابِ:

.... ثُمَّ تَرْتَفِعُ الضُّوْءُ، وَإِذَا بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمَقَامِ الْحَمُودِ^(٣) كَأَنَّهُمْ
الْشَّمْسُ وَالْأَقْمَارُ، رُكْبَانٌ عَلَى نَجَائِبٍ مِنْ نَوْرِ يُؤْمُونَ الْمَشْرَعَةَ الْعُظْمَى مِنَ الْخَوْضِ
الْمُرُودِ^(٤). فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ فَقِيلَ لَنَا: هَذَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَتَجَرَّي خَلْفَهُ وَنُجَيْدُ أَنْفُسِنَا فِي طَلْبِهِ. فَلَمْ نَصِلْ
إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزِّحَامِ. فَطَلَعْنَا عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ مِنْ جِبَالِ الْأَعْرَافِ^(٥) نَرَقُبُهُ حَتَّى عَبَّرَ
عَلَيْنَا - عَنْ يَمِينِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَنْ يَسَارِهِ عُمَرُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَوْلَادُهُ الصِّغَارُ مَعَ الْحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ وَعُثْمَانَ يَقْدُمُهُمْ^(٦). وَمِنْ وَرَائِهِ حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَجَعْفَرٌ وَعَقِيلٌ^(٧)، وَبَقِيَّةُ

(١) جلا: أظهر، أبرز، شهر. الصارم (السيف). وتلا (قرأ) باطلاً (أحاديث غير صحيحة). وقالوا
صدقنا (أدعوا الصواب في أفعالهم) فقلنا نعم (اضطربنا إلى الطاعة).

(٢) أرجح: أثقل (أقرب إلى العقل) الأفاعي: الحيات. و «عند الله تجتمع (يتم القيامة) الخصوم» عجز
(يفتح فم) بيت صدره «إلى ديان يوم الحق نضي» ديان يوم الحق (يوم القيامة): الله تعالى.

(٣) المقام الحمود: الجنة. في القرآن (١٧: ٧٩، سورة الإسراء) في خطاب الرسول: «عسى أن يبعثك
ربك مقاماً محموداً» (مقام الشفاعة يوم القيامة).

(٤) نجائب جمع نجيبة (الناقة الكريمة الأصلية). الخوض المورود (الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة).
المشركة العظمى (المكان الأرفع في ذلك الخوض).

(٥) الأعراف مكان بين الجنة والنار

(٦) أبو بكر الخليفة الأول ثم عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. ثم
عثمان بن عفان الخليفة الثالث يقدمهم = يتقدمهم (يسير أمامهم قائداً لهم) الضمير المستتر في «يقدمهم»
يمكن أن يرجع إلى «عثمان».

(٧) حمزة والعباس ابنا عبد المطلب (عم الرسول). جعفر الطيار وعقيل ابنا أبي طالب وأخو علي

أصحابه يمشون في ركابه مع المهاجرين والأنصار^(١) - وهو يُصغي أحياناً إلى حديث علي عليه السلام وتارة إلى عثمان، وهما فيما بينه وبين أولاده الصغار. والناس يضيّجون بالبكاء ويُشيرون إليه بالأيدي ويستغيثون عليه من كل مكان^(٢).

٤ - منامات الوهراني ومقاماته ورسائله (تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش)، مصر (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة: المكتبة العربية: التراث)؛ الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر ١٩٦٨ م.

★ وفیات الأعيان ٤: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٦ - ٣٨٩؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ بروكلمان ١: ٣٢٩، الملحق ١: ٤٨٩؛ أعلام الجزائر ١٧٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٤١؛ البحث العلمي ٦: ٢ (سبتمبر ١٩٦٥) ص ١٩٥؛ تعريف الخلف ٤٨٧ - ٤٨٨.

يونس بن محمد القسطلّي

١ - هو أبو الوليد يونس بن محمد القسطلّي من أهل الجزيرة الخضراء (على الساحل الجنوبي للأندلس)، كان كاتباً لبعض الولاة. وقد رحل إلى المشرق. وكانت وفاته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م).

٢ - أبو الوليد القسطلّي من خيار البلغاء وشاعرٌ مُكثّرٌ من فحول الشعراء كان يقلّد شعراء المشرق. وله مقطّعات وقصائد طوالٌ وأراجيزٌ وأكثر شعره المديح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونس القسطلّي يمدح ابن عبد المؤمن بن سعيد (الموحّدي)، وقد جاء إلى البلد (خريدة المغرب ١: ٣٤٨):

(١) المهاجرون أهل مكّة من الذين هاجروا مع الرسول من مكّة إلى المدينة الأنصار أهل المدينة الذين استقبلوا الرسول وأصحابه المهاجرين وحوه (بفتح الميم) وحاربوا معه

(٢) يستغيثون عليه (٢) يستغيثون عليه (يسترونه من كثرة ازدحامهم حوله). في القرآن الكريم (٧١: ٧، سورة نوح): «واستغثوا ثيابهم»: غطّوا بها رؤوسهم.

أَهْلًا بِمَرَاكَ السَّعِيدِ وَمَرْحَبًا، اليَوْمَ رَقَّ لَنَا الزَّمَانُ وَأَعْتَبًا^(١).
بِكُمْ تَحْلَى الدَّهْرُ أَحْسَنَ حَلِيَّةٍ فَعَدْتُ لِيَالِيهِ صَبَاحًا أَشْهَبًا^(٢)،
وَأَنَارَتِ الدُّنْيَا بِهَدْيِكُمْ الَّذِي أَحْيَا مَشَارِقَهَا وَخَصَّ الْمَغْرِبَا^(٣).
وَلَهُ شَمَائِلُ كَالْخَمَائِلِ جَادَهَا صَوَّبُ السَّحَابِ عَطَّرَتْ نَوْرَ الرُّبَى^(٤)؛
وَيَسُوبُ ذَاكَ مَرَارَةً لِمَنِ اعْتَدَى. لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَمَرٌ وَأَعْذَبَا!
يَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ يَفْعَلُـهُ كَمَا يَهْتَزُّ عِطْفُ الْبَانِ تَحْتَ يَدِ الصَّبَا^(٥)؛
وَيَهْشُ نَحْوَ الْمَكْرُمَاتِ سَجِيَّةً، وَيُمَدُّ لِلْمَجْدِ الذِّرَاعَ الْأَرْحَبَا^(٦).

- وقال يصف غديراً يصبّ في بركة كبيرة:

فَوْقَ الدَّوْحَةِ الْفَنَّا غَدِيرٌ تَلَأًا صَفْحَةً وَسَجَا قَرَارَا^(٧).
إِذَا مَا انْصَبَّ أَرْزَقَ مُسْتَقِيماً تَدَوَّرَ فِي الْبُحِيرَةِ فَاسْتَدَارَا^(٨).
يُجَرِّدُهُ فَمُ الْأَنْبُوبِ صَلْتَاً حُسَاماً ثُمَّ يَفْتِلُهُ سِوَارَا^(٩)!

٤-★★ التكملة ٤٧١؛ زاد المسافر ٥٧ - ٦١ خريدة المغرب ١: ٣٤٨ - ٣٥٠؛ المغرب ٣٢٨: ٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٤٨ (٨: ٢٦٣).

-
- (١) أعتبنا الزمان: أرضانا (صفا لنا).
(٢) أشهب: أبيض.
(٣) الهدي (بفتح الهاء): الهدي (بضم الهاء).
(٤) الحميلة: جانب من الروضة فيه أشجار كثيفة كثيرة الزهر. جادها صوب الحيا: هطل عليها مطر كثير. النور (بفتح النون): الزهر.
(٥) العطف: الجانب (هنا: الفصن). البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة. الصبا: ريح الشرق.
(٦) يهش: يرتاح ويسر. سجيّة: طبيعة. الأرحب: الأوسع (هنا: الأطول)، يمدّ للمجد الخ: ينال من المجد ما لا يستطيع غيره أن يصل إليه.
(٧) فوق الدوحة (الشجرة الكبيرة): بعيداً عنها. الفنّاء: الناضرة المملوءة بالورق. غدير: ماء يغادر النهر (بخلاف الرافد: ماء يصبّ في النهر). سجا: سكن، هدأ. قرار: قمر. الملموح هنا أن الماء آت من النهر بأنبوب ضخم.
(٨) أرزق: صاف (غير ممزوج بالهواء حتّى يبدو أبيض).
(٩) الصلت: الواضح، الأملس.

ابن سيد اللصّ الإشبيليّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ علي بن عبدِ الملك بن سليمان الكِنَافِيّ المعروفُ بابن سَيِّدِ اللصّ^(١) الإشبيليّ، وُلِدَ سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م).

قرأ ابنُ سَيِّدِ الإشبيليّ القرآنَ على ابن عَيْشُونِ (ت ٥٣١ هـ) وعلى أبي الحسن شُرَيْحِ بنِ مُحَمَّدٍ (ت ٥٥٧ هـ) وقرأ كتابَ سَيِّبَوَيْهِ (في النحو) على ابن الرّمّاء (ت ٥٤١ هـ) مرّتين وقرأ الأدبَ على أبي مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدّرَ لإقراء اللّغة والنحو والأدب. وعشق حفصة شاعرة الأندلس. ولما جاء أوّلُ سلاطينِ الموحّدين عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ إلى الأندلسِ وذهَبَ إليه الشعراءُ في جَبَلِ الفَتْحِ (جبل طارق) يمدحونه كان ابنُ سَيِّدِ الإشبيليّ مَعَهُمْ. وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أو في السنة التالية.

٢ - كان ابنُ سَيِّدِ الإشبيليّ مُقرِّناً مُحدّثاً ومن علماء اللّغة والنحو المُبرِّزين، كما كان من أهلِ البلاغة والأدب، ناثراً قديراً وشاعراً بارعاً. وهو من مشهوري شعراء الأندلس. وكان حسوداً متوتّباً بالهجاء على الناس، مُحِبّاً لِحَوْكِ المكائد. وهناك في آثاره عددٌ من الكلمات لا يَجْري على المنهج اللغوي القويم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن السَّيِّدِ الإشبيليّ في النسيب:

كَلْنِي إِلَى أَذْمُعِ تَسْحُو تَكْتُبُ شَرَحَ الْهَوَى وَتَمْنَحُو^(٢).
أَفْذِي الَّتِي لَوْ بَغَتْ فُسَاداً مَا كَانَ بَيْنَ الْأَنَامِ صُلْحُ^(٣).
صَاحِيحَةً وَالْجَفُونَ سَكْرَى: مِنْ أَسْكَرْتَهُ فَلَيْسَ يَصْحُو.

(١) لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَدَاتِهِ يَغْيِرُ عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ (الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨).

(٢) كَلْنِي (فعل أمر من «كل - يَكِلُ»: عهد به إلى، تركه. سحا: (انهزم المطر بشدة).

(٣) بَنَى (أَرَادَ).

جَارَ عَلَيْكَ الْأَنَامُ ظُلْمًا سَمَوَكَ لَيْلَى وَأَنْتِ صُبْحُ!

- ومن قصيدة له يمدح بها أبا بكر بن مزدلي:

نَدَاكَ الْغَيْثُ إِنْ مَحَلُّ تَوَالِي، وَأَنْتَ اللَّيْثُ إِنْ شَهِدُوا الْقِتَالَا^(١).

غَضَبْتَ اللَّيْثَ شِدَّةَ سَاعِدَيْهِ - نَعَمْ - وَسَلَبْتَ عَيْنَيْهِ الْغَزَالَا.

وَمَا أَفْنَى السُّؤَالُ لَكُمْ نَوَالًا، وَلَكِنْ جُودُكُمْ أَفْنَى السُّؤَالَا!

نَوَالٌ طَبَّقَ الْآفَاقَ حَتَّى جَرَى مَثَلًا بِهَا وَغَدَا مِثَالَا.

- وكان مفرى بهجاء آل فندلة ظلمًا فقال فيهم:

الْمَوْتُ لَا يُبْقِي عَلَى مُهْجَةٍ: لَا أَسَدًا يُبْقِي وَلَا نَعْتَلَةً^(٢)،

وَلَا شَرِيفًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَلَا وَضِيعًا لِبَنِي فَنْدَلَةٍ.

- وكتب ابنُ سيدِ الإشبيليِّ إلى أبي جعفر بن سعيد^(٣) يعتذر من وشاية كانت

حُمِلَتْ إِلَيْهِ عَنْهُ:

سَلَامٌ كَتَسْنِيمٍ^(٤) عَلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْكَرِيمِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، وَإِنْ كَانَ

مَوْلَايَ لَمْ يُفَاتِحْنِي بِالسَّلَامِ وَلَا رَأَى أَهْلًا لِمُقَاوَمَةِ الْكِرَامِ، لَكِنْ حَطَّ قَدْرِي عِنْدَهُ مَا

نُسِبَ لِي مِنَ الذَّنْبِ الْمُخْتَلَقِ. وَلَا، وَاللَّهِ، مَا نَطَقْتُ بِلِسَانٍ وَلَا كُنْتُ مِمَّنْ رَمَقَ^(٥)؛ بَلِ

الَّذِي زَوَّرَ لِسَيْدِي فِي هَذِهِ الْوَشَايَةِ كَانَ الْمُعِينَ عَلَيْهَا وَالْمَلَمَّ إِلَيْهَا. فَبَادَرَ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ

أُسَبِّقَهُ فَاتَّسَمَ بِأَسْقَطِ خِلَتَيْنِ: النَّذَالَةِ الْأُولَى وَالْوَشَايَةَ الْآخَرَى. لَوْلَا أَنَّ الْمَجَالِسَ

بِالْأَمَانَاتِ وَأَنَّ الْخِلَاعَةَ بِسَاطٍ يُطَوَّى عَلَى مَا كَانَ فِيهِ، لَكُنْتُ أَسْبَقُ مِنْهُ وَلَكِنِّي يَا بِي

ذَلِكَ خُلِقِي وَمَا تَأَدَّبْتُ بِهِ.....

ولولا ما أخشى من التثقیل وما أتوقع من الحجل إذا التقى الوجهان لآتيتُ

(١) المحل (بالتفتح): الجذب وانقطاع المطر.

(٢) النعتل: الذكر من الضباع. والنعتلة: الحمق (والشاعر يقصد: الثعلب).

(٣) أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (قتل ٥٥٩ هـ).

(٤) التسنيم: عين في الجنة.

(٥) رمق: تابع الأشياء ببصره (٢).

حَتَّى أُبْلَغْتُ فِي الاعتذار بِالشَّافَهَةِ مَا لَا يَسَعُ الْقُرْطَاسُ. لَكِنِّي مُتَكِلٌّ عَلَى حِلْمِ
سَيِّدِي وَإِعْضَائِهِ مُتَوَسِّلٌ إِلَيْهِ فِي الْغُفْرَانِ بَعْلَانِهِ.....

٤-★★ زاد المسافر ٩٤-٩٥؛ الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨؛ المغرب ١: ٢٥٢؛ المطرب
٢٠٠-٢٠٢؛ المنى بالإمامة ١٥٥-١٥٦، ١٦٨، ١٧٠، ٤٥٣-٤٥٧؛ المعجب
٢١٧؛ بغية الوعاة ١٤٩-١٥٠؛ نفح الطيب ٤: ١٩٣، ١٩٦-٢٠٤؛ الأعلام
للزركلي (١: ١٧٤).

أبو الطيّب المسيلي

١- هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي (نسبة إلى مدينة المهدية،
وتسمى المحمدية) المسيلي، نسبة إلى المسيلة في المغرب الأوسط (الجزائر). وُلِدَ سَنَةَ
٥١٢ هـ (١١١٨ - ١١١٩ م) وكانت وفاته سَنَةَ ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م).

٢- كان أبو الطيّب المسيلي من أعيان شعراء المغرب الراشخين في الأدب، له
مُقطَّعاتٌ حسانٌ في الغزل وله مديحٌ ونسيبٌ وخر.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الطيّب المسيلي في النسيب:

خَطَرْتُ عَلَى وادي العذيب بأدمعي، فَمَا جُرْتُهِ إِلَّا وَأَكْثَرُهُ دَمٌ^(١).
وَقَدْ شَرَبْتُ مِنْهُ كِرَامٌ جِيادِنَا فَكَادَتْ بِأَسْرَارِ الْهُوَى تَتَكَلَّمُ^(٢).
رَحَلْتُمْ، فَهَذَا اللَّيْلُ فَيْكُمْ فَلَمْ يَعُدْ إِلَيَّ سِوَاهُ فَيْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ^(٣).

(١) خطرت (مررت عرضاً، اتفاقاً) على وادي العذيب (نهر العذيب) وأنا أبكي. فَمَا جُرْتُهِ (قطعته) إِلَّا
وَقَدْ أَصْبَحَ أَكْثَرُ مَائِهِ دَمًا مِنْ أَدْمَعِي.

(٢) حَتَّى جِيادِنَا: خيلنا (وهي بهائم) لَمَّا شَرَبْتُ مِنْ وادي العذيب (بعد أن سال دمعِي فيه!) أَصْبَحَتْ
تَتَكَلَّمُ فِي الْهُوَى وَالْحَبِّ.

(٣) مِنْذُ ذَلِكَ اللَّيْلِ الَّذِي رَحَلْتُمْ فِيهِ لَمْ أُنَمْ (ولذلك لَا أَذْكَرُ أَنَّهُ جَاءَ لَيْلَ آخِرِ بَعْدِهِ).

وما أنا صبٌّ بالنجوم، وإنَّا
- وله في النسيب أيضاً:

سَلَّمَ إِذْ مَرَّ؛ وَلِي هَمٌّ
تَسْتَنْزِلُ الْأَقَارَ وَالْأَنْجَا^(١).
تَظْهَرُ وَلَا تَرَوِي، وَلَوْ أَنِّي
الْتَمَتُهَا وَجَنَّتْهُ وَالْفَا^(٢).
هَذَا كَثِيرٌ؛ فَاشْكُرِي وَاحْمَدِي.
فَكَيْفَ لَوْ مَرَّ وَمَا سَلَّمَ^(٣).

٤-★★ المطرب ٤١-٤٧.

ابن بشكوال

١- هو أبو القاسم خَلَفُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بَشْكَوَالٍ..... الْحَزْرَجِيُّ
الْأَنْصَارِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ شُرَيْنَ مِنْ قَرَى إِشْبِيلِيَّة.

وُلِدَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ فِي قُرْطُبَةِ فِي الثَّلَاثِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٤٩٤
(١١٠١/٩/٢٩ م) وَسَمِعَ كَثِيراً مِنَ الْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ فِي قُرْطُبَةِ وَإِشْبِيلِيَّةَ عَلَى نَفَرٍ مِنَ
الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رَشِيدٍ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

وَنَابَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ فِي بَعْضِ جِهَاتِ
إِشْبِيلِيَّةِ ثُمَّ تَوَلَّى عَقْدَ الشُّرُوطِ بِلَدِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ فَضَّلَ آخِرَ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى
إِسْمَاعِ الْعِلْمِ.

وكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ بَشْكَوَالٍ فِي الثَّامِنِ مِنْ رَمَضَانَ ٥٧٨ (١١٨٣/١/٦ م).

٢- كَانَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ نَحْوُ خَمْسِينَ مُصَنَّفًا ضَاعَ

(١) أَنَا لَا أَحَبُّ نَجْمَ السَّمَاءِ، وَلَكِنِّي أَسْهَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَطَّلِعُ إِلَيْهَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُوْهَمُنِي أَنَّهَا تَشْبَهُكُمْ، فَأَنَا
أَتَطَّلِعُ إِلَى مَا يَشْبَهُكُمْ. أَنْكُمْ أَنْتُمْ تِلْكَ النُّجُومُ لِأَنَّكُمْ بَعِيدُونَ عَنِّي مِثْلَهَا.

(٢-٤) فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ حَدِيثٌ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: تَقُولُ نَفْسُهُ: إِنَّ الْحُبُوبَ مَرَّ وَسَلَّمٌ فَقَطْ (وَكَانَ الْمُنْتَظَرُ
أَنْ يَنْزِلَ وَيُجَادِثَنِي). وَأَنَا لَا أَصْبِرُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ. فَقَالَ الشَّاعِرُ لِنَفْسِهِ: هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْحُبُوبِ (مَرَّ
بِكَ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْكَ)، فَاحْدِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ يَمُرَّ وَلَا يَسَلَّمَ أَوْ لَا يَمُرَّ أَيْضًا!

مُعْظَمُهَا فمن كتبه: الصِّلَةُ في أخبار أئمة الأندلس (وهو استمرار لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرَضي) - تاريخ صغير في أحوال الأندلس - أخبار قضاة قرطبة - كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة (وهو مختصر لكتاب المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبي جعفر بن مُطاهر) - كتاب الفوامض والمُبهمات (في أسماء نفر من رجال الحديث) - جزء صغير ذكر فيه الذين رَوَوْا كتاب الموطأ عن الإمام مالك نفسه - كتاب المستغنين بالله تعالى عند المهمات والحاجات الخ - أصحاب الأندلس (نفع الطيب ٣: ١٨١) - التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين (نفع الطيب ٣: ٦٤، راجع ١٠ و ٦٠).

٣ - من مقدمة « الصلة » لابن بشكوال:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْحَابَنَا - وَصَلَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُمْ وَنَهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُمْ - سَأَلُونِي أَنْ أَصِلَ لَهُمْ كِتَابَ الْقَاضِي النَّاqِدِ أَبِي الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسُفَ الْأَزْدِيِّ، الْحَافِظِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْفَرَضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).... وَأَنْ أُبْتَدِئَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى كِتَابُهُ وَأَبْنِ وَصَلَ تَأْلِيفَهُ مُتَّصِلًا إِلَى وَقْتِنَا.

وَكُنْتُ قَدْ قَيْدْتُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ^(٢) وَأَثَارِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَمَوَالِدِهِمْ وَوَفَيَاتِهِمْ، وَعَمَّنْ أَخَذُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ رَوَى عَنْهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الرُّوَاةِ وَكِبَارِ الْفُقَهَاءِ. فَسَارَعْتُ إِلَى مَا سَأَلُوا وَشَرَعْتُ فِي ابْتِدَائِهِ عَلَى مَا أَحْبَبُوا، وَرَتَّبْتُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ككِتَابِ ابْنِ الْفَرَضِيِّ وَعَلَى رَسْمِهِ وَطَرِيقَتِهِ. وَقَصَدْتُ إِلَى تَرْتِيبِ الرِّجَالِ - فِي كُلِّ بَابٍ - عَلَى تَقَادُمِ وَفَيَاتِهِمْ، كَالَّذِي صَنَعَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَنَسَبْتُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى قَائِلِهِ، وَاخْتَصَرْتُ ذَلِكَ جُهْدِي. وَقَدَّمْتُ هُنَا ذِكْرَ الْأَسَانِيدِ إِلَيْهِمْ مَخَافَةَ تَكَرُّرِهَا فِي مَوَاضِعِهَا^(٣)..... وَكَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ مَا سَأَلْتُ عَنْهُ شَيْوْخَنَا وَثِقَاتِ

(١) ابن الفرَضِي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) من أخبار الأشخاص الذين أريد جمع أخبارهم في كتابي المقترح.

(٣) ذكر ابن بشكوال الرواة الأساسيين الذين أخذ عنهم في مقدمة كتابه كيلا يضطر إلى تكرار ذكرهم مع كل شخص أخذ عنهم خبراً من أخباره.

أصحابنا وأهل العناية بهذا الشأن ومن شُهرَ منهم بالحِفظ والإِتقان وقد نَسَبْتُ ذلك إلى من قاله لي منهم، إلّا ما لحِقْتُهُ بِسَنِي^(١) وشاهدته بنفسي وقيدته بخطي، فلستُ أُسِنِدُهُ إلى أحدٍ وأقتصرُ في ذلك على ما عَلِمْتُه وتحقَّقْتُه.

٤ - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م؛ (عزّة العطار)، القاهرة وبغداد (مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى) ١٩٥٥ م راجع نقد الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢ : ٢٨٨ .

★ ★ الصلة ٦٥٠؛ التكملة لكتاب الصلة ١ : ٥٤ (رقم ١٧٩؛ معجم ابن الأبار ٨٢ - ٨٥؛ المغرب ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٤٢ - ٣٥٣؛ وفيات ابن قنفل ٢٩٠؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١؛ الديباج المذهب ١١٤؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦١؛ نفع الطيب ١ : ٢٣٠ - ٢٣١، ٢٦٣ - ٢٦٦، ٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٥٠ وما بعد، ٥٥٥ - ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٥٦٣ : ٢ : ٥٣ - ٥٤، ١٢٩، ١٠ : ٣، ٦٠، ٦٤، ١٨١ (نقول وإشارات مفيدة)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣٣ - ٧٣٤؛ بروكلمن ١ : ٤١٥، الملحق ١ : ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٥٩ (٣١١)؛ بالنبيا ٢٧٣ - ٢٧٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٨٧ - ٥٧٩؛ سركيس ٤٦ - ٤٧ .

الخزرجي الصقلّي^(٢)

١ - هو أبو عُمَرَ عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ الخزرجي الأنصاري السرقوسي الصقلّي النحوي المقرئ، أصله من الخزرج الأنصار أهل المدينة ومولده أو مسكنه في سرقوسة عاصمة صقلية. ويجب أن يكون الخزرجي الصقلّي قد عاش طويلاً حتّى أمكن أن يتصل بالذين اتّصل بهم على تباعدِ أزمانهم.

قرأ الخزرجي الصقلّي القرآن الكريم على الحسن بن خلف بن بليمة القيرواني (ت ٥١٤ هـ) وابن الفحام الصقلّي (٤٢٢ - ٥١٦ هـ) وغيرهما. ثمّ إنّه غادر صقلية

(١) لحقته بسني (عمري): أدركته وهو حيّ.

(٢) للخزرجي الصقلّي ترجمتان في معجم الأدباء (١٢ : ١٣٠ وما بعد)، رقمها ٣٨ و ٣٩ .

فمرّ بالقيروان واتّصل بالمرتضى يحيى بن تميم ابن باديس الصنهاجيّ ملك القيروان (٤٥٣ - ٥٠١ هـ). ثمّ انتقل إلى مصر ولازم الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) في أثناء إقامة السلفي في مصر (معجم الأدباء ١٢ : ١٣١) فقرأ على السلفي وعلى من كان السلفي قد قرأ عليهم كحمّدي بن بركات المصري اللغوي (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وأبي صادق مرشد بن يحيى المدني المصري الذي درس عليه في مصر ابن سعدون القرطبي^(١) (ت ٥٦٧ هـ) وكالفراء الموصليّ أبي الحسين عليّ بن الحسين بن عمر (وفيات الأعيان ٦ : ٦٧ : ٣٣٢) في مصر. ثمّ صارت له حلقة في جامع عمرو (في مصر القديمة) فروى عنه، سنة ٥١٧ هـ، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي^(٢) (الذي سبق أن قرأ عليه الخزرجي الصقليّ نفسه) وابن بريّ النحوي (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ). وكان السلفي في مصر فبنى له الأمير العادل وزير الظاهر العبيديّ مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦ هـ. وقال القفطيّ (إنباء الرواة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣) : « وكان (الخرزجيّ الصقليّ) قريباً من زماننا في المائة السادسة للهجرة ». من كلّ ما تقدّم هنا نميل إلى القول بأن الخزرجيّ الصقليّ قد عاش بين سنة ٤٩٠ و ٥٨٠ هـ (١٠٩٧ - ١١٨٥ م).

٢ - كان الخزرجيّ الصقليّ عالماً باللغة والنحو مُقرّناً للقرآن. وله شعرٌ على النهج المشرقيّ بين التقليد والجودة. وله نثرٌ خيرٌ من شعره. أمّا نقده فجيّد (راجع المختارات). ثمّ هو مُصنّف، له: حاشيةٌ على كتاب الإيضاح^(٣) أو شرح الإيضاح وهي غاية في الجودة - مخارج الحروف (مختصر) - مختصر في القوافي (وهو الذي رواه السلفي عن الخزرجيّ الصقليّ) - مختصر عمدة ابن رشيقي (وقد زاد فيه أشياء كان ابن رشيقي قد أخلّ بها) - كتابٌ فيه نثر ونظم (له).

٣ - مختارات من آثاره:

- كَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ سَلَفَةَ (السلفي) إلى الخزرجيّ الصقليّ كتاباً فيه شيءٌ من النظم

(١) ابن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ) درس على أبي صادق المدني (وفيات الأعيان ٦ : ٧٦ و ١٧١).

(٢) روى السلفي عن الخزرجي كتاباً مختصراً في القوافي (معجم الأدباء ١٢ : ١٣٧).

(٣) الكتب المسماة « الإيضاح » كثيرة جداً، ذكر بروكلمان منها (راجع فهرست بروكلمان، الملحق ٣ :

٩٠٧ - ٩٠٨) نحو خمسة وعشرين (معرفة باللام، غير المضافة إلى ما بعدها).

منه « ما وَقَعْتُ عيني على مثله ». فأجاب الخزرجي الصقلي بقول منه:

وَقَفْتُ على ما تَفَضَّلْتَ بِهِ حَضْرَتُهُ وانْتَهَتْ إليه من الآداب هِمَّتُهُ. فَمِنْ نثرٍ رَأَيْتُ
العِلْمَ مضمونَهُ، والدُرَّ مكنونَهُ، والحِكْمَةَ قرينَهُ^(١)؛ وَمِنْ نظمٍ كانتِ الفصاحةُ يمينَهُ
وفصلُ الخطابِ عَرْنينَهُ^(٢). وودَّ فصيحُ الكلام أن يكونَهُ، وأحيا القلوبَ وكشفَ
المحجوبَ

تَوَجَّني مَوْلَايَ مِنْ قَوْلِهِ تاجاً علا التيجانَ من قبلِهِ^(٣)
لأنَّها تَبَلَّى، وهذا إذا مرَّتْ به الأيامُ لم تُبْلِه^(٤).
فَعِلْمُهُ يُشْتَقُّ من لَفْظِهِ، وَلَفْظُهُ يُشْتَقُّ من فَضْلِهِ.
تَكَامَلَتْ أوصافُهُ كُلُّهَا، ومثْلُهُ مَنْ كانَ مِنْ مثْلِهِ^(٥).

- وله من الشعرِ مَعَ شيءٍ من النَقْدِ. قال:

يَهونُ عليها أنْ أَيْتَ مُتَيِّماً وأُصْبِحَ محزوناً وأُضْحِي مُفرَماً.
صَلِي مُدْنِفاً أوْ واعدِيه وأُخْلِفِي فَقَدْ يَتَرَجَّى الآلَ من شَفَةِ الظِّمِّ^(٦).
ضَمَانٌ على عَيْنِيكَ قَتْلِي، وإِنَّا ضَمَانٌ على عَيْنِي أنْ تَبْكِيَا دَمًا^(٧).

ثم قرأتُ بعدُ ديوانَ البُحْثَرِيِّ فوجدتُ مُعْظَمَ هذه الألفاظِ مُبَدَّدةً فيه. فإذا كانتُ
أَكْثَرُ المعاني يَشْتَرِكُ فيها الناسُ حَتَّى قَطَعَ ابنُ قُتَيْبَةَ^(٨) أنَّ قولَهُ تعالى « يُريدُ أنْ

(١) مضمونه (ما كان ضمنه، فيه) ومكنونه (ما كنَّ، اختبأ فيه) وقرينه (المربوط معه، المساوي له).

(٢) يمينه (أحسن قسميه وأقواهما، في مقابلة شماله بكسر الشين). فصل الخطاب: القول أو الرأي الصحيح

البات المجازم. العرنين: أعلى الأنف (عرنين الشيء: أفضله).

(٣) كان أسمى وأتمن من جميع التيجان السابقة (تيجان الملوك).

(٤) بلي (بكسر اللام) يبلى (بفتح اللام) الشيء: تهرأ.

(٥) ليس في البشر رجل كامل الأوصاف إلا إذا كان مثل هذا المدوح.

(٦) صلي (بكسر الصاد واللام) واصل، أنعمي بالوصل أو اللقاء على المحبوب. المدنف: الذي مرض من

الحبِّ وأشرف على الهلاك. واعديه: اقطعي له وعداً أو عهداً. اخلفني: انكثبي في وعدك. الآل:

السراب. شفه: أنحله (جعل جسمه ناعلاً أو نحيلاً: ضعيفاً). الظم: العطش.

(٧) ضمان (هنا) عزم وتأكيد.

(٨) ابن قتيبة ناقد مشرقي (ت ٢٧٦ هـ) له كتاب الشعر والشعراء.

يَنْقُضَ»^(١) لا يُعْبَرُ عنه إِلَّا بهذه العبارة وَنَحْوَهَا فغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَشْتَرَكُوا^(٢) أَوْ
تَتَّفَقَ أَلْفَاظُهُمْ فِي العبارة عنها. ولكن أَيْ الْمَوْلَدُونَ إِلَّا أَنَّهَا سُرْقَةٌ^(٣).

- وله في الغزل:

رحلتُ فعَلِمْتُ الفَوَادَ رَحِيلاً وبَكَتْ فَصَيَّرَتِ الْأَسِيلَ مَسِيلاً^(٤).
وَإِذَا الْحُبُّ أَرَادَ قَتْلَ حَبِيبِهِ جَعَلَ الْفِرَاقَ إِلَى الْمَاتِ سَبِيلاً!

٤-★★ معجم الأدباء ١٢: ١٣٠ - ١٣٥ تم ١٣٥ - ١٤١ (ترجمة مكررة)؛ إنباه الرواة
٢: ٣٤٢ - ٣٤٣؛ البلغة ١٣٩؛ بغية الوعاة ٣٢٣؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٧٦.

ابن الفراء الضريرُ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (بن محمد) الأستاذ الأديب الخطيب المقرئ
النحوي، كان يُقْرَأُ القرآنَ والشعرَ والنحوَ واللغة في المَرِيَّةِ في القرنِ السادسِ
للهجرة (الثاني عشر للميلاد). ويبدو أن وفاته كانت في أواخر القرن السادس^(٥) لأنَّ
جَدَّه أبا عبد الله (نفع ٣: ٣٨٦ - ٣٨٧) كتب رسالةً إلى يوسف بن تاشفين
(ت ٥٠٠ هـ) يُعَاتِبُهُ فيها لأنَّه طلب مَعُونَةً مَالِيَةً مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَّةِ. وَلَعَلَّ أبا عبد الله
هذا (جدُّ صاحب الترجمة) هُوَ الَّذِي اسْتُشْهِدَ فِي مَعْرَكَةِ قَتْنَدَةَ (نفع الطيب ٤:
٤٦٠ - ٤٦١)، سَنَةَ ٥١٤ هـ.

- (١) في القرآن الكريم (١٨: ٧٧): «فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض» (على وشك أن يتهدم) وقد
نسبت الإرادة إلى الجدار هنا على سبيل الاستعارة.
- (٢) اقرأ: فغير مستنكر على الشعراء أن يشاركوا...
- (٣) المولدون (في المشرق) الذين كان أحد أبويهم عربياً والآخر غير عربي. اقرأ: إِلَّا أَنْ يَسْمُوا الْآرَاءَ
المتقاربة في الأشعار سرقة (قد سرقها بعض الشعراء من بعض).
- (٤) لَمَّا فَارَقْتَنِي الْحُبُّ رَحَلَ قَلْبِي مَعَهَا (فقدت الصبر والتفكير). وَلَمَّا بَكَتْ هِيَ أَصْبَحَ الْأَسِيلَ (أي خذي
أنا) مَسِيلاً (مجرى دائماً للدموع).
- (٥) يروي المقرئ في نفع الطيب (٤: ٢٨٦ - ٢٨٧) «أَنَّ ابْنَ صَاحِدٍ أَرْسَلَ جَارِيَةً إِلَى الْأَسَاطِزِ ابْنِ الْفَرَاءِ
الْخَطِيبِ لِيُخْتَبِرَهَا، وَكَانَ (ابن الفراء) كَفِيفاً....» وَيَصْغَبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مُوَثَّقَةً لِأَنَّ ابْنَ
صَاحِدٍ قَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٤ هـ.

٢- كان ابنُ الفراءِ الضَّرِيرُ إماماً في اللِّغَةِ والنحو كما كان شاعراً مُجيداً مُحسناً. وفنونه العِتاب والغزلُ المؤنثُ والغزلُ المذكَّر.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ الفراءِ الضَّرِيرُ:

إذا كانَ وَرْدُكَ لا يُقَطِّفُ وَتَغَرُّ ثَنَائِيكَ لا يُرَشِّفُ^(١)،
فأيُّ اضْطِرَارٍ بنا أنْ نقولَ: «ألا بأيِّ شَادِنٍ أَوْطَفُ!»^(٢)
- وقال:

قيل لي: قد تَبَدَّلَا؛ فاسألُ عنه كما سَلَا^(٣).
لَكَ سَمْعٌ وناظِرٌ وفُؤَادٌ فَقَلَسَتْ: لا.
قيل: غَالٍ وصالُه؛ قلت: لَمَّا غَلَا حَلَا.
أُثِّمُ العاذِلُ الذي بِعِذَائِي تَوَكَّلَا^(٤)،
عُدَّ صحيحاً مُسَلِّماً؛ لا تُعَيِّرُ فتُبَتَّلِي^(٥)!

٤- ** نفع الطيب ٣: ٣٨٢ - ٣٨٣، ٤: ٢٨٧؛ نيكل ٢٥٦ - ٢٥٨؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧١.

عبد الحقّ الإشبيلي البجائي

١- هو أبو محمد عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ سعيدِ الأزدِيِّ الإشبيليِّ الأندلسيِّ البجائيِّ، ويُعرفُ بأبنِ الخراطِ؛ وُلِدَ في ربيعِ الأوَّلِ من

(١) وردك (= ورد خدك) لا يقطف: إذا كنتَ لا نستطيع تقبيلك.

(٢) الشادن: الغزال الصغير. الأوطف: طويل أهداب العينين.

(٣) تبدل: تغير عن عهدك (ترك حبك). سلا: نسي، أهمل.

(٤) العاذل: اللائم (الذي يلوم العشاق خاصة). توكل بالشيء: جعله همّه وعمله.

(٥) عد: ارجع، اذهب عني. صحيحاً مسلماً: غير مريض بالحبِّ وغير محبِّ. لا تعيّرني (لا تلمني ولا تعب عليّ حبّي) فتصبح مثلي مريضاً بالحبِّ.

سنة ٥١٠ (تموز - يوليو ١١١٦ م).

روى عبد الحق الإشبيلي عن نفر من العلماء منهم الحسن بن شريح وعبد السلام ابن عبد الرحمن بن برجان (ت ٥٣٦ هـ) وعمر بن أيوب وطارق بن موسى بن يعيش (إشبيلية ٤٩٨ - حلب ٥٤٩ هـ) وظاهر بن عطية وأبو الإصبع عبد العزيز بن علي ابن الطحان (ت ٥٥٩ هـ). وقد كتب إليه محدث الشام ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) وأجاز له رواية (ما كتب إليه به).

ولما اضطرب أمر المرابطين في الأندلس ونشبت الفتنة أثر عبد الحق الإشبيلي أن يُغادر إشبيلية فانتقل إلى بجاية (في العُدوة الإفريقية)، قبل ٥٤٧ هـ.

انصرف عبد الحق في بجاية إلى التدريس والتأليف. وقد كانت الخطبة (يوم الجمعة). والصلاة في الجامع الأعظم في بجاية له، كما كان يجلس للتوثيق والشهادة^(١). وولي أيضاً القضاء في بجاية مدة يسيرة في أيام استيلاء علي بن اسحاق بن غانية على بجاية^(٢) من أيدي الموحدين. وكان من الطبيعي أن يطلب ابن غانية من عبد الحق ألا يذكر الموحدين في الخطبة، وأن يدعو في الخطبة لبني العباس^(٣) في بغداد (لا للموحدين في مراکش). غير أن الموحدين استطاعوا استرداد بجاية بعد قليل^(٤)، فكان المنصور الموحدي (أبو يوسف يعقوب) يتوعد عبد الحق بالقتل. ولكن عبد الحق نجا من الموت على يد الموحدين ليموت حتف أنفه على فراشه وشيكاً بعد دخول جيش الموحدين إلى بجاية، فقد مات في ربيع الثاني من سنة ٥٨١ (تموز - يوليو ١١٨٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبد الحق ابن الخراط الإشبيلي فقيهاً كبيراً وحافظاً للحديث ذا معرفة بعلمه وبرجاله، كما كان موصوفاً بحب الخير وبالورع والزهد. ثم إنه كان مشاركاً في

(١) التوثيق: كتابة الوثائق (الصكوك والاتفاقات بين المتبايعين وأماهم) والشهادة (تحرير الشهادات أمام الحاكم!).

(٢) في سادس شعبان ٥٨٠ (١٢ / ١١ / ١١٨٤ م).

(٣) إذ كانت العادة أن يكون الدعاء في خطبة الجمعة للخليفة.

(٤) في صفر ٥٨١ (أيار - مايو ١١٨٥ م).

عدد من فنون الأدب ويقول الشعر. وقد اشتهر بالتأليف، وخصوصاً في الجمع بين كُتُب الحديث^(١)، له كتابُ «الجمع بين الصحيحين» (صحيح مسلم وصحيح البخاري - وقد أضافَ إلى ما فيها أحاديث لم تكن فيها من كُتُب أخرى) ثم له كتابُ «الجامع الكبير في الحديث» (- وكان مقصوده فيه الجمع بين الكتب الستة: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) وسُنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) والسُنن لأبي داود (ت ٢٧٥ هـ) والجامع الكبير (أو الصحيح) للترمذي (ت ٢٧٩ هـ) والسنن الصغرى للنسائي (ت ٣٠٣ هـ). ثم أضافَ إليها أحاديث ليست فيها كلها من كتابي البراز (ت ٢٩٢ هـ) وهما المُسنَد الكبير (أو البحر الزاخر) والمُسند الصغير. وكذلك صَنَفَ كتاب الأحكام وصَنَعَ منه ثلاث نُسَخ: النسخة الكبرى (مفصلة) والنسخة الصغرى (موجزة) والنسخة الوسطى. وله الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام رسول الله والصالحين. ثم له أيضاً: مُعْجَزَاتُ الرَسُول - مقالة في الفقر والغنى - تلقين الوليد (كتاب صغير في الحديث لِيُثَقَّفَ به الصغار) - الواعي (في اللغة) ضاهى (أحب أن يزيد فيه على) كتاب الغريبتين للهروي^(٢) - مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب^(٣) - كتاب الأحكام (نفع الطيب ٣ : ١٨٠ و ٤ : ٣٢٩) - الأحكام الصغرى^(٤) (نفع الطيب ٥ : ٣٨٩)، وقد شرحه الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مرزوق المتوفى سنة ٧٨١ (راجع نفع الطيب ٥ : ٤١٨) - العاقبة (نفع الطيب ٤ : ٣٢٨)، وغيرها من كتب الحديث والفقه خاه

(١) الجمع في كتب الحديث: سِياقة الأحاديث التي فيها سِياقة واحدة (وحذف المكرر).

(٢) هو أبو عبيد (بالضم) أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الباشاني (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) له كتاب عنوانه «كتاب الغريبتين في القرآن والحديث» أو «كتاب غريب القرآن والحديث» أو «كتاب الغريبتين في لغة كلام الله وحديث رسوله» أو «كتاب غريب القرآن والسنة وتفسيرها» (تفسير الألفاظ الغريبة فيها) راجع بروكلمان ١ : ١٣٧، الملحق ١ : ٢٠٠.

(٣) هو عبد الله بن علي الرشاطي (بضم الراء) الأندلسي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) له كتاب «اقتباس الأنوار والتاس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» (الأنوار جمع نور بضم النون، والأزهار لعلها جمع أزهَر أي الأبيض النبيل من الرجال. والآثار جمع أثر أحاديث الرسول).

(٤) يذكر نفع الطيب كتاب «الأحكام» وكتاب «الأحكام الصغرى» على أنها، فيما يبدو، كتابان مستقلان (راجع نفع الطيب ٣ : ١٨٠ و ٤ : ٣٢٨ ثم ٢ : ١٦٤ و ٥ : ٣٨٩، ٤١٨).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبد الحق الإشبيلي في الموت:

- ★ إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَمَادِ لَشُغْلًا وَاذْكَارًا لِذِي النُّهَى وَبَلَاغًا^(١).
 فَاعْتَنِمِ خُطَّتَيْنِ قَبْلَ الْمَنَايَا: صِحَّةَ الْجَسْمِ، يَا أَخِي، وَالْفَرَاغَا^(٢).
 ★ قَالُوا: صِفِ الْمَوْتَ، يَا هَذَا، وَشِدَّتَهُ. فَقُلْتُ - وَامْتَدَّ مِنِّي عِنْدَهَا الصَّوْتُ -:
 يَكْفِيكُمْ مِنْهُ أَنْ النَّاسَ إِنْ وَصَفُوا أَمْرًا يَرَوْعُهُمْ، قَالُوا: هُوَ الْمَوْتُ^(٣)!

- في نفح الطيب (٥: ٣٢٧):

رقيقة - أَلْفَيْتُ لِعَبْدِ الْحَقِّ الإِشْبِيلِيِّ بَيْتًا هُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

قَدْ يُسَاقُ الْمُرَادُ وَهُوَ بَعِيدٌ، وَيُرِيدُ الْمُرِيدُ وَهُوَ قَرِيبٌ^(٤).

- ٤-★★ بغية الملتبس ٣٧٨ - ٣٧٩ (رقم ١١٠٤)، التكملة (رقم ١٨٠٧)، فوات الوفيات ٣١٦: ١، وفيات ابن قنفذ ٢٦٣، الدياج المذهب ١٧٥ - ١٧٧، صلة الصلة ٤ - ٧، شذرات الذهب ٤: ٢٧١، نفح الطيب ٢: ٦٣٤، ٣: ١٨٠، ٤: ١١٧، ٣١٥، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٥: ٣٢٧، ٣٨٩، ٤١٨ (إشارات مفيدة)، بروكلمن ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٤، الأعلام للزركلي ٤: ٥٢ (٣: ٢٨١)، الأصاله (الجزائر) ٤: ١٩ (ص ٢٥٩)، عنوان الدراية ٧٣ - ٧٦.

أبو القاسم السهيلي

١- هو أبو القاسم (أبو زيد، أبو الحسن) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن

- (١) المعاد: البعث يوم القيامة. شغل: ما يشغل (بفتح الغين) الإنسان ويقلقه. الأذكار: الذكر والتفكير في العواقب. النهي: العقل. بلاغ: تنبيه، تحذير.
 (٢) المنايا جمع منية: الموت. الفراغ: اتساع الوقت للعمل المنتج.
 (٣) يروعهم يدهشهم ويخيفهم معاً.
 (٤) المقصود في هذا البيت غير واضح. ريمًا: يصل الشيء المراد إلى الإنسان بينما ذلك الإنسان يظن أن ذلك الشيء بعيد المنال. ويتضح المعنى إذا نحن قرأنا: ويُراد المراد (يذهب الناس في طلبه إلى مكان بعيد).

أحمد بن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الحنعمي السهيلي - نسبة إلى سهيل، وهي قرية قرب مالقة - المالقي. وجدّه فتوح هو الذي دخل الأندلس.

وُلِدَ أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في سهيل، سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) وتلقّى العلم في غرناطة وإشبيلية، وروى عن الحافظ أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). ثم إنّه انتقل إلى مالقة وجعل يُحدّث فيها (يُدرّس الحديث).

وفي نحو سنة ٥٧٧ هـ بعث المنصور الموحدي دعوة إلى السهيلي فذهب السهيلي إلى مراكش ونال حظوة عند المنصور، ولكنه لم يمتّع بها طويلاً، فقد عمي وشيكا ثم توفي، في ٢٦ شعبان ٥٨١ (٢٢ / ١١ / ١١٨٥ م)، في مراكش^(١).

٢ - كان السهيلي محدثاً ولغوياً نحويّاً وأديباً شاعراً ومؤلفاً. ومع أنّه شاعرٌ مُقلٌّ فإنّ له أبياتاً مشهورة في الرثاء وفي المناجاة والاستغاثة بالله. غير أن شهرة السهيلي قائمة على كتابه «الروض الأنف» (وهو شرحٌ للأحاديث الواردة في سيرة ابن هشام في حياة الرسول). وله كُتُبٌ أخرى منها: التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام^(٢). - نتائج الفكر (في النحو) - مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم - الأمالي (أماي السهيلي في اللغة والنحو والحديث والفقه) - المشروع الروي^(٣) فيما اشتمل عليه حديث السيرة والمحتوى.

٣ - مختارات من آثاره:

- القصيدة العينية في الابتهاال إلى الله (المناجاة والاستغاثة بالله):

يا مَنْ يَرى ما في الضمير ويسمعُ، أنتَ المَعْدُ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ.
يا مَنْ يُرَجى للشدائدِ كلّها، يا مَنْ إليه المُستَكى والمَفْرَعُ،

(١) في نفع الطيب (٣: ٤٠١): كانت وفاته ٥٨٣.

(٢) أي التعريف بالذين أشير إليهم في القرآن الكريم من غير أن تذكر أَسْمَاؤَهُم، نحو «صاحبه» (٩: ٤١ التوبة) فإنّه أبو بكر الصديق، في قوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه: لا تحزن».

(٣) الروي: الرواء (الكثير، العذب).

يا من خزائن رِزْقِهِ في قول: «كُنْ!»
 ما لي سوى فقري إِلَيْكَ وسيلةً،
 ما لي سوى قرعِي لِبابِكَ حيلةً،
 ومَنْ الذي أَدْعُو وأَهْتَفُ بِاسْمِهِ،
 حاشا لِجودِكَ أَنْ يُقْنَطَ عاصِيًا.
 امْنُنْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ^(١).
 فَبِالْأَفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقَرِي أَدْفَعُ^(٢).
 فَلَيْتَ رَدَدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ!
 إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ.
 الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ.

- أغار الإفرنج على سُهَيْلَ وخربوها فقتل نفرًا من أهل السُهَيْلي وأقاربِهِ، وكان هو غائبًا عن القرية، فجاء إليها وَوَقَفَ على دُورِ أَهْلِهِ وأنشد:

يا دارُ، أَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَرَامُ،
 رابَ المحبِّ من المنازلِ أَنَّهُ
 لما أَجابَنِي الصَّدَى عنهم - ولم
 طارحتُ وَرَقَ حَامِيهَا مُتَرَنِّمًا
 (يا دارُ، ما فعلتِ بِكَ الْيَّامُ؟
 أم أَيْنَ جيرانُ عَلِيٍّ كِرَامُ^(٣)؟
 حَيًّا فلم يَرْجِعْ إِلَيْهِ سلام.
 يَلِجُ السامِعَ لِلحبيبِ كلامُ^(٤) -
 بِمَقَالِ صَبٍّ، والدُموعِ سِجَامِ^(٥):
 ضامَتِكَ، وَالْيَّامُ ليس تُضامُ^(٦)).

- وقال في العتاب:

جَعَلْتُ طَرِيقِي على بابِهِ
 وعاديتُ مِنْ أَجْلِهِ جِيرِي
 فَإِنْ كَانَ قَتْلِي حَلَالًا لَكُمْ
 وما لي على بابِهِ من طريق.
 وآخِيتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لي صديق.
 فسيروا بروحي سِرًّا رَفِيق.

- من مقدِّمة كتاب «الروض الأنف»:

(١) في قول: كُنْ (بالإرادة والسرعة) من قوله تعالى (٣٦: ٨٢ يس): «إِنَّا أمره إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فيكون!».

(٢) فقري (مفعول به مقدَّم) أَدْفَعُ (فعل مضارع).

(٣) الرَّمْ: الغزال الأبيض. البيض والأرام (النساء الجميلات).

(٤) وليج: دخل (لم أسمع جوابًا من المحبوب).

(٥) المورق جمع ورقاء: الحمامة. سجام: منهمة بكثرة.

(٦) هذا البيت لأبي نواس. ضامه: ظلمه وأذله.

وبعد، فإنِّي قد انتَحَيْتُ هذا الإملاء^(١)، بعدَ استخارةِ ذي الطَّوْلِ والاستعانةِ بِمَنْ له القُدْرَةُ والحوْلُ^(٢)، إلى إيضاح ما وَقَعَ في سيرة رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - (تلك) التي سَبَقَ إلى تأليفها أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ المُطَّلبي^(٣) ولَخَصَها عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ المُعافِريُّ المِصرِيُّ النَّسابةُ النَّحويُّ^(٤) مِمَّا بَلَغَنِي عِلْمُهُ وُيَسَّرَ لي فَهْمُهُ: من لفظٍ غريبٍ أو إعرابٍ غامضٍ أو كلامٍ مُسْتغْلِقٍ أو نَسَبٍ عويصٍ أو موضعٍ فِقْهِ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عليه أو خبرٍ ناقصٍ يُوجَدُ السَّبِيلُ إلى تَتْمِيمِهِ، مَعَ الاعترافِ بِكُلُولِ الحَدِّ عن مَبْلَغِ ذلك الحدِّ^(٥). فليس الغَرَضُ المُعْتَمَدُ أنْ أَسْتَوِلِيَ على ذلك الأمدِ^(٦).

إنَّ هذا الكتابَ سَيَرْدُ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المُقَدَّسَةِ الإِمَامِيَّةِ، وإنَّ الإِمَامَةَ^(٧) سَتَلَحُّظُهُ بعينِ القَبُولِ، وإنَّه سَيُكْتَتَبُ لِلخِزَانَةِ^(٨) المِبارَكَةِ - عَمَّرَها اللهُ - بِحِفْظِهِ وكَلَاءَتِهِ^(٩) وأَمَدَ أميرِ المؤمنينِ بِتَأْيِيدِهِ ورِعايَتِهِ... فَتَبَجَّسَتْ لي - بِمَنْ^(١٠) اللهُ تعالى - من المعانيِ الغريبةِ عِيُونُهَا، واثَّالَتْ عليَّ من الفوائدِ اللطيفةِ أَبْكَارُهَا وَعُيُونُهَا^(١١).... فَأَعْرَضْتُ

(١) يبدو أنَّ السَّهْلِيَّ قد أملى هذا الكتابَ على سامعينَ له (طَلَّابٍ أو مُسْتَجِيزِينَ - طالبي شهادة) ولم يدوِّنه بنفسه (أو دَوَّنَهُ في زمنٍ مُتَقَدِّمٍ ثُمَّ أملاه في التاريخ الذي ذكره في آخرِ المُقَدِّمَةِ - إذ ليس من المعقول أن يَمَّ شرح سيرة ابن هشام على الوجه الذي ترد فيه في «الروض الأنف» في مدى خمسة أشهر.

(٢) الطول: الغنى والفضل (التفضُّل على الآخرين). الحول: القوَّة. ذي الطول....: اللهُ تعالى. استخارة اللهُ: الطلب من الله أن يَجِيزَ لنا (أن يوفِّقنا إلى الخير فيما نعمل).

(٣) محمد بن إسحاق من أهل المدينة (توفي في بغداد، سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) أقدم الذين كتبوا في سيرة رسول الله. وسيرته هذه مفقودة. ولكن نجد جانباً كبيراً منها في «سيرة ابن هشام» (راجع الحاشية التالية) وبعضها في كتاب «الرسول والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري» (ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م). وقيل إنَّ شيئاً منها محفوظ مستقلاً.

(٤) محمد بن هشام من أهل البصرة (توفي في مصر، سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م).

(٥) الكلول والكلال: الضعف. الحدَّ (الأولى): غرار السيف (الجانب الذي يقطع). كلال السيف (ذهاب حدِّه وقدرته على القطع). الحد (الثانية): المدى، الفاصل، الغاية.

(٦) استولى (الحصان) على الأمد (الغاية، النهاية): سبق جميع الخيل.

(٧) كتاب «الروض الأنف» جعل يرسم الخليفة عبد المؤمن بن عليٍّ (أول سلاطين الموحدين).

(٨) الخزانة (خزانة الكتب): المكتبة.

(٩) كلاً اللهُ فلاناً: حفظه ورعاه.

(١٠) تَبَجَّسَتْ: تَفَجَّرَتْ. المَنْ: النعمة.

(١١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). اثَّال: انصَبَّ، هطل، سقط بكثرة. الفكرة البكر (التي لم تخطر لأحد من قبل). الفكرة العوان (بالفتح: التي سبق أن خطرت للناس).

عن بعضها إيثاراً للإيجاز ودَقَعْتُ في صدور^(١) أكثرها خَشْيَةَ الإِطَالَةِ والإِملال. ولكنَّ تحَصَّلَ في هذا الكتاب من فوائِدِ العلوم والآداب، وأسماء الرجال والأنساب، ومنَ الفِقهِ الباطِنِ اللَّباب^(٢) وتعليلِ النحوِ وصنعةِ الإعراب ما هو مُستَخَرَجٌ من نَيْفٍ^(٣) على مِائَةِ وَعِشْرِينَ ديواناً، سِوَى ما أنتجَه صدرِي ونَفَحَه فِكْرِي وَتَنَجَّه نَظْرِي^(٤) وَلَقِنْتُهُ عن مَشِيخَتِي^(٥) من نُكْتٍ^(٦) عِلْمِيَّةٍ لم أُسَبِّقْ إليها ولم أُزَحِّمْ عليها^(٧). كلُّ ذلك يُمْنُ اللَّهِ وَبَرَكَهٌ هذا الأثر^(٨) المُحْيِي لِخَوَاطِرِ الطَّالِبِينَ والمُوقِظِ لَهُمَ المُسْتَرشِدِينَ.

وكان إملائي هذا الكتابَ في شَهْرِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(٩). وكان الفراغُ منه في جُمَادَى الْأُولَى من ذلك العام^(١٠).

- ٤ - القصيدة العينية في المناجاة أو الاستغاثة، القاهرة (في مجموع) ١٣١١ هـ.
- الروض الأنف (عبد السلام شقرون)، (مصر المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ؛ القاهرة (دار الكتب الحديثة) بلا تاريخ؛ (طبعة جديدة مضبوطة ومنقحة - عبد الرؤوف سعد)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٧١ - ١٩٧٣ م.
- أمالي السهلي (تحقيق محمد إبراهيم البنا)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٧٠ م.
- ★★ تخميس القصيدة العينية (لإبراهيم السنوسي)، القاهرة (؟) طبع حجر، بلا تاريخ.
- بغية الملتبس ٣٥٤ - ٣٥٥؛ زاد المسافر ١٣٨ - ١٤٠؛ التكملة ٥٧٠ (رقم ١٦١٣)؛ المغرب ١: ٤٨٨؛ المطرب ٢٣٠ وما بعد؛ إنباه الرواة ٢: ١٦٢ - ١٦٤؛ نكت الهميان ١٨٧ - ١٨٨؛ وفيات الأعيان ٣: ١٤٣ - ١٤٤، راجع ١٧٧، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٩٨: ٦،

-
- (١) دفع فلان في صدر فلان: ردّه، أخره (تركه).
 - (٢) الباطن اللباب صفتان للفقّه (؟): المقصود من الفقّه وخلاصته.
 - (٣) نَيْفٌ: أكثر.
 - (٤) ما نفحه (نشره) فِكْرِي ونتجَه (ولّده) نظري (بحثي في الأمور).
 - (٥) ما لقنته (فهمتَه) عن مشيختي (أساتذتي).
 - (٦) النكتة (بالضم): المسألة الدقيقة (من مسائل العلم أو الأدب)، اللمعة اللطيفة الرائقة.
 - (٧) لم أُزَحِّمْ عليه: لم يابغني أحد إليه.
 - (٨) الأثر (هنا) سيرة رسول الله.
 - (٩) آب (أغسطس) - أيلول (سبتمبر) من عام ١١٧٣ م.
 - (١٠) كانون الأوّل (ديسمبر) من ذلك العام.

٧: ٢٣٩؛ الديباج المذهب ١٥٠ - ١٥١؛ ابن قنفذ ٢٩٢؛ بغية الوعاة ٢٩٨ - ٢٩٩؛
نفح الطيب ٢: ١٠٢ - ١٠٣، ٣٣٥، ٣: ٤٠٠ - ٤٠١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٧١ -
٢٧٢؛ بروكلمن ١: ٥٢٥ - ٥٢٦، الملحق ١: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ الاستقصا ١: ١٨٧؛
الأعلام للزركلي ٤: ٨٦ (٣: ٣١٣)؛ نيكل ٣٢٩؛ مختارات نيكل ١٩٠؛ سركيس
١٠٦١ - ١٠٦٢.

ابن طفيل

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، وُلِدَ نحو ٥٠٠ هـ
(١١٠٦ م) في وادي آش قرب غرناطة. وبعد أن درّس وطب مدة في غرناطة تولى
الحجّابة (الوزارة) فيها.

واتصل ابن طفيل (٥٤٩ هـ) ببلاط الموحّدين في إفريقية وأصبح كاتباً لأسرار
أبي سعيد بن عبد المؤمن والي سبّنة وطنجة. ولما جاء أبو يعقوب يوسف إلى عرش
الموحّدين (٥٥٨ هـ) أصبح ابن طفيل طبيبه الخاص. ثم اعتزل هذا المنصب
(٥٧٨ هـ) ولكنه ظل يتمتع بالحظوة في بلاط الموحّدين إلى حين وفاته، سنة ٥٨١
(١١٨٥ م) في مراكش.

٢- لم يصل إلينا من كتب ابن طفيل سوى رسالة واحدة، هي « قصة حي بن
يقظان »، وغايتها أن تدلّ على نشوء الإنسان الأول من باطن الأرض بلا أب ولا
أم، ثم على مقدرة الإنسان ذي الفطرة الفائقة على أن يعرف كلّ شيء من مظاهر
العالم المادّي ومن العالم الإلهي من تلقاء نفسه من غير حاجة إلى معلّم^(١). وتدلّ هذه
القصة على براعة ابن طفيل في عدد كبير من العلوم إلى جانب أسلوب أدبي بارع.
وابن طفيل أوّل من ساق الآراء الفلسفيّة والعلميّة سياقاً قصصياً^(٢).

(١) إن هذه القصة تمثل تطور الإنسانية وارتقاءها في المدنيّة لا تطور إنسان واحد. وإن كان بعض آراء
ابن طفيل ينطبق على الفرد الفائق الفطرة (الكثير الذكاء).

(٢) لقد قلّد هذه القصة كتاب كثيرون، أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فوه (ت
١٧٣١ م) في قصته « روبنسون كروزه ». (راجع ابن طفيل وقصة حي بن يقظان (للمؤلف)، ط ٢،
٩٣ - ٩٧).

٣ - مختارات من آثاره:

- قَالَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي الْغَزَلِ الصُّوفِيِّ (بِالْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ):

أَلَمْتُ وَقَدْ نَامَ الْمَشِيحُ وَهَوَّمَا،

وَأَسْرَتْ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ مِنَ الْحُمَى^(١)

وَجَرَّتْ عَلَى تَرْبِ الْمُحَصَّبِ ذَيْلَهَا، فَمَا زَالَ ذَاكَ التُّرْبُ نَهْبًا مُقْسًا^(٢).

وَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا ظِلَامَ يَجْنُهَا، وَأَنْ سُرَاهَا فِيهِ لَنْ يَتَكْتَمًا^(٣)،

نَضَتْ عَذَابَاتِ الرِّيطِ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا فَأَبْدَتْ مُحْيَا يُدْهِشُ الْمُتَوَسِّمًا^(٤).

فَكَانَ تَجَلِّيَهَا حِجَابَ جَالِهَا

كشَمَسِ الضُّحَى يَعْشَى بِهَا الطَّرْفُ كُلَّمَا^(٥)...

وَلَمَّا التَّقَيْنَا بَعْدَ طَوْلِ تَهَاجُرٍ وَقَدْ كَادَ حَبْلُ الْوُدِّ أَنْ يَتَصَرَّمَا

جَلَّتْ عَنْ ثَنَائِهَا وَأَوْمَضَ بَارِقٌ، فَلَمْ أَذْرَ مَنْ شَقَّ الدُّجْنَةَ مِنْهَا^(٦).

وَقَالَتْ، وَقَدْ رَقَّ الْحَدِيثُ وَأَبْصُرْتُ قَرَائِنَ أَحْوَالٍ أَذْغَنَ الْمُكْتَمًا^(٧):

نَشْدُتُكَ، لَا يَذْهَبُ بِكَ الشَّوْقُ مَذْهَبًا يَهُونُ صَعْبًا أَوْ يُرَخِّصُ مَأْثَمًا^(٨).

(١) أَلَمْتُ (العِزَّةُ الْإِلَهِيَّةُ): زارت عرضاً، اقتربت. المشيح: المعرض بوجهه، الذي أدار وجهه (غفلةً عما يتبدى له). هومٌ: نام نوماً خفيفاً، جعل رأسه يتأيل من النعاس. أسرى: سار ليلاً. وادي الحمى...

(٢) نهباً مقسباً: يتنازعه الناس حرصاً على الحصول عليه (لأنَّ مرورها بذلك المكان جعل له رائحة طيبة).
(٣) يجنُّها: يسترها.

(٤) نضاً، رفع، كشف. العذبة: طرف من المعامة يتدلَّى إلى جانب الرأس. الریط: الحرير. المتوسِّم: المتطلِّع: الناظر المتأمل (الذي يرجو الخير من ناحية أو يعجب بجمال المنظور).

(٥) التجلِّي: الظهور. حجاب: غطاء، ستر. الضحى: أول النهار. يعشى: يضعف. الطرف: البصر. (إذا كان نور الشمس ضعيفاً، فإنَّ الإنسان يستطيع أن يرى جسمها، استدارتها. أما إذا قوي نورها جداً فإنَّ الإنسان يعجز - بكسر الجيم - عن ذلك).

(٦) جلت: كشفت - الثنايا: الأسنان. أومض: لمع. الدُّجْنَةُ: الظلام.

(٧) قرائن (دلالات) أحوال (وجوه من السلوك الإنساني) أذعن (كشفن، أظهرن) المكتم (السر: الحب).

(٨) نشدتك: طلبتك (استحلفتك). يهون صعباً (يوهيك أنك تستطيع الاتصال بالعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ) أو يرخِّص (يجيزه خلافاً للقاعدة). المأثم: الذنب. (تعتقد أن الحب في شأن الله كالحب في شأن البشر).

فَأَمْسَكَتُ، لَا مُسْتَفْنِيًّا عَنْ نَوَالِهَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَوْفَى وَأَكْتَمًا^(١).

- من مطلع قصة حيّ بن يقظان:

ذَكَرَ سَلَفُنَا أَنَّ جَزِيرَةَ مِنْ جَزَائِرِ الْهِنْدِ الَّتِي تَحْتَ خَطِّ الاسْتَوَاءِ يَتَوَلَّدُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ.... لِأَنَّ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ أَعْدَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ هَوَاءً^(٢).... وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ... لَا يَلِيقُ بِمَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ. وَإِنَّا نَبْنِهَاكَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْهَدُ بِصِحَّةِ مَا ذُكِرَ مِنْ تَجْوِيزِ تَوَلَّدِ الْإِنْسَانِ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ. فَمِنْ (الْعُلَمَاءِ) مَنْ بَتَّ الْحُكْمَ وَجَزَمَ الْقَضِيَّةَ بِأَنَّ حَيَّ بْنَ يَقْظَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَكُونُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَرَوَى مِنْ أَمْرِ (حَيٍّ) ابْنِ يَقْظَانَ خَبْرًا نَقَصَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بِإِزَاءِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مُتَسَعَةٌ الْأَكْنَافِ كَثِيرَةٌ الْفَوَائِدِ عَامِرَةٌ بِالنَّاسِ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ شَدِيدُ الْأَنْفَةِ وَالْفِئْرَةِ^(٣). وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ فَعَصَلَهَا^(٤) إِذْ لَمْ يَجِدْ لَهَا كُفْوًا. وَكَانَ لَهُ قَرِيبٌ يُسَمَّى يَقْظَانًا فَتَزَوَّجَهَا سِرًّا عَلَى وَجْهِ جَائِزٍ مَشْهُورٍ فِي زَمَنِهِمْ. ثُمَّ إِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْهُ وَوَضَعَتْ طِفْلًا. فَلَمَّا خَافَتْ أَنْ يَفْتَضِحَ أَمْرُهَا وَيُنْكَشِفَ سِرُّهَا، وَضَعَتْهُ فِي تَابُوتٍ^(٥) أَحْكَمَتْ زَمَّهُ بَعْدَ أَنْ أَرَوَتْهُ مِنَ الرِّضَاعِ. وَخَرَجَتْ بِهِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ خَدَمِهَا وَثِقَاتِهَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ - وَقَلْبُهَا يَحْتَرِقُ صَبَابَةً وَخَوْفًا عَلَيْهِ - ثُمَّ إِنَّهَا وَدَّعَتْهُ وَقَالَتْ:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ خَلَقْتَ هَذَا الطِّفْلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَرَزَقْتَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ وَتَكَفَّلْتَ بِهِ حَتَّى تَمَّ وَاسْتَوَى. وَأَنَا قَدْ سَلَّمْتُهُ إِلَى لُطْفِكَ وَرَجَوْتُ لَهُ فَضْلَكَ خَوْفًا مِنْ هَذَا الْمَلِكِ الْعَشُومِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ. فَكُنْ لَهُ وَلَا تُسَلِّمْهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! ثُمَّ قَذَفَتْ بِهِ فِي الْيَمِّ. فَصَادَفَ جَرِيُّ الْمَاءِ بِقُوَّةٍ فَاحْتَمَلَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى سَاحِلِ الْجَزِيرَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

(١) النوال: العطاء (الوصول، نيل المأرب من المحبوب).

(٢) المقصود باعتدال المناخ على خط الاستواء: قلة الفرق بين درجتي الحرارة في النهار والليل.

(٣) الأنفة: الاستكبار والرفض. الفئرة: الخوف من أن يحصل على الأمر من لا يليق أو من لا يستحق.

(٤) عضل الرجل المرأة: منعها أن تتزوج.

(٥) تابوت: صندوق.

- ٤ - حيّ بن يقظان (نشرها بوكوك)، أكسفورد ١٦٧١ م ثم ١٧٠٠ م؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٩ هـ؛ الاسكندرية (المطبعة المصرية) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ)؛ القاهرة (مطبعة مصر) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ هـ؛ (نشرها ليون غوتيه)، الجزائر ١٩٠٠ م ثم ١٩٣٦ م؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)؛ (نشرها جيل صليبا وكامل عياد - مع دراسة وافية)، دمشق (مكتب النشر العربي ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م ثم ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م ثم ثم ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م (٩)).
- حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهوردي (تحقيق أحمد أمين)، مصر (دار المعارف؟) ١٩٥٢ م (ذخائر العرب - رقم ٨).
- ★★ ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م ثم ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.
- ابن طفيل (مختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٨ م.
- ابن طفيل، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الشروق الجديد) ١٩٦١ م.
- نظرات في طبّ ابن الطفيل (كذا) الأندلسي، تأليف شوكت الشطي. دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٢ م.
- الوافي بالوفيات ٤: ٣٧؛ وفیات الأعيان ٧: ١٣٤ - ١٣٥؛ المغرب ٢: ٨٥ - ٨٦؛ المعجب ٢٣٩ - ٢٤٢؛ المنّ بالإمامة ٤١١ - ٤١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٥٧؛ بروكلمن ١: ٦٠٢ - ٦٠٣، الملحق ١: ٨٣١ - ٨٣٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٨ (٦: ٢٤٩)؛ بالنشيا ٣٤٨ - ٣٥٣؛ سركيس ١٤٦؛ تراجم إسلامية لعبد الله عنان ٣١٥ - ٣٢٧.

ابن غلنده الإشبيلي

١ - هو أبو الحكم عبيد الله بن عليّ بن عبيد الله بن غلنّده (أو غلندو) الإفرنجي الأصل الأمويّ بالولاء، وُلد في سَرَقُسطَة، سَنَة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولَمَّا استولى الإسبان على سَرَقُسطَة، سَنَة ٥١٢ (خريف ١١١٨ م) غادرها آلُ غلنّده إلى قُرْطُبَة ثم انتقلوا إلى إشبيلية.

اشتغل أبو الحكم بن غلنّده بالطبّ في إشبيلية. ولَمَّا استولى عبدُ المؤمن بنُ عليّ - أوّلُ سلاطين الموحّدين - على الأندلس، سَنَة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م)، اتصلَ به أبو الحكم ثم انتقل معه، إلى مدينة مَرَاكُشَ وَبَقِيَ فيها حتّى تُوُفِيَ سَنَة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

٢ - كان أبو الحكم بن غَلَنْدُه طيباً بارعاً كما كان أديباً مُتَفَنِّناً وشاعراً مُجيداً. ثم إنّه كان حَسَنَ الخطِّ يكتبُ الخطَّينِ الأندلسيّ (المَغْرِبِيّ) والمَشْرِقيّ. والأبياتُ القليلةُ التي وصلتْ إلينا من شعر ابن غَلَنْدُه أبياتٌ وَجْدانيّةٌ في الوصفِ والغزلِ والنسيبِ والحكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بن غَلَنْدُه في الغزلِ والوصف:

مَاسَتْ فَأَزْرَتْ بِالْفُصُونِ الْمَيْسِ ، وَأَتَتْكَ تَخْطُرُ فِي غِلَالَةِ سُندُسٍ ^(١).
وَتَبَرَّجَتْ جُنَحَ الظَّلَامِ كَأَنَّهَا شَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي دِيَاغِي الْحِنْدُسِ ^(٢).
تَحْتَالُ بَيْنَ لَدَاتِهَا فَتَخَالُهَا بَدْرًا بَدَا بَيْنَ الْجَوَارِي الْكُنُسِ ^(٣).
أَرْجَتْ بَرِّيَّاهَا الصَّبَا فَتَضَوَّعَتْ أَنْفَاسُهَا، وَالصَّبْحُ لَمْ يَتَنَفَّسْ ^(٤).
- وقال في النسيب:

لَيْنٌ غَبِثَ عَنْ عَيْنِي وَشَطَّتْ بِكَ النَّوَى ، فَأَنْتَ بِقَلْبِي حَاضِرٌ وَقَرِيبُ.
خَيَالُكَ فِي وَهْمِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي، فَأَيْنَ تَغِيبُ!
- في نَفْحِ الطَّيْبِ (٣: ٥٩٧ - ٥٩٨): وَمَرِضَ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ غَلَنْدُه فَعَادَهُ جَمَاعَةُ

-
- (١) ماست: تمايلت. أزرى الشيء بالشيء: عابه وأظهر نقصه. خطر: مرّ وهو يتبختر (معجباً بنفسه).
الغلالة (بكسر الغين): ثوب رقيق يلبس قريباً من البدن. السندس: ثوب رقيق من الديباج (الحرير).
(٢) تبرّجت المرأة: تزيّنت، أظهرت زينتها. الجنح: قطعة من الليل يشتدّ فيها الظلام. تجلّت: ظهرت، زال عنها الغطاء. الدياجي: الظلمات. الحندس (بكسر الحاء والدال): الظلمة الشديدة (ثلاث ليالٍ في آخر الشهر القمري لا يرى فيها القمر).
(٣) اختال: مشى وهو يتأيل. اللدة (الفتاة المقاربة لأخرى في العمر). الجواري الكُنُس: النجوم التي تغيب وراء الأفق (في ليلة البدر يبقى البدر ظاهراً في السماء إلى الصباح. أمّا النجوم فتكنس (بكسر النون): تغيب في أوقات مختلفة في أثناء الليل) - يمرّ البدر نورها.
(٤) أرج الطيب: فاحت رائحته. الرّيا: الرائحة الطيّبة. الصبا: ريح الشرق. تضوّع المسك: انتشرت رائحته. - ريح الصبا اكتسبت رائحة طيّبة من هذه الفتاة فأخذت ريح الصبا تشر الرائحة العطرة من قبل أن يقترب الصبح ويبدأ تحرك النسيم (الذي يحمل الرائحة وينشرها).

من أصحابه فيهم فتى صغير السن، فوفاه (ابن غلنדה) من يره ما أوجب تغيّرهم
(استغرابهم ونفرتهم). ففطن (ابن غلنדה) لذلك وأنشد ارتجالاً .

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ لِلدَّهْرِ عُدَّةٌ؛ فَكَثُرَتْ دُرُّ الْعِقْدِ مِنْ شَرَفِ الْعِقْدِ .
وَعَظُمَ صَغِيرَ الْقَوْمِ وَابْدَأَ بِحَقِّهِ، فَمِنْ خُنْصَرِي كَفَيْكَ تَبْدَأَ بِالْعِقْدِ (١) .
ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَأَنْشَدَهُمْ ارْتِجَالًا قَوْلَهُ:

مُغِيثُ أَيُّوبَ وَالْكَافِي لَذِي النُّونِ يُحِلِّنِي فَرَجًا بِالْكَافِ وَالنُّونِ (٢) .
كَمْ كَرْبَةٍ مِنْ كُرُوبِ الدَّهْرِ فَرَّجَهَا عَنِّي، وَلَمْ يَنْكَشِفْ وَجْهِي لِمَنْ دُونِي (٣) !

٤ - معجم الأدباء ١٠: ٢٤٥ - ٢٤٦؛ تكملة الصلة ٢: ٥٣٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٩٧ - ٥٩٨؛
الأعلام للزركلي ٤: ٣٥١ (١٩٥) .

أبو الحسن بن لبّال

١ - هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن لبّال (ولبّال اسمه فتح) بن أمية بن
إسحاق القرشي الأموي الأندلسي، ولد في شريش شذونة (بجنوب الأندلس) سنة
٥٠٩ هـ (١١١٦ م). وروى ابن لبّال عن جماعة، منهم ابن العربي وشريح وأبو بكر
ابن طاهر وأبو الحجاج الأندلي وأبو الفضل بن الأعلّم وابن فندله.

احتاج أهل شريش إلى قاضٍ فأجمعوا على أن يكون قاضيهم ابن لبّال فابى
ولكنهم أصرّوا فوّلي القضاء مكرها. ثم عزّل عنه.

وكانت وفاة ابن لبّال في ثالث ذي الحجة من سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٨/٢/٤ م).

(١) حيناً يبدأ الإنسان بالمدّ على أصابعه يعقد (يكسر القاف)، أي يطوي خنصره (إصبعه الصغيرة) للدلالة
على « الواحد » ثم البنصر للدلالة على « الاثنين » الخ.

(٢) النبي أيّوب مرض مرضاً شديداً طويلاً ثم أغاثه (شفاه) الله. وذو النون سقط في البحر وابتلعه الحوت
فأنجاه الله. وإن الله سيحلّني (يبرزني فرجاً ويكشف عني الضيق) بين الكاف والنون (بسرعة) - في
القرآن الكريم (٣٦: ٨٢ يس): « إِنَّا أَمَرَهُ إِذَا ارَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ » .

(٣) لم ينكشف وجهي (لم أشك، لم أتذلل) لمن دوني (لمن هو أقلّ مني: لأحد من الناس).

٢ - كان أبو الحسن بن لبّال رجلاً صالحاً ورعاً زاهداً، وكان مُحَدِّثاً وفقياً وأديباً
ناثراً شاعراً، له شعرٌ في الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، وفي الحِجَاز وفي عددٍ من
الأغراضِ الوُجْدانية ثم في المدح والثناء والوصف والألغاز. وصنّف شرحاً لمقاماتِ
الحريريّ.

٣ - مختارات من شعره:

- لَمَّا وَلِيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ لَبَّالٍ الْقَضَاءَ كَارَهَا قَالَ:
كُنْتُ، مَذُكُنْتُ، كَارَهَا أَنْ أَلِي خُطَّةَ الْقَضَا.
لَمْ أُرْذْهِمَا، وَإِنَّمَا سَاقَنِي نَحْوَهَا الْقَضَا^(١)!

- ثُمَّ قَالَ حِينَ زَالَ عَنِ الْقَضَاءِ:
حُمِلْتُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَمْ أُرْذَهُ، وَكَانَ عَلَيَّ أَثْقَلَ مِنْ ثَبِير^(٢).
فَلَمَّا أَنْ عُزِلْتُ جَعَلْتُ أَشْدُو: لَقَدْ أَنْقَذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِير.

- وَقَالَ لَمَّا تَقَدَّيْتُ بِهِ السِّنُّ:
لَمَّا تَقَوَّسَ مِنِّي الْجِسْمُ عَنْ كِبَرٍ فَابْيَضَ مَا كَانَ مُسَوِّدًا مِنَ الشَّعَرِ،
جَعَلْتُ أَمْشِي كَأَنِّي نَصْفُ دَائِرَةٍ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ قَوْسٌ بِلَا وَتَرٍ!

- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:
قَوْسٌ ظَهَرَ الْمَشِيبُ وَالْكِبَرُ. وَالدَّهْرُ، يَا عَمْرُو، كُلُّهُ غَيْرٌ^(٣).
كَأَنَّنِي، وَالْعَصَا تَدِبُ مَعِي، قَوْسٌ لَهَا، وَهِيَ فِي يَدَي وَتَر.

- وَقَالَ فِي الْجَلَمَيْنِ (الْمَقْصَصِ):
وَمُعْتَنِقَيْنِ مَا أَتَّهَمَا بِعِشْقِي، وَإِنْ وُصِفَا بَضْمٍ وَاعْتِنَاق.

(١) ألي: أتولى. خطّة (منصب) القضاء.

(٢) ثبير: اسم جبل.

(٣) الغير = غير الدهر: أحداثه التي تتغيّر بالناس وتزول بهم المصائب.

لَعَمْرُ أَيْبِكَ، مَا اجْتَمَعَا لِمَعْنَى سَوَى مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ.

٤- ** المغرب ١: ٣٠٣ - ٣٠٤؛ المطرب ٩٧ - ٩٩؛ تحفة القادم ٧٤؛ التكملة رقم ٦٧٣ (رقم ١٨٧٤)؛ الذيل والتكملة ٥: ١٦٩ - ١٧١؛ صلة الصلة ١٠٨ - ١٠٩؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٢٣١ - ٢٣٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦١ (٤: ٢٥٦).

ابن غالب الفرناطي

١- هو الحافظُ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ غَالِبِ الْفَرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَخْبَارِهِ سِوَى أَنَّهُ عَاصَرَ أَبَا سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَاتَّصَلَ بِهِ حِينَ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ وَالْيَا عَلَى غَرْنَاطَةَ (٥٥٥ - ٥٧١ هـ). وَهَنَالِكَ إِشَارَةٌ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ١٨١ - ١٨٢) أَكْثَرُ دِقَّةٍ، هِيَ: ذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ الْفَقِيهَ أَبَا جَعْفَرٍ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ الْخَزْرَجِيَّ الْقُرْطُبِيَّ لَهُ كِتَابٌ كَبِيرٌ بَدَأَ فِيهِ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ إِلَى أَنْ أَنْتَهَى، فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ، إِلَى دَوْلَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (بْنِ عَلِيٍّ). قَالَ (ابْنُ غَالِبٍ): «وَفَارَقْتُهُ سَنَةَ ٥٦٥». وَبِمَا أَنَّ الْأُدَبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ لَا يَتَّصِلُونَ عَادَةً بِالْحُكَّامِ وَالْأَغْنِيَاءِ إِلَّا فِي مَطَالِعِ حَيَاتِهِمْ أَوْ عِنْدَ بُلُوغِ أَشُدِّهِمْ، فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ غَالِبٍ قَدْ عَاشَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ (أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ).

٢- عُرِفَ لابْنُ غَالِبٍ كِتَابٌ يُشَارُ إِلَيْهِ عَادَةً بِاسْمِ «فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ». أَمَّا عُنْوَانُهُ الْكَامِلُ فَيَرِدُ فِي الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي عُنِيَتْ بِابْنِ غَالِبٍ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ: فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْآثَارِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ (...). فَضْلَاءُ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ).

وَيَبْدُو - تَمَّا ذَكَرَهُ لُطْفِي عَبْدِ الْبَدِيعِ (رَاجِعْ رَقْمَ ٤) أَنَّ كِتَابَ فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ كَانَ كَبِيرًا وَأَنَّهُ قِسْمَانِ أَوَّلُهُمَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْآثَارِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ» (وَهُوَ قِسْمٌ جُغْرَافِيٌّ وَاسِعٌ) ثُمَّ ثَانِيهَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَخْبَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ» - أَوْ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ - «(وَهُوَ قِسْمٌ تَارِيخِيٌّ أَدْبِيٌّ).

والظاهر أيضاً أنّ ابن غالب كان يريدُ بكتابه هذا أن يُعَدِّدَ مآثرَ الأندلسيّين وأن يُبيِّنَ فضلَهُم على غيرهم ويذكرَ جالَ بلادِهِم ومكانَتَها.

٣ - مختارات من آثاره:

- أهل الأندلس (نفع الطيب ٣: ١٥٠ - ١٥١) عن « فرحة الأنفس »:

وأهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنساب والعِزَّة والأَنفَة^(١) وعُلُوُّ الهِمَم وفصاحةُ الألسُن وطيبُ النفوس وإباءُ الضيم وقِلَّةُ آحْمالِ الذُلِّ والسَّاحَة^(٢) بما في أيديهم والنزاهة عن الخُضوع وإتيانِ الدِّنيَّة. (وهم) هِنْدِيُّون في إفراطِ عِنايتِهِم بالعلوم وحُبِّهِم لها وضَبْطِهِم لها وروايَتِهِم، بَغْدادِيُّون في ظَرْفِهِم ونظافتِهِم ورِقَّةُ أخلاقِهِم ونَباهَتِهِم وذُكائِهِم وحسنِ نظرِهِم وجُودَة قرائِحِهِم ولَطافةُ أذهانِهِم وحِدَّةُ أفكارِهِم ونُفوذُ خِواطِرِهِم، يونانيُّون في آسْتِنابَتِهِم للمِياه ومُعاناتِهِم لِضُروبِ الفِراسات^(٣) واختيارِهِم لأَصنافِ الفواكِه وتدييرِهِم لتركيبِ الشَّجَر^(٤) وتَحسينِهِم للبساتين بأنواعِ الحُضَر وصُنوفِ الزَّهر. فَهُم أَحْكَمُ الناسِ لأسبابِ الفِلاحة. ومنهم ابنُ بَصالٍ صاحبُ « كتابِ الفِلاحة » الذي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ بفضله. وهم أَصَبُّ الناسِ على مُطاوَلَةِ التعبِ في تجويدِ الأعمالِ ومُقاساةِ النَّصَبِ^(٥) في تحسِينِ الصَّنائعِ، أَحذَقُ الناسِ بالفُروسِيَّةِ وأَبْصَرُهُم بالطَّعْنِ والضَّرْبِ.

- عبد الرحمن الناصر والعلية^(٦) الصُّغرى في قصره (قطعة من كتاب فرحة

الأنفس ٣٣ - ٣٤):

وكان (عبدُ الرحمنِ الناصر) قد اتَّخَذَ، لِسُقْفِ العَلِيَّةِ الصُّغرى التي كانت مائِلَةً

(١) العِزَّة: القوَّة (المادِّيَّة والمعنويَّة). الأَنفَة: الحِمِيَّة (الترَفُّعُ عن الأعمالِ التي لا تليق).

(٢) السَّاحَة: الكَرَم.

(٣) ضُروب: أنواع. الفُرس: نصب الأشجار (الزَّرع لما له ساقٌ لَيِّنَة، والفُرس لما له ساقٌ قاسية خشبيَّة).

(٤) تركيب الشَّجَر: نصبه والعناية به، (تطعيمه = مزج نوع من فصيلة بنوع آخر منها).

(٥) النَّصَب: التعب.

(٦) العَلِيَّة: غُرفة (مفردة) في أعلى البناء.

على الصَّرح الممدود، قراميد^(١) ذَهَبَ وَفِضَّةً، وأنفق عليها مَالاً جزيلاً وجعلَ سُفُفَهَا صفراءَ فاقعةً إلى البياض^(٢)، بِيضَاءَ ناصعةً تَسْلُبُ الأبصارَ بِمَطَارِحِ أنوارها المُشْعِشَةِ^(٣). وجلسَ فيها، إِثْرَ تَامِهَا، لأهل مملكته، فقال لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الوزراءِ وأهل الخِدْمَةِ مُفْتَخِرًا عليهم بما صنعه من تلك البدائع: هل رأيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلَكًا قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِي أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ؟ قالوا: لا، والله، يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وإنَّكَ لَأَوْحَدٌ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ، وما سَبَقَكَ فِي مُبْتَدَعَاتِكَ هَذِهِ مَلَكٌ، وما بَنَاهُ، ولا أَتَتْهُ إِلَيْنَا خَبْرُهُ. فَأَبْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ ثَنَاؤُهُمْ. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ سَادِرًا ضَاحِكًا^(٤) دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلْوْطِيِّ وَاجِبًا نَاكِسًا رَأْسَهُ^(٥). فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَجْلِسِ قَالَ لَهُ (عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ) كَالَّذِي (كَانَ قَدْ) قَالَ لوزرائه مِنْ ذِكْرِ السُّقْفِ وَأَقْتِدَارِهِ. فَأَقْبَلْتُ دُمُوعَ الْقَاضِي تَنْحَدِرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ - أَخْزَاهُ اللَّهُ - يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ، وَلَا أَنَّ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكِينَ، مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ عَلَى الْعَالَمِينَ، حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ. قَالَ: فَأَقْشَعِرَ^(٦) عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ. كَيْفَ أَنْزَلَنِي (اللَّهُ) مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ؟ قَالَ (مُنْذِرٌ): نَعَمْ. أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ^(٧): «وَلَوْ لَا أَنَّ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً»^(٨) لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتَهُمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ»^(٩)؟ قَالَ فَوَجَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَنَكَسَ رَأْسَهُ مَلِيًّا^(١٠)، ودُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ تَجْرِي

(١) القرميد: الآجر (طين مطبوخ على شكل حجارة البناء).

(٢) الفاقع: اللون الصافي الناصع. لعلّ الجملة.... صفراء فاقعة (مائلة) إلى البياض (أو) بياض ناصعة.

(٣) مطارح الأنوار: الأماكن التي يقع عليها الضوء حول الجسم المنير.

(٤) السادر: المتحير البصر.

(٥) واجبا (ساكتاً) ناكساً (خافضاً) رأسه.

(٦) اقشعر (جلد الإنسان): رجف (من هول أو خوف مفاجيء).

(٧) القرآن الكريم ٤٣: ٣٣، (سورة الزخرف).

(٨) تفسير الآية: إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ (قبل الإسلام) كَافِرُونَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ. وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَجَعَلْنَا لِلَّذِي يَكْفُرُ (وهو واحد من جمع مؤمنين) كُلَّ أَسْبَابِ التَّرَفِ (في هذه الحياة الدنيا وحدها) ثُمَّ لَا يَنَالُ شَيْئًا فِي الْآخِرَةِ سِوَى الْعَذَابِ.

(٩) المعراج (بالكسر) والمرج (بالفتح أو بالكسر) جمعها معارج. المصعد (أو المكان العالي يبرز عليه الناس من مكان يطل على مشهد ما).

خُشوعاً لله تعالى . ثم أقبلَ على مُنذِرٍ وقال: جَزَاكَ اللهُ خيراً عَنِّي وعن جميعِ المسلمين ، وكَثُرَ في المسلمين أمثالُكَ ، فالذي قُلْتَ ، والله ، الحقُّ . وقام مِنْ مَجَلْسِهِ وهو يستغفِرُ اللهَ . وأمرَ بِنَقْضِ (١) سُقْفِ القُبَّةِ وأعادَ قَرامِيدَها تُراباً .

٤ - نص أندلسي جديد: قطعة من كتاب « فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس » (تحقيق لطفي عبد البديع)، مصر (مطبعة مصر) ١٩٥٦ م .

★ ★ المغرب ١: ١٧٧ - ١٧٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ١ : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٤٥٩ ، ٣ : ١٥٠ - ١٥٢ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ - ٤٠٧ (٢) سوى إشارات في أماكن أخرى .

الكتندي

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الكتندي أو القُتْندي (٢) الأزديُّ الغرناطيُّ الإلبيريُّ الأصل ، وُلِدَ (بغية الوعاة ٦٥) سَنَةَ ٥٠٦ هـ (١١١٢ - ١١١٣ م) . بدأ تَعَلُّمه في مُرْسِيَّة ثم انتقل إلى غرناطة فسكَّنها مُدَّةً ثم سكن مالقة .

سَمِعَ الكتنديُّ من أبي بكر بن العَرَبِيِّ (ت ٥٤٣ هـ) ومن أبي الوليد بن الدِّبَّاح (ت ٥٤٦ هـ) وأبي بكر بن مسعود الحُشَنِي . وقد لَقِيَ الشاعرَ ابنَ خُفَّاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) وابنَ دِحْيَةَ صاحبَ « المُطَرَّب » (ت ٦٣٣ هـ) . وكانت وفاة الكتنديِّ في غرناطة سَنَةَ ٥٨٣ أو ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) .

٢ - كان الكتنديُّ لُغَوِيًّا وأدبياً وشاعراً مُكثِراً مُجيداً ، حَسَنَ الغَزَلِ والِرثاءِ .

= (١٠) ملئاً: طويلاً .

(١) نقض: هدم .

(٢) كتندة قرب سرقطة . القتندي (راجع المطرب، ص ٨١ ، السطر العاشر، والحاوية ١) .

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكُتْنُديُّ في النسيب يُخاطب سَرَحَةَ، ممَّا يُذَكِّرُنَا بِمُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ^(١):

يا سَرَحَةَ الحَيِّ يا مَطُولُ، سَرَحُ الَّذِي بَيْنَنَا يَطُولُ^(٢).
عِنْدِي مَقَالٌ، فَهَلْ مُقَامٌ تُصَفِّينَ فِيهِ لَهَا أَقُولُ^(٣)؟
وَلِي دِيونٌ عَلَيْكَ حَلَّتْ لَوْ أَنَّه يَنْفَعُ الحُلُولُ^(٤)!
مَاضٍ مِنَ العَيْشِ كَانَ فِيهِ مَنَزَلَنَا ظِلُّكَ الظِّلِيلُ^(٥)!
زَالَ. وَمَا عَلَيْهِ، مَاذَا، يَا سَرَحَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ يَزُولُ^(٦)؟
حَيًّا عَنِ المَذْنَفِ المَعْنَى مَنَبَّتَكَ القَطْرُ والقَبُولُ^(٧)!

- وفي المغرب (٢: ٢٦٤) مطلعٌ بارعٌ رقيقٌ في رثاء السيدِ عثمانَ بنِ عبدِ المؤمنِ الموحِّديِّ:

يَذْهَبُ المُلْكُ، وَيَبْقَى الأَثَرُ. هَذِهِ المَالَةُ، أَيْنَ القَمَرُ؟
- وَلَهُ فِي النسيبِ (يَذَكِّرُ نَهْرَ شَنِيلَ فِي غَرْنَاطَةٍ):

هَذَا لِسَانُ الدَّمْعِ يُمِلِّي الغَرَامَ فِي صَفْحَةٍ أَثَّرَ فِيهَا السَّقَامُ^(٨).

-
- (١) لما أعلن عمر بن الخطاب أن الذي يشبب بامرأة يعاقب بالجلد، احتال حميد بن ثور (ت نحو ٤٠ هـ = ٦٦٠ م) بأن خاطب سرحة (شجرة) فقال: «أبي الله إلا أن سرحة مالك.... تروق».
- (٢) المطول: (المرأة) التي تحلف مواعيدها.
- (٣) مقام (بضم الميم): إقامة، وقوف.
- (٤) الحلول: حلول وقت الوعد (أنت تقولين: ألقاك في اليوم الفلاني. ثم يحلّ اليوم الفلاني فلا تحيئين إلى الموعد).
- (٥) كان ظلك منزلنا (كنّا نلتقي دائماً ولا نفترق).
- (٦) يا سرح (منادى مرخّم: حذف آخره - يا سرحة)، فالفتحة على الهاء هي فتحة الهاء الأصلية وليست علامة للإعراب.
- (٧) المذنف: المريض (المحب) الذي اقترب من الموت (الهلاك والعذاب في الحبّ. المعنى: المشغول، المهموم، المعذب. القطر: المطر. القبول: ربيع الصبا (الشرق) أحسن الرياح في نجد تهبّ باردة بليلة (لأنّها تأتي من جبال فارس مارةً فوق خليج البصرة). - حيّا القطر (نزل فيك المطر) والقبول (طاب مناخك) في منبتك (بيتك).
- (٨) في صفحة: في وجه. السقام: المرض والنحول.

عهدٌ لهندي لم يكن بالذي تقدح فيه نَفَثَاتُ المَلَامِ^(١).
يا نهرَ إشنيل، ألا عودَةٌ لذلك العهدِ ولو في المنام؟
ما كان إلّا بارقاً خاطفاً ما زِلْتُ مُذْ فارقني في ظلام.
لله يومٌ منـه لم أنسه، وذكرُ ما أولاه أولى ذِمَامِ^(٢)،
إذ هندُ غصنٌ بينَ أغصانها كالذَّوْحِ يَئِنَّه هَدِيلُ الحَمَامِ^(٣).

٤- ★ زاد المسافر ٤٩٥ منهاج الرعيني ٦٦ المغرب ٢: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ المطرب ٨١ -
٨٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٣٢؛ بغية الوعاة ٦٥؛ نفح الطيب ٣: ٤٩٧ - ٤٩٨،
٥١٣ وما بعد، ٤: ٢٩٧ - ٢٩٨؛ الذيل والتكملة ٦: ٣٤٩ - ٣٥٠ (رقم ٩٣٥).

ابن زرقون

١- هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري، أصلُ أهلِه من بَطْلِيُوسَ، وكانَ مَوْلَدُه هو في شَرِيشَ في مُنْتَصَفِ ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٥٠١ (١١٠٧/١١/٢ م). تلقى العلمَ على نَفَرٍ منهم أحمدُ بنُ محمدِ الحَوْلَانِي (ت ٥٣٥ هـ) وعبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ عَتَّابٍ (ت ٥٢٠ هـ). ونقلَه أبوه إلى مَرَاكُشَ فَلَقِيَ فيها أبا عمرانَ موسى بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ تليدِ الشاطِئِي (ت ٥١٧ هـ). ثم عاد ابنُ زرقونِ إلى الأندلس وتجوَّلَ فيها وصَحِبَ الفقيهَ الكاتبَ ابنَ عبدونِ (ت ٥٢٩ هـ). ولازمَ أيضاً القاضيَ عياضَ بنَ موسى (ت ٥٤٤ هـ) مُدَّةً طويلةً. وقد تولَّى ابنُ زرقونِ القضاءَ في سَبْتَةَ (من المغرب) وشِلْبَ (في جنوبِ غربيِ الأندلس). وكانت وفاته ابنُ زرقونِ في إشبيلية في مُنْتَصَفِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٨٦ (١١٩٠/٨/١٦ م).

- (١) تقدح فيه: تشقه، تعبیه، تؤثر فيه. النفثة: النفخة (كانت الساحرات إذا أردن الإضرار بشخص قرأن اسمه على خيط مراراً، وكلما قرأن الاسم مرة عقدن في الخيط عقدة ثم نفثن عليها).
(٢) وذكر ما أولاه (ما صنعه بنا من المعروف) أولى (أحق أجدر) ذمام (عهد): أحق العهود بالحفظ (الحب).
(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. يئنيه: يميل به. الهديل: صوت الحمام.

٢- كان ابنُ زرقونِ عارفاً بالحديثِ وبالفقه، وكان قاضياً قديراً نزيهاً. ولكن يبدو أنه كان ظريفاً فنظّم أشياء من الشعر كان يتَمَلَّحُ بها ولم يكن يُواقعُ ما ذكره فيها من المَرَجِ أو المُجُونِ. وفي شعره شيءٌ من السُّهولة والعُدوبة وشيءٌ من الجفاف. وكان له نثرٌ جيّد.

وابن زرقون مؤلّفٌ له: الأنوارُ في الجمع بين المنتقى والاستذكار (والثاني منها لابن عبد البرّ على القطع) - وكذلك جَمَعَ بين «الجامع الكبير» للتِّرْمِذِيِّ و«سُنَنِ» أبي داوودَ (في الحديث).

- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبد الله محمد بن زرقون في النسيب والمجون والزُّهْد (نفع الطيب ٣:

٤٧٤ - ٤٧٥):

فجرى دمعُه وَلَجَ النحيبُ ^(١)	ذَكَرَ العَهْدَ والديارَ غريبٌ
حبّذا العهدُ والنَّوى والحبيبُ ^(٢) ،	ذكر العهدَ والنَّوى من حبيبٍ؛
بِتَجَنٍّ، ووُدُّنَا مَشُوبُ ^(٣) ؛	إذ صفاءُ الودادِ غيرُ مَشُوبٍ
رُقريبٌ؛ وإذ يقولُ المريبُ ^(٤) :.....	وإذا الدهرُ دَهْرُنَا، وإذا الدا
يارُ، والروضُ زاهرٌ مَخْضُوبُ ^(٥) .	وقيانُ الأوتارِ تُسْعِدُهَا الأَط
قَ علينا وظاهرُهَا القلوبُ ^(٦) .	ووشاحي مَعاصِمٌ لَوَتْ الشو

(١) العهد (المدة السعيدة التي كان قد قضاها، أو كان يتخيّل أنه قضاها). لَجَ: تَدَاى، استمرّ، ازداد قوّة. النحيب: ارتفاع الصوت بالبكاء.

(٢) النوى: البعاد، الفراق.

(٣) مشوب (مزج شيء أقلّ قيمة منه). التجنّي: اتّهام شخصاً آخر بذنوب ظاهراً. مشوب: متوقّد (قويّ، فائر، عظيم).

(٤) الدهر دهرنا: مَوَات لنا (موافق لهوانا). المريب: السيّء الظنّ بالناس (وهو على غير الحق).

(٥) القينة: المرأةُ المغنّية الجميلة. قيان الأوتار (العازفات على الآلات الموسيقية). تسعدها: تساعدها، تجاريها بالغناء). مخضوب: (ذو ألوان عديدة).

(٦) الوشاح (ثوب مزركش يوضع على القسم الأعلى من الجسم) معاصم (المقصود: أيد). لوى: عوج. كلّ =

وفراشي بطنٌ وصَدْرٌ ونَهْدٌ، وعليها مِنِّي رَفِيقٌ طَبِيبٌ^(١).
واللّمي والرُّضابُ كَأَسِيٍّ وخَمْرِي، حَبْدًا الكَأْسُ، حَبْدًا المشروب^(٢).
وَحِمَى الْأَزْرِ لِي مُبَاحٌ، وَحُكْمِي نافِذٌ فِيهِ. وَالْفِعَالُ ضُرُوبٌ^(٣).
وَإِذَا مَا الْحِمَى أَغَارَ عَلَيْهِ حَازِقُ الطَّعْنِ، فَالْحِمَى مِنْهُوبٌ.
أَسْأَلُ اللَّهَ عَفْوَهُ، فَلْتَنْ سَا ءَ مَقَالِي لَقَدْ تَعَفَّ الْقُلُوبُ.
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى الصَّغَائِرَ ظَرْفًا لَا سِوَاهَا، وَلِلذُّنُوبِ ذُنُوبٌ^(٤).
وَأَخُو الشَّعْرِ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ؛ وَسَوَاءٌ صَدُوقُهُ وَالْكَذُوبُ^(٥).

٤-★★ التكملة ٢٥٦ - ٢٥٧ (رقم ٨٢٤)؛ بغية الملتبس ٧٠ (رقم ١٣٨)؛ البوافي بالوفيات ٣: ١٠٢؛ المطرب ٢١٩ - ٢٢٢؛ وفیات ابن قنقذ ٢٩٥؛ نفع الطيب ٢: ١١٥ ثم ١٦٢، ١٦٤، ٥٩٧، ٦٠٣ (لعلها لابن زرقون هذا، مع أنها وضعت في الفهرس لابن زرقون آخر) ثم ١٠٣ و ١٠٤ (ولا يظهر اسم «ابن زرقون» في الصفحتين المشار إليهما)، ٣: ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧ (بيت شعر)، ٤٧٤ - ٤٧٥ (سبعة أبيات من الشعر)، ٥٢٠، ٤: ٣٢٣ - ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ - ١١ (١٦: ١٣٩)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٠٣ - ٢٠٨ (رقم ٥٩٧).

أبو بكر بن مغاور

١- هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن حكيم بن مغاور السلميّ من أهل شاطبة وُلِدَ فيها سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م). واتَّخَذَهُ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بن عبد المؤمن كاتباً. وكانت وفاته في شاطبة سَنَةَ ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

= واحد مَنَّا كان يحيط الآخر بذراعيه. وظاهرتها (نصرتها، وافقتها): حبنا كان حقيقياً (من القلب إلى القلب).

- (١) مني (بكسر فكس): مني (بكسر فتشديد). رفيق: متأن، لطيف. طبيب: عارف، عالم.
- (٢) اللمي: السمرة في الشفاء. الرضاب: الريق ما دام في الفم.
- (٣) الإزار (بالكسر) ثوب يلف به القسم الأدنى من الجسم. حمى الإزار: ما يغطي (ما يستره الإزار). الفعّال (بالكسر): الأفعال. الأعمال. ضروب: أنواع (كناية عن البراعة في أعمال عديدة).
- (٤) الصغائر (الذنوب الصغيرة). ظرفاً: تسليّة وتملّحاً. ذنوب (بالفتح): خطئ (قسم) من العقاب.
- (٥) الجناح: الذنب. الصدوق: (الشعر) الصادق (في الجد). الكذوب (الشعر) الكاذب (في المزح).

٢ - كان أبو بكر بن مُغاورٍ من جِلَّةِ الأدباء والكَتَّابِ وَمِنَ الفُقهاء أيضاً. له نثرٌ وشعرٌ. في شعره مَتَانَةٌ وشيءٌ من المَرَحِ وهجاءٌ كثيرٌ . وقد جَمَعَ ابنُ مُغاورٍ شيئاً من نثره وشعره في كتابٍ سَمَّاه «نُورَ الكِئامِ وسَجعَ الحِمايمِ» .

٣ - مختارات من شعره:

- عَلِقَ أَخُو أَبِي بَكْرِ بْنِ مُغاورٍ امرأةً من بني يَنْقَ فقال أبو بكر:

بَنِي يَنْقَ، كُفُّوا عِیونَ ظِبائِكُمْ؛ فَمَا بَيْنَنَا ثَارٌ وَلَا بَيْنَنَا ذَحْلٌ^(١).
أَسَوَّغْتُمُ الشَّهْدَ الْمَشُورَ لَطَائِمِ وَقَلْتُمْ: حَرَامٌ أَنْ يُلَمَّ بِهِ النَّحْلُ^(٢)؟
إِذَا مَا تَصَدَّتْ بِالطَّرِيقِ طَرُوقَةٌ فَغَيْرُ نَكِيرٍ أَنْ يَهِيحَ لَهَا الْفَحْلُ^(٣)!

- وقال أبو بكر بن مُغاورٍ يهجو قاضياً يرتشي في المساء ما كان قد

حكم به في الصباح:

لَا تَظَنُّوا ابْنَ بَيْشَ فِي قَضَايَاهُ يَرْتَشِي.
إِنَّمَا الشَّيْخُ هُلْهُلٌ؛ فَهُوَ يَصْحُو وَيَنْتَشِي^(٤).
فَتَرَى الْحُكَمَ غُدُوَّةً وَتَرَى النُّقْضَ بِالْعَشِيِّ^(٥).

- كان ابنُ مُغاورٍ في شيخوخته يَحْمِلَ عَصاً، فَرَأَاهُ شَخْصٌ وَقَالَ لَهُ - كَأَنَّهُ يَهْزَأُ

به -: أَنْتَ صَاحِبُ الْجَسَمِ! فَقَالَ ابْنُ مُغاورٍ:

قَالَ لِي - يَهْزَأُ - مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ! مِنْ مَلَأَمَةٍ^(٦)،
إِذْ رَأَى كَفِّي دَابُّباً بِعَصَاهَا مُسْتَهَامَةً^(٧).

(١) ظباؤكم: نساؤكم. الذحل: العداوة والحقد. طلب مكافأة عن جريمة.

(٢) الشهد: العمل. المشور: المقطوف حديثاً. - معنى البيت غامض، ويجب أن يكون فيه تعريض بشرف بني يَنْقَ (كما يبدو من البيت التالي).

(٣) الطروقة: الناقة بلغت من العمر إلى أن يطرقها الفحل (وكذا المرأة).

(٤) في رواية: ببش.

(٥) الهلhel (بضم الهاءين): الثوب السخيف (الرقيق النسيج).

(٦) يتوقع (كذا في الأصل): ينتظر (؟).

(٧) داباً: على التوالي، باستمرار. مستهام: محب، متعلق بالأمر إلى حد الجنون.

أَنْتَ، وَاللَّهِ، صَحِيحٌ؛ سَوْفَ تَبْقَى لِلْقِيَامَةِ^(١).
 قُلْتُ: دَعْنِي مِنْ مُحَالٍ؛ قَدْ شَكََا الشَّيْخُ السَّامَةَ.
 كَيْفَ يُرْجَى لِي بَقَاءٌ وَجِدَارِي بِدِعَامِهِ^(٢)!

٤-★★ زاد المسافر ٧٩-٨٢؛ التكملة ٥٧٨ (رقم ١٦٢٢)؛ معجم ابن الأثير ٢٤٣-٢٤٥؛ المغرب ٢: ٣٨٥-٣٨٦؛ المطرب ٨٠-٨١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٨٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٤ (٣: ٣٢٨).

ابن مُجَبَّر

١- هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر الفِهْرِيّ، من أهل بَلَش مَالَقَة (صخرة مَالَقَة)، وَلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) فِي بَلَدَةِ شَقُورَة. وَتَعَلَّمَ ابْنُ مُجَبَّرٍ فِي مَرْسِيَّةٍ وَسَكَنَ إِشْبِيلِيَّةً ثُمَّ أَخَذَ يَفْدُ عَلَى بَلَاطٍ مَرَّاكُشَ عَاماً بَعْدَ عَامٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِيَ يَعْقُوبُ بْنُ يُونُسَ الْمُلُوكَ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ بِأَسْمِ الْمَنْصُورِ (سَنَةِ ٥٨٠ هـ). ثُمَّ سَكَنَ مَرَّاكُشَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مَرَّاكُشَ، لَيْلَةَ الْأَضْحَى (تَاسِعَ ذِي الْحِجَّةِ) مِنْ سَنَةِ ٥٨٨ (١١٩٢/١٢/١٦ م).

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُجَبَّرٍ شَاعِرَ الْمَغْرِبِ فِي وَقْتِهِ، وَقَالَ فِيهِ الْمَقْرِيّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ: الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ الشَّهِيرُ (٤: ٣٣٥) وَأَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ (٤: ٣٨٠)، وَهُوَ شَاعِرٌ مُكْتَرٍ كَانَ لَهُ دِيْوَانٌ فِي مُجَلَّدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَضُمَانِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةِ آلَافٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بَيْتٍ أَكْثَرَهَا فِي مَدِيحِ الْمَنْصُورِ الْمُوَحِّدِيّ (أَمِيرًا وَخَلِيفَةً). وَهُوَ يَقُولُ الْقَصَائِدَ الطُّوَالَ وَالْمُقَطَّعَاتِ الْقَصَارَ وَيَرْتَجِلُ أَيْضاً. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدِيحُ وَالرِّثَاءُ وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ وَالْأَدَبُ (الْحِكْمَةُ)، وَهُوَ مُقْتَدِرٌ فِي الْهَجَاءِ.

(١) للقيامَة = إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: سَتَمِيشُ طَوِيلَا.

(٢) جِدَارِي: جَانِبِي (جَانِبٍ مِنْ جَسْمِي). بِدِعَامَةٍ: مُسْتَنْدٌ إِلَى عَصَا (إِذَا ذَهَبَتْ الْعَصَا يَتَقَعُ).

- قال أبو بكرٍ يحيى بنُ مُجَبَّرٍ يمدحُ المنصورَ الموحَّديَّ (وفيات الأعيان ٧: ١٣ -

: ١٤):

أُتْرَاهُ يـــــــتْرُكُ الْفَزْلَا وَعَلَيْهِ شَبٌّ وَأَكْتَهْلَا؟
كَلَفٌ بِالْفَيْدِ مَا عَقَلْتُ نَفْسُهُ السُّلْوَانُ مُذْ عَقَلَا^(١).
أَيُّهَا اللُّوْأَمُ، وَيَحْكُمُو؛ إِنَّ لِي عَنْ لَوْمِكُمْ شُغْلَا.
ثَقُلْتُ عَنْ لَوْمِكُمْ أَذُنِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا الْهَوَى ثِقْلَا^(٢).
نَظَرْتُ عَيْنِي - لِشَقْوَتِهَا - نَظَرَاتٍ وَافَقْتُ أَجْلَا^(٣).
غَادَةٌ لَمَّا مَثَلْتُ لَهَا تَرَكَّنِي فِي الْهَوَى مَثَلَا^(٤).
يَا سَرَاةَ الْحَيِّ، مِثْلُكُمْ يَتَلَفَى الْحَادِثَ الْجَلَلَا^(٥).
قَدْ نَزَلْنَا فِي جَوَارِكُمْ فَشَكَرْنَا ذَلِكَ النَّزْلَا^(٦).
ثُمَّ وَاجَهْنَا ظِبَاءَكُمْ فَلَقِينَا الْهَوْلَ وَالْوَهْلَا^(٧).
أَضْمِنْتُمْ أَمِنْ جِيرَتِكُمْ ثُمَّ مَا أَمَنْتُمْ السُّبْلَا^(٨)؟

(١) الكلف: شديد الحبِّ والولع بالأشياء. الأغيد (والغيداء) - والجمع فيها: غيد: الناعم، المشتني، و(هنا): النساء الجميلات.

(٢) عقلت (كذا في الأصل): أدرك، ميَّز الأمور، لجأ، انقبض، تنى (طوى) ساعده (بين المرفق والكف) على عضده (بين المرفق والكف)... الخ. وليس في هذه المعاني معنى يوافق المقصود من البيت. لعلها عقلت (نحو «علق فلان فلاناً وعلق به»: أحبه، أمسك به: السلوان: النسيان، التسلي (عن الحب). عقل: أدرك، بلغ الرشد.

(٣) ثقلت أذني (قل سمعها). لم يجد فيها الهوى ثقلاً (صمًا عن سماع كلماته).

(٤) وافقت أجلاً (نهاية العمر): سببت موتي.

(٥) السري: الوجه في قومه. يتلافى: يستطيع أن يتجنب أمراً مكروهاً أو أن يجنب غيره ذلك الأمر المكروه. الحادث: النازلة (المصيبة). الجلل: العظيم.

(٦) النزول (بضم فضم): المنزل، ما يبيت للضيف من مكان ينزل فيه ويأكل وينام.

(٧) ظباؤكم (النساء الجميلات في بلادكم). الهول: الأمر الخيف. الوهل (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): الفرع.

(٨) السبيل: الطريق. الجيرة: الجيران.

وَأَرَدْتُمْ غَضَبَ أَنْفُسِهِمْ فَبَشَّتُمْ بَيْنَهَا الْمُقَلَّا^(١).
لَيْتَنَّا خَضْنَا السُّيُوفَ وَلَمْ نَلْقَ تِلْكَ الْأَعْيُنَ النَّجْلَا^(٢).
عَظَلْتَنِي الْغَيْدُ مِنْ جَلْدِي وَأَنَا حَلَيْتُهَا الْغَزْلَا^(٣).
حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى فِتْنٍ سُمْتُهَا صَبْرًا فَمَا أَحْتَمَلَا^(٤).
تَمَّ قَالَتْ: سَوْفَ نَتَرَكُهَا سَلْبًا لِلْحَبِّ أَوْ نَقَلَا^(٥).
قُلْتُ: أَمَّا وَهِيَ قَدْ عُلِقَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا.
مَا عَدَا تَأْمِيلُهَا مَلَكًا مِنْ رَأَى أَدْرَكَ الْأَمَلَا^(٦).
أَوْدَعَ الْإِحْسَانُ صَفْحَتَهُ مَاءَ بَشْرِ يَنْقَعُ الْغُلَلَا^(٧).
فَإِذَا مَا الْجُودُ حَرَّكَه فَاضَ مِنْ يَمْنَاهُ فَأَنَهَمَلَا^(٨).

- وقال أيضاً يمدح المنصور الموحدي (نفع الطيب ٣: ٢٤٠ - ٢٤١):

مَلِكٌ تُرْوِيكَ مِنْهُ شَيْمَةٌ أَنْتِ الظَّهَانَ زُرْقَ النَّطَفِ^(٩)،
جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ فَحَكَتْ لَفْظَةً قَدْ جُمِعَتْ مِنْ أَخْرِفِ^(١٠).
يَعْجَبُ السَّامِعُ مِنْ وَصْفِي لَهَا، وَوَرَاءَ الْعَجْزِ مَا لَمْ أَصِفِ^(١١).

(١) بث: نشر، فرق الأشياء في مكان ما. المقلة: العين (كناية عن المرأة الجميلة).

(٢) النجلاء: الواسعة (= المرأة الجميلة).

(٣) عطلتني (سلبتني) الغيد (النساء الجميلات) جلدي (احتالي للأمور القاسية: صبري عن حب النساء).
وأنا حليتها (ألبيتها حل) من غزلي (من شعري في الغزل).

(٤) على فتن: افتتان: (إعجاب بالجمال) سمتها (طلبت منها) احتملا (بالبناء للمجهول) لم يكن بالإمكان
احتاله (لم أقدر عليه).

(٥) نفل: غنيمة.

(٦) عدا: تجاوز.

(٧) صفحته (وجهه). البشر: انطلاق الوجه وظهور السرور عليه. نفع الماء الغلة (بالضم): أذهب الماء
العطش.

(٨) يمناه: يده اليمنى. انهمل: انسكب بكثرة.

(٩) أروى: أذهب العطش (ملاً، كفى). شيمة (خصلة جميلة). النطفة: الماء القليل. زرق النطف (الماء
الصافي الذي يروي العطشان).

(١٠) حكى: شابه.

(١١) - صفات أخرى جميلة عجزت أنا عن وصفها.

لو أَعَارَ السَّهْمَ ما في رأيِهِ، من سَدَادٍ وَهُدًى، لم يَصِفِ^(١).
 حِلْمُهُ الرَّاجِحُ مِيزَانُ الْهُدَى يَزِنُ الْأَشْيَاءَ وَزَنَ الْمُنْصِيفُ.
 - حَضَرَ أَبْنُ مُجَبِّرٍ في مَجْلِسٍ، وكان في المَجْلِسِ زُجَاجَةٌ سَوْدَاءُ فيها خمرٌ، فقليل
 له: قُلْ في هذا شَيْئاً، فَقَالَ أَرْتِجَالاً (نفع الطيب ٣: ٢٠٦):

سَأَشْكُو إلى النَّدَمَانِ أَمْرَ زُجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثَوْبٍ حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْحَمَ^(٢).
 نَصَبْتُ بِهَا شَمْسَ الْمُدَامَةِ يَبْنِنَا فَتَغْرُبُ في جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمٍ^(٣).
 وَتَجَحَّدُ أَنْوَارَ الْحُمَيَّا بَلَوْنَهَا كَقَلْبِ حَسَوْدٍ جَاوِدٍ يَدُ مُنْعَمٍ^(٤).
 - وَلَمَّا صُلِبَ الثَّائِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَزِيرِيُّ * وَمِنْ أُخِذَ مِنْ
 أَصْحَابِهِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَعَانَيْتَهُمْ أَبْنُ مُجَبِّرٍ قَدْ رُفِعُوا فِي خَشَبِهِمْ أَشَدَّ (بغية الملتبس
 ٩٤):

رَكِبْتُ إلى نارِ الْجَحِيمِ مَسِيرُهُمْ وَرِكَابُهُمْ لَا تَسْتَطِيعُ مَسِيرًا^(٥).
 الْحَيُّ مِنْهُمْ لَا يُرَى مُسْتَوِطِنًا، وَالْمَيْتُ مِنْهُمْ لَا يُرَى مَقْبُورًا^(٦).
 مِمَّا يَزِيدُ الْأَرْضَ طِيبًا أَنَّهَا لَفَظَتْ عُدَاتَكَ أَبْطُنًا وَظُهُورًا^(٧).

-
- (١) السداد (بالفتح): صحة الرأي والاستقامة. صاف السهم يصيف: مال، انحرف عن هدفه.
 (٢) الدمان (بالضم) جمع نديم: الرفيق الذي يشرب الخمر مع آخرين - الملموح أن الزجاجة هنا كأس أو قدح.
 (٣) نصباً بها (فيها) شمس المدامة (الخمر). يشبه الخمر (الحمراء المنيرة) بشمس تغرب في (زجاجة أو وعاء أسود). الجنج (بالضم): جانب من الليل.
 (٤) حينما تنزل الخمر في الزجاج السوداء، فإن تلك الزجاج السوداء (تجحد: تنكر، أي تستر) لون الخمر (الأحمر الجميل).
 * راجع المغرب ١: ٣٢٣ - ٣٢٤ ونفع الطيب ٤: ٦٥ - ٦٦. وكان الجزيري هذا شاعراً أيضاً.
 (٥) الركب: الجماعة يركبون الإبل أو الخيل معاً (في السفر). الركاب (هنا): الإبل الموكوبة (يشبه الشاعر الخشب الذي صلب عليه أولئك الأشخاص بالإبل التي يسافر الناس عليها).
 (٦) مستوطن: ساكن في بلد. الحي... (الذي لا يزال حياً على الخشبة التي صلب عليها).
 (٧) في الأصل غداتك (بالعين المعجمة). عداذك (بالضم) أعداؤك. لفظت الأرض عداذك (لم تقبل أن تحويهم) أبطناً (جمع بطن) أن يذفتوا في جوفها، وظهوراً (جمع ظهر) أن يطرحوا على سطحها. فازدادت الأرض بذلك طيباً (رائحة طيبة وطهارة).

٤ - ★★ زاد المسافر ٥١ - ٥٧؛ بغية الملتص ٤٩٣ - ٤٩٤ (رقم ١٤٩٣)؛ وفيات الأعيان ١٣: ٧ - ١٤؛ شذرات الذهب ٤: ٢٩٥؛ نفع الطيب ٣: ٢٠٦، ٢٣٧ - ٢٤١، ٤: ٣٣٥ - ٣٣٧؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨؛ مختارات نيكل ١٩٧ - ١٩٩؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٧٨ - ١٨٨ (١٥٢).

حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ

١ - هِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ، كَانَ مَوْلُودُهَا فِي غَرْنَاطَةِ بَعِيدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) فِي أُسْرَةٍ ذَاتِ شَرَفٍ وَجَاهٍ وَغِنَى. وَشَبَّتْ حَفْصَةُ فَكَانَتْ فَتَاةً جَمِيلَةً ذَكِيَّةً مُتَأَدِّبَةً مُثَقَّفَةً.

لَا نَعْرِفُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْأُولَى فِي حَيَاةِ حَفْصَةَ بِنْتِ الْحَاجِّ إِلَّا حَبَّهَا لِأَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الْعَنْسِيِّ، وَقَدْ تَبَادَلَا الرِّسَالَةَ نَثْرًا وَنَظْمًا وَنَعِمًا بِالْحُبِّ مُدَّةً ثُمَّ حَالَتْ حَيَاتُهَا مَأْسَاءً حِينَمَا وَلَعَ بِهَا أَبُو سَعِيدٍ عَثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي غَرْنَاطَةِ وَوَلَعَتْ هِيَ بِهِ أَيْضًا، فِيهَا يَبْدُو.

فِي سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جَازَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْجِهَادِ، فَبَعَثَ أَبُو سَعِيدٍ عَثْمَانُ حَفْصَةَ بِنْتَ الْحَاجِّ وَافِدَةً عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، فَأَكْرَمَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَوَهَبَهَا قَرْيَةً قُرْبَ غَرْنَاطَةِ تُدْعَى الرُّكُونَةَ (بِفَتْحِ الرَّاءِ أَوْ بضمها). وَمِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتْ تُدْعَى «الرُّكُونِيَّةُ» (فَهِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ لَا حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ).

وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ سَعِيدٍ، سَنَةَ ٥٥٩ هـ، حَزِنَتْ حَفْصَةُ عَلَيْهِ وَلَبَسَتْ السَّوَادَ وَمَالَتْ إِلَى الزُّهْدِ وَتَرَكَتْ قَوْلَ الشِّعْرِ. وَيَبْدُو أَنَّ حَفْصَةَ انْتَقَلَتْ، فِيهَا بَعْدُ وَشَيْكَاءَ إِلَى مَرَاكُشَ ثُمَّ دَخَلَتْ بِلَاطِ الْمُوَحِّدِينَ لِتَعْلِيمِ الْأَمِيرَاتِ وَتَهْذِيبِهِنَّ. وَأَرْجَحُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثَانِي سُلَاطِينَ الْمُوَحِّدِينَ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ. وَيُسْتَبَعْدُ أَنْ تَكُونَ بَدَأَتْ التَّعْلِيمَ لِبَنَاتِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ الَّذِي وَلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وَجَاءَ إِلَى الْعَرْشِ سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م).

وكانت وفاة حفصة الركونية، سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في الأغلب، وفي مدينة مراکش. ووفاتها في معجم الأدباء (١٠: ٢٢٧، بالأحرف) سنة ٥٨٦ هـ.

٢- كانت حفصة بنتُ الحاجِّ الركونيةُ أستاذةً قديرةً وأديبةً بارعةً وشاعرةً كبيرةً؛ وهي بلا ريب أشهرُ شاعراتِ الأندلس، ولعلَّها أكبرُهنَّ. كانت سريعةَ الخاطر رقيقةَ الشعرِ تميلُ إلى شيءٍ من الصَّناعة؛ وفي شعرِها كثيرٌ من الصِّدقِ وشيءٌ من التَّهكُّمِ والفُكاهة. وتدورُ فنونُ شعرِها على المدحِ والعِتابِ والغزلِ في الأكثر؛ ومُعظمُ شِعْرِها في المُناسباتِ التي رَبطَها بأبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سعيدٍ وبالمُناسباتِ التي جمعتها به. ويَرى نيكُل (ص ٣١٧) أنَّ قِصَّةَ حفصةَ وابنِ سعيدٍ تشبهُ قِصَّةَ ولَّادَةَ وابنِ زيدون، إلَّا أنَّها أقربُ إلى النفسِ وإنَّ كانت أقلَّ تلويناً وعُنفاً.

٣٠ - مختارات من شعرها:

— من مقطّعات حفصة في صلتها بأبي جعفر بن سعيد:

★★ يَا مَدْعِي فِي الْحَسَنِ وَالْغَرَامِ الْإِمَامَةُ^(١)،
 أَتَى قَرِيضُكَ، لَكِنْ لَمْ أَرْضَ مِنْهُ نِظَامَهُ.
 أَمَدْعِي الْحَبَّ يَثْنِي يَأْسُ الْحَبِيبِ زِمَامَهُ؟
 ضَلَلْتُ كُلَّ ضَلَالٍ، وَلَمْ تُفِدْكَ الزَّعَامَهُ.
 مَا زِلْتُ تَصَحَّبُ مَذْكَ كُنْتُ فِي السَّبَاقِ السَّلَامَهُ،
 حَتَّى عَثَرْتُ وَأَخْجَلْتُ بِأَقْتَضَاحِ السَّامَةِ^(٢)
 بِاللَّهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ يُبْدِي السَّحَابُ أَنْسَجَامَهُ^(٣)؛

(١) في هوى الحسن و (في) الفرام الإمامة.

(٢) - لم تكن تغامر (وتعلن حبك لي).... ثم سئمت (مللت) هذا الكتان فبعت بالحبّ (في أبيات أرسلتها إليّ) فافضحت!

(٣) كذا في الأصل. والتخريج المعقول: بالله (للقسم). في كلِّ وقت (ليس في كلِّ وقت) لأنَّ حرف النفي يحذف بعد القسم - في القرآن الكريم (١٢: ٨٥، يوسف): قالوا: الله، تفتأ تذكر يوسف (= تالله، لا تفتأ تذكر يوسف). وقال السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ):

والزهْرُ في كلِّ حين
لو كنتَ تعلمُ عُذري
** أزوركَ أم تَزورُ! فإنَّ قلبي
وقد أُمُنتَ أن تَظلمَ وتَضحي
فثَغري مَورِدُ عَذبٍ زُلَالُ،
فَعَجَلُ بالجوابِ؛ فما جَميلُ
** ثَنائي على تلكَ الثَنايا لِأَنِّي
وَأُنصُفُها - لا أَكذبُ اللهَ - إِنِّي
** سَلُوا البارِقَ الحَفَّاقَ واللَّيلُ ساكِنُ:
لَعَمري لَقد أَهدى لقلبي خَفَقَهُ
** أَغارُ عليك مِن عَيني رَقيبي
ولو أَنِّي خَبأتُكَ في عيوني
** لَعَمركَ ما سُرَّ الرِياضُ بوصلنا

يَشُقُّ عَنْهُ كَما مَه^(١).
كَفَفَتْ غَربَ المَلامَهِ^(٢).
إلى ما تَشتهي أَبداً يَميلُ^(٣).
إذا وَافى إِلَيَّ بِكَ القَبولُ^(٤).
وَفَرَعَ ذوائِي ظِلُّ ظَليلُ^(٥).
إِباؤُكَ عَن بُيُوتِنَا، يا جَميلُ^(٦)!
أَقولُ على عِلْمٍ وَأَنطِقُ عَن خُبَرٍ^(٧)،
رَشَفْتُ بِها رِيقاً أَرَقَّ مِنَ الخَمَرِ!
أَظِلُّ بِأَحبابي يَذكُرُني وَهنا^(٨)؟
وَأَطرُ عن مُنْهَلٍ عارِضِ الجَفْنا^(٩).
ومَنكَ ومَن زَمانُكَ والمَكانُ.
إلى يَومِ القِيامَةِ ما كَفايَ.
ولَكنَّهُ أَبدي لَنا الغِلُّ والحَسَدُ؛

= تــــالله، أغدر في الهوى مــــا دمت مسودّ الفدائر.

أي: لا أغدر في الهوى.

(١) الكمامة: كأس الزهرة قبل أن تنفتح (الأوراق الخضرة التي تغلف الزهرة). والكمامة هنا جنة (جنينة)

لاين جعفر بن سعيد. وذكر الكمامة هنا إشارة فهمها ابن سعيد على أنها كانت دعوة من حفصة إلى

الاجتماع به في ذلك المكان (راجع نفع الطيب ٤ : ١٧٤).

(٢) الغرب: الحد (حدّ السيف). غرب الملامة: اللوم القاسي.

(٣) في معجم الأدباء (٦٠ : ٢٢٥): وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها: «أزورك... الخ».

(٤) تظلم: تمطش. تضحي: تبرد.

(٥) الفرع: الشعر (يفتح الشين).

(٦) بشينة حبشية جميل بن معمر (من المحبين العذريين في العصر الأموي).

(٧) الثنايا: الأسنان.

(٨) وهنا: بعد منتصف الليل.

(٩) المنهل: الساقط بكثرة. الجفن: جفن العين - جعلني هذا البرق (لما تذكرتك به) أبكي بدموع أكثر

غزارة من المطر.

ولا صَفَّقَ النهرَ آرْتِيَا حَا لُقُربنا ولا صَدَحَ القُمُريُّ إلَّا لها وجد^(١).
 فلا تُحسِنَ الظنَّ الذي أنتَ أهلهُ، فما هو في كلِّ المَواطِنَ بالرَّشَدِ^(٢).
 فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدي نجومه لِأمرٍ سِوى كما تكونُ لنا رصد^(٣).

٤-★★ معجم الأدباء ١٠: ٢١٩ - ٢٢٧؛ المغرب ٢: ١٣٨ - ١٣٩؛ المطرب ١٠: تحفة
 القادم ١٦٧؛ الإحاطة ١: ٤٩٩ - ٥٠٢؛ نفح الطيب ١: ١٧٦، ٣: ٢١٨، ٤:
 ١٧١ - ١٨١؛ نيكل ٣١٧ (راجع ٣١٧ - ٣٢٤)؛ بروكلمان؛ ملحق ١: ٤٨٢؛
 الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٢ (٢٧٤)؛ بالنشيا ١٢٧ - ١٢٨.

الإمام الشاطبي

١ - هو أبو محمد القاسمُ بنُ فيرّه بن خَلَفِ بنِ أحمد الشاطبي الرُّعَيْنِيّ، نسبةً إلى ذي
 رُعَيْنٍ أحدِ أقبالِ (ملوك) اليمن.

وُلِدَ الشاطبيُّ في آخرِ سَنَةِ ٥٣٨ هـ (مطلع صيف ١١٤٤ م) في مدينة شاطبة. وقرأ
 الشاطبي القراءاتِ على أبي عليّ بن محمد بن علي النَّفْزِيّ. ثمَّ إنّه انتقل إلى بَلَنْسِيَّةَ
 وقرأ كتاب التسهيل على أبي الحسن محمد بن عليّ بن هُذَيْل (ت ٥٦٤ هـ) وسَمِعَ من أبي
 عبدِ الله محمد بن عبد الرحيم (ت ٥٦٧ هـ). وكذلك سمع من أبي الحسن عليّ بن عبد الله
 ابن النعمة (ت ٥٦٧ هـ) ومن ابن سعادة^(٤).

وَرَحَلَ الشاطبي إلى مِصْرَ واستوطن القاهرةَ وحَضَرَ مُدَّةَ مجالس الحافظ أبي
 طاهر أحمدَ بن مُحمَّد السلفي (ت ٥٧٦ هـ). ولَمَّا أنشأ القاضي الفاضلُ مدرستَه
 «الفاضلية» (٥٨٠ هـ) عيّن فيها الشاطبي لإقراء القراءاتِ واللغة والنحو.

-
- (١) صدح: غنى. وجد يجد موجد: أبفض.
 (٢) الظنّ الذي أنتَ أهله (يليق بك): أن تظنّ ظناً حسناً في كلّ شيء.
 (٣) الرصد = الراصد: من يرصد النجوم (هنا: الرقيب، المنتظر الذي يريد إيقاع الشر بالآخرين).
 (٤) هنالك اثنان يعرفان بابن سعادة: أبو عبد الله محمد بن يوسف (توفي في شاطبة سنة ٥٦٦ هـ) ثم أبو عبد
 الله محمد بن عبد العزيز (ت ٦١٤ هـ) من أهل شاطبة.

ويبدو أن الشاطبي عَمِيّ، وهو في مصر^(١). وكانت وفاته في القاهرة في ٢٨
جُمادى الآخرة ٥٩٠ (١١٩٤/٧/١٤ م).

٢ - كان الشاطبي مُقَرِّناً فقيهاً حافظاً للحديث بصيراً باللغة والنحو واسع العلم.
وكان له شعرٌ فيه شيء من التعقيد. غير أن شهرته تقوم على مؤلفاته، وأهمُّ هذه
المؤلفات. وأشهرها حِرْزُ الأمانِي ووجه التهاني، وهي قصيدةٌ في القراءات (القراءات
القرآن) فيها ١١٧٣ بيتاً وتُعرفُ باسم القصيدة الشاطبية أو بالشاطبية فحسب. ثم له
عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (خمسائة بيت على رويِّ الدال، في الرسم -
أي الهجاء في المصاحف - من قرأها أحاط بكتاب التمهيد لابن عبد البر).
وللشاطبي كتب أخرى منها: كتاب الوقوف (المواضع التي يجب الوقوف عليها في
القرآن الكريم أو يَحْرُمُ أو يجوز أو يُستَحْسَنُ الخ). - تفسير القرآن - رسالة في
طبقات المفسرين - رسالة في إعجاز القرآن - طبقات القراء - نظيمة الزهر في عدد
آيات القرآن الشريف واختلاف أهل الأمصار فيها - الخ.

٣ - مختارات من شعره:

- في نفع الطيب (٢: ٢٣): بعث الأميرُ عِزُّ الدين بنُ موسك^(٢) إلى الشيخ
الشاطبيَّ يدعوه إلى الحضور عنده، فأمرَ الشيخُ بعضَ أصحابه أن يكتبَ إلى عِزُّ
الدين هذا:

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةً مِنْ نَاصِحٍ فَطِنٍ نَبِيهِ:
إِنَّ الْفَقِيهَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ.
- ومن نظمهِ (نفع الطيب ٢: ٢٣):

خَالَصْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ لَمْ أَرْمُ مِنْهُ أَرْتِيَادِي مَخْلُصِي^(٣).

(١) راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٩٥ و ٥٩٦.

(٢) موسك (تصغير موسى)، وهو ابن خال صلاح الدين الأيوبي.

(٣) خالصة...: عاشرت الناس باخلاص فلم أجد أحداً منهم لم أتمن أن أتخلص من شره.

ردُّ الشباب، وقد مضى لسبيله، أهيأ وأمكن من صديقٍ مُخلص^(١).

- من الشاطبية (حز الأمانى ووجه التهاني):

هذه الأرجوزة تجمع القراءات في القرآن الكريم مع نسبة كلِّ قراءة إلى قارئها. ولكنَّ هذا الموضوع لا يَلِينُ للشعر ولا يُطِيع الوزن والقافية إلَّا مع التكلُّف الشديد. من أجل ذلك جاءت هذه الأرجوزة (بجِلاف ما يُقال فيها) غامضةً مُعقَّدة، وفيها كثيرٌ من الجوازات في النظم وفي القوافي وفي اللغة أيضاً. وقلَّ أن ينتفع بها إلَّا من كان يَعْرِفُ القراءات معرفةً واسعةً (والغاية من هذه الأرجوزة أن تُذكِّرَ مثل هذا الرجل بما يحفظُ).

ولقد اخترتُ من هذه الأرجوزة عدداً من أبياتها وحاولتُ شرحَ تلك الأبياتِ بقدر الحاجة إلى فهم الأبياتِ وبقدر طاقتي.

- من الشاطبية (حز الأمانى ووجه التهاني):

(أ) المقدِّمة:

بدأتُ ببسمِ الله في النظم أوَّلاً.	تباركَ رحماناً رحيماً وموئلاً ^(٢) .
وثبتتُ صلى الله ربِّي على الرضا	مُحمَّد المَهدي إلى الناس مُرسلاً،
وعترته ثمَّ الصحابة ثمَّ مَنْ	تلاهم على الإحسان بالخير وبلاً ^(٣) .
وثلثتُ أنَّ الحمد لله دائماً	وما ليس مبدوءاً به أجذمُ العَلا ^(٤) .
وبعدُ، فحبَّلُ الله فينا كتابه	فجاهد به حبَلَ العدا مُتَحَبِّلاً ^(٥) .

(١) أهيأ: أسهل في الوصول إليه. أمكن: أكثر ثباتاً ودواماً.

(٢) موئل: ملجأ، التجاء (إلى الله واتكال عليه).

(٣) العترة: الأقارب. الصحابة: أصحاب رسول الله. تلاهم: تبعهم (من تلاهم: التابعون، الذين لم يعرفوا رسول الله، ولكن عرفوا أصحابه). وبَل - المقصود جمع وابل: مطر كثير.

(٤) أجذم: مقطوع. العلا: الرأس.

(٥) الحبَل (هنا): ما يمتسك الناس به (كيلا يهلكوا أو يضلُّوا). تحبَّل الرجل الصيد: أخذه بشرك من الحبال (نصب الحبال لمكاند أعداء الدين).

وأَخْلَقَ به، إذ ليس يَخْلُقُ جِدَّةً، وقَارِئُهُ المَرْضِيَّ قَرَّ مِثَالُهُ هو المَرْتَضَى أَمَّا إِذَا كَانَ أُمَّةً هو الحرِّ، إِنْ كَانَ الْحَرِيَّ حَوَارِيًا وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلِّ حَدِيثُهُ، وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً، يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ، فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مَتَمَسِكًا هَنِئُتَا مَرِيئًا، وَالدَّائِمُ عَلَيْهَا

جَدِيدًا مُوَالِيَهُ عَلَى الْجِدَّةِ مُقْبِلًا^(١).
كَالْأَتْرَجِ حَالِيهِ مَرِيحًا وَمُؤَكَّلًا^(٢).
وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرِّزَانَةِ قَنَقَلًا^(٣).
لَهُ بَتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلًا^(٤).
وَأَغْنَى غَنَاءً وَاهِبًا مُتَفَضِّلًا^(٥)؛
وَتَرَدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلًا.
مَنْ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنَاءً مُتَهَلِّلًا^(٦).
وَمَنْ أَجَلُهُ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى^(٧).
وَأَجْدِرُ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّلًا^(٨).
مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبْجَلًا،
مَلَايْسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَى^(٩).

-
- (١) أَخْلَقَ بِهِ (مَا أَحَقَّهُ، مَا أَحْسَنَهُ، أَيِ الْقُرْآنِ). لَا يَخْلُقُ (لَا يَبْلِي، لَا يَصْبِحُ قَدِيمًا). جِدَّةً: (سَيَظِلُّ جَدِيدًا مِمَّا يَقْرَأُهُ النَّاسُ وَلَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ). مُوَالِيَهُ (هُنَا) مُصَافِيَهُ (الْمُقْبِلُ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِاخْتِلَاصٍ).
- (٢) قَرَّ مِثَالُهُ: صَحَّ تَشْبِيهِهِ. كَالْأَتْرَجِ (اجْعَلِ الْهَمْزَةَ هَمْزَةً وَصَلْ لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ): نَوْعٌ مِنَ اللَّيْمُونِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. حَالِيهِ (حَالَاهُ؟) مَرِيحًا وَمُؤَكَّلًا (لِلثَّمِّ وَلِلْأَكْلِ: طَيِّبٌ فِي الْحَالَيْنِ).
- (٣) إِذَا كَانَ أُمَّةً: إِذَا كَانَ الْفَرْدُ الْوَاحِدُ يَقُومُ فِي الْحَيَاةِ وَالْإِصْلَاحِ مَقَامَ جَمَاعَةٍ. يَمَّمَهُ: قَصَدَهُ. ظِلُّ الرِّزَانَةِ (الْوَقَارِ): هُوَ لِمَكَانَتِهِ تَنْسَبُ الرِّزَانَةُ لَهُ. الْقَنَقَلُ: الْمَكْيَالُ الضَّخْمُ، وَتَاجٌ لِكُسْرَى (اِكْتَسَبَتِ الرِّزَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ؟).
- (٤) الْحَرِيَّ: الْجَدِيرُ (بِالْعِلْمِ). حَوَارِيًا (بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، وَحَقًّا التَّشْدِيدِ): تَابِعًا (نَاصِرًا لِلْحَقِّ وَالْعِلْمِ). التَّحَرِّيَّ: الْبَحْثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ. تَنَبَّلَ: مَاتَ.
- (٥) أَغْنَى غَنَاءً: أَحَقُّ الْكُتُبِ أَنْ تَسْتَفْنِي بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.
- (٦) - وَإِذَا دَفِنَ الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ، فَإِنَّ حِفْظَهُ الْمَاضِي لِلْقُرْآنِ يَصْبِحُ لَهُ نُورًا (فِي قَبْرِهِ). السَّنَاءُ: الضُّوءُ. مُتَهَلِّلٌ: فَرَحٌ. يَرْتَاعُ: يَخَافُ.
- (٧) يَكُونُ الْقَبْرِ لَهُ مَقِيلًا (مَسْكَنًا) وَرَوْضَةً (مَتْنَزَةً). يُجْتَلَى: يُجْتَلَى بِرَى.
- (٨) - وَمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ طَلَبَ الْقُرْآنَ لَهُ الْمَغْفِرَةُ بِالْحَاجِّ مِنْ حَبِيبِهِ (اللَّهُ تَعَالَى). وَإِذَا شَفَعَ الْقُرْآنَ لِأَحَدٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ.
- (٩) وَأَجْرُ حِفْظِ الْقُرْآنِ يَنَالُ وَالِدِي الْحَافِظِ أَيْضًا.

فما ظنكم بالنجل عند جزائه؟ أولي البرِّ والإحسان والصبر والتقى، عليك بها ما عشتَ فيها مُنافساً، جزى الله بالخيراتِ عنا أئمةً فيمنهم بُدورٌ سبعةٌ قد توسَّطتْ لها شُهْبٌ عنها استنارتْ فنورَتْ وسوف تراهم واحداً بعدَ واحدٍ تحيِّرهم نُقَادُهم كُلٌّ بارِعٌ، فأما الكريمُ السِرِّ في الطيبِ نافعٌ، وقالونُ عيسى ثمَّ عُثْمَانُ وَرَشُهُمْ ومَكَّةُ - عبدُ الله فيها مُقامه روى أَحْمَدُ البَزْزِيُّ له ومُحَمَّدٌ أولئك أهلُ الله والصفوة المَلَأَ (١): حُلَاهُمْ بها جاء القرآنُ مُفَصَّلًا (٢). وَبِعَ نَفْسِكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلَا (٣). لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلًا (٤). سَاءَ الْعُلَى وَالْعَدْلُ زُهْرًا وَكُمَلًا (٥). سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّقَ وَأَنْجَلَى (٦). مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ مُتَمَثِّلًا (٧). وَلَيْسَ عَلَى قُرْآنِهِ مِتَاكُلًا (٨). فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ الْمَدِينَةَ مَنَزَلًا (٩). بُصْحْبَتِهِ الْمَجْدُ الرَّفِيعَ تَأْتِلًا (١٠). هُوَ ابْنُ كَثِيرٍ كَاثِرُ الْقَوْمِ مُعْتَلًا (١١). عَلَى سَنَدٍ، وَهُوَ الْمُلَقَّبُ قُنْبَلًا (١٢).

- (١) النجل: الابن. المَلَأَ: الأشراف. - إذا كان ذلك (البيت السابق) أجر الوالدين من ابنها، فما قولك بأجر الابن نفسه؟
(٢) حلاهم: صفاتهم.
(٣) الدنيا (الدنية). - تبدل بالنفس الواحدة الدنية (في هذه الحياة) نفوساً كثيرة سامية (في الآخرة).
(٤) السلسل: السهل الجريان في الحلق.
(٥) الأزهر: الأبيض، اللامع (المشهور). الكَمَل (يقصد الكلمة. بفتح ففتح): الكاملون.
(٦) الشهاب (هنا): النجم اللامع الظاهر. انجلى الدجى (الظلام): زال، تفرَّق. ستأى أساؤهم.
(٧) سيذكر الشاطبي كلَّ قارئ (حافظ للقرآن) ويذكر اثنين من أتباع كلِّ واحد منهم.
(٨) النقَاد (العارفون بقراءة القرآن) هم الذين اختاروا هؤلاء القراء الحفاظ (للقرآن) ومن ليسوا من المتأكِّلين (المتكسِّبين، المرتزقين) بقراءة القرآن.
(٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعم (ت ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)، من أهل إصفهان ومنزله (مسكنه) في المدينة.
(١٠) قالون هو أبو موسى عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) ثمَّ أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، ولقبه ورش (ت ١٩٧ هـ). تأتِل: تشبه. المجد الرفيع يتأئل (يتخلَّق بأخلاق) قالون.
(١١) أبو معبد عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ). كاثِر القوم: زاد عليهم (بالعلم). معتل: قد علا فوق أُنْداده (٩).
(١٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بَرَّة من أهل مَكَّة (ت ٢٤٣ هـ). البَزْزِيُّ بالفتح (٩). ثمَّ أبو عمر محمد بن عبد الرحمن، ولقبه قنبل (ت ٢٩١ هـ).

وَأَمَّا الْإِمَامُ الْمَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ
أَفَاضَ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ سَبَبَهُ
أَبُو عَمَرَ الدَّوْرِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو
وَأَمَّا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ ابْنِ عَامِرٍ،
هَشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ أَنْتَسَابُهُ
وَبِالْكُوفَةِ الْغُرَاءُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، وَعَاصِمٌ أَسَمُهُ،
وَذَاكَ ابْنُ عِيَّاشٍ أَبُو بَكْرِ الرِّضَا
وَحِزَّةٌ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ

أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ وَالِدُهُ الْعَلَا (١).
فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلًا (٢).
شُعَيْبٌ هُوَ السُّوسِيُّ مِنْهُ تَقَلَّلًا (٣).
فَتَلَّكَ بَعْدَ اللَّهِ طَابَتْ مُحَلَّلًا (٤).
لِذِكْوَانٍ بِالْإِسْنَادِ عَنْهُ تَنَقَّلًا (٥).
أَذَاعُوا، فَقَدْ ضَاعَتْ شَذَاوَقَرْنَفُلًا (٦).
فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلًا (٧).
وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفْضَلًا (٨).
إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرْآنِ مَرْتَلًا (٩).

- (١) المازني هو أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ). صريحهم (كان عربياً خالص النسب، وكانوا هم موالي: غير عرب). وفي نسب المازني خلاف.
- (٢) يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) من أهل البصرة. السبب: العطاء (من العلم). الفرات: الحلو (المازني أفاض علمه على اليزيدي). المعلل: الذي يُسقى الماء شيئاً فشيئاً.
- (٣) وقد قرأ على اليزيدي اثنين: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الكوفي (ت ١٩٤ هـ) ثم أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).
- (٤) المحلل: المكان الذي ينزل فيه الناس (يسكنونه). أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي (ت ١١٨ هـ) ولد في قرية رحاب من البلقاء (شرق نهر الأردن) ثم انتقل إلى دمشق وسكنها.
- (٥) أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ) ثم أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ)، بالإسناد عنه (عن عبد الله بن عامر) تنقلاً (نقلًا عنه غير مباشرة، بل بواسطة آخرين بينها وبين ابن عامر).
- (٦) الغرء: البيضاء (المشهورة). أذاعوا: نشروا (القراءة للقرآن). ضاعت الرائحة: انتشرت. الشذا: الرائحة (الطيبة) القوية.
- (٧) أبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) أخذ عنه شعبة، وهو في الأغلب أبو بسطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ١٦٠ هـ). أفضل: زاد في الفضل على غيره.
- (٨) أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الكوفي أخذ عن عاصم بن أبي النجود (راجع وفيات الأعيان ٣: ٩). الرضا: العدل. ثم أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي (ت ١٨٠ هـ)، بالاتقان كان مفضلًا (على أبي بكر ابن عيَّاش).
- (٩) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت ١٥٤ أو ١٥٨ هـ) كان متورعاً (لا يأخذ أجرًا على تعليم القرآن) صبوراً (على العبادة) قليل النوم بالليل. مرتل (كان يرى دائماً وهو يرتل القرآن).

روى خَلَفٌ عنه وخَلَدٌ الذي رواه سُلَيْمٌ مُتَقَنًا وَمُحَصَّلًا^(١).
 وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْكَسَائِيُّ نَعْتُهُ لِمَا كَانَ بِالْإِحْرَامِ فِيهِ تَسْرِبًا^(٢).
 روى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرِّضَا
 وحَفِصٌ هُوَ الدَّوْرِيُّ، فِي الذِّكْرِ قَدْ خَلَا^(٣)
 أَبُو عَمْرٍ هُم وَالْيَحْصِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ، وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا^(٤).
 لَهُمْ طُرُقٌ يَهْدِي بِهَا كُلُّ طَارِقٍ، وَلَا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلًا^(٥).
 وَهِنَّ اللَّوَاتِي لِلْمَوَاتِي نَصَبَتْهُنَّهَا مَنَاصِبَ فَاَنْصَبَ فِي نِصَابِكَ مُفْضِلًا^(٦).
 وَهِيَ أَنْذَا أَسْمَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ يَطْوَعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَافِي مُسَهَّلًا^(٧).
 جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِيٍّ دَلِيلًا عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلًا^(٨).
 وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِي الْحَرْفُ أَسْمَى رَجَالَهُ؛ مَتَى تَنْقُضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيَصِلَا^(٩)

- (١) أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي (ت ٢٢٩ هـ) كان من بلدة قرب واسط ثم انتقل إلى بغداد. ثم أبو عيسى خلاد بن خالد الكوفي (ت ٢٢٠ هـ). ثم سليم بن عيسى بن الكوفي (وفيات ٧: ٢٥٠، المتن والحاوية ٤، راجع ٢: ٢٤١، ٢٤٢). - خلف وخلاد قرأ على سليم، وسليم قرأ على حمزة (راجع الحاشية السابقة). متقن (محكم ومحفوط). محصل (مجموع).
- (٢) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ)، سَمِيَ الْكَسَائِي لِأَنَّهُ أَحْرَمَ (فِي الْحَجِّ) فِي كَسَاءِ لَهُ.
- (٣) أبو الحارث الليث بن خالد أخذ القراءة عن الكسائي. وحفص الدوري في الذكر قد خلا: قد تقدم ذكره (راجع الحاشية ٣ ص ٤٩٨).
- (٤) أبو عمرو المازني (الحاشية ١، ص ٤٩٨) وعبد الله بن عامر اليحصي (الحاشية ١٣، ص) عربيان، وسائر القراء مَوَالٍ (أكثرهم من الفرس).
- (٥) الطرق (هنا): طريقة أخذ كل قارئ عن سبقة. يهدي (بالتناء للمعلوم في الأغلب). الطارق: النجم المضيء (كناية عن العالم). المتمحل: الذي يطلب للأمور تفسيراً له وجه له.
- (٦) هن اللواتي (أي القراءات). للمواتي (المواتي): الموافق (الذي يوافقني في قراءة هذه الألفية الشاطبية، ويتقن رموزها). نصبته (رفعته) مناصب (أعلاماً، إشارات ظاهرة). فانصب (انتصب)، أجهد نفسك في فهمها. في نصابك (أصلك): في نيتك ومقصدك (نيتك الحسنة في إرادة الفهم)، مفضلاً (فتصبح في تحصيل هذا العلم ذا فضل).
- (٧) حروفهم (اختلاف القراء في رواية عدد من ألفاظ القرآن الكريم). طاعه يطويعه: لأن له وانقاد. ورثاً قصد بقوله «حروفهم»: الحروف التي رمز بها إلى القراء (راجع الحاشية التالية).
- (٨) أباجاد: حروف أعجمية حوَرَّ حطِّي الخ (راجع مقدمة دراسة الشاطبية، رقم ٢).
- (٩) الحرف (هنا) ما وقع من الاختلاف بين القراء في رواية لفظة من ألفاظ القرآن الكريم. لم يجعل =

سوى أحرفٍ لا ريةً في اتّصالها، وبالفِظ أُستغني عن القيد إن جلا^(١).
 وربّ مكانٍ كرّر الحرف قبلها ومنهن للكوفي ثاءٌ مثلثٌ
 عنيّت الألى أثبتّهم بعد نافع وعنيّت الألى أثبتّهم بعد نافع
 وكوفٌ مع المكيّ بالطاء مُعجاً وذو النقطِ شينٌ للكسائي وحزرة،
 وقلٌ فيها مع شعبةٌ تلا^(٢) وشامٌ سما في نافع وفقى العلاء^(٣).
 ومكٌ وحقٌ فيه وابن العلاء قلٌ. وقلٌ فيها واليحصي نفر حلا^(٤).

- = الشاطبي حرف الواو رمزاً لأحد (ل حاجته إليه كثيراً في عطف الألفاظ وعطف الجمل). من أجل ذلك جعل الواو فيصلاً (فاصلاً) بين مجموع من القراءات للفظة ما ولللفظة أخرى.
- (١) إذا كان الفرق بين القراء واضحاً (معروفاً) فربما أُستغني عن الاتيان بواو العطف. جلا: ظهر، بان.
- (٢) القاعدة أن يذكر الناظم الحرف الذي يرمز إلى القارئ بعد الواو (التي هي حرف عطف). ولكنّه قد يضطرّ (لإقامة الوزن) أن يأتي بحرف الرمز قبل هذه الواو. لما عارض (ما زائدة): لأمر عارض. مهولٌ: يخيف، مفرع (لأنّ مخالفة القاعدة هنا لا تجعل المقصود غامضاً).
- (٣) منهنّ (من حروف الأبجدية). ثاء (منقوطة بثلاث نقط) تدلّ على عاصم بن أبي النجود وحزرة الرّيات والكسائي (وهم الكوفيون) إذا اجتمعوا كلّهم على قراءة واحدة. أمّا إذا اجتمع السّنة القراء (نافع ابن عبد الرحمن وابن كثير والمازني وابن عامر وعاصم بن أبي النجود وحزرة والكسائي، أي البصريون والكوفيون معاً) فإنّ الناظم يرمز إليهم بالحرف « خاء » (بنقطة من فوقه)، وهو حرف ليس بأغفل (غير منقوط) بل هو منقوط.
- (٤) الدال (هنا) من كلمة « ذا » للرمز. ليس مغفلاً (ليس متروكاً بلا نقطة) بل هو منقوط بنقطة. هذا الرمز « ذ » جعله الناظم للدلالة على الكوفيين وابن عامر (وهو من الشام: سورية).
- (٥) معجم: منقوط. مهمل: غير منقوط. وإذا اجتمع عاصم وحزرة والكسائي (وهم كوفيون) مع ابن كثير (وهو مكّي) على قراءة واحدة رمز إليهم بالحرف « ظ » (بنقطة).
- (٦) والشين (المنقوطة) رمز على حزة والكسائي معاً. أمّا إذا وافقهم شعبة بن الحجاج البصري فإنّ الناظم يرمز إليهم جميعاً معاً بالكلمة « صحبة ». تلا: قرأ.
- (٧) كلمة « صحاب » رمز لما اتفق على قراءته حفص وحزرة الرّيات والكسائي. وكلمة « عمّ » جعلها الناظم دالّة على اتفاق نافع وابن عامر معاً. أمّا كلمة « سما » فهي رمز لنافع وأبي عمرو وابن كثير. وكذلك
- (٨) الكلمة « مك » (وحق؟) جعلها (جعلها؟) رمزاً لابن كثير وابن عمرو (بن العلاء). ثمّ إنّ الكلمة « نفر » كانت رمزاً على ما اتفق في قراءته ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو.

وَحَرَمِيَّ الْمَكِيِّ فِيهِ وَنَافِعٌ وَحِصْنٌ عَنِ الْكُوفِيِّ وَنَافِعُهُمْ عَلَا^(١).
وَمِمَّا أَتَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ كَلِمَةٌ
فَكُنْ عِنْدَ شَرْطِي وَاقْضِ بِالْوَاوِ فَيَصِلَا^(٢).
وَمَا كَانَ ذَا ضِدٍّ فَإِنِّي بِضِدِّهِ غَنِيٌّ، فَرَاخِمٌ بِالذَّكَاءِ لِتَفْضُلَا^(٣).
كَمَدٌ وَإِثْبَاتٍ وَفَتْحٌ وَمُدْغَمٌ وَهَمْزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ تَحَصَّلَا^(٤).

- (١) الكلمة « حرمي » تدلّ على ابن كثير ونافع. وكلمة « حصن » جعلها دالة على نافع وعلى الكوفيّين (وهم: عاصم وحزمة والكسائي).
- (٢) هذه الرموز يمكن أن يأتي كلّ رمز منها قبل كلمة أخرى - فتكون كلمة « صحاب »، مثلاً (وهي رمز) مضافة إلى غيرها، نحو: صحابهم - وتأتي أيضاً بعد كلمة أخرى، فتكون الكلمة (التي هي رمز) حينئذ مجردة مفردة مستقلة (غير مضافة). فكن عند شرطِي (أي: خذ بالرموز التي شرحتها لك مفردة، ولا يدخل عليك تردد، إذا أنت رأيت رمزاً من هذه الرموز قبل كلمة أخرى أو بعدها (مضافة أو غير مضافة). فيصل: فاصل (إنّ واو العطف هي الدليل على انتقال الناظم من قاريء إلى قاريء (من قراء القرآن الكريم) ومن مجموعة من القراء إلى مجموعة غيرها.
- (٣) إذا كان في قراءة خلاف على التضادّ (قاريء يبدأ بالبسلة وقاريء غيره يترك البسلة)، فالناظم يذكر أحد الوجهين فقط، وأمّا الوجه الآخر (الذي هو الضدّ فيكون مستدركاً معروفاً بنفسه. زاحم بالذكاء (نافس غيرك باستخدام ما عندك من الذكاء) لتفضل (لتكون أفضل من غيرك في هذا المجال).
- (٤) المدّ: اعطاء حرف العلة (الألف بعد حرف مفتوح، والواو بعد حرف مضموم، والياء بعد حرف مكسور)، نحو: قام يقوم نريد (فحقّ الألف والواو والياء هنا أن تمدّ كلّها حركتين: بمقدار ما يمدّ الإنسان على أصابعه « اثنتين »). فإذا جاء بعد أحرف العلة همزة، نحو جاء، يسوء، البريء، طال حرف العلة أربع حركات. أمّا إذا كان حرف العلة في آخر كلمة ثم تلا الكلمة أولها همزة، نحو « ما أنزلنا » (فإنّ حرف العلة هنا يطول بمقدار ستّ حركات).
- الإثبات: قراءة الآية على ما هي مدوّنة في المصاحف، نحو: « جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ». وفي عدد من الآيات ورد شيء من الحذف، نحو: « جَنَّتْ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » (بحذف « من »).
- الفتح: لفظ الألف المقلوبة عن ياء (أو عن واو) بفتحة ظاهرة، نحو: رأى، تلا، مجراها، ضحاها. وفيهم الفتح إذا قلنا إن ضده « الإمالة » (أي لفظ الألف المقصورة هنا أو الألف الطويلة محيرة بين الفتح والكسر).
- الإدغام ضده (هنا) الإظهار. ففي الإظهار نقول مثلاً: قد جعل (بلفظ الدال والجميم مستقلّتين)، وفي الإدغام يقول بعضهم: فجعل (بقلب الدال جيماً وادخالها في جيم « جعل »). ومثل ذلك: إذ دخل (ادّخل) وقل ربّ (قرّب)، وإن يأتوك (وايأتوك) ومن يعرض (وميعرض)، الخ.
- الهمز هو لفظ واضح للهمزة: يؤمنون، الذئب، هزواً. وضدّ الهمز: ترك لفظ الهمزة (يؤمنون، الذئب، هزواً).

وَتَثَبَّتْ فِي الْحَالِّينَ دُرّاً لَوَائِعاً

وَقَالَ قَالَ مُوسَى وَأَحْذِفِ الْوَاوَ دَخَلَا^(١):
وَجَزَمَ وَتَذَكَّرَ وَغَيْبٌ وَخَفَّةٌ وَجَمَعَ وَتَنَوَّنَ وَتَحْرِيكٌ أَعْمَلًا^(٢).
وَحَيْثُ جَرَى التَّحْرِيكُ غَيْرَ مُقَيَّدٍ هُوَ الْفَتْحُ، وَالْإِسْكَانُ أَخَاهُ مَنْزِلًا^(٣).
وَأَخِيَتْ بَيْنَ النُّونِ وَالْيَا، وَفَتْحِهِمْ وَكَسْرُ، وَبَيْنَ النَّصْبِ وَالْخَفْضِ مَنْزِلًا^(٤).
وَحَيْثُ أَقُولُ الضَّمُّ وَالرَّفْعُ سَاكِنًا فَغَيْرُهُمُ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْبِ أَقْبَلًا^(٥).
وَفِي الرَّفْعِ وَالتَّذَكُّرِ وَالْغَيْبِ جُمْلَةٌ عَلَى لَفْظِهَا أَطْلَقْتُ مَنْ قَيَّدَ الْعُلَا^(٦).

النقل: اسكان الحرف وتقديم حركته إلى الحرف الذي قبله: إِنَّ الأرض (بلام التعريف الساكنة وفتح الهمزة)، فبالنقل يقال: إِنَّ الأرض (بنقل فتحة الهمزة إلى لام وترك لفظ الهمزة): «إِنَّ لرض».

- الاختلاس: خطف الحركة (تسكين الحرف المتحرك)، نحو «سرق» (بضم السين وكسر الراء وفتح القاف - مثلاً)، قرأها بعضهم: «سرق» (بضم السين وسكون الراء).

(١) الدخُل (بضم الدال ثم فتح اللام الأولى أو ضمها): من يداخل غيره في الأمور. لعل المقصود أن نفرأ من القراء يقرأون اللفظ الواحد على وجهين أو أكثر.

(٢) من الخلاف بين القراء: بالجرم (جزم الفعل للمضارع أو نصبه مثلاً)، والتذكير (أو التأنيث) والغيب: جعل الفعل بصيغة الغائب، نحو: «وَيَسْبَحُوهُ (هم) - فمنهم من يقرأ: «وَتَسْبَحُوهُ» (أنتم). وخَفَّةً (ضد الثقل)، نحو تسألون (بفتح التاء والسين): يسأل بعضكم بعضاً، في مقابل: «تسألون (بتشديد السين؟). والجمع (ضد الأفراد: يقرأ بالجمع أو بالمفرد) إذا كانت الصيغة الواحدة يمكن باختلاف الحركات أن تقرأ مفرداً أو جمعاً، نحو: جذر (بفتح ففتح للمفرد) وجذر (بضم فضم للجمع). والتنوين أو اِهال التنوين. ففي قراءة: اهبطوا مصرًا (أي مدينة كبيرة) وفي قراءة ثانية: اهبطوا مصر (الفطر المصري). والتحريك (توالي حركتين)، فهناك قراءة: لقد جئت شيئاً نكراً (بضم فسكون) ثم قراءة ثانية (لقد جئت شيئاً نكراً (بضم فضم).

(٣) إذا قال: هذه الكلمة بالتحريك فهي بفتح ففتح، نحو: نهر (بفتح النون والهاء) وأما إذا قال بالتسكين فهي «نهر» (بفتح النون وسكون الهاء).

(٤) إذا قال: إِنَّ فلاناً قرأ فعلاً بالياء (للقائب): «يكفر عنكم سيئاتكم (مثلاً) يكون غيره يقرأها بالنون (لجمع المتكلم): «نكفر عنكم سيئاتكم» (مثلاً). وأخى أيضاً بين النصب والفتح (قرن بينهما، جعلها دالين على شيء واحد) مع أنها أمران مختلفان. إِنَّ الضَّمَّ وَالْفَتْحُ وَالْكَسْرُ من الحركات الأصلية في الكلمة. أما الرفع والنصب والجر فهي علامات للإعراب. نقول: جاء زيد ورأيت زيداً. إِنَّ الضَّمَّينِ عَلَى الدال (من زيد) والفتحتين (من زيداً) هي علامة رفع وعلامة نصب. أما الفتحة والسكون والضمة الراء والهمزة والتاء (في رأيت) فهي من بناء الكلمة (لا تتغير باختلاف الإعراب).

(٥ و ٦) في هذين البيتين يكرر الناظم التأكيد: إذا ذكر قراءة أحد القراء بوجه فتكون قراءة القارئ (الذي لم يذكره) بالوجه الآخر.

وَقَبْلَ وَبَعْدَ الْحَرْفِ آتَى بِكُلِّ مَا
 وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ
 وَمَنْ كَانَ ذَا بَابٍ لَهُ فِيهِ مَذْهَبٌ
 أَهْلَتْ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابُهَا
 وَفِي يُسْرِهَا «التَّيْسِيرُ» رُمْتُ اخْتِصَارَهُ
 وَالْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدِ
 وَسَمَّيْتُهَا «حِرْزَ الْأَمَانِي» تَيْمُنًا
 وَنَادَيْتُ: اللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ،
 إِلَيْكَ يَدِي، مِنْكَ الْيَادِي تَمُدُّهَا،
 رَمَزْتُ بِهِ فِي الْجَمْعِ إِذْ لَيْسَ مُشْكِلًا^(١).
 بِهِ مُوضِحًا جِيدًا مُعِمًّا وَمُخَوِّلًا^(٢).
 فَلَا بُدَّ أَنْ يُسَمَّى فَيُذَرَى وَيُعْقَلًا^(٣).
 وَصُغْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْبًا مُسَلَّسًا^(٤).
 فَأَجَنْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا^(٥).
 فَلَفَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تَفْضَلًا^(٦).
 «وَوَجْهَ التَّهَانِي» فَأَهْنِيهِ مُتَقَبَّلًا^(٧).
 أَعِزَّنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا^(٨).
 أَجْرَنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأَخْطَلًا^(٩).

- (١) الحرف: القراءة من القرآن الكريم (نهر - بفتح فسكون أو بفتح ففتح - حرفان في اصطلاح قراءة القرآن الكريم). الرمز (هنا) هو الحرف من الحروف الهجائية التي جعلها الناظم علامة على كل قارئ. هذا الحرف الذي هو «رمز» يمكن أن يأتي في أبيات هذه الأرجوزة «قبل» الحرف الذي هو وجه من أوجه القراءة.
- (٢) ولكن ربما ذكر الناظم اسم القارئ صراحة (قالون، نافع، الخ) إذا أمكن ذلك في الوزن. موضحاً: مبيّناً. جيد: عتق. معمّ (فيه شبه من عمّه). مخول: (فيه شبه من خاله). «بجيد معمّ في العشرة مخول» (شطر لامرئ القيس)، كناية عن صحّة النسب وكرم الأصل.
- (٣) إذا كان لقارئ قراءة خاصّة به لا يقرأ بها أحد غيره فإنّ الناظم يذكر اسم ذلك القارئ صراحة ولا يرمز إليه بحرف من حروف الهجاء.
- (٤) أهلت: طلعت (بدت) كالهلال (منيرة). وأهل أيضاً: رفع الرجل صوته (كناية عن الوضوح). لبّتها المعاني (استجابت لها المعاني): استطعت أن أجمع فيها كلّ القراءات. لبابها (بدل من المعاني): الخالص من كلّ شيء (الصحيح، الأصيل). ساغ الشراب (جرى في الحلق بسهولة).
- (٥) اختصر الناظم في هذه الأرجوزة كتاب «التيسير» (في القراءات) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ - راجع ترجمته في الجزء الرابع).
- (٦) يقول الناظم: ومع أنّ في هذه الأرجوزة أحكاماً أكثر عدداً من تلك الموجودة في كتاب «التيسير»، فإنّي لم أشر إليها كيلا يظنّ نفر من الناس أنّي أريد أن أفخر على صاحب كتاب «التيسير».
- (٧) فاهنه (اهناً به - فعل أمر) متقبلاً: قابلاً، راضياً بما فيها، ومقبلاً عليها كي تستفيد ممّا فيها.
- (٨) التسميع: طلب السمعة (الشهرة عند الناس).
- (٩) الجور: الظلم، والحيد (بفتح فسكون عن الطريق السويّ). الخطل (بفتح ففتح). الكلام المضطرب الفاسد.

أَمِينَ وَأَمْنًا لِلأَمِينِ بِسَرِّهَا، وَإِنْ عَثَرْتُ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحْمَلًا^(١).
أَقُولُ لِحُرِّ وَالْمَرْوَةِ مَرْؤَهَا لِإِخْوَتِهِ الْمَرْأَةِ فِي النُّورِ مِكْحَلًا^(٢).
أَخِي - أَتَيْهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ - يُنَادِي عَلَيْهِ كَاسِدُ السُّوقِ: أَجْمِلًا^(٣)
وُظُنُّ بِهَا خَيْرًا وَسَامَحَ نَسِيجَهُ بِأَلَاغِضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا^(٤)
وَسَلَّمَ لِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِصَابَةً
وَالْآخَرَى اجْتِهَادَ رَامِ صَوْبًا فَاْمَحَلًا^(٥).

وإن كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكْهُ بِفَضْلِهِ مِنْ الْحِلْمِ، وَلِيُصْلِحْهُ مِنْ جَادٍ مِقُولًا^(٦)
وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوِثَامُ وَرَوْحُهُ لَطَاحَ الْأَنَامُ الْكَلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَى^(٧)
وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا، وَعَنْ غَيْبَةِ فَعِيبِ تُحْضِرُ حِطَارَ الْقُدْسِ أَنْتَقَى مُفْسَلًا^(٨)

- (١) أمين: (أمين): اسم فعل بمعنى «استجب» (يا رب): أمنا (منصوبة بفعل محذوف): هب لي (يا رب) أمنا. الأمين (الرجل المؤتمن على ما في هذه الأرجوزة من الأحكام). وإن عثرت (وإذا كان فيها عثرة: خطأ) فهو (أي القارئ لهذه الأرجوزة) الأمون (الناقة القوية) كناية عن يستطيع بسعة صدره أن يفضي عما يمكن أن يكون فيها من الخطأ.
- (٢) الإنسان الحرّ يكون مرآة لإخوانه (يدلّهم على عيوبهم من غير أن يقرّعهم أو يفتخر عليهم).
- (٣) «كاسد السوق» إشارة إلى ناظم الأرجوزة، فهو ينادي (يقول لقارئها): أجل (قل فيها قولاً جميلاً - وإن كانت لا تستحقّه).
- (٤) بالإغضاء (بغضّ البصر عن العيوب). الهلّهل: الثوب الضيف النسيج (القول الركيك القليل المعنى).
- (٥) في الأصل: إصابة واجتهاد (بالرفع بضمتين). ولعل الأصوب نصبها على أنّها مفعول به من «سَلَّمَ». إحدى الحسينين (إشارة إلى الحديث الشريف: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد): إذا كان في هذه الأرجوزة صواب فأنسبه إلى اجتهادي الذي وافق الحقّ. وإن كان فيها خطأ فأنسبه إلى حسن ظنّي ومدى معرفتي (القليلة). الصوب: سقوط الدفعة (بالضمّ) من المطر. أمحل المكان (أجذب) لم يسقط فيه مطر (لقد قصدتُ أن أصيب فلم يتيسّر ذلك لي).
- (٦) الخرق: الخطأ الواضح الفاضح. وليصلحه (بصحّحه) من جاد (الذي يحسن) مقولاً (القول): من عرف وجه الصواب فيما أخطأت أنا فيه فليتفضّل بأن يدلّ الناس عليه.
- (٧) طاح: هلك، اضطرب، تاه، ضلّ. الأنام الكلّ: كلّ الأنام (الناس). الخلف: الاختلاف. القلى: البغضاء.
- (٨) وعن غيبة (ذكر أخيك بما يكره) فعب (اهجر): لا تقل شيئاً رديئاً عن أحد. فإذا فعلت ذلك تحضّر (يدخلك الله) حظار (حظيرة: مكان فيه شجر تقي من الحرّ) القدس (الطهر، المكان الطاهر، النقيّ): الجنة. انتقى مفسلاً (نظيفاً عارياً من كلّ درن: وسخ، ذنوب).

وهذا زمانُ الصبرِ، مَنْ لَكَ بالتي
لو أنَّ عينا ساعدت لتوكَّفت
ولكنَّها عن قسوة القلب قحطها؛
بنفسي مَنْ استهدى إلى الله وحده
وطابت عليه أرضه فتفتَّحت
فطوبى له والشوقُ يبعثُ همَّةً
هو المُجتبى يمدو على الناسِ كلِّهم
يعدُّ جميعَ الناسِ مولى لأنهم
كقبضٍ على جمرٍ فتنجو من البلاء^(١)
سحائبها بالدمعِ ديمًا وهطلاً^(٢)
فيا ضيعةَ الأعمارِ تَمْشي سَهلاً^(٣)
وكان له القرآنُ شرباً ومُغسلاً^(٤)
بكلِّ عبيرٍ حينَ أصبحَ مُخضلاً^(٥)
وزندُ الأُسى يهتاج في القلبِ مُشعلاً^(٦)
قريباً غريباً مُستَئلاً مؤملاً^(٧)؛
على ما قضاهُ الله يُجرون أفعلاً^(٨).

(١) هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن محنة ومصائب وفتن (قتال وعداوات) كقبض على جمر (نار)، لصعوبة الحياة فيه (إشارة إلى الحديث الشريف: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).

(٢) لو أن الناس يشعرون بما يحيط بهم من المصائب ويطلّ عليهم من التهديد لتوكّفت (قطرت، بكت) عيونهم. ديمًا (جمع ديمة: مطرة دائمة) وهطلاً: مع هائل: مطر كثير.

(٣) السهّل: الفارغ، المفرد (بنفسه لا شيء معه). - ولكن عيون هؤلاء الناس لا تبكي لقسوة قلوبهم. الأعمار تَمْشي: تمرّ، تنقضي. تَمْشي سهلاً (يسير المرء بفرح وتكبر مع أن عمره خال من الأعمال الصالحة).

(٤) - أفدى بنفسه كلّ إنسان يستهدي (يطلب الهداية) من الله وحده ثم يتخذ القرآن (بالاستمرار في قراءته) شرباً (حظاً، نصيباً) ومغسلاً (وسيلة إلى الاغتسال من الذنوب) لأنّ قراءة القرآن تزيد في حسنات قارئه.

(٥) فإذا أكثر المسلم من قراءة القرآن «طابت عليه أرضه» (صلحت حاله بالطاعة) و «تفتّحت» (تشقّقت: انتشر منها) بكلِّ عبير (رائحة طيبة): شعر بالسرور والسعادة حين أصبح مخضلاً (مبتلاً بالماء): حين تعظم حسناته فيعظم سروره (لكثرة ما ينال من الخيرات من عند الله).

(٦) فطوبى له: ما أسعده (في هذه المدة التي يقرأ فيها القرآن ويقوم بطاعة الله). وزند (حديدية تقذح بها النار من الحجر) الأُسى (الحزن) يهتاج في القلب مشعلاً (ندماً على الزمن الذي مرّ في أوّل حياته ولم يكن فيه يقرأ القرآن أو يقوم بفروض الدين).

(٧) هو المجتبى (الذي يقربه الله إليه)، ثم يصبح هذا الإنسان قريباً من الناس (محبوباً عندهم)، ولكن غريباً (لأن أمثاله قليلون) مستألاً (يحبّ الناس أن يقرّبوه إلى أنفسهم - أو يتقرّبون منه) مؤملاً (يرجو الناس المعونة منه عند الشدائد).

(٨) مولى (خليقاً بالرعاية). في الأصل «أفعل» (يفتح العين)، ولعلّ الأصوب أن تكون «أفعل» (بضمّ العين (جمع قلة قياساً مثل أجبل وأنهر وأبحر). يحسن بالعاقل أن يعذر الناس لأنّ الأعمال السيئة التي يقومون بها (مثل أعمالهم الحسنة أيضاً) قد كتبها الله عليهم.

يرى نفسه بالذمّ أولى لأنّها
وقد قيل كُنْ كالكلب يُقَصِّيه أهله
لعلّ الله العرش، يا إخوتي، يَقي
ويجعلنا مِنّ يكون كتابه
وبالله حَوَلي واعتصامي وقُوّتي،
فيا ربّ، أنتَ الله حَسْبِي وعُدَّتِي،
على المجد لم تَلَقُ من الصِّبر والألا^(١).
وما يأتلي في نُصْحِهِم مُتَبَذلاً^(٢).
جَمَعْتَنَا كُلَّ المكارِه هُوَلاً^(٣)،
شفيعاً له إذ ما نَسُوهُ فَيَمَحِّلاً^(٤).
وما لي إِلَّا سِتْرُهُ مُتَجَلِّلاً^(٥)
عليك اعتمادِي ضارِعاً مُتَوَكِّلاً^(٦).

(ب) من المتن: «أحكام البسمة» (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ٣٠) .

وَبَسْمَلَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بَسْمَةً رَجَالٌ نَمَوْهَا دِرْيَةً وَتَحْمَلًا^(٧).
وَوَصَّلَكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةً وَصِلْ وَاسْكُتْ كُلَّ جَلَايَاهُ حَصَلًا^(٨).

(١) الصبر (يفتح الصاد وكسر الباء - أو بسكون الباء مع كسر الصاد أو فتحها): عصارة شجر مرّ.

والألا: شجر مرّ الطعم. - أن من يلوم غيره (وهو لم يختبر ما اختبروه، أو لم يلق شيئاً من الشاق في الوصول إلى مكانته - أو لم يكلف نفسه الثبات على طاعة الله) أحق من كلّ الناس بالذمّ.

(٢) إنّ الكلب أكثر وفاء للإنسان من الإنسان للإنسان. - ربّياً طرد نفر من الناس كلباً كان عندهم (لسبب ما)، ولكن هذا الكلب يظلّ (برغم ذلك) يبذل جهده في نصيح أولئك الناس (والدفاع عنهم).

(٣) يقي: يحمي. هَوْل (المقصود أن تكون جمع هائل: مخيف).

(٤) الكتاب: الصحيفة التي تكون فيها أعمال الإنسان ثم تعرض عليه يوم القيامة. فإذا كانت حسنات

الإنسان في صحيفته أكثر من سيئاته شفعت له فدخل الجنة. - وربّياً كان «الكتاب» (هنا): القرآن. فمن حفظه وتلاه (وأمّن بما فيه) كان القرآن شفيعاً له يوم القيامة. محل يحل فهو ماحل (خصم). من هجر القرآن في الدنيا كان القرآن خصمه يوم القيامة. وفي الحديث: القرآن شافع مشفع وماحل مصدق. من شفع له القرآن يوم القيامة نجّاه، ومن محل به (كاده أو سعى به إلى السلطان) كبّه الله في النار على وجهه .

(٥) الحول: القوة. الاعتصام: التمسك.

(٦) حسي: كفايتي (إذا اعتمدت عليه فلا أحتاج إلى أحد بعد ذلك). وعُدَّتِي (للمستقبل). الضارع: الدليل الخاضع.

(٧) إذا قرأ المسلم سورة ثم استمرّ إلى الثانية، فلا ضرورة للبسمة (قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) بينها. ولكن من السنّة (من عادة رسول الله أنّه كان يفعل ذلك). وهناك رجال (قرّاء) نموا ذلك: رفعوه (رووه عن الرسول) درية (أو دراية: يعلم يقين) وتحملاً (حلاً: رواية عن رجال آخرين - من الصحابة - كانوا يفعلون ذلك).

(٨) ويجوز أيضاً أن تصل بين السورتين (بنفس واحد) فتنتهي من سورة وتبدأ سورة من غير أن تبسمل بينها. وكلّ جلاياه حصلاً: وجميع القرّاء يعرفون ذلك. ولكن إذا انتهى القارئ من سورة الناس =

ولا نصَّ كَلَّا حُبَّ وَجْهٍ ذَكَرْتُهُ وفيه اختلافٌ جِدُّهُ واضحُ الطُّلَا^(١).
 وَسَكَنَتْهُمْ الْمُخْتَارُ دُونَ تَنْفُسٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْأَرْبَعِ الزُّهْرِ بَسْمَلًا^(٢).
 لَهُمْ دُونَ نَصٍّ وَهُوَ فِيهِمْ سَاكِتٌ لِحِمَزَةٍ فَافْهَمَهُ وَلَيْسَ مُخَذَّلًا^(٣).
 وَمِمَّا تَصِلُهَا أَوْ بَدَأَتْ بَرَاءَةً لِتَنْزِيلِهَا بِالسَّيْفِ لَسْتَ مُبَسْمَلًا^(٤).
 وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِكَ سُورَةٍ سِوَاهَا، وَفِي الْأَجْزَاءِ خَيْرٌ مَنْ تَلَا^(٥).
 وَمِمَّا تَصِلُهَا مَعَ أَوَاخِرِ سُورَةٍ، فَلَا تَقَفَنَّ - الدَّهْرَ - فِيهَا فَتَثْقُلَا^(٦).

- أَحْكَامُ تَفْخِيمِ الرَّاءِ وَتَرْقِيقِهَا (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ١١٩ - ١٢٢):

وَرَقَّقَ وَزَشَّ كُلَّ رَاءٍ وَقَبْلَهَا مُسَكَّنَةً يَاءٍ أَوْ الْكَسْرُ مُوَصَّلًا^(٧).

= (رقم ١١٤ آخر المصحف) ثم أراد أن يصلها بالفاتحة (السورة الأولى أول المصحف) فيجب عليه أن يبسل.

(١) ولا نصَّ على أحد الوجهين (البسلة أو ترك البسلة) إذا انتهى القارئ من سورة ثم بدأ السورة التي تليها بنفس واحد. ولكن كلَّ قارئ قد اجتهد واختار بحسب اجتهاده. الجيد: العنق. الطلا جمع طلاة (بالضم): العنق أو صفحة العنق. واضح الطلا: أمر ظاهر.

(٢ و ٣) (هنالك سور يستحسن السكت عليها - بلا تنفس - أو البسلة عند الانتقال من أحدها إلى التي تليها، لا ضرورة هنا لتفصيل ما يتملّق بها).

(٤) وعند قراءة سورة «براءة» أو «التوبة» (السورة التاسعة في المصحف) لا يبسل القارئ لها، لأن هذه السورة نزلت في الحرب وفي تهديد المشركين.

(٥) أمّا إذا ابتدأ القارئ قراءة سورة (غير براءة) فلا بدّ من البسلة. أمّا إذا أراد أن يقرأ جزءاً من سورة (فيبتدئ من ربيعها أو وسطها الخ) فله أن يبسل أو أن يترك البسلة.

(٦) يجوز عند الانتقال بالقراءة من سورة إلى سورة تليها: قراءة آخر السورة والبسلة وأول السورة التالية وصلاً بنفس واحد - الوقف عند آخر السورة الأولى، والوقف على البسلة ثمّ الابتداء بقراءة أول السورة التالية - الوقف عند آخر السورة الأولى ثمّ قراءة البسلة وأول السورة التالية بنفس واحد. ولكن لا يجوز قراءة آخر السورة الأولى مع البسلة بنفس واحد ثمّ البدء بالسورة التالية بنفس جديد.

(٧) إنَّ ورثاً قد قرأ كلَّ راءٍ (مهما يكن الحرف الذي يسبقها أو الحركة التي تسبقها): لفظها تخفية غير غليظة.

ولم يَرِ قَصْلاً ساكناً بعدَ كسرة

سوى حرفِ الِاستعلاءِ سوى الخا فيكُلاً^(١).

وفخَّمها في الأعجميِّ وفي إرمَ وتكريرها حتى يَرى مُتعدِّلاً^(٢).

وتفخيمُه ذِكْراً وسِتراً وبابَه لَدَى جِلَّةِ الأصحابِ أَعْمَراً رُحْلاً^(٣).

وفي شرِّ عنه يَرَقُّ كُلُّهُم، و« حيران » بالتفخيمِ بعضُ تَقَبُّلاً^(٤).

وفي الراءِ عن ورشٍ سوى ما ذكرته مذهبُ شَذَتْ في الأداءِ تَوَقُّلاً^(٥).

ولا بدُّ من ترقيقها بعدَ كسرة إذا سَكَنْتْ، يا صاح، للسبعةِ المَلَا^(٦).

وما حرفُ الِاستعلاءِ بعدُ، فَرَاوَه لِكُلِّهِمُ التفخيمُ فيها تَذَلُّلاً^(٧).

ويَجْمَعُها قَطْ خُصَّ ضَغْطٌ، وخُلْفُهُم بفرقي جرى بينَ المشايخِ سَلْسَلاً^(٨).

(١) ولكن ورشا يفخّم الراء إذا جاءت بعد حرف استعلاء (فخم بنفسه: خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) نحو: فطرة، إصرا. ولكنه يرقق الراء بعد الحاء (شرح ابن القاصح ١١٩).

(٢) ثم إن ورشا فخّم الراء في الألفاظ الأعجمية: ابراهيم، عمران (بكر العين)، إرم (بكر الهمزة

وفتح الراء)، وفي الكلمات التي تتكرر فيها الراء، نحو: ضاراً - حتى يرى (اللفظ) متعدّلاً: فإنّ

الراء الثانية مفخّمة ثم فخّمت الراء الأولى إلحاقاً.

(٣) جِلَّةُ الأصحاب: كبار صحابة رسول الله. أَعْمَرُ الرجل (بفتح الراء: منزل الإنسان): جعله أكثر

عمراناً (بضمّ العين). وفخّم ورش كلمات منها: سترأ، وزراً، صهراً (بالكسر فيها كلّها) ولكن يجوز

تفخيمها. غير أن ورشا يرقق كلمة سراً، مثلاً.

(٤) وجميع القراء الذين رووا عن ورش يرققون ألفاظاً مثل «بشر (بترقيق الراء الأولى أيضاً، لأنّ ما

بعدها مكسور، وإن كانت هي وما قبلها مفتوحين). ولكن ورشا نفسه كان إذا وقف على كلمة

«بشر» فخّم الراءين معاً. وأمّا غير ورش فإنهم يفخّمون الراء الأولى في «بشر». وأمّا الراء

الثانية فلها عند هؤلاء وجهان: التفخيم (إذا سَكَنَها) والترقيق (إذا هم عاملوها بالروم - بفتح

الراء -، أي باختلاس الحركة حتى تدلّ شفتا القارئ على حركتها من غير أن يسمع القريب منه

لفظها. وكذلك روى ناس عن ورش تفخيم الراء في كلمة «حيران».

(٥) الأداء: طريقة لفظ الكلمات. تَوَقَّل: صعد في الجبل. وهناك روايات عن ورش في تفخيم الراء في

عدد من الألفاظ مختلفة الأحوال وشاذة عن القواعد فيحسن ترك التوسّع فيها (في الأرجوزة).

(٦) وجميع القراء يرققون الراء إذا جاءت بعد كسرة (في وسط الكلمة)، نحو: فرعون، شرعة (أو في

آخر الكلمة)، نحو: فاصبر، سحر مستمر.

(٧ و ٨) وجميع القراء قد فخّمو الراء بعد أحد حروف الاستعلاء السبعة، وهي: الحاء والصاد والضاد

والطاء والظاء والغين والحاء (مجموعة في: قَطْ خُصَّ ضَغْط). ثم إنهم يختلفون في ذلك اختلافاً يسيراً

(رأينا قبلاً أن ورشا يرقق الراء إذا وقعت بعد هذه الأحرف إلا الحاء، فإنه يفخّم الراء بعد الحاء).

وما بعد كسر عارضٍ أو مُفَصَّلٍ ففَحَّمْ، فهذا حُكْمُهُ مُتَبَدِّلًا^(١)
وما بعده كسرٌ أو الياء، فما لَهُمْ بترقيقهِ نصٌّ وثيقٌ فيمَثَلًا^(٢)
وما لقياسٍ في القراءةِ مَدخلٌ، فدونكَ ما فيه الرِّضا مُتَكَفِّلًا^(٣)؛
وترقيقُها مكسورةٌ عند وَصلِهِم وتَفخيمُها في الوقفِ أَجَعُ أَشْمَلًا^(٤)؛
ولكنَّها في وَقْفِهِم مَعَ غَيْرِها تُرَقِّقُ بعدَ الكسرِ أو ما تَمِيلًا^(٥)،
أو الياءُ تأتي بالسكونِ، ورؤُومُهم كما وَصلِهِم فابِلُ الذكاءِ مُصَقِّلًا^(٦).

- (١) وجميع القراء (وورث فيهم أيضاً) يفحّمون الراء إذا جاءت بعد كسر عارض (ليس من أصل الكلمة)، نحو: ارجعوا (فعل أمر لجماعة المخاطبين) وارتابوا، الخ ثم في امرأة، امرؤ، امرؤ... (لأن الراء هنا مسبوقة بسكون). وأما الكسرة في أول «ارتابوا» فإنها أيضاً ساكنة (لأنها همزة وصل) ثم نحن أجزنا كسرهما لتتمكن من لفظها إذا نحن بدأنا لفظها غير موصولة بكلمة قبلها. إذا قرأنا: لكل امرئ اللفظنا ذلك بكسر اللام الثانية (في لكل) وبسكين همزة الميم معاً في «امرئ» (فتخفى حينئذ همزة وتبقى الميم ساكنة قبل الراء). أو مفصل (مفصول بينه وبين الراء، نحو «امرئ»، فإنه قد فصل بين الراء والهمزة المكسورة في اللفظ بالميم الساكنة). حكمه متبدلاً (مبدول، مشهور).
- (٢) إذا وقع بعد الراء كسر أو حرف الياء، فلا نصّ حينئذ على ترقيق الراء فتكون الراء حينئذ مفخّمة. فيمثل (بالبناء للمعلوم، في الأصل): يكون أمثل ذا وجه صحيح. ويجوز بناء «يمثل» للمجهول فيكون معناها: تتبّع على أنّها قاعدة.
- (٣) والأداء (قواعد القراءة في القرآن الكريم) رواية عن الصحابة عن رسول الله، فليس فيه قياس بعض ألفاظه على بعض. من أجل ذلك يحسن أن يكتفي المطالع بهذه الوصايا العامة في تفخيم الراء أو ترقيقها.
- (٤) إذا كانت الراء مكسورة: في أوّل الكلمات (نحو: رجال، رضوان) أو في وسط الكلمات (نحو: فرحين، الشاكرين) وجب ترقيقها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة في آخر الكلمة، فإنّ لها حينئذ وجهين: إذا نحن وصلنا القراءة، نحو: إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونهرٍ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر. إنّ الراء في «نهر» (يفتح ففتح فجر) فالراء في «نهر» تكون مرققة. وأما إذا قرأنا: «إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونهر» (ووقفنا)، فإنّ الراء تكون حينئذ مفخّمة.
- (٥) عند الوقف على الراء المكسورة (إذا كان ما قبلها مفتوحاً: «كلّمح بالبصر»، أو مضموماً: «إلى أرذل العمر»، أو كانت مسبوقة بألف: «وقنا عذاب النار» أو بحرف ساكن سكوناً صحيحاً: «إنّ مع العسر يسراً»، أو بواو: «في عتوّ ونفور» فإنه يجب تفخيمها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة (عند الوقف عليها) بعد حرف مكسور: «عند مليكٍ مقتدر»، فإنّها ترقّق. تميل من الإمالة (الحرف يحرك بين الفتح والكسر).
- (٦) وإذا جاء قبل الراء (المفتوحة أو المضمومة) بعد الياء: نحو: «فافعلوا الخير - إنّ الله على كلّ شيء =

وفيا عدا هذا الذي قد وصفتُه
على الأصلِ بالتفخيمِ كُنْ مَتَعَمَّلاً^(١).
(ج) الخاتمة:

وقيد وَفَّقَ اللهُ الكَرِيمُ بَنَّهُ
وأبياتها ألفُ تَزِيدُ ثلاثةٌ
وقد كُسيَتْ منها المعاني عنايةً
وتمتْ بحمدِ اللهِ في الخلقِ سهولةً
ولكنها تَبْغِي من الناسِ كُفُوها
وليس لها إِلَّا ذُنُوبٌ وَلِيَّها؛
وقل: رَحِمَ الرحمنُ حَيًّا ومَيِّتاً
عسى اللهُ يُدْني سَعِيَه بِجَوازِه،
لإكمالِها حسناء ميمونة الجلا^(٢).
ومَعَ مِائَةِ سَبْعِينَ زُهرًا وكُملاً^(٣).
كما عَرِيتْ عن كُلِّ عَوْرَاءٍ مِفْصَلاً^(٤).
مُزَهَّاةً عن مَنْطِقِ الهَجْرِ مِقْولاً^(٥).
أخا ثِقَةً يَغْفُو وَيُغْضِي تَجَمُّلاً^(٦).
فيا طيِّبَ الأنفاسِ، أَحْسِنِ تَأْوِلاً^(٧).
فَتَى كانَ لِلإنصافِ والحِلْمِ مَعْقِلاً^(٨).
وإن كانَ زَيْفًا غَيْرَ خافٍ مُرَلَّلاً^(٩).

= قدير «، فإنها أيضاً ترقى.. - فابل (اختبر) الذكاء (ذكاءك) مصقلاً (مصقولاً مهذباً، مثقفاً): استعمل ذكاءك ومعرفتكَ في التفريق بين تفخيم الرأى وترقيقها.

(١) أما في جميع الأحوال التي لم تذكر (في الأبيات الثلاثة السابقة) فيجب تفخيم الرأى.

(٢) المُن: النعمة والإحسان والكرم. ميمونة: مباركة. الجلاء: العرض (على الناس).

(٣) زهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء (بيضاء). كَمَل جمع كامل.

(٤) عريت: خلت. العوراء: الكلمة القبيحة. مفصل: في القافية أو في وزن الشعر (يقول: ليس فيها عيب في نظمها من حيث وزنها ومن حيث قافيتها). والمفصل: اللسان (...). وليس فيها عيب في اللغة).

(٥) في الخلق (في البناء، في النظم). الهجر: الكلام الفاحش. القول: اللسان (لم يلفظ لسانى فيها بكلمة فاحشة).

(٦) تبغى: تطلب. الكفو: المثل (هنا): العالم النصف. أخو ثقة (في علمه) يغفو عن الخطأ (إذا كان هذا الخطأ غير مقصود) ويغضي (يغض عينه عن تتبع مواضع الخطأ: لا يقصد البحث عن أخطاء غيره). التجميل: تكلف الانتصاف بالجمال أو بالفعل الجميل (بحسن بالقارىء إذا وقع على خطأ في هذه الأرجوزة أن يلتبس لناظمها عذراً في ذلك).

(٧) ليس في هذه الأرجوزة عيب إلا ذنوب وليها (ناظمها): ذنوبه في الدين (لا في نظم الشعر). التأويل (هنا) البحث عن وجه حسن لما تجده فيها من العيب (لأن ناظمها لم يقصد أن يخطئ).

(٨) فتى (يقصد بذلك نفسه): يسأل قارئ هذه الأرجوزة أن يطلب الرحمة لناظمها. الحلم: سعة الصدر ومساحة الآخرين إذا أخطأوا. المعقل: الحصن (المأوى، المكان).

(٩) يدنى: يقرب. سعيه: عمله (هذه الأرجوزة). بجوازه (بانتفاع الطلاب بهذه الأرجوزة - أو بجوازه: يسير ناظمها يوم القيامة على الصراط ودخل الجنة). الزيف: الغش (خلط الشيء بما ليس من جنسه أو بما هو دون). المزل: الكثير الزلل والخطأ.

فيا خيرَ غفَّارٍ ويا خيرَ راحِمٍ ، ويا خيرَ مأمولٍ جدًّا وتفضُّلاً^(١) ،
أقلَّ عَثْرَتِي وأنفَعَ بها وبِقَصْدِهَا ؛ حَنَانِيكَ - يا الله - يارافعُ العُلا^(٢) .
وآخرُ دَعْوَانَا بتوفيقِ ربِّنا أنِ الحمدُ لله الذي وَحَدَه عَلا .
وبعدُ صلاةُ الله ثم سَلامُه على سيِّدِ الخَلْقِ الرِّضا مُتَنَخِّلًا^(٣) ؛
مُحمَّدٍ المُختارِ للمجدِ كَعْبَةٍ صلاةُ تباري الرِّيحَ مِسْكَاً وَمَنْدَلاً^(٤) ؛
وتُبدي على أَصحابِهِ نَفَحَاتِهَا بغيرِ تَنَاهٍ زَرْنِبًا وَقَرَنُفَلاً^(٥) .

٤ - حرز الأمانى ووجه التهاني (في القراءات السبع)، مصر (طبع حجر: بمطبعة حسن التتري؟) ١٢٨٦ هـ؛ نشرت في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ (٩)؛ بعنوان «متن الشاطبية» (شعبان محمد إسماعيل)، مصر (مكتبة جمهورية مصر، بلا تاريخ).

- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ.

★★ من الشروح عليها:

- كنز المعاني... لمحمد بن الحسن الفاسي (ت ٦٥٦ هـ)، بشاور^(٦) (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ.
- إبراز المعاني من حرز الأمانى لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ)، مصر (مصطفى البابي الحلبي) لشعلة الموصلي الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ)، القاهرة (على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء).

- سراج القاريء المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي لعلاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العُدري البغدادي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٣٩٤، ١٣٠٤^(٧)، ١٣١٧، ١٣٣٠، ١٣٤٦.

(١) الجداء: العطاء.

(٢) أقال فلان عثرة فلان: أقاله (رفعه، أنهضه) من عثرته (وقوعه أرضاً، أو في الخطأ).

(٣) سيد الخلق: محمد رسول الله. المتنخل: المختار من الناس (من خيار الناس وأفضلهم).

(٤) تباري (تنافس) الريح (في الكثرة والقوة والسرعة) مسكا ومندل (المندل: المود - نوع من البخور - الطيب الرائحة).

(٥) ... وأن يظهر أثر هذه الصلاة (الدعاء لله على محمد رسول الله) على أصحابه. النفحة: حركة الريح، وانتشار الرائحة الطيبة. الزرنب والقرنفل: نبتان طبيبا الرائحة.

(٦) بشاور مدينة في الشمال الغربي من القارة الهندية، كانت (في أيام الاستعمار البريطاني) من الهند (واليوم هي في باكستان).

(٧) مصر (المطبعة العثمانية).

- ارشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي محمد الضباع، مصر (مطبعة محمد علي صبيح) ١٣٤٧ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية، تأليف عبد الفتاح القاضي، مصر (مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية)، بلا تاريخ.
- لأحمد يوسف نجاتي.
- معجم الأدباء ١٦: ٢٩٣ - ٢٩٦؛ نكت الهميان ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٧١ - ٧٣؛ التكملة (رقم ١٩٧٣)؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٤٨ - ٥٥٧ (رقم ١٠٨٨)؛ العبر (للذهبي) ٤: ٢٧٣ - ٢٧٤؛ الديباج المذهب ٢٢٤ - ٢٢٥؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٦؛ المنّ بالإمامة ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٧٩ - ٣٨٠؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠١ - ٣٠٣؛ نفع الطيب ٢: ٢٢ - ٢٤؛ شجرة النور الزكية ١٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٥٢٠ - ٥٢٢؛ الملحق ١: ٧٢٥ - ٧٢٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٤ (٥: ١٨٠)؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ١٣١ - ١٣٢؛ سركيس ١٠٩١ - ١٠٩٢.

ابن مضاء

- ١- هو أبو العباس (أو أبو جعفر أو أبو القاسم) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حارث بن عاصم اللخمي والقرطبي؛ ولد سنة ٥١٣ (١١١٨ - ١١١٩ م) في بيت شرف وجاه. درس ابن مضاء النحو في إشبيلية على ابن الرماك وعلى ابن بشكوال وابن سحنون، كما درس الحديث في سبتة على القاضي عياض.
- تولى ابن مضاء القضاء في فاس وبجاية ثم عينه السلطان يوسف بن عبد المؤمن قاضياً للجماعة. وبقي في هذا المنصب في أيام يعقوب المنصور. وقد كانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الأولى من سنة ٥٩٢ (٢٩ / ٣ / ١١٩٦ م)، وقيل قبل ذلك بأسبوع.

- ٢- كان ابن مضاء مشاركاً في عددٍ من العلوم: في الحديث والفقه واللغة والنحو والحساب والهندسة والطب، كما كان أديباً شاعراً. ولكنه خص نفسه بالنحو. ولقد بقي لنا من كتبه كتاب «الرد على النحاة» ألفه في أواخر حياته وحمل فيه على

الذين يعملون بكثرة تَمَحُّلِهِمْ (تَطَلُّبُهُمْ للأوجه المتعددة الممكنة من القاعدة الواحدة) على تعقيد البحث في النحو وعلى أن تَغْمُضَ مناهجه وطُرُقُهُ، ثم دعا إلى تسهيل عَرَضِ النحو (في التَّأْلِيف) وتعليمه.

وكان لابن مضاء من الكُتُبِ أيضاً: المشرق في النحو - تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان.

٣ - مختارات من آثاره:

- من كتاب «الردُّ على النحاة» لابن مضاء:

★ ★ (من المقدمة):

أما بعدُ، فإنه حلني على هذا المكتوب قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة....»، وعلى الناظر في هذا الكتاب من أهل هذا الشأن - إن كان ممن يحتاج لدينه ويجعل العلم ميزاناً له من ربه - أن ينظر، فإن تبين له ما نبين رجع إليه وشكر الله عليه، وإن لم يتبين له فليتوقف توقف الورع عند الإشكال. وإن ظهر له خلافه فليبين ما ظهر له بقول أو كتابة.

وإنني رأيت النحويين - رحمه الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانيته عن التغير فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها وهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الإقناع حججها... على أنها إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول المجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من أوضح العلوم برهاناً وأرجح المعارف عند الامتحان ميزاناً، ولم تشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون.

وكذلك من أخذ من علم النحو ما يوصله إلى الغاية المطلوبة منه، واستعاض من تلك الظنون - التي ليست كظنون الفقه التي نصبها الشارع صلى الله عليه وسلم أمانة للأحكام، ولا كظنون الطب التي جربت وهي في الغالب نافعة في الأمراض

★ مرقاة، مقرباً.

والآلام - العلوم الدينية السَّمعية منها والنظرية - التي هي الجَنَّة والهادية إلى الجَنَّة -
فقد نفعه الله بالتعليم وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وأما مَنْ اقتصرَ كُلُّ الاقتصارِ على
المعارفِ التي لا تدعو إلى جَنَّة ولا تزجرُ عن نار - كاللغات والأشعار ودقائق عِلَلِ
النحو ومُسَلِّيات الأخبار فقد أساء الاختيار...

★ ★ من المتن (ص ٨٥):

قصدي في هذا الكتاب أن أُخَذِفَ من النحو ما يستغني عنه النحويُّ وأنبّه على
ما أجمعوا على الخطأ فيه. فَمِنْ ذلك ادِّعَاؤُهُمْ أَنَّ النصبَ والحفضَ والجزم لا يكون
إلا بعاملٍ لفظيٍّ، وأنَّ الرفعَ منها يكونُ بعاملٍ لفظيٍّ وبعاملٍ معنوي. وعبروا عن
ذلك بعبارات تُوهِم في قولنا: «ضربَ زيدٌ عمرواً» أنَّ الرفعَ الذي في «زيد»
والنصبَ الذي في «عمرو» إنّما أحدثه (العامل: الفعل) «ضرب».... وأما في
الحقيقة ومَحْصُولِ الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجزم إنّما هو للمتكلِّم
نفسه لا لشيءٍ غيره...

فإن قيل: أنت قد أبطلتَ أن يكونَ في الكلام عاملٌ ومعمولٌ، فأرنا كيف يتأتَّى
ذلك مَعَ الوُصُولِ إلى غايةِ النحو؟ (ص ١٠٧)...

وَمَا قالوا فيه ما لم يُفْهَمْ وأضربوا فيه ما يُخَالِفُ مَقْصِدَ القائلِ أبوابَ نصبِ
الفعل. وقد تكلّمتُ منها على بابِ الفاءِ والواوِ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا على غيرها وليُعْلَمَ أن ما
أضربوه لا يُحْتَاجُ إليه في إعطاءِ القوانينِ التي يُحَفَظُ بها كلامُ العرب.... الفاء (إذا
كانت للسببية) ينتصب بعدها الفعل إذا كانت (تَرْبِطُ) جواباً لأحدِ ثمانيةِ أشياء:
الأمر والنهي والاستفهام والنفي والعرض والتمني والتحضيض والدعاء.... قال
الله تعالى (في حالِ النهي): «ولا تَطْفَؤْا فيه فيحِلَّ عليكم غصبي» (ص ١٤٢ -
١٤٣)....

وَمَا يجبُ أن يسقطَ من النحو العِلَلُ الثواني والثالث، وذلك مثل سؤال السائل
عن «زيد» في قولنا: «قامَ زيدٌ» لِمَ رُفِعَ؟ فيقالُ لأنه فاعلٌ، وكل فاعل مرفوع.
فيقول: «ولِمَ رُفِعَ الفاعلُ؟» فالصواب أن يُقالَ لَهُ: «كذا نطقت به العرب: ثبت

ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ولا فرق بين ذلك وبين مَنْ عَرَفَ أَنَّ شَيْئاً مَا حَرَامٌ بِالنَّصِّ - ولا يُحتاج فيه إلى استنباط عِلَّةٍ لِيُنْقَلَ حُكْمُهُ إلى غيره، فسأل لِمَ حُرِّمَ؟ فَإِنَّ الجواب على ذلك غير واجب على الفقيه (ص ١٥١)...

وكما أَنَا لا نسأل عن عَيْنِ عِظَمٍ وَجِيمٍ جَعَفَرٍ وَبَاءٍ بُرْثَنٍ لِمَ فُتِحَتْ هذه وَضُمَتْ هذه وكُسِرَتْ هذه، فكذلك أيضاً لا نُسأل عَنْ رَفْعٍ «زيد» (ص ١٦٠)...

ومَّا يجب أن يَسْقُطَ من النَّحو الاختلافُ فيما لا يُفيد نطقاً كاختلافهم في عِلَّةٍ رفع الفاعل ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها مِمَّا لا يُفيد نطقاً.

٤ - كتاب الرد على النحاة (نشره شوقي ضيف)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

★ ★ جذوة المقتبس ٧٦ (٩)؛ بغية الملتبس ١٩٣ (رقم ٤٦٥)؛ التكملة ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٣٤)؛ جذوة الاقتباس ١٧؛ بغية الوعاة ١٣٩؛ الديباج المذهب ٤٧ - ٤٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٥ - ٨٥٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢ (١٤٦ - ١٤٧).

أبو الحسن الجياني

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ مُحَمَّدٍ بنِ موسى بنِ مُحَمَّدٍ بنِ خلفِ الأنصاريُّ الجياني الأندلسي، سكن مدينة فاسَ (المغرب) وتولَّى الخطابة في جامعها. وكانت وفاته سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ - ١١٩٧ م).

٢ - كان أبو الحسن الجياني من المشتغلين بالصنعة أو الكيمياء القديمة، أي محاولة قلب المعادن الخسيسة (كالرصاص والنحاس) معادن شريفة (كالفضة والذهب). وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً حتى سمَّوه «شاعر الحكماء وحكيم الشعراء». وله شعر في الكيمياء عليه شيء من الطلاوة. وقد قيل فيه: إن لم يُعَلِّمْكَ صِنَاعَةَ الذهب عَلَّمَكَ صِنَاعَةَ الأدب. ويُنسَبُ إليه كتاب «شذور الذهب» (وهو ديوان شعر في الكلام على الكيمياء مرتَّب على الحروف).

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسن الجيّاني قصيدة على الطاء ذات ثلاثة مظاهر: ظاهرها غزلٌ، وهي مسوقة في ألفاظٍ مأخوذة من حياة موسى عليه السلام ورسالته، ومن التصوف. أمّا باطنها فكلامٌ على الكيمياء . منها:

بزيتونة الذهب المباركة الوسطى غنينا فلم نُبدِلْ بها الأثل والخمط^(١).
صَفَوْنَا فَأَنَسْنَا مِنَ الطُّورِ نَارَهَا تُشَبُّ لَنَا وَهَنًا وَنَحْنُ بِذِي الْأَرْضَى^(٢).

فَلَمَّا أَتَيْنَاهَا وَقَرَّبَ صَبْرُنَا

على السير، مِنْ بُعْدِ الْمَسَافَةِ، مَا أَبْطَا-^(٣)
نُحَاوِلُ مِنْهَا جَذْوَةً مَا يَنَالُهَا

من الناس من لا يَعْرِفُ الْقَبْضَ وَالْبَسْطَ-^(٤)
هَبَطْنَا مِنَ الْوَادِي الْمَقْدَسِ شَاطِئًا

إلى الجانب الغربي نَمْتَثِلُ الشَّرْطَا...^(٥).
وَلَيْتَ الْأَعْطَافِ قَاسِيَةَ الْحَشَا إِذَا نَفَقَتْ فِي الصَّخَرِ تَصَدَّعُهُ هَبْطًا^(٦)،
كَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ زَخَارِفِ جِلْدِهَا رِدَاءً مِنَ الْوَشْيِ الْمُقَوِّفِ أَوْ مِرْطَا^(٧).

(١) زيتونة الخ: كناية عن مصدر المعرفة (أو الكيمياء). غنينا: استغنينا، أصبحنا أغنياء. الأثل والخمط: نوعان من الشجر (المقصود: لا نقبل شيئاً آخر بديلاً من الزيتونة).

(٢) وَهَنًا: نصف الليل. ذات الأرضى: اسم مكان. الأرضى جمع أرطاة (شجرة، نوع من الشجر). أرطاة: حصن في الأندلس. الطور: جبل في سيناء صعد عليه موسى بعد أن رأى قربه ناراً (المقصود: لمّا صفت نفوسنا وأخلصنا للعلم، للكيمياء، عرفنا كلّ شيء من مصدره ونحْم مقيمون في مكاننا).

(٣) لَمَّا صَبَرْنَا عَلَى الْجِدِّ وَالتَّعَبِ (مع طول الزمان الذي نحتاج إليه)...

(٤) نريد أن نحصل على جذوة (قطعة جمر)، أي شيء من المعرفة. لا ينالها: لا يحصل عليها. البسط والقبض من ألفاظ الصوفية (من أحوال القرب من الله).

(٥) الوادي المقدس: مكان كان فيه موسى. نمتثل الشرط: نعمل بما اشترط الله علينا (خلعنا النملين لأننا في مكان مقدس): تركنا جميع أمور الدنيا وراءنا. (راجع في القرآن الكريم ١٢: ٢٠ سورة طه (د إني أنا ربك فأخلع نمليك إنك بالوادي المقدس طوى)).

(٦) العطف (بكسر العين) جانب الجسم. الحشا: القلب. صدع: شقّق. الهبط: التشقّق (ظاهر الكلام على فتاة، والمقصود السائل الكياوي الذي تعالج به المعادن).

(٧) الزخرف: الزينة. الوشي: التزيين النافر. المقوّف: الكثير الألوان. المرط: الثوب من الحرير.

توصَّلَ إبليسُ بها في هُبوته إلى الأرض من عَذَنٍ ففارقها سُخطاً^(١).
أَمَتْ بها حَيًّا وسودَّتْ أبيضاً، وأسرفتُ في قَلْعِ السواد فما أبطأ^(٢).
وأخَيَّنتُ تلك الأرضَ من بعدِ موتِها
بِرِّي، وكانت تشكي الجَدْبَ والقَحْطَ^(٣).
كَأَنَّ العيونَ الثابتاتِ بَحْضَها
عَقَدَنَ نِطاقاً أو على جيدِها سِمْطاً^(٤).
كَأَنَّ من البدرِ المنيرِ مِشابهاً، ومن أنجُمِ الجوزاءِ في أذُنِها قُرْطاً^(٥).
ظَفِرْتُ بها بالنفسِ من جِسرِ أمِّها كما ظَفِرْتُ بالقلبِ في صَدْرِهِ لَقْطاً^(٦).
وأَرْضَعْتُها بالـدَرِّ من ثَـذِي بِنْتِها
فعاثتُ، وكانت قبلُ ماتتُ به غَبْطاً^(٧).
فعلَّتُ به رُوحَ الحياةِ كأنَّها مَرَجْتُ لها في ذلك الدَّرِّ إسْفَنْطاً^(٨).
وصَيَّرْتُها بِنْتاً، وصَيَّرْتُ بِنْتِها لها مُرْضِعاً. فأعْجَبَ لُرْضِيعَةِ سِمْطاً^(٩).
فحالتُ هناك البِنْتُ والأُمُّ فِضَّةً فتى لم يَزَاجِمُه العِذارُ ولا خطاً^(١٠).

-
- (١) عدن: الجنة. هذه اللينة الأعطاف (الكيمياء، راجع البيتين السابقين). تستطيع فعل كل شيء. استخدمها إبليس حتى نزل من الجنة إلى الأرض ثم أبغضها (لأنه استخدمها في غير وجهها وأراد أن ينفع نفسه فأضر بنفسه).
- (٢) أنا أيضاً فعلت بها أشياء: أحيت ميتاً (جعلت الرصاص الميت: الرخيص الخسيس الذي لا قدر له) فضة حية (ثمينة شريفة)، وجمعت الأشياء السود بيضاً والأشياء البيض سوداً (كل شيء).
- (٣) تلك الأرض: المدين الخسيس (كالرصاص والنحاس). الرِّي: الإِسْقَاء (المعالجة بالماء).
- (٤) إنَّ عيون المعجبين (بضم الميم وفتح الجيم) ثبتت (في النظر إلى خصرها النحيل) حتى كأن تلك العيون قد أصبحت سِمْطاً (خيلاً فيه حبّات من اللؤلؤ: كناية عن العيون) أو حول جيدها (مكان العقد من عنقها).
- (٥) السائل الكيماوي (الذي يقلب المعادن الخسيسة فيجعلها شريفة): جميلة فيها أشياء تشبه البدر...
- (٦-١٠) يصف الشاعر هنا طريقة العمل بالكيمياء: يأخذ المدين (الشريف) فيستخرج روحه منه (يستخرج أكسير الذهب من الذهب، فكان الذهب أم وأكسير الذهب بنت ولدت منه). والذهب إذا أخذنا منه الأكسير لا يبقى ذهباً بل يصبح معدناً خسيماً. أعود حينئذ إلى ذلك المدين الذي مات (وإلى أمثاله من المعادن كالرصاص والنحاس والخارصين والجبس) فأرضعه (أسقيه) من هذا الأكسير فيصبح حياً (ذهباً).

له منظرٌ كالشمس يُعطي ضياءه؛ وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى^(١).
فهذا الذي أعياء الأنام فأضَمُّوا
وهذا هو الكنز الذي وَضَعُوا له
وتخليصه سهلٌ بغيرِ مَشَقَّةٍ
أبا جعفرٍ، خُذْها إليك يَتِيمةً
ولكنني لَمَّا رأيتُكَ أهلها
لَمَنْ وَضَعَ الأرمازَ في علمه سَخَطاً^(٢).
بِرأيي أخيرٌ وَخَصَّوْا بها قِفْطاً^(٣).
لَمَنْ عَرَفَ التَّطْهِيرَ والعَقْدَ والخلطَ^(٤).
تَوَرَّعَ لَوْقا أَنْ يُورَثَها قُسْطاً^(٥).
سَمَحْتُ بها لَفْظاً وَأَثْبَتُها خَطاً.

٤-★★ فوات الوفيات ٢: ١١٤ - ١١٦، نفع الطيب ٣: ٦٠٥ - ٦٠٦؛ الأعلام للزركلي ١٧٨: ٥ (٢٦).

أبو مدين

١- هو شيخُ الشيوخِ القَوْتُ أَبُو مَدَيْنِ شُعَيْبُ بْنُ الحَسَنِ الأنصاريُّ الأندلسيُّ المَغْرِبِيُّ التِّلْمَسَانِيُّ، أصلُه من الأندلس من حُصْنٍ مَنُتَوِجَةٍ قُرْبَ إشبيلية.
وُلِدَ أَبُو مَدَيْنِ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م). ويبدو أَنَّهُ غَادَرَ الأندلسَ باكراً إلى المَغْرِبِ وَنَزَلَ في فاس فَأَخَذَ العِلْمَ فيها عن أَبِي يَعْزَى وعن أَبِي الحَسَنِ بن

- (١) الشمس في اصطلاح علماء الكيمياء: الذهب. البدر: الفضة. - يقصد أن الفضة أسرع إلى أن تصبح ذهباً من جميع المعادن الأخرى. ويجوز في الشرح اللغوي يقصد أن له - لمعدن الذهب - ضياءه الذي ينبع منه؛ وهو ليس كالفضة، التي تشبه البدر الذي يكون نوره من الضياء الذي استمدته من غيره.
- (٢) الأرماز، يقصد الرموز جمع رمز. أعياء: أتعب. - علماء الكيمياء تكلموا على صنعتهم بالرموز فلم يفهمها الناس العاديون فكروها أولئك العلماء.
- (٣) هذا الكنز (الكيمياء) وضعوا (بَنَوْا) له برابي (أهرام) إخم (بكسر الهَمْزة) بلد في مصر أو هي مصر. قفط: بلد في صعيد مصر.
- (٤) تخليصه: تخليص الأكسير من المعدن. التطهير (التصفية، التنقية) العقد (التجميد) الخلط (المزج) بمقادير صحيحة) من ألفاظ الكيمياء.
- (٥) أبا جعفر: يا أبا جعفر (ينادي رجلاً لعله صديقه الذي كتب إليه بهذه القصيدة). تورع: خاف، تردد. قسطا بن لوقا: رجل كان في الدولة العبّاسية ينقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. تورع لوقا أن يورثها قسطا: خاف لوقا أن يكشف سر الكيمياء لابنه (يضن بها كل إنسان على غيره حتى على ابنه).

حِرْزِهِمْ وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ غَالِبٍ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَلْمِصَانٍ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَذَهَبَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْحَجِّ فَلَقِيَ فِي مَكَّةَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ (٤٧١ - ٥٦١ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فَأَلْبَسَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ الْحِرْقَةَ (دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ أَصْبَحَ شَيْخًا مِنْ شِيُوخِ الصُّوفِيَةِ).

عَادَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَوَظَنَ بِجَايَةٍ وَكَانَ يُدْرَسُ فِي زَاوِيَةِ الْفَقِيهِ أَبِي زَكَرِيَا الزَّوَاوِيِّ. فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ كَثْرَةً أَخَافَتْ الْمَنْصُورَ الْمُوَحِّدِيَّ فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى مَرَاكُشَ (كَيْ يُبْعِدَهُ عَنْ مَرْكَزِ نَشَاطِهِ وَيَجْعَلَهُ فِي نِطَاقِ رَقَابَتِهِ). وَقَدْ تُوفِّيَ أَبُو مَدِينٍ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ إِلَى مَرَاكُشَ عِنْدَ وَادِي يُسْرِ، فَحُمِلَ إِلَى تَلْمِصَانٍ وَدُفِنَ فِي جَبَلِ الْعُبَادِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م).

٢ - كَانَ أَبُو مَدِينٍ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَمِنْ حُفَظِ الْحَدِيثِ وَمَنِ الْمُفْجَبِينَ بِكِتَابِ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» لِلْفَرَّازِيِّ (ت ٥٠٥ هـ). وَكَانَ فَقِيهًا يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ. وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ تَطَرُّفٌ: اعْتَقَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ رَأْسُ السَّبْعَةِ الْأَبْدَالِ (بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْطَابِ) ثُمَّ تَخَيَّلَ أَنَّهُ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَخَاطَبَهُ. وَلَهُ شَعْرٌ وَنَثَرٌ فِي الْحِكْمِ. وَلَهُ، مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى كُتُبًا: بِدَايَةُ الْمُرِيدِينَ - أُنْسُ الْوَحِيدِ وَنُزْهَةُ الْمُرِيدِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ أَقْوَالِ أَبِي مَدِينٍ (عَنْوَانُ الدَّرَايَةِ ٦٢ وَمَا بَعْدَ):

مِنْ رَأْيَتِهِ يَدَّعِي حَالًا لَا يَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْهُ^(١) شَاهِدٌ فَاخْذَرُهُ - لَا يَصْلُحُ سَاعُ هَذَا الْعِلْمِ^(٢) إِلَّا لِمَنْ جُمِعَتْ لَهُ أَرْبَعَةٌ: الزُّهْدُ وَالْعِلْمُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْيَقِينُ^(٣) - مِنْ تَعْلُقٍ

(١) ظَاهِرُهُ (ظَاهَرُ الْمَدَّعِي: الْإِنْسَانُ الْمُتَصَوِّفُ) - مِنْهُ (مِنْ الْحَالِ). وَالْحَالُ (مُؤَنَّثَةٌ) هِيَ جَوْ نَفْسَانِي يَحِيطُ بِالصُّوفِي وَهُوَ يَنْتَقِلُ فِي الْمَقَامَاتِ (لِلإِقْتِرَابِ مِنَ اللَّهِ).

(٢) الْعِلْمُ: عِلْمُ التَّصَوُّفِ. (عِلْمُ حَقَائِقِ الْأُمُورِ).

(٣) الْعِلْمُ: الْعِلْمُ الدِّينِي (أَوْ الْكُونِي أَيْضًا). الْيَقِينُ (الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ).

بَدَعُو الأَمَانِي لم يفارقِ التَّوَانِي^(١) - جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَحَلًّا لِلْغَفْلَةِ
وَالْوَسْوَاسِ وَقُلُوبَ الْعَارِفِينَ مَحَلًّا لِلذِّكْرِ وَالِاسْتِثْنَاءِ^(٢) - الْفَتْرَةُ هِيَ الْإِسْتِغَالُ
بِالْحَلْقِ عَنِ الْخَالِقِ^(٣) - مَنْ أَهْمَلَ الْفَرَائِضَ فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ - مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَفْتَرِ
بِنِشَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ - احْذَرِ الْمُتَبَدِّعِينَ فَهُوَ أَبْقَى عَلَى دِينِكَ، وَاحْذَرِ مَحَبَّةَ النِّسَاءِ فَهُوَ
أَبْقَى عَلَى قَلْبِكَ.

- وَمَنْ نَفَحَ الطَّيِّبَ (٧: ١٣٩) وَمَا بَعْدَ):

مَقَامِي الْعُبُودِيَّةِ، وَعِلُومِي الْأُلُوهِيَّةِ، وَصِفَاتِي مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ:
مَلَأْتُ عِلْمُهُ سِرِّي وَجَهْرِي وَأُضَاءَ بِنُورِهِ بَرِّي وَبَحْرِي. فَالْمُقَرَّبُ مَنْ كَانَ بِهِ عَلِيًّا، وَلَا
يَسْمُو إِلَّا مَنْ أُوتِيَ قَلْبًا سَلِيمًا... يَسْلُمُ تَمَّا سِوَاهُ، وَلَا يَكُونُ (فِيهِ) إِلَّا مَا جَعَلَهُ
مَوْلَاهُ^(٤).

- وَلَهُ نَظْمٌ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ. وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ (نَفَحَ الطَّيِّبَ ٧:
١٤٣ - ١٤٤) يَذْكُرُ مَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ بِالْفَاظِهَا الْمَأْلُوفَةِ ثُمَّ يَذْكُرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بَاطِنُهَا:

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَضْحَكَتْ لِبُكَائِهَا	زَهَرَ الرِّيَاضُ وَفَاضَتْ الْأَنْهَارُ.
وَأَتَى الرِّبِيعُ بِخَيَلِهِ وَجُنُودِهِ	فَتَمَتَّعَتْ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ.
وَالْوَرْدُ نَادَى بِالْوُرُودِ إِلَى الْجَنَى	فَتَسَابَقَ الْأَطْيَارُ وَالْأَشْجَارُ ^(٥) .
وَالْكَأْسُ تَرْقُصُ وَالْعَقَارُ تَشْعُشَعُ	وَالْجَوُّ يَضْحَكُ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ ^(٦) .
وَالْعُودُ لِلْغَيْدِ الْحِسَانِ مُجَاوِبٌ،	وَالطَّارُ أَخْفَى صَوْتَهُ الْمِزْمَارُ ^(٧) .

(١) التَّوَانِي: الْكُسْلُ، فَتُورِ الْهَمَّةُ.

(٢) الْوَسْوَاسُ: اخْتِلَاطُ الْأَفْكَارِ وَتَوَهُّمُ الْمَآذِيرِ. الْعَارِفُ: الصُّوفِي الَّذِي بَلَغَ دَرَجَةَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ. الذِّكْرُ (جَمْعُهَا: أَذْكَارُ): تَرْدِيدُ جُلٍّ فِيهَا تَعْبِيرٌ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ (فِي التَّصَوُّفِ: اسْتِحْضَارُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ). الْإِسْتِثْنَاءُ: الْإِطْمِئْنَانُ إِلَى الْحَاضِرِ مَعَ اللَّهِ.

(٣) الْفَتْرَةُ: اتِّقَاعُ الْمُتَصَوِّفِ عَنِ الذِّكْرِ. الْخَلْقُ: الْخَلْقُ، مَجْمُوعُ الْخُلُوقَاتِ. الْخَالِقُ: اللَّهُ.

(٤) ... لَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا مَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ.

(٥) الْوَرْدُ (مَصْدَرُ): الْجَمِيءُ إِلَى الْمَاءِ. الْجَنَى: قُطْفُ الثَّمَرِ.

(٦) الْعَقَارُ: الْحَمْرُ. تَشْعُشَعُ: مَزَجَتْ بِالْمَاءِ (هَذَا: ظَهَرَ بِرَبْقِهَا).

(٧) الطَّارُ: نَوْعٌ مِنَ الدَّفَا (بِضْمِ الدَّالِ أَوْ فَتْحِهَا) يَكُونُ لَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ (بِخِلَافِ الطَّبَلِ الَّذِي لَهُ وَجْهَانِ).

لا تحسبوا الزمّر الحرام مُرادنا؛ مِزمارُنَا التسبيحُ والأذكارُ.
وشرابُنَا مِنْ لُطْفِهِ، وغِنَاؤُنَا، نِعَمَ الحبيبِ الواحدُ القَهَّارُ.
والعودُ عاداتُ الجميلِ، وكأسُنَا كأسُ الكِيَاسَةِ، والعُقارُ وقَارُ.

٤- ** أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد (شرحها شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملّقب باعثن في كتاب له سمّاه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد، مصر ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٦ هـ).

تعريف الخلف ٢: ١٧٢ - ١٧٨؛ عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ نفح الطيب ٥: ٣١٧، ٧: ١٣٦ - ١٤٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ بروكلمان ١: ٥٦٧ - ٥٦٨، الملحق ١: ٧٨٤ - ٧٨٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦)؛ ابن قنفذ ٢٩٧ - ٣٩٧؛ سركيس ٣٤٥.

ابن صاحب الصلاة

١- هو أبو مروان (وأبو محمّد) عبدُ الملكِ بنُ محمّد بنِ أحمد بنِ محمّد بنِ إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة، ولعلّ مولده كان في سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ - ١١٤٣ م) في باجة^(١).

تقلّب ابنُ صاحب الصلاة بين المغرب والأندلس كثيراً؛ كان في قرْمونة، في مطلع سنة ٥٥٧ هـ (آخر ١١٦١ م). ثم قويت صلته بالموحّدين فرأيناه في السنة نفسها في قرطبة، ثم انتقل إلى المغرب فزار سبتة وفاس ثم كان في مراكش في غرة رَجَب من سنة ٥٦٠ هـ (١٤ / ٥ / ١١٦٥ م). وأقام في مراكش مدّة.

ثم إنّه عادَ إلى الأندلس سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) وسكن إشبيلية، ولذلك أصبح يُعرفُ بالإشبيلي أيضاً. وبعد عامين رَجَعَ إلى مراكش ولكنه عاد وشيكاً إلى

(١) باجة قرب إشبيلية في الأندلس. وصاحب الصلاة منصب حدث في المغرب والأندلس في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - ومعناه الإمام الذي يؤمّ الناس في صلاتهم.

الأندلس . ولعلّ وفاته كانت بُعيدَ سَنَةِ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م) وفي إشبيلية في الأغلب .

٢ - لابن صاحب الصلّة كتابان: «ثورة المريدين»^(١) و«المنّ بالإمامة»^(٢) . ولا يُعرَفُ اليومَ إلّا الجزء الثاني من «المنّ بالإمامة» . وعُرِفَتْ له أيضاً قِطعتان من الشعر .

كتاب «المنّ بالإمامة» يتناولُ تاريخَ الدولة الموحّدية، وفيه جوانبُ سياسيةٌ وجوانبُ إدارية (وصفٌ لعدد من وجوه الإدارة) وجوانبُ اجتماعيةٌ (دينية واقتصادية) وأدبيةٌ لكثرة ما فيه من الرسائل الديوانية^(٣) ومن الشعر خاصّة . ويغلبُ على ابن صاحب الصلّة في كتابه هذا التقربُ إلى الموحّدين . وأسلوبُ المؤلّف يتنقّل بين السردِ العاديِّ ومحاولةِ التأنّق (باللجوء إلى المُوازنة والسجع) من غيرِ بَراعةٍ خاصّة .

٣ - مختارات من آثاره:

- ذِكْرُ عُبورِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْبَحْرَ مِنْ سَبْتَةٍ إِلَى جَبَلِ طَارِقٍ^(٤) (ص ١٤٧):
قال المؤلّف: وَلَمَّا أَتَانَا الْآفَاقَ بِالْعُدُودِ^(٥) وَالْأَنْدَلُسَ بِالْبَشَائِرِ الْوَاصِلَةِ بِقُرْبِ

(١) كان أبو العباس أحمد بن قسي من المولّدين (في الأندلس: المسلمين من الأسبان). ويبدو أنّه كان يُبطن عداءً للإسلام (كعمر بن حفصون وغيره) فجمع حوله طائفة من الناس يتظاهر أمامهم بشيء من التعبّد والتصوّف فكانوا له أتباعاً (مريدين: بلغة أهل التصوّف) ثمّ دفعهم إلى إثارة الفتنة وقتال الدولة المسلمة .

(٢) الاسم الكامل لهذا الكتاب: «تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحّدين على الملثّمين وما في ساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين» (ظهور: انتصار. المهدي: هو المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحّدين. الملثّمون: المرابطون، أصحاب الدولة الذين كانوا قبل الموحّدين. المقصود بأمر المؤمنين هنا: عبد المؤمن بن عليّ أول سلاطين الموحّدين. آخر الخلفاء الراشدين: الذي سلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ في التقوى والعدل).

(٣) الرسائل الديوانية: الرسمية (وكان له أسلوب خاص أنيق من استخدام أوجه البلاغة).

(٤) سبتة في إفريقية وجبل طارق في أوروبة وبينهما بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير، أنفذ السيد الأجل الأعلى أبو يعقوب^(١) عزمه الأول بالإسراع والوخد والزميل^(٢) لبركة اللقاء والاجتماع، واستناب بإشيلية من طلبية^(٣) الموحدين - أعانهم الله - من ينوب منابه في محاربة أهل قرمونة الأشقياء أصحاب ابن همشك^(٤)....

- ووصول خبر الانتصار على ابن مردانيش^(٥) إلى مراکش (ص ٢٧٥):

ومن عجائب الفال قال المؤلف: كنتُ صبيحة يوم الأحد الذي وصلت فيه هذه البشري الفاتحة قد بكرت على العادة، إلى منتقمي^(٦) دار الخليفة رضي الله عنه، جالساً مع طلبية الحضرة^(٧) وأشياخ أهل الأندلس نتطلع إلى الأخبار وقد بعد زمانها وتوقف الواصلين^(٨) بها، إذ رأيت قطاً على سقف دار الخليفة يمشي وفي فيه فرخ حمام قد افترسه، فقلت لمن كان معي من أشياخ أهل الأندلس: الله أكبر؟ هزم، والله، ابن مردانيش! فقالوا لي: بيم تقول هذا؟ فقلت لهم: هذا القط شبه الأسد، والأسد عذوي^(٩) والحمام عجمي. فقد غلبت الموحدون العجم وافترسوهم كافتراس هذا القط الفرخ!

- (٥) العدو (بضم العين وكسرها): جانب الوادي. وهنا: الشاطئ الإفريقي من المغرب.
- (١) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان والياً على إشبيلية (ثم أصبح سلطان الموحدين بعد وفاة أبيه).
- (٢) الوخد والزميل: الإسراع في المشي، الركض.
- (٣) طلبية الموحدين: أتباع الموحدين (٩).
- (٤) هو إبراهيم بن أحمد، صهر ابن مردانيش (انظر، فوق، ص ٤٣٩) من المولدين أيضاً ثار على الموحدين، ثم تغلب الموحدون عليه وأسروه ونقلوه إلى المغرب فأت سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) في مكناسة (في الجزائر اليوم).
- (٥) ابن مردانيش (مردنيس) هو محمد بن سعد من المولدين، كما يدل عليه اسمه، استعان بالاسبان وثار على الموحدين. حاصره الموحدون في مرسية (الأندلس) فأت في أثناء الحصار، سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) في أيام يوسف بن عبد المؤمن بن علي.
- (٦) منتقمي كلمة بربرية تطلق على «سقيفة» تكون في أعلى القصر (من خصائص العمارة المغربية).
- (٧) طلبية الحضرة:
- (٨) كذا في الأصل. وتوقف الواصلون بها: انقطعت (الأخبار) مدة.
- (٩) العدوي (نسبة إلى العدو): الجانب (الأخر: كناية عن الجانب الإفريقي - موطن الموحدين). - الأسد من وحوش إفريقية وليس من أرض الأندلس.

فما كان (إلا) مقدار ما أكملنا الكلام في هذا الفال، (حق) دخل الفُرسانُ القادمون بالبُشرى في الحينِ بخيلهم في مُنتيقيهم - وبأيديهم علاماتُ ابنِ مردانيشَ مستورة - على غير علمٍ ولا مُقدّمةٍ من وُصولهم. ففرّغَ الناسُ أوّلاً لدُخولهم بغيرِ مُقدّمةٍ ولا إذنٍ. ثم علّموا من صحيح صياحهم أنّها بُشرى بالفتح. فقام التكبيرُ والتهليل وضربتِ الطبولُ واتّصلَ السرور...

٤ - تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين.... (استخرجه عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الأندلس) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.
★★ التكملة ٦٢٠ (رقم ١٧٢٦)، الحلة السراء (ذُكر ذِكراً عارضاً ٢: ١٥٤ الخ) المقتضب ٦٨ - ٦٩، نفح الطيب (ذُكر عَرَضاً ٢: ٥٣٣)، بروكلمان، الملحق ١: ٥٥٤، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٤ - ٩٢٥، الأعلام للزركلي (٤: ١٦٤)، بالنشأ ٢٤٢.

ابن رشد

١ - هو أبو الوليد محمد بنُ أحمد بن محمد بن أحمد بن رُشدٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٠ (١١٢٦ م) في بيتِ علمٍ وجاهٍ. واتصل ابنُ رُشدٍ ببلاطِ الموحّدين ونالَ حُظوةً فيه. وفي سَنَةِ ٥٦٥ أصبحَ قاضيَ قُرْطُبَةٍ. ولَمَّا أَرَادَ ابنُ طفيلٍ أن يعتزلَ التطبيبَ في بلاطِ الموحّدين (٥٧٨ هـ) خلفه فيه ابنُ رُشدٍ بتوصيةٍ من ابنِ طفيلٍ نفسه. ولَقِيَ ابنُ رُشدٍ من عوامِّ الناسِ اضطهاداً شديداً بسببِ آرائه الفلسفية، فاضطرَّ إلى أن يعيشَ مُدَّةً في عِزلةٍ عن الناسِ. وكانت وفاته في مَرَاكُشَ، في تاسعِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٥٩٥ (١١ - ١٢ - ١١٩٢ م).

٢ - ابنُ رُشدٍ أكبرُ فلاسفةِ الإسلامِ وأكبرُ فلاسفةِ كُلِّهم في العصورِ الوُسطى وأعظمهم أثراً في التفكيرِ الأوروبي الوسيط. وكانت عبقريةُ ابنِ رُشدٍ تتجلّى في أنه نَظَرَ إلى الدينِ من جانبِهِ الغيبيِّ ومن جانبِهِ الاجتماعيِّ معاً، وفي أنه أَرَادَ أن يُبْطِلَ العامةَ عن التوسّعِ في الجانبِ الأوّلِ (وهو جانبُ نظريٍّ في الأكثر) للاهتمامِ بالجانبِ الثاني (وهو الجانبُ العمليُّ في الحياةِ الإنسانية).

ولابن رُشدٍ شيءٌ من النقد الأدبي وشيءٌ من النظم.

كان لمعرفة ابن رشدٍ بكتاب السياسة لأفلاطون (وهو الكتابُ المعروفُ عندَ نَفَرٍ من المتأدِّين بجمهورية أفلاطون) وبكتاب الشعر لأرسطو أثرٌ في اتجاه ابن رشدٍ في النقد الأدبي. ومع أنَّ معيارَ النقدِ اليوناني مختلفٌ من معيارِ النقدِ العربي (لاختلافِ فنونِ الشعر وموضوعاتِهِ بين اللغتين قليلاً أو كثيراً، ولاختلافِ الثقافة والمُثلِ العُلِّيا لدى العرب واليونان)، فإن ابنَ رُشدٍ أرادَ أن يستفيدَ من آراءِ الفيلسوفين اليونانيين العَظِيمين في الحكمِ على الشعرِ العربي. وابنُ رشدٍ لم يتقيدَ بتفاصيلِ آراءِ الفيلسوفين العَظِيمين، وذلك راجعٌ إلى خِطةِ ابنِ رشدٍ في شرحِ كتبِ أرسطو (إذ كان يتخذُ الشرحَ لتلك الكتبِ - في بعضِ الأحيان - وسيلةً إلى إبداءِ رأيه هو). في هذا المنحى فَصَّلَ الكلامَ على التشبيه والكناية كما أَلْفَها العرب.

وابنُ رُشدٍ يَنْهَى عن تأديبِ الولدانِ بأشعارِ الغَزَلِ ثمَّ يحضُّ على تأديبهم بالأشعارِ التي تُحَثُّ على الشجاعةِ والكرمِ (وهذا مُوافقٌ لرأيِ ابنِ سينا في تربيةِ الولدان).

٣ - مختارات من آثاره:

- من مَطْلَعِ كِتَابِ «فَصْلِ الْمَقَالِ وَتَقْرِيرِ مَا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةِ»^(١) من الاتِّصَالِ:

.... إِنَّ الْفَرَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ نَفْهَمَ - عَلَى جِهَةِ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ - هَلِ النَّظَرُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومِ الْمَنْطِقِ مُبَاحٌ فِي الشَّرْعِ، أَمْ مَخْظُورٌ، أَمْ مَأْمُورٌ بِهِ، إِمَّا عَلَى جِهَةِ النَّدْبِ وَإِمَّا عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ^(٢)؟ فنقول: إِنَّ فِعْلَ الْفَلَسَفَةِ لَيْسَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَاعْتِبَارِهَا مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهَا عَلَى الصَّانِعِ، - أَغْنَى مِنْ جِهَةِ مَا هِيَ مَصْنُوعَاتٌ - فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ لِمَعْرِفَةِ صُنْعِهَا^(٣). وَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ بِصُنْعِهَا أَكْثَرَ، كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ بِالصَّانِعِ أَكْثَرَ.

(١) الحكمة: الفلسفة، التفكير بالعقل.

(٢) الوجوب: الفرض، الإلزام.

(٣) إذا كان الإنسان نجاراً مثلاً فإنه يستطيع أن يحكم حكماً أكثر عدلاً في اتقان أثاث المنزل وقيمته.

فأما أن الشرع دَعَا إلى اعتبارِ الموجوداتِ بالعقلِ وتطلُّبِ معرفتها به، فذلك بَيِّنٌ في غير ما آية من كتابِ الله تبارك وتعالى، مِثْلَ قوله: « فاعْتَبِرُوا، يَا أُولِي الْأَبْصَارِ »^(١). وهذا نصٌّ على وجوبِ استعمالِ القياسِ العقلي، أو العقليِّ والشرعيِّ معاً....

- من كتاب « تهافت التهافت »:

والقديمُ أيضاً يُقالُ على ما هو قديمٌ بذاته و(على) ما هو قديمٌ بغيره^(٢). وكذلك الفاعلُ أيضاً: منه ما يفعلُ بإرادته، ومنه ما يفعلُ بطبيعته^(٣) (ص ١٦)..... والقومُ (الفلاسفة) لما أدَّاهمُ البرهانُ إلى أنَّ ههنا مُحَرَّكاً أَزَلِيّاً لَيْسَ لوجوده ابتداءٌ ولا انتهاءٌ - وأنَّ فعله يَجِبُ أن يكونَ غيرَ مُتَرَاخٍ عن وجوده^(٤) - لَزِمَ ألاَّ يكونَ لفعله مبدأ كالحالِ في وجوده، وإلاَّ لكانَ فعله مُمَكِّناً لا ضرورياً^(٥). فيجب أن تكونَ أفعالُ الفاعلِ الذي لا مبدأ لوجوده ليسَ لها مبدأ كالحالِ في وجوده (ص ٢٠).....

- وقال ابن رُشدٍ في العشق والأدبِ الوقورِ (المغرب ١ : ١٠٤ - ١٠٥):

ما العشقُ شأني، ولكن لستُ أُنْكِرُهُ. كم حَلَّ عُقْدَةَ سُلْوَاني تَذْكُرُهُ^(٦)
مَنْ لي بغَضٍّ جُفوني عن مُخْبِرَةِ الدُّلِّ أَعْجافٍ قد أَظْهَرَتْ ما لستُ أَضْمِرُهُ^(٧).

(١) القرآن الكريم.... (٥٩: ٢، سورة الحشر).

(٢) القديم بذاته (ما ليس لوجوده سبب): الله. القديم بغيره (ما كان الله سبباً لوجوده): مجموع العالم.

(٣) ما يفعل بإرادته: الإنسان (يريد أحياناً أن يفعل شيئاً ولا يريد أحياناً أخرى أن يفعله). ما يفعل بطبيعته: العوامل الطبيعية كالنار والماء والسكين فإنها تحرق الأشياء القابلة للاحتراق أو تبلل الأشياء القابلة للبلل أو تقطع الأشياء بلا شذوذ ولا توقف.

(٤) غير متراخٍ عن وجوده: ليس ثمة زمن فاصل بين وجوده هو وفعله (إن العالم فعلٌ لله - من خلق الله - والله سبب وجود العالم. فالعالم بهذا النظر غير متأخر في الوجود عن وجود الله نفسه).

(٥) الفعل الممكن (ما يفعله صاحبه إذا شاء ويتركه إذا شاء: أفعال البشر عامة). الضروري: ما ليس للكائن خيار في فعله: كإحراق النار لشيء من الخشب مثلاً يُلْقَى فيها أو كشعور الإنسان بالحر أو البرد في مكان كثير البرد أو كثير الحر.

(٦) ذكرى الحب (منذ أيام الشباب) تلج عليّ فلا أستطيع أن أنسى أنني إنسان يشعر ويجب.

(٧) لو كتم الإنسان حبه (بالسكوت أو بقلة التظاهر) فإن عيونه (ونظراته) تدلّ على ميله إلى الجمال.

لولا النهى لأَطَعْتُ اللحظَ ثانيةً فيمن يَرُدُّ سَنَا الأَلفاظِ مَنْظَرَهُ^(١).
 ما لابنِ سَتِينٍ قَادَتُهُ لِفَايَتِهِ عَشْرِيَّةٌ فَنَأَى عَنْهُ تَصَبُّرُهُ^(٢).
 قد كان رَضْوَى وَقَاراً، فَهَوَ سَافِيَةً: الحَسَنُ يُورِدُهُ وَالْمُؤَنُّ يُصْدِرُهُ^(٣).

- من آخر «تہافت التہافت»: (۵۸۴ - ۵۸۸):

.... إِنَّ الْحُكَمَاءَ^(١) بِأَجْمَعِهِمْ يَرَوْنَ فِي الشَّرَائِعِ هَذَا الرَّأْيَ، أَعْنِي: أَنَّ يُتَقَلَّدَ (من الأنبياء والواضعين مبادئ العمل والسُنَنَ* المشروعة في مِلَّةِ مِلَّةٍ. والمدحوخُ عندهم من هذه الأعمالِ الضروريةِ هو ما كان منها أحتٌ للجُمُهورِ على الأعمالِ الفاضلةِ حتَّى يَكُونَ النَّاشِئُونَ عَلَيْهَا أُمَّمٌ فَضِيلَةٌ مِنَ النَّاشِئِينَ عَلَى غَيْرِهَا، مِثْلُ الصَّلَوَاتِ عِنْدَنَا^(٥)، فَإِنَّهُ لَا يُشَكُّ فِي (أَنَّهَا) تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٦). وَإِنَّ الصَّلَاةَ الْمَوْضُوعَةَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِيهَا هَذَا الْفِعْلُ أُمَّمٌ مِنْهُ فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ الْمَوْضُوعَةِ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ، وَذَلِكَ بِمَا شُرِطَ فِي عِدِّهَا وَأَوْقَاتِهَا وَأَذْكَارِهَا وَسَائِرِ مَا شُرِطَ فِيهَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَمِنَ التُّرُوكِ - أَعْنِي: تَرْكَ الْأَعْمَالِ الْمُفْسِدَةِ لَهَا.

وكذلك الأمرُ فيما قيل في المَعَادِ^(٧) فيها هو أحتٌ على الأعمالِ الفاضلةِ مِمَّا قيل في غيرها. ولذلك كان تمثيلُ المَعَادِ لَهُمْ^(٨) بِالْأُمُورِ الْجَسَامِيَّةِ أَفْضَلَ مِنْ تَمَثِيلِهِ بِالْأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ^(٩): «مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) النهى: العقل. - قد قيل عيني إلى وجه جليل ولكن عقلي ينهاني عن تكرار النظر، خوفاً من الوقوع فعلاً فيما لا يجوز (لابن ستين سنة).

(٢) عشرية: فتاة عمرها بضع وعشر سنين.

(٣) قد كنت وقوراً (كجبل رضوى) لا أميل إلى اللهو، والآن أصبحت خفيفاً مثل التراب الذي تسفيه (تنثره) الرياح (في الجو): الجمال يجعلني أميل إلى صاحبه و(خوف) الهون (الذل واحتقار الناس) يصدرني (يردني، يرجعني) - بفتح الياء وكسر الجيم) عن ذلك.

(٤) الحكماء: فلاسفة اليونان القدماء. (★) السنن معطوفة على مبادئ.

(٥) عندنا (في الإسلام).

(٦) وأقم الصلاة، إِنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٢٩: ٤٥، العنكبوت).

(٧) المعاد: الحشر (البعث يوم القيامة).

(٨) لهم (للناس).

(٩) ١٣: ٣٥، الرعد.

الأنهار». وقال النبي عليه السلام: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط». وقال ابن عباس^(١): «ليس في الآخرة من الدنيا إلا الأسماء». فدلّ (ت هذه الأقوال) على أن ذلك الوجود (الآتي) نشأة أخرى أعلى من هذا الوجود وطوّراً آخر أفضل من هذا الطور...

وقد رأيت أن أقطع ههنا القول في هذه الأشياء والاستغفار^(٢) من التكلم فيها. ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله... وهو، كما يقول جالينوس^(٣): «رجل واحد من ألف» - والتصدي إلى أن يقول فيه من ليس من أهله^(٤) ما تكلمت، علم الله بحرف.

- ٤ - تهافت التهافت، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ هـ؛ مصر (البابي الحلبي) ١٣٢١ هـ؛ (موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م.
- فلسفة ابن رشد (عنوان مجموع يضم ثلاث رسائل: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة - ذيل لفصل المقال... الخ) (نشرها مللر) مونيخ (فرانز) ١٨٥٩ م؛ مصر (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ؛ مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٨ هـ؛ مصر (محمود علي صبيح - المكتبة الحمودية) بلا تاريخ. ثم «فصل المقال....» (ليون غوتيه)، الجزائر (كاربوغيل) ١٩٤٨ م؛ (تحرير فضلو حوراني)، ليدن (بريل) ١٩٥٩ م؛ (نشرها ألبير نادر)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م. - مناهج الأدلة.... (تقديم وتحقيق محمود قاسم)، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.
- رسالة التوحيد والفلسفة (موللر)، مونيخ ١٨٧٥ م.

- (١) عبد الله بن عباس (٣ قبل الهجرة - ٦٨ هـ) ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم لازم (على صغر سنه) الرسول وروى عنه الأحاديث الصحيحة، قيل فيه: ترجمان القرآن (لقدرته على تفسير القرآن) - وحبر عالم هذه الأمة (الإسلام).
- (٢) وقد رأيت أن أقطع... والاستغفار...
- (٣) جالينوس (نحو ١٣٠ - ٢٠٠ م) أشهر أطباء اليونان عند العرب برع في التشريح وكان قديراً في علاج المرضى، وله في الطب كتب كثيرة نقل جانب كبير منها إلى اللغة العربية.
- (٤) ... ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله (ولولا الخوف) من أن يتصدى للكلام في ذلك من ليس من أهله.

- رسائل ابن رشد، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد (في الفقه)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ الآستانة ١٣٣٣ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٤ هـ؛ مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣٩ هـ.
- الكلّيات (في الطبّ) (تحرير ألفريد البستاني)، العرائش - المغرب (منشورات معهد فرانكو) (مطبعة الفنون) ١٩٣٩ م.
- رسائل ابن رشد (السمع الطبيعي - السماء والعالم - الكون والفساد - الآثار العلوية - كتاب النفس - ما بعد الطبيعة)، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
- تلخيص كتاب النفس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٠ م.
- تلخيص المقالة الأولى من كتاب الخطابة لأرسطو: في الشعر (لازينيو) فلورنسة ١٨٧٥ - ١٨٧٨ م.
- تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو (تحرير موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٨ م؛ الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- فنّ الشعر (لأرسطو) مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد (ترجمه عن اليونانية عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م.
- تلخيص الخطابة لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٧ م.
- تلخيص السقسطة لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (دار الكتاب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث) ١٩٧٢ م.
- كتاب النفس: الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس - الحاسّ والمحسوس لابن رشد - النبات المنسوب إلى أرسطو (راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٤ م.
- ★- ابن رشد وفلسفته، تأليف فرح أنطون، الإسكندرية ١٩٠٣ م؛ بيروت ١٩٨١ م.
- ابن رشد الفيلسوف، تأليف محمد يوسف موسى، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ م.
- ابن رشد (دراسة ومختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م.
- ابن رشد، تأليف عباس محمود العقاد، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن رشد والرشدية بقلم أرنست رينان (نقله إلى العربية عادل زعيتر)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٥٧ م.
- ابن رشد فيلسوف العرب، تأليف عبده الحلو، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م.
- ابن رشد وفلسفته.....، تأليف محمود قاسم، القاهرة (مكتبة الأنكلو المصرية) ١٩٦٩ م.
- في فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود، تأليف محمد عبد الرحمن بيسار، بيروت (دار

الكتاب اللبناني)، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

- بغية الملتبس ٤٤ (رقم ٣٩)؛ التكملة ١: ٢٦٩؛ الذيل والتكملة ٦: ٢١ -
٣١ (رقم ١٢٩)؛ المغرب ١: ١٠٤ - ١٠٥؛ طبقات الأطباء ٢: ٧٥؛ قضاة
الأندلس للنباهي ١١١؛ المعجب ١٧٤ - ١٧٥، ٢٢٤ - ٢٢٥؛ الديباج
المذهب ٢٨٤ - ٢٨٥؛ مقدّمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني) ٢٣٦ -
٢٣٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٨ - ٢٩٩؛ شذرات الذهب ٤: ٣٢٠؛ نفع
الطبيب ١: ١٥٥، ٤٦٣، ٣: ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٢؛ راجع ١٨٠ - ١٨١،
٧: ٨٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩ - ٩٢٠؛ بروكلمن ١: ٤٧٩ -
٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٢ (وفيه خلط بين أبي الوليد بن رشد الحفيد هذا وبين
وجهه أبي الوليد أحمد بن محمد)، سركيس ١٠٨ - ١٠٩؛ بالنشيا ٣٥٣ -
٣٦٩، ٤٢٧، ٤٦٩ - ٤٧١.

أبو القاسم بن البرّاق

١ - هو أبو القاسم محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحمداني الوادي آشي
المعروف بأبن البرّاق، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م).

روى أبو القاسم بن البرّاق عن جماعة كبيرة من الشيوخ (راجع تحقيقاً بالغا
لأسائهم وأزمانهم ولصلة أبن البرّاق بهم ولما قرأ عليهم أو روى عنهم في «الذيل
والتكملة» ٦: ٤٥٨ - ٤٦٧). ولعله بلغ إلى منصب الوزارة (راجع المطرب
٢٤٢ ع).

ولا نكاد نعرف شيئاً من تفاصيل حياته، سوى ما قيل من أن الأمير ابن سعيد
(٢) كان قد غَضِبَ عليه ثم غرّبه عن بلده وألزمه السكنى في مَرْسِيَّةٍ ثم في بَلَنْسِيَّةٍ. ولما
مات ابن سعيد (سنة ٥٧١ هـ) عاد ابن البرّاق إلى وطنه. وكانت وفاة أبي القاسم بن
البرّاق في مَطْلَعِ رَمَضَانَ (ودُفِنَ في الثاني منه) من سَنَةِ ٥٩٦ (١٧ / ٦ / ١٢٠٠ م).

٢ - يبدو أن أبا القاسم بن البرّاق كان في أول حياته مُتَصَوِّفاً مُتَنَسِّكاً ثم بدّل
قليلاً (راجع المطرب ٢٤١ - ٢٤٢).

وكان أبو القاسم بن البرّاق مُحَدِّثاً حَافِظاً رَاوِيَةً مُكْثِراً وضابطاً (لروايته) ثِقَةً

وفقيهاً. وكان له أيضاً نظراً واسعاً في الطبِّ، كما كان له كتابٌ في الفلك (بروكلمن ١ : ٦٥٩). وكذلك كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً مجيداً مُكثِراً سريعَ البديهة في النظم والنثر. والأدبُ أغلبُ عليه (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٧ س). وكان وشاحاً مُكثِراً نظم نحوَ أربعِمائةِ مُوشحةٍ. ثم كانت له بديعياتٌ (في مدح محمد رسول الله). وفي نفح الطيب (٤ : ٢٨٧ - ٢٨٨) ما يدلُّ على أنَّه كان ناقداً أيضاً، فقد دخلَ في الخلاف في نسبةِ المُقطَّعةِ:

وَقَانَا لَفَحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ،

وقال: أَشَدُّنَا حَمْدُهُ (أو حمدونه) بنتُ زيادِ العَوْفِيَّةُ (ت نحو ٦٠٠ - راجع ترجمتها) لِنَفْسِهَا.

وشِعْرُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبَرَّاقِ مَتْنُ السَّبْكِ، لكنَّ في بَعْضِهِ شَيْئاً مِنَ الْجَفَافِ (راجع، مثلاً الأبياتَ الواردةَ له في «زاد المسافر»، ص ١٥١ - ١٥٢).

وأبو القاسم بن البراق مُصَنِّفُ بَارِعٍ مُكثِرٌ، وأكثرُ تصانيفه في الأدب. فمن هذه التصانيف (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٨): بهجة الأفكار وفُرجة التذكار في مختار الأشعار - مباشرة ليلة السَّفْح^(١) من خبر أبي الأصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ^(٢) مَعَ الْأَعْلَامِ الْجِلَّةِ: أَبِي إِسْحَاقَ الْخَفَّاجِي^(٣) وَأَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرْفٍ^(٤) وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الزَّقَّاقِ^(٥) - مقالةٌ في الإخوان (خرَّجها من شواهدِ الْحِكَمِ وَمُصَنَّفٍ فِي أَخْبَارِ مَعَاوِيَةَ^(٦) - الدَّرُّ الْمُنَظَّمُ فِي الْإِخْتِيَارِ الْمُعْظَمِ (وهو مُقَسَّمٌ عَلَى تَأْلِيفَيْنِ: أَحَدُهَا مُلْحٌ

(١) السَّفْح: أصل الجبل أو التلَّة (عند اتِّصالها بالسهل). ليلة السَّفْح (كناية عن الاجتماع للسرور واللَّهو). يقول الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ): «يا ليلة السَّفْح، هلَّا عدتُ ثانية... الدِّيم».

(٢) في المغرب (١ : ١٠٢): أبو الأصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ فَاتِحِ الْقُرْطُبِيِّ، كان من عمَّال (متولين جمع المال) في قرطبة في مدَّة (أيام حكم) لمتونة (المرابطين) واختصَّ بِأَمِيرِهَا الزَّيْبِرِ بْنِ عُمَرَ الْمُلْتَمِّ (ت ٥٣٧ هـ) ونامده. وكان أبو الأصْبَغِ هذا شاعراً وعارفاً بالغناء.

(٣) الجِلَّة: الكبار المشهورين في قومهم. أبو إسحاق الخفَّاجي (ت ٥٣٣ هـ، راجع ترجمته).

(٤) أبو الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ، راجع ترجمته).

(٥) أبو الحسن بن الزَّقَّاق (ت ٥٢٨ هـ، راجع ترجمته).

(٦) معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية.

الخواطر ولُمَحِّ الدفاتر - والثاني مجموعٌ في ألغاز) - روضةُ الحداثق في تأليف الكلام الرائق (وهو مجموعٌ نظمِه ونثره، وفيه فصول منها: مُلتقى السبيل في فضل رَمَضانَ، قصيدة في ذِكْرِ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم و(ذكر) أصحابِه رَضِيَ اللهُ عنهم، وقد سَمَّاهَا «القرارة اليُثْرِيَّة المخصوصة بِشَرَف الأُخْلاء القُدْسِيَّة»^(١) - خَطَرَات الواجد في رثاء الماجد^(٢) - رجوع الإنذار بهجوم العذار^(٣) - تصريح الاعتذار عن تقبيح العذار - قِطْع من شعره (زُهدِيَّة ووعظِيَّة مَعَ فصولٍ أُخرى) - مجموعُ مُوشَحَاتِه (وقد صَدَّرَه بِمَقَالَةٍ سَمَّاهَا: «الإفصاح والتصريح عن حقيقة الشعر والتوشيح»). ثمَّ له عددٌ من المُصنَّفات شرع فيها ولم يُتِمَّها.

٣ - مختارات من شعره:

- لابن البراق أبي القاسم في الغزل المورّي^(٤):

يا سَرَحَةَ الحَيِّ يا مَطُولُ، شرحُ الذي بيننا يطُولُ^(٥).

ولي ديونٌ عليك حَلَّتْ لو أنَّه يَنْفَعُ الحُلُولُ^(٦).

- وقعدَ أبو القاسم بن البراق مَعَ أحدِ الأعيان^(٧) على ضفافِ نهرٍ طَلَباً للراحة

فقال يُخاطبُ ذلك العينَ (المغرب ٢ : ١٥٠، راجع نفح الطيب ٣ : ٥٠٦):

(١) هذه القصيدة قد سَطَّها (أو حَسَّها) أبو الكرم جودي - كان من أخصَّ تلاميذه به - ولعلَّه جودي بن

جودي (المغرب ٢ : ١١٠ - ١١١)، وكان معاصراً لموسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (٥٧٣ -

٦٤٠ هـ). وتخميس هذه القصيدة موجود في «الذيل والتكملة» (٦ : ٤٦٩ - ٤٧٢).

(٢) الواجد: الحزين. الماجد: الشريف في قومه.

(٣) العذار: الشعر الثابت في الوجه.

(٤) المورّي: الرموز عنه (كالكتابة عن المرأة بالسرحة: الشجرة الطويلة - راجع هذه الكناية نفسها في

قول حميد بن ثور: أُمِّي اللهُ إِلَّا أن سرحة مالك - في الجزء الأول). البيتان في نفح الطيب ٣ : ٥٠٦ -

راجع، فوق، الكتندي (ت ٥٨٤ هـ): هذان البيتان مع تنمة لهما مرويان له في زاد المسافر (ص ٩٥).

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة، العالية. المطول: المرأة التي تمد ولا تقبي.

(٦) الحلول: حلول وقت استحقاق وفاة الدين، وصول.

(٧) العين: الرجل المنظور إليه في قومه.

انظرُ إلى الوادي الذي مُدَّ غرَدَتُ أَطْيَارُهُ شَقَّ النسيمُ ثِيَابَهُ^(١).

أترَاه أَطْرَبَـهُ الهَدْيُـلُ، وزادَه

طرباً - وحقَّكَ - أَنْ حَلَلْتَ جَنَابَهُ^(٢)؟

- وله في غلامٍ أَسْتَقَرَّ عَلَى شَفَتَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِدَادِ (الحبر الأسود) من أثر وضع القلم على الفم لتبليله بشيء من الريق ليُصْبِحَ الحبرُ بِذَلِكَ أَكْثَرَ مَنِيْعاً وَسَيْلَاناً وَجَرِيّاً:

يَا عَجَباً لِلْمِدَادِ أَضْحَى عَلَى فَمٍ ضَمَّنَ الزُّلَالَا^(٣)،

كَالْقَارِ أَضْحَى عَلَى الْحُمَيَّا وَاللَّيْلُ قَدْ لَامَسَ الْهِلَالَا^(٤).

- وَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْبَرَّاقِ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُلُوكِ الْأَكْبَارِ^(٥) فَأَمَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَنْ يُقَدِّمَ السَّاقِي لَهُ كَاساً مِنَ الْخَمْرِ مُشَارِكَةً لِلْحَاضِرِينَ، فَأَنْقَبَضَ ابْنُ الْبَرَّاقِ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَشْمَازَ. وَاتَّفَقَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ أَنْشَقَتْ صُرَاحِيَةٌ (إناءٌ للخمر) وَسَالَ مَا فِيهَا. فَتَشَاءُ الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَنَ، فَأَنْشَدَ ابْنُ الْبَرَّاقِ مِنْ قَوْرِهِ عَلَى الْبَدِيَّةِ:

وَمَجْلِسٍ بِالسُّرُورِ مُشْتَمَـلٍ لَمْ يَخْلُ فِيهِ الزُّجَاجُ عَنْ أَرْبٍ^(٦).

سَرَى بِأَعْطَافِهِ تَرْتُّنُحُنَا فَشَقَّ أَثْوَابَهُ مِنَ الطَّرِبِ^(٧).

فَسَّرَ الْمَلِكُ وَزَالَ مَا بِهِ.

- مِنْ «الْقَرَارَةِ الْيَثْرِيَّةِ بِشَرَفِ الْأَحْنَاءِ الْقُدْسِيَّةِ» (فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ

وَصَحَابَتِهِ) لِأَيِّ الْقَاسِمِ بْنِ الْبَرَّاقِ الْهَمْدَانِيِّ الْوَادِيَّاشِيِّ:

(١) الوادي: النهر.

(٢) الهديل: صوت الحمام. حلت جناحه: نزلت (سكنت) في أحد أطرافه.

(٣) الزلال: الماء الصافي العذب.

(٤) القار: الزفت. الحميّا: الخمر. العادة أن تحتم آنية الخمر بالزفت.

(٥) الملوك الأكابر يمكن أن يكونوا الرجال الأغنياء من ذوي المكانة في قومهم.

(٦) مشتمل (عاط). الأرب: الحاجة، البغية، الأمنية.

(٧) سرى (هنا): انتشر. العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من البدن. الترتج: القائل (من السكر أو

الضعف). شق الثوب كناية عن شدة السرور والانفعال.

بَاهْضَبْ هَضْبَ زُرُودَ أَوْ تَلْعَاتِهَا شَاقَتْكَ هَاتِفَةٌ عَلَى نَفَاتِهَا^(١)؟
مَصْدُورَةٌ تَقْتَنُ فِي تَرْجِيمِهَا فَيَبِينُ نَفْتُ السَّحْرِ فِي نَفَاتِهَا^(٢).
إِنْ رَاقَهَا رَأْدُ الضُّحَى أَوْ رَاعَهَا جُنْحُ الدُّجَى سَيَّانٍ فِي ذِكْرَاتِهَا^(٣):
هَذَا يُمْتَمُّهَا، وَذَاكَ يَشُوقُهَا؛ فَاَلَمُوتُ فِي يَقْظَاتِهَا وَسِنَاتِهَا^(٤).
لَا دَرَّ دَرَّ الْقَطْرِ إِنْ لَمْ يَرَوْهَا مِنْ دَرَّةٍ وَيُلْفَ مِنْ شَجَرَاتِهَا^(٥)،
حَتَّى تُطَارِحَنِي بِأَبْهَرِ شَجْوِهَا وَأَفْوَقَهَا فِي بَثِّهَا حَسَرَاتِهَا^(٦).
سَجَمْتَ عَلَيْكَ، أَخَا الذُّنُوبِ، بِسَخَرَةٍ فَغُرِيتَ بِالْفَتَّانِ مِنْ سَجَعَاتِهَا^(٧).
أُمْرِنَةٌ تَهْدِيكَ لِلشُّكُوى فَلَا تَمَازُ إِلَّا بِادِّعَاءِ صِفَاتِهَا^(٨)؟
هَلَّا اقْتَدَتْ بِكَ، يَا مُتِّيمٌ، فِي الْهُوى، إِذْ مَا وَصِمْتَ بِهِ يَبْدُ سَيَاتِهَا^(٩)؟

- (١) الهضب جمع هضبة (بفتح فسكون فيها): الأرض المرتفعة. زرود (اسم رمل)، ووزوده هنا إشارة إلى الحجاز. التلعة (بفتح فسكون): ما ارتفع من الأرض، المكان العالي يسيل منه الماء. هاتفة: (حامة) تبدل (تصوت، تغني).
- (٢) مصدورة: في صدرها مرض أو هم. تقتن (تفتن): تأتي بضون مختلفة. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق (عند الغناء). يبين (يظهر) نفت السحر (النفع على أداة السحر من شيء مكتوب أو خيط معقود، كناية عن قدرة الساحر). نفثة (هنا): النفس الضعيف (من هم أو مرض).
- (٣) رآد الضحى: أول الصبح. جنح (طرف) الدجى (جمع دجية وهي الظلمة بالضم فيها) ذكراتها... هذا (أي جنح الدجى) يمتعه (يطول عليه، يدوم)، وذاك (رآد الضحى) يهيج (خوفاً من أن ينقض). فاللوت (الشقاء له) في يقظاته جمع يقظة (بفتح ففتح) عند الصبح وفي سناها جمع سنة (بكر ففتح): نوم.
- (٤) لا در (سال) در (لبن) القطر: المطر (دعاء على المطر أن ينقطع) إذا لم يروها (إذا لم يسق الهضب - راجع البيت الأول - ويشبعها) ويلف من شجراتها (يحيط بشجرها: يكفي جميع أشجارها).
- (٥) تطارحني: تحاورني وتبادلني (أي الهاتفة: الحامة) أبهر: في أبهر (جبل في الحجاز) شجوها (حزنها) وأفوقها (أزيد عليها) في بثها (التعبير عن) حسراتها. إن حزني وحسرتي أكبر من حزنها وحسرتها (أنا حزين لأنني بعيد عن الحجاز - الأرض المقدسة - وهي لا مسوغ لها أن تحزن لأنها موجودة في أبهر: أحد جبال الحجاز).
- (٦) سجمت (غنت) عليك (على سمعك فسمعتها) يا أخا الذنوب (يا كثير الذنوب). بحرة (في أول الفجر) فغريت: أغريت (بالبناء للمجهول): أحبيت الازدياد من سماع غنائها.
- (٧) المرنئة المرأة التي تنوح تديك للشكوى (تدلك على الشكوى، تعلمك الشكوى) فلا تستطيع أنت أن تفعل أكثر من القول إنك تشكو.
- (٨) كان من الواجب أن تحاول تلك الحامة أن تقتدي بك في إظهار الحزن لأنك أنت متيم في الهوى (قد =

أُولَئِكَ حُبُّكَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
يا كعبةَ الإسلام يا كهفَ الهدى،
يا من تَبَلَّجَ نوره عن صاعدٍ
يا شارعاً في أُمَّةٍ جُعِلَتْ به
في دارِ خُلْدٍ لا يَشِيبُ وَلِيدُهَا
يا خاضِداً للشُّرِكِ شوكةَ حِزْبِهِ،
في الصَّيْدِ من أذوائِها والقلْبِ من
يا ناصباً علَمَ الدِّيانَةِ جاهِداً،
يا آخِرَ النُّبَا في إرْسالِها،
يا مَنْ إِذَا جَلَّتِ الْغَزَالَةُ نورَها
أَضْعَافَ ما بَشَّتْه من لَواعِها؟
يا صارِفَ الأيَّامِ عن عادِتها،
بالوَاضِحَاتِ الْغُرِّ من آيَاتِها^(١)،
وَسَطاً فَنالَتْ مُسْتَدَامَ حَيَاتِها^(٢)،
حَيْثُ الشَّبَابُ يَرِفُ في جَنَابِها^(٣).
يا نابِغاً لِلْغُرْبِ في جَمَراتِها^(٤)،
صُرْحائِها وَالشَّمِّ من أُنْيَابِها^(٥).
يا ذُخْرَها لِحَيَاتِها وَمَمَاتِها،
يا أَوَّلَ الأَرْسالِ في قُرْبَاتِها^(٦)،
فَلَوْجِها يُعْزَى جَمِيلُ إِيَّاتِها^(٧)،

- =
أمرضه الحبَّ وذلك). ذلك لَأَنَّ ما وسعت أنت به (ما وصفت أنت به من الحبِّ لرسول الله يَبْدُ، أي
يقلب ما تتَّصف هي به في شكواها.
(١) تَبَلَّجَ: ظهر وأضاء. الصاعد: الذي يشق (الظلام). والصادع بالشيء: الجاهر به والداعي إليه.
بالوَاضِحَاتِ (بالآياتِ الظاهراتِ البَيِّنَاتِ) الْغُرِّ (البيض، الساميات).
(٢) الشارع: واضع القوانين. أُمَّةً جمعت وسطاً (أفضل الأمم). راجع القول الفلسفي: الفضيلة توسَّط بين
نقيصتين، ثم المثل: خير الأمور الوسط، ثم أرْجِعْ إلى القرآن الكريم (٢: ١٤٣ سورة البقرة): «وكذلك
جعلناكم أُمَّةً وسطاً...»
(٣) رَفَعٌ: تَلَأاً، اهْتَرَجَ (من النشاط). دار الخلد: الجنة.
(٤) خَضَدَ: كسر، قَطَعَ. شوكة: قوَّة، سلاح. الجمرة من الناس: أهل المنعة (بفتح ففتح: الدفاع عن
النفْس) والقوَّة والاتِّحاد. النابِغ: الذي يبرز ويفوق أُنْداده.
(٥) الصيد جمع أُصَيْد: صاحب القوَّة والسلطان. الأذواء (ذو وزن وذو نواس) من ملوك اليمن. الصريح:
ذو النسب النقيّ الواضح. القلب من صرحائها (أوضح الناس وأنقاهم نسباً). الأُثْمُ: العالي. البيت:
الشرف، المنزلة الكريمة.
(٦) النُّبَا: الأنبياء (جمع نبي). محمَّد صلى الله عليه وسلَّم آخر الأنبياء الذين جاءوا إلى الإنسانية. الرسل
(بفتح ففتح): الجماعة من الناس (والجمع أُرْسال). محمَّد آخر الأنبياء، ولكنه أوَّل البشر (في المقدمة
منهم: في الشرف والجاه والمكانة والشجاعة، الخ).
(٧) الغزاة: الشمس. جلت: أظهرت. يعزى: ينسب. إِياءة (بكسر الهمزة): نور الشمس.

من لي بِجُسْنِكَ كُلِّمَا أَعْتَكَرَ الْأَسَى
أَنْتَ الَّذِي أَنْقَذْتَهَا مِنْ غَمَّةٍ
وَحَبَوْتَهَا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي
لَوْلَاكَ مَا عُرِفَ السَّبِيلُ إِلَى النُّهَى
فَعَلَيْكَ فَضْلُ خُشُوعِهَا وَخُضُوعِهَا،
قَسَمْتُ أَوْرَادَ الْعُلَا بِشَرِيعَةٍ
وَحَسَمْتُ مِنْ طُرُقِ الضَّلَالِ مَا خِذًا
مَا زِلْتَ تَجْهَدُ فِي انْتِقَاصِ شُرُودِهَا
حَتَّى أَضَاءَ الْحَقُّ فِي مِنْهَاجِهِ
يَا مَنْ تَوَضَّعَ جَمْرُهُ فِي زُمْرَةِ
أَقْمَارِ مِلَّتِنَا وَشَهَبُ سَمَائِهَا
فَسَرَّيْهَا صِدِّيقُهُ، وَسَيَّيْهَا

فِي النَّفْسِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَى كُرْبَاتِهَا^(١).
فَرَجَّتَ فِيهَا الصَّعْبَ مِنْ أَرْزَامَتِهَا،
بَلَّغَتْ بِلَاغَتُهَا مَدَى مِيقَاتِهَا^(٢).
وَلَضَلَّتِ الْأَلْبَابُ عَنْ مَنَاجِتِهَا^(٣).
وَإِلَيْكَ أَجْرُ صِيَامِهَا وَصَلَاتِهَا.
بَرَزَتْ وَجُوهَ الْفَضْلِ مِنْ قَسَاتِهَا^(٤).
غَرِقَتْ نَفُوسُ الْخَلْقِ فِي زَلَّاتِهَا^(٥).
وَتُعَوَّضُ الْأَنْوَارَ مِنْ ظُلُمَاتِهَا^(٦)،
وَتَرَكَّتِ الْبُشْرَى عَلَى دَرَجَاتِهَا.
رَقِيتْ بِسُنَّتِهِ يَفَاعَ نَجَاتِهَا^(٧).
وَذَوُّ الْخِلَالِ الْغُرَّ مِنْ سَرَوَاتِهَا^(٨).
فَارَوْقُهَا الْوَضَّاحُ عَنْ عَزَمَاتِهَا^(٩).

- (١) الكربة: شدة الحزن والغم. اعتكر: أظلم، اشتد. الأسى: الحزن. من لي (كيف لي) بحسبك (باحسانك، يا رسول الله، منقذاً)؟
- (٢) حبا: منح، أعطى. جوامع الكلم: الحكم البالغة. مدى ميقاتها (وصلت جوامع كلمك والآيات التي نزلت عليك والإسلام الذي جئت به إلى أقصى الأرض).
- (٣) في الأصل ما عرف (بالبناء للمعلوم) السبيل (بالنصب، على أنه مفعول به)، والأصوب بالبناء للمجهول. اللَّب (بالضم) العقل. المنجاة: النجاة وطريق النجاة أيضاً.
- (٤) أوراد جمع ورد (بالكسر): القسم النصيب، أو الشرب من الماء. القسمة (بفتح ففتح ففتح أو بفتح فكسر ففتح): ملامح الوجه، والجمال.
- (٥) حسم: قطع.
- (٦) في انتقاص شرودها: في الإقلال من ضلالها.
- (٧) توضح: ظهر. جره (٢) لعل المقصود: كفاحه وهداه. زمرة: جماعة. يفاع: المكان العالي.
- (٨) الملة: الدين. الشهب: النجوم. الخلال: الخصال. الغر: البيضاء (الحميدة). السروات: رؤساء الناس وكرامهم.
- (٩) السري: الشريف من القوم. الصديق (أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة - بالضم). السقي: العالي، ذو المكانة السامية. الفاروق هو عمر بن الخطاب. الوضاح الذي يبين الأمور. وقد سمي عمر بن الخطاب «الفاروق» لأنه فرق بين الحق والباطل. العزمات (جمع عزمة): الحقوق.

وأثيرها عُثَانُ تَالِي وَخِيهَا
وعليها في المَكْرُمَاتِ عَلَيْهَا
بَابُ العلوم وخيرُ من جالت به
مَنْ حُفَّ بالسَّيْطِينَ ذِرْوَةُ عِزِّهِ
لَأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْجَلَالِ مَنَازِعُ
وَحَرِيهَا الْعِفُّ أَبْنُ عَوْفٍ بِالْحِجَى
وأخو حِرَاسَتِهَا بِمُحْتَضِرِ الْوَعَى
فِتْنَةٌ تَوَاصَتْ بِالسَّنَاءِ فَأَشْرَقَتْ
فَالْبَشَرُ حَشْوُ ضُلُوعِهَا، وَالْفَضْلُ طَيْدُ
شَهِدَتْ لَهَا بِالْجَنَّةِ الذَّاتُ الَّتِي
وَمُرْخَزُحُ الْأَزْمَاتِ عَنْ سَادَاتِهَا^(١) .
رَبُّ أَخْتِرَاطِ النَّصْرِ فِي غَزَوَاتِهَا^(٢) ؛
هِمَّاتِهِ فِي مُرْتَقَى صَهَوَاتِهَا^(٣) .
فَتَقَهَّرَ التَّغْيِيرُ عَنْ هَضَبَاتِهَا^(٤) .
يَقْتَرُّ ثَغَرُ الرُّوضِ عَنْ نَفَحَاتِهَا^(٥) .
وَرَفِيعُهَا فِي حِلْمِهِ وَأَنَاتِهَا^(٦) .
سَعْدٌ مُبِيدُ الذُّعْرِ دُونَ حُمَاتِهَا^(٧) .
شَمْسُ النُّبُوَّةِ فِي سَنَا جَبَاهَاتِهَا^(٨) .
سَيُّ بُرُودِهَا، وَالْمَجْدُ حَلْيُ طُلَاتِهَا^(٩) .
وَطِثَتْ بِأَخْصِيهَا ذُرَى غُرَفَاتِهَا^(١٠) .

(١) الأثير: الموثوق المفضل. عثان (بن عثان). تالي وحياها (لاشتهار عثان بن عثان بتلاوة القرآن، فقد قتل وهو يتلو القرآن). الأزمة: الشدة. كان عثان يتبرع بمبالغ كبيرة من المال لتجهيز الجيوش إلى الجهاد أو لتنفيس الكرب عن الناس.

(٢) عليها الأولى: علي بن أبي طالب. وعليها الثانية: أعلاها. رب: صاحب. اختط السيف سلّه من غمده. النصر (٩). لعلّه يقصد أن علياً كرم الله وجهه كان يحرز النصر في الغزوات للمسلمين بالسهولة التي كان يشهر (يفتح الياء والهاء) سيفه من غمده.

(٣) باب العلوم: العالم، فقد جاء في الحديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». الصهوة من كل شيء أعلاه.

(٤) السبط: ابن بنت الرجل (ابن ابن الرجل: حفيد). السبطان: الحسن والحسين (سبطا الرسول من ابنته فاطمة). ابنا الإمام عليّ. الذروة: أعلى الشيء. تقهقر: تراجع. التغير (٩).

(٥) أبو عبيدة عامر بن الجراح من كبار الصحابة وكبار المجاهدين وقواد الجيش الإسلامي. منازع: جمع منزع: قوة، همة، غاية. الجلال: الأعمال العظيمة. النفح والنفحة: انتشار الرائحة الطيبة.

(٦) الحري بالحجى (بالعقل، بالتصرف الحكيم): الخلق به، من هو أهل لذلك. العف: العفيف. ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة. الرفيع: العالي المكانة. الحلم: سعة الصدر، العقل. الأنأة: التأني.

(٧) الوغى: الحرب. سعد بن أبي وقاص. الذعر: الخوف من الاضطراب. دون حاتم (بمجاهدوها الأبطال). دون (أكثر من، دفاعاً عن؟).

(٨) السناء: الرفعة والعلو. السنا: النور.

(٩) البشر: طلاقة الوجه (ظهور السرور على الوجه عند لقاء الناس). البرد (بضم الباء): الثوب. الطلاة: العنق أو صفحة العنق.

(١٠) شهدت لهم (لهؤلاء النفر ولغيرهم ورد ذكرهم في آيات ليست في هذه المختارات) بالجنة (بدخول الجنة) =

هِيَ صَفْوَةُ الْمُخْتَارِ، فَأَقْتَفَى سُبُلَهَا،
فَمَسَاكَ أَنْ تَمْتَارَ مِنْ بَرَكَاتِهَا
يَا طَيِّباً ضَمَّتْهُ مِسْكَةُ طَيِّبَةٍ
شَوْقِي لِتَرْبِيتِكَ الْمُقَدَّسَةِ أَقْتَضَى
فَارَحِمْ بُكَاءَ مُغَرَّقٍ فِي أُنْجُرٍ
وَأَشْفَعْ لَهُ فِي تَوْبَةٍ يَصْفُو بِهَا
كَيْمَا يَكُونُ إِلَى الْمَعَادِ مُشْمِراً
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ، يَا شَخْصَ الرِّضَا،

وَتَوَخَّ أَنْ تَسْتَنَّ فِي مَرَقَاتِهَا^(١).
رِفْداً بِهِ تَعْتَدُّ مِنْ طَبَقَاتِهَا^(٢).
فَتَضَوَّعَتْ دَارِينُ عَنْ جَدْرَاتِهَا^(٣)،
دَنَفِي وَصَدَّ النَّفْسَ عَنْ خَطَرَاتِهَا^(٤).
مِنْ دَمْعِهِ يَحْتَالُ فِي غَمَرَاتِهَا^(٥).
نَفْساً، فَتُقْلِعَ عَنْ قَبِيحِ سِنَاتِهَا^(٦).
وَيَكْفُفُ لِلْأَهْوَالِ مِنْ عَثَرَاتِهَا^(٧).
مَا دُمْتُ أَصْلَ رَشَادِهَا لِفُؤَاتِهَا^(٨)،

- = الذات (الشخصية الكريمة: أي محمد رسول الله). الأخص: باطن القدم. الغرفات جمع غرفة: أعلى
الأمكنة في الجنة. المقصود: إن الرسول أعلى مكاناً من هؤلاء في الجنة. أمّا المبشرون بالجنة فهم
عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو
عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد.
- (١) صفوة المختار (رسول الله): الذين اصطفاهم (اختارهم الرسول) وبشّروهم بالجنة. استنّ: سار مجده،
تلك.
- (٢) امتار: تزود. الرفد: العطاء. اعتدّ: صار معدوداً (في جماعة). ويجوز «تعتدّ» (بالبناء للمجهول).
(٣) يا طيباً (يا رسول الله) ضمّته (ضمّت جسده) طيبة (المدينة المنورة). المسكة: القطعة من المسك (مادة
طيّبة الرائحة). مسكة طيبة (تراب المدينة المنورة الطيب الطاهر). تضوّع: انتشر طيب الرائحة.
دارين: (مكان في الشام ومكان آخر في البحرين ذوا شهرة بوجود المسك. المجدرة (بفتح ففتح):
حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيّبة الرائحة).
- (٤) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت. الخطرة: ما يخطر في بال الإنسان (من عمل غير
حيد). يجوز: وصدّ (فعل ماض) النفس (مفعول به).
- (٥) الغمرة: لجة البحر، المكان الذي يكثر فيه الماء. يحتال: يسير بفخر وازدهاء. مع أن الناظم غريق في
دموعه (خوفاً من الذنوب التي اقترفها في حياته) فإنه سرور بهذا الدمع لأنه دليل على ندمه. وندمه
هذا مدعاة إلى مغفرة ذنوبه.
- (٦) ألق الرجل عن فعل ما: ترك ذلك الفعل. سناتها جمع سنة (بالكسر): النوم، ولا وجه له هنا. (إلا أن
يكون المقصود: نومها عن الأعمال الصالحة).
- (٧) المعاد: يوم القيامة. مشمراً: مسرعاً (إلى دخول الجنة) ويكف: يردّ. الأهوال: (يوم القيامة، مما يجعله
يعثر فيقع في جهنم).
- (٨) يا شخص الرضا (محمد رسول الله). الفواة جمع غاو: ضالّ. أصل رشادها (سبب رشادها وسبيله).

وَوَهَبَتْهَا الْمَأْمُولَ مِنْ طَلَبَاتِهَا وَوَقَيْتَهَا الْمَحْذُورَ مِنْ آفَاتِهَا،
وَخَصَّصَتْهَا عِنْدَ الْإِلَهِ بِحُطُوءٍ أَقْطَعَتْهَا فِيهَا جَزِيلَ هِبَاتِهَا.

٤ - زاد المسافر ١٥١ - ١٥٢؛ التكملة ٢٧١ (رقم ٥٥٦)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٥٧ - ٤٨٣
(رقم ١٢٣١)؛ المغرب ٢: ١٤٩ - ١٥٠؛ المطرب ٢٤١ - ٢٤٢؛ نفع الطيب ٣: ٥٠٦،
٤: ٢٧٨ - ٢٨٨؛ بروكلمن ١: ٦٥٨، الملحق ١: ٩١٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦):
(٢٨٠).

أبو بكر بن زُهر

١ - هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان
عبد الملك (ت ٥٥٧) بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي.
وُلِدَ أبو بكر بن زُهر سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) - وقيل سنة ٥٠٤ هـ - في
إشبيلية ونشأ فيها فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالْفِقْهِ.
وَلَا زَمَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْبَاجِيَّ سَبْعَ سَنَوَاتٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمُدَوَّنَةَ.
وأخذ أبو بكر بن زُهر صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٥٧ هـ) وِبَاشَرَ
أَعْمَالَهَا فَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ وَخَدَمَ بِهَا الْمُثَنَّمِينَ (سَلَاطِينَ الْمُرَابِطِينَ) فِي آخِرِ عَهْدِهِمْ ثُمَّ خَدَمَ
بِهَا سَلَاطِينَ الْمُوحِدِينَ. وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ سُلْطَانُ الْمُوحِدِينَ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ
(٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إِلَى مَرَّاكُشَ وَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا كَثِيرًا.
وكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي بَكْرٍ بنِ زُهرٍ قُبَيْلَ خِتَامِ سَنَةِ ٥٩٥ هـ أَوْ فِي ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) فِي
مَرَّاكُشَ - قِيلَ مَسْمُومًا.

٢ - أبو بكر بن زُهر طبيبٌ بَارِعٌ فِي الْمَعَالِجَةِ وَشَاعِرٌ مُكْتَبِرٌ مِنَ الْقَصِيدِ وَالْمَوْشَحِ.
وَلَقَدْ بَلَغَتْ مَوْشَحَاتُهُ دَرَجَةً مِنَ الْكَمَالِ أَصْبَحَتْ مَعَهَا نَمَازَجٌ لِلتَّوَشِيحِ الْبَارِعِ. وَشَعْرُهُ
جَيِّدٌ يَدُورُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْحِكَمِ وَالزُّهْدِ.

٣ - مختارات من شعره:

- الموشحة التالية لابن زُهر، وإن كانت أحياناً تُروى لغيره:

أُثِمَّا السَّاقِي، إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي! قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ.

★ ★ ★

وَنَدِيمٍ هَمَّيْتُ فِي غُرَّتِهِ
وَبُشْرَبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ.
كَلِمَا أَسْتَيْقِظُ مِنْ سَكْرَتِهِ
جَذَبَ الزِّقَّ إِلَيْهِ وَأَتَكَّى، وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ.

★ ★ ★

مَا لَعِينَنِي عَشِيَّتُ بِالنَّظَرِ:
أُنْكُرْتُ بِمَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ.
فَإِذَا مَا شِثْتُ فَاسْمَعْ خَبْرِي:
عَشِيَّتُ عَيْنَايَ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ، وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي^(١)!

★ ★ ★

غُصْنُ بَانٍ مَالٍ مِنْ حَيْثُ أَلْتَوَى؛
بَسَاتٍ مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرَطِ الْجَوَى
خَفِيقَ الْأَحْشَاءِ مُوْهَوْنَ الْقُوَى.
كَلِمًا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بِكُوى! وَبِحِمْ، يَبْكِي لَمَّا لَمْ يَقْعِ^(٢).

★ ★ ★

لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدٌ.

(١) عشي البصر يعنى: ساء البصر وضعف (في الليل وفي النهار).

(٢) البان شجر أغصانه سمراء ملء مستقيمة. الجوى: الحزن الباطن وحرقة الحب. فرط الجوى: زيادته فوق ما يحتمل الإنسان. البين: الفراق والبعاد.

يَا لِقَوْمِي، عَذَلُوا وَأَجْتَهَدُوا،
أُنْكِرُوا دَعْوَايَ مِمَّا أَجِدُ.

مثلُ حالي حقُّها أن تُشتكى: كمدُ اليأس وذلُّ الطمع^(١).

★ ★ ★

كَبِدٌ حَرَّى ودمعٌ يَكِفُ
يَنْزِفُ الدَّمْعَ وَلَا يَنْزِفُ.
أَيُّهَا الْمَعْرِضُ عَمَّا أَصِيفُ،

قد نما حي بقلبي وزكا. لَا تَخَلْ فِي الْحُبِّ أَفِي مُدْعِي^(٢).

- لَمَّا كَانَ أَبُو بَكْرُ بْنُ زَهْرٍ فِي مَرَاكُشَ، وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْ إِشْبِيلِيَّةَ، قَالَ يَتَشَوَّقُ
إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ وَإِلَى طِفْلِ لَهُ صَغِيرٍ خَاصَّةَ:

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرْخِ الْقَطَاةِ صَغِيرٌ تَخَلَّفَ قَلْبِي لَدَيْهِ؛
وَأَفْرَدْتُ عَنْهُ؛ فَيَا وَحْشِي لِذَاكَ الشُّخْنَصِ وَذَاكَ الْوُجَيْهِ.
تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقْتُهُ، فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ.
وَقَدْ تَعَبَ الشَّوْقُ مَا بَيْنَنَا: فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمِنِّْي إِلَيْهِ.

- وَلَهُ فِي النَّسِيبِ:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أَحَبَّتِي، طَابَ الْحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ.
أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَتِهِ؛ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ.
مَلَأَ الضُّلُوعَ وَفَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الْحَبِيبُ يَذُوبُ.
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِباً بِجَنَاحِهِ؛ يَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ؟

(١) عَذَلُوا: لَامُوا، عَتَبُوا. اجْتَهَدُوا: أَكْثَرُوا، بِالْفَوَا.

(٢) وَكَفَ السَّقْفُ: سَالَ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ. وَكَفَ الدَّمْعُ: زَادَ سَقُوطُهُ. يَنْزِفُ الدَّمْعَ وَلَا يَنْزِفُ: لَا يَنْتَهِي الدَّمْعُ، لَا يَكْفُ الدَّمْعُ عَنِ السَّلَانِ؛ أَوْ لَا يَنْزِفُ الدَّمْعَ (جَفَّ دَمْعُهُ لَطُولَ الْبُكَاءِ). نَا: زَادَ (بَعْدَ أَنْ كَانَ قَلِيلاً - نَا الزَّرْعَ: كَبُرَ وَهَاجَ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَلِيلاً صَغِيراً). زَكَ: طَهَّرَ (كَانَ بَرِيئاً طَاهِراً عَفِيفاً).

- وله في الغزل والنسيب:

رَمَتْ كِبْدِي أُخْتُ السَّاءِ فَأَقْصَدْتُ؛ أَلَا بِأَيِّ رَامٍ يُصِيبُ وَلَا يُخْطِي^(١).
قَرِيبَةً مَا بَيْنَ الْخَلَاخِيلِ إِنْ مَشَتْ، بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْقَلَادَةِ وَالْقُرْطِ^(٢).
نِعِمْتُ بِهَا حَتَّى أُتِيحَتْ لَنَا النَّوَى؛ كَذَا سَيِّمُ الْأَيَّامِ: تَأْخُذُ مَا تُعْطِي^(٣).
- وقال يَذْكُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ:

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ قَدْ جُلَيْتِ فَأَنْكَرْتُ مَقْلَتَايَ كُلَّ مَا رَأَتَا.
رَأَيْتُ فِيهَا شَيْخًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ، وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ قَتَى.
فَقُلْتُ: «أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا؟ مَتَى تَرَحَّلَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، مَتَى؟»^(٤)
فَأَسْتَضْحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُعْجَبَةٌ: «إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ مَقْلَتَاكَ أَتَى»^(٥).
كَانَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي: «يَا أَخِيَّ»، وَقَدْ صَارَتْ سُلَيْمَى تَنَادِي الْيَوْمَ: «يَا أَبْتَا!»

- ونظم أبياتاً لتُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَجَعَلَ فِيهَا إِشَارَةً إِلَى مَعَالِجَةِ الْمَرْضَى، وَأَنَّهُ قَدْ
آلَ إِلَى مَا كَانَ يَمَالِجُ النَّاسَ خَوْفًا مِنْهُ:

تَأَمَّلْ بِفَضْلِكَ، يَا وَاقِفًا، وَلَا حِظَّ مَكَانًا دُفِعْنَا إِلَيْهِ.
تُرَابُ الضَّرِيحِ عَلَى صَفْحَتِي كَأَنِّي لَمْ أَمْشِرْ يَوْمًا عَلَيْهِ^(٦).
أَدَاوِي الْأَنَامِ حَذَارَ الْمُنُونِ، فَهَا أَنَا قَدْ صِرْتُ رَهْنًا لَدَيْهِ^(٧).

(١) أخت (شبيهة) الساء (قمر الساء أو شمس الساء: فتاة بارعة الجمال). أقصدت: أصابت مقتلًا مني (هنا: جعلتني ميتاً في حبها).

(٢) تسير بخطى قصيرة، وعنقها طويل، وهذان من أوصاف الجمال عند العرب.

(٣) نعمت بها (تَنَمَّعت بِحَبَّهَا) حَتَّى (إِلَى أَنْ، ثُمَّ). تاج الشيء: عرض، ظهر (بعد أن كان خافياً). النوى: البعد والبعاد والفراق.

(٤) الذي كان بالأمس: الشباب - الوجه الأملس والشعر الأسود، الخ.

(٥) الذي أنكرته مقتلتك (عيناك): الشيخوخة والهرم: الوجه المفضن والشعر الأبيض، الخ.

(٦) صفحتي: صفحة وجهي، وجهي.

(٧) الأنام: جميع الناس. حذار: خوفاً من. المنون: الدهر، الموت. - شفيت كل الناس من المرض الذي قد يؤدي إلى الموت ثم لم أستطع دفع الموت عن نفسي.

- موشحة:

ما للمؤلّة من سُكره لا يُفيق؟ يا له سكران
من غير خمر! ما للكثير المشوق يندب الأوطان؟^(١)

★ ★ ★

هل تُستعاذ أياؤنا بالخليج ولياليننا؟
أو يُستفاد من النسيم الأريج مسك داريننا؟
وإذ يكاد حسن المكان البهيج أن يحيننا.
نهرٌ أظلّله دوحٌ عليه أنيق مورق فينان.
والماء يجري وعائمٌ وغريقٌ من جنى الرّيحان^(٢).

★ ★ ★

أو هل أديبٌ يُحيي لنا بالغروس ما كان أحلى،
مع الحبيب وصافيات الكؤوس فأسقني وآملا.
عيشٌ يطيب ومنزّة كالغروس عندما تجلى.
عيشٌ لعلّله يعود منه فريق كالذي قد كان:
أضفكُ فكرٌ تحذو به وتسوق هذه الألحان^(٣).

★ ★ ★

(١) المؤلّة (الذي فرّق الدهر بينه وبين ولده)، والذي حرّته (أو أحزنه) الأمر وحيره، وأذهب عقله.

(٢) كلمة يستفاد (بالبناء للمجهول، هنا) قلقة. نقول: استفاد الرجل مالاً: (اكتسبه). الأريج: الرائحة الطيبة. دارين مكان (في الشام، وفي البحرين) مشهور بالمسك. يجوز أن نقرأ البيت: أو يستفاد (بالبناء للمجهول) من النسيم الأريج (بالرفع: نائب فاعل) مسك (بالرفع: بدل من الأريج). أما التركيب الصحيح فيجب أن يكون: أو يستفيد مسك (فاعل) دارين أريجاً (مفعول به) من النسيم (الهواء الذي لا رائحة طيبة له، بل هو يستفيد الرائحة من النبات ذي الرائحة الطيبة؟). فينان: طويل الشعر، (وهنا) الواسع، المنبسط). الرّيحان: نبات ذو رائحة طيبة.

(٣) الفرس (بالفتح) الشجر المغروس وجمعه غراس (بالكسر) وأغراس (راجع القاموس ٢: ٢٣٤).

يا صاحِبِيَّا إلى متى تَعْذِلاني؟ أَقْصِرَا شَيْئَا،
 قد مِتُّ حَيًّا والمُبْتَلَى بالفَوَاقِي مَيِّتٌ حَيًّا.
 جَنَى عَلَيَّا عَذْبُ اللَّمَى والمَعَايِ، عَاطِرٌ رَيِّسَا.
 هِلَالُ كِلَّة، غَزَالُ أَنْسٍ يَفُوقُ سَائِرَ الْغِزْلَانِ.
 يا لَيْتَ شِعْرِي، هل لي إِلَيْهِ طَرِيقٌ أو إِلَى السُّلْوَانِ؟^(١)

٤-★★ معجم الأدباء ٨: ٢١٦ - ٢٢٥؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٩ - ٤٣؛ الذيل والتكملة ٦: ٣٩٨ - ٤٠٣ (رقم ١٠٧٦)؛ المطرب ٢٠٣ - ٢٠٧؛ المعجب ٦١ - ٦٣؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٤ - ٤٣٧؛ المغرب ١: ٢٦٦ - ٢٧٨؛ طبقات الأطباء ٢: ٦٧ - ٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٢٠؛ نفع الطيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥٣؛ ٣: ٢١١، ٤٣٤، ٤٦٨، ٧: ٩، ١١٥١١٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٨؛ بروكلمن ١: ٦٤٤، الملحق ١: ٨٩٣؛ نيكل ٢٤٨ - ٢٥١؛ مختارات نيكل ١٦٨ - ١٦٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٩ (٦: ٢٥٠)، بالنشأ ١٢٩، ١٥٧، راجع ٤٧١.

عبد المنعم بن الفرس

١- هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف بن سعيد بن هشام الخزرجي، ويُعرف بابن الفرس الفَرْنَاطِي. وَلِدَ سَنَةَ ٥٢٤ أو ٥٢٥ (١١٣٠ - ١١٣١ م) فِي غَرْنَاطَةِ. تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَعَلَى نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ (راجع صلة الصلة ١٧ - ١٨).

= والشاعر جمعها على «غروس» وعنى بها «مكاناً ذا شجر يذهب الناس إليه للزهوة». المنزه (يفتح فسكون ففتح): المكان البعيد. والشاعر عنى به «المنزّه» (مكان الزهوة). حدا السائق بالراكب (غنى له في أثناء السفر): ساق. هذه الألحان (الآيات من الشعر).
 (١) عدل: لام. أقصرا شيئاً: خففاً من لومكما شيئاً (قليلاً). اللمى: السمرة في الشفاء. «عاطر» (هنا) قلقة. يجب أن نقول: العاطر الرياً (فتختلف القافية حينئذ وتفتح الإضافة اللفظية). ورياً قلنا: عاطرأ (حال) ريأ (تمييز)، وفي ذلك تمحل. - غير أن هذا الصعب (مع جمال اللفظ فيه) من خصائص الموشح. الكلة: السرة. هلال (فتاة جميلة) كلة (محبوبة عن أنظار الناس). السلوان: النسيان، التسلي عما يحبه الإنسان.

وَلَيْ عَبْدُ الْمُنْعَمِ بْنِ الْفَرَسِ الْقَضَاءُ بِجَزِيرَةِ شُقْرُ ثُمَّ فِي وَادِي آشَ ثُمَّ فِي جَيَّانَ ثُمَّ فِي غَرْنَاطَةَ. وَعُزِّلَ عَنْ قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ رَدَّهَ الْمَنْصُورُ الْمُوَحِّدِي إِلَى قَضَائِهَا مُكْرَمًا وَأُضِيفَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِي الشَّرْطَةِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي سَنَةِ ٥٥٣ وَ ٥٦٦ (١١٧١ م) وَجَدْنَاهُ فِي مُرْسِيَّةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ بُعِيدَ ذَلِكَ فَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَتَصَدَّرَ لِلتَّعْلِيمِ فَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَفِي سَنَةِ ٥٩٥ حَدَّثَ لَهُ اضْطِرَابٌ جَسَدِي وَعَقْلِي وَكَثُرَ تَشَتُّتُ فِكْرِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ النِّسْيَانُ ثُمَّ ظَلَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي رَابِعِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٣/٢ م).

٢- كَانَ عَبْدُ الْمُنْعَمِ ابْنُ الْفَرَسِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ مُسْتَبْجِرًا فِي عَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: مِنَ الْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالأَدَبِ. وَكَانَ لَهُ عَدَدٌ مِنَ التَّأْلِيفِ: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ (وَهُوَ أَجَلُ الْكُتُبِ فِي مَوْضُوعِهِ حَسَنٌ مَفِيدٌ جَمَعَهُ فِي إِبَّانِ نَشَاطِهِ وَمُقْتَبَلِ حَيَاتِهِ وَفَرَعَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ فِي مُرْسِيَّةِ سَنَةِ ٥٥٣) - كِتَابُ فِي الْأُبْنِيَّةِ (الصَّرْفِ) - كِتَابُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا النُّحَوِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ - كِتَابُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ - رَدٌّ عَلَى رِسَالَةِ أَبِي غَرْسِيَّةَ (رَاجِعَ ٤: ٦٨٣ وما بعد) فِي تَفْضِيلِ الْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَصَرَ عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ (لِلْمَاوَرِدِيِّ؟) - نَاسِخُ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخُهُ لِابْنِ شَاهِينَ (صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٩) - كِتَابُ الْمُحْتَسِبِ لِابْنِ الْجَنِّيِّ (صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٩). وَكَانَ لَهُ نَثْرٌ وَنَظْمٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ فِي الْعِتَابِ بِالْإِتِّكَاءِ عَلَى إِشَارَةِ فَهْمِيَّةٍ:

مَا بَالُنَا مُتَمَهًّا وَدُنَا وَنَحْنُ فِي وَدِّكُمْ نَقْتَتِلُ
كَأَنَّكُمْ مِثْلُ فَقِيهِ رَأَى أَنْ يَتْرُكَ الظَّاهِرَ لِلْمُحْتَمَلِ!

٤- ★★ التَّكْمِلَةُ ٦٥١؛ الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ٥: ٥٨ - ٦٣ (رَقْمُ ١٢٩)؛ صَلَةُ الصَّلَةِ، ص ١٧ -

٢٠؛ البلغة ١٣١ - ١٣٢؛ المرقبة العليا (قضاة الأندلس) ١١٠؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ الديباج المذهب ٢١٨ - ٢١٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٧٣٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ - ٣١٨ (١٦٨).

ابن محشرة

١ - هو أبو الفضل محمد بن علي^(١) بن طاهر بن تميم القيسي، وُلِدَ في بِجَايَة سَنَة ٥٤٠ (١١٤٥ م) أو قَبْلَهَا بِمَدَّةٍ سِيرَةٍ. رَوَى عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْقَالِي وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَالِيُّ كَاتِبًا لِلسِّرِّ لِلْخَلِيفَةِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْقَالِيُّ أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ابْنِ مَحْشَرَةَ يَسْتَقْدِمُهُ. فَانْتَقَلَ ابْنُ مَحْشَرَةَ مِنْ بِجَايَةِ إِلَى مَرَّاكُشَ وَكَتَبَ لِأَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ ثُمَّ لِابْنِهِ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ مَحْشَرَةَ سَنَةَ ٥٩٨ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م).

٢ - كَانَ ابْنُ مَحْشَرَةَ أَكْبَرَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي الْجَزَائِرِ إِلَى جَانِبِ مُشَارِكَةٍ فِي عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ كَالْفِقْهِ وَسِوَاهُ. وَقَدْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- كَانَ مِنْ عَادَةِ ابْنِ مَحْشَرَةَ أَنْ يُبْطِئَ فِي بَحْثِهِ، إِذَا دَعَاهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يَوْسُفُ ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. وَلَمَّا عَاتَبَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ قَالَ لَهُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ. وَمَا أَظُنُّ أَنَّ مَحَلَّ الْإِقَامَةِ^(٢) إِلَّا كَمَحَلِّ الصَّلَاةِ. وَكَمَا آتَى إِلَى الصَّلَاةِ آتَى إِلَى هَذَا الْمَحَلِّ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) وَقِيلَ فِي سِيَاقَةِ نَسَبِهِ: أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْعَلِيِّ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ. وَقِيلَ أَيْضًا: أَبُو الْفَضْلِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ طَاهِرٍ بْنُ تَمِيمٍ - وَقِيلَ ابْنُ مَحْشُورَةَ (بِالْوَاوِ) مَكَانَ ابْنِ مَحْشَرَةَ (بِالرَّاءِ).

(٢) مَحَلَّ الْإِقَامَةِ (مَحَلَّ الْإِمَامِ الَّذِي يَقِمُّ الصَّلَاةَ: يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ).....

وسلم: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة. فما أدرکتُم فصلوا، وما فاتکم فأتموا».

- (لم أستطع الحصول على نسخة من رسائل ابن محشرة - راجع رقم ٤).

٤ - رسائل ابن محشرة (ليني بروفنسال)....

★ ★ راجع المعجب ١٧٦، ١٩٠؛ عنوان الدراية ٨٣ - ٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٦٥.

عبد الوهاب القيسي المنشي

١ - هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي المنشي (نسبة إلى المنشأة - وهي حصن بغربي مألقة) المألقي المعروف بابن الأصم. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م).

روى عبد الوهاب القيسي عن أبي العباس بن سيد وأبي عبد الله الحجاري وأبي عبد الله ابن الطراوة وأبي محمد القاسم بن دحان وأبي مروان عبد الملك بن مجبر. وقد أثر سُكنى البادية فلم تَتِمَّ له شهرة. ويبدو أنه أُنْتَقَلَ فيما بعدُ إلى سُكنى الحَضَرِ فنَزَلَ مَالِقَةَ لِيَقْصِدَ نَفْراً من الولاة.

ولما تُوَفِّيَ خطيبُ جامع مألقة، أبو عبد الله الإِسْتِجِيُّ تَوَلَّى عبد الوهاب القيسي الإمامة والخطابة مكانه ثم استمرَّ فيها إلى وفاته في رابعَ عَشَرَ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٨/٥ م).

٢ - كان عبد الوهاب القيسي فقيهاً ماهراً في عقد الشروط، كما كان عارفاً باللغة والنحو. وكان أديباً مُحَسَّناً مُجِيداً في النثر والنظم، له رسائلُ وخطبٌ ومقاماتٌ وأشعارٌ حُلُوَّةُ الأغراضِ طريفةُ الدُّعابة. وكان ناقدًا بصيراً. وله بيتان طريفان هما:

يا حدى هذه الخيَّاتِ جارة تَرى هَجْرِي وتَغْذِيي تجارة.
وكم ناديتُ: يا هذي، أَرْحَمِينَا، فَلَسْنَا بالحديدِ ولا الحجارة*!

★ في القرآن الكريم (١٧: ٥٠، سورة الاسراء): «قل: كونوا حجارة أو حديدًا....»

ولقد طَرَبَ لها أدباءٌ كثيرون وذَيَّلوها (زادوا عليها مثلها) ولكن لم يبلغْ أحدٌ إلى حُسْنِ بنائها ولا إلى خِفَةِ روحِها. ولقد اتَّفَقَ لعبدِ الوهَّابِ القيسيُّ أن يأتي بيتَه من لزوم ما لا يلزمُ بأربعةِ أحرفٍ (جاره) ثم في مضراعي البيتِ الأوَّلِ بخمسةِ أحرفٍ (ت جاره - تجاره). ويكثرُ لزومُ ما لا يلزم في قوافيه واسجاعه.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الوهَّابِ القيسيُّ في الموت:

الموتُ حَصَّادٌ بلا مِنجَلٍ يسطو على القاطنِ والمُنْجَلِي^(١).
لا يقبلُ العُذْرَ على حالةٍ: ما كان مِنْ مشكلٍ أو مِنْ جَلِي^(٢)!

- وكتب إليه أبو الحجاجِ بنُ الشيخِ في شأنِ بيتيه «ياحدى هذه الخيمات جارة»، فردَّ عبدُ الوهَّابِ عليه برسالةٍ منها:

إنَّ خليلًا لي من قُضاعة ذكّرني أيَّامِي المُضاعة،
إِذِ الهوى واللَّهُو لي بِضاعة. مهلاً! فذاك الدَّرّ قد أضاعة
خِلْكَ لم يَسْتَدِمِ ارتضاعه^(٣).

أيُّها الفاضلُ الحبيبُ، إلى متى هذا التفرُّلُ والنسيبُ؟ ألمْ تنفَذْ أيَّامُ الجهلِ؟ ألمْ يَعدِ الفَتَى كالكَهْلِ؟ أما، والله، لقد أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ، وآن أن يخافَ من العقابِ المُتفرِّلِ المراسِلِ^(٤).... ثم ما أنت وعهدُ ساكناتِ الخيامِ وان كانت مِنْ

(١) القاطن: المستقرّ في بلده. المنجلي (النازح عن وطنه).

(٢) كلمة «أو» زائدة في الوزن (ويستقيم الوزن إذا حذفنا التنوين من «مشكل»). المشكل: الغامض. الجلي: الواضح.

(٣) الدَّرّ (بالفتح): حليب الأم. إذا توقّف الطفل عن الرضاع من أمّه فإن حليب الأم ينقطع.

(٤) أحاطت...: أصبح الإنسان مكرهاً على السلوك الحسن. وأصبح الغزل الصريح (ذكر المحبوبة في الشعر ممنوعاً، يعاقب عليه المخالف. وكان عمر بن الخطاب قد منع التفرُّل الصريح. وقد نثر صاحب الترجمة ذلك من بيتين لأبي خراش الهذلي (توفي في خلافة عمر بن الخطاب، ١٣ - ٢٣ هـ). أمّا بيتنا أبي خراش فيها (حاشية للدكتور احسان عباس، في الذيل والتكملة ٥: ١٧١، ص ٨٤):

وليس كعهد الدار، يا أمّ مالك؛ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل.
وعاد الفتى كالكهمل: ليس بقائل سوى العسدل شيئاً، واستراح العواذل.

مباركات الأيَّام؟ كم تسألُ عن أنباءِ سعادَ سَعْدًا! هَلَّا قُلْتَ قَوْلَ الْأَلْبَا: سُحْقًا لِلْهُوَى
وَبُعْدًا!.... تعالِ، فَلْتَخْلَعْ تِلْكَ اللَّيِّنَاتِ مِنَ الْمَلَابِسِ، وَلْتَرْجِعْ عَنِ التَّرَهَّاتِ
الْبَسَابِسِ^(١). وَلْتَذَرِ الدِّيَارَ وَسَاكِنَاتِهَا وَلْتَقِرَّ الْأَطْيَارَ عَلَى وَكُنَاتِهَا^(٢) وَلْتَذْهَبْ فِي
مِنْهَاجٍ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ وَلْتَنْتَاهِبْ لَأَنْزَعَاكِ لَيْسَ يَسْعَى بِهِ الْجَمَلُ^(٣). هذا، والله، هو
الرأيُ السديدُ عند ذوي الرأيِ الحديدِ.... وقد ذَكَرْتَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الشُعَرَاءِ ذَيَّلُوا
بَيْتًا كَانَ عِنْدِي مَنبُودًا بِالْعَرَاءِ وَأُردْتُ أَنَّ أَقِفَ عَلَى أَيْبَاتِهِمْ وَأَعْرِفَ كَيْفَ تَفَاوُتُهُمْ
فِي غَايَاتِهِمْ. وَزَعَمْتَ أَنَّ لِي بَصْرًا بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ مَنْ سَارَ قَصْدًا أَوْ مَنْ حَادَ عَنْ
الطَّرِيقِ. فَسَأَقِفُ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ الْبَاعُ قَصِيرًا وَلَمْ يَكُنِ النَّاقدُ بَصِيرًا.... وَحَبْدًا
الْقَائِلُ (مِنْهُمْ):

شَرِيفُ الْحَبِّ لَيْسَ يُرِيدُ وَصْلًا سَوَى لَثْمٍ، فَصِلْ فِيهِ نِجَارَهُ^(٤).
هَذَا رَجُلٌ يَرْجِعُ إِلَى عَفَافٍ وَيَقْنَعُ بِكَفَافٍ. سَلَكَ فِي هَوَاهُ أَحَدَ طَرِيقِهِ وَقَنَعَ مِمَّنْ
يَهْوَاهُ بَجَّةَ رَيْقِهِ. لَيْسَ كَالْعَسَلِ الطَّالِبِ لِلنَّسْلِ^(٥). وَإِذَا تَمَادَتِ الْعِلَّةُ وَاسْتَدَّتْ
الْعُلَّةُ^(٦)، فَلَا شَافٍ كَارْتِشَافٍ وَلَا مُطْفِئٌ حَرِيقٍ كَرَشْفَةٍ رَيْقٍ.....
أَعَزَّكَ اللَّهُ. رَبِّمَا كَانَ فِي كِلَامِي بَعْضُ دُعَابَةٍ لَمْ أَذْهَبْ بِهَا إِلَى مَعَابَةٍ^(٧). فَلَكَ الْفَضْلُ
فِي بَسْطِ الْعُذْرِ لَدَيْنِهِمْ وَإِيصَالِ التَّحِيَّةِ إِلَيْهِمْ. ثُمَّ السَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْرَمُ عَلَى أَخِي
وَوَلِيِّي فِي اللَّهِ، الْفَقِيهِ الْأَجَلُّ أَيْ الْحَجَّاجِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٤- ★ ★ التكملة (رقم ١٧٧٧)؛ صلة الصلاة ٢٨ - ٣٠؛ الذيل والتكملة رقم ١٧١، (٥)؛
٧٥ - ٩٤)؛ نفح الطيب، راجع ٣: ٤٠٣، ٤: ٣٢٨.

(١) الترهات البسابس: الأباطيل (المعجم الوسيط ٥٥).

(٢) الوكنة (بضم فسكون): عش الطائر.

(٣) الانزعاج الانتقال. ليس يسعى (يقدر عليه) الجمال (للبعد والمثقة)، يقصد: الموت.

(٤) «صِلْ» (فعل أمر من «وصل»): اجعل ذلك متعلقًا. النجار (بكسر النون): الأصل (النيل).

(٥) عسل المرأة عسلا (بفتح فسكون): نكحها.

(٦) العلة: العطش.

(٧) المعابة: المييب.

صفوان بن إدريس

١ - هو أبو بحر صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التميمي المُرسي، وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٥٦١ هـ (١١٦٤ م). وتلقَى صفوانُ العِلْمَ على نفرٍ كثيرين من أهلِهِ وَمِنَ العُلَمَاءِ ؛ مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُغَاوِرٍ، وَأَبُو رَجَالِ بْنِ غَلْبُونٍ، وَأَبُو عَبَّاسِ بْنِ مَضَاءَ (سَمِعَ مِنْهُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ)، وَابْنُ بَشْكُوَالٍ، وَأَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رَشْدِ الْفِيلَسُوفِ. وكانت وفاة صفوان في سادسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٠ / ٧ / ١٢٠٢ م) في مُرْسِيَّةَ.

٢ - صفوان بن إدريس أديبٌ مشهور (نفع الطيب ٤ : ٤٧٥) فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بليغٌ وشاعرٌ وَجَدَائِيٌّ مُحْسِنٌ، حُلُوُ الْأَلْفَاظِ رَقِيقُ الْمَعَانِي سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ زَائِقُ الدِّيَابِجَةِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَرِيعُ الْخَاطِرِ. وشعرُهُ قصائدٌ وَمُقَطَّعاتٌ، وفنونه البديعيَّاتُ (في مدح الرسول). وله رثاءٌ أَكْثَرُهُ فِي آلِ الْبَيْتِ وَفِي الْحُسَيْنِ خَاصَّةً. وكذلك له غزلٌ بديعٌ وأوصافٌ أنيقة. وصفوان بن إدريس مُصَنِّفٌ، له: زادُ المسافرِ وَغُرَّةُ مُحْيَا الْأَدَبِ السَّافِرِ (تكملة لقلائد العُقَيان للفتح بن خاقان) - العُجَالَةُ (تتضمن طَرَفًا مِنْ نَثَرِهِ وشعره) - كتاب الرحلة - ديوان شعر. وفي شعره تَفَنُّنٌ فِي الْقَوَافِي أحياناً.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صفوان بن إدريس من بَدِيعِيَّةٍ (في مدح الرسول):

تَحِيَّةُ اللَّهِ وَطَيْبُ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ الْأَنَامِ؛
عَلَى الَّذِي فَتَحَ بَابَ الْهُدَى وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ^(١).
بَدْرُ الْهُدَى، سَحْبُ النَّدَى وَالْجَدَا؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَتَنَاهَى الْكَلَامَ^(٢).

(١) « ادخلوها بسلام » (كذا في الأصل)، وهي تضمين من القرآن الكريم. ويستقيم الوزن إذا قلنا: ادخلوها، سلام.

(٢) الندى: الكرم. الجدا: العطاء.

تَحْيَّةٌ تَهْزَأُ أَنْفَاسُهَا بِالسَّكِّ، لَا أَرْضَى بِمِسْكِ الْخِتَامِ*،
تَخْصُّهُ مِنِّي وَلَا تَنْتَنِي عَنْ آلِهِ الصَّيْدِ السَّرَاةِ الْكِرَامِ^(١).
وَقَدَّرَهُمْ أَرْفَعُ؛ لَكِنِّي لَمْ أَلْفِ أَعْلَى لَفْظَةً مِنْ كِرَامِ!

- وقال في الاعتماد على شفاعته رسول الله:

يَقُولُونَ لِي، لَمَّا رَكِبْتُ بَطَالَتِي رَكُوبَ فَتَى جَمِّ الْغَوَايَةِ مُعْتَدٍ:
«أَعِنْدَكَ مَا تَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ غَدًا؟» فَقُلْتُ: «نَعَمْ، عِنْدِي شَفَاعَةُ أَحْمَدٍ»^(٢).

- وقال يصف أغصان الأشجار (في روضة) تحركها الريح تحريكاً خفيفاً
فيتساقط شيء من أزهارها:

وَكَاثِمًا أَغْصَانُهَا أَجْيَادُهَا قَدْ قُلِدَتْ بِلَالِيءِ الْأَنْوَارِ^(٣).
مَا جَاءَهَا نَفْسُ الصَّبَا مُسْتَجِدِيًّا إِلَّا رَمَتْ بِدَرَاهِمِ الْأَزْهَارِ^(٤).

وقال يصف شجرة تهزها الريح وغيمة تلقي بشيء من حبات المطر على أطراف
البستان:

وَالسَّرْحَةُ الْغَنَاءُ قَدْ قَبَضَتْ بِهَا كَفُّ النَّسِيمِ عَلَى لِوَاءٍ أَخْضَرٍ^(٥).
وَكَاثِمًا شَكْلَ الْغَيْرِ مُنْخَلُّ فَضِيَّةٍ يَرْمِي عَلَى الْآفَاقِ رَطْبَ الْجَوْهَرِ.

- وقال في الغزل مع بعض المجنون والعفاف:

يَا حُسْنُهُ، وَالْحَسَنُ بَعْضُ صِفَاتِهِ؛ وَالسَّحَرُ مَقْصُورٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ.

(١) الصيد جمع أصيد (يسكون الصاد وفتح الباء): مائل العنق (من الاعتزاز بالقوة والمجد). السراة جمع سري: أحد كبار القوم وأعيانهم.

(٢) غدا (يقصد يوم القيامة).

(٣) الأجساد جمع جيد (بكسر الجيم): العنق. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهرة.

(٤) إذا هبت عليها ريح الصبا (الشرقية) تستجدي (تطلب منها شيئاً من الرائحة الزكية) رمت إليها (أعطتها) زهراً أبيض مستديراً (كالدرهم).

(٥) السرحة: الشجرة الكبيرة. الغناء: الناضرة (الكثيرة الورق). - تهزها الريح كأن الريح تحمل في يدها راية خضراء وتحركها بعنف.

(٦) الجوهر (هنا) حبات المطر.

بدرٌ، لو أَنَّ البدرَ قيلَ له: اقترَحْ
والحالُ يَنْقُطُ في صَحيفةِ خَدِهِ
وإذا هلالُ الأفقِ قابلَ وجهه
عَبَثْتُ بقلبِ مُجِبِّهِ لَحَظَاتِهِ؛
رَكِبَ المَائِمَ في أَنتِهَابِ نُفوسِنَا؛
ما زِلْتُ أَخْطُبُ للزَّمانِ وصالَهُ
فَغَفَرْتُ ذَنْبَ الدهرِ مِنْهُ بِلَيْلَةٍ
غَفَلَ الرقيبُ فَنِلْتُ مِنْهُ نَظْرَةً؛
ضاجِعَتُهُ، والليلُ يُذْكِ تَحْتَنَا
بِنِسا نُشْعِشُ، والعَفافُ نَدِيمُنَا،
حَتَّى إذا وَلَعَ الكَرَى بِجُفُونِهِ،
أَوْسَقْتُهُ في سَاعِدَيَّ لِأَنَّهُ
فَضَمَّتْهُ ضَمَّ البَخِيلِ لِمَالِهِ
عَزَمَ الغَرَامُ عَلَيَّ في تَقْبِيلِهِ
وَأبَى عَفَافِي أَنْ أُقْبِلَ ثَغْرَهُ؛

أَمَلًا لِقَالَ: أَكُونُ مِنْ هَالَاتِهِ.
ما خَطَّ جَبْرُ الصِدْغِ مِنْ نُونَاتِهِ^(١).
أَبْصَرْتَهُ كَالشَّكْلِ فِي مِرَاتِهِ.
يا رَبِّ، لا تَعَبْتُ عَلَى لَحَظَاتِهِ^(٢).
فَاللَّهُ يَجْعَلُهُنَّ مِنْ حَسَنَاتِهِ^(٣).
حَتَّى دَنَا - وَالْبُعْدُ مِنْ عَادَاتِهِ.
غَطَّتْ عَلَى ما كانَ مِنْ زَلَّاتِهِ.
يا لَيْتَهُ^(٤) لو دامَ في غَفَلَاتِهِ^(٥).
نَارَيْنِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ وَجَنَاتِهِ^(٦).
خَمَرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ^(٧).
وَأَمْتَدَّ في عَضْدِي طَوْعَ سِنَاتِهِ^(٨).
ظَنِّي خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنْ فَلَاتِهِ^(٩).
يَجْنُو عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ.
فَنَفَضْتُ أَيْدِي الطَّوْعِ مِنْ عَزَمَاتِهِ.
وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَرَمَاتِهِ.

- (١) النون (هنا) خصلة الشعر المعكوفة على الصدغ (الجانب الأعلى من الخد). الحال ينقطه في صحيفة خده « نقطة سوداء » تشبه لون شعره.
- (٢) لا تعبت (أ)، لعلها: لا تعبت (؟).
- (٣) ارتكب اثماً (ذنبا) لما انتهب نفوسنا (سلبنا نفوسنا، قتلنا بحبه). - نرجو الله أن يجعل ذنوبه هذه حسنات له (لكثرة حبا إياه).
- (٤) يا ليته لو دام (ليت الرقيب دام في غفلته عنا...).
- (٥) أذكي: أشعل.
- (٦) شعث: مزج (أمزج كلامه بشعري، أو شعري بكلماته).
- (٧) ولع الكرى (النوم) بجفونه: استغرق في نومه. العضد (الجزء الأعلى من الذراع). السنة (بكسر السين): الناس (أول النوم).
- (٨) أوسقته: جمعته (ضممته). الساعد: الجزء الأدنى من الذراع. - من عادة الظلي (الغزال) أن ينفر من الناس).

فَاغْجَبَ لِمُلْتَهَبِ الْجَوَانِحِ غُلَّةٌ يَشْكُو الظَّامَ وَالْمَاءَ فِي لَهَوَاتِهِ^(١)!

- ولصفوان بن إدريس قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

أَوْمِضْ بِبَرْقِ الْأَضْلَعِ وَأَسْكُبْ غَمَامَ الْأَدْمُعِ ،
وَاحْزَنْ طَوِيلًا وَاجْزَعْ فَهَوَ مَكْـ____انُ الْجَزَعِ .
وَانْثُرْ دِمَاءَ الْمُقْلَتَيْنِ تَالِمَا عَـ____لى الْحُسَيْنِ
وَأَبْكِ بَدْمَعِ دُونَ عَيْنِ إِنْ قَلَّ فَيَضُ الْأَدْمُعُ !

- وكتب صفوان بن إدريس إلى صديق له يعاتبه:

أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَدَّةَ الْأَخْرِ الَّذِي أَسْتَدِيمُ إِخَاءَهُ؛ وَإِنْ وَاجَهْتَنِي زَعَارِعُهُ أُرْتَقِبُ
رُخَاءَهُ . وَتَجَاوَزْتُ عَنْ يَوْمِهِ لَأَمْسِهِ وَأَغْضَيْتُ عَنْ ظِلَامِهِ لشمسه، إِنَاءً وَاعْتِنَاءً ،
وإنذاراً وإعذاراً . وَرَجِمَ اللَّهُ مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَفْهَامِ وَعَصَى أَوْامِرَ الْأَوْهَامِ ، وَرَأَى
الْخَلِيفَةَ فِي الْمَعْقُولِ لَا فِي الْمُخْتَلَقِ الْمَنْقُولِ . وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ وَصَلَ كَلَامُكَ بِلِ مَلَأْمُكَ ،
وَكِتَابُكَ بِلِ عِتَابِكَ ، وَرِسَالَتِكَ بِلِ بَسَالَتِكَ . أَسْمَعْتَنِي بِالْفَاظِكِ الْعِذَابِ سُوءَ الْعَذَابِ
وَأَرَيْتَنِي لَمَعَانَ الْحُسَامِ مِنْ فِقْرِكَ الْوَسَامِ

٤ - زاد المسافر، بيروت ١٩٣٩ م، (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد)، بيروت (دار الرائد العربي) (١٩٧٠ م).

★★ معجم الأدباء ١٢: ١٠ - ١٤، فوات الوفيات ١: ٢٤٥ - ٢٤٨، الذيل والتكملة ٤: ١٤٠ - ١٤٣ (رقم ٢٦٤)، المغرب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١، الوافي بالوفيات ٢: ٢٨٢ (في ترجمة محمد بن ثعلبة)، تحفة القادم ٨٢ - ٨٦، نفع الطيب ١: ١٧٠ - ١٧٥، ٤: ٨٧ - ٨٨، ٥: ٥٧ - ٧٤، ٦: ٢٥٣ - ٢٥٥، بروكلمان ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢، الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٥ (٢٠٥).

ابن عميرة الضبيّ

١ - هو أبو جعفر (وأبو العباس) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ

(١) . الغلّة: حرارة العطش . الظأ: العطش . لهوات جمع لهاء (يفتح اللام): أقصى الفم .

الْقُرْطُبِي، وُلِدَ فِي بِلْدَةِ بَلْشَ فِي الْأَغْلَبِ، وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). وَبَدَأَ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي لُورِقَةِ الْقَرْيَةِ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ (قِيلَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْعَاثِرَةَ). ثُمَّ إِنَّهُ تَطَوَّفَ كَثِيراً فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنْ سَكَنَهُ كَانَ فِي مُرْسِيَّةٍ وَقُرْطُبَةٍ. وَرَحَلَ ابْنُ عُمَيْرَةَ إِلَى الْمَشْرِقِ حَاجًّا وَلَقِيَ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ هَذِهِ نَفَرًا كَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُرْسِيَّةٍ، فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٩ (١٢٠٣/١/١٠ م).

٢- كَانَ ابْنُ عُمَيْرَةَ الضَّبِّيُّ مُحَدِّثًا كَثِيراً الرِّوَايَةِ صَحِيحَ النُّقْلِ ثِقَةً صَدُوقًا. وَكَذَلِكَ كَانَ مُؤَرِّخًا بَارِعًا حَسَنَ الضُّبْطِ لَمَّا يَنْقُلُ. لَهُ مِنَ الْكُتُبِ «مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ لِصَحِيحِ الْآثَارِ» - أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ - وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ (الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صَحِيحِ) الْبُخَارِيِّ وَ(صَحِيحِ) مُسْلِمٍ (مِمَّا كَانَا قَدْ اتَّفَقَا فِي رِوَايَتِهِ) (٢). غَيْرَ أَنَّ ابْنَ عُمَيْرَةَ الضَّبِّيَّ اشْتَهَرَ بِكِتَابِهِ: «بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّ فِي تَارِيخِ رِجَالِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ: عُلَمَائِهَا وَأُمَرَائِهَا وَشُعَرَائِهَا وَذَوِي النَّبَاهَةِ فِيهَا مِمَّنْ دَخَلَ إِلَيْهَا أَوْ خَرَجَ عَنْهَا مِمَّا وَشَى بِهِ رِيَاضُ الْحُمَيْدِيِّ (١) وَغَنَمَ وَأَلْحَمَ سَدَاهُ (٢) وَتَمَّمَ أَحَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَيْرَةَ الضَّبِّيَّ وَفَقَّهُ اللَّهَ». وَكِتَابُ «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ» تَتِمَّةٌ لِكِتَابِ «جُدُودِ الْمُقْتَسِبِ» لِلْحُمَيْدِيِّ وَتَنْبِيهِ عَلَى عَدِيدٍ مِنْ أَخْطَائِهِ. وَفِي «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ» كَلَامٌ وَجِيزٌ عَلَى فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَعَلَى مُلُوكِهَا (ص ٦ - ٣٥) ثُمَّ تَرَاوَجُ مُوجَزَةٌ - أَوْ مُوجَزَةٌ جِدًّا، فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ. وَمُعْظَمُ هَذِهِ التَّرَاوِجِ لِرِجَالِ الْعِلْمِ (الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ) وَقَلِيلٌ مِنْهَا لِرِجَالِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ مَقْدَمَةِ «بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ»:

... لَمَّا كَانَ النَّازِرُ فِي الْحَدِيثِ وَعِلْمِهِ مُفْتَقِرًا إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ رِجَالِهِ وَوَفَيَاتِهِمْ

(١) مُحَمَّدُ بْنُ فَتَّوحِ الْحُمَيْدِيِّ (ت ٤٨٨ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «جُدُودِ الْمُقْتَسِبِ». - هَذِهِ الْجُمْلَةُ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ فِي السَّجْعِ وَالْمُوازَنَةِ. وَأُظْهِرَ أَنَّ الْجُمْلَةَ قَدْ تَسْتَقِيمُ إِذَا قُرِئْنَا «رِيَاضُهُ».

(٢) نَعَمَ الْمُؤَلِّفُ كِتَابَهُ: نَقَشَهُ (لَوْنَهُ) وَزَخَرَفَهُ (زَيَّنَهُ). السَّدى (بِالْفَتْحِ) الْخِيُوطُ الَّتِي تَمُدُّ (عِنْدَ نَسْجِ الثَّوبِ أَوْ حِيَاكَتِهِ طَوَلًا) وَاللَّحْمَةُ (بِالضَّمِّ): الْخِيُوطُ الَّتِي تَمُدُّ عَرْضًا.

وَبُلْدَانِهِمْ، اسْتَحَرَّتْ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ (أَضَعَ كِتَابًا فِي) رُؤَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ
الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشَّعْرِ وَمَنْ لَهُ ذِكْرٌ مِمَّنْ دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ فِي
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالرَّئَاسَةِ وَالْحَرْبِ وَأَجْعَلَ (ذَلِكَ) مِنْ وَقْتِ افْتِتَاحِهَا وَالَّذِي
تَوَلَّى فَتْحَهَا وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُرْتَبًا ذَلِكَ عَلَى حُرُوفِ
الْمَعْجَمِ.

وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابٍ مِنْ تَقَدَّمَ كِتَابًا أَقْبَلَ^(١) مِنْ كِتَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ
الْحُمَيْدِيِّ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَى حُدُودِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى أَكْثَرِ مَا
ذَكَرَهُ وَزِدْتُ مَا أَغْفَلَهُ وَغَادَرَهُ وَتَمَّمْتُ مِنْ حَيْثُ وَقَفَ. وَجَعَلْتُ مَا اعْتَمَدْتُهُ مِنْ ذَلِكَ
تَذَكِيرًا لِنَفْسِي وَمُطَالَعًا لِأَنْسِي لَمْ أَلْتَمِسْ عَلَيْهِ مِنْ مَخْلُوقٍ عِوَضًا وَلَا طَلَبْتُ بِهِ مِنْ
أَعْرَاضِ الدُّنْيَا عَرَضًا^(٢)، جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ^(٣) تَارِكًا لِلتَّطْوِيلِ
وَالِإِكْثَارِ.

٤ - بغية الملتبس (تحرير كوديره)، مجريط (مطبعة روضح) ١٨٨٤ م؛ القاهرة (دار الكاتب
العربي) ١٩٦٧ م.

★ ★ التكملة لكتاب الصلة ١: ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٤٢)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٧٠٤ - ٧٠٥؛ بروكلين ١: ٤١٥ - ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٤
(٢٦٨)؛ سركيس ١٩٣؛ بالنشأ ٢٧٦ - ٢٧٧.

حمدة بنت زياد

١ - هي حمدة (أو حمدة) بنت زياد بن بَقِيٍّ الْعَوْفِيِّ الْمُؤَدَّبِ (أَوِ الْمُكْتَبِ) مِنْ
سَاكِنِي وَادِي الْحِمَّةِ بَقَرِيَّةٍ بِأَدْيِ قُرْبِ وَادِي آشَ، كَانَتْ تَلْمِيزَةً لِلْبَرَّاقِ (أَوِ ابْنِ

(١) اقرأ: أمثل (أحسن).

(٢) في الأصل: من أعواض الدنيا عرفاً.

(٣) بياض في الأصل. والكلمة مني.

البراق^(١) كما حَدَّثَتْ عَنْ أَبِي الْكَرَمِ جُودِي بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَدِيبِ^(٢). وَهِيَ مُعَاَصِرَةٌ لِنَزْهُون. وَلَعَلَّ وَفَاتَهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ ٦٠٠ (١٢٠٤ م).

٢ - حَمْدَةُ بِنْتُ زِيَادٍ نَبِيلَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْمَعَارِفِ، وَكَانَتْ بَرَزَةً (تَحْضُرُ مَجَالِسَ الرِّجَالِ) مَعَ صَوْنٍ وَعَفَافٍ وَنَزَاهَةٍ. وَهِيَ أَدِيبَةٌ بَارِعَةٌ مَشْهُورَةٌ وَشَاعِرَةٌ جَمِيعِ الْأَنْدَلُسِ وَخَنَسَاءِ الْمَغْرِبِ، مِنْ الْمُتَصَرِّفَاتِ فِي فَنُونِ الشَّعْرِ وَالْمُتَفَرِّغَاتِ الْمُتَعَفِّفَاتِ وَمِنْ طَبَقَةِ الْعَرَبِيَّاتِ (أَوَّلُكَ اللُّوَاقِي يُحَافِظْنَ عَلَى الْمَعَانِي الْعَرَبِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ). وَشِعْرُهَا وَجَدَانِي أَكْثَرُهُ الْغَزْلُ وَالْوَصْفُ. وَيَنْسَبُ الْأَنْدَلُسِيُّونَ إِلَيْهَا الْأَبْيَاتُ الْحَسَنَةُ:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ!

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْمَنَاذِرِيِّ^(٣) الْمَشْرِقِيِّ الَّذِي عَاشَ قَبْلَ حَمْدَةَ بِقَرْنٍ وَنَصَفَ قَرْنٍ. وَلَعَلَّ الَّذِي حَمَلَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَلَى حُبِّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّهَا وَصَفَتْ عَلَيْهِ نَفْحَةَ أَنْدَلُسِيَّةٍ!

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهَا:

- لِحَمْدَةَ بِنْتُ زِيَادٍ مُقْطَعَتَانِ مَشْهُورَتَانِ تَجْمَعَانِ إِلَى النِّسْبِ إِعْجَابًا بِجَمَالِهَا:

★★ أَبْسَاحَ الدَّهْرِ أَسْرَارِي بَوَادِي لَهُ فِي الْحُسْنِ آثَارُ بَوَادِي^(٤).
فَمَنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ، وَمَنْ رَوْضٍ يَطُوفُ بِكُلِّ وَادِي^(٥).
وَمِنْ بَيْنِ الطُّبَّاءِ مَهَاءُ إِنْسٍ سَبَتْ لُبِّي وَقَدْ مَلَكْتُ فُؤَادِي^(٦).

- (١) هُوَ الْأَدِيبُ أَبُو الْقَاسِمِ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَمْدَانِيُّ الْوَادِيَّيُّ أَشْجِي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ).
- (٢) رَاجِعْ مَعْجَمَ الْأَدْبَاءِ (١٠: ٢٧٤، فِي الْحَاشِيَةِ). ثُمَّ انْظُرِ الْإِحَاطَةَ (١: ٣٧٦ س). وَفِي بَنِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٢١٣): جُودِي بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُودِي بْنِ مُوسَى..... أَبُو الْكَرَمِ أَسْتَاذٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) وَالْأَدَبِ، شَاعِرٌ مَجِيدٌ، مَاتَ سَنَةَ ٦٣٣.
- (٣) أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْمَنَاذِرِيِّ (ت ٤٣٧ هـ) رَاجِعْ تَارِيخَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ٣: ١١٨ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ. رَاجِعْ مَنَاقِشَ نِسْبَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَلْبًا وَإِجَابًا فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٠: ٢٧٦ - ٢٧٧ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩. (٤) الْوَادِي: النَّهْرُ.
- (١) بَوَادِي: فِي بَادِي (الْقَرْيَةِ الَّتِي وَلَدَتْ حَمْدَةَ فِيهَا). بَوَادِي = بَوَادٍ (جَمْعُ بَادٍ: ظَاهِرٌ).
- (٢) الْمَهَاءُ: بَقْرَةُ الْوَحْشِ (نَوْعٌ مِنَ الطُّبَّاءِ كَبِيرَةِ الْعَيُونِ).

لَهَا لَخِظٌ تُرَقِّدُهُ لِأَمْرِ، وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي^(١).
 إِذَا سَدَلْتَ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي أَفْقِ الدَّادِ^(٢).
 كَأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ، فَمَنْ حُزْنٍ تَسْرَبَسِلَ بِالسَّوَادِ!
 وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلَّا فِرَاقَنَا وَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ،
 وَشَنُّوا عَلَى أَسَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ، وَقَلَّ حِمَايَ عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي،
 غَزَوْتَهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْنِكَ وَأَذْمُعِي وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ!

٤-★★ التكملة ٧٤٦ (رقم ٢١٢٠)؛ المغرب ٢: ١٤٥؛ معجم الأدباء ١٠: ٢٧٤ - ٢٧٨؛ تحفة القادم ١٦٢ - ١٦٣؛ المطرب ١١؛ الإحاطة ١: ٤٩٧ - ٤٩٨؛ فوات الوفيات ١: ١٨٨؛ نفح الطيب ٤: ٢٨٧ - ٢٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٠٥ (٢٧٤).

ابن الفرس (أو المهر) الغرناطي

١- هو أبو القاسم عبد الرحيم^(٣) بن إبراهيم بن محمد الحَزْرَجِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ المعروف بابن الْفَرَسِ أو بِالْمَهْرِ بنِ الْفَرَسِ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ - ١١٧٠ م) وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ صِهْرِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بنِ الْفَرَسِ (ت ٥٩٨ هـ) وَغَيْرِهِ^(٤). حَضَرَ ابْنُ الْفَرَسِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْمَنْصُورِ الْمُوحِدِيِّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يَغُضُّ مِنْ خِلَافَةِ الْمُوحِدِينَ وَيَكْشِفُ عَنْ طُمُوحِهِ هُوَ إِلَى الْإِمَامَةِ. ثُمَّ خَافَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ فَتَخَفَّى مُدَّةً. فَلَمَّا مَاتَ الْمَنْصُورُ الْمُوحِدِيُّ ظَهَرَ ابْنُ

(١) ترَقَّدَهُ: تَنَبَّهَ (تَجَمَّلَ لِحَظْهَا فَاتَرَأَى نَاعِيًا، وَهَذَا يُؤَثَّرُ فِي الْعَاشِقِينَ). وَهَذَا الْفِعْلُ يَجْعَلُنِي زَادًا حَبًّا لَهَا وَسَهْرًا فِي التَّفَكُّيرِ فِيهَا.

(٢) سَدَلَ وَأَسَدَلَ: أَرَخَى السَّيْرَ. الدَّادُ (الليالي لِثَلَاثِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الشَّهْرِ) تَكُونُ مَظْلَمَةً جَدًّا. رَأَيْتَ (وَجْهَهَا) فِي الدَّادِ (بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّسَاءِ الْأَخْرِيَّاتِ).

(٣) فِي بَغِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٣٠٥): عَبْدِ الرَّحِيمِ بنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ. وَفِي الْاسْتَقْصَا (١: ١٩٠): عَبْدِ الرَّحِيمِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

(٤) وَكَذَلِكَ تَلَا (الْقُرْآنَ؟) عَلَى ابْنِ عَرُوسٍ (؟) وَأَخَذَ النُّجُوعَ عَنْ ابْنِ مَسْعَدَةَ (؟) - رَاجِعِ بَغِيَةِ الْوَعَاةِ ٣٠٥.

الفرس ودعا إلى نفسه في قبائل البربر جنوبَ مدينة مَرَاكش، إذ ادّعى أَنَّهُ المَهْدِيُّ المنتظرُ أو أَنَّهُ القَحْطَانِي (الذي ذَكَرَ في الحديث أَنَّهُ سَيَبْعُثُ قبل أن تقوم الساعة). فحاربه الناصرُ الموحِّدِيُّ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) ثم غَدَرَ به جَمَاعَةٌ وَقَتَلُوهُ وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى مَرَاكُشَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢- جاء في «بُغْيَةِ الوُعَاة» (ص ٣٠٥): كان ابنُ الفرس «فقيهاً جليلاً القَدْرِ رفيعَ الذِّكْرِ عارفاً بالنحو واللغة والأدب، باهرَ الكِتَابَةِ رائقَ الشُّعْرِ، سريعَ البَدِيَةِ، تَفَقَّهَ وَمَهَّرَ في العَقْلِيَّاتِ والعلومِ القديمة». وكذلك كان شاعراً مطبوعاً ووَّشَّاحاً.

٣- مختارات من شعره:

- مُوشَّحَةٌ مشهورةٌ لعبدِ الرحيمِ بنِ الفَرَسِ الفَرْنَاطِي (المغرب ١٢٢: ٢):

يَا مَنْ أَغَالِبُهُ وَالشَّوْقُ أَغْلِبُ
وَأُرْتَجِي وَصَلْتَهُ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ،
سَدَدَتْ بَابَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ مَطْلَبِ.
زُرْنِي وَلَوْ فِي الْمَنَامِ وَجُودُ وَلَوْ بِالسَّلَامِ
فَأَقْلُ الْقَلِيلِ يُبْقِي ذِمَاءَ الْمُسْتَهَامِ^(١).



كَمْ ذَا أَدَارِي الْهَوَى وَكَمْ أَعَانِيهِ!
وَلَوْ شَرَخْتُ الْقَلِيلَ مِنْ مَعَانِيهِ
أَمْلَأْتُ أَسْهَاطَكُمْ مِمَّا أَرَانِيهِ.
هَيْهَاتَ، بَاعُ الْكَلَامِ مَا إِنَّ يَفِي بِغَرَامِ^(٢).

(١) الذمء: بقية الحياة في البدن. المستهام: الذي اضطرب عقله وتحيّر ثم هام (سار على غير هدى) على وجهه (من الحب).

(٢) الباع: مسافة ما بين أصابع اليد اليمنى وأصابع اليد اليسرى إذا مدَّ الإنسان ذراعيه في خطٍّ مستقيم. باع الكلام (بجال الكلام).

أَيْنَ قَالَ وَقِيلَ عَنْ زَفَرِي وَهِيَامِي^(١) ؟

★ ★ ★

أَمَّا هَوَاكُم ففِي قَلْبِي مَصُونٌ

لَيْسَتْ مُرْجَمَةً فِيهِ الظَّنُّ.

إِنْ لَمْ أَصْنُ لَهُ أَنْبَا فَمَنْ يَكُونُ؟*

نَزَّهَتْ فِيهِ مَقَامِي عَنْ خَوْضِ أَهْلِ الْمَلَامِ .

أَيْنَ مَنِّي جِيْلٌ وَعُرُوَّةٌ بَنُ حَزَامٍ؟^(٢)

- تَحْيَلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ الْفَرَسِ نَفْسَهُ الْمَهْدِيَّ صَاحِبَ الْوَقْتِ (الَّذِي يَجِيءُ فِي

آخر الزمان ليملا الدنيا عدلاً) فقال يُخاطبُ أبناءَ عبدِ المؤمن بن عليّ (مؤسسِ دولةِ الموحّدين):

تَاهَبُوا لَوْقُوعِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ^(٣).

وصاحبُ الوقتِ والغلابُ للدُّولِ^(١).

والأمرُ والنهيُ نحو العلم والعمل.

والله خاذِلُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ.

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي :

أَتَاكُمْ خَيْرُ قَحْطَانٍ وَعَالِمُهَا

والناس طوعُ عَصَاهُ وَهُوَ قَائِدُهُمْ،

فبادِرُوا أَمْرَهُ، وَاللَّهُ نَاصِرُهُ:

- وقال (وعلى قوله نفحة دينية):

وبارقةً من جانب اللطف تُلَمَحُ.

فَأَقْرَعْ أَبْوَابَ الْغُيُوبِ فَتُفْتَحْ ★ ★ .

وَيُظْهِرُ لِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتْلَحُّ.

عسى عطفة من جانب القدس تسمع

عسى الله يُدِينِي إِلَى سَاحَةِ الرِّضَا

وما زالَ فضلُ اللهِ يَغمرُ سَاحتي

(١) الزفرة: النفس الحارّ (من الحزن...). الهيام (بالضمّ) - راجع الحاشية قبل السابقة.

(٢) جميل بن معمر (بفتح فسكون ففتح) أو جميل بئينة ثم عروة بن حزام (بالكسر) من الشعراء المشاق

في العصر الأموي. ★ لعل: فمن يصون.

(٣) أبناء عبد المؤمن بن عليّ: سلاطين الموحّدين. الجلل: العظيم.

(٤) صاحب الوقت: التغلب على أهل زمانه (بحقه في الخلافة) * * * تفتح (حقها النصب).

إلى الملاء الأعلى سَمَوْتُ بِهَمِّي كَذَلِكَ شَأْنُ الشَّكْلِ لِلشَّكْلِ يَجْنَحُ^(١).

- ومن معانيه الجميلة في موشحة له ذكر فيها الخمر فقال (المغرب ١ : ٢٧٧):

نَفْضُ مِسْكَ الحِتَامِ عن عَسْجَدِي المَدَامِ!
وَرِداءُ* الأصيلِ تَطْوِيهِ كَفُّ الظلامِ.

٤-★★ المغرب ١ : ٢٧٧، ٢ : ١١١، ١٢٢، الحلة السراء ٢ : ٢٧٠ - ٢٧٢؛ بغية الوعاة ٣٠٥؛ نفع الطيب ٤ : ٨، راجع ٣ : ٢٠٤؛ الاستقصا ١ : ١٩٠ - ١٩١؛ نيل الابتهاج ١٧٧.

أبو جعفر الذهبي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج الذهبي البلسي، من أهل قرطبة، وكان أحد أجداده قد اشتغل بتذهيب الكتب فجاءت هذه النسبة إلى أسرته.

وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتلقَى العِلْمَ على ابن مضاء وأبي عبد الله بن حميد وأبي الطاهر بن عوف ثم دخل في خدمة السيد أبي الحسن علي بن أبي حفص بن عبد المؤمن والي غرناطة. وكان صديقاً للفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) فلما ثار العامة على ابن رشد وأراد المنصور الموحدي أن يرضاهم فنفى ابن رشد، استتر أبو جعفر خوفاً من الطلب. ثم رضى المنصور على ابن رشد وقرب أبا جعفر. ويبدو أن أبا جعفر قد قضى مدة في مراكش طبيباً في بلاط المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) وفي بلاط خلفه محمد الناصر. وكان مرة مع الناصر في الأندلس فتوفي، سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) وهما راجعان إلى مراكش.

٢- كان أبو جعفر الذهبي متفناً في العلوم ومحيطاً بكثير من علوم الفلسفة، كما كان طبيباً ماهراً ومشاركاً في عدد من علوم الشريعة. ثم إنه كان شاعراً مقللاً

(١) يجنح: يميل. ★ لعلها: وذا رداء الأصيل.

مُحْسِنًا، وَلَكِنَّ الفَلَسَفَةَ غَلِبَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «عَالَمُ النِّقْصِ لَا تَكُونُ فِيهِ الْكَمَالَاتُ».

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي جعفرٍ الذهبيِّ مُقْطَعَاتٌ مِنْهَا:

★★ أُمُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي قَدْ هَدَانِي	نَحْوَ مَنْ قَدْ حَمِدْتُهُ بِاخْتِيَارِي،
شَكَرَ اللَّهَ مَا أُتَيْتَ وَجَازَا	كَ، وَلَا زِلْتَ أَيَّ نَجْمٍ سَارِ ^(١) ،
أَيَّ بَرْقٍ أَفَادَ أَيَّ غَمَامٍ،	وَصَبَاحٍ أَدَّى لِضَوْءِ نَهَارِ ^(٢) .
وَإِذَا مَا غَدَا النَّسِيمُ دَلِيلِي	لَمْ يُحِلْنِي إِلَّا عَلَى الْأَزْهَارِ ^(٣) !
★★ أَنْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ لَا تُنْكِرُ السُّقَا	مَ، فَمَا ذَاكَ مُنْكَرٌ فِي الْعَيُونِ ^(٤) .
★★ نُسْرُ بِالْأَعْيَادِ، يَا وَيْحَنَا!	وَكُلُّ عِيدٍ قَدْ تَوَلَّى بَعَامَ ^(٥) .
وَالْعُمُرُ دُرٌّ فِي نِظَامٍ، وَهَلْ	نَفَرَحُ أَنْ يَنْقُصَ دُرُّ النِّظَامِ ^(٦) ؟
مَا فِي الْبَرَايَا عَاقِلٌ؛ كُلُّهُمْ	يَرْدَى وَلَمْ يَعْمَلْ حَسَابَ الْفِطَامِ ^(٧) .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى،	فَهَذِهِ حِكْمَتُهُ فِي الْأَنَامِ.

(١) أيّ نجم: نجم عظيم. الساري: السائر في الليل. النجم الساري (الذي ينتقل في السماء فيستدلّ الناس بحركته على الزمان - بخلاف النجم الثابت في رأي العين).

(٢) أي برق (عظيم تبعه رعد شديد) أفاد أي غمام (أي: مفعول به من «أفاد») جعل الغيم يسقط مطراً (كثيراً).

(٣) أحال الرجل صديقه على الشيء: أقبل، جاء به، دله على.

(٤) في هذا البيت كنايات وتوريات متداخلة: (أنت عين الزمان: أنت من الزمان بمكان العين، أنفس شيء فيه - وعين الزمان: من كبار القوم والمشهورين). لا تنكر السقم (فعل طلب وأمر) - كان المخاطب مريضاً، وكان الشاعر يعود (يزوره في مرضه) - فما السقم في العيون (الطبيعية، أي النفس) منكراً (غير مألوف) بل هو مستحب.

(٥) بعام = بمضي عام من عمر الإنسان.

(٦) در: لؤلؤ. النظام: الخيط الذي يجمع الدرّ عقداً.

(٧) يردى (١) يهلك (بكسر اللام).

★★ كُنْتُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْأَرَضِ عَلَى مِقْدَارِ فَهْمِي^(١)،
 مُفْرَدًا فِيهِ مُخَلَّى فَارِغًا مِنْ كُلِّ خَصْمٍ^(٢).
 فَدَعَا بِي ثُمَّ قَالُوا: عَلَّمْتُ فِي كُلِّ عِلْمٍ.
 عَرَضُونِي لِلْبَلَايَا أَتَلَقَّى كُلَّ سَهْمٍ.
 يَا لَقَوْمِي، أَتَعْبُوا فِي قَصْدِهِمْ رُوحِي وَجِسْمِي.

★★-٤ الفصوص الياضية ٣٦ - ٤١؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، ٤١١؛ طبقات
 الأطباء ٢: ٨١؛ المغرب ٢: ٣٢١؛ بغية الوعاة ١٤٤؛ راجع الأعلام للزركلي ١:
 ١٦٠ (١٦٧).

أبو العباس السبتي

١- هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، وُلِدَ فِي سَبْتَةِ، سَنَةِ
 ٥٢٥ هـ (١١٣١ م). وَنَزَلَ مَرَاكُشَ وَسَكَنَهَا فِيهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ -
 ١٢٠٥ م).

٢- كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّبْتِيُّ رَجُلًا صَالِحًا عَالِمًا مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، وَكَانَتْ لَهُ بَسْطَةٌ
 فِي اللِّسَانِ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْكَلَامِ قَوِيَّ الْحُجَّةِ فِي الْمُنَازَعَةِ ذَا تَأْثِيرٍ فِي النَّاسِ عَامَّةً وَفِي عَوَامِّ
 النَّاسِ خَاصَّةً. وَقَدْ رُوِيَ لَهُ كَرَامَاتٌ هِيَ مِنْ بَابِ الْأَعَاجِبِ. هَذِهِ تُقَسَّمُ فِي الْحَقِيقَةِ
 قِسْمَيْنِ: قِسْمًا يَعُودُ إِلَى ثَبَاتِ نَفْسِهِ وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهِ فِي النَّاسِ، ثُمَّ قِسْمًا هُوَ مِنْ بَابِ الرُّوَايَاتِ
 الَّتِي لَا تَثْبُتُ عَلَى مِحَاكٍ الْمُنَاطِقِ وَالْوَاقِعِ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ يَتَمَتَّعُ بِشُهْرَةٍ وَتَأْثِيرٍ كَبِيرَيْنِ.

(١) عَلَى مِقْدَارِ فَهْمِي (الْحَقِيقِيُّ لِلْحَيَاةِ وَأَنْ لَا رِيحَ فِي مَعَاشِرَةِ عَوَامِّ النَّاسِ).

(٢) مُفْرَدٌ (بَعِيدٌ عَنِ النَّاسِ) مُخَلَّى (مِنْ التَّبَعَاتِ وَتَكَالِيفِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ).

٣ - مختارات من آثاره:

- إِنَّا سُمِّيَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمَ عَرَفَةَ^(١) لَأَنْتَشَارَ الرَّحْمَةُ فِيهِ لِمَنْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ^(٢) بالطاعات.

- مَا أَمُرُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ. وَإِنِّي لَمَّا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَقَعْتُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَخَّارِ، تَلْمِيزِ الْقَاضِي عِيَّاضٍ، وَنَظَرْتُ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ وَبَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَدْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » فَتَدَبَّرْتُ (مَعْنَى ذَلِكَ) وَقُلْتُ: أَنَا مُطْلُوبٌ بِهِ (بِهَذَا الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). فَلَمْ أَزَلْ أُبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى أَنَّهَا (أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ) نَزَلَتْ حِينَ أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ حُكْمَ الْمَوَاخَاةِ فَأَمَرَهُمْ بِالْمُشَاطَرَةِ^(٣). فَفَهِمْتُ أَنَّ الْعَدْلَ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمُشَاطَرَةُ..... فَعَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى نِيَّةً أَنْ لَا يَأْتِيَنِي شَيْءٌ إِلَّا شَاطَرْتُ فِيهِ الْفُقَرَاءَ. فَفَعَلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً، فَأَثْمَرُ لِي الْحُكْمُ بِالْخَاطِرِ فَلَا أَحْكُمُ عَلَى خَاطِرِي بِشَيْءٍ إِلَّا صَدَقَ. فَلَمَّا أَكْمَلْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً رَاجَعْتُ تَدَبَّرَ الْآيَةَ فَوَجَدْتُ الشُّطْرَ هُوَ الْعَدْلُ. وَالْإِحْسَانُ مَا زَادَ عَلَيْهِ. فَعَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ نِيَّةً (أَنْ) لَا يَأْتِيَنِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا أَمْسَكْتُ ثُلُثَهُ وَصَرَفْتُ الثُّلُثَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى. فَفَعَلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً فَأَثْمَرُ لِي الْحُكْمُ فِي الْخَلْقِ^(٤) بِالْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ فَأُولَى مَنْ شِئْتُ وَأَعَزَلُ مَنْ شِئْتُ.....

- أَصْلُ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْإِحْسَانُ، وَأَصْلُ الشَّرِّ فِيهَا الْبُخْلُ.

٤-★★ تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، تأليف ابن الموقت، فاس ١٩١٨ م.

(١) يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة): يوم الحج.

(٢) إليه (إلى الله).

(٣) لما هاجر المسلمون الأوّلون من مكّة إلى المدينة، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاطر الأغنياء من أهل المدينة إخوانهم الفقراء من أهل مكّة أموالهم (أن يعطي كلّ غنيّ مدّي) أخاه المكيّ الفقير نصف ماله.

(٤) في الخلق: في الناس (أصبحت لي سلطة على التأثير في أحوال البشر بإذن الله).

نفع الطيب ٣: ٩٩ - ١٠٠، ٧: ٢٦٦ - ٢٧٩؛ نيل الابتهاج ٥٩ - ٦٣؛ النبوغ المغربي ١٥٠ - ١٥١؛ الأعلام للزركلي (١: ١٠٧) مع الإشارة إلى أنّ ترجمة السبتيّ هذا تقع في كتاب «الإعلام بمن حلّ مرآكش وأغمت من الأعلام» تبلغ مائة صفحة (١: ٢٣٩ - ٣٣٨).

الحكيم الجلياني

١ - هو أبو الفضل عبد المنعم - وقيل: محمد عبد المنعم (نفع الطيب ٢: ٦٣٥، راجع ٦٣٦، السطر الثالث من أسفل) - بنُ عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضير بن مالك بن حسن الغساني المالقي الجلياني الوادي آشيّ الأندلسي، وُلِدَ في سابع المحرم من سنة ٥٣١ (١١٣٦/١٠/٥ م) في قرية جليانة من أعمال وادي آشي (قُرب غرناطة).

جاء الحكيم الجلياني إلى المغرب ثم رحل إلى المشرق وأقام في دمشق مدة طويلة واتصل بصلاح الدين الأيوبي ومدّحه بعددٍ من القصائد؛ مدحه سنة ٥٨٦ هـ بقصيدة وأرسلها إليه فوصلت في صفر من سنة ٥٨٧ (آذار - مارس ١١٩١ م) وهو مُحاصِرُ الفرنجة في عكا. ويبدو أنّ الجلياني قد تطوَّفَ كثيراً في الشام وصار طبيب المارستان (المستشفى) السلطاني. ثم دخل بغداد، سنة ٦٠١ هـ. وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٠٣ هـ في الأغلب (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م).

٢ - كان الحكيم الجلياني بارعاً في الطب وفي التحكيل (طبّ العيون) خاصّة، مُلمّاً بالرياضيّات والفلسفة، وكان يُعاني صناعة الكيمياء. وكذلك كان له كلامٌ في التصوّف، وقد عُرفَ بلقب «حكيم الزمان». ثمّ إنّهُ كان أديباً ناثراً شاعراً. ولم يكن شعره كثير الرونق، ولكنّه كان يجيدُ المقطّعات وخصوصاً ما يتناول منها الأغراض الحكميّة. وكان يطيلُ قصائد المديح غير أن مدائحه عاديّة.

وللحكيم الجلياني عددٌ من الكتب منها عشرة كتب هي (طبقات الأطباء ١٦١٢): «ديوان الحكيم وميدان الكلم» يشتمل على الإشارة إلى كلّ غامض

المدرک من العلم وإلى کلّ صادق المنسک من العمل وإلى کلّ واضح المسلك من الفضيلة (وهو نظم) - ديوان المُشَوَّقات إلى الملأ الأعلى (نظم) - ديوان أدب السلوك، وهو كلام مُطلق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المُبَصِّرَات - نواذرُ الوحي، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معانٍ من القرآن العظيم ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم - تحرير النظر، وهو يشتمل على كلمات حِكْمَةٍ مفرداتٍ في البسائط والمرکبات والقوى والحركات - سرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب - ديوان المبشرات والقدسيّات (وهو نظم وتدييج وكلام مطلق يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين...) (١) - ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيت وما يتّصل بها منظوماً - ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأوصاف وزجريات (!) وأغراض شتى منظوماً - ديوان ترسل ومخاطبات في معانٍ كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية. ثمّ له: منادح المادح - وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين (ألفه سنة ٥٦٩ هـ) - تعاليق في الطبّ - صفات أدوية مركّبة - جامع أغاظ السائل (٢) في العروض والخطب والرسائل - نهج الوضاعة لأهل الخلاعة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الحكيمُ الجليانيُّ في أمر الدنيا والناس:

ألا إنّما الدنيا بحارٌ تلاطمت؛ فما أكثرَ الفرقى على الجنّاتِ.
وأكثرُ من لاقيتُ يُغرِقُ إلفه، وقلّ فتى يُنجي من الفمّرات (٣).

- وقال في مثل ذلك:

فأبحسُ شيءٌ حِكْمَةً عند جاهلٍ؛ وأهونُ شخصٍ فاضلٌ عند ظالمٍ.

(١) لعلّه كتاب « المدبّجات » (في مدائح صلاح الدين).

(٢) كذا في نفح الطيب (٢: ٦١٤). لعلّها: المسائل.

(٣) الإلف (بكسر الهمزة): الأليف، العشير، الرفيق. الغمرة: معظم الماء من البحر. - كلّ إنسان يحاول أن يهلك الآخرين، ويندر أن يحاول إنسان إنقاذ غيره من مصائبه.

فلو زُفَّتِ الحسَناءُ للذئبِ لم يكن يُرى قُرْبُها إِلَّا لأكلِ المعاصمِ^(١)

- وله قصيدة طويلة يمدحُ بها صلاحَ الدين منها:

فَأَنْتَ الَّذِي أُنْقِضْتَ حِزْبَ مُحَمَّدٍ جِهَاداً وَهُمْ فِي غَفْلَةِ الْمُتَنَاوِمِ .
فَعَارِبْتَ لِلْإِيمَانِ لَا لَضَعَائِنِ ، وَرَابَطْتَ لِلرِّضْوَانِ لَا لِلْمَغَانِمِ^(٢) .
فَدَارُكَ ، وَالْأَيْطَالُ ثَارَتْ حِيَالُهَا ، مَقَرُّ سُرُورٍ فِي مَقَرِّ مَأْتَمٍ^(٣) .
فَهَجَّرْتَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِقَائِلٍ ، وَبَيَّتَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِنَائِمٍ^(٤) ؛
وَأَرْجَفْتَ رُومًا إِذْ خَرَقَتْ فِرْنَجَةَ فَكَانُوا غُشَاءً فِي سُيُولِ الْمَزَامِ^(٥) .
أَفَاتَحَ بَيْتَ الْقُدْسِ ، سَيْفُكَ مِفْتَاحُ لِقْفَلِ الْهُدَى مِفْلَاقُ بَابِ الْمَأْتَمِ^(٦) .
فَأَطْلَقْتَ تُرْكَأً فِي ظُهُورِ سَوَايِحَ ، وَأَغْرَبْتَ شِرْكَأً فِي بُطُونِ الْقَشَاعِ^(٧) ؛
غَدَاةَ قَدَحَتِ الْبَيْضُ فِي آلِ أَصْفَرٍ فَلَمْ يَبْقَ زَنْدٌ مِنْهُمْ فِي مَعَاصِمِ^(٨) .

(١) - لو زَوَّجْنَا امْرَأَةً حَسَنَاءَ لَمَا وَجَدَ فِيهَا فَائِدَةً إِلَّا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا .

(٣) رابط: أقام على حدود البلاد الإسلامية مدافعاً عنها. الرضوان: رضا الله .

(٤) دارك: منزلك (البلاد التي تحكمها). حياها: إزاءها، بجانبها (حولها، فيها). مَقَرُّ سُرُورٍ (لنومك) في قلب مَقَرِّ الْمَأْتَمِ (للإفرنج الصليبيين الذين كانوا يحاربون في فلسطين).

(٥) هَجَّرَ: سار (عمل، حارب) في المهجر (وقت الحرّ، ظهراً). قائل: من قال يقيل (نام بعد الظهر، ارتاح). بَيْتُ الْقَائِدِ جَيْشُ أَعْدَائِهِ (أعدّ خطة في الليل للمهجوم في الصباح). - إِنَّهُ لَا يَرْتَاحَ لَيْلاً وَلَا نَهَاراً. بَيَّتَ أَيْضاً: حارب في الليل.

(٦) خَرَقَتْ فِرْنَجَةً: مَزَقَتْ (هزمت) جُوعَ الْفِرْنَجَةِ فَأَرْجَفَتْ (أخفت) رُومًا (البابوية) لِأَنَّ انْهِزَامَ الْإِفْرَنْجِ الصَّلِيبِيِّينَ انْهِزَامٌ لَهَا وَخَطَرٌ عَلَيْهَا. الْغَشَاءُ: الزبد والأوساخ التي تطفو على سطح السيول.

(٧) مِفْتَاحُ: مفتاح. تبدو كلمة «المأتم» هنا قريبة من كلمة «مأتم»، وهذا في الأصل عيب في القافية. لعلها: المأتم (بشاء بثلاث نقط).

(٨) - التُّرْكَ (الأتراك!) جنودك كانوا كثيرين على ظهور السوايح (الخيال). وَأَغْرَبْتَ شِرْكَأً فِي بُطُونِ الْقَشَاعِ (النسور): قتلت أعداءك المشركين بالله وجعلتهم طعاماً للنسور.

(٩) قدح: طعن. لجأ الشاعر هنا إلى استعارة: جعل السيف حديدة بمقام الزناد (الذي تقدح به النار من حجر الصوّان). البيض: السيوف. آل أصفر: الروم (الإفرنج عموماً). لم يبقَ زند الخ: قطعت أيديهم (قتلتهم).

وَإِذْ دَرَجُوا كَالنَّمْلِ أَعْجَزَ عَدُّهُ
 كَأَنَّ لَهُمْ فِي تَلٍّ عَكًّا مَصَادَةً
 فَسِرْبٌ كَسِيرٌ مُوَبَّقٌ فِي حَفَائِرٍ،
 وَمَا زِلْتُ أَجْلُو مِنْ حُلَاهِ عَرَائِسًا
 مَعَانٍ كَبْهَرِ السَّحْرِ فِي عِقْدٍ نَاطِرٍ،
 سَتُسْنَى بِذِكْرِهِ أَقَاوِيلُ مَنْ مَضَى
 - وَلَهُ فِي النَّسِيبِ:

أَبَاحَ لَهُ نَجْوَاهُ بَعْضُ شَقَائِهِ
 مَتَى لَمَحَتْ عَيْنُ الْعَلِيلِ طَبِيبِهِ
 فَكَمْ فِي الْهَوَى مِنْ مُكْتَسَبٍ بُرْدَ وَجْدِهِ
 سَبَاهُ حَبِيبٌ غَابَ فِي قَيْضِ حُسْنِهِ
 وَلَيْسَ لَهُ ثَانٌ يُلَازِدُهُ، فَمَنْ
 فَبَاحَ بِمَا أَخْفَاهُ مِنْ بُرَحَائِهِ^(١)
 فَلَا بَدَّ أَنْ يُؤْمِيَ إِلَيْهِ بَدَائِهِ^(٢)
 وَمُلْتَحِفٍ مِنْ دَائِهِ بِرَدَائِهِ^(٣)
 فَأَعْشَى عَيُونًا أُولِعَتْ بِبِهَائِهِ^(٤)
 حَوَاهُ هَوَاهُ لَمْ يَزَلْ فِي حَوَائِهِ^(٥)!

(١) درج: مشى. الدبا: الجراد الصغير.

(٢) مصادة - يقصد الشاعر «مصادا» (بالفتح: مكان الصيد) أو مصيدا أو مصيدة (بالفتح فيها: أداة يُصاد بها أو شرك). حاش الناس الصيد: جاءوا من حواليه ليدفعوه إلى الحباله (بالضم) أو الشرك. السوائم: الأنعام (الحيوانات الأليفة) المهملة التي لا راعي لها.
 (٣) السرب: الجماعة من البهائم. كسير: مكسر الأعضاء. موبق من وبق: هلك. الحفيرة: الحفرة. حير: ضعيف النظر والحيلة. مرهق: مدرك، محاصر. المتحم في القاموس بضم الميم وفتح الحاء: الضعيف. والشاعر يقصد: المأزق الذي لا مخرج منه.

(٤) و (٥) بيتان يفتخر فيهما الشاعر بشعره في المديح. النهى: العقل. البهر في القاموس الإضاءة، النور. وهنا: الجبال القدرة التي تدعو إلى العجب. في عقد ناظم... التبر: الذهب. الشدر: قطع صغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٦) باح (سمح له) بعض شقائه (أله من المرض، أو الحب) نجواه (سرّه): أله جعله يبوح بما كان يحصر على كتمان. البرحاء: الأذى الشديد (من المرض، الحب).

(٧) يومي = يومي: يشير.

(٨) الرد: ثوب من حرير. مكتس: لابس. ملتحف: مغطى. - بعض الناس يعلن حبه للناس، وبعضهم يكتمه عنهم.

(٩) سباه يسيبه: أسره. غاب في فيض حسنه: (كثير الجمال). أعشى النور البصر: أتعبه ومنعه الرؤية.
 (١٠) هذا المحبوب ليس له شبيه حتى يميل الحب إلى ذلك الشبيه، فهو أبداً أسير حبّ محبوبه الأول.

٤-★★ المكتضب من تحفة القادم ٩٠؛ الفصون اليانة ١٠٤ - ١٠٨؛ التكملة، رقم ١٨١٥؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٧ - ٥٨؛ طبقات الأطباء ٢: ١٥٧ - ١٦١؛ فوات الوفيات ٢: ٢١ - ٢٢؛ صلة الصلة ١٥ - ١٦؛ نفح الطيب ٢: ٦١٤، ٦٣٥ - ٦٣٧؛ نيكل ٣٢٦؛ مختارات نيكل ١٩١ - ١٩٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ (١٦٧).

أبو ذرّ الحُشني

١- هو أبو ذرّ مُصَنَّبُ بنُ أبي بكرٍ مُحَمَّدٍ (ت ٥٤٤ هـ) بن مسعودِ الحُشَنِيِّ المعروف كَاتبه باسمِ ابنِ أبي الرُكَب، من أهلِ جَيَّانَ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ - ١١٤٠ م) رَوَى عن ابنِ قوئل وابنِ بَشْكُوَال وعبدِ الحَقِّ الإشبيليِّ ثُمَّ تصدَّرَ للقراءة في بَلَدِهِ وفي غيرها. وقد تولَّى الخطابة بإشبيلية ثُمَّ القضاء في جَيَّانَ في أيامِ المنصورِ المُوَحِّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ انتقل إلى المَغْرِبِ وسكنَ فاسَ وتُوفِّي فيها سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢- كان أبو ذرّ الحُشَنِيُّ مُتَقَدِّمًا في إقراء القرآن الكريم ومن علماء الحديث والفقه، بارعاً في معرفة السيرة (تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم) وفي معرفة أخبار العرب وأيامها ولُغاتها وأشعارها، ونحوياً ناقدًا للشعر، كما كان له نظمٌ. وكذلك كان مُصَنِّفًا، له من الكتب: شرح السيرة النبوية (الإملاء على سيرة ابن إسحاق) - شرح الإيضاح - شرح الجُمَل.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة شرح السيرة النبوية لأبي ذرّ الحُشَنِيِّ:

.... الحمد لله باعِثِ الرُّسُلِ وناهجِ السُّبُلِ^(١)، الذي هَدَانَا للإسلامِ وَشَرَّفَنَا بِمِلَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. تَخَيَّرَهُ مِنْ أَكْرَمِ نَسَبٍ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ الْعَرَبِ

(١) نهج (وضَّح) السبل (الطرق: مناهج الحياة).

والمعجم. ثم بَعَثَهُ بِآيَاتِهِ الظاهرةِ وأَيَّدَهُ بِمُعْجَزَاتِهِ الباهرةِ^(١)، وأَمَرَهُ بِجِهَادٍ مَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ ولم يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢)....

وبعدُ، فهذا إِمْلَاءٌ أَملَيْتُهُ من حِفْظِي بِلَفْظِي على كتابِ سيرةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي تَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٣) إلى جَمْعِهَا وتَلْخِيصِهَا، أَوَانِ سَمِعَ هَذَا الْكِتَابُ مِنِّي وَقِيَدْتُ رِوَايَاتَهُ بِطَرَقِهَا^(٤) عني. قَصَدْتُ فِيهِ شَرْحَ مَا اسْتَبْهَمَ مِنْ غَرِيبِهِ^(٥) وَمَعَانِيهِ وإيضاح ما التَّبَسَّسْتُ تَقْيِيدُهُ على حَامِلِهِ ورواويه، مَعَ اختصارٍ لا يُخِلُّ وإيجازٍ يَتِمُّ به الْبَيَانُ وَيَسْتَقِلُّ، لم يَقْصِدْ فِيهِ قَصْدَ التَّأْلِيفِ فَتَمَدَّ أَطْنَابُهُ^(٦)، ولا يَنْحَوِ نَحْوَ التَّصْنِيفِ فَتَمَهَّدَ فُصُولُهُ وَأَبْوَابُهُ^(٧). وَإِنَّا هِيَ عَجَالَةُ الْخَاطِرِ وَغُنْيَةُ النَّاضِرِ^(٨). ثُمَّ عَرِضَ عَلَيَّ هَذَا الْإِمْلَاءُ بَعْدَ كَمَالِهِ فَتَصَفَّحْتُهُ، وَرُغِبَ فِي حَمْلِهِ عَنِّي، فَبَعْدَ لَايٍ مَا أَذْنْتُ بِذَلِكَ وَأَبَحْتُهُ^(٩)....

٤- شرح السيرة النبوية (بولس بورله) القاهرة (ويعر) ١٩٢٩ م.
 ★ التكملة ٣٨٥؛ المغرب ٢: ٥٥؛ زاد المسافر ١٤٧ - ١٤٨؛ بغية الوعاة ٣٩٢؛ شذرات الذهب ٥: ١٤؛ نفح الطيب، راجع ٤: ٩٠، ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين ١٢: ٢٩٢؛ سركيس ٣١١.

-
- (١) الآية: العلامة (الدالة على عظمة الله). أيده: ساعده وسنده وجعله قويًا. المعجزة: العمل الخارق للعادة. الباهر: المدهش، المحير.
 (٢) صَدَّ: رَدَّ، مَنَعَ. لم يجب... (لم يؤمن).
 (٣) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَدَنِيِّ (ت بغداد ١٥١ هـ) مؤلف «سيرة رسول الله».
 (٤) أَوَانِ: زَمَانٍ (في وقت سماع هذه السيرة مني). بطرقها (باختلاف سلاسل رواياتها).
 (٥) استبهم: غمض. غريبه (غريب ألفاظه: الألفاظ القليلة التداول).
 (٦) الأطناب (جمع طنب بضم فم): حبال تشدُّ بها الخيمة من جوانبها المختلفة إلى أوتاد مغروسة في الأرض حولها لتثبت جيدًا في مكانها.
 (٧) تمهد: تسوى (توسّع).
 (٨) ... شيء وضع على عجل فيه (غنية: كفاية) للناظر (القارئ).
 (٩) اللَّأْي: الشدة والمشقَّة (بعد التمتع).

أبو عمران المارتنلي

١ - هو أبو عمران موسى(*) بن عمران المارتنلي، نسبة إلى مارتلة أو ميرتلة وهي بلدة فيها حصن على نهر آنة، في الجنوب الغربي من الأندلس (في البرتغال اليوم)، وُلد سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م).

سكن أبو عمران المارتنلي إشبيلية وانصرف فيها إلى الزهد وخدمة الناس . وكان يعمل الخوص (السلال والقفف إلخ) ويبيعه حتى يأكل من عمل يده حلالاً ويتصدق على المحتاجين . وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) في إشبيلية.

- كان أبو عمران المارتنلي فقيهاً زاهداً؛ وكان له نثرٌ ونظمٌ يدوران على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي عمران المارتنلي فقراتٌ من الحكمة منها:

كلّ ما يَفْنَى ما له مَعْنَى - من خَفَّ لِسَانُهُ وَقَدَّمَهُ كَثُرَ نَدَمُهُ - التغافل عن الجواب من فعل ذوي الألباب - من أعطاك رِفْدَهُ^(١) فقد مَنَحَكَ وُدَّهُ - مَلَكَ فَوَادَكَ من أفاذك .

- وقال في عتاب نفسه:

إلى كم أقولُ ولا أفعَلُ، وكم ذا أحومُ ولا أنزلُ^(٢).
وأزجرُ عيني فلا ترعوي، وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ^(٣).

* أبو عمران موسى بن حسين بن موسى... المارتولي، الميرتولي، المارتنلي .

(١) الرfid: العطاء .

(٢) حام حول الشيء: دار (أحوم ولا أنزل: أنوي ولا أنفذ).

(٣) أزجر: أمني، أنهى. ترعوي: ترجع عن الغي والجهل والذنب.

وكم ذا تُعَلِّلُ لي - وَيَنَحِّها -
 وكم ذا أَوَمِّلُ طولَ البقاءِ
 وفي كلِّ يومٍ يُنادي بنا
 أَمِنْ بعدِ سبعينَ أرجو البقاءِ
 كأنَّ بي وشيكاً إلى مَضْرَعي
 فيا ليتَ شِعْريَ بعدَ السَّوَالِ
 بعلَّ وسوفَ؛ وكم تَطُلُّ^(١)!
 وأَغْفُلُ، والموتُ لا يَغْفُلُ.
 مُنادي الرِّحيلِ: ألا فارحَلُوا.
 وسبعِ أَتَتْ بعدها تَعَجَّلُ؟
 يُساقُ بِنَعْشي ولا أُمَهِّلُ^(٢).
 وطولُ المَقامِ لِمَا أُنْقَلُ^(٣)؟

٤-★★ المغرب ١: ٤٠٦ - ٤٠٧؛ التكملة ٦٨٧؛ الفصول الياضة ١٣٥ - ١٣٧؛ تحفة
 القادم ٩٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٧١
 (٣٢٢) - راجع الحاشية.

السيد أبو الربيع الموحّديّ

١ - هو الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن عليّ الكوميّ
 الموحّديّ، نشأ في البلاط الموحّدي (في مدينة مَرَاكُش) ولكن على شيء من الجفوة، لما
 كان بين أبيه وعمّه يعقوب المنصور من المنافسة الحفيّة على الملك.
 تتلمذ أبو الربيع سليمان على أبي بكر بن زُهر (ت ٥٩٥) حينما كان ابن زُهر في
 مَرَاكُش. ولما تولى يعقوب المنصور الملك (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ولّى أبا الربيع على
 بجاية، ولكن عليّ بن يحيى بن غانية استولى على بجاية، في صَفَر من سَنَةِ ٥٨١ (ربيع

-
- (١) تعلل: تطلب لى العلل والأعذار لتسويق التوبة أو العمل الصالح: تأخيرها) علّ= لعلّ (رجاء
 المستقبل). سوف (حرف استقبال) - تقول لي نفسي: لعلّي أتوب، سوف أتوب. تطل: لا تني بقولها.
 (٢) - ربما كان مصرعي (مقتلي، موتي) وشيكاً (قريباً).
 (٣) فيا ليت شعري (لا أدري، ليتني أعلم) بعد السؤال (سؤال منكر ونكير لي في أوّل نزولي في قبري)
 وطول المقام (في القبر انتظاراً ليوم القيامة) لما (إلى أي مكان) أنقل (إلى جهنّم أو إلى الجنة).

١١٨٥ م) فنَقَلَ المنصورُ ابنَ أخيه أبا الربيعِ إلى ولايةِ سِجْلَمَاسَةَ. وكان أبو الربيعِ قد اتَّخَذَ كَاتِباً لَهُ هو أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ المَالْقِيُّ.

وكانت وفاةُ أبي الربيعِ سليمانَ الموحَّدي سنةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢ - السَّيِّدُ أبو الربيعِ المُوَحَّديُّ أديبٌ ناثِرٌ شاعرٌ، وديوانُهُ قِيلَ إِنَّهُ أَقْدَمُ دِيوانٍ شعريٍّ لَشاعِرٍ مَغْرِبِيٍّ وَصَلَ إلَيْنا. وَشِعْرُهُ مُتفاوتٌ، قِيلَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ أَنَّ كَاتِبَهُ ابنَ عَبْدِ رَبِّهِ المَالْقِيَّ كانَ يَنْظِمُ أَشياءَ مِنَ الشَّعْرِ على لِسَانِهِ. وَفنونُ شِعْرِهِ المَدِيحُ والرِّثاءُ والغَزَلُ والزَّهْدُ والألغازُ. وَلَهُ مُصَنَّفٌ هُوَ «مُختَصَرُ كِتَابِ الأَغاني».

٣ - مُختاراتٌ مِنْ آثارِهِ:

- مِنَ الغَزَلِ المشهورِ لأبي الربيعِ سليمانَ المُوَحَّدي:

أَقولُ لِرَكَّابٍ أَذْجُوا بِسُحَيْرَةٍ: قِفُوا سَاعَةً حَتَّى أَزُورَ رِكابَها^(١)
وَأُملاً عَيْنِي مِنْ مَحاسِنِ وَجْهِها وَأشكو إِلَيْها أَنْ أَطالَتْ عِتابَها.
فإنَّ هِيَ جادتْ بِالْوِصالِ وَأَنعمَتْ، وإِلَّا فَحَسْبِي أَنْ رَأَيْتُ قِبابَها^(٢).

- وَقدَ عَلَي مَرَاكُشَ وَقدْ مِنَ الشَّامِ فَعَيَّنَ يَعْقوبُ المَنصورُ لَهُم موعِداً فِي غَدَاةِ اليَوْمِ التَّالِي. وَيبدو أَنَّ أبا الربيعِ كانَ يَنْتَظِرُ موعِداً لَهُ مِنْ مُدَّةٍ، فَكَتَبَ إلى المَنصورِ:

يا كَعْبَةَ الجُودِ الَّتِي حَجَّتْ لَها عَرَبُ الشَّامِ وَغُرُها وَالِدَيْلَمُ^(٣)،
طوبى لِمَنْ أَمسى يَلوذُ بِها غداً وَيَطوفُ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَيُحَرِّمُ^(٤).
وَمِنَ العَجائِبِ أَنْ يَفوزَ بِنَظَرِها مَنْ بِالشَّامِ، وَمَنْ بِمَكَّةَ يُحَرِّمُ!

- وَقالَ يمدِّحُ المَنصورَ وَيُشيرُ إلى هَرَبِ العَدُوِّ مِنْه:

(١) الرِّكَبُ: السَّفَرُ (بفتح فسكون) الجِماعَةُ يَصارِفونَ مَعاً. أَذْجُوا: ساروا لَيْلاً. سَحيْرَة: قَبيلُ الفَجْرِ

(٢) القَبَة: الخِيمةُ الكَبيرةُ مِنْ جِلْدِ (المَسْكَنِ).

(٣) الغَزاءُ: قِبائِلُ مِنَ التُّركِ. الدَّيْلَمُ: جِماعَةُ مِنَ الفُرسِ.

(٤) طوبى: الحَسَنى والخَيْرُ. يَلوذُ: يَلجأُ. البَيْتُ العَتِيقُ: الكَعْبَة. أَحرَمُ: اسْتَعَدَّ لِلقيامِ بِناسِكِ الحَجِّ.

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ، وَجَرَتْ بِسَعْدِكُمُ النُّجُومُ الطَّلَعُ.
وَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورَهُ الْمُتَشَعِّشُ.
لِلَّهِ جَيْشُكَ وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى وَالْخَيْلُ تَجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ^(١).
إِنْ ظَنَّ أَنَّ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ، فَجَهْلُهُ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ.
أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبٍ، وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ^(٢).
إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا؟ فَالْيَكُ، يَا يَعْقُوبُ، تَوَمَّى الْإِصْبَعُ^(٣).
إِنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَإِنَّا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تُبْعُ!

- لَمَّا كَانَ أَبُو الرَّبِيعِ وَالْيَأْ عَلَى سِجْلَاسَةَ عَلِمَ أَنَّ مَلِكَ السُّودَانِ (فِي غَانَةِ) يُضَيِّقُ عَلَى التُّجَّارِ الْمَغَارِبَةِ فِي بِلَادِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ رِسَالَةٍ:

نَحْنُ نَتَجَاوَرُ بِالْإِحْسَانِ وَإِنْ تَخَالَفْنَا فِي الْأَدْيَانِ. وَتَتَّفَقُ عَلَى السَّيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَتَتَأَلَّفُ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ لَوَازِمِ الْمُلُوكِ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ، وَ(أَنَّ) الْجَوْرَ^(٤) لَا تَعَانِيهِ إِلَّا النُّفُوسُ الشَّرِيرَةُ الْجَاهِلَةُ. وَقَدْ بَلَّغْنَا احْتِبَاسُ مَسَاكِينِ التُّجَّارِ وَمَنْعُهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ^(٥). وَتَرَدَّدُ الْجَلَّالِيَّةُ^(٦) إِلَى الْبِلَادِ مُفِيدٌ لِسُكَّانِهَا وَمُعِينٌ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ اسْتِيطَانِهَا. وَلَوْ شِئْنَا لَاحْتَبَسْنَا مَنْ فِي جِهَاتِنَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، لَكِنَّا لَا نَسْتَضُوبُ فِعْلَهُ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْهَى عَنْ خُلُقِي وَنَأْتِي مِثْلَهُ^(٧). وَالسَّلَامُ.

(١) الصَّارِمُ: السِّيفُ. انْتَضَى الْمَحَارِبُ السِّيفُ: أَخْرَجَهُ مِنَ الْغَمْدِ وَشَهَرَهُ (رَفَعَهُ). السَّنَانُ: الْحَدِيدَةُ فِي رَأْسِ الرَّمْحِ.

(٢) تُنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ. (حُكِمَ بِحَيْطٍ بِالْأَرْضِ كُلِّهَا - كَانَ جَمِيعُ الْبَشَرِ فِي قَبْضَةِ كَفِّهِ).

(٣) أَوْماً يَوْمِيَّ: أَثَارَ، دَلٌّ عَلَى (شَيْءٍ).

(٤) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ.

(٥) فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ: فِيهَا يَقُومُونَ بِهِ (يَتَاجَرُونَ).

(٦) الْجَلَّابُ: التَّاجِرُ الَّذِي يَنْقُلُ الْبَضَائِعَ مِنْ بِلَدٍ إِلَى أُخْرَى.

(٧) مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ.

لَا تَنْهَى عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ؛ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمَ.

- ٤ - ديوان أبي الربيع سليمان الموحد^(١) (تحقيق محمد القَبَّاج ومحمد بن تاويت التطواني ومحمد بن تاويت الطنجي وسعيد أعراب)، الرباط (جامعة محمد الخامس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية).
- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحد: عصره وحياته وشعره، تأليف عباس الجراري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.
- ★ المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ تحفة القادم ١٠٥ - ١٠٦؛ الفصول الياضعة ١٣١ - ١٣٤؛ نفع الطيب ٢: ٩٨، ٣: ١٠٥ - ١٠٩؛ النبوغ المغربي ١٦٨، ٣٥٠، ٧١٨ - ٧٢١، ٨٥٨، ٩١١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٠. (١٢٨).

أبو الحجاج البلوي

- ١ - هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي^(٢) المالقي الأندلسي، ويقال له ابن الشيخ، ولد في مالقة سنة ٥٢٦ (١١٣٢ م) وقيل سنة ٥٢٩.

تلقى أبو الحجاج البلوي العلم على نفرٍ كثيرين منهم (في مَدُنٍ مختلفة): أبو محمد عبد الوهاب (ألف با ٢: ٣٩٢) والأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سورة (ألف با ١: ١٣) وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول (٥٠٥ - ٥٦٩ هـ) وأبو زيد السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) وأبو محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي (٥١٠ - ٥٨١ هـ). ثم إنّه تولّى الخطابة في بلده مالقة وتصدّر أيضاً للتدريس، كما كان بناءً يعمل في الإشراف على البناء وعلى البناء بيده أيضاً.

وفي سنة ٥٦١ (١١٦٦ م) رحل أبو الحجاج البلوي فمّر على الإسكندرية فسمع من المُحدّث الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت ٥٧٦ هـ) وتولّى الخطابة مدّة في الإسكندرية. ثم حجّ وعاد إلى الإسكندرية. ويبدو أنّه زار الشام في هذه الأثناء وحارب الإفرنج الصليبيين في جيش صلاح الدين.

(١) لم أستطع الاطلاع على الديوان. والعنوان «الموحد» من النشرة التي وزّعها الناشر.

(٢) في العرب قبيلة بليّ (مثل غنيّ)، والنسبة إليها: بلويّ.

وعاد أبو الحجاج البلويُّ إلى الأندلس وقام بكثير من أعمال الخير وبالمُرابطة: شارك في بناء عددٍ كبيرٍ من المساجد وفي حفر عددٍ من الآبار (بماله وبعلمه وبعمل يده)، كما غزا مع المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى جانب ما كان يقوم به من التدريس في مالقة.

وكان البلويُّ هذا مِزواجاً ولكن لم يُرزَق من نسائه أولاداً ولا كان سعيداً في حياته معهنَّ. فتزوَّج أخيراً فتاةً صغيرةً سوداءً ليسعدَ معها. وقد رُزِقَ منها على كِبَرِ غلاماً سمَّاه عبدَ الرحيم.

وكانت وفاة البلويِّ في مالقة سنة ٦٠٤ (١٢٠٧ م).

٢- كان أبو الحجاج البلويُّ مشاركاً في عددٍ كبيرٍ من فنون المعرفة: في الفقه والأصول واللغة والنحو والأدب والحساب والمِساحة (الهندسة) ومائلاً إلى التصوُّف. ولكن غلبَ عليه الأدب. وكذلك كان شاعراً مُكثِراً، ولكنَّ شِعْرَه نَظْمٌ عاديٌّ كثيرُ التكلِّفِ قليلُ الرونق. أمَّا نثره فمتينٌ وإنَّ كان كثيرَ التكلِّفِ جداً.

وكان للبلويِّ كتبٌ كثيرةٌ منها فهرسته (بأسماء شيوخه: أساتذته) (ألف با ١: ١٦٦) وكتابُ «تكميل الأبيات وتتميم الحكايات» ممَّا اختصرته للألبا في كتاب ألف با (ألف با ١: ١٧)، ثمَّ كتاب «ألف با» وهو مجموعٌ موسوعيٌّ ضمَّنه البلويُّ وجوهاً من المعرفة استفادها من القرآن والحديث والشعر والتاريخ واللغة والصرف والنحو، وسمَّاه «ألف با» لأنَّه بناه على عددٍ من الألفاظ التي تبدأ بالألف وعلى عدد يسيرٍ تبدأ ألفاظه بالباء وعلى غيرها.

هذا الكتابُ يتألَّف من مقدِّمة (١: ٢ - ٧٣) ومن فصلٍ طويلٍ يزيدُ على ألفِ صفحةٍ، وهو في الحقيقة قاموسٌ طريفٌ (وإن كان قليلَ الفائدة) لعددٍ من الألفاظ الثلاثية التي يُمكنُ أن يتركَبَ من حروفها ألفاظٌ كثيرةٌ. يتناولُ البلويُّ الكلمةَ من مثل «باب» أو «أب» ويُقلِّبها في صُورِها المُختلفة (من حيثُ التصحيفُ): أب، آب، أٲ، أث، باب، تاب، ثاب، بات، الخ. وربَّما استطرَدَ إلى كَلِمَاتٍ لا صلةَ لها بالألف والباء إلَّا مع التصحيف، نحو «زيد» (١: ٩٩) فإنَّه يقال فيها: زيد، زند،

زبد، ندر، دندر، دثر، بدر، درن، نرد، الخ.

وفي أثناء هذه الأحاجي اللفظية يستطرد إلى أمور كثيرة: يخرج من لغة إلى قصة، ومن قصة إلى شعر، ثم يذكره شاعرٌ بشاعرٍ، وشاعرٌ بحكايةٍ، وحكايةٌ بقصيدة الخ. وقد قصد بهذه الكتاب أن يُقَفَّ ابنه الذي كان عند تأليف الكتاب صغيراً.

وأما كتاب «التكميل» فقد ضمَّه كثيراً مما جرى بينه وبين شيخه وصديقه الأديب الزاهد أبي محمد عبد الوهاب القيسي (ت ٥٩٨ هـ) من الكلام في الأدب والشعر والتاريخ وغيرها.

وكان البلوي قد جَمَعَ الألفاظ التي عالِجها تلك المعالجة في قصيدة من نظمِه أثبتَها في المقدمة (ويحسُن أن نُشير إلى أن البلوي كان قد أثبتَ الكلمات مُهملةً لا نُقطَ فيها ولا شكلاً - ولكن ناشري الكتاب تَوَلَّوْا التنقيطَ والتشكيلَ اجتهداداً من عندِ أنفسهم). مَطَّلَعُ هذه القصيدة:

أخي أجيء بـقيل ثقيل مهيب مهيب بطل بطل.
ومنها:

يُفِيد بِقُنْدٍ بَعُودٍ يَعُود يُعِيدُ بَعِيدِ المَحِلِّ المُجَلِّ
وبابَ وثابَ ونابَ وتابَ وثابَ وباتَ ويلَ ويلَ
والمقصود بهذه القصيدة أن تجمع الألفاظ المتماثلة في الرسم من غير اهتمام كبير بالمعنى (ولا بالرواق الشعري).

أما في سائر الكتاب فإنَّ البلويَّ يَعِدُ إلى تفسير هذه الكلمات وأمثالها في أشكالها المختلفة كما ترى في «المختارات من آثاره». وفي أثناء هذا الشرح اللغوي كان البلوي يستطرد إلى ذِكرِ أشعارٍ وقِصَصٍ وتاريخٍ وحِكَمٍ وحسابٍ وأشياء تتعلق بالإنسان والحيوان والنبات، وإلى أمورٍ من الأديان والمذاهب، ونوادرٍ من علمِ الصرف والنحو. ومع أن هذه المعارفَ عاديةً في الأكثر فإنَّها منشورةٌ أيضاً على غير نظام. وقد أرادَ البلوي أن يكون هذا الكتاب وسيلةً إلى تثقيفِ ابنه، ولكن هذا الكتابُ يُدْخِلُ على العقول تشويشاً. ولا نعلم ما الذي استفادَهُ عبدُ الرحيم بن البلوي من هذا الكتاب.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة « كتاب ألف با »:

..... أمّا بعدُ - دام لنا ولكمُ السعدُ - فإنّي عزمتُ، بعدَ استخارةِ ذي الطَّوْلِ
ومن بيدهِ القوَّةُ والحَوْلُ ورغبتُ إليه في السَّدادِ^(١) في العملِ والقَوْلِ، على أن أجمع في
هذه الأوراق كلَّ معنى رَقٍّ أو راقٍ تَمَّا هو عندي مستحسنٌ لا مستخسَنٌ، ومُستَمَلَحٌ لا
مستقبح، وأُثبتَ فيه من الفوائد ما يُزري بالفرائد^(٢)، ومن بدائعِ العلوم والفهوم ما
يرتقي من التخوم^(٣) إلى النجوم. وجعلتُ ما أوَّلُفُ فيه وأُنبئ^(٤) لعبدِ الرحيمِ ابني
ليقرأه بعدَ موتي وينظرَ إليَّ منه بعدَ فوْتي^(٥)، إذ لم يلحقْ بعدُ - لصِغَرِهِ - درَجَةُ
النبلاء ولم يبلغْ مرتبةَ العقلاء. وأرجو أن يجعله الله منهم ولا يقطعَ به عنهم،
فيكونَ - إن شاء الله - بقراءة هذا الكتاب في الزيادة إلى أن يلحقَ بالسادة:
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُومُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كاملاً^(٦)!
وسميتُ ما جمعتُ لهذا الطِّفْلِ المُرَبَّأ^(٧): كتاب ألف با.....

- من متن « كتاب ألف با » (١ : ٢٨٠):

والعَرَقُ: الطيرُ تصطفُ في السماء، واحدته عَرَقَةٌ. والعَرَقُ السطرُ من الخيل.....
ومقلوبه قَعْرُ كُلِّ شَيْءٍ أَقْصَاهُ. وبشرِ قعيْرة. وتقَعَّرَ الرجلُ إذا تَشَدَّقَ الرجل وتكلَّم
بأقصى قَعْرِ فيه... ومقلوبه أيضاً رَعَقَ يرَعَقُ رُعَاقًا، وهو صوت يسمع من قتب^(٨)

(١) الطول (بفتح الطاء): البقاء، القدرة، الغنى. ذو الطول: صاحب الطول (الله). الحول: القوة.
الساد: الصواب في القول والعمل.

(٢) الفرائد جمع فريد: الشذر (قطع من ذهب) تفصل بين اللؤلؤ في المقد. الفريد والفريدة: الجوهرة
(اللؤلؤة) النفيسة أزرى: عاب، جعل (الشيء) محترقاً.

(٣) التخوم جمع تخم (بالفتح أو الضم): الفاصل بين أرض وأرض (المقصود: الأرض).

(٤) أنبئ (أنا) - من بنى يبني بناء (يؤلف).

(٥) بعد فوْتي (موتي): بعد أن أمضي ويصبح عاجزاً عن اللحاق بي (عن الاستفادة مِنِّي).

(٦) البيت لأبي تمام.

(٧) المرئى - يقصد: المرئى (المهذب، المثقف).

(٨) في القاموس: الرقيق صوت يسمع من بطن الدابة. ورعق كمنع، أي مفتوح عين الفعل في الماضي
والمضارع (رعق يرعق بفتح العين فيها). قتب: سرج صغير.

الدابة.... ومقلوبه أيضاً رَقَعَ الثوبَ رَقْعاً ورقعته. والرقيعُ الأحق... ومقلوبه أيضاً عَقَرَ العقر، والعُقر مصدر العاقر من النساء. وقد عُقِرَت المرأة، وعَقَرَت تَعَقَّرَ فهي عاقرٌ وعقير. وفي التنزيل^(١): «وامرأتي عاقرٌ». والعاقرُ من الرمل ما لا يُنبتُ....

- وصفُ «كتاب ألف با» (١: ٦٤):

وهذا الكتابُ أَلْفَتُهُ - كما ذكرتُ - لولدي أو لِمَنْ يكون كَمِثْلِهِ مِنْ مُبْتَدِي. فَرُبِّمَا جَمَعْتُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَ الْفَتْ وَالسَّمِينِ وَالرَّخِيسِ وَالثَمِينِ، وَالْجِدِّ وَالْهَزْلِ وَالضَّعِيفِ وَالْجَزَلِ^(٢)، كما تَقَدَّمَ فِيهِ الْقَوْلُ مِنْ قَبْلُ، وَجَلِبْتُ مَا حَضَرَ مِنْ يَابِسٍ وَأَخْضَرَ. وَعَقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي أَطْرَافِ أَقْلَامِهِمْ، بِهَا يُسْتَدَلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِمْ وَأَنْفَاهِمُ. وَبِتَأْلِيهِمْ وَأَوْضَاعِهِمْ يُعْرَفُ الطُّوْلُ وَالْقِصَرُ فِي بَاعِهِمْ^(٣) وَيُدْرَى اخْتِلَافُ طِبَاعِهِمْ....

- ومن نظمه:

★★ وظننتُ القويَّ يبقى على ما	كان من قبل أن يُلاقِي الرجال.
فإذا القلبُ في الحقيقةِ قلبٌ	حارَ عما عَهِدْتُ فيه وحالا ^(٤) .
والذي قالَ قبلُ: «إني وإني»	من صِفاتِ الرجالِ كان مُحالاً ^(٥) .
فتذكَّرتُ قولَــةَ المتنبي،	حين قلبي عن البسالةِ زالا ^(٦) :
(وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ	طَلَبَ الطَّعْنَ وحدهُ والنزالا).
★★ ظنَّ قومٌ بأنَّ حُبِّي إلهي	مثلُ ما يُحِبُّ الأنيْسُ أنيسه.

(١) في التنزيل (الوحي): القرآن الكريم (٣: ٤٠، آل عمران): «وقال: ربِّ، أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبير وامرأتي عاقر؟».

(٢) الفَتْ: النحيف (الفَتْ والسَّمين كناية عن الرديء والجيد). الجزل: الكثير العظيم. والكلام الجزل: الفصيح الأنفاظ المتين التركيب الجامع للمعاني الشريفة.

(٣) الباع: المسافة بين الكفَّين عند بسط الذراعين يميناً وشمالاً. طول الباع كناية على القدرة والبراعة، وقصر الباع بخلاف ذلك.

(٤) قلب (الثانية) انقلاب، خلاف في الاتجاه. حال: تحول، تبدل.

(٥) من قال عن نفسه متبجحاً: «إني وإني».... كان خالياً من صفات الرجال، أي أنا لي كثير من صفات الرجال. محال (بالضم) ما لا يمكن وجوده أحياناً: صفات ليست تَمَّ يجتمع في الناس عادةً.

(٦) البسالة: الشجاعة.

غَلَطُوا فِي الْقِيَاسِ، مَا مِثْلُهُ يُشَدُّ جُءُ شَيْئاً فَيَقْتَضِي أَنْ تَقْيَسَهُ.
وَكَذَا حُبُّهُ يَجِلُّ عَنِ الْوَصْدِ فِ، تَعَالَى عَنِ الصِّفَاتِ الْخَسِيسَةِ.
إِنَّمَا حُبُّهُ لِمَنْ كَانَ أَهْلاً لِلْمَعَالِي وَلِلْمَعَالِي النَّفِيسَةِ.
كُلُّ مَنْ كَانَ لِلْحُبَّةِ أَهْلاً حُبُّهُ يَلْزِمُ النَّفْسَ الرَّئِيسَةَ.

٤ - كتاب ألف با (بتصحیح مصطفی وهی)، القاهرة (نشرته جمعية المعارف بمصر - المطبعة الوهية) ١٢٨٧ هـ.

★★ التكملة، ٧٣٧ (رقم ٢٠٨٩)؛ صلة الصلة ٤١٧ - ٤٢٠ (رقم ٤١)؛ بروكلمن ١: ٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣ - ٥٤٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ٢٤٧ - ٢٤٨)؛ سركيس ٣٠٠.

ابن شَكِيلِ الصَّدَقِي

١ - هو أبو العباس أحمد بن يعيش بن شَكِيلِ (بفتح الشين) الصَّدَقِي الشَّرِيفِي الأندلسي، تُوِّفِيَ سَنَةَ ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) مُعْتَبِطاً (في شَبَابِهِ بِلَا عِلَّةٍ).

٢ - كان ابن شَكِيلِ الصَّدَقِي شَاعِراً مُجِيداً سَهْلَ الْقَوْلِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَسَّبُ بِشَعْرِهِ. بَرَعَ فِي الْوَصْفِ وَالتَّخِيلِ، لَهُ مَقْطَعَاتٌ فِي وَصْفِ الْحَمَامِ وَفِي الْأَزْهَارِ. وَقَالَ، فِي أَبِي قَصَبَةَ الْجَزُولِيِّ الَّذِي ثَارَ عَلَى الْمُوحِدِينَ سَنَةَ ٥٩٨ هـ ثُمَّ قُتِلَ وَشِيكاً، قَصِيدَةً مِنْهَا:

اللَّهُ أَطْفَأَ مَا أَذْكِي أَبُو قَصَبَةَ مِنْ حَرْبِهِ، وَأَزَالَ السِّحْرَ بِالْقَلْبَةِ^(١).
فَمَنْ أَرَادَ سُؤَالَ عَنْ قَضِيَّتِهِ فَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ الْحَقَّ قَدْ غَلَبَهُ.
لَقَدْ شَفَى النَّفْسَ أَنْ وَافَى بِهَامَتِهِ صَدْرُ الْقَنَاءِ مَكَانَ الصَّدْرِ وَالرَّقَبَةِ^(٢).

(١) أذكي: أشعل، أوقد (النار).

(٢) جاءوا برأسه مرفوعاً على رمح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن شَكِيلٍ يَصِفُ حَمَّامًا:

تُلْهِى الْعَيُونَ رُقُومَهُ فَكَأَنَّهَا قَدْ أُلْبَسَتْ سَاحَاتِهِ دِيبَاجًا^(١)،
مَجْمُوعَةً أَضْدَادُهُ فَتَرَى بِهَا نَارَ الْغُضَا وَالْوَابِلَ الثَّجَاجًا^(٢).
حَرَّانُ مُنْكَسِبُ الدَّمُوعِ كَأَنَّهَا يَحْكِي، بِذَاكَ، الْعَاشِقَ الْمَهْتَاجًا.
دُحِيتٌ بَسِيطَةٌ أَرْضِهِ مِنْ مَرْمَرٍ فَجَرَى الزُّجَاجَ بِهِ وَثَارَ عَجَاجًا^(٣).
وَجَلَّتْ سَاوَتُهُ السَّمَاءَ، وَإِنَّا جُعِلَتْ مَكَانَ النَّيِّرَاتِ زُجَاجًا^(٤).
قَامَتْ عَلَى عَمَدٍ جُلَيْنَ عَرَائِسَا فَتَرَى لَهَا السَّمَكَ الْمُكَلَّلَ تَاجًا^(٥)!

- وَقَالَ فِي زَنْبَقَةٍ (بِيضَاءٍ) أَوْدَعَتْ شَقِيقَةً (حَمْرَاءَ):

سَوَسَنَةٌ بِيضَاءٌ قَدْ أَوْدَعَتْ شَقِيقَةً قَانِيَةً الْبُرْدِ^(١)
أَبْيَضُهَا يَنْشَقُّ عَنْ أَحْمَرٍ كَالْبُرْقُعِ انْشَقَّ عَنِ الْخَدِّ.

٤-★★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨؛ المقتضب من تحفة القادم ٩٧؛ الأعلام للزركلي (١: ٢٧١).

- (١) أرضه مبلطة برخام عليه أشكال مختلفة. الديباج: نسيج من حرير.
- (٢) الغضا: شجر له نار شديدة. الوابل: المطر. الثجاج: الشديد الانصباب (في الحمام حر شديد وماء كثير).
- (٣) دحيت: بسطة، مهدت. جرى الزجاج به (فيه) وثار عجاجاً (غباراً): الماء الحارّ يتحوّل فيه بخاراً لشدة الحرارة (كالغبار) ثمّ يتجمّع قسم منه عند الزجاج فيسيل رطوبة. (شطرا البيت لا يأتلفان في المعنى).
- (٤) جلت سآوته (سقوفه) السماء: سقف الحمام يشبه السماء بنجومها - كان سقف الحمام مزوداً بأكر زجاجية (تسمح للنور بالمرور) ولا تسرّب الحرارة (لأنّ الهواء في هذه الأكر عازل للحرارة).
- (٥) قامت (سقوف) هذا الحمام: رفعت. عمد جمع عمود. جليت العروس: عرضت على زوجها في أبهى زينتها (كناية عن جمال تلك الأعمدة بما عليها من النقش والزخرف). السمك: أعلى الشيء (السقف). المكمل (بتشديد اللام الأولى وفتحها: بينائها للمجهول)، كانت السقوف أيضاً مزخرفة، فكأنّها كانت أكاليل (من الأزهار) على رؤوس تلك الأعمدة.
- (٦) السوسنة: الزنبقة. الشقيقة (واحدة الشقائق: شقائق النعمان): زهرة برّية حمراء البتلات وفي وسط كلّ بتلة بقعة صفيرة سوداء. قانية (لونها قان: شديد الحمرة - من الفارسية، قان: دم).

أبو عبد الله بن يربوع

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع ، أصله من جَيَّانَ . كان مولده نحو سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . سَكَنَ مُدَّةً في بَلَّشَ من أعمالِ لُورَقَةَ .

روى أبو عبد الله بن يربوع عن نَفَرٍ كَثِيرِينَ ، ولكنَّ أَكْثَرَ رِوَايَتِهِ عن أبي عبد الله ابن العربي وأبي القاسم السَّهْلِيِّ وأبي محمد القاسم بن دحمان^(١) . ثُمَّ إِنَّهُ أَقْرَأَ فنوناً كثيرةً ، منها : قراءةُ القرآن والحديث والعربية (النحو) والأدب . وكان يتردّد في سبيل ذلك على جَيَّانَ وقِطَاجَةَ وأُبْدَةَ . وقد آسَوطَنَ قِطَاجَةَ ثُمَّ أُبْدَةَ .

وكان وفاة أبي عبد الله بن يربوع في سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م) .

٢ - كان أبو عبد الله بن يربوع مُقَرَّناً ضابطاً ووافرَ البضاعة من رواية الحديث ، وقد كان بارعاً فيما ينقله . وكذلك كان بارعاً في علم العربية وعارفاً بالأدب ، وبصيراً بالحساب . ثُمَّ كان كاتباً وشاعراً ، ويبدو أنَّ أَكْثَرَ مِثْلِهِ كان إلى الهجاء مَعَ شَيْءٍ من البراعة والمرح . وقد أَلَّفَ مجموعاً من الأشعار سمَّاه « حديقة الأزهار » ، وهو كتابٌ حسنٌ ، وتَجَدُّ منه بضعُ مُقْطَعَاتٍ في كتاب نفح الطيب (٥ : ٦٠١ - ٦٠٢) .

٣ - مختارات من شعره :

- لَمَّا جَاءَ ابْنُ يَرْبُوعٍ إِلَى قِطَاجَةَ كَتَبَ إِلَى مَاجِدٍ (٢) أَنْ يُزِلَّهُ (فِي مَسْكِنٍ أَوْ دَارٍ)^(٢) فَأَجَابَهُ مَاجِدٌ : « فِي كُلِّ جُحْرٍ ضَبَّةٌ »^(٣) . فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ يَرْبُوعٍ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

يَا مَاجِداً إِنَّ جَادَ كَانَ وَضِيعاً ، أَوْ قَالَ قَوْلًا كَانَ فِيهِ بَدِيعاً .
قِطَاجَةُ قَدْ ضَيِّقَتْ أَجْحَارَهَا ، وَأَرَى لَكُمْ مَا بَيْنَهُنَّ وَقُوعاً^(٤) .

(١) أبو عبد الله بن العربي وأبو محمد القاسم بن دحمان (٢٢) . ولعلَّ أبا القاسم السهلي هو صاحب الروض الأنف والمتوفى سنة ٥٨١ هـ .

(٢) لعلَّ ماجداً هذا كان يتولَّى شيئاً من الأحباس (الأوقاف) وتحت يده دور يمكن أن يسكن فيها الطائرئون على قِطَاجَةَ من أولئك الذين لا يجدون مسكناً أو لا يستطيعون ذلك .

(٣) الجحر: ثقب في الأرض تسكنه الحشرات . والضبة حيوان صحراوي شبه الخردون .

(٤) وأرى لكم ما بينهنَّ وقوعاً (أعتقد أنَّك ، يا ماجد ، من أولئك الذين يسكنون أحد تلك الأجحار) ..

وزَعَمْتَ أَنْ لِكُلِّ جُحْرِ ضَبَّةً، فَاسْتَبَدَّلَنَّ مَكَانَهُ يَرْبُوعاً^(١).

- وقال يهجو مدينة لورقة:

أَخْسِسْ بِلُرْقَةٍ، لَا تَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا، فَإِنَّ سَاكِنَهَا فِي الْوَيْلِ مَدْفُونُ.
أَرْضُ أَبِي اللَّهِ أَنْ تُنْشِيَ أَخَا كَرَمٍ: فَإِنَّهَا سَقَرٌ وَالْمَاءُ غَسْلِينُ^(٢).

- وقال أيضاً يهجو آبنَ أَخْلَى كَبِيرَ مَدِينَةِ لُورَقَةٍ:

قَصَدْتُ آبِنَ أَخْلَى فَأَلْفَيْتُهُ أَشَدَّ مُرَاراً مِنْ الْعَلَقَمِ^(٣).
عَلَى الْمَاءِ فِي دَارِهِ زَحْمَةٌ، وَفِيهَا عَلَى الْخَبْزِ سَفْكُ الدَّمِ^(٤).

٤-★★ التكملة ٥٩٢؛ الذيل والتكملة ٦: ٧٦ - ٧٧ (رقم ١٦٩).

ابن بدرون

١- هو أبو مروان أو أبو القاسم^(٥) عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بدرانَ أو بدرون^(٦) الحَضْرَمِيُّ الشُّلْبِيُّ، من أَهْلِ شُلْبَ، روى عن طائفةٍ من علماء بلده. ولَعَلَّهُ عاشَ مدَّةً طويلةً في إشبيلية، في أَيَّامِ السُّلْطَانِ يَوْسَفَ بنِ عبدِ المَوْثَنِ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). وكانت وفاته في شُلْبَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١٢ م) أو بعدها بقليل.

(١) لَا بَأْسَ أَنْ تَتَوَلَّى مَكَانَ ضَبٍّ أَوْ ضَبَّةٍ مِنَ الضَّبَابِ. الْيَرْبُوعُ حَيَوَانٌ صَحْرَاوِيٌّ يَشْبُهُ الْفَأَرَ وَلَكِنْ قَائِمَتِيهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ قَصِيرَتَانِ جَدًّا وَقَائِمَتِيهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَانِ جَدًّا هُنَاكَ ثَوْرِيَّةٌ بَيْنَ «يَرْبُوعٍ» (الحيوان الصحراوي) وَابْنِ «يَرْبُوعٍ».

(٢) تَنْشِيٌّ = تَنْشِيٌّ، سَقَرٌ: مَكَانٌ فِي قَمَرِ جَهَنَّمَ (شَدِيدِ الْحَرِّ). الْغَسْلِينُ: الْوَسْخُ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ الثُّوبِ عِنْدَ غَسْلِهِ، وَمَادَّةٌ تَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ جَهَنَّمَ.

(٣) الْمُرَارُ (بِالضَّمِّ): بِقُلِّ بَرِّيٍّ مَرًّا. الْعَلَقَمُ شَجَرُ الْحَنْظَلِ (مَرًّا). لَا وَجْهَ لِلْقَوْلِ (فِي التَّرَكِيبِ النُّحَوِيِّ): «أَشَدَّ مُرَارٍ مِنَ الْعَلَقَمِ»، وَأَصُوبُ أَنْ يُقَالَ: «أَمَرٌّ مَذَاقاً مِنَ الْعَلَقَمِ».

(٤) زَحْمَةٌ: ازْدِحَامٌ (لِقَلَّةِ الْمَاءِ فِيهَا؟).

(٥) بروكلمان ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩.

(٦) نفع الطيب ١: ١٨٥ - المشهور بدرون (بفتح الباء) كذا ضبطها إحسان عباس في نفع الطيب (١):

١٨٥) وفيات الأعيان (١: ٣٣٤). ثم ضبطها بضمّ الباء (وفيات الأعيان ٣: ٤٧٠، السطر التاسع ثم

٣١٧: ٧، السطر الثالث عشر).

٢ - هو الأديبُ (نفع الطيب ٧: ٢١٧) ابنُ بَدْرُونٍ، كان مُلماً بكثيرٍ من أوجهِ الثقافة وبالأحداثِ التاريخيةِ خاصّةً. وكان معروفاً بين أُنْداده وفي بلدِهِ بِاتِّساعِ المعرفةِ حتّى أمكنَ أن يطلبوا منه شَرْحَ قصيدةِ ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). وشُهرَةُ ابنِ بدرونٍ تَرَجَّعُ في الحقيقةِ إلى شرحه على تلكِ القصيدة: «الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالأثرِ» (كِيامَةُ الزَّهَرِ وَصَدَقَةُ الدُّرَرِ: شرح البَشَامَةِ^(١) بِأَطْوَاقِ الحَمَامَةِ). ولولا تلكِ الشروحُ التاريخيةُ التي عَلقها ابنُ بدرونٍ على أبياتِ تلكِ القصيدةِ لَظَلَّ كثيرٌ من هذه الأبياتِ مُستَغْلِقاً على القارئِ العاديِّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة شرح البشامة (لابن عبدون):

... جَمَعَنِي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ فِرْسَانِ النَّثَارِ وَالنِّظَامِ، نَدَيْ^(٢) أَدَبٍ وَمَجْلَسٌ دَعَا إِلَى الْإِفَاضَةِ فِي هَذَا الشَّانِ وَنَدَبَ. فَأَفْضَنَّا قِدَاحَ الْمَذَاكِرَةِ فِي الْأَدَبِ وَجَمَالِهِ، وَأَفْضَنَّا أَقْدَاحَ^(٣) رَاحِ الْحَدِيثِ فِي الشَّعْرِ وَرِجَالِهِ، (الشعر) الَّذِي هُوَ دِيْوَانُ الْعَرَبِ... وَذَكَرْنَا مِنْ دَرَجٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَفَرَجَ^(٤) فِي الشَّعْرِ أَبْوَابًا لَمْ يَفْرَجْهَا غَيْرُهُ تَمَّنْ كَانَ لَهُ قَدَمُ الْقَدَمِ، وَمَا أُنْدَعَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ.... كَالْتَسْمِيطِ وَالْإِشَارَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّوْشِيحِ وَالتَّجْنِيسِ^(٥).... ثُمَّ جُلْنَا فِي ذِكْرِ ذِكْرٍ (٤) الْإِحَالَاتِ

(١) نيكُل ١٧٨٨، وفي عدد من المراجع: البشامة!

(٢) النثار (بالضم): ما تناثر من الشيء. والمقصود هنا النثر (خلاف النظم: الشعر). النديّ والنادي محلّ اجتماع القوم للتداول.

(٣) القداح جمع قدح (بالكسر): قطعة من خشب (أو غيره) تستخدم في الاستقسام (الميسر، القمار وغيره). الأقداح جمع قدح (بفتح ففتح): الكأس. الراح: الخمر.

(٤) درج: ذهب، مات، انقضى زمنه. فرج: فتح (أوجد أبواباً: أنواعاً جديدة).

(٥) البديع: تحسين اللفظ. التسميط: نوع من التوشيح (تعدد القوافي في المقطوعة الواحدة). الإشارة: اللمعة البسيطة الدالة على المعاني الكثيرة أو البعيدة. والإشارة أنواع (راجع العمدة لابن رشيق، نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١: ٢٧١ - ٢٨٢). المقابلة تقال على الطباق (تضاد المعاني: أبيض وأسود، صغير وكبير). وتقال على الموازنة (تقابل صيغ الألفاظ في الجملة الواحدة: (ما جرى جار في النهار وما سرى سار في الليل). الاستعارة: نسبة فعل إلى الذي لا يفعله =

وَرَفَضْنَا مَا سِوَاهَا. وَذَكَرْنَا مَا انْطَبَعَ فِيهَا وَمِنْ رَمِدٍ حِينَ شَوَاهَا^(١). فَأَنْشَدَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ قَصِيدَةَ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِوَيْلٍ... فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْمُلُوكِ ثُمَّ دَبَّتْ إِلَيْهِمُ الْأَيَّامُ أَيَّ دَيْبٍ، وَأَلْحَقَتْ شَمْسُهُمْ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ بِالْغَيْبِ، وَمَشَتْ إِلَيْهِمُ الضَّرَاءُ^(٢)... فَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَعْرِفْ كُنْهَ^(٣) حَالَاتِ تِلْكَ الْإِحَالَاتِ حَتَّى كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ: مَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَّا كَالْمَعْمَى^(٤). فَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَنْ أَسَارَ نَحْوِي وَقَالَ: لَوْ شَاءَ فَلَانٌ لَا فَتَحَ رِتَاجَهَا الْمُبْهَمَ، وَأُنْجَدَ فِي قِصِّ أَخْبَارِهَا وَأَتَتْهُمْ^(٥).

- مثال من الشرح:

«وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ فَدَتْ عَلِيًّا بِنِ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ».

هذا الذي ذُكِرَ هو عمرو بن العاص.... وخارجة رجلٌ من سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْنٍ رَهْطِ عمرو بن العاص. وكان من خبره أنه لما اجتمعت الخوارجُ على قتل عليٍّ، رضي الله عنه، ومعاوية وعمرو - كما قدّمنا ذكره - مشى زادويه مولى بني العنبر إلى عمرو على وعده مع صاحبيه^(٦)، في تلك الليلة، وأرصد لعمرو^(٧). وشكا

- = عادة: ابتسم البرق - (فالبرق لا يبتسم، ولكنه شبه بالإنسان ثم نسب إليه فعل من أفعال الإنسان).
التوشيح: بناء القطعة الشعرية على أشطر معينة في العدد والأوزان محتومة بقوافٍ مختلفة ولكن على نسق معلوم. التجنيس: الهجاء في الجملة الواحدة بكلمات تتفق في اللفظ وتختلف في المعاني
الصحائف: الأوراق والرسائل إلى جانب الصفائح أي السيوف.
(١) ذكر ذكر (كذا في الأصل)... الإحالات. الإحالة (نسبة الشيء إلى العالم به!). الرمد (بفتح فكسر) الكدر، الماء الأجف (المتغير، الفاسد). شوى الرجل الرجل: أصاب منه مقتلاً.
(٢) دبت إليهم الأيام: عدت عليهم وقست. أصابتهم بالزوال، الضراء: الشدة، الحال المضرة.
(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته (وسره).
(٤) المعمى: الأحمية (المعنى المضمر الغامض).
(٥) الرتاج: الباب. أنجد: جاء نجداً (المكان العالي) وأتهم: جاء تهامة (المكان المنخفض) - قدر على كل شيء.

(٦) مع صاحبيه: عبد الرحمن بن ملجم (بضم فسكون ففتح) الذي أراد قتل عليٍّ بن أبي طالب ثم الحجاج ابن عبد الله المعروف بالبرك (بضم ففتح) التميمي الذي أراد قتل معاوية.

(٧) تخفى ليقول عمراً (كان عمرو بن العاص يمر من قصره إلى المسجد في كل يوم لصلاة الفجر... في مرٍّ معروف).

عمرؤ في تلك الليلة من بطنه فلم يخرج للصلاة. فخرج خارجاً^(١) ليُصلي بالناس عَوْضَ عمرو. فظنه زادويه عمراً^(٢) فضربه وقتله. وأخذ (زادويه) ودخل به على عمرو فسمعهم يخاطبونه بالإمارة، فقال: أو ما قتلتُ عمراً؟ قيل له: لا، إننا قتلنا خارجة. فقال: أردتُ عمراً والله أرادَ خارجة. فذلك قوله: وليتها. والهاء عائدة على الليالي...

- ولابن بدرون في الغزل (نفح الطيب ١: ١٨٥):

العشقُ لذته التّعنيقُ والقَبْلُ، كما مُنْغِصُهُ التّثريبُ والعذلُ^(٣).
يا ليتَ شعري، هل يُقضى وِصَالُكُمْ؟ لولا المني لم يكن ذا العمرُ يتّصل!

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، لندن ١٨٤٦ - ١٨٤٨ م؛ كرامة الزهر وصدفة الدرر (شرح البسامة)، مصر ١٣٤٠ هـ؛ في «مجموعة....» (نشرها محي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ (٢).

★ الصلة رقم ٨٣١، التكملة (رقم ١٧٢٧) الذيل والتكملة ٥: ٢١؛ نفح الطيب ١: ١٨٥، ٥٢٩، ٤: ٣٥٣؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠ (في ترجمة ابن عبدون)؛ بروكلمن ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩ - ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٦ (١٦١)؛ نيكل، راجع ١٧٦ (البسامة لا البسامة)؛ تاريخ النقد الأدبي لداية ٢١١ - ٢١٥؛ سركيس ٤٥.

الكانميّ الأسود

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب^(١) الكانميّ، نسبة إلى كانم^(٥) من قرية

(١) خارجة بن حذافة رئيس الشرطة لعمرو بن العاص.

(٢) زادويه أو دادويه مولى بني العنبر.

(٣) التعنيق: أخذ أحد الشخصين بعنق الآخر. التثريب والعذل: اللوم.

(٤) في المقتضب: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد. وفي تاج العروس أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

(٥) في تاج العروس: كانم جنس من السودان وهم بنو عمّ تكرور ثم بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذي بجنوب الغرب (المغرب) وكذا تكرور اسم للأرض. وتقع كانم إلى الشرق والشرق الشمالي من بحيرة شاد سكنها أولاد سليان والشوا (وهم من عنصر عربي). ويبدو أن بعضهم جاء من =

اسمها بَلْعَةُ. ويبدو أنه كان من العرب الذين انتقلوا إلى كانم من ليبيا، ومن أجل ذلك يُزاد في نسبه « الذكواني السلمي »^(١). وقد اكتسب لونه الأسود ولقبه أيضاً من سكناه في السودان (الغربي).

وجاء الكانمي، قبل سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، إلى مراكش وأقرأ فيها الآداب ثم دخل الأندلس ومدح أكابر الدولة. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م) أو ٦٠٩.

٢ - الكانمي الأسود أديبٌ شاعرٌ مشهور^(٢) ولم يُعرف في أرضه شاعرٌ سواه^(٣). كانت العُجْمَةُ غالباً عليه، ولكنه كان شاعراً مُحسناً جيدَ النظم رُوِيَ له أبياتٌ في الحِكْمَةِ والفخر مع شيءٍ من التصنيع. وكان عارفاً بالنحو.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكانمي الأسود يفتخرُ بنفسه ويعتذرُ للونه الأسود:

إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْعُجْمُ حَلَّتْهَا فَقَدْ نَهَانِي إِلَى ذِكْوَانِهَا مُضَرُّ^(٤).
فَلَا يَسُوكَ مِنَ الْأَغَادِ حَالُهَا إِنْ كَانَ بَاطِنُهَا الصَّمَامَةُ الذَّكْرُ^(٥)!

= ليبيا بعد أن كانوا قد انتقلوا إليها وإلى تونس من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وكانم في جمهورية تشاد اليوم..

(١) الذكواني السلمي نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (بضم الباء) بن سليم (بضم السين وفتح اللام) (راجع عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمد بن أبي عثمان الخازمي الهمداني، الطبعة الثانية - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ص ٦٢).

(٢) القاموس ٤: ١٧٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠.

(٤) العجم: غير العرب (والمقصود هنا: الزنج). ثنائي: رفعتي، رفع نسي، وصل نسي. مضر جدٌ لعرب الشمال.

(٥) الفعد: قراب (بيت) السيف. الحالك: الأسود اللون. الصمصامة: السيف الذي يقطع في العظام. الذكر: الذي سقى الذكرة (بضم الذال المعجمة): الفولاذ فأصبح ليثاً من غير أن ينكسر، ثم أصبح مصقولاً أبيض.

- وقال في الموت وفي غفلة الناس في حياتهم:

أفي الموت شك، يا أخي، وبرهان! فقيم هجوع الخلق والموت يقظان^(١)!
أتسلو سلو الطير تلقط حبها، وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان^(٢)؟

- وقال يعبر عن كرهه للهجاء:

كم سائل: لم لا تهجو؟ فقلت له: لأنني لا أرى من خاف «من هاجي».
لا يكره الذم إلا كل ذي أنف، وليس لؤم لئام الخلق «منهاجي»^(٣)!

- ودخل الأديب أبو اسحاق إبراهيم بن يعقوب الكاظمي على المنصور الموحي

فأنشده (الاستقصا ١: ١٨١):

أزال حجابَه عني، وعيَني تراه من المهابة في حجاب.
وقربَني تفضُّله، ولكن بُعدت مهابةً عند اقترابي.

٤-★★ الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠ - ١٧١؛ المقتضب ١٠٩ - ١١٠؛ نفح الطيب ٤:
٣٨٠؛ الاستقصا ١: ١٨١؛ تاج العروس ٩: ٥١.

محمد بن سيدر اي

١- هو أبو بكر محمد بن سيدر اي^(١) بن عبد الوهاب بن وزير^(٢) القيسي من
أمراء المغرب، كما كان أبوه من قبله وابنه عبد الله من بعده^(٣). وظل أبو بكر بن

(١) وبرهان (أي هل يحتاج إلى برهان؟). الهجوع: النوم.

(٢) أتسى، أي الإنسان، نفسك وأنت تتمتع بالحياة، كما تتسنى الطير نفسها وهي تلتقط طعامها من الأرض، وقد يكون حولها أشراك وفوقها في الجو عقبان (طيور كاسرة)؟

(٣) الأنف: الاستكبار (ترك الأمور التي لا تليق بالرجل النبيل). لؤم (كذا في الأصل بالهمزة) والأصوب أن تكون «لوم» بالواو (هجاء).

(٤) في «نفح الطيب»: سدر اي. (راجع ٤: ٣٦٥، الحاشية: سيدر اي). وفي «المغرب» سدر اي.

(٥) كذا في نسق نسه (الحلة السراء ٢: ٢٧١). وفي المغرب ونفح الطيب: كان كاتباً ووزيراً.

(٦) راجع مناقشة طويلة مفيدة في تحقيق حول ولاية آل سيدر اي في الأندلس (الحسين مؤنس، الحلة السراء ٢: ٢٧٢).

سيدر اي والياً على قَصْرِ الفتح حَتَّى مَقْتَلِهِ فِي وَقْعَةِ الْعِقَاب^(١)، نصف صفر من سنة ٦٠٩ (١٧ / ٧ / ١٢١٢ م).

٢ - كان مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَايَ، كَأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ رَجَالَاتِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ وَقَائِداً كَبِيراً. وَكَانَ شَاعِراً مُحَسَّناً مِنْ فَنُونِهِ الْحِمَاسَةُ وَالْعَزَلُ وَالطَّرْدُ (فَلَهُ وَصْفٌ فِي الْكَلْبِ وَشَعْرٌ فِي حِمَامَةٍ).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَايَ فِي الْحِمَاسَةِ، فِي مَعْرَكَةٍ انْتَصَرَ فِيهَا عَلَى الْأَسْبَانِ^(٢):
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَى الطَّعْنُ بَيْنَنَا فَمِنَّا وَمِنْهُمْ طَائِحُونَ عَدِيدٌ^(٣):
رَجَالٌ غَرَارُ الْهِنْدِ فِينَا وَفِيهِمْ فَمِنَّا وَمِنْهُمْ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ^(٤).
فَلَا صَدْرَ إِلَّا فِيهِ صَدْرٌ مُثَقَّفٍ، كِلَانَا عَلَى حَرِّ الطِّعَامِ جَلِيدٌ^(٥).
وَلَكِنْ شَدَذْنَا شِدَّةً فَتَبَلَّدُوا، وَمَنْ يَتَبَلَّدُ لَا يَزَالُ يَحِيدٌ^(٦).
فَوَلَّوْا وَلِلْبَيْضِ الرِّقَاقُ بِهَامِهِمْ صَلِيلٌ وَلِلسُّمْرِ الطَّوَالِ وَرُودٌ^(٧)!

(١) كانت وقعة العقاب (بكسر العين) قرب جيّان، جنوبيّ الأندلس، وقد انهزم الموحّدون فيها وباد معظم جيشهم.

(٢) لعلّه قال هذه الأبيات بعد المعركة (التي استردّ الموحّدون فيها قصر الفتح من البرتغاليين ٥٨٧ هـ ١١٩١ م).

(٣) طاح يطوح ويطيح: هلك.

(٤) الغرار: حدّ السيف. غرار الهند (نسبة إلى السيوف التي كانت تصنع في الهند وتعرف عند عرب الجاهلية بمجودتها). الحصيد: المحصود (كناية عن القتل).

(٥) - فلا صدر (إنسان) إلا فيه صدر مثقف (صدر الرمح: القسم الأعلى من الرمح) كناية عن أن القتال كان مواجهة (لم يهرب أحد من الفريقين فيطعن في ظهره في أثناء هربه).

(٦) شدّدنا: هجمنا. تَبَلَّدُوا (كسلوا عن القتال، ملّوا). حاد: مال عن الطريق. ولا معنى واضحاً لها هنا. «لا يزال» حقّها أن تجزم (لا يزال) لأنّها جواب الشرط. وقد جزم الشاعر فعل الشرط «يتبلّد».

(٧) ولّوا: هربوا. البيض: السيوف. هامهم: رؤوسهم. صليل: صوت. السمر: الرماح. ورود: شرب. الرماح كانت ترد (أي تشرب دماءهم). في نفخ الطيب (٤: ٣٨١، ٤٦٥): بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود.

- وقال في النسيب:

وَمُرَّحِ الْأَعْطَافِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مُتَعَلِّلٌ أَبَدًا بِصِرْفِ مُدَامِهِ (١).
خَنَيْتُ الْحَاجِرِ وَالْجُفُونِ كَأَنَّا يَسْرِي فَتَوْرُ جُفُونِهِ لِكَلَامِهِ (٢).
فَضَحَ الْهَلَالَ بِوَجْهِهِ، وَلَرَبِّمَا فَضَحَ الْقَضِيبَ بِلِينِهِ وَقَوَامِهِ (٣).
وَعَدَا شَقِيقَ سَمِيَّةٍ فِي حُسْنِهِ وَعَدَا الْعَنَا وَقَفَا عَلَى لَوَامِهِ (٤).

٤- ** الحلة السراء ٢: ٢٧١ - ٢٧٥، ٢٩٧، المغرب ٢: ٤٣٠؛ نفح الطيب ٣: ٤٠٧ - ٤٠٨، ٤: ٣٨١، ٤٦٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٥ (٦: ١٥٤).

أبو العباس الجراوي

١- هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي^(٥)، نسبة إلى قبيلة جراويّة (وكانت مساكنها بين قسنطينة وقلعة بني حادّ، بالجزائر اليوم) وأصله من تادلة (قرب فاس، بالمغرب الأقصى)، ونسبه في بني غفجوم البربر. وقد كان مولده سنة ٥٣٠ (١١٣٥ م) قرب فاس (٢).

سكن أبو العباس الجراوي مراكش ودخل الأندلس مراراً. وكان الجراوي قد اتصل بالموحدين منذ أيام أوليهم عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، ثم استمرت

(١) مرّح العطف (بكسر العين: الجانب الأعلى من البدن): متايل الجسم (من الدلال أو السكر). المقصود أنه «يفعل الشيء الواحد مرّة بعد مرّة». صرف الراح: الراح (الخمر غير المزوجة بماء) التي تحدث في شاربها سكرًا شديدًا.

(٢) مسترخي الحاجر (العيون) من الدلال لا من المرض. يسري (يسير ليلاً): يمرّ، ينتقل. فتور: هدوء.

(٣) ولربّما (كذا في الأصل)، ولو كانت: «ولطالما» لكانت أصح وأبلغ. القضيب: الفصن.

(٤) سمّيه: الذي له مثل اسمه (القمر؟). الغناء: التعب (أصبح التعب على الذين يلومونه - أي يلوموني على حبّه - لأنني لن أسمع منهم).

(٥) يقال فيه أيضاً: الكورائي والكوراي والكراوي. وقيل جراويّة مكناسة اسم موضع. وقيل جراويّة أو كراوية أو كورايّا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس. وقيل كوراية برباب يعيهم أهل المغرب - راجع في كلّ ذلك (وفيات الأعيان ٧: ١٧٦؛ الفصن الياينة ٩٨، ١٥٨).

صِلَتْهُ بِهِمْ وَثِيقَةٌ وَخُصُوصاً فِي أَيَّامِ يَعْقُوبَ النُّصُورِ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي إِسْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِيُّ شَاعِرٌ مَشْهُورٌ، وَلَكِنَّ شِعْرَهُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا لَا يُبْرَرُ شُهْرَتُهُ. وَقَدْ كَانَ كَثِيرَ التَّكْبِيرِ مُعْتَدّاً بِنَفْسِهِ شَدِيدَ الْحَسَدِ لِلشُّعْرَاءِ، لَا يُقِرُّ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِالتَّقَدُّمِ عَلَيْهِ. وَشِعْرُهُ مَتِينٌ مُشْرِقِي الدِّيَاجَةِ سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ يَدُورُ فِي مُعْظَمِهِ عَلَى الْمَدْحِ وَالْهِجَاءِ وَالْحِكْمَةِ وَالغَزَلِ وَالْوَصْفِ. وَهُوَ يُكْثِرُ الْإِتْكَاءَ فِي وَصْفِ الْمَعَارِكِ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُنْتَبِيِّ. وَأُولَعُ بِالْهِجَاءِ حَتَّى هَجَا قَوْمَهُ. وَلَهُ هِجَاءٌ لِلْمُدُنِ وَالنَّاسِ، وَرُبَّمَا أَقْدَعَ فِي هِجَائِهِ. وَكَانَ الْجَرَاوِيُّ حَافِظاً لِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ الْقُدَامَى وَالْمُحَدِّثِينَ جَمَعَ مِنْهُ كِتَاباً عَنْوَانُهُ: «صَفْوَةُ الْأَدَبِ وَنُخْبَةُ كَلَامِ الْعَرَبِ» (وَيُعْرَفُ بِاسْمِ «الْحِمَاسَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ») صَنَعَهُ عَلَى مِثَالِ حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- فِي سَنَةِ ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) جَازَ النُّصُورُ الْمُوحِّدِيَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَقَاتَلَ الْإِسْبَانَ فِي مَعْرَكَةِ الْأَرْكِ وَانْتَصَرَ انْتِصَاراً مُبِيناً زَادَ فِي وَجَاهَةِ الْمُوحِّدِينَ وَشَدَّدَ عِزَّائِهِ الْمُسْلِمِينَ وَرَدَّ الْخَطَرَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ. فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِيُّ يَمْدَحُ النُّصُورَ الْمُوحِّدِيَّ:

هُوَ الْفَتْحُ أَعْيَا وَصْفُهُ النَّظْمُ وَالنَّشْرُ	وَعَمَّتْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ الْبُشْرَى،
وَأُنْجَدَ فِي الدُّنْيَا وَغَارَ حَدِيثُهُ	فَرَاقَتْ بِهِ حُسْنًا وَطَابَتْ بِهِ نَشْرًا ^(١) .
لَقَدْ أوردَ الْأَذْفُونُشُ شَيْعَتَهُ الرَّدَى	وَسَاقَهُمْ جَهْلًا إِلَى الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى ^(٢) .
أَطَارَتْهُ شَدَاتٌ تَوَلَّى أَمَامَهَا	شَرِيداً وَأَنْسَتُهُ التَّعَاطُفُ وَالْكَفْرَا ^(٣) .

(١) أُنْجَدَ: جَاءَ إِلَى الْبِلَادِ الْعَالِيَةِ. غَارَ (يَقْصِدُ أَغَارَ): جَاءَ إِلَى الْبِلَادِ الْمُنْخَفِضَةِ. النَّشْرُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ.

(٢) الْأَذْفُونُشُ وَالْفُونُشُ مِنْ أَسْمَاءِ مُلُوكِ إِسْبَانِيَّةٍ (يَبْدُو فِي الْمَوَادِّ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ لَقَبٌ لِلْمُلُوكِ الْإِسْبَانِ).

وَقَدْ انْتَصَرَ النُّصُورُ الْمُوحِّدِيَّ فِي مَعْرَكَةِ الْأَرْكِ هَذِهِ عَلَى الْفُونُشِ الثَّامِنِ، سَنَةِ ٥٩١ هـ (١١٩٥ م).

الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى: الْهَزِيمَةُ فِي مَعْرَكَةِ الْأَرْكِ.

(٣) الشَّدَّةُ: الْهَجْمَةُ.

رأى الموتَ للأبطالِ حولِهِ يَنْتَقِي
وقد أوردَتْهُ الموتَ طَعْنَةً ثائِرٍ
ولم يَنْقَ من أَفْنَى الزمانِ حِمَاتِهِ
ودارتِ رَحَى الهَيْجَا عليهم فأصبحوا
يَطِيرُ بِأَسْلَاءٍ لهم كُلُّ قَشْعِمٍ .
فكيفَ رأى المُغْتَرَّ عُنْبِي اغْتِرَارِهِ؟
وكان يرى أَقطارَ أُنْدُلُسٍ له
فسلَّاهُ يومُ الأربعاءِ عن النُسى

- وقال يُهْنِئُ المنصورَ الموحِّدِيَّ بالعيد:

شِلَلْتُ بِبِقَائِكُمُ الْأُمَمُ
وَهَمْتُ دَيْمٌ من راحَتِكُم
وَعَنَلْتُ لِعَزَائِمِكُمُ عَرَبُ
أُسْدُ تَنْقَادُ الْأُسْدُ لَهَا،
حُمِدَتِ شَيْمُ الْأَيَّامِ بِكُمُ،
أَعْيَا الْبُلْفَاءُ مَقَامَكُمُ
وَسَمَلْتُ بِرَجَائِكُمُ الْهِمَمُ .
هِيَهَاتِ تُسَاجِلُهَا الدَّيَمُ!^(١)
تَشْقَى بِصَوَارِمِهَا الْعَجَمُ^(٢) .
بُهُمُ تَنْقَادُ لَهَا الْبُهُمُ^(٣) .
وَلَكُمُ ذُمَّتْ مِنْهَا الشَّيَمُ!
وَلَوْ أَنَّ مَقَالَهُمُ حِكَمُ^(٤) .

(١) فطارَ إلى أَقْصَى... (٢).

(٢) الثائر: (هنا) المنصور الموحِّدِي. يقول الشاعر إن ملك الإسبان مات في المعركة في مقتبل العمر، مع

أَنَّ أَلْفُونِسَ الثامن عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ١٢١٤ م (٦١١ هـ).

(٣) الصبر (يجب تسكين الباء فيها حتى تستقيم في الوزن). الشاعر يقصد الصبر (بفتح فكس): عصير شجر مرّ.

(٤) الرحى: الطاحون. الصبا: ريح الشرق (هنا: الريح). مُدْرَى (مفروق).

(٥) الشلو (بالكسر) العضو، بقية الجسم بعد تقطيعه. - غداً بطنه قفراً (٢): قبرا.

(٦) همى، سحّ، انسكب المطر. الديمة: الغيمة المملوءة بالماء. تساجلها: تبارها، تعادها، تساوها، تشبهها.

(٧) عنى: خضع. الصارم: السيف. العجم (في الأندلس) النصارى الذين لم يتعلّموا العربية (والنصارى الذين تكلموا العربية كان اسمهم المستعربين).

(٨) البهم جمع بهمة (بضمّ الباء): الصخرة، الرجل الشجاع.

(٩) - البلغاء عجزوا (بفتح الجيم) عن توفية حقك من المديح...

العَيْدُ أَحَقُّ بِتَهْنِئَةٍ فَلَسْهُ بِكُمْ فَخْرٌ عَمُّ.
- وقال يهجو مدينة تادلا وأهلها من بني غَفْجُومِ ثمَّ يستطردُّ إلى هجاء قومه بني
الملجوم:

يا ابنَ السَّيْلِ، إِذَا نَزَلْتَ بِتَادِلَا لَا تَنْزِلَنَّ عَلَيَّ بَنِي غَفْجُومِ^(١)؛
أَرْضٌ أَغَارَ بِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى إِلَّا مُجَاوِبَةَ الصَّدَى لِلْبُومِ.
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَّاحَةِ بَيْنَهُمْ لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لِوَاءَ اللُّومِ^(٢).
لَا حَظٌّ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمِ لِلْسَائِلِ الْعَاقِي وَلَا الْحَرُومِ^(٣).
لَا يَمْلِكُونَ، إِذَا اسْتُبِيحَ حَرِيمُهُمْ، إِلَّا الصُّرَاخَ بِدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ^(٤).
يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أَهْلِ فَاسٍ مِنْ بَنِي الْمَلْجُومِ.
- وقال في هجاء أهل فاس:

مَشَى اللُّومُ فِي الدُّنْيَا طَرِيداً مُشَرِّدَاً يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقاً وَمَغْرِبَا.
فَلَمَّا أَتَى فَاساً تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا!
- كان أبو العباس الجراويُّ في تُونِسَ، فتناول فتى - كان الجراويُّ يميلُ إليه -
سوسنةً صفراءَ وأدناها من خَدِّه، فقال الجراويُّ ارتجلاً:

وَعُلُوِّي الْجَمَالَ إِذَا تَبَسَّدَى أَرَاكَ جَبِينَهُ بَدِراً وَنَاراً^(٥)؛
أَشَارَ بِسَوْسَنِ يَحْكِيهِ عَرَفَاً وَيَحْكِي لَوْنَ عَاشِقِهِ أَصْفَرَاراً^(٦).

(١) ابن السبيل: المافر الذي انقطع (فقد ماله ووسائل العودة إلى بلاده).

(٢) الساحة: الجود، الكرم. اللوم = اللوم.

(٣) النوال: العطاء. العاقي: طالب المعروف (المطاء)، المحتاج.

(٤) الصراخ بدعوة المظلوم: الاستنجاد، القول بأنهم مظلومون.

(٥) علوي نسبة إلى علو (بضم فسكون): أعلى كل شيء. علوي الجمال: ذو جمال فوق طور البشر (كجمال الملائكة، في خيال الناس). أراك جبينه بديراً (طلعة بيضاء مضيئة) وناراً (احمراراً يزيد البياض جالاً؟).

(٦) أشار بسوسن (بحد يشبه السوسن: الزنبق الأبيض) يحكيه (يشبه السوسن أيضاً) عرفاً (رائحة طيبة)
(٢). ثم إن البياض في الحد، إذا خالطه شيء من الصفرة كان أكثر جالاً. ولكن الصفرة الكثيرة في =

٤-★★ زاد المسافر ٤٩-٥١؛ الوافي بالوفيات ٨: ٦١؛ وفيات الأعيان ٧: ١٣٦-١٣٧؛ برنامج الرعي ٢٠٤؛ الغصون الياقة ٩٨-١٠٣؛ نفح الطيب ٢: ٥٠٢، ٣: ٢٠٩-٢١٠، ٢٣٨، ٤: ٨٧-٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٩، ٥٩٨-٥٩٩، ٦٨٠-٦٨١، ٨٥٤-٨٥٨، ٩٠٩، ٩١٠؛ الأدب المغربي؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٥ (١٥٠)؛ الأدب المغربي ١٩٣-١٩٨.

الجزوليّ النحويّ

هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَحْت بن عيسى بن يُوما ريليّ الجزوليّ اليزدكُتنيّ، وُلِدَ نحو ٥٤٠ هـ (١١٤٥-١١٤٦ م).

رَحَلَ الجزوليّ هذا إلى المشرق وَحَجَّ ثُمَّ نَزَلَ مِصْرَ فَقَرَأَ النحو على ابنِ بَرِّي (ت ٥٨٢ هـ): قرأ عليه كتابَ «الجُمَل» للزجاجي. وكذلك قرأ مذهبَ مالك وأُصولَ الفقه على الفقيه أبي منصورٍ ظافر بن الحسين (ت ٥٩٧ هـ). وعاشَ في مِصْرَ فقيراً يَعْمَلُ لِيَعِيشَ ولم يدخلْ مدرسة^(١).

وعاد الجزوليّ إلى المِغْرِبِ ونَزَلَ في المَرْيَةِ (الأندلس) ونالَ حُظُوَّةً عند الموحّدين. ثُمَّ إِنَّهُ انتقل إلى بجاية (في المِغْرِبِ الأوسط) وأقامَ فيها مُدَّةً للإقراء والتدريس، ثُمَّ انتقل إلى مَرَاكُشَ وتولّى الخطابة في جامعها.

وكانت وفاةُ الجزوليّ النحويّ في آزموَر (وقيل في هسكورة)، قُرْبَ مدينةِ مَرَاكُشَ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠-١٢١١ م)، وقيل قُبَيْلَ ذلك أو بُعِيدَ ذلك ولكنْ قَبْلَ سَنَةِ ٦١٠ هـ. واختار ابنُ قُنفُذٍ (كتاب الوفيات، ص ٦٠٤): سَنَةُ ٦١٦ هـ.

كان أبو موسى الجزوليّ مِزواراً (في البربريّة: مُقَدِّماً في قومه)، وكان تَقِيّاً فاضلاً، وقد عَيَّنَهُ الموحّدون للكُشْفِ على القضاة والولاة (مفتشاً) ثِقَةً مِنْهُمْ بعدالته

= الوجه (من المرض، مثلاً) غيب. ولون وجه العاشق يكتسب صفرة من العشق الذي يصبح في صاحبه مرضاً.

(١) المدرسة (في الإسلام): مؤسسة تنشئها الدولة أو ينشئها الأفراد للتعليم، ولكنْ خاصّتها أن يكون المبيت فيها والطعام مجّاناً.

وأمانته ونزاهته. وكان الجزولي إماماً في النحو، له «المقدمة» (وتُعرف أيضاً باسم الكراسة والقانون والاعتماد)، ألّفها في مصر، وقد نُتِجت له من الأسئلة التي كان هو يُلقّيها على ابن بري في أثناء قراءة كتاب «الجمال» ومن الأسئلة التي كان يُلقّيها غيره من الطلاب. و«المقدمة» هذه شديدة الإيجاز مُجرّدة من الأمثلة والشواهد. من أجل ذلك كانت غامضةً عسيرة الفهم فشرحها جماعة، ولكن ظلت قليلة الفائدة العملية. ومع ذلك فالناس كثيرون الاهتمام بها.

وللجزولي أيضاً: أمال (في النحو) - مختصر الفسر لابن جني (في شرح ديوان المتنبي)* - شرح أصول ابن السراج - شرح بانت سعاد

- شرح قصيدة «بانت سعاد.....»

★ ★ انباء الرواة ٢: ٣٧٨ - ٣٨٠؛ الوافي بالوفيات ٥: ٦٣٣؛ التكملة ٦٩٠ (رقم ١٩٣٢)؛
وفيات الأعيان ٣: ٤٨٨ - ٤٩١؛ صلة الصلة ٥٣ - ٥٤ (رقم ٩٥)؛ ابن قنفذ ٣٠٧ -
٣٠٨؛ بغية الوعاة ٣٦٩ - ٣٧٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢:
١: ٣٧٦، الملحق ١: ٥٤١ - ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٨ (١٠٤)؛ النبوغ
المغربي ١٥٢ - ١٥٣.

أبو جعفر الحميري المؤدّب

١- هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميري الوزغي، وُلِدَ سَنَةَ ٥١٤ هـ (١١٢٠ - ١١٢١ م) من أهل قرطبة؛ أدرك جماعة من كبار العلماء في الأندلس فأخذ عنهم القرآن والحديث والآداب. ثم إنّه جلس للتأديب والإقراء يقرأ على الطالبين ديوان الحماسة وديوان المتنبي من حفظه. وكانت وفاته في صفر من سنة ٦١٠ (صيف ١٢١٣ م).

٢- كان أبو جعفر الحميري المؤدّب مُحِبّاً للعلم واسع الرواية للأدب من شعر ونثر وأمثال وما يتعلّق بها من أخبار وأسباب وأحوال، حسن التحديث. وكان خطيب جامع قرطبة.

٣ - مختارات من آثاره:

- كان عبد الواحد المراكشي يدرسُ على أبي جعفر الحميري، فأنشد المراكشي شيئاً من شعره أمام أبي جعفر - وكان عصام بن أبي جعفر حاضراً - فالتفت أبو جعفر إلى ابنه وقال له:

هذا - والله - الشعر، لا ما كنت تُصدّعي به طولَ نهارك. إن كنت تقول مثل هذا (الذي قاله عبد الواحد المراكشي) وإلا فاسكت.

فلما كان من الغد قال (أبو جعفر لعبد الواحد): أعلمت ما صنّع عصام أمس كان كما قالوا في المثل: «سَكَتَ أَلْفًا...»، لم يزلْ أمس يُعْمِلُ فِكْرَتَهُ، فبعد الجهد الشديد أخذ معنى بَيْتِكَ فَسَلَبَهُ رُوحَهُ وأَعَدَمَهُ رَوْنَقَهُ وَمَسَحَهُ جُمْلَةً فقال ما زاد فيه أكثر من المجاز والحقيقة.

فقلتُ أنا (أي عبد الواحد): هذا، والله، أحسن من شعري. فتغيّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عَنْكَ هذه العادة، فإنَّ أسوأ ما تَخْلُقُ به الإنسانُ المَلَقُ وتَزِينُ الباطل، سيِّما إذا أضافَ إلى ذلك الحَلَفَ الكاذب. والله، إنَّكَ لتَعْلَمُ أَنَّ هذا ليسَ بشيءٍ، وإلا فقدِ اخْتَلَّ مِيزُكَ وساء اختيارُكَ. وما أظنُّ هذا هكذا.

- كان أبو جعفر أحمد بن يحيى يُحِبُّ أن يتملّحَ في الشعر. قرأ عليه غلامٌ اسمه عيسى ثم اتَّفَقَ أن قرأ عليه غلامٌ آخرُ اسمه مُحَمَّدٌ، فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ عِيسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ: هُدَيْتُ. ولولا الله ما كُنْتُ أَهْتَدِي.

وما عَنْ مَلالِ كالي ذاك، وإِنَّا شريعةُ عيسى عَطَّلْتُ بِمُحَمَّدٍ.

٤-★★ المغرب ١: ٢١٥؛ المعجب ٢١٩ - ٢٢٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٩ (٢١٧).

ابن أبي البقاء البلنسي

١ - هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان البلنسي المعروف بابن أبي البقاء من أهل سرقسطة، تعلّم العربية (النحو) ثم تصدرّ للتعليم فيها. وكانت وفاته

٢- كان ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ بارعاً في العربية وقد اعتنى بتَقْيِيدِ الآثارِ (الحديث!)، كما كان شاعراً مُجَوِّداً مُحَسِّناً في الوصفِ والغزلِ والثناءِ .

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ يَصِفُ السِّيفَ:

وذي رَوْنَقٍ كالبرق، لكنَّ وَعْدَهُ صدوقٌ. ووَعْدُ البرقِ كِذْبٌ، ورُبِّيًّا^(١).
عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلٍّ تَمَائِي، وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سُلْماً^(٢)!
وساءَ الأعادي إذ بَكَتْ شَفْرَاتُهُ، وَسَرَّ وَلَاةَ الْوُدِّ حِينَ تَبَسَّ^(٣).

- وقال في الغزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ حِجَامٍ^(٤).
عَبَرَاتٌ تَصُودُ عَنْ نَظَرَاتٍ، وَنَشِيجٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ^(٥)؛
وَدِمَاءٌ تُرَاقُ بِاسْمِ دُمُوعٍ، وَنُفُوسٌ تُؤَدِي^(٦) بِرِسْمِ سَلَامٍ.
شَرِبْتُ بَعْدَكَ اللَّيَالِي حِيَاقِي غَيْرَ أَوْشَالٍ لَوْعَتِي وَسَقَامِي^(٧).

(١) الرونق: الحُسْنُ والجمال، و(في السيف) صفاؤه ولونه. وعده صدوق: إذا هَزَ (بَضَمَ الهاء) ولم قبل أن يضرب به حامله كان صدوقاً (قاتلاً، مصيباً). أمَّا برق الماء فقد يلمع ولكن يكذب (لا يعقبه مطر). - ورُبِّيًّا أعقبه مطر أحياناً.

(٢) النجاد: جمالة (بكسر الهاء) السيف. حلَّ (عند فكٍّ أو خلع) تَمَائِي (التميمة حرز يعلَّق في عنق الصبي الصغير): منذ طفولتي تَمَرَّنت على القتال بالسيف.

(٣) حينما يبكي حدَّ سيفي (يسيل عليه الدم) يكون قد قتل به عدوً لقومي. تَسَّ السيف: لمع (وهو يهتز في يد المحارب). يَسَّرَ به الولاة (الأصدقاء - لأنه سيصرهم على خصومهم).

(٤) بصير الغرام: العارف بأمور الحب. الحِجَام (بكسر الهاء): الموت.

(٥) عبرات (دموع) تصدَّ (تنعج، تحول دون) نظرات (الرؤية). النشيج: البكاء بصوت خافت في الصدر.

(٦) كذا في الأصل. ولعلَّها «نودي» بلا همز (تهلك).

(٧) الوشل (بفتح ففتح): بقية الماء في الحوض ونحوه.

- وله مَرثِيَّةٌ منها:

قد عَلَّمَتْنِي اللَّيَالِي أَنَّ رَيْقَتَهَا صَابٌ، وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا عَسَلٌ^(١).
 إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الْآمَالُ مُشْرِقَةً بِهِ وَعَيْشُ الْأَمَانِي بَرْدُهَا خَضِيلٌ^(٢)
 أَصَابَ صَرَفُ اللَّيَالِي مِنْهُ قُطْبَ حِجْيَ يَأْمَنُ رَأْيَ الشُّهْبِ قَدْ أَغْيَتْ بِهَا السُّبُلُ^(٣)
 وَهَدَّ لِلْجِلْمِ طَوْدًا شَامِخًا عَلَمًا. يَا لِلْيَالِي تَشْكُو صَرَفَهَا الْحِيلُ^(٤)!
 وَضَاقَ وَجْهُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ بَهْجَتِهِ، فَكَيْفَ تَوْسِعُهَا إِشْرَاقُهَا الْأَصْلُ^(٥)؟

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ٢١٥.

ابن خروف

١- تُشير المصادر، في هذه الحِقْبَةِ، إلى آتْنَيْنِ بِأَسْمِ «ابنِ خَرُوفٍ»: (أبي الحسنِ عليُّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عليٍّ، ثمَّ أبي الحسنِ عليُّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ يُوْسُفَ). وَكِلَاهُمَا قَالَ شِعْرًا وَأَلَّفَ فِي النَحْوِ. وَكِلَاهُمَا رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَحَجَّ وَزَارَ مِصْرَ وَسَكَنَ حَلَبَ (فِي شَمَالِي الشَّامِ: سُورِيَّة) مَدَّةً. وَلَكِنَّ هُنَاكَ خِلَافًا يَسِيرًا فِي تَارِيخِ وَفَاتَيْهِمَا (بَيْنَ ٦٠٥ وَ ٦٢٠ لِلْهِجْرَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا) وَفِي مَكَانِ مَوْتِهَا وَصُورَةِ مَوْتِهَا - أَحَدُهَا مَاتَ فِي إِسْبِيلِيَّةِ (الْأَنْدَلُسِ)، وَالْآخَرُ مَاتَ فِي حَلَبَ، أَوْ مَاتَ فِي حَلَبَ مُتَرَدِّيًا (سَاقِطًا) فِي بَثْرَ.

-
- (١) صاب: شجر مر.
 (٢) بردها، في الأصل بفتح الباء: (ضدَّ الحرِّ)، وَلَعَلَّهَا بضمَّ الباء: الثوب الجميل من الحرير. الخفضل: المبتل (اللين، الجديد).
 (٣) القطب: المحور الذي تدور عليه الأرض، الطاحون الخ (الرجل الركن في قومه). الحجى: العقل. الشهاب: النجم. (مع أنَّ لِلنَّجُومِ مَدَارًا مَعْرُوفًا مَعَيَّنًا مَحَدَّدًا، فَإِنَّ النَّجُومَ أَصْبَحَتْ - بَعْدَ مَوْتِ الْمَرْتِي - لَا تَهْتَدِي فِي سِيرِهَا). صرف الليالي: الخطب، المصيبة.
 (٤) الخلم: سعة الصدر والأناة (التفكير بهدوء)، العقل. الطود: الجبل. الشامخ: العالي. العلم: المشهور الظاهر من مكان بعيد. الشطر الثاني ورد هكذا. رَبَّيَا الْجَبَلَ (بِالْجِيمِ) مَكَانَ «الْحِيلِ» (بِالْهَاءِ وَالْيَاءِ).
 (٥) كان الليل الدامس لا يستطيع أن يحجب نور وجه فلان المرتي، فكيف أظلم الأصل (ما بين العصر والمغرب: غروب الشمس) عند موته (أو دقته)؟

وفي تَرْجَمَتِي أَبْنَى خُرُوفٍ هَذِينَ، في المصادر (معجم الأدباء - وفيات الأعيان - صلة الصلة - نفح الطيب وغيرها) تداخلٌ شديد. نَبّه عليه إحسانُ عَبّاس (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥ ثم في نفح الطيب ٢: ٦٤٠) في حاشِيَتَيْنِ على شيءٍ من التفصيل، ولكنَّ تَيْنَكَ الحاشيتين أَكْتَفَتَا بالإشارة الدالّة الواضحة ولكنَّ لم تَفْصِلَا في الأمر. ومن الغريب أن قصّة واحدة وأبيات شعرٍ واحدة ورسالة واحدة تأتي كُلُّها مَنسوبة إلى الأسمين في وفيات الأعيان (٧: ٩٤ - ٩٥، من القسم المرقّم بالأرقام الهندية) وفي نفح الطيب (٢: ٦٤٠ - ٦٤٢).

والمفروض أن ابنَ خُرُوفٍ المترجم هنا هو نظامُ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بن عليٍّ الأندلسيُّ النَّحْوِيُّ (بغية الوعاة ٣٥٤) والذي هو ضياء الدين أو نظام الدين.... القَيْسِيُّ القُرْطُبِيُّ القَبْذاقِيُّ^(١) الشاعرُ، عند المَقْرِي (نفح الطيب ٢: ٦٤٠ - ٦٤٢)، بدليل عددٍ من النّاذجِ المنسوبة إليه بأعيانها في المَصْدَرين. ولعلَّ شيئاً من التّدَاخُلِ قد وَقَعَ أيضاً في الترجمة المُثَبَّتة على هذه الصّفحات. وكان مَوْلُدُ ابنِ خُرُوفٍ هذا نحو سَنَةِ ٥٢٥ للهجرة (١١٣١ م).

تَخَرَّجَ ابنُ خُرُوفٍ في النحْوِ على أبي الحسن بن طاهر الأندلسي المعروف بالحَدَبِ^(٢). وقد كان في أثناء ذلك كَلَهَ رَجُلًا رقيقَ الحاشية يَعْمَلُ خَيَّاطًا. ثمَّ إِنَّه جَعَلَ يَتَمَرَّضُ بالمدحِ للأمرء والأعيان: مَدَحَ إدريسَ بنَ يوسفَ بن عبدِ المؤمنِ في سَبْتَةٍ، ومدح الوزيرَ أبا سعيدِ بنِ جامعٍ في مَرَاكُشَ، ولكن يبدو أنه لم يَنْبَلْ حُظُوةً عند الممدوحين. ثمَّ مَدَحَ أبا عبدِ اللهِ مُحَمَّدَ بنَ عِيَّاشٍ - وكان كاتباً ليعقوبَ المنصورِ الموحّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ولابنهِ الناصرِ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) فلم يُسَرَّ منه قَطُّ فعزم

(١) القَبْذاقِيُّ (نفح الطيب ٢: ٦٤٠). وفي الفصول البانعة (ص ١٣٨): القَبْذاقُ حصن بين غرناطة وقرطبة وهو القَبْذاق (اعمال الأعلام ٣٣٤، السطر التابع، ٣٦٥، أسماء الأماكن؛ الاحاطة ٥٦٩).

(٢) الحَدَبُ (بكسر ففتح فتشديد) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت ٥٨٠ هـ) مقريء للقرآن وحافظ للحديث ونحوي مشهور (راجع الوافي بالوفيات ٢: ١١٣ - ١١٤؛ بغية الوعاة ١٢). والحَدَبُ هو الرجل الطويل (بغية الوعاة ١٢). والحَدَبُ في تاج العروس (الكويت ٢: ٣٣٧): الشيخ العظيم الجافي الضخم.

على ترك المغرب فرَحَلَ إلى مِصْرَ ثُمَّ إلى حَلَبَ وأقام فيها مُدَّةً. ثُمَّ إنه عاد إلى الأندلس وتُوفِّيَ في إشبيلية، سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلب^(١).

٢- كان ابنُ خروفٍ نَحْوِيًّا مُحِيطًا بعلوم العربية له مُصَنَّفَاتٌ بارعة؛ شَرَحَ كتابَ سيبويه شَرَحًا جَيِّدًا وشرح كتابَ الجُمَلِ للزَّجَاجِيّ. وهو شاعرٌ مُحَسِّنٌ أيضًا في شعره لَفَتَاتٌ قائمة على التأنقِ البلاغي.

٣- مختارات من آثاره:

- كَتَبَ ابنُ خروفٍ النحويُّ إلى قاضي القضاة مُحْيِي الدين بن الزكي يَسْتَقِيلُهُ من مُشَارَفَةِ مَارِسْتَانِ نور الدين، وكان بَوَّابُ المَارِسْتَانِ يُسَمَّى السَّيِّدَ (بكسر السين: الذئب):

مولايَ مولاي، أَجِرْنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ الْأَسَى وَالْحُتُوفِ^(٢)؛
وليس لي صَبْرٌ عَلَى مَنْزِلِ بَوَّابِهِ السَّيِّدِ وَجَدِّي خَرُوفٍ!
- وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شَدَّادٍ يَطْلُبُ مِنْهُ قِرْوَةَ خَرُوفٍ:

بِهَاءِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَبَعَرَ الْحَمْدِ وَالْحَسَبِ^(٣)،
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ۖ مِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَبِي^(٤).
وَقَضَّيْتُكَ عَالِمٌ أَنِّي خَرُوفٌ بِسَارِعِ الْأَدَبِ:
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ۖ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلِّي^(٥)!

- وقال في نهر النيل وفيضانه:

(١) في الذيل والتكملة (٥: ٣٩٩): توفي بجلب متردياً في بئر في «نحو» العشرين وستائة.

(٢) الأسى: الحزن. الحنف: الهلاك.

(٣) الحسب: الأصل الكريم، الفعل الكريم.

(٤) النوء: حال الجوّ (وتطلق في كلام الناس عادة على هبوب الريح وزيادة البرد).

(٥) حلب أشطر الدهر (كان ذا اختبار واسع). وكان ابن خروف قد أقام في حلب (مدينة في شمالي الشام:

سورية) مدة.

ما أعجبَ النيلَ، ما أحلى شَائلَه . في ضِفَّتِيهِ من الأشجار أرواحُ^(١) .
 مِنْ جَنَّةِ الخلدِ فياضٌ على تَرَعٍ . تَهْبُ فيها هُبُوبَ الرِّيحِ أرواحُ^(٢) .
 ليستْ زيادَتُهُ ماءً، كما زَعَمُوا؛ . وإِنَّا هِيَ أرزاقُ وأرواحُ^(٣) .

- وقال في صَيِّ مَليحٍ حبسه القاضي (لأنَّه سرق مالاً):

أقاضي المسلمينَ، حكمتَ حُكْمًا . أتى وجهُ الزمانِ به عَبوسًا:
 حَبَسْتَ على الدراهمِ ذا جَمالٍ، ولم تَحْسِهُ إِذ سَلَبَ النفوسا!
 - وكان ابن خَرُوفٍ يُكثِرُ من هجاءِ نَجْمِ الدينِ بنِ اللّهِيبِ؛ من ذلك قولُه:
 لابن اللّهِيبِ مَذْهَبٌ في كلِّ غَيٍّ قَدْ ذَهَبَ^(٤)؛
 يَتَلَوُ لِمَنْ يُنصِرُهُ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ»^(٥) .

- وقال أبياتاً فيها شيء من الغزل الصريح:

وَمُنَوَّعَ الحركاتِ يلعبُ بالنُّهى . لَيْسَ الحاسنَ عند خَلَعٍ لِباسِه^(٦) .
 مُتَأَوِّدٌ كالغُصْنِ بين رياضِه، مُتَلَفِّتٌ كالظَّبْيِ عِنْدَ كِناسِه^(٧) .
 بالعقلِ يلعبُ مُقْبِلًا أو مُدْبِرًا، كالدهرِ يلعبُ كيف شاءَ بِناسِه!

- ولابن خَرُوفٍ رسالةٌ (وفيات الأعيان ٧: ٩٤ - ٩٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٤١ -

٦٤٢) يقولُ فيها بعد الأبيات «بهاء الدين والدنيا» (راجع فوق في المختارات):

-
- (١) الشائل: الصفات الحميدة. الأرواح جمع ريح.
 (٢) أرواح (هنا) جمع روح (بالفتح): رحمة.
 (٣) أرواح جمع روح (بالضم): نفس (بفتح فسكون)، حياة.
 (٤) الغي: الضلال.
 (٥) «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» تضمين من القرآن الكريم (١١١: ١). أبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب (عم الرسول) وكان يؤذي الرسول. (التضمين كناية عن العذاب: من رأى ابن اللهب فكأنه (لقبح ابن اللهب وجفائه) يعانى عذاب جهنم).
 (٦) النهي: العقل.
 (٧) متأوّد: متأيل. الكناس: المكان الذي يأوي إليه الظبي (الغزال).

ذو الحَسَبِ الباهر والنسب الزاهر^(١) يسحبُ ذُيولَ سِيراءِ السَّراءِ^(٢) ويُحبُّ
 النُّحاة من أجل الفراء^(٣)، وَيَمُنُّ^(٤) على الخروفِ النبیهِ بِجلدِ أبيه: قاني الصباغ
 قريب عهدٍ بالدِّباغ^(٥)، ما ضلَّ طالبٌ قرظِهِ ولا ضاعَ، بل ذاعَ ثناءُ صانِعِهِ وضاعَ^(٦).
 أثبتُ خُمائلِ الصوف، يهزأ من الرياح بكلِّ هُوْجاءٍ عَصُوفٍ^(٧). إذا طَهَّرَ إهابه بِخافه
 البرْدُ ونَهَّاه^(٨). ما في الثياب له ضربٌ إذا نَزَلَ الجليدُ والضربُ^(٩)، ولا في
 اللباس له نظيرٌ إذا عَرِيَ من ورَقِهِ الغُصْنُ النَّصِيرُ؛ لا كَطَيْلَسَانَ ابنِ حَرْبٍ^(١٠)، ولا
 جلدِ عمرو المَرَّقِ بالضربِ^(١١)...

٤-★★ زاد المسافر ٦٢-٦٤؛ المغرب ١: ١٣٦-١٣٩؛ الفصول الياقة ١٣٨-١٤٤؛
 معجم الأدباء ١٥: ٧٥-٧٦؛ برنامج الرعي ٨١-٨٢؛ وفيات الأعيان ٣:
 ٣٣٥؛ فوات الوفيات ٢: ١٠٠-١٠١؛ التكملة، رقم ١٨٨٤؛ الذيل والتكملة
 ٥: ٣١٩-٣٢٣؛ صلة الصلة ١١٤-١١٥ (رقم ٢٣٢)، راجع ١٢٢-١٢٣
 (رقم ٢٤٥)؛ وفيات ابن قنفذ ٣٠٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ نفع الطيب، راجع ٢:

- (١) الحَسَب: العمل الحميد. الزاهر: اللامع، (المشهور).
- (٢) يسحب ذيول (طويل يحسن أن يسير لابس متبحراً مفتخراً). السراء: ثوب حرير فيه خيوط صفر.
- (٣) الفراء هو يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) إمام علماء النحو الكوفيين وأكثرهم معرفة بالنحو.
- (٤) من عليه: أنعم عليه وأكرمه بعباء جزيل (كثير، ثمين) بلا مقابل.
- (٥) قان: دم (أحمر). قريب عهد بالصباغ (جديد).
- (٦) القرظ: شجر عظام يؤخذ منها مادة يصنع بها. القارظ: الذي يجمع القرظ. ضاع (الأولى): ضلَّ طريقه، فقد (بالبناء للمجهول)، هلك. وفي المثل: حتَّى يؤوب (يرجع) القارطان (كناية عن الذي يذهب في طلب شيء ثم تضيع آثاره) - ضاع (الثانية): انتشر (اشتهر).
- (٧) الأثيث: الكثيف. الخميعة: الشجر الكثير الملتف (هو يريد هذا الجلد كثير الصوف).
- (٨) الإهاب: الجلد. هاب: خاف. طَهَّرَ (كذا: مشكولة - وفيات الأعيان ٧: ٩٥) وطهر (بلا شكل - نفع الطيب ٢: ٦٤١). ولعلها ظهر: انكشف (للبرد).
- (٩) ضرب (الأولى): نظير، شبه، مثل. ضرب (الثانية): الصقيع (الجليد المتجمد على الأرض) كناية عن شدة البرد.
- (١٠) إشارة إلى قول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ): «يا ابن حرب، كسوتي طيلساناً»، وكان هذا الطيلسان (ثوب سابغ من الحرير) قديماً متهرئاً.
- (١١) إشارة إلى المثل المألوف في الكتب القديمة في النحو (على الفاعل والمفعول به): ضرب زيدُ عمراً.

١٦٦، ٦٤٠ - ٦٤٢، ٣، ١٨٤، ٢٠٤، ٤٦٣، ٤، ٨٩؛ بروكلمن ٣: ٦٢٠، يشار إلى أن اسمه يرد في ١: ١٠٢ و ١١٠ من الطبعة الأولى (أي ١٠٠ - ١٠١ و ١٠٠ - ١١١ من الطبعة الثانية، ولكن لم أعثر على اسمه في هذه الصفحات)، الأعلام للزركلي ٥: ١٥٠ - ١٥١ (٤: ٣٢٠).

أبو محمد بن الحسن القرطبي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري المالقي القرطبي أصل أهل من قرطبة، وأبوه هو الذي انتقل منها إلى مالقة.

وُلِدَ أبو محمد بن الحسن القرطبي في مالقة في ٢١ من ذي القعدة من سنة ٥٥٦ (١١/١١/١١٦١ م). دَرَسَ في مالقة على أبيه وعلى نَفَرٍ، منهم أبو زيد السُّهيلي والقاسم بن دحان وأبو عبد الله بن الفخار وأبو إسحاق بن قرقول؛ ثم تصدَّر للتدريس قبل أن يُجاوِزَ العشرين. وتَجَوَّلَ في الأندلس للقاء المشايخ وزار إشبيلية

فلقي أبا بكر بن الجَدِّ وأبا بكر بن صافٍ وجعفر بن مضاء، كما زار غرناطة ومُرسية ورَحَلَ إلى سَبْتَةَ. وخطبَ مُدَّةً بجامع مالقة ثم قُطِعَ عن الخطبة. وقد كان له، في جامع مالقة الأعظم، مَجْلِسٌ عامٌّ للحديث غير مَجْلِسِ تدريسه. وكانت وفاته في سابع ربيع الثاني من سنة ٦١١ (١٦/٨/١٢١٤ م).

٢ - كان أبو محمد بن الحسن القرطبي صَدْرًا في المُقرئين في زَمَنِهِ، وقد غَلَبَ عليه علم الحديث. وكان أديباً ناثراً ناظماً. وشعره صحيحٌ ولكنه قليلُ الطلاوة. غير أن أهمَّ ما له في النظم أبياتٌ جعلها موازينٌ للشعر نظمها في بحور الشعر وأدخلَ في أول العَجْزِ من كلِّ بيتٍ اسمَ البحر الذي نظمَ ذلك البيتَ عليه (كي يحفظَ هذه الأبيات من لا يستطيعُ معرفةَ بحور الشعر من تلقاء نفسه، فيستعينُ بهذه الأبيات على الاستدلال على ما يُريد من بحور القصائد). وكان له مُصنَّفاتٌ منها: مجموعٌ في قِراءة نافع - تلخيص أسانيد الموطأ - مختصر في علم العروض.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن الحسن القرطبي في التجنيس:

لَعَمْرُكَ، ما الدنيا بِسُرْعَةٍ سَيَّرَهَا بِسُكَّانِهَا إِلَّا طَرِيقُ مَجَازٍ^(١).
حَقِيقَتُهَا أَنَّ الْمَقَامَ بغيرِها، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أُولِعُوا بِمَجَازٍ^(٢)!
★★ سَهَرَتْ أَغْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ.
فَاطْرُدِ اللَّهُمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الذِّ نَفْسٍ، فَحِمْلَانُكَ الْهُمُومَ جُنُونُ.
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ.
★★ وهل نافعِي أَنْ أَخْطَأَ الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدْ شَابَ أَتْرَابِي وَشَابَ لِدَائِي^(٣).
لَيْتَن كَانَ خَطْبُ الشَّيْبِ يُوجَدُ عَيْنُهُ بِيَتْرِي فَمَعْنَاهُ يَقُومُ بِدَائِي^(٤).

- وله من الأبيات التي جعلها موازين للشعر:

★★ قَدُمُ دَائِبًا تُسْنِي وَتُدْنِي أَمَانِيَاً (طويل) الأيادي ما تُسَامِي مَعَالِيكََا.
★★ نَبَا نَبَأٌ أَشَادَ بِهِ رَسُولُ (بوافر) نَعْمَةٍ شَمِلَ الْجَمِيعَا.
★★ أَخِي رَاعِي أَمَادِيحِي وَ (تهزيجي) وَرَاعَاكََا.

★★-٤ برنامج الرعييني ١٤١؛ الذيل والتكملة ٤: ١٩١ - ٢١٧ (رقم ٣٦٣)؛ بغية الوعاة ٢٨٠؛ فنج الطيب ٣: ٢٢٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٠٧ (٧٨).

عبد البر بن فرسان

١ - هو أبو محمد عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الفسائي من أهل

-
- (١) المجاز: العبور، المرور من جانب إلى جانب (في الطريق، في النهر، في البحر، الخ).
(٢) المقام (الدائم) بغيرها (في الآخرة). المجاز: ضد الحقيقة.
(٣) الترب (يكسر التاء) واللدة (يكسر اللام وفتح الدال): من ولد معك في وقت واحد..
(٤) إذا كان خطب الشيب (الضعف والدنو من الموت) يوجد عينه (أي ظاهره: اللون الأبيض) فمعناه (نفعله) يقوم بذاتي (أشعرأنا به في نفسي).

وادي آش، لعلّ مَوْلده كان نحو ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م). اتّصل بعليّ بن إسحاق بن غانية الثائر على الموحّدين في الجزائر الشرقية وشرقيّ الأندلس. وقد أرسله عليّ سفيراً له في بعض الأمور إلى بغداد لأنّ عليّاً كان يريد الاستعانة بالعبّاسيين على الموحّدين لتثبيت حكمه هو. ولما مات عليّ (٥٨٥ هـ ١١٦٠ م) خلفه أخوه يحيى فأُسند جميع أموره إلى عبد البرّ بن فرسان.

وفي سنة ٥٩٩ خسر يحيى سلطته على جزيرة ميورقة فنقل نشاطه إلى إفريقية واستولى على كثير من بلادها (فيما يُعرف اليوم بالجزائر خاصّة)، وذلك سنة ٦٠١. وقد انتقل عبد البرّ بن فرسان إلى إفريقية واستمرّ في تولّي الكتابة ليحيى بن إسحاق.

وكان عبد البرّ من الرجال الأقوياء الشجعان والبارعين في أمور الحرب، فكان يخوض المعارك مع يحيى. ثمّ لما تقدّمت به السنّ كثيراً ملّ ذلك. وكانت وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وقد عمّر طويلاً.

٢- كان عبد البرّ بن فرسان من جلة الأدباء وفحول الشعراء ومن الكتّاب البارعين. وهو متين الأسلوب عالي النفس في نثره وشعره، إلّا أنّه في نثره أميل إلى التكلف. وفي شعره وصف وفخر وعتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبد البرّ بن فرسان الغسّاني بعد معركة انتصر فيها مَخدومه:

ولما تلاقينا مع القوم الذين دعاهم شيطانُ الفِتنة إلى أن يسجدوا للشِفَار ويَحْمِلَهم
سَيْلُ المِحْنة إلى دارِ البوار^(١)، أقبَلنا إقبالَ «الريحِ العقيمِ» ما تَذَرُ من شيءٍ أتتْ
عليه إلّا جَعَلَتْهُ كالرَمِيمِ^(٢). فانْجَلَّتِ الحربُ عن تمزيقِ الأعداءِ كلِّ مُمزَّقٍ،

(١) الشفار جمع شفرة: نصل السيف والسكين، الخ. المحنة: الابتلاء، البلية، المصيبة. دار البوار (الهلاك): جهنم.

(٢) الريح العقيم: الحارة التي تقضي على أسباب الحياة. تذر: تترك، تبقي. الرميم: المهالك، المتهرئ. في =

وأبصرناهم كَصَرَعَى السُّكَارَى مِنْ مُدَامِ السُّيُوفِ. وَخَفَقَتْ بِنُودُنَا، وَسَعِيَهُمْ أَخْفَقَ.

- وَلَمَّا طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْقِتَالِ أَرَادَ اعْتَزَالَ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ
وَالذَّهَابَ إِلَى الْحَجِّ فَكَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ غَانِيَةَ:

أَمْنُنْ بِتَسْرِيحِ عَلِيٍّ فَعَلَّهُ سَبَبُ الزِّيَارَةِ لِلْحَظِيمِ وَيَثْرِبُ^(١).
وَلَيْنَ تَقُولَ كَاشِحٌ أَنَّ الْهُوَى دَرَسَتْ مَعَالِمَهُ وَأَنْكَرَ مَذْهَبِي^(٢)،
فَمَقَالَتِي: مَا إِنْ مَلَلْتُ، وَإِنَّا عُمَرَى أَبِي حَلِّ النَّجَادِ مِثْلِي^(٣)؛
وَعَجَزْتُ عَنْ أَنْ أَسْتَشِيرَ كَمِينَهَا وَأَشُقَّ بِالصَّمَامِ صَدْرَ الْمَوْكِبِ^(٤)!

- وَسَمِعَ طَائِرًا (حَمَامَةً) تَسْجَعُ عَلَى غُصْنٍ فَقَالَ:

نَدَى مُخْضِلًا ذَاكَ الْجَنَاحَ الْمُتَمَنِّيًا وَسَقِيًّا وَإِنْ لَمْ تَشْكُ، يَا سَاجِعًا، ظَمًا^(٥)!
أَعِذْهُنَّ الْخَانَا عَلَى سَمْعِ مُعَرِّبٍ يُطَارِحُ مُرْتَا حَا عَلَى الْقُضْبِ مُعْجِبًا^(٦).
وَطَرُ غَيْرِ مَقْصُوصِ الْجَنَاحِ مُرَفَّهًا مُسَوِّغَ أَشْتَاتِ الْحُبُوبِ مُنْعًا^(٧)،
مُخْلَى وَأَفْرَاخًا بَوَكْرِكَ نُومًا، أَلَا لَيْتَ أَفْرَاخِي مَعِيَ كُنَّ نُومًا^(٨)!

- فِي الْقِطْعَةِ التَّالِيَةِ أَسْلُوبٌ طَبِيعِيٌّ لِعَبْدِ الْبَرِّ بْنِ فَرَسَانَ مُخْتَلَفٌ مِنْ أَسْلُوبِهِ

الْمُنَمَّقِ. جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ٦١٣ - ٦١٤):

= الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (٥١: ٤١ - ٤٢، الذَّارِيَاتُ): «وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ

أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ».

(١) الْحَظِيمُ (فِي مَكَّةَ)، أَيِ الْحَجِّ. يَثْرِبُ: الْمَدِينَةُ.

(٢) تَقُولُ: قَالَ فَوَلًا كَاذِبًا. الْكَاشِحُ: الْمُبْغِضُ.

(٣) النَّجَادُ: سِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَحْمِلُ بِهِ السَّيْفَ. الْمِثْلِي: الْمَنْكِبُ: الْكَتِفُ.

(٤) الْكَمِينُ: الْعَدُوُّ الْمُرْتَبِصُ فِي مَكَانٍ مَغْطًى.

(٥) نَدَى مُخْضِلًا (بِالنَّصَبِ) أَسْأَلَ اللَّهَ لَكَ نَدَى (بِلِلِّ اللَّيْلِ - كُنَايَةً عَنِ النَّوْمِ الْهَادِيءِ الْآمَنِ) أَخْضَلَ: بَلَ.

السَّاجِعُ: الْمُرْتَمِ (حَمَامَةً). الظَّمَا: الْعَطَشُ.

(٦) الْمُعَرِّبُ (الْعَرَبِيُّ: الْمُبَيِّنُ فِي كَلَامِهِ): الْإِنْسَانُ. يُطَارِحُ: يُبَادِلُ. مُرْتَا حَا: مُرَرُورٌ. الْمَعْجَمُ (الْعَجَمِيُّ): الَّذِي

لَا يَبِينُ فِي كَلَامِهِ): طَائِرٌ، حَيَوَانٌ.

(٧) مَرْقَهُ: عَائِشٌ فِي رِفَاقِهِ وَخَصْبٌ. مُسَوِّغٌ: مُعْطًى، مُرْزُوقًا.

(٨) مُخْلًى: مُتْرُوكًا فِي أَمْنٍ.

- تشاجرَ له (لعبدِ البرِّ بنِ فرسان) ولدٌ صغيرٌ معَ تَرْبٍ له من أولادِ أميرِهِ أبي زكريّا (يحيى بن اسحاق). فنالَ منه ولدُ الأمير وقال: «وما قَدَرُ أبيك؟» فلمّا بَلَغَ ذلكَ أباهُ (أي عبدَ البرِّ بنَ فرسان) خَرَجَ مُغَضِّباً^(١) لِحِينِهِ وَلَقِيَّ وَلَدَ الأميرِ المُخاطَبَ لولده وقال: «حَفِظَكَ اللهُ تعالى. لَسْتُ أَشْكُ في أَنِّي خَدِيمٌ^(٢) أبيك، ولكنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَكَ بِنَفْسِي وَمِقْدَارِي وَ (ب) مِقْدَارِ أبيك. اعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ وَجَّهَنِي رَسُولاً إِلَى دَارِ الخِلافةِ بِبَغْدَادِ بكتابٍ عن نَفْسِهِ. فلمّا بَلَغْتُ بَغْدَادَ أُنْزِلْتُ فِي دَارٍ اكْتُرِيَتْ لِي بِسَبْعَةِ دراهِمَ فِي الشهرِ، وَأُجْرِي عَلَيَّ سَبْعَةُ دراهِمَ فِي اليومِ. وطُولَعَ بِكِتَابِي، وَقِيلَ: مَنِ المِرْقِيُّ الَّذِي وَجَّهَهُ^(٣)؟ فقال بعضُ الحاضرين: هو رَجُلٌ مَغْرِبِيٌّ ثَائِرٌ عَلَى أَسْتَاذِهِ. فَأَقَمْتُ شَهْراً، ثُمَّ اسْتُدْعِيْتُ. فلمّا دَخَلْتُ دَارَ الخِلافةِ وَتَكَلَّمْتُ مَعَ مَنْ بَها مِنَ الفُضلاءِ وَأَرْبابِ المعارِفِ والآدابِ اعْتَذَرُوا إِلَيَّ وَقَالُوا للخليفة: هذا رَجُلٌ جُهَلٌ مِقْدَارُهُ. فَأَعِدْتُ إِلَى مَحَلٍّ اكْتُرِيَتْ لِي بِسَبْعِينَ درهماً، وَأُجْرِي عَلَيَّ مِثْلُهَا فِي اليومِ. ثُمَّ اسْتُدْعِيْتُ فَوَدَّعْتُ الخليفةَ واقتَضَيْتُ ما تيسَّرَ^(٤) من حوائِجِهِ وَصَدَرَ لِي شَيْءٌ لَهُ حَظٌّ مِنْ صِلَتِهِ^(٥). وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَبِيكَ. فَالمُعَامَلَةُ الأولى كَانَتْ عَلَى قَدَرِ أَبِيكَ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ الأَقْدَارَ. والثانيةُ كَانَتْ عَلَى قَدْرِي!».

٤-★★ المغرب ٢: ١٤٢ - ١٤٣، المقتضب من تحفة القادم ١١٥: ١١٦، نفع الطيب ٢: ٦١١ - ٦١٤، ٣: ٤٩٩، ٥٦٣، الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ (٣: ٢٧٣).

ابن حوط الله الحارثي

هو أبو محمد عبدُ اللهِ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ داوودَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ عُمَرَ بنِ

(١) المَغْضَبُ (بضم فسكون وتفتح): الَّذِي أَغْضَبَهُ مِنْ آخَرِينَ مِجانِبَةِ الْحَقِّ فَمُغْضَبٌ لِلإِعْتِدَاءِ عَلَى حَقِّهِ اللهُ (لا لِنَفْسِهِ وَلا لِشَيْءٍ مَادِيٍّ).

(٢) الخَدِيمُ (ليست في القاموس): الخَادِمُ.

(٣) يحيى بن اسحاق بن محمد بن علي السوفي المعروف بابن غانية (ت ٦٣٣ هـ) كان لأمرته الحكم على جزيرة ميورقة.

(٤) اقتضيت ما تيسر (نَفَّذْتُ ما قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِمَّا طُلِبَ مِنِّي؟).

(٥) صدر لي (أمر الأمير لي) شيء (بشيء؟). حظ: نصيب. صلتِه: عطائه.

حَوْطٍ^(١) الله الحارثي الأنصاري الأندليسي، وُلِدَ في أُنْدَةَ (قُرْبَ بَلَنْسِيَّةَ)، في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٤٩ (مطلع الحريف من عام ١١٥٤ م).

إِنَّ الحَيَاةَ لم تَمُنْحْ أبا مُحَمَّدٍ بنَ حَوْطٍ اسْتِقْرَارًا، فقد قَضَى حَيَاتَهُ في التَّطَوُّافِ في الأندلس وفي المَغْرِبِ - وكان في أَثْنَاءِ ذلك يَسْمَعُ من العُلَمَاءِ - سَمِعَ من أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرَةَ^(٢) الضَّبِّيَّ (نحو ٤٨٠ - ٥٧٧ هـ) وغيره. ثُمَّ إِنَّهُ وَلِيَ القَضَاءَ في إشبيلية وقُرْبُطَةَ ومُرْسِيَةَ وجزيرة مَيُورِقَةَ (في الأندلس) وفي سَلَا وسَبْتَةَ (المغرب) وكان - في أَثْنَاءِ ذلك كُلِّهِ يَتَصَدَّرُ للتدريس، فقد كان يُدَرِّسُ الحديثَ (في المغرب)، سَنَةَ ٥٩٧ للهجرة (نفع الطيب ٣ : ٩٨)، كما كان يَدَرِّسُ المُوَطَّأَ (نفع الطيب ٢ : ٦٠٤).

وكانتْ وفاةُ ابنِ حَوْطٍ الله في غَرْنَاطَةَ، في ثاني ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٦١٢ (١٢١٥/٧/١ م).

كان ابنُ حَوْطٍ الله الحارثي حَافِظًا للحديث عارفاً بالفقه والأصول (على مذهب أهل الظاهر)، ونَحْوِيًّا وأديباً كاتباً وشاعراً. وكانتْ له تصانيفُ ضاعتْ في أَثْنَاءِ أسفاره المضطربة. فمن تصانيفه هذه كتابُ تَسْمِيَةِ شيوخِ البُخاريِّ ومُسْلِمٍ وأبي داوودَ والنَّسائيِّ والترمذي^(٣) (ولم يُتِمَّه).

★★- التكملة ١٥٠٦، بغية الوعاة ٢٨٣؛ شذرات الذهب ٥ : ٥٠؛ نفع الطيب ٤ : ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٢٤ (٩١)؛ بالنشأ ٣٩٩ - ٤٠٠، راجع ٢٣٨.

(١) أصله حوطلة، مصغر حوت (بضم الحاء : سمكة) مؤنث على لغة شرقي الأندلس، فإنهم يفتحون أول الكلمة من نحو الحوت والسعود (وها في الأصل بالضم) وينطقون بالتاء طاء ثم يلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في الذكر وهاء ساكنة، فيقولون: حوطلة وحوطله. ويأبي هذا كتابة الأفاضل إياه سلفاً عن خلف (كذا في بغية الوعاة ٢٨٣). وهذه اللام المسددة في آخر الاسم هي علامة التصغير في اللغة الإسبانية.

(٢) نفع الطيب ٢ : ٦٠١.

(٣) هؤلاء من كبار المؤلفين في الحديث لهم مجاميع معتمدة: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي والجامع الصحيح للترمذي.

ابن جبير

١- هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكِنَانيّ دخل جدّه عبد السلام إلى الأندلس في ولاية بلج بن بشر القُشيريّ، سنة ١٢٣ هـ ونَزَلَ في شَدونة. ثمّ إنّ أهلَه انتقلوا فيما بعدُ إلى شاطِبة ثمّ سكنوا بِلنْسيّة.

وُلِدَ ابنُ جبير في العاشر من ربيع الأول من سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥/٩/١ م) في مدينة بلنسية ودرس الحديث والفقه على أبيه وتلقّى علومَ الأدب والشعر في شاطبة. ومن شيوخه، غير والده: أبو عبد الله الأصيليّ، وأبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي العيش (ت ٥٦٠ هـ)؛ وقد سمعَ في دِمَشقَ من أبي الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعيّ (ت ٥٩٨ هـ)، ومن فقيه الشام قاضي القضاة أبي محمد بن أبي عَصْرُون المَوْصِلِيّ (٤٩٢ - ٥٨٥ هـ) والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠ هـ).

وكان ابنُ جبير قد سَكَنَ غَرْنَاطةَ وكتبَ فيها لوالِها السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن الموحّدي.

وَرَحَلَ ابنُ جبير إلى المشرق مرّتين أو ثلاثاً: بدأ رحلته الأولى في الثامن من شَوّالٍ من سنة ٥٧٨ (١١٨٣/٢/٣ م) من جزيرة طريف إلى سبتة فالمدينة فمكة ثمّ زارَ العراقَ والشامَ. بعدئذٍ أبحرَ من عكّا إلى جزيرة صِقْلِيّة فإلى قرطاجنة الخلفاء من الساحل الجنوبيّ الشرقيّ من الأندلس (جنوب مُرْسِيّة) وحلّ في غَرْنَاطة في أوائل ٥٨١ هـ (نيسان - أبريل ١١٨٥). ثمّ إنّهُ عادَ إلى المشرق في مَطْلَع سنة ٥٨٥ هـ (أوائل آذار - مارس ١١٨٩ م) وحَضَرَ استردادَ القدس من الإفرنج الصليبيّين على يدِ صلاح الدين الأيوبي (٢٧ رجب من سنة ٥٨٣). ويبدو أنّه رَحَلَ رحلةً ثالثة بقصدِ الحجّ، سنة ٦١٣ هـ فتوفّيَ في أثناء رُجوعه، في الأسكندرية، في التاسع من شَعْبَانَ ٦١٤ (١٢١٧/١١/١٣ م) في الأغلب.

٢- بَرَعَ ابنُ جبير في صِناعة القريض والكتابة، وكان شاعراً مُكثِراً، على شعره نَفْحَةٌ من زُهدٍ وتَصَوّفٍ، وكان له أيضاً مَذْحٌ في صلاح الدين الأيوبي. على أن شهرته

إِنَّمَا هِيَ فِي رِحْلَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِرَحْلَةِ ابْنِ جَبْرِ. وَأَسْلُوبُهُ فِي رَحْلَتِهِ نَثْرٌ رَصِينٌ جَزَلٌ
الْأَلْفَاظُ سَهْلٌ التَّرَكِيبُ بَارِعٌ السَّبْكُ مُوجَزٌ بَلِغٌ يَصْدُرُ عَنْ شُعُورٍ بِمَا يَرَى وَيَتَأَثَّرُ بِهِ،
وَالْجَانِبُ الْقَصَصِيُّ فِي رِحْلَتِهِ بَارِعٌ جَدًّا كَمَا أَنَّ أَوْصَافَهُ طَرِيفَةٌ نَاطِقَةٌ بِمَا تُعْبِّرُ عَنْهُ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قَالَ ابْنُ جَبْرِ فِي النِّسَبِ:

طُولُ أَغْثَرَابٍ وَبَرَحُ شَوْقٍ، لَا صَبْرَ - وَاللَّهِ - لِي عَلَيْهِ^(١).
إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي أَلَاقِي يَا خَيْرَ مَنْ يُشْتَكَى إِلَيْهِ^(٢).
وَلِي بِفَرْنَاطِيَّةٍ حَيِّبٌ قَدْ غَلَقَ الرَّهْنُ فِي يَدَيْهِ^(٣).

- لَمَّا كَانَ ابْنُ جَبْرِ فِي بَغْدَادَ اتَّفَقَ لَهُ أَنْ قَطَعَ غُصْنًا نَضِيرًا مِنْ أَحَدِ بَسَاتِينِهَا
فَذَوَى الْغُصْنَ (جَفَّ وَيَسَّ) فِي يَدِهِ وَشَيْكَاً، فَقَالَ يُوَازِنُ بَيْنَ الْغُصَنِ الْمَقْطُوعِ مِنْ
شَجَرَتِهِ وَبَيْنَ الْمُقْتَرَبِ عَنْ وَطَنِهِ:

لَا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنِي وَادْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى^(٤)؛
أَمَّا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى

- وَقَالَ فِي تَذَكُّرِ الْأَوْطَانِ:

غَرِيبٌ تَذَكَّرَ أَوْطَانَهُ فَهَيَّجَ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ^(٥)؛
يَحُلُّ عُرَى صَبْرِهِ بِالْأَسَى وَيَعْقِدُ بِالنَّجْمِ أَجْفَانَهُ^(٦)!

(١) البرح: العذاب.

(٢) يا خير من يُشْتَكَى إِلَيْهِ (الله).

(٣) غلق الرهن: ضاع (إذا لم يستطع أن يؤدِّي الرهن دينه إلى الدائن في مقابل شيء مرتين، سقط حق الرهن في الشيء المرتهن).

(٤) التصاريف: تقلب الأحوال وسيرها. النوى: البعاد.

(٥) الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٦) العرى جمع عروة (بضم العين): ما تمسك به الدلو (والعروة أخت الزر تمسك مع الزر جانبين من الثوب). الأسى: الحزن. يعقد بالنجم أجفانه: يديم التطلع إلى النجم (يديم السهر، لا ينام).

- وقال في تنزيه نفسه ولسانه عن العوراء (الكلمة القبيحة):

تَنَزَّرَ عن العوراءِ مِمَّا سَمِعْتُهَا صِيَانَةً نَفْسٍ ، فَهَوَ بِالْحَرِّ أَشْبَهُ^(١) .
إِذَا أَنْتَ جَاوَبْتَ السَّفِيَةَ مُشَاتِيًا ؛ فَمَنْ يَتَلَقَّى الشِّمَّ بِالشِّمِّ أَسْفَهُ !

- وقال في طبائع الناس:

النَّاسُ مِثْلُ ظُرُوفٍ حَشَوُهَا صَبْرٌ ، وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ^(٢) .
تَعَرُّ ذَائِقُهَا حَتَّى إِذَا كُشِفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلٍ^(٣) .

- وابن جبير مُغْرَمٌ بالبديع في شعره وخصوصاً في لزوم ما لا يلزم (في القافية)،
من ذلك قوله:

إِذَا يَلْغَى الْعَبْدُ أَرْضَ الْحِجَازِ فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا أَمَّلَ^(٤) .
فَإِنْ زَارَ قَبْرَ نَبِيِّ الْهُدَى فَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ مَا أَمَّلَهُ !

- ومن شعر ابن جبير ذي النِّفحة الدينية يَتَشَوَّقُ فيه إلى مناسك الحج في
الحجاز:

يَا وَفودَ اللَّهِ ، فُرِزْتُمْ بِالْنِّسَى ؛ فَهَنِيئاً لَكُمْ ، أَهْلَ مِنَى^(٥) !
قَدْ عَرَفْنَا عَرَافَاتٍ بَعْدَكُمْ ، فَلِهَذَا بَرَّحَ الشَّوْقُ بِنَا^(٦) .
نَحْنُ فِي الْغَرْبِ ، وَيَجْرِي ذِكْرُكُمْ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ تَجْرِي هُنَا^(٧) .

(١) مِمَّا سَمِعْتُهَا (مِمَّا كُنْتُ سَمَاعُكَ لَهَا) . فهو... (فذلك) .

(٢) الطرف (بفتح الظاء): الوعاء . الصبر (بفتح فكسر): عصارة (بضم العين) شجر مرّ .

(٣) كُشِفَتْ لَهُ: ظهرت له حقيقتها . الدخول: الفساد ، العيب .

(٤) أَمَّلَ لَهُ: قصد إليه . أَمَّلَهُ: تمنّاه .

(٥) وفود الله: الحجاج إلى بيت الله (الكعبة في مكة) . المنى جمع منية: المتغنى ، الشيء المراد . منى

(بكسر الميم وبلا تنوين): منسك من مناسك الحج (مكان يبيت فيه الحجاج بعد نزولهم من عرفات) .

هيناً لكم يا أهل منى لأنكم في حج دائم .

(٦) عرفة أو عرفات: هضبة يجتمع عليها الحجاج . والاجتماع في عرفات هو المنسك الأساسي في الحج لا

يصحّ الحج إلا بالوقوف في عرفة . - نحن عرفنا عرفات بعدكم (مدة يسيرة) ولذلك يكثر شوقنا إليه .

(٧) في الغرب: في الأندلس . غروب الدمع: أطراف العينين التي يسيل منها الدمع . هتّا (جمع هاتن): وهو

الذي يسيل بكثرة) .

سِرْ بِنَا، يَا حَادِي الرُّكْب، عَسَى
شِم لَنَا الْبَرْقَ إِذَا لَاحَ وَقُلْ:
عَلَّنَا نَلْقَى خِيَالاً مِنْكُمْ
لَوْ حَنَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا لَقَضَى
لَاحَ بَرْقٌ مَوْهِنَاً مِنْ نَحْوِكُمْ؛
أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ؛
أَنْ نُلَاقِي يَوْمَ جَمْعِ سِرْبِنَا^(١).
جَمَعَ اللَّهُ جَمْعَ شَمْلِنَا^(٢)؛
بَلْدِيذِ الذِّكْرِ وَهَنًا، عَلَّنَا^(٣).
بِاجْتِمَاعِ بِكُمْ بِالْمِنْحَنِى^(٤).
فَلَعَمْرِي مَا هُنَا الْعِيشُ هُنَا^(٥)!
هَلْ شَكَوْتُمْ بَعْدَنَا مِنْ بُعْدِنَا؟

- من رحلة ابن جبير: حال الفرجة الصليبيين بين المسلمين.

ثم عُذْنَا إِلَى عَكَّةَ فِي الْبَحْرِ وَحَلَّلْنَاهَا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ
جُمَادَى الْمَذْكُورَةِ^(١) وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَرٍ. وَاکْتَرَيْنَا فِي مَرْكَبٍ كَبِيرٍ^(٢) نُرِيدُ
الْإِقْلَاعَ إِلَى مَسِينَةَ مِنْ بِلَادِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةِ^(٣)....

وَمِنْهُمْ * مِنْ أَسْتَهْوَاهُ حُبُّ الْوَطَنِ فَدَعَاهُ إِلَى الرَّجُوعِ وَالسُّكْنَى بَيْنَهُمْ * * ، بَعْدَ أَمَانٍ
كُتِبَ^(١) لَهُمْ فِي ذَلِكَ بِشُرُوطٍ اشْتَرَطُوهَا. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ - سُبْحَانَهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ
وَنَفَذَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مَشِيئَتَهُ - وَلَيْسَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَعْذَرَةٌ فِي حُلُولِ بِلَدَةٍ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ
إِلَّا مَجْتَازاً وَهُوَ يَجِدُ مَدْرُوحَةً فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ^(٢) لِمَشَقَاتٍ وَأَهْوَالٍ يُعَانِيهَا فِي بِلَادِهِمْ

(١) حادي (سائق) الركب (القافلة التي يسافر الجماعة فيها. الركب: الجماعة يسافرون معاً). جمع = يوم

جمع: يوم الوقوف في عرفة. سربنا: قطيعنا (جماعتنا).

(٢) شام يشم البرق: نظر إليه. جمع (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وهناً: بعد منتصف الليل.

(٤) المنحنى: القطعة المستديرة من الرمل (مكان في الحجاز تغزل به الشعراء).

(٥) الموهن: الوقت بعد منتصف الليل. ما هنا (هناؤه: لذة) العيش هنا (عندنا، في غير مكة).

(٦) جمادى الثانية.

(٧) واكثرنا «مكاناً» في مركب كبير.

(٨) الإقلاع: السفر في البحر. مسينة: مدينة في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة صقلية (جزيرة كبيرة في جنوب شبه جزيرة إيطاليا).

(٩) بينهم (بين النصارى، بين الإفرنج الصليبيين).... معاهدة أمان...

(١٠) ... لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد أهلها من الكفار إذا كان يستطيع السكنى في بلد إسلامي (إلا إذا كان مسافراً ومراً في ذلك البلد ثم بقي فيه وقتاً ما حتى يتيسر له متابعة السفر).

منها المذلة والمسكنة الذميمة^(١)، ومنها سماع ما يُفجع الأفئدة من ذكر من قدس الله ذكره^(٢) وأعلى خطره لا سيما من أراذلهم وأسافلهم؛ ومنها عدم الطهارة والتصرف بين الخنازير وجميع الحرمات إلى غير ذلك مما لا ينحصر ذكره ولا تعداده.

- من الحياة الاجتماعية في أثناء الحروب الصليبية:

ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم^(٣) القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممن أنقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم. وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة^(٤). وقلما يخلو من التبذل والزهادة^(٥). وإذا كانت هذه معاملة النصارى لصد ملتهم هذه المعاملة، فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض. ومن أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفتيين مسلمين ونصارى. وربما يلتقي الجمعان ويقع بينهم المصاف^(٦) ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم^(٧) دون اعتراض، شاهدنا في هذا الوقت - الذي هو شهر جُمادى الأولى^(٨) - من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو أعظم حصون النصارى، وهو المُتَرَضُّ في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر - بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشف قليلاً^(٩).... فنازله هذا السلطان وضيق عليه

(١) يعاينها: يتاسها، يخضع لها. المسكنة الذميمة (الخضوع لغير المسلمين).

(٢) يفجع (يؤلم) الأفئدة: (القلوب) من ذكر من قدس الله ذكره (الرسول).

(٣) النصارى الذين كانوا (في مطلع القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد) يسكنون جوانب من الساحل.

(٤) المطردة: (الأنهار) التي يتتابع جريان مائها. الوارف: المتسع.

(٥) التبذل: ترك الزواج، الانقطاع إلى عبادة الله. الزهادة (بالفتح): الزهد (بالضم): ترك الرغبة في أمور الدنيا.

(٦) الجمعان: الفريقان المتعاديان. المصاف: الوقوف في موقف المستعد للقتال.

(٧) ورفاق المسلمين والنصارى (من الذين لا يتقاتلون) تختلف (يختلفون: يتنقلون) بينهم (بين الذين يتقاتلون) من مكان إلى آخر.

(٨) من سنة ٥٨٠ هـ (صيف ١١٨٤ م).

(٩) صلاح الدين الأيوبي.... الكرك (بلدة عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت). أشف: أقل.

وطال حصاره، واختلاف القوافل من مِصرَ إلى دِمَشقَ على بلاد الإفرنج غير مُنقطع. واختلاف المسلمين من دِمَشقَ إلى عَكَّةَ كذلك. وتُجَارُ النصارى أيضاً لا يُمنعُ أحدٌ منهم ولا يُعترَض. وللنصارى على المسلمين ضريبةٌ يُؤدّونها في بلادهم^(١)، وهي من الأمانة على غاية. وتُجَارُ النصارى أيضاً يُؤدّون في بلاد المسلمين على سِلَهم^(٢). والاتفاقُ بَيْنَهُم والاعتدالُ في جميع الأحوال. وأهلُ الحرب مُشتغلون بحربهم، والناسُ في عافية. والدنيا لمن غلب.

٤ - رحلة ابن جبير (رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٢ م، الطبعة الثانية (ده خويه)، ليدن (بريل) ١٩٠٧ م؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)؛ (تحقيق حسين نصّار، القاهرة (مكتبة مصر) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ م؛ القاهرة (دار التحرير والنشر) ١٩٦٨ م.

★ ★ زاد المسافر ١١٤ - ١١٥؛ المغرب ٢: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ التكملة رقم ٥٩٨؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٩٥ وما بعد؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ١٦٨ - ١٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ٦٠؛ نفع الطيب ٢: ٣٨٠ - ٣٨٩، ٤٨٥ - ٤٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٥٥؛ بروكلمن ١: ٦٢٩، الملحق ١: ٨٧٩؛ نيكل ١٩٣ - ١٩٤؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٤ (٣١٩: ٥ - ٣٢٠)؛ سركيس ٦١ - ٦٢؛ بالنشيا ٣١٦ - ٦١٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٧٦ - ١٠٤؛ تراجم اسلامية ٣٢٨ - ٣٣٧.

ابن حزمون المرسى

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ الرحمن بن حزمون. كان مُتصلاً بالموحّدين وله مدائحُ جليّةٌ في المنصور الموحّديّ. ويبدو أنّه كان يُرافقه في عددٍ من الفُرّوات. وفي سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ - ١٢١٨ م) كان في مُرْسِيَّةَ فَلَقِيَّ فيها عبدُ الواحدِ المَرَاكُشيّ (ت نحو ٦٤٧ هـ) ولعلَّ ابنَ حزمون تُوُفِّيَ في تلك السّنة (أي ٦١٤ هـ) أو بعدها بقليل.

(١) في بلادهم (بلاد النصارى: البلاد التي استولى عليها الإفرنج الصليبيون).

(٢) السلعة: الحاجة المعروضة للبيع.

٢ - كان أبو الحسن بن حزمون متسع القول في أنواع الشعر يقول القصيدَ ويغلبُ عليه القول في الموشح. وفنونه المديحُ والهجاء والغزل. وكان كثير الميل إلى الهجاء يُقذعُ فيه جداً. ثم هو لم يترك موشحة سارت على ألسن الناس إلا عارضها فقلبها هجاءً مُقذعاً. وكان ابن حزمون ناقدًا بصيرًا. قال: ما الموشح بموشح حتى يكون عاريًا من التكلف. ف قيل له: على مثل ماذا؟ فقال: على مثل قولي:

يا هاجري، هل إلى الوصال منك سبيل؟
أو هل يرى عن هواك سال* قلب العليل؟

٣ - مختارات من شعره:

- لما رجع المنصور الموحدي من غزوة الأرك، سنة ٥٩١ للهجرة (وقد انتصر فيها نصرًا عظيمًا) قال ابن حزمون يمدحه:

حَيْثُكَ مُعْطَرَةَ النَّفْسِ	نَفَحَاتُ الْفَتْحِ بَأْنْدُلْسٍ؛
فَذَرِ الْكُفَّارَ وَمَاتَمَهُمْ؛	إِنَّ الْإِسْلَامَ لَفِي عُرْسٍ.
أَمَامَ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ،	طَهَّرْتَ الْأَرْضَ مِنَ الدَّنَسِ،
وَمَلَأْتَ قُلُوبَ النَّاسِ هُدًى	فَدَنَّا التَّوْفِيقُ لِلتَّمَسِ.
وَرَفَعْتَ مَنَارَ الدِّينِ عَلَى	عَمَدٍ شَمٌّ وَعَلَى أُسُسٍ ^(١) .
وَصَدَّغْتَ رِدَاءَ الْكُفْرِ كَمَا	صَدَعَ الدَّيْجُورَ سَنَا قَبَسٍ ^(٢) .
جَاءُوكَ تَضِيقُ الْأَرْضُ بِهِمْ	عَدَدًا لَمْ يُخْصَ وَلَمْ يُقَسَّ.
خَرَجُوا بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ	سَ لِيَخْتَلِسُوا مَعَ مُخْتَلَسٍ ^(٣)

(*) السالي: الناسي

(١) عمد جمع عمود: أسطوانة.. شَمٌّ جمع أشم: عال.

(٢) صدع: شق. الديجور: الظلام (مفعول به مقدم). سنا: نور (فاعل «صدع» الثانية).

(٣) «خرجوا بطرا ورياء الناس» اقتباس من قوله تعالى «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا

ورياء الناس» (٨: ٤٦، سورة الأنفال)، إشارة إلى قريش الذين جاءوا، في سنة ٥ للهجرة (٦٢٧ م)

بجيوش كبيرة لحصار المدينة (في غزة الخندق أو الأحزاب).

وَمَضَيْتَ لِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى ثِقَةٍ بِاللَّهِ وَلَمْ تَخِسْ^(١).
 ثُمَّ يَصِفُ الْخَيْلَ وَهَزِيمَةَ الْأَذْفَنْشِ (لقب للملك الإسبان) ثُمَّ يَخَاطِبُ الْأَنْدَلُسَ:
 مَلَأَ التَّوْحِيدُ أَعْيُنَهَا وَأَغَارَ بِهَا رُوحَ الْقُدُسِ^(٢).
 جَاسَتْ جَنَبَاتِ الْكُفْرِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُمْ مَا لَمْ يُجَسَّ^(٣)
 لَمْ يَبْقَ بِهَا مَثْوًى رَجُلٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَذَا فَرَسٍ^(٤)
 لَحِقُوا بِقُرُونِ الشَّمِّ فَلَا سُقْيَا لَطُلُولِهِمُ الدُّرُسِ^(٥).
 إِنْ كَانَ نَجْمًا أَذْفَنْشُهُمْ فَلِإِلى عَيْشٍ نَكِيدُ نَعْسٍ
 فَمَضَى لَمْ يُلَوِّ عَلَى أَحَدٍ، وَرَمَى بِالْدِرْعِ وَبِالْتُرْسِ
 لَصَلِيلِ الْهِنْدِ بِفَرْقِهِ لَا يَسْمَعُ صَلْصَلَةَ الْجَرَسِ^(٦).
 أَجْزِيرَةَ أَنْدَلُسَ، اغْتَصِمِي بِإِمَامِ الْأُمَّةِ وَاخْتَرِسِي.
 أَرْعَاكِ حِرَاسَتَهُ مَلِكٌ جَبْرِيلُ لَهُ أَحَدُ الْحَرَسِ.

- وله من موشحة^(٧) وهي تُروى لأبي الحسن بن نزار (ت قبل ٥٧٥ هـ) راجع
 فوق.

اشْرَبْ عَلَى نَعْمَةِ الْمَثَانِي ثَانٍ^(٨)

- (١) خاس يخس: ذلّ، نقض العهد، خان.
- (٢) ملأ التوحيد (الإسلام) أعنت الخيل (خرجت للجهاد في سبيل الله). وأغار: هجم. روح القدس: جبريل. - ما أنت الذي قادها إلى النصر، بل جبريل قادها إلى النصر بإذن الله.
- (٣) جاست (دارت وترددت) الخيل في جوانب بلادهم (بالحرب). ما لم يجس (بالبناء للمجهول): بقعة لم تصل إليها بالحرب.
- (٤) مثنوى (مقام) رجل (بقعة بمقدار يكفي لمقعد رجل واحد). الشذا: الرائحة الطيبة (٩).
- (٥) لحقوا بقرون الشمّ: وصلوا، هربوا (من الخوف) إلى الجبال العالية. فلا سقيا (لا سقى الله، لا بارك الله) في طولهم (بقايا بيوتهم التي تهدمت بالحرب) الدُّرس (جمع دارس: الذي يحث آثاره).
- (٦) إن صوت وقع السيوف في مفارقتهم (مقدم رؤوسهم) كان شديداً حتى لو أنهم - لو قرعت الأجراس على مقربة منهم لما سمعوها.
- (٧) لاحظ أن القافية في كلّ شطر هي الجزء الأخير من القافية الأولى.
- (٨) المثني: وتر من أوتار العود (الثاني هنا: الآلات الموسيقية). ثان (ثانياً) مرّة ثانية!

ولا تَكُنْ في هَوَى الغواني وان^(١)
وَقُلْ لِمَنْ لَامَ في مُعَانٍ: عان^(٢)
ماذا من الحُسْنِ في بُرودٍ رود^(٣).

★ ★ ★

نَمِيجٌ وَجَدَى إذا الأَنَامُ ناموا^(٤)
قَوْمٌ إذا عَسَسَ الظُّلَامُ لاموا^(٥)
وما به هَامَ مُسْتَهَامٌ هاموا^(٦)
فَقُلْ لِعَيْنِي بَلَا هُجُودٍ: جودي^(٧)

- وقال يهجو نفسه ثم يَسْتَطَرِدُ إلى هِجَاءِ شَخْصٍ يسميه مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى:
تَأَمَّلْتُ فِي الْمِرْآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أَشَارَتْ إِلَى اللَّهِوِ^(٨).
فَلَوْ كُنْتُ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لَمْ أَكُنْ مِنَ الرَّائِقِ الْبَاهِي وَلَا الطَّيِّبِ الْحُلِيِّ.
وَأَقْبَحُ مِنْ مِرْآيَ بَطْنِي، فَإِنَّهُ يُقَرِّقُرُ مِثْلَ الرِّعْدِ قَرَقَرَ فِي الْجَوِّ،
وِإِلَّا كَقَلْبِ بَيْنَ جَنْبَيْ مُحَمَّدٍ سَلِيلِ ابْنِ عِيسَى حِينَ فَرَّ وَلَمْ يُلَوْ^(٩).
يَوَدُّ بَأْنَ لَوْ كَانَ فِي بَطْنٍ أُمِّهِ جَنِيناً وَلَمْ يَسْمَعْ حَدِيثاً عَنِ الْغَزْوِ.

-
- (١) الغانية: المرأة التي تستغني بجبالها عن التزيّن بالخلى. وان (وانياً) تعب.
(٢) المعاني (بضم الميم): الذي عرف الحبّ ولقي فيه عذاباً. عانٍ (فعل أمر): قبل أن تلومه على حبه أحبّ أولاً مثله. («عان» تحتاج إلى مفعول به هو «ماذا» في الشطر التالي).
(٣) ... ما تنطوي عليه برود (نياب حرير) رود (امرأة بضّة الجسم ناعمة).
(٤) الوجد: الحبّ.
(٥) عسس الليل: أتى بظلامه.
(٦) هام: تحيّر، أحبّ حبّاً شديداً. هاموا: أحبوا.
(٧) هجود: نوم. جودي بالبكاء: ابكي كثيراً.
(٨) أشارت إلى اللهو: أرادت اللهو والغزل (وهذا قبيح من المعاجز).
(٩) ألوى: التفت، مال. - فر ولم يلو: هرب ثم لم يلتفت إلى ورائه (من الخوف).

ثَقِيلٌ وَلَكِنْ عَقْلُهُ مِثْلُ رِيْشَةٍ تَطْيِرُ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي مَهْمِهِ دَوًّا^(١) .
تَمِيلُ بِشِدْقِيهِ إِلَى الْأَرْضِ لِحْيَةً تُظَنُّ بِهَا مَاءٌ يُفَرِّغُ مِنْ دَلْوٍ!

★★٤ زاذ المسافر ١٠٦ - ١٠٨ : المغرب ١٤٧ : ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٦ - ٢١٨ : المعجب
٢١٣ - ٢١٦ : الذيل والتكملة ٥ : ٢٤٠ - ٢٤٦ : نفع الطيب ٣ : ٤٦٥ - ٤٦٦ ، ٧ :
٩ - ١٠ : نيكل ٣٤٢ : الأعلام للزركلي ٥ : ٧٨ - ٧٩ (٤ : ٢٧١) .

ابن المُرْخَى المَغْرِبِي

١ - هو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّخْمِيِّ^(٢)
تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِيهِ أَبِي الْحَكَمِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ أَبُوهُ فِي شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٧٩ هـ ، كَمَا
تَلَقَّى أَشْيَاءَ مِنَ الْعِلْمِ أَيْضاً عَلَى اللَّصِّ (أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَيِّدِ الْكِنَانِيِّ الْمُتَوَفَّى ٥٧٧ هـ)
وَمِنْ غَيْرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيِّ سَنَةَ ٦١٦ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م) .

٢ - كَانَ ابْنُ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيِّ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَأَدَبٍ وَوَجَاهَةٍ وَرِوَايَةٍ وَكِتَابَةٍ : كَانَ
أَبُوهُ أَبُو الْحَكَمِ عَلِيٌّ كَاتِباً ، وَكَانَ جَدُّهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ . وَابْنُ
الْمُرْخَى صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ لُغَوِيٌّ وَأَدِيبٌ كَاتِبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ مُحْسِنٌ . ثُمَّ هُوَ
مُصَنِّفٌ : اخْتَصَرَ كِتَابَ « الْغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ » (لَأَبِي عُبَيْدِ بْنِ سَلَامٍ الْمَرْوِيِّ الْمُتَوَفَّى نَحْوَ
٢٢٣ هـ) وَسَمَّاهُ « حَلِيَّةُ الْأَدِيبِ » . وَلَهُ أَيْضاً مِنَ الْمَصْنُوفَاتِ « ذِرْوَةُ الْمُتَلَقِّطِ فِي خُلُقِ
الْخَيْلِ » وَغَيْرُ ذَلِكَ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ :

- كَتَبَ ابْنُ الْمُرْخَى الْمَغْرِبِيِّ إِلَى أَسَاتِذِهِ ابْنِ سَيِّدِ اللَّصِّ يُخَاطِبُهُ بِالْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ :

-
- (١) المَهْمَةُ (الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ) الدَّوَّ (الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ) . الْأَرْوَاحُ جَمْعُ رِيحٍ .
(٢) رَاجِعْ صَلَةَ الصَّلَاةِ ص ١٠٦ . فِي الْوَاقِفِ بِالْوَفَايَاتِ (٤ : ١٥٧) : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَفِي
بَغْيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٧٥) : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . رَاجِعْ أَيْضاً حَاشِيَةَ
مَفِيدَةِ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ (٧ : ١٦٨) فِيهَا أَنَّ مَصْدَرًا ذَكَرَهُ بِاسْمِ ابْنِ الْمَرْجِيِّ (بِالْجِيمِ) وَأَنَّ مَصْدَرًا آخَرَ
لَمْ يَذْكُرْهُ لَا بِاسْمِ ابْنِ الْمَرْجِيِّ (بِالْجِيمِ) ، لَا ابْنَ الْمُرْخَى (بِالْهَاءِ) .

سَاهَجُرُ الْعِلْمَ لَا بُغْضًا وَلَا كَسَلًا،
 وَلَا أَمْرٌ بَبِيسٍ فِيهِ مَسْكَنُهُ
 إِذَا ظَمِئْتُ، وَكَانَ الْعَذْبُ مُمْتَنِعًا،
 إِذَا طُرِدْتُ قَصِيًّا عَنْ حَيَاضِكُمْ
 قَدْ كَانَ عِنْدِي زَعِيمُ الْقَوْمِ عَالِمُهُمْ،
 مَا إِنْ رَأَيْتُ الَّذِي يَزِدَادُ مَعْرِفَةً
 وَآيَةُ الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَتَجَرُّبِي
 حَتَّى يُقَالَ ارْعَوَى عَنْ حُبِّهِ وَسَلَا^(١)؛
 كَيْلَا يُمَثَّلَ شَوْقِي حَيْثُا مَثَلًا^(٢).
 فَلَسْتُ عَنْ غَيْرِ ذَاكَ الْعَذْبِ مَعْتَزِلًا^(٣).
 فَإِنَّ نَفْسِي مِمَّا تَكَرَّرَ النَّهْلُ^(٤).
 فَالْيَوْمَ عِنْدِي زَعِيمُ الْقَوْمِ مَنْ جَهَلَا.
 إِلَّا يَزِيدُ انْتِقَاصًا كُلَّمَا كَمَلَا.
 أَنَّ الْجَوَادَ عَلَى الْعَلَاتِ مَا وَالَا^(٥)!

٤-★★ المطرب، راجع ٢٠٨ - ٢٠٩، الوافي بالوفيات ٤: ١٥٧؛ راجع صلة الصلة ١٠٦ (رقم ٢١٦)؛ بغية الوعاة ٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو القاسم بن سعيد

١- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي من أسرة مُصَنِّفِي كتاب «المغرب». كان شَابًا قَلِقًا طَمَوحًا. ولَمَّا اسْتَوَى المُوَحِّدُونَ عَلَى الأَنْدَلُسِ كَانَ الوَالِي مِنْهُمْ عَلَى غَرْنَاطَةِ السَّيِّدِ أَبُو سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فَاتَّخَذَ أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ كَاتِبًا لَهُ. وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ مَعَهُ. وَحَدَّثَتْ نَفَرَةٌ بَيْنَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ. ثُمَّ كَانَ أَنْ فَرَّ

(١) ارعوى... عن حبه للعلم: رجع. سلا: نسي وتغزى.

(٢) ... مسكن العلم. مثل (بفتح ففتح أو بفتح فضم): قام منتصباً (وَجَدَ). كَيْلَا يُمَثَّلَ شَوْقِي حَيْثُا مَثَلًا: كَيْلَا أَشْعُرُ بِاحْتِرَامِ لَذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَقِفَ (أَوْ أَبْقَى) فِيهِ عَلَى مَقْدَارِ حَبِي (الأَوَّل) لِلْعِلْمِ.

(٣) الواضح: إِذَا لَمْ أُنَلْ نَصِيْبِي فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْعِلْمِ أَحَاوِلُ أَنْ أَنَالَهُ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْعِلْمِ. وَلَكِنْ الْمَلْمُوحُ وَبِالْمُقَارَنَةِ بِالْبَيْتِ التَّالِيِ يَقْتَضِي حَذْفَ كَلِمَةِ «غَيْرِ» فَيَصْبِحُ الْمَعْنَى: إِذَا لَمْ أَجِدْ مَاءَ عَذْبًا (خُلُوءًا، أَيْ عِلْمًا صَحِيحًا)، فَإِنِّي لَا أَرْضَى شَيْئًا دُونَ (أَدْنَى مِنْ) ذَلِكَ.

(٤) قَصِيًّا: بَعِيدًا. الْحَوْضُ: مَجْمَعُ الْمَاءِ. النَّهْلُ: الشَّرْبُ الْأَوَّلُ (المقدار اليسير من حاجة العطشان).

(٥) آية: علامة. الجواد: الحصان. العَلَّةُ: الشَّرْبَةُ الْأُولَى. - أَنَّ الْحِصَانَ إِذَا بَدَأَ يَشْرَبُ فَإِنَّهُ لَا يَثَلُ (يرجع) عَنِ الشَّرْبِ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَاجَتَهُ مِنَ الْمَاءِ (وَأَنَا - مَعَ كُلِّ مَا أَصَابَنِي عَلَى يَدِ الْجَهْلَالِ - إِذَا رَأَيْتُ مَجْلِسَ عِلْمٍ فَلَا أَغَادِرُ مَكَانَهُ حَتَّى أَسْتَوْفِيَ حَظِّي مِنْهُ).

عبد الرحمن إلى محمد بن مردنيش ملك شرقي الأندلس (٥٤٢ - ٥٦٦ هـ) فساء ظنُّ أبي سعيد بن عبد المؤمن فيها فقتلَ أبا جعفر.

رحلَ عبدُ الرحمن عن الأندلس إلى المغرب ثم تابعَ الرحلة شرقاً إلى مصرَ فالهجازَ فالعراقَ فبلادَ العجمِ إلى ما وراءَ النهرِ وسكنَ في بخارى. وقُتِلَ عبدُ الرحمن في بخارى يومَ دَخَلَهَا التتارُ وقتلوا أهلها بعدَ أن كانوا قد آمنوهم، وذلك في المحرمِ من سنة ٦١٧ (آذار - مارس ١٢٢٠ م) (راجع نفح الطيب ٢: ٣٧٣ ثم ابن الأثير ١٢: ٣٨٩، شذرات الذهب ٥: ٧٢).

٢ - كان أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ سعيدٍ أديباً مفظوراً سلسَ النَّثرِ عَذْبَ الشعرِ ينكشفُ نثره خاصّةً عن إمامه بعديه من العلوم، ويبدو أنه أكثرُ القراءة في الجغرافية والتاريخ. في نثره سجعٌ قليلٌ وصناعةٌ خفيفةٌ سائغة. وشعره وُجْدانيٌّ تغلّبُ عليه الشكوى. وهو حسنُ السردِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ سعيدٍ من سمرقند^(١) إلى أهله بالأندلسِ يَصِفُ شقاه في أسفاره ويُبدي يأساً من الإياب (العودة) إلى الأندلسِ:

مَنْ لَصَبٌ يَرعى النجومَ صَبَابَةً ضَيَّعَ السِرُّ في الهومِ شَبَابَةً^(٢)
زِدْتُ بُعْداً فَزِدْتُ فِيهِ اقْتِرَاباً بِوَدَادِي، كَهْلِكَ حُكْمُ الْقَرَابَةِ^(٣).
مَنْزِلِي الْآنَ سَمَرْقَنْدُ، وَبِالْقَلْدِ حَةِ رَنْعٍ وَطِئْتُ طِفْلاً تُرَابَهُ^(٤).
شَدَّ مَا أَبْعَدَ الْفِرَاقُ انْتِزَاحِي! هَكَذَا اللَّيْثُ لَيْسَ يَذْرِي اغْتِرَابَهُ^(٥).

(١) سمرقند من أمّهات مدن ما وراء النهر (التركستان).

(٢) اللَّصَبُ: الحبُّ. والصَّبَابَةُ: شوق، رقة الشوق أو حرارته. رعى النجوم: راقبها (قضى الليل ساهراً).

(٣) حكم (قانون، عادة) القرابة أن الإنسان إذا اغترب زاد اشتياقه إلى أهله.

(٤) قلعة بني سعيد أو قلعة بحصب (نفح الطيب ٢: ٣٣٠) من عمل إلبيرة (المغرب ٢: ١٥٩) من نواحي غرناطة.

(٥) شَدَّ ما: ما أشد! ما أكثر. الانتزاح: الابتعاد. والليث: الأسد (الرجل المقدام ليس يذري اغترابه: لا يشعر أنه يقطع المسافات).

لا ولا أرغني الإيـسابَ لأمرٍ إن يكن يـرتجى غريبٌ إيـابهُ
- وكتب إلى أهله من بخارى:

إذا هبَّت رِيـاحُ الغـربِ طارتُ إليها مُهـجتي نحوَ التـلاقـي^(١).
وأحسبُ مَنْ تـركتُ به يـلاقـي، إذا هبَّت صـباحاً، ما أـلاقـي^(٢).
فـيـا لـيـتَ التـفرُّقَ كانَ عـدلاً فحُمِّلَ ما يُطـيـقُ مِنِ اشـتياقي^(٣)
ولـيـتَ العُـمُرَ لـم يـبرَحْ وِصـالاً ولم يُخـتَمَ عَلـيـنـا بالفـراق.

إذا كانَ الشوقُ فوقَ كلِّ صِفةٍ فكيفَ تُعبِّرُ عنه الشِّفَّةُ؟ ولكنَّ العُنوانَ دَلالةٌ على بعضِ ما في الصَّحيفة. والحاجِبُ قد ينوب في بعضِ الأمورِ مَنابَ الخليفة^(٤). وما ظنُّكم بِشوقِ طريحٍ في يدِ الأشواقِ طليحٍ^(٥)؟ يقطعُ مِـساحاتِ الأرضِ ذاتِ الطولِ والـعرضِ، ويَجُوبُ أهوِيَّةَ الأقاليمِ السَّبعِ^(٦)، خارجاً بما أدخله فيه اللَّجوجُ عنِ الشرعِ^(٧). فكانَ خليفةَ الإسكندرِ^(٨)، لكنَّ ما يَـجيشُ من همومِ الغربةِ بِفكري قائمةٌ مقامَ الجيشِ والمسكرِ^(٩). جُرْتُ إلى برِّ العُدوةِ من الغـربِ الأقصى^(١٠)،

(١) رياح الغرب (من جهة الغرب) المهجة: دم القلب (القلب).

(٢) الصبا: ريع الشرق. - أظنَّ أن أهلي يخبون ريع الشرق كما أحبُّ أنا ريع الغرب.

(٣) ... لعل الشاعر يلوذ بأهله لأنهم كانوا هم سبب الابتعاد عنهم ثم يدعو الله أن يحملوا من ألم الفراق مثل ما يحمله هو.

(٤) الحاجب (في الأندلس): رئيس الوزراء (الكتابة غامضة، إلّا إذا كان المقصود أن العنوان أحياناً يمكن أن يدلَّ على كلِّ ما في الصحيفة).

(٥) الطليح: الذي بلغ منه الهزال (بالضمّ: النحول) والإعباء (بالكسر: التعب) مبلغاً عظيماً.

(٦) يجوب: يقطع (يطوف). أهوية جمع هواء (مناخ، بالضمّ). الأقاليم السبعة (كان القدماء قد جعلوا القسم المسكون من الأرض - شمال خطِّ الاستواء - سبعة أقاليم، أي سبع درجات من المناخ). - يريد أن يقول: إنَّه قاسى الحياة في جميع الأحوال.

(٧) اللجوج (بفتح اللام؟): الشديد الخصومة. خارجاً بما الشرع (٤): القانون المألوف.

(٨) خليفة الاسكندر (ذو القرنين) الذي قطع البلاد من جانب إلى جانب حتّى وصل إلى منقطع الأرض (إلى مكان ليس وراءه بشر في ظنه).

(٩) - لكن الاسكندر المقدوني كان معه جيوش يستأنس بها ويعتمد عليها في دفع الأعداء، أمّا أنا فلم يكن معي سوى هموم الغربة (كنت وحدي تساورني المخاوف). قائمة (٤)، لعلّها: «كان قائماً. مثلاً، حاضراً».

فَطَمَحَتْ نَفْسِي إِلَى مُشَاهَدَةِ الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ فَلَاقَيْتُ فِيهَا بَيْنَهَا مِنَ الْمَسَافَةِ مِنَ الْمَسَاقِ مَا لَا يُحْصَرُ. ثُمَّ تَشَوَّقْتُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ دَرْبِ بِلَادِ الشَّرْقِ^(١)، فَاسْتَشَعَرْتُ مِنْ هُنَاكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِي مِنَ الْفَرْقِ. وَاخْتَطِطْتُ مِنْ عَيْنِي تِلْكَ الطَّلَاوَةَ^(٢) وَانْتَرَعْتُ مِنْ قَلْبِي تِلْكَ الْحَلَاوَةَ..... ثُمَّ نَازَعْتَنِي نَفْسِي التَّوَاقُّةُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.... وَجُرْتُ بِحَرَ جُدَّةَ وَذُقْتُ تَبَارِيحَهُ^(٣). وَقَضَيْتُ الْحَجَّ وَالزِّيَارَةَ^(٤)، وَمِلْتُ إِلَى الشَّامِ دِمَشْقَ وَالنَّفْسُ بِالسَّوَاءِ أَمَّارَةً^(٥). فَهِنَاكَ بَعْتُ الزِّيَارَةَ بِالْأَوْزَارِ^(٦)، وَآلَتْ تِلْكَ التِّجَارَةُ إِلَى مَا حَكَمْتَ بِهِ الْأَقْدَارَ^(٧).... فَلِلَّهِ مَا تَضَمَّنَ دَاخِلُهَا مِنَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ^(٨) وَمَا زَيْنَ بِهِ خَارِجُهَا^(٩) مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْجَنَّانِ..... وَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْ حَلَبَ أَنَّهَا دَارُ الْكَرَمِ وَالْأَدَبِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَخْطُبَنِي بِمَا حَظِّي بِهِ سَمْعِي. وَرَحَلْتُ إِلَيْهَا وَأَقَمْتُ فِيهَا جَابِراً بِالْمَذَاكِرَةِ وَالْمُطَايِبَةِ صَدْعِي^(١٠). ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ فَالْفَيْتَهَا مَدِينَةً عَلَيْهَا رَوْنَقُ الْأَنْدَلُسِ،

(١٠) جزت (قطعت بحر الزقاق، بين الأندلس وقارة إفريقية) إلى برّ العدوّة (الجانب الجنوبي من بحر الزقاق: شمالي إفريقية).

(١) الغرب (المغرب) الأوسط: القطر الجزائري. إفريقية: (هنا) القطر التونسي. درب بلاد الشرق (الطريق التي تصل بالمسافر من الأندلس إلى الشرق: مصر والشام والحجاز وما وراءها شرقاً).

(٢) استشعر: أضر (الخوف)، والمقصود (هنا): شعر، أحسن. الطلاوة (بالفتح وبالكسر وبالضم) الحسن والرونق (ما يسرّ العين).

(٣) جدّة: مرفأ مكة (على البحر). بحر جدّة: البحر الأحمر. التباريح: الشدائد.

(٤) الحجّ: القيام بمناسك الحجّ في الموسم (من الثامن إلى العاشر من شهر ذي الحجة: الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية). الزيارة: زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة.

(٥) بالسوء (بالمعل القبيح). «إِنَّ النَفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسَّوَاءِ» (سورة يوسف: ٥٣).

(٦) الوزر (بالكسر): الإثم، الذنب. بعث الزيارة بالأوزار: ارتكبت (في دمشق) ذنباً ذهب بالحسنات التي كنت قد نلتها من زيارة المدينة المنورة.

(٧) آل: صار، رجع. التجارة (هنا): القيام بأعمال قبيحة بعدما قمت بمناسك الحجّ وبزيارة المدينة (ما رجحته من الحسنات في الحجّ والزيارة خسرته في ارتكاب الذنوب في دِمَشْقِ الشَّامِ). ما حكمت عليّ به الأقدار (ما كان مكتوباً عليّ أن أعمله من الذنوب).

(٨) الحور جمع حوراء (المرأة الجميلة).

(٩) خارجها (خارج دمشق): ضواحيها (الغوطة ودمر والهامة، الخ).

(١٠) أردت أن يحظى بصري (ينال بصري حظاً) بما حظي به سمعي: أردت أن أشاهد ما كنت قد سمعت به (عن حلب).

(١١) جابراً صَدْعِي (شقي، كسري): مصلحاً ما فسد من أمري. المذاكرة (ليست في القاموس): مراجعة =

وفيهما لطافة وفي مبانيها طلاوة ترتاح إليها الأنفس. ثم دخلت إلى مقرّ الخلافة ببغداد فعاشت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو أنّ البحر مِدَادٌ (١). ثم تغلّغت في بلاد العجم بلداً بلداً، غير مُقْتَنِعٍ بغاية ولا قاصداً أمداً (٢)، إلى أن حلّلت ببخارى قُبّة الإسلام وجمّع الأنام. فألقيت عصا التسيار (٣) وعكفت على طلب العلم واصلاً في اجتهاده سوادَ الليل وبياضَ النهار.

٤-★★ المغرب ٢: ١٧٢، نفح الطيب ٢: ٣٧٠ - ٣٧٤، ٤: ١٨١.

ابن طلحة الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن خلف بن أحمد بن الأسعد ابن حزم الأموي الإشبيلي، وُلِدَ في يابرة في ذي الحِجَّة (١١) من سنة ٥٤٥ (ربيع ١١٥١ م). أخذ القراءات السبع عن أبي بكر بن صافٍ، وأخذ النحو عن أبي إسحاق ابن ملكون وأبي الوليد جابر بن محمد بن نامٍ. وقد تصدرّ باكراً للتدريس وبقي أستاذاً

أشياء من الجدّ (بالكسر) كأنواع العلوم والأخبار التاريخية مع نفر من الناس. المطاوعة: الخوض مع نفر من الناس في شيء من المزح والقصص الخفيف (تأّ تسرّ به النفس من غير فائدة عملية).

(١) مداد: حبر (سائل أسود يستخدم في الكتابة). لو كان عندي حبر بمقدار ما في البحر من الماء ثم كتبت في أحوال بغداد لفرغ (بفتح ففتح فكسر) البحر من مائه قبل أن أفرغ (بضمّ الراء) أنا من تدوين وصف بغداد على الورق. راجع القرآن الكريم (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): «قل: لو كان البحر مداداً (بالكسر) لكلمات (بفتح الكاف وكسر اللام) ربّي، لنفد (بفتح ففتح فكسر) البحر قبل أن تنفد (بفتح الفاء) كلمات ربّي.....». فرغ (بكسر الراء) يفرغ (بفتح الراء): خلا، أصبح (الإناء) فارغاً، خالياً. ثم فرغ (بفتح الراء) يفرغ (بضمّ الراء): انتهى (الرجل من عمله).

(٢) بلاد العجم (الذين لا يتكلمون اللغة العربية): البلاد الواقعة وراء العراق شرقاً. ولا قاصداً أمداً (غاية): لم أقصد أن أسير في بلاد العجم مسافة معيّنة.

(٣) بخارى: عاصمة بلاد ما وراء النهر (جيحون) في أواسط قارة آسية. ألقيت عصا التسيار (المسير): استقررت، سكنت.

(٤) في بغية الوعاة (ص ٥٠): ولد في منتصف صفر سنة ٥٤٥ ومات بإشبيلية في منتصف صفر سنة

٦١٨.

إشبيلية أكثر من خمسين سنة. وكانت وفاته في مُنتَصَفِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٦١٨ (٨ / ٤ / م ١٢٢١).

٢ - كان ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ يُقرئ اللغةَ والنحوَ والأدب. وكان يقرئ كُتُباً منها (برنامج الرعيني ٧٩): الأشعارُ السِّتَّة (المعلقات) - كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - شعرُ حبيب (أبي تمام، ت ٢٣٢ هـ) - كتاب الحماسة (لأبي تمام) - إصلاح المنطق (لابن السكيت، ت ٢٤٤ هـ) - الأمثال (كتاب الأمثال لابن السكيت؟) - الكامل (للمبرِّد، ت ٢٧٦ هـ) - فصيحُ ثعلب (ت ٢٨٦ هـ) - الجمل (للزجاجي، ت ٣٤٠ هـ) - الإيضاح (في علل النحو للزجاجي؟) - أدب الكتّاب (للمصولي، ت ٣٣٥ هـ) - النوادر لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) - المقامات (؟ للحريري، ت ٥١٦ هـ)، وكان يُقرئ «على طريقة التفقه والتعلم» (برنامج الرعيني ٧٩). ولابن طلحةَ شعرٌ رقيقٌ خارجٌ عن شعر النُحاة (نفع الطيب ٣: ٤٧٦).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ في غلامٍ كان له شعرٌ وافرٌ ثم قصَّ شيئاً منه:
 بدا الهلالُ، فلَمَّا بدا نَقَصْتُ وَتَمَّأُ^(١).
 كأنَّ جِسميَ «فَعْلٌ» وسيُخَرُّ عَيْنَيْهِ «لَمَّا»^(٢).
 - وله في الوصف:

إلى أيِّ يومٍ بعده يُرْفَعُ الحَمْرُ؟ وللورقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَّهْرُ^(٣).

(١) يشبه وجه الغلام بالهلال (حيثما كان شعره وافرًا ولا يرى إلّا جانب صغير من وجهه). فلَمَّا قصَّ الغلام شيئاً من شعره بدا جانب أكبر من وجهه (فكأنّه أصبح بديراً). نقصت (نقصت قوتي بتقدم السن عن التمتع بشمرات الجلال).

(٢) فعل: فعل مضارع معتلّ، و«لَمَّا» (من أجرف الجزم) ينقص بها الفعل المعتلّ (يقول، ينمو؛ لم يقل، لم ينم!).

(٣) - إلى متى يؤجّل شرب الخمر؟ الورقاء: الحمامة. خفق النهر: زاد ماؤه (يكون ذلك في الربيع).

وقد صَقَلَتْ كَفَّ الغزاة أَفْقَهَا، وفوق مُتونِ الروضِ أُرْدِيَةُ خُضْرُ^(١).
وَلَمْ قَدْ بَكَتْ عَيْنُ السماءِ بَدَمْعِهَا عليها! ولولا ذاك ما ابْتَسَمَ الزَّهْرُ.

٤-★★ برنامج الرعييني ٧٩-٨٠ المغرب ١: ٢٥٣ بغية الوعاة ٤٩-٥٠ نفح الطيب
٤٧٦: ٣ - ٤٧٧.

الشريشي

١- هو كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، وُلِدَ في شَرِيشَ سَنَةِ ٥٥٧ (١١٦٢ م).

تطوَّفَ أبو العباس الشريشي بالأندلس وتلقَّى العلمَ على نَفَرٍ، منهم: القاضي أبو الحسن علي بن لَبَّالٍ الشريشي (ت ٥٨٣ هـ) والفقيرُ محمد بن سعيد بن زرقون الشريشي (٥٠٢-٥٨٦ هـ) وأبو بكر بن زُهْرٍ (ت ٥٩٦ هـ) والقاضي مُصْعَبُ بن أبي رَكْبٍ الحُسَني الجَيَّاني (ت ٦٠٤ هـ) وعلي بن محمد بن خروف النحوي (٥٢٤-٦٠٤ هـ) وغيرهم. وَرَحَلَ الشريشي فزارَ مِصْرَ والشَّامَ.

وتصدَّرَ الشريشي للتدريس في شريشَ وبلَنَسِيَّةَ لإِقرأءِ اللُّغة والنحو والعروض والأدب، كما كان الأدباءُ يقرأون عليه «شَرَحَهُ» لمقامات الحريري. وقد كانت وفاته في شَرِيشَ في ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦١٩ (أوائل ١٢٢٣ م).

٢- كان أبو العباس الشريشي واسعَ المعرفة بعلوم اللغة عارفاً باللغات (لهجات العرب) وبفنون النحو والشعر والأدب. وكان مُصَنِّفاً بارعاً له: مُختصر نوادر القالي (ت ٣٥٦ هـ) - شرح الجَمَل للزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) - شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) - شرح عروض الشعر - عِلَل القوافي - وغيرها. غير أن شهرته تقوم على شرح «المقامات» للحريري (٥١٦ هـ) صنع منه ثلاثَ نُسخٍ: شرحاً كبيراً وشرحاً وسيطاً وشرحاً صغيراً. وذاع شرح الشريشي للمقامات في أيامه ذُيوعاً

(١) صقلت كف الغزاة (الشمس) أفقها (أزالت منه الغيوم). يرفع (اقرأ: ترفع) فالخمر مؤنثة.

عظيماً، قيل إنه أجاز سَبْعِمِائَةَ نُسخَةٍ منه، وقد أُقبلَ عليه النصارى واليهودُ ونقلوه إلى عددٍ من لهجاتهم. ذلك لأنَّ مقاماتِ الحريريَّ نفسها كانت قد وصلتْ إلى الأندلس ولَقِيَتْ رَواجاً كبيراً ونَسَجَ على مِنوالِها نفرٌ كثيرون. والشريشيُّ قد جَمَعَ شرحَه للمقامات من عددٍ من الشروح عليها وأضافَ إليها أشياء كثيرةً من معرفته الواسعة بفنون العلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال الشرishiُّ في مُقدِّمة «شرح المقامات الحريرية» (*):

الحمدُ لله الذي آخِطَصَ هذه الأُمَّةَ بأفصحِ الألسنةِ وأفسحِ الأذهانِ وشَرَّفَ علماءَها بالافتنانِ في أفانين^(١) البلاغةِ والبيانِ....

أما بعدُ: فإنَّ العلمَ أَرَبُجُ المكاسبِ وأَرْجَحُ المناصبِ وأَرْفَعُ المراتبِ وأنْصَعُ المناقبِ^(٢)، وَحِرْفَةُ أَهْلِ الهِمَمِ مِنَ الأَمَمِ، وَنِحْلَةُ أَهْلِ الشَّرَفِ مِنَ السَّلَفِ^(٣)، لَمْ يَتَقَلَّدْ سِلْكُهُ إِلَّا جَيْدَ ماجِدٍ^(٤)، وَلَمْ يَتَوَشَّحْ بُرْدَهُ إِلَّا عِطْفُ جادٍ فِي طَلَبِ الكَمالِ جَاهِدٍ^(٥)، وَلَمْ يَسْتَحِقَّ أَسْمُهُ إِلَّا الواحدُ الفَذُّ^(٦) بعدَ الواحدِ. وَهُوَ وَإِنْ تَسَعَّبَتْ أَفانِينُهُ وَتَنَوَّعَتْ دَواوِينُهُ^(٧) فَعِلْمُ الأَدبِ عِلْمُهُ والأُسُّ الذي يُبْنى عَلَيْهِ كَلِمُهُ، وَالرُّوحُ الذي يَخْبُ في

(*) راجع ٣ : ٢٣٨.

(١) افْتَنَ افْتِنَانًا: تَفَتَّنَ (أَكْثَرُ أَوَاجِهِ الصَّنَاعَةِ، نَوْعِ البَحْثِ). أَفانينُ جَمْعُ أَفنانٍ (جَمْعُ فَنٍّ - بَفَتْحٍ فَفَتْحٍ: غَصْنٍ): أَنْواعٌ.

(٢) الرَّاجِحُ: الثَّقِيلُ، الرَّزِينُ، الْوَقُورُ، الْكاملُ الْعَقْلُ. النَّاصِعُ: الصَّافِي، الْواضِحُ. الْمُنْقَبَةُ: الْفَعْلُ الْكَرِيمُ، الْمَفْخَرَةُ.

(٣) النِحْلَةُ: الْعَمَلُ الَّذِي يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ بِهِ مَعاشَهُ.

(٤) تَقَلَّدَ الشَّيْءَ: عَلَّقَهُ فِي عَنَقِهِ. السِّلْكُ: الْحَبِطُ الَّذِي تُنْظَمُ فِيهِ حَبَّاتُ الْعَقْدِ. الْجَيْدُ: الْعَنَقُ. الْمَاجِدُ: الَّذِي لَهُ مَجْدٌ (نَبْلٌ وَشَرَفٌ).

(٥) تَوَشَّحَ بِالشَّيْءِ: لَفَّهُ عَلَى أَعْلَى جَسَدِهِ. الْبُرْدُ: الثَّوبُ مِنْ حَرِيرٍ. الْعِطْفُ (بِكَسْرِ الْعَيْنِ): الْجَانِبُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَسْمِ. الْمَاجِدُ: الَّذِي يَبْذُلُ أَقْصَى مَا فِي وَسْعِهِ.

(٦) الْفَذُّ: الْفَرْدُ، الْمُتَفَرَّدُ (الَّذِي لَا يَدانِيهِ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ).

(٧) الْأَفانُونُ (يُضَمُّ الْهَمْزَةُ): الْقَصَصُ. الدِّيوَانُ: الْمَجْمُوعُ مِنْ قَوْنٍ مِنَ النِّشاطِ الْإِنْسَانِيِّ (الْمِيدَانِ).

ميدان الطرسِ قَلَمُهُ^(١). ولذلك كان أولَى ما تَقَرَّحُهُ القرائحُ وأعلى ما تَجَنَّحُ إليه الجوانحُ^(٢)..... ولم يَزَلْ في كلِّ عَصْرِ من حَمَلَتِهِ بدرٌ طالعٌ، وزَهْرُ غُصْنِ يانغٍ، وعَلَمٌ ترنو إليه أبصارٌ وتُومِيءُ إليه أصابعٌ^(٣)؛ وصِناعَةُ البراعةِ بَيْنَهُم تَتَمَكَّنُ وتَتَأَصَّلُ وتنويعُ البديعِ يَنْضَبُطُ ويتحصَّلُ، والآخِرُ^(٤) يَكِدُّ ذِهْنَهُ في تَتَمِيمِ ما غادرَهُ الأوَّلُ، إلى أنِ أَعْتَدَكَ كِفَّتاهِ وَاُمْتَلَأَتْ ضِفَّتاهِ وراق مُجْتَلَاهِ ومُجْتَنَاهِ وتَنَاهَى^(٥) في الحُسْنِ والإحسانِ لَفْظُهُ ومعناه. وكان آخِرَ البُلْغَاءِ وخاتمةَ الأدباءِ أوَّلُهُم بالاستحقاقِ وأوْلَاهُمْ بِسِمَةِ السِّبَاقِ^(٦)..... أبو مُحَمَّدٍ القاسِمُ بنُ عَلِيِّ الحريريُّ.... فَبَسَطَ لِسَانَ الإحسانِ ومدَّ أَفْئانَ الْاِفْتِنانِ^(٧)، ومَهَّدَ جادَةَ الإِجادَةِ وقَوَّى مادَّةَ الإِفادَةِ، ولم يُتَّقِ في البلاغةِ مُتَعَقِّباً ولا للزِيادَةِ مُتَرَقِّباً^(٨)، لا سِيَّما في المقاماتِ التي اِبْتَدَعَهَا والحِكاياتِ التي نوَّعَهَا وفرَّعَهَا^(٩) والمُلَحِّ التي وَشَّحَهَا بِدُرِّ الْفِقْرِ ورَصَّعَهَا^(١٠)، فَإِنَّهُ بَرَزَ فيها سابِقاً وبَزَّ البُلْغَاءِ فائِقا^(١١)..... ولَمَّا كانتْ من البراعةِ بهذا المَحَلِّ الشَّهِيرِ وسارتْ مَسِيرَ النِّيرَيْنِ بَيْنَ مَشاھيرِ الجَماهيرِ^(١٢)، جعلتُ الاعْتناءَ بِها سَهْمَ فَهْمِي، والعُكوفَ عَلَيْها حَزْمَ عَزْمِي^(١٣) والدُّووبَ في ضَبْطِ بُلْغَاتِها وفَكِّ مُخَبَّاتِها أَمْ هَمِّي^(١٤)..... فكان أوَّلُ

- (١) خَبَّ الفرس: عدا، ركض (أسرع). الطرس: الورقة.
- (٢) جنح: مال. المجانحة: الضلع (القلب).
- (٣) اليانغ: الناضج؛ ذو اللون الزاهي الجميل. رنا: تطلَّع. أوماً: أشار.
- (٤) الآخر (الذي يأتي فيما بعد).
- (٥) الكفة (بكسر الكاف): وعاء في كلِّ جانب من جانبي الميزان. الصفة (بكسر الضاد): جانب النهر. راق: حسن. المجتلى: المنظر. المجتنى: القطف، الثمر. تناهى: بلغ النهاية.
- (٦) السمة: العلامة.
- (٧) الفنن: الفصن. الافتنان: التفتن، الهيجء بالشئ على أشكال مختلفة.
- (٨) تعقَّبَ الرجلُ الشئ: تتبَّعَه لِيَبْصُرَ ما فيه من نقص. ترقَّب: انتظر.
- (٩) - الحريري لم يبتدع (يخترع) فنَّ المقامات، وإن كان قد توسَّع في موضوعاتها.
- (١٠) الملحة: الكلمة (أو اللفظة) البارة الحلوة. الدرة: الجوهرة، اللؤلؤة. الفقرة (بكسر الفاء): العظمة في العمود الفقري (يكسر ففتح)، الجملة أو جزء منها. رصَّع: زين.
- (١١) بَزَّ: غلب. الفائق: المتفوق، الذي يزيد في الإحسان على الآخرين.
- (١٢) النيران: الشمس والقمر. مشاهير الجماهير: المشاهير عند الجماهير (٤).
- (١٣) سهم فهمي (أوجَّهَ إليها كلَّ تفكيرِي). المكوف على الشئ: الإقبال عليه والنظر فيه. حزم عزمي (تأكيد قوي = الإصرار بجميع مقدراتي).
- (١٤) الدُّووب: المتابعة. اللغات: الكلمات المختلفة التي تتقارب في المعاني. أَمْ هَمِّي: أصل اهتمامي وورغي.

مَنْ أَخَذَتْ عَنْهُ رَوَايَتَهَا وَتَلَقَّيْتُ مِنْهُ دِرَايَتَهَا بِبَلَدِي الْفَقِيهُ الْمُقْرِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَزْهَرَ الْحِجْرِيُّ^(١) ثُمَّ لَمْ أَدْعُ كِتَاباً أَلْفَ فِي شَرْحِ أَلْفَاظِهَا وَإِيضاحِ أَغْرَاضِهَا... إِلَّا أَوْعَيْتُهُ نَظْراً وَتَحَقَّقْتُهُ مُعْتَبِراً وَمُخْتَبِراً^(٢) وَلَمْ أَتْرُكْ فِي كِتَابٍ مِنْهَا فَائِدَةً إِلَّا اسْتَخَرْتُهَا وَلَا فَرِيدَةً إِلَّا اسْتَدْرَجْتُهَا وَلَا غَرِيبَةً إِلَّا اسْتَلَحَقْتُهَا^(٣) فَاجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ حِفْظاً وَخَطَأً أَعْلَقَ جَهَّةً^(٤) وَفَوَائِدُ لَمْ تَهْتَمَّ بِهَا قَبْلِي هِمَّةٌ. ثُمَّ لَمْ أَقْنَعْ بِتَبْيِينِ الدَّوَابِّ وَلَا اقْتَصَرْتُ عَلَى تَوْقِيفِ التَّصَانِيفِ حَتَّى لَقِيتُ بِهَا صُدُورَ الْأَمْصَارِ^(٥) وَعُلَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْصَارِ، فَبَايَحْتُ وَنَاقَشْتُ وَتَأَوَّلْتُ وَتَدَاوَلْتُ وَأَنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَلْتَمِسُ مَزِيداً وَلَا أَسْأَمُ مَجْثاً وَلَا تَقْيِيداً، إِلَى أَنْ عَشَرْتُ عَلَى شَرْحِ الْفَنَجْدِيِّيَّ لِلْمَقَامَاتِ وَالْفَنَجْدِيِّيَّ هُوَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَسْعُودِيِّ^(٦) مِنْ قَرْيَةٍ فَنَجْدِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ، فَرَأَيْتُ فِي شَرْحِهِ الْغَايَةَ الْمَطْلُوبَةَ وَالْبَغْيَةَ الْمَرْغُوبَةَ فَاسْتَأْنَفْتُ النَّظَرَ ثَانِياً، وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ لَا مِتْكَاسَلاً وَلَا مُتَوَانِياً^(٧)، وَعَايَنْتُ نَوْرَ الْمَعْنَى فِي نَوْرِ اللَّفْظِ فَأَصْبَحْتُ مُجْتَلِياً جَانِياً فَاسْتَوْعَيْتُهُ أَيْضاً أَبْلَغَ اسْتِيعَابٍ^(٨) وَقَيَّدْتُ مِنْ فَوَائِدِهِ مَا لَمْ أَجِدْ قَبْلَهُ فِي كِتَابٍ فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي ضَمِّ مَا انْتَشَرَ مِنْ فَوَائِدِهَا وَنَظَمِ مَا انْتَشَرَ مِنْ قَرَائِدِهَا وَالْإِعْتِنَاءِ بِتَأْلِيفِ فِي الْمَقَامَاتِ يُغْنِي عَنْ كُلِّ شَرْحٍ تَقَدَّمَ فِيهَا وَلَا يُخَوِّجُ إِلَى سِوَاهُ فِي لَفْظٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا وَلَا

-
- (١) المقري: الذي يقرئ. القرآن. في نفع الطيب (٢: ١١٥): الشريشي أخذ عن أبي بكر بن أزهر.
(٢) أوعيته (حفظته) نظراً (جعلت فيه كل نظري ودرسي). الاعتبار: التأمل في الشيء.
(٣) الفريدة (في الأصل): اللؤلؤة، فكرة جيلة. استدرجتها: احتلت حتى جعلتها تأتي إلي.
(٤) حفظاً (ما كنت قد تلقيت من أفواه الرجال) وخطأً (ما هو مدون في الكتب). العلق (بكسر العين): الشيء النفيس الثمين.
(٥) صدور (كبار العلماء). الأمصار: جمع مصر (بكسر الميم): المدن الكبيرة في المقاطعات (بضداد قاعدة أو عاصمة. الكوفة مصر، والبصرة مصر، الخ).
(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود البندهي (أو البنجدية: نسبة إلى قرية بنج ده) من أهل الفضل والأدب والفقه (٥٢٢ - ٥٨٤ هـ)، شَرَحَ مقامات الحريري (راجع بغية الوعاة ٦٦ - ٦٧).
(٧) التواني: التاهل والتكاسل.
(٨) مجتلياً جانبياً (راجع، فوق، ص ٦٢٦، الحاشية ٥). استوعب فلان الشيء: أدخله كله في شيء آخر.

مَعْنَى من معانيها. فَمَنْ من ذلك مجموعٌ جامعٌ وموضوعٌ بارعٌ واودعتها من اللغات^(١) أَصَحَّهَا وَأَوْضَحَّهَا.

وكلُّ ذلك بلطفِ الله تعالى وبِسَعْدٍ من شَرَفَتْ كِتَابِي بِخِدْمَتِهِ وَبَنَيْتُ تَأْلِيفِي عَلَى أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَتِهِ.... عِمَادُ الْأَنَامِ وَالظِّلُّ الْمَدُودُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ.... سَيِّدُنَا الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ إِمَامِ الْأَثَمَةِ الرَّاشِدِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ سَيِّدُنَا الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو يَعْقُوبَ^(٢).

- مَطْلَعُ الْمَقَامَةِ الْأُولَى (الصَّنْعَانِيَّة) لِلْحَرِيرِيِّ:

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا أَقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْإِغْتِرَابِ، وَأَنَا ثَنِي الْمَتَرَبَةِ عَنْ الْأَتْرَابِ، طَوَّحْتُ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوِفَاضِ بِأَدْيِ الْأَنْفَاضِ، لَا أُمْلِكُ بَلْفَةً وَلَا أَجِدُ فِي جِرَائِي مُضْغَةً.

*** من شرح الشريشي:

إن قيل: لِأَيِّ مَعْنَى اخْتَارَ الْحَرِيرِيُّ حَارِثًا وَهَمَّامًا وَأَبَا زَيْدٍ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ». وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا الْحَارِثُ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ^(٣). وَصِدْقُهَا أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْرُثُ، أَيْ يُحَاوِلُ الْكَسْبَ أَوْ يَتِمُّ بِحَاجَتِهِ. وَأَمَّا أَبُو زَيْدٍ، فَإِنْ صَدَقَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ بَعِينُهُ^(٤) - كَمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّدْرِ^(٥) - وَقَعَ الْإِكْتِفَاءُ بِهِ^(٦)، وَإِنْ لَمْ يَصْدُقْ فَقَدْ حَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ كُنْيَةُ الْكَبِيرِ.... وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو سَعِيدٍ! وَالسَّرُوجِيُّ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا يَصِفُهُ بِالْكَبِيرِ وَالْهَرَمِ. وَإِنَّمَا

(١) اللغات: الألفاظ (المختلفة والمستعملة في القبائل المختلفة أو الأماكن المختلفة).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثاني سلاطين الموحدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٣) أبو مرة كنية إبليس.

(٤) إذا كان الاسم «أبو زيد» يدل على رجل معين...

(٥) الصدر: التصدير (شبه مقدمة للكتاب). بدأ الشريشي شرح «الصدر» على الصفحة السادسة.

(٦) - لم نحتاج إلى أن نتلمس مقصد الحريري من اختياره.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ نَفْسَهُ ^(١) لِأَنَّهُ مِمَّنْ يَخْرُثُ وَيَهْمُ. وَلِذَلِكَ نَسَبَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَهِيَ بَلَدُ الْحَرِيرِيِّ. وَإِنَّمَا وَضَعَ أَبُو زَيْدٍ كُنْيَةَ لِلدَّهْرِ لِأَنَّ (الْحَرِيرِيَّ) يَصِفُهُ بِأَشْيَاءَ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِالدَّهْرِ.

قوله (اقتعدت) أي ركبْتُ، وأصله اتَّخَذْتُ قُعْدَةً أَوْ قَعُوداً وَهِيَ اسْتِئْجَارُ الْبَعِيرِ يَقْعُدُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. وَ(الْغَارِبُ) مُقَدَّمُ سِنَامِ الْبَعِيرِ. وَ(الْإِغْتِرَابُ) وَالْغُرْبَةُ التَّجَوُّلُ فِي الْبُلْدَانِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْأَوْطَانِ.... وَأَرَادَ: لَمَّا اتَّخَذْتُ ظَهَرَ الْغُرْبَةِ قَعُوداً. (أُنَاتِي) أَبْعَدْتَنِي. (الْمُتْرَبَةُ) الْفَقْرُ. (الْأَتْرَابُ) الْأَصْحَابُ عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ. (طَوَّحْتُ) رَمَتُ. وَ(طَوَائِحُ) نَوَائِبُ. وَتَقُولُ: طَوَّحْتُ بِالرَّجُلِ إِذَا رَمَيْتَ بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ. وَقِيَاسُ الطَوَائِحِ الْمَطَاوِحُ....

- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الشَّرِيشِيُّ (وَهُوَ فِي مِصْرَ) يَتَشَوَّقُ إِلَى الشَّامِ:

يَا جِيرَةَ الشَّامِ، هَلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَيْرٌ؟ فَإِنَّ قَلْبِي بِنَارِ الشَّوْقِ يَسْتَعِرُّ ^(٢).
بُعَدْتُ عَنْكُمْ. فَلَا، وَاللَّهِ، بَعْدَكُمْ، مَا لَذَّ لِلْعَيْنِ لَا نَوْمٌ وَلَا سَهْرٌ.
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيْرَبِيِّنِ ضَحَى وَالْغَيْمُ يَبْكِي، وَمِنْهُ يَضْحَكُ الزَّهْرُ ^(٣)؛
وَالْوُرْقُ تُنْشِدُ، وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ؛ وَالدَّوْحُ يَطْرَبُ بِالتَّصْفِيقِ وَالنَّهْرُ ^(٤).
وَالسَّفْحُ، أَيْنَ عَشِيَّاتِي الَّتِي ذَهَبَتْ لِي فِيهِ؟ فَهِيَ، لَعَمْرِي، عِنْدِي الْعُمْرُ!

- وَكَتَبَ، وَهُوَ فِي الشَّامِ (فِي حَلَبَ) ^(٥) إِلَى بَدْرِ الدِّينِ بْنِ الدَّقَاقِ نَازِلٍ أَوْقَافٍ

حَلَبَ (وَفِي الْبَيْتَيْنِ جِنَاسٌ بَيْنَ «كَمَالِ الدِّينِ» لَقَبِ الشَّرِيشِيِّ وَ«الْبَدْرِ عِنْدَ الْكَمَالِ» - التَّوْرِيَّةُ فِي «عِنْدَ الْكَمَالِ»):

(١) الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَرِيرِيِّ نَفْسَهُ.

(٢) اسْتَعِرَّ: تَوَقَّدَ (اشْتَدَّ اشْتِعَالُهُ وَكَثُرَتْ حَرَارَتُهُ).

(٣) النَّيْرَبُ: قَرْيَةٌ قَرِبَ دِمَشْقَ عَلَى نِصْفِ فَرَسَخٍ مِنْهَا بَيْنَ الْبَسَاتِينِ، وَهِيَ أَنْزَلُ الْمَوَاضِعِ فِي دِمَشْقَ (تَاجُ

الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتُ ٤: ٢٥٩). وَتَرَدُّ فِي الشَّعْرِ مِثْلَةُ «النَّيْرَبِيِّ». وَيُقَالُ الْيَوْمَ: بَابُ النَّيْرَبِ.

وَالنَّيْرَبُ أَيْضاً قَرْيَةٌ قَرِبَ حَلَبَ أَوْ نَاحِيَةِهَا. ضَحَى: أَوَّلُ النَّهَارِ (بَعْدَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَلِيلاً).

(٤) الْوَرَقَاءُ: الْحَمَامَةُ. الدَّوْحَةُ (بِالْفَتْحِ): الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ.

مولاي بدر الدين، صِلْ مُذْنَقاً صَبْرَهُ حُبَّكَ مِثْلَ الْحِلَالِ^(١).
لا تَخْشَ من عَارٍ إِذَا زُرْتَنِي. فَمَا يُعَابُ الْبَدْرُ عِنْدَ الْكَمَالِ^(٢).

- ٤ - شرح مقامات الحريري (المقامات الحريرية، المقامات الأدبية، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ؛ مصر ١٣١٢، ١٣١٤ هـ).
- ★ فوات الوفيات ١: ٧٦؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٥٨؛ برنامج الرعي ٩٠ - ٩١؛ التكملة ١٣٧ - ١٣٨، (رقم ٢٨١)؛ الذيل والتكملة ١: ٢٦٨ - ٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٤٣؛ نفع الطبيب ٢: ١١٥ - ١١٦، ٣٩٢، ٤٤٦: ٣ - ٤٤٧؛ الإنهل الصافي ١: ٣٥٤؛ بروكلمن (في ترجمة الحريري) ١: ٣٢٧؛ الملحق ١: ٤٨٧، ٥٤٤؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٨ (١٦٤)؛ الداية ٢١٧ - ٢٣٠؛ سركيس ١٢٢١ - ١٢٢٢.

ابن عبد ربّه المألقي

- ١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد ربّه المألقي من أهل الجزيرة الخضراء، له رحلة إلى مِصْرَ لَقِيَ فيها ابن سَنَاءِ الْمُلْكِ (ت ٦٥٨). وقد كان كاتباً لأبي الربيع سُلَيْمَانَ بن عبد المؤمن (ت ٦٠٤)، كما كان صديقاً لعبد الواحد المراكشي^(٣).
- ويبدو أن شهرته بالشعر كانت سنة ٥٩١. أمّا وفاته فلمعلها كانت قريباً من^(٤) ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

- ٢ - كان ابن عبد ربّه المألقي أديباً ناشراً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُحْسِناً مُجِيداً له مدحٌ

(١) المدنف: الشديد المرض والذي قرب من الموت. الحلال (بالكسر) وجمعها أخلة (بفتح الهززة وكسر الحاء وتشديد اللام): عود رفيع يتخلل به الناس يخرجون به بقايا الطعام من بين أسنانهم.

(٢) البدر (قمر السماء - بدر الدين الدقاق). الكمال (كمال القمر: امتلاؤه - وكمال الدين الشريفي).

(٣) قال عبد الواحد المراكشي: «فقال في ذلك صديق لي من الكتاب اسمه محمد بن عبد ربّه (المعجب ٢٩٧، السطر ٨، راجع أيضاً ٢٩٨ - ٣٠٠).

(٤) قال سعيد العريان (١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ): عبد الواحد المراكشي ألف كتاب «المعجب» في نحو الأربعين من عمره.... وكان مولده سنة ٥٨١ (فكان تأليف المعجب اذن نحو سنة ٦٢١). وعبد الواحد المراكشي نفسه يقول (المعجب ٢٩٨): «وأنشدته - رحمه الله - يوماً.....»

ورثاء ، ووَصَفه بارعٌ جِدًّا ، وله مقامَةٌ . وكان مُشاركاً في أشياء من علومِ التعاليم (الرياضيات) والمنطق والفلسفة . ثم إنه كان مُصنفاً جَمَعَ ديوانَ أبي الربيع سليمان بن عبد المؤمن ، وله رسالةٌ في صِغَلِيَّةٍ ذَكَرَ فيها ما جَرى عليه في مِصْرَ وَحَدَرَ من الأسفارِ لِمَا كان قد قاسى في أثنائها . ويبدو أَنَّهُ لم يُرَوَّ له شِعْرٌ كثيرٌ . قال عبدُ الواحدِ المراكشيُّ (المعجب ص ٢٩٩ - ٣٠٠) : « ولأبي عبد الله هذا اتساعٌ في صِنَاعَةِ الشعرِ . إِلَّا أَنَّهُ نَحَلَ كثيراً من شِعْرِه السَّيِّدَ الأَجَلَ أبا الربيعِ سليمانَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المؤمن ، أَيَّامَ كِتَابَتِهِ لَهُ . ولم يَدَّعِ بعدَ ذلك في شيءٍ مِمَّا نَحَلَهُ إِيَّاهُ من شِعْرِه ، ولا ذَكَرَ أَنَّهُ لَهُ . فكان أَكْثَرُ شِعْرِه يُنْشَدُ لأبي الربيعِ وَتَرْوِيهِ الرِّوَاةُ لَهُ (لأبي الربيع) . عَرَفْتُ ذلكَ بعدَ مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهُ^(١) ، لِأَنِّي فَقَدْتُ شِعْرَ السَّيِّدِ أَبِي الربيعِ واختَلَفَ عَلَيَّ كَلَامُهُ . ورَأَيْتُ بِحَظِّهِ أَشْعَاراً نازلةً عن رُتْبَةِ الشَّعْرِ جِدًّا . فَعَلِمْتُ أَنَّ ذلكَ الأوَّلَ ليس من نَسْجِهِ » .

٣ - مختارات من شعره :

- لابن عبد ربِّهِ المَالِئِيُّ مُقْطَعَاتٌ مِنْهَا :

- ★ ★ وفي جَنَبَاتِ الرُّوضِ نَهْرٌ وَدَوْحَةٌ يَرُوقُكَ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَنُضَارٌ^(٢) .
تقول - وضوءُ البدرِ فيه مُغْرَبٌ - :
★ ★ ما كُلُّ إِنْسَانٍ أَخٌ مُنْصِيفٌ ذِرَاعُ فَتَاةٍ دَارَ فِيهِ سِوَارُ !
فلا تُضِغْ إِنْ أَمَكْتَ فِرْصَةً ولا اللِّيَالِي أَبَدًا تُسْعِفُ .
وانتِيفُ من الدهرِ ولو ريشةً ؛ واصحبْ من الإِخْوَانِ مَنْ يُنْصِيفُ^(٣) .
★ ★ بينَ الرِّياضِ وَبَيْنَ الْجَوِّ مُعْتَرِكٌ فَإِنَّا حَظُّكَ مَا تَنْتِيفُ .
بيضٌ من البرقي أَوْ سُمْرٌ من السُّمْرِ^(٤) .

(١) كذا في الأصل ، والملموح : مفارقتُهُ ابن عبد ربِّهِ لأبي الربيع سليمان . ولعلَّ الأصوب « مفارقتي إِيَّاهُ » (مفارقة المراكشي لابن عبد ربِّهِ) .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة . يروقك : يعجبك . سندس : أخضر (ورق) . نضار : ذهب (زهر ، ثمر) . والملموح أن ضوء البدر جعل منها جانباً أحمر (فكيف يمكن ، إذن أن يرى اللون الأخضر ليلاً) .

(٣) يمكن أن نقرأ : فلا تضغ - أن أمكنت ، فرصة (بالنصب على أَنَّها مفعول به من « تضغ ») .

(٤) راجع الأبيات كُلُّهَا في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحدي (ت ٦٠٤) . هذه الأبيات موجودة في ديوان =

★★ لَمَّا رَأَتْهُ الشَّمْسُ يَفْعَلُ فِعْلَهَا فِي الْعَالَمِينَ مُقَاسِمًا وَمُسَاهِمًا^(١)،
خَافَتْ تَوَالِي الْجُودِ يُنْفِدُ مَالَهُ نَثَرَتْ عَلَيْهِ دَنَانِيرًا وَدِرَاهِمًا^(٢).

★★-٤ تحفة القادم ٩٤ (رقم ٦٠)، المعجب ٢٩٧ - ٣٠٠، الوافي بالوفيات ٣: ٢٠٣ -
٢٠٥، المغرب ١: ٤٢٧؛ نفح الطيب ٢: ٩٧ - ٩٩، ١١٨ - ١١٩، ١٢٥: ٢٥١ -
٢٥٦.

أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المَنَاصِف)

١- هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المَنَاصِف. كان أهله من ساكني الأندلس، ولكن والده عيسى غادر الأندلس في أثناء الفتن التي تلت انقضاء عهد المرابطين (٥٤٣ هـ). ولعل هذه الفتن قد دامت إلى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) حينما استطاع السلطان عبد المؤمن بن علي من استخلاص غرناطة.

وانتقل عيسى إلى إفريقية (القطر التونسي) وسكن مدينة المهدية، وفيها ولد ابنه محمد (صاحب هذه الترجمة)، في رَجَب (في سنة ٥٦٣ هـ) ونشأ.

وولي أبو عبد الله محمد بن عيسى في الأندلس قضاء مدينة بلنسية ثم قضاء مدينة مرسية. بعدئذ صُرف عن القضاء فسكن حيناً في قرطبة. ثم بدا له أن يرحل عن الأندلس فانتقل إلى مصر وسكنها مدة يسيرة عاد بعدها (في الأغلب) إلى قرطبة. وأخيراً أنتقل إلى المغرب ونزل في مدينة مراكش إلى أن تُوُفِيَ سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م).

= أبي الربيع (راجع نفح الطيب ٢: ٩٨، الحاشية ٣- في الوقت الحاضر ٤ / ٥ / ١٩٧٦ لم أستطع الحصول على الديوان للأحوال الحاضرة). ولكنها في نفح الطيب والمعجب تروى لابن عبد ربه الملقب.

- (١) يعم الناس كلهم بجوده كما تعم الشمس جميع الأرض بنورها.
(٢) دنائر (جمع دينار على مفاعل. والمشهور جمعه على مفاعل: دنانير). نثرت (الشمس) عليه دنانير ودرهم: وقع عليه نورها أبيض وأصفر (كالدرهم والدنانير).

٢- كان أبو عبد الله محمد بن أصفى فقيهاً متينَ العلم فيما يتعلقُ بالأصول والفروع، كما كان لغوياً وأديباً وشاعراً. ولكن يبدو - من الأبيات القليلة التي وصلت إلينا من شعره - أن شعره عاديٌّ. ثم إنّه كان مُصنِّفاً له: السيرة النبوية - تنبيه الحكّام في الأحكام (تنبيه الحكّام في سيرة القضاة وقبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحسبة ٢) - مُذهبة في نظم الصفات من الحلى والشيات (أرجوزة، نحو ألف بيت، في اللغة) - مُعقّبة (تعقيب أو ملحق للمذهبة) - أصول الدين.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو عبد الله بن المُنَاصِف (نفع الطيب ٤ : ٣٠٥):

أَلْزَمْتُ نَفْسِي خُمُولًا عَنْ رُتْبَةِ الْأَعْلَامِ (١)؛
لَا يُخَسِّفُ الْبَدْرُ إِلَّا ظُهُورَهُ فِي تَامِ (٢).

- وقال (المغرب ١ : ١٠٦):

تَغِيَّبَ عَنِّي وَقَلْبِي لَدَيْكَ رَهْنٌ مُعَذَّبٌ (٣)؛
فَرَدُّهُ لِي وَبِنَ حَيْدٍ مَا تَشَاءُ وَتَغِيَّبُ (٤).
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي طُولَ الدُّجَى أَتَقَلَّبُ (٥).
فَجُذِّعْتُ عَلَيَّ بِطَيِّفٍ، إِنْ كُنْتَ فِي الْوَصْلِ تَرَعَّبُ.
إِنْ لَمْ تَلُحْ لِي بِدَرٍّ، فَلَحْ - فَدَيْتُكَ - كَوَكَبُ (٦).

(١) الأعلام جمع علم (بفتح ففتح): الرجل البارز في قومه المشهور.

(٢) خسوف القمر لا يكون إلا إذا صار القمر بدرًا (عند تمامه).

(٣) رهن: مرهون (محبوس).

(٤) بن (فعل أمر من «بان»: ابتعد).

(٥) طول الدجى = طول الليل.

(٦) تلوح: تظهر (تأتي لزيارتي). تلوح بدرًا (كناية عن امتلاء القمر وتمامه): كثيرًا. لح لي كوكبًا (قليلاً). - كان القدماء يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم (ولم يعرفوا أن النجوم تظهر صغيرة لبعدها - ثم عرفوا هذه الحقيقة. ولكن الأدباء ظلوا يأخذون بالنظرية القديمة لموافقتها للخيال والشعر).

٤-★★ التكملة ٣٢٥ - ٣٢٦؛ المغرب ١: ١٠٥ - ١٠٦؛ الوافي بالوفيات نيل الابتهاج ٢٢٨ - ٢٢٩؛ نفع الطيب ٤: ٣٠٥؛ بروكلمن ١: ٤٨٠ - ٤٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٤ - ٢١٥ (٦: ٣٢٢ - ٣٢٣)؛ معجم المؤلفين ١١: ١٠٧ - ١٠٨.

ابن سالم المالقي

١- هو أبو عمرو سالم بن صالح بن علي بن صالح بن سالم الحمداني المالقي، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٥٧ للهجرة (١١٧٠ م) وتلقَى العلمَ على أبيه وعلى جماعةٍ كبيرة. ويبدو أنه لم يَرَحَلْ ولكنه راسَلَ نفراً من علماء المشرق في مِصْرَ والحِجاز فكتبوا إليه بإجازَتِهِمْ له. وكانت وفاته في ثامنَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٢٠ (١٤ / ٩ / ١٢٢٣ م).

٢- كان ابنُ سالمٍ المالقي طيِّبَ النفسِ سليمَ الصدرِ جميلَ الصُّحْبَةِ متواضعاً ماثلاً إلى الزُّهد. وكان متَّسِعَ الرواية (في الحديث) مُعْتَنِياً بالتقييد (بتدوين الروايات) جيِّدَ الضبطِ لما يُدَوِّن. ثمَّ كان أديباً حافلاً حاشداً (يكثُرُ الناسُ في مجالسه) حَسَنَ الحديثِ كثيرَ الإمتاعِ ناظلاً ناثراً يُنسَبُ إليه شعرٌ قليلٌ جيِّدٌ.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ سالمٍ المالقي (راجع الذيل والتكملة ٤: ٥) (١):

عزٌّ مَنْ لا يموتُ، يا مَنْ يموتُ، وتعالى فلم تَنَلْهُ النُّعوتُ (٢).
إنَّ دنيَاكَ هذه غرَّةٌ، ما لِثَباتِ الأنامِ فيها ثبوتُ (٣).

(١) قال مؤلف «الذيل والتكملة» محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (٦٣٤ - ٧٠٣ هـ): «ومن شعره (شعر ابن سالم المالقي) ما أنشدته على شيخنا أبي الحسن الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ) ويقول الرعيني نفسه في برنامج شيوخه (ص ١٠٧): «وجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو (ابن سالم المالقي) المذكور (يقصد الأبيات: عز من لا يموت)، ولا أحققها له».

(٢) من لا يموت: الله تعالى. من يموت = الإنسان. التعت: الوصف (إنَّ الله لا يمكن أن يوصف بصفة يعرفها البشر). تعالى: ارتفع عن مشابة المخلوقين وتَّوَهَّ عن صفاتهم (عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه).

(٣) غرَّة - يقصد: غرور (بفتح) وضمّ بلا شدة - أو غرارة (بالتشديد): خداعة (تخدع الإنسان الغافل =

فَأَتَرُكْنَهَا فَإِنَّهَا أُمُّ دَفَرٍ لِبَنِيهَا غَرَارَةٌ خَلْبُوتٌ^(١).

٤-★★ برنامج الرعيبي ١٠٥ - ١٠٧؛ الذيل والتكملة ٤: ٢ - ٦.

أبو الحسن بن حريق

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ سَلَمَةَ بنِ حريقِ الخزوميُّ البَلَنْسِيُّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٣ م).

تَكَسَّبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ بِالشِّعْرِ، رَأَيْنَاهُ بُعِيدَ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) فِي جَيَّانَ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بنِ صَنَانِيدَ - وَكَانَ أَبُوهُ وَالِيًا عَلَى جَيَّانَ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سَبْتَةَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُوحِدِيِّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) لِيَمْدَحَ وَإِلَيْهَا ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَرِيقٍ فِي بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ مُتَبَحِّرًا فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، حَافِظًا لِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ. وَكَانَ شَاعِرًا ذَا بَدِيَّةٍ، مُتَصَرِّفًا فِي الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَالنَّسِيبِ، وَلَهُ هَجَاءٌ لَطِيفٌ وَمُوشِحَاتٌ. وَقَدْ أَلْفَ عِدَدًا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ.

٣- مختارات من شعره:

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ يُفَضِّلُ سُكْنَى بَلَنْسِيَّةَ مَعَ مَا كَانَ يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ مَصَائِبِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ عَلَى أَيْدِي الْإِسْبَانِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهَا:
بَلَنْسِيَّةَ قَرَارَةً كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ.

= القليل التجربة). ثبوت: دوام (لثبات الأنام فيها ثبوت - لا وجه لاستعمال ثبات وثبوت في تركيب واحد). ولكن إذا نحن أخذنا صيغة «ثبيت» (العاقل) من المصدر «ثبات»، وضع المعنى قليلاً: «ثبات الأنام (الناس)، أي صحة عقولهم (تأيد على سلوكهم في الدنيا) لا ثبوت له (لا يقوم عليه عندنا دليل».

(١) أم دفر: الداهية، المصيبة الكبيرة - وبها سميت الدنيا: أم دفر (لكثرة المصائب فيها)، راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٣٠٤. وفيه أيضاً (٢: ٣٧٨) رجل خلبوت: خذاع، كذاب.

فإن قالوا: مَحَلُّ غِلَاءٍ سِغَرٍ وَمَسْقَطُ دِمْتَي طَغْيٍ وَضَرْبٍ؛
فَقُلْ: هِيَ جَنَّةٌ حَفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهِينَ مِنْ جَوْعٍ وَحَرْبٍ.
- قَالَ فِي الْوُقُوفِ عَلَى أَطْلَالِ الْأَحْيَةِ:

يَا صَاحِبِيَّ - وَمَا الْبَخِيلُ بِصَاحِبِي - هَذَا الدِّيَارُ، فَأَيْنَ تِلْكَ الْأَذْمُعُ^(١)؟
أَتَمُرُّ بِالْعَرَصَاتِ لَا تَبْكِي بِهَا، وَهِيَ الْمَعَاهِدُ مِنْهُمْ وَالْأَرْبُعُ^(٢).
هَيْهَاتَ! لَا رِيحُ اللَّوَاعِجِ بَعْدَهُمْ رَهْوٌ، وَلَا طَيْرُ الصَّبَابَةِ وَقَعَ^(٣).
يَا سَعْدُ، مَا هَذَا الْمَقَامُ وَقَدْ مَضَوْا؟ أَتَقِيْمُ مِنْ بَعْدِ الْقُلُوبِ الْأَضْلَعُ^(٤)!
جَارُوا عَلَى قَلْبِي بِسِغَرِ جُفُونِهِمْ؛ لَا زَالَ يَشْعَبُهُ الْأَسَى وَيُصَدِّعُ^(٥).
وَأَبَى الْهَوَى إِلَّا الْحُلُولَ يَلْعَلُ. وَيَحَ الْمَطَايَا، أَيْنَ مِنْهَا لَعْلُ^(٦)!
لَمْ يَذِرْ أَيْنَ ثَوَوَا فَلَمْ يَسْأَلْ بِهِمْ رِيحاً تَهْبُ وَلَا بُرَيْقاً يَلْمَعُ^(٧).
وكَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ مَدْرَجٍ نَاسٌ؛ فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رَقَّةٌ تَتَضَوُّعُ^(٨)!
فَإِذَا مَنَحْتَهُمُ السَّلَامَ تَبَادَرَتْ تَبْلِيغُهُ عَنِّي الرِّيحُ الْأَرْبَعُ!

- وَقَالَ فِي فَنَاءِ اللَّذَاتِ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهَا:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ عَلَى الشَّرَابِ،
وَلَثْمُكَ وَجَنَّتِي قَمَرٍ مُنِيرٍ يَجُولُ بِخَدِّهِ مَاءُ الشَّبَابِ.

(١) هذه ديار الأحبة (ومن عادة الزائر أن يبكي إذا لم يجد أحبابه في ديارهم)، فأين الأدمع (أدمي أنا: لماذا لا أبكي).

(٢) العرصة: الفسحة أمام الدار. المعهد والربع: المكان المعد للسكن.

(٣) اللعاج: النار المتوقدة (نار الحب في القلب). رهو: ساكن، هادئ. الصبابة: الحب. وقع جمع واقع: موجود على غصن أو في وكرة. - سيكون حزني بعد فراقهم شديداً، ولن أمتع بجي.

(٤) يا سعد (الشاعر يخاطب رفيق سفره)، لماذا نظل واقفين وأهل الدار قد رحلوا؟

(٥) شغب وصدع: شق. الأسى: الحزن.

(٦) الهوى: الحب، المحبوب. لعلع اسم مكان (يكني به الشاعر عن البعد).

(٧) ثوى: استقر، أقام، سكن.

(٨) مدرج ناسم: المكان الذي تهب عليه الريح فتترك عليه علامات من هبوبها. - كأنهم يسكنون في كل مكان، ففي كل مكان تجد رائحتهم الطيبة رقة (كذا في المغرب ٢: ٣١٩).

٤-★★ زاد المسافر ٦٤-٦٩ (رقم ٧)؛ المغرب ٢: ٣١٨-٣٢٠، ٣٣٩-٣٤١ (موشحة)؛ فوات الوفيات ٢: ٨٨-٨٩؛ التكملة، ٦٧٩ (رقم ١٨٩٥)؛ الذيل والتكملة رقم ٥٥٣ (١: ٢٧٥-٢٧٧)؛ صلة الصلة ١٢٩؛ بغية الوعاة ٣٤٦؛ نفح الطيب ٢: ١١٦، ٣: ٤٠٩-٤١١؛ نيكل ٣٣١؛ مختارات نيكل ١٨٩-١٩٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٥٢ (٤: ٣٣١).

ابن الفُكُون

١- هو أبو عليّ حسن بن عليّ بن عمَرَ القُسْطَينِي^(١)، ويُعرَفُ بابنِ الفُكُونِ، من أهل قسطنطينة. اتَّصلَ ابنُ الفُكُونِ بولادةِ بني عبدِ المؤمنِ (الموحِّدين) في بجاية ومدَحهم. وفي سنة ٦٠٢ هـ جاء الخليفةُ الموحِّديُّ مُحَمَّدُ الناصرُ إلى قُسْطَينَةَ فمدَحَهُ أيضاً. ثم كانت لابنِ الفُكُونِ رحلةٌ إلى مدينةِ مَرَّاكُشَ (لعلَّها متأخرة). وكانت وفاته في أوائلِ القرنِ السابعِ للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر للميلاد)*.

٢- ابنُ الفُكُونِ فقيهٌ وأديبٌ وشاعرٌ. كانت شهرته في الشعر، إذ كان شاعراً مُكثرًا بارعاً في التوشيح. «وهو من الأدباء الذين تُستظرفُ أخبارُهم وتروقُ أشعارُهم»^(٢)، ولكنَّ عليه مآخذٌ كثيرةٌ في شعره، فإنَّ عدداً من أبياتِ شعره مختلٌ الوزنِ وفي عددٍ منها لحنٌ^(٣) (أخطاء في النحو). ولما رحَلَ ابنُ الفُكُونِ إلى مَرَّاكُشَ نظَّمَ قصيدةً ذَكَرَ فيها البلدانَ التي مرَّ بها بين قُسْطَينَةَ ومَرَّاكُشَ. والأوصافُ التي جعلها ابنُ الفُكُونِ للمدينِ التي مرَّ بها أوصافٌ عامَّةٌ، وفي أكثر الأحيان غيرُ مناسبةٍ للموضوعِ لأنَّ تلكَ الأوصافَ تدورُ على أغراضٍ من الغزل (وفي هذه القصيدة مآخذٌ كثيرة من اللغة والنحو والعروض).

(١) في نفح الطيب (٢: ٤٨٣، السطر الأول): القسطيني (بالم مكان النون الأولى).

(*) سنة ٦١٩ (٢).

(٢) «عنوان الدراية»: ٢٨٠.

(٣) راجع «عنوان الدراية»: ٢٨٤-٢٨٦.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عليّ حسن بن الفكون يَصِفُ قَصْرَ الرِّبيعِ^(١):

عَشَوْنَا إِلَى نَارِ الرِّبْعِ ، وَإِنَّا عَشَوْنَا إِلَى نَارِ النَّدَى وَالْمَحَلَّقِ^(٢) .
رَكِبْنَا بَوَادِيهِ جِيَادَ زَوَارِقِ نَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنْ ضَوَايِرَ سُبُحِ^(٣) .
وَحُضْنَا حَشَاهُ وَالْأَصِيلُ كَأَنَّهُ بَصَفَحْتُهُ تَبْدِي مَرُوقَ زَنْبِقِ^(٤) .
وَسَيِّدُنَا قَدْ سَارَ فِيهِ لِأَنَّهُ بِزَوْرَقِهِ إِنْسَانٌ مُقْلَةٌ أَزْرَقِ^(٥) .
فَقُلْتُ وَطَرَفِي يَجْتَلِي كُلَّ عَيْبَةٍ وَزَوْرَقُهُ يَهْوِي بِنَاثِمٍ يَرْتَقِي :
أَيَا عَجَبًا لِلْبَحْرِ عَبَّ عُبَابُهُ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زَوْرَقِ^(٦) .
وَلَمَّا نَزَلْنَا سَاحَةَ الْقَصْرِ رَاعِنَا بِكُلِّ جَهَالٍ مُبْهِجِ الطَّرْفِ مَرْتَقِ
فَمَا شِثَّتْ مِنْ ظِلٍّ وَرِيفٍ وَجَذُولٍ وَرَوْضٍ مَتَى تَلْمِمْ بِهِ الرِّيحُ يَعْبَقِ^(٧) .
وَشَادٍ مَعَانِي!! الْحُسْنِ فِي نَفَاثَةِ يُطَارِحُهُ هَدْرُ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ^(٨) .

- (١) في عنوان الدراية (ص ٢٨١، الحاشية الأولى): الأنسب أن يقال: قصر الرفيع، والرفيع قصر بناء الموحّدون في بجاية، ووضفه الشاعر لما زار بجاية ومدح واليها من سادات بني عبد المؤمن (الموحّدين).
- (٢) عشى الرجل النار يعيشها: رآها من بعيد فقصدها. الندى: الكرم. المحلق: والحلق بن حنم كان رجلاً مثناً (نسله كلّ بنات)، وكان من عوامّ الناس. جاء مرّة إلى الشاعر الأعشى في الجاهلية (ومنعه شيئاً سيراً) وطلب منه أن ينوّه بيناته. فأنشد الأعشى فيه، في عكاظ أبياتاً منها:
- لعمري، لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نَار باليفِغاع تحرق،
تشبّ لمقرورين يصطليانها، وبات على النار الندى والمحلق.
- فتزوّجت بنات المحلق كلّهن.
- (٣) يشبه الزوارق بالجياذ (الحيل). الضامر: الحصان الخفيف البطن (ويكون سريعاً). السُّبُق جمع سابق.
- (٤) إذا سكنا الباء في «تبدي» وشدّدنا الواو في «مروّق» يستقيم الوزن، ولكن يظلّ المعنى غامضاً.
- (٥) فيه (في البحر أو النهر). إنسان مقلة أزرق (بؤبو العين: أكرم الناس). أزرق (البحر).
- (٦) عبّ عبابه: تعاظم موجه. تجمّع حتّى صار... اجتمع البحر كلّ (العلم والكرم) في الخليفة محمّد الناصر وهو راكب زورقاً. فالبحر (محمّد الناصر) يركب في زورق يسبح في بحر (مجتمع من الماء).
- (٧) وريف (مصدر «ورف»): اتسع. ويجوز وصف الاسم بالمصدر. تلمم: تمرّ به مرّاً خفيفاً. يعبق: تنتشر منه رائحة طيبة.
- (٨) في الأصول: وشادي مغاني. هدر الحمام: ردّد صوته، غنى. المطوّق: الحمام ذوات الطوق (ريش مغاير للون العام في الحمامة يكون حول عنقها كالطوق أو كالعقد).

فيا حسنَ ذاكَ القصرِ لا زالَ أهلاً، ويا طيبَ رَيّا نَشْرِهِ المُتَنَشِّقَ.
رَتَعْنَا بِهِ فِي رَوْضَةِ الْأُنْسِ بَعْدَمَا هَصَرْنَا بِهِ غُصْنَ الْمَسْرَةِ مَوْقَ (١)
وَيُضْحِكُنَا طَوْلُ الْوِصَالِ، وَرَبِّمَا يَمُرُّ عَلَى الْأَوْهَامِ ذِكْرُ التَّفَرِّقِ،
فَتُضْحِي مَصُونَاتُ الدُمُوعِ مُدَالَةً وَنَحْنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَقَ (٢).
لِيُمْلِئَهَا مِنْ مَنَزَوٍ وَنَزَاهَةٍ يُجَرِّرُ ذَيْلَ الدَّلِّ كُلَّ مَوْقَ (٣).
فَلِلَّهِ سَاعَاتٌ مَضَيْنَ صَوَالِحُ عَلَيْهِنَّ مِنْ رَقِّ الصَّبَا أَيْ رَوْنَقَ (٤).
خَلَعْنَا عَلَيْهَا النُّسْكَ إِلَّا أَقْلَهُ، وَإِنْ عَاوَدَتْ نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِيَ.

- وله، نثراً، مِمَّا أَلْحَقَهُ بِقَصِيدَتِهِ الْقَافِيَّةُ:

وَلَمَّا نَضَبَ مَاءُ الْأَصِيلِ وَرَقَّ نَسِيمُهُ الْعَلِيلُ، وَهَمَّ الْعَشِيُّ بِانْصِرَامِ وَودَعَ النَّهَارُ
بِسْلَامِ، وَأَرَخَى اللَّيْلُ فَوْقَنَا سُدُولَهُ وَجَرَّرَ عَلَى الْأَفُقِ ذُيُولَهُ، عُدْنَا إِلَى زَوْرِقِنَا ذَلِكَ
وَمُحِيَّا الْجَوْغِ غَيْرُ مُحْتَجِبٍ وَوَجْهُهُ الْأَفُقِ غَيْرُ مُتَلَفِّعٍ بِثَوْبِ النَّهَامِ وَلَا مُنْتَقِبٍ.

- مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي السَّفَرِ إِلَى مَرَاكُشَ:

وَجِئْتُ بِجَايَةٍ فَجَلَّتْ بُدُوراً يَضِيقُ بِوصفِهَا حَرْفُ الرَّوِيِّ (٥).
وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي بِمَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ كَوْثَرِي.
وَفِي مِلْيَانِيَةِ قَدْ ذُبْتُ شَوْقاً بِلَيْنِ الْعِطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِيِّ (٦).

(١) هصر الغصن: شدَّ به ليقطف ما عليه من الثمر. مورك (حقها النصب على أنها « حال »). ولكن يجوز أن تكون: هصرنا بفصن للمسرة مورك فتستقيم القافية والوزن أيضاً.

(٢) مذالة: مهانة (مرسلة بكثرة). في الأصل « هدالة » (ولا معنى لها، لعلها خطأ مطبعي). الطرف (بالكسر): الكريم من الناس ومن الخيل (وأكثر ورودها متصلة بالخيل). الأبلق: ما كان فيه سواد وبياض. « ونحن على طرف من الدهر أبلق » (فيه بياض وسواد: في حياتنا سرور وحزن).

(٣) الدل: الدلال، أو الإدلال (جراًة المحبوب على الحب في الطالب وفي المعاملة)، وحسن الحديث (مع الإعجاب بالنفس ومع الثقة بإعجاب الآخرين).

(٤) الرونق: الحسن، الجمال الذي يعجب العين. أي رونق: رونق كثير.

(٥) حرف الروي: الحرف الأصيل في القافية (وهي الياء المشددة، في هذه المقطوعة). لا يفي الشعر بوصفها.

(٦) العطف: الجانب الأعلى من الجسد. القسي: القاسي.

وأبَدْتُ لِي تِلْمَازَنُ قُدُوداً جَلَبَنَ الشَّوْقَ لِلْقَلْبِ الْخَلِي^(١).
وأَطْلَعَ قَطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوساً مَغَارِبُهُنَّ فِي قَلْبِي الشَّجِي^(٢).
وَفِي مَرَآكُشٍ، يَا وَبَحَ قَلْبِي، أَتَى الْوَادِي فَطَمَ عَلَى الْقَرْيِ^(٣).
بَدُورٌ بَلْ شُمُوسٌ بَلْ صَبَاحٌ بَهِيٌّ فِي بَهِيٍّ فِي بَهِيٍّ^(٤).
فَهَا أَنَا قَدْ تَخَذْتُ الْغَرْبَ دَاراً وَأَذْعَى الْيَوْمَ بِالْمَرَآكُشِيِّ^(٥).
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ عَانٍ، وَجَسْمٌ حَلَّ بِالْغَرْبِ الْقَصِيِّ^(٥).

٤-★★ عنوان الدراية ٢٨٠-٢٨٦، نفع الطيب ٢: ٤٨٣-٤٨٤، معجم أعلام الجزائر ٦٦-٦٧، الطمار ٧٧-٨٠، الأصالة ٤: ١٩ (ص ١٠٦).

أبو القاسم بن هشام القرطبي

١- كان لأبي الوليد هشام الأزدي القرطبي أبنان: عامر^(٦) (ت ٦٢٣) وكُنْيَتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ (٦٣٥) وكُنْيَتُهُ أَبُو بَحِيٍّ. وَكَانَا كِلَاهُمَا شَاعِرَيْنِ. وَرَبِّمَا اخْتَلَطَتَا حَقَائِقُ حَيَاتِيهَا وَمُفْرَدَاتُ آثَارِهَا فِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَصَادِرِ.
وصاحبُ هذه التَرْجَمَةِ هو أَبُو الْقَاسِمِ عَامَرُ بْنُ هِشَامٍ الْقُرْطُبِيُّ كَانَ مَشْهُوراً بِالْبَطَالَةِ وَالْمُنَادِمَةِ مُغْرَمًا بِشُرْبِ الْخَمْرِ مُسْتَهْتَرًا بِأَنْوَاعِ اللَّهْوِ ثُمَّ صَلَحَتْ حَالُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى النَّسْكِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٢٣ (١٢٢٦ م).

٢- كان أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هِشَامٍ الْقُرْطُبِيُّ أَدِيباً مُحَسَّناً فِي النَثْرِ وَالشَّعْرِ، فِي الْقَصَائِدِ وَالْمُقْطَعَاتِ. وَأَغْرَاضُ شَعْرِهِ الْخَمْرُ وَاللَّهْوُ وَالْمُجُونُ. وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْجِدَّ أَتَى

(١) الخَلِي: الذي لم يعرف الحبَّ بعد.

(٢) الشَّجِي: الذي اجتمع عليه الهمُّ والحزن.

(٣) طَمَ الْوَادِي عَلَى الْقَرْيِ، مَثَلُ الْوَادِي: النهر، السيل. الْقَرْيِ: مسيل ماء - يقصد: مَرَآكُشٍ تَفُوقَ كُلِّ الْبُلْدَانِ فِي الْجَمَالِ.

(٤) هَذَا الْبَيْتُ ضَعِيفٌ جَدًّا.

(٥) عَانٍ: أَسِيرٌ. الْغَرْبُ الْقَصِيُّ (الْبَعِيدُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ وَالْقَطْرِ التُّونِسِيِّ).

بالشعر الجزل المتين (كما نرى في المقطوعة الضادية). ويبرز في شعره الأدب (الحكمة) والعنصر الشخصي (كما نرى في قصيدته النونية الطويلة). وقيل: كانت له موشحات.

٣ - مختارات من آثاره:

- رقت حال أبي القاسم بن هشام القرطبي فنصحه بعض إخوانه بأن يذهب إلى بلاط الموحدين في مراكش (للتكسب) فأبى وقال قصيدة يذكر فيها ذلك ويتغزل بقرطبة. من هذه القصيدة:

يا هبة باكرت من نحو دارين،	وافت إلى على بعد تحييني ^(١) ،
سرت على صفحات النهر ناشرة	جناحها بين خيرى ونسرين ^(٢) .
ردت إلى جسدي روح الحياة، وما	خلت النسيم إذا ما مت يحييني.
أهدت إلي أريجاً من شائلكم	فقلت: قربني من كان يقصيني ^(٤) !
يا من يزين لي الترحال عن بلدي،	كم ذا تحاول نسلاً عند عيني ^(٥) !
واين يعدل عن أرجاء قرطبة	من شاء يظفر بالدنيا وبالدين ^(٦) :
قطر فسيح، ونهر ما به كدر	حفت بشطيه ألف البساتين ^(٧) .
يا ليت لي عمر نوح في إقامتها،	وأن مالي فيها كنز قارون ^(٨) :
كلاهما كنت أفتيه على نشوا	ت الراح نهبا وصل الخرد العين ^(٩) .
وإنما أسفي أنني أهيم بها	وأن حظي منها حظ مغبون.
أرى بعيني ما لا تستطيل يدي	منه، وقد حازه من قدره دوني ^(١٠) .

(١) دارين بلد في البحرين وفي الشام مشهور بالطيب (المسك).

(٢) الخيري: نبت له زهر طيب الرائحة. النسرين: ورد أبيض اللون (له رائحة طيبة).

(٤) الأريج: الرائحة الطيبة. الشائل (جمع شمال بالفتح): الصفات. أقصاه: أبعد.

(٥) العين: الذي لا يقوى على الجماع.

(٦) يعدل: يميل (يهجر).

(٧) الألفاف جمع لفيف: مجموع من الشجر يقرب بعضها من بعض.

(٨) قارون: رجل كان غنياً جداً.

(٩) الراح: الحمرة الخريدة (الجميلة) العين (جمع عيناء: واسعة العينين).

(١٠) استطال مستعملة في غير المعنى القاموسي (يقصد: نال، وصل إلى).

نفسُ الملوكِ وحالاتُ المساكينِ .
ولا تُنالُ العلا إلا من الهُونِ .
وإنّا الصّفوّ فيها للمجانينِ .
لَمَّا رَأَى الرزقَ فيه ليس يَكْفِينِي ^(١) ،
فلو تَرَحَّلْتُ عنه حلّةٌ دوني ^(٢) .
قُوْدُ الأُماني ، وطورا فيه تَعْصِينِي ^(٣) -
سَيِّرْ لأَرْضِ بها من ليس يَذْرِينِي ^(٤) ؛
وذاك حينَ أُرِيهِ البرَّ يَجْفُونِي ^(٥) .
لَمَنْ عَطَايَاهُ بين الكافِ والنونِ ^(٦) !

وأنكدُ الناسِ عَيْشاً من تكونُ له
لا تُجَنِّني راحةٌ إلا على تعبٍ ،
وصاحبُ العقلِ في الدنيا أخو كَدَرٍ ؛
يا أَمْرِي أَنْ أَحُثَّ العيسَ عن وطني
نَصَحْتُ ؛ لكنَّ لي قلباً يُنازِعُنِي .
لَأَتَزَمَنَ وطني - طَوْرًا تُطَاوِعُنِي
مُدَلَّلًا بين عِرْفَانِي ، وأُضْرِبُ عن
هذا يقولُ : غريبٌ ساقَهُ طَمَعٌ ؛
لَأُضِيرَنَّ على ما كانَ من كَدَرٍ

- وله مُقَطَّعاتٌ منها :

صغيرُ السنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبابِ ^(٧) ،
وصارَ عن التَّرائِبِ للترابِ ^(٨) .
خَطُّهُ نَبِيلٌ :

★★ وَمَا زَادَ فِي شَجْوِي وَأَبْكِي
تَعَوُّضَ بِالْحِجَارَةِ عَنْ حُجُورِ ،
★★ الْفَقِيهُ ابْنُ نَصِيرٍ

(١) العيس جمع عيساء : الناقة .

(٢) لو رحلت عن وطني لابتعدت عنه بحسبي وبقي قلبي فيه .

(٣) القوداء : (الفرس) الطويلة العنق والظهر ، دليل أصالتها وقدرتها على السير وسرعتها .

(٤) العرفان : (مصدر) المعرفة . والشاعر يستعملها بمعنى المعارف (المعروفين) الذين يعرفونك وتعرفهم (الأصدقاء) . أضرب عن الأمر . أعرض عنه ، التفت عنه ، أهمله ، رفضه .

(٥) البر : الطاعة للقبيل (لأهل الرجل) . جفاه : عاداه وابتعد عنه .

(٦) من عطاياه ... : الله . الكاف والنون (فعل أمر) : كن . اقتباس من قوله تعالى (٣ : ٤٧ ، آل عمران) : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ! » .

(٧) يبدو أن هذين البيتين في طفل له مات . الشجو : الحزن . مقتبل الشباب : مرجو له شباب مقبل .

(٨) الحجر : الحصن الترائب جمع تريبة (هنا) : جانب الصدر يقابل الشاعر بين ما حدث لطفله - إذ مات -

وما كان سيحدث له - لو عاش - : - مات فقدم تحت الحجارة (القبر) - ولو عاش لوضع في الحجور :

حجر أمه وأبيه ومحبيه - مات فصار للتراب - ولو عاش لصار بين الترائب - يقصد الأتراب -

اللَّدات .

أَلِفَاتٌ كَرِمَاتُ ۖ بَيْنَهَا الْمَغْنَى قَتِيلٌ^(١).
 ★★ وَأَيُّ الْمَدَامَةِ، مَا أُرِيدُ بِشُرْبِهَا ۖ صَلَفَ الرَقِيعِ وَلَا انْهَاكَ الْإِلَهِ^(٢).
 لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ وَطِيبِهِ شَيْءٌ، كَعَهْدِي لَمْ يَحُلْ، إِلَّا هِيَ^(٣).
 إِنْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا لِغَيْرِ وَقَائِهَا فَتَرَكْتُهَا لِلنَّاسِ لَا لِلَّهِ^(٤)!

- وَسَكِرَ فِي لَيْلَةِ مُمَطَّرَةٍ ثُمَّ أَحَبَّ أَنْ يَرْقُدَ فِي غُرْضِ الشَّارِعِ. فَرَأَاهُ الْخُرَّاسُ وَعَرَفَهُ فَرَفَعَهُ وَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ الْمُبَلَّلَةِ وَأَلْبَسَهُ شَيْئاً مِنْ مَلَابِسِهِ هُوَ ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ وَعَرَفَ صُورَةَ الْحَالِ قَالَ:

أَقُولُ وَقَدْ أوردتُ نَفْسِي مَوْرِدًا
 أَبَحْتُ بِهِ مَا شَاءَ السُّكْرُ مِنْ عِرْضِي^(٥)،
 وَقَدْ صِرْتُ سَدًّا بِالطَّرِيقِ لِسَائِلِ
 مِنَ الْقَطْرِ، إِذْ لَا بُسْطَ تَحْتِي سِوَى الْأَرْضِ^(٦)؛

(١) - خَطُّهُ حَسَنٌ وَمَعَانِيهِ سَقِيمَةٌ.

(٢) المدامة: الخمر. وأي المدامة (يقسم بالخمر لحبته لها). الصلف: التكبر. الرقيع: الأحق. انهاك (انفاس، إسراف) الإلهي (طالب اللهو، الذي همه في الحياة اللهو). - ويجوز: وأي، المدامة ما أريد بشرها (يقسم بأبيه)، وتكون «المدامة» مرفوعة على الابتداء. والأول أبلغ. ويبدو أن هذه الأبيات متنازعة بين نفر من الشعراء. في الوافي بالوفيات (٨: ٥١) عن ابن الأبار: «وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وأما هي لأبي جعفر (أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب) من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكنائه الربض الشرقي منها. كتب أبو جعفر هذا للولاء حيناً، وكانت وفاته في أول شوال من سنة ٦١٦ (١٠/ ١٢ / ١٢١٩ م). ورويت أيضاً لأبي سليمان داوود بن أحمد الطبيب المالقي.

(٣) حال: تَغَيَّرَ وَتَبَدَّلَ (أشياء كثيرة اختلفت في اليوم عما كانت في أيام شباني - ما عدا الخمر، فإنني ما زلت أجد فيها ما كنت أجد من قبل).

(٤) أشرب الخمر في أيام مشيبي لأنها وفيّة لي منذ أيام شباني. فلو أنني تركتها الآن لكان تركي لها رياء للناس....

(٥) العرض: شرف الأسرة. - العمل الذي عملته الآن (ولو كان في السكر) لا يليق بي!

(٦) السائل (المجاري على وجه الأرض). من القطر (المطر). البسط: ما يبسط على الأرض (وطاء، بكسر الطاء): الحصر (ما يقال له: سجادة).

وقد هَزَّنِي في آخِرِ اللَّيْلِ مَرَسَلٌ
من اللهِ أَخِيَانِي وَأَلْحَقَ بِي غَمَضِي^(١) :

سَأَتِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ ؛ وما كُلٌّ من أولَيْتِهِ نِعْمَةً يَقْضِي^(٢) .
(ولم أَذِرْ من أُلْقَى عليه رِداءه خلا أَنَّهُ قد سَلَّ عن ماجِدٍ مَحْضٍ)^(٣) .

- ومن قوله في مُخَاطَبَةِ أَحَدِ الرُّؤَسَاءِ :

... وَإِنِّي لَكَالْأَرْضِ الْكَرِيمَةِ إِن تُنْظَرَ مِنْهَا^(٤) وَسُقِيَتْ أَنْبَتَتْ وَأَزْهَرَتْ وَأَوْدَعَتْ
لِسَانَ النَّسِيمِ ما يُعْبَرُ بِهِ فِي الْآفَاقِ عَنْ شُكْرِ الْخَيْرِ الْجَسِيمِ . وَإِنْ أَهْمِلْتَ صَوَّحَتْ^(٥)
وَأَوْدَعَتْ السَّوَابِي ما يُعْمِي الْعَيْنَ وَيُرْغِمُ الْأَنْفَ^(٦) . وَإِنَّ لِسَيِّدِي كَبِيرَ حَقٍّ ،
وَلِمُعَظَّمِيهِ^(٧) صَغِيرَ حَقٍّ . وَرَغِي أَحَدَهَا مَنُوطٌ بِالْآخِرِ^(٨) .

٤-★★ زاد المسافر ١٠٤ - ١٠٥ (رقم ٢٨)؛ المغرب ١: ٧٥ - ٧٦؛ الذيل والتكملة رقم
٢٠٢ (١٠٦: ٥ - ١١٠)^(٩)؛ نفح الطيب ١: ٤٧٣، ٥٤٢ - ٥٤٤، راجع ٣:

- (١) هَزَّنِي (رَدَّنِي إِلَى نَفْسِي). أَلْحَقَ بِهِ غَمَضِي (جَمَلَنِي أَنْامَ نَوْمًا طَبِيعِيًّا).
- (٢) هذا من قول بشار بن برد (ت ١٦٧) يدح خالد بن برمك (٩٠ - ١٦٣ هـ):
لعمري، لقد أجدى عليّ ابن برمك، وما كُلٌّ من كان الفنى عنده يجدي.
أجدى عليّ: أعطى.
- (٣) هذا البيت لأبي خراش الهذلي (ت في أيام عمر بن الخطاب، بين ١٣ و ٢٣ هـ) قاله من مقطوعة لما
وجد أخاه عروة مقتولاً وقد أُلْقِيَ عليه رداء. سَلَّ: نزع. المحض: الخالص.
- (٤) نظر فيها!
- (٥) صَوَّحَ: ييس.
- (٦) السافية: الريح التي تحمل التراب. يرغم الأنف: يجعل في الأنف رغاماً (بَضْمُ الرِّاءِ: تَرَابًا)، أو أُلْصَقَهُ
بِالتُّرَابِ.
- (٧) معظّمه: يقصد الكاتب (أبو القاسم بن هشام) نفسه.
- (٨) منوط: متعلّق، مرتبط.
- (٩) في حاشية الذيل والتكملة (١٠٦: ٥): ترجمته في صلة الصلة ١٥٣، والتكملة رقم ٢٤٣٩. وبالرجوع
إلى صلة الصلة (ص ١٥٣، رقم ٣٠٢) نجد ترجمة أبي الحسن عامر بن محمد (ت ٥٤٠)، أي قبل ثمانين
سنة من أبي القاسم عامر بن هشام. وليست التكملة بين يدي الآن.

٢٢٨، ٤: ٨٩ قطعتان منسوبتان في «القدح الملقى» (أسفل ص ٩١ وأعلى ص ٩٢) لأخيه أبي يحيى؛ راجع برنامج الرعيني ١٧٥، الأعلام للزركلي ٤: ٢٥ (٣: ٢٥٥).

عبد السلام بن مشيش

١ - هو الشيخُ العارفُ الكاملُ أبو محمدٍ (أو أبو عبد الله) عبدُ السلام بن مَشِيشٍ (أبو بشيش) بن أبي بكرٍ بن عليٍّ بن حُرْمَةَ بن عيسى بن سَلَامٍ بن المِزْوَارِ بن حيدرةِ ابن محمدٍ بن إدريسٍ بن إدريسٍ بن عبدِ اللهِ الكاملِ بن الحسنِ المثنى بن الحسنِ السبطِ ابن عليٍّ بن أبي طالبٍ (راجع النبوغ المغربي ١٥١). كان مولده في بني العُروس في جَبَلِ العلم (قرب تطوان - شمالي المغرب)، رَحَلَ (إلى الشرق) ثمَّ عَادَ وتَلَمَذَ على أبي مدينٍ في بجاية. بعدئذٍ رَجَعَ إلى موطنه. وهو أستاذُ أبي الحسنِ الشاذليّ.

وقُتِلَ ابن مَشِيش شهيداً في رِبَاطِ جَبَلِ العلم، نَحْوَ سَنَةِ ٦٢٥ (١٢٢٨ م)، في مُقاومةِ ابنِ أبي الطواجين الكُتاميِّ الساحرِ، ودُفِنَ في قَنَّةِ جبل العلم.

٢ - كان عبدُ السلام بن مَشِيشٍ من رجال التصوّف المعتدل القائم على حُسنِ العمل لا على الكلام في المُغَيَّبات. وقد كان متشدّداً في القيام بفروض الإسلام وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومكانته في المغرب كمكانة الشافعي في المشرق. ويُعدُّ ابنُ مَشِيشٍ أحدَ الأقطابِ الأربعة في المغرب.

وله: كتابُ إعانةِ الراغبين في الصلاة والسلام على أفضلِ المرسلين (ويُعرفُ اختصاراً بصلوات ابن مَشِيشٍ). وعلى هذه «الصلوات» عددٌ من الشُروحِ منها (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٨): كتاب الصلاة على النبي لمحمد بن علي الخزوي المتوفى سنة ٩٦٣ - اللَّمَحَاتِ الرَّافِعَاتِ - التدهيش عن معاني صلاة ابن مَشِيشٍ لمصطفى بن كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ - النَّفَحَاتُ الْقُدْسِيَّةُ لعبد السلام ابن حمدون البَنّاني - الروضة العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية، وغيرها.

٣ - مختارات من آثاره:

- الصلاة المشيشية (دعاء لأبن مشيش):

اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وفيه ارتقتِ الحقائقُ
وتنزَّلتْ علومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ^(١) الخلائق؛ وله تضاءلتِ الفهومُ فلم يُدْرِكْهُ مِنَّا سابقٌ ولا
لاحقٌ.... اللَّهُمَّ، إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ
يَدَيْكَ. اللَّهُمَّ، أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ^(٢)، وَعَرِّفْنِي بِهِ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ
الْجَهْلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ^(٣) وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمَلًا مَحْفُوفًا
بِنُصْرَتِكَ...

(ثمَّ يقول، وفي قوله تطرُّفٌ مخالفٌ لما ذُكِرَ عنه من الاعتدال):

.... رُجَّ بِي فِي بَحَارِ الْأَحَدِيَّةِ وَانْثِلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ
الْوَحْدَةِ^(٤) حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعَ وَلَا أَجِدَ وَلَا أَحِسَّ إِلَّا بِهَا^(٥)، وَاجْعَلِ الْحِجَابَ
الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحَهُ سِرِّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ
الْأَوَّلِ...

- قال عبد السلام بن مشيش:

انْظُرْ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ تَجِدِ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أعجز يجوز فيها البناء للمجهول حتى تكون الخلائق مرفوعة لمناسبة السجع مع «الحقائق». ويجوز أن تكون مبنية للمعلوم وفاعلها عائد على «من» (أي محمد رسول الله). ويجوز أن تكون «أعجزت» والضمير فيها راجع إلى «العلوم».

(٢) النسب: القرابة. والحسب: العمل النبيل المجيد.

(٣) الموارد (الأولى) من «ورد» (أشرف على، وصل إلى). والمورد (الثانية) من «ورد» (ذهب إلى الماء).

(٤) الأحدية: الاعتقاد بأن الله واحد. التوحيد: الاعتقاد بأن الله غير العالم (وهذا في التصوف المتطرف غير مقبول، لأنه يجعل العالم غير الله فيخرج العالم من الوجود الإلهي). الوحدة: الاتحاد (الاعتقاد بأن المتصوف يمر في حال يصبح فيها مع الله «واحداً بالعدد».

(٥) بها = بالوحدة (أي لا أرى الخ إلا أن وجودي قد فني في وجود الله: فنيت أنا عن الوجود، وبقي الله الموجود الوحيد).

وَمُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ : بَقُرْبٍ هُوَ وَصْفُهُ وَبَحِيْطَةٌ هِيَ نَعْتُهُ . وَعَدَّ عَنِ النَّظَرِ فِيهِ وَالْحَدَّ وَعَنِ الْأَمَاكِنِ ، وَعَنِ الصُّحْبَةِ وَالْقُرْبِ وَالْمَسَافَاتِ وَعَنِ الدَّوْرِ بِالْمَخْلُوقَاتِ . وَامْنَحُ الْكُلَّ بِوَصْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . وَهُوَ : هُوَ هُوَ . كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ .

- وقال ابن مشيش :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَرْبَعَةٌ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ : الْحُبُّ لِلَّهِ ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ . هَذِهِ أَرْبَعَةٌ . وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْأُخْرَى فَالْقِيَامُ بِفَرَائِضِ اللَّهِ وَالاجْتِنَابُ لِمَحَارِمِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا لَا يَغْنِي وَالْوَرَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُلْهِمِي .

٤ - إعانة الراغبين (مع شرح لها) ، استانبول ١٢٥٦ هـ .

- اللوحات الرافعات ، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ .

- النفحات القدسية ، بومباي (طبع حجر) ١٣١١ هـ .

- (مطبوع في) « بغية المشتاق لأصول الديانة والمعارف والأذواق ، الخ » لعبد القادر بن عبد الكريم الورديني ، بولاق ١٢٩٨ هـ (ص ١٤٦ - ١٥٩) .

★ النبوغ المغربي ١٥١ - ١٥٢ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٢) و ١٣ قبل ٣٥٨ من النقطة الأولى) ؛

دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٩١ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦٩ ، الملحق ١ : ٧٨٧ - ٧٨٨ ؛

الطبقات الكبرى للشعراني (القاهرة ١٣٢٩) ٢ : ٦ ؛ الاستقصا ١ : ٢١ ؛ الأعلام للزركلي

(٩ : ٤) .

أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي

١ - هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي من أهل

قُرْطُبَة ومن بيوتاتها الأصبيلة ، وكان أهلُهُ يُعرفون ببني المناصف .

وَلِيَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنَ أَصْبَغَ قَضَاءَ دَانِيَّةَ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا ، سَنَةَ ٦٢١ هـ . وفي هذه

السَّنةِ نَفْسِهَا - وفي صدرِ الْفِتْنَةِ الْمُنْبِعْثَةِ فِيهَا - كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ يُمِلِّي فِي دَانِيَّةَ . وكان

قَدْ سَكَنَ بَلَنْسِيَّةَ أَشْهُرًا ثُمَّ آتَقَلَّ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي سِجْلَمَاسَةَ (في المغرب

الْأقصى) إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) فِي الْأَغْلَبِ .

٢ - يَرِدُ ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ هَذَا بِنَسَبِهِ الْكَامِلِ فِي «بُغْيَةِ الْوَعَاةِ» عَلَى أَنَّهُ نَحْوِيٌّ. وَأَمَّا الصَّفَدِيُّ فَيَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ ثُمَّ يُورِدُ لَهُ بِضْعَةَ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شَاعِرٌ رَقِيقٌ أَيْضاً. وَيَبْدُو أَنَّ بَرَاعَتَهُ الْأُولَى قَدْ كَانَتْ فِي النَحْوِ فَكَانَ شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ (النحو) وَوَاحِدَ زَمَانِهِ فِيهَا، أَمْلَى فِي قَوْلِ سَيَبَوَيْهِ «هَذَا عَلِمُ مَا الْكَلِمُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ» عِشْرِينَ كَرَّاساً بَسَطَ الْقَوْلَ فِيهَا فِي مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ وَجْهًا (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤ : ١٤١).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ ابْنُ الْمُنَاصِفِ النَّحْوِيُّ فِي الْخَيَالِ:

وزائِرٍ زَارَنِي وَهَنًا فَقُلْتُ لَهُ: أَنَّنِي أَهْتَدَيْتُ وَسَجَفَ اللَّيْلُ مَسْدُولٌ^(١)
فَقَالَ: أَنَسْتُ نَارًا مِنْ جَوَانِحِكُمْ أَضَاءَ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قِنْدِيلٌ^(٢).
فَقُلْتُ: نَارُ الْهَوَى مَعْنَى، وَلَيْسَ لَهَا نُورٌ يَبِينُ. فَمَاذَا مِنْكَ مَقْبُولٌ.
فَقَالَ: نِسْبَتُنَا مِنْ ذَلِكَ وَاحِدَةٌ: أَنَا الْخَيَالُ وَنَارُ الْحُبِّ تَخْيِيلُ!

٤ - * * * الوافي بالوفيات ٦: ٧٦ - ٧٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٠ (٥٦)؛ تحفة القادم ١٣٢.

أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ الْمُعَافِرِيُّ

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْمُعَافِرِيُّ أَصْلُهُ مِنْ أَوْرِيوَلَةَ، وَلِدَ سَنَةَ ٥٦٣ هـ (١١٦٧ - ١١٦٨ م). لَزِمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ سُكْنَى إِشْبِيلِيَّةَ فَصَارَ مَعْدُودًا فِي أَعْيَانِهَا، وَقَدْ سَكَنَ غَرْنَاطَةَ مُدَّةً ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا لِأَنَّ سُكْنَى إِشْبِيلِيَّةَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) صَدَاقَةٌ وَمُكَاتَبَاتٌ وَمُسَاجَلَاتٌ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَدْحُهُ تَكْسِبًا. وَقَدْ تَكَسَّبَ بِالشَّعْرِ: سَارَ إِلَى مَرَّاكُشَ وَمَدَحَ الْمُسْتَنْصِرَ

(١) وهنا: بعد نصف الليل. السجف (بالفتح أو بالكسر): السجاف (بالكسر: الستر، الستار، الستارة). مسدول: مرخي. آنس: أحسن (علم، رأى).

(٢) الجوانح جمع جانحة: عظم بجانب الصدر (يقصد: من قلبكم المشتعل بالحب). الساري: السائر في الليل.

المَوْحِدِيّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) وَطَلَبَ أَنْ يَتَوَلَّى فِي إِشْبِيلِيَّةَ خُطَّةَ الزَّكَاةِ وَالْمَوَارِيثِ فَظَفِرَ بِذَلِكَ. وَمَدَحَ مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبَ مُرْسِيَّةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).
وكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ نَاشِرٌ شَاعِرٌ وَشَاحٌ فَصِيحٌ الْأَلْفَاظِ سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ عَذْبُ الْأُسْلُوبِ صَحِيحُ السَّبْكِ يُجِيدُ الْقِصَائِدَ وَالْمَقْطَعَاتِ وَيُنْكَشِفُ شِعْرَهُ عَنْ تَسْلُسُلِ مَنَطِقِيٍّ. وَأَغْرَاضُهُ الْوُجْدَانِيَّةُ يَمْتَزِجُ فِيهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ، وَرُبَّمَا مَالٌ فِي عَدِيدٍ مِنْهَا إِلَى الْمَجُونِ. وَهُوَ بَارِعٌ فِي الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَالْفَزْلِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- اجْتَمَعَ مَرَّةً فِي أَحَدِ مُتَنَزَّهَاتِ إِشْبِيلِيَّةَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ أَبُو بَجْرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ وَرَجُلٌ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحْسِنُ الرَّمْيَ بِالْقَوْسِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُهُ. وَأَرَادَ الْجَمَاعَةُ أَنْ يَتَنَدَّرُوا بِهَذَا الْمُدَّعِي فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُصِيبَ طَائِرًا كَانَ وَاقِفًا عَلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ. فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا. فَقَالَ صَفْوَانُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا:

أَعِذْ عَلَى سَمْعِي أَحَادِيثَ الْمُنَى؛ فَمَا قَبِيحٌ أَنْ تُعِيدَ الْحَسَنَا.
فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ الْمَعَاوِرِيُّ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ:
أَفْضَلُ مَا حَازَ الْفَتَى قَنَاعَةً وَعِفَّةٌ تَشْنِيهِ عَنِ سُبُلِ الْخَنَا^(١).
انْظُرْ إِلَى أَجْدَائِهِمْ مُعْتَبِرًا، هَلْ تَمَّ فَرْقٌ بَيْنَ فَقْرٍ وَغِنَى^(٢)؟
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ خَيْرَ السَّعْيِ تَحْلِيدُ الثَّنَا^(٣).
لَوْلَا ابْنُ إِدْرِيسَ وَفَضْلُ خُلُقِهِ لَمَا بَدَأَ مِنْ مَذْحِهِ مَا بَطَّنَا:

(١) تشنيه: تروده. الخنا: القول أو العمل القبيح.

(٢) الحدث (بفتح ففتح) القبر.

(٣) في القرآن الكريم: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى» (٥٣: ٣٩ - ٤١، سورة النجم).

شَقِيقُ نَفْسِي تُرْبَةً وَغُرْبَةً
تَلَوْنَ الدَّهْرُ عَلَى عَادَاتِهِ،
مُهَذَّبُ الْفِكْرَةِ مَصْقُولُ النُّهَى
أَشْهُرُ مِنْ نُورِ الصَّبَاحِ الْمُجْتَلَى،
إِيَّهِ أَبَا بَحْرٍ، وَعِنْدِي مَقُولٌ
أَلَسْتُ مِنْ سَيْرِهَا غَرَائِباً
أَصْفَتْ لَهَا بَغْدَانُ حَتَّى اسْتَصْفَرْتُ
أَتَذَكَّرُ الْعَهْدَ الَّذِي مَرَّ بِنَا
أَيَّامَ ظِلِّ الدَّهْرِ عَنَّا غَافِلاً
وَلَا كَيَوْمٍ شَرَبْتُ أَرْوَاحُنَا
فِي فِتْنَةٍ - أَوْ فِتْنَةٍ - تَنْظُمُوا
كُنْتُ أَدُمُ زَمَنِي مِنْ قَبْلِهِمْ،

وَأَدْباً وَمَذْهَباً وَسَنَناً^(١).
وَهُوَ كَمَا أَذْرِيهِ مَا تَلَوْنَا.
مُسْتَعَذَّبُ الْخَبْرَةِ مَعْسُولُ الْجَنَى^(٢).
أَنْضَرُ مِنْ نُورِ الْأَقَاحِ الْمُجْتَنَى^(٣).
يُحْسِنُ أَنْ يَشْكُرَ تِلْكَ الْمِنْنَا^(٤)،
تَتَوَجَّ الشَّامَ وَتَكْسُو الْيَمْنَا^(٥)!
حَبِيبَهَا وَمُسْلماً وَالْحَسَنَا^(٦).
يَذِي النِّقَا حَيْثُ طِبَاءُ الْمُنْحَنِ^(٧)؟
حَتَّى جَنَيْنَا الْعَيْشَ غَضّاً لَيْئناً.
رَاحَ الْهَوَى فِيهِ بِكَاسَاتِ الْمُنَى،
سَمِطاً. أَبْصَرْتَ النُّجُومَ مَوْهِنَا؟
فِيَوْمَ صَافَوْنِي حَمِدْتُ الزَّمَنَا!

وَصَاحِبِ حُلُوِّ الْمَزَاجِ مُفْتَعٍ
خَادَعَنَا لَمَّا مَشَى مَا يَبْنَا

يُصْفِي السُّرُورَ وَيَقْدُّ الشَّجَنَا^(٨)،
مُحْتَجِنَا لِقَوْسِهِ مُضْطَبِنَا^(٩).

- (١) تربة: في الوطن. السنن: الطريقة، المنهج.
- (٢) النهى: العقل. الجنى: الثمر (الحديث، الكلام). الخبرة (الخبر: ما تعرفه من الإنسان بعد اختباره).
- (٣) المجتلى: المنظور (الذي يحب الناس أن ينظروا إليه). النور (بالفتح) الزهر الأبيض. الأقاح جمع أقدحون. المجتنى: المقطوف حديثاً.
- (٤) المقول: اللسان. المنّة: المعروف (العطية).
- (٥) سیرها: سير القوائد (جعلها مشهورة). تتوج الشام (مع أن الشام كانت مصدر الملوك!). وتكسو اليمن (مع أن اليمن مشهورة بصناعة النسيج).
- (٦) أصفى: استمع. بغداد = حبيب بن أوس أبو غمّ ومسلم بن الوليد صريع الفواني والحسن بن هاني أبو نواس.
- (٧) النقا: الرمل الأبيض. المنحنى: تلة من الرمل مستديرة.
- (٨) الشجن: الهم والحزن. قد: شقّ (٩). في المغرب (٢: ٢٨٧): «يجي السرور ويميت الحزن».
- (٩) احتجن الشيء: ضمّه إلى نفسه (يحمل قوسه ولا يستخدمها). اضطن الشيء: حمله بجانبه.

يحكي لنا ما شاء تَطَرُّفًا وَيَزْدَهِ بِرَمِيهِ تَمَجُّنًا^(١).
ويَدْعِي التَّصْمِيمَ فِي أَغْرَاضِهِ. وَلَوْ رَمَى بَغْدَانٌ أَصْمَى عَدَنًا^(٢).
حَتَّى تَدْلَى طَائِرٌ مِنْ أَيْكَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: هَا أَنَا!
قُلْنَا لَهُ: قَدْ أَكْثَبَ الصَّيْدُ، فَقُمْ فَأَرِنَا مِنْ بَعْضِ مَا حَدَّثْتَنَا^(٣).
فَقَامَ كَسْلَانٌ يَمُطُّ حَاجِبًا وَيَتَمَطَّى بَيْنَ أَيْنٍ وَوَنَى^(٤).
وَيَيْنَا أَوْتَرَهَا، وَبَيْنَا كَانَتْ تَشْطَى فِي يَدَيْهِ إِحْنًا^(٥)،
وَعِنْدَمَا رَمَى حَمَامَ فَتَنَى أَخْطَاهُ وَمَا أَصَابَ الْفَنَّا^(٦).
أُطْعَمْنَا الصَّيْدَ فَقَدْ أَضْحَكْنَا. لِسَهْمِهِ لَصَافَ عَنْهَا وَانْثَنَى^(٧).
وَالْمَرْءُ مَغْرُورٌ بِبَادِي رَأْيِهِ. وَيُظْهَرُ الْحَقُّ إِذَا مَا أَمْتَحِنَا^(٨)!

- ولأبي الحسن بن الفضل من موشحة (المغرب ٢: ٢٩١):

فِي طَرَفٍ مِنْ أَهْوَاةٍ سِي_____فُ الْمَنُونِ^(٩).

-
- (١) يزدهي: يفتخر. الرمي: إطلاق النبل عن القوس. التاجن: خلط الجدّ بالمزح.
(٢) التصميم: إصابة الشيء مباشرة وفي وسطه. الهدف: بغدان = بغداد. أصمى أصاب المقتل (ولكن في عدن: بعيداً جداً عن بغداد، عن الهدف الذي أراد أن يصيبه).
(٣) أكثب: اقترب.
(٤) الأين: التعب. الونى: فتور الهمة والضعف.
(٥) أوتر الرجل القوس: وضع السهم في وترها ليطلقه. تشطى: تشعث (ينفصل منها قطع). الإحنة (بكسر الهمزة): الحقد. - تشطى في يديه (يتمزق بين يديه لأنه لا يعرف أن يسك بها فضلاً عن أن يعرف الرمي بها).
(٦) الفن: الغصن.
(٧) رضوى: جبل في بلاد العرب (يؤثر عن الشعراء القدماء بأنه كبير). مثل: انتصب، وقف منتصباً.
(٨) بادي الرأي: الرأي الذي يحظر للإنسان لأوّل مرّة فيقبله من غير تفكير. وهو تضمين (راجع ١١: ٢٧، سورة هود).
(٩) الطرف: النظر، العين. المنون: الموت.

والقلبُ في بَلَوَةٍ مِمَّنْ يَخُونُ^(١)
يا قَدْ غُضِنَ البَانُ إِذَا أَثْنَبَى^(٢)،
الراحُ والرَّيْحَانُ بَلِ النُّنَى^(٣)
في ذلِكَ الوَسْنَانُ إِذَا رَنَّاهُ^(٤).
يَا رَبِّ، مَا أَقْسَاهُ! تُرَى يَهُونُ^(٥)
والصَّبُّ مَا أَرْجَاهُ مِمَّا لَا يَكُونُ^(٦)!

- وله من مطلع موشَّحة:

أَلَا هَلْ إِلَى مَا تَقْضَى سَبِيلُ فَيُشْفَى الغَلِيلُ وتَوْسَى الكُلُومُ^(٧)

★ ★ ★

رعى اللهُ أَهْلَ اللَّوَى واللَّوَى وَلَا رَاعَ بِالْبَيْنِ أَهْلَ الهَوَى^(٨).
فواللهِ، مَا المَوْتُ إِلَّا النَّوَى؛ عَرَفْتُ النَوَى بِتَوَالِي الجَوَى^(٩)،
وَمِمَّا تَحُلِّلَ جِسمِي النَحِيلَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْكُرُ حَشَرَ الجُسُومِ^(١٠).

★ ★ ★

(١) - قلبي في بلوى (مصيبة، شقاء) تمّ يخون (من المحبوب الخائن الذي يمد ولا يفى أو الذي يحبك مدّة، فإذا تعلّقت به تركك وانصرف إلى غيرك).

(٢) قوامه كفصن البان (وللبان أغصان طوال مستقيمة رشيقة). اثنبى (تمايل في مشيه).

(٣) الراح: الخمر. الريحان: نبات طيّب الرائحة. النى جمع منية (بالضمّ): أمل، غاية. الوسنان: الناعس، الفاتر (صفة للعين). رنا تطلّع. - النظر إلى هذا المحبوب كشرب الخمر (يسكر) وكشمّ الريحان (ينعش).

(٤) ترى يهون: هل يصبح الوصول إليه عليّ أهون (؟).

(٥) الصبّ: الشديد الحبّ. ما أرجاه ما لا يكون: ما أشدّ رجاءه (أمله، تعلقه) بما لا يكون (بالمستحيل).

(٦) الغليل: العطش. توى: توى (!) تداوى. الكلم (بالفتح): الجرح.

(٧) اللوى الرمل المستدير (جانب التلّة): كناية عن مساكن العرب. البين: البعاد والفراق.

(٨) النوى: البعد. الجوى: ألم الحبّ.

(٩) دخل في جسمي أمراض كثيرة فأفسدته إلى حدّ أنّه يصعب إحيائه.

فواحسرتنا لزمانٍ مضى عَشِيَّةً بَانَ الهوى وانقضى
وأفردتُ بالرُّغمِ لا بالرضا وبِتَّ على جَمَرَاتِ الغُضا^(١)
أعانقُ بالفكر تلكَ الطُّلولَ وألْتِمُ بالوهمِ تلكَ الرُّسومَ.

- كَتَبَ أبو الحسن بن الفضل من مدينة مَرَاكُشَ إلى موسى بن محمد بن سعيد^(٢)
رِسالةً فيها شيءٌ من أدبِ الرِّحْلةِ وشيءٌ من المَجونِ:

.... وَأَمَّا مَا نَشَأُ مِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ السَّفَرَةِ الَّتِي أَطْرَبَتْ نَوَادِرُهَا وَأَضْحَكَتْ مَوَارِدُهَا
وَمَصَادِرُهَا^(٣): حِكَايَةُ شَيْخِنَا الْقَلْطِي^(٤) مَعَ خَدِيمِهِ الْمُرَاهِقِ الْأَسْمَرِ الْفَاتِي ذِي
الطَّرْفِ الْكَحِيلِ وَالْحَدِّ الْأَسِيلِ^(٥) وَالرِّدْفِ الثَّقِيلِ وَالْخَصْرِ النَحِيلِ:

ذَاكَ الَّذِي مِتُّ مِنْ وَجْدٍ بِهِ، وَغَدَتُ فِيهِ أَحَادِيثُ جُلَاسِي وَسُمَّارِي^(٦).
نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الدَّلِّ الَّتِي شَغَلَتْ مَنْ ظَلَّ يَعِشْقُهُ عَنْ كُلِّ خَمَّارٍ^(٧).
يَا لَهَا أَعْجُوبَةٌ طَرِيفَةٌ أَطْرَفَ مِنْ فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ:

أَعْجُوبَةٌ مَا سَمِعْنَا بِأَخْتِهَا فِي أَوَانٍ^(٨).
قَدْ صَارَ شَيْخُكَ مِنْهَا أَضْحُوكَةً فِي الزَّمَانِ.

وَذَلِكَ أَنَّا لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عَيْنِ الْقَدَحِ قَاصِدِينَ قَصَرَ كُتَامَةُ^(٩)، ظَهَرَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ

(١) الغضا شجر جزل (كثيف المادّة) تكون ناره شديدة.

(٢) زار أبو الحسن بن الفضل مَرَاكُشَ مراراً. وموسى بن محمد سار إلى الحجّ سنة ٦٣٩ هـ وتوفي وشيكاً في الإسكندرية، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ - ١٢٤٣ م).

(٣) الموارد والمصادر (الذهاب إلى الماء والرجوع عنه): الأسباب والنتائج، الأحوال المختلفة.

(٤) القلطي، إذا لم تكن علماً أو نسبة، فهي (بفتح ففتح): القصير، الخبيث.

(٥) الأسيل: الأملس.

(٦) الوجد: الحب، الشوق، الميل. السامر: الذي يجادئك في الليالي. - هذا المحبوب أصبح حديث الناس (لجماله).

(٧) النشوان: السكران. الدلّ: الثقة بالنفس والطمع بالناس الذين يعجبون بصاحب هذا الدلّ. الخمار: بائع الخمر. - اكتفى الناس من السكر بالنظر إليه فاستغنوا (بفتح النون) عن شرب الخمر.

(٨) الأوان: الزمان.

(٩) قصر كُتَامَةُ (في معجم البلدان): مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الإندلس (جنوبي الأندلس). ولعلّ المقصود (هنا) مكان في المغرب.

في هذا الأسمر ما لم يظهر من الذي تمنى أن يكون هامة^(١). وصار يغار عليه من الألاحظ ولا يبرح متى كَلَّمَ أو نُظِرَ يغتاضُ، إلى أن وصلنا إلى وادي الخازن، والسيل قد ضاقت^(٢) بطلائعه صدره، وهو أبدأ يزيد مدّه ولا يُلَمُّ به جزره^(٣). ولم يسع الوقت جواز الشيخ والغلام، بل بادر بتجويزه^(٤) وقد أقبلت كتائب الظلام. فلما أن دخل الشيخ في ذلك الجانب، بعد اللّتيا والتي^(٥) من خوض ذلك العُباب منع الوادي نفسه بمزاحمة المياه^(٦). وبقي الشيخ في أعظم مُصاب. وكنت، يا أخي، في من ظفّر بالمجاز وحصلت له الحقيقة بعد المجاز^(٧):

فبات الشيخ في همٍّ وعمٍّ ضجيع الفكر والحزن الطويل.
وبت ضجيع أسمره أنادي بحّي على التواصل والوصول^(٨).
فلا تسأل - فديتك - عن مبيتي هناك؛ وسلّ صحابك عن مقيلي^(٩).
ثم إنّه لما وضح النهار وأصبح الشيخ كالمولّه لفقد الجوار^(١٠)، أكثرى الشيخ من سبّح به إلينا، وأرسل الله منه نعمة علينا. وجُملة الأمر: أنا ظفّرنا ليلة برّب هواه، وصفّعنا نهاره جميع قفاه!

- (١) أن يكون هامة: أن يموت (٢).
- (٢) كذا في الأصل. والصواب: ضاقت بطلائعه (أوائله) صدره وادي الخازن مكان قرب القصر الكبير (شمال شرقي الرباط وجنوب شرقي العرائش) في المغرب.
- (٣) الجزر: تراجع مياه البحر. والمدّ علوّ ماء البحر عند الشطّ. لا يلمّ به جزره: لا يحدث انخفاض في مائه.
- (٤) الجواز: الانتقال عبر الماء من جانب إلى جانب. التجويز: جمل الآخرين يجوزون.
- (٥) بعد مصاعب كثيرة.
- (٦) العباب: الموج. منع الوادي (النهر) نفسه (منع الناس من الجواز عبره).
- (٧) الحقيقة: دلالة الكلمة على المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: الجسم المشتعل الذي يضيء الأرض). والمجاز: دلالة الكلمة على غير المعنى الوضعي لها (الشمس: المرأة الجميلة) حصلت له الحقيقة بعد المجاز: ظفر بالهبوب بعد أن كان يتمنى الظفر به (٢).
- (٨) التواصل والوصل: نيل الرغبة من المحبوب.
- (٩) لا تسأل عن مبيتي (نومي) في تلك الليلة (لأنّي لم أتم فيها) أسأل عن مقيلي: النوم في النهار (لأنّي كنت في الليل ساهراً مع المحبوب).
- (١٠) المولّه: الذي اشتدّ حزنه حتّى كاد عقله يذهب. لفقد الجوار (جوار محبوبه).

٤-★★ زاد المسافر ١٠٦ (رقم ٣١)؛ المغرب ٢: ٢٨٦ - ٢٩١؛ القدح العلّی ١٠٨ - ١١١؛ الذیل والتكملة رقم ٦٥١ (٢: ٣٧٦ - ٣٨٧)؛ ازهار الرياض ٢: ٢١١.

أبو زيد الفازازي

١- هو أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفَتَن بن أحمد اليَجَنَشِيّ، وُلِدَ بُعِيدَ سَنَةٍ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في قُرطبة ونشأ فيها. ثم إنه سكن تِلْمَسَانَ وغيرها.

سَمِعَ أبو زيد الفازازي من جماعة فيهم الحافظ عبد الرحمن السُهَيْليّ (٥٨١ هـ)، فيما قيل، والحافظ أبو الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن بقيّ القاضي وأبو الحسن جابر بن أحمد القَرَشِيّ التارنجي وأبو عبد الله بن الفَخَّارِ التَّجِيبيّ.

وقد كَتَبَ أبو زيد الفازازي دهرًا طويلًا في الأندلس لِوَلَاةِ المُوَحِّدين. وفي سَنَةِ ٦٢٦ للهجرة - في مَطْلَعِ حُكْمِ السُّلْطَانِ المُوَحِّدِيّ المأمون أبي العلاء إدريس (٦٢٦ - آخر ٦٢٩ هـ) - نالته جَفَوَةٌ على يَدَيِ الوالي في قُرطبة وإشبيلية (٩)، فألَزَمَهُ السُّلْطَانُ دارَهُ ثم نفاه عَنِ الأندلس فانتقلَ إلى العُدُوَّة. وفي شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٢٧ (أيلول - سبتمبر ١٢٣٠ م) زار أبو زيد الفازازي مَرَّاكُشَ وترضى السُّلْطَانُ المأمون، فَرَضِيَ السُّلْطَانُ عنه. ولكنَّ أبا زيد لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلًا فكانت وفاته في مَرَّاكُشَ في ذِي القَعْدَةِ من سَنَةِ ٦٢٧ نفسها (أيلول - تشرين ١٢٣٠ م).

٢- كان أبو زيد الفازازي مُشَارِكًا في عددٍ من فنونِ العلم من الفقه والتاريخ وعلم الكلام (وكانت بضاعته من الحديث قليلةً)، وكان أديبًا ناثراً مُترسلاً وشاعراً يَغْلِبُ على شعره مدحُ الرسولِ وأشياء من الزهد والتصوّف والحكمة، وربّما جاء في شعره بُلُزومٌ ما لا يلزم.

ثمَّ إِنَّهُ مُصَنِّفٌ له: سفينة السعادة لأهل الضَّعْفِ والنِجَادَةِ (مجموع قصائد) - ديوان الوسائل المُتَقَبِّلَةِ - القصائد العِشْرِينِيَّاتِ (وهي قصائدُ تتألَّفُ كلَّ قصيدةٍ منها من عِشْرِينَ بيتاً) في مدحِ رسولِ الله مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذه القصائدُ شائعةٌ جدًّا ومُحِبَّبةٌ إلى النفس، وخصوصاً في السودان الغربي (غربي إفريقيا). وربّما أوردَ

نَفَرٌ من المؤلفين أسماء هذه المجموعة بَعَاوَيْنَ مختلفة: المَعَشَرَاتُ في مدح النبي - القصائد العشريّات (العشريّيات في النصائح الدينيّة والحِكَم الزُهدية - المنظومات المعشّرات الزهدية والمعشّرات الحُبّيّة والنَفَحَات القلبية التي كلُّ قصيدة (منها) عَشْرُونَ بيتاً في المدائح النبويّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو زيد الفاززيّ في مديح الرسول:

كَمَلْتُ بِنَعْتِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى غُرُرُ الْقَصَائِدِ كُلُّهَا وَحْجُوهَا^(١)،
وَأَخْتُصَّ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ بِدَعْوَةٍ وَسِعَ الْعِبَادَ عُمُومُهَا وَشُمُولُهَا.
فَاضَتْ عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْهُ أَشِعَّةٌ طَلَعَتْ وَمَا عَقَبَ الطُّلُوعَ أَفْوَلُهَا^(٢).
فَالْإِنْسُ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْصُودُهَا، وَالْجِنُّ تُوقِنُ أَنَّهُ مَأْمُولُهَا.

- وقال في الرسول أيضاً (وهو من لزوم ما لا يلزم):

أَتَى وَالْوَرَى أُسْرَى، فَكَانَ غِيَاثُهُم بَنُورٌ سَمَكٌ يَنْقُلُوهُ عَنِ الْإِسْرَا^(٣)
وَعَفَى رُسُومَ الْكَافِرِينَ وَأَهْلَهَا، فَلَا قَيْصَرٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَلَا كَيْسَرِي^(٤).

(١) القصائد الفرر جمع غرة (بالضَمّ فيها): البياض في جبهة الفرس، أوّل كلّ شيء وأكرمه. كلّها، لعلّه يقصد كللها جمع كلّ (بالكسر فيها): ستر رقيق ينصب على خدر المرأة ونحو ذلك. والحجول جمع حجل (بالكسر) الخلل (بالفتح). - يريد أن يقول إنّ هذه القصائد أصبحت خير القصائد لأنّ فيها مدحا لمحمد رسول الله.

(٢) الثقلان: عالم الإنسان وعالم الجنّ (بالكسر فيها). عقب وأعقب فلان فلاناً: خلفه وجاء بعده. الأفول: الغياب.

(٣) أتى (محمد رسول الله). الورى (جميع الناس). الغياث (نزول المطر، كناية عن إنقاذ الناس من الضلال والبلاء والقحط، الخ). ينقلوه (كذا في الأصل. ويجب أن تكون « ينقلونه »). الإسراء: انتقال محمد رسول الله من مكّة إلى القدس فألى السماء ثم رجوعه إلى مكّة (ليلاً). وكان ذلك في آخر الدور المكّي، قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة. واختلفت الرواة في هذا الإسراء: أكان بالروح فقط أم بالروح والجسم معاً؟.

(٤) عفى: عفا. الرسوم جمع رسم: النظام المألوف في المعاملات، الطريقة (هنا: الشرائع). قيصر (لقب ملوك الروم: اليونان) وكسرى (لقب ملوك الفرس).

تَقَدَّمَ كُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى مَدَى تَظَلُّ بِهِ الْأَوْهَامُ ظَالِمَةً حَسْرَى^(١)
فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى إِلَيْهِه بَعْبُودِهِ،
وَبُورِكَ فِي السَّارِي وَبُورِكَ فِي الْمَسْرَى^(٢).

- ٤ - سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، القاهرة ١٣٢٠ هـ.
- الوسائل المتقبلة (مع سابقات الجياد ليوسف بن اسماعيل النبهاني)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.
- القصائد العشرينيات^(٣) في مدح سيدنا محمد، القاهرة (دار الكتب الكبرى) ١٣٣٤ هـ.
** التكملة ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦؛ بغية الوعاة ٣٠٤؛ نيل الابتهاج ١٦٣؛ نفح الطيب ٢:
١١٩، ٤: ١٢٢، ٤٦٨ - ٤٦٩، ٧: ٥٠٧ - ٥١٢؛ بروكلمن ١: ٣٢٢، الملحق ١:
٤٨٢ - ٤٨٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٨ (٣: ٣٤٢)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٩١؛ سركيس
١٤٢٧ - ١٤٢٨؛ تحفة القادم ١٣٣ - ١٣٤.

أبو الحجاج التادليّ ابن الزيات

١ - هو أبو الحجاج أبو يعقوب يُوسُفُ بنُ يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادليّ (نسبةً إلى تادلة في المغرب، بين مدينة مراكش ومدينة فاس)، ويُعرفُ بابن الزيات. وقد كانت وفاته سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو الحجاج التادليّ من أئمة اللغة والنحو والأدب، ويبدو أنه اتّجه اتّجهاً قوياً إلى التصوّف في أواخر حياته وأصبح شديد الإيمان بالكرامات الخارقة

(١) إلى مدى (مسافة بعيدة). الظالم: الذي يعرج (يفتح الرأى) في مشيه، لا يستطيع الجري بسرعة أو يسير (بضمّ الياء). حسرى جمع حسير (للمؤنث والمذكر): الكليل، الخائر القوى، الضعيف، العاجز (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٢ - ١٣).

(٢) « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام (مكة) إلى المسجد الأقصى (القدس) » آية من القرآن الكريم (١٧: ١). (سورة الإسراء). الساري: محدّد رسول الله. المسرى: الانتقال (برسول الله) من مكة إلى بيت المقدس.

(٣) راجع عناوين لها مختلفة (في خصائص الفازاري، رقم ٢)؛ وعليها شرح لمحمد الزهري الغمراوي.

للعادة والطبيعة من المشي على الماء (التشوّف، ص ٩٨، ١٩٢، ٣٢٥، ٣٦٥) والطيران في الهواء (ص ٢٥٢) ويجعل ماء البحر عذّباً حلواً (ص ٢٨٠) وتكليم الموتى في قبورهم (ص ٢٨٧، وغيره). ثم هو مُصنّفٌ، له: نهاية المقامات في دراية المقامات (شرح لمقامات الحريري المتوفى ٥١٦ هـ) - مناقبُ أحدَ السبقيّ دفينِ مرّاكشَ - التشوّف إلى رجال التصوّف (بدأ بتأليفه ٦١٧ هـ). في هذا الكتاب تراجمٌ للذين سبقوا عصره، إذ لم يترجم للأحياء. والكتابُ مملوءٌ بأفعالٍ منسوبة إلى المتصوّفين أشبه شيء بالخرافات. وفي الكتاب شعرٌ كثيرٌ، يبدو أن قليله لأصحاب التراجم التي يردّ ذلك الشعرُ في أثنائها، ويبدو أن أكثره غير ذلك^(١). وهو يُورد ذلك الشعرَ مقطوعاً مُغفلاً لا ينسبه إلى أصحاب التراجم ولا إلى غيرهم، إلّا في النادر الشاذّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة كتاب « التشوّف إلى رجال التصوّف »:

.... لم يخلُ زمانٌ من وليٍّ من أولياء الله تعالى يحفظُ الله به. البلادَ والعباد. وكانت طائفةٌ منهم عظيمةٌ بأقصى المغرب أُمِلَّتْ أخبارُهم وجُهَلَتْ آثارُهم حتّى ظنَّ مَنْ لا علمَ له بهم أنّه لم يكنْ منهم بأقصى المغرب أحدٌ.... وما زال كثيرٌ من الصالحين يكرهون الإقامة في قواعدِ البلادِ خيفةً من الفتن^(٢)، ومنهم من كان مُقيماً بها على وجهِ الاضطرار..... ولما خفيَ عن كثيرٍ علمُ مَنْ كان بحضرةِ مرّاكش^(٣) من الصالحين ومن قديمها من أكابر الفضلاء رأيتُ أن أفرغَ لذلك وقتاً^(٤) أجمعُ فيه طائفةً

(١) هو يورد مثلاً أبيات القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ):

يقولون لي: فيك انقباض! وإنّا رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا.

في ترجمة أبي الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (٥٧٩ هـ). راجع ص ٢٧٣.

(٢) خيفة من الفتن: خوفاً من أن يشتهروا فيكثر الناس من احترامهم والتبرّك بهم فيدخل على نفوسهم شيء من الغرور يفسد تصوّفهم.

(٣) حضرة مرّاكش: المدينة التي هي العاصمة (يحضر فيها الملك).

(٤) أفرغ: اتخلّى عن كلّ شيء وأهتمّ بشيء واحد. وقتاً (مدّة من الزمن) - وهي هنا ظرف مفعول فيه منصوب.

أَدُونُ أَخْبَارِهِمْ.... وَتَحَرَّيْتُ فِي نَقْلِ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحَبَرِ وَالصَّلَاحِ
وَالْمُسْتَوْرِينَ^(١) مَا اسْتَطَعْتُ.... وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِالتَّشَوُّفِ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ،
وَإِنْ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَضْرَابٍ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعَبَادِ وَالزُّهَادِ
وَالْوَرَعِينَ... فَإِنَّ اسْمَ الصُّوفِيِّ يَصْدُقُ عَلَى جَمِيعِهِمْ..... وَالَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ أَنَّ الصُّوفِيَّ
هُوَ الْمُنْقَطِعُ بِهَمَّتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْمُتَصَرِّفُ فِي طَاعَتِهِ.....

وَجَرَدْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عُلُومِ التَّصَوُّفِ وَاقْتَصَرْتُ عَلَى إِيرَادِ أَخْبَارِ الرِّجَالِ،
فَإِنَّ «إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ»..... لِلْفَرَّازِيِّ.... هُوَ الْمُنْتَهَى فِي ذَلِكَ.....

٤ - التَّشَوُّفُ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ (اعْتَنَى بِنَشْرِهِ وَتَصْحِيحِهِ أَدُولْفُ فُور) الرِّبَاطُ (مَطْبُوعَاتُ
إِفْرِيقِيَّةِ الشَّامَالِيَةِ الْفَنِّيَّةِ) ١٩٥٨ . (مَطْبُوعَاتُ مَعْهَدِ الْأَبْحَاثِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ ١٢).
★ نِيلُ الْإِبْتِهَاجِ (بِهَامِشِ الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ) ٣٥٢؛ بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٤٢٥؛ الْبَلْغَةُ ٢٩٤؛ بَرْوَكْلَمَنْ،
الْمُلْحَقُ ١: ٥٥٨ - ٥٥٩؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ٩: ٣٣٩ - ٣٤٠ (٨: ٢٥٧).

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَادِ الصَّنْهَاجِيِّ

١ - هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمَادٍ (أَوْ حَمَادُو أَوْ حَمَادَةَ) - وَكُلُّهَا
بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ: بِلَا شِدَّةٍ عَلَيْهَا - مِنْ أَهْلِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ^(٢). وَلَدَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٤٥ هـ
(١١٥٠ م) فِي قَرْيَةِ بُرْجِ حِمْرَةٍ مِنْ حَوَازِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ (الْبُويرَةِ - دَائِرَةُ الْبِيْهَانِ)،
شَرْقَ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ، وَفِيهَا نَشَأَ.

بَدَأَ ابْنُ حَمَادٍ الصَّنْهَاجِيُّ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي بَلَدِهِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ (وَكَانَتْ حَاضِرَةً مِنْ
حَوَاضِرِ الْعِلْمِ) ثُمَّ فِي بَجَايَةِ، ثُمَّ فِي عَدِيدٍ مِنْ مُدُنِ الْمَغْرِبِ، وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا. وَقَدْ كَانَ
مِنْ شُيُوخِهِ الْفَقِيهُ أَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَسِيلِيُّ (ت. نَحْوَ ٥٨٠ هـ) مِنْ أَهْلِ بَجَايَةِ،

(١) الْمُسْتَوْرُونَ: الَّذِينَ لَا يَتَظَاهَرُونَ بِالتَّصَوُّفِ وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يُعْرَفَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مُتَصَوِّفُونَ.

(٢) الْمَشْهُورُ فِي قَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ وَفِي بَنِي حَمَادٍ مِنَ الْأَسْرِ الْحَاكِمَةِ فِي الْمَغْرِبِ أَنَّهَا بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ. وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ
(الْكُوَيْتِ): حَمَادَةُ، كَحَمَامَةٍ (بِلَا شِدَّةٍ عَلَى الْمِيمِ) نَاحِيَةِ الْيَامَةِ (٨: ٤١). وَلَقَدْ سَمَّى الْعَرَبُ حَمَادًا بِتَشْدِيدِ

الْمِيمِ (٨: ٤٠، رَاجِعْ ٤٥).

وكان يُلقَّبُ «أبا حامدٍ الصغير» تشبيهاً له بأبي حامدٍ الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ) ثمّ الحديثُ عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ الأشبيليّ المعروفُ بابنِ الخراطِ الأُرديّ الإشبيليّ (ت ٥٨١ هـ) ثمّ أبو تميمٍ ميمونُ بنُ جُبارةَ بنِ خَلْفونِ الفرداديّ (ت ٥٨٤ هـ) من أهلِ بجايةَ (القطر الجزائري) ثمّ الصوفيّ المشهورُ أبو مدنيّ شُعيبُ بنُ الحسنِ (ت ٥٩٤ هـ) ثمّ أبو العباسِ بنِ مبشّرٍ (٩). ولقد تلقّى ابنُ حمادٍ الصنّهاجيّ العِلْمَ على هؤلاء وعلى غيرهم أيضاً في عددٍ من مُدُنِ القطرِ الجزائريّ والقطرِ المغربيّ وفي الأندلسِ.

وتولّى ابنُ حمادٍ القضاءَ في الجزيرة الخضراء (جنوبيّ الأندلس) إلى سنة ٦١٣ هـ. ثمّ نُقِلَ إلى مدينة سلا (قرب الرباط - المغرب) فتولّى فيها القضاءَ إلى أن تُوفّيَ فيها، سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

٢- يُعَدُّ ابنُ حمادٍ الصنّهاجيّ من أئمةِ العِلْمِ في زَمَنِهِ فهو أديبٌ شاعرٌ ومؤرّخٌ وفقهاءٌ وراويَةٌ للحديث. وشعرُهُ الباقي لنا، وهو قليلٌ، أكثرُهُ في الوصف، ثمّ هو على شيءٍ من العذوبة والطلاوة. وابنُ حمادٍ مُصنّفٌ، له: برنامُجٌ (لشيوخه: فيه أسماؤهم وما أخذ عنهم من فنونِ العِلْمِ وما قرأ عليهم من الكتب) - ديوان شعر - شرح مقصورة ابن دُرَيْدٍ (ت ٣٢١ هـ) - عُجالة المودّع وعُلالَة المُشيع (في الأدب والشعر) - شرح الأربعين حديثاً (للتنويي؟) - شرح كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحقّ الإشبيليّ (بن الخراط؟) - أخبارُ ملوكِ بني عبّيد (الفاطميّين) - الدّيباجة أو النُبْدُ المُحتاجة^(١) في أخبارِ صِنْهاجَةٍ بإفريقيّةٍ وبجاية - نُبْدَةٌ في أخبارِ البربر - تلخيص كتاب ابن جرير الطبري.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ اللهِ بنُ حمادٍ الصنّهاجيّ (رحلة التجاني ١١٧):
على عينِ السلامِ سلامٌ صبَّ غداها ماؤها العَذْبُ النَمِيرُ^(٢).

(١) المقصود: المحتاج إليها (ولكن حينئذ يطل السجع).

(٢) النار (المنارة: بناء مرتفع يوقد في أعلاه نار لهداية المسافرين في البحر وفي غير ذلك). وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة، والعروسان مبنى بناه الناصر بن علناس (من حكام بني حماد في قلعة =

تَأَوَّدَ أُنْكَهَا وَجَرَتْ صَبَاها وَأَبْرَدُ مَا يَكُونُ الْمَاءُ فِيها
وَأُنْدَى حِينَ يَحْتَدُمُ الْهَجِيرُ^(٢) وَمَا أَدْرِي: أَيْجَرِي فَوْقَ دُرٍّ
وَشَمْلُها كَمَا قُتِقَ الْعَبِيرُ^(١) أَمْ أَبْتَسَمْتُ بَمَنْبَعِها الثُّغُورُ؟
وَقَدْ قَامَ الْمَنَارُ عَلَى ذُرَاها كَمَا قَامَ الْعَرُوسُ أَوْ الْأَمِيرُ^(٣) .
بِنَاءٍ يُزْدَرَى إِيوَانُ كِسْرَى، لَدَيْهِ، وَالْخَوْرَنْقُ وَالسَّدِيرُ^(٤) .

- وقال أيضاً في الوصف (رحلة التجاني ١١٦):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَوَادِي الْجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْجَدَاوِلِ؟
وَهَلْ أَسْمَعُنْ تِلْكَ الطَّيُورَ غُدِيَّةً تَجَاوَبُ فِي تِلْكَ الْغُصُونِ الْمَوَائِلِ^(٥)؟
وَهَلْ أَرِدُنْ عَيْنَ السَّلَامِ عَلَى الصَّدَى فَأُبْرِدَ مِنْ حَرِّ الضَّلُوعِ النَّوَاهِلِ^(٦)،
وَأَنْظُرُ طَيْقَانَ الْمَنَارِ مُطْلَّةً عَلَى الْوَجَنَاتِ الزَّاهِرَاتِ الْخَمَائِلِ^(٧)؟
كَأَنَّ الْقَبَابَ الْمُشْرِفَاتِ بِأُفُقِهِ نَجُومٌ تَبَدَّتْ فِي سُعُودِ الْمَنَازِلِ^(٨) .

=

بني حماد، من سنة ٤٥٤ إلى سنة ٤٨١ هـ). وكلّ هذه الأماكن مبان في قلعة بني حماد (رحلة التجاني ١١٥ - ١١٦). النмир: الطيب الذي يروي (يمنع العطش).

(١) تأوّد: تمايل. الأيكة: مكان فيه شجر كثيف (الصورة البلاغية غير صحيحة، فإنّ الأشياء لا تتمايل: تتحرّك يميناً وشمالاً في مجال واسع إلّا إذا كانت متباعدة). الصبا: ريح الشرق. الشمال = الشمال (ريح الشمال). العبير = الرائحة الطيبة. كما فتق العبير (كما فتق أو شق أو فتح إناء العبير للمرّة الأولى فتنبعث منه رائحة قويّة).

(٢) وأندى (ما تكون الريح): أكثر بللاً. الهجير: اشتداد الحرّ في نصف النهار.

(٣) الذرى أو الذرا (بالضمّ فيها) جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. العروس أو الأمير بناء في قلعة بني حماد (راجع الحاشية التي قبل حاشيتين هنا).

(٤) إيوان كسرى: بناء ضخّم عال شرق بغداد (بناء الفرس). الخورنق والسدير بناءان في العراق (عربيان). ازدري فلان شيئاً: احتقره. يقصد بناء العروس أو الأمير أعظم من إيوان كسرى ومن قصر الخورنق وقصر السدير.

(٥) غديّة: في الصباح. تجاوب = تتجاوب (يجيب بعضها بعضاً): كأنّها تفتّني على اشتراك فيما بينها.

(٦) ورد الماء: ذهب إليه ليشرب منه. الصدى: العطش. الناهلة: (الداية) الذاهبة إلى المنهل (المشرب) لأنّها عطشى.

(٧) الطيقان جمع طاق: فتحة في الجدار شبه الشباك يشرف منها الإنسان على ما تحتها. الحميلة: بقعة فيها زهر كثير يخلل بعضه بعضاً. الوجنات (؟).

(٨) المشرف: العالي المطلّ على غيره. الأفق: الناحية من الأرض (في اصطلاح المغاربة). - في علم الفلك =

فَإِنْ ثَنَّتِ الْأَيَّامُ عَنْهَا أُعِنِّي وَأُنْزَلْنِي فِي غَيْرِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ،
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، غَيْرَ أَنَّ صَبَابِي سَتَبْقَى بَقَاءَ الطَّالِعَاتِ الْأَوَّافِلِ^(١)

- من كتاب «نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة» (المكتبة العربية
الصقلية، ص ٣٦٧):

(من الفصل الأول)... وَالْمِظْلَةُ الَّتِي آخَتَصُّوا بِهَا^(٢) مِنْ دُونَ سَائِرِ الْمُلُوكِ شِبْهُ
دَرَقَةٍ فِي رَأْسِ رُمْحٍ^(٣) مُحْكَمَةُ الصَّنْعَةِ رَائِقَةُ الْمَنْظَرَةِ صُرِفَ فِيهَا مِنْ^(٤) الصَّنَاعَةِ فِي
الصِّيَاغَةِ وَنَظَمِ الْأَحْجَارِ الْعَالِيَةِ الْغَالِيَةِ مَا يَرُوقُ^(٥) مَرَّاهُ وَيُدْهِشُ مَنْ رَآه، يُمَسِّكُهَا
فَارِسٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يُعَرِّفُ بِهَا - فَيَقَالُ: صَاحِبُ الْمِظْلَةِ - وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ خُطَّةٌ يَتَدَاوِلُهَا
مَنْ يُوَهِّلُ^(٦) فَيُحَازِي بِهَا الْمَلِكَ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الشَّمْسُ يَقِيهِ حَرَّهَا بِظِلِّهَا^(٧). وَفِيهِ
يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِي^(٨) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا مَعَدَّاءَ الْمُعِزِّ الَّذِي يَأْتِي ذِكْرُهُ^(٩).
وَلَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ آتَّخَذَ هَذِهِ الْمِظْلَةَ إِلَّا بَنُو عُبَيْدٍ ثُمَّ مَلِكُ الرُّومِ

القديم أن الشمس والقمر يزلان (في أثناء جريهما) بمنازل (بمواقع في السماء) منها ما يدل على السعد
ومنها ما يدل على النحس.

(١) الصبابة: الشوق أو الشوق الشديد. الطالعات الأوافل (الفاربات): النجوم. ستبقى بقاء الطالعات
الأوافل: ستدوم.

(٢) كانت مخصصة (أو خاصة) ببني عبید الله المهدي (ملوك الفاطميين). بها (بهذه المظلة).

(٣) درقة: ترس من جلد. في رأس رمح (محمولة على رمح).

(٤) المنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك (تاج المروس - الكويت ١٤: ٢٤٦). صرف (بالبناء
للمجهول: بضم الصاد وكسر الراء - شدة أو غير شدة) فيها (غير موجودة في الأصل).

(٥) الأحجار أي الحجارة الكريمة كالزمرّد والماس (ولا تقل الألماس، فإنه من لحن العامة، راجع تاج
المروس - الكويت، ١٦: ٥٢٦). يروق: يسر.

(٦) الخطة (بالضم): المنصب (الوظيفة). يوهّل (في الأصل: يزهّل): يعدّ لها، يكون لها أهلاً (مستحقاً).

(٧) يقيه: يحفظه، يحميه. حرّها (حرّ الشمس). ظلّها (ظلّ المظلة). حاذى - حازاه: وازاه، قاربه.

(٨) محمد بن هاني الأندلسي الشاعر (ت ٣٦٢، راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٩) المعزّ لدين الله الفاطمي معزّ بن اسماعيل (رابع الأئمة الفاطميين ٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وفي أيامه استولى
الفاطميون على مصر. «يأتي ذكره» (سيذكره ابن حاد في كتابه).

باصقيلية^(١). وأحسب^(٢) أنهم أهدوها إليه في بعض هداياهم. وكأني سمعتُ هذا.

٤ - أخبار ملوك بني عبید (فان در هايدن)، الجزائر (منشورات جامعة الجزائر - السلسلة الثالثة، رقم ١٢) ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

★ ★ التكملة (رقم ١٦٣٧)؛ رحلة التجاني ١١٦ - ١١٧؛ عنوان الدراية (نشره عادل نويهض) ١٢٨ - ١٢٩، (نشره رابح بونار) ١٩٢؛ ابن قنفذ ٣١١؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢؛ تاريخ الجزائر العام ١: ٣٩٨ - ٣٩٩؛ الطمار ٧٥ - ٧٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٦٩ (٢٨٠)؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٧ - ٣١٨.

ابن مُعْطِرِ الزَّوَاوِي

١ - هُوَ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمُعْطِي بْنِ عَبْدِ النُّورِ الزَّوَاوِي الْجَزُولِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنْفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُعْطِرٍ، وَلَدَ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م)، ودرس في الجزائر على أبي موسى الجزولي (ت ٦٠٧ هـ). ثمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ وَسَكَنَ فِيهَا مُدَّةً طَوِيلَةً وَدَرَسَ عَلَى الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرَ.

وَعَمِلَ ابْنُ مُعْطِرٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، فِي دِمَشْقَ، «شَاهِدًا» لِيَكْسِبَ قُوَّتَهُ. ثُمَّ ظَهَرَتْ مَكَانَتُهُ وَعَظُمَتْ شُهْرَتُهُ فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) مَصَالِحَ الْمَسَاجِدِ (فِي دِمَشْقَ). ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) سُلْطَانَ مِصْرَ رَغِبَ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى مِصْرَ فَسَافَرَ إِلَيْهَا وَتَصَدَّرَ لِتَدْرِيسِ الْأَدَبِ فِي الْجَامِعِ الْعَتِيقِ (جَامِعِ عَمْرٍو بِالْقُسْطَاطِ: مِصْرَ الْقَدِيمَةِ) وَجَعَلَ لَهُ رَاتِبًا جَارِيًا. وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي ٣٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٨ (٢٩ / ٩ / ١٢٣١ م).

٢ - ابْنُ مُعْطِرِ الزَّوَاوِي أَحَدُ أَمَّةِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ فِي عَصْرِهِ: مَاهِرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) مَبْرُزٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ قَادِرٌ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ. وَهُوَ مُؤَلِّفٌ، لَهُ: قَصِيدَةٌ فِي

(١) باصقيلية = بصقلية (في صقلية). وهذه المظلة لا تزال إلى الآن مستخدمة في المغرب: يركب ملك المغرب حصاناً ثم يسير بجانبه رجل يحمل مظلة (من نسيج) يدفع بها حرَّ الشمس عن الملك.

(٢) في الأصل: حسب.

القراءات السبع - نَظْمُ الجوهرة لابن دُرَيْدٍ - الأَرْجُوزَةُ الأَلْفِيَّةُ (وَلَعَلَّهَا أَوَّلُ أَلْفِيَّةٍ فِي النَحْوِ) - الفصول الخمسون (في النحو) - البديع في صِنَاعَةِ الشعر - ديوان شعر - ديوان خُطَب - حواشي على أصول ابن السَّرَّاج - نظم الصحاح للجوهري (لم يُكْمَلْهُ) - المثلث في اللغة (وهي قصيدة في العروض؛ راجع معجم الأدباء ٢٠: ٣٥).
والعنوان الكامل لأَلْفِيَّةِ ابنِ مُعْطٍ هو: «الدَّرَّةُ الأَلْفِيَّةُ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ»، وهي - في الحقيقة - أَلْفٌ وَوَاحِدٌ وَعِشْرُونَ بَيْتاً من مشطور بَحْرِ الرَّجَزِ (راجع البيت الثالث عَشَرَ منها):

لِعَلِمِهِمْ بَأْنَ حِفْظَ النَّظْمِ وَفَقْ الذِّكْيِ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ^(١)،
لَا سِيَّامِشْطُورُ مَجْرِ الرَّجَزِ إِذَا بُنِيَ عَلَى اِزْدَوَاجِ مُوجَزٍ^(٢).
وَأَلْفِيَّةُ ابنِ مُعْطٍ جَافَّةٌ شَدِيدَةُ الْإِيجَازِ لَا تُفْهَمُ إِلَّا بِشَرْحٍ طَوِيلٍ. وَلَعَلَّهَا مَفِيدَةٌ لِمَنْ يُتَقَنُّ النَحْوَ وَالصَّرْفَ. أَمَّا الَّذِي يَبْتَدِئُ تَعَلَّمَ النَحْوَ بِحِفْظِهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا (وَلَا مِنْ أَمْثَالِهَا) شَيْئاً. وَفِي هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ جَوَازَاتٌ شَاذَّةٌ (لَا أَعْلَمُ إِذَا كَانَتْ مِنْ صَاحِبِهَا أَوْ مِنَ النَّسَاجِ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من الدَّرَّةِ الأَلْفِيَّةِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ^(*):

★ من مَبْدَأِ الأَلْفِيَّةِ:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الْغَفُورِ يَخْيِي بِنُ مُعْطٍ ابْنُ عَبْدِ النُّورِ:

(١) راجع تفسير هذا البيت في «المختارات».

(٢) في تاج العروس (الكويت): والمشطور من الرجز والسريع ما ذهب شطره (نصفه) وذلك إذا نقص ثلاثة أجزاء من ستته (١٢: ١٧٢). وهذا التعريف لا ينطبق هنا على أَلْفِيَّةِ ابنِ مُعْطٍ، فَإِنَّهُ قَدْ التَزَمَ فِيهَا الْاِزْدَوَاجَ (مستفعلن ستّ مرّات). والازدواج (في البيت المشار إليه يعني ازدواج القافية (بحي، كلّ شطرين على رويّ واحدٍ مستقلّ، بدلاً من أن تكون جميع أشطر الأَرْجُوزَةِ على رويّ واحد).
(*) لن أتناول الأبيات بشرح مفصّل لأن ذلك سيكون استعراضاً لقواعد النحو وشواذه أيضاً.

الحمدُ لله الذي هدانا
 فلم يَزَلْ ينمى به الإسلامُ
 مُؤَيِّداً منه بخيرِ الكُتُبِ
 لِكَوْنِهِ أَشْرَفَ ما بِهِ نُطَقُ،
 صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ثُمَّ سَلَّمَ
 وبعْدُ، فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ
 فابْدَأْ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ،
 فَإِنَّ مَنْ يُتَقِنُ بَعْضَ الْفَنِّ
 وَذَا حَدَا إِخْوَانَ صِدْقِي لِي عَلَى
 أَرْجُوزَةٍ وَجَازَةٍ فِي النَّحْوِ
 لِعِلْمِهِمْ بِأَنْ حِفْظَ النَّظْمِ
 فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَاسِدٍ
 ★ الْقَوْلُ فِي الإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ،
 وَحَسْبُهُ تَغْيِيرٌ فِي الْآخِرِ
 بِالرَّفْعِ أَوْ بِالنَّصْبِ أَوْ بِالْجَرِّ
 وَالْجَزْمِ مِنْ أَلْقَابِهِ، كـ «لَمْ يَرَمْ».

بأحدٍ ديناً له آرْتَضَانَا^(١).
 حَتَّى اسْتَبَانَتْ لِلْهُدَى أَعْلَامُ؛
 وَخِيَاً إِلَيْهِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ،
 كَمَا الرَّسُولُ خَيْرُ مَخْلُوقٍ خُلِقَ.
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا.
 وَفِي قَلِيلِهِ نَفَادُ الْعُمُرِ.
 فَالْحَازِمُ الْبَادِيُ فِيمَا يُسْتَنَمَّ^(٢).
 يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَغْنِي.
 أَنْ آقْتَضَوْا مِنِّي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَا^(٣)
 عِدَّتُهَا أَلْفٌ خَلَّتْ مِنْ حَشْوٍ؛
 وَفَقُّ الذِّكْيِ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ^(٤).
 أَوْ جَاهِلٍ أَوْ عَالِمٍ مُعَانِدٍ^(٥).
 الْأَصْلُ فِي الإِعْرَابِ لِلْأَسْمَاءِ:
 بِعَامِلٍ مُقَدَّرٍ أَوْ ظَاهِرٍ^(٦).
 كـ «حَمَرٌ زَيْدٌ رَاكِباً بِعَمْرٍو».
 وَلَيْسَ فِي الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ يَنْجَزَمُ^(٧).

-
- (١) أحمد من أسماء محمد رسول الله.
 (٢) إن العاقل يبدأ بالقيام بالأمور التي يستطيع أن يتيمها.
 (٣) حدا: دفع. اقتضى فلان فلاناً حقاً: طلبه منه.
 (٤) النظم (الشعر) أهون في الحفظ على الذكي وعلى بعيد (قليل) الفهم. وفق: قدر (أي يوافق ويساوي).
 (٥) ... وأنا أخشى أن ينهض لي رجل جاهل أو رجل عالم ولكنه يحب للعناد (الجدال) يحسني على ما أفعله فينتقدي ويخطئي ظلماً في عدد من الأمور.
 (٦) العامل (السبب في الإعراب). جاء زيد (زيد فاعل مرفوع بالفعل «جاء» - عامل ظاهر). زيد غائب (زيد مبتدأ مرفوع بالابتداء - عامل مقدر).
 (٧) من ألقابه (من خصائص الفعل). رام الرجل مكانه يرميه: برحه (غادره، تركه). - الجزم خاص بالأفعال وليس من خصائص الأسماء.

وليس في الأفعال ما يَنْجَرُ
والحرف مَبْنِيٌّ بكلِّ حالٍ،
فالمُعْرَبُ الاسمُ الذي تَمَكَّنَا
★ القول في إعرابِ الأسمِ الواحدِ:
فَرَفَعَهُ بضمِّه تَبِينُ
والنصبُ فيه بانفتاحِ الآخرِ،
وإن يَكُنْ آخِرُهُ مُعْتَلًّا
سُمِّيَ مقصوراً بهِ تَقْدَرُ:
وإن يكن ياءً وكسراً قبله
نحو: الشَّجِي. والنصبُ فيه يظهرُ،
والواوُ والياءُ إذا ما كانا
أو كان مهموزاً كمثلِ الشاءِ
وَالْعَدُوِّ وَالْعَدُوِّ وَالْكُرْسِيِّ
وسِتَّةً بالواوِ رفعاً إن تُضِفَ
أخْ أَبٌ حَمٌّ هَنْ وَفُوهُ؛
وكلُّ ما لم يَنْصَرَفْ تَفْتَحُهُ

فَعَوَّضَتْ جِزْماً بها يُقَرُّ^(١).
والأصلُ في البناءِ للأفعالِ.
ثم مضارعُ سيأتي بيِّنا^(٢).
كلُّ صحيحٍ بانصرافٍ واردٍ^(٣).
ويَتَبَسَّعُ الحَرَكََةُ التَّنوينُ.
والجرُّ فيه بانكسارِ ظاهرٍ.
بِألفٍ، نحو: الفَتَى وَحُبْلَى
الحَرَكَاتُ كُلُّهَا لا تَظْهَرُ.
سُمِّيَ منقوصاً لِنَقْصِ حَلِّهِ^(٤)،
والرفعُ كالجرِّ بهِ يُقَدَّرُ.
في اسمِ حَوَى قَبْلَهَا إِسْكَاناً،
وَالظَّنِّي وَالْآيِ وَالْكِسَاءِ
جئْتَ بإعرابٍ لها جَلِيٍّ.
والياءُ في الجرِّ، وفي النصبِ الألفُ:
ذو المالِ قُلْ، ولا يَجُوزُ ذُوهُ.
جرّاً - كإِسْحاقَ - ويأتي شَرْحُهُ.

(١) الفعل لا يجزّ (لا تظهر على آخره كسرة، إلّا في مثل قولنا: لم يَشَدَّ - إذ يتعذر ظهور السكون على الشدة فيصبح الحرف الواحد عليه سكونان، ذلك لأن الشدة في الحقيقة تمثل حرفين متاثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك. فإذا نحن سكّنا آخر الكلمة أصبح على آخرها سكونان، وهذا متعذر في اللفظ) لم يَشَدَّ يجوز أن تظهر على آخرها الضمة أو الفتحة أو الكسرة.

(٢) الاسم المتمكن: المنتهي بحرف صحيح كالجيم والتون مثلاً، لا بحرف علة، أي بألف طويلة (مثل العصا) أو ألف مقصورة (مثل الفتى) أو ياء معلولة (مثل القاضي). أما الواو والياء في مثل العدو والسعي فتعامل في الإعراب معاملة الحرف الصحيح.

(٣) كل اسم صحيح الآخر يرد (يأتي) مصروفاً (تظهر عليه الحركات الثلاث). وغير المنصرف أو غير المصروف. تكون الفتحة علامة جره.

(٤) الاسم المنقوص ما ختم بياء قبلها كسرة، نحو: القاضي - لأن الياء تنقص منه إذا نكّرناه (تركنا تعريفه باللام): قاض ...

- وروى ياقوت الحموي لابن عبد المعطي مقطوعتين هما (معجم الأدباء ٢٠ :

: (٣٦)

- ★ قالوا: تَلَقَّبَ «زَيْنَ الدِّينِ»، فَهُوَ لَهُ نَعْتُ جَمِيلٌ بِهِ أَضْحَى اسْمُهُ حَسَنًا.
فَقُلْتُ: لَا تَغْبُطُوهُ. إِنَّهُ لَقَبٌ وَقَفٌ عَلَى كُلِّ نَحْسٍ. وَالدَّلِيلُ أَنَا.
★ وَإِذَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ عِبْنٌ لَتَنْظُرَ أَيَّ عِبْنٍ تَحْمِلُ.
وَإِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُتَفَاضِلٌ فَاشْتَغَلْ فَوَادَكَ بِالَّذِي هُوَ أَفْضَلُ^(١).

٤ - الفصول الخمسون (سيوergen)، لبسيك ١٨٩٩ م.

- الأرجوزة الألفية في علم العربية (تسترشتاين)، لبسيك ١٩٠٠ م. *

★★ معجم الأدباء ٢٠: ٣٥ - ٣٦؛ تعريف الخلف ٢: ٥٨٧ - ٥٨٨؛ وفيات الأعيان ٦: ١٩٧؛ العبر للذهبي ٥: ١١٢؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٢٩؛ نفع الطيب، راجع ٢: ٢٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩٣؛ بروكلمن ١: ٣٦٦ - ٣٦٧، الملحق ١: ٥٣٠ - ٥٣١؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٩٢ - ١٩٣ (٨: ١٥٥)؛ أعلام الجزائر ٢٠١ - ٢٠٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ٥٥ - ٥٦؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦؛ الطمار ٩١ - ٩٢؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦.

أبو الوليد الشقندي

١ - هو أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي، وُلِدَ في شُقْنَدَة^(٢). تَطَوَّفَ حِينًا فِي الْمَغْرِبِ، وَكَانَتْ صِلَتُهُ بِالْمُوحِّدِينَ وَثِيقَةً. جَالَسَ أَبَا يُوسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورَ (٥٨١ - ٥٩٥ هـ)؛ وَوَلَّاهُ الْمَنْصُورُ الْقَضَاءَ فِي الْأَنْدَلُسِ: فِي بَيَاسَةَ ثُمَّ فِي لُورْقَة وَفِي أُبْدَة مِنْ

(١) متفاضل: بعضه أفضل من بعض.

(*) لا شك في أن هذه «الألفية» قد طبعت في عدد من البلاد العربية مرارا، ولكن لم أقع، بالوسائل التي بين يدي، على مثل هذه الطباعات.

(٢) شُقْنَدَة قرية من قرى قرطبة إلى الغرب من الرَبَض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) جنوب الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير.

أعمال جَيَّان. ورأيناهُ مرّةً في المَغْرِب عندَ أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَة^(١). وكانت وفاته في إشبيلية، سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان أبو الوليد الشُّقْنُديُّ جامعاً لفنونٍ كثيرةٍ من العلوم الحديثة والعلوم القديمة^(٢) (نفع الطيب ٣: ٢٢٣) جافظاً للحديث أديباً وناثراً بارعاً. وكان شعره عادياً، وفي شعره شيءٌ من المَجُون (نفع الطيب ٣: ٢٢٤). وله من الكتب: الطرف (نفع الطيب ١: ٣٩٩، ٢: ٢٧، ٣: ٣٦٩) أو طرف الظرفاء (بروكلمان، الملحق ١: ٤٨٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة الشُّقْنُديِّ (نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

كان الشُّقْنُديُّ عند أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَة، فَجَرَى بينه وبين أبي يحيى ابن المُعَلِّم الطَّنْجي^(٣) نزاعٌ في التفضيل بين البرّين (بين الأندلس والمَغْرِب). ولما طال النزاعُ قال والي سَبْتَة: الرأيُ عندي أن يعملَ كلُّ واحدٍ منكما رسالةً في تفضيلِ برةٍ (راجع نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد). فعَمِلَ الشُّقْنُديُّ رسالةً في فضل الأندلس جاءت قطعةً بارعةً من النثرِ الأصيلِ السَهْلِ المتينِ المُتَمِّعِ بروحِ الفكاهةِ خاصّةً. وهي تنكشف عن علمٍ كثيرٍ، كما تدلّ على ذوقِ الشُّقْنُديِّ في اختيارِ نماذجِ الشعرِ التي جاء بها في ثنايا تلك الرسالة:

- ص ١٨٧:

الحمدُ لله الذي جعلَ لِمَنْ يَفْخَرُ بِجزيرةِ الأندلس أن يتكلّمَ ملءَ فيه، ويُطَنّبَ ما شاء فلا يجد من يثنيه^(٤)؛ إذ لا يُقال للنهار: يا مُظْلِمُ، ولا لوجهِ النعيم: يا قبيحُ!....

(١) كان أبو يحيى صهر الناصر الموحّدي (٥٩٥ - ٦١١).

(٢) العلوم القديمة (العلوم الدخيلة): الفلسفة والفلك الخ. العلوم الحديثة علوم الدين والعربية (٢).

(٣) أبو يحيى بن المعلم الطنجي (لم أهتم إلى صاحب هذا الاسم إلا في هذا النص. ولم يرد هذا الاسم في مكان من الفهرس الهجائي لنفع الطيب).

(٤) أطنب: بالغ، أكثر الكلام في موضوع ما. ثناه يثنيه: ردّه، منعه.

أما بعد، فإنه حرك^(١) مني ساكناً وملاً مني فارغاً - فخرجتُ عن سَجَّيتي في الإغضاء مُكرِّهاً إلى الحمية والإباء^(٢) - مُنازعٌ (فاعل حرك) في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع ويأتي بما لا تقبله النواظر والأسماع..... رام أن يفضل برّ العدو على برّ الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار...
- ص ١٨٨ :

.... اقن حياءك أيها المفردُ بالنجيب^(٣)، المتزينُ بالخلقِ المتحَبُّ إلى الغواني بالمشيب الخَضيب^(٤).... أبلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نورَي بصرك ولُبِّك^(٥)؟ أمّا قولك: «الملوكُ منّا»؛ فقد كان الملوكُ منّا أيضاً^(٦). وما نحن إلا كما قال الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا، ويومٌ نساءٌ ويومٌ نُسرّ.
إن كان كرسيُّ جميع بلادِ المغرب^(٧) عندكم بخلافةِ بني عبد المؤمن - أدامها الله تعالى - فقد كانت عندنا بخلافة المشرقيين الذين يقول مشرقيهم^(٨):
وإنني من قومِ كرامٍ أعزّةٍ لأقدامهم صيغت رؤوسُ المنايرِ.

-
- (١) فاعل (حرك) « منازع » (في السطر التالي).
(٢) السجية: الطبيعة. الإغضاء: غض البصر، السكوت عن أمر من الأمور. الحمية: الحماسة، شدة المدافعة عن أمر ما (حقاً أو باطلاً). الإباء: الرفض، الامتناع عن عمل ما.
(٣) المفرد (المفني) بالنجيب (رفع الصوت بالبكاء).
(٤) المتزين بالخلق (بفتح ففتح): المتهرىء من الثياب. الغانية: المرأة المستغنية بجهاها عن الحلي. بالمشيب الخَضيب (المخضوب: المصبوغ باللون الأسود) - في هذه المتناقضات التي تقال هنا هزلاً وهزواً قاعدة أساسية من قواعد الشعر الحديث (وإن كان الشعر الحديث لا يأتي بمثل هذا الوضوح والتهكم العاقل).
(٥) اللب: العقل.
(٦) ان مدينة مراكش الآن (في أيام الثّقندي) كانت عاصمة المغرب الإسلامي (في إفريقية والأندلس). وقد كانت قرطبة من قبل (في أيام بني مروان في الأندلس) عاصمة للبلاد.
(٧) هذا الشعر للعتبي (بالضم) وهو أبو عبد الرحمن بن محمد، وينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب. وأبو سفيان كان في الجاهلية رأس البيت الأموي. وكانت وفاة العتبي سنة ٢٢٨ هـ (راجع وفيات الأعيان ٤: ٣٩٩).

خلائفُ في الإسلام، في الشريكِ قادةً. بهم وإليهم فخرٌ كلُّ مُفاخر.

ويقول مَغْرِبُهُمْ^(١):

أَلَسْنَا بَنِي مِرْوَانَ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ بِنَا الْحَالُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَائِرُ.
إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَاهْتَزَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ.
- ص ١٩٢ :

.... وَإِنَّكَ إِذْ تَعَرَّضْتَ لِلْمُفَاضَلَةِ بِالْعُلَمَاءِ فَأَخْبِرْنِي: هَلْ لَكُمْ فِي الْفِقْهِ^(٢) مِثْلُ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ الَّذِي يُعْمَلُ بِأَقْوَالِهِ إِلَى الْآنِ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ، وَمِثْلُ أَبِي
بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رَشِيدِ الْأَكْبَرِ، وَمِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدِ الْأَصْغَرِ -
ابْنِ ابْنِ رُشْدِ الْأَكْبَرِ - نَجْمُ الْإِسْلَامِ وَمَصَابِيحُ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَلْ لَكُمْ فِي
الْحِفْظِ^(٣) مِثْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ الَّذِي زَهَّدَ فِي الْوِزَارَةِ وَالْمَالِ وَمَالَ إِلَى رُتْبَةِ الْعِلْمِ
وَرَأَاهَا فَوْقَ كُلِّ رُتْبَةٍ ثُمَّ قَالَ وَقَدْ أُخْرِقَتْ كُتُبُهُ:

دَعَوْنِي مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغِدٍ وَقُولُوا بِعِلْمٍ، كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَذْرَى.
فَإِنْ تُخْرِقُوا الْقُرْطَاسَ لَا تُخْرِقُوا الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقُرْطَاسُ، إِذْ هُوَ فِي صَدْرِي!
- ص ١٩٣ :

... وَهَلْ لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّحُونِ وَالْفَلَسَفَةِ كَابِنِ بَاجٍ، وَهَلْ لَكُمْ فِي عِلْمِ النُّجُومِ
وَالْفَلَسَفَةِ وَالْمُهَنْدَسَةِ مِثْلُ كَالْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُوسْطَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ آيَةً^(٤)؟
وَهَلْ لَكُمْ فِي الطِّبِّ مِثْلُ ابْنِ طُفَيْلٍ صَاحِبِ رِسَالَةِ حَيٍّ بْنِ يَقْظَانَ الْمُقَدَّمِ فِي عِلْمِ
الْفَلَسَفَةِ، وَمِثْلُ بَنِي زُهْرٍ أَبِي الْعَلَاءِ ثُمَّ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ثُمَّ (ابْنِ) ابْنِهِ أَبِي بَكْرِ^(٥): ثَلَاثَةٌ
فِي نَسَقِي؟

(١) البيتان التاليان للأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في أواخر أيام المروانيين في قرطبة
(راجع الحلة السيرة ١: ٣٠٨ - ٣١٠؛ وراجع نفح الطيب ٣: ١٨٨، الحاشية الرابعة).

(٢) فيما يلي أسماء علماء وأدباء يحسن أن ترجع إلى شيء من أخبارهم وأحوالهم في الصفحات السابقة من
هذا الجزء أو في الجزء السابق.

(٣) في حفظ الحديث.

(٤) كان في ذلك آية (عظيم البراعة).

(٥) أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) والذي كان أيضاً وشاحاً.

... وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عُبيد الله^(١) الذي إن مدَحَ رَفَعَ وإن ذَمَّ وَضَعَ^(٢). وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدلُ شاهدٍ، ومثلُ ابن أبي الخِصال في تَرْسِيلِهِ^(٣) ومثلُ أبي الحسن سهل بن مالك الذي (هو) بَيْنَ أَظْهَرِنَا الْآنَ فِي خُطْبِهِ؟ وهل لكم في الشعر مثلُ الْمُعْتَمِدِ بن عُبَادٍ في قوله:

وَلَيْلٍ بَسْدُ النَّهْرِ أُنْسًا قَطَعْتُهُ بذاتِ سِوَارٍ مِثْلٍ مُنْعَطِفِ النَّهْرِ^(٤).
نَضَّتْ بُرْدَهَا عَنْ غُصْنٍ بَانَ مُنْعَمٍ، فَيَا حُسْنَ مَا انشَقَّ الْكِامُ عَنْ الزَّهْرِ^(٥)!
..... ومثلُ ابنه الراضي في قوله:

مَرُّوا بِنَا أُصْلًا مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ فَأَوْقَدُوا نَارَ قَلْبِي أَيْ إِيقَادِ^(٦).
لَا غُرُوَ إِنْ زَادَ فِي وَجْدِي مُرُورُهُمْ، فَرُؤْيَةُ الْمَاءِ تُذَكِّي غَلَّةَ الصَّادِي^(٧)!
..... وهل لكم مِلْكُ أَلْفَ فِي فَنُونِ الْأَدَابِ كِتَابًا فِي نَحْوِ مَائَةِ مَجْلَدَةٍ مِثْلُ الْمُظَفَّرِ بنِ الْأَفْطَسِ مِلْكِ بَطْلَيْوُسَ وَلَمْ تَسْغَلْهُ الْحُرُوبُ وَلَا الْمَمْلَكَةُ عَنْ هِمَّةِ الْأَدَبِ؟ وهل لكم من الوزراء مثلُ ابنِ عَمَّارٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَارَتْ أَشْرَدَ مِنْ مَثَلٍ وَأَحَبَّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ وَصَلَ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا -

- ص ١٩٤ :

أَثْمَرْتَ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مَلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرًا.
وَصَبَفْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُهَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلَبَّسُ أَحْمَرًا^(٨)!

(١) هو الفتح بن خاقان.

(٢) وضع فلان مكانة فلان: خفضها، أنزلها (أذله).

(٣) الترسيل: كتابة الرسائل.

(٤) ذات سوار: المرأة (وفي المثل: لو غير ذات سوار لطمتني!).

(٥) نضت (خلعت) بردها (ثوبها الحريري) عن غصن بان (قامه طويلة رشيقة) منعَّم (لينة، جميلة). الكيامة (بالكسر): الأوراق الخضراء التي تحتوي الأوراق الملونة في الزهرة.

(٦) الأصيل: ما بين العصر وغروب الشمس.

(٧) الغلة: العطش. الصادي: العطشان.

(٨) الكمي: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح.

..... وهل منكم شاعرٌ رأى الناسَ قد ضجّوا من سماعِ تشبيهِ الثغرِ بالأفاح^(١)،
وتشبيهِ الزهرِ بالنجوم، وتشبيهِ الخدودِ بالشقائق^(٢)؛ فتَلَطَّفَ لذلك في أن يأتيَ به في
منزِعٍ يُصَيِّرُ خَلْقَهُ^(٣) في الأسماعِ جديداً، وكَلِيلَهُ في الأفكارِ حديداً^(٤)، فأغربَ أحسنَ
إغرابٍ وأغربَ^(٥) عن فهمِهِ مُحسِّنِ تَخَيُّلِهِ أنبلَ إعرابٍ، وهو ابنُ الزقاقِ:

- ص ٢٠٠ :

وأغيدِ طافَ بالكؤوسِ ضُحَى وحنَّها والصبحُ قد وَضَحَا^(٦)،
والروضُ أهدى لنا شقائقَه، وآسُهُ العنبريُّ قد نَفَحَا،
قلنا: وابنُ الأفاحِ؟ قال لنا: أوَدَعَتْهُ ثَغْرٌ من سَقَى القدحا^(٧).
فظلَّ ساقِي المدامِ يَجْحَدُ ما قال، فلَمَّا تَبَسَّمَ افتضحَا^(٨)!
وقال:

ورِياضٍ من الشقائقِ أَضَحَّتْ يَتَهَادَى بها نَسِيمُ الرِّياحِ^(٩)،

-
- (١) تشبيه الثغر (الفم): يقصد الأسنان. الأقحوان (بضم الهززة والحاء وفتح الواو) وجمعه أفاح وأقاحي: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر.
 - (٢) شقائق النعمان (حراء اللون).
 - (٣) منزِع تأتي في القاموس بفتح فسكون ففتح أو بكسر فسكون ففتح (ولا توافق المقصود من الجملة) - المقصود من الجملة « الاتجاه، الطريقة ». الخلق (بفتح ففتح): البالي، المتهرىء.
 - (٤) الكليل: الضعيف (السيف الذي لا يقطع). حديد: حاد، قوي، قاطع.
 - (٥) أغرب: أتى بالفريب (البعيد، النادر، المستغرب، الجميل). أعرب: أوضح، بيّن.
 - (٦) الأغيد: الناعم، المتشني (الجميل). حنَّ الرجل رفيقه: استمعه، سألَه موالاة العمل بسرعة.
 - (٧) الأفاح (يقصد بتلات الأقحوان، وتكون شبيهة بالأسنان الأمامية (إذا كانت تلك الأسنان سليمة نظيفة). في البيت السابق يذكر الشاعر شقائق النعمان (الأحمر) والآس (الأخضر). فيسأله سائل عن الأقحوان (ذي البتلات البيض والوسط الأصفر)، فيقول الشاعر إنَّ الروض قد خصَّ ثغر (فم) الساقِي (ساقِي الخمر، النديم الجميل) بالأقحوان، إذ منحه الأقحوان أسناناً.
 - (٨) وسئل الساقِي عن ذلك فجحده (أنكره). ولكن لما اتَّفَق أن ابتسم الساقِي وبانت أسنانه، ظهرت أسنانه كبتلات الأفاحي.
 - (٩) شقائق النعمان (زهر أحمر اللون). تهادى: سار وهو يتأيل.

زُرْتُهَا وَالنَّهَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتٍ تَرَوْقُ لَوْنَ الرَّاحِ^(١).
 قُلْتُ: مَا ذَنْبُهَا؟ فَقَالَ مُجِيبًا: سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْحُدُودِ الْمِلَاحِ!
 فَانْظُرْ كَيْفَ زَاخَمَ بِهَذَا الْاِخْتِيَالِ الْمُخْتَرَعَيْنِ وَكَيْفَ سَابَقَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْمُبْتَدِعِينَ...

- ص ٢٠٩ :

... وقد أَطَلْتُ عِنَانَ^(٢) النَّظْمِ، عَلَى أَنِّي اكْتَفَيْتُ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى النَّهَارِ
 بِالصَّبَاحِ. فَبِاللَّهِ، إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي: مَنْ شَاعِرُكُمْ الَّذِي تَقَابِلُونَ بِهِ شَاعِرًا مِّنْ ذَكَرْتُ؟ لَا
 أَغْرِفُ لَكُمْ أَشْهَرَ ذِكْرًا وَأَضْخَمَ شِعْرًا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِيِّ. وَأَوَّلَى لَكُمْ^(٣) أَنْ
 تَجْحَدُوا فَخْرَهُ وَتَنْسُوا ذِكْرَهُ. فَقَدْ كَفَاكُمْ مَا جَرَى مِنَ الْفَضِيحَةِ عَلَيْكُمْ فِي قَوْلِهِ مِنْ
 قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا خَلِيفَةً:

إِذَا كَانَ أَمْلَاكُ الزَّمَانِ أَرَاقِيًا، فَإِنَّكَ فِيهِمْ -دَائِمُ الدَّهْرِ- تُعْبَانُ^(٤)!
 فَمَا أَقْبَحَ مَا وَقَعَ تُعْبَانُ، وَمَا أَضْعَفَ مَا جَاءَ دَائِمُ الدَّهْرِ! وَلَقَدْ أَنْشَدْتُ أَحَدَ
 طُرَفَاءِ الْأَنْدَلُسِ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ: لَا يُنْكَرُ هَذَا عَلَى مِثْلِ الْجَرَاوِيِّ. فَسُبْحَانَ مَنْ
 جَعَلَ نَسَبَهُ وَرُوحَهُ وَشِعْرَهُ تَنْسَابُ فِي الثَّقَالَةِ...

وَأَمَّا غَرْنَاطَةُ فَإِنَّهَا دِمَشْقُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَسْرَحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ، لَهَا
 الْقَصَبَةُ الْمُنِيعَةُ ذَاتُ الْأَسْوَارِ الشَّامِخَةِ^(٥) وَالْمَبَانِي الرَّفِيعَةِ.... وَزَانِهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ
 جَعَلَهَا مُرْتَبَةً عَلَى بَسِيطِهَا^(٦) الْمُتَدِّدِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ فِيهِ سَبَائِكُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ زَبَرْجَدِ^(٧)
 الْأَشْجَارِ...

(١) جلد: ضرب. مجلد زهرات (بجعلها تتأيل). راق: أعجب. وفي القاموس (٣: ٢٣٨ س) راق عليه: زاد عليه فضلاً. لون الراح (الحمر): الحمرة.

(٢) العنان: الرسن. أطلت عنان النظم (تكلمت كثيراً في الشعر والشعراء).

(٣) أولى لك: أليق بك، خير لك.

(٤) الأرقم: حية خبيثة. الثعبان: حية ضخمة. دائم الدهر: دائماً، طوال (بفتح الطاء) الدهر.

(٥) القصبة: المدينة (الرئيسية) المنيعة (المحصنة) التي يمتنع على العدو اقتحامها. الشامخة: العالية.

(٦) البسيط: السهل، الأرض المستوية.

(٧) سبيكة: قطعة مسبوكة. سبكاً على شكل مستطيل (من الفضة: كناية عن النهر بمائه الأبيض).

الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون.

- قال أبو الوليد الشُّقْنَدِيُّ في النسيب:

عَلَّلَانِي بِذِكْرِ مَنْ هَمَّتْ فِيهِ، وَعِدَانِي عَنْهُ بِمَا أُرْتَجِيهِ^(١).
وَإِذَا مَا طَرَبْتُ لَارْتِيَا حِي، فَاجْعَلَا خَمَرِي مُدَامَةً فِيهِ^(٢).
لَيْتَ شِعْرِي - وَكَمْ أَطِيلُ الْأَمَانِي - أَيَّ يَوْمٍ فِي خَلْوَةِ التَّقْيَةِ؟
وَإِذَا مَا ظَهَرْتُ يَوْمًا بِشَكْوَى، قَالَ لِي: أَيْنَ كُلُّ مَا تَدَّعِيهِ؟
لَا دَمَوْعٌ وَلَا سَقَامٌ، فَمَاذَا شَاهَدْتُ عَنْكَ بِالَّذِي تُخْفِيهِ؟
قُلْتُ: دَعْنِي أَمْتُ بَدَائِي فَإِنِّي لَوْ بَرَانِي الْغَرَامُ لَا أَبْدِيهِ^(٣).

- ٤ - رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العدو (تحقيق إحسان عباس)، بيروت ١٩٦٨، (تحقيق صلاح الدين المنجد) بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م.
★★ المغرب ١: ٢١٣ - ٢١٤، اختصار القندح المولى ١٣٨ - ١٣٩؛ الفصول الياضعة ٣٦ - ٣٧؛ نفع الطيب ١: ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٦ - ١٥٧، ١٧٦، ١٨٦: ٣، وما بعد، ٢٢٢ - ٢٢٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٣٨٤؛ نيكل ٣٣٠ - ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٣ (٣٢٤ - ٣٢٣).

أبو الروح عيسى بن عبد الله النفري

١ - هو أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن خليل النفري الحميري التاكروني، وُلِدَ في تاكرونا، على مقربة من قرطبة، سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). ترك عيسى بن عبد الله النفري الأندلس باكراً فمر بمصر ولقي عمر بن الفارض^(١) ثم إنه تابع رحلته إلى الشام والعراق فوصل إلى

- (١) علّ الساتي شخصاً (وعلّله): سقاه الماء شيئاً بعد شيء. وعلّله (أيضاً): داواه من علّة فيه.
هام فلان بفلاة: أحبا حبّاً شديداً. عد (بكسر فسكون) فعل أمر من «وعد».
(٢) الارتياح: السرور والاطمئنان والنشوة. المدامة: الخمر (ولا تقل: خرة). فيه (فمه).
(٣) برى يبري: نحت (أنحل، أمرض). أبدى: أظهر.
(٤) الشاعر الصوفي (ت ٦٣٢ هـ) راجع ٣: ٥٢٠.

إِرْبِلَ (جنوبَ شرقِ الموصل)، سَنَةَ ٦٢٧ هـ. ثُمَّ وَصَلَ إِلَى آمِدَ، وَمِنْ آمِدَ عَادَ إِلَى أَرْزَنَ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ (جنوبَ شرقيِّ تُرْكِيَّةِ الْيَوْمِ) فَتُوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢- كَانَ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَابًّا مُتَادِّبًا فَاضِلًا يَقُولُ الشَّعْرَ تَبْيِيتًا وَارْتِجَالًا وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ. وَشِعْرُهُ وَجَدَانِيٌّ فِيهِ وَصْفٌ وَغَزَلٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- مَقْطَعَاتٌ لِعِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّفَرِيِّ:

★ ★ يَا قَلْبُ، مَا لَكَ لَا تَفِيقُ مِنَ الْهَوَى	أَوْ مَا يَقْرُبُكَ، الزَّمَانُ، قَرَارُ ^(١) ؟
الْكُلُّ ذِي وَجْهِ جِيلٍ حَنَّةٌ	وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ ^(٢) ؟
★ ★ إِنْ أَوْدَعَ الطَّرْسَ مَا وَشَاهُ خَاطِرُهُ	أَبْدَى لِعَيْنَيْكَ أَزْهَارًا وَأَشْجَارًا ^(٣) .
وَإِنْ تَهَدَّدَ فِيهِ، أَوْ يَعِدُ كَرَمًا:	بَتَّ الْبَرِيَّةَ آجَالًا وَأَعْمَارًا ^(٤) .
★ ★ أَوْصَيْتُ قَلْبِي أَنْ يَفِرَّ عَنِ الصَّبَا	ظَنًّا بِأَنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعًا.
فَأَجَابَنِي: لَا تَخْشَ مِنِّي بَعْدَمَا	أَفْلَتُ مِنْ شَرِّكَ الْغَرَامِ وَقَوَعَا ^(٥) .
حَتَّى إِذَا نَادَى الْحَبِيبُ رَأَيْتَهُ	أَوْى إِلَيْهِ مُلْبِيًا وَمُطِيعًا ^(٦) ،
كَذْبَالَةٍ أَخْمَدَتْهَا، فَإِذَا دَنَا	مِنْهَا الضَّرَامُ تَعَلَّقَتْهُ سَرِيعًا ^(٧) .

٤- ★ ★ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٦٠٦ - ٦٠٨.

-
- (١) الزَّمَانُ (منصوبة لأنها ظرف مفعول فيه): طول الزمان، طول حياقي.
- (٢) حَنَّةٌ: حنين (شوق). سَالِفٌ: ماضٍ.
- (٣) وَشَاهُ: طَرَزَهُ. الطَّرْسُ: الْوَرَقُ (إِنْ كَتَبَ نَائِرًا أَوْ نَاطِقًا).
- (٤) الْبَرِيَّةُ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ. آجَالًا (انتهاء الأعمار: قتل الناس). أَعْمَارًا (امتداد الحياة: وهب الناس أعمارًا جديدة).
- (٥) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ٦٠٨) أَفْلَتَ (بفتح التاء).
- (٦) أَوْى: لَجَأَ (ذَهَبَ إِلَيْهِ).
- (٧) الذَّبَالَةُ: فَتِيلَةُ السَّرَاجِ. الضَّرَامُ: النَّارُ الْمُشْتَعِلَةُ بِلَهَبٍ. تَعَلَّقَتْهُ: جَعَلَتْ (النَّارُ) تَعَلَّقَ بِهَا (اشْتَعَلَتْ).

المأمون الموحدِيّ

١ - هو أمير المؤمنين المأمون إدريس بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن أول سلاطين الموحدين. كان المأمون الموحدي في أول أمره والياً في الأندلس على مالقة ثم على قرطبة ثم على إشبيلية. في ذلك الحين كان أمر المسلمين في الأندلس قد أصبح ضعيفاً جداً، استبدّ بنو هود بما كان قد بقي للمسلمين في الجانب الشرقي الجنوبي في الأندلس، وكان يُنارِعُهُم بنو نصر الذين استبدّوا فيما بعد بغرناطة وما حولها. وكانت سلطة الموحدين لا تزال مبسوطة على عدد من المدن كقرطبة وإشبيلية ومالقة، فكان المأمون الموحدي بشجاعته وبمقدرته في القتال يحول بين الإشبانية والمدن الأندلسية ما أمكن، كما كان يحول بين الثائرين المسلمين (من أمثال بني هود) وتقليص سلطة الموحدين في الأندلس.

وكذلك كان أمر المغرب مضطرباً بتنازع رجال الموحدين على الحكم. لما تُوفي السلطان أبو محمد عبد الله العادل (٦٢٤ هـ) أخذت البيعة للمأمون في مراكش وفي الأندلس. ثم رأى جماعة من أهل المغرب أن يعدلوا عن بيعة المأمون إلى بيعة ابن أخيه يحيى بن العادل - وكان صغير السن، ورجا الناكثون للبيعة أن يستبدّوا بالأمر في أيامه - . نسي المأمون الموحدي (مع الأسف) كل شيء إلا حقه الشخصي في الملك ففضى مدة جمع في أثائها جيشاً كبيراً ضم إليه اثني عشر ألفاً من فرسان الإشبانية (النصارى) وجاء بذلك الجيش إلى المغرب. وانتصر المأمون على ابن أخيه يحيى وأباد الجانب الأكبر من جيشه ثم تتبّع الناكثين لبيعته بالقتل. وكان المأمون الموحدي بعمله هذا قد زاد أمر المغرب والموحدين اضطراباً، كما كان قد ترك الجو في الأندلس خالياً للإشبانية ليخرجون منها المسلمين شيئاً فشيئاً.

وكانت وفاة إدريس بن يعقوب المأمون الموحدي في ذي الحجة من سنة ٦٢٩ (خريف ١٢٣٢ م) بعيداً عن مراكش.

٢ - كان المأمون الموحدي رجلاً ذكياً عاقلاً وشجاعاً حازماً وجواداً كريماً. وكان أيضاً مفرماً بالبناء عارفاً بوجوهه حتى أن عرفاء البنائين كانوا لا يتصرفون إلا

بَنَظَرِهِ (برأيه وإرشاده). وكذلك كانت له مشاركة في عددٍ من فنون المعرفة. وفي رسائله وأشعاره ما يدلُّ على معرفة بالقرآن والحديث والفقه. ثمَّ إنَّه كان أديباً وكاتباً فصيحاً وناظراً للشعر.

٣ - مختارات من آثاره:

- رسالة للمأمون الموحدي بإبطال دعوى المهدي (ابن تومرت) وعصمته^(١):

.... للحقِّ لسانٌ ساطعٌ وحُكمٌ قاطعٌ، وقضاءٌ لا يُردُّ وبابٌ لا يُسدُّ، وظلالٌ على الآفاق تمحو النفاق. والذي نوصيكم به تقوى الله والاستعانة به والتوكلُ عليه، ولتعلموا أننا نبذنا الباطلَ وأظهرنا الحقَّ، وأن لا مهديَّ إلاَّ عيسى بن مريم^(٢) الناطقُ بالصدق. وتلك^(٣) بذعةٌ قد أزلناها، والله يُعيننا على القلادة التي تقلدناها^(٤)؛ كما أزلنا لفظَ العصمة^(٥) عمَّن لا تثبتُ له، وأسقطنا عنه وصفه ورسمه. وقد كان سيّدنا المنصور^(٦)، رضي الله عنه، همَّ أن يصدعَ بما به الآن قد صدعنا^(٧)، وأن يرقعَ للأمة الخرقَ الذي رقعنا. فلم يُساعدْه لذلك أمله، ولا أجَلْه إليه أجَلْه^(٨). فقدِمَ على ربِّه بصديقٍ نبيٍّ وخالصٍ طويّة^(٩). وإذا كانتِ العصمةُ لم تثبتْ عند العلماء للصّحابة^(١٠)، فما الظنُّ بمن لا يدري بأيِّ يدٍ يأخذُ كتابه^(١١). أفَّ لهم، قد ضلّوا

- (١) النبوغ المغربي ٣٤٧ (الترقيم الثاني: يصل الكتاب إلى ص ٤٤٠، ثمَّ يبدأ ٣٤١ الخ - راجع في باب المصادر والمراجع: النبوغ المغربي).
- (٢) حينما ينزل في آخر الزمان.
- (٣) أي دعوى المهدي بن تومرت.
- (٤) القلادة: سلسلة توضع في العنق (هنا: التبعة التي تقلدناها أي أخذنا أنفسنا بمحملها).
- (٥) العصمة: التنزّه عن الذنب والخطأ (وهذا المعنى ليست في الإسلام إلاَّ لله).
- (٦) أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثالث سلاطين الموحدين ووالد المأمون (لكنَّ المأمون تأخّر في الجيء إلى العرش).
- (٧) صدع بالأمر: أعلنه.
- (٨) أجَلْه (آخره) إليه (إلى إعلان الإبطال لدعوى المهدي بن تومرت) أجَلْه (انتهاء عمره).
- (٩) - توفي وقصده أن يفعل ذلك (راجع الحاشية السابقة).
- (١٠) الصحابة: الذين عاشوا في عصر الرسول واتّصلوا به وصحبوه.
- (١١) لا يعلم إذا كان يوم القيامة سيأخذ كتابه يمينه (يستحقّ الجنة بأعماله الصالحة) أو بشاله - بكسر الشين - (يستحقّ النار بأفعاله السيئة).

وأضَلُّوا، وسقطوا في ذلك وزَلُّوا. اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنَّا تَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ تَبَرُّاً أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمْرِهِمُ الرِّثِيثِ^(١) وَفِعْلُهُمُ الْخَبِيثِ، لَأَنَّهُمْ فِي الْمُعْتَقَدِ كَفَّارٌ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاسْتَقَامَ .

- وقال المأمون الموحدي لما قَتَلَ جُنْدَهُ ابْنَ أُخْتِ لَهُ:

مَا أَبْنُ أَخْتِي مِمَّنْ يَعْزُّ عَلَى رَوْحِي، وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ أَعْدَائِي^(٢).
لَا تُشَلُّ الْيَدُ الَّتِي جَرَّعَتْهُ حَتْفَهُ! فَهُوَ زَائِدٌ فِي الدَّاءِ^(٣)!

- ولما بلغه قولُ الناسِ عنه إِنَّهُ حَجَّاجُ الْمَغْرِبِ لَكثْرَةِ قَتْلِهِ، قَالَ:

أَنَا الْحَجَّاجُ؛ لَكِنِّي صَبُورٌ مُقَرَّرٌ بِالْحِسَابِ وَبِالْعِقَابِ^(٤).
وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي بِفَنَاءِ قَوْمٍ عَمَّوا عَنْ رُشْدِهِمْ - ذُخْرَ الثَّوَابِ^(٥)!

★★-٤ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٠ - ٣٢٣؛ الإحاطة ١: ٤١٧ - ٤٢٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٣٥؛ الاستقصا ١: ١٩٧ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٢٣ - ٢٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٩ - ٢٧٠ (٢٨١ - ٢٨٢)؛ النبوغ المغربي ٣٤٧ - ٣٥٠.

ابن إدريس التُّجِيبِيّ

١- هو أبو عمرو إبراهيم بن إدريس التُّجِيبِيّ من أهل مُرْسِيَّةَ، تَوَلَّى قِضَاءَ

(١) الرثيث: الجريح الذي لا يزال به رمق؛ بقية من حياة (وهو يقصد: الرث: رديء المتاع، والنسيج المنهريء!).

(٢) لا أفضل ابن أختي على نفسي.....

(٣) الحتف: الهلاك. فهو زائد في الداء (كان ابن أختي في حياته سبباً من أسباب شقائي).

(٤) الحجَّاج بن يوسف الثقفي والي الأمويين على العراق من سنة ٧٥ إلى سنة ٩٥ للهجرة (سنة وفاته). وآتهم الحجَّاج بالظلم وبإكثار القتل في الناس. لقد كان الحجَّاج بن يوسف حازماً شديداً وعنيفاً أيضاً (والمظالم التي تنسب إليه مبالغ فيها كثيراً). والحجَّاج هو الذي أقرَّ الأمن في العراق وأقرَّ الملك لبني أمية في المشرق. الحساب والعقاب (يوم القيامة).

(٥) بفناء (هلاك) قوم (من أعداء المأمون الموحدي). عمَّوا عن رشدهم (لم يعرفوا الصواب). الذخر: ما يبيحاً للإنسان في المستقبل. الثواب (يوم القيامة).

مُرْسِيَّةَ وَالْخُطْبَةَ فِي جَامِعِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م).

٢ - كان ابنُ إدريسَ التُّجِيبِيِّ شاعراً فَحَلَّامَتَيْنِ التَّركِيبِ سَهْلَ التَّعْبِيرِ، مِنْ فَنُونِهِ الْمَدْحُ وَوَصْفُ الْحَرْبِ وَالطَّبِيعَةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ التُّجِيبِيِّ يَمْدَحُ مَلِكاً (لَعَلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ) غَزَا الرُّومَ (الإِسْبَانَ):

شِيمُ الصَّوَارِمِ أَنْ تُقَرِّبَ مَا نَأَى	لَكِنْ عَلَى مَنْ عَزَمَهُ كَطَبَائِهَا ^(١) .
أَخْلَصْتَ لِلرَّحْمَنِ نِيَّةَ عَالِمٍ	أَنَّ النَّفْسَ لَهُ عَلَى نِيَّاتِهَا ^(٢) .
أَوْطَأْتَ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ كِتَاباً	كَادَتْ تُمِيدُ الْأَرْضَ مِنْ وَطَائِهَا،
كَالْبَحْرِ يَطْفَحُ مَوْجُهُ جَرِيّاً إِذَا	هَبَّتْ رِيَّاحُ النَّصْرِ فِي رَايَاتِهَا.
ظَنُّوكَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ كِتَابِهَا	إِذْ لَمْ تُطِيقْ بِالْجُودِ رَدَّ عَفَاتِهَا ^(٣) .

٤-★★ تحفة القادم ١٣٨هـ، الوافي بالوفيات ٥: ٣١٧ - ٣١٨؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤. (٣١).

أبو القاسم البلويّ الإشبيليّ

١ - هو أبو القاسم أحمد بن محمد البلويّ الإشبيليّ، من أهل إشبيلية، كان في أوّل أمره يكتُبُ لِنفَرٍ مِنْ وُلَاةِ الْمُوحِدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ لَحِقَهُ مَا جَعَلَ النَّاسَ يَتَشَاءُونَ بِصُحْبَتِهِ وَبُرُوءِيَّتِهِ «لَا يَتَعَرَّضُ لِرَأْسِ فَيْسَتْكَتِبَهُ (يَجْعَلُهُ كَاتِباً فِي الدَّوْلَةِ)

(١) شيم (صفات) الصوارم (السيوف). نأى (ابتعد). الطبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف.

(٢) «أَنَّ» بفتح الهمزة - لأنّ الجملة المأوَّلة من «أَنْ وما بعدها» في محلّ نصب مفعول به من «عالم». - أَنَّ النفوس تلاقي من الخير بقدر ما تكون ناوية أن تفعل من الخير.

(٣) الكميّ: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح. ظنوك لا تستطيع ردّ (هزم) أعدائك لأنك لم تستطع من قبل أن تردّ عفاتك (طالبي معروفك) خائبين (بلا عطاء).

ولا يأخذُ (يحاول) في صُحبة نبيلٍ فيصحبَه « (؟) - إلا حدث لهذا النبيل أو لذلك الرئيس حادثٌ مؤلمٌ أو أمرٌ مؤذٍ. فانقطعَ رزقه وسُدَّتْ أبوابُ الرزق في وجهه وعاش مُعزلاً في منزله يشكو غدرَ الزمانِ وخيانةَ الإخوانِ حتَّى قال عليُّ بنُ موسى بنُ سعيدٍ (٦١٠ - ٦٨٥ هـ)، صاحبُ كتاب «القدح المعلّى»: صِرْتُ أتراوِغُ (أتحاشى) عن لقاءه وأدعو الله ألا يُعَذِّبَه بطولِ بقائه (كان يرجو له ألا تطولَ حياته). وكانت وفاته في سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ - ١٢٣٥ م) بعدما أصابه وسواسٌ شديدٌ كاد يذهبُ بعقله كُلِّه.

٢ - كان أبو القاسمِ البلويُّ أديباً شاعراً ناثراً مشهوراً بصناعة الكتابة مُكثراً من النثر والشعر. وأوسع فنونه - فيما يبدو - الأدب. ولما جالسَ أبو العلاء إدريس الموحّدي الوالي على إشبيلية للهناء بمقتل السيد أبي محمد البياسي الناصر عليه (والبياسي من الموحّدين أيضاً)، وذلك سنة ٦٢٣ هـ، قال أبو القاسمِ البلويُّ قصيدةً مطلعها: « يا قُبّة السعدِ هُزِّي قُبّة الوادي » كان لها سيّرةٌ على الألسنة واسعةٌ حتَّى قال ابنُ سعيدٍ أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى (ت ٦٨٥ هـ): « لم ألقَ بإشبيلية من الأدباء والشعراء إلّا من يحفظُها ويلهجُ بذِكْرِها، ثم لا يحفظون ما بعدها ». (القدح المعلّى ١٢٠).

وكذلك كان أبو القاسمِ البلويُّ مُصنِّفاً، صنّف كتاباً في رسائلِ كتابِ عصره.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسمِ البلويُّ الإشبيليُّ، لما آنزوى في بيته بعد أن هجره الناس (نفع الطيب ٣: ٣٢٥):

لِمَنْ أَشْكُو مُصَابِي فِي الْبَرَايَا	وَلَا أَلْقَى سِوَى رَجُلٍ مُصَابٍ!
أَمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَكِيمٌ	لَعَاشَ مَدَى الزَّمَانِ أَخَا اكْتِتَابٍ.
أَمَّا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَفْضَى إِلَيْهِ	بِأَسْرَارِي فَيُؤْنَسَ بِالْجَوَابِ
يَسْتُ مِنْ الْأَنْسَامِ فَمَا جَلِيسٌ	سَرَى عَنِّي الْهَمُومَ سِوَى كِتَابِي ^(١) .

(١) سرى (فعل متعدّي) عني الهموم (مار بها، أذهبا). يقال سرى فلان ثوبه: نزعته عنه.

- ويبدو أنّ أبا القاسم البَلَوِيّ الإشبيليّ كان في أثناء مِحْنَتِهِ القاسية يَكْتُبُ إلى نَفَرٍ من إخوانِهِ يسألُهُم ما يَسْتَعِينُ بِهِ على شَقَاءِ الحِياة. من ذلك:

★ وما كُتِبْتُ إِلَيْكَ، يا أَخِي المُشْفِقَ الحَدَب^(١)، هذا الكِتَابُ إِلَّا وأنا مُوَلَّهُ العَقْلِ تَمَّ حَلِّي في مَن اعتَداءِ الزمانِ وَخِذلانِ الأصحاب. وأشدُّ من ذلك اختلالُ أحوالِ رَبِّي الدارِ وَكونُها جارتُ في أفعالِها وأقوالِها وَجَرَتْ على غيرِ الاختيار:

عِنْدِي مِنَ الحُزَنِ ما لو أَنَّ أُنْسَرَه يُلقَى على الفَلَكِ الدَوَّارِ لم يَدِرْ.
وكيف يَهْنا العِيشُ مَعَ سوءِ الحالِ باطناً وظاهراً ووارداً وصادراً. أخيانِي اللهُ بِالْجِهامِ وَحَيَّانِي بِمُجْلُولِ دارِ السَّلامِ^(٢).

★ لا مُشْتَكَى، يا أَخِي، إِلَّا إِلَيْكَ - وإن كُنْتُ أوردُ من ذلك ما يَشُقُّ عَلَيْكَ.
لَكِنِّي أَعْلَمُ حُسْنَ مُشارَكَتِكَ في السَّراءِ والضَّراءِ^(٣) وَمُحافظَتِكَ على شروطِ الوِدادِ والإِخاءِ.

- وَكُتِبَ في وَصْفِ الفِتْنَةِ التي كانت في أَيامِهِ (حينما كان الإسبانُ يَسْتَوْلُونَ على المَدِينِ الأَنْدَلِسية):

ولو شَهِدْتُ ما لَحْنُ فيه مِن اشتعالِ الفِتْنَةِ واشتغالِ أصنافِ الناسِ بأنواعِ المِحْنَةِ، لَذَهَلْتُ عن تَلْفِيقِ كَلِمَتَيْنِ، وَحَدِثْتُ اللهُ فِيها^(٤) حَمَاكَ بِهِ عن هذا المَوْطِئِ المَسْخُوطِ عَلَيْهِ مِنَ البَيِّنِ^(٥): سَيْفٌ مَجْرَدٌ وَخَيْفٌ مَحْدَدٌ، وَحِقْدٌ لا يَقْتَصِرُ على النَفُوسِ، وَغِلٌّ^(٦) لا يُشْفَى إِلَّا بِقُطْفِ الرُّؤُوسِ.

٤-★★ القِدْحُ المَعْلَى ١٢٠ - ١٢٢؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٣٢٥.

(١) الحَدَب: الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ إِذا حَدا (عَظَفا على وَلَدِها). المَوَلَّةُ: الَّذِي وَلَّاهُ الحَبُّ أو الحُزَنُ (ذَهَبَ بِعَقلِهِ).

(٢) الجِهامُ: المَوْتُ. أخيانِي اللهُ بِالْجِهامِ (أَنقَذَنِي اللهُ مِن شَقَاءِ حَيائِي في الدُّنْيا بِالمَوْتِ). وَحَيَّانِي (اسْتَقْبَلَنِي رِضْوانُ: خازِنُ الجَنَّةِ) بِمُجْلُولِ (عند حُلُولِ: دُخُولِ) دارِ السَّلامِ (الجَنَّةِ).

(٣) السَّراءُ: النِّعْمَةُ وَالرِّخاءُ. الضَّراءُ: الشَّدَّةُ، المَرَضُ الدَّامِ.

(٤) كَذا في الأَصْلِ. اقْرَأ: على ما.

(٥) المَوْطِئُ: المَكانُ الَّذِي يَطا (يَدْعَسُ، يَمشي) النَّاسُ فِيهِ (المَكانُ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ النَّاسُ). المَسْخُوطُ: المَكْرُوهُ. البَيْنُ: الفِراقُ. البِعادُ.

(٦) الغِلُّ: الحَقْدُ.

ابن طلحة الأنصاري

١ - هو أبو جعفر أحمد بن طلحة الأنصاري من أهل جزيرة سُقَّر من أعمال بِلَنْسِيَّة، كان يكتبُ عند ولاة الموحِّدين في الأندلس. فلما ثار محمد بن يوسف بن هود بالصُّخيرات (من عمل مُرسِيَّة)، سنة ٦٢٥ للهجرة، واستقلَّ عن الموحِّدين اتَّخذ ابن طلحة كاتباً. وأصبح لابن طلحة في دولة بني هود مكانةٌ حتَّى إنَّه كان ينوبُ عن الوزير إذا غاب. ثمَّ غَضِبَ ابنُ هود على ابنِ طلحة (لزندقة ابنِ طلحة واستهتاره وتعرُّضه بالهجاء لرجال الدولة) ففرَّ ابنُ طلحة إلى سَبْتَّة (ساحل المغرب). فأحسنَ إليه أبو العباس السبتيُّ (القائمُ بأمر سبتة). ولكنَّ ابنَ طَلْحَة أوغَرَ صَدْرَ أبي العباس (في حديث طويل) فدبَّر أبو العباس مقتله في رَمَضَانَ (وقيل في ثامن شوال) من سنة ٦٣٢ (ربيع عام ١٢٣٥ م).

٢ - كان أبو جعفر بن طلحة فاسقاً مُتَهَتِكاً مُسْتَهْتِراً بالخمرِ والغزلِ مُتَوَثِّباً على الناسِ وكان كثيرَ الإعجابِ بنفسه وبشعره يُحِطُّ من قَدْرِ جميع الشعراء، وشعراء المشرقِ خاصَّة حتَّى أبو تمامٍ والبحرِيُّ والمنتبِّي. وأكثرُ شِعْرِهِ الوَصْفُ للطبيعة وله فيه جَوْدَةٌ. وله هجاءٌ وغزلٌ ومُجَوَّنٌ.

٣ - مختارات من شعره:

- من أوصافه في الطبيعة والخمر:

★ يا هل ترى أظرفَ من يَوْمِنَا قَلَدَ جِيَدِ الْأَفْقِ طَوَقَ الْعَقِيقِ^(١).
وَأَنْطَلَقَ الْوُرُقَ بَعِيدَانِهَا مُرْقِصَةً كُلَّ قَضِيبٍ وَرَيْقٍ^(٢).
والشمسُ لا تشربُ خمرَ الندى في الرُّوضِ إِلَّا بَكْوُوسِ الشَّقِيقِ^(٣)!

(١) قَلَدَ: جعل فلانة (عقداً - بالكسر) جيد (عنق). العقيق: حجر كريم أحمر - كناية عن احمرار الأفق الشرقي بالفجر (قبل طلوع الشمس).

(٢) الورق جمع ورقاء: حامة. العيدان جمع عود (الآلة التي يعزف عليها) كناية عن هديل (غناء) الحمام. قضيب: غصن. وريق (عليه ورق أخضر).

(٣) الشقيق (أزهار شقائق النعمان: بتلاتها حمراء) الشمس لا تشرب خر الندى (لا تبخر الندى الذي يسقط في الليل على الأغصان والأوراق والأزهار.....)

- ★ أَدْرِهَا فَالَسَّمَاءَ بَدَتْ عَرُوساً مُضْمَخَةً الْمَلَابِسِ بِالْفَوَالِي^(١)،
 وَخَدُّ الرُّوْضِ خَفَرُهُ أَصِيلٌ، وَجَفْنُ النَّهْرِ كَحَلٌّ بِالظِّلَالِ^(٢).
 وَجِيدُ الْفُضْنِ يُشْرِفُ فِي لَالٍ تُضِيءُ بِهِنَّ أَكْنَافُ اللَّيَالِي^(٣).
 ★ هَاتِ الْمُدَامَ إِذَا رَأَيْتَ شَبِيهَهَا فِي الْأَفْقِ، يَا فَرْدَا بَغِيرِ شَبِيهِ^(٤)!
 فَالْصُّبْحُ قَدْ ذَبَحَ الظَّلَامَ بِنَصْلِهِ فَغَدَتِ تُخَاصِمُهُ الْحَمَائِمُ فِيهِ^(٥).
 ★ أَلِفْتُ الْحَرْبَ حَتَّى عَلَّمْتَنِي مُقَارَعَةَ الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ^(٦).
 وَلَمْ أَكُ عَالِماً، وَأَبِيكَ، حَرْباً بَغِيرِ لَوَاحِظِ الرَّشَاءِ الرَّيِّبِ^(٧).
 فَهَا أَنَا بَيْنَ تِلْكَ وَبَيْنَ هَذِي مُصَابٌ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ حَبِيبٍ.

★★-٤ المغرب ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥؛ المقتضب ١٥٧؛ القدح المعلي ١١٤ - ١١٧؛ ٨٤: ٤٦ - ٤٧ الوافي بالوفيات ٨: ٤٦ - ٤٧؛ الإحاطة ١: ٢٤٣ - ٢٤٧.

- (١) أَدْرِهَا (طف علينا بها: بالخمير). مُضْمَخَةُ الْمَلَابِسِ (في ملابسها أشياء من الطيب). الفوالي جمع غالية: نوع من الطيب يعمل من أخلاط طيبة الرائحة.
 (٢) خَفَرُهُ (جملة يَجْعَلُ فيحمر). الْأَصِيلُ: بعد العصر وحينما تبدأ الشمس بالانحدار إلى المغيب (فيبدأ الأفق الغربي بالاحمرار). وَجَفْنُ النَّهْرِ (جانبه، ساحله) كَحَلٌّ بِالظِّلَالِ: ظهر على جانبه (شاطئه) لون أسود لَأَنَّ الْأَشْجَارَ عَلَى ضَفْتَيْهِ (بالكسر) تمتع عنه نور الشمس.
 (٣) جيد: عنق. اللَّالُ: جمع لَوْلُؤَةٍ. الْكَنْفُ (بفتح ففتح): الناحية، الطرف. - الصورة بعيدة. إِذَا قَصَدَ الشَّاعِرُ بِاللَّيْلِ «الندي»، فَإِنَّ النَّدَى لَا يَقْطُرُ عَلَى الْأَغْصَانِ إِلَّا بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ بِشَرْفٍ (٢).
 (٤) الْمُدَامُ: الخمر التي أديم طبخها بالنار. شَبِيهِه الخمر في الأفق (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس - راجع البيت التالي). يَا فَرْدَا: أيها السامي الجميل (الذي لا يشبهه أحد في جماله).
 (٥) بِنَصْلِهِ (بطرف الأفق - لَأَنَّ اللَّيْلَ يَنْكَشِفُ أَوَّلًا عِنْدَ الْأَفْقِ ثُمَّ يعلو الضوء في الصباح شيئاً فشيئاً). وَعَلَامَةُ ذَبْحِ الظَّلَامِ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ (الفجر) عَلَى طَرَفِهِ (على الأفق). تُخَاصِمُهُ الْحَمَائِمُ = الْحَمَائِمُ تُخَاصِمُ الصَّبْحَ فِي ذَبْحِ الظَّلَامِ (الليل) لَأَنَّهَا كُلُّهَا تَتَفَنَّى بِأَصْوَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.
 (٦) الْمُقَارَعَةُ: ضرب الأبطال بعضهم بعضاً في الحرب بالسيوف. الْخُطُوبُ جمع خطب (بفتح فسكون): المصيبة).
 (٧) لَمْ أَكُنْ عَالِماً حَرْباً (لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مِنْ أُمُورِ الْحَرْبِ شَيْئاً). الرَّشَاءُ: ابن الغزال (الغلام الجميل). الرَّيِّبُ (الصغير الذي لا يزال يحتاج إلى عناية أمه).

ابن دحية الكلبي

١ - هو الحافظُ مجدُّ الدين أبو الخطَّابِ عمرُ بنُ الحُسينِ بنِ عليٍّ بنِ محمَّد بنِ الجُمَيْلِ ابنِ فَرَح بنِ خَلْف بنِ قُومِس بنِ مَزَلال بنِ مَلال^(١) بنِ بَدْرِ بنِ أَحْمَد بنِ دِحْيَة بنِ خَلِيفَة ابنِ فَرُوة الكلبيُّ - المعروفُ بِذي النَسَبين^(٢) - الأندلسيُّ البَلَنسِيُّ. قال ابنُ خُلْكان (٤٤٨ : ٣) : « نَقَلْتُ نَسَبَهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ خَطِّهِ، وَكَانَ قَدْ قَيَّدَهُ وَضَبَطَهُ كَمَا هُوَ هُنَا ».

وُلِدَ ابْنُ دِحْيَة الكلبيُّ فِي سَنَتِهِ، فِي الْأَغْلَبِ، فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٤٤ هـ^(٣) (آذار - مارس ١١٥٠ م). وَقَدْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ الْمَدِينِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ فَسَمِعَ مِنْ ابْنِ بَشْكَوَال (ت ٥٧٨ هـ) وَابْنِ زَرْقُونِ (ت ٦٣١ هـ). وَيَبْدُو أَنَّهُ سَكَنَ بَلَنسِيَّةً طَوِيلًا حَتَّى عُرِفَ أَيْضًا بِالْبَلَنسِيِّ.

وَتَوَلَّى ابْنُ دِحْيَة الْقَضَاءَ مَرَّتَيْنِ فِي مَدِينَةِ دَانِيَّةَ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهُ لِسِيرَةِ نُعَيْتِ^(٤) عَلَيْهِ، فَرَحَلَ إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ وَتَطَوَّفَ فِي الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةَ فَزَارَ مَدِينَةَ مَرَّاكُشَ وَبِجَايَةَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تُونِسَ، سَنَةَ ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَدَرَسَ الْحَدِيثَ.

بَعْدَئِذٍ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِمَصْرَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَتَطَوَّفَ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَمَارَزَ نَدْرَانَ فَسَمِعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فِيهَا. وَيَذْكُرُ الْمُقَرِّي (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٦ : ٢٧٣ - ٢٧٥) أَنَّ ابْنَ دِحْيَةَ سَمِعَ فِي بَغْدَادَ مِنَ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧ هـ)، وَفِي أَصْفَهَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الصِّدْلَانِيِّ (ت ٦٠٣ هـ)، وَفِي نَيْسَابُورَ مِنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الصَّفَّارِ (ت ٦٠٠ هـ) وَمَنْصُورَ بْنِ الْفَرَاوِيِّ (ت ٦٠٨ هـ) وَالْمُوَيْدِ

(١) قُومِسُ أَوْ الْقُومِسُ (يَفْتَحُ الْقَافَ أَوْ بَضْمَهَا) لَقَبُ فَرَنْجِي، حَاكِمِ. وَابْنُ مَلالَ بِلَدَةٍ بَيْنَ مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ وَمَدِينَةِ فَاسَ (؟؟).

(٢) ذُو النَسَبِينَ أَوْ ذُو النَسَبَتَيْنِ لِأَنَّ جَدَّهُ لِأَبِيهِ دِحْيَةَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَلِأَنَّ أُمَّهُ أُمَةُ الرَّحْمَنِ كَانَتْ مِنْ نَسْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ. وَيَنْكُرُ بَعْضُ النَّسَّابِينَ عَلَى ابْنِ دِحْيَةَ صَحَّةَ هَذَا النِّسْبِ وَيَنْسُبُونَهُ حِينَئِذٍ إِلَى جَدِّ مِنَ الْبَرْبَرِ وَحِينَئِذٍ آخَرَ إِلَى جَدِّ مِنَ الْوَالِي. (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ).

(٣) وَرَوَى أَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ ٥٤٦، ٥٤٧ أَوْ ٥٤٨ هـ.

(٤) لِمَلِكٍ مَعِيْبٍ عَرَفَ عَنْهُ.

الطوسي (ت ٦١٧ هـ). فإذا نحن تأملنا تاريخَ وفياتِ هؤلاء، ثم علمنا أن ابنَ دحية كان في تونس سنة ٥٩٥ هـ، استبعدنا أن يكون قد جاء من تونس إلى مصرَ فمَكَثَ فيها مدةً ثم ذهبَ إلى الحجِّ، وبعد ذلك أدرك ابنَ الجوزي وابنَ الصَّفَّارَ والصيدلانيَّ.

وفي أوائل سنة ٦٠٤ هـ (صيف ١٢٠٧ م) كان ابنُ دحية في إربل متوجِّهاً إلى خراسانَ (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٩)، وكان أميرها الملكُ المعظمُ كوكبوري يستعدُّ للاحتفالَ بمَوْلِدِ الرسولِ فعَمِلَ له ابنُ دحية كتاباً سمَّاه «التنوير في مولدِ السراج المنير» وقرأه عليه بنفسه فأعطاه الملكُ المعظمُ ألفَ دينارٍ.

ثم رَجَعَ ابنُ دحية إلى مصرَ فعَهَدَ إليه الملكُ العادلُ (الأوَّلُ) بتأديبِ ولده محمدٍ. فلما رَقِيَ محمدٌ هذا العرشَ باسم «الملكِ الكامل» (سنة ٦١٥ هـ) أكرمَ ابنَ دحية وبنى له المدرسةَ الكامليَّةَ لعلوم الحديث. ثم تَغَيَّرَ قلبُ الملكِ الكاملِ عليه فعزَّله عن المدرسة.

وكانت وفاةُ ابنِ دحية في القاهرة، في رابعَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ من سنة ٦٣٣ (١٢٣٥/١٠/٣٠ م).

٢ - كان ابنُ دحية الكلبيُّ على المذهبِ الظاهريِّ^(١)، وكان مُحَدِّثاً ثِقَةً (وإن كان نفرٌ من العلماء يُجَرِّحونه) عارفاً باللغةِ فصيحها وحُوشِها^(٢) وبالنحو وبأيامِ العرب وأشعارها. وقد نَشَرَ كثيراً من علم الأندلس في المشرق. غير أن شهرته الصحيحة كانت في رواية الحديث وعلومه.

ولابن دحية شيءٌ من الشعرِ ومن النثر في قصائدَ ورسائلَ ومخاطباتٍ، ولكن هذه كلها ليست من الطبقةِ العالية. ثم هو مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ، فمن مُصَنِّفاته: الابتهاجُ في المعراج - استيفاء المطلوب في تدبير الحروب - أنوارُ المشرقين في تنقيح

(١) المذهب الظاهري مذهب بائد (بطل العمل به). يقوم على الأخذ بظاهر ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وضعه داوود بن علي بن خلف الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ)، وكان أكبر أنصاره في الأندلس أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) الحوشي والوحشي من الألفاظ الغريب القبيح اللفظ القليل الاستعمال.

الصحيحين^(١) المَشْرِقَيْنِ - تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم - سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب - التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق - التنوير على (في) مولد السراج المنير - عصمة الأنبياء - العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور - مَرَجُ الْبَحْرَيْنِ في فضائل المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ - المُستَوْفَى من أسماء المُصطفى - النبراس في خلفاء بني العباس - نهاية السؤل في خصائص الرسول - الجَمَر في تحريم الخمر - المُطَرَّب من أشعار أهل المغرب - كتاب الاعتبار.

ومن خصائص ابن دحية في كتابه «المطرب» أنه يُحَسِّي التراجم فيُورِدُ في كل ترجمة ما يعجبه فلا تكون تلك الترجمة خاصة بصاحبها، بل يكون فيها أجزاء من عدد من التراجم ومن المختارات المختلفة.

ثم هو يعتمد في محاولاته النقدية الذوق ولا يلجأ إلى أسس أو قواعد. وتجد في ترجمته نماذج من هذه المحاولات. أما محاولة دفاعه عن شعراء الأندلس فتراه في مثل النموذج التالي (المطرب ١٤٥):

« وهذا الشعر^(٢) لَوِ رُوِيَ لِعَمْرٍ بنِ أَبِي رَيْبَعَةَ أو لبشار بن بُرْدٍ أو لعباس بن الأحنف^(٣) وَمَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْحَسَنِينَ لَا سَتُغْرِبَ لَهُ. وَإِنْ مَا أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَكَرُهُ مَنْسِيًّا أَنْ كَانَ أُنْدَلِسِيًّا، وَإِلَّا فَمَا لَهُ أُخِيلَ وَمَا حَقَّ مِثْلُهُ أَنْ يُهْمَلَ. وَهَلْ وَصَفُهُ إِلَّا الدُّرُّ الْمُنْتَظَمُ^(٤)؟ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا (أَنْ) نُظْلَمَ فِي حَقِّنَا وَنُهْتَضَمَ؟ يَا لَهِ لِلْأَهْلِ الْمَشْرِقِ قَوْلَةٌ غَاصَتْ بِهَا شَرْقٌ^(٥)؛ أَلَا نَظَرُوا إِلَى الْإِحْسَانِ بَعِينَ الْإِسْتِحْسَانِ وَأَقْصَرُوا عَنْ اسْتِهْجَانِ الْكَرِيمِ الْهَاجَانِ^(٦)، لَمْ يُخْرِجْهُمْ الْإِزْرَاءُ بِالْمَكَانِ عَنْ حَدِّ الْإِمْكَانِ. »

(١) الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم (وهما مجموعان من أحاديث رسول الله).

(٢) وهذا الشعر الرقيق الجيد.

(٣) بشار بن برد والعباس بن الأحنف من الشعراء المحدثين (المحدثين). ومثلها عمر بن أبي ربيعة (وان كان من العصر الأموي، فإن كثيراً من خصائص شعره تشبه خصائص الشعر العباسي المحدث).

(٤) الدرُّ (الؤلؤ) المنتظم (المنظوم في عقد: على نسق معين جميل).

(٥) الغصة: ما يعترض في الحلق ويمنع الطعام أو الشراب من المرور. الشرق: الذي يفص (بفتح الفين) بريقه.

(٦) الاستهجان: عدّ الأشياء قبيحة. الهجان (هنا): الجيد، الكريم الأصل.

ولابن دحية الكلبي أحكام تنحونحو النقد يُريد أن يدافع بها في الأكثر عن شعراء الأندلس ويلتمس العذر في قلة شهرتهم بالإضافة إلى شعراء المشرق. وربما ساق أحكامه هذه مساق الفتح بن خاقان^(١) في جمل عامية لا «توجب حكماً صحيحاً» (راجع المطرب ١٦٤ و ١٧٢):

« في قصائده التي ضربت في الإبداع بسهم، وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وأبن الجهم^(٢) - وهذه القصيدة من غرر القصائد وذُرر القلائد، وكل بيت منها بيت قصيد وواسطة سلك فريد^(٣) ».

وربما آتكا في نقده على النحو وأبدى في ذلك براعة (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

- قال أبو القاسم السهيلي (ت ٥٨١ هـ) أحياناً في الأبتهاال منها:

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلٍ: «كُنْ»،
أَمَنْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ^(٤).

فعلق ابن دحية على هذا البيت بقوله (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

أما رفع «أجمع» في هذا البيت فيجوز أن يكون توكيداً لمكان «إن» الابتدائية، إذ موضعها الابتداء. وهي مؤكدة للجمله لم تُغيّر معناها وإن غيّرت لفظها. ألا تراهم قد عطفوا على اسمها بالرفع - وهو إذا استوفت خبرها، نحو: إن زيدا قائم وعمرو^(٥). وإذا لم تستوف خبرها، فلا يُجيز البصريون ذلك. وذلك أنك إذا قلت: أنك وزيد قائمان، وجب أن يكون «زيد» مرفوعاً بالابتداء، ويكون

(١) الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) صاحب كتاب «قلائد العقيان» (راجع ترجمته).

(٢) حبيب هو أبو تمام الشاعر العبّاسي (ت ٢٣٢ هـ). وعلي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) شاعر عباسي.

(٣) بيت القصيد أو بيت قصيد هو أروع الأبيات في القصيدة (والمقصود من قولها). الفريد (جمع فريدة: لؤلؤة). السلك: الخيط الذي ينظم فيه عقد اللؤلؤ. الواسطة (أكبر حبات العقد، وتكون في وسطه - ولذلك سميت الواسطة).

(٤) الأصل أن تكون «أجمع» (مبنية على الفتح في محل نصب حال: مجموعاً معاً).

(٥) «إن» تنصب (بكسر الصاد) الاسم وترفع الخبر. وقد استوفت هنا اسمها وخبرها (إن زيدا قائم)؛ بقيت «عمرو» فتخرج لإعرابها هنا: إن زيدا قائم، وعمرو قائم.

عاملاً في خبر زيد وإنَّ عامله في خبر الكاف^(١). ولا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد^(٢). وأمَّا الكوفيون فآختلفوا، فذهب الكسائي إلى جواز ذلك مطلقاً، سواء تبين عمل «إنَّ» أو لم يتبين^(٣)، نحو: إنَّ زيدا وعمراً قائمان، وإنَّه وبكرٌ مُنطلقان. وأستدلَّ بقوله جلَّ وعلا: «إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٤)»، فعطف ورفع^(٥). وذهب الفراء إلى أنَّه لا يجوز العطف إلا على ما يبين فيه العمل، نحو: إنَّك وزيد ذاهبان، لأنَّه بعدَم التأثير ضَعُفَتْ، فجاز العطف كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان (ذلك) كذلك، جاز أيضاً توكيد الموضع بالرفع. والله أعلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدِّمة «المطرب من أشعار أهل المغرب»:

..... أمّا بعدُ، فإنَّ مولانا سلطان العرب والعجم، عزَّ الملوكِ العصرية ومالك فضيلتي السيف والقلم، وملك اليمن والشام والديار المصرية: أبا المعالي أبا المظفر محمداً الكامل الكامل الأوصاف - لا برحت ببقائه المالك مهترة الأعطاف مغترة الأطراف^(٦) - تقدّم إليَّ أمره المطاع، الواجب له عليّ من الجهد غاية ما يُستطاع، أن أجمع له ما اجتمع عِندي من الأناشيد التي رويتهَا عن شعراء الأندلس وسائر

(١) في خبر «الكاف» من «أنَّك» (الكاف في محل نصب اسم «إنَّ»). أمّا «زيد» (هنا) فيجوز أن يقال فيها: أنَّك وزيدا (معطوفة على الكاف) قائمان. ويجوز أن يقال: أنَّك وزيد (بالرفع في خبر الكاف)، أي تقول (في الأصل): أنت قائم وهو (أي زيد) قائم، فلما أدخلت «إنَّ» على الجملة، عملت (أثرت) «إنَّ» في الكاف ولم تؤثر في «زيد» (إذ فصلت الكاف بين «إنَّ» و«زيد»).

(٢) المقصود اجتماع عاملين يعملان عملين مختلفين.....

(٣) سواء أتبين عمل «إنَّه» أم لم يتبين.

(٤) القرآن الكريم (٥: ٦٩، سورة المائدة).

(٥) «الذين هادوا» (اليهود) معطوفة على «الذين آمنوا» وفي محل نصب. أمّا «الصابئون» فليست (هنا) معطوفة بل مبتدأ بها (هي مبتدأ على الاستئناف).

(٦) لا برحت: بقيت، دامت. العطف (بكسر العين) الجانب الأعلى من الجسم. مهترة الأعطاف: فرحة مزهوة (مفتخرة). الأطراف: الناطق البعيدة عن العاصمة. معترة الأطراف: قوّة وثيقة الاتصال بالعاصمة أو بأهل الملك (والعادة أن البلاد البعيدة عن العاصمة تكون مهملة معرضة لهجمات العدو وقليلة الولاء للعاصمة في أحيان كثيرة).

المغرب بأقرب الأسانيد^(١). فجمعتُ منها لخدمة مقامه العالي ما يُؤكّل بالضمير ويشرب، ويهتزُّ عند سماعه ويُطرب، في الغزل والنسيب والوصف والتشبيب، إلى غير ذلك من مستطرفات التشبيهات المستعذبة ومبتكرات بدائع بدائه^(٢) الخواطر المستغربة، ولمح سير ملوك المغرب وملح أخبار أدبائه، ورقيق معاني كتّابه، وجزل ألفاظ خطبائه.

وبالجملة، فقد نثّلتُ في هذا المجموع كنانة محفوظاتي في المعارف الأدبية، ولم أخله^(٣) من أخاير ذخائر ما التقطته من أفواه مشايخي من مُشكِلي علمي الغريب والعربية^(٤). إلا أنني لم أقصد جمع ذلك على الترتيب، ولا سلكتُ فيه مسلكي المعهود في التبويب والتهديب، بل استرسلتُ فيه مع الخاطر على ما يجودُّ به ويسمحُ ويعينُ له ويسنحُ^(٥). فالناظر فيه يسرحُ في بساتين ويمرحُ في ميادين ويخرجُ من فنٍّ إلى فنون، والحديث ذو شجون^(٦).

- وقال (المطرب، ص ٢٤) في استيلاء الإسبان على بعض بلاد الأندلس:

قال ذو النسبين^(٧): وقد أخذ الآن هذه البلاد ابنُ أُلريق^(٨) اللعين، وحان لها يومُ شرٍّ ما كان أحدٌ يظنُّ أنه يحين. فتملّكتُ شنترين والأشبونة^(٩) لما خاف أهلها من

(١) الإسناد: رواية الخبر عن رجل رجل. الخبر القريب الإسناد هو القريب من زمننا يرويه رجل أو رجلان أو ثلاثة، بينما الخبر البعيد الإسناد يرويه نفر كثيرون حتّى يصلوا به إلى قائله الأوّل.

(٢) البدائه ما قيل من الشعر على البديهة (بلا استعداد سابق).

(٣) نثّل: استخرج، سجب من وعاء، الخ. الكنانة: وعاء مستطيل توضع فيه السهام. أدخل فلان قلبه من الهمّ: أفرغه. لم أخله: لم أجعله خالياً.

(٤) العربية: النحو.

(٥) عن: ظهر، بان. سنح: مرّ في الخاطر.

(٦) الشجن (بفتح ففتح) الفصن المشتب. الحديث ذو شجون: يبدأ الحديث على نسق واحد ثم يتشعب (يتناول أشياء كثيرة).

(٧) قال ذو النسبين: ابن دحية الكلبي (هو يقول ذلك عن نفسه).

(٨) ابن أُلريق: أنريك، هانريك. وهو هنا بيدرو الثاني ملك أرغون بن ألفونسو أنريكيث (وقد فقدت اللغة الإسبانية صوت الهاء فهم يقولون في هنركو أنريكو).

(٩) شنترين والأشبونة (لشبونة اليوم) ثغران على الشاطئ الغربي (في البرتغال اليوم).

القتل، ورأوا أنَّ الأسرَ دونه^(١)، لكثرة من جاءهم في البرِّ والبحرِ و(ل) حُعود المسلمين عن الحياة لهم والنصر، حتى ملك الكفارُ معاقِلَهُم المُنْتَبِعَةَ وحُصُونَهُم المرتفعة.

- وله من مُقدِّمة قصيدة يمدحُ بها الملك الكامل (وفيها معانٍ صوفية):

أمنازلَ الأحبابِ، أينَ أجيتي؟ فهمُ إذا جنَّ الظلامُ الأنجمُ^(٢).
ولقد وقفتُ برَّبعِ عَزَّةٍ مُنْشِداً: يا ربِّع، أينَ تَرى الأحبَّةَ يَمَمُوا^(٣)؟
ناديتُهم، وهُمُ المنى يَمْنى وقد ضربوا بها حُمرَ القبابِ وخيموا^(٤).
هُمُ في السوادِ، وفي السُودا خيموا: ما أعرقوا، ما أَيْنوا، ما أَشاموا^(٥)!
وهُمُ الذين إذا سُئِلْتُ: مَنْ الذي تهواهُمُ؟ قلتُ: الذين هُمُ هُمُ^(٦)!
أحبابنا، طالَ المطالُ بوعدِكُم لي بالوِصالِ، وطالَ ليلي فيكم^(٧).
حكمتُكُم في مُهجَستي فحكمتُمُ فيها بما شاء الغرامُ وشئتُمُ^(٨).

- (١) رأوا أنَّ الأسرَ دونه: دون (أهون من) القتل.
- (٢) جنَّ الظلام: غطى (كلَّ شيء)، اشتدَّ. هُمُ الأنجم: هم الذين أستاذس بهم وأهتدي بهم في أيام الشدة.
- (٣) الربيع: المكان المسكون. العزة: بنت الطيبة. وعزة محبوبة كثير (بضم الكاف وكسر الياء المشددة) بن عبد الرحمن المُدري الأموي (ويكنى بعزة عن كلِّ محبوبة). يَم: قصد، ذهب.
- (٤) المنى (بضم الميم) جمع منية (بضم فسكون): مراد، غاية. منى (بكسر الميم) منسك في مكة بيت فيه الحجاج (ويكنى بها عن التقرب إلى العزة - بكسر العين - الإلهية). ضربوا (نصبوا) حمر الخيام: الخيام الحمر الكبيرة المصنوعة من جلد، (وتكون عادة خيام الملوك). وخيموا: نزلوا، سكنوا.
- (٥) هم في السواد (سواد عيني): هم قرييون مني جداً. وفي السويدا (السويداء: سويداء القلب)، وفي الكلمة تورية (لأنَّ السويداء أيضاً اسم لعدد من البلدان أحدها قرب المدينة بالحجاز، وأحدها في حوران بالشام وثالثة في أعلى العراق ورابعة في شمالي الشاطئ السوري) في السويداء خيموا (هم في قلبي - كناية عن العزة الإلهية)، ما أعرقوا (ما ذهبوا إلى العراق) ما أَيْنوا (ما ذهبوا إلى اليمن) ما أَشاموا (ما ذهبوا إلى الشام: سورية).
- (٦) مَنْ الذي (يقصد الذين، وهو خطأ استعمله الشاعر لضرورة الوزن). الذين هم هم: المقصودون المعروفون لدى جميع الناس (الله).
- (٧) المطال (بكسر الميم) الماطلة، تأخير الوفاء بالوعد، الإخلاف بالوعد. الوصال: اللقاء. وقد تكون المطال (بفتح الميم) من الطول: طول المدة (أي وعدتُم وعداً بعيد الأجل جداً). طال ليلي فيكم (طال سهري وعذابي في انتظار لقاءكم). طاولة: ما طله (القاموس ٤: ٩).
- (٨) المهجة: دم القلب. - جعلتكم حكماً في قلبي (أعزَّ شيء عندي، نفسي، حبي) فحكمت عليّ بقسوة (ببعدكم عني).

وَرَحَلْتُمْ بِالْقَلْبِ يَوْمَ رَحَلْتُمْ، وَظَعَنْتُمْ بِالصَّبْرِ يَوْمَ ظَعَنْتُمْ.

- ٤ - النبراس في خلفاء بني العباس (حققة عباس العزاوي)، بغداد ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب (بتحقيق إبراهيم الإياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، - بإشراف وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة: إدارة نشر التراث القديم)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م؛ (تحرير مصطفى عوض الكريم)، الخرطوم ١٩٥٤ .
- ★ ★ التكملة (رقم ١٨٣٢)؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠؛ صلة الصلة ٧٣ - ٧٤؛ العبر (للذهبي) ٥: ١٣٤ - ١٣٥؛ عنوان الدراية ٢٢٨ - ٢٣٨؛ بغية الوعاة ٣٦٠؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٠؛ نقح الطيب ٢: ٩٩ - ١٠٤، ٣: ١٣٦ - ١٣٨؛ (الاختلاف في أمره)، ٥: ١١٥ - ١١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٧؛ بروكلمن ١: ٣٧٨ - ٣٨٠، الملحق ١: ٥٤٤ - ٥٤٥؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ - ٢٠٢ (٤٤).

مَرَجُ الْكُحْلِ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله الجزيري الأندلسي المعروف بمَرَجِ الْكُحْلِ أو ابن مرج الكحل نسبةً إلى مَرَجِ الْكُحْلِ على مقرية من بلدة جزيرة شقر قرب بنسنية.

وُلِدَ مَرَجُ الْكُحْلِ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) في مَرَجِ الْكُحْلِ (وفيات الأعيان ١: ٣٧٨) وَنَشَأَ يَتَعَيَّشُ بِنَيْعِ السَّمَكِ يُنَادِي عَلَى بِضَاعَتِهِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَقِيلَ كَانَ أُمِّيًّا. وَكَذَلِكَ كَانَ يَتَزَيَّا بِزَيِّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جَزِيرَةِ شَقْرٍ ثَانِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٦/١١/٣ م).

٢ - كَانَ مَرَجُ الْكُحْلِ أَدِيبًا بَارِعًا فِي النَثْرِ وَالنَّظْمِ، وَهُوَ شَاعِرٌ وَجَدَانِي رَقِيقٌ حَسَنُ التَّوْلِيدِ، وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ الْوَصْفُ وَالنَّسِيبُ وَالْعِتَابُ.

٣ - مختارات من شعره:

- قَالَ مَرَجُ الْكُحْلِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ:

مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ.
أَنْتَ لَا تُذَكِّرُكَ مُتَبِعًا، وَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ!

- وقال في الغزل والنسيب على النهج القديم :

وعندي من مراسفها حديثٌ يُخَبِّرُ أن ريقَتَهَا مُدام^(١).
وفي أجفانها السكرى دليلاً؛ وما ذُقْنَا، ولا زَعَمَ الهُمام^(٢).
تعالى الله، ما أجرى دُموعي إذا عَنَّتْ لِقَلَّتِي الحَيَام^(٣)،
وأشجاني إذا لاحت بُروقٌ وأطربَني إذا غَنَّتْ حَمَام.

- وله قصيدة طويلة في وصف الطبيعة منها:

نَهْرٌ يَهيمُ بِجُسْنِهِ من لم يَهَم ويُجيدُ فيه الشرَّ مَنْ لم يَشعر^(٤).
ما أَصْفَرَ وَجْهَ الشمسِ عندَ غُرُوبِها إلا لفرقةِ حُسْنِ ذاكِ المنظر.
أَرَأَتْ جُفُونُكَ مِثْلَهُ من مَنظرٍ: ظلٌّ وشمسٌ فوقَ خَدٍّ مُعذِر^(٥)؟
وجداولٌ كأراقِمِ حَصْبائِها كُبطونها وحَبابُها كالأَظْهر^(٦).
أَمَلٌ بَلَّغْناهُ بِهَضْبِ حَديقَةٍ قد طَرَّرَتْهُ يَدُ الغمامِ المُنْطر،
فكَأَنَّهُ - والزهرُ تاجٌ فوقَه - مَلِكٌ تَجَلَّى في بَساطٍ أَخضر.

- ٤- ★★ زاد المسافر ٦٩ - ٧١؛ المحدثون من الشعراء ١٤٦ - ١٤٧؛ المغرب ٢: ٣٧٣ -
٣٧٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٨١؛ برنامج
الرعيني ٢٠٨ - ٢١١؛ التكملة ٣٤٤ (رقم ١٠٠٥)؛ الذيل والتكملة ٦: ١١٠ -
١١٧ (رقم ٢٩٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٢٥٢ - ٢٥٦؛ أعمال الأعلام ٢٧٨
(أبيات)؛ نفع الطيب ٥: ٥٠ - ٦٢ (متقطعاً)؛ أزهار الرياض ٢: ٣١٥ - ٣١٦؛
الأعلام للزركلي ٦: ٢٥١ (٢٧).

(١) مدام: خمر.

(٢) في هذا البيت اقتباس من قول النابغة الذبياني عن أبي قابوس النعمان بن المنذر في القصيدة زعم الهمام ولم أذقه، أنه...

(٣) ما أجرى دُموعي: ما أكثر بكائي. إذا عَنَّتْ لِقَلَّتِي الحَيَام: إذا رأيت مسكن المحبوب..

(٤) هام به: أحبه إلى درجة الجنون.

(٥) خَدِّ مُعذِر: بدأ نبات الشعر فيه.

(٦) الجدول: النهر الصغير. الأرقم: الحية. في قاع الجدول حصباء (حصى صغار) بيضاء تجعل القاع مستوياً كبطن الحية. أمّا الحباب (الفقايع على وجه الجدول) فتشبه ما على ظهر الحية.

أبو الربيع بن سالم الكِلاعي الأندلسي

١ - هو أبو الربيع سليمان^(١) بن موسى بن سالم بن حسان بن سالم (وقيل: سليمان) ابن أحمد بن عبد السلام الحميري الكِلاعي (نسبة إلى ذي الكِلاع أحد ملوك اليمن القدماء) الأندلسي، وُلِدَ في خارج مدينة بَلَنْسِيَّة (وقيل: مُرْسِيَّة) - في مُسْتَهَلَّ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١٨ / ٥ / ١١٧٠ م) - ثُمَّ حُمِلَ إلى بَلَنْسِيَّة وعُمِّرَ سَنَتَانِ فَنشَأَ فيها.

سَمِعَ أبو الربيع بن سالم الحديثَ في بلده من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله ابن نوح وأبي الخطاب بن واجب. ثُمَّ إِنَّهُ تَجَوَّلَ في الأندلس وفي المَغْرِب وتلقى أشياء من العلم على جَمَاعَةٍ منهم: أبو عبد الله بن الفَخَّار وعبدُ المُنعم بن الفَرَس وأبو الوليد ابن رُشْد وأبو القاسم بن حُبَيْش وأبو بكر بن الجَدِّ وأبو عبد الله بن زَرْقُون.

وتولَّى أبو الربيع الخطبةَ بالمسجد الجامع في بَلَنْسِيَّة في أوقاتٍ مُتفرقةٍ وتولَّى القضاءَ أيضاً. ولقد كان في أثناء ذلك كُلِّهِ يذهبُ في الغزواتِ ويُباشِرُ القتالَ بنفسِهِ ويُبلي فيه البلاءَ الحَسَنَ.

ولَمَّا شَدَّ الإسبانُ الحصارَ على بَلَنْسِيَّة خرج أبو الربيع على رأس جيش من المسلمين مُجاهداً وخاض معركة أنيعة، وكان يصيح إذا رأى تراخياً خلفه: «أمن الجَنَّة تَفِرُونَ!» حتَّى سَقَطَ شهيداً، في ١٨ من ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢ / ٨ / ١٢٣٧ م).

٢ - كان أبو الربيع سليمان الكِلاعي حافظاً للحديث، مُحدثاً وفقياً مُحيطاً بعلوم اللغة والأدب، يُحِبُّ العلمَ والأدب ويَجْمَعُ حوله العلماء والأدباء حيثُما كان في ولايته. وكذلك كان ناثراً ناظماً. وهو شاعرٌ مُكثِرٌ ضاع مُعْظَمُ شِعْرِهِ. وشعره الباقي لنا يدلُّ على أنه قديرٌ في النظم ميَّال إلى تَكَلُّفِ البديع؛ ونحنُ نَجِدُ على شعره نفحةً دينيةً صوفيةً شديدةً. وفي شِعْرِهِ اعتذارٌ وغزلٌ ونسيبٌ.

(١) هو غير أبي الربيع سليمان بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٠٤ (راجع الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣).

وكانت لأبي الربيع بن سالم الكلاعي تصانيف في الحديث والتاريخ والأدب منها: تحفة الرواد ونجعة الوراد (وقيل: تحية الرواد وتحفة الوراد) في العوالي البدلية^(١) الإسناد - الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء - الإعلام بأخبار البخاري الإمام - المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش. وله في الأدب: جني الرطب في سني الخطب (ثمانون من خطبه في أيام الجمع والأعياد وغيرها) - نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال (بنى فيه الكلام على التوشيح بما تضمنه كتاب أبي عبيد من أمثال العرب واضطرار العرب من الخطباء والأدباء) إليها (إلى الاستشهاد بها) - جهد النصيح وحظ المنيح في معارضة المعري في خطبة الفصح - الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال - مفاوضة القلب العليل ومنازلة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل - مائة مسألة ملغزة - نتيجة الحب الصميم وزكاة المنشور والمنظوم (؟ النثر والنظم) في مثال النعل النبوي على لابسها الصلاة والسلام (؟ أفضل الصلاة والتسليم) - الصحف المنشرة في القطع العشرة - ديوان رسائله - ديوان شعر.

٣ - مختارات من آثاره:

غَضِبَ والي بلنسية على أبي الربيع فأقصاه (سنة ٥٨٧ هـ ٢)، فكتب إليه أبو الربيع يعتذر إليه ويستغفنه (إعتاب الكتاب ٢٤٩ - ٢٥١):

وبعد فكتب الذي قصّر ثم عاين قصده وأبصر، واقترف فأعترف^(٢) وأجترح فلم ير أجدى من أن قرع باب المغفرة واستفتح^(٣). وفي علم المولى أن العبيد أهل الخطأ ومظنة السعي المستبطن^(٤).... ومتى نوقشوا الحساب على كل زلة وعوقبوا في

-
- (١) راجع «الاكتفاء» لأبي الربيع بن سالم، الصفحة: ي.
(٢) عاين قصده: رأى بعينه الغاية المقصودة. اقترف: اكتسب ذنباً.
(٣) أجدى: أنفع. استفتح: طلب أن يفتح له (باب المغفرة).
(٤) المولى: السيد المتفضل المسيطر. مظنة: مكان. المستبطن: الذي يجيء بطيئاً (فيصل بعد فوات الأوان). مظنة السعي المستبطن (من عادتهم أن يتأخروا في إصلاح الخطأ).

كُلَّ ضَلَّةٍ أَفْنَاهُمْ الْعِقَابُ سَرِيعاً وَأَهْلَكَهُمْ التَّأْدِيبُ جَمِيعاً. وَإِنَّا بَقَاؤُهُمْ فِي أَنْ يُسْبَلَ
الْمَوَالِي عَلَى هَفَوَاتِهِمْ سِتْرَ الْإِغْضَاءِ وَيُقَرَّبُوا عَلَيْهِمْ مَدَارِكُ الْإِرْضَاءِ^(١).....

- كتب أبو الربيع بن سالم الكلاعي إلى بحر بن صفوان بن إدريس (سنة ٥٨٧هـ) عَقَبَ انْفِصَالِهِ (خروجه) مِنْ بَلَنْسِيَّةَ:

أَجْنُ إِلَى نَجْدٍ وَمِنْ حَلٍّ فِي نَجْدٍ؛ وَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي حَنِينِي أَوْ يُجْدِي^(٢)؟
وَقَدْ أَوْطَنُوهَا وَادَعِينَ، وَخَلَفُوا مُحِبَّهُمْ رَهْنَ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ^(٣).
تَبَيَّنَ بِالْبَيِّنِ اسْتِياقِي إِلَيْهِمْ

وَوَجْدِي، فَساوَى مَا أَجْنُ الَّذِي أَبْدِي^(٤).
وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَتْهَا وَشَاحٌ بِخَصَرٍ أَوْ سِوَارٌ عَلَى زَنْدٍ.
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلاَقِي مِنَ الْجَوَى؛ وَبَغْضُ الَّذِي لَا قِيَتَهُ مِرٌّ رَدِي^(٥).
فِيالَيْتَ شِغْرِي، هَلْ تَعُودُ لَنَا الْمُنَى وَعَيْشٌ كَمَا نَمْنَمْتَ حَاشِيَتِي بُرْدٍ^(٦).

- قال أبو الربيع الكلاعي لما بدأ شبابه يُفَارِقُهُ وَالشَّيْبُ يَخْطُ شَعْرَهُ:

تَوَلَّيْتُ لَيْالٍ لِلْغَوَايَةِ جُونُ وَوَافِي صَبَاحٍ لِلرِّشَادِ مُبِينٍ^(٧).
رِكَابُ شَبَابٍ أَزْمَعَتْ عَنْكَ رِحْلَةً، وَجَيْشُ مَشِيبٍ جَهَّزَتْهُ مَنْوُنٌ^(٨).
وَلَا أَكْذِبُ الرَّحْمَنَ فِي مَا أَجْنُهُ؛ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ جَنِينٌ^(٩).

(١) يسبل: يسدل، يغطي. الهفوة: الغلطة الصغيرة (غير المقصودة). الإغضاء: إغماض العين عن تقصير الآخرين. المدارك: أسباب الوصول إلى.

(٢) أغنى، كفى، نفع. أجدى: نفع.

(٣) وادع: ساكن، هادئ، مطمئن. الصبابة: الشوق. الوجد: الحزن.

(٤) البين: الفراق، البعاد. جنّ: كتم. أبدى: أظهر.

(٥) الجوى: اشتداد المرض من عشق أو حزن. أردى: أهلك.

(٦) البرد: الثوب من حرير. نغم: طرز الثوب تطريزاً ناعماً (صغير الزركشة).

(٧) تولّت: راحت، ذهبت، انقضت. الغواية (بفتح الغين): البطالة، الضلال. جون: سود. وافي: وصل،

حلّ. صباح: (شيب، هرم). مبین: واضح، ظاهر، أبيض (شيب أبيض).

(٨) الركاب: المطايا، ما يركب للسفر أو للحرب. أزمع: نوى، قصد. المنون: الموت.

(٩) أجنه: أكتمه، أخفيه. الجنين: المكتوم، المخفي.

وَمَنْ لَمْ يَخَلْ أَنَّ الرِّياءَ يَشِينُهُ، فَمِنْ مَذْهَبِي أَنَّ الرِّياءَ يَشِينُ^(١).
لَقَدْ رِيعَ قَلْبِي لِلشَّبَابِ وَفَقَدَهُ، كَمَا رِيعَ بِالْعَلَقِ الْفَقِيدِ ضَنْينِ^(٢)؛
وَالْمَنِي وَخَطُّ الْمَشِيبِ يَلْمَتِي فَخُطَّتْ بَقْلِي لِلشُّجُونِ فُنُونِ^(٣).
وَلَيْلُ شَبَابِي كَانَ أَنْضَرَ مَنَظَرًا وَأَتَقَّ مَهْمَا لَحَظْتَهُ عُيُونِ^(٤).
فَاهَا عَلَى عَيْشٍ تَكَدَّرَ صَفْوُهُ وَأَنْسَرَ خَلَا مِنْهُ صَفَاً وَحَجُونِ^(٥).
وَيَا وَيْحَ قَوْدِي أَوْ قُوَادِي كُلَّمَا تَزَيَّدَ شَيْئِي، كَيْفَ بَعْدُ يَكُونُ^(٦)؟
وَكَيْفَ مَعَ الشَّيْبِ الْمِضُّ سُكُونِ^(٧)! حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي سَكُونٌ بِغُرَّةٍ؛
وَقَالُوا: شَبَابُ الْمَرْءِ شُعْبَةُ جَنَّةٍ؛ فَهَا لِي عَرَانِي لِلْمَشِيبِ جُنُونِ^(٨)!
وَقَالُوا: شَجَاكَ الشَّيْبُ حَدَثَانٌ مَا أَتَى، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونِ^(٩).

- (١) خال: ظن: يشين: يعيب، يَصْمُ الإنسان بالنقص والعيب.
(٢) ريع (المجهول من راع): أخيف، خاف، جزع، العلق: الشيء النفيس الذي يحرص الإنسان على الاحتفاظ به. الفقيد: المفقود، الذي فقده صاحبه. الضنين: البخيل.
(٣) وخطه الشيب: اختلط الشيب بسواد شعره (قليلاً أو كثيراً). اللَّمَّة: الشعر في مقدم الرأس. خُطَّتْ: كُتِبَتْ (بالبناء للمجهول). الشجون: الأحزان. ثم فنون: أنواع، أصناف.
(٤) كان ليل الشباب (سواد الشعر) أنضر (أحسن، ألين، أزهى). أتق: أجعل. مهما لاحظته عيون: مهما يكن عدد الذين يرونه (يقصد: جميع الناس يقولون ذلك).
(٥) الأنس: السرور. خلا منه صفاً (مكان بسفح جبل أبي قبيس بمكة) وحجون (جبل فوق مكة)، يقصد: إذا نزل الشيب بالإنسان انتفى السرور حتى في الأماكن التي يكثر فيها السرور، وهو يشير بذلك إلى البيت القديم:
كأن لم يكن بنين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر!

- (٦) القود: الشعر على جانبي الرأس.
(٧) لا يجوز لقلمي أن يطمن. بغرة: في غفلة (عن نتيجة تزايد الشيب في الرأس). الميضم: المؤلم (لأنه يذكر يقرب انتهاء الحياة).
(٨) شعبة جنة: نوع من الجنون. عراني: أصابني. (في الشباب يكون جنون الإنسان - إتيانه بما لا يعقل - من الفرح. أمّا في الشيخوخة فيكون جنونه من الحزن).
(٩) شجاك الشيب حدثان ما أتى (الإعراب والمعنى غامضان): شجاك (حزنك أو أحزنك) الشيب (فاعل) حدثان (بدل: الأحداث التي جاءت مع الشيب هي التي حزنتك أو أحزنتك). والحدثان (بالكسر) جمع حادث (الناتبة، المصيبة). و «الحديث ذو شجون» (فنون، أنواع) مثل.

- وله من شعره ذي لنفحة الدينية:

أَمْوَالِي الْمَوَالِي، لَيْسَ غَيْرُكَ لِي مَوْلَى؛ وما أَحَدٌ، يَارَبُّ، مِنْكَ بِذَا أَوْلَى^(١).
تَبَارَكَ وَجْهُ وَجْهَتِ نَحْوُهُ الْمُنَى فَأَوْزَعَهَا شُكْرًا وَأَوْسَعَهَا طَوْلًا^(٢).
وما هُوَ إِلَّا وَجْهَكَ الدَّائِمُ الَّذِي أَقْلٌ حَلَى عَلَيَّاهِ يُخْرِسُ الْقَوْلًا^(٣).
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَقَوِّي، فَكُنْ قَوِّي فِي مَطْلَبِي وَكُنِ الْحَوْلًا^(٤)؛
وَهَبْ لِي رِضًا - مَالِي سِوَى ذَاكَ مُبْتَغَى وَلَوْ لَقِيتُ نَفْسِي عَلَى نَيْلِهِ الْهَوْلًا!

- من مقدمة كتاب «الاكتفاء»:

.... هذا كتابٌ ذهبْتُ فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع، باتِّساق الخبر عن سيرة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرِ نَسَبِهِ وَمَوْلَدِهِ وَصِفَتِهِ وَمَبْعَثِهِ وكثيرٍ من خصائصه وأعلامِ نبوته^(٥) وأيامه، من لَدُنْ مَوْلَدِهِ إِلَى أَنْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ وَقَبَضَ رُوحَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَيْهِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ؛ مُقَدِّمًا لَذَلِكَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، وَمُتَمِّمًا - من ذِكْرِ أَوْلِيَّيْتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِلَدَا وَمَحْتَدَا^(٦) - بما يَحْسُنُ عِلْمُهُ وتعليمه، مُلَخَّصًا جَمِيعَهُ من كُتُبِ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ، (أولئك) الَّذِينَ صَرَفُوا إِلَيْهِ اعْتِنَاءَهُمْ وَاسْتَنْفَذُوا^(٧) فِيهِ آثَاءَهُمْ^(٨).... وَلَكِنَّ عِظَمَ الْمُعْوَلِ كَانَ، مُحْكَمِ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ، عَلَى كِتَابِ (مُحَمَّدٍ) بْنِ إِسْحَاقَ^(٩): إِيَّاهُ أَرَدْتُ، وَتَجْرِيدَهُ مِنَ اللُّغَاتِ وكثيرٍ مِنَ الْأَنْسَابِ

- (١) مولى الموالى: سيّد الأسياد (الله). أولى: أحقّ.
- (٢) النى: الأماني؛ الرغبات. أوزعها شكرًا: أعانها على أن تشكر (النعيم عليها). أوسعها طولًا (القوة، القدرة): جعلها أقدر على بلوغ أمانيتها.
- (٣) الحلى جمع حلية (بكسر الحاء): الزينة، الجلال.
- (٤) الحول: القوة، القدرة على التصرف، نفوذ البصر في الأمور. تبرأت إليك من حولي وقوّي (استسلمت إليك واعتمدت عليك).
- (٥) الأعلام: الدلائل، العلامات.
- (٦) المحدث: الأصل الكريم.
- (٧) استنفذوا (في الأصل: بالذال أخت الدال). اقرأ: استنفذوا (بالذال المهملة).
- (٨) الآثاء جمع أُنَى (يفتح فسكون أو بكسر فسكون): الساعة، الجزء من الوقت. استنفذوا آثاءهم: أنفقوا جميع أوقاتهم.
- (٩) محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) صاحب «السيرة النبوية» (وهي مفقودة)، ولكن نجد معظمها في «السيرة» (لابن هشام) وفي تاريخ الطبري.

والأشعار قصدت^(١)، وعلى ترتيبه غالباً جرئت، ومنزعه^(٢) في أكثر ما يخص المغازي تحريت..... ثم بدا لي أن أزيد على هذا المقدار ما يحسن في هذا المضمار، و(أن) أعوض ما حذفت منه من اللغات والأنساب والأشعار، بما يكون - إن شاء الله - مزية الاختيار وبروق عليه رونق الإيثار^(٣) منتقياً ذلك من الدواوين التي طار لها في الناس طائر الشهرة، ومتخيراً له من الأماكن التي لا يستقل بحضر فوائدها وانتقاء فرائدها^(٤) كل مختار..... ثم القصد الثاني متوفر على إيناس الناس بأخبار نبينهم، صلى الله عليه وسلم، وعمارة خواطيرهم بما يكون لهم في العاجل والآجل^(٥) أنفع وأسلم. وقد عم عليه الصلاة والسلام ببركة دعائه سامع حديثه ومبلغه. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما أفاد المسلم أخاه المسلم أفضل من حديث حسن بلغه قبله». «

٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (مكتبة الهلال) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

★★ تحفة القادم ١٣٩ - ١٤٢؛ التكملة ٧٠٨ (رقم ١٩٩١)؛ اعتبار الكتاب ٢٤٩ - ٢٥٣؛ برنامج الرعي ٦٦ - ٧٢؛ المغرب ٣١٦ - ٣١٧؛ فوات الوفيات ١ : ٢٣٠؛ الذيل والتكملة ٤ : ٨٣ - ٩٥ (رقم ٢٠٣)؛ المرقبة العليا ١١٩ - ١٢٢؛ الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣؛ شذرات الذهب ٥ : ١٦٤؛ نفح الطيب ٤ : ٤٧٣ - ٤٧٦ ثم اشارات مختلفة (راجع الفهرس - والرقم ٤ : ٣٢٢ في الفهرس خطأ وصوابه ٣٣٢ - ٣٣٣)؛ الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٩ (١٣٦).

(١) تجريده من اللغات (ذكر الأوجه المختلفة من اللفظة الواحدة) وكثير من الأنساب والأشعار (باختصارها).

(٢) المنزع: الغاية، الاتجاه، المقصد.

(٣) راق: حسن، صار حسناً. الرونق: الجمال المعجب للعين. الإيثار: التفضيل.

(٤) الفريدة: اللؤلؤة النفيسة (الثمينة، الغالية).

(٥) الزمن (العاجل (الدنيا) والآجل (التأخر (الآخرة).

أبو يحيى بن هشام القرطبي

١ - هو أبو يحيى (كُنِيَّتُهُ) أبو بكر (اسْمُهُ) بنُ هشامِ القرطبيّ (أخو أبي القاسم المتوفى سنة ٦٣٢ - انظر ترجمته) قال فيه عليُّ بن موسى بن سعيد المغربي (المغرب ١ : ٧٤ - ٧٥):

هُوَ مِمَّنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ، وَأَذْرَكْتُهُ يَكْتُبُ عَنْ الْبَاجِي مَلِكِ إِشْبِيلِيَّة^(١). وَكُتِبَ عَنِ الْمَأْمُونِ^(٢) أَيَّامَ وَلايَتِهِ عَلَى قُرْطَبَةَ. ثُمَّ لَحِقَ بِالْبَيَّاسِيِّ النَّاثِرِ^(٣) وَكُتِبَ عَنْهُ. ثُمَّ قُتِلَ الْبَيَّاسِيُّ فَاسْتَخْفَى (أبو يحيى) حِينًا ثُمَّ لَحِقَ بِإِشْبِيلِيَّة. بَعْدَئِذٍ حَاولَ أَنْ يَتَرْضَى الْمَأْمُونَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُعْتَذِرًا وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا:

مولاي، إِنَّ بَلِيَّتِي مَعَ خِدْمَتِي خَصَنَانٍ؛ فَاخُكُمُ اللَّيْ هِيَ أَقْدَمُ.
ولكن المأمون لم يَرْضَ عنه.

وكانت وفاة أبي يحيى أبي بكر بالجزيرة الخضراء، سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ - ١٢٣٨ م).

٢ - أبو يحيى أبو بكر بن هشام أديبٌ شاعرٌ ناثِرٌ مُتَرَسِّلٌ. وشِعْرُهُ مُقْطَعَاتٌ وَجَدَانِيَّةٌ فِي الْخَمْرِ وَالْفَزْلِ وَالْوَصْفِ، وَفِي عَدِيدٍ مِنْهَا لَفَتَاتٌ بَارِعَةٌ. وَهُوَ شَيْخُ كُتَّابِ الْأَنْدَلُسِ (فِي وَقْتِهِ)، وَكَانَ سَهْلَ الطَّرِيقَةِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي يحيى أبي بكر بن هشام مقطعات منها:

★ ★ لاموا على حبِّ الصِّبا والكاس لما بدا وَضَحُ المشيبِ براسي^(٤).

(١) الباجي (ولم أقع على اسمه كاملا في نفح الطيب) ناثِر انتزع إشبيلية من ابن هود، ثم قتله ابن الأحمر (نفح الطيب ١ : ٢١٦).

(٢) يبدو أنه إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان يلي قرطبة قبل أن يتولّى الملك (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ).

(٣) لعله السيد أبو محمد من أمراء الموحّدين، ثار بالأندلس، سنة ٦٢٢ أو ٦٢٣ ووصل يده بيد الإسبان. وفي تعليق إبراهيم الإيباري على «القدح المعلن» (ص ٨٩): هو أبو العلاء إدريس بن منصور.

(٤) وضع: بياض.

والفُصْنُ أَحوجُ ما يكونُ لِسَفِيهِ أَمَّانَ يَبْدُو بالأزهارِ كاسِي^(١).
 ★ ★ أَمسى الفَراشُ يطوفُ حولَ كُؤُوسِنَا إِذْ خَالَهَا تحتَ الدجى قِنْدِيلَا^(٢).
 ما زالَ يَخْفِقُ حولَها بِجَنَاحِهِ حَتَّى رَمَتْهُ على الفِراشِ قَتِيلَا^(٣)!
 ★ ★ وَأَغْيَدَ وافى يَغْطِفُ السِكرُ قَدَّهُ؛ وَأَيُّ قَضِيبٍ يَنْثني مِثْلَ قَدِّهِ^(٤)؟
 ... طَلَعَ للأبصارِ في نَرْجِسِيَّةٍ كَلَّوْنَ الذي يشكو مَرارةَ صَدِّهِ^(٥)؛
 وفي يَدِهِ اليمْنى شَبِيهُ عِذارِهِ، وفي يَدِهِ اليسرى شَبِيهُ خَدِّهِ^(٦)!

- وله من جوابٍ على كتابٍ جاءه من صديقي طَلَبَ إليه أن يقوم بإسداءِ صنِيعَةٍ في سبيلِ صاحِبِ حاجَةٍ:

وإلى هذا فَإِنَّا كَتَبْنَا إليكم - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ مِنَ النِّمَاءِ ما يَهْطِلُ غَمَامُهُ، وَمِنَ العِزَّةِ القَعْسَاءُ ما تَتَفَتَّحُ عن زَهْرِ المِسْرَةِ أَكْمامُهُ^(٧)، من قُرْطَبَةٍ حَرَسَهَا اللهُ، والحِيرَاتُ تَزْدَحِمُ عَلَيْنَا، والمِسْرَاتُ تَتَسَابَقُ إِلَيْنَا. والذي بَيْنَنَا لا يَحْتَاجُ إلى وَساطَةِ الأَقلامِ، ولا يُخافُ عليه تَغْيِيرُ اللَّيالي والأَيامِ. ولَمَّا وَصَلَ بِكِتابِكُمُ الرِّمَجِيُّ المَحفوظِ المَقْبُولِ المَلْحوظِ الفَقِيهُ أَبُو فلانٍ وَجَدَ مِنْهُ فيما التُمِسَ ضِدًّا ما وَجَدَ المُتَلَمِّسُ. وعادَ من قِضاءِ

(١) هذا يخالف لما يعرفه الفلاحون: إِنَّ الأشجارَ والنباتات التي تنعقد أزهارها ثمرًا تَعطِّشُ في زمن إزهارها.

(٢) خالها: ظنَّها.

(٣) خفق الطائر: طار. خفق (الفراش): اضطرب وتحرك.

(٤) الأغيد: الجميل. وافى: أتى (إلينا). قَدَّهُ: قامته (جاء يتأيل من كثرة سكره). القضيبي: الفصن. وأيُّ قضيبي ينثني مثل قَدِّهِ؟ أيُّ الأغصان يكون تمايلها محبَّباً إلى النفس مثل تمايله!

(٥) الحرف الأول من الكلمة الأولى ساقط. لعلَّ الكلمة: «تَطْلَعُ» (طلع، طلع علينا: جاء إلينا). نرجسية (يبدو أنها نوع من الثياب، أو ثياب بلون قلب النرجس، أي صفراء). الصد: الإعراض والمهجر. كلون: أصفر اللون.

(٦) العذار: الشعر النابت في الوجه. - لو قال: «وفي كفِّهِ (مرتين) لتلافى الزحاف (بفتح الزاي، بلا تشديد للحاء) «خطف المدَّ» (حذف السكون). - كان يجعل في يده اليمنى قضيبي آس وفي يده اليسرى وردة.

(٧) القعساء: العالية (النيمة). الكم: الكأس (الأوراق الخضر التي تضمُّ الزهرة قبل تفتحها).

غَرَضُهُ عَوْدَ الْمُبَاكَرِ الْمُغْلَسِ^(١). وَهُوَ لَعَمْرَ اللَّهِ أَهْلٌ لَأَنْ تَتَحَقَّقَ أَغْرَاضُهُ وَلَا تَتَصَوَّحَ^(٢) بِالْإِهْمَالِ رِيَاضَهُ. وَمِثْلُهُ مَنْ تُشْفَعُ فِيهِ وَتُطَلَّبُ لَهُ مَا يَكْفِيهِ.

★★-٤ المغرب ١: ٧٤-٧٥، تحفة القادم ١٥٩؛ القُدح المَعْلَى ٨٩-٩٣؛ نفح الطيب ٤: ٢٠-٢١ (٨٩)، قطعتان ترويان لابن القاسم بن هشام، وهما مرويتان في القُدح المَعْلَى لصاحب هذه الترجمة).

أبو بكر بن الصابوني الإشبيلي

١- هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الصابوني الصديقي الإشبيلي، وكان أبو بكر بن الصابوني يُلقَّبُ بالحمار، لقَّبه به أبو علي بن الشلوين فَلَزِمَهُ هذا اللقبُ؛ وكان هو يَقلِّقُ منه ويكرهه (الذيل والتكملة ٦: ٥٩؛ نفح الطيب ٣: ٥١٩؛ القُدح المَعْلَى ٧٠).

وأبو بكر بن الصابوني من أهل إشبيلية، رَوَى عن أبي الحسن الدبَّاج وأبي الحسين ابن زَرْقُونٍ وأبي علي بن الشلوين (الذيل والتذكرة ٦: ٥٩). أمَّا أبو الحسن علي بن جابر الدبَّاج فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٦ (صلة الصلة، ص ١٣٧). وأمَّا أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوين (صلة الصلة، ص ٧٠) أو بآبن الشلوين فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٥. وأمَّا أبو الحسين بن زَرْقُونٍ (الذيل والتكملة ٦: ٥٩) فلم أَهْتَدِ إلى شيءٍ من تفاصيل حياته، ولكنَّ القرينة تدلُّ على أَنَّهُ كان مُعاصِراً للشلوين وللدبَّاج. ومن الغريب أن يكون أبو بكر بن الصابوني قد رَوَى عن جماعة توفُّوا بعده بِبُضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، إِلَّا أَن يكونَ هو أَصْفَرَ سِنًا ولكن

(١) التلمس: شاعر جاهلي (خال طرفة بن العبد) كتب له عمرو بن هند (أحد المناذرة من حكام الحيرة) صحيفة (رسالة) إلى عامله على البحرين. وكان عمرو بن هند قد أوهم التلمس أن في الصحيفة أمراً إلى العامل بعطية له، مع أنه كان قد أمر العامل فيها بقتل التلمس. المغلس: (ظلام آخر الليل): باكراً جداً.

(٢) صَوَّحَ وَتَصَوَّحَ: يبس.

أَعْتَبْتُ - مات شاباً - قبلهم، وأنا أَرْجَحُ ذلك لِمَا ستراه في قِسمِ خصائصه (رقم ٢، من هذه الترجمة).

واتَّصلَ أبو بكر بن الصابوني^٢ برجالِ الدولتين الموحّدية والحفصية: تقدّمت مكانته عند أبي العلاء إدريس بن يعقوب الملقّب بالمأمون الموحّدي، تاسع سلاطين الموحّدين (٦٢٦ إلى آخر ٦٢٩ هـ). ثم رأى أن يقصّد سلطان إفريقية (القطر التونسي) أبا زكريّا يحيى الأوّل مؤسّس الدولة الحفصية وأوّل سلاطينها (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) فلقيه في مليانة (القطر الجزائري) ومدّحه بقصيدة مطلّعها (المغرب ١: ٢٦٣):

الله جارك في حلٍّ ومُرتحلٍ، يا مُغلياً مِلَّةَ الإسلام في المِلَلِ.
ويبدو أنّه لم يَنَلْ ما يُؤمّله فعزّم على الرحلة إلى المشرق. فلما وصَلَ إلى مِصرَ لم يَجِدْ مَنْ قَدَرَهُ قَدْرَهُ^(١)، و«عاجلته مَنِيئُهُ» فمات في الإسكندرية قبل سنة ٦٣٨ للهجرة (المغرب ١: ٢٦٣). أو في طريقه بين القاهرة والإسكندرية (يريدُ مُغادرة مِصرَ، سنة ٦٠٤ (أربع وستّائة)، كما وردَ في قَوَاتِ الوَفَيَاتِ (٢: ٢٠٩) وفي «اختصار القدح المملّي» (ص ٧٠) وفي الوافي بالوفيات (٢: ٩٩). أمّا سنة ٦٠٤، فلا رَيبَ في أنّها خطأ مطبعيٌّ، ممّا نرى من اتّصاله بالمأمون الموحّدي (جاء إلى الحُكم سنة ٦٢٦) ويحيى الحفصي (جاء إلى الحُكم سنة ٦٢٥). وفي «المغرب» أنّه تُوفّيَ قبلَ ٦٣٨ (ثانٍ وثلاثين وستّائة). ولعلّ التاريخ الذي اقترحه خيرُ الدين الزركليّ (الأعلام ٦: ٢١٥، الطبعة الرابعة ٥: ٣٢٠) قريبٌ من الصواب، أي ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م). وقيلَ إحسانُ عبّاسٍ (نفع الطيب ٣: ٥١٨، الحاشية الأولى) سنة ٦٣٦ للهجرة.

٢ - يبدو أنّ أبا بكر بن الصابوني لم يكن سليم الأعصاب، بل كان مريضها. فقد كان ضيق الصدر شديد الانحراف عن المسلك الاجتماعي السويّ، سيئ التصرف. والأغلب أن أستاذه أبا عليّ الشلوبيني قد لقّبه بأسم «الحمار» من أجل ذلك كلّهُ. وفي نفع

(١) قدر الإنسان الشيء قدراً: بيّن مقداره، عرف مكانته وقيّمته.

الطيب (٣: ٥١٨) حِكَايَةُ تَشْرُحُ شَيْئاً مِنْ هَذَا:

كَانَ ابْنُ الصَّابُونِيِّ فِي مَجْلَسِ أَحَدِ الْفُضَلَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ فَقُدِّمَ - فِيمَا قُدِّمَ (فِي ذَلِكَ الْمَجْلَسِ) - خِيَارٌ. فَجَعَلَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ يُقَشِّرُ (وَاحِدَةً مِنْهَا) بِسِكِّينٍ. فَخَطَفَ ابْنُ الصَّابُونِيِّ السِّكِّينَ مِنْ يَدِهِ. فَالْحَ عَلَيْهِ (ذَلِكَ الْأَدِيبُ) فِي (رَدِّهَا إِلَيْهِ). فَقَالَ لَهُ ابْنُ الصَّابُونِيِّ: «كَفَّ عَنِّي وَإِلَّا جَرَحْتُكَ بِهَا». فَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ (لِذَلِكَ الْأَدِيبِ): «أَكْفُفْ عَنْهُ لئَلَّا يَجْرَحَكَ وَيَكُونَ جُرْحُكَ جُبَاراً، تَعْرِضُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُرْحُ الْعَجَاءِ جُبَارٌ»^(١). فَأَغْتَاطَ ابْنُ الصَّابُونِيِّ، وَخَرَجَ مِنَ الْأَعْتِدَالِ، وَأَخْطَأَ بِلِسَانِهِ. وَمَا كَفَّ إِلَّا بَعْدَ الرَّغْبَةِ وَالتَضَرُّعِ.

أَمَّا فِي الشَّعْرِ فَكَانَ جَيِّدَ الْمَعَانِي مَتَيْنَ السِّبْكَ جَزَلَ الْقَوْلِ. وَفَنُونُهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَالْحِمَاسَةُ (وَصِفَ الْحَرْبِ) وَالْوَصْفُ وَالْغَزْلُ وَالْحِكْمَةُ. وَلَهُ مَوْشَحَاتٌ أَيْضاً ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مَشْهُورٌ، وَلَكِنْ تَطَرَّفَهُ فِي الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ (وَقَدْ وَرِثَ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ) قَدْ كَسَبَهُ عِدَاوَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَلْقَى سِتَاراً عَلَى شُهْرَتِهِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ:

- لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ الصَّابُونِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ شَعْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحِمَاسَةِ (وَصِفَ الْحَرْبِ)، رَاجِعِ «الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ» (٢: ٩٩)، مِنْهَا:

أَلْقَيْتُ إِلَى الْهَرَبِ الْأَعْدَاءَ أَنْفُسَهَا وَمَا عَبَيْتُ لَهَا جِيشاً سِوَى الرَّهْبِ^(٢).

(١) جِبَارٌ (بِالضَّمِّ): هَدْرٌ (بِفَتْحِ فَسْكَوْنِ)، لَا قِصَاصَ فِيهِ وَلَا ضَمَانَ لِمَا تَتَلَفَهُ الْعَجَاءُ (أَيُّ الدَّابَّةِ، الْحَيَوَانِ). وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَصْبَحَ الْمَادَّةُ الرَّابِعَةُ وَالتَّاسِعِينَ مِنَ الْمَوَادِّ الْكَلْبِيَّةِ فِي مَجْلَةِ الْأَحْكَامِ الْعَدْلِيَّةِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ لَيْسَتْ مُطْلَقَةً، وَلَكِنَّهَا مُشْرُوطَةٌ بِشُرُوطٍ وَأَحْوَالٍ. إِذَا جَنَّتِ الْعَجَاءُ جُنَايَةً مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا (كَأَنَّهُ خَطَفَ ثَلَبَ دَجَاجَةٍ أَوْ أَكَلَ ذَنْبَ خُرُوفٍ أَوْ كَانَتْ دَابَّةً تَرَعَى فِي مَرْعَى عَامٍ ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ دَعَسَتْ طِفْلاً) فَجُنَايَتُهَا تِلْكَ لَا تَعَاقِبُ هِيَ عَلَيْهَا (لَأَنَّ الْعِقَابَ أَوْ الْقِصَاصَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ التَّكْلِيفِ، وَالتَّكْلِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ الرَّاشِدِ الْمُمَيَّزِ). وَلَكِنْ إِذَا كَانَ رَجُلٌ يَرْكَبُ دَابَّةً فِي السُّوقِ أَوْ فِي مَكَانٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ دَعَسَتْ تِلْكَ الدَّابَّةُ طِفْلاً فَارَاكَبَ تِلْكَ الدَّابَّةَ (أَوْ صَاحِبَهَا إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا قَاصِراً، وَكَانَ يَرْكَبُهَا بِإِذْنِهِ أَوْ بِغَفْلَةٍ وَتَقْصِيرٍ مِنْهُ) ضَامِنٌ لِلضَّرْرِ الْحَاصِلِ مِنْهَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهِ.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ: عَيَّيْتُ. وَالصَّوَابُ: عَبَا الْأَمِيرَ الْجَيْشَ يَعْبَاهُ (بِفَتْحِ الْبَاءِ) أَوْ عَبَاهُ يَعْبُوهُ أَوْ عَبَّاهُ (بِالتَّشْدِيدِ): حَشَدَهُ وَجَهَّزَهُ. الرَّهْبُ: الْخَوْفُ.

خيرُ الكتائبِ ما لم يُغْنِ غائبُهُ؛ وأفضلُ الفتحِ ما وافى بلا تَعَبٍ^(١).
 ★ والبِيضُ تُسْكِنُ أوصالُ الكُماةِ، وقد شَحَا له الضربُ كالأفواهِ للجدَلِ^(٢).
 إذا المقاتِلُ عن قَصْدِ الردى كَهَمَتْ سَوَى لها الطعنُ مثل الأعينِ النَّجْلِ^(٣).
 وللشِّفارِ شُرُوعٌ في الدَّرُوعِ كما تواترَ الطيرُ في الغُدرانِ للنَهْلِ^(٤).

- ولأبي بكر بن الصابوق في الغَزَلِ أيضاً أشياء كثيرة (فوات الوفيات ٢: ٢١٠؛
 الوافي بالوفيات ١٠٠: ٣؛ ٥١٨، ٤: ١٦٠):

أَمَّا وَعِذارٍ فوقَ حَدِّكَ، إِنَّه لَأَنكَأُ فِعْلِي مُقْلَتَيْكَ لِفَاعِلٍ^(٥).
 وما خَبِلْتُ نَفْسي إِلَيَّ بَأَنه سَتَفْعَلُ أفعالَ السيوفِ الحِماثلِ^(٦).

(١) الكتيبة: الجيش. ما لم يغني غائبه (ما لم تكن محتاجاً معه إلى نجدة). - خير الجيوش ذلك الجيش الذي معك وهو قادر وحده على إحراز النصر.

(٢) البيض جمع أبيض: سيف. تسكن (كذا في الأصل)، أقرأ: تمكن (تساعد، تعين). أوصال جمع وصل (بالكسر أو بالضم): عظم مستقل في الجسم، عضو (يد، ذراع). الكمي: الشجاع الكامل. عدّة الحرب من السلاح. شحا القتال يشحو (اتسع مجال القتال فيه - بعدت فيه المسافة بين المتقابلين)، من أجل ذلك يستطيع المقاتل أن يجعل السيف صلة لذراعه ثم يدها فيصل بالسيف إلى خصمه. الضرب: القتال بالسيف. كالأفواه للجدل (للجدال والخصومة)..... التشبيه «كالأفواه للجدل» غامض (إلا أن يكون المقصود: عند اشتداد القتال). هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي زكريا يحيى الأول الحنصلي.

(٣) المقتل: المكان في الجسم إذا أصيب مات صاحبه (كالعنق والقلب). الردى: الموت. كهم: أبطأ. العين النجلاء (الواسعة). - يقول: إذا كانت الجراح بالسيوف والتي تصيب المقاتل (من الخصوم) لم تكن كافية لتميت الخصم الذي أصيب في مقتلته، فإن الطعن (بالرماح) حينئذ يصل إلى جسم الخصم (لأنّ الرمح أطول من السيف) ويحدث فيه جراحاً واسعة (كبيرة) تميته.

(٤) الشفرة: السيف. شروع: بدء. تواتر: توالى وتتابع بسرعة. الغدير: فرع يخرج من النهر. النهل: الشرب. - يقول: تبدأ السيوف أولاً فتقطع دروع الخصوم في أماكن مختلفة يستطيع الرمح أن ينفذ (بضم الفاء) منها إلى جسم الخصم.

(٥ و٦) وعذار (الواو للقسم. العذار: الشعر النابت على جانبي الحدين والذي يؤلف فيها بعد اللحية). نكأ الرجل خصمه: جرحه وقتله. المقلة العين. يشبه الشاعر عيني المحبوب بالسيف، ويشبه عذاره (بالمثنى) بمحالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) السيف. ثم يقول: المألوف أن السيف (هنا عيني المحبوب) هو الذي يقتل، ولكن أرى الآن أن حالة السيف (الشعر على خدي المحبوب) هو الذي يقتلني (بجملتي متيماً بحب صاحبها). فعلا مقتلتيك (عينيك): إيقاع الناظر في حبك ثم قتل الناظر إليك.

- ★ رأيتُ في خبده عذاراً خلعتُ في حبه عذاري^(١) .
 قد كتبتُ الحسنُ فيه سطرًا: (ويولجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ)^(٢) .
 ★ أقبلَ في حُلَّةٍ مُورَدَةٍ كالبدْرِ في حُلَّةٍ من الشَّقَقِ^(٣) .
 تحسُّبُه كُلُّما أراقَ دمي يمسحُ في ثوبه طَبْيَ الحَدَقِ^(٤) .
 ★ بعثتُ بِمِرْآةٍ إِلَيْكَ بِدِيعَةٍ فأطْلَعَ بِسامي أَفقها قَمَرَ السَّعْدِ^(٥) ،
 لتَنْظُرَ فيها حُسْنَ وجهك منصفًا وتعْذُرني فيما أَكُنَّ من الوجدِ^(٦) .
 فأرْسِلْ بِذاك الحَدِّ لَحْظَكَ بُرْهَةً لتجنِّي منه ما جناه من الوردِ^(٧) .
 مثالكُ فيها منك أَقربُ مَلَمَسًا وأكثرُ إحسانًا وأبقى على العهدِ^(٨) .

- كانَ أَحَدُ الفُقهاءِ قد سألَ أبا بكر الصابونيَّ الإِشيليَّ أَنْ يَنْظِمَ لَهُ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ
 بما يَجُوزُ مِنَ البَيْعِ وبما يُعَدُّ مِنَ البَيْعِ رِبًا^(٩) . فقال أبو بكر الصابونيُّ (الذيل والتكملة
 : ٦٠ : ٦) :

- (١) عذار (راجع الحاشية السابقة) . خلع فلان العذار (الرسن) : اندفع في طلب الشهوات جهراً بلا حياء .
 (٢) في القرآن الكريم (١٢ : ٦١ ، سورة الحج) : « ذلك بأنَّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
 وأنَّ الله سميع بصير » . يولج : يدخل أحدهما في الآخر كُلِّما زاد ضوء النهار نقص ظلام الليل ، وكلِّما
 زاد ظلام الليل نقص ضوء النهار . يشبه الشاعر وجه المحبوب بالنهار لبياضه ، ويشبه عذار المحبوب
 بالليل لشدة سواده .
 (٣) حُلَّة : ثوب . مُورَدَة (ذات لون أحمر) . الشَّقَق : اللون الأحمر على الأفق الغربي بعد غياب الشمس .
 (٤) أراق : سفك ، أسال ، أجرى - - كُلِّما جرحني المحبوب وهو ينظر إليَّ . الطَبَّة (بضمّ ففتح بلا تشديد) :
 حدّ السيف . الحَدَقَة : العين . - - إِنَّ اللونَ الأحمر في ثوبه من كثرة ما مسح أجفانه بثوبه بعد تكرار
 النظر إلى المحبِّين وجرحهم بسيف عينيهِ .
 (٥) فأطلع سامي أَفقها (في الجزء الأعلى من المرأة) قمر السعد (وجهك) .
 (٦) كن الرجل الشيء وأكثته : ستره . الوجد : الحزن (وألم الحب) .
 (٧) برهة : مدّة لتجنِّي : تقطف (تتمتّع) . منه (من خدك) . ما جناه : ما أجرم فيه (ارتكب جناية) من
 اكتسائه بدماء الماشقين .
 (٨) فيها (في المرأة) . أَقرب مَلَمَسًا (أكثر ثباتًا ، لا يتغيّر) وأكثرُ إحسانًا (إلى الناس لأنَّ خيالك في المرأة لا
 يستطيع أن يؤذي أحداً ، إذ لا يراه أحد غيرك) . وأبقى على العهد (٩) .
 (٩) الربا : استبدال عرض (سلعة) بعرض مله (مال بمال ، حنطة بحنطة ، تمر بتمر ، الخ) بنسيئة (بتأخير
 في ردّ الدين) وبزيادة في المقدار (مائة دينار مكان سبعين ديناراً أو ستّة أرطال تمر مكان خمسة
 أرطال تمر) .

إِذَا أُرِدَتْ صَحِيحَ الْبَيْعِ تَعَلَّمَهُ
 مِنْ جِنْسٍ فَاسِدٍ فَاسْتَفْتَنِي وَسَلَّ (١)
 إِنْ وَافَقَ الثَّمَنُ الثَّمُونُ فَاجْتَمَعَا
 فِي الْجِنْسِ كَانَا عَلَى قَسَمَيْنِ فِي الْعَمَلِ (٢):
 فَإِنْ يَكُنْ رَبَوِيًّا لَمْ يَجْزُ أَبَدًا
 - إِذَا تَفَاضَلَ مَنْسِيًّا إِلَى أَجَلِ (٣) - ،
 وَإِنْ يَكُنْ ضِدًّا هَذَا، فَلَتَكُنْ أَبَدًا
 مِنْ أَنْ يُبَاعَ بِتَأْخِيرٍ عَلَى وَجَلِ (٤).
 وَبَعَثَهُ نَقْدًا بَفَضْلٍ أَوْ مُثْلَةٍ،
 وَأَسْلَكَ سَبِيلِي؛ فَهَذَا أَوْضَحُ السُّبُلِ (٥).
 وَإِنْ هَا أَفْتَرَقَا فِي الْجِنْسِ وَاخْتَلَفَا
 لَمْ يَخْلُوَا أَنْ يَكُونَا سَاعَةً الْبَدَلِ (٦)
 إِذَا طَعَامَيْنِ أَوْ عَيْنَيْنِ قَدْ حَضَرَا
 أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هَذَا الرَّأْيُ لَمْ يَقْبَلِ (٧).
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ عَيْنًا لَمْ يَكُنْ أَبَدًا
 فِيهِ النِّسَاءُ بِوَجْهِهِ فَاعْتَقَلَ هَمْلَ (٨)

- (١) البيع الصحيح: الجاري على قواعد الشرع الإسلامي (تفصيل ذلك في الآيات التالية).
 (٢) إذا وقع الاتفاق على ثمن بضاعة وكان الثمن والبضاعة من جنس واحد (أي بيع نوع من التمر بنوع آخر من التمر) فلذلك وجهان.
 (٣) البيع الربوي (راجع الحاشية بمقدمة هذه المقطوعة). تفاضل الشيطان: زاد أحدها على الآخر. المنسي (اقرأ: النسوء: المؤجل، المؤخر). لا يجوز بيع بضاعة بسعر أعلى من سعرها الحاضر احتجاجاً بأن ثمنها سيقبض بعد مدة.
 (٤) وإذا لم يكن المقصود من البيع ربا (دينياً لعجز المشتري عن دفع الثمن فوراً) فاحرص على ألا تقبل بذلك (التأجيل في الدفع).
 (٥) بيع البضاعة نقداً بفضل (بزيادة في الثمن: ربحاً صافياً) أو ماثلة (بمثل ثمنها).
 (٦) وإذا كانت البضاعة مختلفة (في النوع من الثمن.....) (راجع البيت التالي).
 (٧ و ٨) إما أن يكون الثمن والبضاعة طعامين (قمحاً وقرناً أو جوزاً ولحماً، الخ) أو عينين (معدنين من معادن =

وَمِثْلُهُ كُلُّ مَطْعُومٍ سَمِعْتَ بِهِ،
فَلْتَسِرْ فِي أَثَرِي تَأْمَنَ مِنَ الزَّلَلِ (١).
وَمَا عِدَا ذَيْنِ كَانَ الْبَيْعُ أَجْمَعُ
فِيهِه يَجُوزُ، فَلَا تَرْكَنْ إِلَى الْعِلَلِ (٢).
إِلَّا إِذَا كَانَ مَا تُعْطِي إِلَى أَجَلٍ
مِنْ جِنْسٍ مَا بَعْتَ، فَأَخَذَرِ ذَاكَ وَأَمْتِثِلِ (٣).
أَوْ كَانَ أَكْلًا، وَلَمْ يَقْبِضْهُ مِنْكَ فَلَا
تَزِدْهُ أَكْلًا نَمِيئًا. خُذْ بِذَا وَقُلْ (٤).
وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مَطْعُومًا وَيَقْبِضُوهُ
فَلَا تَرُدَّ طَعَامًا مُنْسَأً تُحِلُّ (٥).
وَإِنْ يَكُنْ رَبَوِيًّا فِي الطَّعَامِ فَلَا
تَزِدْهُ مِنْ جِنْسِهِ، حَيَّتْ مِنْ رَجُلٍ (٦).

- = النقد أو العملة: ذهباً وفضة) فيجوز تبادلها (بزيادة أحدها على الآخر) ولكن بلا تأجيل في الاستيفاء. فاعتقل همل (٢). اقرأ: اعتقد همل (تركى للوجه الآخر: بيع فضة بذهب مع فضل - زيادة مقدار أحدها على الآخر - نقداً وفوراً جائز (٢). قال الرأي فيقول: أخطأ.
- (١) ومن باب الاحتياط كل مطعوم (مادة للطعام) تعامل معاملة القمح والتمر (راجع الحاشية السابقة). يرى نفر من الفقهاء أن كل طعام يبيع بطعام آخر مع فضل أو بزيادة أحدها على الآخر في المقدار فهو ربا. ويرى آخرون أن الربا خاص بالمواد الأساسية (لا تدخل فيها الفاكهة مثلاً).
- (٢) ما عدا ذين (هذين): الطعام والنقد أو العملة فالبيع فيه جائز (مثلاً وفضلاً: بثلثين المثل أو بربح أكبر، ونقداً أو ديناً). لا تركن (تطمئن، تلجأ) إلى العلل (تخريج الأسباب).
- (٣) إلا إذا كان الثمن المؤجل من جنس البضاعة مع زيادة في مقدار أحدها (فهذا ربا): أربعة أرتال قمح بخمسة أرتال قمح بعد مدة.
- (٤) وكذلك إذا كانت البضاعة مما يؤكل، ولم يقبض ثمنه فوراً، فلا يجوز أن تزيد في مقدار البديل (إذا كان ذلك البديل من جنس تلك البضاعة المأكولة ثم كان ذلك البديل أيضاً موجلاً إلى زمن لاحق).
- (٥) وإذا كانت البضاعة طعاماً وقبضته فوراً، فلا تردّ بدله طعاماً مثله منسأً (موجلاً) تحل (يكن ذلك منك حيلة؟)، فهذا أيضاً ربا.
- (٦) وإذا استدان رجل طعاماً على أن يؤدي فيما بعد بدله طعاماً مثله فلا يجوز أن يكون في البديل زيادة في المقدار.

وفي المزيّد على المُبتاعِ تَقِيضُهُ

على الإقالةِ أَضْلُ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ^(١).

- ولأبي بكر بن الصابوني مُوشَّحَةٌ حَسَنَةٌ مَطْلَعُهَا وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ

:١٠ : ٧)

قَسَمًا بِالْهَوَى لِيَذِي حَجَرٍ مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجَرٍ^(٢).

★ ★ ★

خَمَدَ الصُّبْحُ لَيْسَ يُطْرَدُ.

مَا لِلَّيْلِ فِيهَا أَظُنُّ غَدًا.

صَحَّ، يَا لَيْلُ، أَنَّكَ الْأَبَدُ.

أَوْ تَقَضَّضَتْ قَوَادِمُ النَّسْرِ فَنُجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِي^(٣).

- وله مُوشَّحَةٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٧ : ١١):

مَا حَالُ صَبٍّ ذِي ضَنْىٍ وَأَكْتَنَابٍ أَمْرَضَهُ، يَا وَيْلَتَاهُ، الطَّيِّبُ^(٤)

عَامَلَهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابٍ ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرَى بِالْحَبِيبِ^(٥)

★ ★ ★

(١) الإقالة: الرجوع عن البيع (أو الشراء). الدخل: الفساد، والعيب والريبة. - إذا اتَّفَقَ بائع ومشتري على ثمن بضاعة ثم رأى أحدهما أن يرجع عما كانا قد اتَّفَقا عليه، فلا مانع من أن يدفع الناكل (الراجع عن الاتَّفاق) مبلغاً هو تعويض أو غرامة.

(٢) الحجر (بالكسر): العقل. في القرآن الكريم (٨٩ : ٥، الفجر): «هل في ذلك قسم لذي حجر».

(٣) خد: سكن، هداً (لم يتحرك). تقضت: انقطعت. القوادم: الريش الكبار في جناح الطائر. النسر: مجموعتان من النجوم (النسر الطائر والنسر الواقع). تسري (هنا): تجري. يقول الشاعر: لعل الريش الكبار في جناح النسر (الذي في السماء) قد قصت فهو لا يتحرك (ولا تتحرك النجوم معه)، ولذلك استمر الليل نازلاً لا يطلع صباحه.

(٤) الصبّ: الحبّ (الذي صبا: مال إلى المحبوب). الضنى: المرض الذي يَحْشَى معه الهلاك. أمرضه الطبيب (أي الحبيب الذي يملك شفاءه، إذا عطف حبيبه عليه).

(٥) الاجتناب: الهجران. الكرى: النوم. اقتدى الكرى بالحبيب (النوم هجر المحبّ العاشق كما هجره المحبوب).

جفَا جُفُونِي النُّومُ لَكِنِّي لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لِفَقْدِ الْخَيَالِ^(١).
 وذو الوصالِ اليومَ قد غرّني منه كما شاء وشاء الوصال^(٢).
 فلستُ باللائمِ مَنْ صَدَّنِي بصورةِ الحقِّ ولا بالمُحال^(٣).

٤-★★ المغرب ١: ٢٦٣؛ تحفة القادم ١٦١؛ الضح المعلّى ٦٩ - ٧٢؛ الذيل والتكملة ٦:
 ٥٩ - ٦٠ (رقم ١٢٩)؛ فوات الوفيات ٢: ٢٠٩ - ٢١٠؛ الوافي بالوفيات ٢:
 ٩٩ - ١٠٠؛ نفع الطيب ٣: ٥١٨ - ٥١٩؛ ٤: ١٥٩ - ١٦٠؛ ٧: ١٠ - ١١؛
 الأعلام للزركلي ٦: ٢١٥ (٥: ٣٢٠).

ابن نعيم الحَضْرَمي

١- هو أبو محمد عبدُ الله بنُ نعيمِ الحَضْرَمي القرطبي، وُلِدَ بُعِيدَ ٥٥٠ هـ
 (١١٥٥ م) في تونس. وفيها نشأ وتصدّر للتدريس. كان مُشرفاً في بجاية أيامَ واليها
 السيدِ ابنِ عمرانَ المُوَحِّديّ. ثمَّ إنَّ يحيى بنَ عانيّة^(١) استولى على بجاية
 (٥٨٠ هـ). وفي شهرِ صَفَرٍ من العامِ التالي (أيار - مايو ١١٨٥ م) استردَّ المنصورُ
 المُوَحِّدِيّ بجايةَ وأخذَ من أنصارِ ابنِ غانيةِ أسرى كانَ فيهِمُ السيدُ ابنُ عمرانَ
 والشاعرُ ابنُ نعيمِ الحَضْرَمي. وقد اتَّفَقَ لابنُ نعيمٍ - وهو أسيرٌ في سِجْنِهِ - أن يُخَمِّسَ
 القصيدةَ المنفرجة^(٥). فيُقالُ إنَّ المنصورَ المُوَحِّدِيّ^(٦) رأى في منامه الرسولَ يطلبُ

-
- (١) الخيال: المنام، الرؤيا. لم أحزن لأنَّ النومَ جفاني (فارقي)، ولكن حزنت لأنَّ مفارقةَ النومِ لي منعتني
 من أن أرى حبيبي في منامي.
 (٢) ذو الوصال (الحبوب الذي يملك أن يعطف عليّ) قد غرّني (تظاهر بأنّه يعطف عليّ).
 (٣) لا ألوم الذي صدّني (ردّني عن وصال الحبيب)..... (٤).
 (٤) يحيى بن عليّ بن يوسف الموسوي المعروف بابن غانية (ت ٥٤٣ هـ). وغانية أمّه، وكانت إحدى قريبات
 يوسف ابن تاشفين أوّل سلاطين المرابطين. ولآه المرابطون، في أيام دولتهم على عدد من المدن في
 المغرب وفي الأندلس. ولما سقطت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحّدين ظلّ على ولائه للمرابطين
 وقاوم الموحّدين.
 (٥) القصيدة المنفرجة لابن التوزري النحوي (٤٥٣ - ٥٤٣ هـ؛ راجع ترجمته).
 (٦) المنصور المُوَحِّدِيّ أبو يوسف يعقوب ثالث سلاطين الموحّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

منه إطلاق سراح ابن نعيم . وأستيقظ المنصور من منامه في جوف الليل وأمر بإطلاق ابن نعيم مكرماً .

وكانت وفاة ابن نعيم الحضرمي في قسطنطينة في سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م) .

٢ - كان ابن نعيم الحضرمي أديباً ناثراً وناظماً، كما كان من الفقهاء . وقد اشتهر بتخميس القصيدة المنفرجة . ومع أن التخميس أقل طلاوة من القصيدة الأصلية، فإن الروح الديني والسهولة في التعبير ظاهران عليه .

٣ - مختارات من شعره:

- من تخميس المنفرجة:

لا بُدَّ لِضَيْقٍ مِنْ فَرَجٍ وَالصَّبْرُ مَطِيَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ (١)

وبدعوة أحد فآبتهجج (أشدي، أزمة، تنفرجي) (٢)

قَدْ آذَنْ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ (٣) .

يَا نَفْسُ، رُوَيْدِكَ: لَا حَرَجُ وَثَقِيَ بِاللَّهِ . عَسَى فَرَجٌ (٤) .

وكذا ما ضاق له فُرَجُ، (وظلام الليل له سُرُجُ

حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ) (٥) .

فلكلِّ مُحَاوَلَةٍ قَدْرٌ وَقَضَا لَا يَدْفَعُهُ حَذْرُ؛

(١) مطيئة: دابة للركوب (وسيلة). الشجي (بلا تشديد أو بتشديد): الحزين والذي أثقله الهم.

(٢) أحد = محمد رسول الله. ابتهج: فرح. أزمة: شدة. وحق «أزمة» (هنا) البناء على الضم لأنها منادى مقصود بالنداء، والرواية بالنصب.

(٣) البلج (بفتح ففتح) مصدر من بلج (بفتح فكسر) وجهه: أشرق سروراً. والشاعر يقصد ظهور النور في الصباح (بعد انقضاء الليل)، وهذا هو البلوج من الفعل بلج (بفتح فكسر).

(٤) رويدك: مهلاً. الحرج: الضيق.

(٥) السرج (جمع سراج)، هنا: كناية عن النجوم. أبو السرج: الشمس. - يظل في الليل (في أيام الشدة) نجوم (أمل بالنور وبالفرج) حتى يطلع أبو السرج أو الشمس (الفرج الكامل).

وَرُجُوعُكَ عَنْ هَذَا غَرَرٌ. (وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهُ مَطَرٌ
فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ يَجِي) (١).

تَفْوِضُكَ لِلرَّحْمَنِ رَجَا. كَمْ جَاءَ صَبَاحٌ بَعْدَ دُجَى (٢) !
وَيَكُونُ الصَّبْرُ لَهُ دَرَجَا. (وَرِضًا بِقَضَاءِ اللَّهِ حِجَى (٣)
فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ فَعَج (٤)

فَتَحَرَّ بِمَا تَلْقَى رَشْدًا لَا يَمُضِي عَمْرُكَ عَنْكَ سُدى (٥)،
وَاقْطَعْ أَيَامَكَ مُجْتَهِدًا (وَإِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدَى
فَاعْجَلْ لِخَزَائِنِهَا وَلُج) (٦).

★★-٤ عنوان الدراية ٢٧١ - ٢٧٨.

أبو الحجاج الإشبيلي الطبيب

١- هو أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي، من أهل إشبيلية، رَحَلَ إِلَى
مِصْرَ، لَمَّا اضْطَرَبَتِ الْأَنْدَلُسُ بِثَوْرَةِ ابْنِ هُوْدٍ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ نَجَاحًا.
عَظَفَ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكٍ (٧) الْمَغْرِبِيِّ فَجَعَلَهُ مُشَارِكًا مَعَ أَطْبَاءِ
الْمَارِسْتَانِ (الْمُسْتَشْفَى). كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَجَّاجِ الْإِشْبِيلِيُّ طَبِيبًا. وَيَبْدُو أَنَّ أَهْتَامَهُ بِالْأَدَبِ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ
أَهْتَامِهِ بِالطِّبِّ. كَانَتْ لَهُ قِصَائِدُ وَمَوْشَحَاتٌ. وَكَانَ شِعْرُهُ سَهْلًا وَاضِحَ الْمَعَانِي عَلَيْهِ

(١) الْإِبَانُ: الزَّمَنُ، الْوَقْتُ (كُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي فِي وَقْتِهِ).

(٢) الرَّحْمَنُ: اللَّهُ تَعَالَى. الدُّجَى جَمْعُ دَجِيَّةٍ (بِالضَّمِّ): الظُّلْمَةُ (بِالضَّمِّ).

(٣) دَرَجٌ: تَدَرُّجٌ (وَسِيلَةٌ إِلَى الْارْتِقَاءِ أَوْ إِلَى الْوُصُولِ). الْحِجَى (وَالْأَصُوبُ الْحَجَا): الْعَقْلُ.

(٤) الْمَرْكُوزَةُ (الْثَابِتُ مِنَ الْإِعْتَادِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ). عَاجَ عَلَى الْمَكَانِ: عَظَفَ، مَالَ إِلَيْهِ (التَّجَا).

(٥) تَحَرَّى فِي الْأُمُورِ: قَصَدَ أَفْضَلَهَا وَدَقَّقَ فِيهَا.

(٦) الْخَزَائِنُ (هُنَا): الثَّرَوَاتُ (بِفَتْحٍ فَتَحَ) الرُّوحِيَّةُ. وَلَجَ: دَخَلَ.

(٧) جَمَالُ الدِّينِ بْنُ يَغْمُورَ رَئِيسُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٣٦٨) وَهُوَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ

مُوسَى بْنُ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكٍ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ١١٢).

مسحة من المرح. وكان مُصنِّفاً لعددٍ من الكتب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحجاج الإشبيلي في الغزل الصريح:

أُنْجَزَتْ وَعَدِي عَلَى غَرَرٍ	فَقَطَعْنَا اللَّيْلَ بِالسَّهَرِ ^(١)
فِي حَدِيثٍ لَا يُكْدِرُهُ	مَرٌّ وَسَوَاسٍ مِنْ الْفِكْرِ ^(٢) .
وَكَأَنِّي إِذْ أَضَاجِعُهُمَا	بِتُّ فِي رَوْضِ النَّدى الْعَطِرِ ^(٣) ،
فِي خِتَامٍ مِنْ تَعَانِقِهَا	خِلْتُهِ مِنْ نَسْمَةِ السَّحَرِ ^(٤) .
فَدَعَتْنِي لِلودَاعِ فَلَمْ	تُبْقِ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَذَرِ ^(٥) .
قُلْتُ: مَاذَا السَّيْرُ فِي عَجَلٍ	وِغَرَابُ اللَّيْلِ لَمْ يَطِرِ ^(٦) ؟
فَانْتَنَتْ كَالْفُضِّ مُشْتَمِلًا	بِفَنُونِ النُّورِ وَالزَّهْرِ ^(٧) .
ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَ ذِي غَنَجٍ	وَدَلَالٍ غَيْرِ مُعْتَذِرِ ^(٨) ؛
قُمْ فَوَدِّعْ غَيْرَ مُنْتَقِدٍ	قَبْلَ شَوْبِ الصَّفْوِ بِالْكَدْرِ ^(٩) .
فَتَعَانَقْنَا لِفُرْقَتِنَا	ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنِ الْخُبَرِ!

- وقال في مِصرَ (يأسف لقلّة نجاحه فيها):

-
- (١) الغرر: التعرّض للهلاك (والخطر).
(٢) الوسواس: الفكرة (التي تنذر بوقوع السوء: الخوف من مجهول).
(٣) بات: قضى الليل. الندى: البلل، الفضة، الطري.
(٤) ؟.
(٥) يذر (بفتح ففتح): يترك (ولا يقال من هذا الفعل وذر ولا يقال واذر). - أتلفت نفسي لما طلبت مني فراقها (أن أذهب كيلا تحدث فضيحة).
(٦) غراب الليل (سواد الليل) لم يطر (لم يذهب) - لا يزال الليل مظلمًا والصبح بعيداً.
(٧) انتنت: التفتت، مالت (إليّ). النور (بالفتح): الزهر الأبيض.
(٨) قول ذي غنج غير معتر (ممتنع عما طلبت منها).
(٩) قم فودّع (قبل ذهابك.... مرة ثانية). قبل شوب (خلط) الصفو بالكدر (قبل أن يراك أحد فيحدث ما لا محمد عقباه لي ولك).

أَصْبَحْتُ فِي مِصَرَ مُسْتَضَامًا أَرْقُصُ فِي دَوْلَةِ الْقُرُودِ (١).
 وَاضِيعَةً الْعُمَرِ فِي آخِرِ مَعَ النَّصَارَى أَوْ الْيَهُودِ (٢) !
 بِالْجَدِّ رِزْقُ الْأَنَامِ فِيهِمْ لَا بَذَوَاتٍ وَلَا جُدُودِ (٣).
 لَا تُبْصِرُ الدَّهْرَ مِنْ يُرَاعِي مَعْنَى قَصِيدٍ وَلَا قُصُودِ (٤).
 أَوْدٌ مِنْ لُؤْمِهِمْ رُجُوعًا لِلْغَرْبِ فِي دَوْلَةِ ابْنِ هُودِ (٥).
 - وله من موشحة:

فَقُمْ نُبَاكِزْهَا لِلْأَصْطَبَاحِ (٦)
 وَالشُّهْبُ تَنْثُرُ مِنْ خَيْطِ الصَّبَاحِ (٧)

- (١) استضام فلان فلاناً: ضامه (ظلمه ونقصه شيئاً من حقه). أرقص في دولة القُرود (أخدم أناساً أقلَّ مِنِّي قيمة ومكانة).
- (٢) في آخِر (في آخر العمر). مع النصاري أو اليهود (كان النصاري واليهود كثيرين في المارستانات (المستشفيات حيث كان الشاعر يعمل).
- (٣) الجدَّ (بالفتح): الخطَّ. الذوات جمع ذات (شخص الإنسان): قيمة الفرد بالنظر إلى الفرد نفسه. الجدود جمع جدَّ (بالفتح) أبو الأب (أي بالنسب الشريف).
- (٤) لا يراعي معنى قصيد (لا يفهم شعراً) ولا قصود (٤): جمع مقصد (بكسر الصاد) وقصد (بالفتح): المعنى، الغاية (ولا يفهم معنى الكلام العادي).
- (٥) للغرب (إلى الأندلس) في دولة ابن هود - المتوكل محمد بن يوسف بن هود المستبد بأمر مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) ثم استولى على عدد كبير من المدن الأندلسية ووقعت في أيامه حروب كثيرة مع الموحدين ومع عدد من الأمراء المستبدين. وجاء في «نفع الطيب» (١: ٢١٥):
- «.... إلى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل، ووجد قلوباً منحرفة عن دولة برّ العدو (بضم العين أو بكسرها: المغرب، دولة الموحدين) مهياً للاستبداد فملكها بأيسر محاولة، مع الجهل المفرط وضعف الرأي. وكان مع العامة كأنه صاحب شموذة: يثني في الأسواق ويضحك في وجوههم ويبادهم بالسؤال. وجاء للناس منه ما لم يعتادوه (اقرأ: يتعودوه) من سلطان. فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء..... فآل ذلك إلى تلف القواعد (المدن) العظيمة... وخروجها من يد الإسلام». وفي نفع الطيب أيضاً (٤: ٤٦٥ - ٤٦٦): «ودخل العدو كورة ماردة (وقد أخذها) من يد محمد بن هود سنة ست وعشرين وستائة، وكانت مفتتح المصائب على يده....»
- (٦) نباكرها (نباكر الخمر) نشرها باكرأ. الاصطباح: شرب الخمر في الصباح.
- (٧) الشهب (والشاعر يقصد النجوم) تنثر من خيط الصباح (يشبه الشاعر الصباح بسلوكه أو شبكة تجمع فيها النجوم ثم تغيب نجماً فجأة مع انتشار الضوء بعد طلوع الفجر - ولكن الصورة الطبيعية غير صحيحة. كان يجب أن يقول: «والشهب يخفيها ضياء الصباح».

والقُضْبُ تَرْقُصُ في أيدي الرياح^(١)
على غناء الحمام والكأس ذاتُ ابتسام
والظلام قَتِيلٌ والصبحُ دامي الحسام^(٢).

٤-★★ المغرب ١: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٢٧٦ - ٢٧٧؛ القدح المملّى ١٦١ - ١٦٤؛ نفح الطيب ٢:
١١١ - ١١٢، ٦٦٣ - ٦٦٤؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٤١).

ابن خبّازة الخطّابي

١- هو أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطّابي المعروف بابن خبّازة، أصله من قبائل صنهاجة. كان مولده في فاس، نحو ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م). وقد تولى، في أواخر أيامه، حِسْبَةَ الطّعام في مدينة مراكش. وكانت وفاته في الرباط، سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م).

٢- كان ابن خبّازة الخطّابي شاعراً مُكثراً مُطِلاً سَهَلَ القول متينَ التعبير سريعَ البديهة في النّظم والنثر. وأبرز فنونه المدايح النبوية. فبديعته الياثية « حقيقٌ علينا أن نُجيبَ المعاليا » مائةٌ وثمانية وأربعون بيتاً مُضَمَّنٌ. وله شيءٌ من الرثاء والتصوّف والوعظ، وله ترسلٌ أيضاً.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ميمون ابنُ خبّازة الخطّابي في مديح الرسول:

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ الْمَعَالِيَا لِنُنْفِيَّ فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا.
فَالْنُّنُ أَرْبَابَ الْبَيَانِ صَوَارِمٌ مَضَارِبُهَا تُنْسِي السُّيُوفَ الْمَوَاضِيَا^(٣).

(١) القُضْبُ (جمع قضيب): أغصان الأشجار.

(٢) الحسام (السيف). يقول الشاعر: إِنَّ الصَّبْحَ قَتَلَ اللَّيْلَ فَظَهَرَ دَمُ اللَّيْلِ (الفجر) على حِصَامِ الصَّبْحِ (الأفق الشرقي).

(٣) أرباب (أصحاب) البيان (المقدرة على قول الشعر والنثر الواضحين البليغين). الصارم: السيف. مضرب السيف. السيوف المواضيا (هنا) سيوف الأبطال الماضين (٤).

لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحَدِ أَنْجُمَا
فَلَا مَدْحَ إِلَّا لِلَّذِي بِمَدِيحِهِ
رَسُولٌ بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْ صَفْوِ نَوْرِهِ
وَمَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ
وَأَيَّاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْعَدَّةِ كَثْرَةُ
وَأَعْظَمُهَا الْوَحْيُ الَّذِي خَصَّهُ بِهِ
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَيَانِ بِأَسْرِهِمْ
وَجَاءَ بِهِ وَخِيّاً صَرِيحاً يَزِيدُهُ
تَضَمُّنَ أَحْكَامِ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِا
وَأَخْبَرَ عَمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ:
وَوَافَقَ أَخْبَارَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ
وَمَا كَتَبَتْ يُمْنَاهُ يَوْمَاصْحِفَةً
تَلُوحُ فَتَجْلُو مِنْ سَنَاهِ الدِّيَاجِيَا^(١).
تُطِيعُ إِذَا مَا كُنْتَ بِالْمَدْحِ عَاصِيَا^(٢).
وَأَلْبَسَهُ بُرْدًا مِنَ النُّورِ صَافِيَا^(٣).
يُنِيرُ بِهِ اللَّهُ الْعُصُورَ الْخَوَالِيَا^(٤).
فَمَا تَبْلُغُ الْأَقْوَالُ مِنْهَا تَنَاهِيَا.
فَبَلَّغَ عَنْهُ أَمْرًا فِيهِ نَاهِيَا^(٥).
فَكُلُّهُمْ أَلْفَاهُ بِالْعَجْزِ وَانِيَا^(٦).
مَرُورُ اللَّيَالِي جِدَّةٌ وَتَعَالِيَا.
وَعَمَّ الْقَضَايَا مُثَبَّتًا فِيهِ نَافِيَا^(٧).
يُرَى مَاضِيَا أَوْ مَا يُرَى بَعْدَ آتِيَا:
وَتَمَّ بِالْغَايَاتِ مِنْهُ الْمَبَادِيَا.
وَلَا رِيءَ يَوْمًا لِلصَّحَائِفِ نَالِيَا^(٨).

٤-★★ أزهار الرياض ٢: ٢٧٩ - ٢٩٢، الأدب المغربي ١٩٩ وما بعده، النبوغ المغربي ١٧٠، ٤٠٦ - ٤١٢ (التعداد الثاني) وما بعده، ٨٥٨ - ٨٦٨، ٩١٢، ٩٢٩ - ٩٣٣، الأعلام للزركلي ٨: ٣٠٠. (٧: ٣٤١).

- (١) أحد = محمد رسول الله. السني: النور. الدياجي: الظلمات.
- (٢) لا مدح ذو قيمة إلا بمدح تطيع الله به (تكون به صادقاً = مدح رسول الله)، إذا أنت كنت يوماً عاصياً بمدح نفر من الناس (وكذبت في مدحهم).
- (٣) براه الله (خلقه). البرد: الثوب.
- (٤) في الخبر أن النور كان قد قسم بين آدم وحواء ثم افترق في أجيال البشر. بعدئذ وصل الجانب الذي كان في آدم من النور إلى عبد الله بن عبد المطلب، ووصل الجانب الآخر الذي كان في حواء إلى أمنة بنت وهب. فلما تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمنة بنت وهب ثم كانت ولادة محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا الزواج اجتمع ذلك النور في محمد.
- (٥) الوحي الذي خصَّ الله محمدًا به (القرآن الكريم). عنه (عن الله).
- (٦) ألغى: وجد. الوائي: الضعيف، التعب (بفتح فكسر).
- (٧) مثبَّتاً (أمرًا بالقيام بما يجب عمله) ونافياً (ناهماً عن فعل ما لا يجوز فعله).
- (٨) الصحيفة: الورقة المكتوبة (الكتاب). ريء (رأي: «رأى» مبنية للمجهول). التالي: القارئ.

محي الدين بن عربي

١ - لمحي الدين بن عربي تَرْجَمَةٌ مُفَصَّلَةٌ في الجزء الثالث من هذه السلسلة، وأُحْبِبْتُ أَنْ آتِيَ له بترجمة ثانية هنا لأنه ابن الأندلس برُغْمِ رِحْلَتِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ في المشرق^(١).

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من نسل عبد الله بن حاتم أخيه أحمد بن حاتم البصري (ت ٢٣١ هـ) راوية الأصمعي.
وُلِدَ في مُرْسِيَّة في سابع عَشَرَ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٦٠ (١١٦٥/٧/٢٧ م) في الأغلب.
وكان يُعرَفُ بِأَسْمِ «أبن العربي» (بلام التعريف) وبأَسْمِ آبن سُرَاقَةَ (عنوان الدراية ٥٦).

وَأَنْتَقَلَ آبن العربي من مُرْسِيَّة، سَنَةَ ٥٦٨ ونَزَلَ في إشبيلية وَبَقِيَ فيها إلى سَنَةِ ٥٩٨ للهجرة. ولا شك في أَنَّهُ كان في تلك الأثناء يزورُ الْبُلْدَانَ التي حوَّلَهُ، فقد سَمِعَ في قُرْطُبَةَ من أبي القاسم بن بَشْكُوَال (ت ٥٧٨ هـ) وغيره. ودخل بِجَايَةَ (في القطر الجزائري) في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٩٧.

ويبدو أَنَّهُ بدأ حياته بالاتصال بِرِجَالِ الدولة، فقد كَتَبَ في الأندلس لبعض الأمراء ثُمَّ إِنَّهُ «تزوَّج مريمَ بنتَ مُحَمَّد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي»^(٢). وعند ذلك بدأ بِمَجْرَى حياته يتغيَّرُ، وكان سببَ هذا التغيَّر ما كان يسمعه من مواعظِ زَوْجِهِ^(٣) التي ضربت له المثلَ الصالح في الورع. وكذلك ألحَّتْ عليه أُمُّهُ بالإقلاع عَمَّا

(١) لقد اقتضى هذا النظر أن يكون لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ترجمة منفردة في الجزء الثاني من هذه السلسلة ثُمَّ ذكر على شيء من التفصيل في الجزء الرابع منها.

(٢) هذا المقطع مأخوذ بِرِثْمَتِهِ (بضمِّ الراء) من «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف آنخل خنثالث بالثيا (نقله إلى العربية حسين مؤنس). وكان الناقل قد أهمل (في الطبعة الأولى) جميع الحواشي التي تذكر المصادر، بعد أن كان قد وضع لتلك الحواشي أرقاماً في المتن. وقد رأيت الناقل من عهد قريب وقال لي إِنَّهُ أعد طبعة ثانية وَأَنَّهُ قد أثبت الحواشي كُلَّهَا، وَأَن الطبعة الثانية ستظهر قريباً جداً. ولكنني لم أر هذه الطبعة الثانية.

(٣) الزوج تقال للرجل وللمرأة.

هو فيه . ثم أصابه مرضٌ فلَزِمَ الفراشَ مدَّةَ تراءتْ له في أثنائها مناماتٌ تَمَثَّلَ له فيها عذاب جهنم^(١) . وتُوفِّيَ أبوه - عليُّ بنُ العربي - في أعقاب ذلك ، وكان (هو) قد أخبر أباه بيوم وفاته قبل حلول أجله بخمسةَ عشرَ يوماً . وتجمَّعت هذه العواملُ كلها ودفعَت بُحْبُحِي الدين بنِ عربيٍّ في طريق الزُّهد والتصوُّف . (من أجل ذلك كلُّه) نراه ، قبل سنَّة ٥٧٩ للهجرة (١١٨٤ م) - أي قبل وفاة أبيه - قد سَلَكَ الطريقَ (طريق التصوُّف)^(٢) .

ومنذُ ذلك الحين تَرَكَ ابنُ عربيٍّ مناصبَ الدولة والإقبالَ على زهرة الحياة كُرْهاً بهذا المسلكِ في الحياة وزُهداً في الدنيا (راجع الذيل والتكملة ٦ : ٤٩٤) .

وفي سنَّة ٥٩٨ للهجرة بدأ رحلته إلى المشرق (ولا نعلمُ إذا كان قد عادَ من بجايةَ إلى إشبيليةَ أو أنه أَسْتَأْنَفَ الرحلةَ من بجايةَ) . ودخل ، في أثناء طريقه ، مِصرَ ثم تابعَ سِيره إلى الحِجاز لأداء فريضة الحجِّ . ومكثَ في مكَّةَ سنتين . وفي سنَّة ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ م) لَقِيَ نفراً من حُجَّاجِ الأناضولِ (آسية الصغرى) الأتراكِ فرافقَهُم إلى بلادهم ، بطريق بَغْدَادَ والمَوْصِلَ ، فوَصَلَ إلى مَلْطِيَّةَ في ذي القعدة من سنَّة ٦٠١ (تموز - يوليو ١٢٠٥ م) .

وتردَّدَ ابنُ عربيٍّ في المشرق : حجَّ (٦٠٢ هـ = ١٢٠٦ م) ثم وجَدناه في قونيةَ في الجنوبِ الغربيِّ من آسية الصغرى (سنَّة ٦٠٦) ثم في بَغْدَادَ بعد سنتين (نفع الطيب ٢ : ١٦٣) ثم في حَلَبَ (سنَّة ٦٠٩) ثم في الأناضولِ أيضاً (سنَّة ٦١٢) ، في بَلَدَةِ آق سَرايَ ، من أواسطِ آسية الصغرى ، شَرْقَ بحيرة طوز ، وفي سِيواسَ ، على نحوِ أربعمائة كيلومترٍ شرقَ أنقرةَ (سنَّة ٦١٢) . ثم سكن مَلْطِيَّةَ (في الجنوبِ الشرقيِّ من آسية الصغرى) ، وفيها وُلِدَ ابنُه سعدُ الدينِ مُحَمَّدٌ ، في رَمَضانَ من سنَّة ٦١٨ (نفع الطيب ٢ : ١٧٠) ولعلَّ إقامته في مَلْطِيَّةَ لم تَطُلْ ، فلقدِ انْتَقَلَ إلى دِمَشْقَ (سنَّة ٦٢٠ ، في الأغلب) ، إلَّا أَنَّهُ ، على كلِّ حالٍ ، كان مُستَقراً فيها سنَّة ٦٢٧ .

(١) تجد أشياء من هذه المنامات ، ومن منامات أخرى ، في « الفتوحات » ٤ : ٥٥٢ وفي « عنوان الدراية »

١٥٨ وفي « نفع الطيب » (٢ : ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٨٠) .

(٢) بالنشأ ٣٧١ - ٣٧٢ .

ولم تكن إقامة مُحيي الدين بن عربي في دِمَشْقَ هادئةً مُطمئنةً، فإنَّ أهلَ دِمَشْقَ كانوا على سيرة السَّلف، بينما هو كان صوفيًّا متطرِّفًا مُجانِبًا لِسيرة السلف في تفكيره وفي كثيرٍ من جوانبِ حياته الشخصية.

وفي دِمَشْقَ عُرِفَ ابنُ عربي (نفع الطيب ٢: ١٥٧) بلقب «سيدي مُحيي الدين» ونسبته «ابن عربي»، بإسقاط لام التعريف، تمييزاً له من أبي بكر بن العربي الفقيه (ت ٥٤٣ هـ).

ثمَّ بدا على حياته شيءٌ من الهدوء وألْتَفَّ حوله نفرٌ من الناس. وكانت وفاته ليلة الجمعة (يوم الخميس مساءً) في الثامن والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٦٣٨ (١٢٤٠/١١/١٥ م) ودُفِنَ في سَفْحِ جبل قاسيون (في الغرب الشَّامي من المدينة). وقبرة قائمٌ هنالك إلى اليوم في مقام يُزار. ولا يزالُ الحيُّ حوله يُعرَفُ باسم «سيدي مُحيي الدين».

٢ - اختلفَ الناسُ في مُحيي الدين بن عربي: منهم من عدّه في الأتقياء والأولياء، ومنهم من جعله في المُلحدِّين المارقين. وإذا نحن رجَعْنَا إلى ما قاله هو في نثره وفي شعره رأينا في نثره وفي شعره «شَطْحاً» كثيراً. والشطحُ قولٌ يدلُّ ظاهره على الانحراف عن الشريعة ولا يسلَّمُ باطنه مع التأويل. من ذلك مثلاً قوله: إِنَّ إِيْمَانَ فِرْعَوْنَ كان إِيْمَاناً صحيحاً، ذلك لأنَّ فِرْعَوْنَ قد آمَنَ لَمَّا أيقَنَ بالهلاك وبدا له وجهُ الحقِّ. وقيل إنَّ ابنَ عربي كان يَرمِزُ بكلمةِ فرعونَ إلى «النفس»، إلى نفسه، ثمَّ يستشهدون على ذلك بقوله (نفع الطيب ٢: ١٦٩)، وهو مِمَّا نسبَه إليه غيرُ واحدٍ (أي أكثر من واحد):

قُلِّي قُطْبِي وَقَالِي أَجْفَانِي، سِرِّي خِضْرِي، وَعَيْنُهُ عِرْفَانِي^(١).

(١) الخضر (بفتح فكس) أو بكسر فسكون - وقيل بفتح وسكون. والعامة يقولون: «خضر» (بضمّ فضمّ): قيل فيه رجل صالح عاصر موسى عليه السلام، وأنكر آخرون وجوده (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٨٣ - ١٨٥). ومن الأسلم ألاّ نهسر هذين البيتين.

روحي هرون، وكليمي موسى، نفسي فرعون، والهوى هاماني^(١).

ففي هذين البيتين يُمكن أن يتأتى الدفاع عن جميع التعابير إلا عن تعبير واحد: «كليمي موسى». إن موسى كلم الله، ولا يجوز لأحد أن يدعي مثل هذا التعبير، مهما ينتحل لنفسه من الأعذار البلاغية والرمزية.

ولا ريب في أن محيي الدين بن عربي كان من الذين لا يأمنون على أنفسهم في الدولة الإسلامية التي تقيم شرائع الإسلام وحدوده، وكان ابن عربي أشد خوفاً على نفسه من جميع هؤلاء. من أجل ذلك لم تكن رحلة ابن عربي إلى المشرق حباً بالرحلة فقط، بل خوفاً على النفس أيضاً. أورد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) في كتابه «وفيات الأعيان» (٧: ١١) هذا المقطع:

«وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور^(٢) يُشدّد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس؛ وقتل في بعض الأحيان^(٣) على شرب الخمر، وقتل العمال^(٤) الذين تشكو الرعايا منهم. وأمر برفض فروع الفقه^(٥) وبأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب والسنة ولا يقلّدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم ممّا يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس^(٦). ولقد أذكرنا جماعة من مشايخ المغرب^(٧) وصلوا إلينا، إلى

(١) هرون أخو موسى بن عمران. وهامان: وزير فرعون.

(٢) هو يعقوب المنصور ثالث سلاطين الموحّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٣) في بعض الأحيان (يقصد في عدد من المرات).

(٤) العامل، في الأصل، هو المكلف بجمع الزكاة (وجمع أموال الضرائب).

(٥) في هذه الجملة «وأمر برفض فروع الفقه» نقص أدّى إلى غموض (إذ فروع الفقه: الصلاة والصوم، الخ). وهذا الغموض تبينه الجملة التالية: «وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) ولا يقلّدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين». فمعنى ذلك: الرجوع في فروع الفقه (العبادات والمعاملات) إلى القرآن والحديث فقط من غير تقيّد في ذلك بما قاله أصحاب المذاهب (أبو حنيفة ومالك الخ) ممّا هو آراء لهم.

(٦) مصادر التشريع في الإسلام أربعة: الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) والإجماع (اتفاق أهل الحل والعقد على أمر لم يرد في القرآن والحديث خلافاً). القياس: النظر بالعقل والمنطق من مسلم كفاء في أمر (لم يرد فيه حكم في الكتاب والسنة ثم لم يتم فيه إجماع) بالتنظير بين ذلك =

البلاد، وهم على ذلك الطريق^(١): مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمر^(٢) ومُحِبِّي الدين بن عربي نزيل دِمَشْقَ وغيرهم. و (كذلك) كان (أبو يوسف يعقوب) يُعاقِبُ على ترك الصلاة ويأمرُ بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو أَشْتَغَلَ (في وقتها) بِمَعِيشَتِهِ عَزَّرَهُ تَغْزِيرًا شَدِيدًا^(٣).

ولا شك في أن ابن خَلَّكَانَ قد عَنَى بقوله: «وهم على ذلك الطريق» (ولم يقل على هذا الطريق)، الطريقَ المُخَالَفَ للطريق الذي أَتْبَعَهُ الأميرُ أبو يوسف يعقوبُ:

وَالشَّطْحُ فِي آثَارِ ابْنِ عَرَبِيٍّ كَثِيرٌ جِدًّا، كَقَوْلِهِ مَثَلًا: الْوَلِيُّ خَيْرٌ مِنَ النَّبِيِّ. أَوْ كَقَوْلِهِ أَيْضًا: «مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ كَفَرَ» (وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ: «لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ»). وَكُلُّ هَذَا الشَّطْحُ مُخَالَفٌ لِلإِسْلَامِ وَمُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ وَمُفْسِدٌ لِلْوِازِعِ الْاجْتَمَاعِيِّ (مُقْلِقٌ لِاطْمِئْنَانِ الْجَمَاعَاتِ).

وَكَانَ ابْنُ عَرَبِيٍّ مُصَنِّفًا مُكْثَرًا، قِيلَ بَلَغَتْ تَصَانِيفُهُ نِيفًا وَأَرْبَعِمِائَةً (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٢: ١٧٧) أَوْ رَدَّ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكِشِيُّ (ت ٧٠٣ هـ) عَدَدًا كَبِيرًا مِنْهَا (الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ٦: ٤٩٤ - ٤٩٦). وَأَكْثَرُ عَنَاوِينِ هَذِهِ الْكُتُبِ تَجْرِي بِمَجْرَى الرَّمْزِ، مِنْهَا: مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى طَرِيقِ الْإِرَادَةِ - الْجَلَا فِي أَسْتِزَالِ رُوحَانِيَّاتِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى - كَشْفُ الْمَعْنَى عَنْ سِرِّ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - إِنْزَالُ الْغُيُوبِ عَلَى مَرَاتِبِ الْقُلُوبِ - مُشَاهَدَاتُ الْأَسْرَارِ الْقُدْسِيَّةِ - مِفْتَاحُ أَقْفَالِ الْإِلَهَامِ الْوَحِيدِ - الْفُتُوحَاتُ

= الأَمْرُ وَأَمْرٌ آخَرُ يَشْبِهُهُ أَوْ يَقْرِبُهُ وَوَرَدَ فِيهِ حُكْمٌ فِي الْكِتَابِ أَوْ فِي السَّنَةِ (هَنَالِكَ شُرُوطُ لِهَذِهِ كُلِّهَا، رَاجِعٌ مُوجِزًا لَهَا فِي كِتَابِ «فَلَسْفَةُ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ» لِلدَّكْتُورِ صَبْحِي الْحَمَصَانِي، بَيْرُوت - دَارُ الْعِلْمِ لِلْعِلَالَيْنِ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ مَثَلًا ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م، ص ١٤٤ - ١٨١).

(١) مِنَ الْمَشْتَغَلِينَ بِأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ.

(٢) عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِأَرَاءِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَالْأَخْذِ بِأَحْكَامِهِمْ وَمِرَاعَاةِ خِلَافَتِهِمْ.

(٣) ابْنُ دَحِيَّةٍ: أَبُو الْخَطَّابِ عَمْرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ (ت ٦٣٣ هـ) حَدَّثَ قَقِيهِ وَمُؤَرِّخَ وَأَدِيبَ كَانَ كَثِيرَ الْبَحْثِ فِي الْخِلَافِ الْفَقْهِيِّ بَيْنَ الْأُمَّةِ. وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ «الْمَطَرِبِ» (رَاجِعُ تَرْجَمَتِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ). ثُمَّ يَأْتِي أَخُوهُ أَبُو عَمْرٍاءُ عُمَانُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَحِيَّةِ (ت ٦٣٤ هـ) - وَكَانَ أَسَنَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْخَطَّابِ (رَاجِعُ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٣: ٤٥٠).

(٤) عَزَّرَهُ: أَدَّبَهُ، وَبَخَّه وَعَاقَبَهُ عِقَابًا أَقْلَ مِنْ الْحَدِّ الشَّرْعِيِّ (أَقْلَ مِنْ الْقَتْلِ أَوْ الْجُلْدِ).

المَكِّيَّة - القَسَمُ الإِلَهِيّ بالاسم الربّاني - الجداول والدوائر - تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ^(١) - أَلَهُو (هُوَ مُحَلَّلَةٌ بِلَاَمِ التَّعْرِيفِ) - الْقَدِيمُ - الْقِدَمُ - الرِّقِمُ - الْعَيْنُ - الرَّمزُ - كُنْ^(٢) - الثَّوَانِي - الْخَزَائِنُ - النَّمَلُ - الْمُؤْمِنُ وَالْمُسْلِمُ وَالْمُحْسِنُ - الْأَنْفَاسُ وَالرَّوَائِحُ - الْأَرْوَاحُ - زِيَادَةُ الْكَبَدِ - الْعَرْشُ - الْهَبَاءُ - التَّسْعَةُ عَشَرَ^(٣) - الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ.....

ويبدو بوضوح أَنَّ مُحْيِيَّ الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ كَانَ أَكْثَرَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُسْلِمِينَ أَطَّلَاعاً عَلَى أَشْيَاءٍ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْقَدِيمَةِ (الْيُونَانِيَّةِ خَاصَّةً). مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، فِيمَا يَبْدُو أَيْضاً، عُرِفَ بِالْقَابِ مِنْهَا: الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ وَالْكَبِيرُ الْأَحْمَرُ^(٤) وَابْنُ أَفْلَاطُونٍ. غَيْرَ أَنَّ الَّذِي فِي آرَاءِ ابْنِ عَرَبِيٍّ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْقَدِيمَةِ إِنَّمَا هُوَ لَفَتَاتٌ عَلَى غَيْرِ مِنْهَاجٍ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَأْلُوفِ فِي الْمُتَصَوِّفِ أَنْ يُخْطِئَ نَهْجاً وَاضِحاً ثَابِتاً فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ. وَإِذَا كَانَتْ أَشْيَاءٌ مِنَ فِلَسَفَةِ أَفْلَاطُونٍ^(٥) قَدْ أَعْجَبَتْ ابْنَ عَرَبِيٍّ فَإِنَّ اتِّجَاهَهُ كَانَ أَكْثَرَ تَأَثُّراً بِآرَاءِ أَفْلُوطِينٍ^(٦). وَمِنْ الْمُنْتَظَرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَالَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ فِلَسَفَةِ

(١) تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ (أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى).

(٢) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «إِنَّمَا أَمْرُهُ (أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى) إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ» (٣٦: ٨٢، يَسْ؛ رَاجِعْ ١٦: ٤٠، النحل؛ ١٩: ٣٥، مريم؛ ٦: ٧٣، الأنعام).

(٣) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (جَهَنَّمَ)؟ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ. لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ. وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ (الْمُكَلِّينَ بِجَهَنَّمَ) إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا (٧٤: ٢٧ - ٣١، المذثر).

(٤) الْكَبِيرُ الْأَحْمَرُ مَعْدَن نَادِرٍ (يَقْصِدُونَ: كَانَ أَمْثَالَ ابْنِ عَرَبِيٍّ قَلِيلِينَ).

(٥) أَفْلَاطُونُ فِيلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ (ت ٣٤٧ ق.م.). كَانَتْ فِلَسَفَتُهُ مِثَالِيَّةً نَظَرِيَّةً خَيَالِيَّةً، وَكَانَ هُوَ قَدِيرًا فِي الْجَدْلِ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ قَدْ أَصْبَحَ عِلْماً هُوَ الْمُنْطَقُ. وَاعْتَقَدَ أَفْلَاطُونُ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي عَالَمِنَا مَوْجُودَةٌ صُورَهَا (أَوْ مِثَالَاتِهَا) فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى (الْعَالَمِ الْإِلَهِيِّ) وَأَنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا غَيْرَ مُتَّصِلَةٍ بِمَادَّةٍ. وَاعْتَقَدَ أَنَّ النُّفُوسَ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَتَأَمَّلُ فِي اللَّهِ. فَإِذَا غَفِلَتْ نَفْسٌ عَنْ ذَلِكَ سَقَطَتْ وَاتَّصَلَتْ بِجَسَدٍ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَعَاقِبَ عَلَى خَطِيئَتِهَا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى. وَأَشْهَرُ كُتُبِ أَفْلَاطُونِ كِتَابُ «السِّيَاسَةِ» (بُولُوتِيَا) وَالنَّاسُ يَسَمُّونَهُ «الْجُمْهُورِيَّةَ» (وَذَلِكَ نَقْلٌ لَفْظِيٌّ خَاطِئٌ لِلْكَلِمَةِ اللَّاتِينِيَّةِ: رَسْ بُولِيكَا (الشُّؤُونُ الْعَامَّةُ)).

(٦) أَفْلُوطِينُ (ت ٢٦٩ لِلْمِيلَادِ) مِنْ أَهْلِ أَسِيُوطِ (فِي مِصْرَ) تَعَلَّمَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَلَقَّى مَذْهَبَهُ عَنْ فِيلُونِ الْيَهُودِيِّ (ت ٥٠ م.). وَقَدْ حَرَّصَ فِيلُونُ عَلَى التَّوْفِيقِ بَيْنَ التَّوْرَةِ وَالْفِلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ بِأَنْ فَسَّرَ قِصَصَ =

أرسطوطاليس^(١) أيضاً، ولكنَّ الغالبَ عليه أنَّه كان يُلَفِّقُ بَيْنَ الآراءِ: يأخذُ ما يَظُنُّ أنَّه ينصُرُ رأيَه هو ويُساعدُه على «أنَّ يجعلَ مِنَ الإنسانِ كائناً قريباً من الملائِ الأعلَى»^(٢)، وهذا يَجِدُه أَيْنُ عَرَبِيٌّ عندَ فلوطنَ (أو أفلوطينَ) أكثرَ ممَّا يَجِدُه عندَ أفلاطونَ، ثمَّ هو لا يَجِدُ شيئاً منه عندَ أرسطو.

ومَعَ كُلِّ هذا التشويهِ الذي يُمكنُ أنَّ يَلْحَقَ بالنُّظُمِ الفلسفيَّةِ حينما تَمُرُّ تلكَ النُّظُمُ - أو يُمرُّ عددٌ من أوجُهِها وآرائِها في الحَيَالِ الصوفيِّ - فإنَّ هذا الاتِّجاهُ المُشوَّهَ قد لَقِيَ شيئاً من القَبولِ عندَ نَفَرٍ من المتصوِّفةِ في الإسلامِ وعندَ نَفَرٍ من المفكرين في أوروبَّةِ النَّصرانيَّةِ في العصورِ الوسطى ومَطْلَعِ العصورِ الحديثةِ^(٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- مقاطعٌ لمُحيي الدين بن عربيٍّ سليمةٌ الظاهرِ والباطنِ: (نفع الطيب ٢: ١٨٤):

يا حَبَّذَا المسجِدُ من مسجدٍ وحَبَّذَا الروضةُ من مشهَدٍ^(٤).

التوراة وآراء التوراة تفسيراً رمزياً (حواء كناية عن الحسَّ المادِّي، والحية كناية عن اللذة). وأفلوطين فعل في النصرانية ما كان فيلون قد فعله في اليهودية. وقال أفلوطين (توسيعاً لقول أفلاطون) إنَّ العالمَ فاض من الله، ثمَّ جعل المادَّةَ تفيض من الله الذي هو روح حتَّى يسوِّغ القول بمجيء عيسى المسيح من الله (على مذهب النصارى في ذلك). وتكلَّم أفلوطين على «الإشراق» (وصول المعرفة إلى الإنسان من الملائِ الأعلَى من غير حاجة إلى توسُّط الحواس أو توسُّط العقل الإنساني).

(١) أرسطوطاليس أو أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م). تلميذ أفلاطون ومُخالف له في اتِّجاهه الفلسفي. إنَّ فلسفة أرسطو واقعية عملية مادِّيَّة. وأرسطو منظِّم علم المنطق ومُفرِّع فنون المعرفة الانسانية (علم الحيوان - علم النفس - السياسة - الاخلاق، الخ). ثمَّ هو يبحث في العالم الواقِع لأنَّ العقل الإنساني لا سلطة له على ما وراء الحسَّ. وكلَّ كائن مادِّي في الحياة له سبب مادِّي، ولا يفهم الوجود بغير ذلك. والمادَّة عند أرسطو سابقة على كلِّ شيء..... والسياسة عنده واقعيَّة: الغاية من الدولة أن يكون حكم الوالي على الرعيَّة حكماً صالحاً جيلاً، وبعدئذ فليسمَّ الوالي حكمه ما شاء من الأسماء: ملكاً، جمهورية، استبداداً، سلطاناً عسكرياً).

(٢) الملائِ الأعلَى: العالم الإلهي.

(٣) راجع «تاريخ الفكر الأندلسي» (بالنشيا) ص ٣٧٩ - ٣٨٦.

(٤) المسجد = المسجد الحرام في مكَّة المكرَّمة. الروضة = المكان الذي فيه قبر رسول الله في المدينة.

المشهد: المكان الذي يشهده (يحضر فيه) عدد كبير من الناس.

وَجَبَّذَا طَيْبَةً مِنْ بَلَدَةٍ فِيهَا ضَرِيحُ الْمُصْطَفَى أَحْمَدٍ^(١).
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ لَوْلَاهُ لَمْ نُفْلِحْ وَلَمْ نَهْتَدِ.
 قَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَأَعْتَبِرْ تَرْشِدِ^(٢).
 عَشْرُ خَفِيَّاتٍ، وَعَشْرُ إِذَا أُعْلِنَ بِالتَّأْذِينَ فِي الْمَسْجِدِ^(٣).
 فَهَذِهِ عَشْرُونَ مَقْرُونَةً بِأَفْضَلِ الذِّكْرِ إِلَى الْمَوْعِدِ^(٤).

★ قال الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَأَيْتُ بَعْضَ
 الْفُقَهَاءِ فِي النَّوْمِ - فِي رُؤْيَا طَوِيلَةٍ - فَسَأَلَنِي: كَيْفَ حَالُكَ مَعَ أَهْلِكَ؟ فَقُلْتُ (نَفَعَ
 الطَّيِّبُ ٢: ١٦٧):

إِذَا رَأَتْ أَهْلُ بَيْتِي الْكِيسَ مُمْتَلِئًا تَبَسَّمَتْ وَدَنَتْ مِنِّي تَهَازِحِي^(٥).
 وَإِنْ رَأَتْهُ خَلِيًّا مِنْ دَرَاهِمِهِ، تَجَهَّمَتْ وَأَنْثَنَتْ عَنِّي تُقَاجِحِي^(٦).
 فَقَالَ لِي: صَدَقْتَ! كُلُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلَ.

★ إِذَا حُلَّ ذِكْرُكُمْ خَاطِرِي فَارَشْتُ خُدُودِي مَكَانَ التُّرَابِ^(٧).
 وَأَقْعَدَنِي الذَّلَّ عَلَى بَابِكُمْ قُعُودَ الْأَسَارَى لَضَرْبِ الرُّقَابِ^(٨).

- (١) طيبة = المدينة المنورة. أحمد = محمد رسول الله.
- (٢) به (بالله)، ذكره (ذكر محمد رسول الله). في كل يوم (في الأذان وفي إقامة الصلاة). اعتبر الرجل بأمر (وجد فيه عبرة، حكمة، مغزى). واعتبر (هنا): فكّر في الأمر. رشد (بفتح فكسر) يرشد (بفتح فسكون ففتح): بلغ الرشد وكان ناضج الحكم. قرن الله به ذكره (قد جمع في الأذان وإقامة الصلاة بين اسم الله تعالى واسم محمد رسول الله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).
- (٣) عشر (لأن كل واحدة تقال خمس مرّات في اليوم - في النهار والليل - وتكرّر في كل مرّة دفعتين). خفّيات (في إقامة الصلاة لأنها تقال في قلب المسجد أو في بيت الرجل المصلّي) وعشر معلنة (لأنّها تقال من رؤوس المآذن ليسمعا جميع الناس).
- (٤) أفضل الذكر (ذكر الله تعالى). إلى الموعد (إلى يوم القيامة).
- (٥) الأهل: الزوج (المرأة - لأنّ الزوج تقال على الرجل والمرأة)، ولذلك قال الشاعر إذا «رأت» أهل بيتي.. الكيس (كيس المال).
- (٦) تجهّم وجه الرجل: عبس، أظهر التكرّه. انثنت: مالت عني، ابتعدت. قاجح فلان فلاناً: شامه (سأبه): قابله بالسبّ والنسب إليه أحوالاً ساقطة).
- (٧) ذكركم (ذكر الله). فرشت خدودي مكان التراب (تذللاً لله). قعود الأسارى... (بمخضوع وذلة) - في هذين البيتين معنى صوفي في التوجّه إلى الله تعالى.

★ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا؛
وَقُوَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شَيْبٍ سَلَكَوا^(١)؟
أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا؟
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا.

- من كتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» (١ : ٥ - ٦):

أما بعد، فإني أودعتُ في هذا الكتابِ الذي سَمَّيته «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» ضرباً من الآدابِ وفنوناً من المواعظِ والأمثالِ والحِكَايَاتِ النادرةِ والأخبارِ السائرةِ وسيرِ^(٢) الأولين من الأنبياء - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - والأُمَمِ وأخبارِ ملوكِ العربِ والعجمِ ومكارمِ الأخلاقِ وعجائبِ الاتِّفَاقِ وما رَوَيْنَاهُ من الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَبْتَدَاءِ الْأَمْرِ وَإِنْشَاءِ الْعَالَمِ^(٣) وما أودَعَ اللَّهُ من عجائبِ الصَّنْعِ وبدائعِ الْحِكْمَةِ وحكاياتِ مُضْحَكَةٍ مُسْلِيَةٍ - مَا لَمْ تَكُنْ مُفْسَدَةً - مِمَّا تَسْتَرْجِحُ النَفُوسُ إِلَيْهَا عِنْدَ إِيرَادِهَا مِمَّا لَا أَجَرَ فِيهِ وَلَا وَزَرَ^(٤).

ونزَّهْتُ كِتَابِي هَذَا عَنْ كُلِّ هَجَاءٍ وَمَثَلِيَّةٍ، وَضَمَنْتُهُ كُلَّ ثَنَاءٍ وَمَنْقَبَةٍ^(٥). وَإِذَا كَانَتْ الْحِكَايَاتُ الْمُضْحَكَةُ فِي رَجُلٍ مُعْتَبَرٍ مَشْهُورٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ أَوْ الْعِلْمِ لِهَفْوَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ ضَحِكٌ لَهَا الْحَاضِرُونَ، أَوْ فِعْلَةٌ بَدَتْ مِنْهُمْ^(٦) مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهَا فَأَذْكُرُهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الرَّاحَةِ لِلنَّفْسِ وَلَا أَسْمِي الشَّخْصَ الَّذِي ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّى تَتَوَقَّرَ حُرْمَتُهُ وَلَا تَزْدَرِي لِقَدْرِهِ^(٧) مِنْ بَعْدِ شُهْرَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

(١) الشعب (بالكسر): الفرع من الطريق.

(٢) السيرة: تاريخ حياة شخص واحد.

(٣) ابتداء الأمر (أمر الله بوجود العالم) وإنشاء العالم (خلقه).

(٤) تَمَّا تَسَرَّ بِهِ النَّفْسُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُبَاحَةِ الَّتِي لَا أَجَرَ (ثَوَابَ فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهَا) وَلَا وَزَرَ (ذَنْبَ) يَقْتَضِي عِقَاباً فِي الْآخِرَةِ) فِيهِ.

(٥) المثلية: العيب. المنقبة: الفعل الكريم، المنفخرة.

(٦) «منهم» لا حاجة إليها.

(٧) ولا تزدري (تحتقر) لقدره اقرأ: ولا يزدري (بالبناء للمجهول) قدره.... أو: لا تزدري أنت قدره

- ومن كتاب « محاضرة الأبرار » (٥ : ١١ - ١٤) :

وكلُّ ما سَطَّرْتُهُ في كتابي هذا ، فمنه ما شاهدْتُهُ أو حَدَّثَنِي به مَنْ شاهدُهُ ، ومنه ما نقلْتُهُ من كُتُبٍ مشهورة رَوَيْتُهَا سَمَاعاً أو مُداولةً أو كِتَابَةً^(١) ، مثل : كتاب « الإمتاع والمؤانسة » للفاضل الأديب النحرير أبي حَيَّان التَّوْحِيدِيِّ^(٢) ، رَحِمَهُ اللهُ ، وجعلْتُهُ مجالس^(٣)

وقد قَدِّمْتُ في صدرِ هذا الكتابِ أسانيدَ^(٤) إلى الذين أقولُ عنهم ، وروينا من حديثِ فلان متصلاً^(٥) . وقد أسوقُ إسنَادَ ذلك المذكورِ إلى الخبرِ ، وقد لا أسوقُهُ ، على حَسَبِ ما يَتَّفَقُ . وأودَعْتُهُ أيضاً تماً لنا من منظومٍ في فنونٍ مختلفة من أدبٍ ونَسِيبٍ ومَعْرِفَةٍ وحِكْمَةٍ ومُفاخِرَةٍ بِحَسَبِ^(٦) وحَاسَةِ^(٧) ، وغير ذلك ، ممَّا تَقَفُّ عليه - إن شاء الله تعالى - والله أعلمُ وبِهِ نَسْتَعِينُ .

..... وإذا قُلْتُ : رَوَيْنَا من حديثِ آبنِ هِشَامٍ^(٨) ، فَهُوَ ما حَدَّثَنَا به عبدُ الواحدِ ابنُ إسماعيلَ عن أبي حفصِ عُمَرَ بنِ عبدِ الحميدِ بنِ عمرَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ القُرَشِيِّ الدَّارِمِيِّ ثمَّ الرِّياشِيِّ إجازةً^(٩) ، قال : حَدَّثَنَا أبو محمدٍ عبدُ المعطي بنُ المسافرِ

(١) سماعاً : اصفاءً إلى متكلم . مداولة : مبادلة للحديث ومناقشة . كتابة : استملاء (تدوين النصوص والآراء المسموعة) .

(٢) أبو حَيَّان علي بن محمد التوحيدى (ت نحو ٤٠٠ هـ) أديب واسع المعرفة ومفكر . والباقي لنا من كتبه يدل على مقدرة في الفلسفة والعلم والأدب وفي فنون التحديث في المجالس .

(٣) المجالس (هنا) جمع مجلس : مقدار من الزمن يجتمع فيه الناس لتداول أمر من الأمور .

(٤) الاسناد : السلسلة من الأشخاص المتوالين في الزمن والذين نقلوا لنا الخبر عن قائله الأول .

(٥) الحديث المتصل : ما كان اسناده متصلاً لا فرق كبيراً في الزمن بين ناقل وناقل عنه (يجب أن يكون كل ناقل قد اتصل بالذي نقل عنه) .

(٦) الحسب : العمل الشريف .

(٧) الحماة : الشجاعة والحرب .

(٨) ابن هشام هو الذي سبأ في آخر هذا الحديث . وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (بكسر الحاء وسكون الميم) الماعفرى (ت ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) كان عالماً بالأنساب واللغة وبأخبار العرب ، ولد في البصرة ونشأ فيها ثم سكن مصر وتوفي فيها .

(٩) إجازة (إفادة ، شهادة) : السماح لطالب العلم أن يروي ما تلقاه عن شيخه (استاذة) .

بالإسكندرية قال: ثنا^(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، أنبا^(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس، أنبا عبد الله بن جعفر بن الوردی عن أبي محمد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي^(٣) عن أبي محمد عبد الملك بن هشام.....

- قِصَّةُ اتَّفَقَتْ لَابْنِ عَرَبِيٍّ نَفْسِهِ (محاضرة الأبرار ١: ٣٠٨ - ٣٠٩):

... اتَّفَقَ فِي بَلَدِنَا، بِإِسْبِيلِيَّةِ (أَنْ) كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ مِنْ سَفَلَةِ النَّاسِ يَقَالُ^(٤) لَهُ جُمُعَةٌ يَبِيعُ الْخُبْزَ. وَكَانَ يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ أَطْرَافُ النَّاسِ^(٥)..... أَخْتَصِمَ إِلَيْهِ مَرَّةً، فِي إِسْبِيلِيَّةٍ، رَجُلٌ طَبَاخٌ يَطْلُبُ حَقَّ إِدَامِهِ^(٦) مِنْ رَجُلٍ آخَرَ. فَقَالَ (جُمُعَةٌ لِلطَّبَاخِ) فَكَيْفَ تُرْتَبُ لِي^(٧) مَا تَدَّعِيهِ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ طَبَاخٌ أَبِيعُ فِي الدُّكَّانِ مَا أَطْبُخُهُ. فَجَاءَ هَذَا الرَّجُلُ وَبِيَدِهِ قُرْصَةٌ^(٨) مِنْ خُبْزٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ اللَّقْمَةَ وَيَعْرِضُهَا عَلَى بُخَارِ الْقَدْرِ الصَّاعِدِ وَيَأْكُلُ حَتَّى فَرَعَتْ^(٩). فَطَلَبْتُ مِنْهُ حَقَّ بُخَارِ الْقَدْرِ. فَقَالَ جُمُعَةٌ (لِلرَّجُلِ الْآخَرِ): وَجَبَ عَلَيْكَ (الْثَمَنُ)، يَا هَذَا. أَعِنْدَكَ قِطْعَةٌ فِضَّةٍ^(١٠)؟ قَالَ: نَعَمْ (نَمْ) أَخْرَجَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ قِطْعَةً فِضَّةً. فَقَالَ جُمُعَةٌ لِلطَّبَاخِ: أَصْغِرْ بِأُذُنِكَ. وَرَمَى الْقِطْعَةَ عَلَى الْحَجَرِ^(١١) فَسَمِعَ لَهَا طَنِينَ. فَقَالَ: يَا طَبَاخُ، خُذْ هَذَا الطَّنِينَ فِي حَقِّ بُخَارِكَ، وَرُدَّ الْقِطْعَةَ الْفِضَّةَ لِخَصَمِكَ^(١٢). فَقَالَ الطَّبَاخُ: مَا نَقَصَهُ شَيْءٌ. فَقَالَ جُمُعَةٌ: وَلَا (هُوَ) أَخَذَ مِنْ قَدْرِكَ شَيْئًا.

(١) ثنا = حَدَّثَنَا (هكذا تكتب اختصاراً).

(٢) أنبا = أنبانا، أخبرنا (هكذا تكتبان اختصاراً).

(٣) البرقي (برقة بلدة في فارس). وهنالك أيضاً مقاطعة «برقة» (شرقي ليبيا اليوم).

(٤) سفلة الناس = أرادهم من الذين لا يريدون أن يحملوا تبعاً في الحياة.

(٥) أطراف الناس (يبدو أن لكلمة «أطراف» معنيين): الأشراف من الآباء والأمهات ثم البعيدين عن

مجتمع القوم، أولئك الذين لا قيمة لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه).

(٦) الإدام (بالكسر): ما يأتم به: يغمس به الأكل قطعة الخبز).

(٧) كيف ترتب لي ذلك = كيف تعرض أمرك عليّ وتفهمني إياه.

(٨) القرصة (الريغيف).

(٩) فرغ (يفتح بفتح): انتهى، تلاشى. فرغ (بفتح فـ كسر): خلا من الأشياء التي كانت فيه.

(١٠) قطعة فضة: قطعة من العملة الفضية.

(١١) على الحجر (على الأرض القاسية، أو على صخر، الخ).

(١٢) تناول القطعة من الأرض ثم ردها إلى الزبون الذي تنازعه.

- ٤- التعريفات^(١) (فلوغل)، ليبزج (فوغل) ١٨٤٥ م.
- فصوص الحكم، الاستانة ١٢٥٣؛ مصر (مطبعة الترجان والمطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٣ هـ.
- ديوان (ابن عربي)، القاهرة (دار الطباعة الباهرة) ١٢٧١ هـ؛ نسخة مصورة بالأوفست (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ردّ معاني الآيات المتشابهة إلى معاني الآيات المحكمة، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٩١١ م.
- شجرة الكون، بلاق ١٢٩٢ هـ.
- ذخائر الأعلّاق في شرح ترجمان الأشواق (في مجموعة: التحفة البهيّة)، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط (في مجموعة التحفة البهيّة)، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- قصيدة المعشّرة (وشرحها: مأوى الرغائب في مجد النصائح للشيخ عثمان عبد المنّان)، الآستانة ١٣٠٦ هـ.
- مجموع الرسائل الآلهية، مصر، مصر ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م.
- مجموع رسائل: الرسالة الآلهية - القدسية - الاتحادية - السريانية - المشهدة - الفردوسية - العذرية - الوجوديّة، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الآلهية المودعة في المعاني الروحية (في مجموع)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- الأخلاق، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.
- الدور الأعلى (في مجموع الهي؟) القاهرة ١٢٨٢ هـ.
- الوصايا، بيروت (مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات) بلا تاريخ.
- رسائل محيي الدين بن عربي، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٨ م.
- العقيدة النظامية (محمد زاهد الكوثري)، القاهرة (مطبعة الأنوار) ١٩٤٨ م.
- مجموعة ساعة الخبر^(٢) (عليّ محمد الضباع)، القاهرة (مصطفى الباي الحلبي) ١٩٤٩ م.
- العواصم من البقواسم (محبّ الدين الخطيب)، القاهرة (لجنة الشباب المسلم) ١٣٧١ هـ.
- أحكام القرآن (عليّ محمد البجاوي)، القاهرة (الباي) ١٩٥٧ - ١٩٥٨.

(١) الكتب الواردة هنا لم ترد في ترجمة ابن عربي في الجزء الثالث.

(٢) في التنجيم.

- ترجمان الأشواق (حرّره نكلسن)، لندن ١٩١١ م؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م ثم ١٩٦٦ م.
- تفسير القرآن الكريم، القاهرة (بولاق) ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ؛ بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- محاضرات الأبرار، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- رسالة القدس أو روح القدس (عزّة حصرية)، دمشق (مطبعة العلم)، ١٩٦٤ و ١٩٧٠ م.
- الفتوحات المكيّة (عثمان مجي)، القاهرة (الهيئة العامّة المصرية للكتاب) ١٩٧٢ - ١٩٧٨.
- ★ - الفتح المبين في ردّ اعتراض المعارض على محي الدين، تأليف عمر العطار الدمشقي، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ.
- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: تحذير العباد من أهل العناد، تأليف برهان الدين البقاعي^(١).
- شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوّف، تأليف وتحقيق^(٢) عزّة حصرية، دمشق (مطبعة العلم) ١٩٦٥.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، تأليف ميغيل آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
- فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي، عُني بجمعه كوركيس عواد^(٣).
- التكملة (رقم ٦٥٢)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ عنوان الدراية ١٥٨ - ١٦٠؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٠٧ - ٧١١؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ سر كيس ١٧٥ - ١٧٩؛ بالنشأ ٣٧١ - ٣٨٦، ثم في أماكن أخرى (راجع الفهرس الهجائي) فيها أشياء مفيدة؛ نيكل ٣٥١ - ٣٥٢؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧٣؛ سر كيس ١٧٥ - ١٨٠.

سهل بن محمّد الأزدي الغرناطي

١ - هو أبو الحسن سهل بن (الحاجّ أبي عبد الله) محمّد بن سهل بن مالك الأزديّ

(١) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل (راجع نقده في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٣١: ١٣٠).

(٢) كذا على غلاف الكتاب. ويبدو أن الكتاب رسالة جامعية (؟) يمتزج فيها التأليف بالنصوص.

(٣) راجع مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠: ٥١.

الغرناطي^(١)، وُلِدَ بَغْرَاطَةَ سَنَةَ ٥٥٩ للهجرة (١١٦٣ - ١١٦٤ م) وتَلَقَّى العِلْمَ على نفرٍ كثيرين^(٢) منهم في (غَرْنَاطَة): خالُه أبو عبد الله بنُ عروسٍ وأبو مُحَمَّدٍ عبدُ المُنعم ابنِ الفَرَس (٥٢٤ - ٥٩٩ هـ) و (في مَالِقَة) أبو القاسم السُّهيلي (ت ٥٨١ هـ) وعليُّ بنُ ابراهيم بنِ الفَخَّار (ت ٦٤١ هـ) وأبو القاسم بن حُبَيْش و (في إشبيلية) أبو بكر بن الجَدِّ وأبو عبد الله بن زَرْقُون (ت ٥٨٦ هـ). ثمَّ إِنَّهُ تصدَّر للإقراء في غَرْنَاطَةَ وإشبيلية ثمَّ في مُرسيةَ أَيَّامَ منَفَاهُ فيها^(٣). وكانت وفاته في مُنتَصَف ذي القعدة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٥/١٧ م).

٢ - كان سهل بنُ مُحَمَّدٍ الأزدِيُّ الغرناطيُّ بارِعاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: القراءاتِ والحديثِ والفقهِ واللُّغة والنحو والأدب، وكان له نظمٌ ونثرٌ وترسُّلٌ وخطب. وكان مُصَنِّفاً، له كتابٌ في العربية (النحو) مُرتَّبٌ على نَسَقِ كتابِ سِيبَوَيْهِ^(٤) (ولكن لم يُتِمَّهُ) ثمَّ له تعاليقٌ على كتابِ المُستَصفى في أصولِ الفقه (للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال سهل بن مُحَمَّدٍ الأزدِي الغرناطي في أخلاق الناس:

نهارك في بحرِ السفاهةِ تسبحُ، وليلك عن نَوْمِ الرفاهةِ يصبح^(٥).

-
- (١) هذا النسب مأخوذ من برنامج الرعيني (ص ٥٩) لأنَّ الرعيني تلميذه. وفي التكملة والذيل (٤): (١٠١): سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن مالك...
 - (٢) راجع أسماء شيوخ الرعيني والمعارف التي كانوا يقرئونها في برنامج شيوخ الرعيني وفي الذيل والتكملة.
 - (٣) نفي من غرناطة إلى مرسية، في أيام المتوكل بن هود المستبد بجنوب الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) قبل بني الآخر.
 - (٤) هو سيبويه عمرو بن عثمان (نحو ١٤٠ - ١٨٠ هـ) إمام النحاة المصريين، له كتاب في النحو جامع مشهور جيد يعرف بكتاب سيبويه أو بالكتاب فقط.
 - (٥) نهارك (بالنصب) ظرف مفعول فيه، أي «تبقى طول نهارك». وليلك مثلها. يصبح: يدخل في الصباح - إذا ذهب الليل وطلع الصبح كنت قد غت نوماً هادئاً هائئاً.

وفي لَفْظِكَ الدَّعْوَى، وليسَ إزاءَها من العَمَلِ الزاكي دليلٌ مُصَحَّحٌ^(١).
 إذا لم تُوافِقْ قَوْلَةَ منك فَعَلَةٌ، ففي كلِّ جُزْءٍ من حديثِكَ تُفْصَحُ.
 تَنَحَّ عن الغاياتِ، لست بأهلِها. طريقُ الهوينَا في سُلُوكِكَ أَوْضَحُ^(٢).
 إذا كُنْتَ في سِنِّ النُّهى^(٣) غيرَ صالِحٍ، ففي أيِّ سَنٍّ بعدَ ذلكَ تَصْلُحُ؟

- وقال في الاضطراب والاطمئنان:

مُنْغَصُ العيشِ لا يَأوي إلى دَعَاةٍ من كان ذا بلدٍ أو كان ذا وَلَدٍ^(٤).
 والساكِنُ النفسِ من لم تَرْضَ هِمَّتُهُ سُكْنَى مكانٍ ولم يركنْ إلى أَحَدٍ^(٥)!

- وله في الحماسة (وصف صلابة نفسه): من «برنامج الرعيني»:

أدافعُ هَمِّي عن جوانِبِ هِمَّتِي، وتأبى همومُ العارفينَ على الدَفْعِ^(٦).
 وَأَلْتَمِسُ العُتْبَى وحيداً، وعَاتِي وصَرَفُ اللَّيالي والحوادثُ في جَمْعِ^(٧).
 وإِنِّي - من عَزَمِي وحَزَمِي وهِمَّتِي وما رُزِقَتُهُ النفسُ من كَرَمِ الطَّبْعِ -
 لَفِي مَنَصِبٍ تَعْلُو السَّماةَ سَمَاتُهُ فَتَثَبْتُ نوراً في كواكِبِها السَّبعِ^(٨).

-
- (١) الدعوى: الادِّعاء (ادِّعاء المرء ما ليس فيه). إزاءها: إلى جانبها، معها. الزاكي: الطاهر، الصالح. مصحَّح: صحيح (مؤيَّد بأفعالك الصالحة الدالَّة على كلامك وادِّعائك).
- (٢) تنَحَّ: ابتعد، اترك. الغاية: علامة منصوبة يستنقب الناس (يسابق الناس بعضهم بعضاً في الوصول) إليها. بأهلها = بأهل لها (لا تليق بك لأنك غير قادر عليها). الهوينَا: التَّأَنِّي والبطء. - إنَّ الذي يراقبك يدرك أنَّك تفضِّل الحياة التي لا كفاح فيها.
- (٣) النُّهى: العقل.
- (٤) - (اجعل الشطر الثاني في اجتلاء المعنى قبل الشطر الأوَّل). من كان ذا بلد (صاحب دار أو بيت) البلد: الدار (لفظة يمانية، تاج المروس، الكويت ٧: ٤٤٤). وسهل بن محمد أُرْدِي (أصله من أُرْد اليمن). - من كان ذا بلد وذا ولد (يحمل تبعة).
- (٥) - من أراد أن يعيش هادئاً فلا يسكن في مكان لا يثق بأحد من أهله.
- (٦) - أحاول أن أبعد الهموم عَنِّي، ولكن علمي العميق بحقائق الحياة لا يَمَكِّنني من نسيان تلك الهموم.
- (٧) العُتْبَى: الرضا، وإرضاء العاتب (اللائم، المنتقد). - المصائب والأحداث تَسَوَّعُ أن يظَلَّ العاتب عاتباً.
- (٨) سماته (؟) لعلَّها جمع سمة (يكسر ففتح): علامة (صفة، فضيلة). - فضلي يخلع نوراً على النجوم.

غلا صَرْفُ دهري إذ علا، فإذا به
تدرَّعتُ بالصبر الجميل - وأجَلَبْتُ
فما ملأتُ قلبي ولا قبضتُ يدي
فإن عَرَضْتُ لي لا يَقوهُ بها فمي،
- وقال يصف شمعاً:

ولا مِثْلَ يومٍ قد نَعِمْنَا بِحُسْنِهِ،
إلى أن بَدَتْ شمسُ النهار تَرُوعُنَا
ولما توارتْ شمسُهُ بِحِجَابِهَا،
وغابتْ فكان الأفقُ عند مَغِيبِهَا
أَتَانَا بها صفراءُ يسطعُ نورُها
فَرَدَّتْ علينا شَمْسَنَا وَأَصِيلَنَا
مُذْهَبٍ أَثْنَاءَ المَروِجِ صَقِيلٍ^(١)،
بسيرٍ صحيحٍ واصفرارٍ عليلٍ^(٢).
وآذَنَ باقي نورِها بِرَحِيلٍ^(٣)،
كَقَلْبِي مُسَوِّدًا لِفَقْدِ خَلِيلِي،
فَمَزَّقَ سِرْبَالَ الدُّجَى بِفَتِيلٍ^(٤).
بُشْبِهِ شَمْسٍ فِي شَبِهِ أَصِيلٍ^(٥)!

- (١) - لما عظمت مصائب دهري علي غلت (أفرطت، بالغت في محاولة إذلالي فلم تذل مني غابتها). الشسع: سير تربط به النمل.
- (٢) ملأت قلبي: أخافتني. قبضت يدي: منعتني التصرف العاقل في الأمور. نحتت أصلي: عابتنني، نقصت من شرفي. هصرت (خفضت) فرعي (غصني): لم تذلي، لم تخضعني لعلها: نحتت أثلي (الأثل نوع من الشجر). وفي القاموس (٣: ٣٢٧): وهو ينحت في أثلتنا (يطعن في حسنا).
- (٣) - لا أشكو منها ولا يضيق ذرعي (صدري): أغضب.
- (٤) - لم نسرّ بحسن يوم من قبل كما سررنا بيومنا هذا. أثناء المروج: صفوف النبات فيها (٤). مذهبة (بالزهر أو بنور الشمس).
- (٥) راعه: أعجبه مع شيء من الهيبة والخوف. - تسير في الفلك كالرجل الصحيح (مستقيمة السير دائبة) ولكن كالرجل العليل (صفراء اللون) - لعل ذلك كان في أوائل الربيع!
- (٦) توارت بالحجاب: غابت، اقتباس من «حتى توارت بالحجاب» (٣٨: ٣٢ سورة ص). آذن به: أعلم (أوشك، اقترب). باقي نورها: الفسق (اللون الباقي على الأفق الغربي بعد غياب الشمس).
- (٧) بها (بشمعة). سربال: ثوب. فتيل: خيط مقنول يكون في الشمعة وتضاء بوساطته.
- (٨) ردت شمسا: أضاءت لنا (في الليل). أصيلنا (الوقت بين الظهر والمغرب)، أي جعلت النور في الليل مثله قرب الغروب لا عند الظهر (كان ضوءها قليلاً). في شبيه أصيل: لون الشمعة كان أصفر مثل لون الجوّ عند الأصيل.

- وله أيضاً (نفع الطيب ٣ : ٦٠٠ - ٦٠١) :

وَرُبَّ يَوْمٍ وَرَدْنَا فِيهِ كُلَّ مَنَى، وَقَلَّ فِي مِثْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَنْ نَرِدَا^(٣)،
فِي رَوْضَتَيْنِ بِشَطْئِي سَلْسِلٍ شِيمٍ، كَمَا اجْتَلَبْتَ مِنَ الْحُبُوبِ مُفْتَقِدَا^(٤).
يُبَدِّدُ الْقَطْرُ فِي أَثْنَائِهِ حَلَقًا، فَتَنْظِمُ الرِّيحُ مِنْهَا فَوْقَهُ زَرْدَا^(٥).
- وَيُرَوَّى لَهُ (المغرب ٢ : ١٠٥) :

كُلُّ وَجْدٍ سَعِغْتُمْ دُونَ وَجْدِي، لِأَصِيلٍ يَفُوتُ طَرْفِي بِنَجْدٍ^(٦)،
حَيْثُ جَرَزْتُ ذَيْلَ كُلِّ مُجُونٍ، بَيْنَ حُورٍ تَمِيسُ فِيهِ وَرَنْدٌ^(٧)،
وَسَوَاقٍ كَأَنَّهُنَّ سُيُوفٌ، جُرَدْتُ فِي الرِّيَاضِ مِنْ كُلِّ غَمْدٍ.

- (من نفع الطيب ٧ : ٩ - ١٠)^(٨) :

قال ابن سعيّد^(٩) : سَمِعْتُ أبا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى ابْنِ زُهْرٍ^(١٠) ، وَقَدْ أَسَنَّ (ابْنَ زَهْرٍ) وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ - إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِحُصْنِ سَبْتَةَ - فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ. وَجَرَّتِ الْمُحَاضَرَةُ أَنْ أُنْشَدَ (أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ) مُوشِحَةً وَقَعَ فِيهَا :

(٣) النية : المشتهى ، الغاية . ورد : شرب (تمتع) .

(٤) السلسل : الماء العذب (الخفيف) الذي يمر في الحلق بسهولة . شيم : بارد . - كما لو رجع إليك محبوبك الذي كان قد هجرك .

(٥) القطر : المطر . في أثْنَائِهِ : في أثناء النهر . - يجري النهر فيندفع ماؤه في شبه حلقات متفرقة ، فإذا هبَّ الريح على النهر قَرَّبَتْ بعض تلك الحلقات من بعض فتبدو كأنها زرد درع .

(٦) وجد : حب ، شوق . دون : تحت (أقل) لأصيل إلخ (٢) .

(٧) تَمَتَّتْ بِكُلِّ لَهْوٍ : الحور جمع حوراء : بيضاء (امرأة جميلة) . الرند شجر طيب الرائحة . ماس : تمايل . ويعجز : الحور (بالفتح) : نوع من الشجر الكبير العالي .

(٨) يبدو المقطع التالي وكأنه غريب عن حياة صاحب الترجمة ، ولكنه يوافق أحداث حياة صاحب الترجمة في المكان والزمان والاسم . فيحسن التفتن إلى ذلك .

(٩) ابن سعيّد = علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيّد (ت ٦٨٥ هـ) أحد مؤلفي كتاب « المغرب في حلى المغرب » .

(١٠) ابن زهر = أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) طبيب موقّق وشاعر مجيد ووشاح بارع .

كُحِلُ الدُّجَى بِجَرِي مِنْ مُقْلَةٍ النَّهْرِ عَلَى الصَّبَاحِ،
وَمِغْصَمُ النَّهْرِ فِي حُلِّي خُضْرٍ مِنَ الْبِطَاحِ.

فتحرَّكَ ابنُ زُهْرٍ وقال: أُنْتَ تقولُ هذا؟ قال: اختَّبر. قال (ابن زهر): وَمَنْ
تكونُ؟ فأخبرَهُ فقال (ابن زهر): ارْتَفَعْ، فوالله، ما عَرَفْتُكَ.....
(ومِمَّنْ اشتهر بالتوشيح) أبو الحسن سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ بَغْرَنَاطَةَ. قال ابنُ سعيد: كان
والدي يُعْجَبُ بقوله:

إِنَّ سَيْلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الْأَفْقِ^(١)
فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الْوُرْقِ^(٢) أَتْرَاهَا خَافَتْ مِنَ الْفَرْقِ
فَبَكَتْ سَحْرَةً عَلَى الْوُرْقِ^(٣)!

٤-★★ زاد المسافر ٩٦ - ٩٧ (رقم ٢٣): برنامج الرعيبي ٥٩ - ٦٣، المغرب ٢: ١٠٥،
الذيل والتكملة ٤: ٢٢٩ (ص ١٠١ - ١٢٤)، الديباج المذهب ١٢٥، بغية الوعاة
٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢: ١١٢، ٣: ١٩٣، ٣٧٢، ٦٠٠ - ٦٠١، ٤: ٨،
٣١١، ٧: ٩ - ١٠، الأعلام للزركلي (٣: ١٤٣).

أبو بكر بن قسوم

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قسوم^(١) بن أصبغ بن مهني

-
- (١) سيل الصباح: عمود النور الذي يرى فوق الأفق الشرقي بعد الفجر. عاد مجرأ: انتشر.
(٢) تداعت: دعا بعضها بعضاً. النوادي جمع نادبة (اشتهر صوت الحمام بأنّه يوحى بالفرح والحزن في وقت واحد). الورق جمع ورقاء: الهامة.
(٣) سحرة: في الصباح الباكر. على الورق: على الأغصان (المكتسية بالورق).
(١) لعلّ «قسوم» تصغير «قاسم». «مهني» ضبطت بفتح فسكون ثم كسرة من غير شدة على الياء (برنامج الرعيبي ٩٢). وضبطت في الذيل والتكملة (٦: ٢٤٣) «بضم الميم وبفتحة حائرة بين الهاء والنون وبألف مقصورة: ياء بلا نقطتين). وفي تاج المروس (الكويت ١: ٥١٤): المهناً (بضم ففتح ففتح على نون مشددة ثم همزة) اسم رجل.

الأندلسي اللخميّ الإشبيليّ، وُلِدَ لثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ٥٦٣ هـ^(١) (١١٦٨/٤/٢٥ م).

روى أبو بكر بن قسوم عن نفرٍ من العلماء منهم ابنُ عمران المارتنّي (ت ٦٠٤ هـ؛ راجع ترجمته)، لازمه مدةً طويلةً وأخذَ عنه طريقةَ التصوّف. ثمّ كان منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن ملكون الحضرميّ الإشبيليّ النحويّ (ت ٥٨١ هـ) والحافظُ أبو بكر بن الجَدّ، وقد أجاز له؛ ومنهم أيضاً أبو العبّاس بن سيد، وكان كثيرَ الرواية عنه ثمّ أبو إسحاق بن أحمد بن سيّد أبيه^(٢).

ودخل أبو بكر بن قسوم - في أوّل أمره - في خدمةِ أحدِ أمراءِ وقته ونال معه دنياً واسعةً وجاهاً عريضاً. ثمّ إنّه زهدَ وترك ذلك كلّهُ واشتغلَ مدةً بإقراء القرآن ونسخِ المصاحف. ثمّ كفّ بصره في آخرِ عمره. وكانت وفاته في رابعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٦/٦ م).

٢ - كان أبو بكر بن قسوم ورعاً زاهداً، وقد اشتهرَ بذلك. وكذلك كان يقضي كثيراً من أيّامه صائماً مع الإقلال من الطعام. وهو أديبٌ بارع وناظمٌ وناثر، سهلُ اللغةِ واضحُ المعاني قليلُ التكلّف، ولكنّ أكثرَ معانيه مأخوذةً من الأمثال ومن الأشعار.

من ذلك مثلاً «:

قد قلتُ قولاً للخليفةِ ناصحاً قولَ المحقّق والنصيحِ المُشفّي:
لا تصحّبَن، ما عشتَ، قارئَ منطِقِي؛ «إنّ البلاءَ موكّلٌ بالمنطقي».
وكذلك قوله

(١) في برنامج الرعيّني (ص ٩٣): ثلاثة (!) وخسون وخسمائة.
(٢) أبو العبّاس بن سيد لم يرد في فهرس برنامج الرعيّني (ولم أهدأ أنا إلى شيء عنه). ابن سيّد أبيه هو (برنامج الرعيّني ١٢٠) إبراهيم بن أحمد بن محمد الزهري من أهل إشبيلية ومن القراء (للقرآن) والحفاظ (للحديث).

* أصبحتُ لا أنا في الزُّهَاد مُنْقَطِعٌ
مثلُ النِّعَامَةِ لا طَيْرٌ قَتَلَحِقَهَا
* دَفَعْتُ إِلَى الزَّمَانِ غُرَابَ بَيْنٍ
فإنَّ يَكُنِ الْغُرَابُ جَنَى أَغْتَرَابًا،
حقًا، ولا كاسِبٌ أَغْدُو إِلَى السُّوقِ ^(١) :
مَعَ الطُّيُورِ وَلَا تُحْدِي مَعَ النُّوقِ ^(٢) .
فَعَوَّضَنِي الزَّمَانُ بِهِ حَامَا ^(٣) .
فَقَدْ جَلَبَ الْحَمَامُ لَنَا حَامَا ^(٤) .

ضَحِكْنَا، وَكَانَ الضُّحْكُ مَنَا سَفَاهَةً .
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنْنَا
هَلِ الْمَرءُ إِلَّا كَالزُّجَاجَةِ كُلِّهَا
وَحُقُّ لَنَا، أَهْلُ الْبَسِيطَةِ، أَنْ نَبْكِي،
سَنَحْيَا الْمَلِكَ أَوْ سَنَحْيَا إِلَى هُلْكَ ^(٥) ؟
تَخَلَّلَهَا صَدْعٌ أُعِيدَتْ إِلَى السَّبَكِ ^(٦) ؟

أَمَّا فَنُونُهُ فِيهِ الزُّهْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالرُّثَاءُ . وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مُكْثِرًا مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَالْتِرْسُلِ (فِي أَيَّامِ خِدْمَتِهِ فِي دِيْوَانِ أَحَدِ الْأُمَرَاءِ) وَلَكِنَّهُ أَتْلَفَ مَا كَانَ قَدْ أَنْشَأَ مِنَ
الرِّسَائِلِ وَنِظْمِ مِنَ الشُّعْرِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَفِظَ مِنْ شِعْرِهِ جَانِبٌ غَيْرٌ قَلِيلٍ .
وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قَسُومٍ مُصَنِّفًا فِي الزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ وَرِجَالِهِمَا ، لَهُ : مَحَاسِنُ
الْأَبْرَارِ فِي مُعَامَلَةِ الْجَبَّارِ ^(٧) - النُّبَذَةُ الْمَشْتَمِلَةُ عَلَى شُدُورِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ (لَعَلَّ هَذِهِ
النُّبَذَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَبْنُ قَسُومٍ قَدْ أَتْلَفَهَا) .

-
- (١) منقطع (لا يعمل عملاً آخر). الكاسِب: الذي يسعى لكسب رزقه. غدا: ذهب في الصباح.
(٢) تلحقها (أنت): تنسبها إلى الطير، تعدها في الطيور. تحدى (تساق). النوق جمع ناقة.
(٣) غراب بين (فراق): شعر أسود كالغراب من المعروف أنه سيبين (سيبتعد): سيصبح بعد سواده
أبيض. حام (كناية عن الشعر الأبيض).
(٤) إذا كان الشعر الأسود لما جاء إلى رأسي جاء ومعه التهديد بالاغتراب (بالمهجر، بالذهاب)، فإنَّ الحمام
(بفتح الحاء: اللون الأبيض في الشعر) جاء ومعه نذير بالحمام (بكسر الحاء: الموت).
(٥) البيتان الأول والثالث تزييف لبيقي أبي العلاء المعري:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
يخطئنا ريب الزمان كأننا
* وللسبك عاد كبير الزجاج
ولا يسبك الدر إذ ينكر، الخ.

(٦) الهلك: الهلاك. سنحيا ملك (٩).

(٧) الصدع: الشق (بالفتح).

(٨) الأبرار جمع بار: الرجل العابد الزاهد (والكثير الطاعة لله والرحيم بأهله). الجبار (من أسماء الله
الحسنى). راجع تاج العروس (الكويت ١٠ : ١٥٤).

٣- مختارات من شعره:

- لأبي بكر بن قسوم مثنان:

تَجَنَّبَ مَا اسْتَطَاعَتْ إِخَاءُ قَوْمِ
فَظَاهِرُهُمْ، إِذَا نُظِرُوا، يُسَابُّ؛
★ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ عَفَتْ آثَارُهُ،
وَمَضَى الْحَلَالُ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُ سِوَى
★ أَقُولُ، وَحُكْمُ اللَّهِ يَنْفُذُ فِي الْوَرَى،
أَلَا لَيْتَ عَيْنِي أَذْهَبَ الدَّمْعَ نَوْرَهَا،
★ لَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ الْغَوَايِ، إِنَّ بَدَا
كَرِهَ الْغَوَايِ مِنْ بَيَاضِ مَفَارِقِي
★ إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَكُنْ ذَا مَحَامِدٍ،
هَلِ الْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ؟
★ إِذَا سِثْتَ يَوْمًا أَنْ تَخِيفَ عَلَى الْوَرَى
فَأَعْظِمُهُمْ مَا كَانَ عِنْدَكَ وَافِرًا،

- (١) العجَاب «(بالضَّمّ)»: ما يدعو إلى العجب الشديد.
- (٢) عفا أثره (امحى، زال). خبط: سار على غير هدى. العمياء (أرض عمياء لا يرى السائر فيها علامة تدلّه على الطريق).
- (٣) الحلال (الكسب من وجوه مشروعة). كما وصفوا (كذا في الأصل)، لعلّها: كما ذكروا (وهذا أصحّ في المعنى). العنقاء: طائر خرافي .
- (٤) عاف: كره، هجر، ترك.
- (٥) إنّ الغواني (جمع غانية: المرأة الجميلة والمستغنية بحالها الطبيعي عن التزيّن بالخلی) تكره الشيب في رأس الرجل كما يكره الرجل الشيب في رأس المرأة.
- (٦) أثّل الحمد: غناه (زاد في قيمته).
- (٧) العارة والعارية: ما تعطيه لفيرك على شرط أن يرده إليك (أو يرده إليك مثله) فيما بعد. والعواريّ (بتشديد الياء جمع عارية). وجمع عارة عوار. وهذان البيتان اتكاء على قول بشّار بن برد في مديح خالد بن برمك. والبيت الأخير من مدحة بشّار:
- فَأَطْعَمَ وَكَلَّ مِنْ عَارَةٍ مُسْتَرَدَّةٍ وَلَا تَبْقَهَُا ————— إِنَّ الْعَوَارِيَ لِلرَّدِّ.

- وقال أبو بكر بن قسوم يرثي ابناً له تُوفِّيَ وله مِنَ العُمُرِ ثلاثَ عشرةَ سنةً
(ويبدو أَنَّهُ كانَ ابناً وحيداً):

يُرُّ الحَبِيبُ بِقَبْرِ الحَبِيبِ فِلا ذَا يُنَادِي، وَلا ذَا يُجِيبُ.
وَكَيْفَ يُجِيبُ رَهْنُ الثَّرَى رَمَاهُ الحِجَامُ بِسَهْمٍ مُصِيبِ^(١)؟
تُنَوِّسِي لَنَا نَأَى عَهْدُهُ، وَأَقْفَرُ مِنْهُ اللُّوَى وَالكَثِيبُ^(٢).
إِذَا أُودِعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ، فَلَيْسَ لَهُ - وَيَحَهُ، مِنْ حَبِيبٍ.
* شَطَّتْ بِمَنْ تَهَوَّاهُ عَنْكَ الدَّارُ، وَقَضَّتْ عَلَيْكَ مُحْكِمَهَا الْأَقْدَارُ^(٣).
بَرْدٌ لَهَيْبِ الشَّوْقِ مِنْكَ بَعْبَرَةٌ تَنْقَعُ ضُلُوعَكَ، إِنَّهَا لَحَرَارُ^(٤).
رَحَلَ الحَبِيبُ عَنِ الحَبِيبِ، فَذَمَعَهُ عِنْدَ التَّذَكُّرِ وَاكِفٌ مِدْرَارُ^(٥).
فِي الْجَفْنِ مِنْهُ عَبْرَةٌ سَيَّالَةٌ تَسْقِي الحُدُودَ، وَفِي حَشَاهُ النَّارُ.
يَا حُرْقَةً، يَا فَجْعَةً، يَا لَوْعَةً سَكَنْتُ فُؤَادِي مَا لَهَا مِقْدَارُ^(٦).
يَا ظَاعِنًا حَطَّ الرُّكَّابَ بِمَعْشَرٍ عَمِيتَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ الْأَخْبَارُ^(٧)،
لِلَّهِ مِنْكَ هِلَالٌ عَشْرٌ قُورِنَتْ بِثَلَاثَةِ لَوْ يَكْمُلُ الْإِبْدَارُ^(٨)!
أَنْسَتْ بِزَوْرَتِكَ الْقُبُورُ، وَأَصْبَحَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ كَأَنَّهُنَّ قِفَارُ^(٩).

- (١) الرهين: المرهون (المحبوس). الحجام (بالكسر): الموت. الثرى: التراب.
- (٢) نأى: ابتعد. نأى عهده (طال الزمان بعد انقضاء حياته). اللوى (الرملة المستدير) والكثيب (الرملة المستطيل المحدود) كناية عن الأماكن التي يسكنها البدو (أو يسكنها الناس عامة).
- (٣) شط: أصبح بعيداً.
- (٤) العبارة: الدفعة (البكاء). نفع الماء غلتي (حرارة جوفى): أذهبها. والأصل: نفع الماء العطش (أذهبه). حرار جمع حرى: شديدة العطش أو الحزن (أو الحرارة).
- (٥) ذمعه (الهاء ضمير يرجع إلى «الحبيب» الثاني). واكف: سائل. مدرار: كثير السقوط (كالمطر).
- (٦) الفجعة: فقد عزيز (كموت قريب أو حبيب أو نسيب) أو خسارة ثمين (كالمال). واللوعة: الحرقعة والألم من حب أو حزن. مال ها مقدار (ما لها مقدار معروف = عظيمة جداً).
- (٧) الظاعن: الراحل. حطَّ الرحال (جمع رحل بالفتح): السرج على الجمل أو الفرس (كناية عن السكنى الدائمة).
- (٨) عشر = عشر ليال. بثلاثة (كذا في الأصل. والصواب بثلاث = مع ثلاث ليال). لم يكمل الإبدار (بلوغ القمر تمامه حتى يصبح بديراً (ليلة أربع عشرة). - يقول فقد ابنه، وعمر ابنه ثلاث عشرة سنة (ولم يبلغ بعد أربع عشرة سنة) يشبهها بالبدر الذي يبلغ تمامه في الليلة الرابعة عشرة.
- (٩) القفار (بالكسر) جمع قفر (بالفتح): أرض خالية.

ولقد أردتُكَ أن تعيشَ لكبري
ولقد تراكضنا الحياةَ لغاية:
ما إن وجدتُ على مُصابك ناصراً
- وقال أبو بكر بن قسوم يذمّ الذين يشتغلون بالمنطق وعلوم الأقدمين (الفلاسفة) ثم هم يهملون علوم الشريعة:

ألا قبحَ الرحمنُ شرَّ عصابة
تُصدِّقُ ما قال ابنُ سيناء ضلّةً،
أقاويلُ إفكٍ ما لها من حقيقة
ألا غضبةَ الله في نصرِ دينه
★ عذيري، عذيري من فرقة
تدينُ بما قاله فاسق
تُصدِّقُ قولَ ابنِ سيناءها

تدينُ بأقوالِ الغواة، وتفتدي^(١)
وتكذبُ قولَ الهاشميِّ محمد^(٢)
تفيدُ سيوى الكفرِ الصريحِ المجرد^(٣)
تقدُّ طلابهم بالحُسامِ المهند^(٤)؟
غدَتَ للشريعةِ أعدى العدى^(٥)
تَزندقُ في قوله وأعتدى^(٦)
وتكذبُ قولَ نبيِّ الهدى^(٧)

- (١) الكبرة التقدم في السن كثيراً (حتى يعجز الإنسان عن قضاء حاجاته) والزمانة: المرض الدائم المقعد. أراذك (فضل أن يأخذك مني الجبار الله).
- (٢) تراكضنا: ركضنا معاً (تسابقنا). يقال تراكضنا خيلنا (بنصب خيل على أنها مفعول به) جنناها تركض في السباق. تراكضنا الحياة (بالنصب): جرت حياتي وحياتك في سباق (وكان المنتظر أن أسبقك أنا إلى الموت لأنني أبوك وأكبر منك سناً. فسبت أنت متّ قبلي. وخاني أنا المضار، أي الحلبة - بفتح ففتح - التي تتسابق فيها الخيل. أنا عجزت عن أن أسرع في السباق).
- (٣) لم أجد ناصراً (من الناس) يخفف من حزني. فكانت الدموع وحدها أنصاري. (تعينني على تحمل المصيبة). ولعله يقصد أن يقول: أنصار جمعاً لنصر (بالفتح) ونصرة (بالضم) بمعنى المطر (تاج العروس - الكويت ١٤: ٢٢٤ و ٢٣٤) وحسن الموعنة (ص ٢٢٥).
- (٤) الغواة جمع غاو: الممعن (البالغ) في الضلال (في الحيد عن الصواب).
- (٥) ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) طبيب عالم بارع وفيلسوف. ضلّة (بالكسر): اتباع غير الرشاد وغير الصواب.
- (٦) الأفك: الكذب.
- (٧) ألا غضبة الله (من حاكم قادر). تقدّ: تقطع. الطلا جمع طلاة (بالضمّ فيها): الرقبة، العنق. الحسام: السيف الذي يحسم (يقطع اللحم والعظم) المهند (صنع الهند) ويكون جيد الحديد جيد الصنع.
- (٨) العذير: العاذر والناصر والمساعد. عذيري من فلان: من يعني على (قتال) فلان؟
- (٩) دان: خضع وذلّ. اعتقد، عمل بقاعدة ما. الفاسق: الذي خرج عن طاعة الله، الجاهر بالمعصية.
- (١٠) ابن سينا (راجع حاشية تابعة للمقطوعة السابقة). نبي الهدى: محمد رسول الله.

مَتَى يَأْذَنُ اللَّهُ فِي حَسْمِهَا بَضْرَبِ الْحُسَامِ وَحَزَّ الْمُدَى؟^(١)

٤-★★ التكملة ٢: ٧٥٤ (رقم ٢١٢٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٤٢ - ٢٥٢ (رقم ٧٠٥)؛
برنامج الرعيني ٩٢ - ٩٥، الأعلام للزركلي (٦: ٢٣٢).

(١) حسمها: قطعها (إبادته تلك الفرقة الفاسقة). الحسام: السيف القاطع. المديّة (بالضم): السكين.

فهرس أعلام الأشخاص

- ★ وفيه عدد يسير من المدارك العامة.
- ★ ثم يرد في المقدمة عدد من الأعلام أخذتها من كتب أخرى أمثلة فلم أدخلها في هذا الفهرس، وكذلك الأسماء الواردة في قائمة المصادر والمراجع.
- ح = في الحاشية؛ م = مكرر.
- ★ والنسبة «ابن فلان» مقدمة على الكنية «أبو فلان»، إلا إذا كانت الكنية مشهورة جداً أو إذا كانت النسبة مجهولة.
- ★ واللقب: الصدي، الصيرفي، الحجاري مقدمة على الكنية عموماً.

آ - أ

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| إبراهيم بن وزمر (شخصان) ٣١٣ ح. | آدم ١٣٧، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٨٧، |
| ابرويز الثاني ١٩٦ م. | ٤٢٤، ٦٤٦، ٧١٥ ح م. |
| أبقراط = بقراط. | آل زهر ٤٠ - ٤١. |
| ابليس ٣٢٥ ح، ٥١٧ م، ٦٢٨ ح. | الآمر الفاطمي - منصور بن احمد |
| ابن الأبار - محمد بن عبد الله ٢٣٧، | ١٨٠. |
| ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨ م، ٦٤٢ ح. | آمنة بنت وهب ٧١٥ م. |
| ابن الأبار (شخص مقامات) ٤٤٧. | إبراهيم (اسم) ٥٠٨ ح. |
| ابن الأبرش ٢٨٩. | إبراهيم الخليل ٤١٢ م. |
| ابن أبي بزة = البرزي. | إبراهيم بن أبي بكر التلمساني ٣٦٨. |
| ابن أبي البقاء البلنسي (٥٩٥ - | إبراهيم بن تاشفين = ابن تاشفين. |
| ٥٩٧). | إبراهيم بن محمد الاشيلي ٣٦٦. |
| ابن أبي خازم ١٧٣ ح. | |

- ابن أبي الخصال - محمد بن مسعود (٢٦١ - ٢٦٤)، ٤٤، ٦٢، ٣٣٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٦٧١.
- ابن أبي الربيع - عبد الله بن احمد ٣٧٨.
- ابن أبي الركب = أبو ذرّ، محمد بن مسعود.
- ابن أبي رندقة = أبو بكر الطرطوشي.
- ابن أبي زمنين - عبد الله ١٧٠.
- ابن أبي زيد - أبو عليّ ٤٢٧.
- ابن أبي زيد القيرواني - أبو محمد ١٤٦.
- ابن أبي الصقر الخزرجيّ - ابو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن (٤٠٧ - ٤١٠)، ٣٧٢.
- ابن أبي الصقر الخزرجي = عبد الرحمن ابن محمد.
- ابن أبي صواب ٢٣٧.
- ابن أبي الطواجين ٦٤٥.
- ابن أبي العافية ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٩.
- ابن أبي عامر = المنصور.
- ابن أبي عامر (صاحب منية بلنسية) ٣١٨ ح.
- ابن أبي عصرون ٣٩٨، ٦٠٨.
- ابن أبي العيش - علي ٣٥٣، ٦٠٨.
- ابن الأبيض = ابو بكر.
- ابن الأثير ٧٣ ح.
- ابن أحلى (ذكر في شعر) ٥٨٢ م.
- ابن أحمد القرشي التاريخي - جابر ٦٥٥.
- ابن الأحمر
- ابن أخت غانم - محمد بن معمر (١٥٩ - ١٦١)، ٢٣٧، ٣٥٣.
- ابن الأخضر الاشبيلي - علي ٢٣٧، ٢٨٩، ٣٠٧.
- ابن إدريس التجيبي - إبراهيم (٦٧٨ - ٦٧٩).
- ابن أرفع رأسه - علي ٣٧٦.
- ابن أزهر الحجري - أبو بكر ٦٢٧ م.
- ابن إسحاق (صاحب السيرة) ٤٦٨ م، ٥٦٨، ٥٦٩، ٦٩٧ م.
- ابن أسد الشاطبي (القاضي) ٢٥١.
- ابن أسد = ابن عتيق.
- ابن إسماعيل (الحافظ) ٢٨٠.
- ابن الأسود (ذكر في شعر) ٣١٠ م.
- ابن الأشركوبي = السرقسطي.
- ابن أصبغ - عبد الجبار ٥٩.
- ابن أصبغ - عيسى ٣٦٨، ٦٣٢ م.
- ابن أصبغ = ابن المناصف

ابن الأصم = عبد الوهّاب القيسي
المنيشي.

ابن أضحى - عليّ (القاضي) ٢٧١ -
٢٧٢.

ابن الأعرابي ٦٢٨.
ابن الأفطس - الفضل بن عمر ١٩٢،
١٩٨.

ابن الأفطس = المعتصم، المتوكل.
ابن الأفطس المنصور - عبد الله بن
مسلمة.

ابن الأفطس المنصور - يحيى بن محمّد
٨٠، ١١٥، ١٩٢ م.

ابن أفلاطون = ابن عربي.
ابن أفلع = جابر

ابن الاقليشي = ابن وكيل الاقليشي.
ابن أريق ٤٠٥ م، ٦٨٩ م.

ابن الامام الشلي (٣٣١ - ٣٣٤).
ابن أمين السعدي - محمّد بن أحمد ٦٢.

ابن باجّه (٢١٥ - ٢١٨)، ١٦، ٤٠،
٤١ م، ٤٣، ٥٣، ٥٨، ٥٩،

٦١ م، ١٥٤، ١٨٧، ٢١٣،
٣٧٩ م، ٤١٦، ٤١٩، ٦٧٠.

ابن الباذش - أحمد بن خلف ٣٩.
ابن الباذش - عليّ بن أحمد (١٧٠ -

١٧٢)، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٦٨،
٤١١.

ابن باق الجذامي - محمّد بن حكيم ٦٢.
ابن بحر الأسدي ٢٦٨.

ابن بدرون - عبد الملك (٥٨٢ -
٥٨٥)، ١٩٣ ح، ١٩٥ م.

ابن برّاجان اللخمي - عبد السلام
٤٠، ٤٦٣.

ابن البرّاق - محمّد بن عليّ
(٥٣٠ - ٥٣٩)، ٥٥٥ - ٥٥٦.

ابن برد - أبو حفص احمد ٥١ م.
ابن البرقي ٧٣٢.

ابن بركات = ابن هلال النحوي.

ابن برنجال - محمد بن الحسن (٢٣٢ -
٢٣٣).

ابن برّي - محمّد بن عبد الله ٦٢،
٥٩٣.

ابن بسّام الشتريني (٢٧٣ - ٢٨٠)،
٣٩، ٥٠، ٥١ م، ٦٣، ٦٤ م،

٦٥، ٨٩، ١٨٧ م، ٣٣١، ٣٨١.
ابن بشكوّال (٤٥٦ - ٤٥٨)، ٦٠،

٣٧٢، ٥١٢، ٥٥٠، ٥٦٨، ٦٨٤،
٧١٦.

ابن بشير = محمّد بن بشير
ابن بصّال ٤٧٨.

ابن بقنة ٤٨.

ابن تاشفين - يحيى (والي فاس)
٣٣٥ م، ٣٣٧.

ابن تاشفين - يوسف = يوسف.

ابن تاويت التطواني - محمد ٥٧٤.

ابن تاويت الطنجي - محمد ٥٧٤.

ابن تليد الشاطبي - موسى ٢١٨،
٢٣٧، ٤٨٢.

ابن التوزري النحوي ٧٠٩ ح.

ابن تيسيت - عبد المنعم ٤١١.

ابن تيفلويت - أبو بكر بن إبراهيم
٢١٥، ٢١٦.

ابن ثابت - أبو محمد ٢٣٧.

ابن جامع - أبو سعيد ٥٩٨.

ابن جبر القيرواني ١٥٢.

ابن جبير (٦٠٨ - ٦١٣)، ٣٧٤.

ابن الجدّ - أبو بكر محمد بن عبد الله
١١٠ ح.

ابن الجدّ - أبو بكر ٣٦٧ - ٣٦٨،
٣٨١، ٦٠٢، ٦٦٣، ٧٢٩، ٧٣٤.

ابن الجدّ - أبو القاسم (١٠٩ - ١١٢)،
٣٧٨، ٥٣.

ابن الجلاب الفهري - أبو عبد الله محمد
٣٧٨.

ابن جلدك - موسى بن يغمور ٧١١.

ابن الجنان - أبو بكر (٢٥١ - ٢٥٤).

ابن بقيّ الأندلسي - أبو بكر مجي
(٢٥٦ - ٢٦١)، ٤٢، ٤٣، ٦٨،
١٦٢.

ابن بقيّ - يزيد (القاضي) ٦٥٥.

ابن بليمة القيرواني - الحسن ٤٥٨.

ابن البنيّ ٥٤ - ٥٥، راجع ٢٩٦ ح.
ابن بونة - أبو بكر ٣٣٤.

ابن ببش (ببش) ٤٨٥ م.

ابن البيطار ٣٧٧ م.

ابن تاشفين - إبراهيم بن عليّ ١٢٨.

ابن تاشفين - إبراهيم بن يوسف ١٩٠،
١٩٢.

ابن تاشفين - أبو حامد ٣٩ م.

ابن تاشفين - إسحاق بن عليّ ٢٨١،
٣٢٤.

ابن تاشفين - تاشفين بن عليّ ٢٨١،
٣٢٤.

ابن تاشفين = سير بن أبي بكر

ابن تاشفين - علي بن إسحاق ٢٨١ م.
ابن تاشفين - علي بن يوسف ٤٢، ٦٨،

١١٠ م، ١١١، ١٣١، ١٣٢،

١٧٢، ١٨٧ م، ١٩٣، ٢٠٠،

٢٣٠ م، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٠١،

٣٢٤، ٣١٤.

ابن تاشفين - محمد (والي غرناطة)
٣٣٤.

ابن الجنان - أبو العلاء عبد الحق
(٢٤٩ - ٢٥١).

ابن جني ١٧٠.

ابن الجني (له كتاب المحتسب) ٥٤٥.

ابن الجهم ٦٨٧ م.

ابن جمهور - أبو الوليد ١٤٢.

ابن جودي - أبو الحسن عليّ (٢١٣ -
٢١٥).

ابن الجوزي - أبو الفرج ٦٨٤، ٦٨٥.

ابن الحاجّ (نائر) ٣٣٢ م.

ابن الحاجّ - جعفر بن إبراهيم (١٠٠ -
١٠٢).

ابن الحاجّ - عبد الرحمن بن جعفر
(٣٢٧ - ٣٢٨).

ابن الحاجّ - محمد بن جعفر (وزير)
١٠٠ ح.

ابن الحبال - إبراهيم ٧٢٦.

ابن حبّوس (٤٢٢ - ٤٢٥).

ابن حبيب - عبد الملك ٣٦٧.

ابن حبيش - عبد الرحمن ٣٧٢،
٦٦٩، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٢٩.

ابن حجر - (٩) ١٠٩.

ابن الحدّاد الوادياشي (الشاعر) - محمد
٨٠.

ابن حرب (ذكر في شعر) ٦٠١ م.

ابن حرزهم - عليّ ٣٧٠.

ابن حريق - أبو الحسن عليّ بن محمد
(٦٣٥ - ٦٣٧).

ابن حزم الكبير ٣٨١، ٦٧٠،
٦٨٥ ح.

ابن حزم = اليسع بن عيسى

ابن حزمون الرسيّ - عليّ بن عبد
الرحمن (٦١٣ - ٦١٧)، ٤٣٨.

ابن حسداي - يوسف ١٠٢ - ١٠٤.

ابن حسّون - أبو الحكم ٣٥٣ م، ٣٥٥.

ابن الحشاء التونسي - أحمد ٣٧٤.

ابن حمّاد الصنهاجي - محمد بن عليّ
(٦٥٩ - ٦٦٣)، ٣٧٢.

ابن الحمارة = أبو الحسين، أبو عامر.

ابن حمدون - عليّ بن أحمد ١٥٢.

ابن حمديس - عبد الجبار (٢٠١ -
٢١١)، ٦٨.

ابن حدين (القاضي) ٥٤، ٩٦.

ابن حدين (آخر) ٩٦ م.

ابن حيد - أبو عبد الله ٥٥٨.

ابن حوط الله الحارثي (٦٠٦ - ٦٠٧).

ابن حيّان - حيّان بن خلف ٣٨١.

ابن حيّان - عبد الله بن جعفر ١٤٥.

ابن خاقان = الفتح بن خاقان

ابن خبّازة الخطّاي - ميمون بن عليّ
(٧١٤ - ٧١٥).

ابن الخراط الاشبيلي - عبد الحق
البجائي (٤٦٢ - ٤٦٥)، ٣٦٧،

٥٧٤، ٦٦٠ م.

ابن خروف - علي بن محمد (٥٩٧ -
٦٠٢)، راجع ٥٩٧ - ٥٩٨،
٦٢٤.

ابن خضر الاشبيلي الملاء - عمر ٣٩١.
ابن خفاجة (٢١٨ - ٢٢٥)، ٢٤، ٤٣،
٤٥، ٥١ م، ٦٨ م، ٦٩، ١٧٤،
١٧٥، ٢٤٩، ٣١٦ - ٣١٧،
٣٢٩، ٣٣٩، ٤٣٠، ٤٨٠،
٤٥١ م.

ابن خلدون ١٦ م، ٣٤، ٣٩، ٥٩،
١٦٢، ٢٣٢ ح، ٢٩٦ ح.
ابن خلصة - محمد بن عبد الله
(ت ٥١٩ هـ) ٦١ - ٦٢.

ابن خلصة - محمد بن عبد الله الضريع
(ت ٥٠٣ هـ) ١٥٤.

ابن خلصة - محمد بن مسعود = ابن أبي
الخصال.

ابن خلف الأنصاري الاشبيلي - عبد
الله ٤٢.

ابن خلف الرافى - عبد الله ١٥٢.

ابن خلفون

ابن خلكان ٢٥٧، ٤٤٦، ٦٨٤،
٧١٩ - ٧٢٠.

ابن خليفة الاشبيلي - محمد بن خير
٣٧٤.

ابن خليل العشّاب ٣٦٦.

ابن خيثمة القيسي - محمد ٦٢.

ابن خير الاشبيلي - أبو بكر محمد
(٤٤٢ - ٤٤٣)، ٣٧٢.

ابن خيرة المواعيني - محمد بن إبراهيم
(٣٨٦ - ٣٨٩)، ٥٢ م.

ابن خيرة - محمد بن عبد الله ٤٢٨.

ابن الدبّاغ - أبو الوليد ٤٢٨، ٤٨٠.

ابن دحان - القاسم ٥٤٧، ٥٨١ م،
٦٠٢.

ابن دحية الكلبي - أبو الخطاب
(٦٨٤ - ٦٩٠)، ٣٨٣، ٣٨٤،
٣٧٨، ٣٨٦ م، ٤٨٠، ٧٢٦ م.

ابن دحية الكلبي - أبو عمر ٧٢٠ م.
ابن درّاج القسطلّي ٣٨٢.

ابن دريد ٦٩، ٦٦٠، ٦٦٤.

ابن الدقاق - بدر الدين ٦٢٩ - ٦٣٠.

ابن ذكوان - عبد الله بن أحمد ٤٩٨ م.

ابن ذي النون - إسماعيل (٩) ١٤٢.

ابن رايوند = ريموندو الرابع

ابن رحيم = أبو بكر محمد بن أحمد
(١٢٨ - ١٣١).

- ابن رشد (الجدّ) ٣٩ ، ٥٦ ، ٣٨١ م ،
٤١٠ ، ٤٥٦ (٩) ، ٥٣٠ ، ٦٧٠ م ،
٦٩٣ (٩) .
- ابن رشد (الحفيد: الفيلسوف) (٥٢٤ -
٥٣٠) ، ١٦ ، ٣٩ ، ٣٦٩ م ،
٣٧٠ م ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ م ،
٣٨١ م ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ م ، ٦٧٠ ،
٦٩٣ (٩) .
- ابن رشيق القيرواني - الحسن ٥١ ،
٣٠٨ .
- ابن رشيق - عبد الرحمن ٨٨ - ٨٩ .
ابن الرّمّك ٤٢٣ ، ٤٥٣ ، ٥١٢ .
ابن الرنك = ابن الرّيق (بالهمزة)
ابن الرومي ٣١٥ ، ٤٣٠ ، ٦٠١ ح .
ابن الرومية - أحمد بن محمّد ٣٧٧ .
ابن الرّيق = ابن الرّيق (بالهمزة)
ابن ريموند = ريموند الرابع
ابن زرقون - أبو الحسين ٦٨٤ ،
٧٠١ م .
- ابن زرقون - محمّد بن سعيد (٤٨٢ -
٤٨٤) ، ٦٢٤ ، ٦٩٣ ، ٧٢٩ .
ابن زغبة - أبو عبد الله ٤٤٣ .
ابن الزّقاق البلنسي (١٧٤ - ١٨٠) ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٦٨ م ، ١٧٤ ، ٣١٦ ،
٣٣٩ ، ٥٣١ م ، ٦٧٢ - ٦٧٣ .
- ابن الزكيّ - محيي الدين ٥٩٩ .
ابن زمرك ٣٢١ ح .
ابن زهر - أبو بكر محمّد بن عبد الملك
(٥٣٩ - ٥٤٤) ، ٤١ ، ٣٧٧ ،
٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٥٧١ ، ٦٢٤ ،
٦٧٠ م ، ٧٣٢ - ٧٣٣ .
- ابن زهر - أبو العلاء زهر بن عبد
الملك ٤١ ، ٥٧ - ٥٨ ، ١١٦ ،
١٦٧ ، ٢١٣ م ، ٣٠٣ ، ٣٨١ ،
٦٧٠ .
- ابن زهر - أبو مروان عبد الملك ٤٠ -
٤١ ، ٥٨ م ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٥٣٩ ،
٦٧٠ .
- ابن الزيّات = أبو الحجّاج التادلي
ابن زيد (وزير) ٢٩٩ .
ابن زيدون ١٩١ ، ٣٨٢ ، ٤٩١ .
ابن سالم المالقي (٦٣٤ - ٦٣٥) .
ابن سبعين ٣٧١ .
ابن سحنون - محمّد ٥١٢ .
- ابن سراج - أبو الحسين سراج بن عبد
الملك (٩٥ - ٩٦) ، ٤٤ م .
ابن سراج - أبو مروان عبد الملك
٩٥ ، ١٧٢ .
- ابن السّراج - محمّد بن السريّ ١٧٠ .
ابن السّراج الشنتريني - أبو بكر محمّد

ابن عبد الملك (٣٠٧ - ٣٠٩)،
٦٢.

ابن سراقه = محيي الدين بن عربي
ابن سعادة - محمد بن عبد العزيز
٤٩٣ م.

ابن سعادة - محمد بن يوسف ٤٩٣ م.
ابن سعد (الأمير ؟) ٥٣٠ م.

ابن سعد الخير البلنسي * (٤٢٨ -
٤٢٩).

ابن سعدون - يحيى بن عمر القرطبي
٥٦.

ابن سعيد = أبو بكر بن سعيد
ابن سعيد العنسي - أبو جعفر أحمد
(٣٣٨ - ٣٥٠)، ٣٠، ٤٥٤،
٤٩٠، ٤٩١ - ٤٩٣، ٦١٨ -
٦١٩.

ابن سعيد العنسي - خلف بن محمد
٣٣٨ م.

ابن سعيد العنسي - سعيد بن الحسن
٣٣٨.

ابن سعيد العنسي - سعيد بن خلف
٣٣٨ م.

ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن
عبد الملك (٦١٨ - ٦٢٢)،
٣٤٠ م.

ابن سعيد العنسي - عبد الملك ٣١٥،
٣٢٠، ٣٢١ - ٣٢٢، ٣٣٨ م،
٣٣٩.

ابن سعيد العنسي - علي بن موسى ٥٠،
٣٣١، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٥ -
٣٨٦ م، ٦٩٩، ٧٣٢.

ابن سعيد العنسي - محمد بن عبد الملك
٤٣٠.

ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد
٥٣٢ ح، ٦٥٣.

ابن سفيان - أبو محمد ١٩٠ - ١٩١.
ابن سكرة الصدي = الصدي

ابن السكيت - يعقوب ٦٢٣ م.
ابن سلام الباهلي - أبو الحسن سلام
٦١.

ابن سلام المالقي (٣٨٩ - ٣٩٠).

ابن سلام الهروي - أبو عبيد ٤٦٤ م،
٦١٧، ٦٩٤.

ابن سلتكا = مزدلي
ابن سناء الملك ٦٣٠.

* في الأصل: ابن سعد الخير البلنسي (ولد نحو
سنة ٥١٠ هـ) وتلقى العلم على ابن السيد
البطليوسي (ت ٥٢١) وأختص به (وهذا
موضع نظر - إلا إذا كان مولد أبي الخير
البلنسي أسبق في التاريخ).

ابن شرف - أبو عبد الله محمد ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ح ، ٣١٦ .
 ابن شريح - أبو الحسن شريح ٤٢٣ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٣ .
 ابن شفيع ٢٨٩ .
 ابن شقرون - أحمد ٢٧٠ .
 ابن شقرون - عباس بن عبد السلام
 ٤٦٩ .
 ابن شكر - يحيى بن محمد ٣٧٦ .
 ابن شكيل الصدي (٥٧٩ - ٥٨٠) .
 ابن شلبون ١٨ - ١٩ .
 ابن الشلوين = الشلوين
 ابن شهيد - أبو عامر ٥٠ - ٥١ ،
 ٦٤ م .
 ابن الشيخ = أبو الحجاج
 ابن الصائغ = ابن باجّه
 ابن الصائغ - عبد الحميد بن محمد
 ٢٣٤ م .
 ابن الصابوني الصدي الاشبيلي - ابو
 بكر (٧٠١ - ٧٠٩) .
 ابن صاحب الصلاة - عبد الملك بن
 محمد (٥٢١ - ٥٢٤) .
 ابن صارة الشنتريني (١١٥ - ١٢١) ،
 ٦٨ ، ، ٢٩٦ .
 ابن صاف - أبو بكر ٦٠٢ ، ٦٢٢ .
 ابن الصفار - أبو سعيد ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

ابن سهل الاشبيلي - إبراهيم ٣٧٨ .
 ابن سورة - أبو عبد الله ٥٧٤ .
 ابن السيد (٢)
 ابن سيد اللص الاشبيلي - أبو العباس
 أحمد (٤٥٣ - ٤٥٥) ، ٣٥٢ ح ،
 ٥٤٧ ، ٧٣٤ (٢) ، ٦١٧ - ٦١٨ .
 ابن سيد - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد
 ٧٣٤ م .
 ابن سيد - أبو العباس ٧٣٤ م .
 ابن السيد البطليوسي - أبو الحسن عليّ
 ابن محمد ١٥٢ .
 ابن السيد البطليوسي - أبو محمد عبد
 الله بن محمد (١٥٢ - ١٥٩) ، ٣٩ ،
 ٤١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٧٤ م ،
 ١٧٨ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ ، ٣٥٢ ح ، ٣٨١ ،
 ٤٢٨ .
 ابن سيدالة التجيبي - محمد ٣٧٢ .
 ابن سيدراي - عبد الله بن محمد ٥٨٧ .
 ابن سيدراي - محمد (٥٨٧ - ٥٨٩) .
 ابن سيده ٣٨١ .
 ابن سينا ٤٧٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٧٣٨ م .
 ابن شاهين ٥٤٥ .
 ابن شدّاد - بهاء الدين ٥٩٩ م ، ٦٠٠ .
 ابن شرف - أبو الفضل جعفر (٢٢٥ -
 ٢٣٠) ، ٤٤ ، ٦٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
 ٥٣١ م .

ابن طلحة الأنصاري - أبو جعفر
أحمد (٦٨٨ - ٦٨٩).

ابن طملوس ٣٦٩ م.

ابن ظفر الصقلّي (٣٩٨ - ٤٠٢).

ابن عات النفزي - أحمد ٣٧٢.

ابن عامر اليحصبي - عبد الله ٤٩٨ م،
٤٩٩ ح، ٥٠٠ م.

ابن عباس - عبد الله ٥٢٨ م.

ابن عبد البر - محمد ١١٢.

ابن عبد البر - يوسف بن عمر ٣٨،
٣٦٦ م، ٣٦٧ ح، ٣٨١، ٤٨٣،
٤٩٤.

ابن عبد ربّه - أحمد ٣٨١.

ابن عبد ربّه المالقي - محمد (٦٣٠ -
٦٣٢)، ٥٧٢.

ابن عبد الصمد (والي سبتة) ٦٣٥.

ابن عبد الصمد = محمد بن بشير

ابن عبد الرحيم - أبو عبد الله ١٧٠.

ابن عبد الغفور* - أبو القاسم محمد
(٢٨٠ - ٢٨٣)، ٤٤، ٥١، ٥٢،

٦٠، راجع ٤٢٣، ٤٥٣.

ابن عبد الغفور - أبو محمد ٧٠،
٢٨٣ ح.

ابن الصقر - أحمد بن عبد الرحمن
٣٧٢.

ابن صمادح = المعتصم بن صمادح

ابن الصيرفي = أبو بكر بن الصيرفي

ابن ضابط النحوي ١٩٢.

ابن طاهر (صاحب مرسية) ٢٧٤.

ابن طاهر الأندلسي = الخدبّ

ابن طاهر بن عيسى = أحمد بن طاهر

ابن طاهر - أبو بكر أحمد ٨٨ م.

ابن طاهر القيسي - محمد بن أحمد
(٨٨ - ٩١).

ابن الطحّان - عبد العزيز بن علي
٤٦٣، ٥٣١ م.

ابن الطراز الغرناطي - محمد بن سعيد
٣٧٣.

ابن الطراوة - سليمان (١٧٢ - ١٧٤)،
٣٥٣، ٣٨١.

ابن الطراوة - أبو عبد الله ٥٤٧.

ابن طريف ١١٣.

ابن طفيل (٤٧٠ - ٤٧٣)، ١٦،

٢٤٣ ح، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤،

٣٧٥ م، ٣٧٦ م، ٣٧٩ م، ٣٨١،

٤٠٨، ٥٢٤، ٦٧٠.

ابن طلحة الاشيلي - أبو بكر
(٦٢٢ - ٦٢٤).

* راجع الصفحة ٢٨٣ (الحاشية السابعة).

ابن عبد الغفور - محمد بن عبد الغفور
٢٨٣ ح.

ابن عبد الملك = المراكشي

ابن عبد المؤمن - أبو الربيع ٤٨٤ .

ابن عبد المؤمن إدريس ٥٩٨ .

ابن عبد المؤمن - أبو سعيد عثمان

٣٢٤ ، ٣٣٩ م ، ٣٤٠ - ٣٤١ ،

٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،

٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٦٠٨ .

ابن عبد المؤمن - علي (٥٦٠) ...

ابن عبد المؤمن - أبو حفص عمر

٣٨٦ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ابن عبد المؤمن - محمد = محمد بن عبد
المؤمن

ابن عبدون - عبد المجيد (١٩٢) -

(٢٠١) ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

١٨٧ ، ٤٨٢ ، ٥٨٣ - ٥٨٥ .

ابن عتاب - عبد الرحمن ٢٣٧ ، ٢٦٨ ،

٤٥٨ ، ٤٨٢ .

ابن عتيق بن أسد - أبو بكر ٢١٨ .

ابن عتيق الذهبي - أحمد (٥٦٠) -

(٥٦٢) .

ابن عذاري ٧٣ ح .

ابن عربي = سعد الدين

ابن عربي - محيي الدين (٧١٦) -

(٧٢٢) ، ٣٧١ .

ابن العربي = أبو بكر ، ابن عربي

ابن العربي - أبو عبد الله ٥٨١ م .

ابن العربي - علي (والد محيي الدين بن

عربي) ٧١٧ .

ابن عروس - أبو عبد الله = (مقرئ)

٥٥٧ ح ، ٧٢٩ .

ابن العريف - أبو العبّاس أحمد

(٢٣٠ - ٢٣٢) ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٣٠٥ ،

٣٣٣ م .

ابن عساكر ٤٦٣ ، ٦٠٠ ، ٦٦٣ .

ابن العشرة - أبو العبّاس بن القاسم

٤١٧ .

ابن العشرة - يحيى بن علي بن القاسم

٢٥٧ م .

ابن عصام - أبو أمية ١١٦ .

ابن عصفور - علي ٣٧٨ .

ابن العطار - محمد بن أحمد ١٠٧ .

ابن عطية - أبو جعفر أحمد بن محمد

(٣٢٤ - ٣٢٦) .

ابن عطية - طاهر ٤٦٣ .

ابن عطية - عبد الحق بن غالب

(٢٦٨ - ٢٧٠) ، ٣٧ - ٣٨ ،

١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ .

ابن عطية - عقيل ٣٧٨ - ٣٧٩ .

ابن عطية - غالب بن عبد الرحمن

(١٢١ - ١٢٢) ، ٢٦٨ .

ابن عيشون - أبو عمرو محمد
(ت ٦١٤ هـ) ٣٧٢.

ابن غالب - أبو الحسن ٥١٩.

ابن غالب = الغساني

ابن غالب الغرناطي - محمد بن أيوب
(٤٧٧ - ٤٨٠).

ابن غالب السراقي - عبد السلام
٣٦٨.

ابن غانية - علي بن إسحاق ٤٦٣،
٦٠٤ م.

ابن غانية - علي بن يحيى ٥٧١.

ابن غانية - يحيى بن إسحاق ٣٢٩،
٣٥٤، ٣٦٣، ٦٠٤ م، ٦٠٥،

٦٠٦، ٧٠٩ م.

ابن غانية - يحيى بن علي ٧٠٩ م.

ابن غلاب = ابن غالب السراقي

ابن غرسيه ٥٥، ٥٤٥.

ابن غرون ٣٥٤.

ابن غلبون - أبو رجال ٥٥٠.

ابن غلندة (غلندو) - عبيد الله
(٤٧٣ - ٤٧٥).

ابن فاطمة = أبو محمد

ابن فتحون الأوريوني - محمد ٣٨.

ابن الفحام الصقلي ٤٥٨.

ابن الفخار - أبو عبد الله محمد بن
الحسن الحضرمي المالقي (٢٤٥ -

ابن عفيون الشاطبي - محمد ٣٧٢،
٣٧٤.

ابن علقمة الصدي - محمد ٥٩.

ابن عمار - أبو بكر محمد ٨٩ م،
٢١١، ٢٧٤، ٣٨٢، ٦٧١.

ابن عمار العبدي = رزين بن معاوية

ابن عمار الكلاعي - محمد ٢٨٤.

ابن عمار المهدي - أحمد ١٦٠.

ابن عمار (القاري) = هشام

ابن عمران المارتنلي ٧٣٤.

ابن عمران الموحدي ٧٠٩ م.

ابن عميرة الضبي - أحمد بن عبد الملك
٦٠٧.

ابن عميرة الضبي - أحمد بن يحيى
(٥٥٣ - ٥٥٥).

ابن عميرة الخزومي - أبو المطرف أحمد
٣٧٣، ٣٧٨.

ابن العوام - يحيى ٥٧.

ابن عوف - أبو الطاهر ٥٥٨.

ابن عياش - أبو بكر بن سالم ٤٩٨ م.

ابن عياش - أبو بكر المرشاني ١٧٢.

ابن عياش - عبد الملك بن فرج
(٤١٣ - ٤١٦).

ابن عياش - أبو عبد الله محمد ٥٩٨.

ابن عيشون (المقريء) - المتوفى
(٥٣١ هـ) ٤٢٣، ٤٥٣.

(٢٤٩)، ٣٦٥، ٦٠٢، ٦٥٥ (؟)،

٦٩٣، ٧٢٩.

ابن الفخّار التجيبي (؟) ٦٥٥.

ابن الفخّار الملقب - عليّ بن إبراهيم

٧٢٩.

ابن الفرّاء = الأخفش بن ميمون

ابن الفرّاء الضّير - محمّد بن عبد الله

(٤٦١ - ٤٦٢).

ابن الفراوي = منصور

ابن الفرّج = اصبع

ابن فرج الجيّاني - ٢٧٧.

ابن فرح الاشيلي - أحد ٣٦٦.

ابن الفرّس (المهر) الغرناطي - عبد

الرحيم (٥٥٧ - ٥٦٠).

ابن الفرّس - عبد المنعم (٥٤٤ -

٥٤٦)، ٥٧٧، ٦٩٣، ٧٢٨.

ابن فرسان - عبد البرّ (٦٠٣ - ٦٠٦).

ابن الفرّضي - عبد الله بن محمّد

٣٠٦ م، ٣٧٢، ٤٥٧ م.

ابن الفضل المعافري - محمّد (٦٤٨ -

٦٥٥).

ابن الفكّون - حسن بن عليّ (٦٣٧ -

٦٤٠).

ابن فيّره = الصّدي

ابن القابلة الشّليشي - محمّد ٣٣٣ م.

ابن القادر العبّاسي ١٣٤.

ابن القاسم - عبد الرحمن العتقي

٥٥ م، ٢٩٦ م.

ابن القاسم = أبو محمّد

ابن القاصح - عليّ بن عثمان ٥١١.

ابن القبطرّونو = بنو القبطرّونو

ابن قتيبة ١٥، ١٥٣ م، ١٩٦،

٤٦٠ م.

ابن قرّوق (قرقل) إبراهيم ٣٦٦،

٥٧٤، ٦٠٢.

ابن القزاز - الحكم بن سعيد ١٤٢ م.

ابن قزّمان (الأكبر) (٩٦ - ١٠٠)

٣٢٩، ٣٣١ ح.

ابن قزّمان (الأصغر) (٣٢٨ - ٣٣١)،

٩٦، ٣١٥، ٣٥٠ م، ٣٥١.

ابن قسّوم - محمّد بن عبد الله (٧٣٣ -

٧٣٩).

ابن قسي - أبو العبّاس أحمد

٥٢٢ ح.

ابن قسي الشّلي - أبو القاسم أحمد

٤٠.

ابن القصيرة الولي - أبو بكر محمّد

(٩٣ - ٩٥)، ٥٤.

ابن القطّاع - عليّ بن جعفر (١١٣ -

١١٥)، ٦٢، ٦٥.

ابن مجبر الصقلّي - مجبر بن محمد
(٢٥٤ - ٢٥٦).

ابن مجبر - عبد الملك: ٥٤٧.

ابن مجبر - يحيى بن عبد الجليل
(٤٨٦ - ٤٩٠).

ابن محرز = الوهراني

ابن محشرة - محمد بن عليّ (٥٤٦ -
٥٤٧).

ابن مدير ٥٩.

ابن مرج الكحل = مرج الكحل

ابن المرخي = ابن المرخي

ابن المرخي - علي بن محمد ٦١٧ م.

ابن المرخي - محمد بن عبد الملك ٦١٧.

ابن المرخي المغربي - محمد بن علي
(٦١٧ - ٦١٨).

ابن مردنيش - محمد بن سعد ٣٤٠ م،
٣٥٥ م، ٤١٤، ٤١٦، ٤٣٧ م،

٥٢٣، ٦١٩.

ابن مرزوق الخطيب - محمد بن عبد الله
٤٦٤.

ابن مزدلي - أبو بكر ٤٥٤.

ابن مزدلي - أبو عبد الله ٢٧٠.

ابن المسافر - عبد المعطي ٧٣١.

ابن مسدى الفرناطي - محمد بن محمد
٣٦٧.

ابن القوطيّة - أبو بكر محمد ١١٣،
١١٤ م، ١١٥.

ابن قوقل / قرقل ٥٦٨.

ابن كادش - أحمد بن عبد الله ٣٩٠.

ابن كثير - أبو معبد عبد الله
(القاريء) ٤٩٧ م، ٥٠٠ ح م،
٥٠١ ح.

ابن لبّال - علي بن أحمد (٤٧٥ -
٤٧٧)، ٦٢٤.

ابن اللبّانة - محمد بن عيسى (٨٠ -
٨٨)، ٧٧ - ٧٨، ٢٦٥.

ابن لبّون - أبو عيسى ١٩١ م.

ابن اللهيب - نجم الدين ٦٠ م.

ابن ماجة - محمد بن يزيد ٣٨ ح،
٤٦٤.

ابن مالك - أحمد السرقسطي (٤٢٥ -
٤٢٨).

ابن مالك الأزدي - أبو الحسن سهل
٣٨٢، ٦٧١.

ابن مالك الأزدي الفرناطي - سهل بن
محمد (٧٢٨ - ٧٣٣).

ابن مالك - محمد بن عبد الله (النحوي)
١٦.

ابن مالك اليعمري - أبو الحسن ٢٦١.
ابن مبشر = أبو العباس ٦٦٠.

- ابن مسرة - أبو عبد الله محمد ٤٩ .
 ابن مسعدة (٢) (مقرئ) ٥٥٧ ح .
 ابن مسعود الاشبيلي ٤٠ .
 ابن مسعود - أبو عبد الله محمد ٤٧ -
 ٤٩ .
 ابن مسلم - أبو عبد الله محمد ٤٦ -
 ٤٧ .
 ابن مسلمة - أبو عامر ٣٩ .
 ابن مسلمة الشاطبي - أبو عبد الله محمد
 ٣٠٤ .
 ابن مشيش = عبد السلام
 ابن مضاء - أبو العباس أحمد (٥١٢) -
 (٥١٥)، ٥٦٠ (٢) .
 ابن مضاء - أبو العباس جعفر ٥٥٠ ،
 ٥٦٠ (٢)، ٦٠٢ .
 ابن مطاهر - أبو جعفر ٤٥٧ .
 ابن مطروح - يحيى ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،
 ٣٤٠ .
 ابن المظفر الباهلي - عبيد الله ٦٩ .
 ابن معاذ الجياني - أبو محمد ٣٧٤ .
 ابن معط الزواوي - يحيى (٦٦٣) -
 (٦٦٧) .
 ابن المعلم الطنجي - أبو يحيى ٣٨٠ ،
 ٦٦٨ م .
 ابن مغاور - أبو بكر عبد الرحمن بن
 محمد (٤٨٤ - ٤٨٦) ، ٥٥٠ .
 ابن مغيث = الحسن
 ابن المغيرة = أبو الوليد
 ابن المقفع ٣٩٨ .
 ابن مقلة (الخطاط) ٣٢٩ .
 ابن الملاح = ابن الملح
 ابن ملجم - عبد الرحمن
 ابن الملح - أبو القاسم أحمد ٧٢ .
 ابن الملح - أبو بكر محمد بن إسحاق
 (٧٠ - ٧٣) .
 ابن ملكون الحضرمي - ابراهيم بن محمد
 ٦٢٢ ، ٧٣٤ .
 ابن المناصف - ابراهيم بن عيسى بن
 أصبغ القرطبي (٦٤٧ - ٦٤٨) .
 ابن المناصف - محمد بن أصبغ (٦٣٢) -
 (٦٣٤) .
 ابن المنخل الشلي (٤٠٣ - ٤٠٧) .
 ابن موسك = عز الدين
 ابن مياد السدراي - يوسف بن ابراهيم
 ٣٦٨ .
 ابن ميمون القرطبي (٤١١ - ٤١٣) .
 ابن ميمون = الأخفش بن ميمون .
 ابن نام - جابر بن محمد ٦٢٢ .
 ابن نباتة الفارقي - عبد الرحيم ٤٤ .
 ابن النحاس (أو النحاس) - أحمد بن
 محمد ١٧٠ .

ابن هشام القرطبي - أبو بكر (٦٩٩ -
٧٠١)، ٦٤٠.

ابن هشام = طاهر.

ابن هشام القرطبي - عامر (٦٤٠ -
٦٤٥)، ٦٩٩.

ابن هشام - عبد الملك ٤٦٦، ٤٦٨ م،
٦٩٧ ح، ٧٢٥ - ٧٢٦.

ابن هشام - أبو الوليد هشام ٣٦٨.

ابن هلال الصابي - ابراهيم ٢٧٦ م.
ابن هلال النحوي - أبو عبد الله بن
بركات ٣٩٠.

ابن همشك ٤٣٠، ٤٣٩ - ٤٤٠،
٥٢٣.

ابن هند = معاوية

ابن هود الماسي - محمد بن عبد الله
(الثائر) ٣٢٤ م، ٣٢٦.

ابن هود - أحمد بن يوسف (المستعين)
١٥٣، ١٥٥ - ١٥٦.

ابن هود - محمد بن يوسف (المتوكل
صاحب مرسية) ٦٤٩، ٦٧٩،
٦٨٢، ٦٩٩ ح، ٧١١، ٧١٣ م،
٧٢٩ ح.

ابن واجب - أبو الخطاب ٦٩٣.

ابن الوحيددي - عبد الله بن عمر
٣٥٣ م.

ابن النحاس - عبد الرحمن بن عمر
٧٢٦.

ابن النحاس - ؟ (قراءات) ٢٨٩.

ابن النحوي التوزري - يوسف
(١٠٦ - ١٠٩).

ابن نذير - أبو العطاء ٦٩٣.

ابن نزار - أبو الحسن
(٤٣٧ - ٤٣٩).

ابن نزار - أبو علي ٦١٥.
ابن نصف الربض = ابن الفخار
المالقي.

ابن النعمة - علي بن عبد الله ٤٢٨،
٤٩٣.

ابن نعيم الحضرمي - عبد الله (٧٠٩ -
٧١١).

ابن النغيلة (النجدلة) ٢٦٥.

ابن النقاس الزرقالي - ابراهيم ٥٦ -
٥٧.

ابن نوح - أبو عبد الله ٦٩٣.

ابن هاني الاندلسي ٦٦٢ م.

ابن هبيرة - يحيى (الوزير) ٣٩٠ م.

ابن هذيل - محمد بن علي ٤٩٣.

ابن هردوس - أحمد بن علي (٤٣٦ -
٤٣٧).

- ابن الوردي - عبد الله بن جعفر ٧٢٦ .
ابن وكيل الاقليشي - أحمد بن معدّ
(٣٠٥ - ٣٠٧)، ٥٦ .
- ابن وهبون - عبد الجليل ٢٧٤ ،
٣٨٢ ، ٣٨٥ .
- ابن ياسين الجياني ٥٦ .
- ابن يحيى الحميري - أحمد بن محمد
٣٧٩ - ٣٨٠ .
- ابن يحيى - سعيد بن عبد العزيز
ابن يشكر = ابن شكر .
- ابن يربوع - محمد (٥٨١ - ٥٨٢) .
- ابن يعيش - أحمد = ابن شكيل
الصدفي .
- ابن يعيش (ثائر) ١٤٢ .
- ابن يعيش - طارق بن موسى ٣٠٥ ،
٤٦٣ ،
- ابن يغمور = ابن جلدك
ابن يلبخت - عيسى ٣٧٧ .
- ابن ينق - محمد بن يحيى (٣٠٣ -
٣٠٥)، ٣٩ ، ٥٩ .
- ابن يونس - ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
- ابنة أبي بكر (اسم) ٤٤٧ .
- ابنة العمري (ذكرها ابن العربي) ٢٨٧ .
- أبو الأصبغ - ابن الطحّان
أبو بحر = صفوان ابن ادريس .
- أبو بحر ٢٣٧ .
- أبو البقاء الرندي - صالح بن شريف
٣٦٨ ، ٣٧٨ .
- أبو بكر ٣٢٥ ح ، ٣٣٢ ح ، ٣٥٢ م ،
٤٥٠ م ، ٤٦٦ ح ، ٥٢٢ ح ، ٥٣٦ م ،
٥٣٨ ح ، ٦٨٦ .
- أبو بكر (في شعر) ٢٥٢ - ٢٥٤ .
- أبو بكر بن ابراهيم (والي غرناطة)
٥٣ ، ١١٦ - ١١٩ ، ٢٧٤ .
- أبو بكر (بن) الأبيض (٢٩٥ - ٣٠٠) ،
٥٤ ، ٦٨ .
- أبو بكر بن خير = ابن خير
أبو بكر بن سعيد (صاحب غرناطة)
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- أبو بكر الطرطوشي - محمد بن الوليد
(١٤٤ - ١٥٢) ، ٣٩ ، ٥٩ م .
- أبو بكر بن العربي - محمد بن عبد الله
(٢٨٤ - ٢٨٩) ، ٥٦ ، ١٦٦ ،
١٥٤ م ، ١٥٧ ، ٢٣٧ ، ٢٨٤ م ،
٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٨١ ،
٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٥٦ م ، ٤٦٦ ،
٤٨٠ ، ٦٧٠ ، ٧١٨ .
- أبو بكر الغرناطي - يحيى بن محمد
٥٩ .
- أبو بكر بن مغاور = ابن مغاور .

- أبو بكر اليكّي - يحيى بن سهل ٦٨ ، ٣١٥ .
- أبو بكر اليكّي - يحيى بن عبد الجليل (٣٥٧ - ٣٥٨) ، ٦٨ .
- أبو تمام - حبيب بن أوس ٩٢ ، ٩٣ ح ، ٢٢١ ح ، ٤١٩ ، ٥٧٧ ح ، ٥٩٠ ، ٦٢٣ م ، ٦٥٠ م ، ٦٨٢ ، ٦٨٧ م .
- أبو تمام الحجّام = غالب بن رباح
أبو جعفر (ذكر، عليّ بن موسى الجيّاني) ٥١٨ .
- أبو جعفر (عامل على جمع الضرائب) ١٠٤ .
- أبو جعفر الصيدلاني ٦٨٤ ، ٦٨٥ .
- أبو جعفر الحميري (٥٩٤ - ٥٩٥) .
- أبو جعفر بن عبد الحقّ الخزرجي (الفقيه) ٤٧٧ .
- أبو جعفر بن عطية = ابن عطية (وزير عبد المؤمن) ٣٥٥ م ، ٤٢٤ - ٤٢٥ .
- أبو جعفر المنصور ٤٢ ، ١٤٠ .
- أبو جعفر الوقّشي - أحمد بن عبد الرحمن (٤٣٩ - ٤٤٢) ، ٤٣١ - ٤٣٢ .
- أبو حامد الغرناطي - محمد بن عبد الرحيم (٣٩٠ - ٣٩٨) ، ٧٥ ، ٣٧٤ .
- أبو الحجاج الاشبيلي (الطبيب) - يوسف بن عتبة (٧١١ - ٧١٤) .
- أبو الحجاج الأعم ١٧٢ .
- أبو الحجاج البلوي - يوسف بن محمد (٥٧٤ - ٥٧٩) ، ٣٧٧ .
- أبو الحجاج التادلي - يوسف بن يحيى (٦٥٧ - ٦٥٩) .
- أبو الحجاج بن الشيخ ٥٤٨ - ٥٤٩ .
- أبو الحزم جهور بن محمد ١٤٤ م .
- أبو حسن (في شعر) ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ .
- أبو الحسن الجيّاني = علي بن موسى أبو الحسن الشاذلي ٦٤٥ .
- أبو الحسن المريني ٣٦٢ م .
- أبو الحسين بن الحمار ٤١٦ ح .
- أبو حفص الهنتاقي = عمر بن يحيى أبو حنيفة ٦٥٣ ، ٧١٩ ح .
- أبو حيّان - أثير الدين ٥٥١ م .
- أبو حيّان التوحيدي ٧٢٥ م .
- أبو الخطاب عمر = ابن دحية أبو خراش الهذلي ٥٤٨ ح ، ٦٤٤ ح .
- أبو داود السجستاني - سليمان بن الأشعث ٣٨ ، ١٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٦٨ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٧ م .
- أبو دبّوس المريني - أبو العلاء ادريس ٣٦٢ .

- أبو ذرّ الحثني - مصعب (٦٥٨ - ٦٥٩)، ٦٢٤.
- أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى (٦٩٣ - ٦٩٨)، ٣٦٧.
- أبو الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني . ٦٥٨
- أبو الربيع الموحّدي - سليمان بن عبد المؤمن (٥٧١ - ٥٧٤)، ٦٣٠، ٦٣١ - ٦٣٢، ٦٩٣ ح.
- أبو الروح عيسى = النفري
- أبو زيد (اسم) ٦٢٨ م، ٦٢٩.
- أبو زيد (بطل مقامات) ٦٢٨.
- أبو زيد الأنصاري - سعيد بن أوس . ٣٦٧
- أبو زيد الفازازي - عبد الرحمن (٦٥٥ - ٦٥٧).
- أبو سعيد (اسم) ٦٢٨.
- أبو شامة - عبد الرحمن بن اسماعيل . ٥١١
- أبو شعيب السوسي = السوسي
- أبو شعيب = صالح بن زياد
- أبو صادق المدني = مرشد بن يحيى
- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (١٨٠ - ١٨٦)، ١٨، ٤٠، ٥٧، ٢٨٠.
- أبو طالب ٣٢٥، ٤٥٠ ح.
- أبو الطاهر التميمي = السرقسطي الاشتراكي
- أبو الطاهر بن عوف - ابن عوف
- ابن طلحة الأنصاري (٦٨٢ - ٦٨٣).
- أبو الطيب = المتني
- أبو الطيب المسيلي = المسيلي
- أبو العاصي حكم = حكم بن الوليد
- أبو عامر (في شعر) ٢٦٦.
- أبو عامر بن الحجازة (٤١٦ - ٤١٩).
- أبو عامر الشنتريني ٦١ م.
- أبو عامر = ابن مسلمة
- أبو العبّاس = ابن العريف، الجراوي، السبتي
- أبو العبّاس السفّاح (العبّاسي) ١٩٧ م.
- أبو عبد الله محمد (جدّ ابن الفراء الضرير) ٤٦١ م.
- أبو عبيد، الهروي = ابن سلام
- أبو عبيدة - عامر بن الجراح ٥٣٧ م، ٥٣٨ ح.
- أبو عبيدة - معمر بن المثنى ١٩٦، ٢٤٤ م.
- أبو العتاهية ٩٨ ح، ٥٧٣ ح.
- أبو العرب مصعب بن محمد (٩١ - ٩٣).

- أبو العلاء (في شعر) ٢٦٦ .
أبو العلاء ادريس = المأمون الموحيدي
أبو العلاء = المعري
أبو عليّ بن أبي زيد = ابن أبي زيد
أبو عليّ الغساني = الغساني
أبو عليّ الفارسي ١٧١ م ، ١٧٢ ، ٦٢٤ .
أبو عليّ القالي = القالي
أبو عمران الماريتي - موسى (٥٧٠ - ٥٧١) .
أبو عمران الموحّدي ٧٠٩ م .
أبو عمرو الأندي - أحمد بن خليل (١٦٨ - ١٧٠) .
أبو عمرو الداني ٣٦٦ ، ٥٠٣ .
أبو عمرو بن العلاء = المازني
أبو فارس عزّوز ٣٦٢ م .
أبو فراس ١٨٣ .
أبو فلان ٧٠٠
أبو قابوس = النعمان بن المنذر
أبو القاسم (شخص مقامات) ٤٤٧ .
أبو القاسم البلوي = البلوي
أبو القاسم = ابن الجدّ، السهيلي ،
القالي ، الكلاعي ، المغربي (الوزير)
أبو قصبّة الجزولي ٥٧٩ م .
أبو الكرم جودي ٥٣٢ م .
أبو لهب ٦٠٠ م .
أبو لؤلؤة ٣٢٥ .
أبو محمّد عبد الوهاب ٥٧٤ .
أبو محمّد بن فاطمة ٥٣ .
أبو محمّد بن القاسم ٦٥ .
أبو محمد الموحيدي = البياسي الثائر
أبو مدين - شعيب بن الحسن (٥١٨ - ٥٢١) ، ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٦٤٥ ، ٦٦٠ .
أبو مرّة = ابليس
أبو مروان بن سراج = ابن سراج
أبن مروان الطبري ١٧٢ .
أبو المعالي الكتبي ٤٤٨ م .
أبو المغيرة = أبو الوليد
أبو مكرم = الشاشي
أبو منصور ظافر بن الحسين ٥٩٣ .
أبو موسى الأشعري ٥٤ .
أبو موسى الجزولي = الجزولي
أبو لميّ محمّد بن علي ٣٦٥ .
أبو نواس ٩١ ح ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ٤٦٧ ح ، ٦٥٠ م .
أبو الوليد الباجي ١٤٥ ، ٣٨١ ، ٦٧٠ .
أبو الوليد بن جمهور = ابن جمهور
أبو الوليد القرطي (بطل مقامات) ٤٤٧ م .

- أبو الوليد بن المغيرة ٤٧ ح .
أبو الوليد الوقشي ١٦٠ ، ١٨٠ .
أبو يحيى بن أبي زكريا (أمير سبتة)
٣٨٠ ، ٦٦٨ م .
أبو (يعزّة) يعزّي = الحرمزي
الابيارى - ابراهيم ٢٩٥ ، ٦٩١ ،
٦٩٩ ح .
الأبيض = أبو بكر (بن) الأبيض
أثير الدين = أبو حيان
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن ابراهيم = النميري
أحمد بن جعفر = السبكي
أحمد بن حاتم = البصري
أحمد بن الحسين = المسيلي
أحمد بن طاهر بن عيسى ٣٠٥ .
أحمد بن طلحة = ابن طلحة الأنصاري
أحمد بن عبد الرحمن = أبو الصقر
الخرزجي
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب
٦٤٣ ح .
أحمد بن عبد الملك بن سعيد = ابن
سعيد العنسي - أبو جعفر أحمد
أحمد بن عتيق = ابن عتيق الذهبي
أحمد بن عمر القرطبي = القرطبي
أحمد القيسي - أبو القاسم ٥٩ .
أحمد بن محمد الخولاني ٤٨٤ .
المستعين التجيبي = ابن هود
الأخفش بن ميمون ٢٦٥ م .
اخوان الصفا ٢٣٤ .
أخيل بن ادريس الرندي (٣٥٤ -
٣٤٠) ، (٣٥٧)
الأدب ٤٢ .
ادريس المريبي = أبو دبّوس
ادريس بن يعقوب = المأمون الموحيدي
ادريس بن يوسف = ابن عبد المؤمن
إلادريسي - الشريف محمد بن محمد
٥٧ م ، ٣٧٤ .
الأذفنش: الأذفنش ٥٩٠ - ٥٩١ ،
٦١٥ م .
الأذفونش: ألفونسو السادس
أرسطو ٤١ ، ٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،
٥٢٥ م ، ٥٢٩ م ، ٧٢٢ م .
ارسلان (الشيخ) ٧٢٨ .
الأزدي - أبو محمد عبد الله ٣٧٨ .
الاستجي - أبو عبد الله ٥٤٧ .
اسحاق بن أبي ابراهيم ٣٦٢ م .
الاسكندر المقدوني ١٩٦ ح ، ٦٢٠ م .
اسماعيل - شعبان محمد ٥١١ .
الاشتركوني: الاشتركوني = السرقسطي
أشهب بن عبد العزيز القيسي ٢٥٥ ، ٢٩٧ م

أصبغ بن الفرّج المصري ٥٥ م،
٢٩٧ م.

الاصفهاني = داوود بن علي ٦٨٥ ح.
الاصفهاني - محمد بن سليمان ٢٧٧.
الأصمّ المرواني (٤١٩ - ٤٢٢).
الأصمعي ٧١٦.

الأصيلي - أبو عبد الله ٦٠٨.
اعتماد الرميكية ٢١١.
اعراب - سعيد ٥٧٤.

أعشن - أحمد بن عبد القادر ٥٢١.
الأعشى ٢٧٦ م، ٦٣٨ ح م.

الأعلم الشنتمري - يوسف بن سليمان
١٩٢، ٣٠٠ ح.

الأعمى التطيلي - أحمد بن عبد الله
(١٦١ - ١٦٨)، ٤٢، ٦٦ - ٦٧،

٦٨، ٦٩، ٢٥٧.

الأعمى الخزومي = الخزومي

الافشين ١٤٠ م.

الأفضل - أحمد بن بدر الجمالي ١١٢،
١٤٥ م، ١٨٠ م.

أفلاطون ٤١ م، ٥٨ م، ٦١، ١٣٦ ح،
٣٧١، ٥٢٥ م، ٧٢١ - ٧٢٢.

أفلوطين ٧٢١ - ٧٢٢.

أقليدس ٣٧٥.

الاقليشي = ابن الوكيل.

الإلبيري - محمد بن علي ٣٧٧.

ألفونسو أنريكويز = ابن أليزي

ألفونسو الأول (ملك أرغونة) ٢١٥ م.

ألفونسو الثامن (ملك قشتالة) ٣٦٠،
٥٩١.

ألفونسو السادس ٣٣ م، ١٤٤ م.

ألفونسو (صاحب طليطلة) ٦٨.

ألكساندر دوماس (الابن) ٢٨.

أم الخشيف (في شعر) ٤٢٤.

أم الفضل (امراة طلحة بن القبطرناه)
١٢٤ - ١٢٥.

أم مالك (في شعر) ٢١٤، ٥٤٨ ح.

أماري - ميخائيل ٤٠٢.

الإمام المهدي (النصور الموحدي)
٣٦٩.

امرو القيس ١٩٦ م، ٢٤٤ م، ٥٠٣ ح.

أمغار = المهدي بن تومرت

أمة الرحمن (أم ابن دحية الكلبي)
٦٨٤ ح.

أمير المسلمين ٣٣.

أمير المسلمين (النصور الموحدي) ٦٠ م.

أمين - أحمد ٤٧٣.

أمية بن عبد العزيز = أبو الصلت.

الأندي = أبو عمر.

أنريك = ابن أليزي.

الأنصاري - أبو يحيى زكريا ١٠٩ .
أنطون - فرح ٥٢٩ .
الأهواني - أحمد فؤاد ٢١٨ .
الأهواني - عبد العزيز ٤٤٦ .

أمين (في شعر) ٣٥٨ م .
أيوب ٣٤٧ ، ٤٧٥ م .
أيوب بن سليمان السهيلي ٣٣١ - ٣٣٢ م .
٦٩٤ .
بدوي - أحمد أحمد ٦٩١ .
بدوي - عبد الرحمن ٥٢٩ م ، ٧٣٤ .
بديع الزمان الهمداني ٤٥ م ، ٢٧٦ م ،
٤٤٦ م .

البراذعي - خلف بن أبي القاسم ٣٦٧ .
البراق ٣١٠ .

البربر ٣٦ .
البرجي - أبو الحسن ٦١ .
البرقي - عبد الرحمن
البرك - الحجاج بن عبد الله ٥٨٤ .
بركات بن ابراهيم = الخشوعي .
البرزنجي ١٠٩ .

بروكلن ٦١ ، ٣٠٨ .
البراز - أحمد بن عمرو ٤٦٤ .
البراز - خلف بن هشام ٤٩٩ م .
البرزي - أحمد بن محمد ٤٩٧ م .

البيستاني - ألفريد ٥٢٩ .
البيستاني - عبد الله ١٥٨ .

البيستاني - كرم ٢٢٤ .
بشار الأندلس = الخزومي الأعمى
بشار بن برد ٣١٩ ح ، ٦٤٤ ح ،
٦٨٦ م .

ب

بابك الحرّمي ١٤٠ ح .
الباجي (المستبد باشيلية) ٦٩٩ م .
الباجي = أبو الوليد
باديس بن حبّوس ١٤٣ .
باديس بن المنصور بن بلّكين ٨٤ -
٨٥ .

الباذش = ابن الباذش
الباكوري - أبو عبد الله ٤٤٤ .
بالاثيوس - ميفيل آسين ٢١٧ م ،
٢٣٢ ، ٣٦٩ ، ٧٢٨ .

بالنثيا آنخل ٦٦ ، ١٦٩ ح ، ٧١٦ ح .
بشينة (محبوبة جميل) ٤٩٢ م .
البجائي - عبد الرحمن بن يوسف ٣٧١ .
البجاوي - علي محمد ٧٢٧ .

البحري ١٦٠ م ، راجع ١٦٧ (وليد) ،
٤٦٠ ، ٦٨٢ .

البصري - أحمد بن حاتم ٧١٦ .

البطائحي - محمد ١٤٥ .

البطروجي - نور الدين ٣٧٥ -
٣٧٦ ح .

بطليموس ٣٧٥ - ٣٧٦ ح .

البطليوسي = ابن السيد، عاصم بن
أيوب

البقاعي - برهان الدين ٧٣٤ .

بقراط ١٨٥ م .

بكر (اسم) ٦٨٨ م .

البكري - مصطفى بن كمال الدين
٦٤٥ .

بلج بن بشر القشيري ٦٠٨ .

البلوي - أبو القاسم أحمد بن محمد
(٦٧٩ - ٦٨١)، ٥٩ .

البلوي - خالد بن عيسى ١٩ - ٢١ .

البلوي - عبد الرحيم بن يوسف ٥٧٥ ،
٥٧٦ ، ٥٧٧ .

البلوي - يوسف = أبو الحجاج .

البنّا - محمد ابراهيم ٤٦٩ .

البنّاني - عبد السلام بن حدون ...

البنجديي: البندهي: الفنجديي

بنو سليم ٣٤ ، ٧٣ .

بنو القبطرونه (١٢٢ - ١٢٦)، ٦٨ .

بنو هلال ٣٤ ، ٧٣ .

بهاء الدين = ابن شدّاد

بورله - بولس ٥٦٨ .

بوكوك ٤٧٣ .

بونار - رايح ٦٦٣ .

بويج - موريث ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

البيّاسي - أبو الحجاج - يوسف (المؤرخ)
٣٧٣ ، ٣٧٨ .

البياسي - السيّد أبو محمد ادريس بن
منصور الموحي (الثائر) ٦٨٠ م ،
٦٩٩ م .

بيصار - محمد بن عبد الرحمن ٥٢٩ .

ت

تاج المعالي ١٨٠ م .

التاريخي - جابر بن أحمد ٦٥٥ .

التازي - عبد الهادي ٤٠٣ ح ، ٥٢٤ .

تاشفين بن علي - أبو يوسف ١٨٧ .

التبريزي - أبو زكريا ٢٨٤ .

الترمذي - محمد بن عيسى ٣٨ م ، ٢٦١ ،
٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٧ م .

الترمذي الحكيم (ت ٣٢٠ هـ) ٢٨٦ ح .
تسترشتاين ٦٦٧ .

الستري - أبو علي ١٤٥ .

التطيلي الضرير القرطي (الأصغر) -
أبو اسحاق ابراهيم ١٦١ ح م .

التطيلي الضير (الأكبر) = الأعمى
التطيلي.

التعليقة ١٤٦.

تميم بن المعز الصنهاجي - أبو يحيى
(٧٣ - ٧٧).

التوحيدي = أبو حيان

تود (ملكة الدغارك) ٣٨٤.

التوقيع ١٤٩.

التيفاشي - أبو العباس أحمد بن يوسف
٣٧٦.

ث

ثابت بن سليمان ٣٧٦.

الثعالي - أبو منصور عبد الملك
٣٨٢ م.

ثعلب - أحمد بن يحيى ٦٢٣.

الثعلبي النيسابوري - أحمد بن محمد
١٤٥.

الثعلبي - عبد الوهاب بن علي ٢٣٤.

ج

جابر بن أفلح ٤٠.

جابر بن يوسف (بن عبد الواد) ٣٦١.

الجاحظ ٥١، ٦٢، ٢١٧، ح، ٣٨٧.

جاحظ الأندلس: جاحظ المغرب =
الحجاري.

جالينوس ٣٧٧، ٥٢٨ م.

جانا (جد زناتة) ٣٦٤.

جبريل ٦١٥.

الجراري - عباس ٥٧٤.

الجراري - أبو العباس أحمد بن حسن
(٣٥٢ - ٣٥٤)، ٦٧٣ م.

الجراري - أبو العباس أحمد بن عبد
السلام (٥٨٩ - ٥٩٣)، ٦٧٣ م.

الجرجاني - علي بن عبد العزيز
(القاضي) ٦٥٨ ح.

جرول = الخطيئة

جرير بن عطية ٢٣٨ - ٢٣٩.

الجزار السرقسطي - أبو بكر يحيى
(١٠٢ - ١٠٦).

الجزولي = أبو قصبة

الجزولي - أبو موسى ٦٦٣.

الجزولي النحوي - عيسى بن عبد
العزيز (٥٩٣ - ٥٩٤).

الجزيري (الثائر) - محمد بن عبد الله
٤٨٩ م.

جساس بن مرة ١٩٦ ح.

جعفر بن ابراهيم = ابن الحاج

جعفر (الطيّار) بن أبي طالب ١٩٦،
٤٥٠ م.

جعفر بن عثمان المصنف ٥٠ م.

جعفر بن محمد الشنتمري (٣٠٠ -
٣٠٣).

جعفر بن يحيى البرمكي ١٩٧ م.

جمعة (بائع خبز) ٧٢٦ م.

جميل بن معمر ٤٩٢ م.

الجنووني - يحيى ٣٦٨.

جهم بن صفوان ١٣٥ م.

جودي = أبو الكرم

جودي بن عبد الرحمن ٥٥٦ ح.

الجوهري - اسماعيل بن حماد ١١٢،

٦٦٣.

الجويني - عبد الملك بن محمد ٢٣٤.

الجياي = ابن ياسين

الجياي - محمد بن علي ٣٦٦.

الجيساني = علي بن موسى

الجيلالي - عبد الرحمن ٣٦٤.

الجيلاني - عبد القادر ٥١٩ م.

ح

الحائك: الحكم بن سعيد = ابن القرّاز

حاتم الطائي ١٠٥ م، ١٦٧، ٢٢٨.

الحارث بن همام (في المقامات) ٦٢٨ م،

٦٢٩ م.

الحازمي الهمداني - محمد ٥٨٦ ح.

الحباب بن المنذر ٣٣٢ ح.

الحبال = ابن الحبال

حبّوس ١٤٣.

حبّيب (اسم) ٢٣٨، ٢٤٠ - ٢٤١.

حبّيب = أبو تام

الحبيب = محمد رسول الله.

الحجاج بن عبد الله = البرك

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٩٧ ح،

٣٤١ م، ٦٧٨ م.

الحجاري - عبد الله بن ابراهيم

(صاحب المسهب) (٣١٣ - ٣٢٤)،

٣٩، ٥٠، ٣٣٨، ٣٥٠ ح، ٣٨٥،

٣٨٦.

الحجاري - أبو عبد الله ٥٤٧.

الحجاري - ابراهيم ٣١٣ ح.

الحجاري - أبو محمد عبد الله (عم

صاحب المسهب) ٣١٥ ح.

حجر (والد امرئ القيس) ١٥٦ م.

الحداد المهدي - علي بن محمد الخولاني

٢٨٤.

الحراثري - عبده سليمان ١٩١.

الحراي - علي بن أحمد ٣٦٦.

حرب (اسم) ٦٢٨.

الحرميري - أبو يعزى ٣٧٠، ٥١٨.

الحروب الصليبية ٣٤، ٥٢.

الحرون (حصان) ٣٠١ ح.

الحريري - القاسم بن علي ٤٤، ٤٥ م،

٢٣٨، ٣٣٩ م، ٣٧٨ م، ٤١١،

٤٤٦ م، ٤٧٦، ٦٢٣، ٦٢٤ م؛

٦٢٥ - ٦٢٩، ٦٥٨.

الحكم الجلياني - عبد النعم (٥٦٤) -
(٥٦٨).

الحكم بن سعيد = ابن القزاز

الحكم المستنصر ٥٠ م، ١٤١ م.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
٣٣٤ م.

حكم بن الوليد - أبو العاصي (الوزير)
٤٩.

الحكيم الترمذي = الترمذي الحكيم.

الحلاج ٣٤١ م.

الحلو (عبد) ٥٢٩.

حاددة: حادو (بلا تشديد) ٦٥٩.

حاددة (حدونة) بنت زياد (٥٥٥) -
٥٥٧، ٣٤٠، ٥٣١.

حددين بن محمد (المستبد بقرطبة)
٣٥٤ م.

حمزة بن حبيب الزيّات ٤٩٨ م،
٥٠٠ م، ٥٠١ ح، ٥٠٧.

حمزة بن عبد المطلب ١٩٦ م، ٢٦٢،
٤٥٠ م.

حميد بن ثور ٤٨١ م.

الحميدي - محمد بن فتوح ٣٧٢،
٥٥٤ - ٥٥٥.

الحميري - عصام ٥٩٥ م.

الحميري = أبو جعفر

حسام الدولة أبو مروان عبد الملك (من
بني رزين) ١٥٣ م.

حسان (جامع حسان) ٣٦٤.

حسان بن ثابت ٢٢٨ م.

حسن (في شعر) ٣٨٧ م.

الحسن السائح = السائح

حسن - عزة ١٧٣ ح.

الحسن بن عليّ ١٣٨ م، ٣٥٩، ٤٥٠ م،
٥٣٧ ح.

الحسن المراكشي - أبو علي ٣٧٥.

الحسن بن مغيث ٣٣٤.

الحسين بن أحمد (الموقت: الميقاتي)
٣٧٦.

الحسين بن عليّ ١٣٨، ١٣٩ م، ١٩٧ م،
٤٥٠ م، ٥٣٧ ح، ٥٥٠، ٥٥٣ م.

٦٨٤ ح.

الحسين بن محمد الغساني الجياني (٤٩٨)،
٥٦، ١٥٢ - ١٥٣.

الحصري - أبو الحسن ١٧٢.

حصريّة - عزة ٧٢٨ م.

الخطيئة ٢٧٦ م، ٣١٩ م.

حفص - أبو عمر بن سليمان ٤٩٨ م،
٥٠٠ م.

حفصة الركونية (٤٩٠ - ٤٩٣)،
٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٤٣ - ٤٥٣ ٣٤٤.

- حواء ٧١٥ ح.
 حوراني - فضلو ٥٢٨.
 الحوفي القلمي - أحمد بن محمد ٣٦٨.
 حيّ بن يقظان (اسم) ٤٧٢ م، ٦٧٠.
 حيّان بن خلف = ابن حيّان.
 حيدر بن كاوس = الإفشين.
 خلاد بن خالد - أبو عيسى ٤٩٩ م.
 الخلمي - عليّ بن الحسن ٢٨٤.
 الخليل = ابراهيم
 الخليل بن أحمد ٣٢٠ م.
 خنساء المغرب = حمدة بنت زياد.
 الخولاني = أحمد بن محمد
 خولة (في شعر) ٦٣ م، ٢٧٧.
 خيران العامري ١٤٣.

خ

- خارجة بن حذاقة ١٩٧ م،
 ٥٨٤ - ٥٨٥.
 خالد بن برمك ٦٤٤ ح م، ٧٣٦ ح.
 خالد بن الوليد ١٦٧ م.
 الخبّاز البلدي ٣٠٩.
 الخبز أرزي - نصر بن أحمد ٣٠٩ م.
 الخدبّ - محمد بن أحمد ٥٩٨ م.
 الخزوي - محمد علي ٦٤٥.
 خروف (في شعر) ٥٩٩.
 الخزرجي الصقلّي - عثمان بن علي
 (٤٥٨ - ٤٦١).
 الخشني = أبو ذرّ.
 الخشني - أبو بكر محمد بن مسعود ٤٨٠.
 (٢٨٩)، ٤٨٠.
 الخشوعي - أبو الطاهر بركات ٦٠٨.
 خضر (الخضر) ٧٢٧ م.
 الخطيب - محبّ الدين ٧٢٧.
 داحس (حصان) ١٩٦ م، ٣٠١ ح م.
 الداخل = عبد الرحمن
 دادويه = زادويه
 دارا الأول ١٩٥ م.
 دارا الثالث ١٩٦ ح.
 دارا الثاني ١٩٥ ح - ١٩٦ ح.
 الدارقطني - علي بن عمر ٣٨ م.
 الدارمي = أبو حفص عمر ٧٢٥.
 الداني = أبو عمرو
 داوود بن أحمد المالقي ٦٤٣ ح.
 داوود بن أحمد - أبو سليمان الطبيب
 ٦٤٣ ح.
 داوود بن علي = الأصفهاني
 الداية - محمد رضوان ٢٢٤، ٢٨٣،
 ٣٠٩.
 الدباج - علي بن عامر ٧٠١ م.

الدرجيني - أحمد بن سعيد ٣٧٣.

الدقاق (الصوفي شيخ أبي مدين) ٣٧٠.

الدلائي - أحمد بن عمر ١٥٩ م.

الدمستق ٤٠٧ ح م.

دنلوب - د. م. ٢١٧.

ده خويه ٢٧ م، ٦١٣.

ده فوه - دانيال ٤٧٠ ح.

الدوري - أبو عمر حفص (القاريء)

٤٩٨ م، ٤٩٩ م.

دوزي ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١ م، ٥٨٥.

دولة بني حماد ٣٤.

دولة بني زيري ٣٤.

ديراني - عفيفة محمود ١٨٠.

ديسقوريدس ٣٧٧.

ر

الرازي - أبو بكر محمد بن زكريا

٣٧٤ ح.

الرازي - أبو محمد ٣٩٠.

الراضي يزيد بن المعتمد بن عبّاد

١٠٩ - ١١٠، ٣٨٢، ٦٧١.

رايت - وليم ٦١٢.

رايموندو الثاني (صاحب برشلونة) ٨٨.

رايموندو = ريموندو

ربارا وطرّاغو ٣٧٤، ٤٤٣.

الربضي = أحمد بن عبد الرحمن

اللخمي

الربيعي - علي بن محمد ٢٣٤.

الربيع بن حبيب الفراهيدي ٣٦٩.

رثاء المدن ٦٨.

رزين بن معاوية بن عمّار العبدي ٣٨،

٥٦.

رسلان (الشيخ) ٧٣٤.

الرسول = محمد رسول الله

الرشاطي - عبد الله بن عليّ اللخمي

٣٨، ٥٦، ٤٦٤ م.

الرشيد بن المعتمد بن عبّاد

(٢١١ - ٢١٣).

الرصافي الرّفاء البلنسي - محمد بن

غالب (٤٣٠ - ٤٣٦)، ٣٨٥.

ذ

ذكوان بن ثعلبة ٥٨٦ ح.

الذكي - محمد بن الفرج ٦١.

ذو الكلاع ٦٩٣.

ذو رعين ٤٩٣.

ذو النسبين = ابن دحية الكلبي

ذو نواس ٥٣٥.

ذو النون (النبي) ٤٧٥ م.

ذو يزن ٥٣٥.

الرعيي - أبو الحسن ٦٣٤ ح م .

الرعيي - أبو الحسن علي ٧٢٩ ح م .

الرقاء البلنسي = الرصافي

رفيع الدولة الصادحي (٢٦٤ - ٢٦٧) .

الركلي - أبو محمد ٢٣٧ .

الرمادي ٣٨٣ .

الرميكية = اعتماد

الرندي = أبو البقاء ، أخيل

روجار الثاني ٣٧٤ .

روح القدس = جبريل

الرياشي = عمر بن عبد الحميد

رييرا = ربارا وطرّاغو

ريوندو: راجع رايوندو

ريوندو الثالث ٤٠٦ ح .

ريوندو الرابع ٤٠٦ - ٤٠٧ .

رينان - أرنست ٥٢٩ .

ز

زادويه (مولى بني العنبر) ٥٨٤ - ٥٨٥ .

الزبير بن عمرو المثلث ٢٩٥ ، ٢٩٧ م ،

٢٩٨ ، ٣٨٨ ، ٥٣١ .

الزبير بن العوّام ١٣٧ ح ، ١٩٦ م ،

٥٣٨ ح .

الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق

٤٢٨ م ، ٥٩٣ ، ٥٩٨ ، ٦٢٣ م ،

٦٢٤ .

الزرقالي = ابن النقاش

الزركلي - خير الدين ٣١٥ ، ٧٠٢ .

زرياب ٣١ .

الزريزير ٤٤ .

الزريزيرات ٤٤ .

زعيتر - عادل ٥٢٩ .

الزنجاني - أبو القاسم ٢٨٠ .

زهر = ابن زهر - أبو العلاء

الزهرائي = الغمراوي - محمد

الزهري = الغمراوي

زهير بن أبي سلمى ٢٤٤ .

زهير العامري ١٤٣ .

الزاوي - أبو زكريا ٥١٩ .

زيادة - معن ٢١٧ .

زيد (اسم) ٦٧ ، ٥١٤ م ، ٥٧٥ ،

٦٠١ ح ، ٦٦٥ ، ٦٨٧ - ٦٨٨ .

زينب (في شعر) ١٧٥ .

س

السائب بن تمام (اسم في المقامات)

٢٣٨ م .

السائح - الحسن بن محمد ١٩ - ٢١ .

سابور (صاحب بطليوس) ١٤٢ .

سالم بن صالح المالقي = ابن سالم

سالم الكرنكوي = كرنكو - فريتز

سالم - محمد سليم ٥٢٩ .

السبتي - أبو العبّاس أحمد بن جعفر
(٥٦٢ - ٥٦٤)، ٦٥٨.

السبتي - أبو العبّاس (والي سبتة)
٦٥٨، ٦٨٢ م.

السبتي = العزفي السبتي

سحنون - عبد السلام بن سعيد ٥٥ ح،
٢٣٤، ٢٩٦ ح، ٣٦٧.

سدراي، سرراي = سيدراي

السرقسطي الاشتركوي - أبو

الظاهر..... (٢٣٧ - ٢٤٥)،

٤٥، ٥١، ٦٢ م، ٣٧٨.

السرقسطي - أبو عبد الله ٢٨٤.

السريّ الرفاء ٤٩١ - ٤٩٢.

سعاد (في شعر) ٥٩٤.

سعد (في شعر) ٤٣٠ م، ٦٣٦.

سعد بن أبي وقّاص ٥٣٧ م، ٥٣٨ ح.

سعد - عبد الرؤوف ٤٦٩.

سعد (والد ابن مردنيش) ٣٥٥.

سعد الدين محمد بن عربي ٧١٧.

سعدى (في شعر) ١١٣.

سعيد بن زيد ٥٣٨ ح.

سعيد بن عبد العزيز بن يحيى ١٢٢ ح.

سعيد بن عثمان = ورش

السفاح = أبو العبّاس (العباسي)

السقا - مصطفى ٢١٠، ٢٩٥.

سكيا باريلي ٢١٠.

سلام بن سلام الباهلي = ابن لام

سلام بن عبد الله = ابن سلام المالقي

السلفي - أبو طاهر أحمد بن محمد

٤٤٤، ٤٩٣، ٥٧٤.

سليم بن عيسى ٤٩٩ م.

سليمان بن الحكم = المستعين المرواني

سليمان بن عبد الرحم داخل ٣٣٤ م.

سليمان بن محمد المالقي = ابن الطراوة

سليمان (جدّ المستعين بن هود) ١٥٦ م.

سليمان الصنهاجي = أبو الربيع

سليمان بن عبد الواحد = أبو الربيع

الموجدي

سليمان بن موسى = أبو الربيع الكلاعي

سليمى (في شعر) ١٢٥، ٢٥٤، ٥٤٢ م.

السمرائي - ابراهيم ١٥٩.

السنوسي - ابراهيم ٤٦٩.

السنوسي - زين العابدين ٢١٠ م.

السهروردي - يحيى بن حبش ٤٧٣.

سهل بن محمد الأزدي = ابن مالك

الأزدي.

سهيل بن عبد العزيز ٣٣٢.

السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله (أبو

القاسم أبو زيد) (٤٦٥ - ٤٧٠)،

٣٧٧، ٥٧٤، ٥٨١ م، ٦٠٢، ٦٥٥،

٦٨٧، ٧٢٩.

السهيلي = أيوب بن سليمان

السوسي - صالح بن زياد ٤٩٨ م.

سيبويه ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ م ، ٢٨٩ ،

٤٥٣ ، ٦٢٣ ، ٦٤٨ ، ٧٢٩ م.

السيد (في شعر) ٥٩٩ م.

سيدي محيي الدين = ابن عربي.

سير بن أبي بكر (ابن تاشفين) ٥٣ ،

١٩٢ .

سيف الدولة الحمداني ١٨٨ ، ٣٨٢ م ،

٤٠٣ ، ٤٠٧ ح م.

سيف بن ذي يزن ١٨٨ م .

السيوطي - جلال الدين ٦١ ، ٣٠٨ .

سيوغرن ٦٦٧ .

ش

الشاذلي = أبو الحسن

الشاشي - مكرم محمد بن أحمد ١٤٥ ،

٢٨٤ - ٢٨٥ .

الشاطبي - القاسم بن فيره (٤٩٣ -

٥١٢) ، ١٦ ، ٣٦٦ م .

الشافعي ٦٤٥ .

شريح ٤١٠ (؟) .

الشريشي - أبو العباس أحمد بن عبد

المؤمن (٦٢٤ - ٦٣٠) ، ٣٧١ ،

٣٧٩ .

الشريف الإدريسي = الإدريسي

الشريف الرضيّ ٦٩ ، ٣٣٠ ح ،

٥٣٠ ح .

الشريف الغرناطي ٤١٩ ح .

الشطّي - شوكت ٤٧٣ .

شعبة بن الحجاج - أبو بسطام ٤٩٨ م ،

٥٠٠ م .

الشعر ٦٥ ، ٢٢٣ ، ٣٠٨ .

شعيب بن الحسن = أبو مدين

شعلان - ابراهيم ٤٤٦ ، ٤٥١ .

شعلة الموصلي الحنبلي ٥١١ .

شقرون - عبد السلام = ابن شقرون

الشقندي - أبو الوليد اسماعيل بن محمد

(٦٦٧ - ٦٧٤) ، ٧٨ ، ٣٨٠ ،

٣٨١ .

السلطيشي = ابن القابلة

شلي - عبد الحفيظ ٢٩٥ .

الشلوبين: الشلوبيني - أبو علي ٣٨١ ،

٧٠١ م ، ٧٠٢ .

شمر بن ذي الجوشن ١٩٧ م .

الشنتريني = ابن بسام

الشنتمري = جعفر بن محمد

الشيّال - جال الدين ١٥٢ .

الشيخ أبو حبيب (في المقامات) ٢٣٨ ،

٢٤٠ ح .

شيخ الأرض - تيسير ٢١٨ ، ٤٧٣ .
الشيخ الأكبر = ابن عربي

ص

صاعد البغدادي ٣١٦ .

صالح بن زياد = السوسي

الصباغ - علي محمد ٧٢٧ .

صبري - يحيى الدين ٢٠١ ، ٥٨٥ .

الصدفي: ابن سكرة - أبو علي الحسين بن

محمد بن فيره ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٧٠ ،

٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،

٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ .

الصدفي - محمد = ابن علقمة

صريع الغواني = مسلم بن الوليد

الصفدي - خليل بن أليك ٦٤٨ .

صفوان بن ادريس (٥٥٠ - ٥٥٣) ،

٣٧٨ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ - ٦٥٠ ،

٦٩٥ .

صلاح الدين الأيوبي ٣٦٠ م ، ٣٧١ ،

٤٤٣ م ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٩٤ ،

٥٦٤ ، ٥٦٥ م ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ،

٥٧٤ ، ٦٠٨ م ، ٦١٢ م .

صليبا - جيل ٤٧٣ .

صنانيد - ابراهيم بن محمد ٦٣٥ .

الصوفي - عبد الله بن عبد العزيز

١٠٩ .

الصولي - محمد بن يحيى ٦٣٢ .

الصيدلاني = أبو جعفر

الصيرفي - يحيى بن محمد (٣٣٤ -

٣٣٧) ، ٣٩ م .

ض

الضباع - علي محمد ٥١٢ ، ٧٣٣ .

ضبلر ٣٩٨ .

الضي - أحمد بن يحيى ٣٧٢ .

الضليل = امرؤ القيس

ط

الطائي = حاتم

طارق بن زياد ١٣٩ ، ٤٢٠ م ، ٥٢٢ م .

طارق بن موسى = ابن يعيش

الطالي - محمد ١٥٢ .

طاهر بن هشام (؟) ٢٣٢ .

الطب ٤٠ .

الطبري ٢٧ م ، ٤٦٨ ، ٦٦٠ ، ٦٩٧ ح .

الطبي = أبو مروان

طراغو = رباره

الطرطوشي = أبو بكر

طرفة ٦٢ ح ، ٢٧٧ ح ، ٧٠١ ح .

الطرمّاح بن حكيم ١٧٣ ح .

طلحة بن عبيد الله ١٣٧ ح ، ٥٣٨ ح .

صلحة بن القبطرونه - أبو محمد ١٢٣ -
١٢٤، ١٢٦.

الطليق المرواني ٤١٩.

الطوسي = المؤيد

الطيلسان - أبو القاسم ٣٧٣.

ظ

ظافر بن الحسين = أبو منصور

ع

العاذل الموحدي - عبد الله ٦٧٦ م.

عاصم بن أبي النجود - أبو بكر

٤٩٨ م، ٥٠٠ ح م، ٥٠١ ح.

عاصم بن أيوب البطلوسي ١٥٢ م.

عاصم بن عمر بن الخطاب ١٣٩ ح.

العامري = مجنون ليلى

العامرية = ليلى

عباد (سلف المعتمد بن عباد) ٨٥.

عباد = المعتضد بن عباد.

عباس - احسان.....، ٤٤، ٦٦،

١٦٨، ٢١٠، ٢٣٨ ح، ٢٨٠،

٣٨٧، ٤٣٦، ٥٤٨ ح؛ ٥٨٢ ح،

٥٨٩، ٦٧١، ٧٠٢.

العباس بن الأحنف ٣٨٤، ٦٨٦ م.

العباس بن عبد المطلب ٢٦٢، ٤٥٠ م.

العباس بن عمر بن الافطس ١٩٢،
١٩٨.

عبد الإله (في شعر) ٤٠، ٤٣٢.

عبد الله (اسم) ٦٢٨.

عبد الله بن حاتم البصري ٧١٦.

عبد الله بن الحسن القرطبي (٦٠٢ -
٦٠٣).

عبد الله بن الزبير ١٩٧ م.

عبد الله بن السيد = ابن السيد
البطلوسي

عبد الله بن عامر = ابن عامر

عبد الله (البلسي) بن عبد الرحمن
الداخل ٣٣٣ - ٣٣٤.

عبد الله بن عبد العزيز = الصوفي

عبد الله بن عبد المطلب ٧١٥ ح م.

عبد الله بن عبد الواحد الحفصي ٣٦١،
٣٦٥.

عبد الله بن عليّ اللخمي = الرشاطي

عبد الله بن محمد المعتصم بن صامح = عز
الدولة

عبد الله بن المعتمد = الرشيد العبادي

عبد الله بن نعيم = ابن نعيم الحضرمي

عبد الله بن موسى بن عياض ٢٩١ م.

عبد الله بن وزمر (عمّ الحجاري)
٣١٣ ح، ٣١٥ ح.

عبد البديع - لطفي ٤٧٧ ، ٤٨٠ .

عبد البر بن فرسان = ابن فرسان .

عبد الجبار = ابن حمديس ، المتنبي
الجزيري

عبد الجليل = ابن وهبون

عبد الجواد - محمد ٢٤٥ .

عبد الحق الاشبيلي = ابن الخراط

عبد الحق بن غالي = ابن عطية

عبد الحق بن محيو ٣٦١ .

عبد الدائم = ابن جبر القيرواني

عبد الرحمن (اسم) ٦٢٨ .

عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم بن عبد
الرحمن (الداخل) ٣٣٤ م .

عبد الرحمن الداخل ١٤١ م ، ٢٧٧ ح ،
٣٢٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ م .

عبد الرحمن العذري = كثير عزة

عبد الرحمن بن عوف ١٣٨ ح ، ٥٣٧ م ،
٥٣٨ م .

عبد الرحمن بن محمد بن الصقر ٤٠٧

عبد الرحمن بن ملجم ١٣٨ ، ١٩٧ ،
٥٨٤ ح .

عبد الرحمن الناصر ٥٠ ح ، ١٤١ م ،
٣١٧ ح ، ٤٧٨ - ٤٨٠ .

عبد الرحمن بن عبد الواحد الحفصي
٣٦١ ، ٣٦٥ .

عبد الرحيم = ابن الفرس

عبد السلام الكتافي ٦٠٨ .

عبد السلام بن مشيش (٦٤٥ - ٦٤٧) ،
٣٧١ .

عبد العزى بن عبد المطلب = أبو هب

عبد العزيز (والد أبي بكر بن عبد
العزيز) ١٧٦ .

عبد العزيز بن القبطر نوه ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ .

عبد القاهر البغدادي ١٣٥ ح .

عبد المجيد - حامد ١٥٩ ، ٦٩١ .

عبد المجيد = ابن عبدون

عبد المجيد بن عمر = المياشي

عبد المطلب بن هاشم ٤٥٠ ح .

عبد المعطي بن مسافر ٧٢٥ .

عبد الملك بن حبيب ٣٨١ ، ٦٧٠ .

عبد الملك (من بني رزين) = حسام
الدولة

عبد الملك الحضرمي = ابن بدرون

عبد الملك بن زهر = ابن زهر

عبد الملك بن سراج = ابن سراج

عبد الملك بن سعيد = ابن سعيد
العنسي - عبد الملك

عبد الملك بن مروان ١٣٩ م .

عبد الملك بن محمد = ابن صاحب الصلاة

عبد الملك بن هشام = ابن هشام
(صاحب السيرة)

عبد المنان - عثمان ٧٢٧.

عبد المنعم الجلياني = الحكيم الجلياني.

عبد المنعم بن الفرس = ابن الفرس

عبد المؤمن بن عليّ ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،

٣٣٩ م ، ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٤٩ ،

٣٥٣ م ، ٣٥٥ م ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ،

٣٦٠ م ، ٣٦٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ح م ،

٤٠٧ ح ، ٤١١ م ، ٤١٢ م ، ٤١٩ -

٤٢٢ ، ٤٢٣ م ، ٤٣٠ ، ٤٤٩ -

٤٥٠ ، ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،

٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٩٠ م ،

٥٢٢ ح ، ٥٥٩ م ، ٥٨٩ ، ٦٣٢ .

عبد المؤمن - أبو سعيد ٦١٨ م .

عبد المؤمن بن عمر ٣٧١ م .

عبد الواحد بن اسماعيل ٧٢٥ .

عبد الواحد الحفصي ٣٦١ ، ٣٦٥ .

عبد الواحد المراكشي ٦٠ ، ٣٦٧ ،

٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ،

٥٩٥ م ، ٦١٣ ، ٦٣٠ م ، ٦٣١ .

عبد الواحد - مصطفى ٦٩٨ .

عبد الوهاب - حسن حسني ٢٢٥ ح ،

٢٣٣ ، ٢٣٦ .

عبد الوهاب القيسي المنشي - أبو محمد

عبد الوهاب بن عليّ (٥٤٧ -

٥٤٩) ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ .

العبدري = رزين بن معاوية بن عمّار

عبّو = عبد الله بن عبد الواحد الحفصي

عبيد الله بن محمد = الرشيد العبّادي

عتبة بن أبي سفيان ٦٦٩ ح .

العتبي - عبد الرحمن بن محمد ٦٦٩ ح م .

العتقي = ابن القاسم

عثمان بن عفان ١٣٧ ح ، ١٣٨ م ،

١٩٦ م ، ٤٥٠ م ، ٤٥١ ، ٥٢٢ ح ،

٥٤٧ م ، ٥٣٨ ح .

عثمان بن سعيد المصري = ورش

عثمان بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

عثمان بن عليّ = ابن الامام الشلي ،

الحزرجي الصقلي

العرب (البدو) ٣٤ .

عروة بن حزام ٥٥٩ م .

عروة بن مسعود الثقفي ٤٧ ح .

عروة الهذلي (أخو أبي خراش)

٦٤٤ ح .

الغريان - سعيد ٦٤٠ ح .

عزّ الدين الصمّاحي - أبو مروان عبد

الله بن محمد (٧٧ - ٨٠) .

عزّ الدين بن موسك ٤٩٤ م .

العزّاوي - عباس ٦٩١ .

العزفي السبتي - محمد بن أحمد ٣٧٣ .

عزّة (محبوبة كثير) ٦٩٠ م .

عزّوز = أبو فارس عبد العزيز

العزّي = الخلّاتي - علي

عصام بن أحمد = الحميري

الطار الحسيّني = عزّت ١٥٩ ، ٤٥٨ .

الطار - عمر ٧٢٨ .

العقاد - عباس محمود ٥٢٩ .

علي بن (ابراهيم) عطية - ابن الرقاق

البلنسي .

علي بن أبي طالب ١٣٧ ح ، ١٣٨ م ،

١٩٦ ح ، ١٩٧ م ، ٣٣٦ ،

٤٥٠ م ، ٤٥١ ، ٥٢٢ ح ،

٥٣٧ م ، ٥٣٨ ح ، ٥٨٤ م .

علي بن ابراهيم = ابن سعد الخير

البلنسي

علي بن بسم = ابن بسم الشنتريني

علي بن حود (المستبد بقرطبة) ١٤١ م ،

١٤٢ .

علي بن السيد - أبو الحسن ١٥٢ .

علي بن عبد الرحمن = ابن جودي

علي بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

علي بن العربي = ابن العربي

علي بن محمد بن العربي ٧٢٣ .

علي بن محمد بن المرخي = ابن المرخي

عليّ بن محمد الخولاني = الحداد المهدي

علي بن موسى الجياني (٥١٥ - ٥١٨) .

علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي

١٢٧ م ، ١٨٣ - ١٨٤ .

العاد الكاتب الاصفهاني ١٨١ ، ٣٩٩ ،

٤٤٥ ، ٤٤٦ م .

عمر بن أبي ربيعة ٣٨٤ ، ٦٨٦ م .

عمر بن أيوب ٤٦٣ .

عمر بن حفصون ٥٢٢ ح .

عمر بن الخطّاب ٥٤ ، ١٣٧ م ،

١٣٨ ح ، ١٣٩ ، ١٩٦ م ، ٣٢٥ ح ،

٣٧٣ ، ٣٩٢ م ، ٤٥٠ م ، ٤٨١ ح ،

٥٢٢ ح ، ٥٣٦ م ، ٥٣٨ ح ،

٥٤٨ ح ، ٦٤٤ ح .

عمر بن عبد الحميد الدارمي الرياشي

٧٢٥ ، ٧٣١ .

عمر بن عبد العزيز ١٣٩ م .

عمر بن الفارض ٦٧٤ م .

عمر بن الأفطس = المتوكّل

عمر بن محمد = معين الدين أبو حفص

٣٩٢ - ٣٩٣ .

عمر بن يحيى الهنتاقي ٣٦٥ .

عمران (اسم) ٥٠٨ ح .

عمرو (اسم) ٥١٤ م ، ٦٠١ م ، ٦٦٥ ،

٦٩٢ - ٦٨٧ م ، ٦٨٨ م .

عمرو (في شعر) ٤٧٦ .

عمرو بن حريث ٢٨٧ ح .

عمرو بن العاص ١٣٨ م ، ١٩٧ م ،

٣٣٦ م ، ٥٨٤ - ٥٨٥ .

عمرو بن عوف ٢٨٧ ح .

عمرو بن موسى ٢٩٠ م .

عمرو بن هند ٧٠١ ح م .

عمرون بن موسى = عمرو

العناني - محمد ١٩١ .

عنبرة ٢٤٥ ، ٤٤٩ ح .

عنيد (؟) ٧٦ .

عوّاد - كوركيس ٧٢٨ .

عوض الكريم - مصطفى ٦٩١ .

عياد - كامل ٤٧٣ .

عياض بن موسى (٢٩٥ - ٢٩٥) ، ٣٩ ،

٥٦ م ، ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٤٨٢ ، ٥١٢ ،

٥٦٣ .

عيسى (في شعر) ٥٩٥ م .

عيسى بن عبد العزيز = الجزولي

النحوي

عيسى بن محمد اللخمي (والد ابن

اللبانة) ٨٠ .

عيسى بن مريم (المسيح) ٢٩٨ م ، ٦٧٧ ،

٧٣٢ .

عيسى بن مينا = قالون

عيسى النفري = أبو الروح

غ

غازي - مصطفى ٢٢٤ .

الغافقي - أحمد بن محمد ٤١ ، ٥٨ .

الغافقي - محمد بن القاسم بن أسلم ٥٨ .

غالب (أبو لؤي) ٢٤٤ م .

غالب بن رباح - أبو تمام الحجاج ٣١٦ .

غالب بن عبد الرحمن = ابن عطية -

أبو بكر

غالب بن الوليد الخزومي ١٥٩ م .

غانية المسوفية ٢٥٠ ح ، ٧٠٩ ح .

الغبراء (اسم فرس) ١٩٦ ح ، ٣٠١ م .

غريب (اسم) ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

الغرناطي = أبو بكر الغرناطي .

الغزالي - أبو حامد ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٦ م ،

٦٠ ، ١٤٦ م ، ٢٨٥ م ، ٣٦٩ م ،

٣٧٠ م ، ٣٧٨ ، ٣٩٩ ح ، ٥١٩ ،

٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٧٢٩ .

الغساني - أبو علي الحسين بن محمد

١٢١ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٦٨ .

الغساني - محمد بن أحمد بن خلف ٣٥٠ .

الغبراوي - محمد الزهراوي ٦٥٧ ح .

غوثيه - ليون ٤٧٣ ، ٥٢٨ .

غومس - غارثيا ١٨٠ .

غويدي ٢٧ .

ف

- الفارابي ٦١ ، ٣٦٩ ، ٥٢٩ .
 الفارسي = أبو علي
 الفاروق = عمر بن الخطاب
 الفازازي = أبو زيد
 الفاسي - الطاهر ٢٧٠ .
 الفاسي - محمد بن الحسن ٥١١ .
 فاطمة ٥٣٧ ح .
 فان درهايدن ٦٦٣ .
 فايزر - هـ ١٩١ .
 فتح (في شعر) ٣٨٠ م .
 الفتح بن خاقان الاشبيلي - أبو نصر
 محمد (١٨٦ - ١٩٢) ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٥١ ، ٦٤ - ٦٥ ، ٦٩ ، ٩٤ ، ١٠٠ ح ، ١١٠ ، ١٢٢ -
 ١٢٣ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ م ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٦٧١ م ، ٦٨٧ م .
 فتح بن أمية بن اسحاق القرشي =
 لبال
 فتح الله - زهير ٤٤٣ .
 فتوح الخثعمي السهيلي ٤٦٦ .
 الفخار
 الفراء - يحيى بن زياد ٦٠١ م ، ٦٨٨ .
 الفراء - أبو الحسن علي بن الحسين
 (ت ٣٥٢ هـ) ٣٩٠ ، ٦٨٨ .
 فرآن - غابر يال ٣٩٧ .
 الفردادي = ابن خلفون - ميمون
 الفرزدق ٢٣٨ - ٢٣٩ .
 فرعون (اسم) ٥٠٨ ح .
 فرعون ٧١٨ م ، ٧١٩ م .
 فروخ - عمر ٢١٨ ، ٤٧٣ .
 الفضل بن عمر بن الأفتس = ابن
 الأفتس
 الفضل بن يحيى البرمكي ١٩٧ م .
 فلان (في شعر) ٢٧٢ م .
 الفكر: الفلسفة ٤١ ، ٦٠ .
 فلوطرخس ٥٢٩ .
 فلوطن = أفلوطين
 فلوغل ٧٢٧ .
 الفنجديي محمد بن عبد الرحمن ٦٢٧ م ،
 ٦٧٠ .
 فور - أدولف ٦٥٩ .
 فيلون ٧٢١ ح - ٧٢٢ ح .

ق

- القائم العباسي ١٣٤ م .
 القادر بن ذي النون - يحيى بن
 اسماعيل ١٥٣ .
 القارطان ٦٠١ ح .
 قارون ٦٤١ م .
 قاسم - محمود ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

القاضي ٥٤.

القاضي - عبد الفتاح ٥١٢.

القاضي عياض = عياض بن موسى.

القاضي الفاضل ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٩٣.

القلمي - أبو القاسم ٥٤٦ م.

قالون - عيسى بن مينا ٤٩٧ م،

٥٠٠ ح م.

القال - أبو علي ٦٢٣، ٦٢٤،

٧١٦ ح.

القبّاج - محمد ٥٧٤.

قباذ بن ابرويز ١٩٦ ح.

القبّاني - مصطفى بن محمد ٤٠٢.

القحطاني ٥٥٨.

القتندي = الكتندي

قتادة بن دعامة ٦٣ م، ٢٧٦ م.

قداره ٤٤٢.

القرطي - أحمد بن عمر ٣٦٨.

القرطي - هشام الأزدي ٦٤٠.

قسطا بن لوقا البعلبكي ٥١٨ م.

القسطلي = ابن درّاج، يونس بن محمد

قسّوم (اسم) ٧٣٣.

القصبي - أبو العباس ٤٤٣.

قلفاط ١٥٨.

قمير - يوحنا ٤٧٣، ٥٢٩.

قنبل - أبو عمر محمد بن عبد الرحمن

٤٩٧ م.

قيس (جدّ عربي) ٣٩٠ ح.

قيس بن زهير العبسي ٣٠١ ح.

القيسي = أحمد القيسي، عبد الوهاب

محمد المنشيء

قيصر ٦٥٦ م.

ك

الكانفي الأسود - ابراهيم بن يعقوب

٥٨٥ - ٥٨٧).

الكبريت الأحمر = ابن عربي (محيي

الدين).

الكتندي - أبو بكر محمد بن عبد الله

٤٨٠ - ٤٨٢)، ٣٠٩، ٣٥١ م،

٥٣٢ ح.

كثير عزة ٢٧٦ م، ٦٩٠ ح.

كرنكو - فريتز ١١٥.

الكسائي - عليّ بن حمزة ٤٩٩ م،

٥٠٠ م، ٥٠١ ح، ٦٨٨.

كسرى ٦٥٦ م، ٦٦١.

كعب بن مامة ١٠٥ م.

الكلاعي = ابن القصيرة الولي.

كليب وائل ١٩٦ م.

الكليم = موسى

كمال الدين = الشريشي - أبو العباس

الكناني = ابن جبير ثم عبد السلام

كنّون - عبد الله ١٧.

الكوثري - محمد زاهد ١٥٩ ، ٧٢٧ .

كوديرا ٣٧٤ ح ، ٤٥٨ . راجع قدارة

كوكبوري ٦٦٣ ، ٦٨٥ .

كولومبوس ٦ .

ل

لازينيو ٥٢٩ .

لبال بن أمية القرشي ٤٧٥ .

لييب العامري ؟ ١٤٣ .

لبنى (في شعر) ٢٢٠ .

اللري - يوسف بن أبي زيد ٣٧٢ .

لسان الدين بن الخطيب ٥٠ ، ٨٨ ،

٣٧٨ ، ٣٠٩ .

اللس الاشيلي = ابن سيد

اللغة ٦١ .

اللوشي (القاضي) - أبو عبد الله محمد

٣٢١ م .

اللوشي - أبو عبد الله (آخر) ٣٢١ ح .

لوقا البعلبكي ٥١٨ م .

لؤي بن غالب ٢٤٤ م .

لويس التاسع ٣٦٢ م .

الليث - أبو الحارث بن خالد ٤٩٩ م .

ليني بروفنسال ٥٤٧ .

ليلي (في شعر) ٢٥٠ .

ليلي العامرية ٢١٣ ، ٢١٤ م .

م

ماء السماء (أم المنذر) ٨٦ ح .

ماجد (ذكر في شعر) ٥٨١ ، ٥٨٢ .

المارتلي = ابن عمران

ماروت ٣٢٨ م .

المازري - محمد بن علي (٢٢٣ - ٢٢٦) ،

٥٦ .

المازني - أبو عمرو بن العلاء ٤٩٨ م ،

٤٩٩ ح ، ٥٠٠ م .

مالك بن أنس ٥٥ م ، ٦٠ ، ٦٧ ،

٢٨٦ م ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،

٣٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٥٧ ، ٥١٩ ،

٥٩٣ ، ٧١٩ ح .

المأمون بن ذي النون ٨٩ - ٩٠ .

المأمون العباسي ١٤٠ م .

المأمون الموحد - ادريس بن يعقوب

(٦٧٦ - ٦٧٨) ، ٦٥٥ ، ٦٩٩ م ،

٧٠٢ م .

الماوردي - علي بن محمد (٢) ٥٤٥ .

المبرد ٤٢٨ ، ٦٢٣ .

مبشر بن سليمان - ناصر الدولة

(صاحب ميورقة) ٨١ م ، ٨٣ -

٨٤ ، ٩١ .

المتلمس ٧٠٠ - ٧٠١ .

المتني - أبو الطيب ١٨ ، ٤٣ ، ٦٤ ،

٥٠٩ ح ، ٥١١ م ، ٥٢٨ م ، ٥٣١ ،
 ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ - ٥٣٨ ،
 ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ،
 ٥٥٤ ، ٥٦٣ م ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٨ - ٥٦٩ ، ٦١٠ ، ٦٢١ ح ،
 ٦٢٨ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ م ، ٦٥٥ م ،
 ٦٥٦ - ٦٥٧ ، ٦٦٥ م ، ٦٧٠ ،
 ٦٧٧ ح ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ م ،
 ٦٩٤ م ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ م ، ٧٠٣ ،
 ٧٠٩ - ٧١٠ ، ٧١٤ ، ٧١٥ م ،
 ٧١٩ ح م ، ٧٢٢ ح ، ٧٢٣ م ،
 ٧٣٨ م .

محمد (ذكر في شعر) ٢٤٨ ، ٥٩٥ م .

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق

محمد بن ادريس = مرج الكحل

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق ، ابن

الملح

محمد بن الأعم ١٧٢ .

محمد بن بشير بن محمد بن عبد الصمد

(١٢٦ - ١٢٧)

محمد بن تومرت = المهدي .

محمد بن الحسن = ابن برنجال

محمد بن الحسن الحسيني المصري ٣٧٣ .

محمد بن خير = ابن خير

محمد بن زكريا الحفصي ٣٧٣ .

٩٣ ، ٢٢٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٣٨٣ م ،

٤٠٣ ، ٤٠٤ ح ، ٤٠٦ ح ، ٥٧٨ ،

٥٩٤ ، ٦٨٢ .

المتني الجزيري - عبد الجبار (١٣٢ -

١٤٤) ، ٦٨ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .

التوكل بن الأفضس - عمر المظفر

٨٠ ، ٨٣ ح ، ٩٦ ، ١١٥ م ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ - ١٩٤ ،

١٩٨ م ، ١٩٩ ح .

التوكل بن هود - ابن هود .

مجاهد العامري ١٤٣ .

مجبر بن محمد - ابن مجبر الصقلي .

مجنون ليلى ٢١٣ ، ٢١٤ م .

محداد - عبد القادر ٥٥٣ .

المحلّق بن حنم ٢٧٦ م ، ٦٣٨ م .

محمد رسول الله ٣٨ ح ، ٤٥ م ، ٥٩ ،

٦٠ ، ٧٧ م ، ١١٣ ، ١١٨ م ،

١٣٨ ح ، ١٤٥ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ،

٢٢٦ ، ٢٣١ م ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ،

٢٧٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ م ، ٣٠٥ ،

٣٠٦ م ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ م ،

٣٢٥ ح م ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ م ،

٤١٠ م ، ٤٣٩ ح ، ٤٥٠ - ٤٥١ ،

٤٦٤ م ، ٤٦٦ م ، ٤٦٨ ، ٤٧٦ ،

٤٩٥ ، ٥٠٦ ح م ، ٥٠٨ ح ،

محمد بن أبي القاسم القرشي ٣٩٩ ،
٤٠٠ - ٤٠١ .

محمد بن القبطر نوه = ابن القبطر نوه

محمد بن مالك = ابن مالك

محمد بن مسعود = أبو بكر الحشني ، ابن
أبي الخصال

محمد بن عيسى (ذكر في شعر) ٦١٦ م .
محمد المستكفي = المستكفي المرواني
محمد بن المعتمد بن عباد ٢١٢ .

محمد بن معن = المعتصم بن صامح

محمد بن هشام = المهدي المرواني

محمد بن يحيى الشلطي = ابن القابلة

محمد بن يوسف التميمي = أبو الطاهر
محمد بن يوسف = ابن هود

المحمصاني - أحمد عمر ١٥٩ .

المحمصاني - صبحي ٧٢٠ ح .

محمود - أحمد بكير ٢٩٥ .

محمود - حسن أحمد ٦٧ .

محيي الدين بن عربي = ابن عربي

المختار = محمد رسول الله

المخزومي الأعمى الغرناطي - أبو بكر

محمد (٢٧١ - ٢٧٣) ، ١٦ ، ٣١٩ ،

٣٥٠ م ، ٣٥١ م .

المخللاقي - علي ٤٠٢ .

مدكور - ابراهيم ٢٦ .

محمد بن سعد = ابن مردنیش

محمد بن سليمان بن معمر = ابن أخت
غانم

محمد صغير حسن = المعصومي

محمد بن عبد الله القرطي ٣٦٧ .

محمد بن عبد الله المرسى ٣٧٧ .

محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض
٢٩١ م .

محمد بن عبد الرحمن = قنبل

محمد بن عبد الرحمن التجيبي ٣٧٢ .

محمد بن عبد الرحيم - أبو عبد الله
٤٩٣ .

محمد بن عبد الصمد = محمد بن بشير

محمد بن عبد العزيز المعلم ٤٥ - ٤٦ .

محمد بن عبد الملك = ابن السراج
الشنتريني

محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن
الناصر ٦٧٠ ح .

محمد بن عبد المؤمن ٥٢٢ .

محمد بن عليّ = ابن عربي ، ابن نبيّ

محمد عليّ باشا ٢٥ ح م .

محمد بن عليّ المالقي ٣٧٣ .

محمد بن عمر البلسني ٣٧٥ .

محمد بن غالب = الرصافي

محمد بن الفرج الكتّاني = الذكي

المستنصر بن هود ٣١٤ - ٣١٥ .
 مسعود (في نسب عبد الله بن مسعود)
 . ٤٨
 المسعودي - علي بن الحسين ١٣٢ ،
 . ١٣٤
 المسعودي = الفنجديي
 المسعودي - محمد بن عبد الرحمن
 . ٦٢٧ م
 مسلم بن الحجاج ٣٨ م ، ١٥٩ ، ٢٣٤ م ،
 ٢٦١ ، ٢٩١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٤٣ ،
 ٤٦٤ م ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٦٠٧ م ،
 . ٦٨٦ ح
 مسلم بن عقبة المري ١٣٩ ح .
 مسلم بن الوليد ٦٥٠ م .
 المسيح = عيسى
 المسيلي - أبو الطيب أحمد بن الحسين
 . (٤٥٥ - ٤٥٦)
 المسيلي - حسن بن علي ٦٥٩ .
 المصحفي = جعفر بن عثمان
 المصراقي - علي مصطفى ٢١٠ .
 المصطفى = محمد رسول الله
 مصعب بن محمد = أبو ذر الخثني ، أبو
 العرب
 المطرزي - أبو عمر محمد بن عبد
 الواحد ٢٤٣ م .
 المطيع العباسي ١٣٣ م .

المرابطون ٣٣ وما بعد .
 المراكشي - محمد بن محمد بن عبد الملك
 ٦٣٤ ح ، ٧٢٠ .
 المرأة الأندلسية ٣٦ ، ٥٥ ح .
 مرج الكحل - م بن إدريس (٦٩١ -
 ٦٩٢) .
 مرشد بن يحيى المديني ٣٩٠ .
 مرقس (مركوش) = ابن ميمون
 القرطي
 مرّة (اسم) ٦٢٨ م .
 مروان بن الحكم ١٣٨ م ، ١٣٩ ح .
 مروان بن محمد ١٩٧ م .
 مريم بنت محمد بن عبدون الباجي
 . ٧١٦
 المرية ٣٦ .
 المزالي - محمد بن موسى بن النعمان ٣٦٨ .
 مزدلي بن سلكا - أبو بكر ٢٦٥ م .
 المستظهر المرواني - عبد الرحمن ١٤١ ،
 . ٣١٦
 المستعين المرواني ١٤١ م . -
 المستعين = ابن هود
 المستكفي المرواني ١٤٢ .
 المستنصر الحفصي ٣٦٥ م .
 المستنصر = الحكم المستنصر
 المستنصر الموحيدي ٦٣٥ ، ٦٤٨ -
 . ٦٤٩

المعز بن باديس الصنهاجي ٣٤، ٧٣ م.

المعز الفاطمي - معد ٦٦٢ م.

المعصومي - محمد صغير حسن ٢١٧،
٢١٨ م.

المعلم = محمد بن عبد العزيز.

المعلّى بن الرشيد العبادي ٢١٢ م.

المعيدي ٢٦٣ م.

المغربي - أبو القاسم الحسين بن عليّ
(الوزير) ٣٨٩ م.

مغيث (فاتح الاندلس) ٣٢٣ م.

المقامات ٤٥ م.

المقتدر بن هود ٣٨١، ٦٧٠ م.

المقدسي - نصر بن ابراهيم ٢٨٤ م.

المقري (صاحب نفح الطيب) ٢١٥،
٢٩٠ ح، ٢٩٥، ٣٢٣ م، ٣٥٠ ح،
٤٦١، ٤٨٦، ٦٨٤ م.

الملاء = ابن خضر الاشبيلي

الملك العادل (الأول) ٦٨٥ م.

الملك الكامل - محمد ٦٦٣، ٦٨٨ -
٦٩٠، ٦٩١ م، ٦٩٤ - ٦٩٥ م.

الملك المعظم = كوكبوري

مللر ٥٢٨ م.

المنازي - احمد بن يوسف ٥٥٦ م.

المنتصر الحفصي ٣٦١ م.

المنتصر الموحد ٣٦٠ م.

المظفر بن الأفطس ٣٨٢، ٦٧١ م.

معاوية ١٣٨ - ١٣٩، ١٩٧ م،
٥٣١ م، ٥٨٤ م.

المعتد هشام المرواني ١٤٢ م.

المعتصم بن الأفطس ٨٠ م.

المعتصم بن صمادح ٧٧ م، ٨٠ م، ١٦٠،
١٧٢، ٢٢٥، ٢٢٦ - ٢٢٨ م،

٢٢٩، ٢٦٥، ٣١٦، ٤٦١ ح م.

المعتصم العباسي ١٤٠ م.

المعتضد بن عباد ٧٠، ١٤٣ م.

المعتلي بن حمود ١٤٢ م.

المعتمد بن عباد ٤٢ - ٤٣، ٧٠ م،

٧١ - ٧٢، ٨١ م، ٨٣ ح، ٨٥ -

٨٧، ٨٨ - ٨٩، ٩٢ م، ٩٣، ٩٥،

١٠٩ م، ١٧٤، ١٨١ - ٢٨٢،

١٨٨، ١٨٩، ٢٠١ - ٢٠٢ م،

٢١١ - ٢١٢، ٢٧٤، ٢٨٣ ح،

٢٨٤ م، ٣٨٢ م، ٤٤٤، ٦٧١ م.

معد = المعز الفاطمي

معركة الزلاقة ٣٣ م.

المعري ٤٣، ٤٤ م، ٦٢، ١٥٣،

١٥٧ - ١٥٨، ١٥٩ م، ٢٣٨،

٤٤٦، ٤٤٩ - ٤٥٠، ٦٩٤ م،

٧٣٥ ح.

المعز (اسم) ٧٣ ح.

- المنجد - صلاح الدين ٦٧٤ .
- المنذر بن امرئ القيس ٨٦ ح .
- المنذر بن حمام (اسم مرتجل) ٢٣٨ .
- منذر بن سعيد البلوطي ٤٧٩ - ٤٨٠ .
- المنشائي - عبد الغني ٢١٠ .
- المنشيء = عبد الوهاب بن علي القيسي
- المنصور (اسم) ٧٣ ح .
- المنصور بن أبي عامر ٤٨ م ، ١٤١ ح م ،
- ١٤٣ ح ، ٢٧٧ م ، ٣١٧ .
- المنصور العباسي = أبو جعفر
- منصور بن الفراوي ٦٨٤ .
- المنصور المريني - يعقوب ٣٦١ م ،
- ٣٦٢ .
- المنصور الموحد - يعقوب ٦٠ ،
- ٣٦٠ م ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ، ٣٦٧ -
- ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ - ٣٧١ ،
- ٣٧٨ م ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ م ، ٤٨٦ م ،
- ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٤٩٠ م ، ٥١٢ ،
- ٥١٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
- ٥٥٧ م ، ٥٦٠ م ، ٥٦٨ ، ٥٧١ -
- ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٧ ،
- ٥٩٠ - ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦١٣ ،
- ٦١٤ - ٦١٥ ، ٦٦٧ م ، ٦٧٧ م ،
- ٧٠٩ - ٧١٠ ، ٧١٩ - ٧٢٠ .
- المنصور مجيى (صاحب بطليوس) ٨٠ .
- المنقتل (الشاعر) ٢٦٥ .
- المهدي بن تومرت ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
- ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ٣٦٢ م ، ٤٢٣ ،
- ٥٢٢ ح م ، ٦٧٧ - ٦٧٨ .
- المهدي العباسي - محمد ٩٨ ح .
- المهدي الروافي - محمد ١٤١ م .
- المهدي المنتظر ٥٥٨ .
- المهر = ابن الفرس
- مهلهل ١٩٦ م .
- المهنا ، مهني ٧٣٣ م .
- المهدوي = الحداد المهدوي
- المواعيني = ابن خيرة
- الموالي ١٤٩ .
- الموحدون ٣٥٩ ، ٣٦٢ .
- موسى (اسم) ٥٠٢ .
- موسى ٢٧٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٠ ، ٥١٦ م ،
- ٧١٨ ح ، ٧١٩ م .
- موسى بن نصير ١٣٩ .
- موسى الهادي = الهادي
- موسى - محمد يوسف ٥٢٩ .
- موسى بن يغمور = ابن جلدك
- مؤنس - حسين ١٩٦ ح ، ٣٩٠ ح ،
- ٥٨٧ ح ، ٧١٦ ح .
- مونكادا ٢١٠ ، ٣٩٨ .
- المؤيد الطوسي ٦٨٤ - ٦٨٥ .

- المؤيد هشام المرواني ١٤١ م، ١٤٣ .
 المياشي - عبد الحميد بن عمر .
 المياشي - محمد بن عبد الحميد ٥٦ ،
 ٣٦٦ - ٣٦٧ .
 ميداني ١٥٨ .
 الميرقي ، الميورقي = ابن غانية - يحيى
 ميمون بن خبازة = ابن خبازة الخطاي
 ميمون الفردادي ٦٦٠ .
 مية (ذكرت في شعر) ٦٣ م، ١١٢ ،
 ٢٧٧ .
- ن
- النافذة الذبياني ١٩ م، ٦٣ ح،
 ٦٩٢ ح .
 نابليون ٢٥ ح .
 نادر - البير ٥٢٩ .
 ناصر الدولة = مبشر بن سليمان
 الناصر العباسي ٣٦٣ .
 الناصر الموحدي ٣٦٠ م، ٥٥٨ ،
 ٥٦٠ م، ٥٩٨ ، ٦٣٧ - ٦٣٨ ،
 ٦٦٨ ح .
 نافع بن أبي نعيم (القاريء) ٤٩٧ م،
 ٥٠٠ م، ٥٠١ م، ٦٠٢ .
 النبھاني - يوسف ٦٥٦ .
 النبي = محمد رسول الله
 النثر ٦٣ .
- نجاتي - أحمد يوسف ٥١٢ .
 النحاس = ابن النحاس
 نزهون بنت القلاعي (٣٥٠ - ٣٥٢) ،
 ٢٧٣ م، ٥٥٦ .
 النسائي ٣٨ م، ٤٦٤ ، ٦٠٧ م .
 نصار - حسين ٦١٣ .
 نصر بن ابراهيم المقدسي - أبو الفتح
 ٢٣٢ .
 نعم (ذكرت في شعر) ١١٣ .
 نعم الخلف بن محمد ١٧٠ .
 النعمان بن المنذر ٣٠١ ح، ٦٩٢ ح .
 نفش - محمد ٤٤٦ ، ٤٥١ .
 النفزي - أبو علي بن محمد ٤٩٣ .
 النفزي - أبو الروح عيسى (٦٧٤ -
 ٦٧٥) .
 النفطي - أبو القاسم ٣٠٧ م .
 النقد ٥٠ ، ٦٣ .
 نكلسن ٧٢٨ .
 النميري - أحمد بن ابراهيم ٦٩ .
 نوح ١٣٢ ، ٣١٠ ، ٣٧٨ ، ٦٤١ .
 نور الدين زنكي ٤٤٥ ، ٥٩٩ .
 النورمان (في صقلية) ٣٥ .
 نولدكه ٢٧ .
 النووي ٦٦٠ .
 نوهض - عادل ٦٦٣ .

نيقوماخس الجرشيّ ٦١ .

نيكل - عبد الرحمن ٦٦ م ، ١٩٣ ح ،

١٩٥ ، ٣١٥ ح ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ح ،

٤٩١ .

هولاكو ٣٦٥ .

و

وايزر = فايزر

الورديني - عبد القادر ٦٤٧ .

ورش - أبو سعيد عثمان بن سعيد

٤٩٧ م ، ٥٠٧ م ، ٥٠٨ م .

وزّمر الحجاري ٣١٣ م .

الوقّشي = أبو جعفر ، أبو الوليد

الوكيل - عبد الرحمن ٧٣٨ ح .

ولادة بنت المستكفي ٤٩١ .

وليد (البحري ؟) ١٦٧ .

الوليد بن عبد الملك ١٣٩ .

وهبي - مصطفى ٥٧٩ .

الوهراني - محمد بن محرز (٤٤٥ -

٤٥١) .

ي

ياقوت الحمويّ ٢٥٧ ، ٦٦٧ .

اليحموم ٣٠١ م

يحيى بن أبي بكر (الأمير) ٧٨ - ٧٩ .

يحيى بن اسماعيل = المأمون بن ذي

النون

يحيى بن الأفتس = ابن الأفتس

يحيى بن تميم بن باديس - أبو طاهر

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ - ١٨٤ .

الهادي العبّاسي - محمد ١٤٠ .

هاروت ٣٢٨ م .

هارون - عبد السلام محمد ١٨٦ .

هامان ٧١٩ م .

هانريك = أنريك ، ابن أليق

هرون ٧١٩ م .

هرون الرشيد ١٤٠ ، ٢١١ ، ٣٧٣ .

الهروي = ابن سلام

هشام بن عبد الرحمن الداخل ٣٣٣ -

٣٣٤ .

هشام بن عمّار (القاريء) ٤٩٨ م .

هشام = المعتد المرواني

هشام = المؤيد المرواني

هلال بن عامر ٤١٤ م .

همّام (اسم) ٢٣٩ ، ٦٢٨ .

الھنتاقي = عمر بن يحيى

هند (ذكرت في شعر) ٣٠٤ ، ٤٨٢ .

هوتسا ٢٧ .

الهوريني ٢٥ - ٢٦ .

الهوزني - حسن بن عمر ٢٨٤ .

يحيى بن حكم الغزال ٣٨٤ .

يحيى بن خالد البرمكي ١٩٧ م .

يحيى بن عبد الجليل = ابن مجبر

يحيى بن عبد العزيز ٤٢٣ - ٤٢٤ .

يحيى بن عبد الواحد الحفصي أبو

زكريا ٣٦١ م ، ٣٦٥ م ، ٣٧٤ ،

٧٠٢ م .

يحيى - عثمان ٧٢٨ .

يحيى (من بني العشرة) = ابن العشرة

يحيى بن عمر القرطبي = ابن سعدون

يحيى بن المبارك = اليزيدي

يحيى بن محمد المعتصم - رفيع الدولة .

يحيى المعتصم الموحد ٦٧٦ م .

يزدجرد ١٩٦ م .

يزيد بن معاوية ١٣٩ .

يزيد بن المعتمد بن عباد = الراضي

اليزيدي - يحيى بن المبارك ٤٩٨ م .

اليسع بن عيسى بن حزم (٤٤٣ -

٤٤٥) ، ٦٠ .

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المريني

اليعمري = ابن مالك

يغمراسن بن زيان ٣٦١ .

يقطان (اسم) ٤٧٢ .

اليكي = أبو بكر اليكي

يوسف (في شعر) ٣٥٤ .

يوسف بن تاشفين ٣٣ - ٣٤ ، ٣٧ ،

٤٢ م ، ٥٢ م ، ٥٤ ، ٥٦ م ، ٦٦ م ،

٦٧ - ٦٨ ، ٧٧ م ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١١٠ م ، ١٣٤ ، ١٤٤ م ، ١٤٦ ،

٧٠٩ ح .

يوسف بن سليمان (بن هود) ١٥٦ م .

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٣٣٨ م .

يوسف بن عبد المؤمن ٤٤٠ - ٤٤١ ،

٤٤٩ ح ، ٤٧٠ ، ٤٩٠ ، ٥١٢ ،

٥٤٦ - ٥٤٧ ، ٥٨٢ ، ٦٢٨ .

يوسف بن عتبة = أبو الحجّاج

الآشيلي

يوسف بن يعقوب ٢٩٤ ، ٣٨٦ ،

٤٩١ ح م ، ٥٢٣ م .

يوشع ٨٣ م .

يونس ٢٩٤ .

يونس بن عيسى المرسّي (٣٠٩ -

٣١٣) .

يونس بن محمد القسطلي (٤٥٠ -

٤٥٢) .

فهرس بأسماء الكتب

يدخل في هذا الفهرس تلك الكتب التي عرّفت في هذا الجزء أو وصفت أو ذكرت في تراجم أصحابها (وكانت مطبوعة) ثم الكتب التي أخذ منها نصوص:

- أ
- أحكام القرآن ٧٢٧ .
- أخبار بني عُبيد ٦٦٣ .
- الأخلاق ٧٢٧ .
- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ٥١٢ .
- أزهار الرياض في أختبار عِياض ٢٩٥ .
- إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجُمَل ١٥٤ .
- الأضواء البهجة في إبراز معاني المنفرجة ١٠٩ .
- إعانة الطالبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ .
- الاعلام والحروب والوقائع في صدر الإسلام ٣٧٣ .
- كتاب الافعال ١١٣ ، ١١٤ .
- اقتباس الأنوار والتاس الأزهار إلخ ٤٦٤ ح .
- إبراز المعاني من حِرز الأمان ٥١١ .
- ابن باجّه ٢١٨ .
- ابن باجّه والفلسفة المغربية ٢١٨ .
- ابن حديس الصقلّي ٢١٠ .
- ابن خفاجة ٢٢٤ .
- ابن رُشد ٥٢٩ م .
- ابن رشد والرشدية ٥٢٩ .
- ابن رشد وفلسفته ٥٢٩ .
- ابن رشد الفيلسوف ٥٢٩ .
- ابن رشد فيلسوف العرب ٥٢٩ .
- ابن طُفيل ٤٧٣ م .
- ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان ٤٧٣ .
- ابن عربي: حياته ومذهبه ٧٢٨ .
- أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد ١٥٢ .
- إحكام صنعة الكلام ٥١ - ٥٢ .

الاقتضاب ١٥٨ .

الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة

الخلفاء ٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

ألف با ٥٧٥ ، ٥٧٩ .

ألفية ابن معطر = الدرة الألفية .

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية

وتقييد السماع ٢٩٥ .

الإمام المازري ٢٣٦ .

أمالى السهيلي ٤٦٦ ، ٤٦٩ .

الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل

الطريقة من الشروط ٧٢٧ .

الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان

الموحدي ٥٧٤ .

أنباء نجباء الأبناء ٤٠٢ .

الانتصار ١٥٧ .

أنس الوحيد ونزهة المرید ٥٢١ .

الإنصاف ١٥٩ .

أنموذج تحليلي من ابن خاقان

١٩١ .

إيضاح الحصول من برهان الأصول

٢٣٤ .

ب

الباه في رجوع الشيخ إلى صباه ٣٧٦ .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٥٢٩ .

البسامة: البشامة ١٩٣ .

البشامة بأطواق الحمامة ٥٨٣ ، ٥٨٥ .

بغية المشتاق لأصول الديانات والمعارف

والأذواق ٦٤٧ .

بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

٣٧٢ ، ٥٥٤ .

البيان والمزید المشتمل على معاني

التنزيه وحقائق التوحيد ٥٢١ .

البيان الواضح في الملم الفادح ٥٩ .

ت

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في

إيضاح المعاني الإلهية المودعة في

المعاني الروحية ٧٢٧ .

تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين

إلخ ٥٢٢ ، ٥٢٤ .

تحذير العباد من أهل العناد = تنبيه

الغبي

تحفة الألباب ٣٩١ - ٣٩٧ .

التحفة البهية ٧٢٧ م .

تخميس القصيدة العينية في المناجاة

٤٦٩ .

تخميس المنفرجة ١٠٩ ، ٧١٥ - ٧١٧ .

تدبير المتوحد ٢١٧ .

ترجمان الأشواق ٧٢٨ .

ترجمة ابن حمديس الصقلي ٢١٠ .

التشوّف إلى رجال التصوّف ٦٥٨ -
٦٥٩ .

التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن
من أسماء الأعلام ٤٦٦ .

التعريفات ٧٢٧ .

تفسير القرآن الكريم ٧٢٨ .

تفسير ما بعد الطبيعة ٥٢٩ .

تكميل الأبيات وتتميم الحكايات
٥٧٦ ، ٥٧٥ .

تلخيص الخطابة ٥٢٩ .

تلخيص كتاب النفس ٢١٨ ، ٥٢٩ .

تلقين الوليد ٤٦٤ .

تنبيه الغيّي إلى تكفير ابن عربي ٧٢٨ .

التنوير في مولد السراج المنير ٦٩١ ،
٦٩٢ .

تهافت التهافت ٥٢٨ .

ث

ثورة المريدين ٥٢٢ .

ج

الجامع لمفردات الأغذية والأدوية
٣٧٧ .

جليس كلّ ظريف ٤٤٦ .

الجمع بين الصحيحين

جنيّ الرطّب في سنّي الخطب ٦٩٤ .

جهد النصيح وحظ النصح في معارضة
المعري في خطبة الفصيح ٦٩٤ .
الجوهرة الخطيرة ١١٢ - ١١٣ .

ح خ

الحاسّ والمحسوس ٥٢٩ .

الحقائق ٥٨ ، ٦١ ، ١٥٩ ، ٢٧٧ .

حزب الأمانى ووجه التهاني ٣٦٦ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ - ٥١٢ .

الحروف الخمسة ١٥٣ .

الحوادث والبِدَع ١٥٢ .

خير البشر بخير البشر ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

د

الدّر المنظّم في الاختيار المُعظّم ٥٣١ .
الدرة الألفية في علم العربية ٦٦٣ -
٦٦٧ .

الدّور الأعلى ٧٣٣ .

الديباجة = النّبذ المحتاجة .

ديوان ابن حمديس ٢١٠ .

ديوان ابن حمديس الأزدي السيراكوسي
٢١٠ .

ديوان ابن خفاجة ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ديوان ابن الزقاق البلنسي ١٨٠ .

ديوان ابن عربي ٧٢٧ .

ديوان ابن قزمان (الأصغر) ٣٣٠ .

ديوان أبي الربيع سليمان الموحد ٥٧٤ .
 ديوان الأعمى التطيلي ١٦٨ .
 ديوان ترسل ومُخاطبات ٥٦٥ .
 ديوان تميم بن المعز ٧٧ .
 ديوان الحكم وميدان الكلم ٥٦٤ .
 ديوان الديباج ٣٧١ .

ذ

ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان
 الأشواق ٧٢٧ .
 الذخائر والأعلاق في أدب النفوس
 ومكارم الأخلاق ٢٩٠ .
 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٥١ ،
 ٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ .
 ذيل جالية الكدر ١٠٩ .
 ذيل لفصل المقال ٥٢٨ .

رز

رجوع الشيخ = الباه
 رحلة ابن جبير ٦١٣ .
 الرد على النحاة ٥١٢ - ٥١٥ .
 رد معاني الآيات المتشابهة إلى الآيات
 المحكمّة ٧٢٧ .
 رسائل ابن باجه الالهية ٢١٨ .
 رسائل ابن رشد ٥٢٩ م .
 رسائل إخوان الصفا ٢٣٤ .

رسائل في اللغة ١٥٩ .
 رسائل محي الدين بن عربي ٧٢٧ .
 رسالة الاتصال ٢١٨ .
 رسالة التوحيد والفلسفة ٥٢٨ .
 رسالة ... الطرطوشي إلى ... ابن
 تاشفين ١٥٢ .
 رسالة (روح) القدس ٧٢٨ .
 الرسالة المصرية ١٨٢ ، ١٨٦ .
 رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر
 العدو ٦٧٤ .
 الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ
 إلخ ٤٦٤ .
 الروض الأنف ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ .
 روضة المآثر والمفاخر من خصائص
 الملك الناصر صلاح الدين ٥٦٥ .
 روبنسون كروزو ٤٧٠ ح .
 ريعان الألباب وريعيان الشباب في
 مراتب الآداب ٣٨٦ .
 الريحان والريعيان ٥٢ .
 زاد المسافر ٥٥٠ ، ٥٥٣ .

س

سابقات الجياد ٦٥٦ .
 سراج القاريء المبتدي وتذكّر
 المقرئ المنتهي ٥١١ .

سراج الملوك ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١٥١ .

سفينة السعادة لأهل الضعف والنَّجادة
٦٥٧ .

سُلوان المطاع وعُدوان الاتباع ٣٩٩ ،
٤٠٠ .

السَّاع الطبيعي ٢١٨ .

سِمَط الجُمان وسَقَط اللَّال وسَقَط
المرْجان ٣٣١ .

سيرة رسول الله ٤٦٨ .

ش

الشاطبية = حرز الأمافي ...

شجرة الكون ٧٢٧ .

شرح البسامة (البشامة) ٥٨٥ .

شرح سَقَط الزَّند ١٥٧ ، ١٥٩ .

شرح السيرة النبوية ٥٦٩ .

شرح قصيدة « بانث سعاد » ٥٩٤ .

شرح قصيدة ابن عبدون ٢٠١ ، ٥٨٥ .

شرح المختار من لزوميات أبي العلاء
١٥٩ .

شرح مقامات الحريري (المقامات

الحريرية) ٦٢٥ ، ٦٣٠ .

شروح رسالة الشيخ رسلان في علوم

التوحيد والتصوّف ٧٢٨ .

شروحات السَّاع الطبيعي ٢١٨ .

الشفّا بتعريف حقوق المصطفى ٢٩٥ .

ص

الصلة ٣٧٢ ، ٤٦٧ ، ٤٥٨ .

صلوات ابن مشيش = اعانة الراغبين

ع غ

العشرينيات = القصائد العشرينيات
عقيلة أتراب القصائد في أسنى

المقاصد ٤٩٤ ، ٥١١ .

العقيدة النظامية ٧٢٧ .

العواصم من القواصم ٧٢٧ .

الغريبين (كتاب الغريبين: غريب اللغة
وغريب الحديث) ٤٦٤ .

ف

الفتح المبين في ردّ اعتراض المعارض

على محيي الدين ٧٢٨ .

الفتوحات المكيّة ٧٢٨ .

الفرج بعد الشدة = المنفرجة

فرحة الانفس الأندلس ٤٧٧ -
٤٨٠ .

فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة

والحكمة من الاتصال ٥٢٥ ،

٥٢٨ .

فلسفة ابن رشد ٥٢٨ .

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد
الملّة ٥٢٨ .

الكلّيات (في الطبّ) ٥٢٩ .

كلمة الزهر...: شرح قصيدة ابن
عبدون ٢٠١ .

كلمة الزهر وصدفة الدرر = شرح
البشامة

كنز المعاني ٥١١ .

الكوكب الدرّي المستخرج من كلام
النبيّ العربي ٣٠٥ .

الكون والفساد ٢١٨ .

ل

اللمحات الرافعات ٦٤٧ .

م

مأوى الرغائب في مجد النصائح ٧٢٧ .

المبشرات والقدسيات ٥٦٥ .

متن الشاطبية ٥١١ .

مجموع آلهي ٧٣٣ .

مجموع رسائل ٧٢٧ .

مجموع الرسائل الالهية ٧٢٧ .

مجموعة ساعة الخبر ٧٢٧ .

محاسن المجالس ٢٣٢ .

محاضرة (محاضرات) الأبرار ومسامرة

(مسامرات) الأخيار ٧٢٤ ، ٧٢٥ ،

٧٢٦ ، ٧٢٨ .

فصوص الحكم ٧٢٧ .

الفصول الخمسون ٦٦٧ .

فنّ الشعر ٥٢٩ .

فهرسة ما رواه عن شيوخه.... أبو

بكر بن خير ٤٤٢ .

فهرست مؤلفات محيي الدين بن عربي
٧٢٨ .

في الأدب العربي وابن حديس ٢١٠ .

في فلسفة ابن رشد ٥٢٩ .

الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة
٤٥٧ .

ق

القرارة اليربسية المخصوصة بشرف
الأحناء القدسية ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

القوائد العشرينيّات ٦٥٥ - ٦٥٦ ،
٦٥٧ .

قصّة حيّ بن يقظان ٤٧٠ ، ٤٧٢ ،
٤٧٣ م .

القصيدة العينية في المناجاة ٤٦٩ .

قصيدة المعشّرة ٧٢٧ .

القصيدة النظامية ٧٣٣ .

قلائد العقيان ٤٩ - ٥٠ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩١ .

ك

الكافي في علم القوافي ٣٠٩ .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٢٧٠.

المداخل - المداخلات ٢٣٨، ٢٤٣.

المدارك ٢٩٥

المسلسل ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥.

المُسْنَب ٣٢٢.

مشارك الأنوار إلى صحيح الآثار
٢٩١، ٢٩٥.

المطرب من أشعار أهل المغرب ٦٩١.
مطلع الأنوار لصحيح الآثار ٥٥٤.

مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠، ١٨٨،
١٩١.

المُغْرَب عن بعض عجائب البلدان
٣٩٨.

المغرب في آداب المغرب ٤٤٤.

المُعْشَرَات = القصائد العشرينيات.

المُعْلَم بفوائد مسلم ٢٣٤.

المِيعَار في أوزان الأشعار ٣٠٩.

المعين على التلقين ٢٣٤.

المُغْرَب في حلى المغرب ٣٢٢ - ٣٢٣.

مُفِيد العلوم ومُبِيد الهموم ٣٧٤.

المقامات اللزومية ٢٣٨، ٢٤٠.

المقدمة (في النحو) ٥٩٤.

الْمَنْ بِالْإِمَامَةِ... = تاريخ المن بالإمامة.

منامات الوهراني ومقاماته ٤٤٦،
٤٥١.

مُنَبِّهَات ابن حَجَر ١٠٩.

الْمُنْفَرَجَة ١٠٦ - ١٠٧، ١٠٩، ٧١٥،

٧١٦ - ٧١٧. الموطأ ٣٨ ح.

ن

النبات (كتاب) ٥٢٩.

النَّبَذ المحتاجة بأخبار صنهاجة
بأفريقية وبجاية ٦٦٠، ٦٦٢.

النِّبْرَاس في خلفاء بني العباس ٦٩١.
النجم من كلام سيّد العرب والعجم
٣٠٥، ٣٠٧.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٧٥،
٣٧٤.

نصّ أندلسي جديد ٤٨٠.

نظرات في طب ابن الطفيل (كذا)
٤٧٣.

نظم الفرائد في علم العقائد ٢٣٤.

نظيمة الزهر ٤٩٤.

النفحات القدسية ٦٤٧.

النفس (كتاب) ٥٢٩.

نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال
٦٩٤.

نوادير الوحي ٥٦٥.

و

الوافي في شرح الشاطبية ٥١٢.

الوسائل المتقبّلة ٦٥٦ .

وصف رومية ٣٩٨ .

الوصايا ٧٢٧ .

الوقوف ٤٩٤ .

الوطنية في شعر ابن حمديس ٢١٠ .

ثاني ذي القعدة ١٤٠١

١٩٨١ / ٨ / ٣١ .